

الجزء الاول

من تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل تأليف الامام
العلامة قدوة الامة وعلم الائمة ناصر الشريعة ومحبي السنة علاء الدين
علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي الصوفي المعروف
بالخازن تغمده الله برحمته آمين

وبها مشه تفسير الشيخ الاكبر العارف بالله تعالى العلامة محي الدين عربي
اعاد الله علينا من بركاته آمين

طبعه حسن حلي الكنجي ومحمد حسن جالي الحلبي برخصة
نظارة المعارف التي لا بد منها في سنة سبعة عشر
وثلاثمائة والف

فهرست الجزء الاول من تفسير القرآن العظيم الامام علي بن محمد المعروف بالخازن

مصحف	مصحف
١٠٨ فصل في حكم الآية (اى قوله تعالى فن اضطر غير باع) وفيه مسائل	٤ مقدمة الكتاب وهي تنقسم ثلاثة فصول
١١٧ فصل في حكم الآية (اى قوله تعالى ومن كان مريضا الخ) وفيه مسائل	٤ الفصل الاول في فضل القرآن وتلاوته وتعليه
١١٩ فصل في فضل الدماء وآدابها	٦ الفصل الثاني في وعيد من قال في القرآن برأيه من غير علم ووعيد من اولى القرآن نفسه ولم يشهد
١٢٠ فصل في حكم الاعتكاف	٧ الفصل الثالث في جميع القرآن وترتيب نزوله وفي كونه نزل على سبعة احرف
١٢٣ فصل في حكم اكل المال بالباطل	١٠ فصل في كون القرآن نزل على سبعة احرف وما قبل في ذلك
١٢٥ فصل وافقت الامة على وجوب الحج الخ	١٢ فصل في معنى التفسير والتأويل
١٢٩ فصل في تحريم الجز ووعيد من شربها	١١ القول في الاستاذة
١٥٧ فصل في احكام تتعلق بالجز	١٣ (تفسير سورة الفاتحة)
١٥٨ فصل واما اليسر الخ	١٤ فصل في ذكر فضلها
١٥٩ فصل في حكم الآية (اى قوله تعالى ويستلوك عن الحبس الخ) وفيه مسائل	١٦ فصل في حكم البسمة وفيه مثلتان
١٦٣ فصل في بيان حكم الآية (اى قوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم الخ) وفيه مسائل	١٦ المسئلة الاولى في كون البسمة من الفاتحة وغيرها من السور سوى سورة براءة
١٦٩ فصل في احكام العدة وفيه مسائل	١٧ المسئلة الثانية في حكم الجهر بالبسمة والاسرار
١٧٢ فصل في حكم الخلع وفيه مسائل	١٨ فصل في آداب وحكم الفاتحة وفيه مثلتان
١٧٧ فصل في حكم عدة اتقوا سها زوجها والاحداد وفيه مسائل	٢٠ المسئلة الاولى السنة للقارئ الخ
١٨٠ فصل في حكم هذه الآية (اى قوله تعالى ومنعوهن على الموضع قدره الخ) وفيه فروع	٢١ المسئلة الثانية في حكم الفاتحة
١٨٢ فصل في ذكر اختلاف العلماء في الصلاة الوسطى	٢١ (تفسير سورة البقرة)
١٨٩ ذكر الاشارة الى قصة الملازمين اسرائيل مع نبيهم	٢١ فصل في فضلها
١٩٩ فصل في فضل آية الكرسي	٣٦ فصل في ماهية الملائكة وقصة خلق آدم عليه السلام
٢٢٢ فصل في حكم الربا وفيه مسائل	٤٥ ذكر سياق قصة فرقة البحر بين اسرائيل
٢٢٦ فصل في ثواب افطار المسر والموضع عنه وتشديد امر الدين والامر بقضه	٤٧ ذكر القصة في مياد موسى عليه السلام وذهابه للمناجاة
٢٣٦ (تفسير سورة آل عمران)	٥٣ ذكر الاشارة الى قصة اهل البت
٢٦٣ ذكر سبب القصة المتعلقة بقوله تعالى طاعت عيسى الخ	٥٤ ذكر الاشارة الى قصة ذبح البقرة
٢٩١ فصل في فضل البيت والحج والعمرة	٥٦ فصل في حكم القتل اذا وجد في موضع ولم يعرف قاتله
٢٩٢ فصل في احكام تتعلق بالحج	٦٨ فصل في القول بعمية الملائكة
٣٩٠ فصل في فضل الاستغفار	٧٠ فصل في حكم النسم
٣٣٦ فصل في ذكر احاديث وردت في العلل ووعيد اللال	٩٩ فصل في ذكر احاديث وردت في ثواب اهل البلاء واجرا الصابرين
	١٠٠ فصل اخلاف العلماء في حكم السبي بين الصفا والمروة والحج والعمرة
	١٠٢ فصل فيما يتعلق بهذه الآية من الحكم (اى قوله تعالى ان الدين كبروا وماواهم كفارا اولئك عليهم لعنة الله والملائكة الخ)

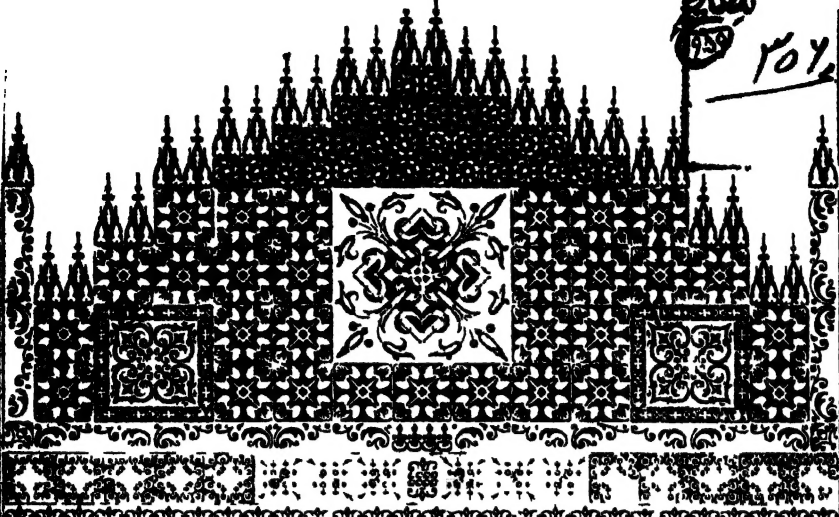
مصحف	مصحف
٣٤٦ فصل في فصل الجهاد والشهادة في سبيل الله تعالى	١ (تفسير سورة النساء) تكلمه
٩٣ فصل في احكام تتعلق بالآية (اي قوله تعالى وادا كنت فيهم الح) وصفة ملاة الخوف وفيه مسائل	٤ فصل في احكام تتعلق بالحج والعمرة وفيه مسائل
٩٦ فصل وفيه تمحك بهذه الآية من يرى حوار صدور النبي من الانبياء (اي قوله تعالى واستغفر الله ان الله كان عفورا رحيم)	١١ فصل في الحث على تعليم المرائس
١٥٤ فصل وقد اتحد الله في صلى الله عليه وسلم - لمبلا كما اتحد ابراهيم خليل	١١ فصل في بيان احكام المرائس
١٥٧ فصل في يتعلق بالقسم من الزواجات (تفسير سورة المائدة)	١١ فصل واسباب الارث ثلاثة الح
١٢٩ فصل احتلف في المانع والمسوح في هذه الآية (اي قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تعلقوا شعار الله الح)	١٢ فصل والسيهام المحدودة في المرائس الح
١٤٤ فصل في مرائس الوصو	١٢ فصل روى من ريد من ثا قال وار الاساء بمرة الاساء الح
١٤٤ فصل في ذكر الاحاديث التي وردت في صفة الموصو وفصله	١٩ فصل اتفق العلماء على ان هذه الآية (اي قوله تعالى واللاقي يا من يداحشة من سائكم الح) مدسوحة
١٥٦ ذكر قصة وفاة حوسى وهروب عليهما السلام	٢٩ فصل في ور الدواق وما يستحقه
١٥٨ ذكر قصة الثرمان وسنه وقصة قتل قابيل	٤٤ فصل في احكام تتعلق بالآية (اي قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تفرحوا بالسلامة وانتم سرون الح)
١٦٧ فصل في بيان حكم الآية (اي قوله تعالى والبارق والله رفة الح) وفيه مسائل	٤٧ فصل في احكام تتعلق بالآية (اي قوله تعالى وان كنتم من بني او على - الح)
١٦٨ فصل في احكام تتعلق بالآية (اي قوله تعالى والبارق والله رفة الح) وفيه مسائل	٥١ فصل واركان التيمم حجة
١٧٥ (ذكر انجسته في ذلك) اي المنة بقوله تعالى يا ايها الرسول لا يجرن الح	٧٤ فصل في فصل السلام واحث عليه
١٧٨ فصل احتلف في التفسير في حكم هذه الآية (اي قوله تعالى فان خلوك فاحكم بينهم الح)	٨٠ فصل في احكام تتعلق بالآية (اي قوله تعالى وما كان مؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ الح)
٢٠٠ ذكر قصة الهجرة الاولى وسبب نزوله قوله تعالى لخصن اشد الناس عداوة للدين آمنوا اليهود الح	٨٢ فصل وقد تلفق المعتزلة والوعيدية - الح
٢١٣ فصل في حكم الآية (اي قوله تعالى فكذلك ارنه اطعام - شرة ما كين الح) وفيه مسائل	٨٨ فصل الم ان الجهد ينقسم الى فرس من وفرس ذرية الح
	٩١ فصل في احكام تتعلق بالآية (اي قوله تعالى وادا سرتن في الارض فليس عليكم - الح)
	٩٢ فصل قول قوله تعالى ان حنتم ان بعثكم

الجزء الاول

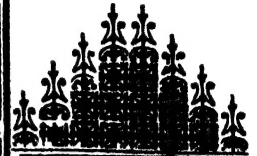
من تفسير القرآن الجليل المسمى باب التأويل في معاني التنزيل تأليف الامام
العلامة قدوة الامة وعلم الائمة ناصر الشريعة ومحبي السنة علماء الدين
على بن محمد بن ابراهيم البغدادي الصوفي المعروف
بالحازن نفعه الله برحمته آمين

وبها منه تفسير الشرح الاكبر المعارف بالله تعالى العلامة محي الدين عربي
اعاد الله علينا من بركاته آمين

طبعه حسن حلمي الكتبي ومحمد حسن جالي الحلبي برخصة
نظارة المعارف التي لا بد منها في سنة سبعة عشر
وثلاثمائة والف



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى خلق الاشياء فقدرها تقديرا * وصور شكل الانسان فاحسنه تصورا * ومنحه بالعقل وجعله سميعا بصيرا * وشره بما عرفه به من العلم ونور قلبه تنويرا * وهداه الى معرفته فيا لها نعمة وفصلا كبيرا * وأطلق لسانه فاذعن بشكره * تحميد او تهليلا وتكبرا * وأرسل محمدا صلى الله عليه وسلم الى كافة الخلق بشيرا ونذيرا * وأنزل عليه كتابا مبيرا * وأودعه حكمة وحكما ترغيا وتحذيرا * وألهم حفاظه تلاوته وتحميرا * وعلم عبادَه علومه تنهجا وبصيرا * وضرب فيه الامثال ليزيل حياءه وتحميرا * وجعله برهانا واضحا وصوابا لا تحاو وفر فضله توفيرا فى الصدور محفوظا وبالسنة متلوا وفى الصحف مسطورا * يهدى لى هي أقوم وبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا * وجعل كل مبلغ عن الاتيان بسورة مثله حسيرا * قل نحن اجتمعنا الانس والجن على أن ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (احده) على تواتر انعامه جدا كثيرا * واتوكل عليه مفوضا أمرى اليه ومسجيرا * وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة يعدو قلب قائلها مطمئنا مستبيرا * وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى كساه من فضله عزا ومهابة وتوقيرا * صلى الله عليه وعلى آله واصحابه كما أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا (وبعد) فان الله جل ذكره * وقد أمره أرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله رجة للعالمين وبشيرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين أكل به بنيان النبوة * وختم به ديوان الرسالة * وأنهم به مكارم الاخلاق * ونشر فضله فى الآفاق * وأنزل عليه نورا هدى به من الضلالة * وأنقذه من الجلالة * وحكم بالفوز والفلح لمن اتبعه * وبالحسار لمن كفر ضل منه

الحمد لله الذى جعل منافع كلامه مظهر حسن صفاته * وطوال صفاته * طالع نور ذاته * صفى مزارع مسامع قلوب اصفياء تصفق السماع * وروى موارد شاعر فهم أوليائه * لتيقن الاطلاق ولطف اسرارهم باشراف شعة المحبة فى أرجائها * وشوق أرواحهم الى شهود جلال وجهه بفتاها * ثم ألقى اليهم الكلام فاستروحوا

بهدم اسمه بجز الخلاق من معارضته * حين نهداهم على ان ياتوا بسورة من مثله في مقابلته * ثم سهل على عباده المؤمنين مع انجازة تلاوته * ويسر على اللسان قراءته * امر فيه وزجر * وبشر وأنذر وذكر المواعظ لينذرك * وضرب فيه الامثال ليتدبر * وقص فيه من اخبار الماضين ليعبر * ودل فيه على آيات التوحيد ليتفكر ثم لم يرض من ان يسرد حروفه دون حفظ حدوده ولا باقاة كانه دون العمل بحكماته * ولا تلاوته دون تدبر آياته في قراءته * ولا بدراسة دون تعلم حقائقه وتفهم دقائقه ولا حصول لهذه المقاصد منه الا بدراية تفسيره واحكامه ومعرفة حلاله وحرامه واسباب نزوله واقسامه والوقوف على نامحنه ومنسوخه في خاصه وعامه فانه ارسخ العلوم اصلا واسبقها فرما وفصلا * واكرمها تاجا * واتورها سراجا * فلا تشرف الا هو السبل اليه * ولا خير الا هو الدال عليه وقد قبض الله تعالى له رجالا موفقين وبالخلق ناطقين حتى صفوا في سائر علومه المصنفات وجعوا سائر فنونه المتفرقات كل على قدر فهمه ومبلغ علمه نظر الحلف واقتداء بالسلف فشكر الله سبحانه * ورحم كآتهم * ولما كان كتاب عالم التنزيل * الذي صنفه الشيخ الجليل * والحبر النبيل * الامام الامام العالم الكامل * محي السنة * قدوة الامة * وامام الائمة مفتي الفرق ناصر الحديث ظهير الدين ابو محمد الحسين بن مسعود البغوي قدس الله روحه ونور صريحه من اجل المصنفات في علم التفسير * واعلاها وانبلها واسناها * جامعا للصحيح من الاقاويل * عاريا عن الشبه والتصحيف والتبديل * محلي بالاحاديث النبوة مطرزا بالاحكام الشرعية * موثى بالقصص القريبة * واخبار الماضين الجسيمة * مرصعا باحسن الاشارات * مخرجا باوضح العبارات * مفرغا في قالب الجمال بافصح مقال * فرحم الله تعالى مصنفه واجزل ثوابه * وجعل الجنة منقلبه ومآبه ولما كان هذا الكتاب كلوصفت احببت ان انتخب من غرر فوائده ودرر فرائده وزواهر نصوصه وجواهر فصوصه مختصرا جامعا لمعانى التفسير ولباب التأويل والتعبر حاويا خلاصة من قوله متضمنا لكننه واصوله مع فوائد نقلتها وفرائد لخصتها من كتب التفسير المصنفة في سائر علومه المؤلفة ولم اجعل لنفسى تصرفا سوى النقل والانتخاب بحسبنا حد الطويل والاسهاب * وحذفت منه الاسناد لانه اقرب الى تحصيل المراد * فإوردت فيه من الاحاديث النبوية والاخبار المصطفوية على تفسير آية اويان حكم فان الكتاب يطلب بانه من السنة وعليها مدار الشرع واحكام الدين عروته الى مخرجه وبينت اسم ناقله وجملت عوض كل اسم حرفا يعرف به ليهون على الطالب طلبه لما كان من صحيح ابي عبدالله محمد بن اسمعيل البضاري ضلamente قبل ذكر اسم الصحابي الراوي للحديث (خ) وما كان من صحيح ابي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري ضلamente (م) وما كان مما اتفقا عليه فعلامته (ق) وما كان من كتب السنن كسنن ابي داود والترمذي والنسائي فاني اذكر اسمه بغير العلامة ومالم اجد في هذه الكتب ووجدت البغوي قد اخرج به بسندله انفرده قلت روى البغوي بسنده ومارواه البغوي باسناد التلميذ وما كان فيه من احاديث زائدة والفاظ متغيرة فاعتمدت فاني اجتهدت في تصحيح ما اخرجته من الكتب المعتبرة عند العلماء كالجمع بين الصحيحين للحميدى وكتاب جامع الاصول لابن الاثير الجزري ثم اني عوضت عن حذف الاسناد شرح فريب الحديث وما يتعلق به ليكون اكل فائدة في هذا الكتاب واسهل على الطلاب

اليه بكرة وعشيا * وقرآهم بذلك منه حتى خلصوا اليه نجيا * فزكى بظاهره نفوسهم فاذا هماء * نحتاج * وروى بباطنه قلوبهم فاذا هو بحر مواج * فلا أرادوا القوص ليستخرجوا درر أسرار * طغى الماء عليهم فخر قوافي ناره * لكن أودية القهوم سالت من فيضه بقدرها * وجد اول العقول فاضت من رشه بنهرها * فابرزت الاوادي على السواحل جواهر ناقبة ودررا وأنبتت الجداول على الشواطى زواهرنا ضرة ونمرا * فاخذت القلوب عند مفيض مدتها

وسقته ببلغ ما قدرت عليه من الإيجاز وحسن الترتيب مع التسهيل والتقريب * وبذني لكل مؤلف كتابا في فن قد سبق إليه أن لا يخلو كتابه من خمس فوائد استنباط شيء كان معضلا أوجهه أن كان متفرقا أو شرحه أن كان فاضا أو حسن نظم وتأليف أو اسقاط حشو وتطويل وأرجو أن لا يخلو هذا الكتاب من هذه الخصال التي ذكرت * (وسميته باب التأويل * في هاتي التنزيل) * والله تعالى اسأل التوفيق لاتمام ما قصدت وإليه أرفع في يسير ما أردت وإن يحمله حاله لوجه الكريم وإن ينقله مني أنه هو السميع العليم وهو حسبي ونعم الوكيل عليه توكلت وإليه أئيب وقبل أن اشرع في الكلام على التفسير أقدم مقدمة تتضمن ثلاثة فصول

* (الفصل الأول في فضل القرآن وتلاوته وتعليمه) * (م) عن زيد بن ارقم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فبينا خطيبا بماء يدي خباين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال أما بعد ألا أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب وأني نارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي اذكركم الله في أهل بيتي اذكركم الله في أهل بيتي زاد في رواية كتاب الله فيه الهدى والنور من استمسك به وأخذ به كان على الهدى ومن خطأ ضل وفي رواية كتاب الله هو جبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة وفي رواية التزمدي عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى نارك فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا يدي أحدهما أعظم من الآخر وهو كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض وهزقي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيها (م) عن عمر بن الخطاب قال أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قال إن الله تعالى يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين وعن الحرث الأعور قال مررت في المسجد فإذا الناس يحدقون في الأحاديث فدخات علي علي فقلت يا أمير المؤمنين ألا ترى الناس قد خاضوا في الأحاديث قال أو قد فعلوها قلت نعم قال أما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا إنها ستكون فتنة فقلت ما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه نبا ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن أبغى الهدى في غيره أضله الله وهو جبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا تشعب منه العلماء ولا يخلق من كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم ينته الجن إذا سمعته حتى قالوا أنا سمعنا قرأنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنابه من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم خذها إليك بأعور أخرجه الترمذي وقال حديث غريب واستاده مجهول وفي الحرث مقال (قوله هو الفصل) أي الفاصل بين الحق والباطل ليس بالهزل أي هو جده كله ليس فيه شيء من الهزل والجبار في صفة آدمي هو المتسلط العاتي المتكبر على الناس قصمه الله أي أهلكه (قوله هو جبل الله المتين) الجبل برد على وجوه منها العهد ومنها الأمان فإذا اعتصم به الإنسان آواه الله تعالى إلى جواره والذكر الشرف والحكيم الحكم العاري من الاختلاف والاضطراب والصراط المستقيم الطريق الواضح ومعنى لا تزيغ به الأهواء أي لا يميل عن الحق * عن ابن جليس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الرجل الذي ليس في جوفه شيء

واقفة على حدّها تملأ
الجور والارदान عاجزة
من حدّها * وطلعت
الغوس في اجنء النمار
والانوار شاكرة بوحدها
قاضية بالاطوار * وآما
الاسرار فاذا قرع سمعها
قوارع الآيات * تطلعت
فاطلعت منها على طلائع
الصفات قصيرت في حسنها
اذرأته لو طاشت * ودشت
عند نجلياتها وتلاشت *
حتى اذا بلغ الروح مها
الترافى طلع من ورائها جبال
طلعت وجهه الباقى * وحكم
الشهود عليها بنى الوجود
والزما الاقرار * فسمان
من لاله الا هو الواحد

من القرآن كاليث الحرب أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح (خ) عن عثمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خيركم من تعلم القرآن وعلمه (ق) عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران (قوله الماهر بالقرآن) يعني الحاذق الكامل الحفظ الجيد التلاوة وقوله مع السفرة جمع سافر وهو الرسول من الملائكة سمي بذلك لانه يسفر برسالات الله الى أنبيائه وقبل السفرة الكتبة من الملائكة والبررة المطيعون لله تعالى فيما يأمر به ومعنى كونه مع الملائكة أن له منازل في الجنة يكون فيها رفيقاهم وقوله يتتعتع أى يتردد في تلاوته لضعف حفظه له أجر ان يعنى يحصل له أجر بسبب القراءة وأجر بسبب تعبه فيها والمشقة التي تحصل له فيها وليس معناه أنه أجرا أكثر من الماهر بل الماهر أفضل منه وأكثر أجرا (ق) عن أبي موسى الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل النخلة طعمها طيب ولا ريح لها ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الخنزيرة طعمها مر ولا ريح لها فيه دليل على فضيلة حفاظ القرآن واستحباب ضرب الامثال لايضاح المقاصد * من ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب وقد رفضه بعضهم عن ابن مسعود ووقفه بعضهم عليه * عن ابن عباس قال قال رجل يا رسول الله أى الأعمال أحب الى الله تعالى قال الحلال المرتحل قال وما الحلال المرتحل قال الذى يضر من أول القرآن الى آخره كما حل ارتحل أخرجه الترمذي * من عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق وتزكك كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلت عند الله آخر آية تقرؤها أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح * عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يبعث القرآن يوم القيامة فيقول يارب حلّه فيلبس تاج الكرامة ثم يقول يارب زده فيلبس حلة الكرامة ثم يقول يارب ارض عنه فيرضى عنه فيقال اقرأ وارق ويزاد بكل آية حسنة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن * عن سهل بن معاذ الجهني عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ القرآن وعمل به ألبس والداه يوم القيامة تاجا ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم لما ظنكم بالذى عمل بهذا أخرجه أبو داود * عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فاستظره فاحل حلاله وحرم حرامه أدخله الله الجنة ونفسه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وجهت لهم النار أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وليس له اسناد صحيح (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أذن الله لشيء كاذنه ثم ينفى بالقرآن يمجربه معنى أذن في الفتنة استمع ولا نعمله على الاصفاء فانه يستعمل على الله تعالى بل هو كناية عن تقريبه قارى القرآن واجزال ثوابه في ذلك وذلك لأن سماع الله لا يختلف فوجب تأويل الحديث وقوله ينفى بالقرآن أى يحسن صوته به ويكون ذلك مع تحزين وترقيق في القراءة وقبل معناه يستغنى به عن الناس والقول الاول أولى وبدل

القهار * سبحانه من يتجلى في كلامه * بحمل صفات جلاله وجماله * على عباده في صورة بهاء ذاته وكلامه * والصلاة على الشجرة المباركة التي أنطقها بهذا الكلام * وجعلها مورده ومصدره منها ولها واليهما وعليها السلام * وعلى آله الذين هم مخزون علمه وكتابه العزيز وأصحابه الذين أصبح الدين بهم في حرز حرير (وبعد) فاني طالما تمهدت تلاوة القرآن * وتدبرت معانيه بقوة الايمان وكنت مع المواظبة على الاوراده حرج الصدر فاني الفؤاد * لا ينشرح بها قلبي ولا يصرفني عنها

عليه سباق الحديث وهو قوله بجهربه (خ) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن

* (الفصل الثاني في وعيد من قال في القرآن برأيه من خير علم ووعد من أوتي القرآن فنتسبه ولم يتعمده) * من ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار وفي رواية من قال في القرآن برأيه أخرجه الترمذي

وقال حديث حسن (قوله فليتبوأ) معناه فليقتله بمائة امي منزلا من النار * عن جندب ابن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في كتاب الله عز وجل برأيه فاصاب فقد أخطأ أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث غريب وسئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن قوله تعالى وفاكهة وأبا فقال أي سماء تظلني وأي أرض تظلي اذا قلت في كتاب الله بغير علم قال العلماء انتهى عن القول في القرآن بالرأي انما ورد في حق من تأول القرآن على مراد نفسه وما هو تابع لهواء وهذا لا يخلو اما أن يكون عن علم أولا فان كان من علم كمن يخرج بعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم أن المراد من الآية غير ذلك لكن غرضه أن يلبس على خصمه بما يقوى حجته على بدعته كما يستعمله الباطنية والخواارج وغيرهم من أهل البدع في المقاصد الفاسدة ليفروا بذلك الناس وان كان القول في القرآن بغير علم لكن من جهل وذلك بان تكون الآية محتملة لوجوه فيفسرها بغير ما يحتملها من المعاني والوجوه فهذان القسمان مذمومان وكلاهما داخل في النهي والوعيد الوارد في ذلك فاما التأويل وهو صرف الآية على طريق الاستنباط

الى معنى يليق بها محتمل لما قبلها وما بعدها وغير مخالف للكتاب والسنة فقد رخص فيه أهل العلم فان الصحابة رضي الله عنهم قد فسروا القرآن واختلفوا في تفسيره على وجوه وليس كل ما قالوا سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم ولكن على قدر ما فهموا من القرآن تكلموا في معانيه ودا عا النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فكان أكثر ما نقل عنه التفسير (ق) عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد ثقلان من الابل في عقلها (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الابل المعقلة ان تعاهد عليها أمسكها وان أطلقها ذهبت الابل المعقلة التي حبست بالعقال وهذا مثل ضربه لصاحب القرآن فقيه الحث على تعاهده بكثرة التلاوة والتكرار ثلاثا ينسى (ق) عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بشما لاحدكم أن يقول نسيت آية كبت وكبت بل هو نسي استذكروا القرآن فانه أشد تفصيا من صدور الرجال من النهم من عقلها وفي رواية لا يقل أحدكم نسيت آية كذا وكذا بل هو نسي (قوله بشما لاحدكم) أي نسيت الحالة حالة من حفظ القرآن ثم غفل عنه حتى نسيه (قوله لا يقل أحدكم نسيت آية كذا وكذا) معناه انما كره نسبة النسيان الى النفس لاجل أن الله تعالى هو المقدر للاشياء كلها وهو الذي أنساهم اياه وقيل أصل النسيان التذك فكره أن يقول تركت القرآن أو قصدت الى نسيانه وقوله بل نسي هو بضم النون وتشديد السين وقع الياء أي عوقب بالنسيان على ذنب صدر منه أولسوه تعهده القرآن وقوله أشد تفصيا أي خروجا من صدور الرجال وفي معناه ثقلان من الابل في عقلها أي

ربي حتى استأنست بها فألفتها * وذقت حلاوة كأسها وشربتها * فاذا أنا بها نشيط النفس * فلج الصدر * منزع البال * منبسط القلب * فسبح السر طيب * الوقت والحال * مسرور الروح بذلك القروح * كانه دائما في غبوق وصبوح * تنكشف لي تحت كل آية من المعاني * ما بكل بوصفه لسان لا القدرة تنق بضبطها واحصائها * ولا القوة تصبر عن نشرها وافشاؤها * فذكرت خبر من أتى ما زدهاني * مما وراء المقاصد والاماني * قول النبي الامي الصادق عليه أفضل الصلوات من كل صامت وناطق * ما زل من القرآن

تخلص من العقاب وهو الجبل الذي تربط به * من سعد بن جادة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من امرء يقرأ القرآن ثم ينساها لآلئ الله يوم القيامة أجزم أخرجه أبو داود والاجزم قيل هو مقطوع اليد وقيل هو مقطوع الجمة وقيل هو الذي به جذام * عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عرضت على أجور أمي حتى القذاة يفرحها الرجل من المسجد وعرضت على ذنوب أمي فلم أرفها ذنبا أعظم من سورة من القرآن أو آية أو بيتا رجل ثم نسبها أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث غريب (ق) عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن ينال بسوء أراد بالقرآن المصحف فلا يجوز حمله إلى أرض العدو وهي بلاد الكفار انتهى الوارد فيه ولو كتب كتابا إليهم فيه آية من القرآن فلا بأس من ذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى هرقل ملك الروم قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم * عن عمران بن حصين أنه مر على رجل يقرأ ثم سأله فاسترحم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ القرآن فليسأل الله به فانه سيحى أقوام يقرؤون القرآن يستلون به أخرجه الترمذي * عن صهيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما آمن بالقرآن من استحل محارمه أخرجه الترمذي وقال ليس اسناده بالقوى * عن عقبه بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالسر بالصدقة أخرجه الترمذي قال حديث حسن غريب

(الفصل الثالث في جمع القرآن وترتيب نزوله وفي كونه نزل على سبعة أحرف) * (خ) زيد بن ثابت قال بعثت إلى أبي بكر لمقتل أهل الجحمة وهدده عمر فقال أبو بكر ان عمر جاني بال ان القتل قد استمر يوم الجحمة بقراء القرآن واني أخشى أن يسهر القتل بالقرآن في كل المواطن فيذهب من القرآن كثير واني أرى أن تأمر بجمع القرآن قال قلت لمر كيف أفضل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر هو والله خير فلم يزل يراجعني في ذلك حتى شرح الله لى لى شرح له صدر عمر ورأيت في ذلك الذي رأى عمر قال زيد فقال لى أبو بكر انك رجل نائب فاعل لا تهمل قد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتنبع القرآن فاجعه قال زيد فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرني به من جمع القرآن فقلت كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدرى لى لى شرح له صدر أبي بكر وفي رواية فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدرى لى لى شرح له صدر أبي بكر وعمر ورأيت في ذلك الذي رأيا قال فتنبعت القرآن أجمعه من الرقاق والسبب والمصاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة أومع أبي خزيمة الانصارى فلم أحدها مع أحد غيره لقد جئكم من أنفسكم إلى آخر برامة فالحقها في سورتها قال فكانت المصحف عند أبي بكر حياته حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر قال بعض الرواة المصاف بمعنى الحرف (ح) عن أنس ان حفصة بنت عثمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفرغ حفظة اختلافهم في القراءة فقال حفظة لعثمان يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة

آية الأولى اظهر وبطن *
ولكل حرف حدوكل
حد مطلع * وفهمت منه
ان الظاهر هو التفسير والباطن
هو التأويل * والحد
ما ينأى الى الفهم من
معنى الكلام * والمطلع
ما يصعد اليه منه فيطلع على
شهود الملك العلام * وقد
نقل عن الامام الحق السابق
جعفر بن محمد الصادق
عليه السلام انه قال لقد
تجلى الله لعباده في كلامه
ولكن لا تبصرون وروى
عنه عليه السلام انه
خر من شيبا عليه وهو
في الصلاة فمثل عن ذلك
فقال ما زلت أردد الآية

قبل ان يختلفوا في المصالح اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان الى حفصة
أن أرسلنا اليها بالصحف ننسخها في المصاحف ثم زودها اليك فأرسلت بها اليه فامر زيد بن ثابت وجدا
ابن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام رضي الله عنهم فتنسخوها في المصاحف
وقال عثمان للرهط القرشيين اذا اختلفتم اتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان
قريش فانما نزل بلسانهم ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان في الصحف الى حفصة
وأرسل الى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سوى ذلك من القرآن في كل صحيفة أو مصحف
أن يحرق قال ابن شهاب وأخبرني خارجة بن زيد انه سمع زيد بن ثابت يقول فقدت آية
من سورة الاحزاب حين نسخت الصحف قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها
فالتسناها فوجدناها مع خزيمه بن ثابت الانصاري من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله
فالحقنا في سورتها في الصحف قال في رواية ابن الجان مع خزيمه بن ثابت الذي جعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم شهادته شهادة رجلين زاد في رواية قال ابن شهاب اختلفوا يومئذ في التابوت
فقال زيد التابوت وقال عبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص التابوت فرفع اختلافهم الى عثمان فقال
اكتبوه التابوت فانه بلسان قريش * شرح غريب ألفاظ الحديثين وما يتعلق بهما (قوله بعث الى
أبو بكر لمقتل أهل الجامة) أي لا وان قتلهم وأراد به الوقعة التي كانت في الجامة في زمن أبي بكر الصديق
وهي وقعة الردة مع أصحاب الردة فقتل فيها خلق كثير من قراء القرآن والجامعة مدينة باليمن على
يومين من الطائف وعلى أربعة أيام من مكة ولها عائر وهي في عداد أرض نجد (قوله استمر القتلى)
أي كثر وينسب المكروه الى الحر والمحبوب الى البرد وشرح الصدر سمته وقبوله الخير (قوله
فتبعت القرآن أجعه من الرقاع) جمع رقعة وهي ما يكتب فيها والعصب بضم العين والسيف
المهملين جمع عسيب وهو جريد الخيل وسعفه والخفاف بجارة بضم راق واحدته خلفه
(قوله يغاري أهل الشام) أي مع أهل الشام (في فتح ارمينية) بكسر الهمزة وتخفيف الياء لا غير
سميت بارمين بن لمي بن لوم بن يافث بن نوح وهو اول من نزل بها سميت باسمه (وأذربيجان) بفتح
الهمزة وسكون الذال وغير ذلك في ضبطها وقال ابن جني فيها خمسة موانع من الصرف التعريف
والثابت والجمعة والتزكيب والالف والون وهو موضع من بلاد الجهم يشغل على بلاد كثيرة (قوله
حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمه أو مع أبي خزيمه) الانصاري وفي الحديث الآخر فقدت
آية من سورة الاحزاب الى قوله فوجدناها مع خزيمه بن ثابت الانصاري من المؤمنين رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه الآية فاعلم أن المذكور في الحديث الاول غير المذكور في الحديث الثاني وهما
قضيستان فاما المذكور في الحديث الاول فهو أبو خزيمه بن أوس بن زيد بن أسرم بن ثعلبة بن
عرب بن مالك بن التجار الانصاري شهد بدر وما بعدها وتوفي في خلافة عثمان وهو الذي وجدت
عنده آخر سورة التوبة كذا ذكره ابن عبد البر وأما المذكور في الحديث الثاني فهو أبو عماره
خزيمه بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة بن الخطمي الاوسي الانصاري يعرف بنى الشهداءين
شهد بدر وما بعدها وقتل يوم صفين مع علي بن أبي طالب (قوله فقدت آية من سورة الاحزاب
الى قوله فوجدناها مع خزيمه) معناه انه كان يتطلب نسخ القرآن من الاصل الذي كتب باسم
النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه فلم يجد تلك الآية الا مع خزيمه وليس فيه اثبات القرآن بقول

حتى سمعتها من التكلم بها
(فرأيت) ان أعلق بعض
ما نسخ لي في الاوقات * من
أسرار حقائق البطون
وأنوار شوارق المثلثات
دون ما يتعلق بالظواهر
والحدود فانه قد عين لها حد
محدود وقيل من فسر رأيه
فقد كفر * وأما التأويل
فلابقي ولا يذر فانه يختلف
بحسب أحوال المستمع
وأوقاته في مراتب سلوكه
وتفاوت درجاته * وكما
ترق عن مقامه انفتح
له باب فهم جديد * والطلع به
على لطيف معنى عبيد
(فشرعت) في تسويد

الواحد لان زيدا كان قد سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلم موضعها من سورة الاحزاب بتعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صرح به الحديث قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها . وتبعه الرجال كان للاستظهار للاستعدادات علم لان القرآن العظيم كان محفوظا عند زيد وغيره من الصحابة فقد ثبت في الصحيح عن أنس قال جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة كلهم من الانصار أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وأبو زيد وزيد يعني ابن ثابت قلت لأنس من ابوزيد قال أحد عومتي أخرجه في الصحيحين اسم أبي زيد سعد بن عبيد وأخرج الترمذي من حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا القرآن من أربعة من ابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة قال حديث حسن صحيح وتقدم حديث زيد بن ثابت وفيه أنه استمر القتل بقاء القرآن . ثبت بمجموع هذه الاحاديث ان القرآن كان على هذا التأليف والجمع في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما ترك جمعه في مصحف واحد لان النسخ كان يرد على بعضه ويرفع الشيء بعد الشيء من التلاوة كما كان ينسخ بعض احكامه فلم يجمع في مصحف واحد ثم لورفع بعض تلاوته أدى ذلك الى الاختلاف واختلاط أمراء الدين فحفظ الله كتابه في القلوب الى انقضاء زمن النسخ ثم وفق لجمه الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم وثبت بالدليل الصحيح ان الصحابة اجمعوا القرآن بين الدفين كما أنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم من غير ان زادوا فيه أو نقصوا منه شيئا والذي جعلهم على جمعه ما جاء مبينا في الحديث وهو انه كان مفرقا في السبب والخلاف وصدور الرجال فنفوا ذهب بعضه بذهب حفظه . ففزعوا الى خليفة رسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم أبي بكر فدعوه الى جمعه . فرأى في ذلك رأيهم فامر بجمعه في موضع واحد باتفاق من جميعهم . فكتبوه كما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير أن قدموا أو أخرتوا شيئا أو وضعوا له ترتيبا لم يأخذوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقي أصحابه ويعلمهم ما ينزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا بتوقيف جبريل عليه السلام اياه على ذلك واعلامه عند نزول كل آية ان هذه الآية تكتب عقب آية كذا في سورة كذا . ثبت ان سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لافي ترتيبه فان القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على النحو الذي هو في مصاحفنا الآن . وقد صح في حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمرض القرآن على جبريل عليه السلام في كل عام مرة في رمضان وانه عرضه في العام الذي توفي فيه مرتين . ويقال ان زيد بن ثابت شهد العرضة الاخيرة التي عرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبريل عليه السلام وهي العرضة التي نسخ فيها ما نسخ وبق فيها ما بقي ولهذا أقام أبو بكر زيد بن ثابت في كتابة المصحف وألزمه بها لانه قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم في العام الذي توفي فيه مرتين فكان جمع القرآن سببا لبقائه في الامة رحمة من الله تعالى لعباده وتحقيقا لوعده في حفظه على ما قال تعالى انما نحن تزلنا الذكر وانما له حافظون . واعلم ان الله تعالى أنزل القرآن المجيد من اللوح المحفوظ جملة واحدة الى سماء الدنيا في شهر رمضان ليلة القدر ثم كان ينزله مفرقا على لسان جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم مدة رسالته بنجوما

هذه الاوراق بما صي
يسمح به الخاطر على سبيل
الاتفاق . غير حاتم بقعة
التفسير ولا خاتم في جلة
من المطلعات مالا يسعه
التقرير . مراعي لظم
الكتاب وترتيبه . غير معبد
لماتكرر منه أو تشابه في
أساليه . وكل ما لا يقبل
التأويل عندى أو لا يحتاج
اليها أو رده أصلا . ولا
أزعم اني بلغت الحد فيما
أوردته كلا .

عند الحاجة وحدث ما يحدث على ما شاء الله تعالى وترتيب نزول القرآن خير ترتيبه في التلاوة والمصحف * فامرتب نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأول ما نزل من القرآن بمكة اقرأ باسم ربك الذي خلق ثم نون واقلم ثم يا ايها المزمل ثم المدثر ثم ثبت يدا أبي لهب ثم اذا الشمس كورت ثم سجد اسم ربك الاعلى ثم والليل اذا بقى ثم والفجر ثم والنهى ثم المنشرح ثم والعصر ثم والعاديات ثم انما اعطيناك الكوثر ثم الها كم التكاثر ثم ارايت الذي ثم قل يا ايها الكافرون ثم القبل ثم قل هو الله أحد ثم والجم ثم عبس ثم سورة القدر ثم سورة البروج ثم والذين ثم لا يلاف فريش ثم القارعة ثم القيامة ثم الهزلة ثم المرسلات ثم ق ثم سورة البلد ثم الطارق ثم اقتربت الساعة ثم ص ثم الاصراف ثم الجن ثم يس ثم الفرقان ثم فاطر ثم صريم ثم طه ثم الواقعة ثم الشعراء ثم النمل ثم القصص ثم سورة بنى اسرائيل ثم يونس ثم هود ثم يوسف ثم الحجر ثم الانعام ثم والصافات ثم لقمان ثم سبأ ثم الزمر ثم المؤمن ثم المجدة ثم حم عسق ثم الزخرف ثم الدخان ثم الجاثية ثم الاحقاف ثم الذاريات ثم الفاشية ثم الكهف ثم الحمل ثم نوح ثم ابراهيم ثم الانبياء ثم قد افلح المؤمنون ثم تنزيل المجدة ثم الطور ثم الملك ثم الحاقة ثم سأل سائل ثم عم يسألون ثم البازعات ثم اذا السماء انفطرت ثم اذا السماء انشقت ثم الروم ثم العنكبوت * واختلفوا في آخر ما نزل بمكة فقال ابن عباس العنكبوت وقال الخنك وعطاء المؤمنين وقال مجاهد ويل للطففين * فهذا ترتيب ما نزل من القرآن بمكة فذلك ثلاث وثمانون سورة على ما استقرت عليه روايات الثقات وأما ما نزل بالمدينة ٣ فاحد وثلاثون سورة فأول ما نزل بها سورة البقرة ثم الانفال ثم آل عمران ثم الاحزاب ثم الممتحنة ثم النساء ثم اذا زلزلت الارض ثم الحديد ثم سورة محمد صلى الله عليه وسلم ثم الرعد ثم سورة الرحمن ثم هل أتى على الانسان ثم الطلاق ثم لم يكن ثم الحنجر ثم الفلق ثم الناس ثم اذا جاء نصر الله والفتح ثم التور ثم الحج ثم اذا جاءك المنافقون ثم المجادلة ثم الحرات ثم التحريم ثم الصف ثم الجمعة ثم التغابن ثم الفتح ثم التوبة ثم المائدة ومنهم من يقدم المائدة على التوبة فهذا ترتيب ما نزل من القرآن بالمدينة * واختلفوا في شورى قبل نزل بمكة وقبل نزل بالمدينة وسنذكر ذلك في مواضعه ان شاء الله تعالى

* (فصل في كون القرآن نزل على سبعة أحرف وما قيل في ذلك) * (ق) عن عربن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذت أساوره في الصلاة فتربصت حتى سلم فلبته بردائه فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأها قال اقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت كذبت فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اقرأنيها حلى غير ما قرأت فانطلقت به أفوده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم يقرئها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسله اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم اقرأ يا عمر فقرأت بقراءة التي اقرأني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه (قوله فكذت أساوره في الصلاة) أي أوابه وأقاتله وهو في الصلاة * والترصص التثبت (قوله فلبته بردائه) هو بتشديد الباء

فان وجوه الفهم لا تنحصر فيما فهمت * وعلم الله لا يتقيد بما علمت * ومع ذلك فاقف الفهم منى على ما ذكر فيه * بل ربما لاح لي فيما كتب من الوجوه ما نهت في محابه * وما يمكن تأويله من الاحكام الظاهر منها ارادة ظاهرها في أوله الا قليلا * ليعلم به ان لفهم اليه سيلا * قوله فاحد وثلاثون فيه ان المعداد ثلاثون لا غير نعم سيدكر ان شورى نزلت بالمدينة على قول وعليه فهي واحد وثلاثون (محممه)

الاولى ومناه أخذت بمجامع رداؤه في منعه وجذبه به مأخوذ من الآية * وفيه بيان ما كانوا عليه من الاهتمام بالقرآن والذب عنه والمحافظة على لفظه كما سمعوه من غير عدول الى ما يتجوز به العربية * واما امر النبي صلى الله عليه وسلم عبر بارساله فلانه لم يثبت عنده ما يقتضى تعزيره ولان عمر انما نسبته الى مخالفته في القراءة والنبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم من جواز القراءة ووجوبها ما لا يصلح عمر ولانه اذا قرأ وهو ملتبس لا يتمكن من حضور القلب وتحقيق القراءة تمكن المطلق (قوله ان هذا القرآن اتزل على سبعة احرف فافروا ما تيسر منه) قال العلماء سبب انزاله على سبعة احرف التخييف والتسهيل * واختلفوا في المراد بسبعة احرف . فقيل هو توسعة وتسهيل ولم يقصد به الحصر . وقال الاكثر هو حصر العدد في سبعة احرف . ثم قيل هي في سبع من المعاني كالوعد والوعيد والحكم والتشابه والحلال والحرام والقصص والامثال والامر والنهي . وقيل هي في صورة التلاوة وكيفية النطق بكلمات القرآن من ادغام وظهار وتفخيم وترقيق ومد وقصر وامالة لان العرب كانت مختلفة اللغات في هذه الوجوه فيسر الله تعالى عليهم ليعرف كل انسان بما يوافق لفته ويسهل على لسانه . وقال ابو عبيدة هي سبع لغات من لغات العرب تنميها ومعددها وهي افسح لغات العرب واعلاها . وقيل هي لغة قريش وهوازن وهذيل واهل اليمن . وقيل السبعة كلها المضروحة وهي متفرقة في القرآن العزيز غير مجمعة في كلمة واحدة . وقيل بل هي مجمعة في بعض الكلمات كقوله تعالى وهيد الطغوت وزرع ونلب وباعد بين اسفارنا وبغذاب بئس . وقيل هي سبع قرات وهو الصحيح الموافق للحديث لان هذه السبعة ظهرت واستفاضت عن النبي صلى الله عليه وسلم وضبطها عنه العناية وابتنها غمائل والجماعة في المصاحف واخبروا بصحتها وحذفوا منها ما لم يثبت متواتراً . وان هذه الاحرف تختلف معانيها تارة والفاظها اخرى وليست متضادة ولا متباعدة . فلما من قال ان المراد بالاحرف سبعة معان مختلفة كلاحكام والامثال والقصص فخطأ محض لان النبي صلى الله عليه وسلم اشار الى جواز القراءة بكل واحد من الحروف وابدال حرف بحرف وقد تقرر اجماع المسلمين على انه يحرم ابدال آية امثال بآية احكام * وقول من قال ان المراد خواتيم الآي فيجعل مكان غفور رحيم سبع علم ففساد ايضا وخطأ للاجتماع على انه لا يجوز تغيير نظم القرآن والله اعلم (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقرأني جبريل على حرف فراجعت فزادني فلم ازل استزيده ويزيدني حتى انتهى الى سبعة احرف * معنى الحديث لم ازل اطلب من جبريل ان يطلب من الله عز وجل الزيادة في الاحرف للتوسعة والتخفيف ويسأل جبريل ربه عز وجل فيزيده حتى انتهى الى السبعة (م) عن ابي بن كعب رضى الله عنه قال كنت في المسجد فدخل رجل يصلى فقرأ قراءة انكرتها عليه ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان هذا قرأ قراءة انكرتها عليه فدخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فامرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ أحسن النبي صلى الله عليه وسلم شأنهما فسقط في نفسي من التكذيب ولاذ كنت في الجاهلية فلارأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خشيتني ضرب في صدرى ففضت عرقا وكأنا انظر الى الله عز وجل فرقا فقال لي يا بني ارسل الى ان اقرأ على حرف واحد فرددت اليه ان هو ان على امتي فرد الى الثانية ان اقرأ على حرفين

ويستدل بذلك على نظائرها
* ان جاوز مجاوز عن
ظواهرها اذ لم يكن في تأويلها
بد من تعسف * وعنوان
المروة ترك التكلف *
وعسى أن يتجه لتعريف وجوه
أحسن منها طوع القباد *
فان ذلك سهل لمن تيسر له
من افراد العباد

فرددت اليه ان هو ان على امتي فرد الى الثالثة ان اقرأ على سبعة احرف ولك بكل ردة ردة فله مسئلة
تسألها قلت اللهم اغفر لامي اللهم اغفر لامتي واخرت الثالثة ليوم ترفع الي الناس كلهم حتى ابراهيم
(قوله فسقط في نفسي من التكذيب ولا اذ كنت في الجاهلية) معناه وسوس لي الشيطان تكذبا
لنبوة اشد مما كنت عليه في الجاهلية لانه كان في الجاهلية كافلا وشككا فوسوس له الشيطان
الجزم بالتكذيب (وقيل معناه انه اعترته حيرة ودهشة وتزعج الشيطان في قلبه تكذبا لم يستطع
وهذه الخواطر اذا لم يستمر عليها الانسان لا يؤاخذها (قوله ضرب في صدرى ففضت صرعا)
قال القاضي عياض ضربه صلى الله عليه وسلم في صدره تثبيتا له حين رآه قد غشيته ذلك الخاطر
المذموم (قوله وكأنا انظر الى الله تعالى فرقا) الفرق بالتحريك الخوف والخشية والمعنى
انه غشيته من الهية والخوف والعظمة حين ضربه ما زال عنه ذلك الخاطر (قوله ولك بكل
ردة رددتها مسئلة تسألنيها) معناه مسئلة مجابة قطعا واماباق الدعوات لمرجوة الاجابة
وليست قطعية الاجابة والله اعلم * روى البغوي بسنده عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ان القرآن نزل على سبعة احرف لكل آية منه وروى لكل حرف منه ظهر وبطن
ولكل حد مطلع وقيل في معناه الظاهر لفظ القرآن والبطن تأويله وقيل في معناه الظاهر
ما حدث عن اقوام انهم حصوا فوقوا فهو في الظاهر خبر وفي الباطن عظة وقيل الظاهر
التلاوة باللسان كما نزل والبطن التدبر والفهم والتفكير بالقلب فالتلاوة باللسان كما تكون
بالتعليم والتلقين والتدبر والفهم تكون بصدق النية وتعظيم الحرمة واخلاص العمل وطيب
المقام من الحلال المحض (قوله ولكل حد مطلع) معناه مصد يصعد اليه من معرفة علمه وقيل
المطلع الفهم وقد يفتح الله تعالى على المتدبر والمتفكر في القرآن العزيز من التأويل والمعاني
ما لا يفهمه على غيره وفوق كل ذي علم عليم والله اعلم

* (فصل في معنى التفسير والتأويل) فاما التفسير فاصله في اللغة من القسر وهو كشف ما غطى
وهو بيان المعاني المقولة فكلم ما يعرف به الشيء ومعناه فهو تفسير وقد يقال فيما يخص
بفردات الالفاظ وغربها تفسير وقيل هو من التفسر وهو الدليل الذي ينظر فيه الطبيب
فيكشف عن علة المرض فكذلك المفسر يكشف عن معنى الآية وشأنها وقصتها * واما التأويل
فاشتقاقه من الاول وهو الرجوع الى الاصل يقال اولته قال اي صرفته فانصرف وهو
رد الشيء الى الغاية والمراد منه بيان غايته المقصودة منه فالتأويل بيان المعاني والوجوه المستنبطة
الموافقة لفظ الآية * والفرق بين التفسير والتأويل ان التفسير يتوقف على العقل المجموع
والتأويل يتوقف على الفهم الصحيح والله اعلم * (القول في الاستعانة) * ولطفا الخصال
اعوذ بالله من الشيطان الرجيم لموافقة قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان
الرجيم ومعنى اعوذ بالله العجز اليه وامتنع به ما اخشاه من ما يؤذيه * والشيطان اسم لكل
شطن اي تباعد من الرحمة وقيل من شاط يشيط اذا هلك واحترق فضا * والشيطان اسم لكل
حارم هات من الجن والانس وشيطان ابن مخلوق من قوة النار فلذلك فيه القوة الخفية
* الرجيم قبل بمعنى فاعل اي يرجم بالوسوسة والشر وقبل بمعنى مفعول اي مرجوم بالشهوات
عند استراق السمع وقيل مرجوم بالذباب وقيل مرجوم بمعنى مطرود من الرحمة وعن الخيرات
وعن منازل الملا الاطى * (واما حكم الاستعانة فيه مسائل (المسئلة الاولى) اتفق

* والله تعالى في كل كلمة كانت
يغدا الصردون نصادها *
فكيف السيل الى حصرها
وتعدادها * لكنها نموذج
لاهل الذوق والوجدان *
يحذون على حذوها عند
تلاوة القرآن * فيكشف
لهم ما استعدوا له من
مكتنولات علمه * ويجلي
عليهم ما استطاعوا له
من غيبات خفيه * والله
الهادي لاهل الجاهدة *
الى سبيل المصداقة
والمشاهدة * لاهل الشوق
الى مشارب الذوق *
انه ولي التحقيق * وبه
التوفيق

الجمهور على ان الاستعاذة سنة في الصلاة فلو تركها لم تبطل صلاته سواء تركها عمدا او سهوا
 ويستحب لقارئ القرآن خارج الصلاة ان يتعوذ ايضا وحكى عن عطاء وجوبها سواء كان في الصلاة
 او غيرها * وقال ابن سيرين اذا تعوذ الرجل في عمره مرة واحدة كفى في اسقاط الوجوب * دليل
 الوجوب ظاهر قوله تعالى فاستعذ والامر بالوجوب وان النبي صلى الله عليه وسلم وانطب على التعوذ
 فيكون واجبا * ودليل الجمهور ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم الاعرابي الاستعاذة في جملة أعمال
 الصلاة وتأخير البيان عن وقته غير جائز (وأجيب عن قوله تعالى فاستعذ بان معناه اذا أردتم القيام الى الصلاة
 العلاء اذا أردت القراءة فاستعذ بكفوله اذا قم الى الصلاة فاخلسلوا معناه اذا أردتم القيام الى الصلاة
 (وأجيب عن مواظبة النبي صلى الله عليه وسلم بانه صلى الله عليه وسلم وانطب على اشياء كثيرة من
 أفضل الصلاة ليست بواجبة كتكبيرات الانقالات والتسبيحات في الصلاة فكان التعوذ منها
 (المسئلة الثانية) وقت الاستعاذة قبل القراءة عند الجمهور سواء كان في الصلاة أو خارجها وحكى
 عن النخعي انه بعد القراءة وهو قول داود واحدى الروايتين عن ابن سيرين * حجة الجمهور ما روى
 عن أبي سعيد الخدري قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة بالليل كبر ثم يقول سبحانك اللهم
 وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك ثم يقول الله أكبر كبيرا ثم يقول أعوذ بالله السميع العليم
 من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه أخرجه الترمذي وقال هذا الحديث أشهر حديث في الباب
 وقد تكلم في بعض رجاله وقال احمد لا يصح ولا يابى داود والنسائي عن أبي سعيد نحوه وعن حبرين
 معلم انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة قال عمرو ولا أدري أى صلاة هى قال الله أكبر كبيرا
 والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة واصيلا ثلاثا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفثه
 وهمزه قال نفخه الكبر ونفثه الشعر وهمزه الموتة أخرجه ابو داود وقيل الموتة الجنون لان من حنّ
 فقدمت حنقه وقيل همزه هو الذى يوسوسه في الصلاة ونفخه هو الذى ياتيه من الشبه في الصلاة
 ليقلع عليه صلاته * واحتج مخالف الجمهور بظاهر قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله * واجيب
 عنه بما تقدم * وقال مالك لا يتعوذ في المكتوبة ويتعوذ في قيام رمضان بعد القراءة * لما تقدم من
 الأدلة (المسئلة الثالثة) المختار من لفظ الاستعاذة عند الشافعي أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وبه
 قال ابو حنيفة لموافقة قوله تعالى فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ولحديث جبير بن مطعم * وقال احمد
 الاولى ان يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم جمعا بين هذه الآية وبين قوله تعالى
 فاستعذ بالله انه هو السميع العليم ولحديث أبي سعيد * وقال الثوري والاوزاعي الاولى ان يقول أعوذ بالله
 من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم * وبالجملة فالاستعاذة تطهر القلب عن كل شئ يشغله عن الله
 تعالى * ومن لطائف الاستعاذة ان قوله أعوذ بالله من الشيطان الرجيم اقرار من العبد بالهز والضعف
 ولهاواف من العبد بقدرة الباري عز وجل وانه هو القنى القادر على دفع جميع المضرات والآفات
 ولهاواف من العبد ايضا بان الشيطان عدو مبين * ففي الاستعاذة التجاه الى الله تعالى القادر على
 دفع وسوسة الشيطان القوى الفاجر * وانه لا يقدر على دفعه عن العبد الا الله تعالى والله اعلم
 (تفسير سورة الفاتحة) *

ان المف يشبه علم وجوب
 عن طرف الجمهور ويقول
 التعوذ لا يثبت عن قو
 لان معناه عندهم اد
 فاستعذ لا يعلم
 وجوبية التعوذ عن
 فاستعذ بكون المراد
 امردت الفراء فانه
 له كل النبي السؤل من ا
 من الاوسى نسم يصح
 جوابا للذي يقول
 التعوذ بعد القراءة
 على من له ادنى مسأ
 ان هذا للجواب لا يصح
 جوابا من الجمهور لوزا
 الوجوبية عن قوله تعالى
 فاستعذ بالله

وهي سبع آيات بالاتفاق وسبع وعشرون كلمة مائة واربعون حرفا واختلف العلماء في نزولها
 قبل نزل مكة وهو قول اكثر العلماء وقيل نزلت بالدينة وهو قول مجاهد وقيل نزلت مرتين

مرة بمكة ومرة بالمدينة . وسبب ذلك التنبية على شرفها وفضلها * ولها عدة أسماء وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى وفضله (فاول ذلك) فاتحة الكتاب سميت بذلك لان بها افتتح القرآن وبها تفتح كتابة المصاحف وبها تفتح الصلاة (الثاني) سورة الحمد سميت بذلك لافتتاحها بالحمد لله (الثالث) ام القرآن وام الكتاب سميت بذلك لانها اصل القرآن وام كل شيء اصله وقيل هي امام لما يتلوها من السور (الرابع) السبع المثاني سميت بذلك لانها تثنى في الصلاة ويقرأ بها في كل ركعة وقيل لان الله تعالى استثنى هذه الامة وادّخرها لهم لم ينزلها على غيرهم . وقيل لانها انزلت مرتين (الخامس) الوافية سميت بذلك لانها لا تقسم في القراءة في الصلاة كما يقسم غيرها من السور (السادس) الكافية سميت بذلك لانها تكفي عن غيرها في الصلاة ولا يكفي عنها غيرها

* (فصل في ذكر مضاها) * (خ) عن ابي سعيد بن المعلى قال كنت اصلى في المسجد فمداني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم اجبه ثم آتته فقلت يا رسول الله انى كنت اصلى فقال الم يقبل الله استجبوا لله والرسول اذا دعاكم ثم قالى لا علمك سورة هي اعظم السور في القرآن قبل ان تخرج من المسجد ثم اخذ بيدي فلما اراد ان يخرج قلت له يا رسول الله الم تقل لا علمك سورة هي اعظم السور في القرآن قال الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذى اوتيته ورواه مالك في الموطأ عنه . وقال فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم نادى ابي بن كعب وهو يصلى وذكر نحوه . وفيه حتى تعلم سورة ما انزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور مثلاً ورواه الترمذى عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على ابي وهو يصلى وذكر نحوه رواية الموطأ . وقال فيه حديث حسن صحيح عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انزل الله في التوراة ولا في الانجيل مثل ام القرآن وهي السبع المثاني وهي مقسومة بيني وبين عبدى ولعبدى ماسأل . اخرجه الترمذى والنسائي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين ام القرآن وام الكتاب والسبع المثاني اخرجه ابوداود والترمذى وقال حديث حسن صحيح (م) عن ابن عباس قال بينا جبريل قاعد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع نقيضاً من فوقه فرفع رأسه فقال هذا باب من السماء فتح اليوم ولم يفتح قط الا اليوم فذل منه ملك فقال هذا ملك نزل الى الارض لم ينزل قط الا اليوم فسلم وقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منها الا اعطيته (قوله سمع نقيضاً) هو بالقاف والضاد المعجمة اى صوتاً كصوت فتح الباب (م) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يقرأ فيها بام القرآن فهي خداج هي خداج غير تمام . قال فقلت يا ابا هريرة انا احيانا نكون وراء الامام فتمزح راجي وقال اقرأ بها في نفسك يا فارسي فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى سمعت الصلاة بيني وبين عبدى نصفين فنصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدى ماسأل فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله جدي عبدى واذا قال الرحمن الرحيم قال اتى على عبدى واذا قال مالك يوم الدين قال مجدنى عبدى وربى قال فوض الى عبدى واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدى ولعبدى ماسأل واذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدى ولعبدى ماسأل (قوله هي خداج)

اي ناقصة (قوله قنم ذراعي) اي كبس ساعدى يده (قوله قنمت الصلاة) اراد بالصلاة
 هنا القراءة لانه فسرهما بها ولان القراءة ركن من اركانها وجزء من اجزائها (قوله نصفين)
 حقيقة هذه القسمة التي جعلها بينه وبين عبده راجعة الى المعنى لالى اللفظ لان هذه السورة من
 جهة المعنى نصفها ثناء ونصفها مسئلة ودعاء وقسم الثناء انتهى عند قوله تعالى اياك نعبد . وقوله
 واياك نستعين من قسم الدعاء ولهذا قال هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل (قوله جدنى
 عبدى ومجدنى) اي اتى على لان الحمد هو الثناء بمجمل الفعل والتعبد الثناء بصفات الجلال
 وقيل الحميد والتعبد العظيم (قوله وربنا قال فوض الى عبدى) وجه مطابقة هذا لقوله
 مالك يوم الدين يقال فلان فوض امره الى فلان اذا رده اليه وعول فيه عليه وفي الحديث
 دليل على وجوب قراءة الفاتحة وانها متعينة وهو مذهب الشافعى وجاعة . وستأتى هذه المسئلة
 ان شاء الله تعالى بعد ذكر تفسير الفاتحة والله اعلم

(بسم الله الرحمن الرحيم) الباء في بسم الله حرف حافض يخفض ما بعده . مثل من وعن والمتعلق به
 مضمحل محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره ابدأ باسم الله او باسم الله ابدأ او اقرأ . وانما طاولت الباء
 في بسم الله واسقطت الالف طلبا للحققة . وقيل لما سخطوا الالف ردوا طولها على الباء ليدل طولها
 على الالف المحذوفة واثبت الالف في قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم لقلة استعماله . وقيل انما
 طاولوا الباء لانهم ارادوا ان يستفتحوا كتاب الله بحرف عظيم . وقيل الباء حرف تخفيض الصورة
 فلما اتصل باسم الله ارتفع واستعلى . وقيل ان عمر بن عبد العزيز كان يقول لكتابه طاولوا الباء
 من بسم الله واظهروا السين ودوروا الميم تعظيما لكتاب الله عز وجل * (والاسم هو المسمى حينه
 وذاته قال الله تعالى انا نبشرك بغلام اسمه يحيى ثم نادى الاسم فقال يا يحيى وقال سبح اسم ربك
 وتبارك اسم ربك . وهذا القول ليس بقوى والصحيح المختار ان الاسم غير المسمى وغير التسمية فالاسم
 ما تعرف به ذات الشيء . وذلك لان الاسم هو الاصوات المقطعة والحروف المؤلفة الدالة على ذات
 ذلك الشيء المسمى به . ثبت بهذا ان الاسم غير المسمى . وايضا قد تكون الاسماء كثيرة والمسمى واحد
 كقوله تعالى ولله الاسماء الحسنى وقد يكون الاسم واحداً والمسميات به كثيرة كالاسماء المشتركة
 وذلك يوجب المغايرة . وايضا فقوله فادعوهما امران يدعى الله تعالى باسمائه فالاسم آلة الدعاء
 والدعوى هو الله تعالى فالمغايرة حاصلة بين ذات الدعوى وبين اللفظ المدعوى به . واجيب عن قوله
 تعالى انا نبشرك بغلام اسمه يحيى بان المراد ذات الشخص المعبر عنه يحيى لانفس الاسم . واجيب
 عن قوله تعالى سبح اسم ربك وتبارك اسم ربك بان معنى هذه الالفاظ يقتضى اضافة الاسم الى الله
 تعالى واضافة الشيء الى نفسه محال . وقيل كما يجب تنزيه ذاته سبحانه وتعالى عن العصب فكذلك
 يجب تنزيه اسمائه . وكون الاسم غير التسمية هو ان التسمية عبارة عن تعيين اللفظ المعين لتعريف
 ذات الشيء . والاسم عبارة عن تلك اللفظة المعينة والفرق ظاهر * (واختلفوا في اشتقاق الاسم فقال
 البصريون من السمو وهو العلو فاسم الشيء ما علا حتى ظهر به وعلاه فكأنه علا على معناه
 وصار علوه . وقال الكوفيون من السمة وهي العلامة فكأنه علامة لسماء . وجه البصريين لو كان
 الاسم اشتقاقه من السمة لكان تصغيره وسيم وجهه واسام واجمعوا على ان تصغيره سمي وجهه
 أسماء واسام (الله) هو اسم علم خاص لله تعالى تفرده الباري سبحانه وتعالى ليس بمشتق

بسم الله الرحمن الرحيم
 اسم الشيء ما يعرف
 به فأسماء الله تعالى هي
 الصور التوعية التي تدل
 بخصائصها وهوياتها
 على صفات الله وذاته
 وبوجودها على وجهه
 وتبينها على وحدته اذ هي
 نلواهر التي بها يعرف
 والله اسم للذات الالهية
 من حيث هي على
 الاطلاق لا باعتبار انصافها
 للصفات ولا باعتبار لا انصافها

ولا يشركه فيه احد * وهو الصحيح المختار * دليله قوله تعالى هل تعلم سمياً يعني لا يقبل تغيير الله
 * وقيل هو مشتق من آله بالالهة مثل عبد الرجل بعد عبادة * دليله ويذكر والاهتكم لى وعبادتكم
 ومساء المستحق للعبادة دون غيره * وقيل من الوله وهو الفزع لان الخلق يولون اليه اى يضرهون
 اليه في حوائجهم قال بعضهم

ولميت اليكم في بلايا تنوبني * فالفيتكم فيها كرائم محمد

* وقيل اصله آله يقال آلهت الى فلان اى سكنت اليه فكان الخلق يسكنون اليه ويعلمون بذكره
 * وقيل اصله ولاه فابدت الواو همزة سمي بذلك لان كل مخلوق والله نحوه اما بالتصير او بالارادة
 . ومن هذا قيل الله محبوب كل الاشياء . يدل عليه وان من شئ الا يسبح بحمده * ومن خصائص
 هذا الاسم انك اذا حذفته منه شيئاً بقي الباقي يدل عليه فان حذفنا الالف بقي لله وان حذفنا
 اللام واثبت الالف بقي الله وان حذفنا باقى يله وان حذفنا الالف واللامين ما بقي هو والواو
 عوض عن الضمة * وذهب بعضهم الى ان هذا الاسم هو الاسم الاعظم لانه يدل على الذات وباقى
 الاسماء تدل على الصفات (الرحمن الرحيم) قال ابن عباس هما اسمان رقيقان احدهما ارق من
 الآخر . قيل هما بمعنى مثل ندمان ونديم . وهما ذوارجة وانما جمع بينهما للتأكيد . وقيل ذكر
 احدهما بعد الآخر تظليماً لقلوب الراغبين اليه . وقيل الرحمن فيه معنى العموم والرحيم فيه معنى
 الخصوص فالرحمن بمعنى الرزاق في الدنيا وهو على العموم لكافة الخلق المؤمن والكافر والرحيم
 بمعنى التفور الكافي للمؤمنين في الآخرة فهو على الخصوص ولذلك قيل رحمن الدنيا ورحيم الآخرة
 * ورجة لله ارادة الخير والاحسان لاهله . وقيل هي ترك عقوبة . من يستحق العقاب واسداء الخير
 والاحسان الى من لا يستحق . فهو على الاول صفة ذات وعلى الثاني صفة فعل . وقيل الرحمن
 يكشف الكروب والرحيم يغفر الذنوب . وقيل الرحمن يتبين الطريق والرحيم بالعصمة والتوفيق
 * (فصل في حكم البسملة) * وفيه مسئلتان (الاولى) في كون البسملة من القاتحة وغيرها من
 السور سوى سورة براءة . اختلف العلماء في ذلك . فذهب الشافعي وجاعة من العلماء الى انها آية من
 القاتحة . ومن كل سورة ذكرت في اولها سوى سورة براءة وهو قول ابن عباس وابن عمر وابي
 هريرة وسعيد بن جبير وعطاء وابن المبارك واحد في احدى الروايتين عنه واسحق ونقل البيهقي
 هذا القول عن علي بن ابي طالب والزهرى والثوري ومحمد بن كعب . وذهب الاوزاعي ومالك
 وابو حنيفة الى ان البسملة ليست بآية من القاتحة . زاد ابو داود ولا من غيرها من السور وانما
 هي بعض آية في سورة النمل . وانما كتبت للفصل والتبرك . قال مالك ولا يستفتح بها في الصلاة
 المفروضة . وللشافعي قول انها ليست من اوائل السور مع القطع بأنها من القاتحة * فأما جهة من
 منع كون البسملة آية من القاتحة ومن غيرها فحديث انس المشهور المخرج في الصحيحين وحديث
 عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين
 * قالوا لان اول ما نزل به جبريل اقرأ باسم ربك الذى خلق ولم يذكر البسملة في اوائلها فدل على
 انها ليست منها * قالوا ولان محل القرآن لا يثبت الا بالآثار والاستفاضة ولان الصحابة اجمعوا
 على عدد كثير من السور منها سورة الملك ثلاثون آية وسورة النكوثر ثلاث آيات وسورة الاخلاص
 اربع آيات فلو كانت البسملة منها لكانت خسا * واما جهة من ذهب الى اثباتها في اوائل السور

و (الرحمن) هو المفيض
 لوجود الكمال على
 الكل بحسب ما تقتضى
 الحكمة وتحمّل القوابل
 على وجه البداية
 و (الرحيم) هو المفيض
 للكمال المعنوى المخصوص
 بالسوء الانساني بحسب
 النهاية ولهذا قيل يا رحمن
 الدنيا والآخرة ورحيم
 الآخرة فعناء بالصورة
 الانسانية الكاملة الجامعة
 الرحمة العامة والخاصة
 التى هى مظهر الذات الالهى
 والحق الاعظمى مع جميع
 الصفات ابد أو أقرأ * وهى
 الاسم الاعظم * والى هذا
 المعنى أشار الى صلى الله
 عليه وسلم بقوله اوتيت
 جوامع الكلم وبعثت لانهم
 مكارم الاخلاق اذ
 الكلمات حقائق
 الموجودات وأعيانها
 كماسمى عيسى عليه السلام كلمة
 من الله * ومكارم الاخلاق
 كما لانها وخواصها التى
 هى مصادر افعالها
 جميعها محصورة فى الكون
 الجامع الانساني

وهنا لطيفة وهي ان الانبياء عليهم السلام وضعوا حروف التمجيس بازاء مراتب الموجودات وقد وجدت في كلام عيسى عليه الصلاة والسلام وامير المؤمنين علي عليه السلام وبعض الصحابة ما يشير الى ذلك ولهذا قيل ظهرت الموجودات من باء بسم الله اذ هي الحرف الذي يلي الالف الموضوعه بازاء ذات الله فهي اشارة الى العقل الاول الذي هو اول ما خلق الله المحاطب بقوله تعالى ما خلقت خلقا احب الي ولا اكرم علي منك . بك اعطى . وبك آخذ . وبك ائيب . وبك اعاف الحديث . والحروف المفقولة لهذه الكلمة ثمانية عشر والمكتوبة تسعة عشر واذ انفصلت الكلمات انفصلت الحروف الى اثنين وعشرين فالثمانية عشر اشارة الى العوالم المعبر عنها بشانية عشر الف عالم اذ الالف هو العدد اتساع المشتمل على باقي مراتب الاعداد فهو ام المراتب الذي لا عدد فوقه فغيرها من امهات العوالم التي هي عالم الجبروت وعالم الملكوت والعرش والعكرسي

من جهة النقل فقد صحح عن ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ البسملة في اول الفاتحة في الصلاة وعدّها آية منها . وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم قال هي فاتحة الكتاب قيل فآين السابعة قال بسم الله الرحمن الرحيم . اخرجهما ابن خزيمة وغيره . وروى عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يعلم فصل السورة وفي رواية انقضاء السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم اخرجه ابو داود والحاكم ابو عبد الله في مستدركه وقال فيه انه صحيح على شرط الشيخين . وروى الدار قطني عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأتم الحمد لله فارقوا بسم الله الرحمن الرحيم فانها ام القرآن وام الكتاب والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم احدى آياتها قال الدر قطني في رجال اسناده كلهم ثقات وروى موقوفا . وروى الدار قطني عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الى آخرها قطعها آية آية وعدّها عدا الاعراب وعدّها بسم الله الرحمن الرحيم آية ولم يعدّها عليهم . واخرج مسلم في افراذه عن انس قال ينادي رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرا اذ غفا غفوة ثم رفع راسه متبججا قلنا ما اضحكك يا رسول الله قال انزلت علي آتفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر الحديث . قال البيهقي احسن ما احتج به اصحابنا في ان بسم الله الرحمن الرحيم من القرآن وانها من فواتح السور سوى سورة براءة ما رويناه في جمع الصحابة كتاب الله عز وجل في المصاحف وانهم كتبوا فيها بسم الله الرحمن الرحيم على رأس كل سورة سوى سورة براءة فكيف يتوهم متوهم انهم كتبوا فيها مائة وثلاثة عشر آية ليست من القرآن قال وقد علما بالروايات الصحيحة عن ابن عباس انه كان يعدّها بسم الله الرحمن الرحيم آية من الفاتحة . وروى الشافعي بسنده عن ابن عمر انه كان لا يدع بسم الله الرحمن الرحيم لام القرآن والسورة التي بعدها زاد غيره عنه انه كان يقول لما كتبت في المحف لم اقرأ . وروى الشافعي عن ابن عباس انه كان يفعل ويقول انتزع الشيطان منهم خير آية في القرآن . وفي افراد البخاري من حديث انس انه سئل كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت مدّا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم مدّا الله ومدّ الرحمن ومدّ الرحيم . فقد ثبت بهذه الادلة الصحيحة الواضحة ان البسملة من الفاتحة ومن كل موضع ذكرت فيه . وايضا فأجمع الصحابة على انبائها في المصاحف وانهم طلبوا بكتابة المصاحف تجريد كلام الله عز وجل المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم قرأنا وتدوينه مخافة من ان يزيدوا فيه او ينقصوا منه ولهذا لم يكتبوا فيه لفظة آمين وان كان قد ورد انه كان يقولها بعد الفاتحة فلولم تكن البسملة من القرآن في اوائل السور لما كتبوها وكان حكمها حكم آمين

(المسئلة الثانية في حكم الجهر بالبسملة والاسرار) اذ ثبت بما تقدم من الادلة ان البسملة آية من الفاتحة ومن غيرها من السور حيث كتبت كان حكمها في الجهر والاسرار حكم الفاتحة فيجهر بها مع الفاتحة في الصلاة الجهرية ويسر بها مع الفاتحة في الصلاة السرية . ومن قال بالجهر بالبسملة من الصحابة ابو هريرة وابن عباس وابن عمر وابن الزبير ومن التابعين فمن بعدهم سعيد بن جبير وابو ثابة والزهري وعكرمة وعطاء وطاوس ومجاهد وعلي بن الحسين وسالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي وابن سيرين وابن المنكدر ونافع مولى ابن عمر وزيد بن اسلم

وتمكحول وعمر بن عبدالعزيز وعمر بن دينار ومسلم بن خالد . واليه ذهب الشافعي . وهو احد
قولي ابن وهب صاحب مالک . ويحكى ايضا عن ابن المبارك وابي ثور . ومن ذهب الى الاسرار بها
من الصحابة ابوبكر وعمر وعثمان وعلي . وابن مسعود وعمار بن ياسر وابن مغفل وغيرهم
ومن التابعين فمن بعدهم الحسن والشعي و ابراهيم النخعي وقادة والاعشى والثوري . واليه
ذهب مالک وابو حنيفة واحد وغيرهم . اما جة من قال بالجهر فقد روى جماعة من الصحابة منهم
ابو هريرة وابن عباس وانس وعلي بن ابي طالب وسمرة بن جندب وام سلمة انا النبي صلى الله
عليه وسلم جهر بالسلمة . فهم من صرح بذلك ومنهم من فهم ذلك من عبارته ولم يرد في صريح
الاسرار بها عن النبي صلى الله عليه وسلم الا روايتان احدهما ضعيفة وهي رواية عبد الله بن
مغفل والاخرى عن انس وهي في الصحيح وهي معالة بما اوجب سقوط الاحتجاج بها . وروى
نعيم بن عبد الله الجعفي قال صليت وراء ابي هريرة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ بام القرآن
وذكر الحديث وفيه ثم يقول اذا سلم اني لاشيكم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . اخرجه
النسائي وابن خزيمة في صحيحه وقال اما الجهر بيسم الله الرحمن الرحيم فقد ثبت وصح عن النبي
صلى الله عليه وسلم . وروى الدارقطني بسنده عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم كان
اذا قرأ وهو يؤم الناس افتتح بيسم الله الرحمن الرحيم وذكر الحديث . قال الدارقطني اسناده
كلهم ثقات . وعن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يجهر بيسم الله الرحمن الرحيم . اخرجه
الدارقطني وقال ليس في روايته مجروح . وخرجه الحاكم ابو عبد الله وقال اسناده صحيح وليس له
علة وفي رواية عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة
بيسم الله الرحمن الرحيم . اخرجه الدارقطني وقال صحيح ليس في اسناده مجروح . وخرجه
الترمذي وقال ليس اسناده بذلك قال الشيخ ابوشامة اي لا يماثل اسناده ما في الصحيح ولكن اذا
انضم الى ما تقدم من الادلة رجح على ما في الصحيح . وعن انس قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يجهر بالقراءة بيسم الله الرحمن الرحيم اخرجه الدارقطني وقال اسناده صحيح وفيه
عن محمد بن ابي السري السقلاتي قال صليت خلف المعتمر بن سليمان ما لا أحصى صلاة الصبح
والغرب فكان يجهر بيسم الله الرحمن الرحيم قبل فاتحة الكتاب وبعدها وسمعت المعتمر يقول
ما ألقى ان اقتدى بصلاة انس بن مالك وقال انس بن مالك ما ألقى ان اقتدى بصلاة رسول الله
صلى الله عليه وسلم اخرجه الدارقطني وقال كلهم ثقات وخرجه الحاكم ابو عبد الله وقال رواة
هذا الحديث عن آخرهم كلهم ثقات . قلت وفي الباب احاديث وادلة واردة واجوبة من
الجانين يطول ذكرها وفي هذا التقدير كفاية وبالله التوفيق . قوله عز وجل (الحمد لله) قظه
خبر كانه سبحانه وتعالى يخبر ان المستحق للحمد هو الله تعالى ومعناه الامر اي قولوا الحمد لله
وفيه تعليم الخلق كيف يحمدونه . والحمد والمدح اخوان وقيل بينهما فرق وهو ان المدح قد يكون
قبل الاحسان وبعده والحمد لا يكون الا بعد الاحسان وقيل ان المدح قد يكون منهيا عنه
واما الحمد فمأو به . . والحمد يكون بمعنى الشكر على النعمة ويكون بمعنى الثناء بحملي الفضل
تقول جدت الرجل على علمه وكرمه . والشكر لا يكون الا على النعمة فالحمد اعم من الشكر
اذ تقول شكرت فلانا على علمه فكل حامد شاكر وليس كل شاكر حامدا . وقيل الحمد بالسان

والسموات السبع والناصر
الاربعة والمواليد الثلاثة
التي يفصل كل واحد منها
الى جزئياته والتسعة
عشر اشارة اليها مع العالم
الانساني فانه وان كان
داخل في عالم الحيوان الا
انه باهتبار شرفه وجامعيته
للكل وحصره للوجود
عالم آخر له شأن وجنس
برأسه له بهان يكبريل
من بين الملائكة في قوله
تعالى وملائكته وجبريل
والافات الثلاثة المحفجة
التي هي تمة الاثنين
والعشرين عند الانفصال
اشارة الى العالم الالهى الحق
باعتبار الدات والصفات
والافعال فهي ثلاثة عوالم
عند الفحقي والثلثانة
المكتوبة اشارة الى ظهور
تلك العوالم على المظهر
الا عظمى الانساني
واحتجاب العالم الالهى حين
سئل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن الف الباء من
ابن ذهبت قال سرقها
الشیطان وامر بتطويل
باء بسم الله تعويضا عن الفها
اشارة الى احتجاب الوهية
الالهية في صورة الرحمة
الانتشارية وظهورها
في الصورة الانسانية بحيث
لا يبر فيها الاهاها ولهذا

تكرت في الوضع وقد ورد
في الحديث ان الله تعالى
خلق آدم على صورته
فالذات محجوبة بالصفات
والصفات بالافعال والافعال
بالاكواف والآثار فمن تجأت
عليه الافعال بارتفاع حجب
الاكواف توكل ومن تجأت
عليه الصفات بارتفاع
حجب الافعال رضى وسلم
ومن تجأت عليه الذات
بانكشاف حجب الصفات
ففى فى الوحدة ففسار
موحدا مطلقا فاعلاما ففضل
وقارنا ما قرأ بسم الله الرحمن
الرحيم فتوحيد الافعال
مقدم على توحيد الصفات
وهو على توحيد الذات
والى الثلاثة اشار
صلوات الله عليه فى مجوده
بقوله اعوذ بعفوك
من عفاك واعوذ برضاك
من سخطك واعوذ بملك
(الحمد لله رب العالمين الرحمن
الرحيم مالك يوم الدين
اياك نعبد واياك نستعين
الحمد لله على لسان الحال
هو ظهور الكمالات
وحصول الغايات من الاشياء
اذهى اذنى فائمة روح
رائمة لموليا بما يستحقه
قالو جودات ككلاها
بخصوصياتها وخواصها

قولا والشكر بالاركان فضلا والمجد ضد الذم واللام فى الله لام الاستحقاق كقواك الدار لزيد
بى انه المستحق للمجد لانه المحسن المتفضل على كافة الخلق على الاطلاق (رب العالمين) الرب
بمعنى المالك كما يقال رب الدار ورب الثى اى مالكة ويكون بمعنى التربة والاصلاح يقال رب
فلان الضحية ربها اذا اصلحها قاله تعالى مالك العالمين ومربيهم ومصلحهم ولا يقال الرب
للمخلوق مرفا بل يقال رب الثى مضافا (والعالمين جمع عالم لا واحد له من لفظه وهو اسم لكل
موجود سوى الله تعالى فیدخل فيه جميع الخلق وقال ابن عباس هم الجن والانس لانهم
المكلفون بالخطاب وقيل العالم اسم لذوى العلم من الملائكة والجن والانس ولا يقال لاهام
عالم لانها لاتعمل واختلف فى مبلغ عددهم فقيل لله الف عالم ستمائة عالم فى البحر واربعمائة
فى البر وقيل ثمانون الف عالم اربعون الفا فى البر ومثلهم فى البحر وقيل ثمانية عشر الف عالم
الدنيا منها عالم واحد وما العمران فى الخراب الا كفسطاط فى صحراء القسطاط الخفية (واشتاق
العالم من العلم وقيل من العلامة وانما سمى بذلك لانه دال على الخلق سبحانه وتعالى) (الرحن
الرحيم) قال رحن هو المزمع بالان تصور صدور تلك النعمة من العباد والرحيم هو المزمع بما يتصور
صدور تلك النعمة من العباد فلا يقال لغير الله رحن ويقال لغيره من العباد رحيم (فان قلت
قد سمى مسئلة الكذاب برحن الحيامة وهو قول شاعرهم فيه وانت غيث الورى لازلت
رحانا قلت هو من باب تعنتهم فى كفرهم ومباغتهم فى مدح صاحبهم فلا يلتفت الى قولهم
هذا (فان قلت قد ذكر الرحمن الرحيم فى البسمة فافائدة تكريره هاضرة ناسبة) قلت ليعلم
ان العناية بالرحمة اكثر من غيرها من الامور وان الحاجة اليها اكثر فبها سبحانه وتعالى
بتكرير ذكر الرحمة على كثرتها وانه هو المتفضل بها على خلقه قوله تعالى (مالك يوم الدين) *
بمعنى انه تعالى صاحب ذلك اليوم الذى يكون فيه الجزاء والمالك هو المتصرف بالامر والتهى
وقيل هو القادر على اختراع الاعيان من العدم الى الوجود ولا يقدر على ذلك الا الله تعالى وقيل
مالك اوسع من ملك لانه يقال مالك العبد والداية ولا يقال ملك هذه الاشياء ولانه لا يكون
ملكاً لشي الا هو يملكه وقد يكون مالكا لشي ولا يملكه وقيل ملك اولى لان كل ملك مالكا
وليس كل ملك ملكا وقيل هما بمعنى واحد مثل فردين و فاردين قال ابن عباس مالك يوم الدين
قاضى يوم الحساب وقيل الدين الجزاء ويقع على الخير والشر يقال كاتدين تدان وقيل هو
يوم لا يقع فيه الا الدين وقيل الدين القهر يقال دنه فدان اى قهرته فذل (فان قلت لم خص يوم
الدين بالذكر مع كونه مالكا للايام كلها) قلت لان ملك الاملاك يومئذ زائل فلا ملك ولا امر
يومئذ الا الله تعالى كما قال تعالى انك يومئذ الخلق للرحن وقال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
وقد يسمى فى دار الدنيا آحاد الناس بالملك وذلك على الجواز لاعلى الحقيقة قوله تعالى
(اياك نعبد) * رجع من الخبر الى الخطاب وفائدة ذلك من اول السورة الى هنا ثناء والتناء
فى القية اولى ومن قوله اياك نعبد دعاء والخطاب فى الدعاء اولى (وقيل فيه ضمير اى قولوا
اياك نعبد) وللعنى اياك نخص بالعبادة ونوحدك ونطيعك خاضعين لك (والعبادة اقصى غاية
الخصوع والتذلل وسعى العبد عبد الله واتقياده (وقيل العبادة عبارة عن الفعل الذى
يؤدى به القرض لتعظيم الله تعالى فقول العبد اياك نعبد معناه لا اعبد احدا سواك والعبادة

غاية التذلل من العبد ونهاية التعظيم للرب سبحانه وتعالى لانه العظيم المستحق للعبادة ولا تستعمل العبادة الا في الخضوع لله تعالى لانه مولى اعظم النعم وهى ايجاد العبد من العدم الى الوجود ثم هداة الى دينه فكان العبد حقيقا بالخضوع والتذلل له * (واياك نستعين) * اى منك نطلب المعونة على عبادتك وعلى جميع امورنا (فان قلت الاستعانة على العمل انما تكون قبل الشروع فيه فمما اخرج الاستعانة عن العبادة وما الحكمة فيه) قلت ذكروا فيه وجوها (أحدها ان هذا يلزم من يجعل الاستطاعة قبل الفعل ونحن بحمد الله نجعل التوفيق والاستطاعة مع الفعل فلا فرق بين القديم والتأخير) (الثاني ان الاستعانة نوع تعبد فكأنه ذكر جملة العبادة ولا يلزم ذكر ما هو من تفاصيلها ثانيا) (الثالث كائن العبد يقول شرعت في العبادة فانما نستعين بك على اتمامها فلا يمنعنى من اتمامها مانع) (الرابع ان العبد اذا قال اياك نعبد حصل له الشكر وذلك منزلة عظيمة فيحصل بسبب ذلك العجب فاردف ذلك بقوله واياك نستعين ليزول ذلك العجب الحاصل بسبب ذلك العبادة * (اهدنا الصراط المستقيم) * اى ارشدنا وقيل ثبتنا وهو كما نقول للقاء ثم حتى اعود اليك ومعناه دم على مانت عليه وهذا الدماء من المؤمنين مع كونهم على الهداية بمعنى سؤال التثبيت وطلب مزيد الهداية لان اللطاف والهدايات من الله لاتسأهى ووهذا مذهب اهل السنة (والصراط الطريق قال جرير

امير المؤمنين على صراط * اذا اوج الموارد مستقيم

اى على طريقة حسنة (قال ابن عباس هو دين الاسلام) (وقيل هو القرآن وروى ذلك مرفوعا) (وقيل السنة والجماعة) (وقيل معناه اهدنا صراط المستحقين للجنة * (صراط الذين انعمت عليهم) * هذا بدل من الاول اى الذين مننت عليهم بالهداية والتوفيق وهم الانبياء والمؤمنون الذين ذكرهم الله تعالى في قوله فاوكلت مع الذين انعم الله عليهم من الديين والصديقين والشهداء والصالحين (وقال ابن عباس هم قوم موسى وهيسى الذين لم يغيروا ولم يبدلوا) (وقيل هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم واهل بيته * (غير المفضوب عليهم) * يعنى غير صراط الذين غضبت عليهم (والغضب فى الاصل هو ثوران دم القلب لارادة الانتقام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا الغضب فانه جرة تنوقد فى قلب ابن آدم المترف الى انتفاخ اوداجه وجرة عينه واذا وصف الله به فالمراد منه الانتقام فقط دون غيره وهو انتقامه من العصاة وغضب الله لا يلحق عصاة المؤمنين وانما يلحق الكافرين * (ولا الضالين) * اى وغير الضالين عن الهدى . واصل الضلال التسيب والهلاك يقال ضل الماء فى الابن اذا غاب فيه وهلك . وقيل غير المفضوب عليهم هم اليهود . والضالين هم الصارى * عن عدى بن حاتم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اليهود مفضوب عليهم والصارى ضلال (اخرجه الترمذى) (وذلك لان الله تعالى حكم على اليهود بالغضب فقال من لعنه الله وغضب عليه وحكم على الصارى بالضلال فقال ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل (وقيل غير المفضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة والله اعلم * (فصل فى آمين وحكم القاتحة وفيه مسلمان) * (الاولى) * السنة لقارى * بعد فراغه من القاتحة ان يقول آمين مفصلا عنها بسكتة وهو مخفف وفيه لقان المد والقصر قال فى المد * ويرحم الله عبدا قال آمينا * وقال فى القصر * امين فراد الله ما بيننا بعدا * (ومعنى)

وتوجهها الى غايتها واخراجها الى غايتها من حيز القوة الى الفصل مسجحة حامدة كما قال تعالى وان من شئ الا يسجد بحمده فتسبحها اياه تنزيهه عن الشريك وصفات القص والحز باسما دها اليه وحده ودلائها على وحدانيته وقدرته وتحميدها اظهار كما لاتنها المترتبة ومظهرتها تلك الصفات الجلالية والجمالية وخص بذاته بحسب مبدئيه للكل وحافظته ومديرته له التى هى معنى الربوبية للعالمين اى لكل ما هو علم الله يعلم به كالتعم لما يختم به والقلب لما يقلب فيه وجع جع السلامة لاشتهله على معنى العلم او التغليب وازاء الفاضلة الخير العام والخاص اى النعمة الظاهرة كالنعمه والرزق والباطنة كالعرفه والعلم وباعتبار متهايته التى هى معنى مالكية الاشياء فى يوم الدين اذ لا يجرى فى الحقيقة الا العبود الذى ينتهى اليه الملك وقت اجزاء بانابة النعمة الباقية من القساية عند التجرد بها بالزهد وتجليات الاضلال هداة انسلاخ العبد عن افاله وتعويض صفاته عند المحو

ومعنى آمين اللهم اسمع واستجب (وقال ابن عباس معناه كذلك يكون) (وقيل هو اسم من أسماء الله تعالى) (وقيل هو خاتم الله تعالى على عباده يدفع به عنهم الآثام) (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا آمن الإمام فآمنوا فإن من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه) قال ابن شهاب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول آمين وفي رواية للبخاري أن الإمام إذا قرأ غير المنضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين فإن الملائكة تقول آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه (قوله فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة) معناه وافقهم في وقت التأمين فآمن مع تأمينهم وقيل وافقهم في الصفة والخشوع والاخلاص. والقول الأول هو الصحيح (واختلفوا في هؤلاء الملائكة فقبيلهم الحفظة وقيل غيرهم من الملائكة) (قوله غفر له ما تقدم من ذنبه) يعني تغفر له الذنوب الصغار دون الكبائر وقول ابن شهاب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول آمين معناه أن هذه صيغة تأمينه صلى الله عليه وسلم

(المسئلة الثانية في حكم الفاتحة) * اختلف العلماء في وجوب قراءة الفاتحة فذهب مالك والشافعي وأحمد وجهور العلماء إلى وجوب الفاتحة وأنها متعينة في الصلاة ولا تجزئ إلا بها. واحتجوا بما روى عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا صلاة لمن لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب. أخرجه في الصحيحين. وبحديث أبي هريرة من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج ثلاثا غير تمام الحديث وقد تقدم في فصل سورة الفاتحة (وذهب أبو حنيفة إلى أن الفاتحة لا تعين على المصلي بل الواجب عليه قراءة آية من القرآن طويلة أو ثلاث آيات قصار. واحتج بقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر منه. وبقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الأعرابي المسمى صلته ثم اقرأ بما تيسر معك من القرآن. أخرجه في الصحيحين (دليل الجمهور ما تقدم من الأحاديث) (فإن قيل المراد من الحديث لا صلاة كاملة) (فلهذا خلاف ظاهر لفظ الحديث) (وما يدل عليه حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجزئ صلاة لمن لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب. أخرجه الدارقطني وقال: سنده صحيح. وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يخرج فينادي لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب فأزاد. أخرجه أبو داود (واجب من حديث الأعرابي بأنه يحول على الفاتحة فإنها متيسرة أو على ما زاد على الفاتحة أو على العاجز عن قراءة الفاتحة والله أعلم

(تفسير سورة البقرة) *

قال ابن عباس هي أول منازل المدينة قيل سوى آية وهي قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله فإنها نزلت يوم النحر بمكة في جة الدواع. وهي ما شأن وست. وقيل سمع وثمانون آية وستة آلاف ومائة وأحدى وعشرون كلمة * وخسة وعشرون ألف حرف وخمسة مائة حرف * (فصل في فضلها) * (م) عن أبي امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه اقرأوا الزهراوين البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجبان عن صاحبهما اقرأوا البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطالة قال معاوية بن سلام بلغني أن البطالة السهرة (قوله اقرأوا الزهراوين) سميتا بذلك لورهما يقال لكل مستير زاهر

عن صفاته وإيقانه بذاته وجماله الوحداني عندنا فله تعالى مطلق الحمد وما هيته أزلا وبدا على حسب استحقاقه إياه بذاته باعتبار البداية والنهاية وما بينهما في مقام الجمع على السنة التفصيل فهو الحامد والمحمود وتفصيلا وجعا والعايد والمعبود مبدا ومتهى * ولما تجلى في كلامه لعباده بصفاته شاهده بعظمته وبهائه وكال قدرته وجلاله فخطبوه قولا وفلا بتخصيص العبادة به وطلب المعونة منه اذ مازأواه ودا غيره ولا حول ولا قوة لأحد إلا به فلو حضروا لكانت حركاتهم وسكناتهم كلها عبادة له وبه فكانوا على صلواتهم دائمين داعين بلسان المحبة لمشاهدتهم جلاله من كل وجه على كل وجه (اهد نال الصراط المستقيم) أي ثبتنا على الهدية وكننا بالاستقامة في طريق الوحدة التي هي طريق المم عليهم بالنعمة الخاصة الرحيمية التي هي المعرفة والمحبة والهداية الحقايق الذاتية من البين والشهداء والصديقين والاولياء الذين شاهدوه

(قوله كنهما غماتان او غيانان) قال اهل اللغة الغمامة والغيابة كل شيء اظلم الانسان فوق رأسه من سحابة وغيرها والمعنى ان ثوابهما يأتى كغمامتين (قوله فرقان من طير صواف) الفرقان الجماعة من الطير والصواف جمع صاف وهو التى تصف اجفحتها عند الطيران (صافان المحاجة المجادلة والمحاصمة واطهار الحجة) والبطلة السمرة كاجاء فى الحديث ميئنا يقال ابطل اذا جاء بالباطل وفى الحديث دليل على جواز قول سورة البقرة وسورة آل عمران وكذا باقى السور وانه لا كراهة فى ذلك * وكرهه بعض المتقدمين وقال انما يقال السورة التى يذكر فيها البقرة وكذا باقى السور * والصواب هو الاول وبه قال الجمهور لورود النص به (م) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجملوا بيوتكم مقابر ان الشيطان يفر من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة * وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شيء سنام وان سنام القرآن سورة البقرة وفيها آية هي سيدة آى القرآن آية الكرسي . اخرج الزمى وقال حديث غريب * (بسم الله الرحمن الرحيم) قوله عز وجل * (الم) قيل ان حروف الهجاء فى اوائل السور من المتشابه الذى استأثر الله بعلومه وهى سر الله فى القرآن فمن يؤمن بظاهرها ويكمل العلم فيها الى الله تعالى * وفائدة ذكرها طلب الايمان بها . قال ابو بكر الصديق رضى الله عنه فى كل كتاب سر وسر الله فى القرآن واول السور . وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التمجى (وورد على هذا القول بانه لا يجوز ان يخاطب الله عباده بالابحاث والواجب عنه بانه يجوز ان يكلف الله عباده بالابحاث معناه كرمى الجرافة بانه يعقل معناه * والحكمة فيه هو كمال الانقياد والطاعة فكذلك هذه الحروف يجب الايمان بها ولا يلزم البحث عنها (وقال آخرون من اهل العلم هي معرفة المعانى * ثم اختلفوا فيها (قيل كل حرف منها مفتاح اسم من اسماء الله تعالى فالالف مفتاح اسم الله واللام مفتاح اسم لطيف والميم مفتاح اسم مجيد (وقيل الف الف الآلهة واللام لطفه والميم ملكه . ويؤيد هذا ان العرب تذكر حرفا من كلمة تريد كلها قال الراجز

قلت لها فى فقالت قاف * لانحى انا نسينا الانحاف

قولها قاف اى وقفت فاكتفت بجزء الكلمة عن كلها (والانحاف الاسراع فى السير * قال ابن عباس الم انا لله اعلم * وقيل هي اسماء الله مقطعة لوحها الناس تأليفها لعلوا اسم الله الاعظم الا ترى انك تقول الروح ون فيكون مجموعها الرحمن وكذلك سائرها ولكن لم ينه تأليفها جميعا * وقيل اسماء السور وبه قال جماعة من المحققين وقال ابن عباس هي اقسام فقيل اقسام الله بهذه الحروف لشرفها وفضلها لانها مباتى كتبها المنزلة واسماؤه الحسى وصفاته العليا وانما اقتصر على بعضها وان كان المراد كلها فهو كما تقول قرأت الحمد لله وتريد انك قرأت السورة بكاملها فكأنه تعالى اقسام هذه الحروف ان هذا الكتاب هو الكتاب الميثب فى الوح المحفوظه وقيل ان الله تعالى لما تحداهم بقوله فاتوا بسورة من مثله وفى آية بعشر سور مثله فجهر واعنه انزل هذه الاحرف ومعناه ان القرآن ليس هو الا من هذه الاحرف وانتم قادرون عليها فكان يجب ان تأتوا بمثله فلما عجزتم عنه دل ذلك على انه من عند الله لا من عند البشر . وقيل انهم لما عرضوا عن سماع القرآن واراد الله صلاح بعضهم انزل هذه الاحرف فكانوا اذا سمعوا قالوا كالتصديق

اولا وآخرا واطهارا وابطنا فصاروا فى شهودهم طلعة وجهه الباقى عن وجود الظل القافى (صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم) الذين وقفوا مع الطواهر واحجبوا بالعمة الرحانية والنعيم الجماعى والذوق الحسى عن الحقائق الروحانية والنعيم القافى والذوق العقلى كاليهود ان كانت دعوتهم الى الطواهر والجان والخور والقصور فغضب عليهم لان الغضب يستلزم الطرد والعد والوقوف مع الظواهر التى هي المحب الطلانية فاية البعد (ولا الضالين) الذين وقفوا مع الباطن التى هي المحب المورانية واحجبوا بالنعمة الرحمية عن الرحانية وغفلوا عن ظاهريه الحق وضلوا عن سواء السبيل فخرموا شهود جلال المحبوب فى الكل كالنصارى اذ كانت دعوتهم الى الباطن واتوار عالم الله وسودعوة المحدثين الموحدى الى الكل والجمع بين محبة جلال الذات وحسن الصفات كالورد سارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة اتقوا الله وآمنوا

رسوله يؤتكم كفاين من
رحمته ويجعل لكم نورا
تمشون به اعبدوا الله
ولا تشركوا به شياً فاجابوا
الدعوات الثلاث كما جاء
في حقهم يرجون رحمته
ويخافون عذابه يقولون ربنا
أنتم لنا نورنا قالوا رب الله
ثم استقاموا فأنشوا بالجمع
على ما أخبر الله تعالى
جزاؤهم عذرهم جات
عذرهم أحرهم ونورهم
أنما تولوا فتم وجهه الله للدين
أحسنوا الحسنى وزيادة
سورة البقرة

(بسم الله الرحمن الرحيم)
(الم ذلك الكتاب) أشار
بهذه الحروف الثلاثة الى
كل الوجود من حيث هو
كل لان (ا) اشارة الى
ذات الذي هو أول الوجود
على ما مر (ل) الى العقل
الفعال المسمى جبريل وهو
أوسط الوجود الذي
يستفيض من المبدا ويفيض
الى المنتهى و (م) الى محمد
الذي هو آخر الوجود تتم به
دائرته وتصل بأوله ولهذا
ختم وقال ان الزمان قد
استداركم بكم يوم خلق الله
السموات والأرض وعن
بعض السلف ان (ل)
ركبت من الفين أى وضعت
بازاء الذات مع صفة العلم
الذين هما طالان من العوالم
اللاثة الالهية التي أثمرها

اسموا الى ما يحيى به محمد فاذا اصفوا اليه وسموه رسخ في قلوبهم فكان ذلك سبباً لايمانهم
وقيل ان الله تعالى حير عقول الخلق في ابتداء خطابه ليعلموا ان لا سبيل لاحد الى معرفة خطابه
الا بامتثالهم بالجهز من معرفة كنه حقيقة خطابه ما علم ان مجموع الاحرف المنزلة في أوائل السور أربعة
عشر حرفاً في تسع وعشرين سورة وهى الالف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء
والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون وهى نصف حروف المعجم وسبأى الكلام على باقىها
في مواضعها ان شاء تعالى * وقوله تعالى * (ذلك الكتاب) أى هذا الكتاب هو القرآن * وقيل فيه
اضمار والمعنى هذا الكتاب الذى وعدت به وكان الله قد وعده صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليه
كتاباً بالاعجمى الماء ولا يخلق على كثرة الرد فلما نزل القرآن قال هذا ذلك الكتاب الذى وعدت به * وقيل
انه الله وعده بنى اسرائيل ان ينزل كتاباً برسل رسولاً من ولد اسمعيل فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى المدينة وبها من اليهود خلق كثير انزل الله تعالى هذه الآية الم ذلك الكتاب أى هذا
الكتاب الذى وعدت به على لسان موسى ان انزله على ابي الذى هو من ولد اسمعيل (والكتاب
مصدر بمعنى المكتوب واصله الضم والجمع ومنه يقال للجد كتيبة لاجتماعها فسمى الكتاب كتاباً
لانه يجمع الحروف بعضها الى بعض والكتاب اسم من اسماء القرآن * (لاربيب فيه) * أى لاشك
فيه انه من عند الله وانه الحق والصدق * وقيل هو خبر بمعنى النهى أى لا ترتابوا فيه (فان قلت
قد ارتاب فيه قوم فما معنى لاربيب فيه (قلت معناه انه في نفسه حق وصدق فمن حقق النظر
عرف حقيقة ذلك * (هدى للمتقين) * الهدى عبارة عن الدلالة (وقيل دلالة بلطف) (وقيل الهداية
الارشاد والمعنى هو هدى للمتقين) (وقيل هو هاد لاربيب في هدايته) (والنقى اسم فاعل من وقاه
فأتى) (والنقى جعل النفس في وقاية * يخاف) (وقيل التقوى في عرف الشرع حفظ النفس * يؤثم
وذلك بترك المحذور وبعض الباحث قال ابن عباس المتقى من بقى الشرك والكبائر والقوا حش
(وهو مأخوذ من الاتقاء واصله الجز بين الشئين يقال أتقى ترسه اذا جعله حاجزاً بينه وبين
ما يقصده) (وفي الحديث كنا اذا اشتد البأس اتقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم معناه انا كنا
اذا اشتد الحرب جعلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجزاً بيننا وبين العدو فكان المتقى يجعل
امثال اوامر الله واجتناب نواهيه حاجزاً بينه وبين النار (وقيل النار) (وقيل المتقى هو من لا يرى نفسه خيراً
من احد) (وقيل التقوى ترك ما حرم الله واداء ما افترض) (وقيل التقوى ترك الاصرار على المعصية
وترك الاغترار بالطاعة) (وقيل التقوى ان لا يراك مولاك حيث نهاك) (وقيل التقوى الاقتداء بالي
صلى الله عليه وسلم واصحابه) (وفي الحديث جامع التقوى في قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان
الآية) (وقيل المتقى هو الذى يترك ما لا بأس به حذراً مما به بأس) (وخص المتقين بالذكر تشريفاً لهم
لان مقام التقوى مقام شريف عزيز لانهم هم المستفدون بالهداية ولولم يكن للمتقين فضل الاقوله
تعالى هدى للمتقين لكفاهم (فان قلت كيف قال هدى للمتقين والمتقون هم المهتدون) (قلت هو
كقولك العزيز الكريم اعز الله واكرمك تريد طلب الزيادة له الى ما هو ثابت فيه كقوله تعالى
اهدنا الصراط المستقيم * (الذين يؤمنون بالغيب) * أى يصدقون بالغيب) (واصل الايمان في اللغة
التصديق قال تعالى وما انت بمؤمن لنا أى بمصدق * فاذا فسر الايمان بهذا فانه لا يزيد ولا ينقص
لان التصديق لا يتجزأ حتى ينصور كاله مرة ونقصاته اخرى (والايمان في لسان الشرع عبارة

عن التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالاركان * واذا فسر بهذا فانه يزيد وينقص وهو مذهب اهل السنة من اهل الحديث وغيرهم * وقائدة هذا الخلاف تظهر في مسئلة وهي ان المصدق بقلبه اذا لم يجمع الى تصديقه العمل بموجب الايمان من الصلاة والزكاة والصوم والحج ونحو ذلك من اركان الدين هل يسمى مؤمناً ام لا فيه خلاف . والخيار عند اهل السنة انه لا يسمى مؤمناً لقوله صلى الله عليه وسلم لا يزى الزانى حين يزى وهو مؤمن . ففي عنه اسم الايمان او كمال الايمان (وانكر اكثر المتكلمين زيادة الايمان ونقصانه وقالوا متى قبل الزيادة والنقص كان ذلك شكاً وكفراً (وقال المحققون من متكلمي اهل السنة ان نفس التصديق لا يزيد ولا ينقص والايمان الشرعى يزيد وينقص بزيادة الاعمال ونقصانها . وبهذا امكن الجمع بين ظواهر نصوص الكتاب والسنة التي جاءت بزيادة الايمان ونقصانه وبين اصله من اللغة وقال بعض المحققين ان نفس التصديق قد يزيد وينقص بكثرة الظر في الادلة والبراهين وقلة امعان النظر في ذلك ولهذا يكون ايمان الصديقين اقوى وثابت من ايمان غيرهم لانهم لا تعتر بهم شبهة في ايمانهم ولا تزلزل واما غيرهم من آحاد الناس فليس كذلك اذ لا يشك عاقل ان نفس تصديق ابي بكر رضى الله عنه لا يساويه تصديق غيره من آحاد الامة (وقيل انما سمي الاقرار والعمل ايمانا لوجه المناسبة لانه من شرائعه (والدليل على ان الاعمال من الايمان ما روى عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة افضلها قول لا اله الا الله وادناها امطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان اخر جاء في الصحيحين (البضع بكسر الباء ما بين الثلاثة الى العشرة والشعبة القطعة من الشيء (وامطة الاذى عن الطريق هو عزل الحجر والشوك ونحو ذلك عنه (والحياء بالمد هو انقباض النفس عن فعل اقبح (وانما جعل من الايمان وهو اكتساب لان المستحي ينزجر باستحيائه عن المعاصي فصار من الايمان (وقيل الايمان مأخوذ من الامن فسمى المؤمن مؤمناً لانه يؤمن نفسه من عذاب الله (والاسلام هو الانقياد والخضوع فكل ايمان اسلام وليس كل اسلام ايمانا ان لم يكن معه تصديق (وذلك ان الرجل قد يكون مسلماً في الظاهر غير مصدق في الباطن (ق) عن ابي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بارز الناس فاتاه رجل فقال يا رسول الله ما الايمان قال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالبعث الآخر قال يا رسول الله ما الاسلام قال ان تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال يا رسول الله ما الحسن قال ان تعبد الله كما كنت تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال يا رسول الله متى الساعة قال ما المسؤول عنها باعلم من السائل ولكن سأحدثك عن اشراطها اذا ولدت الامة ربها فذاك من اشراطها واذا كانت الحفاة العراة رؤس الناس فذاك من اشراطها واذا تطاول رعاء البهم في البنيان فذاك من اشراطها وخس لا يعلمن الا الله ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام الى قوله عليم خبير قال ثم ادبر الرجل فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ردوا على هذا الرجل فاخذوا ويردوه فلم يروا شيئاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم وفي افراد مسلم من حديث عمر بن الخطاب نحو هذا الحديث وبمعناه وقد تقدم الكلام على معنى الايمان والاسلام * وبقي اشياء تتعلق بمعنى الحديث فقوله

بما فهو اسم من أسماء الله مالى اذ كل اسم هو عبارة عن الذات مع صفة ما واما (م) فهي اشارة الى الذات مع جميع الصفات والافعال التي احجبت بها في الصورة المحمدية التي هي اسم الله الاعظم بحيث لا يعرفها الا من يعرفها ألا تدرى ان (م) التي هي صورة الذات كيف احجبت فيها فان الميم فيها اليا وفي الياء ألف والسر في وضع حروف التهجى هو ان لاحرف الا وفيه ألف ويقرب من هذا قول من قال معناه القسم بالله العظيم الحكيم اذ جبريل ظهر العلم فهو اسمه العظيم ومحمد ظهر الحكمة فهو اسمه الحكيم ومن هذا ظهر معنى قول من قال تحت كل اسم من أسماء تعالى اسماء بغير نهاية والعلم لا يتم ولا يكمل الا اذا قرن بالفعل في عالم الحكمة الذى هو عالم الاسباب والمسببات فصير حكمة ومن ثم لا يحصل الاسلام بمجرد قول لا اله الا الله الى اذا قرن بمحمد رسول الله فعنى الآية الم ذلك الكتاب الموعود أى صورة الكل المسمى اليها بكتاب الجفر والجامعة

المشقة على كل شيء الموهود بأنه يكون مع الهدى في آخر الزمان لا يقرأه كما هو بالحقيقة الا هو والجفر لوح لقضاء الذي هو عقل الكل والجامعة لوح القدر الذي هو نفس الكل فعنى كتاب الجفر والجامعة المختويان على كل ما كان ويكون كقولك سورة البقرة وسورة النمل (لاريب فيه) عند التحقيق بأنه الحق وعلى تقدير القول معناه بالحق الذي هو الكل من حيث هو كل لانه مبين لذلك الكتاب الموهود على السنة الانبياء وفي كتبهم بأنه سيأتي كما قال عيسى عليه السلام نحن نأتيكم بال تنزيل وأما التأويل فسيأتي به الهدى في آخر الزمان وحذف جواب القسم لدلالة ذلك الكتاب عليه كما حذف في غير موضع من القرآن مثل الشمس والتازمات وغير ذلك اي انما منزلون لذلك الكتاب الموهود في التوراة والانجيل بان يكون مع محمد حذف لدلالة قوله ذلك الكتاب عليه اي ذلك الكتاب المعاموم في العلم السابق الموهود في التوراة والانجيل حتى يبحث لا يجد للرب فيه (هدى للمقين) اي هدى

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بارزاً اي ظاهراً . وقوله ان تؤمن بالله ولقائه وتؤمن بالبعث الآخر . هو بكسر الخاء . وقبل في الجمع بين قوله وتؤمن بلقاء الله وبالبعث فان اللقاء يحصل بمجرد الانتقال الى الدار الآخرة وهو الموت . والبعث هو بعده عند قيام الساعة . وفي تقييده بالآخر وجه آخر وهو ان خروجه الى الدنيا بعث من الارحام وخروجه من القبر الى الآخرة بعث آخر (قوله ما الاحسان هو هنا الاخلاص في العمل وهو شرط في صحة الايمان والاسلام لان من أتى بلفظ الشهادة وأتى بالمثل من غير اخلاص لم يكن محسناً) (وقيل اراد بالاحسان المراقبة وحسن الطاعة فان من راقب الله حسن عمله وهو المراد بقوله فان لم تكن تراه فانه يراك) (واشراط الساعة علاماتها التي تظهر قبلها) (قوله اذا ولدت الامة ربها يعنى سيدها والمعنى ان الرجل تكون له الامة فتدله ولدا فيكون ذلك الولد ابنها وسيدها) (ورعاه اليهم بكسر الراء وقمع الباء واسكان الهاء من اليهم وهي الصغار من اولاد الضان) (والمعنى انه يبسط المذل على اهل البادية واشباههم حتى يتباهون في البناء ويسودون الناس فذلك من اشراط الساعة والله اعلم) (قوله تعالى بالنيب القيب هنا مصدر وضع موضع الاسم فقبل للفائب غيب وهو ما كان مغيبا عن العيون) قال ابن عباس القيب هنا كل ما امرت بالايمان به مما غاب عن بصرك من الملائكة والبعث والجنة والنار والصراف والميزان . وقيل القيب هنا هو الله تعالى . وقيل القرآن . وقيل بالآخر . وقيل بالوحى . وقيل بالقدر . وقال عبد الرحمن بن زيد كنعان عند عبد الله بن مسعود فذكرنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وما سبقوا به فقال عبد الله بن مسعود ان امر محمد صلى الله عليه وسلم كان بينا لمن رآه والذي لا اله غيره ما آمن احد قط افضل من ايمان نبيك ثم قرأ الم ذلك الكتاب لاريب فيه الى قوله وأولئك هم المفلحون . (ويقومون الصلاة) اي يداوون عليها في واقعتها بمحدودها واتمام اركانها وحفظها من ان يقع فيها خلل في فرائضها وسننها وآدابها يقال قام بالامر وأقام الامر اذا أتى به معطى حقوقه . والمراد به الصلوات الخمس . والصلاة في اللغة الدماء والرحمة ومنه وصل عليهم أى ادع لهم . وأصله من صليت العود اذ لينته فكان المصلى يلين ويخشع . وفي الشرع اسم لافضل مخصوصة من قيام وركوع وسجود وقعود ودعاء مع البية . (ومما رزقناهم) اي أعطيناهم من الرزق وهو اسم لما ينتفع به من مال وولد وأصله الحظ والصيب . (ينفقون) اي يخرجون وينفقون في طاعة الله تعالى وسبيله ويدخل فيه اتفاق الواجب كالزكاة والذرة والاتفاق على النفس وعلى من تجب نفقته عليه والاتفاق في الجهاد اذا وجب عليه والاتفاق في المندوب وهو صدقة التطوع ومواساة الاخوان وهذه كلها بما يمدح بها . وأدخل من التي هي لتبخيص صيانتهم وكفاهن السرف والتبذير المنهى عنهما في الاتفاق . (والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) اي يصدقون بالقرآن المنزل عليك وبالكتب المنزلة على الانبياء من قبل كالطوراة والانجيل والزبور ومصحف الانبياء كلها فيجب الايمان بذلك كله . (وبالآخر) يعنى وبالدار الآخرة . سميت آخرة تأخرها عن الدنيا وكونها بعدها . (هم يوفون) من الايمان وهو العلم والمعنى يستيقنون ويعلمون انها كانت . (أولئك) اي الذين هذه صفتهم . (على هدى من ربهم) أي على رشاد ونور من ربهم وقيل على استقامة . (وأولئك هم المفلحون) اي التاجون الفائزون نجوا من النار وقازوا بلجنة والفلاح الظاهر بالمطلوب اي الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه

ويكون الفلاح بمعنى البقاء * قال الشاعر * لو كان حي مدرك الفلاح * أدركه ملاحب الرماح *
يريد البقاء فيكون المعنى أولئك هم المباقون في النعيم المقيم والفلاح والظفر وأدراك البقية من السعادة
والعز والبقاء والتي * وأصل الفلاح الشق كما قيل * أن الحديد بالحديد يفلح * أي يقطع * فلي
هذا يكون المعنى أولئك هم المقطوع لهم بالخير في الدنيا والآخرة * وأعلم أن الله عز وجل صدر
هذه السورة بأربع آيات أنزلها في المؤمنين وبآيتين أنزلها في الكافرين وثلاث عشرة آية أنزلها
في المنافقين * فاما التي في الكفار فقولته تعالى * (ان الذين كفروا) أي جدوا وأنكروا * وأصل الكفر
في اللغة السئ والتفطية ومنه سمي الليل كافرا لانه يستر الاشياء بظلمته * قال الشاعر * في ليلة كفر البهوم
غمماها أي سترها * (والكفر على أربعة أضرب * كفرانكار وهو أن لا يعرف الله أصلا ككفر فرعون
وهو قوله * اعلمت لكم من آله غيري * وكفر جمود وهو أن يعرف الله بقلبه ولا يقر بلسانه ككفر
ابليس * وكفر عناد وهو أن يعرف الله بقلبه ولا يدين به ككفر أمية بن أبي الصلت
وأبي طالب حيث يقول في شعره

ولقد علمت بأن دين محمد * من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبة * لوجدتني سجدا لباك مينا

وكفر نفاق وهو أن يقر بلسانه ولا يستقد صحة ذلك بقلبه * فجميع هذه الانواع كفر * وحاصله
أن من جدد الله أو أنكر وحدانيته أو أنكر شيئا مما أنزل على رسوله أو أنكر نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم أو أحد من الرسل فهو كافر فان مات على ذلك فهو في النار خالدا فيها ولا يغير الله له
* نزلت في شركي العرب * وقيل في اليهود * (سواء عليهم) أي * تساؤلا بينهم * (أأذرتهم) أي خوتهم
وحدرتهم * والانذار اعلام مع تخويف وكل منذر معلم وليس كل معلم منذر * (أم لم تنذرهم
لا يؤمنون) أي لا يصدقون * وهذه الآية في أقوام حقت عليهم كلمة العذاب في سابق علم الله الازلي
انهم لا يؤمنون * ثم ذكر سبب تركهم الايمان فقال تعالى * (ختم الله على قلوبهم) أي طبع الله عليها
فلا تسمع خيرا ولا تفهمه * وأصل الختم التفطية * حقيقة الاستيناف من الشيء لكي لا يخرج منه ما حصل
فيه ولا يدخله ما خرج منه ومنه ختم الكتاب * قال أهل السنة ختم الله على قلوبهم بالكفر لما
سبق في علمه الازلي فيهم * وانما خص القلب بالختم لانه محل الفهم والعلم * (وعلى سمعهم) أي وختم
على موضع سمعهم فلا يسمعون الحق ولا ينفقون به لانها تمجبه وتنو عن الاصغاء اليه كأنها مستوثق
منها بالختم أيضا * وذكر السمع بلفظ التوحيد ومنه الجمع * قيل انما وحده لانه مصدر والمصدر
لا يثنى ولا يجمع * (وعلى أبصارهم غشاوة) هذا ابتداء كلام (والغشاوة الغطاء ومنه غاشية السرج
(أي وجعل على أبصارهم غشاوة فلا يرون الحق وهي غطاء التعامى عن آيات الله ودلائل توحيده
(ولهم عذاب عظيم) * يعني في الآخرة (وقيل الاسر والقتل في الدنيا والعذاب الدائم في العقي
(وحقيقة العذاب هو كل ما يؤلم الانسان وبعيه ويشق عليه * وقيل هو الايحاء الشديد * وقيل هو
ما يمنع الانسان من مراده ومنه الماء العذب لانه يمنع العطش (والعظيم ضد الخفيف قوله عز وجل
(ومن الناس من يقول آمنا بالله) * نزلت في المنافقين عبد الله بن أبي سلول وعتب بن قشير
وجند بن قيس وأصحابهم وذلك انهم أظهروا كلمة الاسلام ليسلوا بها من النبي صلى الله عليه وأصحابه
وأسرأ الكفر واعتقدوه وأكثرهم من اليهود وصفة المنافق أن يعترف بلسانه بالايمان ويقر به

في نفسه للذين يتقون
الردائل والجب المانعة
لقبول الحق فيه (واعلم أن
الناس بحسب المعاقبة سبعة
اصناف لانهم اما سعداء
واما اشقياء قال الله تعالى
فمنهم شقي وسعيد والاشقياء
اصحاب الشمال والسعداء
اما اصحاب اليمين واما
السابقون المقربون قال الله
تعالى وكنتم ازواجا ثلاثة
الآية واصحاب الشمال اما

المطرودون الذين حقي
عليهم القول وهم اهل الظلة
والجباب الكلى المحتوم على
قلوبهم اذ لا كما قال تعالى
ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من
الجن والناس الى آخر
الآية وفي الحديث الرباني
هو لا خلقتهم للار ولا أبالي
واما المنافقون الذين كانوا
مستعدين في الاصل قابلين
للتنوير بحسب الفطرة
والنشأة ولكن احتجبت
قلوبهم بالزین المستفاد من
اكتساب الرذائل واركتاب
المعاصي ومباشرة الاعمال
الجهمية والسبعية ومنزلة
المكائد الشيطانية حتى
رسمت الهيآت الفاسقة
والمكائد المظلمة في نفوسهم
وارتكبت على اقتدائهم فبقوا
شاكين حيارى تائهين قد
حبطت اعمالهم وانكست

ويكره قلبه ويصيح على حال ويمسى على غيرها (والناس جمع انسان سمي به لانه ههنا به فنتسى
(قال الشاعر) وسميت انسانا لانك ناسي * وقيل سمي انسانا لانه يستأنس بمثله * (وباليوم الآخر) *
أى وآمنا باليوم الآخر وهو يوم القيامة * سمي بذلك لانه يأتي بعد الدنيا وهو آخر الايام المحدودة
المحدودة وما بعده فلا حيلة * ولا آخر (قال الله تعالى رد اعلى المنافقين * (وما هم بمؤمنين) * نفى عنهم
الايان بالكتابة * (يخادعون الله والذين آمنوا) * أى يخافون الله (والخديعة الحيلة والمكر * وأصله
في اللغة الاخفاء والخادع يظهر ضد ما يصغر ليختص فهو بمنزلة اللقاع وهو خادعهم أى يظهر لهم
نسيم الدنيا ويجهلهم بخلاف ما ينسب عنهم من هذاب الآخرة (فان قلت الخادعة مفاعلة وانما تنجى
في الفعل المشترك والله تعالى منزى عن المشاركة) قلت المفاعلة قد ترد لاعلى وجه المشاركة تقول
طافك الله وطارقت النحل وطافبت الصق فالخادعة هنا عبارة عن فعل الواحد والله تعالى منزى عن
ان يكون منه خداع (فان قلت كيف يخادع الله وهو يعلم الضمائر والاسرار فمذ ذل الله متممة
فكيف يقال يخادعون الله (قلت ان الله تعالى ذكر نفسه وأراد به رسوله صلى الله عليه وسلم
وذلك تفهيم لامره وتعظيم لشانه (وقيل أراد به المؤمنين واذا خادعوا المؤمنين فكأنهم خادعوا الله
تعالى وذلك انهم ظنوا ان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لم يعلموا حالهم * ولتجرى عليهم أحكام
الاسلام في الظاهر وهم على خلافه في الباطن * (وما يخادعون الا أنفسهم) * أى ان الله تعالى
يمجازيهم على ذلك ويماقبهم عليه فلا يكونون في الحقيقة الخادعين انفسهم (وقيل ان وبال ذلك
الخداع راجع اليهم لان الله تعالى يطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على نقابهم فيفتضحون في الدنيا
ويستوجبون العقاب في العقبى (والفس ذات الشيء وحقيقته وقيل للدم نفس لان به قوة البدن
(وما يشعرون) * أى لا يعلمون ان وبال خداعهم راجع عليهم * (في قلوبهم مرض) * أى شك
ونفاق وأصل المرض الضعف والخروج عن الاعتدال الخاص بالانسان (وسمى الشك في الدين
والنفاق مرضا لانه يضعف الدين كالمرض يضعف البدن * (فزادهم الله مرضا) * يعنى ان الآيات
كانت تنزل فتزى أى آية بعد آية فكلما كفروا بآية ازدادوا بعد ذلك كفرا ونفاقا * (ولهم
هذاب اليم) * أى مؤلم يخلص وجهه الى قلوبهم * (بما كانوا يكذبون) * أى بتكذيبهم الله ورسوله
في السر * وقرئ بالهيف أى يكذبهم اذا قالوا آمنا وهم غير مؤمنين * (واذا قيل لهم) * يعنى المنافقين
وقيل اليهود والمعنى اذا قال لهم المؤمنون * (لاتفسدوا في الارض) * أى بالكفر وتعميق الناس
عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن * (قالوا انما نحن مصلحون) * يعنى يقولونه كذبا
(الا) * كلمة تنبيه ينبه بها المخاطب * (انهم هم المفسدون) * يعنى في الارض بالكفر وهو أشد الفساد
(ولكن لا يشعرون) * وذلك لانهم يظنون ان ما هم عليه من النفاق وابطان الكفر صلاح
وهو عين الفساد وقيل لا يشعرون ما أعد الله لهم من العذاب * (واذا قيل لهم) * يعنى المنافقين وقيل
اليهود * (آمنوا كما آمن الناس) * يعنى المهاجرين والانصار وقبل عبد الله بن سلام وأصحابه من مؤمنى
أهل الكتاب (والمعنى أخلصوا في ايمانكم كما أخلص هؤلاء في ايمانهم لان المنافقين كانوا يظهرون
الايمان) (قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء) * أى الجهال (فان قلت كيف يصح لفاق مع المجاهرة بقولهم
أنؤمن كما آمن السفهاء (قلت كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لاعتدال المؤمنين فأخبر الله نبيه
صلى الله عليه وسلم المؤمنين بذلك فرد الله ذلك عليهم بقوله * (الا انهم هم السفهاء) * يعنى الجهال

رؤسهم فهم اشد هذابا
واسوأ حالا من الفريق
الاول لناواة مسكة استعدادهم
لخالهم والفريقان هم اهل
الدنيا واصحاب اليمين اما
اهل الفضل والتواب الذين
آمنوا وعملوا الصالحات
الجنة راجين لها راضين بها
فوجدوا ما عملوا حاضرا
على تفاوت درجاتهم ولكل
درجات عملوا ومنهم اهل
الرحمة الباقيون على سلامة
نفوسهم وصفاء قلوبهم
المتبوءون درجات الجنة
على حسب استعداداتهم
من فضل ربهم لاعلى حسب
كالاتهم من ميراث علمهم
واما اهل العفو الذين خلطوا
علا صالحا وآخر سيئا وهم
فيمان المعفو عنهم رأسا
لقوة اعتقادهم وعدم
رسوخ سيئاتهم قللة
مزاولتهم اياها ولما كان توبتهم
عنها فاقولئك يبدل الله
سيئاتهم حسنات والمعدون
حينما بحسب ما رجع فيهم
من المعاصي حتى خلصوا
عن درن ما كسبوا فقبوا
وهم اهل العدل والعقاب
والذين ظلموا من هؤلاء
سببهم سيئات ما كسبوا
لكن الرحمة تداركهم
وثلاثهم اهل الآخرة
والسابقون اما محبون

(وأصل السفه خفة العقل ورقة العلم) وإنما سمي الله المنافقين سفهاء لانهم كانوا عند أنفسهم دقلاء رؤساء فقلب ذلك عليهم وسماهم سفهاء * ولكن لا يعلمون * يعني انهم كذلك * قوله تعالى * (واذا قالوا الذين آمنوا) * يعني هؤلاء المنافقين اذا قالوا المهاجرين والانصار * (قالوا آمنا) * كايما نكم * (واذا خلوا) * أي رجعوا . وقيل هو من الخلوة * (الي) * قيل بمعنى الباء أي * (شياطينهم) * وقيل بمعنى مع أي مع شياطينهم والمراد بشياطينهم رؤساؤهم وكهنتهم (قال ابن عباس وهم خمسة نفر كعب بن الاشرف من اليهود بالمدينة وأبو بردة في بني أسلم وعبد الدار في جهينة وعوف بن عامر في بني أسد وعبد الله بن السواد بالشام) ولا يكون كاهن الا و معه شيطان تابع له (وقيل هم رؤساؤهم الذين شابهوا الشياطين في تمردهم * (قالوا انامعكم) * أي على دينكم * (انما نحن مستهزون) * أي بمحمد وأصحابه بما نظهر لهم من الاسلام لأمن من شرهم ونفخ على سرهم ونأخذ من ضامهم وصدقائهم (قال ابن عباس زلت هذه الآية في عبد الله بن أبي وأصحابه وذلك انهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن أبي لأصحابه انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم فذهب فاخذ بيد أبي بكر الصديق فقال مرحبا بالصدقي سيد نبي تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في النار البادل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد نبي هدي بن كعب العاروق القوي في دين الله البادل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد علي فقال مرحبا بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخنته وسيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له علي أتق الله يا عبد الله ولا تافق فان المنافقين شر خلقه الله تعالى فقال مهلا يا أبا الحسن اني لا أقول هذا نفاقا والله ان ايماننا كايما نكم وتصديقنا كصدقيتكم ثم نفرّوا فقال عبد الله لأصحابه كيف رأيتموني فطلت فانوا عليه خيرا * (الله يستري بهم) * أي يجازيهم جزاء استزائهم بالمؤمنين فسمى الجزاء باسمه لانه في مقابلته (قال ابن عباس يفتح لهم باب الجنة فاذا انتهوا اليه سدّ عنهم وردوا الى النار) * (ومعه هم) * أي يتركهم ويمهلهم (والمد والامداد واحد وأصله الزيادة وأكثر ما ياتي المد في الشر والامداد في الخير * (في طغيانهم) * أي في ضلالهم * وأصل الطغيان مجاوزة الحد * (يهمون) * أي يترددون في الضلالة متحيرين * (اولئك) * يعني المنافقين * (الذين اشتروا الضلالة بالهدى) * أي استبدلوا الكفر بالايان (وانما أخرجه بلفظ الشراء والتجارة توسعا على سبيل الاستعارة لان الشراء فيه اعطاء بدل وأخذ آخر (فان قلت كيف قال اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى قلت جعلوا لتمكنهم منه كأنه في أيديهم فاذا تركوه الى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوه بها (والضلالة الجور عن القصد وفقده لا هتداء * (فاربحت تجارتهم) * أي ما ربحوا في تجارتهم والربح الفضل عن رأس المال * واضاف الربح الى التجارة لان الربح فيها يكون * (وما كانوا مهتدين) * أي مصيدين في تجارتهم لان رأس المال هو الايمان فلما ضاعوه واعتقدوا الضلالة فقد ضلوا عن الهدى . وقيل وما كانوا مهتدين في ضلاتهم * قوله عز وجل * (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا) * المثل عبارة عن قول يشبه ذلك اقول قولا آخر بينهما مشابهة ليدن احدهما الآخر ويصوره ولهذا ضرب الله تعالى الامثال في كتابه وهو احد اقسام القرآن السبعة (ولما ذكر الله تعالى حقيقة وصف المنافقين عقبه بضرب المثل زيادة في الكشف والبيان لانه يؤثر في القلوب ما لا يؤثره وصف النبي في نفسه

واما محبوبون فالمحبون هم الذين جاهدوا في الله حتى جهادهم وانابوا اليه حتى انابته فهذا هم سبيله والمحبوبون هم اهل العناية الازلية الذين اجتنباهم وهداهم الى صراط مستقيم والصنفان هما اهل الله (فالقرآن ليس هدى للفريق الاول من الاشقياء لامتناع قبولهم للهداية لعدم استعدادهم وللثاني لزال استعدادهم ومسخهم وطمسهم بالكلية بفساد اعتقادهم فهم اهل الخلود في النار الاما شاء الله فيقي هدى للخمسة الاخيرة الذين يشملهم التقون والمحبوب يحتاج الى هداية الكتاب بعد الجذب والوصول لسلوكه في الله لقوله تعالى لحية كذلك لثبت به فؤادك وقوله وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك والمحبة يحتاج اليه قبل الوصول والجذب وبعده لسلوكه الى الله وفي الله ضل هذا المتقون في هذا الموضع هم المستعدون الذين بقوا على فطرتهم الاصلية واجتنبوا رين الشرك والشك لصفاء قلوبهم وزكاء نفوسهم

وبقاء نورهم الفطري فلم
يقضوا عهد الله وهذه
القوى مقدمة على الايمان
ولها مراتب اخرى متأخرة
عنه كما سيأتي ان شاء الله
(الذين يؤمنون بالغيب
ويقومون الصلوة) اي بما
غاب عنهم الايمان التقليدي
او الحق في العلي فان الايمان
قديم تقليدي ونحقي
وانتم في قيمان استدلال
وكشفي وكلاهما اما واقف
على حد العلم والغيب واما
غير واقف والاول هو
الايمان المسمى علم الغيبين
والساقى اما عيني وهو
المشاهدة المسمى دين البقين
واما حق وهو الشهود
الداني المسمى حق البقين
والقيمان الاخيران
لا يدخلان تحت الايمان
بالغيب والايمان بالغيب
يستلزم الاعمال القلبية التي
هي التزكية وهي تطهير
القلب عن الميل الى
السعادات البدنية الخارجية
الشغلة عن احرار السعادة
الباطية فان السعادات
ثلاث قلبية وبدنية
وماحول البدن فالتلبية
هي المصارف والحكم
والكمالات العلمية والعملية
الخافية والبدنية هي الصحة
والقوة والاذات الجمالية

ولان المثل تشبيه الشيء الخفي بالجلي فبتأكد الوقوف على ماهيته وذلك هو الهامة في الابضاح * وشرطه
ان يكون قولاً فيه غرابة من بعض الوجوه كمثل الذي استوقد ناراً لينفع بها * (فلما ضأت) * يعني
النار * (ما حوله) * يعني حول المستوقد * (ذهب الله بنورهم) * (فان قلت كيف وحدث او لا
ثم جمع ثانياً) (قلت يحوز وضع الذي وضع الذين كقوله وخضتم كالذي خاضوا) (وقيل
انما شبه قصتهم بقصة المستوقد) (وقيل معناه مثل الواحد منهم كمثل الذي استوقد ناراً) * (وتركهم
في ظلمات لا يبصرون) * قال ابن عباس نزلت في المنافقين * يقول مثلهم في نفاقهم كمثل رجل
اوقد ناراً في ليلة مظلمة في مظافة فاستندأ ورأى ما حوله فأتق بما يخاف فيدأ هو كذلك اذ ظفنت
ناره فبق في ظلمة حاراً متخوفاً فكذلك حال المنافقين اظهروا كلمة الايمان فامنوا بها على انفسهم
واموالهم واولادهم وناكحوا المسلمين وقاسمهم في الغنائم فذلك نورهم فلما ماتوا عادوا الى
الظلمة والخوف * وقيل ذهب نورهم ظهور عقبتهم للؤمنين على لسان رسول الله صلى الله
عليه وسلم * وقيل ذهب نورهم في القبر اوعلى الصراط (فان قلت ما وجه تشبيه الايمان بالنور
والكفر بالظلمة) (قلت وجه تشبيه الايمان بالنوران النور ابغ الاشياء في الهداية الى الحق
القصوى والى الطريق المستقيم وازالة الحيرة وكذلك الايمان هو الطريق الواضح
الى الله تعالى والى جنانه وشبه الكفر بالظلمة لان الضلال عن الطريق المسلوكة في السلة لا يزداد
الاحيرة وكذلك الكفر لا يزداد صاحبه في الآخرة الاحيرة (وفي ضرب المثل للمنافقين بالار
ثلاث حكم * احداها ان المستضي بالنار مستضي بنور غيره فاذا ذهب ذلك بقى هو في ظلمة
فكانهم لما اقروا بالايمان من غير اعتقاد قلوبهم كان ايمانهم كالاستعارة الثانية ان النار تحتاح
في دوائها الى مادة الحطب لتدوم فكذلك الايمان يحتاج الى مادة الاعتقاد يدوم. الثالثة
ان الظلمة الحادثة بعد الضوء اشد على الانسان من ظلمة لم يجد قبلها ضياء * فشبه حالهم بذلك
* ثم وصفهم الله تعالى فقال * (صم) * اي عن سماع الحق لانهم لا يقبلونه وادالم يقبلوه فكانهم
لم يسمعو * (بكم) * اي خرس عن النطق بالحق فهم لا يقولونه * (عمى) * اي لا يبصار لهم يميزون
بها بين الحق والباطل ومن لا بصيرة له كمن لا بصر له فهو اعى كانت حواسهم سليمة ولكن
لما سدوا عن سماع الحق آذانهم وابوا ان تنطق به السنن وان ينظروا اليه بعونهم جعلوا كمن
تعطلت حواسه وذهب ادراكه قال الشاعر

* صم اذا سمعوا خيراً ذكرت به * وان ذكرت بسوء كآهم اذن *

* (فهم لا يرجون) * اي عن ضلالتهم ونفاقهم * قوله تعالى * (او كصيب) * اي كاصحاب صيب
وهو المطر وكل ما نزل من الاعلى الى الاسفل فهو صيب * (من السماء) * اي من السحاب لان كل
ما هلك فاطلقت فهو سماء ومنه قيل لسقف البيت سماء (وقيل من السماء بعينها) وانما ذكر الله
تعالى السماء وان كان المطر لا ينزل الا منها ليرد على من زعم ان المطر ينعد من انخرة الارض
فباطل مذهب الحكماء بقوله من السماء ليعلم ان المطر ليس من انخرة الارض كما زعم الحكماء * (فيه) *
اي الصيب * (ظلمات) * جمع ظلمة * (ورعد) * هو الصوت الذي يسمع من السحاب * (وبرق) *
يعني النار التي تخرج منه (قال ابن عباس الرعد اسم ملك يسوق السحاب والبرق لمعان
سوط من نور يزجر به السحاب) (وقيل الرعد اسم ملك زجر السحاب اذا تددت جمعها وصعها

والشهوات الطبيعية
وماحول البدن هي
الاموال والاسباب كما قال
امير المؤمنين عليه السلام
الاوان من التمس سعة المال
وافضل من سعة المال صحة
الجسد تقوى القلب
ويجب الاحتراز عن
قوله اي متى ما جاء هكذا
في جميع النسخ التي يابدينا
ولم تظهر لنا فائدة جاء فلعلها
زائدة وكذا قوله فيما بعده
من صفته ان يخطف
ابصارهم ويعيها ليس
بظاهر من التعبير يكاد
في الآية محتمل

الاولين لاحراز الاخيرة
الطلوبة بالزهد والعبادة
فاقامة الصلاة ترك
الراحات البدنية واتعاب
الآلات الجسدية وهي
ام العبادات التي اذا
وجدت لم يتأخر عنها
البواقي ان الصلاة تهى
عن الفحشاء والمكر اذهى
تحامل على البدن والفسس
ومشقة فادحة عليهما
وانفاق المال هو الاعراض
عن السعادة الخارجية
محبوبة الى النفس المسمى
الزهد فان الانفاق ربما
كان اشد عليها من بذل
الروح لزوم الشح اياها
ولم يكنف بالقران الواجب

فاذا اشتد غضبه يخرج من فيه النار فهي البرق والصواعق (وقيل الرعد تسليح الملك) وقيل اسمه
* (يحملون اصابعهم في آذانهم من الصواعق) * جمع صاعقة وهي الصيحة التي يموت كل
من يسمعها او يشئ عليه (وقيل الصاعقة قطعة من العذاب ينزلها الله على من يشاء * عن ابن عمر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا سمع صوت الرعد والصواعق قال اللهم لا تقتلنا
بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وامننا قبل ذلك اخرجه الزمذى وقال حديث غريب
* (حذر الموت) * اي مخافة الهلاك * (والله محيط بالكافرين) * اي عالم بحالهم (وقيل يجمعهم
ويعد بهم * (يكاد البرق) * اي يقرب يقال كاد يفعل ولم يفعل * (يخطف ابصارهم) * اي يختلسها
(والخطف استلاب الشيء سرية * (كلا) * اي متى ما جاء * (اضاء لهم) * يعني البرق * (مشوا فيه) *
اي في اضاءته ونوره * (واذا اظلم عليهم قاموا) * اي وقفوا متحيرين (وهذا مثل آخر ضربه
الله تعالى للمنافقين * ووجه التمثيل ان الله عرجل شبههم في كفرهم ونفاقهم يقوم كانوا في مغارة
في ليلة مظلمة اصابعهم مطرفه ظلمات وهي ظلمة الليل وظلمة المطر وظلمة السحاب من صفة تلك
الظلمات ان السارى لا يمكنه المشي فيها ورعد من صفته ان يضرم سامعوه اصابعهم الى آذانهم
من هوله وبرق من صفته ان يخطف ابصارهم ويعيها من شدته * فهذا مثل ضربه الله تعالى
للقرآن وصنيع الكافرين والمنافقين معه * فالمر هو القرآن لانه حياة القلوب كما ان المطر حياة
الارض * والظلمات ما في القرآن من ذكر الكفر والشرك والنفاق * والرعد ما خوت فوايه
من الوعيد * وذكر النار والبرق ما فيه من الهدى والبيان والوعد وذكر الجنة * فالكافرون
والمنافقون يبدون آذانهم عند قراءة القرآن وسماعه مخافة ان تميل قلوبهم اليه لان الايمان به
عندهم كفر والكفر موت (وقيل هذا مثل ضربه الله تعالى للاسلام * فالمر هو الاسلام
والظلمات ما فيه من البلاء والحزن * والرعد ما فيه من ذكر الوعيد والمخاوف في الآخرة
والبرق ما فيه من الوعد * يحملون اصابعهم في آذانهم يعني المنافقين اذا رأوا في الاسلام بلاء
وشدة هربوا حذرا من الهلاك * والله محيط بالكافرين يعني لا يفتحهم الهرب لان الله من ورائهم
يجمعهم ويعذبهم * يكاد البرق يعني دلائل الاسلام تزجهم الى النظر لولا ما سبق لهم من الشقاوة
كلما اضاء لهم يعني المنافقين وضاءته لهم هو تركهم بلا ابتلاء ولا امتحان * مشوا فيه يعني على المسئلة
بإظهار كلمة الايمان (وقيل كلما نالوا غنيمة وراحة في الاسلام ثبتوا وقالوا انامكم واذا اظلم
عليهم قاموا يعني اذا رأوا شدة وبلاء تأخروا * (ولو شاء الله لذهب بجمعهم) * اي بصوت الرعد
* (وابصارهم) * بوميض البرق (وقيل لذهب بأبصارهم وأبصارهم الظاهرة كما اذهب أنماهم
وأبصارهم الباطنة * (ان الله على كل شيء قدير) * أي هو القاهر لما يشاء لا منازعه فيه * قوله
عز وجل * (يا أيها الناس) * قال ابن عباس يا أيها الناس خطاب لاهل مكة ويا أيها الذين آمنوا خطاب
لاهل المدينة وهنا خطاب تام لسائر المكلفين * (اعبدوا ربكم) * قال ابن عباس وحدثوا ربكم (وكل
ما ورد في القرآن من العبادة لغناء التوحيد) (وأصل العبودية التذلل والعبادة غاية التذلل ولا يستحقها
الآمن له غاية الافضال والانعام وهو الله تعالى * (الذي خلقكم) * اي ابتدع خلقكم على غير مثال
سبق * (والذين من قبلكم) * اي وخلق الذين من قبلكم * (لعل وعسى حرقا ترج
وهما اي كل منهما من الله واجب * (تتقون) * اي لكي تجنوا من العذاب (وقيل * مناه نكوتوا

نقال (ومارزقناهم
يقفون) ليعتاد القلب
ترك الفضول المالية
بالجود والسخاء وبذل
المال في وجوه المرات
والهبات والصدقات الغير
الواجبة فيوق شح نفسه
وخصص الاتفاق بالبعض
باراد من التضيعة لئلا
يقع في رذيلة التبذير
بذل القدر الضروري
فيحرم فضيلة الجود الذي
هو من باب التفاق باخلاق
الله (والذين يؤمنون بما
انزل اليك وما انزل من
قبلك) اي الايمان التحقيق
الشامل للاقسام الثلاثة
المستلزم للاعمال القلبية
التي هي الصلوة وهي تفرس
القلب بالحكم والمصارف
المنزلة في الكتب الالهية
والعلوم المتعلقة باحوال
المعاد وامور الآخرة
وحقة نفي علم القدس ولهذا
قال (وبالآخرة هم يوقنون)
واهل الآخرة الذين
ماجاوزوا حد التزكية
ولم يصلوا الى الصلوة التي
هي ميراثها لقوله عليه
السلام من عمل بما علم
ورثه الله. علم ما لم يعلم واهل
الله الموقنون الجامعون
لهاكلهم على هدى من ربهم
اماليه وامالي داره دار

على رجاه التقوى بان تصيروا في ستر ووقاية من عذاب الله وحكم الله من ورائكم يفعل ما يشاء
ويحكم ما يريد (الذي جعل لكم الارض فراشا) اي خاق لكم الارض بساطا ووطاء مذلة
ولم يجعلها حزمة لا يمكن القراء عليها . والحزن ما غاظ من الارض (والسماء بناء) اي سقفا
مرفوعا (قبل اذا تأمل الانسان المتفكر في العالم وجده كالبيت المعمور فيه كل ما يحتاج اليه
فالسما مرفوعة كالسقف والارض مفروشة كالسباط والتجوم كالمصابيح والانسان كالكائ البيت
وفيه ضروب النبات المهيأة لمنافعه واصناف الحيوان مصروفة في صالحه فيجب على الانسان
المحضرة هذه الاشياء شكر الله تعالى عليها (وانزل من السماء) يعني السحاب (ماء) يعني المطر
(فاخرج به) اي بذلك الماء (من الثمرات) يعني من الوان الثمرات واصناف النبات
(رزقناكم) اي وعلفنا وواكبكم (فلا تجعلوا الله اندادا) يعني امثالا تعبدونهم كعبادته (والد
المثل) (وانتم تعلمون) يعني انكم بمقولكم تعلمون ان هذه الاشياء والامثال لا يصح جعلها اندادا لله
وانه واحد خالق لجميع الاشياء وانه لا مثل له ولا ضد له قوله تعالى (وان كنتم في ريب) اي ان كنتم
في شك لان الله تعالى علم انهم شاكون (ما نزلنا على عبدنا) اي محمد صلى الله عليه وسلم لما تقرر
اثبات الربوبية لله سبحانه وتعالى وانه الواحد الخالق وانه لا ضد له ولا ند له (باقامة الحجة على
اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يدحض الشبهة في كون القرآن بهجرة وانه من عند الله
تعالى لا من عند نفسه كانه هو فيه) وقوله على عبدنا اضافة تشريف لمحمد صلى الله عليه وسلم
وان القرآن منزل عليه من عند الله سبحانه وتعالى (فاتوا) امر تهيئ (بسورة) اي بالسورة
قطعة من القرآن مطلومة الاول والآخر (وقيل السورة اسم للترلة الرفيعة ومنه سور البلد
لارتفاعه سميت سورة لان القارئ يزل بها منزلة رفيعة حتى يستكمل المنازل باستكمال
سور القرآن (من مثله) اي مثل القرآن (وقيل الضمير في مثله راجع الى عبدنا يعني من مثل
محمد صلى الله عليه وسلم اي لم يحسن الكتابة ولم يجالس العلماء ولم ياخذ العلم عن احد) ورد الضمير
الى القرآن اوجه وأولى ويدل عليه ان ذلك مطابق لسائر الآيات الواردة في التهدي وانما وقع
الكلام في المنزل الا ترى ان المعنى وان اردتم في ان القرآن منزل من عند الله فاتوا انتم بسورة
ما علمناه ويجانسه ولو كان الضمير مردودا الى محمد صلى الله عليه وسلم لقال وان اردتم في ان
محمد منزل عليه فها تقرأنا مثل محمد صلى الله عليه وسلم يدل على كون القرآن بهجرة ما شتم
عليه من القساحة والبلاغة في طرفي الابهام والاطالة فتارة ياتي بالقصة باللفظ الطويل ثم يعيدها
باللفظ الوجيز ولا يتخلل بالمقصود الاول وانه فارقت أساليبه أساليب الكلام وأوزانه
أوزان الاشعار والخطب والرسائل ولهذا تحدث العرب به فجزوا به وتخيروا فيه
واعترفوا بفضلهم وهم معدن البلاغة وفرسان الفصاحة ولهم الغم والثر من الاشعار والخطب
والرسائل حتى قال الوليد بن المغيرة في وصف ابيات الله ان له خلاوة وان عليه لطلاوة
وان اصله لم يندق وان اعلاه لثمر (وادعوا شهداءكم من دون الله) اي استعينوا بالهتكم التي
تعبدونها من دون الله (والعنى ان كان الامر كما تقولون انها تستحق العبادة فاجعلوا الاستعانة
بها في دفع ما نزل بكم من امر محمد صلى الله عليه وسلم والافعلوا انكم مبطلون في دعواكم انها
آلهة (وقيل معناه وادعوا انما يشهدون لكم) ان كنتم صادقين (ان محمد صلى الله عليه وسلم

يقوله من تلقاء نفسه * (فان لم تفعلوا) * اى فيما مضى * (ولن تفعلوا) * فيما بقى (وهذه الآية دالة على عجزهم وانهم لم ياتوا بمنله ولا بمنل شئ منه وذلك ان النفوس الالية اذا قرعت بمنل هذا التفرع استفرغت الوسع في الايمان بمنل القرآن او بمنل سورة منه ولو قدروا على ذلك لاتوا به فحيث لم ياتوا بشئ ظهرت المجزة لاني صلى الله عليه وسلم وبان عجزهم وهم اهل الفصاحة والبلاغة والقرآن من جنس كلامهم وكانوا حراسا على اطفاء نوره وابطال امره ثم مع هذا الحرص الشديد لم توجد المعارضة من أحدهم ورضوا بسبي الذراري وأخذ الاموال والقتل واذا ظهر عجزهم عن المعارضة صح صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا كان الامر كذلك وجب ترك العناد (وهو قوله تعالى * فاقنوا النار) * اى قامنوا واتقوا بالايمان النار * (التي وقودها) * اى حطبها * (الناس والحجارة) * قال ابن عباس بنى حجارة الكبريت لانها اكثر اتها باء وقيل جميع الحجارة وفيه دليل على عظم تلك النار وقوتها وقيل اراد بها الاصنام لان اكثر اصنامهم كانت من حجارة وانما قرن الناس مع الحجارة لانهم كانوا يعبدونها معتقدين فيما انها تفهم وتشفع لهم فجعلها الله عذابهم في نار جهنم * (اهدت) * اى هيت * (للكافرين) * قوله عروجل * (وبشر الذين آمنوا) * اى اخبر المؤمنين وهذا امر لاني صلى الله عليه وسلم (والبشارة اراد الخبر السار على سماع يستشربه ويظهر السرور في بشرة وجهه لان الانسان اذا فرح بشئ وسر به ظهر ذلك على بشرة وجهه ثم كثر حتى وضع موضع الخبز والشر ومنه قوله وبشرهم بعذاب اليم ولكن هو في السرور واخير اغلب * (وعلموا الصالحات) * اى الفعلات الصالحات وهى الطاعات (قيل العمل الصالح ما كان فيه اربعة اشياء العلم والنية والصبر والاخلاص (وقال عثمان بن عفان وعلموا الصالحات اى اخلصوا الاعمال بمعنى من الرياء * (ان لهم جنات) * جمع جنة وهى البستان الذى فيه اشجار ثمرة سميت جنة لاجتنائها وتسترها بالاشجار والاوراق (وقيل الجنة ما فيه نخل والفردوس ما فيه كرم * (تجرى من تحتها) * اى من تحت اشجارها ومساكنها * (الانهار) * اى تجرى المياه في الانهار لان الانهار لا تجرى (وقيل معناه تجرى بأمرهم وفي الحديث ان انهار الجنة تجرى في غير اخدود اى في غير شرقى واخذ الشق * (ككارزقوا) * اى اطعموا * (منها) * اى من الجنة * (من ثمرة رزقا) * اى طعاما * (قالوا هذا الذى رزقنا من قبل) * اى في الدنيا وقيل ان ثمار الجنة متشابهة في اللون مختلفة في الطعم فاذا رزقوا ثمرة بعد اخرى ظنوا انها الاولى * (واتوا به) * اى بالرزق * (متشابهة) * قال ابن عباس مختلفا في الطعوم (وقيل يشبه بعضه بعضا في الجودة لارادة فيها (وقيل يشبه ثمار الدنيا في الاسم لافى المعنى (م) عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتخبطون ولا يبرزون عليهم ولا يمدون التسيب كإيهمون النفس طعامهم جشاء ورشح كرشح المسك وفي رواية ورشحهم المسك * قوله يلهمون التسبيح كإيهمون النفس اى يجرى على السندهم كإيهمون النفس فلا يشغلهم عن شئ كما ان النفس لا يشغل عن شئ * قوله طعامهم جشاء بمعنى ان فضول طعامهم يخرج في الجشاء وهو نفس المعدة والرشح العرق * وقوله تعالى * (ولهم فيها) * اى في الجنات * (ازواج) * اى من الحور العين * (مطهرة) * بمعنى من البول والغائط والحيض والولد وسائر الاقذار (وقيل هن عجائزكم التمس العمش طهرن من قدرات الدنيا

السلامة والفضل والثواب واللفظ وهم اهل الفلاح لا غير امامن العقاب واما من المحاب ولهذا قال (أولئك) اى الموصوفون بهذه الصفات المذكورة من التزكية والتحمية (على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) لاجلها على هذا الذين يؤمنون مبتدا والذين يؤمنون الثاني معطوف عليه وأولئك خبره ولو جعل صفة للمتنقين لكان المراد بهم الكاملين في التقوى بعد الهداية وكان مجازا من باب تسمية الشئ بما سيؤول اليه (ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم) هم الفريق الاول من الاشقياء الذين هم اهل القهر الآلهى لا يفتح فيهم الانذار ولا سييل الى خلاصهم من النار أولئك حققت عليهم كلمة ربك انهم لا يؤمنون وكذلك حققت ربك على الذين كفروا هم اصحاب السارسات عليهم الدلق واغقت عليهم الابواب اذ القلب

هوالمشعرالالهى الذى هو
محل الالهام فحجبوا عنه
بختمه والسمع والبصرهما
المشعران الانسيان اى
الظاهران اللذان هما بابا
الفهم والاعتبار فحرموا
عن جدواهما لامتناع
نفوذ المعنى فيهما الى القلب
فلا سبيل لهم فى البيان
الى العلم الذوقى الكشفى
ولا فى الظاهر الى العلم
انتعلى والكسبى فحجبوا
فى سجون الظلمات فاعظم
عذابهم (ومن الناس
من يقول آمنا) هم القريبى
الثانى من الاشقياء سلب
عنهم الايمان مع ادعائهم
له بقولهم آمنا (بالله) لان
محل الايمان هو القلب
لاالسان قالت الاعراب آمنا
قل لم تؤمنوا ولكن قولوا
اسلموا ولا يدخل الايمان
فى قلوبكم ومعنى قولهم
آمنا بالله (وباليوم الآخر
وما هم بمؤمنين
يخادعون الله والذين
آمنوا وما يخدعون
الانفسهم وما يشعرون)
ادعاء على التوحيد
والعناد الذين هما اصل
الدين واساسه اى لسان
المشركين المعجوبين عن
الحق ولا من اهل الكتاب
المعجوزين عن الدين

(وقيل طهرن من مساوى الاخلاق) قيل فى الجنة جماع ماشئت ولاولد (وهم فيها خالدون)
اى لا يخرجون منها ولا يموتون والخلد البقاء الدائم الذى لا انقطاع له (ق) عن ابى هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين
يلونهم على اشد كوكب درى فى السماء اضاءة لا يصفون ولا يمحطون ولا ينفو طون ولا يبولون
امشاطهم الذهب ورشهم المسك ومجاشرهم اللؤلؤة وازواجهم الحور العين على خلق رجل
واحد وعلى صورة ادم ستون ذراعا فى السماء (وفى رواية) لكل واحد منهم زوجتان
يرى تح سوقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب رجل واحد
يسبحون الله بكرة وعشيتا (ق) عن ابى موسى الاشعري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان
للمؤمن فى الجنة نخبة من لؤلؤة واحدة بحوفة طولها فى السماء ستون ميلا للمؤمن فيها اهلون
يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا * عن ابى هريرة قال قلت يا رسول الله تم خلق الله
الخلق قال من الماء قلت الجنة مابناؤها قال لبننة من فضة ولبننة من ذهب وملاطها المسك
الاذفرو حصباؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران من يدخلها ينم ولا يبأس ويخلد ولا يموت
ولا تلبى ثيابهم ولا يفنى شبابهم (اخرجه الترمذى بزيادة وقال ليس اسناده بذلك القوى *
عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة مائة درجة ما بين كل
درجتين كابين السماء والارض والفردوس اعلاها درجة ومنها تفجر انهار الجنة الاربعة
ومن فوقها يكون العرش فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس (اخرجه الترمذى (م) عن انس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال
فقصو فى وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنا وجالا فيرجعون الى اهلهم وقد ازدادوا حسنا
وجالا فيقول لهم اهلهم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجالا فيقولون وانتم والله لقد
ازددتم بعدنا حسنا وجالا * عن على بن ابي طالب رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان
فى الجنة لجنتم للصور العين برفن بأصوات لم تسمع الخلائق مثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد
ونحن الناعات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نخط طوبى لمن كان لنا وكناله (اخرجه الترمذى
وقال حديث غريب * قوله تعالى (ان الله لا يستحي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها)
سبب نزول هذه الآية ان الله تعالى لما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت وذكر النمل والنمل
قالت اليهود ما اراد الله بذكر هذه الاشياء الخسيسة (وقيل قال المشركون اننا لنعبد آلهة ايا ذكر
هذه الاشياء وذلك لان الكفار واليهود كانوا متفقين على اذاء رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالوا ذلك فانزل الله تعالى ان الله لا يستحي * الحياء تغيير وانكسار يعزى الانسان من خوف
ما يصابه وينم عليه * وقيل هو انتقاض النفس عن القبح (هذا اصله فى وصف الانسان والله
تعالى منز عن ذلك كله فاذا وصف الله تعالى به يكون معناه الترك وذلك لان لكل فعل بداية
ونهاية فبداية الحياء هو التغيير الذى يلحق الانسان من خوف ان ينسب اليه ذلك الفعل القبيح
ونهاية ترك ذلك القبيح فاذا ورد وصف الحياء فى حق الله تعالى فليس المراد منه بدائه وهو
التغير والخوف بل المراد منه ترك الفعل الذى هو نهاية الحياء فانه فيكون معنى ان الله لا يستحي
ان يضرب مثلا اى لا يترك المثل لقول الكفار واليهود (ما * قيل ماصلة فيكون ان يضرب مثلا

والمعاد لان اعتقاد اهل الكتاب في باب المعاد ليس مطابقا للحق واعلم ان الكفر هو الاحتمال والجهل اما من الحق كما للمشركين واما عن الدين كما لاهل الكتاب والمحبوب عن الحق محبوب عن الدين الذي هو طريق الوصول اليه ضرورة واما المحبوب عن الدين فقد لا يحبب عن الحق فهو لاء ادعوا رفع الجبابين معا فكذبوا بسلب الايمان عن ذواتهم اى ليسوا بمؤمنين ماداموا اياهم * المضادة استعمال الخدم من الجنين وهو اظهار الخير واستبطان الشر * ومخادعة الله مخادعة رسوله لقوله من بطع الرسول فقد اطاع الله وقوله وماريت ادرميت ولكن الله رعى ولانه حيسه وقد ورد في الحديث لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احبته كنت سمعه الذى به يسمع وبصره الذى به يبصر ولسانه الذى به يتكلم ويده الذى بها يمشي وجله الذى بها يمشي فاعلم الله للمؤمنين انظار الايمان والمحبة واستبطان الكفر والعداوة

بعوضة وقيل ليس هي بصلصلة بل هي للابهام والنكرة (والبعوض صفار البق وهو من مجيب خلق الله تعالى فانه في غاية الصغر وله خرطوم مجوف وهو مع صفره يفرغ خرطومه في جلد القمل والجاموس والجل فيبلغ منه الغاية حتى ان الجمل يموت من قرصه (فانوقها يعنى الذباب والعنكبوت وما هو اعظم منها في الجنة * وقيل معناه فادونها واصغر منها وهذا القول اشبه بالآية لان الغرض بيان ان الله تعالى لا يمنع من التمثيل بالشيء الصغير الحقير وقد ضرب الى صلى الله عليه وسلم مثلا للدينيا بمنح البعوضة وهو اصغر منها وقد ضربت العرب المثل بالمحقرات بقيل هو احقر من ذرة واجمع من نملة وأطيش من ذبابة والحق من ذبابة (فاما الذين آمنوا) يعنى محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (فيعلمون انه) يعنى ضرب المثل (الحق) يعنى الصدق (من ربهم) الثابت الذى لا يجوز انكاره لان ضرب المثل من الامور المستحسنة في العقل وعند العرب (واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا) اى بهذا المثل (يضل به كثيرا) اى من الكفار وذلك انهم يكذبونه فيزدادون به ضلالا (ويهدى به كثيرا) يعنى المؤمنين بصدقونه ويعلمون انه حق (وما يضل به الا الفاسقين) يعنى الكافرين (وقيل المنافقين) (وقيل اليهود) والفسق الخروج عن طاعة الله وطاعة رسوله * ثم وصفهم فقال تعالى (الذين يقضون) اى يخالفون ويتزكون * واصل القصص القسح وفك المركب (عهد الله) اى امر الله واصل العهد حفظ الشيء ومرامته حالا بعد حال (من بعد ميثاقه) اى من بعد عقده وتوكيده (وفي معنى هذا العهد اقوال * احدها انه الذى اخذه عليهم يوم الميثاق وهو قوله تعالى الست ربكم قالوا بلى * الثاني المراد به الذى اخذه على ايجاب اليهود في التوراة ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويبينوا نعمته وصفته * الثالث المراد به الكفار والمنافقون الذين نقضوا عهدا ابرمه الله تعالى واحكمهم بما ازل في كتابه من الآيات الدالة على توحيده (ويقطعون ما امر الله به ان يوصل) يعنى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وجيع الرسل قائموا ببعض وكفروا ببعض وهم اليهود (وقيل اراد به قطع الارحام التى امر الله بوصلها) (يفسدون في الارض) يعنى بالمعاصي وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (او انك هم الخاسرون) اى المنبؤون (واصل الخسار القصص * ثم قال تعالى لمشركي العرب على وجه التعجب لكن فيه تبكيت وتعنيف لهم) (كيف تكفرون بالله) يعنى بعد نصب الدلائل ووضع البراهين الدالة على وحدانيته * ثم ذكر الدلائل فقال تعالى (وكنتم امواتا) يعنى نطقا في اصلاب آبائكم (فاحياكم) يعنى في الارحام والدنيا (ثم يميتكم) اى عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) يعنى بعد الموت للبعث (ثم اليه ترجعون) اى تزدون في الآخرة فيجزىكم بما عملتم * قوله عز وجل (هو الذى خلق لكم ما في الارض جميعا) يعنى من المعادن والنبات والحيوان والجمال والبحار (والمعنى كيف تكفرون بالله وقد خلق لكم ما في الارض جميعا) انتفعوا به في مصالح الدين والدنيا (اما مصالح الدين فهو الاعتبار والتفكر في عجائب مخلوقات الله تعالى الدالة على وحدانيته واما مصالح الدنيا فهو الانتفاع بما خلق فيها (ثم استوى الى السماء) اى قصد واقبل على خلقه (وقيل عمد) وقال ابن عباس ارتفع وفي رواية عنه صعد (قال الازهرى معناه صعد امره وكذا ذكره صاحب المحكم) وذلك ان الله تعالى خلق الارض او لا ثم عمد الى

وخذاع الله والمؤمنين
اياهم مسألتهم واجراء
أحكام الاسلام عليهم بحقن
الدماء وحسن الاموال
وغير ذلك واذ خار العذاب
الاليم والمآل الوخيم وسوء
المقبة لهم وخزيمهم في الدنيا
لاقتضاهم باخباره تعالى
وبالوحى عن حالهم لكن
الفرق بين الخادعين ان
خذاعهم لا ينمخ الا في انفسهم
باعلاكمها ونحسيرها
وايراثها الوبال والنكال
بازدياد الظلمة والكفر
والفاق واجتماع اسباب
الهلكة والبعد والشقاء
عليها وخذاع الله يورث
فيهم البلى تأثير ويوقعهم
أشد اياق كقوله تعالى
ومكروا ومكر الله والله
خير الماكرين وهم من غاية
نعمة في جهلهم لا يحسون
بذلك الامر الظاهر
(في قلوبهم مرض) أى
شك ونفاق تنكير المرض
وايراد الجملة الظرفية اشارة
الى عروض المرض
واستقراره ورسوخه فيها
كما اشرنا اليه في التفسير
والاقتال قلوبهم مرضى
أو موتى (فزادهم الله
مرضاً) ولهم عذاب اليم
واذا قيل لهم لا تفسدون
في الارض قالوا انما نحن

خلق السماء (فان قلت كيف الجمع بين هذا وقوله تعالى والارض بعد ذلك دحيها) قلت الدحو
البسط فيحتمل ان الله تعالى خلق جرم الارض ولم يبسطها ثم خلق السماء وبسط جرم الارض
بعد ذلك (فان قلت هذا مشكل ايضا لان قوله تعالى خلق لكم ما فى الارض جميعا يقتضى ان ذلك
لا يكون الا بعد الدحو) قلت يحتمل انه ليس هنا ترتيب وانما هو على سبيل تعداد الم كقول
الرجل لمن يذكره ما انعم به عليه الم اعطاك الم ارفع قدرك الم ادفع عنك ولعل بعض هذه الم
متقدمة على بعض والله اعلم (فسو بين سبع سموات) خلقهن سبع سموات مستويات لاصدع
فيها ولا فطور وسيأتى ذكر خلق الارض عند قوله تعالى قل انكم لتكفرون بالذى خلق
الارض في يومين في سورة حم السجدة ان شاء الله تعالى (وهو بكل شئ عليم) يعنى يعلم الجبريات
كاعلم الكليات * قوله تعالى (واذ قال ربك) اى واذ كرىا بحمد اذ قال ربك وكل ما ورد في القرآن
من هذا التحوفا سبيله (وقيل اذ زائدة * والاول اوجه) للملائكة (جمع ملك واصله مألك
من المألكة والالوكة وهى لفظ البغوى وهى الرسالة و اراد بالملائكة الذين كانوا فى الارض
هو ذلك ان الله تعالى خلق الارض والسماء وخلق الملائكة والجن فاسكن الملائكة السماء واسكن
الجن الارض فبعدوا دهرها طويلا ثم ظهر فيهم الحسد والبغى فأفسدوا واقتتلوا فبعث الله اليهم
جندا من الملائكة يقال لهم الجن وراسهم ابليس وهم خزان الجنان فهبطوا الى الارض
وماردوا الجن الى جزائر البحور وشعوب الجبال وسكنوهم الارض وخفف الله عنهم العبادة
واعطى الله ابليس ملك الارض وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة وكان رئيسهم ومرشدهم
واكثرهم علما فكان يعبد الله تارة فى الارض وتارة فى السماء وتارة فى الجنة فدخله الشجب وقال
فى نفسه ما اعطانى الله هذا الملك الا لاني اكرم الملائكة عليه * فقال له ولجنده (انى جاءك فى الارض
خليفة) اى انى خالى خليفة يعنى بدلائمكم ورافعكم الى فكرهوا ذلك لانهم كانوا اهلون
الملائكة عبادة * والمراد بالخليفة هنا آدم عليه الصلاة والسلام لانه خلف الجن وجاء بعدهم (وقيل
لانه يخلفه غيره) والصحيح انه انما سمي خليفة لانه خليفة الله فى ارضه لاقامة حدوده وتنفيذ
قضاياه (قالوا انجعل فيهم من يفسد فيها) اى بالمعاصى (وبفسك الدماء) اى بغير حق كما فعل
الجن (فان قلت من اين عرفوا ذلك حتى قالوا هذا القول) قلت يحتمل ان يكونوا عرفوا ذلك
باخبار الله اياهم او قاسوا الشاهد على الغائب (وقيل انهم لما راوا ان آدم خلق من اخلاط مركبة
علوا انه يكون فيه الحقد والغضب ومنهما يتولد الفساد وسفك الدماء فلماذا قالوا ذلك) وقيل
لما خلق الله تعالى النار خافت الملائكة وقالوا لمن خلقت هذه النار قال لمن عصاني فلما قال انى جاعل
فى الارض خليفة قالوا هو ذلك (فان قلت الملائكة معصومون فكيف وقع منهم هذا الاعتراض
) قلت ذهب بعضهم الى انهم غير معصومين * واستدل على ذلك بوجوه . منها قوله تعالى انجعل فيها
من يفسد فيها . ومن ذهب الى عصمتهم أجاب عنه بأن هذا السؤال انما وقع على سبيل التحجب
لا على سبيل الانكار والاعتراض فانهم تعجبوا من كمال حكم الله تعالى واحاطة علمه بما خفى عليهم
ولهذا أجابهم بقوله انى أعلم ما لاتعلمون (وقيل ان العبد المخلص فى حب سببه يكره أن يكون له
عبد آخر يعصيه فكان سؤالهم على وجه المبالغة فى اعظام الله عز وجل) ونحن نسبح بحمدك
أنى نقول سبحان الله وبحمده وهى صلاة الخلق وعليها يزقون (م) عن أبى ذر ان رسول الله

مصلحون الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون (اي اخر حقا وحسدا وغلا باعلاء كلمة الدين ونصرة الرسول والمؤمنين والردائل كلها امراض القلوب لانها أسباب ضعفها وآنها في اضافها الخاصة وهلاكها في العاقبة وفرق بين العذابين بالالم للمنافقين والعظم للكافرين لان عذاب المطرودين في الازل اعظم فلا يجدون شدة آله لعدم صفاء ادراك قلوبهم كحال العضو الميت او المفلوج والخلد بالنسبة الى ما يجري عليه من القطع والكنى وغير ذلك من الآلام واما المناقون فليتوت استعدادهم في الاصل وبقاء ادراكهم يجهلون شدة الالم فلا جرم كان عذابهم مؤلما مسببا عن المرض العارض الزمن الذي هو الكذب ولو احقه * واذا نهوا عن الافساد في الارض اى في الجهة السليبة التي هي الفوس وما يتعالى بها من المصالح بتكدير الفوس وتجميع

صلى الله عليه وسلم سئل أى الكلام أفضل قال ما اصفى الله للملائكته أو لبيادهم سبحانه الله وبحمده (قال ابن عباس رضى الله عنهما كل ما جاء في القرآن من التسبيح فالمراد منه الصلاة فيكون المعنى ونحن نصلى لك) وقيل أصل التسبيح تزيه الله عما يليق بجلاله فيكون المعنى ونحن نزهك عن كل سوء ونقيصة ومعنى بحمدك حامدين لك أو متلبسين بحمدك فانه لولا انصامك علينا بالتوفيق لم نتمكن من ذلك (ونقدت لك) اصل التقديس التطهير أى بظهرك عن النقائص وكل سوء ونصفك بما يليق بجزلك وجلالك من العلو والعظمة واللام صلة (وقيل معناه نظهرنا أنفسنا لطاعتك وعبادتك) (قال اى أهل الملائكة) قيل انه جواب لقول الملائكة أن تجعل فيها قال تعالى أعلم من وجوه المصلحة والحكمة ما لا تعلمون (وقيل اعلم ان فيهم من يعبدنى ويطيعنى وهم الانبياء والاولياء والصالحون ومن يعصينى منكم وهو ابليس) (وقيل اعلم انهم يذنبون ويستغفرون فاغفر لهم

(فصل في ماهية الملائكة وقصة خلق آدم عليه السلام) قيل ان الملائكة أجسام لطيفة هوائية خلقت من النور تقدر أن تتشكل بأشكال مختلفة مسكنهم السموات من اى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم اى أرى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون ألت السماء وحق لها ان تغطى ما فيها موضع أربع اصابع الا وملك واضع جبهته لله ساجدا (أخرجه الترمذى زيادة وقال حديث حسن غريب * واما صفة خلق آدم عليه السلام فقال وهب بن منبه لما اراد الله تعالى ان يخلق آدم اوحى الى الارض اى خالق منك خليفة منهم من يطيعنى ومنهم من يعصينى فن أطاعنى أدخلته الجنة ومن عصانى أدخلته النار قالت الارض أتخلق منى خلقا يكون للنار قال نعم فبكت الارض فأنفجرت منها العيون الى يوم القيامة فبعث الله اليها جبريل ليأتيه بقبضة منها من اجرها واسودها وطيبها وخيئتها فلما اتاها ليقبض منها قالت اعوذ بعزة الله الذى ارسلك الى ان لا تأخذ منى شيا فرجع جبريل الى مكانه وقال يارب استعذت بك منى فكرهت ان أقدم عليها فقال الله تعالى ليكأيل انطلق فأتنى بقبضة منها فلما اتاها ليقبض منها قالت مثل ما قالت لجبريل فرجع الى ربه فقال ما قالت له فقال لعزرائيل انطلق فأتنى بقبضة من الارض فلما اتاها قالت له الارض اعوذ بعزة الله الذى ارسلك ان لا تأخذ منى شيا فقال وانا اعوذ بعزته ان اعصى له امر او قبض منها قبضة من جميع بقاعها من عذبها ومالها وحلها ومرها وطيبها وخيئتها وصعد بها الى السماء فسأله ربه عز وجل وهو اعلم بما صنع فأخبره بما قالت له الارض وبما ورد عليها فقال الله تعالى وعزنى وجلالى لا خلقن مما جثت به خلقا ولا سلطت على قبض ارواحهم لقلة رحمتك ثم جعل الله تلك القبضة نصفها في الجنة ونصفها في النار ثم تركها ما شاء الله ثم اخرجها فجعلها طينا لازبا مدة ثم جاء مسنونا مدة ثم صلصلا ثم جعلها جسدا ولاقاه على باب الجنة فكانت الملائكة يهبون من صفة صورته لانهم لم يكونوا راوا مثله وكان ابليس ير عليه ويقول لامر ما خلق هذا ونظر اليه فاذا هو اجوف فقال هذا خلق لا يتألم وقال يوما للملائكة ان فضل هذا عليكم ما تصنعون فقالوا نطع ربنا ولا نعصيه فقال ابليس فى نفسه لئن فضل على لا عصيته ولئن فضلت عليه لا هلكته فلما اراد الله تعالى ان ينفخ فيه الروح امرها ان تدخل فى جسد آدم فظرت فرات مدخلا ضيقا فقالت يارب كيف أدخل هذا الجسد قال الله عز وجل لها ادخليه كرها

وسخر جين منه كرها فدخلت في يافوخه فوصلت الى عينيه فجعل ينظر الى سائر جسده طينا فسارت الى ان وصلت مغزيه فعضت فلما بلغت لسانه قال الحمد لله رب العالمين وهى اول كلمة قالها فناداه الله تعالى رحك ربك يا ابا محمد ولهذا خلقتك ولما بلغت الروح الى الركبتين همّ يقوم فلم يقدر قال الله تعالى خلق الانسان من عجل فلما بلغت الى الساقين والقدمين استوى قائما بشرا سويا لحما ودماء وعظاما وعروقا وعصبا واحشاء (وكسى لباسا من ظفر يزداد جسده جالا وحسنا كل يوم) وجعل في جسده تسعة ابواب سبعة في رأسه وهى الاذان يسمع بهما والعينان يبصر بهما والمخران يشم بهما والقم فيه اللسان يتكلم به والاسنان يطحن بها ما يأكله ويمجد لذة المطعومات بها وبابين في اسفل جسده وهما القبل والوبر يخرج منهما نفل طعاما وشرا به (وجعل عقله في دماغه وفكره وصرامته في قلبه وشهره في كليته وغضبه في كبده ورغبته في رثته وضحكه في طحالته وفرحه وحزنه في وجهه فسبحان من جعله يسمع بعظم ويبصر بشحم وينطق بلحم ويعرف بدم وركب فيه الشهوة وحجزة بالحياء (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال خلق الله تعالى آدم عليه السلام وطوله ستون ذراعا ثم قال اذهب فسلم على اولئك نفر من الملائكة فاستمع ما يحببوك به فانها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم قال فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن (م) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صور الله آدم تركه ماشاء الله أن يتركه فجعل ابليس يطوف به ينظر ماهو فلما رآه أجوف عرف انه لا يخالط * عن ابى موسى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم يقول ان الله تبارك وتعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك والسهل والحزن والحيث والطيب (أخرجهم الترمذي وابوداود عنه قوله عز وجل (وعلم آدم الاسماء كلها) سمى آدم لانه خلق من اديم الارض (وقيل لانه كان آدم اللون * وكنيته أبو محمد وقيل ابو البشر) ولما خلق الله آدم وتم خلقه علمه اسماء الاشياء كلها وذلك ان الملائكة قالوا لخلق ربنا ماشاء فلن يخلق خلقا أكرم عليه منا وان كان قمقم أعلم منه لانا خلقنا قبله ورأينا ما لم يره فظهر الله فضل آدم عليهم بالعلم * وفيه دليل لمذهب اهل السنة ان الانبياء افضل من الملائكة وان كانوا رسلا (قال ابن عباس علمه اسم كل شئ حتى القصعة والقصعة (وقيل خلق الله كل شئ من الحيوان والجماد وغير ذلك وعلم آدم اسماءها كلها فقال يا آدم هذا بعير وهذا فرس وهذه شاة حتى أتى على آخرها (وقيل علم آدم اسماء الملائكة (وقيل اسماء ذريته (وقيل علمه اللغات كلها) (ثم عرضهم) (بمعنى تلك الاشخاص (وانما قال عرضهم ولم يقل عرضها لان السميات اذا جعت من يعقل ومن لا يعقل عبر عنه بلفظ من يعقل لتغليب العقلاء عليهم كما يعبر عن الذكور والاناث بلفظ الذكور (على الملائكة فقال) (بمعنى تفضيلهم) (ابن أبي) (أى اخبروني) (باسماء هؤلاء) (بمعنى تلك الاشخاص) (ان كنتم صادقين) (أى انى لم اخلق خلقا الا كنتم افضل منه واعلم) (قالوا) (بمعنى الملائكة) (سبحانك) (تزيهاتك وذلك لما ظهر مجزهم (لا علم لنا الا ما علمتنا) (أى انك اجل من ان نخطئ بشئ من علمك الاما علمتنا) (انك أنت العليم) (أى بخلقك وهو من اسماء الصفات التامة وهو المحيط بكل المعلومات) (الحكيم) (أى فى امرك وله معيان) (أحدهما انه القاضى العدل) (والداني المحكم الامر كيلا يتلحق اليه الفساد

الفتن والحروب والمداوة والبغضاء بين الناس أنكروا وابتغوا في آيات الاصلاح لانفسهم اذ يرون الصلاح في تحصيل المعش وتيسير أسبابه وتنظيم أمور الدنيا لانفسهم خاصة لتوغلهم في محبة الدنيا وانما هم في الذات البدنية واحتجابهم بالمنافع الجزئية والملاذ الحسية عن المصالح العامة الكلية والاذات العقلية وبذلك يتيسر مرادهم ويتسهل مطلوبهم وهم لا يحسبون بافسادهم المدرك بالحس * واذا دعوا الى الايمان الحقى كما يمان فقراء المسلمين والصعاليك المجتردين سفه وهم لمكان تركهم لحطام الدنيا واعراضهم عن دنائها ولداتها وطياتها زهدهم الحقيقى اذ قصارى همومهم وقصوى مقاصد تقولهم الاسيرة فى قيد الهوى المشوبة بالوهم المؤدية لهم الى الردى هى تلك الاذات يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم من الآخرة هم غافلون ولا تعاون ان غاية السفه هو اختيار الفانى الاخس

على الباقي الاشراف وافرقت بين الفاصلتين بالشعور والعلم لان تأثير خداعهم في أنفسهم وفسادهم في الارض أمر بين كالحسوس وأما ترجيح نعيم الآخرة على نعيم الدنيا المستلزم للفرق بين السفه والحكمة فأمر استدلالى عقلى صرف (واذ القوا الذين آمنوا) حكاية لفاتهم اللازم لحصول استعدادين فيهم القطرى النورى الضعيف المغلوب القريب من الانطفاء الذى ناسبوا به المؤمنين والكسبي الظلماني القوى الغالب الذى تألفوا به الكفار اذ لو لم يكن فيهم أدنى نور لم يقدروا على مخالطة المؤمنين ومصاحبهم أصلا كخيرهم من الكفار للتأني الضرورى بين النور والظلمة من جميع الوجوه والشيطان فيعال من الشطون الذى هو البعد وشياطينهم التعمقون في البهوه المطرودون ورؤساؤهم البالقون في النفاق واستهزاؤهم بالمؤمنين هل على ضعف جهة الحور وقوة جهة الظلمة فهم اذ المستخف بالثنى

(قال) يعنى الله تعالى (يا آدم انبئهم باسمائهم) وذلك لما ظهر هجر الملائكة فسمى كل شئ باسمه وذكر وجه الحكمة التى خلق لها (فلما أنبأهم باسمائهم قال) يعنى الله تعالى (الم اقل لكم) يعنى ياملائكتى (انى اعلم غيب السموات والارض) يعنى ما كان وما سيكون وذلك انه سبحانه وتعالى علم احوال آدم قبل ان يخلقه فلهذا قال لهم انى اعلم ما لاتعلمون (واعلم ما تبدون) يعنى قول الملائكة انجعل فيها (وما كنتم تكتمون) يعنى قولكم ان يخاف الله تعالى خلقا اكرم عليه منا (وقال ابن عباس اعلم ما تبدون من الطاعة وما كنتم تكتمون يعنى ابليس من المعصية* قوله عز وجل (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) قيل هذا الخطاب كان مع الملائكة الذين كانوا ساكن الارض (والاصح انه خطاب مع جميع الملائكة بدليل قوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس (فمجدوا) يعنى الملائكة (وفى هذا المجد قولان* احدهما انه كان لآدم على الحقيقة ولم يكن فيه وضع الجبهة على الارض وانما هو الانحناء وكان سجود تحية وتعظيم لاسجد عبادة كسجود اخوة يوسف له في قوله وخروا له سجدا فلما جاء الاسلام ابطال ذلك بالسلام وفى سجود الملائكة لآدم معنى الطاعة لله تعالى والامثال لامره (والقول الثانى ان آدم كان كاقبله وكان السجود لله تعالى كما جعلت الكعبة قبلة للصلاة والصلاة لله تعالى (وفى هذه الآية دليل لمذهب أهل السنة فى تفضيل الانبياء على الملائكة (الا بليس) سمي به لانه ابليس من رحمة الله أى يش وكان اسمه عزازيل بالسريانية وبالعبرية الحارث فلما عصى غير اسمه فسمى ابليس وغيثت صورته (قال ابن عباس كان ابليس من الملائكة بدليل انه استثناه منهم) وقيل انه من الجن لانه خلق من النار والملائكة خلقوا من النور ولانه أصل الجن كان آدم أصل الانس* والاول أصح لان الخطاب كان مع الملائكة فهو داخل فيهم ثم استثناه منهم (ابى) أى امتنع من السجود فلم يسجد (واستكبر) أى تكبر وتعظم عن السجود لآدم (وكان من الكافرين) أى فى علم الله تعالى فانه وجبت له النار لسابق علم الله تعالى بشقاوته (م) من أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول ياويله وفى رواية ياويلك أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فنصبت فى النار* قوله عز وجل (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) أى اتخذها مأوى ومزلا* وليس معناه الاستقرار لانه لم يقل أسكنك الجنة لانه خلق لعمارة الارض* ولما اسكن الله آدم فى الجنة بقى وحده ليس معه من يستأنس به ويحاله فألقى الله عليه النوم ثم أخذ ضلعا من أضلاع جنبه الايسر وهو الانصر فخلق منه زوجته حواء وضع مكان الضلع لحما من غير أن يحس بذلك آدم ولم يجد ألما ولو وجد ألم لما عطف رجل على امرأة قط (وسميت حواء لانه خلقها من عصى) فلما استيقظ آدم من نومه ورأها جالسة كاحسن ما خلق الله تعالى فقال لها من أنت قالت أنا زوجتك حواء قال ولما داخلقت قالت اسكن الى وأسكن اليك (واختلفوا فى الجنة التى أمر آدم بسكنائها فقيل انها جنة كانت فى الارض بدليل انه لو كانت الجنة التى هى دار الجزاء والثواب لما أخرج منها) (وأجاب صاحب هذا القول عن قوله تعالى ابطا بأن اراد من الهبوط التحول والانتقال فهو كقوله تعالى اهبطوا مصرا (والقول الصحيح انها الجنة التى هى دار الجزاء والثواب لان الالف واللام للعهد والجنة بين المسلمين وفى عرفهم التى هى دار الجزاء والثواب (وقيل كلا القولين

هو الذي يجد ذلك الشيء
في نفسه خفيفا قليل الوزن
والقدر فهم يستخفون
التورانيين خلفه النور
عندهم اذ بالنور يعرف
قدر النور ورجحان الظلة
فيهم اووا الى الكفسار
والقوهم (الله يستهزي
بهم) اي يستخفهم لان
الجهة التي هم بها ناسبوا
الحضرة الالهية فيهم خفيفة
ضعيفة بقدر ما فيهم فهم
الجهة الالهية ثبوا عند
انفسهم كما ان المؤمنين
بقدر ما فيهم اي فيهم
الفسانية وجد واعند الله
شأن بين المرتبتين (ويعدهم)
في ظلماتهم البهيمية والسبعية
التي هي الصفات الشيطانية
والفسانية بثينة موادها
واسبابها التي هي مشرباتهم
ومستلذاتهم واموالهم
ومعاشهم من الدنيا التي
اخترارواها بهواهم في حالة
كونهم متخبرين (في طغيانهم
يعمهم) والعصه على
القلب وطيغسانهم التعدي
عن حدهم الذي كان
ينبغي ان يكونوا عليه
وذلك الحد هو الصدر
اي وجه القلب الذي يلي
الفس كان القواد وجهه
الذي يلي الروح فانه
متوسط بينهما ذو وجهين

يمكن فلا وجه لقطع (وكلا منها رغدا) أي واسعا كثيرا (حيث شئتما) أي كيف شئتما ومتى
شئتما وأين شئتما والمقصود منه الاطلاق في الاكل من الجنة بلامنع الا ما نهى عنه وهو
قوله تعالى (ولا تقربا هذه الشجرة) يعني الاكل (قيل انما وقع هذا الهوى عن جنس الشجرة
(وقيل عن شجرة مخصوصة) قال ابن عباس هي السبلة (وقيل الكومة) (وقيل هي شجرة التين
(وقيل عن شجرة العلم) (وقيل الكافور) (وقيل ليس في ظاهر الكلام ما يدل على التبين اذ لا حاجة
اليه لانه ليس المقصود تعرف عين تلك الشجرة وما لا يكون مقصودا لا يجب بسانه
(فتكونا من الظالمين) يعني ان اكلتما من هذه الشجرة ظلمنا أنفسكما (فن جواز ارتكاب الذنوب
على الانبياء قال نظم نفسه بالعصية (وأصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه) (ومن لم يجوز ذلك
على الانبياء حل الظلم على انه فعل ما كان الاولى أن لا يفعله (وقيل يحمل على انه فعل هذا قبل
النبوّة (فان قلت هل يجوز وصف الانبياء بالظلم او بظلم أنفسهم) قلت لا يجوز أن يطلق عليهم ذلك
لما فيه من الذم قوله عز وجل (فازلهم الشيطان) أي اسزل آدم وحواء ودعاهما الى الزلة
وهي الخطيئة وسيأتي الكلام ان شاء الله تعالى على عصية الانبياء والجواب عما صدر منهم عند
قوله عز وجل وعصى آدم ربه فغوى في سورة طه (عها) أي الجنة (فاخرجهما مما كانا فيه)
يعني من النعم (وذلك ان ابليس أراد أن يدخل الجنة ليوسوس لآدم وحواء فنهى الخزنة
فأتى الحية وكانت صديقة لابليس وكانت من أحد الدواب لها أربع قوائم كقوائم البعير
وكانت من خزان الجنة فسألها أن تدخله الجنة في فيها فدخلته ومررت به على الخزنة وهم
لا يعلمون (وقيل انما رآهما على باب الجنة لانهما كانا يخرجان منها وكان ابليس يقرب الباب
فوسوس لهما وذلك ان آدم لم يدخل الجنة ورأى ما فيها من النعم قال لو أن خلدا فاغتم ذلك
الشيطان منه وأتاه من قبل الخلد (وقيل لما دخل الجنة وقف على آدم وحواء وهما لا يعلمان أنه
ابليس فبكى وناح نائحة أحزنتهما وهو أول من ناح فقالا ما بك قال أبكي عليكما لانكما
تموتان فتفارقان ما أتتا فيه من النعمة فوقع ذلك في أنفسهما وأخذا وعصى ابليس ثم أتاهما بعد
ذلك وقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد فأبى أن يقبل منه فقاسمهما بالله اني لكم لمن الناحين
فاغترآ وماظنا أن احدا يحلف بالله كاذبا فبادرت حواء الى أكل الشجرة ثم ناولت آدم فأكل
منها) قال ابراهيم بن آدم أورثنا تلك الاكلة حزنا طويلا (قال ابن عباس قال الله تعالى يا آدم
ألم يكن فيما أحتك من الجنة مندوحة عن الشجرة قال بلى يارب وعزتك ولكن ما ظننت أن أحدا
يحلف بك كاذبا قال فبعتني لاهبطك الى الارض ثم لانتال العيش فيها لانكدا فاهبط من الجنة
وعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وزرع وسقى حتى اذا بلغ واشتد حصده ثم دوسه ثم
ذراه ثم طمسه ثم عجنه وخبزه ثم أكله فلم يلبثه حتى بلغ منه الجهد (وفي رواية أخرى عن ابن عباس
أن آدم لما أكل من الشجرة التي نهى عنها قال الله تعالى يا آدم ما حلك على ما صنعت قال يارب
زيتني حواء قال فأتى اعقبتهما ان لا تحمل الاكراه ولا تضع الاكراه ودهنتها في النهر
مرتين فرنت حواء عند ذلك فقبل هلك الرنة وعلى بنتك (والرنة الصوت) فلما اكلا
من الشجرة نهقت عنهما ثيابهما وبدت سواتهما واخرجا من الجنة فذلك قوله عز وجل
(وقلنا اهبطوا) أي اتزلوا الى الارض يعني آدم وحواء وابليس والحية فهبط آدم
بسرنديب من ارض الهند على جبل يقال له نود واهبط حواء بجدة والابليس بالابلة

من أعمال البصرة والحبة باصبيان (بعضكم لبعض عدو) بمعنى العدواة التي بين المؤمنين من ذرية آدم وبين إبليس وإليه الإشارة بقوله عز وجل ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا والعدواة التي بين ذرية آدم والحبة (عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك الحيات مخافة طلبن فليس منا ما سلمنا من منذ حاربناهن) أخرجه أبو داود (وله من ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقتلوا الحيات كلهن فمن خاف من ثارهن فليس مني وفي رواية اقتلوا الكبار كلها الا الجان الابيض الذي كانه قضيب فضة (م) عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بالمدينة جنا قد أسلوا فاذا رأيتم منهم شيئا فاذنوه ثلاثة أيام فان بدالك بعد ذلك فانتلوه فانما هو شيطان) وفي رواية ان بهذه البيوت عوامر فاذا رأيتم منها شيئا فخرجوا عليه ثلاثا فان ذهب والا فانتلوه فانه كافر (ولكم في الارض مستقر) أي موضع قرار (ومتاع) أي بلغة ومستمتع (الى حين) الى وقت انقضاء آجالكم * قوله عز وجل (فتلقى آدم) أي فتلقن والتقى هو قبول عن فطنة وفهم (وقيل هو التعلم (من ربه كانت) أي كانت سبب توبته) وقيل ان تلك الكلمات هي قوله ربنا ظننا أنفسنا الآية (وقيل هي لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب علمت سوء وظلمت نفسي فب على انك انت التواب الرحيم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب علمت سوء وظلمت نفسي فاغفر لي انك انت الغفور الرحيم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب علمت سوء وظلمت نفسي فارحمني انك انت ارحم الراحمين) (وقيل قال آدم يلرب أرايت ما أتيت أشيئ ابتدعته من تلقاء نفسي أم شيء قدرته على قبل أن تخلفني قال بل شيء قدرته عليك قبل أن أخلقك قال يارب فكما قدرته على فاغفر لي وقيل ان الله تعالى أمر آدم بالحج وعلمه أركانه فطاف بالبيت سبعا وهو يومئذ ربوة جراء ثم صلى ركعتين ثم استقبل البيت وقال اللهم انك تعلم سرى وعلايتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي فاعطني الله تعالى اليه يا آدم قد غفرت لك ذنوبك (وقيل ان آدم لما أهبط الى الارض مكث ثلثائة سنة لا يرفع رأسه الى السماء جاء من الله تعالى (وقيل هي ثلاثة أشياء الحياء والدماء والبكاء (قال ابن عباس بكى آدم وحواء على ما فانهما من نعيم الجنة مائة سنة ولم يبا كلاً ولم يشربا أربعين يوما (وقيل لو أن دموع أهل الارض جعت لكنت دموع داود أكثر منها حيث أصاب الخبيثة ولو أن دموع أهل الارض جعت لكنت دموع آدم أكثر حيث أخرجه الله من الجنة (فتاب عليه) أي قبحاوزه عنه وغفر له (واصل التوبة من تاب يتوب اذا رجع فكان التائب رجع عن ذلك الذنب الذي كان عليه (ولا يتحقق التوبة منه الا بثلاثة أمور علم وحال وعمل (أما العلم فهو أن يعلم العبد ضرر الذنب وانه حجاب عن الله تعالى فاذا حصل هذا العلم تألم القلب فعند ذلك يحصل الندم وهو الحال فيترك العبد الذنب ويعزم في المستقبل أن لا يعود اليه وهو العمل فاذا تحققت هذه الثلاثة الامور حلت التوبة وسيأتي بسط هذا عند قوله تعالى توبوا الى الله توبة نصوحا في سورة التهميم ان شاء الله تعالى (انه هو التواب) أي الرجوع على عباده بقبول التوبة (والتوات في وصف الله سبحانه وتعالى المبالغ في قبول توبة عباده (الرحيم) أي بخلقه (وصف سبحانه وتعالى نفسه مع كونه توابا بانه رحيم

اليهما والوقوف على ذلك الحد هو التعبدا وامر الله تعالى ونوايه مع التوجه اليه طلبا للتوارة ليستتر ذلك الوجه فتتور به النفس كما ان الوقوف على الحد الآخر هو تلقى المعارف والعلوم والحقائق والحكم والشرائع الالهية لمقتضى بها الصدر فتزبن به النفس فالطغيان هو الانهماك في الصفات النفسانية البهيمية والسبعية والشيطانية واستيلاؤها على القلب ليدود ويعمى فتتكدر الروح (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) أي اظلمة والاحتجاب عن طريق الحق الذي هو الدين او عن الحق فان الضلالة تقسم بازاء الهداية بالدور الاستعدادي الاصيلي (فاربحتم تجارتهم وما كانوا مهتدين) اذ كان رأس مالهم من عالم النور والبقاء ليكتسبوا ما يجانبه من النور الفيضي فالكسالى بالعلوم والاعمال والحكم والمعارف والاخلاق والملكات لقاضلة فيصبرون اغنياء في الحقيقة مسخزين للقرب في الكرامة والتعظيم والوجهة عند الله فاربحوا

بكسبها * وضاعت الهدية
 الاصلية التي كانت بضاعتهم
 ورأس مالهم بازالة
 استعدادهم وتكديروا قلوبهم
 بالربن الموجب للعجباب
 والحرمان الابدى ففسدوا
 بالخسران السرمدي
 احاذنا الله من ذلك (مثالهم
 كمثل الذي استوقد ناراً
 فلما اضأت ماحوله)
 اى صفتهم في القساق
 كصفة المستوقد للاضائة
 الذى اذا اضأت ماحوله
 من الاشياء القريبة منه خدت
 ناره وبقي متغيراً لان نور
 استعدادهم بمنزلة النار
 الموقدة واضاءت ماحولهم
 هي اشد اؤهم الى مصالح
 معاشهم القريبة منهم
 دون مصالح العباد البعيدة
 بالنسبة اليهم ومهم المؤمنين
 وموافقهم في الظاهر
 وخودها سرياً انظاف
 نورهم الاستعدادى
 وسرعة زوال مآثمها
 من دنياهم ووشك
 انقضائهم (ذهب الله
 بنورهم وتركهم
 في ظلمات) الاستعدادى
 بامدادهم في الظلمات *
 وخلاهم بمحبوبين
 عن التوفيق في ظلمات صفات
 النفس (لا يبصرون) بفساد
 القلب وجه الخرج ولا

(قلنا اهبطوا منها جميعاً) يعنى هؤلاء الاربعة (وقيل ان الهبوط الاول من الجنة الى سماء الدنيا
 والهبوط الثاني من السماء الدنيا الى الارض) وفيه ضعف لانه قال في الهبوط الاول ولكم في الارض
 مستقر فدل على انه كان من الجنة الى الارض (والاصح انه لتأكيده) (فاما ياتينكم منى هدى) فيه
 تنبيه على عظم نعم الله على آدم وحواء كانه قال وان اهبطتكم من الجنة الى الارض فقد انعمت
 عليكم بهدايتي التي تؤدبكم الى الجنة مرة اخرى على الدوام الذى لا يقطع (وقيل المحاط بهم ذرية
 آدم يعنى باذرية آدم اما ياتينكم منى رشد وبيان وشريعة وقيل كتاب ورسول) (فمن تبع هداى
 فلا خوف عليهم) يعنى فيما يستقبلهم (ولاهم يحزنون) اى على ما خلفوا وقيل لا خوف عليهم
 ولا هم يحزنون في الآخرة (والذين كفروا) اى جدوا (وكذبوا بايانا) اى بالقرآن (اولئك
 اصحاب النار) اى يوم القيامة (هم فيها خالدون) اى لا يخرجون منها ولا يموتون فيها * قوله
 عز وجل (يا بنى اسرائيل) اتفق المفسرون على ان اسرائيل هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم
 صلى الله عليهم وسلم اجمعين ومعنى اسرائيل عبد الله وقيل صفوة الله والمعنى يا اولاد يعقوب
 (اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم) اى اشكروا نعمتي وانما عبرته بالذكر لان من ذكر النعمة
 فقد شكرها ومن جدها فقد كثرها وقيل الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان * ووحدة النعمة
 لانها النعمة المقعولة على جهة الاحسان الى الغير ومعناه ان المضرة المحضة لا تكون نعمة ولو فعل
 الانسان منعمة وقصد نفسه بها لا تسمى نعمة اذا لم يقصد بها الغير * ثم انتم ثلاثة * نعمة نعمة الله
 تعالى وهي ايجاد الانسان ورزقه * ونعمة وصلت الى الانسان بواسطة الغير لكن الله مكنه من ذلك
 فالتم بها في الحقيقة هو الله تعالى * ونعمة حصلت للانسان بسبب الطاعة وهي ايضا من الله تعالى
 فالله هو المنعم المطلق في الحقيقة لان اصول التمام كلها منه واما التمام المختصة ببنى اسرائيل فكثيرة
 لان قوله اذكروا نعمتي لفظها واحد واماها الجمع فمن الم ان الله تعالى انعمهم من فرعون
 ونفق البحر لهم واغرق فرعون وتطليهم باخماس وازال المن والسلوى في التيه عليهم وازال
 التوراة ونم غير هذه كثيرة (فان قلت اذا فسرمت النعمة بهذا فما كانت على المحاطين بها بل كانت
 على آياتهم فكيف تكون نعمة عليهم حتى يذكروها) قلت انما ذكر المحاطين بها لان فخر الآباء
 فخر الابناء ولان الابناء اذا بقوا ان الله قد انعم على آياتهم بهذه الم فقد وجب عليهم ذكرها
 وشكرها (وقيل ان هذه النعمة هي ادراك المحاطين بها زمن محمد صلى الله عليه وسلم وذكرها الايمان به
 (واوفوا بهدى) اى امتثلوا امرى (اوف بهدكم) اى بالقبول والثواب * واصل العهد
 حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال ومنه معنى الموثق الذى تلزم مراعاته عهداً * وقيل اراد
 بالعهد جميع ما امر الله به من غير تخصيص بعض التكليف دون بعض * وقيل اراد به ما ذكر
 في سورة المائدة وهو قوله وقد اخذنا ميثاق بنى اسرائيل وبضنا منهم اني نشر نفيها الى قوله
 لا تكفرون عنكم سيئاتكم فهذا قوله اوف بعدكم * وقيل هو قوله واذا اخذنا ميثاقكم ورفضنا
 فوقكم المطور خذوا ما آتيناكم بقوة يعنى شريعة التوراة * وقيل هو قوله واذا اخذنا ميثاق
 بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله * وقيل اراد بهذا العهد ما ثبته في كتب الانبياء المتقدمة من وصف
 محمد صلى الله عليه وسلم وانه مبعوث في آخر الزمان * وذلك ان العهد الى بنى اسرائيل على لسان
 موسى عليه الصلاة والسلام اتى باحث من بنى اسمعيل نبياً امياً فمن تبعه وصديق التوراة الذى ياتى به

ما يفهمهم من المعارف كن
تنطق ناره وهو في تيه بين
اشغال واسباب (صم بكم
عمى) بالحقيقة لاجتباب
قلوبهم عن نور العقل الذي
به تسمع الحق وتنطق به
وتراه وفي الظاهر لعدم
فوايدها لانسداد الطرق
من تلك المشاعر الى القلب
لمكان الجباب فلم يصل اليها
نور القلب ليعتظوا بفوايدها
ولم ترد مدركاتنا على القلب
ليفهموا ويعتبروا (فهم
لا يرجعون او كصيب
من السماء فيه ظلمات ورعد
وبرق) الى الله لوجود
السدن المضروبين
على قلوبهم المذكورين
في قوله وجعلنا من بين
ايديهم سدا ومن خلفهم
سدا وقائدة التشبيه تصوير
العقول بصورة المحسوس
ليجتل في نفوس العامة *
تم شبههم ثانيا بقوم اصابهم
مطرفه ظلمات ورعد وبرق
فالطمر هو نزول الوحى
الالهي ووصول امداد
الرحمة اليهم ببركة صحبة
المؤمنين وبتيه استعدادهم
بما يفسد قلوبهم
ادنى لين وحصول الم
الظاهرة لهم بموافقتهم
في الظاهر * والظلمات
هي الصفات النفسانية

غفرت له ذنبه وادخلته الجنة وجعلته اجري نين وهو قوله واذا اخذ الله ميثاق الذين اتوا
الكتاب ليثبتن له اسما يعني امر محمد صلى الله عليه وسلم وصفته (واياي فارهبون) اى فحافون
في نقضكم العهد (وآمنوا بما انزلت) يعنى بالقرآن (مصدقاً لما معكم) يعنى ان القرآن موافق
لما في التوراة من التوحيد والنبوة والاخبار ونعت النبي صلى الله عليه وسلم فالايان بمحمد صلى الله
عليه وسلم والقرآن تصديق للتوراة لان التوراة فيها الاشارة الى نعت النبي صلى الله عليه وسلم وانه
نبي مبعوث فمن آمن به فقد آمن بما في التوراة ومن كذبه وكفر به فقد كذب التوراة وكفر بها (ولا تكونوا
اول كافرين) الخطاب لليهود نزلت في كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود والمعنى ولا تكونوا
يامعشر اليهود اول من كفر به (فان قلت كيف جعلوا اول من كفر به وقد سبقهم الى الكفر به
مشركوا العرب من اهل مكة وغيرهم (قلت هذا تعريف لهم والمعنى كان يجب ان تكونوا اول
من آمن به لانكم تعرفون صفته ونعته بخلاف غيركم وكنتم تستفخون به على الكفار فلما بحت
كان امر اليهود بالعكس (وقيل معناه ولا تكونوا اول كافرين من اليهود فيتبعكم غيركم على ذلك
فتبوءوا باعكم واثم غيركم ممن تبعكم على ذلك (ولا تشترؤا) اى ولا تستبدلوا (بآياتي) اى
بيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم التي في التوراة (ثمنا قليلا) اى عوضا يسيرا من الدنيا
بالنسبة الى الآخرة كالشيء اليسير الحقير الذي لا قيمته والذي كانوا ياخذونه من الدنيا كالشيء
اليسير بالنسبة الى جميعها فهو قليل القليل فلذا قال الله تعالى ولا تشترؤا بآياتي ثمنا قليلا وذلك
ان كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود وعلماءهم كانوا يصيرون المآكل من سفلتهم وجهالهم وكانوا
ياخذون منهم في كل سنة شيئا معلوما من زرعهم ثمناهم ونقودهم وضروهم لحافوا ان يبنوا
صفة محمد صلى الله عليه وسلم وتابعوه ان تفوتهم تلك المآكل فقبروا نعمة وكتفوا اسمه واخبروا
الدنيا على الآخرة واصروا على الكفر (واياي فاتقون) اى فخذفون في امر محمد صلى الله
عليه وسلم والتقوى تربيب من معنى الرهبة والفرق بينهما ان الرهبة خوف مع حزن واضطراب
والنقوى جعل النفس في وقاية مما تخاف * قوله عز وجل (ولا تلبسوا الحق بالباطل) اى
ولا تكتسبوا في التوراة ما ليس فيها فيخلط الحق بالباطل الذي كنتم (وقيل معناه ولا تخلطوا
الحق الذي انزل عليكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة بالباطل الذي تكتبونه بايديكم
من تغير صفته (وقيل لا تخلطوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم التي هي الحق بالباطل اى بصفة
الدجال * وذلك انه لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حسده اليهود وقالوا ليس هو الذي
ننظره وانما هو المسيح بن داود يعنى الدجال وكذبوا فيما قالوا (وتكتموا الحق وانتم تعلمون)
يعنى ان محمدا صلى الله عليه وسلم نبي مرسل * وفيه تنبيه لسائر الخلق وتحذير من مثله فصار
هذا الخطاب وان كان خاصا في الصورة لكنه عام في المعنى فعلى كل احد ان لا يلبس الحق بالباطل
ولا يكتسب الحق لما فيه من الضرر والفساد وفيه دلالة ايضا على ان العالم بالحق يجب عليه اظهاره
ويحرم عليه كتمه (واقموا الصلاة) يعنى الصلوات الخمس بمواقيتها وحدودها وجبجج اركانها
(واتوا الزكاة) اى ادوا الزكاة المفروضة عليكم في اموالكم (واركعوا مع الراكعين) اى
صاوا مع المصلين يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه وعبر عن الصلاة بالركوع لانه ركن
من اركانها وهذا خطاب لليهود لان صلاتهم ليس فيها ركوع فكانه قال لهم صلوا صلاة

والشكوك الخيالية والوهية
والوساوس الشيطانية
مما تحيرهم وتوحشهم *
والرعد هو التهديد الآلهي
والوعيد القهري الوارد
في القرآن والآيات
والآثار السموعة
والمشاهدة بالخوارق
فيفيد أدنى انكسار
لقلوبهم الطاغية وانهمزام
لفوسهم الآبية * والبرق
هو اللوامع النورية
والتنبيهات الروحية عد
سماع الوعد وتذكير الآلاء
والعما بما يلزمهم ويرجى
فيفيدهم أدنى شوق وميل
الى الاجابة ومعنى
(يحملون أصابعهم في
آذانهم من الصواعق
حذر الموت والله محيط
بالكافرن) يتشاورون
عن الفهم باللهي والملاص
عن سماع آيات الوعيد
ولكى لا ينجع فيهم فيقطعهم
عن الذات الطبيعية بهم
الآخرة اد الانقطاع عن
الذات الحسية هو موتهم
والله قادر عليهم قاطع
اياهم عن تلك الذات
المألوفة بالموت الطبيعي
قدرة المحيط بالشيء الذي
لا يفوته منه فلا فائدة
لحذرهم (يكاد البرق
أى الالام الورى) (بخلاف

ذات ركوع فلماذا المعنى اعاده بعد قوله وافموا الصلاة لان الاول خطاب الكافة والثاني خطاب
قوم مخصوصين وهم اليهود * وفيه حث على اقامة الصلاة في الجماعة فكأنه قال صلوا مع المصلين
في الجماعة * قوله عز وجل (اتأمرون الناس بالبر) الاستفهام فيه لا تقرير مع التقريع والتعجب
من حالهم (والبر اسم جامع لجميع اعمال الخير والطاعات) تزلت هذه الآية في علماء اليهود وذلك ان
الرجل منهم كان يقول لقريبه وحليفه من المسلمين اذا ساله عن امر محمد صلى الله عليه وسلم اثبت
على دينه فان امره حق وقوله صدق (وقيل ان جماعة من اليهود قالوا للمشركي العرب ان رسولاً
سيظهر منكم ويدعوكم الى الحق وكانوا يرغبونهم في اتباعه فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم
حسدوه وكفروا به فبكتهم الله ووبخهم بذلك حيث انهم كانوا يأمرون الناس باتباعه قبل
ظهوره فلما ظهر تركوه وامرؤوا عنه) (وقيل كانوا يأمرون الناس بالطاعة والصلاة والزكاة
وانواع البر ولا يفعلونه فوبخهم الله بذلك) (وتنسون انفسكم) اي وتعدلون عما لها فيه نفع
* والنسيان عبارة عن السهو والحادث بعد حصول العلم (والمعنى انتم تكونون انفسكم ولا تدعون محمداً
صلى الله عليه وسلم) (وانتم تلون الكتاب) يعني تقرأون التوراة وتدرسونها وفيها نعت محمد صلى الله
عليه وسلم وفيها ايضا الحث على الافعال الحسنة والاعراض عن الافعال القبيحة والاثم (افلا تعقلون)
يعنى انه حق فتبصروا * والعقل قوة تهي قبول العلم ويقال للعلم الذي يستفيده الانسان بتلك
القوة عقل ومنه قول علي ابن ابي طالب

وان العقل عقلان * فلبوع ومسموع * ولا يقع مطبوع

اذا لم يك مسموع * كما لا تنفع الشمس * وضوء العين * وع

* واصل العقل الالهي لانه مأخوذ من عقل الدابة كعقل البعير بالعقل ليمه من الشرود وكذلك
العقل يمنع صاحبه من الكفر والجحود والافعال القبيحة * ومعنى الآية ان المقصود من الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر هو ارشاد الغير الى تحصيل الصلحة وتحذيره عما يوقعه في المفسدة
والاحسان الى النفس اولى من الاحسان الى الغير وذلك لان الانسان اذا وعظ غيره ولم يتعظ هو مكانه
اى يفعل متناقض لا يقبله العقل فلماذا قال افلا تعقلون (وقيل ان من وعظ الناس يتعهد انفذ
موعظته الى القلوب فاذا خالف قوله فعله كان ذلك سبب تغير القلوب عن قبول موعظه (ق)
عن اسامة بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالرجل يوم القيامة في النار
فتندلق اثناب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى فيجتمع اليه اهل النار فيقولون يا فلان
مالك الم تكن تأمر الناس بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتية
وانهى عن المنكر وآتية (قوله فتندلق اى تخرج) اثناب بطنه اى امعاء بطنه واحداً قتب
(وروى البغوى بسنده عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة اسرى بي رجلاً
تقرض شفاههم بمقاريض من نار قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء خطباء من امتك يا امرون
الناس بالبر وينسون انفسهم وهم يلون الكتاب افلا يعقلون قبل مثل الذي يعلم الناس الخير
ولا يعمل به كالسراج يضيء للناس ويحرق نفسه * وقيل من وعظ بقوله ضاع كلامه ومن وعظ
بفعله نفذت سهامه وقال بعضهم

ابدأ بنفسك فانها من فيها * فاذا انتهت عنه فانت حكيم
فهناك يسمع ما تقول ويقتدى * باتقول منك وينفع التعليم

* قوله عز وجل (واستعينوا بالصبر والصلاة) قيل ان الخاطئين بهذا هم المؤمنون لان من ينكر الصلاة والصبر على دين محمد صلى الله عليه وسلم لا يقال له استعن بالصبر والصلاة فلا جرم وجب صرفه الى من صدق محمدا صلى الله عليه وسلم وآمن به (وقيل يحتمل ان يكون الخطاب لبني اسرائيل لان صرف الخطاب الى غيرهم يوجب تفكيك نظم القرآن ولان اليهود لم يتكروا اصل الصلاة والصبر لكن صلاتهم غير صلاة المؤمنين (فعلى هذا القول ان الله تعالى لما امرهم بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والتمس شريعته وترك الرياسة وحب الجاه والمال قال لهم استعينوا بالصبر اى بحبس النفس عن اللذات وان ضمتهم الى ذلك الصلاة هان عليكم ترك ما تتم فيه من حب الرياسة والجاه والمال (وعلى القول الاول يكون معنى الآية واستعينوا على حوائجكم الى الله (وقيل على ما يشغلكم من انواع البلاء (وقيل على طلب الآخرة بالصبر وهو حبس النفس عن اللذات وترك المعاصي (وقيل بالصبر على اداء الفرائض (وقيل الصبر هو الصوم لان فيه حبس النفس عن المفطرات وعن سائر اللذات وفيه انكسار النفس والصلاة اى اجعوا بين الصبر والصلاة (وقيل معناه واستعينوا بالصبر على الصلاة وعلى ما يجب فيها من تصحيح النية واحضار القلب ومراعاة الاركان والآداب مع الخشوع والخشية فان من اشتغل بالصلاة ترك ما سواها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلاة اى اذا اهمه امر لجأ الى الصلاة (ومن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه نعى له أخوه قثم وهو في سفره فاسترجع ثم تجبى عن الطريق فصلى ركعتين اطال فيهما السجود ثم قام الى راحلته وهو يقول استعينوا بالصبر والصلاة (وانها) يعنى الصلاة وقيل الاستعانة (لكثرة) اى ثقيلة (الاعلى الخاشعين) يعنى المؤمنين . وقيل الخاشقين . وقيل المطيعين المتواضعين لله (واصل الخشوع السكون فالخاشع ما كن الى الطاعة . وقيل الخشوع الضراعة واكثر ما تستعمل في الجوارح (وانما كانت الصلاة ثقيلة على غير الخاشعين لان من لا يرجوها ثوابا ولا يخاف على تركها عقابا فهي ثقيلة عليه واما الخاشع الذى يرجوها ثوابا ويخاف على تركها عقابا فهي سهلة عليه (الذين يطؤون) اى يستيقنون وقيل يعلمون (انهم) لا قور بهم) يعنى في الآخرة وفيه دليل على ثبوت رؤية الله تعالى في الآخرة (وانهم اليه راجعون) يعنى بعد الموت فيجزى بهم باعمالهم * قوله عز وجل (يا بني اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم) انما اعاد هذا الكلام مرة اخرى توكيدا للحجة عليهم وتحذيرا من ترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم (واني فضلتكم على العالمين) يعنى على مالى زمانكم وهذا التفضيل وان كان في حق الآباء ولكن يحصل به الشرف للإنشاء (واتقوا يوما) اى واخشوا هذاب يوم (لا تجزى) اى لا تقضى (نفس من نفس شياً) يعنى حقا لزمها وقيل معناه لا تنوب نفس عن نفس يوم القيامة ولا ترد عنها شيئا مما اصحابها بل يضر المرء من اخيه وامه وابيه (ولا تقبل منها شفاعا) اى في ذلك اليوم والمعنى لا تقبل الشفاعا اذا كانت النفس كافرة * وذلك ان اليهود قالوا بشفع لنا آباؤنا فرد الله عليهم ذلك بقوله ولا تقبل منها شفاعا . وقيل

ابصارهم (اى عقولهم المحسوبة بالناس عن نور الهداية والكشف اذ اتقل بصرا قلب (كلما اضاء لهم مشوا فيه) اى ترقوا وتربوا من قبول الحق والهدى (واذا اظلم عليهم قاموا) اى ثبتوا على حيرتهم في ظلمتهم (ولو شاء الله لذهب بهمهم وأبصارهم) لطمس أفهامهم وعقولهم ومحو نور استعدادهم كما للفريق الاول فلم يأتروا بسمع الوحى أصلا (ان الله على كل شئ قدير) الشئ الموجود الخارجى الواجب الممكن والموجود الذهنى الممكن والمتنع اذ اللاشئ هو المعدم الصرف الذى ليس في الذهن ولا في الخارج لكن تعلق القدرة به خصه بالممكن وأخرج عنه الواجب والمتنع بدليل العقل هذا آخر الكلام في الاصناف السبعة على سبيل الاجال . وفصل بين فريقى الاشقياء والوجز ذكر الفريق الاول وأعرض عنهم اذ الكلام فيهم لا يجدى * وبالغ في ذكر الفريق الثانى ودتهم وتعبيرهم

وتقبح صورة حالهم
وتهديد هم وإيصادهم
وتنجين سيرهم وعاداتهم
لاكان قبولهم للهداية
وزوال مرضهم العارض
واشتعال نور قرائعهم
بمدد التوفيق الآلهي
عسى التفريع يكسر
اعواد شكائهم والتوبخ
يقطع أصول رذائلهم
فتزكي بواطنهم وتتور
قلوبهم بنور الارادة
فينسلخوا طريق الحق
ولعل موادة المؤمنين
وملاطفهم اياهم ومجالستهم
معهم تسقيط طبايعهم
فتهيج فيهم محبة تماشوقا
تلين به قلوبهم الى ذكر الله
وتنقاد به الى نفوسهم
لامر الله فيتوبوا ويصلحوا
كما قال الله تعالى ان المنفقين
في الدرك الاسفل من النار
ولن تجد لهم نصيرا الا الذين
تابوا وأصلحوا واعتصموا
بالله وأخلصوا دينهم الله
فاولئك مع المؤمنين وسوف
يؤتي الله المؤمنين أجرا عظيما
(يا أيها الناس اهدوا ربكم
الذي خلقكم والذين من
قبلكم لعلكم تتقون الذي
جعل لكم الارض فراشا
والسماء بناء واتزل من السماء
ماء فاخرج به من الثمرات
رزقا لكم) ثم لما فرغ

ان طاعة الطبع لا تقتضي من العاصي ما كان واجبا عليه . وقيل معناه ان النفس الكافرة
لوجبات بشقيع لا يقبل منها (ولا يؤخذ منها عدل) اي فدية وهو مائة الشيء بالشيء (ولا هم
ينصرون) اي لا يمنعون من العذاب * قوله عز وجل (واذنبناكم) اي واذكروا اذخلصنا
اسلافكم واجدادكم فاحده نعمه ومنه عليهم لانهم نجوا بنجاة اسلافهم (من آكفرون) اي من اتباعه
واهل دينه (وفرعون اسم علم لمن كان ملك مصر من القبط والعماليق وفرعون هذا كان اسمه الوليد
ابن مصعب ابن الريان وعمر اكثر من اربعمائة سنة) (بسومونكم) اي يكلفونكم
ويذيقونكم (سوء العذاب) اي اشد العذاب واسوأه (وقيل بصرفونكم في العذاب مرة
كثرا ومرة كذا وذلك ان فرعون جعل بني اسرائيل خدما وخولا وصفهم في الاعمال اصنافا
صنف بينون ويزرعون وصنف يخدمونه ومن لم يكن في عمل وضع عليه الجزية وقال ابن
وهب كانوا اصنافا في اعمال فرعون فذو القوة يسكنون السورى من الجبال حتى تقرحت
ايديهم واعناقهم ودبرت ظهورهم من قطعها ونقلها وصنف يغفلون الحجارة والطين بينون له
القصور وطائفة يضربون اللبن ويطحنون الآجر وطائفة نجارون وحدادون والضعفة
منهم يضرب عليهم الخراج يعنى الجزية ضريبة يؤدونها كل يوم فن ضربت عليه الشمس
قبل ان يؤدى ضربيته غلت بداء الى عنقه شهرا والنساء يفرزن الكتان ويسجونه) وقيل
تفسير بسومونكم سوء العذاب ما بعده وهو قوله عز وجل (يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم)
اي يتركونهن احياء وذلك ان فرعون رأى في منامه كأن نارا اقبلت من بيت المقدس
واحاطت بمصر واحرقت كل قبلى بها ولم تعرض لنى اسرائيل فهاله ذلك وسأل الكهنة
عن رؤياه فقالوا يولد غلام يكون على يديه هلاكك وزوال ملكك فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد
في بني اسرائيل وكل باقوا بل فكان يغفلن ذلك حتى قتل في طلب موسى اثنى عشر الفا
وقيل سبعين الفا واسرع الموت في مشيخة بني اسرائيل فدخل رؤساء القبط على فرعون وقالوا
ان الموت قد وقع ببني اسرائيل فتذبح صفارهم ويموت كبارهم فيوشك ان يقع العمل عليا فأمر
فرعون ان يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هرون في السنة التي لا يذبح فيها وولد موسى في السنة التي
يذبح فيها (وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) اي اختبار وامتحان والبلاء يطلق على العمة العظيمة
وعلى الهنة الشديدة ليخبر الله العبد على النعمة بالشكر وعلى الشدة بالصبر فان حل قوله
وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم على صنع فرعون كان من البلاء والمحنة وان حل على الانجاء
كان من النعمة * قوله عز وجل (واذ فرقا بينكم البحر) اي فصلا بعضه من بعض وجعلناه
فيه مسالك بسبب دخولكم البحر وسمى بحرا لاتساعه

(ذكر سياق القصة) *

وذلك انه لما دنا هلاك فرعون امر الله موسى عليه الصلاة والسلام ان يمرى ببني اسرائيل
من مصر بالليل فأمر موسى قومه ان يبرجوا في بيوتهم المخرج الى الصبح وان يستعبروا حل
القبط لتبقى لهم اوليتهم لاجل المال واخرج الله كل ولدنا كان في القبط من بني اسرائيل
الى بني اسرائيل وكل ولدنا كان في بني اسرائيل من القبط الى القبط حتى يرجع كل ولد الى
ايده والى الله الموت على القبط فأت كل كرى لهم فاشتغلوا بدقمهم وقيل بلغ ذلك فرعون فقال

لا اخرج في طلبهم حتى يصبح الديك صاح تلك الليلة ديك وخرج موسى في بني اسرائيل وهم ستمائة الف وعشرون الفا لا يبدون ابن عشرين سنة لصفه ولا ابن ستين سنة لكبره وكانوا يوم دخلوا مصر مع يعقوب اثنين وسبعين انسانا ما بين رجل وامرأة فلما ارادوا السير ضرب عليهم اليه فلم يدروا اين يذهبون فدعا موسى مشيخة بني اسرائيل وسألهم عن ذلك فقالوا ان يوسف لما حضره الموت اخذ على اخوته عهدا ان لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فلذلك انسد علينا الطريق فسألهم عن موضع قبره فلم يعلموه فقام موسى ينادى انشد الله كل من يعلم اين قبر يوسف الاخبرني به ومن لم يعلم صمت اذناه عن سماع قولي فكان يمرءا لرجل وهو ينادى فلا يسمع صوته حتى سمعته عجوز منهم فقالت له اربنتك ان ذلك على قبره اتعطيني كل ما سألك فأبى عليها وقال حتى أسأل ربي فأمره ان يعطيها سؤالها فقالت اني عجوز لا استطيع المشي فأجلني معك واخرجني من مصر هذا في الدنيا واما في الآخرة فأسألك ان لا تنزل غرفة من غرف الجبة الا نزلتها معك قال نعم قالت انه في البيل في جوف الماء فدعا الله ان يحسر عته الماء فدعا الله فحسر عه الماء ودعا الله ان يؤخر عنه طلوع الفجر حتى يفرغ من امر يوسف ثم حفر موسى ذلك الموضع فاستخرجه وهو في صندوق من مرمر وحمله معه حتى دفنه بالشام فعند ذلك قبح لهم الطريق فسار موسى ببني اسرائيل هو في ساقهم وهرون في مقدمتهم ثم خرج فرعون في طلبهم في الف الف وسبعمائة الف وكان فيهم سبعون الفا من دهم اخيل سوى سائر الشيا (وقيل كان معهم مائة الف حصان ادهم وكان فرعون في الدهم وكان على مقدمة مسكره هامان وكان فرعون في سبعة آلاف الف وكان بين يديه مائة الف الف ناشب ومائة الف الف حواب ومائة الف الف معهم الاعداء وسار بنو اسرائيل حتى وصلوا البحر والماء في غاية الزيادة ونظروا حين اشرفت الشمس فاذا هم بفرعون في جنوده فبقوا متحيرين وقالوا يا موسى اين ما وعدتنا به فكيف نصنع هذا فرعون خلفنا ان ادركنا قلنا والبحر امامنا ان دخلناه غرقنا فاوحى الله الى موسى ان اضرب بعضاك البحر فضربه فلم يطمعه فاوحى الله اليه ان كنه فضربه وقال انقلب يا ابا حالد فانقلب فكان كل فرق كالطود العظيم وظهر فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط منهم طريق وارتفع الماء بين كل طريقين كالجبل وارسل الله الريح والشمس على قعر البحر حتى صارت يابسا وحاضت بنو اسرائيل البحر كل سبط في طريق عن جوانبهم الماء كالجبال الضخمة لا يرى بعضهم بعضا فخافوا وقال كل سبط منهم قدهلك اخواننا فاوحى الله الى جبال الماء ان تشبكي فصار الماء كالشباك يرى بعضهم بعضا ويسمع بعضهم كلام بعض حتى هربوا البحر سالمين فذلك قوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر (فانجيناكم) يعني من فرعون (واغرقنا آل فرعون) وذلك ان فرعون لما وصل الى البحر فرآه منفلقا قال لقومه انظروا الى البحر كيف انقلب من هيبتي حتى ادرك عبيدي الذين ابتوامني ادخلوا البحر فهاب قومه ان يدخلوا (وقيل قالوا له ان كنت ربنا قد دخل البحر كما دخل موسى وكان فرعون على حصان ادهم ولم يكن في خيل فرعون فرس اني لجاء جبريل عليه السلام على فرس اني وديق فتقدمه وخاض البحر فلما شتم ادهم فرعون ربحها اقتحم البحر في اثرها ولم يملك فرعون من امره شيئا واقتحمت الخيول خلفه في البحر وجاء ميكائيل خلفهم يسوقهم وهو على فرس ويقول

(الحقوا)

من ذكر السعداء والاشقياء دعاهم الى التوحيد وأول مراتب التوحيد توحيد الافعال فلهذا علق العبودية بالربوبية ليستأ نسوا ربوية النعمة فيصوبوها كما قال فخلقت الخلق وتحتببت اليهم بالنعم فيشكروهم بازائها اذا العباد شكر فلا تكون الا في مقابلة النعمة * وخصص ربوبيته بهم لخصوا عبادتهم به وقصد رفع الجبابرة الاول من الجبابرة الثلاثة التي هي حجب الافعال والصفات والذات ببيان تجلي الافعال لان الخلق في الثلاثة كلهم محجوبون عن الحق بالكون مطلقا فنفس انشاؤهم وانشاء ما توقف عليه وجودهم من المبادئ والاسباب والشرائط كن قبلهم من الآباء والامهات وجعل الارض فراشهم لتكون مقرهم ومسكنهم وجعل السماء بناء انظارهم وأنزل الماء من السماء وأخرج النبات به من الارض ليكون رزقا لهم الى نفسه لعلمهم بهون نسبة الفعل الى غيره فيتزهون عن الشرك في الافعال عند مشاهدة جميعها من الله ولهذا ذكر تهيئة هذه المقدمات

أندادوا انتم ثعلون) ما ذكرنا
من المقدمات كأنه قال هو
الذي فعل هذه الافعال فلا
تحق العبادة الاله ولا تنبغي
ان تجعل لغيره فلا تجعلوا له
نداً بنسبة الفعل اليه فيستحق
ان يعبد عندكم فتعبدوه مع
علمكم بهذا فعبادتهم انما
هي للصانع وربهم هو المجلي
في صورة الصنع اذ كل
ما لا يعبد الا ما يعرفه
ولا يعرف الله الا بقدر
ما وجد من الالهية في
نفسه وهم ما وجدوا الا
الفاعل المختار فعبده
وغاية هذه العبادة الوصول
الى الجنة التي هي كمال عالم
الافعال فآله مهدهم اراضى
نفسهم وبني عليها سموات
ارواحهم واتزل من تلك
السموات ماء علم توحيد
الافعال فاخرج به من تلك
الارض نبات الاستسلام
والاعمال والطاعات
والاخلاق الحسنة ليرزق
قلوبهم منها ثمرات الايقان
والاحوال والمقامات
كالصبر والشكر والتوكل
ولما ثبت الوحيد استدل
على اثبات النبوة ليصح
بهما الاسلام فانه لا يصح
الابتهادتين لان مجرد
التوحيد هو الاحتجاب

الحقوا بأصحابكم حتى صاروا كلهم في البحر وخرخ جبريل من البحر وهم اولهم بالخروج فأمر
الله البحران يأخذهم فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين وكان بين طرفي البحر اربع فراسخ
وهو بحر القلزم وهو على طرف من بحر فارس وقيل هو بحر من وراء مصر يقال له اساف
وكان اغراق آل فرعون بمرأى من بني اسرائيل فذلك قوله (وانتم تنظرون) يعنى الى
هلاكهم وقيل الى مصارعهم وقيل ان البحر قد فهم حتى نظروا اليهم ووافق ذلك يوم
ماشوا فقام موسى عليه السلام ذلك اليوم شكر الله تعالى * قوله عز وجل (واذاعدنا)
من المواعدة وهو من الله الامر ومن موسى القبول وذلك ان الله وعده بمجيئ المقات (موسى)
اسم عبرى معرب فموسى بالعبرية الماء والشجر سمى موسى لانه اخذ من بين الماء والشجر ثم
قلبت الشين سينا فسمى موسى (اربعين ليلة) اى انقضاء اربعين ليلة ثلاثين من ذى القعدة
وعشر من ذى الحجة وقرن التاريخ بالليل دون النهار لان الاشهر العربية وضعت على سير القمر
وقيل لان الظلة اقدم من الضوء

* (ذكر القصة في ذلك) *

قال العلماء لما انجى الله بني اسرائيل من البحر واغرق عدوهم ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة
ينتھون اليها وعد الله موسى ان ينزل عليه التوراة فقال موسى لقومه انى ذاهب الى ميقات
ربى لا يتكلم منه بكتاب فيه بيان ما تأتون وما تنذرون ووعدهم اربعين ليلة واستخلف عليهم
اخاه هرون فلما جاء الموعد اتاه جبريل عليه الصلاة والسلام على فرس يقال له فرس الحياة
لا يصيب شياً الا حيي ليذهب بموسى الى ميقات ربه فرآه السامرى وكان صنفاً اسمه ممنا
وقال ابن عباس اسمه موسى بن ظفر وقيل كان من اهل ماحرا وقيل كرمان وقيل من بني اسرائيل
من قبيلة يقال لها السامرة وكان منافقاً يظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر فلما رأى
جبريل على ذلك الفرس ورأى موضع قدم الفرس يخضر في الحال فقال في نفسه ان لهذا
لشأناً وقيل رأى جبريل حين دخل البحر قدام فرعون فقبض قبضة من تراب فرسه والقي
في روعه انه اذا اتى في شئ حيي فلما ذهب موسى الى الميقات ومكث على الطور اربعين ليلة
وانزل الله عليه التوراة في الألواح وكانت الألواح من زبرجد وقرنه نجيا واسمه صرير
الاقلام وقيل انه بقي اربعين ليلة لم يحدث فيها حدثاً حتى هبط من الطور وكانت بنو اسرائيل
قد استعصروا واحلياً كثيراً من القبط حين ارادوا الخروج من مصر بيلة عرس لهم فلما هلك
فرعون وقومه بقى ذلك الحلى في ايديهم فلما فصل موسى قال لهم السامرى ان الحلى الذى
استمر نمو من القبط غيمة لا تحل لكم فاحفروا حفيرة وادفنوه فيها حتى يرجع موسى ويرى
فيها رايه وقيل ان هرون امرهم بذلك فلما اجتمعت الحلى اخذها السامرى وصاغها عجلاً
في ثلاثة ايام ثم اتى فيها القبضة التى اخذها من تراب فرس جبريل عليه الصلاة والسلام فصار
عجلاً من ذهب مرصعاً بالجواهر وخار خورة وقيل كان يخور ويمشى فقال لهم السامرى
هذا الهكم واله موسى فنسى اى فكره هنا وخرج يطلبه وكان بنو اسرائيل قد اخلقوا الوعد
فصدوا اليوم مع القليلة يومين فلما مضى عشرون يوماً ولم يرجع موسى وقصوا في الفتنة وقيل
كان موسى وعدهم ثلاثين ليلة ثم زيدت العشرة فكانت فتنتهم في تلك العشرة فلما مضت

بالجمع عن التفصيل وهو وهو محض الجبر المؤدى الى الزندقه والاباحه وبجدة اسناد الفعل والقول الى الرسول احتجاب بالتفصيل عن الجمع الذى هو صرف القدر المؤدى الى الجوسية والتوبة والاسلام طريق بينهما بالجمع بين قولنا لا اله الا الله وبين قولنا محمد رسول الله واعتقاد مظهرته لافضاله تعالى فان افعال الخلق بالنسبة الى افعال الحق كالجسد بالنسبة الى الروح فكما ان مصدر الفعل هو الروح ولا يتم الا بالجسد فكذلك مبدأ الفعل هو الحق ولا يظهر الا بالخلق ولا بد من الرسالة لان الخلق بسبب احتجابهم وبعدهم عن الحق لا يمكنهم تلقي المعارف من ربه فيجب وجود واسطة يجانس بوجه الشبادة لخلق الخضره الالهية وبفسه الماطلة للخلق كارتبة البشرية ليتلقى قلبه من روحه الكلمات الربانية ويأتى الى نفسه القدسية ويقتل منه الخلق واربطة الجنسية فقال وان كنتم فى ريب مما

الثلاثون ولم يرجع موسى ظوا انه قدمات ورأوا الجبل وسمعوا قول السامري فكيف عليه ثمانية آلاف رجل يعبدونه وقيل عبده كلهم الا هرون مع اثني عشر ألف رجل وهذا اصح فذلك قوله عز وجل (ثم اتخذتم الجبل) يعنى الها (من بعده) اى من يدمومى (وانتم ظالمون) اى وانتم ضارون لانفسكم بالمصيبة حيث وضعتم العبادة فى غير موضعها (ثم عفونا عنكم) اى محونا ذنوبكم وتجاوزنا عنكم (من بعد ذلك) اى من بعد عبادتكم الجبل (لعلكم تشكرون) ان لى تشكر وافغوى عنكم وحسن صدى اليكم واصل الشكر هو تصور النعمة واطهارها وبضاده الكفر وهونسيان انعمة وسرورها والشكر على ثلاثة اضرب شكر القلب وهو تصور النعمة وشكر اللسان وهو الثناء على النعمة وشكر بسائر الجوارح وهو مكافات النعمة بقدر استحقاقها وقيل الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح فى السر والعلانية وقيل حقيقة الشكر العجز عن الشكر وحكى ان موسى عليه الصلاة والسلام قال النبى انعمت على اثم السوايغ وامرني بالشكر وانما شكرى اياك نعمة منك فاحي الله تعالى اليه يا موسى تعلمت العلم الذى لا فوقه علم حسبي من عبيد ان يعلم ان مابه من نعمة فى منى وقال داود عليه الصلاة والسلام سبхан من جعل اعتراف العبد بالجزع عن شكره شكرا كما جعل اعترافه بالجزع عن معرفته معرفة وقال الفضيل شكر كل نعمة ان لا يمضى الله بعدها تلك النعمة وقيل شكر انعمة ذكرها وقيل شكر النعمة ان لا يراها البتة ويرى اثم وقيل الشكر لمن فوقك بالطاعة والثناء ولظيكر بالمكافاة ولمن دونك الاحسان والافضال * قوله عز وجل (واذ آتينا موسى الكتاب) يعنى التوراة (والفرقان) قيل هونمت الكتاب والواو زائدة والمعنى الكتاب المفرق وبين الحلال والحرام والكفر والايمان وقيل الفرقان هو النصير على الاعداء والواو واصلية (لعلكم تهتدون) يعنى بالتوراة (واذ قال موسى لقومه) يعنى الذين عبدوا الجبل (يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باخذكم الجبل) يعنى انما تعبدونه فكانهم قالوا مانصنع قال (فتوبوا الى بارئكم) اى ارجعوا الى خالقكم بالتوبة قالوا كيف توب قال (فاقتلوا انفسكم) يعنى ليقول البرئ منكم المجرم فان قلت التوبة عبارة عن الندم على فعل القبيح والعزم على ان لا يعود اليه وهذا مغاير للقتل فكيف يجوز تفسير التوبة بالقتل قلت ليس المراد تفسير التوبة بالقتل بل بيان ان توبتهم لانتم الا بالقتل وانما كان كذلك لان الله اوحى الى موسى عليه الصلاة والسلام ان توبة المرتد لانتم الا بالقتل فان قلت التائب من الردة لا يقتل فكيف استحقوا القتل وقد تابوا من الردة قلت ذلك مما يختلف فيه الشرائع فلعل شرع موسى كان يقتضى ان يقتل التائب من الردة اما ما خرجي الكل او خاصا فى حق الذين عبدوا الجبل (ذلكم خير لكم عند بارئكم) يعنى القتل وتحمل هذه الشدة لان الكوث لا بد منه فلا امرهم موسى بالقتل قالوا نصبر لامر الله تعالى فجلسوا محبتين من الحبوة وهو ضم الساق الى البطن ثوب وقيل لهم من حل حبوته او مد طرفه الى قائله او اتقاء بدأ ورجل فهو ملعون مردودة توبته واصلت القوم الخارج السبوف واقبلوا عليهم فكان الرجل يرى ابنه واباه ولخاه وقريبه وصديقه وجاره فيرقله فاما يمكنهم المضى لامر الله تعالى فقالوا يا موسى كيف تقبل فأرسل الله تعالى عليهم سحابة سوداء لا تبصر بعضها فكانوا يقتلون الى المساء فلا كثر الجبل

(وان كنتم في ريب فما
نزلنا على عبدنا فأتوا
بسورة من مثله وادعوا
شهادتكم من دون الله)
اي في تنزيلنا على
محمد فتشكروا في حقيقة نبوته
فروزوا قواكم البشرية
واحرزوا عقولكم المهنكة
بالقياس المحجوبة عن نور
الهداية وافكاركم الدرية
تركيب الكلام ونظم المعاني
وانتم ومن حضركم من ابناء
جنسكم هل تقدرون على
الاتيان بسورة اى طائفة
من الكلام مثله (ان كنتم
صادقين) في نسبته الى
محمد (فان لم تفعلوا)
فاذعنوا واسلموا وآمنوا
واتركوا العناد المفضي
لكم الى النار فحذف اللزوم
الذي هو الايمان والاسلام
واقام لازمة الذي هو
اتقاء النار مقامه ليكون
ادل على ان الانكار
موجب لدخول النار
وحصول العذاب لهم وقوله
(ولن تفعلوا فتعوا النار التي)
اعتراض على طريق الاخبار
بالغيب للعلم بامتناع عقول
المحجوبين عن مثله
والمراد بالنار احتراقهم
بنورة نفوسهم وشر
طبائعهم المصروفة عن
الروح القدسي الروحاني

دعا موسى وهرون الله وبكيا وتضرعا اليه وقال يا رب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية
فكشف الله الهابة عنهم وامرهم ان يكفوا عن القتل فكشفت عن الوف من القتل قل علي بن
ابي طالب رضي الله عنه كان عدد القتلى سبعين الفا فاشتد ذلك على موسى فأوحى الله اليه
اما يرضيك ان ادخل القاتل والمقتول الجنة فكان من قتل منهم شريدا ومن بقي مكفرا عنه
ذنبه * فذلك قوله عز وجل (فتاب عليكم) اي فعلتم ما امرتكم به فجاوزه عنكم (انه هو
التواب) اي الرجاء بالمغفرة القابل للتوبة (الرحيم) بخلقه * قوله عز وجل (واذ قلتم
يا موسى ان تؤمن لك) اي لن نصدقك (حتى ترى الله جهرة) اي عيانا وذلك ان الله عز وجل
امر موسى ان ياتيه في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة الجبل فاختر موسى
من قومه سبعين رجلا من خيارهم وقال لهم صوموا واطهروا واطهروا ايابكم ففعلوا وخرجهم
موسى الى طور سيناء لمقات ربه فقالوا لموسى اطلب لنا ان نسمع كلام ربنا قال افعل فلدنا
من الجبل وقع عليه عود النمام وتغشى الجبل كله فدخل موسى في النمام وقال للقوم ادنوا حتى
دخلوا تحت النمام وخروا سجدا وكان موسى اذا كلمه ربه وقع على وجهه نور ساطع فلا يستطيع
احد ان ينظر اليه فضرب دونهم الحجاب وسمعوه يكلم موسى يأمره وينهاه وسمعهم الله تعالى
اني انا الله لا اله الا انا وبكة اخرجكم من ارض مصر بيد شديدة فاعبدوني ولا تعبدوا غيري
فلا فرغ موسى وانكشف انمام اقبل اليهم فقالوا لن تؤمن لك حتى ترى الله جهرة وانما قالوا
جهرة توكيدا للرؤية ثلاثيهم متوهم ان المراد بالرؤية العلم (فاخذتكم الساعة) قيل
هي الموت وفيه ضعف لان قوله وانتم تنظرون يرد اذ لو كان المراد منها الموت لامتنع كونهم
ناظرين اليها وقيل ان الساعة هي سبب الموت واختلفوا في ذلك السبب فقيل ان ناراً نزلت من السماء
فاحرقتهم وقيل جاءت صحيفة من السماء وقيل ارسل جوعا من الملائكة فسمعوا بحسبهم فحزوا
صعقون (وانتم تنظرون) اي ينظر بعضكم الى بعض كيف ياخذ الموت فلما هلكوا جعل
موسى يبكي ويتضرع ويقول اتبي ماذا اقول لبني اسرائيل اذا اتيتهم وقد هلك خيارهم
لوشئت اهلكتهم من قبل واي اهلكنا بما فعل السفهاء منا فلم يزل ينادي ربه حتى احياهم الله
رجلا بعد رجل بعدما ماتوا يوما وليلة ينظر بعضهم الى بعض كيف يحيون فذلك قوله تعالى
(ثم بعثناكم) اي احييناكم (من بعد موتكم) اي لتستوفوا بقية آجالكم وارزاقكم ولوانهم
كانوا قد ماتوا لانقضاء آجالكم لم يعثوا الى يوم القيامة (لكنكم تشكرون) * قوله عز وجل
(وظللا عليكم النمام) يعني في التيه بغيركم حر الشمس وذلك انه لم يكن لهم في التيه شيء
يستزم ولا يستظلون به فشكوا الى موسى فأرسل الله غماما ابيض رقيقا يستترهم من الشمس
وجعل لهم عمودا من نور يضي لهم بالليل اذا لم يكن قر (وازلنا عليكم المن والسلوى) اي
في التيه والاكثر على ان المن هو التنجيب وقيل هو شيء كالصمغ يقع على الشجر طمعه كالشمر
وقال وهب هو الخبز الرقاق واصل المن هو ما يمن الله به من غير تعب (ق) عن سعيد بن زيد
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكفاة من المن وماؤها شاة لعين ومعنى الحديث ان الكفاة
شيء ابتته الله من غير سعي احد ولا مؤنة وهو بمنزلة المن الذي كان ينزل على بني اسرائيل
وقوله وماؤها شاة لعين معناه ان يخلط مع الادوية فينتفع به لانه يقطر ماؤها بحيث في العين

والنسيم الذوق الرجاتي
 الحرومة عن لذة برد
 البقن وسلامة دار القرار
 المقطوعة بالآلوات الحسية
 والذات البدنية المنوعة
 بماضيت به والفته مع
 بقاء حنينها اليه وولها
 ورسوخ هيئات التعلق
 بالامور السفلية ومجبة
 الاجساد الارضية فيها
 التي هي سبب استيقاد
 نيرانها ولهذا قال (وقود
 هالناس والجارة) اي
 الامور الجاسية السفلية
 الصائمة التي تعلقوا بها
 بالهبة فرسخت صورها
 في انفسهم وسجنت نفوسهم
 بملهم اليها كما قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم
 المرء يحشر مع من حب
 حتى لو احب احدكم جرا
 حشر معه وكيف لا وقد
 ركزت صورته في نفسه
 بالهبة بحيث صار صورة
 قلبه صورته واعلم ان
 حرارة النار تابعة
 لصورتها الوعية التي هي
 روحانيتهما وملكوتهما
 والاساوت سائر الاجسام
 في خواصها تلك الروحانية
 شدة من نار قهر الله المعنوية
 بعلم تنزلها في مراتب
 كبرية كتزلها في مرتبة
 النفس بثورة الغضب

وقيل ان تقطيره في العين ينفع لكن لوجع مخصوص وليس يوافق كل وجع في العين وكان
 هذا المن ينزل على اشجارهم في كل ليلة من وقت السحر الى طلوع الشمس كالثلج لكل انسان
 صاع فقالوا يا موسى قد قتلنا هذا المن بحلاوته فادع لنا ربك بطعمنا اللحم فارسل الله
 عليهم السلوى هو طائر يشبه السماني وقيل هو السماني بعينه فكان الرجل ياخذ مايكفيه
 يوماليلة فاذا كان يوم الجمعة ياخذ مايكفيه اليومين لانه لم يكن ينزل يوم السبت شيء (كلوا)
 اي وقتلناهم كلوا (من طيبات) اي حلاوات (مارزقناكم) اي ولادنا خروا لقد فغا لقوا وادخروا
 فدود وفسد فقطع الله عنهم ذلك (ق) عن ابي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم لولا نبوا اسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخبز اللحم ولولا حواء لم تكن اثنى زوجها
 الدهر قوله لم يخبز اللحم لم ينث ولم يغير (وما ظلمونا) اي وما ينجسوا حقنا (ولكن كانوا
 انفسهم يظلمون) يعني باخذهم اكثر مما حد لهم فاستحقوا بذلك عذابى وقطع مادة الرزق
 الذي كان ينزل عليهم بلاؤة ولا تعب في الدنيا ولا حساب في العقي * قوله عز وجل (واذ
 قلنا ادخلوا هذه القرية) سميت قرية لاجتماع الناس فيها قال ابن عباس هي اريحاء قرية الجبارين
 . وقيل كان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة ورأسهم عوج بن عقي فلي هذا يكون القاتل
 يوشع بن نون لانه هو الذى قتح اريحاء بدموت موسى لان موسى مات في التيه . وقيل هي بيت
 المقدس وعلى هذا فيكون القاتل موسى والمعنى اذا خرجتم من التيه بعد مضي الاربعين سنة
 ادخلوا بيت المقدس (فكلوا منها حيث شئتم رغدا) اي موسى عليكم (وادخلوا الباب)
 فن قال ان القرية اريحاء قال ادخلوا من اى باب كان من ابوابها وكان لها سبعة ابواب ومن
 قال ان القرية هي بيت المقدس قال هو باب حطة (سجدا) متخفين خضعا متواضعين كالرا كع
 ولم يرد به نفس السجود (وقولوا حطة) اي حطوا ما خطاياهم امرؤا بالاستغفار وقال ابن عباس
 قولوا لا اله الا الله لانها تحط الذنوب والخطايا على تقدير مسئلتها حطة (نفركم خطاياكم)
 اي نسترها عليكم من الغفر وهو الستر لان المغفرة تستر الذنوب (وسنزيد المحسنين) يعني ثوابا
 (فبدل) اي فغير (الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم) اي قالوا قولا غير ما قيل لهم وذلك
 انهم بدلوا قول الحطة بالحطة وقالوا بلسانهم حطانا سخطانا اي حطنا حراء وذلك استخفافا منهم
 بأمر الله تعالى وقيل طوطى لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فأبوا ذلك ودخلوا زحفا على استاهم
 فدخلوا في الفعل كما خالفوا في القول وبدلوه (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قيل لبنى اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فبدلوا فدخلوا يزحفون على
 استاهم وقالوا حبة في شجرة (فأترلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء) يعني عذابا من السماء
 قيل ارسل الله عليهم طاعونا فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون الفا (بما كانوا يفسفون)
 اي يعصون ويخرجون عن امر الله تعالى * قوله عز وجل (واذا استقى موسى لقومه)
 اي طلب السقى لقومه وذلك انهم عطشوا في التيه فسألوا موسى ان يستقى لهم ففعل فادعى الله
 اليه كما قال عيسى (فقلنا اضرب بعصاك) وكانت العصا من آس الجنة طولها عشرة اذرع على
 طول موسى عليه الصلاة والسلام ولها شعبتان تغدان في الظلمة نورا واسمها طيق . وقيل نبتة
 حلقها آدم معه من الجنة فتوارثها الانبياء حتى وصلت الى شعيب فاعطاها موسى (الجر) قال

اذر بما تؤثر ثورة الغضب في
احراق الاخلاق مالا تؤثر
النار في الحطب ومن هذا يعلم
ان كل مسخن لا يجب ان
يكون حارا واذا كانت
النار الجسمانية اثر السار
الروحانية فلا جرم ان
ايلاها اشد وادوم من
ايلام هذه السار كيف
وكل قوة جسمانية متناهية
دون القوى الروحانية
ولهذا المعنى يقال ان نار
جهنم غسلت بالماء سبعين
مرة ثم انزلت الى الدنيا
ليمكن الانتفاع بها (اعدت
للكافرين) المعجوبين
عن الدين لانقطاعهم دون
مرادهم (وبشر الذين آمنوا
بالصانع وعملوا الصالحات
ان لهم جنات تجري
من تحتها الانهار) وعلموا
ما يصلحهم الجنة بمقتضى
علمهم بتوحيد الافعال
ان لهم مراداتهم
ومشتياتهم فوق ما تصور
واؤتمنو التنكير الجنات
والجنات الجارية من تحتها
الانهار ابقى والطيب
ما يكون من مقام والذ
واحلى ما يكون من مرام
لاهل الدنيا فهي لفوسهم
من جنس جنات الدنيا
واصفى منها بحسب المعاد
الجسماني فانه هلق كما تعلم

وهب لم يكن جرا مينا بل كان موسى يضرب اى حجر كان فيتفجر عيون الكل سبط عين وكانوا
اثنى عشر سبطا. وقيل كان جرا مينا بدليل انه عرفه بالالف واللام. قال ابن عباس كان جرا
خفيفا مريعا قدر رأس الرجل وكان موسى عليه الصلاة والسلام يضعه في مخلاة فاذا احتاجوا
الى الماء وضعه وضربه بمصاه. وقيل كان للسحجر اربعة وجوه كل وجه ثلاثة اعين لكل سبط دين
وقيل كان من الرخام. وقيل كان من الكذان وهى الحجارة اللينة. وقيل هو الحجر الذى وضع عليه
موسى نوبه ليغسل قربه فانه جبريل وقال ان الله يامر بك ان ترفع هذا الحجر فلي فيه قدرة ولك
فيه مجهزة فوضعه في مخلاة فلا سالوه السقيا قيل اضرب بمصاك الحجر فكان اذا احتاجوا الى الماء
وضعه وضربه بمصاه فتفجر منه عيون لكل سبط عين تسيل اليهم في جدول وكان اذا اراد
حمله ضربه بمصاه فيذهب الماء ويبس الحجر فذلك قوله تعالى (فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا)
يعنى على عدد اسباط بنى اسرائيل والمعنى فضربه فانفجرت. قال المفسرون انفجرت وانجست
بمعنى واحد. وقيل انجست اى عرقت وانفجرت اى سالت (قد علم كل اناس مشربهم) اى
موضع شربهم لا يدخل سبط على غيره (كلوا واشربوا) اى قلنا لهم كلوا واشربوا (من
رزق الله) يعنى المن والسلوى والماء فهذا كله من رزق الله كان ياتيهم بلا مشقة ولا كلفة (ولا تشعوا
في الارض مفسدين) العيث اشد الفساد * في هذه الآية مجهزة عظيمة لموسى عليه الصلاة والسلام
حيث انفجر من الحجر الصغير ما روى منه الجمع الكثير ومجهزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اعظم لانه
انفجر الماء من بين اصبعيه فروى منه الجمع الفقير لان انفجار الماء من الدم واللحم اعظم من انفجاره
من الحجر. قوله مزوج (واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد) وذلك انهم سمعوا من المن
والسلوى وملوه فاشتبهوا عليه غيره لان المواظبة على الطعام الواحد تكون سببا لقصران
الشهوة (فان قلت هم اطعمان فاباهم قالوا على طعام واحد) قلت ارادوا بالواحد ما لا يختلف
ولا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل عدة الوان يداوم عليها في كل يوم لا يبدلها كانت بمنزلة
الطعام الواحد (فادع لنا ربك) اى فاسال لنا ربك (يخرج لنا من تحت الارض من بقاء
وقتنا وفوقها) قال ابن عباس القوم الخبز وقيل هو الخطة وقيل هو التوم (وعدسها وبصام)
انما طلبوا هذه الانواع لانها تعين على تقوية الشهوة اولانهم ملوا من البقاء في التيه فسالوا هذه
الاطعمة التى لا توجد الا في البلاد وكان عرضهم الوصول الى البلاد لان تلك الاطعمة (قال) يعنى
موسى (استبدلون الذى هو ادنى) اى الذى هو اخص واردا وهو الذى طلبوه (بالذى
هو خير) يعنى بالذى هو اشرف وافضل وهو ما هم فيه (اهبطوا مصرا) يعنى ان ايتهم اذ ذلك
فاتوا مصرا من الامصار. وقيل بل هو مصر البلد الذى كانوا فيه ودخول التنوين عليه كدخوله
على نوح ولوط والقول هو الاول (فان لكم ماسأتم) يعنى من نبات الارض (وضربت
عليهم الذلة) اى جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم والزمو الذل والهوان. وقيل الذلة الجزية وزى
اليهودية وفيه بعد لانه لم تكن ضربت عليهم الجزية بعد (والمسكنة) اى الفقر والفاقة وسمى الفقير مسكينا
لان الفقر اسكنه واقصده عن الحركة فترى اليهود ان كانوا اغنياء مياسير كانوا فقراء فلا ترى احدا
من اهل الملل اذل ولا احرص على المال من اليهود (وباؤا) اى رجعوا ولا يقال باء الا بشر (بغضب
من الله) وغضب الله ارادة الانتقام من عصاه (ذلك) اى الغضب (بانهم كانوا يكفرون بايات الله)

اي بصفة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم التي في التوراة ويكفرون بالانجيل والقرآن
(ويقتلون النبيين) النبي معناه المخبر من انباء بني . وقيل هو بمعنى الرفيع مأخوذ من النبوة
وهو المكان المرتفع (بغير الحق) اي بشير جرم (فان قلت قتل الانبياء لا يكون الا بغير حق فما
فائدة ذكره) قلت ذكره وصفا للقتل والقتل بوصف تارة بالحق وهو ما امر الله به وتارة بشير
الحق وهو قتل العدوان فهو كقوله قارب احكم بالحق فالحق وصف للحكم لان حكمه يتقسم
الى حق وجور . يروي ان اليهود قتل سبعين نبيا في اول النهار وقامت الى سوق بقلها في آخره
وقتلوا زكريا ويحيى وشعيا وغيرهم من الانبياء (ذلك بما عصوا) اي ذلك القتل والكفر بما
مصوا امرى (وكانوا يعتدون) اي يتجاوزون امرى ويرتكبون محارمى * قوله عز وجل
(ان الذين آمنوا والذين هادوا) يعنى اليهود سموا بذلك لقولهم انا هدانا اليك اي ملنا اليك
وقيل هادوا اي تابوا عن عبادة الجبل . وقيل انهم مالوا عن دين الاسلام ودين موسى عليه السلام
(والنصارى) سموا بذلك لقول الخواريين نحن انصار الله . وقيل لاخراتهم الى قرية يقال لها
ناصره وكان المسيح ينزلها (والصائبين) اصله من صبا اذا خرج من دين الى دين آخر سموا بذلك
لخروجهم من الدين قال عروا بن عباس هم قوم من اهل الكتاب . قال عمر ذابحهم ذبايح اهل الكتاب
وقال ابن عباس لا تحل ذبايحهم ولا مناكحتهم * وقيل هم قوم بين اليهود والمجوس لا تحل ذبايحهم
ولا مناكحتهم * وقيل هم بين اليهود والنصارى يحلقون اوساط رؤسهم * وقيل هم قوم يقرؤن بالله و
يقرؤن الزبور ويعبدون الملائكة ويصلون الى الكعبة اخذوا من كل دين شيئا * والاقرب انهم قوم
يعبدون الكواكب وذلك انهم يعتقدون ان الله تعالى خلق هذا العالم وجعل الكواكب مدبرة له
فيجب على البشر عبادتها وتعظيمها وانها هي التي تقرب الى الله تعالى ولما ذكر هذه الوظائف قال
(من آمن بالله واليوم الآخر) فان قلت كيف قال في اول الآية ان الذين آمنوا وقال في آخرها
من آمن بالله فما فائدة التعميم او لا ثم التخصيص آخر (قلت اختلف العلماء في حكم الآية فلم فيه
طريقان . احدهما انه اراد ان الذين آمنوا على التحقيق ثم اختلفوا فيهم فقبلهم الذين آمنوا في زمن
الفترة وهم طلاب الدين مثل حبيب التجار وقس بن ساعدة وورقة بن نوفل وبحيرا الراهب وابي
ذر الغفاري وسلمان الفارسي ففهم من ادرك النبي صلى الله عليه وسلم وتابعه ومنهم من لم يدركه
فكانه تعالى قال ان الذين آمنوا قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم والذين كانوا على الدين الباطل
المبدل من اليهود والنصارى والصائبين من آمن منهم بالله واليوم الآخر وبمحمد صلى الله عليه
وسلم فلم اجرهم عند ربهم . وقيل هم المؤمنون من الامم الماضية . وقيل هم المؤمنون من هذه الامة
والذين هادوا يعنى الذين كانوا على دين موسى ولم يدلووا والنصارى الذين كانوا على دين عيسى
ولم يغيروا والصائبين يعنى في زمن استقامة امرهم من آمن منهم ومات وهو مؤمن لان حقيقة
الايان تكون بالوفاة واما الطريقة الثانية فقالوا ان المذكورين بالايمان في اول الآية انما هو على
طريق الجواز دون الحقيقة وهم الذين آمنوا بالانبياء الماضين ولم يؤمنوا بك . وقيل هم المنافقون
الذين آمنوا بالسنتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم واليهود والنصارى والصائبين فكانه تعالى قال
هؤلاء الباطلون كل من آمن منهم الايمان الحق صار مؤمنا عند الله وقيل ان المراد من قوله
ان الذين آمنوا يعنى محمد صلى الله عليه وسلم في الحقيقة حين الماضي وثبتوا على ذلك في المستقبل

(كما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل) في الدنيا فانها ما لو فهم (وأوتوا) بالرزق (متشابهوا لهم فيها ازواج مطهرة وهم فيها خالدون) وقلوبهم هي مقاماتهم كالنوكل مثلا وروضات عالم القدوس التي تنشأ من كل مرتبة منها انهار علوم تبع السالكين بتفعلة المتعطين المشتاقين وانثرات هي الحكم والمعارف وقولهم هذا الذي رزقنا من قبل اشارة الى ان تلك العلوم والحكم كانت ثابتة للقلب حالة التجرّد فاحتجبت عنها بالتوغل في الامور الطبيعية عند التعلق فندستها ثم تذكرت حين تجرّدت عن ملابستها لقوله عليه الصلاة والسلام الحكمة ضالة المؤمن والازواج لفوسهم الخوارعين المطهرة عن الطمّث والقواحس وقلوبهم النفوس القدسية المطهرة عن دنس الطوائع وكدر العناصر ولا حنة لارواحهم لا حجابهم من المشاهدة (ان الله لا يهتبي) لا يمنع امتناع الهتبي (ان يضرب مثلا ما بعوضة ففوقها)

اذا الكافر عنده احقر من
بعوضة الدنيا من جناحا
كما نطق به الحديث
(فاما الذين آمنوا فيعملون انه
الحق من ربهم) لمناسبة
المثل به المثل له (واما الذين
كفروا فيقولون ماذا
ارد الله بهذا مثلا يضل
به كثيرا ويهدى به
كثيرا وما يضل
به الا الله اسقين) الذين
خرجوا من مقام القلب
الى مقام النفس ومن طاعة
الرحن الى طاعة الشيطان
وهم الفريق الثاني من
الاشقياء الفريق الاول فانهم
ضالون في نفس الامر
على اى حال كان لابه
ولاسبب آخر واضلالهم
به مسبب عن فسقهم في
الحقيقة اذ ترتيب الحكم
على الوصف يشعر بالعلية
وهي زيادة عنادهم
ونكارهم وحقدهم وغلبة
صفات نفوسهم على قلوبهم
بور والقران فيزيدهم
بعدا وغلبة على ظلة الذين
ينقضون عهد الله من بعد
ميثاقه ويقطعون مامرا الله
به ان يوصل ويفسدون
في الارض اولئك
هم الخاسرون) هو الذي
اشار اليه في قوله واذاخذ
ربك من نبي آدم من ظهورهم

وهو المراد من قوله تعالى من آمن بالله واليوم الآخر (وعمل صالحا) اى في ايمانه (فلهم اجرهم
عند ربهم) اى جزاء اعمالهم (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) اى في الآخرة * قوله عز وجل
(واذا اخذنا ميثاقكم) اى عهدكم يا معشر اليهود (ورفضنا فوقكم الطور) يعنى الجبل العظيم * قال
ابن عباس امر الله جبلا من جبال فلسطين فانقطع من اصله حتى قام على رؤسهم * وسبب ذلك
ان الله تعالى لما ازل التوراة على موسى وامرهم ان يحملوا بأحكامها فأبوا ان يقبلوها لما فيها
من الآصار يعنى الاتقال والتكاليف الشاقة امر الله تعالى جبريل عليه السلام ان يطلع جبلا على
قدر عسكرهم وكان قدره فرسخا في فرسخ فرفعه فوق رؤسهم قد قامت كائلا وقيل لهم ان
لم تقبلوا ما في التوراة والا ارسلت هذا الجبل عليكم (خذوا) اى قلنا لهم خذوا (ما آتيناكم)
اى ما اعطيناكم (بقوة) اى بمجد واجتهاد (واذكروا ما فيه) اى ادرسوا ما فيه (لهلكم
تقون) اى لكي تنجوا من الهلاك في الدنيا والعذاب في العقبى والارض تحت رؤسكم بهذا الجبل
فلم رأوا ذلك نالوا بهم قبلوا وسجدوا وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود فصار ذلك سنة
في سجد اليهود لا يسجدون الا على انصاف وجوههم ويقولون بهذا السجود رفع عنا العذاب
(ثم توبت) اى امرضت (من بعد ذلك) اى من بعد ما قبلتم التوراة (فلولا فضل الله عليكم
ورحمته اى بالامهال) (لكتم من الخاسرين) اى المغبونين بذهاب الدنيا والعذاب في العقبى
* قوله عز وجل (ولقد علم الذين اعتدوا منكم) اى جاوزوا الحد (في السبت) يقال
سبت اليهود لانهم يعظمونه ويقطعون فيه اعمالهم واصل السبت القطع
(ذكر الاشارة الى القصة) *

قال العلماء بالاخبار انهم كانوا في زمن داود عليه الصلاة والسلام بقرية بأرض ايلة وحرّم الله عليهم صيد
السبع يوم السبت فكان اذا دخل يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا اجتمع هناك حتى لا يرى الماء
من كثرتها فاذا مضى السبت تفرقت الحيتان ولزم من قعر البحر فذلك قوله تعالى اذ تأنيبهم حين انهم يوم
سبتهم شرعا يوم لا يسيرون لان تأنيبهم ثم ان الشيطان وسوس اليهم وقال انما تأنيبهم عن اخذها يوم السبت
ولم تنهوا عن اخذها في غيره فعمد رجال منهم فحفروا حياضا كبيرا حول البحر وشرعوا منه
اليها انهارا فاذا كان عشية الجمعة قهوا تلك الانهار فيقبل الموج من البحر بالحيتان الى تلك الحياض
فيقمن فيها ولا يقدرن على الخروج منها لعمقها فاذا كان يوم الاحد اخذوها وقيل انهم كانوا ينصبون
الشحوص والجبال يوم الجمعة ويخرجونها يوم الاحد فقتلوا اذ كان زمانا ولم تنزل بهم عقوبة فجهروا على
السبت وقالوا ما نرى السبت الا قد احل لنا فخذوا ولمحوا وأكلوا وباعوا واشتروا فذاعوا ذلك
صار اهل القرية ثلاثة اصناف وكانوا نحو سبعين الفا صنف امسك عن الصيد ونهى عن الاصطياد
وصنف امسك ولم ينه وصنف انهم مكوا في الذنب وهتكوا الحرمه وكان الصنف الثالث اثنى عشر الفا
فلا ابي الجرمون قبول فصيحهم قالوا والله لانسا كسكم في قرية واحدة فقمحوا القرية بينهم بجدار
فقبروا على ذلك سنين ثم لعنهم داود وعضب الله عليهم لاصرارهم على المعصية فخرج الناهون
ذات يوم من بلهم ولم يخرج من الجرمين احد ولم يفتحوا الباب فلما ابطوا تسوروا عليهم الجدار
فاذا هم جميع قردة لهم اذاب وهم يتعاهرون وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير فكنا
ثلاثة ايام ثم هلكوا ولم يمكث * * * فوق ثلاث ولم يتوالدوا قال الله عز وجل (قلنا لهم كونوا

قردة خاسئين) امر نحويل وتكوين ومعنى خاسئين مبعدين مطرودين وقبل فيه تقديم وتأخير معناه كونوا خاسئين قردة ولهذا لم يقل خاسئات (جملناها) بمعنى عقوبتهم بالسبح (نكالا) اى عقوبة وعبرة (لما بين يديها وما خلفها) قبل معناه عقوبة لما مضى من ذنوبهم وعبرة لمن بعدهم . وقيل جعلنا عقوبة قرية اصحاب السبت عبرة لمن بين يديها من القرى التى كانت حاضرة فى الحال وما خلفها اى ما يحدث بعدها من القرى ليتحذروا بذلك وهو قوله عز وجل (وموعظة للمتقين) اى المؤمنين من امة محمد صلى الله عليه وسلم لئلا يفعلوا مثل فعلهم * قوله عز وجل (واذا قال موسى اقوموا ان الله يأمركم ان تدبجوا بقرة) البقرة واحدة البقر وهى الانثى واصليها البقر وهو الشق سميت بذلك لانها تشق الارض للحرث

(ذكر الاشارة الى القصة فى ذلك) *

قال علماء السير والخبار انه كان فى زمن نبي اسرائيل رجل غنى وله ابن عم فقير لا وارث له سواه فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحمله الى قرية اخرى والقاء على بابها ثم اصبح يطلب ثاره وجاء بناس الى موسى يدعى عليهم بالقتل فجعدوا واشتبه امر القتل على موسى عليه الصلاة والسلام فسألوا موسى ان يدهو الله ليعين لهم ما اشكل عليهم فسأل موسى ربه فى ذلك فامرهم بدبح بقرة واصره ان يضربه ببعضها فقال لهم ان الله يأمركم ان تدبجوا بقرة (قالوا انتخذنا هزوا) اى نحن نسألك امر القتل وانت تستهزئ بنا وتأمرنا بدبح بقرة وانما قالوا ذلك لبعد ما بين الامرين فى الظاهر ولم يعلموا موجه الحكمة فيه (قال) يعنى موسى (اعوذ بالله) اى امتنع بالله (ان اكون من الجاهلين) اى المستهزئين بالمؤمنين وقيل من الجاهلين بالجواب لاعلى وفق السؤال فلما علوا ان ذبح البقرة حرم من الله تعالى استوصفوه اياها ولوانهم عدوا الى اى بقرة كانت فذبجوها لاجزأت عنهم ولكن شددوا فشدد عليهم وكان فى ذلك حكمة الله عز وجل وذلك انه كان رجل صالح فى نبي اسرائيل وله ابن لفل وله عجلة فأتى بها غيضة وقال اللهم انى استودعك هذه العجلة لابنى حتى يكبر ومات ذلك الرجل وصارت العجلة فى القنصة هوانا وكانت تهرب من الناس فلما كبر ذلك الطفل وكان بارا بامه وكان يقسم ليله ثلاثة اجزاء يصلى ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس امه ثلثا فاذا اصبح انطلق فيصطب ويأتى به السوق فيبيعه بما شاء الله فيتصدق بثلثه ويأكل ثلثه ويعطى امه ثلثه فقالت له امه يوما يا بنى ان اباك ورنك عجلة استودعها الله فى غيضة كذا فانطلق وادع اله ابراهيم واسماعيل واسحق ان يردها عليك وعلامتها انك اذا نظرت اليها يخيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلودها وكانت تسمى المذبة لحسنها وصغرتها فأتى الفتى النبيصة فرأها ترى فصاح بها وقال اعزم عليك بالله ابراهيم واسماعيل واسحق فاقبلت البقرة حتى وقعت بين يديه فقبض على قرنها يقودها فتكلمت البقرة باذن الله تعالى وقالت ايتها الفتى البار بامه اركبني فانه اهون عليك فقال الفتى ان اى لم تأمرنى بذلك فقالت البقرة والله لوركبني ما كنت تقدر على ابدان فانطلق فملك لوامرت الجبل ان ينقل من اصله لانقلع لبرك بامك فسار الفتى بها الى امه فقالت له امه انك رجل فقير ولا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالهار والقيام بالليل فانطلق فبع البقرة فقال بكم ايجها قالت بثلاثة دنائير ولا تبع بغير مشورتى وكان ثمن البقرة ثلاثة دنائير فانطلق بها الفتى الى السوق وبعث الله ملكا

ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى وقد ورد فى الحديث ان الله تعالى مسح ظهر آدم بيده واخرج ذريته منه كهبة الذرة الحديث فيد الله هو العقل الاقدس والروح الاول الذى هو روح العالمسمى بين الرحمن وآدم هو النفس الناطقة الكلية التى هى قلب العالم ومسحه ظهره تأثير العقل فيها وتنويره اياها بنوره بالاتصال الروحاني واخراج ذريته منه ايجاد النفوس الشخصية الجزئية التى كانت فيها بالقوة واخراجها الى الفعل وعهد الله اليهم بقوله الست بربكم ايداع علم التوحيد فى ذواتهم وميثاق ذلك العهد ركز اداة التوحيد فى عقولهم والزام ذلك العلم اياهم وجعله من الوازم الذاتية لهم بحيث اذا تجردوا عن الصفات النفسانية والفواشى الجسدية تبين لهم ذلك واكتشف عليهم اظهر شئ وابهر وهو اشهادهم على انفسهم لكون ذلك العلم ضروريا حينئذ واجابهم لذلك بقولهم بلى قبولهم الذاتي له ونقض ذلك

العهد انهما كهم في الذات
البدنية والنواشئ الطبيعية
وتعبدهم لهواهم وشهواتهم
بحيث احبوا بها عن
وحدة الله وتعبدوا وقطعهم
ما امر الله بصله امر اضمهم
عن اتصال روح القدس
والمبادئ العالية والارواح
السماوية التي هي الملاء
الاعلى وسكان الحضرة
الالهية من اهل الجبروت
والملكوت الذين يجانسونهم
بذواتهم وصفاتهم وهم
اهل قرابتهم الحقيقية
بتوجههم الى العالم السفلي
ومحبتهم للجواهر الفاسقة
المظلمة وعشقهم وشغفهم
بالامور الخسيسة القسائية
ولهذا قال عليه الصلاة
والسلام ان الله يحب
معالي الامور واشرافها
وبغض سفاسفها اذ كلما
كان مطلوب النفس اخشى
كانت عن العالم الشريف
ابعد * ضروب الناس
عشاق ضروب * فاعذرهم
اشغفهم جيوباً وقدم
تفسير الافساد في الارض
والخسران الذي هو
تضييع الجوهر النوري
الباقى لاجل الظلمات
القائى (كيف تكفرون
بالله) اى على راي حال
يحبون منه (و) الحال

ليرى خلقه قدرته ويختبر الفتى كيف بره بامه وهو اعلم فقال الملك بكم هذه البقرة قال بثلاثة
دنانير واشترط عليك رضا اى فقال له الملك لك ستة دنانير ولا تستأمر امك فقال له الفتى لو
اعطينى وزنها ذهبا لم آخذها الا برضا اى ورجع الفتى الى امه فاخبرها بالثمن فقالت له ارجع
فيها ستة دنانير ولا تبعها الا برضاى فرجع بها الى السوق وايق الملك فقال له استأمرت امك
فقال الفتى نعم انها امرتني ان لا انتقصها عن ستة على رضاها فقال الملك اتى اعطيتك اثني عشر ديناراً
اولاً تستأمرها فابى الفتى ورجع الى امه فاخبرها بذلك فقالت له امه ان الذى يأتىك ملك
في صورة آدمى ليصرك فاذا اتاك فقل له انا امرنا ان نبيع هذه البقرة ام لا ففعل فقال له الملك
اذهب الى امك فقل لها امسكي هذه البقرة فان موسى بن عمر ان يشتريها منك لتقتل يقتل في بني
اسرائيل فلا تبعها الا بملء مسكها ذهبا والمسك الجلد فامسكتها وقدر الله على بني اسرائيل ذبح البقرة
بعينها فزالوا يستوصفون البقرة حتى وصفت لهم تلك البقرة بعينها مكافاة لذلك الفتى على بره
بامه فضلاً من الله تعالى ورحمة فذلك قوله تعالى (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) اى ما سنها
(قال) يعنى موسى (انه يقول) يعنى الله عز وجل (انها بقرة لا فارض ولا بكر) اى لا كبيرة
ولا صغيرة والفاضض المسنة التي لم تلدوا بالبكر الفتية التي لم تلد (هنوان) اى نصف (بين ذلك)
اى بين السنين (فاصلوا ما تؤمرون) اى من ذبح البقرة ولا تكثروا السؤال (قالوا ادع لنا
ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها) قال ابن عباس شديدة الصفرة
وقيل لونها صاف وقيل الصفراء السوداء والاول اصح لانه يقال اصفر فاقع واسود حالاً
(تسرناظرين) اى يعجبهم حسنهما وصفاء لونهما (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) اى سائمة
او حاملة (ان البقر تشابه علينا) اى اليبس واشتبه امرها علينا (وانا ان شاء الله لمهندون)
اى الى وصفها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وايم الله لو لم يستنوا لما بينت لهم آخر الدهر
(قال انه يقول انها بقرة لاذلول) اى ليست مذلة بالعمل (تيرا الارض) اى تغلبها للزراعة
(ولا تسقى الحرث) اى ليست بسانية والسانية هي التي تسقى الماء من البئر لسقى الارض (مسلة)
اى بريشة من الصوب (لاشية فيها) اى لالون فيها غير لونها (قالوا الآن جئت بالحق)
اى باي ان التام الذي لا اشكال فيه فطلبوها فلم يجدوا بقرة بكمال وصفها الا بقرة ذلك الفتى
فاشتروها منه بملء مسكها ذهبا (فدبحوها وما كادوا يفعلون) اى وما قاربوا ان يفعلوا ما امروا به
قل لئلا ثمنها وقيل لخوف الفضيحة وقيل لئلا وجودها بهذه الاوصاف جميعاً * قوله عز وجل
(واذ قتلتم نفساً) خوطبت الجماعة بذلك لوجود القتل فيهم (فاذرا تم فيها) قال ابن عباس
اى اختلفتم واختصمتم من الدرع وهو الدفع لان الخصامين يدفع بعضهم بعضاً (والله مخرج
ما كنتم تكتمون) اى ظهر ما كنتم من امر القتل لا محالة ولا يتركه مكتوماً (فقلنا اضربوه)
يعنى القتل (بعضها) اى بعض البقرة قال ابن عباس ضربوه بالعظم الذي يلي العضروف
وهو اصل الاذن وقيل ضربوه بلسانها وقيل يعجب الذنب وقيل بفخذها اليمين والاخر
انهم كانوا مخبرين في ذلك البعض وانهم اذا ضربوه باى جزء منها اجزأ وحصل المقصود
وانه ليس في القرآن ما يدل على ذلك البعض ما هو وذلك يقتضى التخيير وفي الآية اضمار تقديره
فضربوه فحي وقام باذن الله تعالى واوداجه تشعب دماً وقال قلنى فلان يعنى ابن عمه ثم سقط

انكم (ممن امواتا) نطقا في اصلاص آبائكم (فاحياكم) اى لم لاتسدلون بالخلق على الخالق (ثم يميتكم) بالموت الطبيعى (ثم يحييكم) بالبعث اذ الاول معلوم بالمشاهدة والثانى بالاستدلال عليه بالانشاء الاول (ثم اليه ترجعون) للمجازاة او ثم يميتكم عن انفسكم بالموت الارادى الذى هو الفناء فى الوحدة ثم يحييكم بالحياة الحقيقية التى هى البقاء بعد الفناء بالوجود الموهوب للخلق ثم اليه ترجعون للمشاهدة ان كانت الوحدة وحدة الصفات والشهود ان كانت وحدة الذات (هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا) اى الالهة السفلية التى هى العالم العنصرى جعلا لكونها مبادى خلقكم ومواد وجودكم وبقائكم (ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شئ غليم) اى قد فسدوا مستويا الى الالهة العلوية واثم لتفاوت بين الجهتين والابجاديين الالهة والتكويني لا تراخي بين الزمانين ليلاهم تقدم خلق الارض

مينا مكانه فخرم قاتله الميراث وفى الخبر ماورث قاتل بعد صاحب البقرة (كذلك) اى كما احيا الله حاميل صاحب البقرة (يحيى الموتى) يعنى يوم القيامة (ويربكم آياته لعلكم تعقلون) اى تمنعون انفسكم عن المعاصى (فان قلت كان حق هذه القصة ان يقدم ذكر القتل اولا ثم ذكر ذبح البقرة بعد ذلك فواجه ترتيب هذه القصة على هذا الترتيب (قلت وجهه ان الله لما ذكر من قصص بنى اسرائيل وما وجد من خياناتهم تقربا لهم على ذلك وما وجد فيهم من الآيات العظيمة وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريب وان كانتا متصلتين متحدتين فى نفس الامر فالاولى لتقريبهم على ترك المسارعة الى امثال الامر وما يتبعه والثانية لتقريبهم على قتل النفس المحرمة فلو قدم قصة القتل على قصة الذبح لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض من تسمية التقريب فلماذا قدم ذكر الذبح اولا ثم عقبه بذكر القتل (فان قلت ما فائدة ضرب القتل ببعض البقرة والله تعالى قادر على ان يحييه ابتداء من غير ضرب بشئ) (قلت الفائدة فيه ان تكون الحجة اوكد وعن الحيلة ابعد لاحتمل ان يتوهم ان موسى عليه السلام انما احياه بضرب من السحر والحيلة فاذا احى القتل عند ما ضرب بعض البقرة انتفت الشبهة وهم ان ذلك من عند الله تعالى وبامره كان ذلك (فان قلت هلا امروا بذبح غير البقرة) (قلت الكلام فى غير البقرة لو امروا به كالكلام فى البقرة * ثم فى ذبح البقرة فوائدها منها التقرب بالقرابان على ما كانت العادة جارية عندهم ومنها ان هذا القرابان كان عندهم من اعظم القرابين ومنها تحمل المشقة العظيمة فى تحصيلها بتلك الصفة ومنها حصول ذلك المال العظيم الذى اخذه صاحبها من ثمنها

(فصل فى حكم هذه المسئلة فى شريعة الاسلام اذا وقعت) * وذلك انه اذا وجد قاتل فى موضع ولا يعرف قاتله فان كان ثم لوث على انسان ادعى به والوثن ان يغلب على الظن صدق المدعى بان اجتمع جماعة فى بيت او صحراء ثم تفرقوا عن قاتل فيغلب على الظن ان القاتل فيهم او وجد قاتل فى محلة او قرية وكاهم اعداء القاتل لا يتخالطهم غيرهم فيغلب على الظن انهم قتلوه فان ادعى الولي على بعضهم خلف خسين يمينا على من يدعى عليه وان كان الاولياء جماعة توزع الايمان عليهم فاذا حلفوا اخذوا الدية من مائة المدعى عليه ان ادعوا قتل خطأ وان ادعوا قتل عمد فمن مال المدعى عليه ولا قود عليه فى قول الاكثرين وذهب عمر بن عبد العزيز الى وجوب القود به قال مالك واحد فان لم يكن ثم لوث قال قول المدعى عليه لان الاصل براءة ذمته من القتل وهل يحلف يمينا واحدة ام خسين يمينا فيه قولان احدهما انه يحلف يمينا واحدة كما فى سائر الدعاوى والثانى انه يحلف خسين يمينا تظليلا لامر القاتل وعند ابى حنيفة لاحكم لوث ولا يبدأ بيمين المدعى بل اذا وجد قاتل فى محلة يختار الامام خسين رجلا من صلحاء اهلها فيحلفهم انهم ما قتلوه ولا يعرفون له قاتلا فان حلفوا والاخذ الدية من سكانها * والدليل على ان البداءة بيمين المدعى عند وجود اللوث ماروى عن سهل بن ابى خبيمة قال انطلق عبدالله بن سهل ومحيصة بن مسعود الى خير وهى بوئذ صلح ففرقا فاقى محيصة الى عبدالله بن سهل وهو يتشبه فى دمه قتيل فدفعه ثم قدم المدينة فانطلق عبدالرحمن بن سهل ومحيصة وحويصة ابنا مسعود الى ابى صلى الله عليه وسلم فذهب عبدالرحمن يتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر كبر وهو احدث القوم سنا فسكت فتكلم فقال انحللون ونستحقون

على السماء * فعدلهن سمع
سموات بحسب ما تراه
العامّة اذا الثامن والتاسع
هو الكرسي والعرش
الظاهران والحقيقة ان
الجهة السفلية هي العقل
الجسماني كالبدن واعضائه
لدنوّ رتبته بالنسبة الى العالم
الروحاني الذي هو الجهة
العلوية المعبر عنها بالسماء
وتم للتفاوت بين الخلق
والامر وسواهن سمع
سموات اشارة الى مراتب
عالم الروحانيات فالاول
هو عالم الملكوت الارضية
والقوى المصانية والجن
والثاني عالم النفس والثالث
عالم القلب والرابع عالم
العقل والخامس عالم السر
والسادس عالم الروح
والسابع عالم الخفاء الذي
هو السر الروحي غير
السر القلبي والى هذا
اشار امير المؤمنين عليه
السلام بقوله سلوني عن
طرق السماء فاني اعلم
بها من طرق الارض وطرقها
الاحوال والمقامات
كازده والتوكل والرضا
وامثالها * واعلم ان العقل
باصطلاح الحكمة هو
الروح باصطلاح اهل
التصوّف والذي سميناه
ههنا بالعقل على اصطلاح

قاتلكم او قال صاحبكم قالوا كيف نخلع ولم نشهد ولم نر قال قبرئكم يهود بايمان حسين
منهم قالوا كيف نأخذ بايمان قوم كفار فضله النبي صلى الله عليه وسلم من عنده وفي رواية
يقسم خسون منكم على رجل منهم فيدفع برمته وذكر نحوه وزاد في رواية فكره رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يطل دمه فوداه بمائة من ابل الصدقة اخبراه في المحججين * ووجه الدليل
من هذا الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم بدأ بايمان المدعين لقوى جانبهم باللوث لان اليقين
ابدا تكون لمن يقوى جانبه وعند عدم اللوث تكون من جانب المدعى عليه من حيث ان الاصل
براءة ذمته فكان القول قوله مع يمينه والله اعلم * قوله عز وجل (ثم قست قلوبكم) اي
يمست وجفت * وقساوة القلب انزع الرحمة منه * وقيل معناه غلظت واسودت (من بعد ذلك)
اي من بعد ظهور الدلالات التي جاء بها موسى وقيل هي اشارة الى احياء القتل بعد ضربه بعض
البقرة (فهي) بمعنى القلوب في الغلظ والشدة (كالجارحة) اي كالشيء الصلب الذي لا يتخلل
فيه (او) قيل او بمعنى بل وقيل بمعنى الواو اي و (اشد قسوة) فان قلت لم شبه قلوبهم
بالجارحة ولم يشبهها بالحديد وهو اشد من الجارحة واصلب * قلت لان الحديد قابل للين بالنار وقد
لان لداود عليه الصلاة والسلام والجارحة ليست قابلة للين فلاتلين قط * ثم فضل الجارحة على القلب
اقامى فقال (وان من الجارحة لما يتفجر منه الانهار) قيل اراد به جميع الجارحة وقيل اراد به الحجر
الذي كان يضرب عليه موسى ليسقي الاسباط والتفجير التفتح بالسعة والكثرة (وان منها لما
يشقق فيخرج منه الماء) بمعنى العيون الصفراء التي هي دون الانهار (وان منها لما يهبط من خشية الله)
اي ينزل من اعلى الجبل الى اسفله وخشيتها عبارة عن انقيادها لامر الله وانها لاتمتنع عما يريد
منها وقلوبكم يامعشر اليهود لاتلين ولا تخشع * فان قلت الحجر جاد لا يعقل ولا يفهم فكيف
يخشي * قلت ان الله تعالى قادر على افهام الحجر والجمادات فتعقل وتخشي بالهام لها ومذهب اهل
السنة ان الله تعالى اودع في الجمادات والحيوانات علما وحكمة لا يقف عليهما غيره فلها صلاة
وتسبيح وخشية يدل عليه قوله وان من شيء الا يسبح بحمده وقال تعالى والطير صافات كل قد
علم صلاته وتسبيحه فيجب على المرء الايمان به وبكل علمه الى الله تعالى (م) عن جابر بن سمرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف جبرا بمكة كان يسلم على قبل ان ابعث واني لاعرفه
الآن عن علي قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا الى بعض نواحيها فاستقبله
شجر ولا جبل الا هو يقول السلام عليك يا رسول الله اخرجه الترمذي وقال حديث غريب (خ) عن
جابر بن عبد الله قال كان في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم جذع في قبلته يقوم اليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم في خطبته فلما وضع المنبر سمعنا للجن حينا مثل صوت العشار حتى نزل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه وفي رواية صاحبت الخلة صياح الصبي فنزل صلى الله عليه وسلم
حتى اخذها فضمها اليه فجعلت تنن آنين الصبي الذي لا يسكت حتى استقرت قال بكنت على ما كانت
تسمع من الذكرة قال مجاهد ما ينزل جبر من أعلى الى أسفل الا من خشية الله وذلك يشهد لما قلنا (وما
الله بنافل عما تعملون) فيه وعيد وتهديد والمعنى ان الله بالرصاد لهؤلاء القاسية قلوبهم
وحافظ لآعالمهم حتى يحازبهم بها في الآخرة * قوله عز وجل (انظرمون) خطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم لانه هو الداعي الى الايمان واتماذكركه بلفظ الجمع تعظياله وقيل هو خطاب

المتصوفة هو القوة العاقلة التي للنفس اللاطقة عند الحكماء ولهذا قالت المتصوفة العقل هو موضع صقيل من القلب متنور بنور الروح والقلب هو النفس الناطقة فاحفظه ثلاثين شوش الفهم باختلاف الاصطلاح (واذ قال ربك للملائكة) اذ اشارة الى السرمد الذي هو من الازل الى الابد والقول هو القاء معنى تعلق شبيثة الله تعالى بايجاد آدم في الذوات القدسية الجبروتية التي هي الملائكة المقربون والارواح الجبروتية والملكويتية التي هي النفوس السماوية اذ كل ما يحدث في عالم الكون له صورة قبل التكوين في عالم الروح الذي هو عالم القضاء السابق ثم في عالم القلب الذي هو قلب العالم المسمى بالسوح المحفوظ ثم في عالم النفس اي نفس العالم الذي هو لوح المحو والاثبات المعط عنه بالسما الدنيا في التنزيل كما قال تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم فذلك قوله تعالى للملائكة (اني جاعل في الارض خليفة) واستبر بحالك

لنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه لانهم كانوا يدعونهم الى الايمان ايضا ومعنى انطمعون افترجون (ان يؤمنوا لكم) اي يصدقكم اليهود بما تخبرونهم وقيل معناه انطمعون ان يؤمنوا لكم مع انهم لم يؤمنوا بموسى عليه الصلاة والسلام وكان هو السبب في خلاصهم من الذل وظهور المجزات على يده (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله) قيل المراد بالفريق هم الذين كانوا مع موسى يوم الميقات وهم الذين سمعوا كلام الله تعالى وقيل المراد بهم الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهو الاقرب لان الضمير راجع اليهم في انطمعون ان يؤمنوا لكم فعلى هذا يكون معنى يسمعون كلام الله يعني التوراة لانه يصح ان يقال لمن يسمع التوراة يسمع كلام الله (ثم يحرفونه) اي يغيرون كلام الله ويبدلونه * فنفس الفريق الذين يسمعون كلام الله بالفريق الذين كانوا مع موسى عليه السلام استدلل بقول ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في السبعين الذين اختارهم موسى لميقات ربه وذلك لانهم لما رجعوا الى قومه بعدما سمعوا كلام الله اما الصادقون منهم فانهم ادوا كما سمعوا وقالت طائفة منهم سمعنا الله يقول في آخر كلامه ان استطعتم ان تفعلوا فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فكان هذا تحريفهم * ومن فسر الفريق الذين كانوا يسمعون كلام الله بالذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان تحريفهم تبديلهم صفة النبي صلى الله عليه وسلم وآية الرجم في التوراة (من بعد ما سئلوه) اي حلوا صحة كلام الله ومراده فيه ثم مع ذلك خالفوه (وهم يعملون) اي فساد عقائدهم ويعملون ايضا انهم كاذبون * قوله عز وجل (واذ القوا الذين آمنوا قالوا آمنا) نزلت هذه الآية في اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضي الله عنهما ان منافق اليهود كانوا اذ القوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لهم آمنا بالذي آمنت به وان صاحبكم صادق وقوله حق وانما نجد نفعه وصفته في كتابنا (واذ خلا بعضهم الى بعض) يعني كعب بن الاشرف وكعب بن اسد ووهب بن يهودا ورؤساء اليهود لاموا منافق اليهود على ذلك و (قالوا اتحدثونهم بما قبح الله عليكم) يعني قص الله عليكم في كتابكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وانه حق وقوله صدق (ليحاوكم به) اي ليخاصمكم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ويحتجوا عليكم بقولكم فيقولون لكم قد اقرتم ان النبي حق في كتابكم لم لا تتبعونه * وذلك ان اليهود قالوا لاهل المدينة حين شاوروهم في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم آمنوا به فانه نبي حق ثم لام بعضهم بعضا وقالوا اتحدثونهم بما قبح الله عليكم لتكون لهم الحجة عليكم (عند ربكم) اي في الدنيا والآخرة وقيل هو قول يهود بني قريظة بعضهم لبعض حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يا اخوان القردة والخنازير قالوا من اخبر محمد بهذا هذا ما خرج الامنكم وقيل ان اليهود اخبروا المؤمنين بما عذبهم الله به من الجنائيات فقال بعضهم لبعض اتحدثونهم بما قضى الله عليكم من العذاب ليروا الكرامة لانفسهم عليكم عند الله (فليأمنوا) اي ان ذلك لا يلبق بآثارهم عليه (اولايعلون) يعني اليهود (ان الله يعلم ما يسرون) اي ما يخفون (وما يعلنون) اي ما يدون وما يظهرون * قوله عز وجل (ومنهم) اي من اليهود (اميون) اي لا يحسنون الكتابة ولا القراءة جمع اي وهو المنسوب الى امه كانه باق على ما انفصل من الام لم يتعلم كتابة ولا قراءة (لا يعلمون الكتاب الا مااتي) جمع امية وهي التلاوة ومنه قول الشاعر

تمنى كتاب الله اول ليلة * تمنى داود الزبور على رسل

لى تلاك كتاب الله وقال ابن عباس رضى الله عنهما * عنهما غير مارفين بمعنى كتاب الله تعالى وقيل الاماني الاحاديث الكاذبة المخالفة وهى الاشياء التى كتبها عليهم من عند انفسهم و اضافوها الى الله تعالى وذلك من تغيير نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته وغير ذلك وقيل هو من التمنى وهو قولهم لن نتمسنا النار الا اياما معدودة وغير ذلك مما تمنوه فلى هذا يكون المعنى لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون اشياء لا تحصل لهم (وانهم الايظنون) اى ليسوا على يقين (فويل) الويل كلمة تقولها العرب لكل من وقع فى هلكة واصلها فى اللغة العذاب والهلاك وقال ابن عباس الويل شدة العذاب وعن ابي سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الويل واد فى جهنم يهوى فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قرعته اخرجته الترمذى وقال حديث غريب الخريف سنة (للذين يكتبون الكتاب بايديهم) تأكيد للكتابة لانه يحتمل ان يأمر غيره بان يكتب فقال بايديهم لنى هذه الشبهة والمراد بالذين يكتبون الكتاب اليهود وذلك ان رؤساء اليهود خافوا ذهاب ما كانهم وزوال رياستهم حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فاحتالوا فى تعويق سفلتهم عن الايمان به فعمدوا الى صفته فى التوراة فغيروها وكانت صفته فيها حسن الوجه حسن الشعر اكل العينين ربعة فغيروا ذلك وكتبوا مكانه طوال ازرق العينين سبط الشعر فكانوا اذا سألهم سفلتهم عن ذلك قرؤا عليهم ما كتبوا (ثم يقولون هذا من عند الله) يعنى هذه الصفة التى كتبوها فاذا نظروا الى النبي صلى الله عليه وسلم والى تلك الصفة وجدوه مخالفا لها فيكذبونه ويقولون انه ليس به (يشتروا به) اى بما كتبوا (ثمنا قليلا) اى المآكل والزشا التى كانوا ياخذونها من سفلتهم قال الله تعالى (قويل لهم عما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون) قوله عز وجل (وقالوا) اى اليهود (لن تمسنا) اى لن نصيبنا (النار الا اياما معدودة) اى قدرا مقدرا ثم يزول عنا العذاب * قال ابن عباس قالت اليهود مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانا نعذب بكل الف سنة يوما ثم ينقطع عنا العذاب بعد سبعة ايام وقيل انهم هنوا بالايام الاربعين يوما التى عبدوا فيها الجبل وقيل ان اليهود زعوا ان الله تعالى كتب عليهم فى امر فاقسم لبعذبهم اربعين يوما تحلة القسم فقال الله ردا عليهم وتكذيبا لهم (قل) اى يا محمد لليهود (اتخذتم عند الله عهدا) اى موثقا ان لا يعذبكم الا هذه المدة (فلن يخلف الله عهدا) اى وعده (ام تقولون على الله ما لا تعلمون بل) اثبات لما بعد حرف النفى وهو قوله لن تمسنا النار والمعنى بلى تمسكم النار ابدا (من كسب سيئة) السيئة اسم يتناول جميع المعاصي كبيرة كانت او صغيرة والسيئة هنا الشرك فى قول ابن عباس (واحاطت به خطيئته) اى احذقته من جميع جوانبه قال ابن عباس هى الشرك يموت عليه صاحبه * وقيل احاطت به اى اهلكته خطيئته واحاطت فواب طاعته فعل مذهب اهل السنة بتعين تفسير السيئة والخطيئة فى هذه الآية بالكفر والشرك قوله تعالى (فأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) فان الخلود فى النار هو الكفار والمشركون (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) فان قلت العمل الصالح خارج عن اسم الايمان لانه تعالى قال والذين آمنوا وعملوا الصالحات ظلود الايمان على العمل الصالح لكان ذكر العمل الصالح بدلا لايان تكراره قلت اجاب بعضهم

فى نفسك فان كل ما يظهر على جوارحك التى هى عالم كونك وشهادتك من القول والفعله وجود فى روحك التى هى ما وراء غيب غيبك ثم فى غيب غيبك ثم فى نفسك التى هى غيبك الاذن وسماؤك الدنيا ثم يظهر على جوارحك والجعل اعم من الايمان والتكوين فلم يقل خالق لان الانسان مركب من العالمين خليفة يتخلى باخلاقي ويتصف باوصافى ويتخذ امرى ويسوس خلقى ويدبر امرهم ويضبط نظامهم ويدعوهم الى طاعنى وانكار الملائكة بقولهم (قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) وتعريضهم باولويتهم لذلك بقولهم (ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) هو احبهم عن ظهور معنى الآية والوصاف الربانية فيه التى هى من خواص الينة الاجتماعية والتركيب الجامع للعالمين الحاصلما فى الكونين وعلمهم بصدور الافعال البهيمية التى هى الافاضة فى الارض والسبعة المعبر عنها بسفك الدماء التى هما من خواص قوة الشهوة والغضب الضرورى

بأن الإيمان وإن كان يدخل فيه جميع الأعمال الصالحة إلا أن قوله آمن لا يفيد إلا أنه فعل
فلا واحدا من أفعال الإيمان فلهذا حسن أن يقول والذين آمنوا وعملوا الصالحات وقيل
أن قوله آمنوا يفيد الماضي وعملوا الصالحات يفيد المستقبل فكأنه تعالى قال آمنوا أو لا
ثم داوموا عليه آخر ويدخل فيه جميع الأعمال الصالحة (أو تلك أصحاب الجنة هم فيها خالدون)
قوله مزوج (واذ اخذنا ميثاق بني إسرائيل) يعني في التوراة والميثاق العهد الشديد
(للتعبود لا الله) أي أمر الله تعالى بعبادته فدخل تحته النهي عن عبادة غيره لأن الله
تعالى هو المستحق للعبادة لا غيره (وبالوالدين إحسانا) أي برا بهما ورحمة لهما وزولا
عند أمرهما فيما لا يخالف أمر الله تعالى ويوصل إليهما ما يحتاجان إليه ولا يؤذيهما البتة وإن كانا
كافرين بل يجب عليه الإحسان إليهما ومن الإحسان إليهما أن يدهوهما إلى الإيمان بالرفق واللين
وكذا أن كانا فسقين يأمرهما بالمعروف بالرفق واللين من غير عنف وإنما عطف بر الوالدين على الأمر
بعبادته لأن شكر الأم وأمر الله على عبده أعظم الأم لأنه هو الذي خلقه وأوجده بعد العدم فيجب
تقديم شكره على شكر غيره ثم إن للوالدين على الولد نعمة عظيمة لأنهما السبب في كونه الولد ووجوده
ثم إن لهما عليه حق التربية أيضا فيجب شكرهما ثانيا (وذي القربى) أي القرابة لأن حق القرابة
تابع لحق الوالدين والإحسان إليهم إنما هو بواسطة الوالدين فلهذا حسن عطف القرابة
على الوالدين (واليتامى) جمع يتيم وهو الذي مات أبوه وهو طفل صغير فإذا بلغ الحلم زال
عنه اليتيم وتجب رعاية حقوق اليتيم لثلاثة أمور لصغره وبيته وخلوه عن يقوم بمصلحته
أذ لا يقدر هو أن ينتفع بنفسه ولا يقوم بمحوائجه (والمساكين) جمع مسكين وسيتاى بيانه
إن شاء الله تعالى وإنما تأخرت درجة المساكين عن اليتامى لأنه قد يمكن أن ينتفع بنفسه وينفع
غيره بالخدمة (وقولوا للناس حسنا) فيه وجهان أحدهما أنه خطاب للحاضرين من اليهود
في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فلهذا عدل من الغيبة إلى الحضور والمعنى قولوا حقا وصدقا
في شأن محمد صلى الله عليه وسلم فن سألهم عنه فاصدقوه وبيّنوا صفته ولا تكنوها قاله ابن عباس
والوجه الثاني أن الخطابين به هم الذين كانوا في زمن موسى عليه السلام وأخذ عليهم الميثاق
وأنما عدل من الغيبة إلى الحضور على طريق الالتفات كقوله حتى إذا كنتم في الفلك وجريتم بهم
وقبل فيه حذف تقديره وقلنا لهم في الميثاق وقولوا للناس حسنا ومعناه مروهم بالمعروف
وأنهوهم عن المنكر وقيل هو اللين في القول والعشرة وحسن الخلق (واقموا الصلاة وآتوا
الزكاة) ولما أمرهم الله تعالى بهذه التكاليف الثمانية لتكون لهم المنزلة عنده بما التزاموا به أخبر
هم أنهم ما وافوا بذلك بقوله تعالى (تم توليتم) أي امرضتم عن العهد (الأقليات منكم)
يعني من الذين آمنوا منهم كعب الله بن سلام وأصحابه فانهم وفوا بالعهد (واتم معروضون)
أي كأمراض آبائكم قوله عز وجل (واذ اخذنا ميثاقكم) قيل هو خطاب لمن كان في زمن
النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود وقبل هو خطاب لآبائهم وفيه تفرغ لهم (لأنفسكم)
أي لا تزيقون (دماءكم) أي لا يسفك بعضكم دم بعض وقيل معناه لا تسفكوا دماء غيركم فيسفك دماءكم
فكانكم أنتم سفكتم دماء أنفسكم (ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) أي لا تخرج بعضكم بعضا
من داره وقبل لا تفعلوا شيئا فخرجوا بسببه من دياركم (ثم اقرئهم) أي بهذا العهد أنه حق

وجودهما في تعلق الروح
بالبدن وبزاهة ذواتهم
وتقدس نفوسهم عن ذلك
أذ كل طبقة من الملائكة
المقدسة تطلع على ماتحتها
وما في أنفسها ولا تطلع على
ما فوقها فهي تعلم أنه لا بد
في تعلق الروح العلوي
النوراني بالبدن السفلي
الظلماني من واسطة تناسب
الروح من وجهه وتناسب
الجسم من وجهه هي النفس
وهي مأوى كل شر ومنبع
كل فساد ولا تعلم أن الجمعة
الإنسانية جالبة للنور
الالهي الذي هو سر (قال
أني أعلم لا تعلمون) والفرق
بين التسبيح والتقدیس
أن التسبيح هو التزني عن
الشريك والعجز والقص
والتقدیس هو التزني عن
التعلق بالحصل وقبول
الانفعال وشوائب الأماكن
والمعدّد في ذاته وصفاته
وكون شيء من كالاته بالقوة
فالتقدیس أخص أذ كل
مقدس مسبح وليس كل
مسبح مقدس فالملائكة
المقبولون الذين هم الأرواح
الجليلة بغير دم وعدم
أجسامهم وقهرهم ماتحتهم
بأفلاك النور عليهم وتأثيرهم
في غيرهم وكون جميع
كالاتهم بالفضل مقدسون

وغيرهم من الملائكة
السماوية والارضية يسبحون
ببساطة ذواتهم وخواص
افعالهم وكالاتهم (وعلم آدم
الاسماء كلها) اى التى فى
قلبه خواص الاشياء التى
تعرف بهامى ومنافها
ومضاها (ثم عرضهم)
اى عرض مسمياتها (على
الملائكة) بشهودهم البينة
الانسانية ومرافقتهم
لاדם لالتنزيل ومعنى
قوله (فقال انبؤنى باسماء
هؤلاء ان كنتم صادقين)
ارادته لانتعاشهم بعض
معلومات الانسان باقتضاء
التركيب الانسانى وتأدى
محسوساته ومعلوماته
النوعية منها والحادثة
فيه بخاصة التركيب
والهيئة الاجتماعية الى
ذواتهم بعد ما لم تكن
اذلواهم تابعة لعله وهو
معنى افعالهم وتعلق
ارادته بذلك امر آدم
بالانباء اذ يجيب القرى
الانسانية والملائكة التى
يحضره تنعش بمالا
تنعش هى فى غير ذلك
الحل وهو معنى انباء آدم
ايهم ومعنى قوله (قالوا
سبحانك لا علم لنا الا ما علمنا
انك انت العليم الحكيم)
شهادة وجوداتهم بالدلالة

(وانتم تشهدون) يعنى انتم يامعشر اليهود اليوم تشهدون على ذلك (ثم انتم هؤلاء) يعنى
يا هؤلاء اليهود (تقتلون انفسكم) اى يقتل بعضهم بعضا (وتخرجون فرقا منكم من ديارهم)
اى يخرج بعضهم بعضا من ديارهم (تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان) اى تعاونون عليهم بالمعصية
والظلم (وان ياتوك اسارى) جمع اسير (تقدوهم) اى بالمال وهو استقاذهم بالشراء وقرئ
تقادوهم اى تبادلوهم وهو مفاداة الاسير بالاسير ومعنى الآية ان الله تعالى اخذ على بنى اسرائيل
فى التوراة ان لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم واما عبد او امه من بنى اسرائيل
وجدتموه فاشتروه بمقام من ثمنه واعتقوه وكانت قريظة حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج وكان
بين الاوس والخزرج حروب فكانت بنو النضير تقاتل مع حلفائهم وبنو قريظة تقاتل مع حلفائهم
فاذا غلب احد الفريقين اخرجه من ديارهم وخربوها وكان اذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له
مالا يقدونه به فيعيرتهم العرب وقالوا كيف تقاتلونهم ثم تقدوهم فقالوا انا امرنا ان نقدبهم
فقالوا كيف تقاتلونهم فقالوا انا نسحقى ان نذل حلفاؤنا فيعيرهم الله تعالى فقال ثم انتم هؤلاء
تقتلون انفسكم وفى الآية تقديم وتأخير تقديره وتخرجون فرقا منكم من ديارهم تظاهرون
عليهم بالاثم والعدوان (وهو محرم عليكم اخراجهم) وان ياتوك اسارى تقدوهم فكان الله
تعالى اخذ عليهم اربعة عهود ترك القل وترك الاخراج وترك المظاهرة مع اعدائهم وفك
اسراهم فاعرضوا عن الكل الا الفداء قال الله عز وجل (افئذمنون بعض الكتاب وكفرون
بعض) معناه ان وجدتموه فى بدغيركم قد تبوههم وانتم تقتلونهم بايديكم فكان ايمانهم الفداء
وكفرهم قتل بعضهم بعضا فذمهم على مناقضة افعالهم لاهل الفداء لانهم اتوا بعض ما وجب
عليهم وتركوا البعض (فاجزاء من يفعل ذلك منكم) يعنى يامعشر اليهود (الآخرى فى الحياة
الدنيا) اى عذاب وهوان فكان خزى بنى قريظة القتل والسبي وخزى بنى النضير الاجلاء
والننى من منازلهم الى اربحاء واذرعات من ارض الشام (ويوم اقيامة يردون الى اشد العذاب)
يعنى عذاب النار (ومالله بغافل عما تعملون) فيه وعيد وتهديد عظيم (اولئك الذين اشترؤا)
اى استبدلوا (الحياة الدنيا بالآخرة) لان الجمع بين لذات الدنيا والآخرة غير ممكن فمن اشغل
بمحصل لذات الدنيا فاتته لذات الآخرة (فلا يخفف عنهم العذاب) اى فلا يهون عليهم
(ولا هم ينصرون) اى ولا يمنعون من عذاب الله تعالى قوله عز وجل (ولقد آتينا) اى اعطينا
(موسى الكتاب) يعنى التوراة جلة واحدة (وقفيا) اى وابتعنا من التقية وهوان يقفوا
اثر الآخر (من بعده بالرسول) يعنى رسولا بعد رسول وكانت الرسل من بعده موسى الى زمن
عيسى عليهم السلام متواترة بظهور بعضهم فى اثر بعض والشريعة واحدة قبل ان الرسل بعد
موسى يوشع بن نون واشمويل ودود وسليمان وارميا وخرقيل والياس ويونس وزكريا
ويحيى وغيرهم وكانوا يحكمون بشريعة موسى الى ان بعث الله تعالى عيسى عليه السلام
لجاءهم بشريعة جديدة وغير بعض احكام التوراة فذلك قوله تعالى (وآتينا موسى بن مريم
اليينات) اى الدلالات الواضحات وهى المبررات من احياء الموتى وبراء الاكلى والابرص
وقيل هى الانجيل واسم عيسى بالسرانية اشوع ومريم بمعنى الخادم وقبل هواسم علم لها
كزيد من الرجال (وايدناه) اى وقوتناه (روح القدس) قيل اراد الروح الذى

والسنة الحلال على قصورهم
عن الكمالات الانسانية
وتخلفهم عن شأوها
وبتزيه الله عن فعل ما فيه
مفسدة بالاجال وعلمهم
بامتناع ترفيقهم الى مراتبهم
بكسب العلوم اذ كالاتهم
مقارنة لوجوداتهم وبأن
علمه تعالى فوق علمهم فهو
العليم المطلق والحكيم
الذى لا يفعل الا ما ينبغي
ولهذا (قال يا آدم أنتهم
باسمائهم فلانابهم باسمائهم)
ولم يقل علمهم لان العلم
المكتسب الموجود للترقى
هو من خاصية الجمعية
الانسانية فلا يقبل كل منها
الا ما في طباعه من جنس
مدركاته لا غير وكان
البصر مثلا من كثرة
مبصراته لا يزيد علو رتبة
ولا يقبل الا ما هو من جنس
المبصرات فقط وان كثرت
عنده فكذلك حال كل
قوة باطنة ومعنى (قال الم
اقل قال لكم اى اعلم
خب السحوات والارض)
تقريره في طباع الملائكة
انما تعالى يعلم ما لا يعلمون
من غيب السموات والارض
الذى هو سر المعرفة
والحكمة المودع في الانسان
الذى استأثر الله بعلمه (واعلم
مبدون) من علمكم بمفاسد

تفخ فيه والقدس هو الله تعالى و اضاف روح عيسى اليه تديريفا وتكريما وتخصيضا كقول
عبدالله واه الله وبيت الله * وناق الله وقال ابن عباس هو اسم الله الاعظم الذى كان عيسى يحيى به
الموتى * وقيل هو الانجيل لانه حياة القلوب سماه روحا كما سمي القرآن روحا * وقيل هو جبريل
ووصف بالقدس وهو الطهارة لانه لم يقترب ذنبا قط * وقبل اقدس هو الله تعالى والروح جبريل
كقول عبدالله سمي جبريل روحا للطهارة لانه روحا خاق من النور وفيل سمي روحا لمكانه
من الوحي الذى هو سبب حياة القلوب وحل روح القدس هنا على جبريل اولى لانه تعالى قال
وايدناه اى قوتناه بجبريل وذلك انه امر ان يكون مع عيسى ويسير معه حيث سار فلم يشاركه
حتى صعد به الى السماء فلا سمحت اليهود بذكر عيسى قالوا يا محمد لا مثل عيسى كآثرهم علمت ولا كآقص
علمنا من اخبار الانبياء فصارت فائتبا بما تبه عيسى ان كنت صادقا قال الله تعالى (افكلما جاءكم) بنى
ياه مشر اليهود (رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم) اى تعاضتم عن الايمان به (ففريقا كذبتم)
يعنى مثل عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم (وفريقا تقتلون) بنى مثل زكرياء ويحيى وسائر
من قتلوه وذلك ان اليهود كانوا اذا جاءهم رسول بما لا يهونون كذبوه فان تنبأ لهم قتلوه
وانما كانوا كذلك لارادتهم الدنيا وطلب الرياسة (وقالوا) بنى اليهود (قلوبنا غلف) جمع اغلف
وهو الذى عليه غشاوة فلا يبعى ولا يفقه * قال ابن عباس غلف بضم اللام جمع غلاف والمعنى ان قلوبنا
اوعية العلم فلا تحتاج الى علك وقيل اوعية من الوحي لا تنفع حديثا الا وعتة الاحديثك فانها لا تعيه ولا تعقله
ولو كان خيرا لفهمته ووعته قال الله تعالى (بل لعنهم الله بكفرهم) اى طردهم وابعدهم من كل
خير وسبب كفرهم انهم اعترفوا بنبوته محمد صلى الله عليه وسلم ثم انهم انكروه وجحدوه فاهذا لعنهم الله
تعالى (قليلا ما يؤمنون) اى لم يؤمن منهم الا قليل لان من آمن من المشركين كان اكثر منهم قوله
عز وجل (ولما جاءهم كتاب من عند الله) يعنى القرآن (صدق لما هم) بنى التوراة وهذا التصديق
في صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لان نبوته وصفته ثابتة في التوراة (وكانوا) يعنى اليهود (من قبل)
اى من قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم (يستفخون) اى يستنصرون به (على الذين كفروا)
يعنى مشركى العرب وذلك انهم كانوا اذا اجزئهم امر ودعاهم عدو يقولون اللهم انصرنا بالتي المبعوث
في آخر الزمان الذى نبجده صفته في التوراة فكانوا ينصرون وكانوا يقولون لاهدائهم من المشركين
قد اظلم زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فتتقلكم معه قتل عاد وارم (فلما جاءهم ماصرفوا)
اى الذى عرفوه يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم عرفوا نعتة وصفته وانه من غير بنى اسرائيل
(كفروا به) اى جحدوه وانكروه بنيا وحسدا (فلنعة الله على الكافرين بشما اشتروا به انفسهم)
اى بشى شئ اشتروا به انفسهم حين استبدلوا الباطل بالحق واشتروا بمعنى باعوا والمعنى بشى
ما باعوا به حظ انفسهم (ان يكفروا بما ازل الله) يعنى القرآن (بنيا) اى حسدا (ان ينزل الله
من فضله) يعنى الكتاب والنبوة (على من يشاء من عباده) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (فباؤا)
اى فرجعوا (بنفض على غضب) اى مع غضب قال ابن عباس النفض الاول بتضييعهم التوراة
وتبديلها والثانى بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم * وقبل الاول بكفرهم بعيسى والانجيل والثانى
بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن * وقبل الاول بعبادتهم الجبل والثانى بكفرهم بمحمد صلى الله
عليه وسلم (وللكافرين) بنى الجاحدين نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من الناس كلهم (عذاب
مهم) اى يمانون فيه (واذا قيل لهم آمنوا بما ازل الله) يعنى بالقرآن وقيل بكل ما ازل الله

(قالوا نؤمن بما انزل علينا) بمعنى التوراة وما انزل على انبيائهم (ويكفرون بما وراءه) اى بما سواه من الكتب وقبل بما بعده بمعنى الانجيل والقرآن (وهو الحق) يعنى القرآن (مصدقا لمامهم) يعنى التوراة (قل) يا محمد (فليقتلون ابناء الله من قبل) انما اضاف القتل للمخاطبين من اليهود وان كان سلفهم قتلوا لانهم رضوا بفعلهم قيل اذا علت المعصية فى الارض فمن كررها وانكرها برى منها ومن رضىها كان من اهلها (ان كنتم مؤمنين) اى بالتوراة وقد نهيت فيها عن قتل الانبياء قوله عز وجل (ولقد جاءكم موسى بالبينات) اى بالدلالات الواضحة والمجيزات الباهرة (ثم اتخذتم الجبل من بعده) اى من بعد موسى لاذبح الى الميقات (واتم ظالمون) انما كرره بكيكيتالهم وتأكيد الصحبة عليهم (واذا اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا) اى استجبوا والطيعوا اى فيما امرتم به (قالوا سمعنا) يعنى قولك (وعصينا) يعنى امرك وقيل انهم لم يقولوا بالستهم ولكن لاسمعوه وتلقوه تقوه بالعصيان فنسب ذلك اليهم (واشربوا فى قلوبهم الجبل بكفرهم) اى تداخل حبه فى قلوبهم والحرص على عبادته كما يتداخل الصبغ فى الثوب وقيل ان موسى امر ان يرد الجبل ويذرى فى الهر وامرهم ان يشربوا منه فمن بقى فى قلبه شئ من حب الجبل ظهر سهالة الذهب على شارب (قل يئسما يا امركم به ايمانكم) اى بان تعبدوا الجبل والمعنى يئس الايمان ايمان يأمر بعبادة الجبل (ان كنتم مؤمنين) اى بزعمكم وذلك انهم قالوا نؤمن بما انزل علينا فكذبهم الله تعالى بذلك فى قوله تعالى (قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس) وذلك ان اليهود ادعوا دعواى بالالة منها قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او قولهم نحن ابناء الله واحبواؤه فكذبهم الله والزهم الالهة فقال قل يا محمد لليهود (ان كانت لكم الدار الآخرة) يعنى الجنة (خالصة) لكم (من دون الناس فتموا الموت) اى فاطلبوه واسالوه لان من علم ان الجنة مأواه وانفاله حن اليها ولا سبيل الى دخولها الا بعد الموت فاستجملوا بالتخنى (ان كنتم صادقين) اى فى قولكم ودعواكم روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو تمنوا الموت لقسم كل انسان بريقه وما بقى على وجه الارض يهودى الامات قال الله تعالى (ولن يتنوه ابدا) اى لعلمهم انهم فى دعواهم كاذبون (بما قدمت ايديهم) يعنى من الاعمال السيئة وانما اضاف العمل الى اليد لان اكثر جنائيات الانسان تكون من يده (والله عليم بالظالمين) فيه تخويف وتهديد لهم وانما خصهم بالظلم لانه اعلم من الكفر لان كل كافر ظالم وليس كل ظالم كافرا فلهذا كان اعلم وكانوا اولى به (ولتعبدنهم) اللام للقسم والنون للتوكيد تقديره والله ليعبدنهم يا محمد يعنى اليهود (احرص الناس على حياة) اى حياة متطاولة والحرص اشد الطلب (ومن الذين اشركوا) قيل هو متصل بما قبله ومعطوف عليه والمعنى واحرص من الذين اشركوا فان قلت الذين اشركوا قد دخلوا تحت الناس فى قوله احرص الناس فلم افردهم بالذكرة قلت افردهم بالذكرة لشدة حرصهم وفيه توبيخ عظيم لليهود لان الذين لا يؤمنون بالمعاد ولا يعرفون الاحياء الدنيا لا يستبعد حرصهم عليها فاذا زاد عليهم فى الحرص من له كتاب وهو مقرر بالبحث والجزاء كان حقيقا بالتوبيخ العظيم وقبل ان الواو واواستئناف تقديره ومن الذين اشركوا اتيس (بود احدهم) وهم الجوس سموا بذلك لانهم يقولون بالنور والظلمة بود اى يتنجس احدهم (لويهم الف سنة) اى تعمر الف سنة وانما خص الف لانها نهاية العقود

الانسان (وما كنتم تكتمون) من ترجمكم ذواتكم عليه لئلا تهاونوا وتقدسها (واذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم سجودهم لآدم انقيادهم وتذللهم له ومطاعتهم وتسخرهم له) فسجدوا (الا ابليس ابى واستكبر) وابليس هو القوة الوهمية لانها ليست من الملائكة الارضية الصرفة المحسوبة عن ادراك المعاني بادراك الصور فيزد عن بالقهر مطاوعة لامر الله ولا من السماوية العقلية فتدرك شرف آدم وتوافق عقله فيذعن بالحجة طابا لارض الله وكان جنيا اى من جملة المملوكات السفلية والقوى الارضية نشأ وترى بين ظهور الملائكة السماوية لادراك المعاني الجزئية وترقى الى الاقوى العقلية ولهذا كان فى الحيوانات العجم بمنزلة العقل فى الانسان واباؤه عدم انقياده للعقل وامتناعه لقبول حكمه واستكباره تقوفه على الخلق الطيبة والملائكة السماوية والارضية بعدد وقوفه على حدة من ادراك المعاني الجزئية المتعلقة بالمحسوسات وتعذبه عن طوره بخوضه فى

لأنها تحية الجوس فيما بينهم يقولون زه هزارسال اى عش الف سنة اوالف نير وزاوالف
 مهرجان فهذه تحيتهم والمعنى ان اليهود احرص من الجوس الذين يقولون ذلك (وما هو
 بمزحزحه) اى بمعاذ (من العذاب) اى النار (ان يمر) اى لو عمر طول عمره لا يتغذ
 من العذاب (والله بصير بما يعملون) اى لا يخفى عليه خافية من احوالهم * قوله عز وجل
 (قل من كان عدوا لجبريل) قال ابن عباس سبب نزول هذه الآية ان عبدا لله بن سوريا جبر
 من ابحار اليهود قال للنبي صلى الله عليه وسلم اى ملك يأتك من السماء قال جبريل قال ذلك
 عدونا ولو كان ميكائيل لآمنابك ان جبريل ينزل بالعذاب والشدة والخسف وانه مادانا مرارا
 واشد ذلك علينا ان الله انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخرب على يد رجل يقال له
 بختنصر فلما كان زمنه بعثنا من يقتله فلقبه بابل غلاما مسكينا فاخذة ليقته فدفع عنه جبريل
 وقال ان كان الله امره بهلاككم فلن تسلط عليه وان لم يكن هو فعلى اى حق تقتله فلا كبر
 ذلك التلام وقوى غزانا وخرب بيت المقدس فلهذا نخذ عدوا فانزل الله هذه الآية * وقيل
 قالوا ان الله امره ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا فاتخذناه عدوا وقيل ان عمر بن الخطاب
 كان له ارض باعلى المدينة وكان يمر اليها على مدارس اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع
 كلامهم فقالوا يوما ما فى اصحاب محمد احب اليك منا وانا لنطمع فيك فقال عمر والله
 ما آتيتكم لحكمكم ولا اسلككم لاني شاك في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد
 صلى الله عليه وسلم وارى آثاره في كتابكم فقلوا من صاحب محمد الذى يأتى من الملائكة قال
 جبريل قالوا ذلك عدونا يطلع محمد على سرنا وهو صاحب كل عذاب وخسف وشدة وان
 ميكائيل يحيى بالحصب والسلامة فقال لهم تعرفون جبريل وتكررون محمدا صلى الله عليه وسلم
 قالوا نعم قال فاخبروني عن منزلة جبريل وميكائيل من الله تعالى قالوا جبريل من يمينه وميكائيل
 عن يساره وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر اشهد ان من كان عدوا لاحدهما كان عدوا للآخر ومن
 كان عدوا لهما كان عدوا لله ثم رجع عمر الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجد جبريل قد سبقه
 بالوحى فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآيات وقال لقد وافقت ربك يا عمر فقال عمر والله
 لقد رأيتنى بعد ذلك في ديني اصلب من الحجر * والاقرب ان سبب هذه العداوة كون جبريل
 كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالوحى لان قوله فانه نزل على قلبك مشعر بذلك وقوله
 (فانه نزل) يعنى جبريل نزل بالقرآن كناية عن غير مذكور (على قلبك) يا محمد وانما خص
 القلب بالذكر لانه محل الحفظ (باذن الله) اى بامره (مصدقا) اى موافقا (لما بين يديه)
 اى لما قبله من الكتب (وهدى وبشرى للمؤمنين) اى في القرآن هداية للمؤمنين الى الاعمال
 الصالحة التى يترتب عليها الثواب وبشرى لهم بشاؤها اذا اتوا بها (من كان عدوا لله وملائكته
 ورسله وجبريل وميكائيل) لما بين في الآية الاولى ان من كان عدوا لجبريل لاجل انه نزل
 بالقرآن على قلب محمد صلى الله عليه وسلم وجب ان يكون عدوا لله لان الله تعالى هو الذى نزل
 على محمد بين في هذه الآية ان كل من كان عدوا لاحدهما كان عدوا لهما فانه عدو لهما جميعا وبين ان الله عدو
 بقوله (فان الله عدو للكافرين) فاما عداوتهم لله فانها لا تنصرف ولا تؤثر وداوتهم لهم تؤديهم
 الى العذاب الدائم الذى لا ضرر اعظم منه وقيل المراد من عداوتهم لله عداوتهم لا وياؤه واهل طاعته

المعاني الضالة والاحكام
 الكلية (وكان من الكافرين)
 المسجوبين في الازل عن
 الانوار العقلية والزوجية
 فضلا عن نور الوحدة
 (وقلنا يا آدم اسكن انت
 وزوجك الجنة) زوجته
 هى النفس وسميت حواء
 للازمتها الجسم الظلاني
 اذ الحياة هى اللون الذى
 يغلب عليه السواد كما ان
 الغلب سمي آدم لتعلقه
 بالجسم دون الملازمة
 بالانطباع اذ الائمة هى
 السمرة اى اللون الذى
 يضرب الى السواد ولولا
 تعلقه لسمى ادم والجنة
 المأمور بملازمتها اياها
 هى سماء عالم الروح التى
 هى روضة القدس اى
 الزما سماء الروح (وكلا
 منها رغدا حيث شئتما)
 اى توسعا وتفصحا فى تلقى
 معانيها ومعارفها وحكمها
 التى هى الاقوات القلبية
 والقواكه الروحية توسعا
 بالحق على اى مرتبة وحال
 ويقام شتما اذى دائمة
 غير منقطعة ولا محجورة
 (ولا تقريا هذه الشجرة
 فتكونا من الظالمين)
 الماوضمين النور فى محل
 الخلقة الذى ليس موضعه
 ولتافصين من نور استعداد

فهو كقولهم انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله اى يحاربون اولياء الله واهل طاعته * وقوله وملائكته ورسله يعنى ان من مآدى واحدا منهم فقد مآدى جميعهم ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بجميعهم * وجبريل وميكائيل انما خصهما بالذكر وان كانا داخلين فى الملائكة لبيان شرفهما وفضلهما وعلو منزلتهما * وقدم جبريل على ميكائيل لفضله عليه لان جبريل ينزل بالوحى الذى هو غذاء الارواح وميكائيل ينزل بالمطر الذى هو سبب غذاء الابدان * وجبريل وميكائيل اسمان اعجميان ومعناهما عبدالله وعبدالله لان جبر وميك بالسريانية هو العبد وايل هو الله (وقد انزلنا اليك آيات بينات) قال ابن عباس هذا جواب ابن صوريا حيث قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد ما جئتنا بشئ نعرفه وما انزل عليك من آية بينة فتبكت بها فانزل الله هذه الآيات ومعنى بينات واضحة ومفصلات بالحلل والحرام والحدود والاحكام (وما يكفر بها) اى وما يحجج بهذه الآيات (الا الفاسقون) اى الخارجون عن طاعتنا وما مروا به (او كلفا عهدا) (وهذا) قال ابن عباس لما ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اخذ عليهم من العهود فى حجة صلى الله عليه وسلم وان يؤمنوا به قال مالك بن الصنف والله ما عهدنا فى حجة عهد فانزل الله هذه الآية * او كلفا استغفام انكار ما عهدوا عهدا هو قولهم انه قد اظلم زمان نبي مبعوث وانه فى كتابنا . وقبل انهم ما عهدوا الله عهدا كثيرة ثم نقضوها (نبذ) اى طرح العهد ونقضه (فريق منهم) يعنى اليهود (بل اكثرهم لا يؤمنون) يعنى كفر فريق منهم بنقض العهد وكفر فريق منهم بالجهد للحق (ولما جاءهم رسول من عند الله) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (مصدق لما معهم) يعنى مصدق بحجة التوراة ونبوة موسى عليه الصلاة والسلام . وقبل ان التوراة بشرت بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كان مجرد مبعثه مصدقا للتوراة (نبذ فريق من الذين اتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم) قيل اراد بالكتاب القرآن . وقيل التوراة * وهو الاقرب لان البذل لا يكون الا بعد التمسك ولم يتمسكوا بالقرآن . اما نبذهم التوراة فانهم كانوا يقرؤونها ولا يعملون بها * وقبل انهم ادرجوها فى الحرير وحلوها بالذهب ولم يعملوا بما فيها (كانوا لا يعملون) يعنى انهم نبذوا كتاب الله ورفضوه عن علمهم ومعرفة وانما جعلهم على ذلك عداوة لى صلى الله عليه وسلم وهم علماء اليهود الذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وكتبوا امره وكان اولئك الفر قليلا * قوله عز وجل (واتبعوا ما تلو الشياطين) يعنى اليهود نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تلو الشياطين ومعنى تلووا تقرأ من التلاوة وقيل معناه تفتى وتكذب (على ملك سليمان) وهو قولهم ان سليمان ملك الناس بالحكمة . وقيل على ملك سليمان اى على عهده وزمانه * وقصة ذلك ان الشياطين كتبوا المعر والتير نجيات على لسان آصف هذا ما علم آصف بن برخيا سليمان الملك وكتبوه ودفنوه تحت كرسىه وذلك حين نزع الله عنه الملك ولم يشعر بذلك . وقيل ان بنى اسرائيل اشتغلوا بتعليم المعر فى زمانه فمهم سليمان من ذلك واخذ كتبهم ودفنها تحت سريره فلما مات استخرجها الشياطين وقالوا للناس انما ملككم سليمان بهذا فقتلوه * فلما صلحاه بنى اسرائيل وعلوهم فانكروا ذلك وقالوا ما ذل الله ان يكون هذا العلم من علم سليمان واما السفلة منهم فقالوا هذا هو علم سليمان واقبلوا على تعليمه وتركوا كتب انبيائهم وفشت الملائكة لسليمان فلم تزل هذه حالهم الى ان بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم وانزل عليه

كالحفظ كما من طالم النور فان الظلم فى العرف هو وضع النى فى غير موضعه وفى اللغة نقص الحق والحظ الواجب (فازلهما الشيطان عنها) اى جعلهما على الرلة من مقامهما الى مهوى الطبيعة عن الجسة بتسويل الملاذ الجمانية ودوامها عليهما (فاخرجهما مما كانا فيه) من العيم والروح الدائم وقيل بنى هما يفرجان فى الجنة اذراعهما طاموس نجلى لهما على سور الجنة فذنت حواء منه وتبعها آدم فوسوس لهما الشيطان من وراء الجدار وقيل توسل بحجة تنسوا راجلة فاخذ بينهما وصعدا لجة والاول اشارة الى توسله من قبل الشهوة خارج الجسة واثانى الى توسله بالغضب وتسوره جدار الجنة اشارة الى ان الغضب اقرب الى الافق الروحاني والحيز القلبي من الشهوة (وقلنا ابطوا) اى الزمانهم الهبوط الى الجهة السفلية التى هى العالم الجماني (بعضكم لبعض هدى) حال من الهبوط . وقيل به اذا الهبوط الى الدنيا التى هى الجهة السفلية يستلزم كون

مطالبها جزئية في ضيق
المادة محصورة لا تحتل
الشركة وكلما حظى بها احد
حرم منها غيره فحقه فيقع
بينهما العداوة والبغضاء
بخلاف المطالب الكلية
وجمع الخطاب لان خطابهما
خطاب النوع اذا اصل
يتناول الفرع (وامحكم
في الارض) اي في هذه
الجهة (مستقر) استقرار
(ومتاع) نفع (الى حين)
اي حين تجردهما بالموت
الارادي او انقطاع حظوظهما
بالموت الطبيعي وقيام
احد القيامين الكبرى
او الصغرى (فتلقى آدم
من ربه كلمات) اي استقبل
من جهته به انوار او اطوارا
اي مراتب من الملكوت
والجبروت وارواح مجردة
ادكل مجردة لانه من عالم
الامر كما سمي عيسى كلمة
او تلقى منه معارف وعلوما
وحقائق (فتاب عليه)
تقبل رجوعه اليه
بالجود عن الملابس
الطليعية والانخراط في
سلك الانوار المكتوبة
والانصاف بالكمالات
القدسية والتجلى بالعلوم
الحقيقية واصل تاب عليه التي

براءة سليمان عليه السلام فقال تعالى واتبعوا ما تلوا الشياطين على ملك سليمان (وما كفر سليمان)
يعنى بالسحر ولم يعمل به * وفيه تنزيه سليمان من السحر * وذلك ان اليهود انكروا نبوة سليمان
وقالوا انما حصل له هذا الملك وسخرت الجن والانس له بسبب السحر * وقيل ان السحرة من
اليهود زعموا انهم اخذوا السحر عن سليمان فبرأه الله من ذلك * وقيل ان بعض احبار اليهود قال
الانبيون من محمد يزعم ان سليمان كان نبيا وما كان الاساحرا فانزل الله تعالى وما كفر سليمان
يعنى ان سليمان كونه نبيا ينافي كونه ساحرا كافرين ثم بين الله تعالى ان الذي برأه منه لاحق
بغيره فقال (ولكن الشياطين كفروا) يعنى ان الذين اتخذوا السحر لانفسهم هم الذين كفروا
ثم بين سبب كفرهم فقال تعالى (يعلمون الناس السحر) يعنى ما كتب لهم الشياطين من كتب السحر
وقيل يحتمل ان يكون يعلمون يعنى اليهود الذين عونا بقوله واتبعوا وسمى السحر سحر الخفاء سبه
ولا يفعل الا في خفية * وقبل معنى السحر الازالة وصرف الشيء من وجهه تقول العرب ما سحر ك
عن كذا اي ما صرفك عنه فكان الساحر لما رأى الباطل في صورة الحق فقد سحر الشيء من وجهه
اي صرفه هذا اصله من حيث اللغة * واما حقيقته فقد قيل انه عبارة عن التوبة والتهويل * ومذهب
اهل السنة ازاله وجودا وحقيقة والعمل به كفر وذلك اذا اعتقد ان الكواكب هي المؤثرة
في قلب الاعيان * وروى عن الشافعي انه قال السحر بخيل ويعرض وقد يقتل حتى اوجب القصاص
على من قتل به * وقيل ان السحر يؤثر في قلب الاعيان فيصل الانسان على صورة الحمار والحمار
على صورة الكلب وقد يطير الساحر في الهواء * وهذا القول ضعيف عند اهل السنة لانهم قالوا
ان الله تعالى هو الخالق الفاعل لهذه الاشياء عند عمل الساحر لذلك لان الساحر هو الفاعل لها المؤثر فيها
والاصح ان السحر يخيل ويؤثر في الابدان بالامراض والجنون والموت * ويدل على ذلك ان الكلام
تأثير في الطباع فقد يسمع الانسان ما يكره فيهم وقد مات قوم بكلام سمعوه قال السحر بمنزلة العلل في الابدان
* واما حكمه فانه من الكبائر التي نهى عنها * ويحرم تعلمه لما روى عن ابن هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هن قال الاشرار بالله والسحر وقتل النفس
التي حرم الله الاباحق وكل مال اليتيم والزنا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات
اخراجهم في الصحيحين ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم المحرم من الكبائر وثاء بالشرك وامرنا
باجتنابه وقوله الموبقات يعنى المهلكات * والسحر على قسمين * احدهما يكفر به صاحبه وهوان
يعتقد ان القدرة لنفسه في ذلك وهو المؤثر ويعتقد ان الكواكب هي المؤثرة الفعالة فاذا انتهى به السحر
الى هذه الغاية صار كافرا بالله تعالى ويجب قتله لما روى عن جندب ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال حد الساحر ضربه بالسيف اخرجته الزمى * والقدم الثاني من السحر وهو التهويل الذي
بشا كل البر نجيات والشعبة ولا يعتقد صاحبه لنفسه فيه قدرة ولا ان الكواكب هي المؤثرة
يعتقد ان القدرة لله تعالى وانه هو المؤثر فهذا القدر لا يكفر به صاحبه ولكنه مصيبة وهو
من الكبائر ويحرم فعله فان قتل بسحره قتل قصاصا لما روى عن مالك ان حفصة زوج النبي
صلى الله عليه وسلم قتلت جارية لها سحرتها وقد كانت دبرت بها فامرت بها فقتلت اخرجته في الموطأ
* قوله عز وجل (وما ازل على المكين) اي يعلمون الذي ازل على المكين والائزال
يعنى الالهام والتعليم اي ما لهما وعلماء وقرى في السد المكين بكسر اللام قال هما رجلان سحرهما

الرجوع عليه وجعله راجعا
ولم يرى انها هوانوبة
المقبولة لا لالرجوع الماشي
من قبله (انه هو التوب)
الكثير القبول التوبة عباده
(الرحيم) الذي سبقت
رحمته غضبه فيرحم عبده
في عين غضبه كما جعل غضبه
على آدم بسبب كاله ورجوعه
اليه وبعده ليقرّب منه (قلنا
اهبطوا منها جميعا) كرّر
ذلك الامر بالهبوط ليفيدانه
هو الذي اراد ذلك ولولا
ارادته لما قدر ابليس على
اعوانهم ولهذا اسند الالهبط
الى نفسه بجرّ دامن التعليق
بالسبب بسد اسناد
اخر ارجعها الى الشيطان فهو
قريب قال ليه وماريت
ادريت ولكن الله ربي
نفطن منه سرّ قضائنا
وقدره وبين وجه حكمه
الاهباط بتعقيبه بقوله (فانه
يأتيكم مني هدى فمن تبع
هداي فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون) وباراده
بالقاء اذ لولا الهبوط لما
مكنهم من متابعة الهدى
ولما تميز السعيد والشقي
ولا حصل استحقاق الثواب
والعقاب وبطل دالجز من
الجنة والار بل ما وجدت
والهدى هو التشرع فمن تبعه

كانا بابل * وقيل لجهازه ووجهه ان الملائكة لا يملكون السهر والقراءة المشهورة بفتح الهمزة (فان قلت
كيف يجوز ان يضاف الى الله تعالى انزال ذلك على الملائكة وكيف يجوز للملائكة تعليم السهر
(قلت قال ابن جرير الطبري ان الله تعالى عرف عباده جميع ما امرهم به وجميع ما نهاهم عنه ثم
امرهم ونهاهم بعد العلم منهم بما يؤمرون به وينهون عنه ولو كان الامر على غير ذلك لما كان
للامر والنهاي معنى مفهوم والسهر مما نهى عباده من بنى آدم كما اخبر صهما انهما يقولان
عليه الملكين الذين سمعا في تنزيله وجعلهما فتنة لعباده من بنى آدم كما اخبر صهما انهما يقولان
لمن جاء يعلم ذلك منهما انما نحن فتنة فلا تكفر ليخبر لهما عباده الذين نهاهم عن السهر وعن التفريق
بين المرء وزوجه فيتخصص المؤمن بتركه التعليم منهما ويجرى للكافر نفعه الكفر والسهر * هما
ويكون المكان في تعليمهما ماحلا من ذلك طيعين الله تعالى اذ كان من اذن الله تعالى لهما بتعليم ذلك
وغير ضارهما سهر من سهر عن تعلم ذلك منهما بعد نهيهما اياه عنه بقولهما انما نحن فتنة فلا تكفر
اذ كانا قد اديا ما امر به وقال غيره انهما لا يتعهد ان ذلك بل بصفة السهر ويذكر ان ببلانه
ويأمر ان اجتنابه فالشقي من ترك نهيهما وتعلم السهر من وصفهما والسعيد من قل نهيهما
وترك تعلم السهر منهما (وقيل ان الله تعالى امتحن الناس لهما في ذلك الزمان فالشقي من تعلم السهر
منهما فيكفر به والسعيد من تركه فيبقى على ايمانه والله تعالى ان يمتحن عباده بما شاء كما امتحن
بنى اسرائيل بنهر طالوت بقوله فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني (بابل)
قيل هي بابل العراق بارض الكوفة سميت بذلك لتبليط الاسنة بها عند سقوط صرح نمرود * وقيل
انها بابل نهاروند والاول اصح واشهر (هاروت وماروت) اسمان سريانان * وقصة الآية
على ما ذكره ابن عباس وغيره قالوا ان الملائكة لما رأوا ما يصعد الى السماء من افعال بنى آدم الحيثة
في زمن ادريس عليه السلام غيروهم وقالوا هؤلاء الذين جعلتهم في الارض واخترتهم وهم
يصونك فقال الله تعالى لو انزلتكم الى الارض وركبت فيكم ماركت فيهم لركبتهم مثل ما ركوا
قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نعصيك قال الله تعالى فاخترناو ملكين من خياركم اهبطهما
الى الارض فاخترناو هاروت وماروت وكانا من اصالح للملائكة واعداهم وكان اسم هاروت
عزرا وماروت عزرا فغير اسمهما لما قارفا الذنب وركب الله فيهما الشهوة واهبطهما الى الارض
وامرهما ان يحكما بين الناس بالحق ونهاهما عن الشرك والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر
فكانا يقضيان بين الناس يومها فاذا امسيا ذكرا اسم الله الاعظم وصعدا الى السماء فامر عليهما
شهر حتى اقتنا . وقيل بل اقتنا في اول يوم وذلك انه اختصم اليهما امرأة يقال لها الرهرة وكانت
من اجل اهل فارس . وقيل كانت ملكة فلما رآها اخذت بقلوبهما فقال احدهما لصاحبه هل
سقط في نفسك مثل الذي سقط في نفسي قال نعم فراوداها عن نفسها فأبى وانصرفت ثم عادت
في اليوم الثاني ففعل مثل ذلك فأبى وقال لا الا ان تعيدا هذا الصنم وتقلالافس وتشرب الخمر
فقللا لاسيل الى هذه الاشياء فان الله تعالى قد نهانا عنها فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعهما
قدح خمر وفي انفسهما من الميل اليها ما فيها فراوداها عن نفسها فرفضت عليهما ما قالت بالامس
فقللا الصلاة لغير الله عظيم وقتل النفس عظيم واهون الثلاثة شرب الخمر فذربا فلما انتشيا وقعا
بلرأة فزنا بها فزناهما انسان فقتلاه خوف الفضيحة . وقيل انهما سجدا للعنم (وقيل جاءتهما امرأة

* الميك بينارجم ووصل
 * وكان بالموذوة والاخاء
 وهذه الدعوة مخصوصة
 بتوحيد الصفات الذي هو
 رفع الجباب الثاني فهي اخص
 الدعوة الاولى العامة
 لتذكير النعمة الدينية
 والعهد والتجلى بصفة المزم
 والولى والتهد يد على عدم
 اجابتها بالرهبة التي هي
 اخص من الخوف فان
 الخوف انما يكون من العقاب
 والرهبة من الخطو والقهر
 والاعراض والاحتجاب
 والخشية اخص من الكوننا
 مخصوصة باحتجاب الذات
 قال الله تعالى يخشون ربهم
 ويخافون سوء الحساب
 وكذا الهية لانها قرنت
 بعظمة الذات (واآمنوا بما
 انزلت) من القرآن على
 حبيبي من توحيد الصفات
 (مصدقاً لآلهكم) في التوراة
 من توحيد الافعال
 (ولا تكونوا اول كافرين)
 اي اول محجوب عنه
 لا خفيابكم باعتقادكم
 (ولا تشركوا) اي لا تستبدلوا
 (بآياتي) الدالة على تجليات
 ذاتي وصفاتي كسورة
 الاخلاص وآية الكرسي
 واما لهما (نما قليلاً فاباى

المفسرون واهل الاخبار في ذلك لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شيء وهذه
 الاخبار انما اخذت من اليهود وقد علم افترائهم على الملائكة والانبيا وقد ذكر الله عز وجل
 في هذه الآيات افتراء اليهود على سليمان او لا ثم عطف على ذلك قصة هاروت وماروت ثانيا
 قالوا ومعنى الآية وما كافر سليمان يعني بالسحر الذي اقتله عليه الشياطين واتبعتم في ذلك
 اليهود فأخبر عن افترائهم وكذبهم * وذكروا ايضا في الجواب عن هذه القصة وانها باطلة
 وجوها * الاول ان في القصة ان الله تعالى قال للملائكة لو ابليت بما ابليت به بنو آدم لعصيتوني
 قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نعصيك وفيه رد على الله تعالى وذلك كفر وقد ثبت انهم
 كانوا معصومين قبل ذلك فلا يقع هذا منهم * الوجه الثاني انهما خيرا بين عذاب الدنيا وعذاب
 الآخرة وذلك فاسد لان الله تعالى لا يخبر من اشرك وان كان قد صحت توبتهما فلا عقوبة
 عليهما * الوجه الثالث ان المرأة لا غرت فكيف يعقل انها صعدت الى السماء وصارت كوكبا
 وعظم الله قدرها بحيث اقسم بها في قوله فلا قسم بالخمس الجوارى الكنس * فبان بهذه الوجوه
 ركاكة هذه القصة والله اعلم بحمد ذلك وسقمه * والاولى تنزيه الملائكة عن كل ما لا يليق بمنصبهم
 * وقوله تعالى (وما يظن من احد حتى يقول) يعني وما يظن احد حتى ينصح او لا ويقول
 (انما نحن فتنة) اي ابتلاء وعحنة (فلا تكفر) اي لا تعلم السحر فتعلم به فتكفر * قيل يقولان
 انما نحن فتنة فلا تكفر سبع مرات فان ابي قبول نصحها وصمم على التعليم يقولان له انت هذا
 الرماذ قبل عليه فاذا فعل ذلك خرج منه نور سامع في السماء فذلك الايمان والمعرفة ينزل
 شيء اسود مثل الدخان حتى يدخل مسامعه وذلك غضب الله تعالى (فيتعلون منها) يعني
 من الملكين (ما يفرقونه بين المرء وزوجه) اي علم السحر الذي يكون سببا في الفريقي
 بين الزوجين كالتقوية والتحليل والفت في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده البغضاء والنشوز
 والخلاف بين الزوجين ابتلاء من الله تعالى لان السحر له تأثير في نفسه بديل قوله (وما هم)
 يعني السحرة (بضارين به) اي بالسحر (من احد) اي احدا (الا باذن الله) اي يعلم وقضائه
 وتكوينه فالساحر يسحر والله تعالى يقدر ويكون ذلك بقضائه تعالى وقدرته ومشيئته
 (ويتعلون ما يضرمهم ولا ينفهم) يعني السحر لانهم يقصدون به الشر (ولقد علموا) يعني
 اليهود (لمن اشترأ) اي اختار السحر (ماله في الآخرة من خلاق) يعني ماله نصيب
 في الجنة (وليس ما شروا به انفسهم) اي باحواحظ انفسهم حيث اختاروا السحر والكفر
 على الدين والحق (لو كانوا يعلمون) فان قلت كيف اثبت الله لهم العلم اولا في قوله ولقد علموا
 على التوكيد القسبي ثم نفاه عنهم آخر في قوله لو كانوا يعلمون قلت قد علموا ان من اشترى
 السحر ماله في الآخرة من خلاق ثم مع هذا العلم خالفوا واشتغلوا بالسحر وتركوا العمل
 بكتاب الله تعالى وما جاءت به الرسل عنادا منهم وبغيا وذلك على معرفة منهم بالمثل فعل ذلك
 منهم من العقاب فكانهم حين لم يعملوا بعلمهم كانوا منسحقين منه (ولوانهم) يعني اليهود
 (آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (واقنوا) يعني اليهودية والسحر وما يؤمنهم
 (لثوبة من عند الله) اي لكان ثواب الله اياهم (خير) لهم يعني هذا الثوب (لو كانوا
 يعلمون) يعني ذلك * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا) سبب نزول

فاتقون) اي جنتكم النفسية
لتألفكم بالاذل الحسية وثواب
الاعمال بتوحيد الافعال وان
اتقيتم عن الشرك فاتقوا
سلطنة نهري وجلالي
وجبابي بابتغاء رضاي فلا
تبتسوا صفة لغيري
(ولا تلبسوا الحق بالباطل
وتكتفوا الحق) اي ولا تخططوا
صفاته تعالى الثابتة كعلمه
وقدرته وارادته بالباطل
الذي هو صفات نفوسكم
بظهورها بصفتها وعدم تمييزكم
بين دواعيها وخواطرها
ودواعي الحق وخواطره
ولا تكتفوها بحجاب صفات
النفس وسرّها اياها عند
ظهورها (وانتم تعلمون)
من علم توحيد الافعال ان
مصدر الفعل هو الصفة
فكما لم تسندوا الفعل الى
غيره لا تبتسوا صفة لغيره
(واقبوا الصلاة وآتوا
الزكاة) طلبا لمرضاتي
لارجاء ثوابي ومصادقة
قولهم (واركعوا مع
الراكعين) اذ اركع هو
الخشوع والاذمان لما يفعل
به فهو علامة الرضا الذي
هو ميراث تجلي الصفات
بوقايته اي ارضوا بقضائي
عند مطالعة صفاتي والتوجه
عند القيام بالفعل

هذه الآية ان المسلمين كانوا يقولون راعنا يا رسول الله من المراجعة اي ارعنا سمعك وفرغنا لكلامنا
وكانت هذه اللفظة سببا قبيحا بلغة اليهود ومعناها عندهم اسمع لاسمعت * وقبل من الرهونة
اذا ارادوا ان يحققوا انسانا قالوا راعنا يعني احق فلأسمعت اليهود هذه الكلمة من المسلمين
قالوا فيما بينهم كنا نسب محمدا سرا فاعلنوا به الآن فكانوا يأتونه ويقولون راعنا يا محمد
ويضحكون فيما بينهم فسمعها سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه ففطن لها وكان يعرف لغتهم فقال
اليهود لئن سمعنا من احد منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضرربن عنقه فقالوا
اولستم تقولونها فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا اي لكي لا يجد اليهود بذلك
سيلا الى شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقولوا انظرنا) اي انظر اليناه وقيل مضله
انظرنا وتأن بنا وفهمنا (واسمعوا) اي ماتؤمرون به والطبعوا نهى الله تعالى عباده
المؤمنين ان يقولوا لبي محمد صلى الله عليه وسلم راعنا لئلا يتطرق احد الى شتمه وامرهم
بتوقيره وتعظيمه وان يخبروا لحطابه صلى الله عليه وسلم من الالفاظ احسنها ومن المعاني ادقها
وان سالوه بسالوه بتجمل وتعظيم ولين ولا يخاطبوه بما يسر اليهود (والكافرين) يعني اليهود
(عذاب اليم) اي مؤلم (مايود) اي ما يحبب (الذين كفروا من اهل الكتاب) يعني اليهود
(والاشركين) يعني عبدة الاوثان لان الكفر اسم جنس تحته نومان اهل كتاب وهم الذين
بدلوا كتابهم وكذبوا الرسل وعبدة الاوثان وهم من عبدوا غير الله (ان ينزل عليكم من خير
من ربكم) يعني ما انزل الله وعرجل على نبيه صلى الله عليه وسلم من الوحي والنبوة وانما كرهت
اليهود واتباعهم من المشركين ذلك حسدا وبغيا منهم على المؤمنين وذلك ان المسلمين قالوا
لخلفائهم من اليهود آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قالوا ما هذا الذي تدعوننا اليه بخير
بما نحن فيه ولوددنا لو كان خيرا فانزل الله تعالى هذه الآية تكذيبا لهم (والله يخلص رجه
من يشاء) يعني انه تعالى يخلص بذنوته ورسالته من يشاء من عباده ويفضل بالايمان
والهداية على من احب من خلقه رجة مه لهم (والله ذو الفضل العظيم) يعني ان كل
خير ناله عاده في دينهم ودنياهم فانه منه ابتداء وتفصلا عليهم من غير استحقاق احد منهم
لذلك بلله الفضل والمسة على خلقه * قوله عز وجل (مانسخ من آية او ننسها)
الآية * وسبب نزولها ان المشركين قالوا ان محمدا يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامرهم
بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا ما يقول الامن تلقاء نفسه كما اخبر الله تعالى عنهم
بقوله واذا بدلا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر فانزل مانسخ من آية
فبين بهذه الآية وجه الحكمة في النسخ وانه من عنده لا من عند محمد صلى الله عليه وسلم
* واصل النسخ في اللغة يكون بمعنى النقل والتحويل ومنه نسخ الكتاب وهو ان ينقل من كتاب
الى كتاب آخر وذلك لا يقتضي ازالة الصورة الاولى بل يقتضي اثبات مثله في كتاب آخر
ففي هذا المعنى يكون القرآن كله منسوخا وذلك انه نسخ من اللوح المحفوظ ونزل جلة
واحدة الى سماء الدنيا وقد يكون النسخ بمعنى الرفع والازالة شيء بشئ يعقبه كنسخ الشمس
الظل والشيب الشباب فلي هذا المعنى يكون بعض القرآن منسوخا وبعضه ناسخا وهو المراد
من حكم هذه الآية وهو ازالة الحكم بحكم يعقبه * (فصل في حكم النسخ) * هو في اصطلاح

علامة طلب الثواب والاجر
 لاستقلال النفس بصورتها
 والوجود الذي هو غاية
 الخضوع علامة الفناء
 في الوحدة عند تجلي
 الذات (تأمرون الناس
 بالبر) الذي هو الفصل
 الجميل الموجب لصفاء
 القلب وزكائه النفس الزائدة
 منها التنوير (وتنسون
 انفسكم) افلا تفعلون
 ما ترتقون به من مقام تجلي
 الافعال الى تجلي الصفات
 (وانتم تلون الكتاب)
 كنات فارتكم الذي
 بأمركم باتباع محمد في دينه
 السالك بكم سبيل التوحيد
 (افلا تعلمون) تعبير بالغ
 ونهيج لحيثهم (واستعينوا)
 واطلبوا العون والمداين
 له القدرة اذ لا قدرة لكم
 على افعالكم (بالصبر)
 على ما تكرهون بما فصل
 بكم وتكلفكم ونيتم به
 لكي تصلوا الى مقام الرضا
 (والصلوة) التي هي
 حضور القلب لتلقي تجليات
 الصفات (وانها) وان
 المراقبة اي الحضور المطلق
 (لكبيرة) لشاقة ثقيلة
 (الا على الخاشعين) المتكسرة
 البينة قلوبهم ليقول انوار
 الهديات الطيفة واستبلاء
 سطوات التجليات القهرية

العلماء عبارة عن رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر عنه والنسخ جائز عقلا وواقع
 سيما خلافا لليهود فان منهم من ينكره عقلا لكنه منعه سما وشدت طائفة قليلة من المسلمين
 فانكرت النسخ احتج الجمهور من المسلمين على جواز النسخ ووقوعه بان الدلائل قد دلت على نبوة
 محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته لا تصح الا مع القول بالنسخ وهو نسخ شرع من قبله فوجب
 القطع بالنسخ ولما على اليهود الزامات منها ان الله تعالى حرم عليهم العمل في يوم السبت ولم يحرمه
 على من كان قبلهم ومنها انه قد جاء في التوراة ان الله تعالى قال لوح عليه الصلاة والسلام عد
 خروجه من القلبي اني جعلت كل دابة ما كولاك ولذريتك واطلقت ذلك لكم ثم انه تعالى
 حرم على موسى عليه الصلاة والسلام وعلى بني اسرائيل كثيرا من الحيوانات ومنها ان آدم
 عليه الصلاة والسلام كان زوج الاخ للاخت وقد حرمه على من بعده وعلى موسى عليه الصلاة
 والسلام ثبت بهذا جواز النسخ وحيث ثبت جواز النسخ فقد اختلفوا فيه على وجوه احدها
 ان القرآن نسخ جميع الشرائع والكتب القديمة كالشريعة والانجيل وغيرهم الوجه الثاني المراد
 من النسخ هو نسخ القرآن ونقله من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا الوجه الثالث وهو الصحيح
 الذي عليه جمهور العلماء ان المراد من النسخ هو رفع حكم بعض الآيات بدليل آخر يأتي بعده
 وهو المراد بقوله تعالى ما ننسخ من آية او ننساها فانها لا تفي بآية اذا اطلقت
 فالمراد بها آيات القرآن لانه هو اليهود ههنا * (مسألة) قال الشافعي رضي الله عنه الكتاب
 لا ينسخ بالسنة المتواترة واستدل بهذه الآية وهو انه تعالى قال نسخ من آية او ننساها فانها لا تفي
 منها او مثلها * وذلك يفيد انه تعالى هو الآتي والمآتي به هو من حسن القرآن فهو قرآن وقوله فانها
 بغير منها يفيد انه هو المنفرد بالبيان بذلك الخبير وهو القرآن الذي هو كلام الله دون السنة
 ولان السنة لا تكون خيرا من القرآن ولا مثله * واحتج الجمهور على جواز نسخ الكتاب
 بالسنة بان آية الوصية للاقرنين منسوخة بقوله صلى الله عليه وسلم لا وصية لوارث * اجاب
 الشافعي رضي الله تعالى عنه بان هذا ضعيف لان كون الميراث حقا للوارث يجمع من صرفه
 الى الوصية فثبت ان آية الميراث مانعة من الوصية وتقرير هذا بوضوح معروف في اصول الفقه * ثم
 النسخ في القرآن على وجوه احدها ما رفع حكمه وتلاوته كروى عن ابي امامة بن سهل ان قوما
 من الصحابة قاموا ليلة ليقروا سورة فلذكر وانها ابسم الله الرحمن الرحيم ففسدوا الى ابي
 صلى الله عليه وسلم فاخبروه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك السورة رفعت بتلاوتها
 وحكمها * اخرجه البغوي في مسنده وقيل ان سورة الاحزاب كانت مثل سورة البقرة فرفع
 بعضها تلاوة وحكمها * الوجه الثاني ما رفع تلاوته وبقي حكمه مثل آية الرجم وروى عن ابن
 عباس قال قال عمر بن الخطاب وهو جالس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعث
 محمدا بالحق وانزل عليه الكتاب فكان فيما انزل عليه آية الرجم فقرأناها ووعيناه وعقلناها وورج
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجعنا بعده فاخشى ان طال بالاس زمان ان يقول قائل ما نجد الرجم
 في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة انزلها الله وان الرجم في كتاب الله حق على من زنى اذا احصن
 من الرجال والنساء اذا قامت البينة او كان الحبل او الاعتراف اخرجه مسلم والبخاري نحوه * الوجه
 الثالث ما رفع حكمه وثبت خطه وتلاوته وهو كثير في القرآن مثل آية الوصية للاقرنين نهضت

بآية الميراث عند الشافعي وبالسنة عند غيره وآية عدة الوفاة بالحول نسخت بآية اربعة اشهر وعشرا وآية القتال وهي قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين الآية نسخت بقوله الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا الآية ومثل هذا كثير في القرآن وامامنا الآية فقوله مانسخ من آية او نرفعا او نرفع حكمها او ننسخها * وقيل معناه تأمر بتركها فعلى هذا يكون النسخ تنبيها على قلبك * وقال ابن عباس نتركها لان نسخها * وقيل معناه تأمر بتركها فعلى هذا يكون النسخ لا لرفع الحكم واقامة غيره مقامه والانساء نسخ من غير اقامة غيره مقامه وقرئ تنساها بفتح الون والسين وبالهزء ومعها تؤخرها فلا تنزلها او ترفع تلاوتها وتؤخر حكمها كآية الرجم فعلى هذا يكون النسخ الاول بمعنى رفع التلاوة والحكم قال سعيد بن المسيب وعطاء مانسخ من آية فهو ما نزل من القرآن جملاء من نسخ الكتاب اذا نقلت الى كتاب آخر ونساها اي تؤخرها ونتركها في اللوح المحفوظ فلا تنزلها (نأت بخير منها) اي بما هو ارفع لكم واسهل عليكم واكثر لاجوركم وليس معناه ان آية خير من آية لان كلام الله تعالى كله واحد (او مثلها) اي في المنفعة الثواب فان نسخ الى الابسر كان اسهل في العمل كالذي كان على المؤمنين من فرض قيام الليل ثم نسخ ذلك فكان عليهم خير لهم في ما جعلهم لسقوط التعب والمشقة عليهم ومانسخ الى الاشق كانا كل في الثواب كالذي كان عليهم من صيام ايام معدودات في السنة فنسخ ذلك وفرض صيام ايام معدودات في السنة فنسخ ذلك وقرض صيام ايام شهر رمضان فكان صوم شهر كامل في كل سنة اثقل على الابدان واشق من صيام ايام معدودات فكان ثوابه اكمل واكثر اما المثل فنسخ الوجه الى بيت المقدس وصرفه الى المسجد الحرام واستواء الاجر في ذلك لان على المصلي التوجه الى حيث امره الله (المتعلم ان الله على كل شيء قدير) اي على النسخ والتبديل والمعنى المتعلم يا محمد اني قادر على تعويضك مما نسخت من احكامي وغيره من فرائضي التي كت افترضتها عليك ماشاء مما هو خير لك ولعبادي المؤمنين وانفع لك ولهم عاجلا وآجلا (المتعلم ان الله له ملك السموات والارض) يعني انه تعالى هو المتصرف في السموات والارض وله سلطانها دون غيره يحكم فيها وفيما فيها بما شاء من امر ونهي ونسخ وتبديل وهذا الخبر وان كان خطايا للنبي صلى الله عليه وسلم لكن فيه تكذيب لليهود الذين انكروا النسخ وجدد والبوثة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام فاخبرهم الله ان له ملك السموات والارض وان الخلق كلهم عبيده ونسخت تصرفه يحكم فيهم بما يشاء وعليهم السمع والطاعة (وما لكم) يعني يا معشر الكفار عند نزول العذاب (من دون الله) اي مما سوى الله (من ولي) اي قريب وصديق وقيل من وال وهو المقيم بالامور (ولا نصير) اي ناصر ينعكم من العذاب وقيل في معنى الآية وليس لكم ايها المؤمنون بعد الله من قيم بامركم ولا نصير يؤيدكم ويقويكم على اعدائكم قوله عز وجل (ام تريدون ان تسألوا رسولكم) نزلت في اليهود وذلك انهم قالوا يا محمد انساب كتاب من السماء جلة كما قال موسى بالثورة وقيل انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان تؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلا كما سأل قوم موسى فقالوا ان الله جهره فانزل الله تعالى هذه الآية والمعنى تريدون وقيل بل تريدون ان تسألوا رسولكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (كما سأل موسى من قبل) وذلك ان موسى سأل الله فومه فقالوا

(رسولكم)

الذين يثقون انهم بحضرة ربهم اي حضرة الصفات لهالة الرب عليها في حال لقائه (الذين يظنون انهم ملائكة ربهم واتهم اليه راجعون) بفناء صفاتهم ومحوها في صفاته * كرر الخطاب ليفد ان الذي هدهم او لا ولطف بهم وفضلهم على ما لي زمانهم المحبوبين بالهداية الى رفع الجباب الاول هو الذي يهيم ثانيا فكما لم يردبهم سرا في الهداية الاولى فكذلك في الثانية لا يريدبهم الاخيرا (يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي عنكم الفحريين لا تقضي (نفس من نفس شيئا) من الاغضاء لعدم القدرة لاحد) ولا يقبل منها شفاعة) لعدم الشفاعة والمداد اذ كلهم مسلوبوا الصفات والافعال كقوله * ولا يرى الضرب بها بنصرته (ولا يؤخذ منها دليل) اي فدية لعدم الملك لاحد (ولا هم ينصرون) امتناع القوة والبصرة غيره (واذنبيناكم من آل فرعون) ظاهره

وتفسيره على ما يفهم من
تذكير العدة لتبريج الحبة
وباطنه وتأويله واذبحناكم
من آل فرعون الفس
الامارة المحبوبة بانابتها
المستعيلة على ملك الوجود
ومصر مدينة البدن التي
استعبدت هي وقواها التي
هي الوهم والخيال والتخليقة
والغضب والشهوة والقوى
الروحانية التي هي ابناء
صفوة الله يعقوب الروح
واقوى الطبيعة البدنية
من الحواس الظاهرة
والقوى الباطنة (يسومونكم
سوء العذاب) يكلفونكم
المتاعب الصعبة والكدة
والاعمال الشاقة في جمع
المال وادخاره بالحرص
والامل وترتيب الاقوات
 والملابس وغيرها مما يكدر
فيه الحرص ابناء الدنيا
وبستعبادونكم في التفكير
فيما والا هتمام بها وضبطها
وتحصيل اذاتهم التي هي
عذاب لمنهياياكم عن لذاتكم
(يذبحون ابناءكم) التي
هي تلك القوى الروحانية
من العاقلة والظريفة والعاقلة
العملية اللتين هما عينا القلب
النظرية والبيني والعملية
البسرى والفهم الذي هو
سمع القلب والسر الذي هو
قلب القلب والفكر والذكر

ارثا لله جهرة في الآية منهم وغيرهم عن السؤالات المقترحة بعد ظهور الدلالات والمجرات
وثبت الحجج والبراهين على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (ومن يتبدل) اي يستبدل (الكفر
بالايمان فقد ضل سواء السبيل) اي اخطأ قصد الطريق وقيل ان قوله ومن يتبدل الكفر بالايمان
خطاب للمؤمنين اعلمهم ان اليهود اهل غش وحسد وانهم يتنصرون للمؤمنين المكاره فتهاجم الله تعالى
ان يقبلوا من اليهود شيئا ينصفونهم به في الظاهر واخبرهم ان من ارتد عن دينه فقد اخطأ قصد
السبيل * قوله عز وجل (ودكثير من اهل الكتاب) نزلت هذه الآية في نفر من اليهود وذلك
انهم قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد لو كنتم على الحق ما هربتم فارجعا الى
ديننا فحين اهدى سبيلا منكم فقال عمار بن ياسر كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال اتى عاهدت
ان لا اكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ما عشت قالت اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة اما
انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالا سلام ديننا وباتقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين
اخوانا ثم انهم اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه بذلك فقال اصبروا الخير وافلحنما فانزل الله
تعالى ودائى تمنى كثير من اهل الكتاب يعنى اليهود (لو يردونكم) اي يامعشر المؤمنين (من
بعد ايمانكم كفارا) اي ترجعون الى ما كنتم عليه من الكفر (حسدا) اي يحسدونكم
حسدا واصل الحسد تمنى زوال النعمة عن يستحقها وربما يكون مع ذلك سعى في ازالتها والحسد
مذموم لما روى عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اياكم والحسد فان الحسديا كل الحسنات كما
تا كل النار الحطب او قال العشب اخرجهم اوداود فاذا انهم الله على عبده نعمة فتمنى آخرزواها
عنه فهذا هو الحسد وهو حرام فان استعان بتلك النعمة على الكفر والمعاصي فتمنى آخر زوالها
عنه فليس يحسد ولا يحرم ذلك لانه لم يحسده على تلك النعمة من حيث انها نعمة بل من حيث
انه يتوصا بتلك النعمة الى الشر والفساد * وقوله (من عند انفسهم) اي من تلقاء انفسهم
لم يامرهم الله بذلك (من بعد ما تبين لهم الحق) يعنى في التوراة ان قول محمد صلى الله عليه وسلم
دينه حق لا يشكون فيه فكفروا به حسدا وبغيا (فاعفوا واصفحوا) اي ف تجاوزوا عما كان
منهم من اساءة وحسد وكان هذا الامر بالعفو والصفح قبل ان يؤمر بالقتال (حتى ياتى الله
بامرهم) بعذابه وهو القتل والسبي لبني قريظة والاحلاء والى لبني الضير قال ابن عباس هو
امر الله بقتالهم في قوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية (ان الله على كل
شيء قدير) فيه وعيد وتهديد لهم (واقفوا الصلاة وآتوا الزكاة) لما امر الله المؤمنين بالعفو
والصفح عن اليهود امرهم بما فيه صلاح انفسهم من اقام الصلاة واتباء الزكاة الواجبين ونبه بذلك
على سائر الواجبات ثم قال تعالى (وما تقدموا لانفسكم من خير) اي من طاعة وعمل صالح وقيل
اراد بانخير المال يعنى صدقة التطوع لان الزكاة تقدم ذكرها (تجدوه عند الله) يعنى ثوابه واجره
حتى الثمرة والقيمة مثل احد (ان الله بما تعملون بصير) اي لا يخفى عليه شيء من قليل الاعمال
وكثيرها ففيه ترغيب في الطاعات واعمال البر وزجر عن المعاصي * قوله عز وجل (وقالوا
لن يدخل الجنة الا من كان هودا) يعنى يهوديا وقيل هو جمع هائد (اونصارى) وذلك ان
اليهود قالوا لن يدخل الجنة الا من كان يهوديا ولادين الا دين اليهودية وقالت النصارى لن يدخل
الجنة الا من كان نصرانيا ولادين الا دين النصرانية قبل نزلت في وفد نجران وكانوا نصارى

(ويستحيون نساءكم)
القوى الطبيعية المذكورة
بمنع الطائفة الاولى عن
افعالها الخاصة بالقهر
والاستيلاء وجها عن حياة
نور الروح ومدده واقدار
الطائفة الثانية عن افعالها
وتمكنها (وفي ذلكم)
الانجاء نعمة عظيمة (بلاء
من ربكم) هي نعمة مطالعة
صفات جلاله وجماله وفي
ذلكم العتذب نعمة عظيمة
من ربكم هي نعمة الاحتجاب
والحرمان والبعداذا البلاء
الذي هو الامتحان يحصل
بهما قال الله تعالى وبلوناكم
بالحسنات والسيئات
(واذفرقناكم) بوجودكم
(البحر) اى البحر الاسود
الزقاق الذى هو المادة
الجزائية لانقلاتها بوجودكم
انفلاق الارض من البات
(فانجيناكم) بالبحر دمنها
(واضرقنا آل فرعون)
اى القوى الفسافية فيها
بلازمتها اياها وهلاكها
بفسادها (وانتم تطرون)
تشاهدون ذلك وعلى
هذا يمكن ان يؤتى لسو
اسرائيل فى اول الخطاب
بتلك القوى الروحانية
والهمة التى انهم بها عليهم هى
التطهر الى قبول الانوار
الفاضلة فيها من عالم الروح

اجتمعوا مع اليهود فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذب بعضهم بعضا فى دعواه قال الله
(تلك امانهم) اى شهوراتهم الباطلة التى تمنوها على الله بغير حق (قل) يعنى يا محمد (هاهنا ابرهانكم)
اى جنتكم على دعواكم ان الجنة لا يدخلها الا من كان يهوديا او نصريا دون غيرهم (ان كنتم
صادقين) يعنى فيما تدعون * ثم قال تعالى ردا عليهم (بلى) اى ليس الامر كما تزعمون ولكن
(من اسلم وجهه لله وهو محسن) فانه الذى يدخل الجنة وينم فيها ومعنى اسلم وجهه لله اخلص
فى دينه لله وقبل اخلص عبادته لله وقبل خضع وتواضع لله لان اصل الاسلام الاستسلام وهو
الخضوع وانما خص الوجه بالذكر لانه اشرف الاعضاء واذا جاد الانسان بوضع وجهه على
الارض فى السجود فقد جاد بجميع اعضائه قال عمرو بن نفل

وأسلت وجهي لمن أسلمت * له الارض تحمل صغرا ثقلا

وأسلت وجهي لمن أسلمت * له المزن تحمل عذابا زلالا

يعنى بذلك استسلمت لطاعة من استسلم لطاعته الارض والمزن وهو محسن اى فى عمله لله (فله
اجره عند ربه) اى ثواب عمله (ولا خوف عليهم) اى فى الآخرة (ولاهم يحزنون) اى
على ما فاتهم من الدنيا * قوله عز وجل (وقالت اليهود ليست النصارى على شئ) وقالت النصارى
ليست اليهود على شئ) نزلت فى يهود المدينة ونصارى نجران لما قدموا على النبي صلى الله عليه
وسلم أتاهم أحبار اليهود وتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود للنصارى ما أنتم على
شئ من الدين وكفروا ببيسى والانجيل وقالت النصارى لليهود ما أنتم على شئ من الدين وكفروا
بموسى والتوراة فانزل الله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست
اليهود على شئ (وهم يلون الكتاب) يعنى وكلا الفريقين يقرؤن الكتاب وليس فى كتابهم
هذا الاختلاف فدلّت تلاوتهم الكتاب ومخالفتهم لما فيه على كفرهم وكونهم على الباطل وقيل
ان الانجيل الذى تدين به النصارى يحقق ما فى التوراة من نبوة موسى وما ارضى الله فيها
على بنى اسرائيل من الفرائض وان التوراة التى تدين به النصارى تحقق نبوة عيسى وما جاء به
من عند ربه من الاحكام ثم كلا الفريقين قالوا ما اخبر الله عنهم بقوله وقالت اليهود ليست النصارى
على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ مع علم كل واحد من الفريقين بطلان ما قاله
(كذلك قال الذين لا يعلمون) يعنى مشركى العرب قالوا فى نبينهم محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه
انهم ليسوا على شئ (مثل قولهم) يعنى مثل قول اليهود للنصارى والنصارى لليهود وقيل انهم
كانت قبل اليهود والنصارى مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب قالوا فى انبيائهم ليسوا
على شئ (فالله يحكم) اى يقضى (بينهم يوم القيامة) يعنى بين الحق والباطل (فما كانوا
فيه يختلفون) يعنى من امر الدين * قوله عز وجل (ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر
فيها اسمه) نزلت فى خراب بيت المقدس وذلك ان ططوس الرومى غزا بنى اسرائيل فقتل مقاتليهم
وسبي ذراريهم وحرق التوراة وخرّب بيت المقدس فلم يزل خرابا حتى بناه المسلمون فى زمن
عمر بن الخطاب فانزل الله تعالى ومن اظلم اى ومن اكفر وابغى ممن منع مساجد الله يعنى بيت المقدس
ومحاربه ان يذكر فيها اى يعبد ويصل له فيها (وسعى فى خرابها) وقيل يختصر الجوسى
من اهل بابل هو الذى غزا بنى اسرائيل وخرّب بيت المقدس واثابه على ذلك النصارى من اجل

وتلقى المعارف والحكم
وايضاؤهم بالعهد وبرايمهم
ماركز فيها بحسب الاستعداد
الاول من الادلة النوحية
والمعاني الكلية الكامنة فيها
بالتصفيه ومن اوله ما يخص
بها من الافعال وايضاؤه
بهدم افاضة السور
الكهالى عليها عند قيامها
بحق النور الاستعدادى
بالتصفيه واستعمال ما عندها
من المعاني وان كنتم ربهتم
شيئا فارهبوا احتجاب
انوارى بزوال استعدادكم
وآمنوا اى واقبلوا ما افوض
عليكم من الاشراق
النورية والسواخ الغيبية
مصدقا لما فى استعدادكم من
النور القطرى ولا تكونوا
فى اول رتبة المحجبين من
قبولها بالتوجه الى الجهة
السفلية ولا تستبدلوا بها
لذات النفس وقاصدها
ولا تخططوا حق المعارف
الروحية والانوار القدسية
باطل المطالب الحسية
والصفات الفسية وتكتموا
تلك الانوار والمعارف
بظهور هذه عليكم واقبوا
واذبحوا التوجه الى حضرة
الروح وامتنال امره
وآواز كاه معلوماتكم التى
هى اموالكم بتعسفها
وتركيها لتعززوا بها نواب

ان اليهود قتلوا يحيى بن زكريا (اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين) وذلك ان بيت
المقدس موضع حج النصارى وزيارتهم * قال ابن عباس لم يدخلها بعد عمارتها روى اوفى نصراني
الاخشا ان عليه قتل وقيل اخيفوا بالجزية والقتل فالجزية على الذمى والقتل على الحربى وقيل
خوفهم هو وقع مدائنهم الثلاث قسطنطينية ورومية وعمورية (لهم فى الدنيا خزي) يعنى الصفار
والذل والقتل والسبي (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) يعنى النار * وقيل ان الآية نزلت
فى مشركى مكة وأراد بالمسجد المسجد الحرام * وذلك انهم منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه ان يصلوا فيه فى ابتداء الاسلام ومنعوا من جهة الصلاة فيه عام الحديبية وادامعوا
من يمهركم بذكر الله تعالى وصلواته فيه فقد سعوا فى خرابه اولئك ما كان لهم ان يدخلوها
الا خائفين يعنى مشركى مكة يقول الله تعالى اقمها عليكم ايها المسلمون حتى تدخلوها وتكونوا
اولى بها منهم ففتحها عليهم وامر النبي صلى الله عليه وسلم ان ينادى بالموسم لما انزلت سورة
براءة الا لا يخرجن البيت بعد هذا العام مشرك فكان هذا خوفهم وثبت فى السمع ان لا يمكن
مشرك من دخول الحرم * فان قلت كيف قيل مساجد الله وانما وقع المنع والتخريب على محمد
واحد وهو اما بيت المقدس او المسجد الحرام * قلت يجوز ان يحكى الحكم عاما وان كان السبب
كما تقول لمن آذى صالحا واحدا ومن اظلم من آذى الصالحين * فان قلت اى القولين ارجح *
قلت رجع الطبرى القول الاول * وقال ان النصارى هم الذين سعوا فى خراب بيت المقدس بدليل
ان مشركى مكة لم يسعوا فى خراب المسجد الحرام وان كانوا قد منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى بعض الاوقات من الصلاة فيه * وايضا فان الآية التى قبل هذه والتى بعدها فى دم اهل
الكتاب ولم يجر لمشركى مكة ذكر ولا للمسجد الحرام فتعين ان يكون المراد بهذه بيت المقدس
ورجح غيره القول الثانى بدليل ان النصارى يعظمون بيت المقدس اكثر من اليهود فكيف يسعون
فى خرابه وهو موضع جهم وذكر ابن العربى فى احكام القرآن قولا ثالثا وهو انه كل مسجد قال
وهو الصحيح لان اللفظ عام ورد بصيغة الجمع فتخصيصه ببعض المساجد او ببعض الازمنة محال
* قوله عز وجل (والله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) سبب نزول هذه الآية *
قال ابن عباس خرج نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر قبل تحويل القبلة الى
الكعبة فاصابهم الضباب وحضرت الصلاة فقمروا القبلة وصلوا فلما ذهب الضباب استبان لهم
انهم لم يصيبوا فلما قدموا سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنزلت هذه الآية
وعن عامر بن ربيعة عن ابيه قال كما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفريلة مظلمة فلم ندر
ابن القبلة فصلى كل رجل منا على حiale فلما اصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت فأينما تولوا فثم وجه الله اخرجهم الترمذى وقال حديث غريب * وقال ابن عمر نزلت
فى المسافر يصلى الطلوع حيثما توجهت به راحلته (ق) عن ابن عمر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يسبح على ظهر راحلته حيث كان وجهه يرمى وكان ابن عمر يفعله وفى رواية المسلم كان النبي صلى
الله عليه وسلم يصلى على دابته وهو قبل من مكة الى المدينة حيثما توجهت وفيه نزلت فأينما تولوا فثم
وجه الله الآية وقيل نزلت فى تحويل القبلة الى الكعبة وذلك ان اليهود صيرت المؤمنين
وقالوا ليس لهم قبلة معلومة فتارة يستقبلون هكذا وتارة يستقبلون هكذا فانزل الله

هذه الآية * وقيل انها نزلت في تخيير النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ليصلوا حيث شاؤوا من التواحي ثم انها نخصت بقوله تعالى قون وجهك شطر المسجد الحرام ومعنى الآية ان الله المشرق والمغرب وما بينهما خلقا وملكا وانما خص المشرق والمغرب اكتفاء عن جميع الجهات لان الله كلها وما بينهما خلقه وعبيده وان على جميعهم طاعة فيما امرهم به ونهاهم عنه فالامرهم باستقباله فهو القبلة فان القبلة ليست قبلة لذاتها بل لان الله تعالى جعلها قبلة وامر بالتوجه اليها فابا تولا قتم وجه الله اى فهناك قبلة الله التي وجهكم اليها وقيل معناه قتم وجهه الله تعالى بعلمه وقدرته والوجه صفة ثابتة لله تعالى لان من حيث الصورة * وقيل قتم رضا الله اى يريدون بالتوجه اليه رضا (ان الله واسع) من السعة وهو الغنى اى بسع خلقه كلمم بالكفاية والافضال والجلود والتدبير وقيل واسع المغفرة (عليم) اى بأعمالكم ونياتكم حيثما تصلوا وتدعوا لا يضيع عنه منها شئ * (مسئلة تتعلق بحكم الآية) * وهى ان المسافر اذا كان في مفازة او بلادا اشرك واشتبهت عليه القبلة فانه يجتهد في طلبها بنوع من الدلائل ويصلى الى الجهة التي ادى اليها اجتهاده ولا اعادة عليه وان لم يصادف القبلة فان جهة الاجتهاد قبلته وكذا الطريق في البحر اذا بقي على اللوح فانه يصلى على حسب حاله وتصح صلاته وكذلك المشدود على جزع بحيث لا يمكنه الاستقبال * قوله عز وجل (وقالوا اتخذ الله ولدا) نزلت في يهود المدينة حيث قالوا عزيز ابن الله وفي نصارى نجران حيث قالوا المسيح ابن الله وفي مشركى العرب حيث قالوا الملائكة بنات الله (سبحانه) اى تنزه الله فتره الله نفسه عن اتخاذ الولد وعن قولهم وافترائهم عليه (خ) من ابن عباس عن ابي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمنى ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه اياى فزعم انى لا اقدر ان اعيده كما كان واما شتمه اياى فقول له ولد فسبحانى ان اتخذ صاحبة او ولدا (بل له ما فى السموات والارض) يعنى عبدا وملكا فكيف ينسب اليه الولد وهو داخل فيها * وقيل ان الولد لابد وان يكون من جنس الوالد والله تعالى منزّه عن الشبيه والظير * وقيل ان الولد انما يتخذ للحاجة اليه والانتفاع به عند عجز الوالد وكبره والله تعالى منزّه عن ذلك كله فاضافة الولد اليه محال (كله قاتون) يعنى ان اهل السموات والارض مطيعون لله وقرون له بالعبودية واصل القنوت لزوم الطاعة مع الخضوع وقيل اصله القيام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم افضل الصلاة طول القنوت فعلى هذا يكون معنى الآية كل له قاتمون بالشهادة وقرون له بالوحدانية * وقيل قاتون اى مذلون مسفرون لما خلقوا له * واختلف العلماء في حكم الآية فقال بعضهم هو خاص ثم سلكوا في تخصيصه طريقين * احدهما قالوا هو راجع الى عزيز والمسيح والملائكة * الثانى قال ابن عباس رضى الله عنهما هو راجع الى اهل طاعته دون سائر الكفار * وذهب جماعة الى ان حكم الآية عام لان لفظة كل تقتضى الشمول والاحاطة ثم سلكوا في الكفار طريقين * احدهما ان ظلالهم تسجد لله وطيعه والثانى ان هذه الطاعة تكون في يوم القيامة ومن ذهب الى تخصيص حكم الآية اجاب عن لفظة كل بأنها لا تقتضى الشمول والاحاطة بدليل قوله تعالى واوتيت من كل شئ الى شئ ولم تؤت ملك سليمان فدل على ان لفظة كل لا تقتضى ذلك * قوله عز وجل (بديع السموات والارض) اى خالقها ومبدعها ومنشئها على غير مثال سبق وقيل البديع الذى يبدع الاشياء اى يحدثها بما لم يكن (واذا قضى امرها)

التأنيج والوازم وانفقوها على فرائضكم الذين بحضرتكم من القوى البدنية الطبيعية يعيشوا بها ويكتبوا بها الاخلاق الفاضلة والممكات الجميلة وعلوها ابناء جنسكم ليكملوا بها واركموا واخضعوا لقبول الاوامر العقلية والانوار الروحية والاعمال القلبية انامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم انسون ما تحتكم من القوى بالعبادات الجميلة والآداب الحسنة والترقى الى مقامكم والتأديب بأدابكم وتنسون انفسكم في التأديب بين يدي الله بأداب الروحانيين والتمرن في المراقبة والتنوير بانوار الروح في مقام المشاهدة والترقى الى مقامه عند الفناء في الوحدة وانهم تملكون كتاب العقولات النازلة من رب الروح بواسطة ملك العقل الى نبي القلب افلا تعقلون بالعقل الجرد عن شوب الهوى والهوى واستعينوا بالصبر على ما يظهر عليكم ويرد من سلطنة اتوار سلطان الروح واحكامه وقهر تجليات العظمت والحضور مع الحق وان هذه الاستعانة لشهادة الا الى الخاسرين

المراتب المذهبية لانقياد
امر القلب والروح الثيقين
بانهم يحضرته وفي لقائه
وانهم يرجعون اليه في
قبول انواره وتقضيلهم
على العالمين هو شرفهم على
جميع ما في الانسان من
القوى (واذواعدنا موسى)
بعد فراقه من مقاومة آل
فرعون واهل اكهم (اربعين
ليلة) بخلص لافيا لرفع بها
النشوات الطبيعية التي
جبت قلبه عن معدن النور
في الاربعين التي خلق فيها
بدنه عند تكوينه جنينا
واجتمعه بالنشأة عن القطرة
كاورد في الحديث خمر
طينة آدم بيده اربعين
صباحا وعن وجه قلبه
وتظهر حكمة النوراة من
قلبه على لسانه (ثم اتخذتم
الحل من بعده) جعل النفس
الحويطة الناقصة الهامن
بعد انزله وغيبته عنكم
(وانتم ظالمون) واضعوا
العبادة في غير موضعها
(ثم عفونا عنكم من بعد
ذلك) الفعل الشنيع والظلم
اقبح بسوءتكم عند
رجوع موسى اليكم لكي
تشكر وانعمة عفو
تصور تلك النعمة عن الذم
فتستعدوا لاقول تجلي صفة
المم وعلى التأويل الثاني

اي قدومه واراد منطلقه وقيل اذا احكم امرا وحققه واقفه واصل القضاء والحكم والفراغ والقضاء
في القننة على وجوه كلها ترجع الى انقطاع الشيء وتماحه والفراغ منه (فانما يقول له كن فيكون)
اي اذا احكم امرا وحققه فانما يقول له كن فيكون ذلك الامر على ما اراد الله تعالى وجوده
* فان قلت المعلوم لا يطلب فكيف قال فانما يقول له كن فيكون قلت ان الله تعالى عالم بكل
ما هو كائن قبل تكوينه واذا كان كذلك كانت الاشياء التي لم تكن كائنا كانت لعله بها جاز ان يقول
لها كوني ويأمرها بالخروج من حال العدم الى حال الوجود * وقيل الام في قوله له لام اجل
فيكون المعنى اذا قضى امرا فانما يقول لاجل تكوينه وارادته له كن فيكون فعل هذا يذهب
معنى الخطاب * قوله عز وجل (وقال الذين لا يعقلون) قال ابن عباس هم اليهود الذين كانوا
في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقيل هم مشركو العرب (اولا) اي هلا (بكم الله)
اي عيانا بانك رسول الله (او تأييدا آية) اي دلالة وعلامة على صدقك (كذلك قال الذين من
قبلهم) اي كفار الامم الخالية (مثل قولهم) وذلك ان اليهود سألوا موسى ان يرهم الله جهرة
وان يسمعهم كلام الله وسألوه من الآيات ما ليس لهم مسئلة فاخبر الله عن الذين كانوا في زمن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم قالوا مثل ما قال من كان قبلهم (تشابهت قلوبهم) يعني
ان المكذبين للرسول تشابهت اقوالهم وافعالهم * وقيل تشابهت في الكفر والقسوة والتكذيب وطلب
الحال (قد بينا الآيات) اي الدلالات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (لقوم يوقنون)
يعني ان آيات القرآن وما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من المجرات الباهرات كافية لمن كان طالبا
للبقين وانما خص اهل الايقان بالذكر لانهم هم اهل الثبوت في الامور ومعرفة الاشياء على يقين
* قوله عز وجل (انا ارسلناك بالحق) اي بالصدق وقال ابن عباس بالقرآن وقيل بالاسلام *
وقيل معناه انا لم ارسلك عينا بل ارسلناك بالحق (بشيرا) اي مبشرا لاوليائي واهل طاعتي
بالتواب العظيم (ونذيرا) اي منذرا ومحذرا لاعدائي واهل معصيتي بالعذاب الاليم (ولانسال)
قرئ بفتح التاء على الهاء * قال ابن عباس وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ليت
شعري ما فعل ابواي فزلت هذه الآية والمعنى انا ارسلناك لتبليغ ما ارسلت به ولانسال عن
اصحاب الجحيم * وقرئ ولانستل بضم التاء ورفع اللام على الخبر * وقيل على النبي
والمعنى انا ارسلناك بالحق لتبليغ ما ارسلت به فانما عليك البلاغ (عن اصحاب الجحيم)
اي عن اهل النار سميت النار سميت لشدتها تأججهاد وقيل الجحيم معظم النار * قوله عز وجل
(ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) وذلك انهم كانوا يسألون النبي صلى الله
عليه وسلم الهدنة ويطلبونه انه ان املهم نبوءه فانزل الله هذه الآية * والمعنى انك وان هادنهم
فلا يرضون بها وانما يطلبون ذلك تملا ولا يرضون منك الا اتباع ملتهم وقال ابن عباس هذا
في امر القبله وذلك ان يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون النبي صلى الله عليه وسلم
حين كان يصلي الى بيت المقدس فلما صرف الله القبلة الى الكعبة اسبوا منه ان يوافقهم على دينهم
فانزل الله تعالى ولن ترضى عنك اليهود يعني الا باليهودية ولا بالنصارى يعني الا بالصرانية وهذا
شيء لا يتصور اذ لا يجتمع في رجل واحد شيان في وقت واحد وهو قوله حتى تتبع ملتهم يعني
دينهم وطريقتهم (فل) اي يا محمد (ان هدى الله) يعني دين الله الذي هو الاسلام (هو الهدى)

واحدنا موسى القلب عند
نقله بالبدن واحتجابه من
قومه القوى الروحانية
الاربعة التي خلقت فيها
بنية بدنه ثم تعبدتم عمل
الفس الحيوانية الطفل
من بعد غيبته واحتجابه
في حال الصبا الحكم
تشكرون (التعبد بالبلوغ
الحقيقي وظهور نور القلب
بجودكم لكي تشكروا
نعمة توفيق اياكم لذلك
التجرد وتنبئني لاسباب
كالحكم بسلوكم سبل صفاتي
(واذ انينا موسى الكتاب
والفرقان لحكم تهتدون
واذ قال موسى لقومه
يا قوم انكم) القلب كتاب
المعقولات والحكم
والمعارف والتمييز الفارق
بين الحق والباطل لكي
تهتدوا بنور هداة وعلى
الوجه الاول غنى عن
التأويل (ظلمت انفسكم
بانقاذكم الصل) نقصم
حقوقها وحظوظها من
الثواب والتجليات
الذكورية (فتسبوا الى
هولكم) الى خالقكم برفع
الحجاب الاول لدلالة ذكر
البارئ عليه (فاقتلوا
انفسكم ذلكم خير لكم
مما بارئكم فتاب عليكم

اي يصح ان يسمى هدى (ولن اتبع) يا محمد (اهواهم) يعني اهوا اليهود والنصارى
فيما رضيعهم منك وقيل اهواهم اقوالهم التي هي اهواء وجمع (بعد الذي جاءك من العلم) اي
البيان بان دين الله هو الاسلام وان القبلة هي قبلة ابراهيم عليه السلام وهي الكعبة (مالك
من الله من ولي) يعني يلى مراك ويقوم بك (ولانصير) اي نصرتك ويمنعك من عقابه وقيل
في قوله ولئن اتبعت اهواءهم انه خطاب لاني صلى الله عليه وسلم والمراد به امته والمعنى اياكم
اخاطب ولكم اؤدب وانهي فقد علمتم ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد جاءكم بالحق والصدق
وقد عصمته فلا تتبعوا انتم اهواء الكافرين ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءكم من العلم والينات
مالك من الله من ولي ولانصير * قوله عز وجل (الذين آتيناهم الكتاب) قال ابن عباس
نزلت في اهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن ابي طالب وكانوا اربعين رجلا اثنان وثلاثون
رجلا من الحبشة وثمانية من رهبان الشام منهم بحيرا الراهب * وقيل هم مؤمنوا أهل الكتاب
مثل عبدالله بن سلام واصحابه وقيل هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة * وقيل
هم المؤمنون عامة (يتلون حق تلاوته) اي يقرؤنه كما انزل لا يغيرونه ولا يحرفونه ولا يبدلون
ما فيه من نعمت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل معناه يتبعونه حق اتباعه فيصلون حلاله
ويحرمون حرامه ويعملون بحكمه ويؤمنون بمشايخه ويقفون عنده ويكونون على الله تعالى
وقيل معناه تدبروه حق تدبره وتفكروا في معانيه وحقايقه واسرارها (اولئك) يعني الذين يتلون
حق تلاوته (يؤمنون به) اي يصدقون به * فان قلنا ان الآية في اهل الكتاب فيكون المعنى
المؤمن بالتوراة الذي يتلوها حق تلاوتها هو المؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم لان في التوراة
نعمته وصفته وان قلنا انها نزلت في المؤمنين عامة فظاهر (ومن يكفر به) اي يجحد ما فيه من
فرائض الله ونبوته محمد صلى الله عليه وسلم (فاؤلكم الخاسرون) اي خسروا انفسهم حيث
استبدلوا الكفر بالايان * قوله عز وجل (يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم)
اي اياي اديدي لديكم وصنعي بكم واستغنى اياكم من ايدي عدوك في نعم كثيرة انعمت بها عليكم
(واني فضلتكم على العالمين) اي واذكروا تفضيلي اياكم على عالمي زمانكم * وفي هذه الآية عظة
اليهود الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكررها في اول السورة وهنا للتوكيد
وتذكير النعم (واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا) وفي هذه الآية تهريب لهم والمعنى يا عشرين
بني اسرائيل المبدلين كتابي الحرفين له خافوا عذاب يوم لا تجزي فيه نفس عن نفس شيئا (ولا يقبل
مها عدل ولا تنفعها شفاعة) اي لا يقبل منها فدية ولا يشفع لها شافع وهذا من العام الذي يراد به
الخاص كقوله تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له ومعنى الآية ولا تنفعها شفاعة اذا
وجب عليها العذاب ولم تستحق سواء * وقيل انه رد على اليهود في قولهم ان آباءنا
يشفعون لنا (ولاهم ينصرون) اي ولا ناصر لهم ينصرهم من الله اذا انتقم منهم
قوله عز وجل (واذ ابنتي ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن) ابراهيم اسم اجدى ومعناه أب رحيم
وهو ابراهيم بن تارخ وهو آزر بن ناخور بن شاروع بن ارض بن فالغ بن جابر بن شالخ بن
ارغخش بن سام بن نوح عليه السلام وكان مولد ابراهيم بالسوس من ارض الاهواز * وقيل
بابل وقيل بكوفي وهي قرية من سواد الكوفة وقيل بمران ولكن آباء نفعه الى ارض بابل وهي

انه هو التواب الرحيم)
 بسيف الرياضة ومنعها
 عن حظونها وافعالها
 الخاصة بها على سبيل
 الاستقلال وقع هواها
 التي هي روحها التي تحياها
 بها على الثاني المهم القلب
 قواه انكم نقصتم حقوقكم
 بتعبد النفس فارجموا
 الى بارئكم بنور هداة
 فانموا انفسكم بالرياضة
 عماضيتهم فاقتلواها عن
 حياتها العارضة لها بقلبة
 الهوى لتحيوا بحياتكم
 الاصلية فقبل توبنكم
 (واذقتم يا موسى لن تؤمن
 لك حتى ترى الله جبهة)
 لاجل هدايتك الايمان
 الحقيقي حتى تصل الى
 مقام الشهادة والبيان
 (فاخذتكم الصاعقة)
 صاعقة الموت الذي هو
 الفناء في الجلي الذاتي
 وانتم تنظرون (راقبون
 او تشاهدون) ثم يمشاكم
 من بعد موتكم لحكمكم
 تشكرون) بالحياة الحقيقية
 والبقاء بعد الفناء لكي تشكروا
 نعمة التوحيد والوصول
 بالسلوك في الله (وظلنا
 عليكم الغمام) غمام تجلي
 الصفات لكونها حجب
 شمس الذات المحرقة بالكلية
 (وازلنا عليكم المن)

ارض نمرود الجبار وابراهيم عليه السلام تعترف بفضل جيع الطوائف قديما وحديثا
 فالاليهود والنصارى فانهم مقرون بفضلهم ويتشرفون بالنسبة اليه وانهم من اولاده واما العرب
 في الجاهلية فانهم ايضا يعترفون بفضلهم ويتشرفون على غيرهم به لانهم من اولاده ومن ساكني
 حرمه وخدام بيته ولما جاء الاسلام زاده الله شرفا وفضلا فحكى الله تعالى عن ابراهيم امورا
 توجب على المشركين والنصارى واليهود قبول قول محمد صلى الله عليه وسلم والاعتراف بدينه
 والانتقاد لشركه لان ما اوجبه الله على ابراهيم عليه السلام هو من خصائص دين محمد صلى الله
 وسلم وفي ذلك حجة على اليهود والنصارى ومشركي العرب في وجوب الانتقاد لمحمد صلى الله
 عليه وسلم والايمان به وتصديقه وأصل الابتلاء الامتحان والاختبار يعرف حال الانسان وسمى
 التكليف بلاء لانه يشق على الابدان وقبل ليختبره حال الانسان فاذا قيل ابتلي فلان بكذا
 يتضمن امرين احدهما تعرف حاله والوقوف على ما يجهل من امر * والثاني ظهور جودته
 وردائه وابتلاء الله العباد ليس ليعلم احوالهم والوقوف على ما يجهل منها لانه عالم بجميع
 العلوم التي لانهاية لها على سبيل التفصيل من الازل الى الابد ولكن ليعلم العباد احوالهم
 من ظهور جوده ورداءة وعلى هذا ينزل قوله تعالى واذا ابتلي ابراهيم ربه بكلمات * واختلفوا
 في تلك الكلمات التي ابتلي الله بها ابراهيم عليه السلام * قال ابن عباس هي ثلاثون سهما من شرائع
 الاسلام لم يبتل بها احد فاقامها كلها الا ابراهيم فكتب الله له البراءة فقال وابراهيم الذي وفي
 ومعنى هذا الكلام انه لم يبتل احد قبل ابراهيم فاما بعده فقد اتى الانبياء بجميع ما امر به من الدين
 خصوصا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فقد اتى بجميع ما امر به وهي عشرة مذكورة في سورة
 براءة في قوله التائبون العابدون الآية وعشرة في سورة الاحزاب في قوله ان المسلمين والمسلمات
 الآية وعشرة في سورة المؤمنين في قوله قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون
 الآيات وهي مذكورة ايضا في سورة سأل سائل * وعن ابن عباس ايضا قال ابتلاء الله بعشرة
 اشياء من الفطرة خمس في الرأس قص الشارب والمضضة والاستنشاق والسواك وفرق
 الرأس وخمس في الجسد تقليم الاظفار ونف الابط وحلق العانة واخذان الاستنجاء بالماء
 (ق) عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الفطرة خمس * وفي رواية
 خمس من الفطرة الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الاظفار ونف الابط (م) عن
 عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر من الفطرة قص الشارب واعفاء الخمية
 والسواك والاستنشاق بالماء وقص الاظفار وغسل البراجم ونف الابط وحلق العانة
 واتقاض الماء يعني الاستنجاء * قال مصعب ونسيت العاشرة الا ان تكون المضضة قال وكعب
 انقاص الماء يعني الاستنجاء قال العلماء الفطرة السنة * وقيل الملة * وقيل الطريقة وهذه الاشياء
 المذكورة في الحديث وانها من الفطرة * قيل كانت على ابراهيم عليه السلام فرضا وهي لا
 سنة * واتفقت العلماء على انها من الملة واما ما فيها فقد قيل اما قص الشارب واعفاء الخمية
 فمخالفة الامم فانهم كانوا يقصون لحاهم ويوفرون شواربهم اوبوفرونهما معا وذلك عكس
 الجمال والنظافة واما السواك والمضضة والاستنشاق فلتنظيف الفم والانف من الطعام والقلم
 والوسخ واما قص الاظفار فللجمال والزينة فانها اذا طالت قبح منظرها واحتوى الوسخ فيها

واما غسل البراجم وهي السعد التي في ظهور الاصابع فانه يجتمع فيها الوسخ وبشئ المنظر واما حلق العانة ونف الابط فلتستظف عما يجتمع من الوسخ في الشعر واما الاستنجاء فلتستظف ذلك المحل عن الاذى واما الختان فلتستظف القلفة عما يجتمع فيها من البول * واختلف العلماء في وجوبه فذهب الشافعي الى ان الختان واجب لانه تكشفه العورة ولا يباح ذلك الا في الواجب وذهب غيره الى انه سنة واول من ختن ابراهيم عليه السلام ولم يمتحن احد قبله (ق) من ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختن ابراهيم بالقدم يروي القدام بالتخفيف والتشديد فن خفف ذهب الى انه اسم للآلة التي يقطع بها ومن شدد قال انه اسم موضع * عن يحيى بن سعيد انه سمع سعيد بن المسيب يقول كان ابراهيم خليل الرحمن اول الناس ضيف الضيف واول الناس قص شاربه واول الناس رأى الشيب قال رب ما هذا قال الرب تبارك وتعالى وقار يا ابراهيم قال يارب زدني وقارا اخرجته مالك في الموطأ * وقيل في الكلمات انها مناسك الحج * وقيل ابتلاء الله بسبعة اشياء بالكوكب والقمر والشمس فاحسن الظرفين وبالدار والهجرة وذبح ولده والختان فصبر عليها * قيل ان الله اخبر ابراهيم بكلمات او حاها اليه وامره ان يعمل بمن قامهن اى اداهن حق التأدية وقام بموجبهن حق القيام وعمل بمن من غير تقييد وتوان ولم ينقص منهن شيئا واختلفوا هل كان هذا الابتلاء قبل النبوة او بعدها فقيل كان قبل النبوة بدليل قوله في سياق الآية اني جاعلك للناس اماما والسبب يتقدم على السبب * وقيل بل كان هذا الابتلاء بعد النبوة لان التكليف لا يعلم الا من جهة الوحي الالهى وذلك بعد النبوة والصواب انه ان فسر الابتلاء بالكوكب والقمر والشمس كان ذلك قبل النبوة وان فسر بما وجب عليه من شرائع الدين كان ذلك بعد النبوة * وقوله تعالى (قال اني جاعلك للناس اماما) اى يقتدى بك في الخير ويأتمون بسنتك وهديك والامام هو الذى يؤتم به (قال ومن ذريتي) اى قال ابراهيم واجعل من ذريتي واولادى ائمة يقتدى بهم (قال) الله (لا ينال) اى لا يصيب (عهدى) اى نبوتى وقيل الامامة (الظالمين) يعنى من ذريتك والمعنى لا ينال ما عاهدت اليك من النبوة والامامة من كان ظالما من ذريتك وولدك * قوله عرجل (واذجعلنا البيت) يعنى البيت الحرام وهو الكعبة ويدخل فيه الحرم فان الله تعالى وصفه بكونه آمنا وهذه صفة جميع الحرم (مثابة للناس) اى مرجعا من ثاب ثوب اذا رجع والمعنى يتوبون اليه من كل جانب يحجبونه (وآمنا) اى موضعا ذا آمن يامنون فيه من اذى المشركين فانهم كانوا لا يعرضون لاهل مكة ويقولون هم اهل الله وقال ابن عباس معاذ ومجأ (ق) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم قمع مكة ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمه الله تعالى الى يوم القيامة وانه لم يحل القتال فيه لاحد قبلى ولم يحل الى الساعة من نهار فهو حرام بحرمه الله الى يوم القيامة لا يعصد شوكه ولا يتر صيده ولا يلقط لقطته الا من عرفها ولا يتخلى خلاه فقال العباس يا رسول الله الا لا اذخر فانه لقينهم ويوتهم فقال الا لا اذخر معنى الحديث انه لا يحل لاحد ان ينصب القتال والحرب في الحرم وانما حل ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم قمع مكة فقط ولا يحل لاحد بعده قوله يعصد شوكه اى لا يقطع شوك الحرم واراد به ما لا يؤذى منه

والسلوى) من الاحوال والمقامات الذوقية الجامعة بين الخلاوة واسهل رذائل اخلاق النفس كالتوكل والرضا وسلوى الحكم والمعارف والعلوم الحقيقية التي تحشرها عليكم رياح الرحمة والنفحات الالهية في تيه الصفات عند سلوككم فيها (كلوا من طيبات ما رزقناكم) اى تناولوا وتلقوا هذه الطيبات (وما ظلمونا) ما نقصوا حقوقنا وصفاتنا باحتياجهم بصفات نفوسهم (ولكن كانوا انفسهم) ناقصين حقوق انفسهم بحرمانها وخسرانها هذا على التأويلين والخطاب وان كان عاما لكنه مخصوص بالسبعين المختارين (واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا) اى روضة الروح المقدسة التي هي مقام المشاهدة (وادخلوا الباب) الذى هو الرضا بالقضاء باب الله العظيم (مجددا) مخنيين خنيين لما يرد عليكم من الطيبات الوصفية والقلبية والقلبية وقوله (وقولوا حلة) اى اطلبوا ان يحط انفسكم ذنوب صفاتكم

واخلاصكم وافعالكم
(نفر لکم خطایا کم)
تلویاتکم وذنوب احوالکم
(وسزید المحسنین) ای
المشاهدین لقوله عليه
الصلاة والسلام الاحسان
ان تعبد الله كأنك تراه
ثواب احسانهم الذي هو
كشف الذات او احسانهم
بالسلوك في الله (فبدل
الذين ظلموا قولا غير الذي
قبل لهم) ای طلبوا
الاتصاف بصفات النفس
ابتغاء حظوظها سوى طلب
الاتصاف بصفات الله ابتغاء
الحظوظ الروحانية كإروى
منهم حظا سقائيا يطلوب
غذاء النفس (فأترنا على
الذين ظلموا) على الظالمين
(رجزا من السماء بما كانوا
يفسقون) عذابا وضمنا
وضيقا وظلما في حبس
النفس واسرا في وثاق
النهي واحتمسا في قيد
الهوى وحرمانا وذلا بمحنة
المادة السفلية وتغيرها
وزوالها من جهة قهر سماه
الروح ومنع اللطف
والروح عنهم بسبب
فسقهم أي خروجهم عن
طاعة النفس وتركنا
التأويل الثاني لقربه منه
جدا (واذا استقى موسى
لقومه قتلنا ضرب بعصاك

اماما يؤدى منه كالموسج فلا بأس بقطعه قوله ولا يضر صيده أي لا يعرض له بالاصطياد
ولا يهاج قوله ولا يلتقط لقطته الا من عرفها أي بشدها والنشد رفع الصوت بالتعريف والمقطة
في جميع الارض لاتحل الا لمن يعرفها حولا فان جاء صاحبها أخذها والا انتفع بها للمقطب بشرط
الضمان وحكم مكنة في المقطة ان يعرفها على الدوام بخلاف غيرها من البلاد فانه محدود بسنة
قوله ولا يمتلئ خلاه انحلا مقصورا الرطب من النبات الذي يرحى * وقيل هو اليابس من
الحشيش وخلاه قطعه وقوله لقينهم القين الحداد * وقوله تعالى (واتخذوا من مقام ابراهيم
مصلی) قيل الحرم كله مقام ابراهيم * وقيل اراد بمقام ابراهيم جميع مشاهد الحج مثل عرفة
والمزدلفة والرمي وسائر المشاهد والصحیح ان مقام ابراهيم هو الحجر الذي يصل عليه الأئمة وذلك
الحجر هو الذي قام ابراهيم عند بناء البيت وقيل كان اثر اصابع رجلى ابراهيم عليه السلام فيه
فاندرست بكثرة المسح بالأيدي وقيل انما امروا بالصلاة عنده لم يؤمروا بمسحه وتقبيله
(ق) عن انس بن مالك قال قال عمر وافقت ربي في ثلاثي قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام
ابراهيم مصلی قترلت واتخذوا من مقام ابراهيم مصلی الحديث وكان بدوقصة المقام على مارواه
البحاري في صحيحه عن ابن عباس قال اول ما اتخذت النساء المنطق من قبل ام اسمعيل اتخذت
منطقا لتعني اثرها على سارية ثم جابها ابراهيم وابنها اسمعيل وهي ترضعه حتى وضعا عند البيت
عند دوحه فوق زمزم من اعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس بها ماء فوضعهما هناك
ووضع عندهما جريا فيه تمر وسقاء فيه ثم فنى ابراهيم منطقا فتبعته ام اسمعيل فقالت يا ابراهيم
الى اين تذهب وتركننا بهذا الوادي الذي ليس فيه انيس ولا شيء فقالت له ذلك مرارا وجعل
لا يلتفت اليها فقالت له الله امرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى
اذا كان عند الثانية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات فرفع يديه وقال
رب انى اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع حتى تبلغ يشكرون وجعلت ام اسمعيل ترضع اسمعيل
وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نعدما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى او قال
يتلطب فانطلقت كراهة ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب جبل في الارض فلبها فقامت عليه
ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى احدا فلم تر احدا فهبطت من الصفا حتى بلغت الوادي
ورفعت طرف درعها وسعت سعي الانسال المجهود حتى جاوزت الوادي ثم انت المروة فقامت
عليها فنظرت هل ترى احدا فلم تر احدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي
صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صد تريد نفسها
ثم سمعت فيممت أيضا فقالت يا من قد اسمعت ان كان عندك غواث فاذا هي بالملك عند موضع زمزم
فيمت بقبه أو قال يحنأه حتى ظهر الماء فبعلت نحوذه وتقول يدها هكذا وجعلت تعرف
من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تعرف * قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله
أم اسمعيل لو تركت زمزم أو قال لو لم تعرف من الماء لكانت زمزم بينا معينا قال فشربت
وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافى الضيعة فان ههنا بيت الله بينه هذا القلام وأبوه وان الله لا يضيع
أهله وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ من يمينه وعن شماله فكانت
كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقلبين من طريق كداء قتلوا

الجر (طلب نزول امطار العلوم والحكم والمصافي من سماء الروح فامرناه بضرب عصا النفس التي يتوكأ عليها في تعلقه بالبدن وبثاته على ارضه بالفكر على حجر الدماغ الذي هو منشأ العقل) فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا من مياه العلوم على عدد المشاعر الانسانية التي هي الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة والعاقلة النظرية والعملية ولهذا قال عليه الصلاة والسلام من فقد حسافة فقد عملا (قد علم كل اناس مشربهم) اي اهل كل علم مشربهم من ذلك العلم كاهل الصناعات والعلماء العاملين من مشرب العقل العملي والحكماء والعارفين من النظرى والصباغين من علم الالوان المبصرة واهل صناعة الموسيقى من علم الاصوات وغير ذلك وهى التأويل الثانى امرنا موسى القلب بضرب عصا النفس على حجر الدماغ فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناه المشاعر المذكورة التى تختص كل واحدة منها بقوة من القوى الاثنى عشرة المذكورة التى هى اسباط يعقوب

فى اسفل مكة فراوا طارا عاتفا فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء لهدانا بهذا لو ادى وما فيه ماء فارسلوا جريا او جريين فاذا هم بالماء فرجعوا فاخبروهم فاقبلوا وأم اسمعيل عند الماء فقالوا تأذنين لنا أن نزل عندك قالت نعم ولكن لاحق لكم فى الماء قالوا نعم قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم قال فى ذلك أم اسمعيل وهى تحب الانس فارسلوا الى أهلهم فقلوا معهم حتى اذا كانوا بها أهل ابانت منهم وشب الفلام وتعلم العربية منهم وأنسهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجه امرأة منهم وماتت أم اسمعيل فجاء ابراهيم بعدما تزوج اسمعيل بطالع تركته فلم يجد اسمعيل فسأل امرأته عنه فقالت خرج يبتنى لنا وفى رواية ذهب بصيد لنا ثم سألها عن عيشهم وهيتهم فقالت نحن بشر نحن فى ضيق وشدة وشكت اليه فقال اذا جاء زوجك اقرئى عليه السلام وقولى له بغير عتبه بابه فلما جاء اسمعيل كانه أنس شيئا فقال هل جاءكم من أحد قالت نعم جاء ناشيخ كذا وكذا فسألنا عنك فاخبرته فسألنى كيف عيشنا فاخبرته انا فى جهد وشدة فقال هل أوصاك بشيئ قالت نعم أمرنى ان أقرأ عليك السلام ويقول لك غير عتبه بأك قال ذلك أبى وقد أمرنى ان افارقك الحق باهلك فطلقها وتزوج منهم أخرى فلبث عنهم ابراهيم ما شاء الله ان يلبث ثم أتاهم بعد فلم يجدهم فدخل على امرأته فسأل عنه فقالت خرج يبتنى لنا قال كيف أتم وسالها عن عيشهم وهيتهم فقالت نحن بخير وسعة وأنت على الله عز وجل فقال وما طعامكم قالت اللحم قال وما شربكم قالت الماء قال اللهم بارك لهم فى اللحم والماء قال النبى صلى الله عليه وسلم ولم يكن لهم يومئذ حطب ولو كان لهم حطب دعا لهم فيه قال فهم لا يخلو عليهما أحد بغير مكة الالم بوافقه وفى رواية فجاء فقال أين اسمعيل قلت امرأته قد ذهب بصيد قالت امرأته الانزل عندنا فتعالم وتشرب قال وما طعامكم وشربكم قالت طعامنا اللحم وشربنا الماء قال اللهم بارك لهم فى طعامهم وشربهم قال فقال أبو القاسم بركة دعوة ابراهيم قال فاذا جاء زوجك اقرئى عليه السلام ومر به أن يبت عتبه بابه فلما جاء اسمعيل قال هل أتاكم من أحد قال نعم أتانا شيخ حسن الهيئة وأنت عليه فسألنى عنك فاخبرته فسألنى كيف عيشنا فاخبرته أنا بخير قال فاوصاك بشيئ قالت نعم يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تبت عتبه بأك فقال ذاك أبى وأنت العتبه أمرنى أن أمسكك ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك واسمعيل يرى نبلا تحت دوحة قربان زمزم فلما رآه قام اليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ثم قال يا اسمعيل ان الله أمرنى بأمر قال فاسمع ما أمرك ربك قال وتعيننى قال وأعينك قال فان الله أمرنى أن ابني بيتا ههنا وأشار الى الكعبة مرتفعة على ماحولها فعند ذلك رفع القواعد من البيت فجعل اسمعيل يأتى بالحجارة و ابراهيم يبنى حتى اذا ارتفع البناء جاء ابراهيم بهذا الجر فوضعه له فقام ابراهيم وهو يبنى واسمعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وفى رواية حتى اذا ارتفع البناء وضع الشيخ عن نقل الحجارة فقام على حجر المقام فجعل يناوله الحجارة ويقولان ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم وقيل ان امرأة اسمعيل قالت لابراهيم انزل اغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعه عن شقه الايمن فوضع قدمه عليه ففسلت شق رأسه الايمن ثم حولته الى شقه الايسر ففسلت شق رأسه الايسر فبقى أثر قدميه عليه * عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الركن والمقام ياقوتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولولم يطمس

نورهما لاضاء ما بين الشرق والمغرب التزمذى وقال هذا يروى عن ابن عمر
موقوفا واختلفوا في قوله صلى فن فسر المقام بمشاهد الجمع ومشاعره قال مصلى مدعى
من الصلاة التي هي الدعاء ومن فسر المقام بالجر قال معناه واتخذ وامن مقام ابراهيم مصلى
قبله أصروا بالصلاة عنده وهذا القول هو الصحيح لان لفظ الصلاة اذا اطلق لا يعقل منه
الا الصلاة المعهودة ذات الركوع والسجود ولان مصلى الرجل هو الموضع الذى يصلى فيه
(وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل) اى امرناهما والزمناهما ووجبنا عليهما * قيل انما سمي اسمعيل لان
ابراهيم كان يدعو الله ان يرزقه ولدا ويقول في دعائه اسمع يا ايل وايل لسان السريانية هو الله
فلارزق الولد اسماء به (ان طهرا بيتي) يعنى الكعبة اضافته اليه تشريفا وتفضيلا وتخصيصا
اى ابناء على الطهارة والتوحيد * وقيل طهرا من سائر الاقدار والانجاس وقيل طهرا
من الشرك والوثان وقول الزور (للسامعين) يعنى الدائرين حوله (والساكنين)
يعنى المقيمين به والجاورين له (والركع السجود) جمع راكم وساجد وهم المصلون * وقيل
الطاشين يعنى القرباء الواردين الى مكة والعاكفين يعنى اهل مكة المقيمين بها قيل ان الطواف
للقرباء افضل والصلاة لاهل مكة بمكة افضل * قوله عز وجل (وادع ابراهيم ربا حمل
هذا) اشارة الى مكة وقيل الى الحرم (بلدا آمنا) اى ذا امن يا من فيه امله وانما دعا ابراهيم
له بالامن لانه بلد ليس فيه زرع ولا ثمر فاذا لم يكن آمنا لم يجلب اليه شئ من الواحى فيتعذر
المقام به فاجاب الله تعالى دعاء ابراهيم وجعله بلدا آمنا فاقصده جبار الاقصمه الله تعالى
كافضل بأصحاب القبل وغيرهم من الجبابرة * فان قلت قد غزا مكة الحجاج وخرب الكعبة قلت
لم يكن قصده بذلك مكة ولاهاها ولا اخاب الكعبة وانما كان قصده خلع ابن الزبير من الخلافة
ولم يتمكن من ذلك الا بذلك فلما حصل قصده اعاد بناء الكعبة فبناها وشيدها وعظم حرمتها
واحسن الى اهلها واختلفوا اهل كانت مكة محرمة قبل دعوة ابراهيم عليه السلام واحرمت
بدعوته على قولين * احدهما انها كانت محرمة قبل دعوته بدليل قوله صلى الله عليه وسلم
ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض وقول ابراهيم عليه السلام انى اسكنت من
خزيتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم فهذا يقتضى أن مكة كانت محرمة قبل دعوة ابراهيم
* القول الثانى انها انما حرمت بدعوة ابراهيم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم حرم مكة
وانى حرمت المدينة وهذا يقتضى ان مكة كانت قبل دعوة ابراهيم حلالا كغيرها من البلاد
وانما حرمت بدعوة ابراهيم ووجه الجمع بين القولين وهو انصواب ان الله تعالى حرم مكة
يوم خلقها كما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ان الله حرم مكة يوم خلق السموات
والارض ولكن لم يظهر ذلك التحريم على لسان احد من انبيائه ورسله وانما كان تعالى
يمنعها ممن ارادها بسوء ويدفع عنها وعن اهلها الآفات والعقوبات فلم يزل ذلك من امرها حتى
بوأها الله تعالى ابراهيم واسكن بها امله فحينئذ سأل ابراهيم ربه عز وجل ان يظهر
تحريم مكة لعباده على لسانه فاجاب الله تعالى دعوته وألزم عباده تحريم مكة فصارت مكة
حراما بدعوة ابراهيم وفرض على الخلق تحريمها والامتناع من استغلالها واستغلال صيدها
وشجرها فهذا وجه الجمع بين القولين وهو انصواب والله اعلم (وارزق امله من الثمرات)

الروح قد علم كل منها
مشربه (كلوا واشربوا
من رزق الله) اى انتفخوا
بما رزقكم الله من العلم والعمل
والاحوال والمقامات
(ولا تنفخوا في الارض
مفسدين) ولا تبألقوا
في الفساد بالجهل (واذقتم
ياموسى لن نصبر على طعام
واحد) اى القداء الروحاني
من العلم والمعرفة والحكمة
(فادع لسارك يخرج لنا
مما تبنت الارض من بقلها
وقناتها وفومها وعدسها
وبصلها قال اتسبد لون
الذى هو اذنى بالذى هو
خير) اى اسأل لتارك يوسع
علينا ويرخص لنا فيما تبنته
ارض نفوسنا من الشهوات
الحسية واللذات الحسية
والثفكها الباردة وكل
ما فيه حظ النفس وعذابها
(اهبطوا مصر) اى مدينة
البدن (فان لكم فيها ما ساتم
وضرت عليهم السدة)
اللازمة لتباعد الشهوات
والحرص في المقتنيات
(والمسكنة) اى دوام
الاحتياج ودوام سكنى الجهة
السفلية (وباؤا) واستحقوا
(بفضب) البعد والطرده
(من الله ذلك بأنهم كانوا
يكفرون بآيات الله ويقتلون
الدينين بغير الحق ذلك بما

انما سال ابراهيم ذلك لان مكة لم يكن بهازرع ولا تتمر فاستجاب الله تعالى له وجعل مكة
حرما آمنا يجي اليه عمرات كل شيء (من آمن منهم بالله واليوم الآخر) يعنى ارزق المؤمنين
من اهله خاصة وسبب هذا التخصيص ان ابراهيم عليه السلام لماسال ربه عز وجل
ان يجعل النبوة والامامة في ذريته فاجابه الله بقوله لا ينال عهدي الظالمين صار ذلك تاديبه
في المسئلة فلا جرم خص ههنا بدعائه المؤمنين دون الكافرين ثم امله ان الرزق في الدنيا
يستوى فيه المؤمن والكافر بقوله (قال ومن كفر فانتقم) اى سارزق الكافر ايضا (قليلا)
اى في الدنيا الى منتهى اجله وذلك قليل لانه ينقطع (ثم اضطره الى عذاب النار) اى الجنة
واكرهه وادفعه الى عذاب النار والمضطر هو الذى لا يملك لنفسه الامتناع مما
اضطر اليه (وبئس المصير) اى وبئس المكان الذى يصير اليه الكافر وهو العذاب * قوله
تعالى (واذ رفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعه) وكانت قصة بناء البيت على ما ذكره العلماء
واصحاب السير ان الله تعالى خلق موضع البيت قبل ان يخلق الارض بالني عام فكانت زبدة
يضاء على وجه الماء فدحيت الارض من تحتها فلما اهبط الله آدم الى الارض استوحش فشكا
الى الله تعالى فانزل البيت الممور وهو من ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد أخضر باب
شرق وباب غربى فوضعه على موضع البيت وقال يا آدم انى اهبطت لك بيتا تطوف به كلباطف
حول عرشى وتصلى عنده كما يصلى عند عرشى وانزل الله عليه الحجر الاسود وكان ابيض فاسود من مس
الحصى في الجاهلية فتوجه آدم من الهند ماشيا الى مكة وارسل الله اليه ملكا يده له على البيت
فخرج آدم البيت واقام المناسك فلما فرغ تلقته الملائكة وقالوا له رجعتك يا آدم لقد جمعنا هذا البيت
قبلك بالني عام قال ابن عباس حج آدم أربعين حجة من الهند الى مكة على رجله فكان على ذلك
الى ايام الطوفان فرضه الله الى السماء الرابعة وهو البيت الممور يدخله كل يوم سبعون الف ملك
ثم لا يبعدون اليه وبعث الله جبريل حتى خبا الحجر الاسود في جبل ابى قيس صيانته من القرى
فكان موضع البيت خاليا الى زمن ابراهيم عليه السلام ثم ان الله تعالى امر ابراهيم بعد ما ولد له
اسماعيل واسحق ببناء بيت يذكر فيه ويعبد فسال الله ان يبين له موضعه فبعث الله السكينة لتدله
على موضع البيت وهى ريح خبجوج لها رأسان تشبه الحية والخبجوج من الرياح هى الشديدة
السريعة الهبوب وقيل هى التلوية فى هبوبها وامر ابراهيم ان يبني حيث تستقر السكينة فتبعها ابراهيم
حتى انت موضع البيت فتطوقت عليه كتطويق الخففة وقال ابن عباس بعث الله سبحانه وتعالى صحابة
على قدر الكعبة فجعلت تسير وابراهيم يمشى في ظلها الى ان وقفت على موضع البيت ونودى منها
يا ابراهيم ابن على قدر ظلها لاتزد ولا تنقص وقيل ان الريح كنست له ماحول الكعبة حتى ظهر له
اساس البيت الاول فذلك قوله تعالى واذبوا نالا ابراهيم مكان البيت فبنى ابراهيم واسماعيل البيت فكان
ابراهيم يبنيه واسماعيل يناوله الحجارة فذلك قوله تعالى واذ رفع ابراهيم القواعد من البيت جمع
قاعدة وهى اس البيت وقيل جذرة من البيت قال ابن عباس بنى ابراهيم البيت من خمسة اجبل
من طور سيناء وطور زيباء ولبنان جبل بالشام والجودى جبل بالجزيرة وبنى قواعد من خراء
جبل بمكة فلما انتهى ابراهيم الى موضع الحجر الاسود قال لاسماعيل اثنى بحجر حسن يكون للناس
علما فانه بحجر فقال اثنى باحسن منه فضى اسمعيل ليطلب حجرا احسن منه فصاح ابوقيس

(يا ابراهيم)

هصوا وكانوا يمتدون)
باحجبا بهم عن ايات الله
وتجلياته والباقي ظاهر وعلى
الوجه الثانى وبقتلهم انبياء
القلوب بغير امر ثابت لهم
عليهم يتوجه به ذلك بل
بصرف باطلهم ذلك بمصيانهم
اوامر القلوب والعقول
واعتدائهم من ظهورهم
(ان الذين امنوا والذين
عادوا والصارى والصائين)
الايمان التقليدى والظاهرين
والباطنيين والذين تعبدوا
ملائكة العقول لاحتجابهم
بالعقولات وكواكب
القوى النفسانية لاحتجابهم
بالوهميات والخياليات (من
امن منهم) الايمان الحقيقى
(بالله واليوم الآخر)
صالحا فله اجرهم عند ربهم
والمعادوا يضاهل التوحيد
والقيامة وعلو اما يصلحهم
لقاء الله ونيل السعادة
في المعاد فلهم الثواب الباقي
الروحانى عند ربهم من
عقوبة افعالهم (ولا هم
يخزفون) بهوات تجليات
الصفات والجملة اعتراض
بين خطاب بنى اسرائيل
(واذ اخذنا ميثاقكم) اى
ههنا السابق واللاحق
الماخوذ منهم في التوراة
او باللائل العقل بتوحيد
الافعال والصفات (ورفنا

فوقكم الطور) طور الدماخ
للممكن من فهم المعاني وقبولها
وقلنا (خذوا) اى اقبلوا
(ما اتيناكم بقوة) من التوراة
او كتاب العقل القرآنى
بجد (واذكروا ما فيه لحكم
تقون) وهو ما فيه من الحكم
والمعارف والعلوم والشرائع
لكى تقوا الشرك والجهل
والفسق (ثم توليم) اعرضتم
(من بعد ذلك) باقبا لكم الى
الجهة السفلية (فلولا فضل الله
عليكم) بهدائه العقل
(ورحمته) بنور البصيرة
والشرع (لكنتم من
الحاسرين ولقد علم الذين
اعتدوا منكم في السبت)
اعلم ان الناس لو اهلوا
وتركوا وخلق بينهم وبين
طباعهم لتوغلوا وانهمكوا
في اللذات الجسمانية
والفواشى الظلمانية
لضرا ونهم بها واعتادوا
من الطفولية والصلاحى
زالت استعداداتهم وانحطوا
عن رتبة الانسانية فمضوا
كما قال تعالى من له الله
وغضب عليه وجعل منهم
القردة والحنازير وان
حفظوا ورؤوا بالسياسات
الشرعية والعقلية والحكم
والآداب والمواظاة الوحدية
والوعيدية رتقوا وتوروا
كما قال الشاعر

يا ابراهيم انك عندى وديعة فخذها فخذف بالجر الاسود فاخذ ابراهيم فوضعه مكانه وقيل
ان الله تعالى امد ابراهيم واسماعيل بسبعة املاك يعينونهما في بناء البيت فلما فرغا من بانه قالا (ربنا
تقبل منا) وفي الآية اشارة تقديره ويقولان ربنا تقبل منا اى ما عملناك وتقبل طاعتنا اياك
وعبادتناك (انك انت السميع) اى لدعائنا (العليم) يعنى بنيتنا * قوله عز وجل (ربنا
واجعلنا مسلمين لك) يعنى موحدين مخلصين مطيعين خاضعين لك فان قلت الاسلام اما ان
يكون المراد منه الدين والاعتقاد او الاستسلام والانقياد وقد كانا كذلك حالة هذا الدعاء فما
قائدة هذا الطلب قلت فيه وجهان * احدهما ان الاسلام عرض قائم بالقلب وقد لا يلقى فقلوه
واجعلنا مسلمين لك يعنى في المستقبل وذلك لا ينافى حصوله في الحال * الوجه الثاني يحتمل ان
يكون المراد منه طلب الزيادة في الايمان فكأنهما طلبا زيادة اليقين والتصديق وذلك لا ينافى حصوله
في الحال (ومن ذريتنا) اى من اولادنا (امة) اى جماعة (مسلمة) اى حاضعة مقادة
(لك) وانما ادخل من التى هى للتبعض لان الله تعالى اعلمهما بقوله لا ينال عهدى الظالمين ان
في ذريتهما الظالم فلذا خص بعض الذرية بالدعاء * فان قلت لم خص ذريتهما بالدعاء * قلت لانهم
احق بالشفقة والنصيحة قال الله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا ولان اولاد الانبياء اذا صلحوا
صلح بهم غيرهم الا ترى ان المتقدمين من العلماء والكبراء اذا كانوا على السداد كيف يتسبون
لسداد من ورائهم وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى وابعث فيهم
رسولا منهم (وارنا) اى علنا وبصرنا (مناسكنا) اى شرائع ديننا وأعلام حجنا وقيل مناسكنا
يعنى مذابحنا والنسك الذبيحة وقيل متعبداتنا واصل النسك العبادة والناسك العابد فاجاب الله
دعاهما وبعث جبريل فاراهما المناسك في يوم عرفة فلما بلغ عرفات قال عرفت يا ابراهيم قال
ابراهيم نعم فسمى ذلك الوقت عرفة والموضع عرفات (وتب علينا) اى تجاوز عنا (انك
انت الثواب) اى المتجاوز عن عبادة (الرحيم) بهم واحتج بقوله وتب علينا من جواز الذنوب
على الانبياء ووجهه ان التوبة لا تطلب من الله الا بعد تقدم الذنب فلولا تقدم الذنب لم يكن لطلب
التوبة وجه وأجيب عنه بان العبد وان اجتهد في طاعة ربه عز وجل فانه لا يترك عن تقصير
في بعض الاوقات اما على سبيل السهو او ترك الاولى والافضل وكان هذا الدعاء لاجل ذلك
وقيل يحتمل ان الله تعالى لما علم ابراهيم ان في ذريته من هو ظالم فلا جرم سال ربه التوبة
لاولئك الظلمة والمعنى وتب على الظلمة من اولادنا حتى يرجعوا الى طاعتك فيكون ظاهر الكلام
الدعاء لانفسهما والمراد به ذريتهما وقيل يحتمل انهما لما رفا قواعد البيت وكان ذلك المكان
اخرى الا ما كن بالاجابة دعوا الله بذلك الدعاء ليجعل ذلك سنة وليقتدى من بعدهما في ذلك
الدعاء لان ذلك المكان هو موضع التنصل من الذنوب وسؤال التوبة والمغفرة من الله تعالى
* قوله عز وجل (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم) يعنى وابعث في امة المسئلة او الذرية وهم
العرب من ولد اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام وقوله رسولا منهم يعنى ليدعوهم الى الاسلام
ويكمل الدين والشرع واذا كان الرسول منهم يعرفون نسبه ومولده ومنشأه كان اقرب لقبول
قوله ويكون هو اشفق عليهم من غيره * واجمع المفسرون على ان المراد بقوله رسولا منهم هو
محمد صلى الله عليه وسلم لان ابراهيم عليه السلام انما دعا لذريته وهو بمكة ولم يبعث من ذريته

بمكة غير محمد صلى الله عليه وسلم فدل على ان المراد به محمد صلى الله عليه وسلم وروى البغوى
باسناده عن الرباض بن سارية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى عند الله مكتوب
خاتم النبيين وان آدم لم يجد في طينته وسأخبركم باول امرى انا دعوة ابراهيم وبشارة عيسى
ورؤيا أمى التى رأت حين وضعتى وقد خرج لها نور ساطع أضاءت لها منه قصور الشام وقوله
لمجدل في طينته معناه انه مطروح على وجه الارض صورة من طين لم تبحر فيه الروح واراد
بدعوة ابراهيم قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فاستجاب الله دعاء ابراهيم وبعث محمدا صلى الله
عليه وسلم في آخر الزمان وأنقذهم به من الكفر والظلم وأراد ببشارة عيسى عليه السلام قوله
في سورة الصف وبشرا رسول يأتى من بعدى اسمه احد (يتلو عليهم) اى يقرأ عليهم
(آياتك) يعنى ماتوجه اليه وهو القرآن الذى انزل على محمد صلى الله عليه وسلم لان الذى
كان يتلوه عليهم هو القرآن فوجب جله عليه (ويعلمهم الكتاب) يعنى معانى الكتاب وحقائقه
لان المقصود الاعظم تعليم ما في القرآن من دلائل التوحيد والنبوة والاحكام الشرعية فلا ذكر الله
تعالى او لا أمر التلاوة وهى حفظ القرآن ودراسته ليقى مصونا عن التحريف والتبديل ذكر
بعده تعليم حقائقه واسراره (والحكمة) اى ويعلمهم الحكمة وهى الاصابة في القول والعمل
ولا يسمى الرجل حكيم الا اذا اجتمع فيه الامران وقيل الحكمة هى التى ترد عن الجهل والخطا
وذلك انما يكون بما ذكرناه من الاصابة في القول والعمل ووضع كل شئ موضعه وقيل الحكمة
معرفة الاشياء بحقائقها واختلاف المفسرون في المراد بالحكمة ههنا فروى ابن وهب قال قلت لما لك
ما الحكمة قال المعرفة بالدين والفقه فيه والاتباع له وقال قتادة الحكمة هى السنة وذلك لان الله
تعالى ذكر تلاوة الكتاب وتعليمه ثم عطف عليه الحكمة فوجب ان يكون المراد بها شئ آخر
وليس ذلك الالسنه وقيل الحكمة هى العلم باحكام الله تعالى التى لا يدرك علمها الا ببيان الرسول
صلى الله عليه وسلم والمعرفة بها منه وقيل الحكمة هى الفصل بين الحق والباطل وقيل هى
معرفة الاحكام والقضاء وقيل هى فهم القرآن والمعنى ويعلمهم ما في القرآن من الاحكام
والحكمة وهى ما فيه من المصالح الدينية والاحكام الشرعية وقيل كل كلمة وعظمتك أودعتك
الى مكرمة او نهتك عن قبيح فهى حكمة (ويزكهم) اى ويطهرهم من الشرك وعبادة
الاوثان وسائر الارجاس والرذائل والنقائص وقيل يزكهم من التزكية اى يشهد لهم يوم
القيامة بالعدالة اذا شهدوا للانبياء بالبلاغ ثم ختم ابراهيم الدعاء بالثناء على الله تعالى فقال
(انك أنت العزيز) قال ابن عباس العزيز الذى لا يوجد مثله وقيل هو الذى يقهر
ولا يقهر وقيل هو المنيع الذى لا تناله الايدى * وقيل العزيز القوى والعزة
القوة من قولهم ارض عزاز اى صلبة قوية (الحكيم) اى العالم الذى لا يخفى عليه خافية وقيل
هو العالم بالاشياء ويجادها على غاية الاحكام * قوله عز وجل (ومن يرغب مله ابراهيم الامن
سفه نفسه) سبب نزول هذه الآية ان عبد الله بن سلام دعا ابنى اخيه الى الاسلام مهاجرا وسلة
وقالهما قد علمنا ان الله تعالى قال في التوراة انى باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احد فنى آمن به فقد
اهتدى ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلة وابى مهاجران يسلم فأنزل الله تعالى ومن يرغب

هى النفس ان تهمل
تلازم خساسة * وان
تبعت نحو الفضائل تهيج
فلهذا وضعت العبادات
وفرض عليهم تكرارها
في الاوقات المعينة لنزول
عندهم بهادرن الطباع المتراكم
في اوقات الغفلات وظلمة
الشواغل العارضة في ازمة
اتخاذ اللذات وارتكاب
التهوات فتتوربوا طينهم
بنور الحضور وتنش
قلوبهم بالتوجه الى الحق عن
السقوط في هاوية النفس
والشور وتستريح بروح
الروح وحب الوحدة عن
وحشة الهوى وتعلق الكثرة
كما قال عليه السلام الصلاة
كفارة ما بيننا من الصفائر
اذا اجتنبت الكيثار لا ترى
كيف امرهم عند احدث
الاكبر ومباشرة الشهوة
بتطهير القسطنطين
بالوضوء وعند الاشتغال
بالاشتغال الدينية في ساعات
اليوم والليل بالصلوات
الجس المزيلة لكدورات
الحواس الجس الحاصلة
في النفس بسببها كل بما
يناسبه فلذلك وضعت
الاشياء بفرقة الاسبوع
بوظيفة افرادهم بدؤب
الاشتغال والمكاسب والملابس
البدنية والملذذات النفسانية
اجتماع يوم واحد على العبادة

عن ملة ابراهيم اى يترك دينه وشريعته وفيه تعريض باليهود والنصارى ومشركى العرب لان اليهود والنصارى يفتخرون بالانتساب الى ابراهيم والوصلة اليه لانهم من بنى اسرائيل وهو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم والعرب يفتخرون به لانهم من ولد اسمعيل بن ابراهيم واداك كان كذلك كان ابراهيم هو الذى طلب بعثة هذا الرسول فى آخر الزمان فمن رغب عن الايمان بهذا الرسول الذى هو دعوة ابراهيم فقد رغب عن ملة ابراهيم ومعنى رغب عن ملة ابراهيم اى يترك دينه وشريعته يقال رغب فى الشيء اذا اراده ورغب عنه اذا تركه الامن سقه نفسه قال ابن عباس خسر نفسه وقيل اهلك نفسه وقيل امتننها واستخف بها واصل السقه الخفة وقيل الجهل وضعف الرأى فكل سفيه جاهل لان من عبد غير الله فقد جهل نفسه لانه لم يعترف بان الله خالقها وقد جاء من عرف نفسه فقد عرف ربه ومعناه ان يعرف نفسه بالذل والهجر والضعف والقناء ويعرف ربه بالعز والقدرة والقوة والبقاء ويدل على هذا ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام اعرف نفسك واعرفنى قال يارب وكيف اعرف نفسي وكيف اعرفك قال اعرف نفسك بالهجر والضعف والقناء واعرفنى بالقوة والقدرة والبقاء (ولقد اصطفينا) اى اخترناه (فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين) يعنى الفائزين * وقيل مع الانبياء فى الجنة (اذ قال له ربه اسلم) اى استقم على الاسلام واثبت عليه لانه كان مسلماً لان الانبياء اتفانوا على الاسلام والتوحيد * قال ابن عباس رضى الله عنهما قال له ذلك حين خرج من السرب وذلك عند استدلاله بالكواكب والشمس والقمر والملاحه على امارات الحدوث فيها وافقها راها الى محدث مدبر فلما عرف ذلك قال له ربه اسلم (قال اسلمت لرب العالمين) اى قال ابراهيم خضعت بالطاعة واخضعت للعبادة لمالك الخلائق ومدبرها ومحدثها وقيل معنى اسلم اخلص دينك وعبادتك لله واجعلها سليمة وقيل الايمان من صفات القلب والاسلام من صفات الجوارح وان ابراهيم كان مؤمناً بقلبه عارفاً بالله قاصداً الى الله ان يعمل بحوارحه وقيل معناه اسلم نفسك الى الله تعالى وفوض امرك اليه قال اسلمت اى فوضت امرى لرب العالمين قال ابن عباس رضى الله عنهما وقد حقق ذلك حيث لم يستعن باحد من الملائكة حين اتى فى النار فيقول عذ وجل (ووصى بها ابراهيم بنيه) يعنى بكلمة الاخلاص وهى لا اله الا الله وقيل هى الملة الخفية وكان لابراهيم ثمانية اولاد اسمعيل وامه هاجر القبطية واسحق وامه سارة ومدين ومدان ويقنان وزمران وشبق وشوخ وامهم قطورا بنت يقطن الكنعانية تزوجها ابراهيم حين وفاة سارة * فان قلت لم قال وصى بها ابراهيم بنيه ولم يقل امرهم * قلت لان لفظ الوصية او كرم من لفظ الامر لان الوصية انما تكون عند الخوف من الموت وفى ذلك الوقت يكون احتياط الانسان لولده اشد واعظم وكانوا هم الى قبول وصيته اقرب وانما خص بنيه بهذه الوصية لان شفقة الرجل على بنيه اكثر من شفقة على غيرهم وقيل لانهم كانوا ائمة يقتدى بهم فكان صلاحهم صلاحاً لغيرهم (ويعقوب) اى ووصى يعقوب بمثل ما وصى به ابراهيم وسمى يعقوب لانه هو العيص كانا توأمين فى بطن واحد فتقدم العيص وقت الولادة فى الخروج من بطن امه وخرج يعقوب على اثره آخذاً بعقبه قال ابن عباس وقيل سمى يعقوب لكثرة عقبه وكان له من الولد اثنا عشر وهم روبيل وشمعون ولاوى ويهوذا وربالون ويشجر ودان ونفثالى وجاد وآشر

والتوجه لتزول وحشة التفرقة بانس الاجتماع وتحصل بينهم المحبة والانس وتزول ظلمة الاشتغال بالامور الدنيوية والاعراض عن الحق بنور العبادة والتوجه ويحصل لهم التنوير فوضوع لليهود اول ايام الاسابيع لكونهم اهل المبدأ والظاهر وللنصارى بعده لانهم اهل المعاد والروحاني والباطن المتأخرين من المبدأ والظاهر بالنسبة للناس والمسلمين آخرها الذى هو يوم الجمعة لكونهم فى آخر الزمان اهل النبوة الخاتمة واهل الوحدة الجامعة للكل وان جعل السبت آخر الايام على ما نقل انه السابع بالنسبة الى الحق تعالى لان عالم الحس الذى اليه دعوة اليهود هو آخر العوالم وعالم العقل الذى اليه دعوة النصارى اولها والجمعة هى يوم الجمع والختم فن ابراع هذه الاوضاع والمراقبات اصلاً زلال نور استعداده فصح كما مضت اصحاب السبت نهوا عن الصيد اى احراز الحظوظ الفسادية واقتنائها فى يوم السبت فاحتالوا فيه فآخذوا حياضاً على ساحل البحر

ليحبسوا فيها الحيثان
ويصطادوها يوم الاحداى
اذخروا في سائر ايام
الاسبوع من ما ينهر الهوى
الجرمية والجرمانيات
المادية في حياض بيوتهم
بجمعها انواع المطامير
والمشارب والملاذ والملاهي
فاجتمع لهم من كل الحظوظ
النفسانية في يوم السبت
ما اكتفوا به سائر ايام
الاسبوع ليرغوا فيها الى
الاشتغال بالمكاسب
والصناعات والمهن كما هو
عادة اليهود اليوم وشطار
المسلمين في الجماعات فان
اكثر فسقهم فيها فذلك
اعتيادهم في السبت وهو
يدل على ان جميع اوقات
حضورهم مصروفة
في هموم الدنيا وطلب
حظوظ النفس والهوى كما
نرى اليوم واحدا من المسلمين
قالبه في المجد في الصلاة
وقلبه في السوق في المعاملة
حتى قال احدهم جريدة
حسابي هي الصلاة اى
اذا فرغت من اشغال الدنيا
الى الصلاة اخذ قلبي في
نصف تجارتي ومالى على
النفس وما للناس على
وذلك موجب للانحطاط
عن العالم العلوى الانساني
الى الحق السفلى الحيواني

ويوسف وبنامين ثم خاطب يعقوب بنيه فقال (يا بني ان الله اصطفى لكم الدين) اى اختار لكم
دين الاسلام (فلاتموتن الاوانتم مسلمون) اى مؤمنون مخلصون فاعني دوموا على اسلامكم
حتى ياتيكم الموت وانتم مسلمون لانه لا يعلم في اى وقت ياتي الموت على الانسان * وقيل في معنى
وانتم مسلمون اى محسنون الظن بالله عز وجل يدل عليه ما روى عن جابر قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة ايام يقول لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بربه اخراجاه
في العيصين * قوله عز وجل (ام كنتم شهداء) جمع شهيد بمعنى الحاضر اى ما كنتم
حاضرين (اذ حضر يعقوب الموت) اى حين احتضر وقرب من الموت نزلت في اليهود
وذلك لانهم قالوا لاني صلى الله عليه وسلم ان يعقوب يوم مات اوصى بنيه باليهودية فانزل
الله تعالى هذه الآية تكذيبا لهم والمعنى ام كنتم يا معشر اليهود شهداء على يعقوب
اذ حضره الموت اى انكم لم تحضروا ذلك فلا تدعوا على انبيائي ورسلي الا باطيل وتنسبوهم
الى اليهودية فاني ما نبئت خليلي ابراهيم وولده واولادهم الا بدين الاسلام وبذلك وصوا
اولادهم وبعهدوا اليهم ثم بين ما قال يعقوب لنيه فقال تعالى (اذ قال) يعنى يعقوب
(لنيه) يعنى لا واولاده الاثنى عشر (ماتعبدون) اى اى شئ تعبدون (من
بعدي) قيل ان الله تعالى لم يقبض نبيا حتى يخيره بين الحياة والموت فلما
خير يعقوب وكان قد رأى اهل مصر يعبدون الاوثان والثيران فقال انظرنى حتى اسأل
ولدى واوصيهم فاهله فجمع ولده وولدولده وقال لهم قد حضر اجلي ماتعبدون من بعدي
(قالوا نعبد الهك واله آباءك ابراهيم واسماعيل واسحق) انما قدم اسمعيل لانه كان اكبر
من اسحق وادخله في جملة الآباء وان كان عماله لان العرب تسمى الم أبأ وانخاله اما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل صنوايه وقال في عمه العباس رد واهلى ابى (الواوا احدا
ونحن له مسلمون) اى مخلصون اليهودية (تلك) اشارة الى الامة المذكورة يعنى ابراهيم
واسماعيل واسحق ويعقوب وولدهم (امة قد خلعت) اى مضت لسبيلها واعني يا معشر اليهود
والنصارى دهوا ذكر ابراهيم واسماعيل واسحق والمسلمين من اولادهم ولا تقو لواعظيهم
ماليس فيهم (لها ما كسبت) يعنى من العمل (ولكم) يعنى يا معشر اليهود والنصارى
(ما كسبتم) اى من العمل (ولا تستلثون عما كانوا يعملون) يعنى كل فريق يستل عن عمله
لاهن غيره * قوله عز وجل (وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا) قال ابن عباس نزلت
في رؤساء اليهود كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهودا وابى ياسر بن
اخطب وفي نصارى نجران السيد والساقب واصحابهما وذلك انهم خاصموا المؤمنين في الدين
فكل فريق منهم يزعم انه احق بدين الله فقالت اليهود نبينا موسى افضل الانبياء وكتابتنا
التوراة افضل الكتب وديننا افضل الاديان وكفروا بعيسى والانجيل ومحمد والقرآن وقالت النصارى
كذلك وقال كل واحد من الفريقين للمؤمنين كونوا على ديننا فلا دين الا ذلك فانزل الله عز وجل
(قل) يعنى يا محمد (بل ملة ابراهيم) يعنى اذا كان لا بد من الاتباع فنتبع ملة ابراهيم لانه
يجمع على فضله (حنيفا) اصله من الحنف وهو ميل واهوجاج يكون في القدم * قال ابن عباس الحنيف
المائل عن الاديان كلها الى دين الاسلام قال الشاعر * ولكننا خلقنا اذ خلقنا * حنيفا ديننا عن كل دين *

وهو معنى قوله (فدالمهم
كونوا قردة) اى مشابهي
الناس في الصورة وليسوا
بهم (خاصين بجلالها
سكالا لما بين يديها وما خلفها
وهو عظة للمتقين) يعيدون
طريدين والمسح بالحقيقة
حق غير مكر في الدبسا
والآخرة وردت به
الآيات والاحاديث كقوله
تعالى وحمل مهم القردة
والخنازير وقول رسول
الله صلى الله عليه وسلم
يخسر بعض الناس على صور
يحسن عندها القردة
والخنازير وقد روى عنه
عليه الصلاة والسلام
المسوخ ثلاثة عشر ثم عدمهم
وبين اعمالهم ومعاصيهم و
موحنتهم والحاصل
ان من غلب عليه وصف
من اوصاف الحيوانات
ورسخ فيه بحيث اراد
استعداده وتمكن في طاعه
وصار صورة ذاتية له كالماء
الذي يسهه معدن الكبريت
مثلا صار طاعه طابع ذلك
الحيوان ونفسه نفسه
فاتصلت روحه بعد المفارقة
بيد ناسب صفته ففصارت
صفته صورته والله اعلم
بذلك (واذا قال موسى
قومه ان الله يأمركم ان
تذبحوا بقرة) هي النفس

والعرب تسمى كل من حج او اختن حنيفا تنبها على انه على دين ابراهيم وقيل الحنيفة الختان
واقامة المناسك مثلا يعنى ان الحنيفة هي دين الاسلام وهو دين ابراهيم عليه السلام (وما كان من
المشركين) يعنى ابراهيم وفيه تعريض باليهود والنصارى وغيرهم بمن يدعى اتباع ملأه ابراهيم
وهو على الشرك ثم علم المؤمنين طرائق الايمان فقال تعالى (قولوا آمنا بالله) يعنى قولوا ايها المؤمنون
لهؤلاء اليهود والنصارى الذين قالوا انكم كونوا هودا ونصارى تهتدوا آمنا بالله اى صدقنا بالله
(وما نزل اليها) يعنى القرآن (وما نزل الى ابراهيم) يعنى وآما نزل الى ابراهيم وهو عسر
صحائف (واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط) وهم اولاد يعقوب الاثنا عشر واحدهم
سبط وكانوا انبياء * وقيل السبط هو ولد الولد وهو الحافد * ومه قيل للحسن والحسين سبطا
رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسباط في بني اسرائيل كالمبائل في العرب من بني اسمعيل
وكان في الاسباط انبياء (وما لوقى موسى) يعنى التوراة (وعيسى) يعنى الانجيل (وما لوقى
التيون من ربه) والمعنى آما ايضا بالتوراة والانجيل والكتب التي لوقى جميع الدينين
وصدقنا ذلك كله حق وهدى ونور وان الجميع من عند الله وان جميع ما ذكر الله من انبيائه
كانوا على هدى وحق (لانفرق بين احدهم) اى لانؤمن ببعض الانبياء وكفري بعض ككبريات
اليهود من عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم واقرت ببعض الانبياء وكأثرات النصارى
من محمد صلى الله عليه وسلم واقرت ببعض الانبياء بل نؤمن بكل الانبياء وان جميعهم كانوا على حق
وهدى (ونحن له مسلمون) اى ونحن لله تعالى خاضعون بالطاعة مذكرون له بالعبودية (خ)
عن ابي هريرة قال كان اهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل
الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله
وما نزل اليها الآية * قوله عز وجل (فان آمنوا) يعنى اليهود والنصارى (بعل ما آتاهم) اى
بما آتاهم ومن لم يصدقوا فهو ككذبه لئس ككذبه لئس ككذبه لئس ككذبه لئس ككذبه لئس
وتوحيد كتوحيدكم (فقد اهدوا) والمعنى ان حصلوا ديناً آخر يساوى هذا الدين في الصحة
والساد فقد اهدوا ولكن لما استحال ان يوجد دين آخر يساوى هذا الدين في الصحة والساد
لما استحال الاهتداء بغيره لان هذا الدين سماه على التوحيد والاقرار بكل الانبياء وما نزل اليهم *
وقيل معناه فان آمنوا بكتابكم كما آمنتم بكتابهم فقد اهدوا (وان تولوا) اى اعرضوا (فاعلمهم
في شقاق) اى في خلاف وما زعة وقيل في عداوة ومحاربة وقيل في ضلال واصله من الشق
كانه صار في شق غير شق صاحبه بسبب عداوته وقيل هو من المشقة لان كل واحد منهما يحرص
على ما يشق على صاحبه ويؤذيه (فسيكفيهم الله) اى يكفيك الله يا محمد شر اليهود والنصارى
وهو ضمان من الله تعالى لانه لا يظهر رسول الله عليه وسلم لانه اذا تكفل بشئ انجزه وهو اخبار بغير
فقيه معجزة لاني صلى الله عليه وسلم وقد انجز الله وعده بقتل بنى قريظة وسبيهم واجلاء بنى
النضير وضرب الجزية على اليهود والنصارى (وهو السميع) لافواههم (العليم)
بأحوالهم يسمع جميع ما يشقون به ويطلع جميع ما يضرهم من الحسد والقيل وهو مجازيهم
ومعاقبهم عليه * قوله عز وجل (صبغة الله) قال ابن عباس دين الله وانما سماه الله صبغة لان
اثر الدين يظهر على المدين كايظهر اثر الصنع على الثوب وقيل فطرة الله * وقيل سمة الله وقيل

اراد به الختان لانه يصيغ المختن بالدم * قال ابن عباس ان النصارى اذا ولد لاحدهم مولود واتى عليه سبعة ايام غمسوه في ماء لهم اصفر يسونه ماء المعمودية وصبغوه به ليطهره به مكان الختان فاذا فعلوا ذلك به قالوا الآن صار نصرانيا حقا فاخبر الله ان دينه الاسلام لامتاعه النصارى (ومن احسن من الله صيغة) اى ديننا هو قيل تطهير لانه يطهر من ارساخ الكفر (ونحن له عابدون) اى مطيعون (قل) يعنى يا محمد لليهود والنصارى الذين قالوا ان دينهم خير من دينكم وامروكم باتباعهم (اتحاجونا في الله) اى اتحاصمونا وتجادلونا في دين الله الذى امرنا ان ندين به والمحاجة المجادلة لاظهار الحق وذلك انهم قالوا ان ديننا اقدم من دينكم وان الانبياء منا وعلى ديننا فحين اولى بالله منكم فامر الله تعالى المؤمنين ان يقولوا لهم اتحاجونا في الله (وهو ربنا وربكم) اى ونحن وانتم في الله سواء فانه ربنا وربكم (ولما اعمالنا ولكم اعمالكم) يعنى ان لكل احد جزاء عمله (ونحن له مخلصون) اى مخلصوا الطاعة والعبادة له * وفيه توبيخ لليهود والنصارى والمعنى وانتم به مشركون والاخلاص ان يخلص العبد دينه وعمله لله تعالى فلا يشرك في دينه ولا رأتى بعمله قال الفضيل ابن عياض ترك العمل من اجل الناس رياء والعمل من اجل الناس شرك والاخلاص ان يعافيك الله منها وهذه الآية منسوخة بآية السيف * قوله عز وجل (ام تقولون) يعنى اليهود والنصارى وهو استفهام ومعناه التوبيخ (ان ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى) يعنى اتزعون ان ابراهيم وبنيه كانوا على دينكم وملتكم وانما حدثت اليهودية والنصرانية بعدهم فثبت كذبكم يا معشر اليهود والنصارى على ابراهيم وبنيه (قل) يا محمد (ما نتم اعلم) يعنى يدينهم (ام الله) اى الله اعلم بذلك وقد اخبر ان ابراهيم وبنيه لم يكونوا على اليهودية والنصرانية ولكن كانوا مسلمين حفاء (ومن اظلم ممن كتم) يعنى اخفى (شهادته عند من الله) وهى علمهم بان ابراهيم وبنيه كانوا مسلمين وان محمد احق بنعته وصفته وجدوا ذلك في كتبهم وكتبهم وجمودهم والمعنى ومن اظلم ممن كتم شهادة جأته من عند الله فكتمها واخفاها (وما الله بغافل عما تعملون) يعنى من كتمانكم الحق فبالزمامكم به في كتابه من ان ابراهيم وبنيه كانوا مسلمين حفاء وان الدين هو الاسلام لا اليهودية والنصرانية والمعنى وما الله بغافل عن علمكم بل هو محصيه عليكم ثم يعاقبكم عليه في الآخرة (تلك امة قد خلت) يعنى ابراهيم وبنيه (لها ما كسبت) اى جزاء ما كسبت (واكم ما كسبتم) اى جزاء ما كسبتم (ولا تسئلون عما كانوا يعملون) يعنى ان كل انسان انما يسئل يوم القيامة عن كسبه وعمله لا عن كسب غيره وعمله وفيه وعظ وزجر لليهود ولن ينكل على فضل الآباء وشرفهم اى لا تنكسوا على فضل الآباء فكل يؤخذ بعمله * وانما كررت هذه الآية لانه اذا اختلف مواطن الحاج والمجاهدة حسن تكريره لتذكيره وتاكيد * وقيل انما كررت تنبيها لليهود لئلا يفتروا بشرف آباؤهم * قوله عز وجل (سيقول السفهاء من الناس) اى الجهال من الناس والسفه خفة في النفس لنقصان العقل في الامور الدينية والدنيوية ولا شك ان ذلك في باب الدين اعظم لان العادل عن الامر الواضح في امر دنياء يعد سفيا فن كان كذلك في امر دينه كان اولى بهذا الاسم فلا كافرا ولا هوسفيه ولهذا امكن حل هذا اللفظ على اليهود والمشركين والمنافقين * فقيل نزلت هذه الآية في اليهود وذلك انهم طعنوا في تحويل القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة لانهم لا يرون النسخ وقيل

الحيوانية وذبحها قمع هواها الذى هو حياتها ومنعها عن افعالها الخاصة بها بشفرة سكين الرياضة (قالوا) اتخذنا هزوا * هزوا بنا وتسخفنا لطيفك وتسخر لك كما جاء في حق فرعون فاستخف قومه بأطاعوه (قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين) الاستخفاف والاستهزاء وطلب التزؤس هو فعل الجاهل (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) اى سل لنا ربك ما هي (قال انه انه يقول انها بقرة لا فارض) اى غير مسنة لزوال استعدادها ورسوخ اعتقادها وضراوتها بعاداتها كما قيل الصوفى بعد الاربعين بارد (ولا بكر) اى ثنية اقصور استعدادها عما يراد منها وعراساتها للرياضة لغاية المعوى الطبيعية وقوتها فيها (عوان) نصفه (بين ذلك فانعلوا ما تؤمرون) ما ذكر (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء) لان لون الجلم اسود لعدم اللورية فيه اصلا ولون النفس السبابة اخضر لظهور اللورية فيها وغلبة السواد عليها لعدم ادراكها ولون القلب ابيض لتجرده عن

نزلت في مشركى مكة * وذلك انهم قالوا قد تردد على محمد امره واشتاق مولده وقده توجه الى نحو بلدكم فقله يرجع الى دينكم * وقيل نزلت في المنافقين * وانما قالوا ذلك استهزاء بالاسلام * وقيل يحتمل ان لفظ السفهاء للعموم فيدخل فيه جميع الكفار والمنافقين واليهود ويحتمل وقوع هذا الكلام من كاهن اذلا فائدة في التخصيص ولان الاعداء بالقون في الطعن والقدح فاذا وجدوا مقالا قالوا او محالا جالوا (ماوليهن) يعنى اى شئ صرفهم (عن قبلتهم التى كانوا عليها) يعنى بيت المقدس والقبلة هى الجهة التى يستقبلها الانسان واعما سميت قبلة لان الصلى يقابلها وتقابله ولما قال السفهاء ذلك رد الله تعالى عليهم بقوله (قل) يا محمد (لله المشرق والمغرب) يعنى ان له قطرى المشرق والمغرب وما بينهما ملكا فلا يستحق شئ ان يكون لدائه قبلة لان الجهات كلها شئ واحد وانما تصير قبلة لان الله تعالى هو الذى جعلها قبلة فلا اعتراض عليه وهو قوله (يهدى من يشاء) يعنى من عباده (الى صراط مستقيم) يعنى الى جهة الكعبة وهى قبلة ابراهيم عليه السلام * قوله عز وجل (وكذلك جعلناكم امة وسطا) الكاف في قوله وكذلك كاف التشبيه جاء لمشبه به وفيه وجوه * احدها انه معطوف على ما تقدم من قوله فى حق ابراهيم ولقد اصطفيناه فى الدنيا وكذلك جعلناكم امة وسطا * الثانى انه معطوف على قوله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم وكذلك جعلناكم و جعلناكم امة وسطا * الثالث قيل كما جعلنا قبلكم وسطا بين المشرق والمغرب كذلك جعلناكم امة وسطا يعنى عدولا خيارا وخيرا الامور واسطها قال رهبر

هم وسط رضى الانام بحكمهم * اذ انزلت احدى الليالى بمعظم

وقبل متوسطة والامنى اهل دين وسط بين الطلو والتقصير لانهما مذهبومان فى امر الدين لا كفلا النصرانى فى عيسى ولا كتمصير اليهود فى الدين وهو تحريفهم وتبديلهم * وسبب نزول هذه الآية ان رؤساء اليهود قالوا للمعاذين جبل ما ترك محمد قبلتنا الا حسدا وان قلنا قللة الانبياء ولقد علم محمد اننا عدل الناس فقال معاذانا على حق وعدل فانزل الله تعالى هذه الآية * وروى ابوسعيد الخدرى عن النبی صلى الله عليه وسلم قال الاوان هذه الامة توفى سبعين امة هى آخرها وخيرها واكرمها على الله تعالى * وقوله تعالى (لتكونوا شهداء على الناس) يعنى يوم القيامة ان الرسل قد بلغتهم رسالات ربهم وقيل ان امة محمد صلى الله عليه وسلم شهداء على من ترك الحق من الناس اجعين (ويكون الرسول) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (عليكم شهداء) يعنى عدلا مزيالكهم وذلك ان الله تعالى يجمع الاولين والاخرين فى صعيد واحد ثم يقول لكفار الامم الم يا تنكم نذير فينكرون ويقولون ما جاءنا من نذير فيسال الله الانبياء عن ذلك فيقولون كذبوا قبلناهم فيسالهم البيية وهوا علم بهم اقامة للحجة فيقولون امة محمد تشهد لانيؤتى بامة محمد عليه الصلاة والسلام فيشهد لهم بانهم قد لغوا فتقول الامم الماضية من ابن علوا وانما اتوا بعدنا فيسال هذه الامة فيقولون ارسلت اليا رسولا وازلت عليه كتابا اخبرتنا فيه بتبليغ الرسل وانت صادق فيما اخبرت ثم يؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيساله عن حال امة فيزكيهم ويشهد بصدقهم (خ) عن ابى سعيد الخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بنوح وامته يوم القيامة فيقال له هل بلغت فيقول نعم اى رب فيسال امته هل بلغكم فيقولون ما جاءنا من نذير فيقال لنوح من يشهدك فيقول محمد وامته فيجاء

الجسم وقوة ادراكه وكلال نوريته فلزم ان يكون لون النفس الحيوانية فى الحيوانات الالهية اجز لتزك نورية ادراكها وسواد تعلقها بالجسم اذ الحية لون بين البياض والسواد ومركب منهما اكن السواد فيه اكثر فى الانسان اصفر لقله نورية ادراكها بمجاورة القلب اذ الصفرة حرة عليها البياض (فالق لونها) لصفاء استعدادها وشعاع شعاع نور القلب عليها (تمر الماثرين فالوا ادع لارباب بين لسا ماهى) لقوة نور استعدادها وتشعشعها والظنون هم الكاهلون الملغون على الاستعدادات لوحوب محنتهم للمستعدين المستحصرين ودوقهم حضورهم (ان البقر تشابه علينا) لثمة البسر الموصوف هذه الصفة اى كثرة اصفاف المستعدين وماكل مستعد طالبا كاقبل ماكل طمع فالاولا كل قابل طالما ولا كل طالب صاروا ولا كل صاروا واحدا (واما ان شاء الله لمهدون) الى ذبح هذه القررة وقولهم ان شاء الله دليل على استعدادهم لطهم بان الامور متعاقبة

بعيشة الله ميسرة بتوفيقه
ولهذا قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لو لم يستنوا
لما ظفروا بها ابدالدهر قال
انه يقول انها بقرة (لاذلول)
غير مذلة منقادة لامر
الشرع (تير الارض)
ارض الاستعداد بالاعمال
الصالحة والعبادات (ولا
تسقى الحرب) حرث
المعارف والحكم التي فيها
بالقوة باستقاء ماء العلوم
الكسبية والافكار الثاقبة
لعدم احتياج مل هذه
البقرة الى الذبح (مسلة)
سليها اهلهما ليرعى غير مسوسة
برسوم وعادات وشرائع
وآداب (لاشية فيها) اى
لم يرسخ فيها اعتقاد ومذهب
لعدم صلاحيتها للذبح
(فالوا الآن جثت بالحق)
الباب في بيان المستعد المشتاق
الطالب للكمال (فذبجوها
وماكادوا يفعلون) لكثرة
سؤالهم ومبالغتهم وتعمقهم
في البحث والتفتيش عن
حالتها وفضول كلامهم في
بيانها التي تدل على عدم
انقيادها بنس بالسرعة وابائها
الرخصة وغلبة الفضول
عليها وتقدر مطلوبهم
وتخبرهم عنه بسبب ذلك
واذا قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لو اترضوا ادنى

بكم فتشهدون ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك جعلناكم امة وسطا تكونوا شهداء
على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا زاد التزمذى وسطاعدولا * قوله عز وجل (وما
جعلنا القبلة التي كنت عليها) اى وما جعلنا صرفك عن القبلة التي كنت عليها وهى بيت
المقدس وانما حذف ذكرنا لصرف اكتفاء بدلالة اللفظ عليه وقيل معناه وما جعلنا القبلة التي
كنت عليها منسوخة * وقيل معناه وما جعلنا القبلة التي كنت عليها وهى الكعبة (الا لنعلم
من يتبع الرسول) فان قلت مامعنى قوله الا لنعلم وهو عالم بالاشياء كلها قبل كونها * قلت
اراد به العلم الذى يتعلق به الثواب والعقاب فانه لا يتعلق بما هو عالم به فى القيب انما يتعلق
بما يوجد والمعنى لنعلم العلم الذى يستحق العامل عليه الثواب والعقاب * وقيل العلم هنا بمعنى
الرؤية اى ليرى ونميز من يتبع الرسول فى القبلة من يتقلب على عقبيه وقيل معناه الا لنعلم
رسلى وحزبى واوليائى من المؤمنين من يتبع الرسول من يتقلب على عقبيه وكان من شأن
العرب اضافة مافعله الاتباع الى الكبير كقولهم فتح عز العراق وجبى خراجها وانما فضل
ذلك اتباعه عن امره * وقيل انما قال الا لنعلم وهو بذلك عالم قبل كونه على وجه الفرق بعباءه
ومعناه الاتعللوا انتم اذ كنتم جهالا به قبل كونه فاضافة العلم الى نفسه رفعا بعباده المحاطبين
وقيل معناه لعلمنا لانه تعالى سبق في علمه ان تحويل القبلة سبب لهداية قوم وضلالة آخرين
ومعنى من يتبع الرسول اى يطيعه فى امر القبلة وتحويلها (من يتقلب على عقبيه) اى يرجع
الى ما كان عليه من الكفر فيرتد وفى الحديث انه لما تحولت القبلة الى الكعبة ارتد قوم الى
اليهودية وقالوا رجع محمد الى دين آبائه (وان كانت) اى وقد كانت (لكبيرة) بمعنى تولية
القبلة ثقيلة شاقة * وقيل هى التولية من بيت المقدس الى الكعبة * وقيل الكبيرة هى
القبلة التي وجه اليه قبل الحويل وهى بيت المقدس وانبت الكبيرة لتأنيث القبلة * وقيل
لتأنيث التولية (الا على الذين هدى الله) يعنى الصادقين فى اتباع الرسول (وما كان الله
ليضيع ايمانكم) يعنى صلاتكم الى بيت المقدس * وذلك ان حى بن اخطب واصحابه من اليهود
قالوا للمسلمين اخبرونا عن صلاتكم الى بيت المقدس ان كانت على هدى فقد تحولتم عنه وان
كانت على ضلالة فقد دنتم الله بها مدة ومن مات غايها فقدمت على ضلالة فقال المسلمون
انما الهدى فيما امر الله به والضلالة فيما نهى الله عنه فالوا فاشهادتكم على من مات منكم على
قبلتنا وكان قدمنا قبل ان تحول القبلة الى الكعبة اسعد بن زرارة من بنى النجار والبراء
بن معرور من بنى سلمة وكانا من القباء ورجال آخرون فانطلقوا عشرهم الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقالوا يا رسول الله قد صرفك الله الى قبلة ابراهيم فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم
يصلون الى بيت المقدس فانزل الله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم يعنى صلاتكم الى بيت المقدس
(ان الله بالناس لرؤوف رحيم) يعنى لا يضيع اجورهم والرافة اخص من الرحمة وارق وقيل
الرافة اشد من الرحمة * وقيل الرافة الرحمة * وقيل فى الفرق بين الرافة والرحمة ان الرافة
مبالغة فى رحمة خاصة وهى دفع المكروه وازالة الضرر واما الرحمة فانها اسم جامع يدخل
فيه ذلك المعنى ويدخل فيه ايضا جيع الافضال والانعام فذكر الله الرافة اولا بمعنى انه
لا يضيع اعمالهم ثم ذكر الرحمة ثانيا لانها اعم واتم * قوله عز وجل (قد نرى تعاقب وجوهك

في السماء) سبب نزول هذه الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا يصلون بمكة الى الكعبة فلا هاجر الى المدينة احب ان يستقبل بيت المقدس بألف بذلك اليهود * وقيل ان الله تعالى امره بذلك ليكون اقرب الى تصديق اليهود اياه اذا صلى الى قبلتهم مع ما يجدون من نعمته وصفته في التوراة فصل الى بيت المقدس بعد الهجرة ستة عشر اوسبعة عشر شهرا وكان يحب ان توجه الى الكعبة لانها قبله ابيه ابراهيم وقيل كان يحب ذلك من اجل ان اليهود قالوا يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل وددت لو حولني الله الى الكعبة فانها قبله ابي ابراهيم فقال جبريل صلى الله عليه وسلم انما انا عبد منك وانت كريم على ربك فسل انت ربك فانك عدل الله بمكان هرج جبريل وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يديم النظر الى السماء رجاء ان ينزل جبريل بما يحب من امر القبلة فانزل الله عز وجل قد نرى تقلب وجهك في السماء يعني تردد وجهك وتصرف نظرك في السماء الى جهة السماء وهذه الآية وان كانت متأخرة في التلاوة فهي متقدمة في المعنى لانها رأس القصة واول ما نسخ من احكام الشرع امر القبلة (فلنولينك) اي فلنحولك ولنصرفك (قبلة) اي ولنصرفك عن بيت المقدس الى قبلة (ترضاها) اي تحبها وتبيل اليها (فول وجهك شطر المسجد الحرام) اي نحووه وتلقاه واراد به الكعبة (ق) عن ابن عباس قال لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج منه ولما خرج ركب ركعتين قبل الكعبة وقال هذه القبلة يعني ان امر القبلة قد استمر على هذا البيت فلا يفسخ بعد اليوم فصلوا الى الكعبة ابدافى قبلتكم (ق) عن البراء بن عازب ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اول ما قدم المدينة نزل على احداده او قال اخواله من الانصار وانه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر اوسبعة عشر شهرا وكان يحبه ان تكون قبلته قبل البيت وانه صلى اول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن صلى معه فرعى اهل المسجد قباء وهم راكعون فقال اشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الكعبة فداروا كاهم قبل البيت وكانت اليهود قد اعجبهم اذ ذاك انه يصلي قبل بيت المقدس وهي قبلة اهل الكتاب فلأولى وجهه قبل البيت انكروا ذلك قال البراء في حديثه هذا وانه مات على القبلة قبل ان تحول رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم فانزل الله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم واختاف العلماء في وقت تحويل القبلة فقال الاكثر ان كان في يوم الاثنين بعد الزوال للحصف من رجب على راس سبعة عشر شهرا من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة * وقيل كان يوم الثلاثاء لثانية عشر شهرا * وقيل كان لسة عشر شهرا * وقيل لثلاثة عشر شهرا وقيل نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بني سلة وقد صلى بآخيه ركعتين من صلاة الظهر فحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمى ذلك المسجد مسجد القبليتين ووصل الخبر الى اهل قباء في صلاة الصبح (ق) عن ابن عرقال بينما الناس بقباء في صلاة الصبح اذ جاءهم آت فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم قد انزل عليه الآية قرآن وقد امر ان يستقبل القبلة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة * وقوله تعالى (وحيث ما كنتم) اي من براو بحر شرق او مغرب (فولوا وجوهكم شطره) اي نحو البيت

بقرة فذبجوها لكفتمهم و لكن شدوا فشدد الله عليهم اي لو لم يكن منهم كثرة فضول البحث والسؤال لما عز عليهم مطلوبهم لقوة قبولهم وارادتهم فكان سلس القياد سهل الانقياد ونهى صلى الله عليه وسلم عن كثرة السؤال وقال انما هلك من كان قبلكم بكثرة السؤال قال الله تعالى لاتسألوا عن اشياء ان تبدلكم تسؤم وقيل في قصتها ان شيخا من بني اسرائيل تبحر له بحلة على هذه الصفة وكان له ابن طفل فجاء بها الى عجوزة وقال انما لهذا الطفل سلميها في مرعاها عساها تنفعه اذا بلغ فلما وقعت هذه الواقعة وسعى بنو اسرائيل في طلب البقرة اربعين سنة سمعت العجوز بها فأخبرت ابها بما فعل ابوه وقد نزع عرج فجاء الى المري فوجدها فأتى بها فسا وموه في شرائها ومنعته العجوز عن بيعها حتى اشتروها بمل مسكها ذهباً فالشيخ هو الروح والعجوز الطبيعة الجسمانية وابنه الطفل هو العقل الذي هو نتيجة الروح والعجوز الطبيعة الجسمانية وابنه الطفل هو العقل الذي هو نتيجة الروح والشاب

المقتول هو القلب سلم شيخ
الروح محل النفس الى مجوز
الطبع ليرعى في مرعى الذات
الطبيعية حتى يكبر عسى لطفل
العقل ان ينفع بها وقت
البلوغ في انتزاع العقولات
من محسوساتها واستعمال
الفكر الذي هو من قواها في
اكتساب العلوم العقلية
وهو الذي جاء بها من المرعى
وسعى بنى اسرائيل اربعين
سنة اشارة الى السير الى الله
بالاعمال والآداب والتخلق
بالاخلاق الى او ان البلوغ
الحقيقي وتجرد القلب كما قال
الله تعالى بلغ أشده وبلغ
اربعين سنة وما واهتم اياها
في شرائها اشارة الى طلب
القوى الروحية المدورة
بسور الهداية الشرعية
والارادة وانتزاعها من
العقل المشوب بالوهم و
استبعاد العقل اياها بالعقولات
القياسية وتخفيفها
بالفكرات وجبها عن نور
الهداية الشرعية بالقياسات
العقلية وعدم تحايلها
بالشرعيات وهذا هو
الموجب لتشددهم في السؤال
وتأخيرهم وتباطؤهم في
الامتثال ومع الجوز اياه هو
مناصرة الطبع في الاستعداد
لشرع وموافقة العقل اياه
في ذلك رعاية العقل جانب

وتلقاه من ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بين المشرق والمغرب قبلة اخرجهم
الترمذي وقال حديث حسن صحيح قيل اراد بالشرق مشرق الشتاء واقصروم من السنة
وبالمغرب مغرب الصيف في ايلول يوم من السنة فن جعل مغرب الصيف في هذا الوقت عن يمينه
ومشرق الشتاء عن يساره كان مستقبلا للقبلة وهذا في حق اهل المشرق لان المشرق الشتوي
جوبي متباعد عن خط الاستواء بقدر الميل والمغرب الصيفي شمالي متباعد عن خط الاستواء
والذي بينهما ففوقهما مكة والفرض لمن بمكة في القبلة اصابة عين الكعبة ولمن بعد من مكة
اصابة الجبهة ويعرف ذلك بدلائل القبلة وليس هذا موضع ذكرها ولما تحولت القبلة الى الكعبة
قالت اليهود يا محمد ما هو الاثنى ابتدعه من تلقاء نفسك فتارة تصلى الى بيت المقدس وتارة الى
الكعبة ولو ثبتت على قبلتنا لكنا تراجوا ان تكون صاحبا الذي ننظره فانزل الله تعالى (وان الذين
اوتوا الكتاب) يعني اليهود والنصارى (ليعلمون انه الحق من ربهم) يعني امر القبلة وتحولها
الى الكعبة ثم هددهم فقال تعالى (وما الله بغافل عما يعملون) يعني وما انا بساه عما يفعل هؤلاء
اليهود فانا اجازيهم عليه في الدنيا والآخرة وقرئ يعملون بالياء * قال ابن عباس يريد انكم
يا معشر المؤمنين تطلبون مرضاتي وما انا بغافل عن ثوابكم جزائكم فانا انبئكم على طاعتكم افضل
البواب واجزيكم احسن الجزاء * قوله عز وجل (ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب) يعني
اليهود والنصارى (بكل آية) اى بكل * مجزة وقيل بكل حجة وبرهان وذلك بانهم قالوا لنا بآية
(ماتبعوا قبلك) يعني الكعبة (وامانت بنابع قبلكم) يعني ان اليهود تصلى الى بيت المقدس والنصارى
الى المشرق وانت يا محمد تصلى الى الكعبة فكيف يكون سيل الى اتباع قبلة احد هؤلاء مع
اختلاف جهاتها فالزم انت قبلك التي امرت بالصلاة اليها (وما بعضهم بتابع قبلة بعض) يعني
وما اليهود بتابعة قبلة النصارى ولا النصارى بتابعة قبلة اليهود لان اليهود والنصارى لا يجتمعون
على قبلة واحدة (ولئن اتيت اهل اموالهم) يعني مرادهم ورضاهم لورجعت الى قبلكم (من بعد
ما جاءك من العلم) اوفى امر القبلة وقيل معاه من بعد ما وصل اليك من العلم بان اليهود والنصارى
مهيئون على باطل وحناد للحق (انك اذا لمن الظالمين) يعني انك ان فعلت ذلك كنت بمنزلة من
ظلم نفسه وضرها * قيل هذا خطاب الى صلى الله عليه وسلم والمراد به الامة لانه صلى الله عليه وسلم
لا يتبع اهل اموالهم ابد او قيل هو خطاب له خاصة فيكون ذلك على سبيل التذكير والتنبية * قوله عز
وجل (الذين اتيناهم الكتاب) يعني علماء اليهود والنصارى وقيل اراد به مؤمنى اهل الكتاب
كميد الله بن سلام واصحابه (يعرفونه) اى يعرفون محمد صلى الله عليه وسلم معرفة جاية بالوصف
المعين الذي يجدونه عندهم (كاي يعرفون ابناءهم) اى لا يشكون فيه ولا يشبهه عليهم ابناءهم من
ابناء غيرهم * روى ان عربن الحصاب رضى الله عنه قال لعبد الله بن سلام ان الله انزل على نبيه محمد
صلى الله عليه وسلم الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كاي يعرفون ابناءهم فكيف هذه المعرفة فقال
عبد الله يا عمر اهدع رفته حين رأيته كما عرف ابني وعرفتني بمحمد صلى الله عليه وسلم اشده من
معرفة ابني فقال عمر وكيف ذلك فقل اشهدانه رسول الله حق من الله وقد نفعته الله في كتابنا
ولا ادري ما تضع النساء فقبل عمر رأس عبد الله وقال وفك الله يا ابن سلام فقد صدقت * وقيل
الضمير في يعرفونه يعود الى امر القبلة والمعنى ان علماء اليهود والنصارى يعرفون ان القبلة التي صرفك

اليهاى قبله ابراهيم وقبله الانبياء قبلك كايبرفون ابناهم لايشكون في ذلك (وان فريفاهم) اى
من علماء اهل الكتاب (ليكنون الحق) يعنى صفة محمد صلى الله عليه وسلم * وقيل امر القبله (وهم
يعلمون) يعنى ان كتمان الحق معصية * وقيل يعلمون ان صفة محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبة عندهم في
التوراة والانجيل وهم مع ذلك يكتفون (الحق) اى الذى يكتفونه هو الحق (من ربك فلا تكونن من
المرتدين) اى من الشاكين في ان الذين تقدم ذكرهم علموا صحة نبوتك وقيل يرجع الى امر القبله
والمعنى ان بعضهم عاندوا كتم الحق فلا تشك في ذلك * كان قلت النبي صلى الله عليه وسلم لم يمتز ولم يشك
فامعنى هذا النبي * قلت هذا الخطاب وان كان للنبي صلى الله عليه وسلم ولكن المراد غيره والمعنى
فلا تشكوا انتم ايها المزمنون وقد تقدم نظير هذا * قوله عز وجل (ولكل وجهه) اى ولكل
اهل امة قبله والوجهه اسم للمتوجه اليه * وقيل الوجهه الهيئه والحالة في التوجه الى القبله * وقيل
في قوله (ولكل وجهه) ان المراد به جميع المؤمنين اى ولكل اهل جهة من الآفاق ووجهه من الكعبة
يصلون اليها * وقيل المراد بالوجهه المنهاج والشرع والمعنى ولكل قوم شريعة وطريقة لان
الشرائع مصالح العباد فابداً اختلفت الشرائع بحسب اختلاف الزمان والاشخاص (هو وليها)
اى مستقبلها والمعنى ان لكل اهل امة وجهه هو مول وجهه اليها وقيل توليها اى مختارها *
وقيل ان هو عائد على اسم الله تعالى والمعنى ان الله مولها ايها موصوف اليها
(فاتبوا الخيرات) اى بادروا بالطاعة وقبول الاوامر وفيه حث على المارة الى الاولوية
والافضلية فلي هذا تكون الآية دليلاً لذهب الشافعى في ان الصلاة في اول الوقت افضل لقوله
فاتبوا الخيرات لان ظاهر الامر للوجوب فاذا لم يتحقق الوجوب فلا قل من الدب (ايضا
تكونوا) يعنى انتم واهل الكتاب (ياأبكم الله جيما) يعنى يوم القيامة فهو وعد لاهل الساتة
بالتواب ووعيد لاهل المعصية بالعقاب (ان الله على كل شىء قدير) اى على الامادة بعد الموت والاثامة
لاهل الطاعة والعقاب لمحقق العقوبة * قوله عز وجل (ومن حيث خرجت فول وجهك
شطر المسجد الحرام) اى من اى موضع خرجت في سنو وغيره قول وجهك يا محمد قبل المسجد الحرام
ونحوه (وانه) يعنى التوجه اليه (للمحق من ربك) اى الحق الذى لا شك فيه لحافظ عليه
(ومالله بنافله) اى ليس هو بساء عن اعالكم ولكم محصيا لكم وعليكم فيجازيكم
بما يوم اقيامة (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم
شطره) فان قلت هل في هذا التكرار فائدة * قلت فيه فائدة عظيمة جليلة وهى ان هذه الواقعة اول
الوقائع التى ظير السج فيها في شرعنا فندعت الحاجة الى التكرار لاجل التاكيد والتقرير وازالة
الشبهة وايضاح البيان فحسن التكرار فيه لنقلهم من حبة الى جهة (لئلا يكون الناس عليكم حجة)
قيل اراد بالناس اهل الكتاب وقيل هو على العموم وقيل هم قريش واليهود فاما قريش فقالوا رجع
محمد الى الكعبة لانه علم انها الحق واما قريش واهل يثرب فارجع الى ديننا كما رجع الى قريش وقالت اليهود
لم ينصرف محمد عن بيت المقدس مع علمه انه حق الا انه يعمل براه فعلى هذا يكون الاستثناء في قوله
الا الذين ظلموا منهم متصلاً بصحبا والمعنى لاجدة لاحد عليكم الا مشركو قريش واليهود فانهم جحدوا بك
بالباطل والظلم وانما سمي الاحتجاج بالباطل حجة لان اشتقاقها من حجة اذا غلبه فكما
تكون صريحة فكذلك تسمى حجة وتكون باطلة قال الله تعالى يجتهم داحضة عند ربهم

الطمع في مصالح المعاش و
ترفضه اياه وترخصه
والتوسيع عليه اكثر من
الشرع وبمعها بل مسكها
ذهبا اشارة الى تحايها بعد
الذبح والسليخ بالعلوم
النافعة الشرعية والعقلية
الخلقية والاحكام القرعية
الدنية واشتمال صورتها
عليها التي توافق العقل والطبع
وتنفعهما باستعمالها اياها في
تحصيل مصالح المعاش
والمباغى الطبيعية والمطالب
العقلية العملية باذن الشرع
من الوجه الحلال و
التصرف المباح وانواع
الرخص في جميع التمتع
بعد حصول الكمال وتمام
السلوك (واذ قلتم نفسا
فادراهم فيها) اشارة الى بيان
سبب الامر بذبح البقرة و
هو انه كان شيخا وسرا من
بنى اسرائيل وله ابن شاب
فقتله ابناؤه او بنوه طمعا
في ميراث ابيه وطرحوه بين
اسباط بنى اسرائيل على
الطريق فتدافعوا في قتله
فورد الامر بذبح البقرة
وضربه بعضها ليحيا فيضرب
باقاتل فاشاب هو والعلب
الذى هو ابن الروح الموسر
باموال المعارف والحكم
وقتله منه حياته الحقيقية
وازالة العشق الحقيقى الذى

موجباته منه باستيلا موقو
لشهوة والنضب الذين هما
أبائهم النفس الحيوانية أو
التيج قواها عليه أذلزوج
والنفس اخوان باعتبار
فيضانها وولادتهما من أب
هو العقل الفاعل المسمى روح
القدس على قياس ماورد في
الحديث أكرموا عنكم
الضلة فلما خلقت من بقة
طين آدم فان النفس النباتية
الكاملة التي اذا كانت عمة
النفس الانسانية عنها قتلاه
لمعان استعمال المعاني العقلية
والحكم التي هي ميراث ابه
في تحصيل مطالبها وكالاتها
ولذاتها بانواع الحيل
والمكر وصناعة الفكر
وطرحها على طرق القوى
الروحانية والطبيعية بين
محالها وتنافسهم في قتله هو
اخالة كل قوة منها السفاد
والانتم الى الاخرى
والصلاح والبرادة الى
تسهل انفسها وتجاد بها في
محالها لذاتها واحتجاب
كل منها بمائها عما يلام
لاخرها ورؤيتها الصلاح
به والساد في ضده (والله
أرجو انكم تكونون)
من نور القلب وحياته
لاستلاء عليه (فقلنا
مربوبه بعضها) بذنها
لسانها على ماورد في

وقيل هذا الاستثناء من الكلام الاول ومعه لكن الذين ظلموا انفسهم كما قال النابغة

ولا يعب فيهم غير ان سوفهم

اي لكن سوفهم من فلول وليس بعيب وقيل في معنى الآية اننا لنبود عرفوا ان الكعبة حجة
ابراهيم ووجدوا في التوراة ان محمدا سيحول اليها فتكون جنتهم انهم يقولون ان النبي الذي
نجد في كتابنا سيحول الى الكعبة ولم تحول انت فلاحول الى الكعبة ذهبت جنتهم (الا الذين
ظلموا انفسهم) اي الا ان يظلموا فيكتنوا ما عرفوا من الحق (فلا تخشواهم) اي فلا تخافوهم في انصرفوا فيكم
الى الكعبة في ظواهرهم عليكم بالمجادلة الباطلة فاني وليكم وناصركم اظهركم عليهم بالجنة والنصرة
(واخشوني) اي احذروا عقابي ان اتم عدائهم حال منكم به وفرضه عليكم (ولاتم نعمتي عليكم)
اي ولكي اتم نعمتي عليكم بهدايتي اياكم الى قبة ابراهيم لستم لكم الملة الحنيفة وقيل تمام النعمة
الموت على الاسلام ثم دخول الجنة ثم رؤية الله تعالى (وللحكم تهتدون) اي لكي تهتدوا من
الضلالة ولعل وعسى من الله واجب قوله عز وجل (كأرسلنا فيكم) كاف التشبيه يحتاج
الى شيء ترجع اليه فقبل ترجع الى ما قبلها ومعناه ولاتم نعمتي عليكم كأرسلنا فيكم وقيل ان
ابراهيم قال ربنا وابتعث فيهم رسولا منهم وقال ربنا واجلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة
لث فبعث الله فيهم رسولا منهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم ووعده اجابة الدعوة الثانية بان
يحمل في ذريته امة مسلمة والمعنى كما اجبت دعوته بعثة الرسول كذلك اجبت دعوته بان اهديكم
لدينه واجعلكم مسلمين ونعمتي عليكم ببيان شرائع الملة الحنيفة وقيل ان الكاف متعلقة بما بعدها
وهو قوله فاذكروني اذكركم والمعنى كما ارسلنا فيكم رسولا منكم فاذكروني ووجه التشبيه ان
النعمة بالذكر جارية بحرى النعمة بارسال الرسول وان قلنا انها متعلقة بما قبلها كان وجه التشبيه
ان النعمة في امر القبة كالنعمة بالرسالة وفيكم خطاب لاهل مكة والعرب وكذا قوله منكم وفي
ارساله رسولا منهم نعمة عظيمة عليهم لما فيه من الشرف لهم ولان المعروف من حال العرب الانفة
الشديدة من الانقياد لغير فكان بعثة الرسول منهم وفيهم اقرب الى قبول قوله والانقياد له والمعنى
كأرسلنا فيكم بامعشر العرب (رسولا منكم) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (يتلوا عليكم آياتنا)
يعنى القرآن وذلك من اعظم النعم لانه مهجزة باقية على الدهر (وبزكركم) اي ويظهركم من دنس
الشرك والذنوب وقيل يعلمكم ما اذا فعلتموه صرتم اذكياه مثل محاسن الاخلاق ومكروم الافعال
(ويعلمكم الكتاب) يعنى احكام الكتاب وهو القرآن وقيل ان التعليم غير التلاوة فليس بتكرار
(والحكمة) يعنى السنة والفقه في الدين (ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) يعنى يعلمكم ما لم
اخبار الالام الماضية والقرون الخالية وقصص الانبياء والخبر عن الحوادث المستقبلية عالم تكونوا
وذلك قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم (فاذكروني) قبل اذ ذكر يكون بالاسناد وهو
ان يسجده ويحمده ويمجد ونحو ذلك من الاذكار ويكون بالقلب وهو ان يحكى في حمة الله
تعالى وفي الدلائل الدالة على وحدانيته ويكون بالجوارح وهو ان تكون مستفرقة في الاعمال التي
امروا بها مثل الصلاة وسائر الطاعات التي للجوارح فيها فعل (اذكركم) يعنى التذكير بالبرهان
عنكم قال ابن عباس اذكروني بطاعتكم بمعونتي وقيل اذكروني بقرائنكم

[illegible]

الله موتى الجهل بالحياة الحقيقية العملية (ويريكم آياته لعلكم تعقلون) دلائله وآيات صفاته لكي تعقلون (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك) أي بعد تناول الامد وتراخي مدة الفترة وتنازع التلوينات وتوالي النزعات قست قلوبكم بكثرة مباشرة الامور والاذات البدنية وملابسة الصفات الفسائية (فهي كالجمارة) من عدم تأثرها بالنقش العلمي (او) شيء (اشد قسوة) منها كالخديد مثلاً بين ان الجمارة التي منها بان حالها منحصر في الوحوه الثلاثة المذكورة فاما ان القلوب اربعة قلب تنور بالور الالهى منطما فيه واستغرق في البحر العلمى مخمما فيه فانفجرت منه انوار العلم فمن شرب منها بحيا ابد كقلوب اهل الله السابقين وهو المشار اليه بقوله الى (وان من الجمارة لما يتغير منه الانوار) وقلب ارتوى من العلم لحفظ ووعى فانتفع به الناس كقلوب العلماء السابقين وهو المشار اليه بقوله (وان منها لما يشقى فيض من منه الماء) وقلب

اخو سعد بن ابي وقاص وذو الشمالين واسمه عير بن عبد عمرو بن العاص بن فضالة بن عمرو بن خزاعة ثم بنى غبشان وعاقل بن البكير من بنى سعد بن لث بن كنانة ومهجع مولى لعمر بن الخطاب وصفوان ابن بضاء من بنى الحرث بن فهر ومن الانصار ثمانية وهم سعد بن خبقة ومبشر بن عبد بن المنذر ويزيد بن الحرث بن قيس بن فهم وعير بن الحمام ورافع بن المعلى وحارثة بن سراقة وعوف ومعوذ بن الحرث بن رفاع بن سواد وهما ابنا هفراء وهى امهما كان الناس يقولون لمن قتل في سبيل الله مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذا انها نزل الله تعالى هذه الآية وقيل ان الكفار والمافقين قالوا ان الناس يقتلون انفسهم ظلم لرضاء محمد من غير فائدة فزلت هذه الآية واخبر ان من قتل في سبيل الله فانه حي بقوله تعالى (بل احياء) وانما احياءهم الله عز وجل في الوقت لا يصل الثواب اليهم وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعالى تعرض ارواحهم ويصل اليهم الروح والريحان والفرح كما تعرض النار على ارواح آل فرعون غدوة وعشيا فيصل اليهم الامم والوجع فقيه دليل على ان المطيعين لله يصل اليهم ثوابهم وهم في قبورهم في البرزخ وكذا العصاة يعذبون قبورهم فان قلت نحن نراهم موتى فامعنى قوله بل احياء وما وجه النفي في قوله ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات قلت معناه لا تقولوا اموات بمنزلة غيرهم من الاموات بل هم احياء تصل ارواحهم الى الجنان كما ورد ان ارواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة فهم احياء من هذه الجهة وان كانوا امواتا من جهة خروج الروح من اجسادهم وجواب آخر وهو انهم احياء عند الله تعالى في عالم الغيب لانهم صاروا الى الآخرة فحقق لانشاهدهم كذلك قوله تعالى (ولكن لا تشعرون) اي لا ترونهم احياء فتعلموا ذلك حقيقة وانما تعلمون ذلك باخبارى اياكم به فان قلت ليس سائر المطيعين من المسلمين لله يصل اليهم من نعيم الجنة في قبورهم فلم يخص الشهداء بالذكر قلت انما خصهم لان الشهداء فضلو على غيرهم بعز يد النعيم وهوانهم برزقون من مطاعم الجنة وما آكلها وغيرهم يعملون بما دون ذلك وجواب آخر وهو انه رد لقول من قال ان من قتل في سبيل الله قدمات وذهب عنه نعيم الدنيا ولذا انها فاخبر الله تعالى بقوله بل احياء بانهم في نعيم دائم * قوله عز وجل (ولنبلونكم) اي ولنختبرنكم بامه محمد والامم جواب القم تقديره والله لنبلونكم والابتلاء لاظهار الطائع من العاصي لا ليعلم شيئا لم يكن عالما به فانه سبحانه وتعالى عالم بجميع الاشياء قبل كونها وحدوثها (بشيء) انما قال بشيء ولم يقل باشيء لتلايهم ان اشياء تدل على ضروب من الخوف وكذا الباقي فلما قال بشيء كان التقدير بشيء من الجوع وقبل معناه بشيء قليل من هذه الاشياء (من الخوف) قال ابن عباس يعنى خوف العدو والخوف توقع مكروه يحصل منه الم في القلب (والجوع) يعنى القحط وتقدر حصول القوت (ونقص من الاموال) يعنى بالهلاك والخسران (والانفس) اي ونقص من الانفس بالموت او التمل (والثمرات) يعنى الجوائح في الثمار وقيل قد يكون بالجذب ايضا وترك العمل والجمارة في الاشجار وحكى عن الشافعى رضى الله عنه في تفسير هذه الآية قال الخوف خوف الله تعالى والجوع صيام شهر رمضان ونقص من الاموال يعنى اخراج الزكاة والصدقات والانفس يعنى بالامراض والثمرات يعنى موت الاولاد لان الولد ثمرة القلب عن ابي موسى الاشعري رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى لئلا تكنه اقبضتم ولد عبدى قالوا نعم قال اقبضتم ثمرة فؤاده قالوا نعم قال فاذا قال قالوا احده

خشع وانقادوا وسلم وطاع
كقلوب العباد والزهاد من
السلمين وهو المشار اليه بقوله
(وان منها لما يهبط من خشية
الله) واذنى احوال حاله
هو الهبوط من خشية الله
اى الانقياد لامر الله من
الميل الى المركز بالسلاسة
وبقى قلبه يتأثر قط بالعالم ولم
يتلن بالخوف آيا للهدى
متكبرا متملنا بالهوى متمردا
فلا يوجد من الجواهر
ما يشبهه لولجيهما ما امر
الله به فكيف بالحديد الذى
يلين لما يراد منه قال الهى
عليه السلام مثل ما مضى الله
به من الهدى والعلم كمل
القيس الكبير اصاب ارضا
فكانت طائفة بها طيبة قبلت
الماء وانبت الكلاء والعشب
الكثير وكانت منها طائفة
احاذات امسكت الماء ففزع
الله بها الناس فشرّبوا وسقوا
وزرعوا واصاب منها
طائفة اخرى انما هي قيعان
لا تمسك ماء ولا تنبت كلاء
فذلك مثل من فقه في الدين
فعلم وعلم ومثل من لم يرفع
بذلك رأسا ولم يقبل هدى
الله الذى ارسله به فيبين
عليه السلام القلوب الثلاثة
الاخيرة والاول من
الاربعة هو انقلب الحمدي
(وماله بظافل غافل عن انس)

واسترجع قال ابنو له يتأفى الجنة وسوء بيت الحمد اخرجه الترمذى وقال حديث حسن فان قلت
ما الحكمة في تقديم تعريف هذا الابتلاء في قوله وتبلونكم قلت فيه حكم منها ان العبد اذا علم انه مبتلى
بشيء وطن نفسه على الصبر فاذا نزل به ذلك الابتلاء لم يجزع ومنها ان الكفار اذا شاهدوا المؤمنين
مقيمين على دينهم ثابتين عند نزول الابتلاء صابرين له علوا بذلك صحة الدين فيدعوهم ذلك الى متابعتهم
والدخول فيه ومنها ان الله تعالى اخبر بهذا الابتلاء قبل وقوعه فاذا وقع كان ذلك اخبارا عن غيب
فيكون معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم ومنها ان المنافقين انما اظهروا الايمان طمعا في المال وسعة
الرزق من الثنائم فلما اخبر الله انه مبتلى عباده فند ذلك تميز المؤمن من المنافق والصادق من الكاذب
ومنها ان الانسان في حال الابتلاء اذا خلاص الله منه في حال الرخاء فاذا علم انه مبتلى دام على التضرع
والابتئال الى الله تعالى لينجيهم مما عسى ان ينزل به من البلاء ثم قال تعالى (وبشر الصابرين) يعنى عند
نزول البلاء والمعنى وبشر يا محمد الصابرين على امتحاني بما افقهم به من الشدائد والمكاره ثم وصفهم
بقوله تعالى (الذين اذا اصابهم مصيبة) اى ثابتة وابتلاء (قالوا ان الله) اى عبدا وملك (وانا اليه
راجعون) يعنى في الآخرة (م) عن ام سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من
عبد تصيبه مصيبة فيقول ان الله وانا اليه راجعون اللهم اجرنى في مصيبتى واخلف لى خيرا منها
الاجر الله في مصيبتى واخلف له خيرا منها قيل ما اعطى احدا ما عطيت هذه الامة يعنى الاسترجاع
عند المصيبة ولو اعطيا احدا لا يعطى يعقوب عليه السلام الاتسمع الى قوله عند فقد يوسف يا اسفا على
يوسف وقيل في قول العبد ان الله وانا اليه راجعون تفويض منه الى الله وانه راض بكل ما نزل به
من المصائب (اولئك) يعنى من هذه صفتهم (عليهم صلوات من ربهم) قال ابن عباس اى مغفرة
من ربهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل ابي اوفى اى اغفر لهم وارحمهم واما جمع
الصلوات لانه عنى مغفرة بعد مغفرة ودرجة بعد درجة (ورجوة) قال ابن عباس ورجوة والرجوة من الله
انعامه وافضاله واحسانه ومن الآدميين رقة وتعطف وقيل انما ذكر الرجوة بعد الصلوات لان الصلاة
من الله الرجوة لاتساع المعنى واتساع اللفظ وتقل ذلك العرب كثيرا اذا اختلف اللفظ واتفق
المعنى وقيل كررها لتأكيد اى عليهم درجة بعد درجة (واولئك هم المهتدون) يعنى الى الاسترجاع
وقيل الى الجنة الفأخرون بالثواب وقيل المهتدون الى الحق والصواب وقال عربى الخطاب نعم العبدان
ونعمت العالوة فالعبدان الصلاة والرجوة والعالوة الهداية

فصل في ذكر ما حدث وردت في ثواب اهل البلاء واجر الصابرين (خ) عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رد الله به خيرا يصيب منه يعنى يتلبه بالمصائب حتى ياجره
على ذلك (ق) عن ابي سعيد وابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما يصيب المؤمن من نصب
ولا وصب ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله عنه بها خطايا العصب
التمب والاعياء والوصب المرض (ق) عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من
مسلم يصيبه اذى من مرض فاسواه الا حط الله به عنه من سيئاته كما تحط الشجرة ورقها (ق) عن
ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن كمثل الزرع لاتزال الريح تفيثه ولا يزال
المؤمن يصيبه البلاء ومثل المنافق كمثل شجرة الارزة لا يثمر حتى تحصد الارزة شجرة معروف بالثام
ويعرف في العراق ومصر بالصنوبر والصنوبر ثمرة الارزة وقيل الارزة الثابتة في الارض عن انس

تهدد للقاسية قلوبهم اى الله
مطاع فيجبهم من نوره
ويتركهم في ظلماتهم والآيات
التي تنلونها ظاهرة وتأويل
الاولى (انقطعون ان
يؤمنوا لكم) ان يوحدا
بتوحيد الصفات لاجل
هدايتكم (وقد كان فريق
مهم بسمعون كلام الله)
يقبلون صفات الله ثم
يخرفونها بنسبتها الى انفسهم
(ثم يخرفونه من بعدما
حقنوه) اى علوا توحيد
الصفات وما وجدوه بالبيان
(وهم يعلمون وادا لقوا
الدين امنوا والوا اما) ان تلك
الصفات لله لكن نفوسهم
يفعلونها بالاشراك حالة
بذهول العمل عن استيلاء على
القلب لعدم كون توحيدهم
ملكته ولا بل علما فويل
لدين يكتبون الكتاب
بيديهم اى ويل لمن بقيت معه
بقايا صفات النفس وهو
لا يشعر بها او يشعر فيحتاج او
لا يحتفل بها فيفعل ويقول
نفسه وصفاتها ويدعى انه
من عند الله ليكتسب به حظا
من حظوظ النفس بل عين
ذلك القول والفعل ونسبته
الى الله حظه تام لها وذنب
لاذنب اقوى منه ويمكن ان
توول الآيات الثلاث الاول
على الوجه الثاني المبني على
التطبيق فيقال انقطعون

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اراد الله بعبده خيرا اهل له العقوبة في الدنيا واذا اراد الله
بعبده شرا امسك عنه حتى يوافي يوم القيامة وبهذا الاسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عظم
الجزاء مع عظم البلاء وان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط
اخرجه الترمذي وله من جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يود اهل العاقبة يوم القيامة حين
يعطى اهل البلاء الثواب لو ان جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض وله عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده حتى يلقى الله وما
عليه خطيئة وقال حديث حسن صحيح (خ) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليه وسلم قال الله تعالى ما لبعدي المؤمن عندي جزاء اذا قبضت صفته من اهل الدنيا ثم
احتسبه الاجنة عن سعد بن ابى وقاص قال قلت يا رسول الله اى الناس اشدياء قال الانبياء
ثم الامثل فالامثل يتلى الرجل على حسب دينه فان كان في دينه صلبا اشتد بلاؤه وان كان في
دينه رقة هون عليه قابله بالبلاء بالبعد حتى يتركه يبنى على الارض وما عليه خطيئة اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن * قوله عز وجل (ان الصفا والمروة من شعائر الله) الصفا جمع صفة وهي
الصخرة الصلبة الملساء وقيل هي الحجارة الصافية والمروة الحجر الرخو وجسمها مروي ومروا
وهذا ان اصلهما في اللغة وانما عنى الله لهما الجبلين المعروفين بمكة في طرفي المسعى ولذلك ادخل
فيهما الالف واللام وشعائر الله اعلام دينه واصلهما من الاشعار وهو الاعلام واحداثها شيرة وكل
ما كان معالما لقربان تقرب به الى الله تعالى من صلاة ودعاء وذبيحة فهو شعيرة من شعائر الله ومشاعر
الحج معالمة الظاهرة للمحوس وبقال شعائر الحج فالطواف والموقف والمنحصر كلها شعائر والمراد بالشعائر
هنا الماسك التي جعلها الله اعلاما لمطاعته فالصفا والمروة منها حيث يسمى بينهما (فن حج البيت)
اى قصد البيت هذا اصله في اللغة وفي الشرع عبارة عن افضل مخصوصة لاقامة الماسك (او اعتمر)
اى ازار البيت والعمرة الزيادة في الحج والعمرة المشروعة من قصد ورياسة (فلا جناح عليه) اى
فلا اثم عليه واصله من جنح اذا مال عن القصد المستقيم (ان يطوف لهما) اى يدور لهما ويسعى
بينهما * وسب نزول هذه الآية انه كان على الصفا والمروة صحن يقال لهما اساف وثالثة
فكان اساف على الصفا وثالثة على المروة وكان اهل الجاهلية يطوفون بين الصفا والمروة تعظيما
للصنمين فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تخرج المسلمون عن السعي بين الصفا والمروة فانزل الله
هذه الآية واذن في السعي بينهما واخبرانه من شعائر الله (في) عن حاصم بن سليمان الاحول
قال قلت لانس اكنتم تكرر هون السعي بين الصفا والمروة فقال نعم لانها كانت من شعائر الجاهلية حتى
انزل الله ان الصفا والمروة من شعائر الله فن حج البيت واعتمر فلا جناح عليه ان يطوف لهما وفي رواية
قال كانت الانصار يكرهون ان يطوفوا بين الصفا والمروة حتى نزلت ان الصفا والمروة من شعائر الله
* فعزل * اختلف العلماء في حكم السعي بين الصفا والمروة في الحج والعمرة فذهب
جماعة الى وجوبه وهو قول ابن عمر وجابر وعائشة وبه قال الحسن وابيه ذهب ملك
والشافعي وذهب قوم الى انه تطوع وهو قول ابن عباس وبه قال ابن سيرين وذهب الثوري وابو
حنيفة الى انه ليس بركن وعلى من تركه دم وروى عن ابن الزبير ومجاهد وعطاء ان من تركه فلا شيء
عليه واختلفت الرواية عن احد في ذلك فروى عنه ان من ترك السعي بين الصفا والمروة لم يحرمه

ايتها القوى الروحانية ان
تؤمن هذه القوى النفسية
لاجل هدايتكم مقادة وقد
كان فريق منهم كالوهم
والخيال يسمعون كلام الله
اي تلقفون المعاني الواردة
من عند الله على القلب ثم
يحرفونه بالمحاكاة وكثرة
الانتقالات وجعلها جزئية
واعطاهم الاحكام الجزئية كما
في الملمات والواقعات من
بعد ما عقلوه اي ادر كوه على
حاله وهم يعلون تحريفها
وانتقالها الى الوازم
والاشياء والاضداد واذا
لقوكم بآتوجه نحوكم وتلقن
مدركاتكم عدد حضوركم
ومشايعتنا اياكم وعروجهما
اذعوا وصدقوا (واذا خلا
بعضهم الى بعض قالوا
اتحدثونهم بما فتح الله عليكم
لما حوكم به عند ربكم افلا
تعقلون في اوقات الغفلات
منع بعضهم بعضا عن القاء
ما فتح الله عليهم من مدركاتهم
للمحسوسة والمحيلة والموهومة
ليركبوا منها الجمج
وبحاجوهم بها في الحضرة
الروحانية عند ربهم
(اولا يعلون ان الله يعلم ما
يسرون) عنكم من مدركاتهم
(وما يسلون) فيطلعكم
عليها وينصركم عليهم
(ومنهم ابيون) اي القوى

جمه وروى عنه انه لاشئ في تركه عدا ولا سهوا ولا يبغي ان يتركه ونقل الجمهور عنه انه تطوع وسبب
 هذا الاختلاف ان قوله تعالى فلا جناح عليه يصدق عليه انه لا اثم عليه في فعله فدخل تحته الواجب
 والمتنوب والمباح فظاهر هذه الآية لا يدل على ان السعي بين الصفا والمروة واجب او ليس
 بواجب لان اللفظ الدال على القدر المشترك بين الاقسام الثلاثة لا دلالة فيه خصوصية احدهما
 فاذا ابد من دليل خارج يدل على ان السعي واجب او غير واجب فحجة الشافعي ومن وافقه
 في ان السعي بين الصفا والمروة ركن من اركان الحج والعمرة ماروى الشافعي بسنده عن صفية
 بنت شيبة قالت اخبرني بنت ابي نجرارة واسمها حبة احدى نساء بنى عبد الدار قالت دخلت مع
 نسوة من قريش دار آل ابي حسين فنظر الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يسعي بين الصفا والمروة
 فرايته يسعي وان مزره ليدور من شد السعي حتى لا يقوله اني لا ارى ركبته وسمعتة يقول اسعوا
 فان الله كتب عليكم السعي وصححه الدارقطني (ق) عن عروة بن الزبير قال قلت لعائشة زوج
 النبي صلى الله عليه وسلم ارايت قول الله ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا
 جناح عليه ان يطوف بهما فانا ارى على احد شيئا ان لا يطوف بهما قالت عائشة كلا لو كان كما تقول
 كانت فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما فانا نزلت هذا الآية في الانصار كانوا يهلون لمائة وكات
 مائة حذوق يد وكانوا يخرجون ان يطوفوا بين الصفا والمروة فلما جاء الاسلام سالوا رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله الآية (م) عن جابر في حديثه
 الطويل في صفة حجة الوداع قال ثم خرج من الباب الى الصفا فلما دنا من الصفا قرا ان الصفا والمروة
 من شعائر الله ابدأ بأبدا الله به فبدأ بالصفا الحديث فاذا ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم سعى وجب
 علينا السعي لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله صلى الله عليه وسلم خذوا عني ماسككم والامر للوجوب
 ومن القياس ان السعي اشواط شرعت في بقعة من بقاع الحرم ويوتى به في احرام كامل فكان
 ركنا كطواف الزيارة واجتنب ابو حنيفة ومن لا يرى وجوب السعي بقوله فلا جناح عليه ان
 يطوف بهما وهذا لا يقال في الواجبات ثم انه تعالى اكد ذلك بقوله (ومن تطوع خيرا) فبين
 انه تطوع وليس بواجب واجب عن الاول بان قوله تعالى فلا جناح عليه ليس فيه الا انه لا اثم
 على فعله وهذا القدر مشترك بين الواجب وغيره كما تقدم بيانه فلا يكون فيه دلالة على نفي الوجوب
 وعن الثاني وهو التمسك بقوله تعالى ومن تطوع خيرا فضعف لان هذا لا يقتضي ان يكون
 المراد من هذا التطوع هو الطواف المذكور او لا بل يجوز ان يكون المقصود منه شيئا آخر يدل
 على ذلك قول الحسن ان المراد بقوله ومن تطوع خيرا جميع الطاعات في الدين يعني فعل فضلا زائدا
 على ما افترض عليه من صلاة وصدقة وصيام وحج وعمرة وطواف وغير ذلك من انواع الطاعات
 وقال مجاهد ومن تطوع خيرا بالطواف بهما وهذا على قول من لا يرى الطواف بهما فرضا وقيل
 معناه من تطوع خيرا فزاد في الطواف بعد الواجب والقول الاول اولي للمعوم (فان الله شاكر)
 اي مجاز على الطاعة (عليهم) اي بنيته وحقيقة الشاكر في القنة هو المظهر للانعام عليه والشكر
 هو تصور النعمة فاعطاه الله تعالى لا بوصف بذلك لانه لا يلحقه المنافع والمضار فالشاكر في
 صفة الله تعالى مجاز فاذا لوصف به اريد به انه المجازي على الطاعة بالتواب الا ان اللفظ خرج مخرج

الطبيعة الغير المدركة
والحواس الظاهرة
(لا يظنون الكتاب) كتاب
الحق المعقولة (الاماني
وانهم لا يظنون فويل
لذين يكتبون الكتاب
بايديهم ثم يقولون هذا من
عند الله ليشتروا به ثم قليلا
فويل لهم مما كتبت ايديهم
وويل لهم مما يكسبون)
لذاتهم وشهواتهم وما
يتقنون خاتمة عاقبتها
ومضرتها في طريق
الكمال يظنون نفعها وخيريتها
(وقالوا ان تمسنا النار
الا ياما معدودة قل اتخذتم
عند الله عهدا فلن يخاف الله
عهدهم ام يقولون على
الله ما لا تعلمون) اعتقدوا ان
زمان العقاب يساوي زمان
مباشرة الدب ولم يعلموا
ان الذنب اذا كان معتقدا
فاسدا ثابتا في النفس وهبته
راسخة فيها وصار ملكة
كصورة ذاتية لها كان
سببا لتخليد العذاب وهو
معنى قوله (بل من كسب
سئة احاطت به خطيئته
فان لك اصحاب النار هم فيها
خالدون والذين آمنوا
وعملوا الصالحات اولئك
اصحاب الجنة هم فيها خالدون)
اعتسولت عليه واستوعبت
كسوا المستوعب للثواب

اللطيف للعباد مظهرة في الاحسان اليهم * قوله عز وجل (ان الذين يكتبون ما نزلنا من
الآيات والهدى) نزلت في علماء اليهود الذين كتبوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وغيرها
من احكام التي كانت في التوراة وقيل ان الآية على العموم فيمن كتب شيئا من امر الدين لان اللفظ
عام والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ومن قال بالقول الاول وانها في اليهود قال ان اكنتم لا
يصح الا منهم لانهم كتبوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى الكتابان تركا اظهار الشيء مع الحاجة
الى بيانه واظهاره فمن كتب شيئا من امر الدين فقد عظمت مصيبته (ق) عن ابي هريرة قال لولا آيتان
انزلهما الله في كتابه ما حدثت شيئا ابدا ان الذين يكتبون ما نزلنا من الآيات والهدى وقوله
واذا اخذ الله ميثاق الذين اتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه الى آخر الآيتين وهل
اظهار علوم الدين فرض كفاية او فرض عين فيه خلاف والاصح انه اذا ظهر لبعض بحيث يتمكن
كل واحد من الوصول اليه لم يبق مكتوما و قيل متى سئل العالم عن شيء يعلمه من امر الدين يجب
عليه اظهاره والا فلا (من بعد ما بينا للناس في الكتاب) يعني في التوراة من صفة محمد صلى الله عليه
وسلم صلى هذا يكون المراد بالناس علماء بني اسرائيل ومن قال ان المراد بالكتاب جميع ما نزل الله
على انبيائه من الاحكام قال المراد بالناس العلماء كافة (اولئك) يعني الذين يكتبون ما نزل الله
من الآيات والهدى (يلعنهم الله) اي يبعدهم من رحته واصل اللعن في اللغة الطرد والابعاد
(ويلعنهم اللاعنون) قال ابن عباس جميع الخلائق الاجن والانس وذلك ان انبياءهم يقول انما صنعنا
القطر بمعاصي بني آدم وقيل اللاعنون هم الجن والانس لانه وصفهم بوصف من يعقل وقيل
ما نال عن اثنان من المسلمين الارجعت الى اليهود والنصارى الذين كتبوا صفة محمد صلى الله عليه
وسلم ثم استنتى فقال تعالى (الا الذين تابوا) اي ندموا على ما فعلوا فرجعوا عن الكفر الى الاسلام
(واصلحوا) يعني الاعمال فيما بينهم وبين الله تعالى (وبينوا) يعني ما كتبوا من العلم (فاولئك
اتوب عليهم) اي تجاوز عنهم واقبل توبتهم (وانا التواب) اي المتجاوز عن عبادي الرجاع بقلوبهم
المنصرفة عني الى (الرحيم) يعني بهم بعد اقبالهم على * قوله عز وجل (ان الذين كتبوا
وما تواتروهم كفارا وولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين) قبل هذا اللعن يكون
يوم القيامة يؤتى بالكافر فيوقف فيلعه الله ثم تلعه الملائكة ثم يلعه الناس اجمعون فان قلت
الكافر لا يلعن نفسه ولا يلعه اهل دينه او ملته فاعني قوله والناس اجمعين قلت فيه اوجه احدها
انه ارد بالناس من يعتد بلعه وهم المؤمنون الثاني ان الكفار يلعن بعضهم بعضا يوم القيامة
الثالث انهم يلعنون الظالمين والكفار من الظالمين فيكون قد لعن نفسه (خالدين فيها) اي مقيمين
في اللعنة وقيل في النار وانما اضمرت لعظم شأنهم (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) اي لا يعملون
ولا يؤجلون وقيل لا ينظرون ليعتدروا وقيل لا ينظر اليهم نظر رحمة
فوفصل فيما يتعلق بهذه الآية من الحكم * قال العلماء لا يجوز لمن كافر معين لان حاله عند الوفاة
لا يعلم فلعله يموت على الاسلام وقد شرط الله في هذه الآية اطلاق اللعنة على من مات على الكفر
ويجوز لمن الكفار يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم
فحملوها فباعوها وذهب بعضهم الى جواز لعن انسان معين من الكفار بدليل جواز قتاله
واما العصاة من المؤمنين فلا يجوز لعنة احد منهم على اتعيين ولما على الاطلاق فيجوز لاروي

ولو لم يكن كذلك لما كانت الطاعة ايضا سبب خلود الثواب (واذا خذناه يثاق بنى اسرائيل لانبعدون الا الله وبالوالدين احسانا وذى القربى واليتامى والمساكين واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا واقبوا الصلوة وآتوا الزكاة ثم توليتهم الا قليلا منكم وانتم معرضون) عاهدناهم بالتوحيد وقضى التوحيد ، لاحظة الحضرة الربوبية وشاهدة تجلياتها في مظاهرها واقيام بحققها على حسب ظهور اوصافها * واول من يظهر عليه صفات الربوبية وآثارها في الظاهر وعالم الشهادة هما الابوان مكان النسبة والتربية والعطوفية التي هي آثار الموجد الرب الرحيم فيماله فالاحسان اليهما يحب ان يلي عبادة الله بحسب ظهوره في مظهرهما ثم ذوى القربى لظهور المواساة والمرحاة الالهية فيهم بالنسبة اليه ثم اليتامى لاختصاص ولايته وحفظه تعالى بهم فوق من عداهم اذ هو ولي من لا ولي له ثم المساكين اوليته رعايتهم ورزقهم بنفسه بلا واسطة غيره ثم سائر الناس للمرحاة العامة بينهم التي هي ظل الرحانية

ان انبي صلى الله عليه وسلم قال لمن الله السارق يسرق البيضة والحبل فتقطع يده ولمن رسول الله صلى الله عليه وسلم الواشمة والمستوشمة واكل الربا وموكله ولمن من غير منار الارض ومن انتسب لتيرايه وكل هذه في الصحيح * قوله عز وجل (والهمكم الله واحد) سبب نزول هذه الآية ان كفار قريش قالوا يا محمد صف لنا ربك وانسبه فانزل الله هذه الآية وسورة الاخلاص ومعنى الوحدة الانفراد وحقيقة الواحد هو الشيء الذي لا يتبعض ولا ينقسم والواحد في صفة الله انه واحد لانظيره وليس كمثل شيء وقيل واحد في الوهية وربوبية ليس له شريك لان المشركين اشركوا معه الآلهة فكانهم الله تعالى بقوله والهمكم الله واحد يعني لا شريك له في الوهية ولا نظيره في الربوبية والتوحيد هو نفي الشريك والقسم والشيء فله تعالى واحد في افعاله لا شريك له يشاركه في مصنوعاته وواحد في ذاته لا تقسيم له وواحد في صفاته لا يشبه شيء من خلقه (لا اله الا هو) تقرير لوحدة بنى غيره من الالهية واثباتها سبحانه وتعالى (الرحمن الرحيم) يعني انه المولى لجميع النعم واصولها وفروعها فلا شيء سواه بهذه الصفة لان كل ما سواه امانعة وامانهم عليه وهو المم على خلقه الرحمن بهم عن اسماء بنت زيد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اسم الله الاعظم في هاتين الآيتين والهمكم الله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وفاتحة آل عمران الم الله لا اله الا هو المحي القيوم اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث صحيح وقيل لما نزلت هذه الآية قال المشركون ان محمدا يقول الهمكم الله واحد فليأتنا بآية ان كان صادقا فانزل الله تعالى (ان في خلق السموات والارض) وعلمه كيفية الاستدلال على وحدانية الصانع وردهم الى التفكير في آياته والظن في عجائب مصنوعاته واقتان افعاله في ذلك دليل على وحدانيته اذ لو كان في الوجود صانعان لهذه الافعال لاستحال اتفاقهما على امر واحد ولا تمنع في افعالهما التساوى في صفة الكمال فثبت بذلك ان خالق هذا العالم والمدير له واحد قادر مختار فين سبحانه وتعالى من عجائب مخلوقاته ثمانية انواع * اولها قوله ان في خالق السموات والارض وانما جمع السموات لانها اجناس مختلفة كل سماء من جنس غير جنس الاخرى ووحدا الارض لانها جنس واحد وهو التراب والآية في السماء هي سمكتها وارتفاعها بغير عمد ولا علاقة وما يرى فيها من الشمس والقمر والنجوم والآية في الارض مداه وبسطها على الماء وما يرى فيها من الجبال والبحار والمعادن والجواهر والانهار والاشجار والثمار والنبات * النوع الثاني قوله تعالى (واختلاف الليل والنهار) اي تعاقبهما في الجوى والذهب وقيل اختلافهما في الطول والقصر والزيادة والقصر والور والظلمة وانما قدم الليل على النهار وطلب النوم والراحة يكون في الليل فاختلف الليل والنهار انما هو لتخصيص مصالح العباد * النوع الثالث قوله تعالى (والفلک التي تجرى في البحر) اي السفن واحده وجمعه سواء وسمى البحر بحرا لاتساعه وانبساطه والآية في الفلك تسخيرها وجريانها على وجه الماء وهي وقرة بالافعال والرجال فلا ترسب وجريانها بالريح مقبلة ومدبرة وتسخير البحر لجل الفلك مع قوة سلطان الماء وهيجان البحر فلا ينهي منه الا الله تعالى * النوع الرابع قوله تعالى (بما ينفع الناس) يعني ركوبها والحمل عليها في التجارات لطلب الارباح والآية في ذلك ان الله تعالى لو لم يوفق قلب من ركب هذه السفن لاتم القرض في تجارتهم ومنافعهم وايضا فان الله تعالى خص كل قطر من اقطار العالم بشيء من سفن واحوج الكل الى الكل فصار ذلك سبيبا يدعوهم الى اقتحام الاخطار في الاسفار من ركوب

السفن وخوض البحر وغير ذلك فالجبل يتنفع لانه يريح والجمول اليه يتنفع بما جعل اليه * النوع الخامس قوله تعالى (وما انزل الله من السماء من ماء) يعني المطر قيل اراد الله السماء السحاب سمي سماء لان كل ما علاك فافلاك فهو سماء خلق الله الماء في السحاب ومنه ينزل الى الارض وقيل اراد السماء بعينها خلق الله الماء في السماء ومنه ينزل الى السحاب ثم منه الى الارض (فاحياه) اي بالماء (الارض بعد موتها) اي ببسائها وجذبها سماء موتها مجاز لانها اذا لم تنبت شيئا ولم يصبها المطر فهي كالمتة والآية في انزال المطر واحياء الارض به ان الله تعالى جعله سببا لحياء الجميع من حيوان ونبات ونزوله هندوقت الحاجة اليه بمقدار المنفعة وعند الاستسقاء والدعاء وانزله بمكان دون مكان * النوع السادس قوله تعالى (وبث) اي فرق (فيها) اي في الارض (من كل دابة) قال ابن عباس يريد كل مادب هل وجه الارض من جميع الخلق من الناس وغيرهم والآية في ذلك ان جنس الانسان يرجع الى اصل واحد وهو آدم ثم ما فهم من الاختلاف في الصور والاشكال والالوان والالسة والطباع والاخلاق والأوصاف الى غير ذلك ثم يقاس على بني آدم سائر الحيوان * النوع السابع قوله تعالى (وتصرف الرياح) يعني في مهلبا قبولا ودورا وشمالا وجنوبا ونكبا وهي الرياح التي تأتي من غير مهب صحيح فكل ريح تختلف مهلبا تسمى نكبا وقيل تصرفها في احوال مهلبا لينة وعاصفة وحارة وباردة وسميت ريحا الانهارج قال ابن عباس اعظم جنود الله الرياح وقيل ماهبت ريح الانهارج سقيم او ضده وقيل البشارة في رياح الصبا والشمال والجنوب والدبور هي الرياح العقيم التي اهلكت بها اعداء البشارة فيها والآية في الرياح انها جسم لطيف لا يمك ولا يرى وهي مع ذلك في غاية القوة تقلع الشجر والصخر وتخرب البنيات العظم وهي مع ذلك حياة الوجود فلو أمسكت طرفة عين لآت كل ذى روح وأنتم ماعلى وجه الارض * النوع الثامن قوله تعالى (والسحاب المسخر بين السماء والارض) اي اقيم المدلل سمي سحابا بالسرعة سيره كانه يسحب والآية في ذلك ان السحاب مع ما فيه من المياه العظيمة التي تسيل منها الاودية العظيمة يبقى معلقا بين السماء والارض ففي هذه الانواع الثمانية المذكورة في هذه الآية دلالة عظيمة على وحد الصانع القادر المختار وانه الواحد في ملكه فلا شريك له ولا نظير وهو المراد من قوله والهمك اله واحد لا اله وقوله (لايات) اي فيما ذكر من دلائل مصنوعاته الدالة على وحدانيته قبل ان يجمع آيات لان في كل واحد ما ذكر من هذه الانواع آيات كثيرة تدل على ان لها حلقا مدبرا مختارا (لقوم يعقلون) اي ينظرون بصفاء عقولهم ويفكرون بقلوبهم فيعلمون ان لهذه الاشياء خالقا ومدبرا مختارا وصانعا قادرا على ما يريد * قوله عز وجل (ومن الناس) يعني المشركين (من يتخذ من دون الله اندادا) يعني اصناما يعبدونها والتدليل الممازغ فعل هذا الاصنام انداد بعضها البعض وليست انداد الله تعالى وتعالى الله ان يكون له ندوله مثل منازع وقيل الانداد الاكفاء من الرجال وهم رؤساؤهم الذين يطيعونهم في معصية الله تعالى (يعبدونهم) اي يودونهم ويعملون اليهم والحب نقض البغض واحببت فلانا اي جعلته معر ضايا ن تحبه والحببة لارادة (كعب الله) اي كعب المؤمنين الله والمعنى يحبون الاصنام كما يحب المؤمنون ربهم عز وجل وقيل معناه يحبونهم كعب الله فيكون المعنى انهم يسودون بين الاصنام وبين الله في المحبة فن قال بالقول الاول لم يثبت للكفار محبة الله تعالى ومن قال بالقول الثاني اثبت لكفار محبة الله تعالى

فلا احسان للمأمو به في الآية على درجته و تقاضه في مراتبه هو تخصيص العبادة بالله مع مشاهدة صفاته في مظاهرها ورعاية حقوق تجلياتها واحكامها (واذا اخذنا ميثاقكم لاتسفكون دماءكم) يهواكم الى مقار النفس و صفاتها وميلكم الى هواها وطباها وما تاركتم حياتكم الحقيقية وخواص افعالكم لاجل تحصيل ما ربهها و لداتها (ولانخرجون انفسكم) اي ذواتكم اذ يعبرون بالنفس عن الذات (من دياركم) اي مقاركم الروحية واروضات القدسية (ثم اقررتم) بقبولكم لذلك (وانتم تشهدون) عليه باستعداداتكم الاولية و عقولكم القطرية (ثم انتم هؤلاء) الساقطون عن القطرة المهجرون عن نور الاستعداد الاصلى (تقتلون انفسكم) بفواتكم و متابعتكم لهوى (وتخرجون فرقا منكم من ديارهم) اوطانهم القديمة الاصلية بغشائهم واضلالهم وحريرضهم على ارتكاب المعاصي واتباع الهوى (الاهرون عليهم) تناوونهم (بالاثم) بارتكاب

الفواحش والمعاصي ليرؤكم
فيتبعوكم فيها (والعدوان)
والاستطالة على الناس
ليتمدى اليهم ظلمهم
والزامكم اياهم رذائل
القوتين البهيمة والسبعية
وتحر يضكم لهم عليها
وتزييكم لهم اياها كما هو
عادة ملاحة المسلمين من
اهل الاباحة المذميين
للتوحيد (وان يأتوكم
اسارى) في قيدهات
ارتكبوها وشين افصا لهم
القبحة اخذتكم الدامة
وعيرتهم عقولهم وعقول
اباء جنسهم بما خلقهم من
العار والشار (تقادوهم
وهو محرم عليكم اخراجهم)
بكلمات الحكمة والموعظة
الصحيحة الدالة على ان الادات
المستطعية هي العنانية
والزوحية وعاقبه اذاع
الهوى والنفس والشيطان
وخيمة ومشاركة البهائم
والهوام في افعالها مذمومة
رديئة فينبغي قتلها وتخلصوا
من قيد الهوى سبعة كما
نشاهد من حال علوح
مدعى التوحيد والمعرفة
والحكمة واتباعهم في زماننا
هذا (افترسون بعض
الكتاب) اى كتاب العقل
والشرع قولا وقرارا
فتقرون به وتصدقونه وهو

لكن جعلوا الاصنام شركاء له في الحب (والذين آمنوا اشد حبا لله) اى اثبت وادوم على محبته
لانهم لا يختارون مع الله سواء والمشركون اذا اتخذوا صنما ثم اوا آخر احسن منه طرحو الاول
واختاروا الثاني وقيل ان الكفار يعدلون عن اصنامهم في الشدايد ويقبلون الى الله تعالى كما اخبر
عنهم فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين والمؤمنون لا يعدلون عن الله تعالى في الدراء
ولا في الضراء ولا في الشدة ولا في الرخاء وقيل ان المؤمنين يوحدون ربهم والكفار يعبدون
اصناما كثيرة فتقص المحبة لصنم واحد وقيل انما قال والذين آمنوا اشد حبا لله لان الله احبهم
اولا فاحبوه ومن شهد له المعبود بالحب كانت محبته اتم وسيأتى بسط الكلام في معنى المحبة عند قوله
يحبهم ويحبونه (ولو يرى الذين ظلموا) قرئ بالتاء والمعنى ولو ترى يا محمد الذين ظلموا يعنى
اشركوا في شدة العذاب رايت امرا عظيما وقرئ بالياء ومعناه ولو يرى الذين ظلموا انفسهم
عند رؤية العذاب حين يقذف بهم في النار لعرفوا مضره الكفر وان ما اتخذوه من الاصنام
لا ينفعهم (اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا) معناه لو راى الدين كانوا يشركون في الدنيا
عذاب الآخرة لعلوا حين يرون العذاب ان القوة ثابتة لله جميعا والمعنى انهم شاهدوا من
قدرة الله تعالى ما يتقنوا معه ان القوة لله جميعا وان الامر ليس على ما كانوا عليه من الشرك والحدود
(وان الله شديد العذاب) قوله عز وجل (اذبرا) اى تنزه وتبعد (الذين اتبعوا) من الذين اتبعوا
وراوا العذاب اى القادة من مشركي الانس من الاتباع وذلك يوم القيامة حين يجمع القادة والاتباع
فيتبرا بعضهم من بعض عند نزول العذاب بهم وعجزهم عن دفعه عن انفسهم فكيف عن غيرهم وقيل هم
الشياطين يتبرؤن من الانس والقول هو الاول (وتقطعت بهم الأسباب) يعنى الوصلات التى
كانت بينهم في الدنيا يتواصلون بها من قرابة وصداقة وقيل الاعمال التى كانت بينهم بطونها في
الدنيا وقيل اليهود والخلف التى كانت بينهم يتوادون عليها واصل السبب في اللغة الحبل الذى
يصعبه التحل وسمى كل ما يتوصل به الى شئ من ذريعة او قرابة او مودة سببا تشبيها بالحبل الذى
يصعبه (وقال الذين اتبعوا) يعنى الاتباع (لوان لناكرة) اى رجعة الى الدنيا (فنبرا معهم)
اى من المتبوعين (كأبرؤا منا) اليوم (كذلك يريهم الله) اى كما اراههم العذاب يريهم الله
(اعمالهم حمرات عليم) لانهم امنوا بالهلاك والحسرة الفهم على ما فاتته وشدة الدم عليه كانه
انحسرت عنه الجهل الذى حله على ما ارتكبه والمعنى ان الله تعالى يريهم السيئات التى علوها
وارتكبوها في الدنيا فيتحسرون لم علوها وقيل يريهم ما تركوا من الحسات فيندمون على
تضييعها وقيل يرفع لهم في الجنة فيقال لهم تلك مساكنكم لو اطعتم الله ثم تقسم بين المؤمنين فذلك
حين يتحسرون ويندمون على ما فاتهم ولا ينفعهم الندم (وما هم بخارجين من النار) قوله عز
وجل (يا ايها الناس كما واما في الارض حلالا طيبا) نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة
وبنى مدلج فيما حرموا على انفسهم من الحرث والانعام والبحيرة والسائبة والوصيلة والحام
والحلال المباح الذى احله الشرع وانحلت عقدة لخطرته واصله من الحل الذى هو نقيض العقد
والطيب ما يستلذ المسلم لا يستطيب الا الحلال ويعاف الحرام وقيل الطيب هو الطاهر لان الجس
تكرهه النفس وتعافه (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) اى لا تسلكوا سبيله وقيل معناه لا تأتوا به
ولا تتبعوا آثاره وزلاته والمعنى احذروا ان تمعدوا ما حل الله لكم الى ما يدعوكم اليه الشيطان

ان اتباع الهوى والنفس مذموم موجب للوبال والهلاك والخسران (و تكفرون بعض) فلا وعلا فلا تنتهون عما نهاكم عنه وهو اباحتهم واستهلالهم للمحرمات والمنهيات (فلا جزاء من يفعل ذلك منكم الاخرى) اقتضاح وذلة (في الحياة الدنيا ويوم القيامة) اى حال المفارقة التى هى القيامة الصغرى (يردون الى اشد العذاب) الذى هو تعذيبهم بالهيات المظلمة الراسخة في نفوسهم واحتراقهم بنيرانها او مصهم عن صورهم بالكلية و تضاعف البلية (وما الله بغافل عما تعملون اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون) عن افعالكم احصاها وضبطها في انفسكم وكتبها عليكم كما قال يوم يحصيهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه (ولقد آتينا موسى الكتاب وقضينا من بعده بالرسول واينا عيسى بن مريم بينات وايدناه بروح القدس افكم لما جاءكم رسول بما لا تؤى انفسكم استكبرتم ففرقنا كذبكم وفريقا تقتلون وقالوا قلوبنا غلف بل لنهم

قيل هى الذنور في المعاصى وقيل هى المحقرات من الذنوب فمبين حلة هذا التحذير بقوله تعالى (انه لكم هدو بين) اى ظاهر الهداية وقد اظهر الله تعالى عداوته باية اليهود لا دم فمبين عداوته ما هى فقال تعالى (انما يأمركم بالسوء) ببنى بالاثم والسوء ما يسوء صاحبه ويخزيه (والفحشاء) يعنى بها المعاصى وما قبح من قول او فعل قال ابن عباس السوء ما لاحديه والفحشاء ما يجب فيه الحد وقيل الفحشاء الزنا وقيل هو البخل (وان تقولوا على الله ما لا تعلمون) يعنى من تحريم الحرث والانعام ويتناول ذلك جميع المذاهب الفاسدة التى لم ياذن فيها ولم ترد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعلم ان امر الشيطان ووسوسته عبارة عن هذه الخواطر التى يجردها الانسان في قلبه وماهية هذه الخواطر حروف واصوات منتظمة خفية تشبه الكلام في الخارج ثم ان فاعل هذه الخواطر هو الله تعالى وهو المحدث لها في باطن الانسان وانما الشيطان كالمرض والله هو المقدر له على ذلك وقد ورد في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وانما اقدر على ذلك لا يصلح هذه الخواطر الى باطن الانسان * قوله عز وجل (واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله) هذه قصة مستأنفة والضمير في لهم يعود الى غير مذكور قال ابن عباس دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود الى الاسلام فقال رافع بن خارجة ومالك بن عوف بل نتبع ما لقينا عليه آباءنا فهم كانوا خيرامنا واعلمنا فانزل الله هذه الآية متصلة بما قبلها والضمير في لهم يعود الى قوله ومن الناس من يتخذ من دون الله انداد او هم مشركوا العرب قالوا بل نتبع ما لقينا عليه آباءنا يعنى من عبادة الاصنام وقيل بل الضمير في لهم يعود على قوله يا ايها الناس كلوا مما في الارض والمضى واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله يعنى في تحليل ما حرموه على انفسهم (قالوا بل نتبع ما لقينا) يعنى وجدنا (عليه آباءنا) من التحريم والتحليل قال الله تعالى (اولو كان آباؤهم) يعنى الذين يتبعونهم (لا يعقلون شيئا) يعنى لا يعقلون شيئا من امر الدين لفظه عام ومعناه خاص وذلك انهم كانوا يعقلون امر دنيا (ولا يهتدون) اى الى الصواب ثم ضرب لهم مثلا فقال تعالى (ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينفق بما لا يسمع الا دعاء ونداء) العبق صوت الراعى بالقم ولا يقال نفق الا الراعى بالقم وحدها ومعنى الآية ومثلك يا محمد ومثل الكفار في وعظهم ودعائهم الى الله كمثل الراعى الذى ينفق بالقم وهو لا يسمع الا صوتا فصار الداعى الى الله وهو الرسول صلى الله عليه وسلم بمنزلة الراعى وصار الكفار بمنزلة الغنم المنعوق بها ووجه المثل ان الغنم تسمع الصوت ولا تقطن للراى كذلك الكفار يسمعون صوت الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن لا ينتفعون به وقيل معناه ومثل الذين كفروا في قلة عقولهم وفهمهم عن الله ورسوله كمثل المنعوق به من البهائم التى لا تفهم من الامر وانتهى الا الصوت فيكون المعنى بالمثل المنعوق به خارج عن الناقع وقيل معناه ومثل الذين كفروا في دعائهم الاصنام التى لا تفقه ولا تعقل كمثل الناقع بالقم فهو لا ينتفع من نعيه بشئ غير انه عنى من الدعاء والنداء فكذلك الكافر ليس له من دعاء الاصنام وعبادتها الا لعناء والبلاء والفرق بين هذا القول والقول الذى قبله ان المحذوف هنا هو المدعو وهى الاصنام وفي القول الاول المحذوف هو الداعى وهو الرسول صلى الله عليه وسلم (صم بكم عى) لا شبههم بالبهائم زاد في تبكيهم فقال صم لانهم اذا سمعوا الحق ودعاه الرسول ولم ينتفعوا به صاروا بمنزلة الاصم الذى لا يسمع قال لمن يسمع ولا يسمع كانه اصم بكم اى

الله يكثرهم فقليل ما يؤمنون
ولما جاءهم كتاب من عند الله
مصدق لما معهم وكانوا من
قبل يستفتون على الذين
كفروا فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به فلعنة الله على
الكافرين ثم اشترؤا به
انفسهم ان يكفروا بما انزل الله
بنيان ينزل الله من فضله على
على من يشاء من عباده فاولوا
بنفس على عصب وللكافرين
عذاب مهين واذا قيل لهم
آموا بما انزل الله قالوا انؤمن
بما انزل علينا ويكفرون بما
وراءه وهو الحق مصدقا
لما معهم قل لم تقتلون انبياء
الله من قبل ان كنتم مؤمنين
ولقد جاءكم موسى بالبيات ثم
اتخذتم الهل من بعده وانتم
ظالمون واذا اخذنا منكم
ورفعنا فوقكم الطور خذوا
ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا
سما وعصيا واشربوا في
قلوبهم الهل بكفرهم قل يسما
يا امركم به ايمانكم ان كنتم
مؤمنين قل ان كانت لكم
الدار الآخرة عند الله خالصة
من دون الناس فتمتوا الموت
ان كنتم صادقين وان ينموا
انما بما قدمت ايديهم والله
عليم بالظالمين واتخذهم
احرص الناس على حيوته
ومن الدين اشركوا يود
احدهم لو يضر الف سنة وما

عن التعلق بالحق عى اى عن طريق الهدى (فهم لا يعقلون) قيل المراد به العقل الكسبي لان
صفى الطيبى كان حاصلا فيهم قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم)
قيل ان الامر في قوله كلوا قديكون للوجوب كالا كل لحفظ النفس ودفع الضرر عنها وقد
يكون للتدب كالا كل مع الضيف وقد يكون للاباحة اذا خلا من هذه العوارض والطيب هو
الحلال (م) عن ابي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله طيب
ولا يقبل الا الطيب وان الله امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات
واعلوا صالحا وقال يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر
اشعث اغبر يديه الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام
فانى يستجاب لذلك قوله اشعث اغبر هو البعيد العهد بالدهن والفصل والطاقة وقيل الطيب
المستلذ من الطعام فكل قوم اتزهوا عن اكل المستلذ من الطعام فاباح الله تعالى لهم ذلك (واشكروا
الله) يعنى على نعمه (ان كنتم اياه تعبدون) اى اشكروا الله الذى رزقكم هذه انتم ان كنتم
تخصونه بالعبادة وتقرون انه الهكم لا غيره وقيل ان كنتم عارفين بالله وسمعوه فاشكروه عايناه
قوله عز وجل (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) لما امرنا الله تعالى في الآية التى
تقدمت باكل الطيبات التى هى الحلالات بين في هذه الآية انواعا من المحرمات اما الميتة فكل
ما فارقه روحه من غير ذكاة بما ينبغى واما الدم فهو الجارى وكانت العرب تجعل الدم في المصارى
ثم تشويهه وبأكله فحرم الله الدم واما الخنزير فانه اراد بلحمه جميع اجزائه وانما خص اللحم بالذكر
لانه المقصود لذاته بالاكل (وما اهل به لغير الله) يعنى وما دبح الاضام والطواغيت واصل
الاهلال رفع الصوت وذلك انهم كانوا يرفعون اصواتهم بذكر آلهتهم اذا ذبحوا لها فجرى ذلك
مجرى امرهم وحالهم حتى قيل لكل ذابح مهمل وان لم يجهر بالتسمية (فن اضطر) يعنى الى
اكل الميتة واحوج اليها (غير باغ) اصل البغي الفساد (ولا عاد) اصله من العدوان
وهو الظلم ومجاورة الحد (فلا اثم عليه) اى ما كل فلا اثم عليه اى فلا حرج في اكلها
(ان الله غفور) اى لا اكاه في حال الضرورة (رحيم) يعنى حيث رخص لعباده في ذلك
فصل في حكم هذه الآية وفيه مسائل (الاولى في حكم الميتة) اجعت الامة
على تحريم اكل الميتة وانها نجسة واستثنى الشرع منها السمك والجراد اما السمك فلقوله صلى الله
عليه وسلم في البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته اخرج الجماعة غير البخارى ومسلم قال الترمذى
فيه حديث حسن صحيح واما الجراد فلاروى عن ابن ابي اوفى قال غزونا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم سبع غزوات اوستا وكنا نأكل الجراد ونحن معه اخرجاه في الصحفين
واختلف في السمك الميت الطافي على الماء فقال مالك والشافعى لا بأس به وقال ابو حنيفة واصحابه
والحسن بن صالح بن جنى انه مكروه وروى عن علي بن ابي طالب انه قال ما طعام من صيد البحر
فلا نأكله ومن ابن عباس وجابر بن عبد الله مثله وروى عن ابي بكر الصديق وابي ايوب اباحته
واختلف في الجراد فقال الشافعى وابو حنيفة لا بأس باكل الجراد كله ما خدته وما وجدته ميتا
وروى مالك ان ما وجد ميتا فلا يحل وما اخذ حيا بذكاة ذكاة مثله بان يقطع رأسه ويشوى فان
غفل عنه حتى يموت فلا يحل (المسئلة) في حكم الدم (اتفق العلماء على ان الدم

حرام نجس لا يؤكل ولا يتنفع به قال الشافعي تحرم جميع الدماء سواء كان مسفوحا أو غير مسفوح
وقال أبو حنيفة دم السمك ليس بحرام قال لأنه إذا بيس أبيض واستثنى الشارع من الدم الكبد
والطحال روى الدارقطني عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عبد الله بن عمران رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال أحل لنا من الدم دمان ومن الميتة ميتتان الحوت والجراد وأما الدمان
فالطحال والكبد أخرجه ابن ماجه وأحمد بن حنبل قال أحمد وعلي بن المديني عبد الرحمن بن زيد
ضعيف وأخوه عبد الله بن زيد قوي ثقة وقد أخرج الدارقطني هذا الحديث من رواية عبد الله
بن زيد عن أبيه عن ابن عمر فروعا وضعف أبو بكر بن العربي هذا الحديث وقال بروى عن عمر
لا يصح سندوه وقال البيهقي روى هذا الحديث عن ابن عمر موقوفا ومرفوعا أو الصحيح الوقوف واختلف
في تخصيص هذا العموم في الكبد والطحال فقال مالك لا تخصيص لأن الكبد والطحال لحم ويشهد لذلك
العيان الذي لا يفتقر إلى برهان وقال الشافعي هما دمان ويشدله الحديث فهو تخصيص من العموم
المسئلة الثالثة في الخنزير أجمت الأمة على أن الخنزير بجميع أجزائه محرم وأما ذكر الله تعالى لحمه
لأن معظم الانتفاع متعلق به ثم اختلفوا في نجاسته فقال جهور العلماء أنه نجس وقال مالك أنه طاهر
وكذا كل حيوان عنده لأن علة الطهارة هي الحياة وللشافعي قولان في ولوغ الخنزير الجديد أنه
كالكلب والقديم يكفي في ولوغه غسلة واحدة والفرق بينهما أن التغلظ في الكلب لأن العرب كانت
تألفه بخلاف الخنزير وقيل أن التغلظ تعبدى لا يقبل معاه فلا يتعدى إلى غيره المسئلة
الرابعة في حكم قوله وما أهل به لغير الله به من الناس من زعم أن المراد بذلك ذبائح عبدة
الأوثان التي كانوا يدبجونها لأصنامهم وأجاز ذبيحة الصاري إذا سمي عليها باسم المسيح وهو مذهب
عطاء ومكحول والحسن والشعبي وسعيد بن المسيب لعموم قوله وطعام الذين أوتوا الكتاب حل
لكم وقال مالك والشافعي وأبو حنيفة لا يحل ذلك والحجة فيه أنهم إذا ذبحوا على اسم المسيح فقد
أهلوا به لغير الله فوجب أن يحرم وروى عن علي بن أبي طالب أنه قال إذا سمعتم اليهود والصاري
يهلون لغير الله فلا تأكلوا وأذا لم تسمعواهم فكلوا فإن الله قد أحل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون
المسئلة الخامسة في حكم المضطر المضطر هو المكاف بالشيء المجلأ إليه المكروه عليه والمراد
بالمضطر في قوله فمن اضطر أي حاف التلغ حتى قيل من اضطر إلى أكل الميتة فلما كل منها حتى مات
دخل النار والمضطر على ثلاثة أقسام إما بأكراه أو بجوع في منجسة أو بفقر لا يجد شيئا لئلا يفتقر
يرتفع مع وجود هذه الأقسام بحكم الاستسقاء في قوله فلا أثم عليه وتباح له الميتة فاما
الأكراه فيلجج ذلك إلى زوال الأكراه وأما المحمصة فلا يخلو أن كانت دأمة فلا خلاف
في حواز الشيع منها وإن كانت نادرة فاختلف العلماء فيه وللشافعي قولان أحدهما
أنه يأكل ما يسد به الرمق وبه قال أبو حنيفة والساني يأكل نذر الشيع وبه قال
مالك المسئلة السادسة في قوله غير باغ ولا عاد قال ابن عباس معنى غير باغ غير خارج على
السلطان ولا عادى معتدي يعني العاصي بسفره بأن يخرج لقطع الطريق أو أبق من مولاة فلا يجوز
للعاصي بسفره أن يأكل من الميتة إذا اضطر إليها ولا يترخص برخص المسافرين حتى يتوب وبه قال
الشافعي لأن أباحه الميتة له أعانه على فساده وذهب قوم إلى أن البغي والعدوان يرجعان إلى الأكل
وبه قال أبو حنيفة وأباح أكل الميتة للمضطر وإن كان عاصيا وقيل في معنى قوله غير باغ أي غير طالب

هو بمنزلة من المذاب
أن يعمر والله بصير بما يعملون
قل من كان عدوا لجبريل
فإنه نزل على قلبك بأذن الله
مصدقا لما بين يديه وهدى
وبشرى للمؤمنين من كان
عدوا لله ولائكته ورسوله
وجبريل وميكال فإن الله
عدو للكافرين ولقد أنزلنا
إليك آيات بينات وما يكفر بها
الافلاسون أو كلما هادوا
عهد أنبذ فريق منهم بل
أكثرهم لا يؤمنون ولما جاءهم
رسول من عند الله مصدق
لما معهم نبذ فريق من الذين
أوتوا الكتاب كتاب الله
وراء ظهورهم كأنهم
لا يعلمون (ظاهر ومعلوم
بما مر والظاهر أن جبرائيل
هو العقل الفعال وميكائيل
هو روح الفلك السادس
يعقله المفيض للفس النباتية
لكلية الموكلة بارزاق العباد
راسرافيل هو روح الفلك
لرايح وعقله المفيض للفس
الحيوانية الكلية الموكلة
الحيوانات وعزرائيل هو
روح الفلك السابع الموكل
الارواح الانسانية كلها
قبضها بنفسه أو بالوسائط
إني هي أعوانه ويسلمها إلى
الله تعالى (واتبعوا) أي اتبع
ليوم والقوى الروحانية
ماتوا الشياطين) شياطين

الانس الذين هم المتردة
العصاة الاشرار الاقويا
وشياطين الجن وهم الاوهام
والخيلالات والتخيالات
المحبوبة عن نور الروح
العاصية لامر العقل المتردة
عن طاعة القلب (على) عهد
(ملك سليمان) النبي اوسليمان
الروح من كتب الحجر
وعلمه يزعمون انه علم سليمان
وبه استولى على الملك وسخر
ماسخر من الجن والانس
والطير وعلم الحيل والشعذة
والموهومات والتخيالات
والفسفسطة (وما كفر
سليمان) باسناد التأثير الى غير
الله اذ السحر كفر واحجاب
عن مؤثرية الله باسناد التأثير
الى غيره (ولكن الشياطين
كفروا) احتجبوا ولم يعطوا
ان لا يؤثر الا الله (يعطون
الناس السحر وما نزل على
المكئين) اى العقل النظرى
والعلمى المائلين الى النفس
المكوسين من بئر الطبيعة لتو
جهما اليها باستجداب النفس
اياهما اليها (بابل هاروت
وमारوت) الصدر لمعنيين
بضيق المكان بين اخيرة المواد
وادخنة نيران الشهوات
من العلوم والاعمال من باب
الحيل والنير نجسات
والطمس على التأويلين
(وما يعان من احد حتى

الميتة وهو يحد غيرها ولا عاد اى غير متعد ما حدله وقبل غير مستعمل لها ولا متروك منها قوله
عز وجل (ان الذين يكتنون ما نزل الله من الكتاب) نزلت في رؤساء اليهود وعلمهم وذلك
انهم كانوا يصيرون من سفلتهم الهدايا والمآكل وكانوا يرجون ان يكون النى المبعوث منهم
فلا يبعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو من غيرهم خافوا على ذهاب مآكلهم وزوال رياستهم فعمدوا
الى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتبوها فانزل الله ان الذين يكتنون ما نزل الله
من الكتاب اى فى الكتاب من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفته ووقت نبوته هذا
قول المفسرين قال الامام فخر الدين الرازى وعند المتكلمين هذا ممنوع لان التوراة والانجيل
قد بلغا من الشهرة والتواتر الى حيث تعذر ذلك فيهما بل كانوا يكتنون التأويل لانه قد كان منهم
من يعرف الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فكانوا يذكرون لها تأويلات باطلة
ويصرفونها عن محالها الصحيحة الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فهذا هو المراد بالكتمان فيصير
المعنى ان الذين يكتنون معاني ما نزل الله من الكتاب (ويشترون به) اى بالكتمان وقيل يعود
الضمير الى ما نزل الله من الكتاب (ثمانقيل) اى عوضا يسيرا وهى المآكل التى كانوا يأخذونها
من سفلتهم (او لك ما يكون فى بطونهم الا النار) يعنى ما يؤذيهم الى النار وهو الرشا والحرام
فلما كان يفضيهم ذلك الى النار فكانهم اكلوها (ولا يكلمهم الله يوم القيامة) اى كلام رجة
ما يبرهم بل يكلمهم بالتوبيخ وهو قوله اخسأ فيها وقيل اراد به القضب يقال فلان لا يكلم
فلانا اذا غضب عليه (ولا يزيهم) اى ولا يظهريهم من دنس الذنوب (ولهم عذاب اليم) اى
وجيع يصل الى قلوبهم (او لك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة) معناه انهم
اختاروا الضلالة على الهدى واختاروا العذاب على المغفرة لانهم كانوا عاقلين بالحق ولكن
كتموه واخفوه وكان في اظهار الهدى والمغفرة وفي كتمان الضلالة والعذاب فلما قد واعلى
اخفاء الحق وكتمانهم كانوا بائعين الهدى بالضلالة والمغفرة بالعذاب (فما صبرهم على النار)
اى ما الذى صبرهم واى شئ جبرهم على النار حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل فهو استفهام
بمعنى التوبيخ وقيل انه بمعنى التعجب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم فلا
أقدموا على ما يوجب النار مع علمهم بذلك صاروا كالراضين بالعذاب والصابرين عليه تعجب
من حالهم بقوله فما صبرهم على النار (ذلك بان الله نزل الكتاب) يعنى ذلك العذاب بسبب
ان الله نزل الكتاب (بالحق) فكفروا به وانكروه وقبل معناه فعلابهم ذلك لان الله انزل
الكتاب بالحق فحرفوه فعلى هذا يكون المراد بالكتاب التوراة (وان الذين اختلفوا فى الكتاب)
يعنى اختلفوا في معانيه وتأويله فحرفوها وقبل آمنوا ببعض وكفروا ببعض (لن شقاق) اى خلاف
ومنازعة (بعيد) يعنى عن الحق قوله عز وجل (ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق
والمغرب) هذا خطاب لاهل الكتاب لان البصارى تعصى قبل المشرق واليهود قبل المغرب
الى بيت المقدس وزعم كل طائفة منهم ان البر في ذلك فاخبر الله تعالى ان البر ليس فيما زعموا ولكن
فيما بينه في هذه الآية وقال ابن عباس هو خطاب للؤمنين وذلك ان الرجل كان في ابتداء الاسلام
اذا اتى بالشهادتين وصلى الى اى جهة كانت ثم مات على ذلك وجبت له الجنة فلما هاجر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونزلت الفرائض وصرفت القبلة الى الكعبة انزل الله هذه الآية فقال تعالى ليس

يقولون انما نحن فتنة (امتحان
وبلاء من الله لقوة التوربة
وحية الملكوتية فيها فينبهان
على حالهما بالنور العلى (فلا
تكفر) باستعمال هذا العلم في
المفاسد والمناهى واساد
التأثير اليه (فيتلون منها
ما يفرقون به بين المرء
وزوجه) القلب والفس
وبين الروح والنفس وتكدير
القلب (وما هم بضارين به
من احد الا باذن الله) اى اذا
اراد الله ان يضره عند ذلك
الفعل يفعل ما يريد ويكون
زيادة ابتلاء للساحر واما لاله
في كفره واحتجابه لرؤيته
ذلك من تأثير سحره
(وتتلون ما يضرهم)
زيادة الاحتجاب وشدة الميل
والهوى (ولا يضرهم) في
رفع الحجاب برؤيتهم ذلك
ابتلاء من الله واستعاذتهم
بالله ليقبهم من شره (ولقد
علوا لمن اشتراه ماله في
الآخرة من خلاق ولبئس
ما شروا به انفسهم لو كانوا
يعلمون) اى نصيب لاقباله
على النفس والهوى بالكلية
واستعمال ذلك في اكتساب
حطام الدنيا وتمتعها (ولو
اهم الآثاء) برؤية الافعال
من الله (واتقوا) الشرك
بنسبة التأثير الى غيره (للثوبة)
دائمة (من عند الله) من

البر ان تولوا وجوهكم اى في صلاتكم قبل المشرق والمغرب ولا تعملوا ذلك (ولكن البر)
يعنى ما بينته لكم والبر اسم جامع لكل الطات واعمال الخير المقربة الى الله الموجبة للثواب
والمؤدية الى الجنة ثم بين خصالا من البر فقال تعالى (من آمن بالله) اى ولكن البر من آمن
بالله فالمراد بالبر هنا الايمان بالله والتقوى من الله (واليوم الآخر) وانما ذكر الايمان باليوم
الآخر لان عبدة الاوثان كانوا يتكرون البعث بعد الموت (والملائكة) اى ومن البر الايمان
بالملائكة كلهم لان اليهود قالوا ان جبريل عدونا (والكتاب) قبل ارادته القرآن وقيل
جميع الكتب المنزلة لسباق ما بعده وهو قوله (والنبين) يعنى اجمع وانما خص الايمان بهذه
الامور الخمسة لانه يدخل تحت كل واحد منها اشياء كثيرة مما يلزم المؤمن ان يصدق بها (وآتى
المال على حبه) يعنى من اعمال البر ايتاء المال على حبه قبل ان الضمير راجع الى المال فالتقدير على
هذا وآتى المال على حب المال (ق) عن ابى هريرة قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله اى الصدقة اعظم اجرا قال ان تصدق وانت صحيح صحيح تحشى الفقر وتاهل
التقى ولا تامل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان قوله حتى اذا
بلغت الحلقوم يعنى الروح وان لم يتقدم لها ذكر وقوله لفلان كذا هو كناية عن الموصلى له
وقوله وقد كان لفلان كناية عن الوارث وقيل الضمير في حبه راجع الى الله تعالى اى وآتى
المال على حب الله وطلب مرضاته (ذوى القربى) يعنى اهل قرابة المعطى وانما قدمهم
لانهم احق بالاعطاء * عن سلمان بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة على
المسكين صدقة وعلى ذوى الرحم ثنتان صدقة وصلة اخرجه انسافى (ق) ان يموت
رضى الله عنها اعتقت وليدة ولم تستأذن السى صلى الله عليه وسلم فلما كان يومها الذى يدور
عليها فيه قالت اشعرت يا رسول الله اتى اعتقت وليدى قال او قد علمت قالت نعم قال اما انت لو
اعطيتا اخواتك كان اعظم لاجرك الوليدة الجارية (واليتامى) اليتيم هو الذى لا ابله مع
الصغير وقيل يقطع على الصغير والبالغ اى وآتى الفقراء هن اليتامى (والمسكين) جمع مسكين
سمى بذلك لانه دائم السكون الى الناس لانه لا شئ له (وابن السبيل) يعنى المسافر المقطع
عن اهله سعى المسافر ابن السبيل للازمته الطريق وقبل هو الضعيف ينزل بالرجل لانه انا وصل
اليه من السبيل وهو الطريق والاول اشبه لان ابن السبيل اسم جامع جمل للمسافر (والسائلين)
يعنى الطالبين المستطعين عن على بن ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للسائل
حق ولوجاء على فرس اخرجه ابوداود عن زيد بن اسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اعطوا السائل ولوجاء على فرس اخرجه مالك فى الموطا عن ام نجيد قالت قلت يا رسول الله
ان المسكين ليقوم على بابي فلم اجد شيئا اعطيه اياه قال ان لم تجدى الاظفار محرقا فادفعه اليه فى يده
اخرجه ابودود والترمذى وقال حديث حسن صحيح وفى رواية مالك فى الموطا عنها ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ردوا المسكين ولو بظلف محرق قوله ردوا المسكين لم يرد به رد
الحرمان وانما اراد به ردوه بشئ تعطونه اياه ولو كان ظلفا وهو خف الشاة وفى كونه محرقا
مبالغة فى قلة ما يعطى (وفى الرقاب) يعنى المكاتبين وقل هو فك النعمة وحق الرقة وفداء
الاساوى (واقام الصلاة) يعنى المفروضة فى اوقاتها (وآتى الزكاة) يعنى الواجبة (والموفون)

بصدهم) يعني ما اخذه الله من اليهود على عباده بالقيام بمحدوده العمل بطاعته وقيل اراد بالصهد ما يجعله الانسان على نفسه ابتداء من نذره وغيره وقيل الصهد الذي كان بينه وبين الناس مثل الوفاء بالمواعيد واداء الامانات (اذا عاهدوا) يعني اذا وعدوا انجزوا واذا نذروا اوفوا واذا خلفوا بروا في ايمانهم واذا قالوا صدقوا في اقوالهم واذا اثنوا ادوا (والصابرين في البأساء) اي في الشدة والفقر والفاقة (والضراء) يعني المرضى والزمانة (وحين البأس) يعني القتال والحرب في سيل الله وسمى الحرب باسم الله فيه من الشدة (ق) عن البراء قال كسا والله اذا اجر البأس نتقى به وان الشجاع منا الذي يخاض به يعني النبي صلى الله عليه وسلم قوله اجر البأس اي اشتد الحرب ونتقى به اي نجعله وقاية لامن العدو (اولئك الذين صدقوا) اي اهل هذه الاوصاف هم الذين صدقوا في ايمانهم (واولئك هم المقنون) قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصص في القتلى) نزلت في حين من احياء العرب اقتتلوا في الجاهلية بسبب قتيل فكانت بينهم قتلى وحروب وجراحات كثيرة ولم ياخذ بعضهم من بعض حتى جاء الاسلام وقيل نزلت في الاوس والخزرج وكان لاحد الحيين طول على الآخر في الكثرة والشرف وكانوا يسيئون نساءهم بغير مهر واقسموا لقتلن بالعبء من الحر منهم وبالمرأة منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين وجعلوا جراحاتهم ضغنى جراحات اولئك فرضوا امرهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية وامره بالمساواة فرضوا وسلموا وقبل انما نزلت هذه الآية لازالة الاحكام التي كانت قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان اليهود كانوا يوجبون القتل فقط بالعضو والعصا يوجبون العفو بالقتل والعرب في الجاهلية كانوا يوجبون القتل تارة ويوجبون اخذ الدية تارة وكانوا يتعدون في الحكمين فان وقع القتل على شريف قتلوا به عددا ياخذون دية الشريف اضعاف دية الخسيس فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم اوجب الله رعاية العدل وسوى بين عباده في حكم القصاص فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم اي فرض عليكم القصاص في القتلى فان قلت كيف يكون القصاص فرضا والولى مخير فيه بين العفو والقصاص واخذ الدية قلت ان القصاص فرض على القتال للولى لا على الولى وقيل اذا اردتم القصاص فقد فرض عليكم والقصاص المساواة والمماثلة في القتل والدية والجراح من قص الاثر اذا اتعته فالقول به يتبع ما فعل فيفعل به مثل ذلك فلو قتل رجل رجلا بعصا او خنقه او شدخ راسه بحجر فقاتل فيقتل القتال بمثل الذي قتل به وهو قول مالك والشافعي واحدى الروايتين عن احمد وقيل يقتل بالسيف وهو قول ابي حنيفة والرواية الثانية عن احمد (الحرب بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى) ومعه انه اذا تكافا الدمان من الاحرار المسلمين او العبيد من المسلمين والاحرار من المعاهدين او العبيد منهم فيقتل كل صنف اذا قتل بمثله الذكر بالذكر والانثى بالانثى وبالمذكر ولا يقتل مؤمن بكافر ولا حر بعبد ولا ولد بولد ويقتل الذي بالمسلم والعبد بالحر والولد بالولد هذا مذهب مالك والشافعي واحمد ويدل عليه ما روى البخارى في صحيحه عن ابي حنيفة قال سألت عليا هل عندكم من النبي صلى الله عليه وسلم شيء سوى القرآن قال لا والذي فلق الحبة وبر النعمة الا ان يؤتى الله عبدان في القرآن وما في هذه الصحيفة قلت وما في هذه الصحيفة قال العقل وفك الاسير وان لا يقتل مؤمن بكافر وقد اخرج مسلم عن علي بن نحو هذا من غير رواية ابي حنيفة العقل هنا هو الدية والعاقلة الجماعة من اواباء

الانوار اور لحيه والمواهب الفتوحية والاحوال القلبية والمعارف الالهية (خير لو كانوا يعلمون يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا رعا وقولوا انظروا واسموا ولكافرين عذاب اليم ما يود الدين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ركم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ما نسخ من آية) بابطال حكمها وابقاء لفظها (اونسها) ونذهب بها من قلبك بازالة لفظها ومعناها او لفظها دون معناها كآية الرجم (نأت بغيره) او مثلها لم تعلم ان الله على كل شيء قدير) اي بما هو اصلح في بابها منها في بابها او يساويا في الخير والاصلاح واعلم ان الاحكام المقتضية اللوح المحفوظ اما مخصوصة واما عامة والمخصوصة اما ان تخص بمحسب الاشخاص واما ان تخص بمحسب الازمة فاذا نزلت بقلب الرسول فالتى تخص بالاشخاص تبقى بقاء الاشخاص والتى تخص بالازمة تنسخ وتزال بانقراض تلك الازمة قصيرة كانت كمنسوخات القرآن او طويلة كاحكام

الشرائع المتقدمة ولا ينافي ذلك ثبوتها في الوح اذ كانت فيه كذلك والعامة تقي ما يقي الدهر كنتكم الانسان واستواء قائمه مثلا (الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض ومالك من دون الله من ولى ولا نصير) اى له ملك سموات عالم الارواح وارض الاجساد وهو المتصرف فيهما بقدرته بل كله ظاهره وباطنه فلم يبق شئ غيره ينصركم وبليكم (ام تريدون ان تسالوا رسولكم) من قبل اللذات الدينية الحسية والشهوات الخسيسة النفسية (كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان) الظلة بالنور (فقد ضل سواء السبيل) وكثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا احسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصنعوا حتى ياتي الله بأمره ان الله على كل شئ قدير واقبوا الصلاة وآتوا الزكوة وما تقدموا لانفسكم من هجير تمجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصير (الطريق المستقيم) وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى (اى قالت اليهود لن يدخل الجنة

القاتل الذين يقتلون عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاتقام الحدود في المساجد ولا يقتل الوالد بالولد اخرجته الترمذى وذهب اصحاب الراى الى ان المسلم يقتل بالذى والحر بالعبد وهذه الآية مع الاحاديث حجة لمذهب الشافعى ومن وافقه ويقولون هى مفسرة لما بهم في قوله النفس بالنفس وان تلك واردة لحكاية ما كتب على نبي اسرائيل في التوراة وهذا لاية خطاب للمسلمين بما كتب عليهم وذهب اصحاب الراى الى ان هذه منسوخة بقول النفس بالنفس وتقتل الجماعة بالواحد يدل عليه ما روى البخارى في صحيحه عن ابن عران غلاما قتل غيلة فقال عر لواشترك فيه اهل صنعا لقتلهم به قال البخارى وقال مغيرة بن حكيم عن ابيه ان اربعة قتلوا اصيبا فقال عمر مثله وروى مالك في الموطا عن ابن المسيب ان عمر قتل نغرا خمسة اوسبعة برجل واحد قتلوه غيلة وقال لوتمالا عليه اهل صنعا لقتلهم جميعا القيلة ان يقتل الرجل خديعة ومكرامن غير ان يعلم ما يراد به وقوله لوتمالا اى تعاونوا واجتمعوا عليه وقوله تعالى (فمن عني له من اخيه شئ) اى تركله وصفيح عنه من الواجب عليه وهو القصاص في قتل العمد ورضى بالدية او العفو عنها او قبول الدية في قتل العمد من اخيه اى من دم اخيه واراد بالاخ ولى المقتول وانما قيل له اخ لانه لا يسه من قبل انه اولى الدم والمطالب به وقيل انما ذكره بلفظ الاخوة ليعطف احدهما على صاحبه بما هو ثابت بينهما من الجنسية واخوة الاسلام وفي قوله شئ دليل على ان بعض الاولياء اذا عفا سقط القود وثبتت الدية لان شيا من الدم قد بطل (فاتباع بالمعروف) اى فليتبع الولى القاتل بالمعروف فلا يخذل اكثر من حقه ولا يعنفه (واداء اليه باحسان) اى على القاتل اداء الدية الى ولى الدم من غير ماطلة امر كل واحد منهما بالا حسان فيماله وعليه رقب في تقدير الآية واذا عفا ولى الدم عن شئ يتعلق بالقاتل وهو وجوب القصاص فليتبع القاتل ذلك العفو بمعروف وليؤد ما وجب عليه من الدية الى ولى الدم باحسان من غير مطل ولا مدافعة وفي الآية دليل على ان القاتل لا يصير كافرا وان الفاسق مؤمن من وجه ذلك من وجوه الاول ان الله تعالى خاطبه بعد القتل بالايان وسماه مؤمنا بقوله يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فمما مؤمنا حال ما وجب عليه من القصاص وانما وجب عليه بعد صدور القتل منه وقتل العمد والعدون من الكبراء بالاجاع فدل على ان صاحب الكبيرة مؤمن الوجه الثاني انه تعالى اثبت الاخوة بين القاتل وولى الدم بقوله فمن عني له من اخيه شئ واراد بالاخوة اخوة الايمان فلو لان الايمان باق على القاتل لم تثبت له الاخوة الوجه الثالث انه تعالى ندب الى العفو عن القاتل والعفو لا يليق الا عن المؤمن لاعتن الكافر وقوله تعالى (ذلك تخفيف من ربكم ورحمة) يعنى الذى ذكر من الحكم بشرع القصاص والعفو عن القصاص واخذ الدية تخفيف من ربكم يعنى في حقكم ورحمة وذلك لان العفو واخذ الدية كان حراما على اليهود وكان القصاص حتما في التوراة وكان في شرع العصارى اخذ الدية ولم يكتب عليهم القصاص وقيل كان عليهم العفو دون القصاص واخذ الدية فخر الله هذه الامة بين القصاص والعفو واخذ الدية توسعة عليهم وتيسيرا وتفضيلا لهم على غيرهم (فن اعتدى بعد ذلك) يعنى بعد هذا التخفيف فقتل الجاني بعد العفو او قبول الدية (فله عذاب اليم) وهو ان يقتل قصاصا ولا تقبل منه دية ولا يعفى عنه وقيل المراد بالعذاب الاليم عذاب الآخرة وقوله عز وجل (ولكم في القصاص حياة) اى بقاء وذلك ان القاصد للقتل اذا علم انه

المعهودة عندهم جنة الظاهر
وعالم الملك التي هي جنة
الافعال وجنة النفس الامن
كان هودا وقالت الصاري
لن يدخل الجنة المعهودة
عندهم اى جنة الباطن وعالم
الملكوت التي هي جنة
الصفات وجنة القلب الامن
كان نصرايا ولها قال عيسى
عليه السلام في دعوتهم الى
حتهم لن يلج ملكوت
السموات من لم يؤد مرتين
وكانت دعوته الى السماء اى
السماء الروحانية (تلك
امايهم) اى عاية مطالبهم
التي وقفوا على حدها
واختصوا بها عافوقها (قل
ها تو رهانكم) اى دليلكم
الدال على نفى دخول غيركم
جنتكم (ان كنتم صادقين)
في دعواكم بل الدليل دل على
تقبض مدعاكم فان من (بلى
اسلم وجهه) اى ذاته
الموجودة مع جميع اوازها
وعوارضها (لله) بالتوحيد
الذاتي عند المحو الكلى
والقاء في ذات الله (وهو
محسن) اى مستقيم في احواله
بالبقاء بعد الفناء مشاهد به
في اعماله راجع من الشهود
الذاتي الى مقام الاحسان
الصفاتي الذي هو المشاهدة
بالوجود الحفاتي لمكان
الاستقامة والعبادة

اذا قتل قتل ترك القتل وامتنع عنه فيكون فيه بقاءه من هم يقتله وقيل
ان نفس القصاص سبب للحياة وذلك ان القاتل اذا اقتص منه ارتدع غيره من
كان بهم بالقتل واعلم ان هذا الحكم ليس مختصا بالقصاص الذي هو القتل بل يدخل فيه جميع
الجراح والتهجاج وغير ذلك وذلك لان الجراح اذ علم انه اذا جرح جرح لم يجرح فيصير ذلك سببا لبقاء
الجراح والمجروح وورعما افضت الجراح الى الموت فيقتص من الجراح وقيل في معنى الآية ان الحياة
سلامته من قصاص الآخرة فانه اذا اقتص منه في الدنيا لم يقتص منه في الآخرة وفي ذلك حياته واذا لم
يقتص منه في الدنيا اقتص منه في الآخرة (يا اولي الاباب) اى ياذوى العقول الذين يعرفون الصواب
لان العاقل لا يريد اتلاف نفسه باتلاف غيره (لعلكم تتقون) يعنى املكم تتقون عن القتل خوف
القصاص بقوله عز وجل (كتب) اى فرض وواجب (عليكم اذا حضر احدكم الموت) اى
قرب وودنا منه وظهرت آثاره عليه من العلل والامراض المخوفة وليس المراد منه مائة الموت لانه
في ذلك الوقت يهجز عن الابصاء (ان ترك خيرا) يعنى ما لا يقل يطلق على القليل والكثير وهو
قول الزهرى فحب الوصية في الكل وقيل ان لفظة الخير لا تطلق الا على المال الكبير وهو قول
الاكثرين واختلفوا في مقدار الكثير الذين تقع فيه الوصية فقبل الف درهم فاذا زاد عليها وقيل
سبع مائة فما فوقها وقيل ستون دينارها فما فوقها وقيل انه من خمسمائة الى الف وقيل انه المال الكثير
الفاضل عن العيال وروى ان رجلا قال لعائشة انى اريد ان اوصى فقالت كم مالك قال ثلاثة آلاف
درهم قالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وهذا شئ يسير فاتركه لعيالك
(الوصية) اى الابصاء والوصية التقدم الى الغير بما يعمل به وقيل هي القول المبين لما يستأنف
من العمل والقيام به بعد الموت (لوالدين والاقربين) كانت الوصية في ابتداء الاسلام فريضة
لوالدين والاقربين على من مات وله مال وسبب ذلك ان اهل الجاهلية كانوا يوصون للابعدين
طلبا للمخز والشرف والرياء ويتركون الاقربين فقراء فاجاب الله تعالى الوصية للاقربين ثم
نسخت هذه الآية بآية المواريث وباروى عن عمر بن حارثة قال كنت آخذنا بزمام ناقه البهي
صلى الله عليه وسلم وهو يخطف فسمعت يقول ان الله اعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث
اخرجه النساءى ولزمه ذى نحوه وذهب ابن عباس الى ان وجوبها صار منسوخا في حق من
يرث وبقى وجوبها في حق من لا يرث من الوالدين والاقربين وهو قول الحسن ومسروق
وطاوس والضحاك ومسلم بن سنان وجبة هؤلاء ان الآية دالة على وجوب الوصية للوالدين
والاقربين ثم نسخ ذلك الوجوب في حق من يرث بآية الميراث وبالحديث المذكور فوجب
ان تبقى الآية دالة على وجوب الوصية للقرىب الذي لا يرث فعلى قول هؤلاء النسخ ينال
بعض احكام الآية وذهب الاكثرون من المفسرين والعلماء وفقهاء الجاهز والعراق الى ان
وجوبها صار منسوخا في حق الكافة وهى مستحبة في حق من لا يرث ويدل على استحباب الوصية
واحلت عليها ما روى عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما حق امرى مسلم له شئ
يوصى فيه وفي رواية له شئ يريد ان يوصى به ان يبيت ليلتين وفي رواية ثلاث ليل لا
ووصيته مكتوبة عنده قال نافع سمعت عبد الله بن عمر يقول ما صرت على ليلة منذ سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك الا ووصيتي مكتوبة عندى اخرجه الجماعة قوله ما حق امرى

الحق يشمل معناه على الوجوب والتدب والحث فيصل هنا على الحث في الوصية لانه لا يدري متى يأتي الموت فرما اتاه بفتنة فيمنعه عن الوصية وقوله تعالى (بالمعروف) اي بالعدل الذي لا وكس فيه ولا شطط فلا يزيد على الثلث ولا يوصي لغني ويدع الفقير (ق) عن سعد بن ابى وقاص قال جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذى عام حجة الوداع من وجع اشتدني فقلت يا رسول الله اني قد بلغني من اله جمع ما ترى وانا ذو مال ولا يرثني الا ابتلى افاصدق بثلاثى مالى قال لا قلت فالشطر يا رسول الله قال لا قلت فالثالث قال الثلث والثالث كثير انك ان تدر دزيتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس العالة الفقراء وقوله يتكففون الناس التكفف المستلة من الناس كانه من الطلب بالاكف (ق) عن ابن عباس قال في الوصية لو ان الناس غضوا من الثلث الى الربع قال النبي صلى الله عليه وسلم قال لسعد والثالث كثير وقال على بن ابى طالب لان اوصى بالجلس احب الى من اوصى بالربع ولان اوصى بالربع احب الى من ان اوصى بالثلث فن اوصى بالثلث فلم يترك وقيل يوصى بالسدس او بالجلس او الربع (حقا) اي ثابتا ثبوت نذب لا ثبوت فرض ووجوب (على المتقين) اي على المؤمنين الذين يتقون الشرك (فمن يده) اي غير الوصية من الاولياء والاوصياء وذلك التغيير يكون اما في الكتابة او في قسمة الحقوق والشهود بان يكفوا الشهادة او يغيروها واما ذكر الكتابة في بدله مع ان الوصية مؤتة لان الوصية بمعنى الايصاء كقوله فن جاءه . وعظلة اي وعظ والتقدير فن بدل قول الميت او ما اوصى به (بعدما سمعه) اي من الموصى وتحققه (فانما اثم على الذين يدلونه) اي انه اثم ذلك التبديل لا يعود الا على المبدل والموصى والموصى له بريان منه (ان الله سميع) يعني لا اوصى به الموصى (عليم) يعني يتبدل المبدل (فمن خاف) اي علم وهو خطاب عام لجميع المسلمين (من موص جنفا) يعني جورا في الوصية وعدولا عن الحق والجنف الميل (او اثما) اي ظلما (فأصلح بينهم) وقيل الجنف الخطا في الوصية والاثم العمد وقيل في معنى الآية انه اذا حضر رجل مريضا وهو يوصى فرأى يميل في وصية اما بتقصير او اسراف او وضع الوصية في غير موضعها فلا حرج عليه ان يأمره بالعدل في وصيته وينهاه عن الجنف والميل وقيل انه اراد به اذا اخطا الميت في وصيته او خاف متعمدا فلا حرج على وليه او وصيه او ولي امور المسلمين ان يصلح بدموته بين ورثته وبين الموصى لهم ويرد الوصية الى العدل والحق (فلا اثم عليه) اي فلا حرج عليه في الصلح (ان الله غفور رحيم) اي لمن اصلح وصيته بعد الجنف والميل عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل والمرأة ليعمل بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فيجب لهما النار ثم قرا ابو هريرة من بعد وصية يوصي بها او دين الى قوله ذلك القوز العظيم اخرجه ابوداود والترمذي قوله فيضاران المشار اىصال الضرر الى شخص ومعنى المضارة في الوصية ان لا تمضى او يتقص بعضها او يوصى لغيرها او يحيف في الوصية ونحو ذلك قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا كتب) اي فرض (عليكم الصيام) والصوم في اللغة الامساك يقال صام النهار اذا اعتدل وقام قائم الظهيرة ومنه قوله تعالى اني نذرت للرحن صوما اي صمتا لانه امساك عن الكلام والصوم في التبرع عبارة عن الامساك عن الاكل والشرب

لا بالوجود الفسافي (فله اجره عند رب) اي ما ذكرتم من الجنة واصفى واذا لاختصاصها بمقام العندية اي المشاهدة التي احتجبتهم عنها (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) اي وزيادة على ما لكم من الجنة وهو عدم خوفهم من احتجاب الذات وبقاء النفس اللازم لوجود بقيتهم وعدم حزنهم على ما فاتهم بسبب الوقوف بمحجبات الجنة الافعال والصفات والتلذذ بها والاستراحة فيها والاستدامة اليها من شهود جلال الذات فانهم وان تركوها بالشوق الى تجلى الذات فانها حاصلة لهم وادنى مقامهم تحت جنة الذات (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء) وقالت النصارى ليست اليهود على شيء (لا احتجابهم بدينهم عن دينهم وكذا قالت النصارى لا احتجابهم بالباطن عن الظاهر كما احتجب اليهود بالظاهر عن الباطن على ما هو حال اهل المذاهب اليوم في الاسلام (وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا علمون مثل قولهم) وفيه ما يبرهنهم الى رفع الحجاب ورؤية حق كل دين ومذهب وليس اهل ذلك الدين

والمذهب حقهم باطل لتفديهم
بمعتقدهم فما الفرق بينهم
وبين الذين لا علم لهم ولا
كتاب كالمشركين فانهم
يقولون مثل قولهم بل هم
اعذر اذ ليس عليهم الاجرة
العقل وهم بحجة العقل
والشرع (فالله يحكم بينهم)
بالحق في اختلافاتهم (يوم)
قيام (القيامة فيما كانوا
فيه يختلفون) الكبرى
وظهور الوحدة
عند خروج المهدي عليه
السلام وفي الحديث ما معناه
ان الله يجعل لعباده في صورة
معتقداتهم فيعرفونه ثم يتحول
عن صورته الى صورة
اخرى فينكرونه وحينئذ
يكونون كلهم ضالين
محبوبين الاما شاء الله وهو
الموحد الذي لم يتقيد بصورة
معتقد (وهو الظلم) اى
انقص حقا وانقص حظا
(من مع ساجد الله) اى
مواضع سجد الله التي هي
القلوب التي يعرف فيها
فيسجد بالقناء الداني (ان
يذكر فيها اسمه) الخاص الذي
هو الاسم الاعظم اذ لا يتجلى
بهذا الاسم الا في القلب وهو
الجلي بالذات مع جميع
الصفات واسمه المخصوص
بكل واحد منها اى الكمال
اللاق باستعداده المقتضى له
(وسعى في خرابها) بتكديرها

والجماع في وقت مخصوص وهو من طلوع الفجر الى غروب الشمس مع التوبة (كما كتب على
الذين من قبلكم) يعنى من الانبياء والامم من لدن آدم الى عهدكم والمعنى ان الصوم عبادة قديمة
اى في الزمن الاول ما اخلى الله امته لم يفرق عليهم ككفره عليكم وذلك لان الصوم عبادة شاقة
والشيء الشاق اذا تم سهل عليه وقيل ان صيام شهر رمضان كان واجبا على النصارى ككفره علينا
فصاموا رمضان زمانا فربما وقع في الحر الشديد والبرد الشديد وكان يشق ذلك عليهم في اسفارهم
ويضرهم في معاشهم فاجتمع رأى علمائهم ورؤسائهم ان يجعلوه في فصل من السنة معتدل بين الصيف
والشتاء فجعلوه في فصل الربيع ثم زادوا فيه عشرة ايام كفارة لما صنعوا فصاموا اربعين يوما
ثم بعد زمان اشكى ملكهم له فجعل الله عليه ان هو براء من وجهه ان يزيد في صومهم اسبوعا فزاد
فيه اسبوعا ثم مات ذلك الملك بعد زمان ووليه ملك آخر فقال لما شأن هذه الثلاثة ايام انتموهم خسين
يوما فاقتموه وقيل اصابعهم موتان فقالوا زيدوا في صيامكم فزادوا عشرة ايام بعده وقيل ان النصارى
فرض الله عليهم صوم رمضان فصاموا قبله يوما وبعده يوما ثم لم يزالوا يزيدونه يوما بعد يوم
حتى بلغ خسين فلذلك نهى عن صوم يوم السبت (لعلكم تتقون) يعنى ما حرم عليكم في صيامكم
لان الصوم وصلة الى التقوى لما فيه من كسر النفس وترك الشهوات من الاكل والجماع وغيرهما
وقيل معناه لعلكم تتقون ما فعله النصارى من تغير الصوم وقيل لعلكم تتنظفون في زمرة
المتقين لان الصوم من شعارهم (اياما معدودات) اى مقدرات وقيل قليلا قيل انه كان في
ابتداء الاسلام صوم ثلاثة ايام من كل شهر واجبا وصوم يوم عاشوراء ثم نسخ ذلك بفريضة صوم
شهر رمضان قال ابن عباس اول ما نسخ بعد الهجرة امر القبلية ثم الصوم (ق) عن عائشة قالت
كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه في الجاهلية فلما
قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صامه وامر بصيامه فلما فرض رمضان ترك عاشوراء فنشأ
صامه ومن شاء تركه وقيل ان المراد من قوله اياما معدودات ايام شهر رمضان ووجهه ان الله تعالى قال
اولا كتب عليكم الصيام وهذا يحتل صوم يوم او يومين ثم بينه بقوله معدودات على انه اكثر
من ذلك لكننا غيرهم فحصره بعد ثم بين حصرها بقوله شهر رمضان فاذا امكن ذلك فلا وجه لجل
الايام المعدودات على غير رمضان فتكون الآية غير منسوخة يقال ان فريضة رمضان زلت
في السنة الثانية من الهجرة وذلك قبل غزوة بدر بشهر وايام وكانت غزوة بدر يوم الجمعة لسبع
عشرة خلت من رمضان على راس ثمانية عشر شهرا من الهجرة (فن كان منكم مريضا او على سفر)
اى فاطر (ف) عليه (عدة من ايام اخر) يعنى غير ايام مرضه وسفره (وعلى الذين يطيقونه)
اى يطيقونه الصوم واختلف العلماء في حكم هذه الآية فذهب اكثرهم الى انها منسوخة وهو قول
عمر بن الخطاب وسليمان بن الاكوع وغيرهما وذلك انهم كانوا في ابتداء الاسلام يخبرين بن ان يصوموا او بين
ان يفطروا ويضدوا وانما اخبرهم الله تعالى لتلاشيق عليهم لانهم كانوا لم يتعودوا الصوم ثم نسخ
التخيير وزلت العزيمة بقوله تعالى فن شهد منكم الشهر فليصمه فصارت هذه الآية ناسخة للتخيير
(ق) عن سلمة بن الاكوع قال لما زلت هذه الآية وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين كان من اراد
ان يفطر ويقتدى فلحق حتى زلت هذه الآية التي بعدها فنسخها وفي رواية حتى زلت هذه الآية فن
شهد منكم الشهر فليصمه وقال قتادة هي خاصة في حق الشيخ الكبير الذي لا يطيق الصوم ولكن

يشق عليه رخص له ان يفطر ويقتدى ثم نسخ ذلك وقال الحسن هذا في المريض الذي يقع عليه اسم المرض وهو يستطيع الصوم خير بين الصيام وبين ان يفطر ويقتدى ثم نسخ وذهب جماعة منهم ابن عباس الى ان الآية محكمة غير منسوخة ومعناها وعلى الذين كانوا يطبقونه في حال الشباب ثم عجزوا عنه عند الكبر فعليهم القدية بدل الصوم وقرأ ابن عباس وعلى الذين يطبقونه بضم الياء وقفع الطاء وبالياء والمشددة المفتوحة عوض الياء وهما يكلفون الصوم (خ) عن عطاء انه سمع ابن عباس يقرأ وعلى الذين يطبقونه فدية طعام مسكين قال ابن عباس ليست بمنسوخة هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان ان يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكينا (فدية طعام مسكين) القدية الجزاء وهو القدر الذي يبذله الانسان بقية نفسه من تقصير وقع منه في عبادة ونحوها ويجب على من افطر في رمضان ولم يقدر على القضاء لكبر ان يطعم مكان كل يوم مسكينا مدام غالب قوت البلد وهذا قول فقهاء الجواز وقال بعض فقهاء العراق عليه لكل مسكين نصف صاع من كل يوم وقال بعضهم نصف صاع من البر وصاع من غيره وقال ابن عباس يعطى كل مسكين عشاء وسجوره (فن تطوع خيرا فهو خير له) يعني زاد على مسكين واحد فادام من كل يوم مسكينين فاكثروا قبل فن زاد على قدر الواجب عليه فأطعم صاعا وعليه مدفو خير له (وان تصوموا خير لكم) قيل هو خطاب مع الذين يطبقونه فيكون المعنى وان تصوموا اليها المطبقون وتحملوا المشقة فهو خير لكم من الافطار والقدية وقيل هو خطاب مع الكافة وهو الاصح لان اللفظ عام فرجوعه الى الكل اولى (ان كنتم تعلمون) يعني ان الصوم خير لكم وقيل معناه اذا صتم علم ما في الصوم من المعاني المورثة للخير والتقوى واعلم انه لا رخصة لاحد من المسلمين المكلفين في افطار رمضان بغير عذر ولا اذارا لمبجحة للفطر ثلاثة احدها السفر والمرص والحيض والنفس فهو لا اذا فطروا فعليهم القضاء دون الكفارة الباقى الحامل والمرضع اذا حاقا على وليهما افطرتا وعليه القضاء والكفارة واليه ذهب الشافعي وذهب اهل الراى الى انه لا فدية عليهما الثالث الشيخ الكبير والعوز الكبيرة والمريض الذي لا يرجى برؤه فعليهم الكفارة دون القضاء * قوله عز وجل (شهر رمضان) يعني وقت صيامكم شهر رمضان سمي الشهر شهرا لشهرته يقال للسر اذا اظهره شهره وسمى الهلال شهرا لشهرته وبانه وقيل سمي الشهر شهرا باسم الهلال واما رمضان فاشتقاقه من الرضاء وهي الجارة المحيطة في الشمس وقيل انهم لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر ايام رمضان الحرف معونه وقيل ان رمضان اسم من اسماء الله تعالى فيكون معناه شهر الله والاصح ان رمضان اسم لهذا الشهر كشهر رجب وشهر شعبان وشهر رمضان (الذي ازل فيه القرآن) لما خص الله شهر رمضان بهذه العبادة العظيمة بين سبب تخفيفه بانزال اعظم كتبه فيه والقرآن اسم لهذا الكتاب المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم روى عن الشافعي انه كان يقول اقرآن امم وليس بمحموز وليس هو من القراءة ولكنه اسم لهذا الكتاب كالتوراة والانجيل فلي هذا القول انه ليس بمشتق وذهب الاكثر الى انه مشتق من القراءة وهو الجمع فسمى قرآنا لانه يجمع السور والآيات بعضها الى بعض ويجمع الاحكام والقصاص والامثال والآيات الدالة على وحدانية الله تعالى قال ابن عباس انزل القرآن جملة واحدة من الالواح المحفوظة في ليلة القدر من شهر رمضان فوضع في بيت العزة في سماء الدنيا ثم نزل به جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة فذلك قوله

بالنمصاب الباردة وغلبة واستيلاء التثنيات عليها ومنع اهلها المسعدين عنها بالهرج والمرج وتبيح الفتن اللازمة لتجاذب قوى النفس ودواعي الشيطان والوهم (اولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين) ويصلوا اليها أى منكسرين لظهور تجلى الحق فيها (لهم في الدنيا خزي) أى اقتضاح وذلة بظهور بطلان دينهم ومعتقدهم وفضح بدين الحق وانقهارهم وتحسرهم ومغلوبيتهم (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) هو الاحتجاب عن الحق بدينهم (ولله المشرق) أى عالم الورد والظهور الذى هو جنة النصارى وقبلتهم بالحقيقة هو باطنه (والمغرب) أى عالم الظلمة والاختفاء الذى هو جنة اليهود وقبلتهم بالحقيقة هو ظاهره (فايما تولوا) أى اى جهة توجهوا من الظاهر والباطن (ثم وجهه الله) أى ذات الله المتجلى بجميع صفاته او والله الاشراق على قلوبكم بالظهور فيها والتجلى لها بصفته جلاله حالة شهودكم وفنائكم والقروب فيها بتستره واحتجابها بصورها وذواتها واختفائه بصفة جلاله حالة بئانكم بعد القضاء

فلا قسم بمواقع النجوم وروى ابو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انزلت صحف ابراهيم في ثلاث ليال مضين من رمضان وفي رواية في اول ليلة من رمضان وانزلت تورا موسى في ست ليال مضين من رمضان وانزل انجيل عيسى في ثلاث عشرة ليلة مضت من رمضان وانزل زبور داود في ثمان عشرة ليلة مضت من رمضان وانزل الفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم في الرابعة والعشرين لست بقين بعدها فلي هذا يكون ابتداء نزول القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان وهو قول ابن اسحق وابي سليمان الدمشقي وقيل في معنى الآية شهر رمضان الذي نزل بفرض صيامه القرآن كما تقول نزلت هذه الآية في الصلاة والزكاة ونحو ذلك من الفرائض يروى ذلك عن مجاهد والضحاك وهو اختيار الحسن بن الفضل (هدى للناس) يعني من الضلال (وبينات من الهدى والفرقان) فان قلت هذا فيه اشكال وهو انه يقال ما معنى قوله وبينات من الهدى بدوقوله هدى للناس قلت انه تعالى ذكر اول انه هدى ثم الهدى على قسمين تارة يكون هدى جليا وتارة لا يكون كذلك فكأنه قال هو هدى في نفسه ثم قال هو المبين من الهدى الفارق بين الحق والباطل وقيل ان القرآن هدى في نفسه فكأنه قال ان القرآن هدى للناس على الاجال وبيات من الهدى واغرقان على التفصيل لان البيات هي الدلالات الواضحات التي تبين الحلال والحرام والحدود والاحكام ومعنى الفرقان الفارق بين الحق والباطل * قوله عز وجل (فن شهد منكم الشهر فليصمه) اي فن كان حاضرا مقيما غير مسافر فادركه الشهر فليصمه والشهود الحضور وقيل هو محمول على العادة بمشاهدة الشهر وهي رؤية الهلال ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته اخر جاء في الصحيحين ولا خلاف انه يصوم رمضان من رأى الهلال ومن اخبر به واختلف العلماء في وجه الخبر عنه منهم من قال يحزى فيه خبر الواحد قاله ابو ثور ومنهم من اجراه مجرى الشهادة في سائر الحقوق قاله مالك ومنهم من اجراه مجرى الاخبار فقبل فيه خبر الواحد وجرى آخره مجرى الشهادة فلا يقبل في آخره اقل من اثنين فانه الشافعي وهذا الاحتياط في امر العبادة ادخلوها وخروجها (ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر) انما كرره لان الله تعالى ذكر في الآية الاولى تخيير المريض والمسافر والمقيم الصحيح ثم نسخ تخيير المقيم الصحيح بقوله فن شهد منكم الشهر فليصمه فلو اقتصر على هذا لاحتمل ان يشمل النسخ الجميع فاعاد بعد ذكر النسخ الرخصة للمريض والمسافر ليعلم ان الحكم باق على ما كان عليه

فصل في حكم الآية * وفيه مسائل (الاول) * اختلفوا في المرض المبيح للفطر على ثلاثة اقوال احدها وهو قول اهل الظاهر اى مرض كان وهو ما يطلق عليه اسم المرض فله ان يفطر تنزيلا للفظ المطلق على اقل احواله واليه ذهب الحسن وابن سيرين القول الثاني وهو قول الاصم ان هذه الرخصة مختصة بالمرض الذي لو صام لوقع في مشقة عظيمة تنزيلا للفظ المطلق على اكل احواله القول الثالث وهو قول اكثر الفقهاء ان المرض المبيح للفطر هو الذي يؤدي الى ضرر في النفس او زيادة علة غير محتملة كالحموم اذا خاف انه لو صام اشتدت حماؤه صاحب جمع العين يخاف لو صام ان يشتد وجع عينه قاله الراد بالمرض ما يؤثر في تقويته قال الشافعي اذا اجهد الصوم افطرا والافهوك الصحيح * المسئلة الثانية * الفطر في السفر مباح والصوم جائز وبه قال عامة العلماء وقال ابن عباس وابو هريرة وبعض اهل الظاهر لا يجوز الصوم في السفر ومن صام فليقضه واخبروا بقوله صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصيام

في السفر وحله عامة العطاء على من يجهد الصوم في السفر فالاولى له الفطر ويدل على ذلك
ملوى عن جابر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فرأى زحاما ورجلا قد ظلل عليه
فقال ما هذا قالوا صائم قال ليس من البر الصيام في السفر اخرجه البخاري ومسلم ووجه الجمهور
على جواز الصوم والفطر في السفر ما روى عن انس قال سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في رمضان فلم يصب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم اخرجه في الصحيحين **المسئلة الثالثة** **﴿**
اختلف العطاء في تدر السفر المبيح للفطر فقال داود الظاهري اى سفر كان ولو كان فرسخا وقال
الاوزاعي السفر المبيح للفطر مسيرة يوم واحد وقال الشافعي واحد ومالك اقله مسيرة ستة عشر
فرسخا يومان وقال ابو حنيفة واصحابه اقله مسيرة ثلاثة ايام **﴿** المسئلة الرابعة **﴿** اذا استهل
الشهر وهو مقيم ثم انشأ السفر في اثنائه جازله ان يفطر حالة السفر ويجوز له ان يصوم في بعض
السفر وان يفطر في بعضه ان احب يدل عليه ما روى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
خرج الى مكة عام الفتح في رمضان فصام حتى بلغ الكديد ثم افطر وافطر الناس معه وكانوا ياخذون
بالاحد فلاحث من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه في الصحيحين الكديد اسم
موضع وهو على ثمانية واربعين ميلا من مكة **﴿** المسئلة الخامسة **﴿** اختلفوا في الافضل
فذهب الشافعي الى ان الصوم افضل من الفطر في السفر وبه قال مالك وابو حنيفة وقال احد
الفطر افضل من الصوم في السفر وقالت طائفة من العلماء هماسوا وافضل الامرين ايسرهما لقوله
تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر **﴿** المسئلة السادسة **﴿** يبيح الفطر كل سفر مباح
ليس سفر معصية ولا يجوز للمعصية سفره ان يترخص برخص الشرع وقوله تعالى فعدة من ايام
اخر معناه فافطر فعليه عدة من ايام اخر فظاهر هذا انه يجوز قضاء الصوم منفردا وان كان التابع
اولى وفيه ايضا وجوب القضاء من غير تعيين لزمان القضاء فيدل على جواز التراخي في القضاء ويدل
عليه ايضا ما روى عن عائشة قالت كان يكون على الصوم من رمضان فاستطيع ان اقضي الا في
شعبان ذلك من الشغل بالنبي صلى الله عليه وسلم اخرجه في الصحيحين **﴿** يريد الله بكم اليسر **﴿**
اى التسهيل في هذه العبادة وهى اباحة الفطر للمسافر والمريض **﴿** ولا يريد بكم العسر **﴿** اى قد نفي
عنكم الحرج في امر الدين قبل ماخير رجل بين امرين فاختر ايسرهما الا كان ذلك احب الى الله
تعالى **﴿** وتكملوا العدة **﴿** اى عدد الايام التى افطرت فيها بمذر السفر والمرضى والحض لقضوا بعددها
وقيل اراد عدد ايام الشهر **﴿** ق **﴿** عن ابن عران رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشهر تسع
وعشرون ليلة فلا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فان غم عليكم فاقدروا له وفى
رواية فاكملوا العدة ثلاثين **﴿** وتكبروا لله **﴿** فيه قولان احدهما انه تكبير ليلة العيد قال ابن عباس
حق على المسلمين اذا راوا هلال شوال ان يكبروا وقال الشافعي واحب اظهار التكبير في العيدين
وبه قال مالك واحد وابو يوسف ومحمد وقال ابو حنيفة لا يكبر في عيد الفطر ويكبر في عيد الاضحي
حجة الشافعي ومن وافقه قوله تعالى وتكملوا العدة وتكبروا لله على ما هذاكم قالوا معناه وتكملوا
عدة صوم رمضان وتكبروا لله على ما هذاكم الى آخر هذه العبادة القول الثانى في معنى قوله
وتكبروا الله اى ولتعظموا الله شكرا على ما انعم به عليكم ووفقكم لقيام بهذه العبادة
﴿ على ما هذاكم **﴿** اى ارشدكم الى طاعته والى ما يرضى به عنكم **﴿** ولتكم تشكرون **﴿** الله على نعمه

مخلوقا او ما شئت فسمه
(بديع السموات والارض)
اى مبدع سمواته وارضه
غير مسبوقه بمادة ومدة
بل هى خلل ذاته ومنشأ
مالته منورة باسمه النوراني
موجودة بوجوده الخارجى
ولو لم يكن جهات الامكان
واعتبارات العقل بحسب
اليقينيات لما اعتبرت
وجوداتها اصلا اذ هى بلا
هو غير شئ فلا تكون معه
موجودة بالمقارنة بل
بالتحقق بوجوده ولا تكون
غيره بالمفارقة بل بالاعتبار
العقلى فهى باعتبار تعييناتها
خلق وباعتبار حقيقتها حق
(واذا قضى امره) اى حكمه
(فانما يقول له كن فيكون)
اى فلا يكون الا لتعلق ارادته
به فيوجد بلا تغلل زمان
ولا توسط شئ بل بها وذلك
التعلق هو قوله والالم يكن
ثم قول ولا صوت **﴿** وقال
الذين لا يعلمون **﴿** علم التوحيد
من المشركين **﴿** لولا بكتنا
الله او تأتينا آية كذلك قال
الذين من قبلهم مثل قولهم
لشاهدين قلوبهم **﴿** في الجبل
يعلم التوحيد وبكلام الله
وآياته اذ العلم بما فرغ علم
التوحيد **﴿** قد بينا الايات
لقوم يعقلون انا ارسلناك
بالحق بظهور ونذيرا

التي وحيد وكيفية المكاملة
(لقوم يوقنون) لاهل الايمان
(انا ارسلناك بالحق بشيرا
ونذيرا) ولا تستل عن
اصحاب الجحيم) اى ولا تؤخذ
باحتمالهم وما عليك ان
تقذهم من ظلمات جهنم انما
عليك ان تدعوهم بالبشارة
والانذار (ولن ترضى عنك
اليهود ولا النصارى حتى
تتبع ملتهم قل ان هدى الله
هو الهدى) اى طريق
الوحدة المخصوصة بالحق
هو الطريق لاي غير كما قال
على عليه السلام اليقين والتمثال
مضلة والطريق الوسطى
هى الجادة (ولئن اتعت
اهواءهم بعد الذى جاءك
من العلم) اى من علم التوحيد
والعرفة (مالك من الله
من ولى ولا نصير) لا متنازع
وحدود غيره (الذين
آتيناهم الكتاب يتلونه
حق تلاوته اولئك يؤمنون
به ومن يكفر به فأولئك
هم الخاسرون يا نبى
اسرائيل اذكروا نعمتى التى
وانعمت عليكم انى فضلتكم على
العالمين واتقوا يوما لا تجزى
نفس عن نفس شيئا ولا يقبل
منها عدل ولا تقصمها
شاعة ولا هم ينصرون)
واذا تنلى ابراهيم ربه
بكلمات (اى بمراتب
الروحانيات كالقلب والمسر

فصل فى فضل شهر رمضان وفضل صيامه **ق** عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
اذا دخل شهر رمضان صفدت الشياطين وقصت ابواب الجنة وغلقت ابواب النار الصفد القل اى
شدت بالاغلاق (ق) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم
من ذنبه ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه قوله ايمانا واحتسابا اى طلبا
لوجه الله تعالى وثوابه وقيل ايمانا بانه فرض عليه واحتسابا بثوابه عند الله وقيل مضاهية وعزيمة
وهو ان يصوم على اتصديق به والرغبة فى ثوابه طيبة بما نفسه غير كارهة (ق) عن ابي هريرة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل عمل ابن آدم له يضاعف الحسنة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف
قال الله تعالى الا الصوم فانه لى وانا اجزى به يدع شهوته وطعامه من اجل للصائم فرحتان فرحة
عند فطره وفرحة عند لقاء ربه وخلقوف فم الصائم عند الله اطيب من ريح المسك زاد فى رواية
والصيام جنة فاذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب فان شتمه احد او قاتله فليقل
انى صائم قوله كل عمل ابن آدم له مضاهية لانه فيه حظ لا اطلاع الخلق عليه الا الصوم فانه لا يطلع عليه احد
وانما خص الصوم بقوله تعالى وان كانت جميع الاعمال الصالحة وهو يجزى عليها لان الصوم
لا يظهر من ابن آدم يقول ولا فعل حتى تكتبه الحفظة وانما هو من اعمال القلوب بالنية ولا يطلع
عليه الا الله تعالى لقول الله تعالى انما اتولى جزاءه على ما احب لاهل حساب ولا كتاب له وقوله
والصائم فرحتان فرحة عند فطره اى بالطعام لما بلغه من الجوع لتأخذ النفس حاجتها منه وقيل
فرحة بما وفق له من اتمام الصوم الموعود عليه بالثواب وهو قوله وفرحة عند لقاء ربه لما يرى
من جزيل ثوابه وقوله وخلقوف بضم الخاء وقصها لقتان وهو تغير طم الفم وريحه لتأخير الطعام
ومعنى كونه اطيب عند الله من ريح المسك هو انشاء على الصائم والرضا بفعله لتلايمت من المواظبة
على الصوم الجالب للخلوف والمعنى ان خلوف فم الصائم ابلغ عند الله فى القبول من ريح المسك عند
احدكم قوله الصيام جنة اى حصن من المعاصى لان الصوم يكسر الشهوة فلا يواقع المعاصى قوله
فلا يرفث كمن جماعة لكل ما يريده الانسان من المرأة وقيل هو ان يصريح بذكر الجماع والخصب
الضهر والجلبة والصباح (ق) عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة
بابا يقال له باب الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة يقال اين الصائمون فيقومون لا يدخل منه
احد غيرهم فاذا دخلوا غلق فلا يدخل منه احد وفى رواية ان فى الجنة ثمانية ابواب منها باب يسمى الريان
لا يدخله الا الصائمون عن ابي امامة قال ايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله مرنى
بامر ينفعنى الله به قال عليك بالصوم فانه لا مثله وفى رواية اى العمل افضل فقال عليك بالصوم فانه
لا عدله اخرجه النسائى **ق** قوله عز وجل (واذا سألك عبداى عنى فاقى قريب) قال ابن عباس
قال يهود المدينة يا محمد كيف يسمع ربنا دعاءنا وانت تزعم ان بيننا وبين السماء خمسمائة عام وان غلظ
كل سماء مثل ذلك فترلت هذه الآية وقيل سأل بعض الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا اقريب
ربنا فتناجيه ام بعيد فتناديه وقيل انهم سالوه فى اى ساعة تدعور ربنا فترلت وقيل انهم قالوا ابن ربنا
فترلت هذه الآية وهذا السؤال لا يخلو اما ان يكون عن ذات الله او عن صفاته او عن افعاله
اما السؤال عن ذات الله فهو سؤال عن القرب والبعد بحسب الذات واما السؤال عن صفاته تعالى
فهو ان يكون السائل سأل هل يسمع ربنا دعاءنا واما السؤال عن افعاله تعالى فهو ان يكون السائل

والروح والخفاء والوحدة والاحوال والمقامات التي يعبر بها على تلك المراتب كالتسليم والتوكل والرضا وعلومها (فأتمهم) بالسلوك الى الله وفي الله حتى الفناء (قال اني جاعلك للناس اماما) بالبقاء بعد الفناء والرجوع الخلق من الحق تؤمهم وتهديهم سلوك سبيل ويتقنون بك فيمتدون (قال ومن ذريتي) اي واجل بعض ذريتي ايضا اماما (قال) قد يكون منهم ظالمون و (لننال عهدى الظالمين) ايهم اي لا يكونون خلفائي ولا عهد الى الظالمين بالامامة (واذ جعلنا البيت) بيت القلب (مثابة) اي مرجعا ومبوا (للناس وامنا) ومحل امن اوسبب امن وسلامة لهم بأمنون بالوصول اليه والسكون فيه شرغوا ثل صفات النفس وقتك فتاك القوى الطبيعية وافسادها وتخيل شياطين الوهم والمغالل واغوائهم ومكائدهم (واتخذوا من مقام ابراهيم) الذي هو مقام الروح ومقام الخلق (مصل) موطن للصلاة الحقيقة التي هي المشاهدة والواصل الى الالهية والخلة النبوية (وعهدنا الى ابراهيم) والجميل ان طهرا بيتي

سأل هل يجيب ربنا اذا دعونا فقله تعالى واذا سألك عبادي عني فاجبهم هذا الوجه كلها وقوله تعالى فاني قريب معناه قريب بالمعنى والحفظ لا يخفى على شيء وفيه اشارة الى سهولة اجابته لمن دعاه وانجاح حاجة من سأل (ق) عن ابي موسى الاشعري قال لما فرس رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا وقال توجه الى خير اشرف الناس على وادفروا اصواتهم بالتكبير الله اكبر لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها الناس اربعوا على انفسكم فانكم لا تدعون اصم ولا غابا انكم تدعون سمعا بصيرا قريبا وهو معكم قوله اربعوا على انفسكم اي ارقبوا بها وقيل معناه امسكوا عن الجهر فانه قريب يسمع دعاءكم * وقوله تعالى (اجيب دعوة الداع اذا دعان) اي اسمع دعاء عبدى الداعى اذا دعانى وقيل الدعاء عبارة عن التوحيد والثناء على الله تعالى كقول العبد يا الله لا اله الا انت فقولك يا الله فيه دعاء وقولك لا اله الا انت فيه توحيد وثناء على الله تعالى فسمى هذا دعاء بهذا الاعتبار وسمى قبوله اجابة لتجانس اللفظ وفيه اشارة الى ان العبد يعلم ان له ربا ومدبرا يسمع دعاءه اذا دعاه لا يخيب رجاء من رجاوه وذلك ظاهر فان العبد اذا دعاه وهو يعلم ان له ربا باخلاص وتضرع اجاب الله دعوته فان قلت ان انا ارى الداعى بالغ في الدعاء والتضرع فلا يجاب له فاوجه قوله اجيب دعوة الداع وقوله تعالى ادعوني استجب لكم قلت ذكر العلماء فيه اجوبة احدها ان هذه الآية مطلقة وقد وردت آية اخرى مقيدة وهى قوله بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء والمطلق يحمل على المقيد وثانها ان معنى الدعاء هنا هو الطاعة ومعنى الاجابة هو الثواب وذلك في الآخرة وثالثها ان معنى الآيتين خاص وان كان لفظهما عاما فيكون معناه اجيب دعوة الداعى اذا وافق القضاء واوجبه ان كانت الاجابة خيرا له او اوجبه اذا لم يسأل اثاما او محالا واربعا ان معناها عام اي اسمع وهو معنى الاجابة المذكورة في الآية واما اعطاء الامنية فليس بذكر فالاجابة حاصله عند وجود الدعوة وقد يجيب السيد عبده ولا يعطيه سؤله وخامسا ان للدعاء ادبا وشرائط وهى اسباب الاجابة فن استكملها واتى بها كان من اهل الاجابة ومن اخطاها كان من اهل الاعتداء في الدعاء فلا يستحق الجواب والله اعلم * وقوله تعالى (فليستجيبوا لى) يعنى اذا دعوتهم الى الايمان والطاعة كما انى اجبتهم اذ دعوتنى لحوائجهم والاجابة في اللغة الطاعة فالاجابة من العبد الطاعة ومن الله الاثابة والعتاء (وليؤمنوا بى لعلمهم يرشدون) اي لكي يهتدوا الى مصالح دينهم ودنياهم

فصل في فضل الدعاء وآدابه (ق) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعونى فاستجب له من يسألنى فاعطيه من يستغفرنى فاغفر له هذا الحديث من احاديث الصفات وفيه مذهب مشهور ان للعلماء احدى وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين انه يجب الايمان به وبانه حق على ما يليق به وبكل حله الى الله تعالى ورسوله وان ظاهره المتعارف في حقنا غير مراد ولا نتكلم في تأويله مع اعتقادنا تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوقين وعن الانتقال والحركات والمذهب الثاني مذهب اكثر المتكلمين وجاعة من السلف انها تقول على ما يليق فعلى هذا نقل عن مالك وغيره ان معناه تنزل رحته وامره وملائكته وقيل انه على الاستعارة ومعناه الاقبال على الداعين بالاجابة والاعطف وفي الحديث احدث على الدعاء والترغيب فيه عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ربكم

الذي وطأه الصدر (فأمنه)
تمتعا (قليلا) من الهاني
العقلية والمعلومات الكلية
النازلة اليهم من عالم الروح
على قدر ماتعشوا به (ثم
اضطره الى عذاب النار)
نار الحرمان والجلب
(وبئس المصير) مصيرهم
لتعذيبهم بنصقائهم وتألمهم
بحرمانهم (واذرفع ابراهيم
القواعد من البيت) قبل
ان الكعبة انزلت من السماء
في زمان آدم ولها بابان الى
المشرق والمغرب ففتح آدم
عليه السلام من ارض الهد
واستقبله الملائكة اربعين
فرسحافطاف بالبيت ودخله
ثم رفعت في زمان طوفان
نوح عليه السلام ثم انزلت
مرة اخرى في زمان ابراهيم
صلوات الله عليه فزارها
ورفع قواعدها وجعل
بابها بابا واحدا وقبل ثم
تمخض ابوقيس فانشق عن
الحجر الاسود وكان ياقوته
بيضاء من يواقبت الجنة
زله بها جبرائيل فمبئت
فيه في زمان الطوفان الى
زه في ابراهيم عليه السلام
فوصفه ابراهيم مكانه ثم
اسد علامسة النساء الحبيص
فزيا في زمان ادم اشارة
الى ظهور القلب في زمانه
بوجوده عليه وسكونه

عند الوم واجتماعهما في ثوب واحد وقيل لباس اسم لما يورى فيكون كل واحد منهما سترًا
لصاحبه عما لا يحل كجاء في الحديث من تزوج فقد احرز ثاقي دينه (علم الله انكم كنتم تختانون
انفسكم) قال ابن عباس يريد فيما اتحكم عليه وخيانتهم انهم كانوا يباشرون في ليالي الصوم والمعنى
يظنونها بالجماعة بعد العشاء وهو من الخيانة واصل الخيانة ان يؤتمن الرجل على شيء فلا يؤدي
فيه الامانة ويقال للعاصي خائن لانه مؤتمن على دينه (فاب عليكم) اي فبتم كتاب عليكم وتجاوز
عكم (وعفا عكم) اي محاذون بكم (خ) عن البراء قال لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون
النساء رمضان كله فكان رجال يخونون انفسهم فانزل الله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم
فاب عليكم وعفا عكم الآية قال ابن عباس فكان ذلك بمنافع الله به الناس ورخص لهم وبسر
(فالآن باشروهن) اي جامعوهن فهو حلاله لكم في ليالي الصوم وسميت الجماعة مباشرة
للاصق بشرة كل واحد بصاحبه (وابتغوا ما كتب الله لكم) اي ما قضى لكم في اللوح المحفوظ
يعني الولد وقيل وابتغوا الرخصة التي كتب الله لكم باباحة الاكل والشرب والجماع في اللوح
المحفوظ وقبل اطلبوا ليلة القدر (وكالوا واشربوا حتى يتبين لكم الخط الابيض من الخط
الاسود) نزلت في صرمة بن قيس بن صرمة الانصاري ويقال قيس بن صرمة وذلك انه نزل
يعمل في ارض له وهو صائم فلما اسي رجع الى اهله بتم وقال لاهله قد دعي الطعام فارادت المرأة
ان تطعمه شيئا فخذت تعمل له ذلك فلما فرغ فاذا هو قد نام وكان قد اعيا من التعب فاقطعته
فكره ان يعصى الله ورسوله واني ان ياكل واصبح صائما بمجهود اظلم ينتصف النهار حتى غشي
عاه فلما افاق اتى الى صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال يا ابا قيس مالك امسيت طليحاي مهزولا بمجهود
فاقم لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية وقوله طليحاي مهزولا بمجهود
(خ) عن البراء قال كان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اذا كان الرجل صائما فحضر الافطار
فنام قبل ان يطر لم ياكل ليلته ولا يومه حتى يمسي وان قيس بن صرمة الانصاري كان صائما فلما
حضر الافطار اتى امراته فقال عندك طعام قالت لا ولكن انطلق فاطلبك وكان يومه يعمل
فقلبت عينه فجاءته امراته فلما رآته قالت خيبة لك فلما انتصف النهار غشي عليه فذكر ذلك لابي
صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم فقرحوا بها فرحا
شديدا ونزلت وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخط الابيض من الخط الاسود من الفجر ومعنى
الآية وكلوا واشربوا في ليالي الصوم حتى يتبين لكم الخط الابيض من الخط الاسود باض
النهار من سواد الليل وسميا خيطين لان كل واحد منهما يدور في الافق بمددا كاخيط قال الشاعر

فلما اضاءت لنا سدفه * ولاح من الصبح خيط انارا

السدف اختلاط الظلام واسدف الفجر اضاء (ق) عن سهل بن سعد قال لما نزلت وكلوا واشربوا حتى
يتبين لكم الخط الابيض من الخط الاسود ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط
احدهم في رجله الخط الابيض والخط الاسود ولا يزال ياكل حتى يتبين له رؤيته فما نزل الله عز وجل
بعده (من الفجر) فعلموا انه انما يعني الليل والنهار (ق) عن عدي بن حاتم لما نزلت حتى يتبين لكم الخط
الابيض من الخط الاسود عدت الى فقال اسود وقال ابيض فجعلتهما تحت وسادتي وجعلت انظر فيه
الليل فلاة بن لي فقدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال انما ذلك سواد ليل

ذبابين شرق وغرب اشارة
الى ظهور علم المبدأ والمعاد
ومعرفة عالم النور وعالم
الظلمة في زمانه دون علم
التوحيد وقصد زيارتها
من ارض الهمد اشارة
الى توجهه بالتكوين
والاعتدال من عالم الطبيعة
الجماعية المظلمة الى مقام
القلب واستقبال الملائكة
اشارة الى تعلق القوى
الحوية والبياتية بالبدن
وظهور آثارها فيه قبل
آثار القلب في الاربعين
التي تكونت فيها بيئته
وتخمرت طينته او توحه
بالسير والسلوك من عالم
الفنس الظلماني الى مقام
القلب واستقبال الملائكة
بلقى القوى الفسسية
والبدنية اياه بقبول الاذعان
والاخلاق الحميلة والملاكات
الناضلة والثرن فيها
والتقل في المقامات قبل
وصوله الى مقام القلب
وطوافه بالبيت اشارة الى
وصوله الى مقام القلب
وسلوكه فيه مع التلوين
ودخوله اشارة الى تمكنه
استقامته فيه ورفعته في
رمان الطوفان الى السماء
شارة الى احتجاب الناس
غلبة الهوى وطوفان
لجهل في زمان نوح عليه

وياض النهر (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بلالا يؤذن بليل فكلوا
واشربوا حتى يؤذن ابن ام مكتوم قال وكان ابن ام مكتوم رجلا عمى لا ينادى حتى يقال له اصبت
اصبت واعلم ان الفجر الذي يحرم به على الصائم الطعام والشراب والجماع هو الفجر الصادق المستطير
المنتشر في الافق سربا لا الفجر الكاذب المستطيل فان قلت كيف شبه الصبح الصادق بالخيط والخيط
مستطيل والصبح الصادق ليس بمستطيل قلت ان القدر الذي يبدو من البياض وهو اول الصبح يكون
رفيقا صغيرا ثم ينتشر فلذا شبهه بالخيط والفرق بين الفجر الصادق والفجر الكاذب ان الفجر الكاذب
يبدو في الافق فيرتفع مستطila ثم يضمحل ويذهب ثم يبدو الفجر الصادق بعده منتشرا في الافق مستطيرا
(م) عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفركنكم من سحوركم اذان بلال ولا بياض
الافق المستطيل هكذا حتى يستطير هكذا وحكاها جديده قال يعني معترضا وفي رواية الترمذي
لا يمنعكم من سحوركم اذان بلال ولا الفجر المستطيل ولكن الفجر المستطير في الافق فاذا تعق طلوع
الفجر الثاني وهو الصادق حرم على الصائم الطعام والشراب والجماع الى غروب الشمس وهو قوله تعالى
ثم اتوا الصيام الى الليل يعني منتهى الصوم الى الليل فاذا دخل الليل حصل افطر (ق) عن عمر
بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قيل الليل من ههنا وادبر النهار من ههنا وغربت
الشمس فقد افطر الصائم وهل يلزم الصائم ان يتناول عد تحقق غروب الشمس شيئا فيه وجهان احدهما
نعم يلزم ذلك لثبته صلى الله عليه وسلم عن الوصال والثاني لا لانه قد حصل الفطر بمجرد دخول الليل
سواء اكل او لم يأكل وتمسكت الحنفية بهذه الآية في ان الصوم النفل يجب اتامه وناولوا لان قوله تعالى
(ثم اتوا الصيام الى الليل) امر وهو للوجوب وهو يتناول كل الصيام اجاب اصحاب الشافعي عنه
بان هذا انما ورد في بيان احكام صوم القرض فكان المراد منه صوم المرض ويدل على اماحة الفطر
من النفل ما روى عن عائشة قالت دخل النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال هل عدتم شيئا فلما
لا قال فاني اذا صائم ثم اتانا يوما آخر فقلت يا رسول الله اهدى لحييس قال اربيه فنقد اصبت صائما
فاكل اخرجه مسلم الحيس هو خلط الاقط والتمر والسمن وقد يجعل عوض الاقط دقيق او زيت
وقيل هو التريز ع نواه ويخلط بالسويق والاول اعرف بقوله عز وجل (ولا ياتشروهن وانتم
ما كفون في المساجد) الاعتكاف هو الاقبال على الشيء والملازمة له على سبيل التعظيم وهو في الشرع
عبارة عن الاقامة في المسجد على عبادة الله تعالى وسبب زول هذه الآية ان نقرأ من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم كانوا يتكفون في المسجد فاذا عرض لرجل منهم حاجة الى اهله خرج اليها
وخلابها ثم اغتسل ورجع الى المسجد فتروا ان ذلك حتى يفرغوا من الاعتكاف واعلم ان الله تعالى بين
ان الجماع يحرم على الصائم بالنهار وباح له في الليل فكان يحتمل ان يكون حكم الاعتكاف كحكم الصوم
فبين الله تعالى في هذه الآية ان الجماع يحرم على المعتكف في النهار والليل حتى يخرج من اعتكافه
فوفصل في حكم الاعتكاف الاعتكاف سنة ولا يجوز في غير المسجد وذلك لان المسجد يتميز عن سائر
البقاع بالفضل لانه بني لاقامة العظامات والعبادات فيه ثم اختلفوا فقل عن على انه لا يجوز الا في المسجد
الحرام لقوله وطهر بيتي للطائفين والماكفين والركع السجود فخصه به وقال عطاء لا يجوز الا في المسجد
الحرام ومسجد المدينة وقال حذيفة يجوز في هذين المسجدين ومسجد بيت المقدس وقال الزهري
لا يصح الا في الجامع وقال ابو حنيفة لا يجوز الا في مسجده امام ومؤذن وقال الشافعي ومالك واحد

السلام عن مقام القلب
وبقاؤه في السماء الرابعة
اي البيت المعمور الذي
هو قلب العالم ونزوله
مرة اخرى في زمان
ابراهيم عليه السلام اشارة
الى اعتدائه الناس في زمانه
الى مقام القلب بهديته
ورفع ابراهيم قواعده
وجعله ذاباب واحد اشارة
الى تلقى القلب بسلوكه
عليه السلام من مقامه الى
مقام الروح الذي هو السر
وارتفاع مراتبه ووصوله
الى مقام التوحيد اذ هو
اول من ظهر عليه التوحيد
الدائى كما قال عليه السلام
وجهت وجهى للذى فطر
السماوات والارض حنيفا
وما انا من المشركين والحر
الاسود اشارة الى الروح
وتخصى ابي قيس وانشقاقه
عه اشارة الى ظهوره
الى رايضة وتحرك آلات
البدن باستعمالها بالتفكير
والتبصير في طلب ظهوره
ولهذا قيل خبثت فيه
بمعنى احييت بالبدن
واسداده بعلامه النساء
الحيل اشارة الى اخفائه
وتكديسه بظلمة القوى
الفسانية على القلب
واسدائها عليه وتسويدها
الوجه النورانى الذى

يجوز في سائر المساجد لمهم قوله وانتم ما تكونون في المساجد الا ان المسجد الجامع افضل حتى لا يحتاج
الى الخروج من معتكفه لصلاة الجمعة (ق) عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف
العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف ازواجه بعده (ق) عن ابن عمر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان **﴿الفرع الاول﴾**
يجوز الاعتكاف بغير صوم والافضل ان يصوم معه وقال ابو حنيفة الصوم شرط في الاعتكاف ولا يصح
الا به ووجه الشافعى ما روى عن عر قال يا رسول الله انى نذرت في الجاهلية ان اعتكف ليلة
في المسجد الحرام قال فأوف بنذرك اخرجاه في الصحيحين ومعلوم انه لا يصح الصوم في الليل
﴿الفرع الثانى﴾ لا يقدر للاعتكاف زمان عند الشافعى واقله لحظة ولا حدا لكثرة فلو نذر اعتكاف
ساعة صح نذره ولو نذر ان يعتكف مطلقا يخرج من نذره باعتكاف ساعة قال الشافعى واحب
ان يعتكف يوما وانما قال ذلك للخروج من الخلاف فان اقل من الاعتكاف عند مالك وابى حنيفة
يوم بشرط ان يدخل فيه قبل طلوع الفجر ويخرج منه بعد غروب الشمس **﴿الفرع الثالث﴾**
الجماع حرام في حال الاعتكاف ويفسده وامامادون الجماع كالقبلة ونحوها فكروه ولا يفسده عد
اكثر العلماء وهو اظهر قولى الشافعى والثانى يبطل به وهو قول مالك وقيل ان ازل بطل اعتكافه
وان لم ينزل فلا وهو قول ابى حنيفة وامامالامسة بغير شهوة فجاز ولا يفسده الاعتكاف لما روى
عن عائشة انها كانت ترجل النبي صلى الله عليه وسلم وهى حائض وهو معتكف في المسجد وهى
في حجرتها ولها راسه زاد في رواية وكان لا يدخل البيت الا الحاجة اذا كان معتكفا وفي رواية وكان
لا يدخل البيت الا الحاجة الانسان اخرجاه في الصحيحين الترحيل تسريح الشعر وقولها الا الحاجة
حوايح الانسان كبيرة والمراد منهاهما كل ما يضطر الانسان اليه مما لا يجوز له فعله في المسجد وهو وضع
معتكفه وقوله تعالى **﴿تلك حدود الله﴾** معنى تلك الاحكام التى ذكرت في الصيام والاعتكاف
من تحريم الاكل والشرب والجماع حدود الله وقيل حدود الله فرائض الله واصل الحد في القصة المنع
والحد الحجز بين الشيئين الذى يمنع اختلاط احدهما بالآخر وحد الشئ الو - ف المحيط بمناه
الميزله عن غيره وقيل معنى حدود الله المقادير التى قدرها ومنع من مخالفتها **﴿فلا تقربوها﴾** اى فلا
تأتوها ولا تغشوها فان قلت في الآية اشكالان اما الاول فهو انه قال تلك حدود الله وهو اشارة الى
ما تقدم من الاحكام وبعضها فيه اباحة وبعضها فيه حظر فكيف قال في الجمع فلا تقربوها الاشكال
الثانى هو انه تعالى قال في هذه الآية تلك حدود الله فلا تقربوها وقال في آية اخرى تلك حدود الله
فلا تمسوها وقال في آية اخرى ومن بعض الله ورسوله ويتعد حدوده فكيف الجمع بين هذه الآيات
قلت الجواب عن السؤالين من وجهين اما الاشكال الاول فجوابه ان الاحكام التى تقدمت فيما قبل
وان كانت كثيرة الا ان اقربها الى هذه الآية قوله تعالى ولا تبشروهن وانتم ما كفون في المساجد
وذلك يوجب تحريم الجماع في حال الاعتكاف وقال قبلها ثم اتوا الصيام الى الليل وذلك يوجب تحريم
الاكل والشرب في النهار لما كان الاقرب الى هذه الآية جانب التحريم قال تلك حدود الله فلا تقربوها
والجواب عن الاشكال الثانى ان من كان في طاعة الله تعالى والعمل بفرائضه فهو منصرف في حيز خلق
فمنه ان يتعدا فيقع في حيز الباطل ثم يولغ في ذلك فمضى ان يقرب الحد الذى هو الحاجز بين حيزى الحق
والباطل فلا يداى الباطل فيقع فيه فهو كقوله صلى الله عليه وسلم كالراعى يرعى حول الحمى يوشك

يل الروح مه وكذا
اسمى ايضا كان من
الوحيد لعظمه عليه في
رفع قواعدا البيت واسمى
ربنا قبل ما انك انت
الجميع العليم ربنا
واجعلنا مسلمين لك ومن
ذريتنا امة مسلمة لك وارنا
ما سكتا وتب علينا
انك انت التواب الرحيم
اي لا تكلنا الى انفسنا فنسلم
بانفسنا بل بك وبمحطك
(ربنا وابعث فيهم رسولا
منهم يتلوا عليهم آياتك
ويعلمهم الكتاب والحكمة
وزكهم انك انت العزيز
الحكيم) هو محمد صلى الله
عليه وسلم ولهذا قال عليه
السلام انا دعوة ابي
ابراهيم وبشرى عيسى
ورؤيا ابي وقد رأت في
المام ان نور اخرج منها
فاضت لها قصور الشام
(ومن يرغب عن ملة
ابراهيم) اي ملة التوحيد
(الامن سفة نفسه) الامن
احجب عن نور العقل
بالكلية ونقى في مقام
ظلة نفسه اي نفسا على
التمييز اوفى نفسه على
استزاع الخافض (وقد
اصطفى في الدنيا) اي
من سكان من المحبوبين
المرادين بالسابعة الازلية

فيقول لمراد بحدودهنا محارمه ومناهيه لقوله ولا تبشروهن وانتم عاكفون في المساجد
من التهرم فهي حدود لا تقرب (كذلك) اي كايين لكم ما امركم به ونهاكم عنه
(بين الله آياته) اي ما علم دينه واحكام شريعته (لناس) مثل هذا البيان الشافي
الواقي (للمؤمنين) اي لكي يتقوا ما حرم عليهم فينبصون العذاب * قوله عز وجل (ولا تأكلوا
اموالكم بينكم بالباطل) زلت في امرئ القيس بن عباس الكندي ادعى عليه ربيعة بن عبدان
الحضرمي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في ارض فقال رسول الله لي الله عليه وسلم للحضرمي
انك بينة قال لا قال فلك عينة فانطلق ليحلف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان حلف على ماله
ليأكله ظلما ليقين الله وهو عنه معرض فانزل الله هذا الآية والمعنى لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل
اي من غير الوجه الذي اباحه الله واصل الباطل الشيء الداهي

فصل اما حكم الآية فأكل المال بالباطل على وجوه الاول ان يأكله بطريق التمدي والتهب
والنصب الثاني ان يأكله بطريق الهوك كالقمار واجرة المغني وثمان الجرو والملاهي ونحو ذلك
الثالث ان يأكله بطريق الرشوة في الحكم وشهادة الرور الرابع الحياة وذلك في الودعة والامانة
ونحو ذلك وانما عبر عن اخذ المال بالاكل لانه المقصود الاعظم ولهذا وقع في التعارف فلان يأكل
اموال الناس بمعنى يأخذها بغير حلها (وتدلوها الى الحكماء) اي وتلقوا امور تلك الاموال التي
فيها الحكومة الى الحكماء قال ابن عباس هذا في الرجل يكون عليه المال وليس عليه بينة فيمضد
ويخاصم الى الحكماء وهو يعلم ان الحق عليه وهو آثم بمعه وقيل هو ان يقيم شهادة الرور عند الحكماء وهو
يعلم ذلك وقيل معانوا لا تأكلوا المال بالباطل وتنسبوا الى الحكماء وقيل لا تدل على اخيك الى الحكماء وان
تلم انك ظالم فان قضاء لا يحل حراما وكان شريح القاضي يقول انني لا قضى لك واني لا ظلم ظالما
ولكني لا بدعني الا ان اضي بما يحضرني من البينة وان قضائي لا يحل لك حراما (ق) عن ام سلمة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع جليلة خصم باب جبرته فخرج اليهم فقال انما انا بشر وانه
يأتيني الخصم فلعل بعضهم ان يكون الملع من بعض وفي رواية الحسن بحجته من بعض فاحسب
انه صادق فأقضى له فن قضيت له بحق مسلم فاعاها قطعة من النار فليصمها او يدها قولها سمع
جليلة خصم يعني اصوات خصم قوله الحسن بحجته يقال فلان الحسن بحجته من فلان اي اقوم بهامه
واقدر عليها من الحسن بفتح الحاء هو القطة (تأكلوا امرضا) اي طائفة وقطعة (من اموال الناس
بالاثم) يعني بالظلم وقال ابن عباس باليمين الكاذبة وقيل بشهادة الزور (وانتم تعلمون) يعني
انكم على الباطل * قوله عز وجل (يسألونك) اي يا محمد (عن الاهلة) زلت في معاذن حل
وثلمة بن غنم الانصاريين قال ابا رسول الله مبال الهلال يدود قيقام زيد حتى يتلى نور اثم لا يزال
ينقص حتى يدود قيقا كابدوا لا يكون على حال واحدة فانزل الله يسألونك عن الاهلة وكان هذا
سؤالهم على وجه الفائدة عن وجه الحكمة في تعيين حال الهلال في الزيادة والنقصان والاهلة
جمع هلال وهو اول واحال القمر حين يراه الناس اول ليلة من الشهر (مل هي مواقيت الناس) جمع
مواقات والمعنى انما قلنا ذلك لصلح دينية وديوية ليعلم الناس اوقات جهنم وصومهم وافصاهم
وعمل دينهم واجازهم وهذا لتمام اوقات الحيف وغير ذلك من الاحكام المتعلقة بالاهلة
ولهذا خاف بينهم وبين الشمس التي هي دائمة على حالة واحدة (والحج) اي والجمع وانما فرادى الحج

فاخترناه حالة انفساء في التوحيد (وانه في الآخرة) في حالة البقاء بعد الفناء من اهل الاستقامة (لن الصالحين) لتدبير النظام وتكميل النوع (اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين) اى وحد واسلم ذاتك الى الله بمعنى جعله في الازل من اهل الصف الاول مسلما وحدا مدعنا لرب العالمين فانما فيه (ووصى بها) اى بكلمة التوحيد (ابراهيم بنه ويعقوب) بنه نسيا (يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين) اى دينه الذى يدين به الموحد لا دين له غيره ولا ذات فدينه من الله وذاته ذات الله فلا تموتن الا وانتم مسلمون ام كنتم شهداء الا حضر يعقوب الموت الا قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك والله آباءك ابراهيم واسماعيل واسحق اله واحد وانحن له مسلمون) الاعلى هذا الدين اى لا تموتن بالموت الطبيعى بموت الجمل بل كونوا هيتين بانفسكم احياء بالله ابطا فيدركم موت البدن على هذه الحالة (تلك) مرة قد دخلت لها ما

بالذكروان داخلا في جملة العبادات لقاعدة عظيمة وهى ان العرب في الجاهلية كانت تسبح بالعدد وتبدل الشهور فابطل الله ذلك من فعلهم واخبر ان الحج مقصور على الاشهر التى فيها قرض الحج بالالهة وانه لا يجوز قتل الحج عن تلك الاشهر التى عينها الله تعالى له كما كانت العرب تقفل بالنسيء (وليس البربان تأتوا البيوت من ظهورها) عن البراء قال نزلت هذه الآية فينا فكانت الانصار اذا جئوا الجأؤا لم يدخلوا من قبل ابواب البيوت فجاء رجل من الانصار فدخل من قبل بابه فكانه غير ذلك فترلت وليس البربان تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها وفي رواية كانوا اذا احرموا في الجاهلية اتوا البيوت من ظهورها فانزل الله هذه الآية وقيل كان الناس في الجاهلية وفي اول الاسلام اذا احرم الرجل منهم لم يدخل حائطه ولا داره ولا فسطاطا من بابه فان كان من اهل المدر فقب نقيب ظهر بيته منه يدخل ويخرج او يتخذ سلا يصعد منه وان كان من اهل الوباء فخرج من خلف الخباء ولا يدخل ولا يخرج من الباب ويرون ذلك براو كانت المحرمون قريش وكنانة وخزاعة ومن دان بدينهم سمو احسا لتشديدهم في دينهم والحجامة الشدة كانوا اذا احرموا لم يدخلوا بيتا البتة ولم يستظلوا باظل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل حائما فدخل رجل من الانصار معه وقيل كانت المحرمات لا يبالون بذلك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل ذات يوم بيتا فدخل على اثره رجل من الانصار يقال له رفاعه بن التابوت من الباب وهو محرم فانكر واغلبه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لم دخلت من الباب وانك محرم فقال رايك دخلت فدخلت على اثره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى احسى فقال الرجل ان كنت احسيا فانا احسى رضى بهديك وستك وديتك فانزل الله تعالى هذه الآية وقال الزهري كان ناس من الانصار اذا اهلوا بالعمرة لم يحملوا بئهم وبين السماء شيئا وكان الرجل يخرج بهلا بالعمرة فتبدوله الحاجة بعدما خرج من بيته فيرجع ولا يدخل من باب الحجر من اجل سقف الباب ان يحول بينه وبين السماء فيفتح الجدار من ورائه ثم يقوم في حجرته فيأمر بحاجته ثم بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل زمن الحديبية بالعمرة فدخل حجره فدخل رجل من الانصار من بين سلة على اثره فقال النبي صلى الله عليه وسلم لم فعلت ذلك قال لاني رايك دخلت فقال عليه الصلاة والسلام انى احسى فقال الانصارى وانا احسى يقول انا على ديك فانزل الله تعالى وليس البربان تأتوا البيوت من ظهورها (ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها) يعنى في حال الاحرام وغيره (واقفوا الله لعلكم تفلحون) بقوله عز وجل (واقفوا في سبيل الله) اى في طاعة الله وطلب رضوانه (ق) عن ابي موسى الاشعري قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقا تل حجة ويقا تل رياء اى ذلك في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله (الذين يقاتلونكم) كان في ابتداء الاسلام امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالكف عن قتال المشركين ثم لما هاجر الى المدينة امر بقتال من قاتله منهم بهذه الآية قال الربيع بن انس هذه اول آية نزلت في القتال ثم امر الله بقتال المشركين كافة قاتلوا ولم يقاتلوا بقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة بقوله اقتلوه حيث ثقتهم وهم فصارت آية السيف ناصحة لهذه الآية وقيل انها محكمة ومعناها على هذا القول وقاتلوا في سبيل الله الذين اعدوا انفسهم للقتال فاما من لم يعد نفسه للقتال كاربعة والشيوخ والزمنى والكافين والمجانين فلا تقاتلوه لانهم لم يقاتلواكم وهو قوله تعالى (ولا تفتنوا) وقاتلوا

(ولا تقاتلوا)

كسبت ولكم ما كسبتم
ولا تسئلون عما كانوا
يعملون (اى لا تكونوا
مقلدين ولا تكتفوا
بالتقليد الصرّف في الدين
اذلا اعتماد على القل
فليس لاحد الا ما كسب
من العلم والعمل والاعتقاد
والسيرة لا يجازى احد
بمعتقد غيره ولا بعمله فكفونا
على بصائرهم واطلبوا
اليقين واعلموا عليه (وقالوا
كونوا هودا او نصارى
تهتدوا) كل محبوب بدنه
يزعم ان الحق دینه لأفیر
(قبل ملة ابراهيم حنيفا
وما كان من المشركين)
فان الهدى المطلق هو
التوحيد الذى يشمل كل
دين ويرفع كل حجاب كما
ذكر بعده في قوله (قولوا
آمن بالله وما انزل اليانا وما
انزل الى ابراهيم واسماعيل
واسحق ويعقوب والاسباط
وما اوتى موسى وعيسى
وما اوتى اليبون من ربهم
(لافرق بين احد منهم
ونحن له مسلمون بنى دين
العضى وابطال ملته واثبات
الآخر حقيقته بل نقول
باجتماعهم على الحق واتفاقهم
على التوحيد وقبل جميع
اديانهم بالتوحيد الشامل
لكلها (فان آمنوا بمن

ولا تملوا النساء والصبيان والشيوخ والرهبان ولا من اتى اليكم السلام (م) عن بريدة قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا امر ابراهيم على جيش اوسرية او صاه في خاصته بتقوى الله ومن معه
من المسلمين خيرا ثم قال اغزوا بالله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغتلوا ولا تغتدوا ولا تمثلوا
ولا تقتلوا وليدا قوله ولا تغتلوا القتل الخيانة وهو ما يحفيه احد القزاة من الغنيمة وقوله
ولا تغتدوا اى ولا تنقضوا العهد وقيل في معنى الآية لا تغتدوا اى لا تبدؤهم بالقتال فلي هذا
القول تكون الآية منسوخة بآية القتال قال ابن عباس لما صدم المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم
عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلو له مكة ثلاثة ايام يطوف بالبيت فلما تجهز رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه لعمرة القضاء خافوا ان لا تفي قريش بما قالوا ويصدوهم عن البيت وكره
المسلمون قتالهم في الشهر الحرام وفي الحرم فانزل الله وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم فاطلق
لهم قتال الذين يقاتلونهم في الشهر الحرام وفي الحرم ورفع عنهم الحرم والجناح في ذلك
وقال ولا تغتدوا ابتداء القتال (ان الله لا يحب المعتدين) قوله عز وجل (وقاتلوهم) وقاتلوهم
حيث تفقتوهم (اى حيث وجدتموهم وادركتموهم في الحل والحرم وتحقيق القول فيه ان الله
تعالى امر بالجهاد في الآية الاولى بشرط اقدام الكفار على القتال وفي هذه الآية امرهم بالجهاد
معهم سواء قاتلوا اولم يقاتلوا واستثنى منه المقاتلة عند المسجد الحرام (واخرجوهم من حيث
اخرجوكم) اى واخرجوهم من ديارهم كما اخرجوكم من دياركم (والفتنة اشدهن القتل)
يعنى ان شرهم بالله اشد واعظم من قتلهم اياهم في الحرم والاحرام وانما سمى الشرك بالله فتنة
لانه فساد في الارض يؤدى الى الظالم وانما جعل اعظم من القتل لان الشرك بالله ذنب يستحق
صاحبه الخلود في النار وليس القتل كذلك والكفر يخرج صاحبه من الامة وليس القتل
كذلك فثبت ان الفتنة اشدهن القتل (ولا تغتالوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه)
اختلف العلماء في هذه الآية فذهب مجاهد في جماعة من العلماء الى انها محكمة وانه لا يحل ان يقاتل
في المسجد الحرام الا من قاتل فيه وهو قوله (فان قاتلوكم فقاتلوهم) اى فقاتلوهم وثبت في
الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان مكة لا تحل لاحد قبلى ولا تحل لاحد بمدى
وانما احلت لي ساعة من نهار ثم عادت حراما الى يوم القيامة فثبت بهذا تحريم القتال في الحرم
الا ان يقاتلوا فيقاتلوا ويكون دفاعهم وذبح قتادة الى ان هذه الآية منسوخة بقوله اقاتلوا
المشركين حيث وجدتموهم فامر بقتالهم في الحل والحرم وقيل انها منسوخة بقوله وقاتلوهم
حتى لا تكون فتنة (كذلك جزاء الكافرين فان اتوا) يعنى عن القتال وقيل عن الشرك والكفر
(فان الله غفور) يعنى للسلف (رحيم) يعنى بعباده حيث لم يعاجلهم بالعقوبة (وقاتلوهم)
اى وقاتلوا المشركين (حتى لا تكون فتنة) اى شرك والمعنى وقاتلوهم حتى يسلموا ولا يقل
من الوثقى الا الاسلام واقتل بخلاف الكتابي والفرق بينهما ان اهل الكتاب معهم كتب
منزلة فيها شرائع واحكام يرجعون اليها وان كانوا قد حرفوا وبدلوا فامهلهم الله تعالى بحرمه
تلك الكتب من القتل وامر باصغارهم واخذ الجزية منهم لينظروا في كتبهم ويتدبروها
فيفقوا على الحق منها فيقبضوه كفضل مؤمنى اهل الكتاب الذين عرفوا الحق فسلموا وامابدة
الاصنام فلم يكن لهم كتاب يرجعون اليه ويرشدوهم الى الحق فكان اهلهم زيادة في شرهم

وكفرهم فاني الله عز وجل ان يرضى منهم الا بالاسلام لموا القتل (ويكون الدين لله) أي العاقبة و
 للمعاذلة وحده فلا يبعد من دونه شيء (فان اشبوا) يعني من القتل وقيل من الشرك والكفر (فلا
 عدوان) أي فلا سيل (الا على الظالمين) قاله ابن عباس في القول الاول تكون الآية منسوخة بآية
 السيف وعلى القول الآخر الآية محكمة وقيل مضاعفة لتلويح الا الظالمين سمي جزاء الظالمين ظمنا على سيل
 المشاكلة وسمى الكافر ظمنا لوضعه العباد في غير موضعهما قوله عز وجل (الشهر الحرام بالشهر الحرام)
 نزلت في عمرة القضاء وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج معتمرا في ذي القعدة سنة ست من الهجرة ففصل
 المشركون عن البيت بالجدية فصالح اهل مكة على ان ينصرف عامه فالتكبير يرجع من قابل فيفضي
 عمرته فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع في ذي القعدة سنة سبع ففضي عمرته وذلك
 قوله تعالى الشهر الحرام يعني ذا القعدة الذي دخلتم فيه مكة وقضيت عمرتكم بالشهر الحرام الذي
 صدتم فيه عن البيت (والحرمت) جمع حرمة وانما جعت لانه اراد حرمة الشهر وحرمة البلد
 وحرمة الاحرام (قصاص) القصاص المساواة والمماثلة وهو ان يفعل بالفاعل مثل ما فعل والمعنى
 انهم لا يمنعوك من العمرة واضاعوا هذه الحرمات في سنة مستفدة وققم حتى قضيتوها على رغبتهم في سنة
 سبع وقيل هذا في القتال ومعناه فان بدوكم بالقتال في الشهر الحرام فاقتلوه فيه فانه قصاص (فمن
 اعتدى عليكم) أي بالقتال (فاعتدوا عليه) أي فقاتلوه (بمثل ما اعتدى عليكم) سمي الجزاء
 بالاعتداء على سيل المشاكلة (واتقوا الله واعلموا ان الله مع التقيين) قوله عز وجل (واتقوا
 في سيل الله) يعني به الجهاد وذلك ان الله تعالى لما امر بالجهاد والاشتغال به يحتاج الى الاتفاق فامر به
 والاتفاق هو صرف المال في وجوه المصالح الدينية كالاتفاق في الجح والعمرة وصلة الرحم
 والصدقة وفي الجهاد وتجهيز الفزاة على النفس والعيال وغير ذلك بموافقة قربة لله تعالى لان كل ذلك
 مما هو في سيل الله لكن اطلاق هذه اللفظة ينصرف الى الجهاد (خ) عن ابي هريرة ان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا في سيل الله ايمانوا واحتسابا بالله تصديقاً بعباده من شهوره
 وروثه وبوله في يزياد يوم القيامة يعني حسنات عن خريم بن فاتك قال قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم من اتفق نفقة في سيل الله كتب الله له سبعمائة ضعف اخرجه الترمذي والنسائي (ولا تلقوا
 بأيديكم الى التهلكة) قيل الباء زائدة ومعناه لا تلقوا ايديكم الى التهلكة والمراد بالايدي الانفس
 والمعنى ولا تلقوا انفسكم الى التهلكة عبر بالايدي عن الانفس وقيل الباء على اصلها وفي الكلام
 حذف تقديره ولا تلقوا انفسكم بأيديكم الى التهلكة كما قال اهلك فلان نفسه بيده اذا نسب في هلاكها
 وقيل التهلكة كل شيء تصير حاقبة الى الهلاك وقيل التهلكة ما يمكن الاحتراز عنه والهلاك ما لا يمكن
 الاحتراز عنه ومعنى الآية النهي عن ترك الاتفاق في سيل الله لانه سبب الاهلاك قال ابن عباس
 اتفق في سيل الله وان لم يكن لك الاسم او مشقص ولا يقول احدكم لا اجد شيئا السهم هنا هو ما يرمى
 به والمشقص سهم فيه فصل عريض وقيل كان رجال يخرجون في البوath بغير نفقة فاما ان ينقطع
 بهم واما ان يكونوا عالة فامرهم الله تعالى بالاتفاق على انفسهم في سيل الله ومن لم يكن هذه
 شيء يثق عليه في الفز ولا يخرج للتلاقي نفسه في التهلكة وهو ان يملك من الجوع والعطش والمشي
 وقيل نزلت الآية في ترك الجهاد (ت) عن ابي عمران واسمه اسم قال كنا بمدينة الروم فخرجوا لما
 سقا عظيم من الروم فخرج اليهم من المسلمين مثلهم ليو ايكشيوه لاهل مصر حقيقة بن طاهر وعلى

ما آمنتم به) من التوحيد
 الجامع من كل دين ومذهب
 (قد اختلفوا) الاختلاف
 المطلق أي كل الاختلاف
 (وان تولوا فانما هم في
 شقاق) فسيكفيهم
 الله وهو السميع العليم في
 طرف من الدين وشق من
 الهداية يشاقونكم فيه
 (صبغة الله ومن احسن
 من الله صبغة ونحن له
 عابدون قل اتحابونا في
 الله وهو ربنا وربكم ولنا
 اعمالنا ولكم اعمالكم ونحن
 له مخلصون ام تقولون ان
 ابراهيم واسماعيل واسحق
 يوسف والاسباط كانوا
 يهودا او نصارى قل انتم
 اعلم ام الله ومن اعظم بمن
 اكرم شهادة عنه من الله
 وما الله بضائل عما تعملون
 تلك امة قد خلت لهما ما
 سببت ولكم ما كسبتم ولا
 تسئلون عما كانوا يعملون
 أي آمنا بالله وصبغنا الله
 صبغة فان كل ذي اعتقاد
 ومذهب باطنه مصبوغ
 بصغ باعتقاده ودينه
 ومذهبه فالتعبدون بالملل
 المتفرقة مصبوغون بصغ
 نيتهم والتميز هيون بصغ
 امامهم وقائدهم والحكماء
 بصغ طهر لهم واهل الاهواء
 والبذخ المتفرقة بصغ

الجماعة فضالة بن عبيد غفل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فضاح الناس
سبحان الله يلقى يديه الى التهلكة فقام ابوابوب الانصارى فقال ايها الناس انكم لتؤولون هذه
الآية هذا التأويل وانما نزلت هذه الآية نينا معشر الانصار لما اعز الله الاسلام وكثر
ناصروه فقال بعضنا لبعض سرادون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اموالنا قد ضاعت
وان الله قد اعز الاسلام وكثر ناصرره فلو اقمنا فاصحنا ماضع . بها فانزل الله
تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم رد علينا ما قلنا وانفقوا في سبيل الله ولا تاتقوا بايديكم الى
التهلكة فكانت التهلكة الاقامة على الاموال واصلاحها وتركها الغزو فمال ابوابوب
شاخصا في سبيل الله حتى دفن بارض الروم وقال حديث غريب صحيح مات ابوابوب في آخر
غزوة غزاها بارض قسطنطينية ودفن في اصل سورها فهم يتركون بقره ريسنسون به (م)
عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من مات ولم يغز ولم
يحدث نفسه به مات على شعبة من النفاق قال ابن المبارك فزى ان ذلك كان على عهد النبى
صلى الله عليه وسلم وقيل الالتقاء الى التهلكة هو ان يقط من رحمة الله وهو ان ارسل يصيب
الذنب فيقول قد هلكت ايسلى توبة فيأس من رحمة الله وينهمك على المعاصى فهو انفق وط
قضى الله عن ذلك وقيل فى معنى الآية انفقوا في سبيل الله ولا تقولوا اننا خاف النقران انفقوا
فهلك فنهوا ان يجعلوا انفسهم هالكين بالاتفاق (خ) عن حذيفة قال انفقوا في سبيل الله
ولا تلتقوا بايديكم الى التهلكة قال نزلت في الفقة (واحسنوا) اى بالاتفاق على من تلممكم
مؤته ونفقته وقيل احسنوا في الاتفاق ولا تسرفوا ولا تقتروا نهبوا عن الاسراف والافتار
في الانفاق وقيل معناه واحسنوا في اداء فرائض الله تعالى (ان الله يحب المحسنين) اى
يحبهم على احسانهم * قوله عز وجل (واتموا الحج والعمرة لله) قال ابن عباس هو ان يتمما
بمناسكهما وحدودهما وسنهما وقبل اتمامهما ان تحرم لهما من ديرة اهلك وقيل هو ان تنفرد
لكل واحد منهما سفرا وقيل اتمامهما ان تكون النقة حلالا وتنتهى عما نهى الله عنه وقيل
اتمامهما ان تخرج من اهلك لهما لا للتجارة ولا الحاجة وقيل اذا شرع فيهما وجب عليه الاتمام
فوفصل واتفقت الامة على وجوب الحج على من استطاع اليه سبيلا * عن ابى هريرة قال خطبا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل انى كل عام
يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما
استطعتم وفى وجوب العمرة قولان للشافعى صحهما انها واجبة وهو قول على وابن عروا بن عباس والحسن
وابن سيرين وعطاء وطاوس وسعيد بن جبير ومجاهد واليه ذهب احمد بن حنبل والقول الثانى
انها سنة ويروى ذلك عن ابن مسعود وجابر وابراهيم والشعبى واليه ذهب مالك وابو حنيفة
من اوجب العمرة ماروى فى حديث الضبي بن سعيد انه قال لعمر بن الخطاب انى وجدت الحج والعمرة
مكتوبين على وائى اهللت بهما فقال هديت لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم اخرجه ابوداود
والنسائى باطل من هذا وجه الدليل انه اخبر عن وجوبها عليه وصوبه عرويين انه مهتد بما رآه
فى وجوبها عليه لسنة النبي صلى الله عليه وسلم وروى عن ابن عباس انها كقرينها فى كتاب الله واتموا
الحج والعمرة لله وعن ابن عرق قال الحج والعمرة فريضتان وعنه ليس احب من خلق الله الا ودية حجة

اهوا انهم ونفوسهم
والموحدون بصيغة الله
خاصة التى لا يصغ احسن
منها ولا يصغ بعدها كما قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله تعالى خلق
الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم
من نوره فمن اصاب من ذلك
الور اهتدى ومن اخطا
ضل فذلك الور هو صفته
(سيعول السفهاء من الناس)
سماهم سفهاء خفاف العقول
لعدم وفاء عقولهم باذراك
حقيقة دين الاسلام
وقضائهم على ما عرفت بحق
مذهبها ووقوفها به ولذلك
كانت محاجتهم فى الله مع
اتفاقهم فى التوحيد
واختصاص المسلمين
بالاخلاص اذ اودركوا
الحق لادركوا اخلاصهم
فانتمى بمحاجتهم معهم ولو كانت
عقولهم رزية لاستدلت
بالآيات وادركت فى كل
دين ومذهب حقه وفترت
بين ذلك الدين الحق
الذى هو كالروح لذلك
وبين باطل اهلله الذى
اختلف به ولبسه خاصة
دين الاسلام فان كله حق
بل هو حق الحقوق ولذلك
جعلوا امة وسطا على عدولا
بين الامم فضلا شهداء
عليهم (ماولهم عن قباتهم

التي كانوا عليها) لانهم كانوا
مقيدين بالجهة فلم يقبلوا
الا مقيدا ولم يعرفوا
التوحيد الوافي بالجهات
كلها (قل لله المشرق
والمغرب) على ما مر من
التأويلين (يهدي من يشاء
الى صراط مستقيم) اى
طريق الوحدة التي تساوى
الجهات بالنسبة اليها لكون
الحق المتوجه اليه لا في
جهة وكون الجهات كلها
فيه وبه وله كما قال اية تولوا
ثم وجه الله * ومعنى
شهادتهم على الناس وشهادة
الرسول عليهم اطلاقهم
بنور التوحيد على حقوق
الاديان ومعرفة بحق
اهل كل دين وحق كل دى
دين من دينه وباطلهم الذى
ليس حقهم الذى هو
مختزعات نفوسهم وتغاياها
واكاذيب اخبارهم
وملفقاتهم ووقوفهم على
حديثهم وابطالهم لا عدا
من الاديان واحتجابهم
وتقيدهم بظواهره دون
التحقق الى باطنه واصله
والاعرفوا حقيقة دين
الانبياء لان طريق الحق
واحد فلا يستخفون بحق
سائر الاديان وخاصة دين
الانبياء الذى هو الحق
الاعظم الاعظم والرسول

وعبروا اجتبان من استطاع الى ذلك سبيلا وعن ابن عباس قال العمرة واجبة كوجوب الحج وعن
ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تابعوا بين الحج والعمرة فانها ينقيان الفقر والذنوب
كما ينقى الكبر خبث الحديد والذهب والفضة وليس لجة ببرورة ثواب الا لجة اخرج به الناس
والترمذى وزاد ما من مؤمن يظل يومه محرما لا يافت الشمس بذنوبه وقال حديث حسن صحيح وجه
الدليل انه امر بالتابعة بين الحج والعمرة والامر بالوجوب ولا نقاد نظمت مع الحج في الامر بالانعام
فكانت واجبة كالحج ووجه من قال بانها سنة ما روى عن جابر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن العمرة واجبة هي قال لا وان تعتمروا خير لكم اخرج به الترمذى واجيب عنه بأن هذا الحديث
يرويه حجاج بن ارطاة وحجاج ليس بمن يقبل منه ما تقدم له لسوء حفظه وقلة مراعاته لما يحدث به
واجتمعت الامة على جواز اداء الحج والعمرة على ثلاثة انواع افراد وتتمتع وقران فصورة الافراد
ان يحج ثم بعد فراغه منه يعتمر من ادنى الحل او يعتمر قبل اشهر الحج ثم يحج في تلك السنة وصورة التمتع
ان يحرم بالعمرة في اشهر الحج ويأتى بأعمالها فاذا فرغ من أعمالها احرم بالحج من مكة في تلك
السنة وانما يسمى تمتعا لانه يستمتع بمحظورات الاحرام بعد التهلل من العمرة الى ان يحرم بالحج
وصورة القران ان يحرم بالحج والعمرة في اشهر الحج فينوبهما بقلبه وكذلك لو احرم بالعمرة
في اشهر الحج ثم ادخل عليها الحج قبل ان يفتتح الطواف فيصير قارنا واختلفا في الافضل فذهب مالك
والشافعى الى ان الافراد افضل ثم التمتع ثم القران يدل عليه ما روى عن عائشة رضى الله عنها
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم افرد الحج اخرج به مسلم وله عن ابن عمر قال اهلنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالحج مفردا وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل بالحج مفردا وله
عن جابر قال قدما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نصرخ بالحج صراخا وعن ابن عمر قال
افصاوا بين حكمكم وعمرتكم فان ذلك اتم لحج احدكم واتم لعمرة ان يعتمر في غير اشهر الحج اخرج به مالك
في الموطا وذهب الثوري وابو حنيفة الى ان القران افضل يدل عليه ما روى عن انس قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبى بالحج والعمرة جميعا وفي رواية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ليبيك عرتو جها اخرجاه في الصبحين وذهب احمد بن حنبل واسحق بن راهويه الى ان التمتع
افضل يدل عليه ما روى عن ابن عباس قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم وابوبكر وعمر وثمان
فأول من نبى عنهما مطوية اخرج به الترمذى (ق) عن ابن عمر قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في جة الوداع بالعمرة الى الحج واهدى فساق معه الهدى من ذى الحليفة ودار رسول الله صلى الله
عليه وسلم فأهل بالعمرة ثم اهل بالحج وتمتع الناس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة الى الحج وكان
من الناس من اهدى ومنهم من لم يهد فاقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قال الناس من كان
منكم اهدى فانه لا يحل من شىء حرم منه حتى يقضى حجه ومن لم يكن منكم اهدى فليطف بالبيت
والصفا والمروة وليقصروا ليصل ثم ايل بالحج وليدفن لم يجد هديا يلصم ثلاثة ايام في الحج وسبعة
اذا رجع الى اهله وطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم مكة فاستلم الركن لول شىء ثم خب
ثلاثة اطواف من السبع ومضى اربعة اطواف ثم ركع حين قضى طوافه بالبيت عند المقام ركعتين ثم سلم
فانصرف فألقى الصفا وطاف بالصفا والمروة سبعة اشواط ثم لم يحل من شىء حرم منه حتى يقضى حجه ونحر
هديه يوم النحر وافاض وطاف بالبيت ثم حل من كل شىء حرم منه وفعل مثل ما فعل رسول الله صلى الله

عليه وسلم من اهدى فساد الهدى من الناس اختلقت الروايات في جده النبي صلى الله عليه وسلم هل كان مفردا او مختارا او قارنا وهي ثلاثة اقوال للعلماء بحسب مذاهبهم السابقة ورجحت كل طائفة نوتا وادعت ان جده النبي صلى الله عليه وسلم كذلك وطريق الجمع بين روايات الصحابة واختلافهم في جده صلى الله عليه وسلم انه كان او لا مفردا ثم انه صلى الله عليه وسلم احرم بالعمرة بعد ذلك وادخلها على الحج فصار قارنا لمن روى انه كان مفردا فهو الاصل ومن روى القرآن اعتمد آخر الامر ومن روى التمتع اراد التمتع القوي وهو الانتفاع والارتفاق وقد ارتفق بالقرآن كارتفاق التمتع وزيادة وهو الانتصار على فعل واحد وبهذا امكن الجمع بين الاحاديث المختلفة في صفة حجة الوداع وهو الصحيح وذكر الشافعي في كتاب اختلاف الحديث كلاما موجزا في ذلك فقال ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان منهم المفرد والقارن والتمتع وكل كان يأخذ منه امره وسكبه ويصدر عن تعليمه فاضيف الكل اليه على معنى انه امر به واذن فيه ويجوز في لغة العرب اضافة الفعل الى الامر به كاتيجوز اضافته الى فاعله كيقال بني فلان داره واريد به انه امر ببنائها وكاروى ان النبي صلى الله عليه وسلم رجع ماعزا وانما امر برجعه واختار الشافعي الافراد واحتج في ترجمته بانه صح ذلك من رواية جابر وابن عمرو بن عباس وعائشة وهؤلاء لهم منزلة في حجة الوداع على غيرهم فاما جابر فهو احسن الصحابة سياقة لرواية حديث حجة الوداع فانه ذكرها من حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة الى آخرها فهو اضبط لها من غيره واما ابن عمر فصح عنه انه كان اخذ بالخطام ناقة الى صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وانما سمعته يلبى بالحج واما ابن عباس فصحله من العلم والفقه والدين معروف مع كثرة بجنه عن احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم واما عائشة فقربها من رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم معروف واطلاعا على باطن امره وظاهره مع كثرة فقهها وعلمها ومن دلائل ترجيح الافراد ان الخلفاء الراشدين افرادوا الحج بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وواظبوا عليه واركابوا الحج خمسة الاحرام والوقوف بعرفة والطواف والسعي بين الصفا والمروة وحلق الراس او التقصير في اصح القولين واركابوا العمرة اربعة الاحرام والطواف والسعي والحلق او التقصير وبهذه الاركان تمام الحج والعمرة قوله تعالى (فان احصرتم) اصل الحصر في اللغة الحبس والتضييق ثم اختلف اهل اللغة في الحصر والاحصار فقيل اذا رد الرجل عن وجهه يريد فقد احصر واذا حبس فقد احصر وقال ابن السكيت احصره المرض اذا منعه من السفر او حاجة يريد بها وحصره العدو اذا ضيق عليه وقال الزجاج الرواية عن اهل اللغة يقال للذي يمنعه الخوف او المرض احصره والمحبوس حصره وقال ابن قتيبة في قوله فان احصرتم هو ان يعرض للرجل ما يحول بينه وبين الحج من مرض او كسر او عدو يقال احصره فهو محصر فان حبس في دار او سجن قيل حصر فهو محصور وذهب قوم الى انها بمعنى واحد قال الزجاج يقال للرجل من حصره كنهنا ومن احصره كنهنا وقال احمد بن يحيى اصل الحصر والاحصار الحبس وحصر في الحبس اقوى من احصر وقيل الاحصار يقال في المنع الظاهر كالمدود والمنع الباطن كالمرض والحصر لا يقال الا في المنع الباطن واما قوله فان احصرتم فمحمول على الامرين وبحسب اختلاف اهل اللغة في معانيها اختلف الفقهاء في حكمها فذهب قوم الى ان كل مانع من عدو او مرض او ذهاب نفقة فانه يبيح له التحلل من احرامه وهو قول عطاء ومجاهد وقادة وهو مذهب ابى حنيفة ويدل عليه ما روى عن عكرمة قال

مطلع على رتبة كل متدين بدته في دينه وحقيقته التي هو عليها من دينه وجهاه الذي هو به محبوب عن كمال دينه فهو يعرف ذنوبهم وحدود ايمانهم واعمالهم وحسناتهم وسيئاتهم واخلاصهم ونفاقهم وغير ذلك بنور الحق وامته يعرفون ذلك من سائر الامم بنسوره (وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي كنت عليهم الا لعلم) بالعلم التفصيلي التابع لوقوع المعلوم لا العلم السابق في عين جيب اول الوجود فانه معلوم له بذلك العلم قبل وجوده لان العلم كانه لا علم لاحد غيره فقلو منا التي تعلم بها الاشياء تظهر على مظاهرها من تلمه وذلك علمه التفصيلي اى علمه في تفاصيل الموجودات فهو يعلم بذلك العلم التفصيلي الظاهر في مظاهرها الاشياء بعد وجودها كما يعلمها بالعلم الاول الذي هو في عين الجمع قبل وجودها (من يتبع الرسول) في توحيده (ومن يتقلب على عقبيه) لاجهاه بالقييد بالدين (وان كانت

حدثني الحاج بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كسر او عرج فقد حل وعليه حجة اخرى قال عكرمة فذكرت ذلك لابي هريرة وان عباس فقال لا صدق اخرج به ابو داود والنسائي والترمذي وقال حديث حسن وذهب قوم الى انه لا يباح له التحلل الا بحبس العدو وهو قول ابن عمرو وابن عباس و انس وبه قال مالك والشافعي واحد وقالوا الحصر والاحصار بمعنى واحد واحتجوا بان نزول الآية كان في قصة الحديدية في سنة ست وكان ذلك حبسا من جهة العدو لان كفار مكة منعوا النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه من الطواف بالبيت فنزلت هذه الآية فحل النبي صلى الله عليه وسلم من عمرته ونحرهديه وقضاها من قابل ويدل عليه ايضا سابق الآية وهو قوله فاذا اتمتم والامن لا يكون الا من خوف وثبت عن ابن عباس انه قال لا حصر الا حصر العدو فثبت بذلك ان المراد من الاحصار هو حصر العدو ودون المرض وغيره واجيب عن حديث الحاج بن عمرو بانه محمول على من شرط التحلل بالمرض ونحوه حال احراره ويدل على جواز الاشتراط في الاحرام ما روى عن ابن عباس ان ضباعة بنت الزبير اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله اني اريد الحج افشترط قال نعم فالت كيف اقول قال قولي ليك اللهم ليك محلي من الارض حيث تحبيني اخرج به الترمذي وقال حديث حسن صحيح ولغيره ان ضباعة بنت الزبير كانت وجعة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم حجى واشترطى وقولي اللهم محلي حيث حبستني فذهب الشافعي واحدوا صحق اذا اشترط في الحج فرض له مرض او عذر ان يتحلل ويخرج من احراره ثم المحصر يتحلل بذبح الهدى وحاق الراس وهو المراد من قوله تعالى (فاستيسر من الهدى) ومعنى الآية فان احصرتم دون تمام الحج او العمرة فحلتم فعايكم ما استيسر من الهدى والهدى سيمدى الى البيت واسلاه بدنة واوسطه بقرة واذا نساءه قال ابن عباس شاة لانه اقرب الى اليسر ومحل ذبح هدى المحصر حيث احصر واليه ذهب الشافعي لان النبي صلى الله عليه وسلم ذبح الهدى عام الحديدية بها وذهب ابو حنيفة الى انه يقيم على احراره ويهت بهديه الى الحرم ويواعد من بذبحه هناك ثم يحل في ذلك الوقت (ولا تخافوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله) اى مكانه الذي يجب ان يذبح فيه وفيه قولان احدهما انه الحرم فان كان حاجا فمحل يوم النحر وان كان معتمرا فمحل يوم يذبح هديه الى الحرم وهو قول ابو حنيفة والقول الثاني محل ذبحه حيث احصر سواء كان في الحل او في الحرم ومعنى محله بمعنى حيث يحل ذبحه واكاه وهو قول مالك والشافعي واحد ويدل عليه ما روى عن ابن عمر قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرين فجال كفار قريش دون البيت ففخر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلق راسه اخرج به البخاري قوله عز وجل (فن كان منكم مريضا او به اذى من راسه) معناه ولا تحلقوا رؤسكم في حال الاحرام الا ان تضطروا الى حلقه لمرض او اذى وهو القتل او الصداع (فقدية) فيه اضمار تقديره خلق راسه فعليه فديه نزلت هذه الآية في كعب بن عجرة (ق) عن كعب بن عجرة قال اتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا وقد تحت قدرلى والقمل يتأثر على وجهى فقال ايؤذيك هو ام راسك قال قلت نعم قال فاحلق وصم ثلاثة ايام او اطم ستة مساكين او انك نسكة لا ادرى باى ذلك بدا وفي رواية قال في نزلت هذه الآية فن كان منكم مريضا او به اذى من راسه فندية من صيام او صدقة او نسك وذكر نحوه وفي اخرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به وهو بالحديبية قبل ان يدخل مكة وهو محرم وذكره وفي اخرى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له ما كنت ارى ان الوجود بلغ منك ما ارى

لصبيزة) اى انه كانت التحويلة لكبيرة لشاقة ثقيلة (الاعلى الذين هدى الله) هداهم الله الى التوحيد ونجاهم عن الاحجاب بالثقيف (وما كان الله ليضيع ايمانكم) اى صلاتكم الى بيت المقدس لكونها لله واذا كانت له فحيثما توجهتم قبلها ولعمري انها انما شقت على طائفتين المحبوبين بالحق عن الخلق والمحبوبين بالخلق عن الحق فان الاولى عرفت ان التحويلة الاولى التي كانت من الكعبة الى بيت المقدس هي صورة العروج من مقام التلب والسراى المكاشفة والمكاملة الى مقام الروح والخفاء اى المشاهدة والمعاينة فحسبوا التحويلة الثانية التي كانت صورة الرجوع الى مقام القلب حالة الاستقامة والتكئين للعودة والنبوة ومشاهدة الجمع في عين التفصيل والتفصيل في عين الجمع حيث لا احتجاب عن الخلق بالحق ولا عن الحق بالخلق هو النزول بعد العروج والبعد بعد القرب ينظرون ضياع السعي الى مقام الاشرف وحصول المعبر بعد الوصول السقوط عن الرتبة فشق

عليهم ذلك واما الطائفة الثانية فتقيدوا بصورة نسكهم وعلمهم وما عرفوا حكمة التحويل فظنوا صحة العبادة الثانية دون الاولى فشق عليهم ضياعها وبه لانها الذي توهموه فهدينا الى خلاف ما توهموه بما فهم من الآية (ان الله بالناس لرؤف) رؤف بهم بشرح الصدر ورفع الحجاب حال البقاء بعد الفناء للاولى وبقبول ما علمت الثانية بصدقهم وان لم يعلموا ما يفعلون (رحيم) يرحمهم بالوجود الخفائي للاولى وثواب الاعمال والهداية الى الحقيقة الثانية وتوفيقهم للترك من حالهم ومقامهم الى مقام اليقين (قدري) تغلب وجهك في السماء في جهة سما الروح في مقام الجمع عند الاستغراق في الوحدة والاحتجاب بالحق عن الخلق يؤدى وزر البوة ومقام الدعوة لعدم التماثل الى الكثرة وبصر عليك الرجوع الى الحق في اول حال البقاء بعد الفناء قبل التمكن لقوة توجهك الى الحق (لنولينك قبلة ترضيها) فلنجهن وجهك بلى قبلة القلب بانشرح الصدر كما قال المنشرح لك مدرك

او ما كنت ارى ان الجهد بلغ بك ما ارى انجد شاة قلت لا قال فصم ثلاثة ايام او اطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع قال كعب فترلت في خاصة وهي لكم عامدة معنى قوله تعالى ففدية (من صيام) اى صوم ثلاثة ايام (او صدقة) يعنى اطعام ثلاثة اصوع ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع (او نسك) واحدها نسكة اى ذبيحة واعلاها بدنة واوسطها بقرة وادناها شاة وهذه الفدية على التحجير ان شاء ذبح او صام او تصدق وكل هدى او طعام يلزم المحرم فانه لمساكين الحرم الا هدى المحصر فانه بذبحه حيث احصر واما الصوم فله ان يصوم حيث شاء الله قوله تعالى (فاذا امنتم) يعنى من خوفكم وبرائتم من مرضكم وقيل اذا امنتم من الاحصار (فمن تمتع بالعمرة الى الحج) قال ابن الزبير معناه فمن احصر حتى فاته الحج ولم يتحلل فقدم مكة فخرج من احرامه بعمل عرة فاستمتع باحلاله ذلك بتلك العمرة الى السنة المستقبله ثم حج فيكون متمما بذلك الاحلال الى احرامه الثانى في العام المقبل وقيل معناه فاذا امنتم وقد احلتم من احرامكم بعد الاحصار ولم تغتروا في تلك السنة ثم اعترتم في السنة القابلة في اشهر الحج ثم احلتم فاستمتعتم باحلالكم الى الحج ثم احرمتم بالحج فليكن ما استيسر من الهدى وقال ابن عباس هو الرجل يقدم معتر من افق من الافاق في اشهر الحج فقصى عمرته واقام بمكة حلالا حتى انشأ منها الحج فخرج من عامه ذلك فيكون مستتمما بالاحلال من العمرة الى احرامه بالحج ومعنى التمتع في اللغة هو الاستمتاع بالخروج من العمرة والتذذ بما كان محظورا عليه في حال الاحرام الى احرامه بالحج (فاستيسر من الهدى) يعنى فعله ما استيسر من الهدى وهو شاة يدببحها يوم النحر فلودح قبله بعدما حرم بالحج اجزاء عند الشافعي كدم الجبرانات ولا يجزئه ذبحه عند ابى حنيفة قبل يوم النحر كدم الاضحية ولو جوب دم التمتع جس شرائط احدها ان يقدم العمرة على الحج الثانى ان يحرم بالعمرة في اشهر الحج الثالث ان يحج بعد الفراغ من العمرة في هذه السنة الرابع ان يحرم بالحج من مكة ولا يعود الى ميقات بلده فان رجع الى الميقات واحرم منه لم يكن متمما لخامس ان يكون من حاضرى المسجد الحرام فهذه الشروط معتبرة في وجوب دم التمتع ومتى فقد شئ منها لم يكن متمما ودم التمتع دم جبران عند الشافعي فلا يجوز ان ياكل منه وقال ابو حنيفة هو دم نسك فيجوز ان ياكل منه وقوله (فمن لم يجد) يعنى الهدى (فصيام ثلاثة ايام في الحج) اى عليه صيام ثلاثة ايام في وقت اشتغاله بالحج قبل يسوم يوم اقبل يوم التزوية ويوم التزوية ويوم عرفة وقيل بل المستحب ان يصوم في ايام الحج بحيث يكون يوم عرفة مفطرا فان لم يصم قل يوم النحر فقبل يصوم ايام التشريق وبذلك مالک واحد وهو احد قولى الشافعي وقيل بل يصوم بعد ايام التشريق وهو رواية عن احد والقول الآخر للشافعي (وسبعة اذ رجعت) يعنى وصوموا سبعة ايام اذ رجعت الى اوطانكم واهليكم قاله ابن عباس وقد قال الشافعي فلو صام قبل الرجوع الى اهله لم يجزه عنده وقيل المراد من الرجوع هو الفراغ من اعمال الحج والاخذ في الرجوع فلى هذا يجزئه ان يصوم السبعة ايام بعد الفراغ من اعمال الحج وقبل الرجوع الى اهله وبه قال ابو حنيفة (تلك عشرة كاملة) يعنى في الثواب والاجر وقيل كاملة في قيامها مقام الهدى لانه قد يحتمل ان يظن ظان ان الثلاثة قد قامت مقام الهدى فاعلم الله ان العشرة بكملها هي القائمة مقام الهدى وقيل فائدة التكرار ان تؤكد كقول الفرزدق

ثلاث واثنان فمن خمس وسادة تميل الى سهام

ولان القرآن انزل بلفظ العرب والعرب تكرر الشئ تريد به التوكيد وقيل فائدة ذلك الفذلكة في علم الحساب وهو ان يعلم المدد مفصلا ثم يعلم جملة ليحيط به من جهتين فكذلك قوله تعالى فصيام

ووضعا عنك وزرك الذي
انقض ظهرك فانها قبله
ترضاه لوجود الجمع هناك
في صورة التفصيل وعدم
احتجاب الوحدة بالكثرة
فترضى تلك القبلة بدعوة
الحاق الى الحق مع بقاء
شهود الوحدة (قول
وجهك شطر المسجد الحرام)
جانب الصدر المشروح
المحرم من وصول صفات
الفس ودواعي الهوى
والشيطان (وحيث ما
كنتم) ايها المؤمنون
والمحققون سواء كنتم في
جهة مشرق الروح
ومغرب النفس (فولوا
وجوهكم شطره) جانبه
ليسير عليكم الامر
بالمعروف والنهي عن
المكر في الاولى اي الجهة
الشرقية وارتقى عن حالكم
ومقامكم والتوقى عن
اجتماعكم بدواعي الهوى
والشيطان في الثانية
(وان الذين اتوا الكتاب)
اي التوراة والانجيل
وكتاب العقل القرطاني
اي العقل المستنار (ليعلموا
انه الحق من ربهم ومالله
بذلك عما يعلمون) لاهتداهم
بما في الكتاب من توحيد
الافعال والصفات والدالة
على التوحيد الحمدي

ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذ رجعت تلك عشرة كاملة وقيل ان العرب لما كانوا لا يعلمون الحساب وكانوا
يحتاجون الى زيادة بيان وايضاح فلذلك قال تلك عشرة كاملة وقيل لفظه خبر ومعناه امر اى اكلوها
ولا تنقصوها (ذلك) اى هذا الحكم الذي تقدم (لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام) قيل حاضروا
المسجد الحرام هم اهل مكة وهو قول مالك وقيل هم اهل الحرم وبه قال طائفة وقال ابن جريج
هم اهل عرفة والرجيع وضريحان ونخلة وقال الشافعي كل من كان وطنه من مكة على اقل من مسافة
القصر فهو من حاضري المسجد الحرام وقيل هم من دون الميقات وقال ابو حنيفة حاضروا المسجد
الحرام اهل الميقات والمواقيت ذوالخليفة والحجفة وقرن ويلم وذات عرق فمن كان من اهل
هذه المواضع فادونها الى مكة فهو من حاضري المسجد الحرام وقيل حاضروا المسجد الحرام
من تلمذه الجمعة فيه ومعنى الآية ان المشار اليه في قوله ذلك يرجع الى اقرب مذكور وهو لزوم
الهدى او بدله على المتمتع وهو الاقرب فاما المكي اذا تمتع او قرن فلا هدى عليه ولا بدله لانه لا يجب
عليه ان يحرم من الميقات فاقدمه على التمتع لا بوجوب خلا في جهة فلا يجب عليه الهدى ويدل على
ذلك ما أخرجه البخاري تعليقا من حديث عكرمة قال سئل ابن عباس عن صلاة الحج فقال اهل
المهاجرون والانصار وازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم في جهة الوداع واهلنا فلما
قدما مكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوا اهللكم بالحج عمة الامن قلدا لهدى
فطفا بالبيت وبالصفاء والمروة واتيا النساء ولبسا الثياب وقال من قلدا لهدى فانه لا يحل من
شيء حتى يبلغ الهدى محله ثم امرنا عشية التزوية ان ننهل بالحج فاذا فرغنا من الماسك جئنا
فطفا بالبيت وبالصفاء والمروة وقدمت جبا وعليها الهدى كما قال تعالى فا استيسر من الهدى فن
لم يجد فصيام ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعت الى امصاركم والشاة تجزى فجمعوا بين
النسكين في عام بين الحج والعمرة فان الله انزله في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم واباحه
للناس من غير اهل مكة قال الله تعالى ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام وفي الحديث
زيادة قال الحمدي قال ابو مسعود الدمشقي هذا حديث غريب ولم اجد له الا عند مسلم بن
الحجاج ولم يخرج في صحيحه من اجل عكرمة فانه لم يرو عنه في صحيحه وعندى ان البخاري انما
اخذه من مسلم وقوله تعالى (واتقوا الله) اى فيما فرضه عليكم ونهاكم عنه في الحج وفي غيره
(واعلموا ان الله شديد العقاب) يعنى لمن خاف امره وتهاون بمحدوده وارتكب مناهيه قوله
عز وجل (الحج اشهر معلومات) يعنى اشهر الحج اشهر معلومات وقيل وقت الحج اشهر
معلومات وهى شوال وذو القعدة وعشر ليل من ذى الحجة الى طلوع الفجر من يوم الترويه
قال عبدالله بن مسعود وجابر بن عبدالله وعبدالله بن الزبير ومن التابعين الحسن وابن سيرين
والشعبي وهو قول الشافعي والثوري وابي ثور ووجه الشافعي ومن وافقه ان الحج يفوت
بطلوع الفجر الثاني من يوم النحر والعبادة لا تقوت مع بقاء وقتها فدل على ان يوم النحر ليس من
اشهر الحج وايضا فان الاحرام بالحج فيه لا يجوز فدل على انه وما بعده ليس من اشهر الحج وقال
ابن عباس اشهر الحج شوال وذو القعدة وعشرة ايام من ذى الحجة آخرها يوم الترويه قال ابن
عمر وعروة بن الزبير وطائفة ومكحول والضحاك والسدي وابو حنيفة
واحمد بن حنبل وهى احدى الروايتين عن مالك ووجه هذا القول ان يوم النحر هو يوم الحج

الاكبر ولان فيه يقع طواف الافاضة وهو تمام اركان الحج وقيل ان اشهر الحج شوال و ذوالقعدة وذوالحجة بكماله وهو رواية عن ابن عمرو قال الزهري وهى الرواية الاخرى عن مالك وجه هذا القول ان الله تعالى ذكر اشهر الحج بلفظ الجمع واقل الجمع المطلق ثلاث ولان كل شهر كان اوله من اشهر الحج كان آخره كذلك فان قلت هنا اشكال وهو ان الله تعالى قال قبل هذه الآية يسألونك عن الالهة قل هى مواقيت للناس والحج فجعل الالهة كلها مواقيت للحج فالتى قوله هى مواقيت للناس والحج عام وهذه الآية وهى قوله تعالى الحج اشهر معلومات خاص وانخاص مقدم على العام وقيل ان الآية الاولى مجملة وهذه الآية مفسرة لها فان قلت انما قال الحج اشهر بلفظ الجمع وعند الشافعى اشهر الحج شهران وعشر ليل وعند ابى حنيفة وعشرة ايام فواجه هذا قلت ان لفظ الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما وقيل انه نزل بعض الشهر منزلة كما يقال رايك سنة كذا وانما رآه فى ساعة منها ولا اشكال فيه على القول الثالث وهو قول من قال ان اشهر الحج ثلاث شوال وذوالقعدة وذوالحجة بكماله (فن فرض فيه الحج) يعنى ان ازم نفسه ووجب عليها فيه الحج والمراد بهذا الفرض ما به يصير حاجا وهو فعل يفعله ثم اختلفوا فى ذلك الفعل فقال الشافعى بنعقد الاحرام بمجرد النية من غير حاجة الى التلبية ووجهه ان فرض الحج عبارة عن النية فوجب ان تكون النية كافية فى انعقاد الحج وقال ابو حنيفة لا يصح الشروع فى الاحرام بمجرد النية حتى تنضم اليه التلبية او سوق الهدى ووجهه ان الحج عبادة لها تحليل وتحريم فلا بد من انضمام شئ الى النية كتكبير الاحرام مع النية فى الصلاة وفى الآية دليل على ان الاحرام بالحج لا ينقذ الا فى اشهره وهو قول ابن عباس واليه ذهب الشافعى واجدوا صحت لان الله تعالى خصص هذه الاشهر بفرض الحج فيها فلو انقضى فى غيرها لم يكن لهذا التخصيص وجه ولا فائدة وقال مالك والثورى وابو حنيفة بنعقد احرامه بالحج فى جميع شهور السنة ووجهه ان الاحرام الزام بالحج فجاز تقديمه على الوقت كالنذر لان الله تعالى جعل الالهة كلها مواقيت للحج بقوله هى مواقيت للناس والحج وقد تقدم الجواب عنه وقوله تعالى (فلا رث) قال ابن عباس الرث الجماع وفى رواية عنه ان الرث غشيان النساء والتقبيل والغزو ان يمرض لهن بالنفس من الكلام فعل هذا اقول التلطف به فى غيبة النساء لا يكون رثا قال حصين بن قيس اخذ ابن عباس بذنب بعيره يلويه وهو يحدو ويقول

وهن عشرين بناهيمسا * ان يصدق الطير بك ايسا

فقلت اترث وانت محرم فقال ان الرث ما قبل عند النساء وقوله ليسا هو اسم امرأة وقبل الرث كلام متضمن لما يستقبح ذكره من ذكر الجماع ودواعيه وقوله فلا رث يحتمل ان يكون نبراعن تعاطى الجماع وان يكون نبراعن الحديث فى ذلك لانه من دواعيه وقبل الرث هو النفس والخطا والقول القبح وقيل الرث الفنون الكلام ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم صوم احدهم فلا رث يومئذ ولا يصحب (ولا فسوق) صله الخروج عن الطاعة قال ابن عباس هى المعاصى كلها وهو قول طاوس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة والزهري والربيع والقرظى وقال ابن عمر هو ما نهى عنه الحرم فى حال الاحرام من قتل الصيد وتقليم الاظفار واخذ الشعر وما شبه ذلك وقيل

الذائق اليه اوبنور العقل الدور بالدور الشرعى لا المحسوب بالقياس الفكرى (واثن اثنت الذين اتوا الكتاب بكل اية) دالة على صحة نبوتك وحقيقة قبلك ولو من كتابهم او ما كانت عقيدة قطعية (ما تبعوا قبلك) لاحتجابهم بدينهم ومقولاتهم وتقيدهم به (وما انت بتابع قبائهم) لعلوك عن رتبة ريتهم وترقيك عن مقامهم (وما بعضهم بتابع قبلة بعض) لاحتجاب كل بدينه ونضاد وجههم الدائى من التضاد المركز فى طباعهم (واثن اتبعت اهواءهم) المتفرقة (من عدم ما جاءك من العلم) علم التوحيد الجامع اياك (انك اذالمن الظالمين) الناقصين حنك وحق مقامك (الذين آتياهم الكتاب) ابناء فهم ودراية (يمرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ريك فلا تكونن من المرتين) اى كالحسوس المشاهد القريب الدائم الاحساس لقربهم منه بالحقيقة وتوسمهم اياه بالذلائل الواضحة (ولكل وجهة هو موليها) اى ولكل احدهم غاية وكال

هو السباب والتناز باللقاب (ق) عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه (ولاجدال في الحج) قال ابن عباس الجدال هو المراء وهو ان يمارى الرجل صاحبه ويخاصمه حتى يفضيه وقيل هو قول الرجل الحج اليوم ويقول آخر الحج غدا وقيل هو ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع وقد احره وبالحج اجعلوا هلالكم بالحج مرة الا من قلدا الهدى قالوا كيف نجعلها مرة وقد سمي الحج بهذا كان جدالهم وقيل هو ما كان عليه اهل الجاهلية كان بعضهم يقف بعرفة وبعضهم بمزدلفة وكان بعضهم يحج في ذي القعدة وبعضهم في ذي الحجة وكل يقول الصواب فيما قلته فأنزل الله ولا جدال في الحج فاخبر ان امر الحج قد استقر على ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا خلاف فيه بعده وذلك معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض وقيل معناه ولا شك في الحج انه في ذي الحجة فابطل النسيء وقيل ظاهر الآية خبر ومعناه نهي اى لا ترقوا ولا تنسقوا ولا تجادلوا في الحج وانما نهي عن ذلك وامر باجتنابه في الحج وان كان اجتناب ذلك في كل الاحوال والازمان واجبالا ان الرفث والفسوق والجدال في الحج اسمح وافطع منه في غيره (وما تفعلوا من خير يعلمه الله) اى لا يخفى عليه شئ من اعمالكم وهو الذى يجازيكم عليها حيث الله على فعل الخير عقيب التبي عن اشر وهو ان يستعملوا مكان الرفث الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة وقيل جعل فعل الخير عبارة عن ربط الانفس عن الشر حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه وقيل انما ذكر الخير وان كان عالما بجميع افعال العباد من الخير والشر لفائدة وهى انه تعالى اذا علم من العباد الخير ذكره وشهره واذا علم منه الشر ستره واخفاه فاذا كان هذا فعله مع عبده في الدنيا فكيف يكون في العقبي وهو ارحم الراحمين واكرم الاكرمين (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) ثلث في اس من اهل الجن كانه يخرجون للحج من غير زاد ويقولون نحن متوكلون ويقولون نخرج بربنا افلا يطمئنا فاذا قدم وامكة سألوا الناس ورعا فاضى بهم الحال الى التهب والغضب فانزل الله وتزودوا اى ما تبغون به وتكفون به وجوهكم عن الناس واتقوا ابرامهم والتفيل عليهم فان خير الزاد التقوى وقيل في معنى الآية وتزودوا من التقوى فان الانسان لا بد له من سفر في الدنيا ولا بد فيه من زاد الى الطعام والشراب والمركب وسفر من الدنيا الى الآخرة ولا بد فيه من زاد ايضا وهو تقوى الله والعمل بطاعته وهذا الزاد افضل من الزاد الاول فان زاد الدنيا يوصل الى مراد النفس وشهواتها وزاد الآخرة يوصل الى النعيم المقيم في الآخرة وفي هذا المعنى قال الاعشى اذا أنت لم ترحل بزاد من التقي * ولايت بعد الموت من قد تزود ندمت دلى ان لا تكون كمثل * وانك لم ترصد كما كان ارسدا

(واتقون) اى وخافوا عقابي وقيل معناه واشغلوا بتقواى وفيه تنبيه على كمال خطية الله جل جلاله (يا اولى الالباب) ياذى العقول الذين يعلمون حقائق الامور * قوله عز وجل (ليس عليكم جناح) اى حرج (ان تبغوا فضلا من ربكم) يعنى رزقا ونفعا وهو الريح في التجارة (خ) عن ابن عباس قال كانت عكاظ وحنة وذو الحجاز اسواقا في الجاهلية فلما كان الاسلام فكأنهم تهموا ان يهيموا في المواسم فنزلت ليس عليكم جناح ان تبغوا فضلا من

بحسب استعداد الاول الله موجه وجهه اليها او هو نفسه موجه نفسه اليها ويتوجه نحوها بمقتضى هويته واستعداده باذن الله (فاستبقوا الخيرات) الامور المقربة اياكم من كالككم وغايتكم التى خلفتم لاجلها وتنبه اليها (ايما تكونوا) من مقام وحال دونها او تخالفها لتكونا في مقابلها (يا تكم الله جميعا) الى تلك الغاية قريبا او بعيدا بحسب اقتضاء المقربات واستباقها (ان الله على كل شئ قدير ومن حيث خرجت) من طرق حواسك وميلك الى حظوظك والاهتمام بمصالحك ومصلح المؤمنين (قول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للمحق من ربك وما لاه بغافل عما تعملون ومن حيث خرجت قول وجهك شطر المسجد الحرام) اى فكن حاضرا للمحق في قلبك مواجها صدرك تشاهه شاهد فيه مراعي جانب يكون في الاشياء بالله لا بالنفس (وحيث ما كنتم) ايها المؤمنون (قولوا وجوهكم) جانب الصدر تشاهدون مشاهدكم فيه مراعي له غير معرضين

ربكم في مواسم الحج وقرأها ابن عباس هكذا وفي رواية ان تبغوا في مواسم الحج فضلا
من ربكم وعكاظ سوق معروف بقرب مكة ومحنة بفتح الميم وكسر ها سوق بقرب مكة
ايضا قال الازرق هي بأسفل مكة على بريد منها وذو المجاز سوق عند عرفة كانت العرب
في الجاهلية يخرجون في هذه الاسواق ولها مواسم فكانوا يقيمون بعكاظ عشرين يوما من ذي
القعدة ثم ينتقلون الى محنة فيقيمون بها ثمانية عشر يوما عشرة ايام من آخر ذي القعدة وثمانية
ايام من اول ذي الحجة ثم يخرجون الى عرفة في يوم التزوية وقال الداودي محنة عند عرفة
ومن ابى امامة النبي قال كنت رجلا اكرى في هذا الوجه وكان الناس يقولون لي انه
ليس لك حج فقلت ابن عمر فقلت له يا ابا عبد الرحمن اني رجل اكرى في هذا الوجه وان
اناس يقولون انه ليس لك حج فقال ابن عمر اليس تحرم وتلي وتطوف بالبيت وتقبض من
عرفات وترمي الجمار فقلت بلى قال فان لك حجاجا جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسأله عن مثل ما سألتني عنه فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبه حتى زلت هذه
الآية ليس عليكم حجاج ان تبغوا فضلا من ربكم فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقرأها عليه وقال لك حج اخرجه ابوداود والترمذي وقال بعض العلماء ان التجارة ان اوقعت
نقصا في اعمال الحج لم تكن مباحة وان لم توقع نقصا فيه كانت من المباحات التي الاولى تركها
لتجريد العبادة عن غيرها لان الحج بدون التجارة افضل واكمل * وقوله تعالى (فاذا قضيت)
اي دفعتم والا فاضة دفع بكثرة (من عرفات) جمع عرفة سميت بذلك وان كانت بقعة
واحدة لان كل موضع من تلك المواضع عرفة فسمى مجموع تلك المواضع عرفات وقيل
ان اسم الموضع عرفات واسم اليوم عرفة قال عطاء كان جبريل يرى ابراهيم الماسك ويقول له
عرفت فيقول عرفت فسمى ذلك المكان عرفات واليوم عرفة وقال الضحاك ان آدم لما هبط وقع
بالهند وحواء بجدة فجعل كل واحد منهما يطلب صاحبه فاجتمعا بعرفات في يوم عرفة فتعارفا
فسمى اليوم عرفة والموضع عرفات وقال السدي ان ابراهيم لما اذن في الناس بالحج واجابوه
بالتلبية وابى من ابى امره الله تعالى ان يخرج الى عرفات ونفتها له فخرج فلما بلغ الشجرة
استقبله الشيطان يرد فرماه بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة فطار فوق على الحجرة الثانية
فرماه وكبر فطار فوق على الحجرة الثالثة فرماه وكبر فطار فلما رأى الشيطان انه لا يطيعه ذهب
فانطلق ابراهيم حتى اتى ذا المجاز فنظر اليه فلم يعرفه فخلو فسمي ذا المجاز ثم انطلق ابراهيم
حتى وقع بعرفات فمررها بالنت فسمى الوقت عرفة والموضع عرفات حتى اذا امسى ازدلف
الى جبع فسمى ذلك الموضع المزدلفة وفي رواية عن ابن عباس ان ابراهيم رأى ليلة التزوية
في منامه انه يؤمر بذبح ولده فلما أصبح تروى يومه اجمع اى تفكر هل هذه الرؤيا من الله
تعالى ام من الشيطان فسمى يوم التزوية ثم رأى ذلك في ليلة عرفة ثانيا فلما أصبح عرف ان
ذلك من الله فسمى اليوم عرفة وقبل سمي بذلك لان الناس يعرفون في ذلك اليوم بذنوبهم
وقبل سمي عرفة من العرف وهو الطيب وسميت منى لما معنى فيها من الدماء اى يصب فيكون
فيه القرويت والدماء فلا يكون الموضع طيبا وعرفات طاهرة من مثل هذا فتكون طيبة واعلم
ان الوقوف بعرفة ركن من اركان الحج ولا يتم الحج الا به ومن قاته الوقوف فوقه فقد قاته

عنه في حال (تلا يكون
للباس عليكم جمعة) ساطة
بوقوعهم في اعينكم
واعشاركم اياهم عدد غيبكم
عن الحق وترفعهم عليكم
او غلبة بالقول او الفعل في
مقاصدكم ومطالبكم لكونكم
الحق فيها حينئذ بل
يخضعون وينقادون لكم
فان حزب الله هم الغالبون
(الا الذين ظلموا منهم) اى
الكفار المردودين الدين
احتجبوا عن الحق مطلقا
فانهم يرتفعون عليكم ولا
يخضعون ولا ينقادون
لعدم اسعائهم عن الحق
مطلقا وسمى شبهتهم التي
يسوقونها مساق الحجة
واعترضهم على المسلمين
قولا وفعلا وترفعهم عليهم
في انفسهم جمعة مجارا وقرى
الالتنية واستؤنف الدين
طلوا (فلا تفتشوا) لانهم
لا يفلونكم ولا يصرونكم
(واخشوني ولا تم سمى
عليكم واملكم تهدون)
كونوا على هيئة من تجعل
عظمتي للاتباع في قلوبكم
واعينكم ولا يملوا صدوركم
فقبلوا الى موافقتهم اجالا
لهم وتظايا لكونكم في
الغية وبالفس كما قال امير
المؤمنين عليه السلام عظم
الخالق هتلك بصغر الخلق

الحج ويدخل وقت الوقوف برفة بزوال الشمس من يوم هجرة ويمتد الى طلوع الفجر الثاني من يوم الحر وذلك نصف يوم وليلة كاملة فمن وقف برفات في هذا الوقت ولو لحظة واحدة من ليل او نهار فقد حصل له الوقوف ويتم جهه وقال احد وقت الوقوف من طلوع الفجر يوم عرفة الى طلوعه من يوم الحر وقت الافاضة من عرفات بعد غروب الشمس فاذا غربت الشمس دفع من عرفات واخر صلاة المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء بمزدلفة (ق) عن اسامة بن زيد قال دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفة حتى اذا كان بالشعب نزل فبال ثم توشاً ولم يسبغ الوضوء فقلت الصلاة يا رسول الله فقال الصلاة امامك ثم ركب فلما جاء المزدلفة نزل فتوشاً فأسبغ الوضوء ثم اقيمت الصلاة فصل المغرب ثم اناخ كل انسان بعيره في منزله ثم اقيمت العشاء فصلى ولم يصل بينهما شيئاً * وقوله تعالى (فاذكروا الله عند المشعر الحرام) سمى مشعراً من الشعار وهي العلامة لانه من معالم الحج واصل الحرام المنع فهو نوع من ان يصل فيه مالم يؤذن فيه والمشعر الحرام هو ما بين جبلي المزدلفة من مأزى عرفة الى وادي محسر وليس المأزمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام وقيل المشعر الحرام هو المزدلفة وسماه الله بذلك لان الصلاة والمبيت به والدعاء عنده من معالم الحج وقيل المشعر الحرام هو قزح وهو آخر حد المزدلفة والاول اصبح وسميت المزدلفة من الازدلاف وهو الاقتراب لانها منزلة من الله تعالى وقربة وقيل لتزول الناس بها زلف الليل وقيل لاجتماع الناس بها وتسمى المزدلفة جمعا لانه يجمع فيها بين المغرب والعشاء قيل المراد بالذكر عند المشعر الحرام هو الجمع بين صلاتي المغرب والعشاء هناك ويدل عليه ان قوله فاذكروا الله امر وهو للوجوب ولا يجب هناك الا الصلاة والذي عليه جمهور العلماء ان المراد بالذكر هو الدعاء والتلبية والتسبيح والتحميد والتلهيل والتكبير (ق) عن ابن عباس ان اسامة بن زيد كان رديف النبي صلى الله عليه وسلم من عرفة الى المزدلفة ثم اردف الفضل من المزدلفة الى منى فكلاهما قال لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يلبي حتى رمى جرة العقبة عن جابر قال دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد واقامتين ولم يسبح بينهما شيئاً ثم اضطلع حتى طلع الفجر فصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان واقامة ثم ركب القصواء حتى اتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعا وكبره وهله وحده ولم يزل واقفا حتى اسفر جدا ودفع قبل ان تطلع الشمس هذا الحديث ذكره البغوي بغير سند ولم اجد في الاصول قال طابوس كانوا في الجاهلية يدفعون من عرفة قبل ان تغيب الشمس ومن المزدلفة بعد طلوعها وكانوا يقولون اشرك ثير كما نغير فنسخ الله تعالى احكام الجاهلية فأخر الافاضة من عرفة الى ما بعد غروب الشمس وقدم الافاضة من المزدلفة ما قبل طلوعها وثير جبل بمكة ومعنى قولهم اشرك ثير ادخل ايها الجبل في الشروق وهو نور الشمس وقولهم كما نغير اي ندفع للنهر يقال اغار اذا اسرع ودفع في عدوه (خ) عن عمرو بن ميمون قال قال عمر كان اهل الجاهلية لا يفيضون من جمع حتى تطلع الشمس وكانوا يقولون اشرك ثير فيخالقهم النبي صلى الله عليه وسلم فافاض قبل طلوع الشمس * وقوله تعالى (واذكروه كما هداكم) اي اذكروه بالتوحيد والعظيم كما ذكركم بالهداية فهذا لكم لدينه ومناسك جهه (وان كنتم من قبله لمن الضالين) اي لا تعرفون كيف

في هيك * ولا تنمى نعمة الكمال عليكم ولا رادى اهتداءكم امرتكم بدوام الحضور والمراقبة (كما ارسلنا) اي كما ذكرتم بارسال رسول (فيكم) رسولا منكم تنلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون من جنسكم ليكنكم التلقى والتعلم وقبول الهداية منه جنسية النفس ورابطة البشرية (فاذكروني) بالاجابة والطاعة والارادة (اذكركم) بالزبد والتوالي للسلوك وافاضة نور اليقين (واشكروا لي) على نعمة الارسال والهداية بسلوك صراطى على قدم المحبة يزدكم عرفاني ومحبتى (ولا تكفروا) بالفترة الاحجاب بنعمة الدين من المنم فانه كفران بل كفر (يا ايها الذين آمنوا) الايمان العبادى (استعينوا بالصبر) معى عند سطوات تجليات عظمتى وكبرياى (والصلوة) اي الشهود الحقيقى (اي ان الله مع الصابرين) المطيقين لتجليات انواره (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله) اي يحمل فانها مقتولة نفسه في سلوك

سبيل التوحيد ميتا عن هواه
 كما قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم موتوا قبل ان
 تموتوا هم (اموات) اى عجزه
 مساكين (دل) هم (احياء)
 عند ربهم بالحياة الحقة
 وحياة الله الدائمة المرمدة
 شهداء الله بالحضور الذاتي
 قادرين به (ولكن لا
 تشعرين) لئلا يصيرتكم
 وحرمانكم عن الورود
 الذى تنصر به القلوب
 اعيان عالم القدس
 وحقائق الارواح
 (ولبلوكم بنى من
 لحواف) اى خوف الموجد
 لا تكسار النفس وانزهاها
 (والجوع) الموجد لئلا
 البدن وضعف قواه ورفع
 حجاب الهوى وسد طريق
 الشيطان الى القلب (وقص
 من الاموال) التى هى مواد
 الشهوات القوية للنفس
 لئلا تفتن بها (والانفس)
 المستولية على القلب
 بصفتها والمستغية بداتها
 لئلا يدبغها الغلب ويقوى
 او انفس الاقرباء والاصدقاء
 الذين تأوون اليهم
 وتستطرون بهم لتفقدوا
 الى وتبلىوا (والثمرات)
 او الملاذ المتعمقات فى
 المتاع بالمتكاشفات
 والمعارف الغالية

تذكرونه وتعبونهم والهاء فى من قبله راجعة الى الهوى وقبل الى الرسول اى من قبل
 ارسال الرسول لمن الضالين وهو كناية عن غير مذكور وقبل يرجع الى القرآن والمعنى
 واذا كروه كما هذاكم بكتابه الذى ازاله عليكم وان كنتم من قبل ازاله لمن الضالين
 قوله عز وجل (ثم افيضوا من حيث افاض الناس) اى لتكن افاضتكم من حيث افاض
 الناس وفى المخاطبين بهذا قولان احدهما انه خطاب لقريش قال اهل التفسير كانت قريش ومن
 دان بدينها وهو المحس يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن اهل الله وقمان حرمه فلا تخلف الحرم
 ولا تخرج منه ويتعظون ان يقفوا مع سائر الناس بعرفات وكان سائر الناس يقفون بعرفات فاذا
 افاض الناس من عرفات افاض المحس من المزدلفة فامرهم الله ان يقفوا بعرفات مع سائر الناس
 ثم يفيضوا منها الى جع واخبرهم انه سنة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام (ق) عن عائشة
 رضى الله عنها قالت كان قريش ومن دان بدينها يقفون بالمزدلفة وكانوا يسمون المحس وكانت
 سائر العرب يقفون بعرفة فلما جاء الاسلام امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يأتى عرفات
 فيقف بها ثم يفيض منها فذلك قوله تعالى ثم افيضوا من حيث افاض الناس قولها كانوا يسمون
 المحس هو جمع احس واصله من الشدة والشجاعة وانما سميت قريش وكنانة حسا لشدهم
 فى دينهم فعلى هذا القول الناس معناهم جميع العرب سوى المحس والقول الثانى انه خطاب لسائر
 المسلمين امرهم الله ان يفيضوا من حيث افاض ابراهيم وهو المراد بقوله من حيث افاض الناس
 وقيل الناس هنا آدم وحده بدليل قراءة سعيد بن جبيرة ثم افيضوا من حيث افاض الساسى
 بالياء وقال هو آدم عهد اليه فنى ووجه هذا ان الوقوف بعرفات والافاضة منها شرع قديم
 وما سواه مبتدع ومحدث وقيل المراد من هذه الآية ان الافاضة من المزدلفة الى نى بو النحر
 قبل طلوع الشمس للرعى والتحرر اراد بالناس ابراهيم واسماعيل واتبعهما لانه كانت افاضتهم
 من المزدلفة قبل طلوع الشمس ووجه هذا القول ان الافاضة من عرفات قد تقدم ذكرها فى قوله
 فاذا افضتم من عرفات ثم قال بعد ذلك ثم افيضوا من حيث افاض الناس فدل على ان هذه الافاضة
 من المزدلفة الى نى بو النحر لكن القول الاول هو الاصح الذى عليه جمهور المفسرين فان قلت على القول
 الاول الذى هو قول جمهور المفسرين اشكال وهو ان ظاهر الكلام لا يقتضى ذلك لان قوله فاذا
 افضتم من عرفات فاذا كروا الله والافاضة من عرفات قبل الافاضة من جمع فكيف قال ثم افيضوا
 من حيث افاض الناس فكأنه قال فاذا افضتم من عرفات فافيضوا من عرفات وذلك غير جائز
 (قلت اجيب عن هذا الاشكال بان فيه تقدما وتأخيرا وتقديره ثم افيضوا من حيث افاض الناس
 واستغفروا الله ان الله غفور رحيم ليس عليكم جناح ان تبغوا فضلا من ربكم فاذا افضتم من عرفات
 فاذا كروا الله فعلى هذا الترتيب يصح ان تكون هذه الافاضة تلك الافاضة بينها وقيل ان ثم فى قوله
 ثم افيضوا بمعنى الواو اى افيضوا كقوله ثم كان من الذين آمنوا والافاضة الدفع (ق) عن هشام
 بن عروة عن ابيه قال سئل اسامة بن زيد وانا جالس كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير
 فى حجة الوداع قال كان يسير الضيق فاذا وجد فجوة نص قال هشام والص فوق المق الضيق يفتح العين
 ضرب من السير السريع وهو اشد من المشى والنجوم الفرجة وهى اتسع من الارض والص
 السير السريع حتى يخرج من الباقة اقصى وسعا (خ) عن ابن عباس انه دفع مع انى صلى الله

والمشاهدات الروحية عند صفاء بواطنكم بالانقطاع منها وخلص بصر قلوبكم بنار الرياضة والبلاء والعزلة من غش صفات نفوسكم (وبشر الصابرين) يعني الصابرين من مآلوفاتهم بلذة محبتي وقوة ارادتي (الذين اذا اصابتهم مصيبة) من تصرفاتي فيهم دائماً شاهدوا آثار قدرتي بل انوار تجليات صفتي (قالوا ان الله) اى سلما وايقوا انهم ملكي انصرف فيه (واما اليه راجعون) اى تقانوا في وشاهدوا تهلكهم في بي (اولئك عليهم صلوات من ربهم) بالوجود الموهوب لهم بعد الفناء الموصوف بصفاق المور باواري (ورحة) ونور وهداية يهدون بها الخلق الى (واولئك هم المهتدون) بهدائي كما ورد في الدعاء واجعلنا هادين ومهدين غير ضالين ولا مضلين (ان الصفا والبروة) اى ان صفاء وجود القلب ومروءة وجود النفس (من شاعر الله) من اعلام ديه ومملكه القلبية كاليقين والرضا والاخلاص والتوكل والصلابة

عليه وسلم يوم حرفة فسمع النبي صلى الله عليه وسلم وراءه زجراً شديداً وضرباً بالابل فاشار بسوطه اليهم وقال يا ايها الناس عليكم بالسكينة فان البر ليس بالايضاع السرايع الشديداً وقوله تعالى (واستغفروا الله) اى من مخالفتكم في الموقف وجميع ذنوبكم (ان الله غفور رحيم) يعنى ان الله هو السار لذنوب عباده برحته والتفويض بالمآلة في التفروك كذا الرحيم وفيه دليل على انه تعالى يقبل التوبة من عباده الثابته ويفرلهم لانه تعالى امر المذنب بالاستغفار ثم وصف نفسه تعالى بانه كثير المغفران كثير الرحمة فدل ذلك على انه تعالى يفرل للمسنطين ويرحم المذنبين بمنه وكرمه * قوله عز وجل (فاذا قضيت مناسككم) اى فرغتم من حجكم وعبادتكم وذبحتم نساككم اى ذبايحكم وذلك بعد رمى جرة العقبة والاستقرار بعنى (فاذكروا الله) بعنى بالحميد والتعبد والتليل والتكبير والثناء عليه (كذكركم اياه) قال اهل التفسير كانت العرب في الجاهلية اذا فرغوا من حجهم وقفاً بين المسجد بعنى وبين الجبل وقيل عداليت فيذكرون مفاخر آباءهم وما آثرهم وفضائلهم ومحاسنهم وما قبه فيقول احدهم كان ابي كبير الجفنة رحب الفاء يقرى الضيف وكان كذا وكذا بعد مفاخره ومناقبه ويتناشدون الاشعار في ذلك ويتكلمون بالشور والمظوم من الكلام الفصيح وغرضهم الشهرة والسعة والرفعة بذكر مناقب سلفهم وآبائهم فلما ان الله عليهم بالاسلام امرهم ان يكون ذكرهم لله لا لآبائهم وقال اذكروني ما االدى فعلت ذلك بكم وبهم واحسنت اليكم واليهم قال ابن عباس معناه فاذكروا الله كذكر الصبيان الصغار الآباء وذلك ان الصبي اول ما يصيح بالكلام يقول اياه اياه لا يعرف غير ذلك فامرهم ان يدكروه كذكر الصبيان الصغار الآباء (واشد ذكرا) اى بل اشد ذكر اوقبل او بعنى الواو اى واشدد ذكرا اى واكثر ذكر الآباء لانه هو الدم عليهم وعلى الآباء فهو المستحق للذكر والحمد مطلقا وسئل ابن عباس عن هذه الآية قبل له قدياً في على الرجل اليوم ولا يدكر فيه اياه فقال ليس كذلك ولكن ان تغضب لله عز وجل اذا عصي اشد من غضبك لو اديك اذا شتم (فن الناس من يقول ربنا آتاني الدنيا) يعنى ان المشركين كانوا سألوا الله في جهنم الدنيا وسعيها كانوا يقولون اللهم اعطنا مالاً وعيلاً وبقرا وعيلاً واماء وكان احدهم يقوم فيقول اللهم ان ابي كان عظيم الفتنة كبير الجفنة كثير المال فاعطني مثل ما اعطيته قال قتادة هدا عبيد نيتة الدنيا لها انفق ولها عمل ونصب (خ) عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تنس عبد الدنار وعبد الدرهم وعبد الحمصة ان اعلى رضى وان لم يسطح تنس وانكس واداشك فلا تنقش قوله تنس عبد الدنار هذا دعاء عليه بالهلاك وهو الوقوع على الوجه من انسا والحمصة ثوب من خز او صوف علم قوله وانكس هذا دعاء عليه ايضا لان من انكس على راسه او في امره فقد حاب وخسر قوله واداشك هذا فعل ما لم يسم فاعله تقول شاكته الشوكة اذا دخلت في جسمه والانتفاش اخراج الشوكة من الجسم وانما كان سؤال المشركين للدنيا ولم يطلبوا التوبة والمنفرة ونعيم الآخرة لانهم كانوا يكرهون البعث (وماله في الآخرة من خلاق) اى وماله في الآخرة من حظ ولا نصيب (ومنهم من يقول ربنا آتاني الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقاعداب النار) يعنى المؤمنين واعلم ان الله تعالى قسم الداعين فريقين فريق اقتصر روافي الدعاء على طلب الدنيا وهم الكفار لانهم كانوا لا يعتقدون البعث والآخرة والفريق الثاني هم المؤمنون الذين جموا في الدعاء بين طلب الدنيا والآخرة وذلك لان الانسان خلق ضعيفاً محتاجاً لا طاقته بالآم الدنيا ومتاعها فالاولى له ان يستعبد بالله

من شره والاله لا يضره على الانسان عرق من هرقه لشوش عليه حياته في الدنيا وتعالى
عن الاشتغال بطاعة الله تعالى ثبت بذلك ان طلب الدنيا في الدماء من امر الدين فلذلك قال تعالى
اخيارا عن المؤمنين ومنهم من يقول ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة قيل ان الحسنة في الدنيا
عبارة عن الصحة والامن والكفاية والتوفيق الى الخير والنصر على الاعداء والولد الصالح والزوجة
الصالحة (م) عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدنيا متاع وخير متاعها
المرأة الصالحة وقيل الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة وقيل الحسنة في الدنيا الرزق
الجليل والعمل الصالح وفي الآخرة المعفرة والثواب وقيل من آتاه الله الاسلام والقرآن واهلا
ومالا فقد اوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة بمعنى في الدنيا عافية وفي الآخرة عافية (م)
عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دما رجلا من المسلمين قد خفف فصار مثل الفرخ فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كنت تدعو الله بشئ او تسأله اياه قال نعم كنت اقول اللهم ما كنت
معاقبني به في الآخرة فجهله لي في الدنيا فقد رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحانه الله لا تطيقه
ولا تستطيعه افلا قلت اللهم آتاني في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقاعداب النار قال فدعا الله به
فشاء (ق) عن انس بن مالك قال كان اكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم اللهم آتاني في الدنيا حسنة
وفي الآخرة حسنة وقاعداب النار عن عبدالله بن السائب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول بين الركبتين ربنا آتاني في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقاعداب النار اخرجه ابوداود
(او تلك) اشارة الى المؤمنين الداعين بالحسنتين ووجه هذا القول ان الله ذكر حكم الفريق
بكماله فقال وماله في الآخرة من خلاق وقيل يرجع الى الفريقين (لهم) جميعا الى لكل فريق
من هؤلاء (نصيب) اي حظ (مما كسبوا) يعني من الخير والدعاء بالثواب والجزاء على الدعاء
بالدنيا من جنس ما كسب ودعا (والله سريع الحساب) ذكروا في معنى الحساب ان الله تعالى يعلم
العباد بعالمهم وعالمهم بمعنى ان الله تعالى يخلق العلوم الضرورية في قلوبهم بمقادير اعمالهم ويكتاها
وكيفياتها بمقادير اعمالهم من الثواب وعلمهم من العقاب وقيل ان الحاسبة عبارة عن الجازاة ويدل
عليه قوله تعالى وكان من قرية عنت عن امرها ورسوله لحاسبها حاسباً شديداً وقيل ان الله تعالى
يكلم عباده يوم القيامة ويرفهم احوال اعمالهم ومالهم من الثواب والعقاب وقيل انه تعالى اذا حاسب
عباده لحسابه سريع لانه تعالى لا يحتاج الى تفديد وروية فكل وصف الله نفسه تعالى بسرعة
الحساب مع كثرة الخلاق وكثرة اعمالهم ليدل بذلك على كمال قدرته لانه تعالى لا يشغله شأن عن شأن
ولا يحتاج الى آلة ولا مادة ولا مساعد فلا جرم كان قادرا على ان يحاسب جميع الخلاق في اقل
من لحظة البصر وروى انه تعالى يحاسب الخلاق في قدر حلب شاة او ناقة وقيل في معنى كونه تعالى
سريع الحساب اي سريع القبول لدعاء عباده والاجابة لهم وذلك انه تعالى يسأله السائلون في الوقت
الواحد كل واحد منهم اشياء مختلفة من امور الدنيا والآخرة فيعطى كل واحد مطلوبه من غير ان
يشغبه شئ من ذلك لانه تعالى عالم بجميع احوال عباده واعمالهم وقيل في معنى الآية ان آيات ان قيامه
قريب لان كل ما هو كائن وآت قريب لا محالة وفيه اشارة الى المبادرة بالدعاء والذكر وسائر الطاعات
وطلب الآخرة * قوله عز وجل (واذكروا الله) يعني بالتوحيد والتعظيم والتكبير في ادبار
الصلوات وعند رمي الجمرات وذلك انه يكبر مع كل حصاة من حصى الجمرات فتدور في الصبح ان

كالصلاة والصيام وسائر
العبادات البدنية (فمن حسم
اليه) اي بلغ مقام الوحدة
الذاتية ودخل الحضرة
الالهية باقضاء الذائق الكلي
(او اعتر) نار الحضرة
بتوحيد الصفات والفناء
في انوار تجليات الجمال
والجلال (فلا جناح عليه)
حينئذ في (ان يعاوى بها)
اي يرجع الى مقامها
ويتردد بينهما لاجل وجودهما
التكوي في فانه جناح
وذبح بل بالوجود
الموهوب بعد الفناء عدد
التكئين ولهذا في الحرح
فان في هذا الوجود سعة
بغلاف الاول (ومن
نطوع خيرا) اي ومن
تبرع خيرا من باب التعاليم
وشفقة الخلق والصحة
وحجة اهل الخير والصالح
بوجود القلب ومن باب
الاخلاق وطرق البر
والتقوى ومعاونة الضعفاء
والمساكين وتحصيل الرفق
لهم ولعالمه بوجوه النفس
بعد كمال السلوك والبقاء بعد
القضاء (فان الله شاكركم)
عليه بنو اب المزيدي (عليه)
من باب التصرف في
الاشياء بالله لا من باب
التكوي والابتلاء والفترة
(ان الذين يكفون ما نزلنا

التي صلى الله عليه وسلم كبر مع كل حصاة (في ايام معدودات) يعني ايام التشريق وهي ايام منى ورمى الجمار سميت معدودات لقتلن وهي ثلاثة ايام بعد يوم النحر اولها اليوم الحادى عشر من ذى الحجة وهو قول ابن عمر وابن عباس والحسن وعطاء ومجاهد وقادة وهو مذهب الشافعى وقيل ان الايام المعدودات يوم النحر ويومان بعده وهو قول على بن ابي طالب وروى عن ابن عمر ايضا وهو مذهب ابى حنيفة (م) عن نبيسة الهذلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايام التشريق ايام اكل وشرب وذكر الله ومن الذكر في هذه الايام التكبير (خ) عن ابن عمر انه كان يكبر بمعنى تلك الايام وخلف الصلوات وعلى فراشه وفي فسطاطه وفي مجلسه وفي بمشاه في تلك الايام جميعا وفي رواية انه كان يكبر في قبة فيسمه اهل المسجد فيكبرون ويكبر اهل الاسواق حتى ترخ منى اخرجه البخارى بغير اسناد واجمع العلماء على ان المراد بهذا هو التكبير عند رمى الجمار وهو ان يكبر مع كل حصاة يرمى بها في جميع ايام التشريق واجعوا ايضا على ان التكبير في عيد الاضحي وفي هذه الايام في ادبار الصلوات سنة واختلفوا في وقت التكبير فقيل تبدأ به من صلاة الظهر يوم النحر الى صلاة الصبح من آخر ايام التشريق فيكون التكبير على هذا القول في حصة عشر صلاة وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه قال الشافعى في اصح اقواله قال الشافعى لان الناس فيه تبع للحاج وذكر الحاج قبل هذا الوقت هو التلبية ويأخذون في التكبير يوم النحر من صلاة الظهر وقيل انه يبدأ به من صلاة المغرب ليلة النحر ويختم بصلاة الصبح من آخر ايام التشريق وهو القول الثانى للشافعى فيكون التكبير على هذا القول في ثمانية عشر صلاة والقول الثالث للشافعى انه يبدأ بالتكبير من صلاة الصبح يوم عرفة ويختم به بعد صلاة العصر من آخر ايام التشريق فيكون التكبير على هذا القول في ثلاث وعشرين صلاة وهو قول على بن ابي طالب ومكحول وبه قال ابو يوسف ومحمد وقال ابن مسعود يبدأ به من صبح يوم عرفة ويختم بصلاة العصر من يوم النحر فعلى هذا القول يكون التكبير في ثمان صلوات وبه قال ابو حنيفة وقال احمد بن حنبل اذا كان حاللا كبر عقب ثلاث وعشرين صلاة اولها الصبح من يوم عرفة وآخرها صلاة العصر من آخر ايام التشريق وان كان محرما كبر عقب سبعة عشر صلاة اولها الظهر من يوم النحر وآخرها عصر آخر ايام التشريق ولفظ التكبير عد الشافعى ثلاثا نسفا الله اكبر الله اكبر الله اكبر وهو قول سعيد بن جبير والحسن وهو قول اهل المدينة قال الشافعى وما زاد من ذكر الله فصن وروى عن ابن مسعود انه يكبر مرتين فيقول الله اكبر الله اكبر وهو قول اهل العراق * وقوله تعالى (فن تعجل في يومين) اى فن تعجل الغر الاول وهو فى الثاني من ايام التشريق (فلا اثم عليه) اى فلا حرج عليه وذلك انه يجب على الحاج المبيت بمضى الليلة الاولى والثانية من ليالى ايام التشريق ليرمى كل يوم بعد الزوال احدى وعشرين حصاة يرمى عند كل جرة سبع حصيات ثم من روى في اليوم الثانى واراد ان يفر ويدع البيوت ليلة الثالثة ورمى يوما فذلك واسع له لقوله تعالى فن تعجل في يومين فلا اثم عليه يعنى فلا اثم على من تعجل ففر في اليوم الثانى في تعجيله (ومن تأخر فلا اثم عليه) يعنى ومن تأخر الى الغر الثانى وهو اليوم الثالث من ايام التشريق فلا اثم عليه في تأخره والى علم انه انما يجوز التعجيل لمن فر بعد الزوال من اليوم الثانى من ايام التشريق

(وقيل)

من البيئات والهدى) اى يمكنون ما فضلنا عليهم من بينات انوار المعارف وعلوم تجليات الافعال والصفات وهدى الاحوال والمقامات او الهداية الى التوحيد الذاتى بطريق علم اليقين فان العيان لا يتكلم بالتلوينات النفسية او القلبية الحاجبة للكشافات القلبية والمسامرات السرية والمشاهدات الروحية (من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب) فى كتاب عقولهم المدورة بنور المتابعة المدركة لآثار انوار القلوب والارواح ببركة الصلوة (اولئك يعلمهم الله) يردهم ويطردهم (ويلعنهم اللاعنون) من الملا الاعلى بخذلانهم وترك امدادهم من عالم الابد والنور ومن المستعدين المشتاقين الذين كانوا قد استأنسوا بنور قلوبهم واستفاضوا منهم النور بقوة صدقهم واستراحوا الى صحبتهم ولازمتهم يتبركون بهم وبأنفاسهم عند اشتراق لمعان احلامهم بالهجران والاطلاع عن صحبتهم والعرض والاهراض عنهم لفقدانهم ذلك واستشعارهم بتكدر صفاتهم (الا الدين

وقبل غروب الشمس من ليلة ذلك اليوم وان غربت عليه الشمس وهو بمنى لزمه الميث بهارمى
اليوم الثالث هذا مذهب الشافعى واكثر الفقهاء وقال ابو حنيفة يجوز له ان ينثر ما لم يطلع
الفجر لانه لم يدخل وقت الرمي بعد ورخص لراحة الابل واهل سقاء الحاج ترك الميث بمنى لبال
منى فان قلت قوله ومن تأخر فلا اثم عليه فيه اشكال وهو ان الذى اتى بافعال الحج كاملة تامة
فقد اتى بما يلزمه فامعنى قوله فلا اثم عليه انما يخاف من الاثم من قصر فيما يلزمه قلت فيه
اجوبة احدها انه تعالى لما اذن في التعجيل على سبيل الرخصة احتمل ان يخطر ببال قوم ان
من لم يجر على موجب هذه الرخصة فانه يأثم فأزال الله تعالى هذه الشبهة وبين انه لا اثم عليه
في الامرين فان شاء عجل وان شاء اخر الجواب الثانى ان من الناس من كان يتعجل ومنهم من
كان يتأخر وكل فريق يصوب ففعله على فعل الفريق الاخر فينبى الله تعالى ان كل واحد من
الفريقين مصيب في فعله وانه لا اثم عليه الجواب الثالث انما قال ومن تأخر فلا اثم عليه لشاكاة
القطعة الاولى فهو كقوله وجزاء سيئة سيئة منها وماوم ان جزاء السيئة ليس بسيئة الجواب
الرابع ان فيه دلالة على جواز الامرين فكأنه تعالى فتعجلوا او تأخروا فلا اثم في التعجيل ولا
في التأخير (من اتقى) اى ذلك التخير ونفى الاثم للحاج المتقى وقبل لمن اتقى ان يصيب في جهة شيئا
مما نهاه الله عنه من قتل صيد وغيره مما هو محظور في الحج وقبل منه انه ذهب اثمه ان اتقى فيما
بقى من عمره وذلك ان الحاج يرجع مغفورا له بشرط ان لا يرتكب ما نهى عنه فيبقى من عمره
وهو قوله (واقفوا الله) اى في المستقبل والقوى عبارة عن فعل الواحبات وترك المحظورات
(واعلموا انكم اليه تحشرون) اى فيجازيكم اعمالكم وفيه حث على التقوى * قوله
عز وجل (ومن الناس من يهيك قوله في الحياة الدنيا) نزلت في الاخنس بن شريق
الثقى حليف بنى زهرة واسمه ابي وانما سمي الاخنس لانه خسر يوم بدر بثلاثمائة رجل
من بنى زهرة عن قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه اشار على بنى زهرة بالرجوع
يوم بدر وقال لهم ان محمدا ابن اختكم فان يك كاذبا كفاكموه الناس وان يك صادقا كتم اسعد
الناس به قالوا نعم ما رأيت قال اناى ساخنس بكم فاتبعونى فخنس فسمى الاخنس بذلك وكان
الاخنس حلوا الكلام حلوا المنظر وكان يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحاله ويظهر
الاسلام ويقول اناى لاحبك ويحلف بالله على ذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدنى
مجلسه وكان الاخنس منافقا فنزل فيه ومن الناس من يهيك قوله اى يروك وتسهنه ويمظم
في قلبك في الحياة الدنيا يعنى ان حلاوة كلامه فيما يتعلق بامر الدنيا (ويشهد الله على ما فى قلبه)
يعنى قوله والله اناى بك مؤمن ولاك محب (وهو الدالخصام) اى شديد الجدال في الباطل
وقيل هو كاذب القول وقيل هو شديد القسوة في المعصية جدل بالباطل يتكلم بالحكمة ويعمل
بالخطيئة (ق) عن عائشة رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان ابغض الرجال الى
الله الدالخصم يعنى الشديد في الخصومة (واذا توالى) اى ادبر واعرض عك بعد الالة
القول وحلاوة المنطق (سمى في الارض) اى سار وشى في الارض (ليفسد فيها) يعنى
يقطع الارحام وسفك دماء المسلمين (وبمك الحارث والنسل) وذلك ان الاخنس بن شريق
كان بينه وبين ثبف خصومة فبتهم لىلا فاحرق زرعهم واهلك مواشيهم وقيل خرج الى

تابوا) اى رجعوا عن ذنوب
احوالهم وعلوا ان ذلك
كان ابتلاء من الله (واصلحوا)
احوالهم بالانابة والريضة
(وبينوا) اى كشفوا
واظهروا بصدق المعاملة
مع الله والا خلاص ما
احتجب عنهم (فأولئك
اقبل توبتهم والى اثوبة
عليهم) وانا التواب الرحيم
ان الذين كفروا) ججوا
عن الدين او الحق (وماتوا
وهم كذبار) اى بقوا على
احتجابهم حتى زال
استعدادهم وانطلق نور
فطرتهم بدى الحساب
وانقطعوا عن الاسباب
التي يمكن بها رفع حجاب
الموت (اولئك عليهم لعنة
الله والملائكة والاساس
اجمعين) اى استحقوا البعد
والحرمان والطراد الكلى
عن الحق وعن عالم الملكوت
وعن الفطرة الانسانية المعبر
عه بالعلمس (خادين فيها)
لبوس استعدادهم
وانضاء نور فطرتهم (لا
يخف عنهم العذاب) لرسوخ
هياتهم المعذبة في جواهر
نفسهم (ولا هم يظنون)
للازوم تلك الهبات المظلة
اياهم (والهكم اله واحد
لا اله الا هو) ومعهم وذك الذى
خصصتموه بالعبادة ايها

الطائف مقتضيا دينا كان له على غريم فاحرق له كدسا وعقره انا فويل معناه اذا تولى اى صلب
واليا وملك الامر سعى في الارض لفسد فيها يعنى بالظلم والعدوان كما يضلعه ولاية السوء
والظلة وقيل يظهر ظله حتى يمنع الله بشنوم ظله القطر فيهلك الحرث والنسل بسبب منع المطر
وقيل ان الآية عامة في حق كل من كان موصوفا بهذه الصفات المذكورة ولا يتمتع ان تنزل في
رجل واحد ثم تكون عامة في حق كل من كان موصوفا بهذه الصفات (والله لا يحب الفساد)
قال ابن عباس لا يرضى بالمعاصي واحتجبت المعتزلة بهذه الآية على ان المحبة عبارة عن الارادة
واجيب عنه بان الارادة معنى غير المحبة فان الانسان قد يريد شيئا ولا يحبه وذلك لانه
قد ينال الدواء المر ولا يحبه فان الفرق بين الارادة والمحبة وقيل ان المحبة مدح الثنى
وتعظيمه والارادة بخلاف ذلك (واذا قيل له اتق الله) اى خف الله في شرك وعلايتك
(اخذه العزة بالاثم) اى جلته العزة ووجه الجاهلية على فعل الاثم وقيل بان يعمل الاثم وهو الظلم
وترك الالتفات الى الوعظ وعدم الاصفاء اليه واصل العزة المنعة والتكبر (لحسبه جهنم) اى
كافية له جهنم جزاء وعدا بوجهن اسم من اسماء النار التى يعذب بها الكفار فى الآخرة وقيل هو اسم
اجمى وقيل بل هو عربى سميت النار بذلك لبعدها قسرها (وليس المهاد) اى القراش والمهاد
التوطئة ايضا والمعنى ان العذاب بالنار يجعل تحته وفوقه قال ابن مسعود ان من اكبر الذنوب عند الله
ان يقال للعباد اتق الله فيقول عليك بنفسك وروى انه قيل لعمر اتق الله فوضع خده على الارض
تواضعا لله تعالى قوله عز وجل (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله) قال ابن عباس
نزلت هذه الآية فى سرية لرجيع وكانت بعد احد (خ) عن ابي هريرة قال بعث النبي صلى الله عليه
وسلم سرية عيا و امر عليهم حاصم بن ثابت وهو بعد حاصم بن عمر بن الخطاب فانطلقوا حتى اذا كانوا
بين عساق ومكة ذكروا الحلى من هذيل يقال لهم بنو لحيان فتبعوهم بقريب من مائة رام فاقفوا
آثارهم حتى اتوا منزلا تزاوله فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة فقهوا هذا تمر يشرب فتبعوا اثرهم
حتى لحقوهم فلما احس بهم حاصم واصحابه لجؤا الى فدفد وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا لكم العهد
والميثاق ان تزلتم ايبان لا تقتل منكم رجلا فقال لهم امانا فانزل في ذمة كافر اللهم اخبرنا
رسولك فقاتلوهم فرمواهم حتى قتلوا عاصما في سبعة نفر بالنبل وبقى خبيب وزيد ورجل آخر
فاعطوهم العهد والميثاق فلما اعطوهم العهد والميثاق نزلوا اليهم فلما استمكنوا منهم حلوا او تارقيهم
فربطوهم بها فقال الرجل الثالث الذى معهم هذا اول القدر فأتى ان يصحبهم ففروا على طيوة عليه
ان يصحبهم فلم يفعل فقتلوه وانلماوا بخبيب وزيد حتى باعواهما بمكة فاشترى خبيب بنو الحرث بن طاهر
بن نوفل وكان خبيب هو الذى قتل الحرث يوم بدر فمكث عندهم اسيرا حتى اذا اجتمعوا على قتله استعار
موسى من بعض بنات الحرث ليشهد ما قاتلته قالت فقتلت عن صبيلى فدرج اليه حتى اقامه فوضعه
على فخذه فلما رآته فزعته عت عرف ذلك منى وفي يده الموسى فقتل انخسثين منى ان اكثله ما كنت لافضل
ذلك ان شاء الله تعالى وكانت تقول ما رايت اسيرا قط خيرا من خبيب لقد رايت ياكل من قطف عنب
وما بمكة يومئذ مرة وان لم يوتى في الحديد وما كان الارز قارزة الله خبيبا فلا يخرجوا به من الحرم
ليقتلوه قال دعوى اصل ركة بن فضلى ركة بن ثم انصرف فقال لولا ان يوتى من الموت

الموحدون معبود واحد
بالذات واحد مطلق لا شئ
فى الوجود غيره ولا
موجود سواء فيعبد فكيف
يمكنكم الشرك به وغيره
العدم الهى فلا شرك الا
للجهل به (الرحمن) الشامل
الرجة لكل موجود
(الرحيم) الذى يخص
رجة هدايته بالمؤمنين
الموحدين وهى اول اية
نزلت فى التوحيد بحسب
الرتبة اى اقدم توحيد من
جهة الحق لامن جهتان فان
اول التوحيد من طرفنا
توحيد الافعال وهذا هو
توحيد الذات ولما بعدهذا
التوحيد عن مبالغ افهام
الناس تنزل الى مقام توحيد
الافعال (ان فى خلق
السموات والارض)
اى ان فى ايجاد سموات
الارواح والقلوب
والعقول وارض النفوس
(واختلاف الليل والنهار)
النور والظلمة بينها (والفلك
التي تجري فى البحر) وفلك
البدن التي تجري فى بحر
الجسم المطلق (بما ينفع
الناس) فى كسب كالاتهم
(وما انزل الله من السماء
من ماء) اى الروح من ماء
الم (فأحياه الارض بعد
موتها) ارض النفس بعد
موتها بالجهل (وبث فيها

لذت فكان أول من سن ركعتين عند القتل وقال اللهم احصهم عددا وقل

فلمست ابالي حين اقل مسلما * على اي جنب كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الاله وان يشاء * يبارك على اوصال شلو معزع

ثم قام اليه عقبه بن الحرث فقتله وبعث قريش الى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده بعد موته وكان قتل عظيما من عظمتهم يوم بدر فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر فحتمه من رسلهم فلم يقدرُوا منه على شيء زاد في رواية واخبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه يوم اصابوا خبرهم القذف والموضع الذي فيه غلظ وارتفاع وقوله عالجوه اي مارسوه واراد به انهم يخدعونه لينبهم فأبى وقوله ليستحد الاستعداد لحق العانة والظف العنقود من العنب قوله على اوصال شلو والشلو العضو من اعضاء الانسان والممزع المفرق والظلة الشيء الذي يظل من فوق الانسان والدبر جاعة النحل والزناير و قال اهل التفسير ان كفار قريش بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة ان اقداس لما فبعث اليها نفر من علماء اصحابك يعلمون اديك وكان ذلك مكرامنهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خبيب ابن عدي الانصاري ومرثد بن ابي مرثد القنوي وخالد بن بكر وعبد الله بن طارق بن شهاب البلوي وزيد بن الدثنة وامر عليهم عاصم بن ثابت بن ابي الفتح الانصاري وذكر نحو حديث البخاري وزاد عليه فقالوا نصلب خبيبا فقال اللهم انك تعلم انه ليس لي احد حولي يبلغ سلامي رسولك فأبلغه سلامي فقام اليه ابوسروعة عقبه بن الحرث فقتله ويقال كان رجل من المشركين يقال له ابو ميسرة سلامان معه رمح فوضعه بين يدي خبيب فقال له خبيب اتق الله فزاده ذلك الاعتوا فاطعته فأنقذه فذلك قوله تعالى واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم يعني سلامان واما زيد بن الدثنة فاتباعه صفوان بن امية ليقته بأبيه امية بن خلف فبعثه مولى له يسمى بنسطاس الى التميم ليقته في الحل واجتمع رهط من قريش فيهم ابو سفيان بن حرب فقال له ابو سفيان حين قدم ليقته انشدك الله يا زيد اتعبد محمدنا الآن مكانك يضرب عقبه وانك في اهلك فقال زيد والله ما احب ان محمدنا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وانا جالس في اهل فقال ابو سفيان ما رأيت احدا يحب احدا كحب اصحاب محمدنا ثم قتله بنسطاس فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم هذا الخبر قال لاصحابه ايكم ينزل خبيبا خشبته ولما اجبت فقال الزبير انا يا رسول الله وصاحبي المقداد بن الاسود ففر جاعثيان الليل ويكمنان النهار حتى اتيا التميم ليلا فاذا حول الخشبته اربعون من المشركين نشاوى وهم نيام فازلاء عن خشبته فاذا هو رطب ينثنى ولم يغير منه شيء بعد اربعين يوما ويده على جراحته وهي تبض دماللون لون الدم والريح ريح المسك فحمله الزبير على فرسه وسار فاتبعه الكفار وقد فقدوا خبيبا فاخبروا قريشا فركب معهم سبعون فارسا فلما لحقهم قذف الزبير خبيسا فابتلعه الارض فسمى بليع الارض وقال الزبير ما اجراكم عليا يا معشر قريش ثم رفع العمامة عن رأسه وقال انا الزبير بن العوام واخي صفية بنت عبد المطلب وصاحبي المقداد بن الاسود اسدان ضاريان يدفعان عن اشبالهما فان شتمنا ناضلكم وان شتمنا نازلنكم وان شتمنا انصرفتم فأنصرفوا الى مكة وقدم الزبير وصاحبه المقداد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل عنده فقال يا محمد ان الملائكة تنباهي بهذين من اصحابك ونزل في الزبير والمقداد ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله حين شرى بانفسهما بازال خبيب عن خشبته

من كل دابة (القوى
الحويانية الحية بحياة القلب
وتصريف الرياح)
عصوف زيادة الافعال
الحقانية وسحاب تجلى
الصفات الربانية (والسحاب
المخبر بين السماء والارض)
المخبر المهيأ بين سماء الروح
وارض النفس (والسحاب
المخبر بين السماء والارض)
(لايات لدلائل لقوم يعقلون)
بالعقل المنور ببور الصرع
المجرد عن شوب الوهم
(ومن الناس من يتخذ من
دون الله اندادا يحبونهم
كحب الله) او من يعبد من
دون الله اشياء اما اناسي
من حسنهم كالا زواج
والاولاد والآباء والاحداد
والاخوان والاحباب
والرؤساء والملوك وغيرهم
واما غير اناسي كالحيوانات
والجمادات وسائر اهلهم
بالاقبال عليهم والتوجه
نحوهم ومراعاتهم وحفظهم
والاهتمام بهم وبحالهم
والفكر في بابهم يحبونهم
كحبهم الله اي كما يجب ان
يحب الله فتكون تلك
الاشياء عندهم مساوية
في المحبة مع الله فتكون
اندادا او شركاء الله بالنسبة
اليهم او تكون هي محبتهم
ومعبوداتهم لا غير فهي
آلهتهم كما ان الله اله الخلق

وقال اكثر المفسرين نزلت في صهيب ابن سنان الرومي وانما نسب الى الروم لان منازلهم كانت
بارض الموصل فافارت الروم على تلك الناحية فسبوه وهو غلام صغير فنشأ بالروم وانما كان من
العرب ابن النمرين قاسط قال سعيد بن المسيب وعطاء اقبل صهيب مهاجرا الى النبي صلى الله عليه وسلم
فاتبعه نفر من مشركي قريش فنزل عن راحلته وتل ما كان في كنانته وقالوا لله لا تنصلوا الى ابو
ارمى بكل سهم معي ثم اضرب بسيفي ما بين يدي وان شتمت دلتكم على مال دفنته بمكتمو خيلكم
سبيلى فقالوا نعم ففعل فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت ومن الناس من بشرى
نفسه ابتغاء مرضات الله الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ربح البيع اباحي وتلا عليه
هذه الآية وقال الحسن اندرون فيما نزلت هذه الآية نزلت في المسلم يلقي الكافر فيقول له قل
لا اله الا الله فيأبى ان يقولها فيقول المسلم والله لا شرين نفسى لله فتقدم فقاتل وحده حتى قتل
وقيل نزلت هذه الآية في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال ابن عباس رضى الله عنهما
ارمى من بشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله يقوم فيأمر هذا بتقوى الله فاذا لم يقبل واخذته العزة
بالاثم قال وانا شرى نفسى لله فقاتله وكان على كرم الله وجهه اذا قرأ هذه الآية يقول اقتلا
ورب الكعبة وسمع عمر رجلا يقرأ هذه الآية ومن الناس من بشرى نفسه ابتغاء مرضات الله
فقال عمر انا لله وانا اليه راجعون قام رجل فامر بالمعروف ونهى عن المنكر فقتل من ابي سعيد
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر اخرججه الترمذي
وقال حديث حسن غريب واما تفسير الآية فذكر المفسرون ان المراد بهذا الشراء البيع ومنه
قوله وشروه بثمن اى باعوه والمعنى ان المسلم باع نفسه بثواب الله تعالى في الدار الآخرة وهذا
البيع هو ان يبذل نفسه في طاعة الله من صلاة وصيام وحج وجهاد وامر بالمعروف ونهى عن
منكر فكان ما بذله من نفسه كالمسألة فصار كالبايع والله تعالى المشتري واثنى هو ثواب الله
تعالى في الآخرة ابتغاء مرضات الله اى طلب رضا الله (والله رؤوف بالعباد) اى من رافة الله
بعباده ان جعل النعيم الدائم في الجنة جزاء على العمل القليل المقطوع ومن رافته ان نفس العباد
واموالهم له ثم انه تعالى يشتري ملكه بملكه فضلا منه ورحمة واحسانا * قوله عز وجل
(يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) نزلت في مؤمنى اهل الكتاب عبدالله بن سلام
واصحابه وذلك لما اسلوا اقاموا على تعظيم شرائع موسى فظنوا السبت وكرهوا الحوم الابل
والبائنا وقالوا ان ترك هذه الاشياء مباح في الاسلام وواجب في التوراة وقالوا ايضا
يا رسول الله ان التوراة كتاب الله دعنا فلنقم به في صلاتنا بالليل فنزل الله هذه الآية وامرهم
ان يدخلوا في السلم اى في شرائع الاسلام ولا يتمسكوا بالتوراة فانها منسوخة والمعنى استسلموا لله
واطيعوه فيما امركم به وقيل هو خطاب لمن لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب
والمعنى يا ايها الذين آمنوا بموسى وعيسى ادخلوا في السلم كافة اى في الاسلام وروى جابر
عن النبي صلى الله عليه وسلم حين اتاه عمر فقال انا نسمع احاديث من يهود وتجبنا فترى ان
نكتب بعضها فقال صلى الله عليه وسلم اتهمكون كاتهموك اليهود والنصارى لقد جئتكم بها
بيضاء نقية ولو ان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي قوله اتهمكون اى تخيرون انتم في دينكم
حتى تأخذوه من اليهود والنصارى وقوله لقد جئتكم بها بيضاء نقية اى

فهم جعلوا لانفسهم آلهة
اندادا لاله سائر الخلق اله
العالمين (والذين آمنوا اشد
حبالة) من غيره لانهم
لا يحبون الا الله لا يخلط
حبهم له بحب غيره ولا يغير
ويحبون الاشياء بحبة
الله والله وهدر ما يجدون
فيها من الجنة الالهية كما قال
بعضهم الحق حبيبا واذا
اختلفا فالحق احب الينا
اى اذا لم تبق جهة الالهية
فيهم بمخالفتهم اياه لم تبق
محبتهم لهم اواشد حبا من
محبتهم لانفسهم لانهم يحبون
الاشياء بانفسهم لانفسهم
فلا جرم تغير محبتهم بتغير
اعراض النفوس انفسهم
عند خوف الهلاك ومضرة
الفس عليهم والمؤمنون
يحبون الله بأرواحهم
وقلوبهم بل بالله لا بتغير
محبتهم لكونها لا لغرض
ويسدلون ارواحهم
وانفسهم لوجهه ورضاه
ويتركون جميع مراداتهم
لمراد الله ويحبون افضاله
وان كانت بخلاف هواهم
كما قال احدهم

* اريد وصاله ويريد هجرى *
* فترك ما يريد لمسايريد *
(لو يرى الذين ظلموا اذ
يرنون العذاب) اى اشركوا
بمنحة الانتذار في وقت

لأحتاج الى شيء وقيل يحتمل ان يكون خطابا للمنافقين من المؤمنين والمعنى باليهما الذين آمنوا بالسنتهم ادخلوا في السلم اى الانقياد والطاعة لان اصل السلم الاسلام وهو الانقياد كافة اى باجمعكم ولا تفرقوا وقيل يحتمل ان يرجع الى الاسلام والمعنى ادخلوا في احكام الاسلام وشرائعه كافة وهذا المعنى البقى بظاهر التفسير لانهم امروا بالقيام بها كلها قال حذيفة بن اليمان في هذه الآية للاسلام ثمانية اسمهم فعل الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال وقدحسب من لاسهم له (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) يعنى آثاره فيما زين لكم من تحريم السبت ولحوم الابل وغير ذلك وقيل ولا تلتفتوا الى الشبهات التى يلقىها اليكم اصحاب الضلالة والقواية والاهواء المضلة لان من اتبع سنة انسان فقد تبع اثره (انه لكم عدو مبين) يعنى الشيطان فان قلت عداوته بايصال الضرر والقاء الوسوسة فكيف يصح ذلك مع الاعتقاد بان الله هو القاعل لجميع الاشياء قلت انه يحاول ايصال الضرر والبلاء البنا ولكن الله منعه عن ذلك وامامعنى الوسوسة قطعوم انه زين المعاصي والقاء الشبهات وكل سبب لوقوع الانسان في مخالفة الله تعالى فيصده بذلك عن الثواب فهذا من اعظم جهات العداوة فان قلت كيف يصح وصف الشيطان بانه مبين مع اننا لازمنا قلت ان الله تعالى بين عداوته ما هي فكأنه بين وان لم يشاهد (فان زلتم) اى ملتم وضلتم وقال ابن عباس اشركتم (من بعد ما جاءكم الييات) اى الدلالات الواضحات (فاعلموا ان الله عزيز) اى في نعمته بمن خافه غالب لا يهزمه شيء (حكيم) يعنى انه لا ينقم الا بحق والحكيم ذو الالصابة في الامور كلها وفي الآية وعيد وتهديد لمن في قلبه شك ونفاق او عسده شبهة في الدين * قوله عز وجل (هل ينظرون) اى ينظرون التاركون الدخول في السلم والمتبعون خطوات الشيطان (الا ان يأتيهم الله في ظلل) جمع ظلة (من الغمام) يعنى السحاب الابيض الرقيق سمي غماما لانه يغم ويستر وقيل هو شيء غير السحاب ولم يكن الا اى اسرائيل في تيههم وهو كثيفة الضباب الابيض (والملائكة) اى وتأييهم الملائكة وروى الطبري في تفسيره بسند متصل عن عكرمة عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من الغمام طاقات يأتي الله عز وجل فيها مخفوها وذلك قوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضى الامر قال عكرمة والملائكة حوله وقيل معاه حول الغمام وقيل حول الرب تبارك وتعالى واعلم ان هذه الآية من آيات الصفات وللعلماء في آيات الصفات واحاديث الصفات مذهبان احدهما وهو مذهب سلف هذه الامة واعلام اهل السنة الايمان والتسليم لاجاء في آيات الصفات واحاديث الصفات وانه يجب عليا الايمان بظواهرها ونؤمن بها كاجاءت وكل علمها الى الله تعالى والى رسوله صلى الله عليه وسلم مع الايمان والاعتقاد بان الله تعالى منزعه عن سمات الحدوث وعن الحركة والسكون قال الكلبي هذا من الذي لا يضر وقال سفيان بن عيينة كل ما وصف الله به نفسه في كتابه تفسيره قراءته والسكوت عليه ليس لاحد ان يفسره الا الله ورسوله وكان الزهري والاوزاعي ومالك وابن المبارك وسفيان الثوري واليث بن سعد واحد بن حنبل وامحق بن زاهويه يقولون في هذه الآية ولما لها اقروها كاجاءت بلا كيف ولا تشبيه ولا تاويل هذا مذهب اهل السنة ومعتقد سلف الامة وانشد بعضهم في المعنى

رؤيتهم عذاب الاحجاب
بآلهم (ان القوة لله جميعا
وان الله شديد العذاب)
اى القدرة كلها لله ليس
لاآلهم شيء منها وشدة
عذاب الله بقرنهم بآلهم
في نار الحرمان بالاسلاسل
النارية المستفاد من محتمهم
اياها لكان ما يدخل تحت
الوصف ولهذا المعنى حذف
جواب لو (اذتبرا الذين
اتبعوا من الدين اتبعوا)
بدل من اذيرون العذاب
اى وقت رؤيتهم العذاب
هو وقت ترى التبوعين
من التابعين مع لزوم كل
منهما الآخر بمقتضى المحبة
التي كانت بينهم بعد كل
مهمسا بالآخر وتقيد
واحتجاب به عن كلالته
ولداته وانقطاع الاسباب
والوصل الموجبة للفوائد
والتمتع التي كانت بينهم
في الدنيا من القرابة والرحم
والالفة والعهد وسائر
الموصلات الدنيوية الجالبة
للفع والدة فانها تقطع
كلها بانقطاع لوازمها
وموجبها دون الموصلات
الخيرية والمحبات الالهية
المبينة على المناسبة الروحية
والتعارف الازلى فانها
تبقى بقاء الروح ابدًا وترتد
في الآخرة بعد رفع الحجب

عقيدتنا ان ليس مثل صفاته * ولاذاته شئ * عقيدة صائب
نسلم آيات الصفات بأسرها * واخبارها لاظهار المتقارب
ونؤيس حنا كنه فهم عقولنا * وتأويلنا فعل اليبب الخالب
ونركب لتسليم سفنا فانها * لتسليم دين المرء خير المراكب

المذهب الثاني وهو قول جمهور علماء المتكلمين وذلك انه اجمع جميع المتكلمين من العقلاء والمعتبرين
من اصحاب النظر على انه تعالى منزّه عن الجسّ والذهاب ويدل على ذلك ان كل ما يصح عليه الجسّ
والذهاب لا ينفك عن الحركة والسكون وهما محدثان وما لا ينفك عن المحدث فهو محدث والله
تعالى منزّه عن ذلك فيستحيل ذلك في حقه تعالى ثبت بذلك ان ظاهر الآية ليس مراداً فلا بد
من التأويل على سبيل التفصيل فعلى هذا قيل في معنى الآية هل ينظرون الا ان يأتيهم الله بالآيات
فيكون جسيّ الآيات مجيئاً لله تعالى على سبيل التفخيم لثان الآيات وقيل معناه الا ان يأتيهم امر الله
ووجه هذا التأويل ان الله تعالى فسر في آية اخرى فقال هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او
يأتى امر ربك فصار هذا الحكم مفسراً لهذا الجمل في هذه الآية وقيل معناه يأتيهم الله بما
اوعده من الحساب والعقاب فحذف ما يأتى به تهويلاً عليهم اذ لو ذكر ما يأتى به كان اسهل
عليهم في باب الوعيد واذا لم يذكر كان ابلغ * وقيل يحتمل ان تكون القاء بمعنى
الباء لان بعض الحروف يقوم مقام بعض فيكون المعنى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله
بظلل من النعمان والملائكة والمراد العذاب الذي يأتى من النعمان مع الملائكة وقيل معناه ما ينظرون
الا ان يأتيهم قهر الله وعذابه في ظلل من النعمان فان قلت لم كان اتيان العذاب في النعمان قلت
لان النعمان مظنة الرحمة ومنه ينزل المطر فاذا نزل منه العذاب كان اعظم وافظع وقيل ان نزول
النعمان علامة لظهور القيامة واهوالها (وقضى الامر) اى وجب العذاب وفرغ من الحساب
وذلك فصل الله القضاء بين العباد يوم القيامة (والى الله ترجع الامور) اى الى الله تصير امور
العباد في الآخرة فان قلت هل كانت ترجع الى غيره قلت ان امور جمع لعباد ترجع اليه
في الدنيا والآخرة ولكن المراد من هذا اعلام الخلق انه المجازى على الاعمال بالتواب والعقاب
وجواب آخر وهو انه لما عبد قوم غيره في الدنيا اضافوا افعاله الى سواء ثم فاذا كان يوم
القيامة وانكشف الغطاء ردوا الى الله ما اضافوه الى غيره في الدنيا * قوله عز وجل (سل بنى
اسرائيل) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم امره ان يسأل يهود المدينة وليس المراد بهذا
السؤال العلم بالآيات لانه كان صلى الله عليه وسلم قد علمها باعلام الله اياه ولكن المراد بهذا السؤال
التقريع والتوبيخ والمباينة في الرجوع عن الاعراض عن دلائل الله وترك الشكر وقيل المراد
بهذا السؤال التقرير وتذكيرهم على انهم بها على سلفهم (كم آياتناهم من آية بيّنة) اى من
دلالة واضحة على نبوة موسى عليه السلام مثل العصا واليد البيضاء وقلق البحر وانتزال المن
والسلوى (ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته) بمعنى بغير الآيات التي جاءته من الله لانها
هى سبب الهدى والنجاة من الضلالة والميل هى جميع الدلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وذلك انهم انكروها وبدلوها وقيل المراد بنعمة الله عهداً الذي عهد اليهم فلم يوفاه (فان الله
شديد العقاب) بمعنى لمن يبدل نعمة الله * قوله عز وجل (زين لذين كفروا الحياة الدنيا)

الدنية لاقتضائها بحبة الله
المفيدة في الآخرة كما قال
تعالى وجبت محبة المحمدين
في والواو في (وراو
العذاب) وتقطعت بهم
الاسباب) واو الحال اى
تبرؤا عنهم في حال رؤيتهم
العذاب وتقطع الوصل
بينهم يعنى حال ظهور
شر المقارنة وتبعها ونفاد
خيرها وفائتها كحال سفاح
الكلاب مثلاً (وقال الذين
اتبعوا لوان لناكرة) اى
ليتناكرة (فتنبر امنهم
كما تبرؤا منا كذلك
يريم الله اعمالهم حسرات
عليهم وما هم بخارجين
من النار) اى يقلب محبتهم
وما يبتنى عليهم من الاعمال
حسرات عليهم وكذا
يكون حال القوى الروحية
المصادقة للقوى الفسائية
التابعة لها المسخرة اياها
في تحصيل لذاتها (يا ايها
الناس تالوا مما فى الارض
حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات
الشيطان انه لكم عدو
بين) اى تالوا من اللذات
والتمتعات التي في الجهة
السفلية من عالم النفس
البدن على وجه يحمل
يطيب اى على قانون
مدالة باذن الشرع
استصواب القل بقدر

الاحتياج والضرورة
ولا تخطوا حد الاعتدال
الذى به تطيب وتنفع الى
حدود الاسراف فانها
خطوات الشيطان وانما
قال تعالى ان الميذين كانوا
اخوان الشياطين فانه
عدو لكم بين العداوة
يريد ان يهلككم ويغضبكم
الى ربكم بارتكاب
الاسرافات المذمومة فانه
لا يحب المفسرين واعلم
ان العداوة في عالم النفس
هي ظل الالفه في عالم
القلب واعتدال ظلها في
عالم البدن والالفه ظل
الحبة في عالم الروح وهي
ظل الوحدة الحقيقية
فلاعتدال هو الظل الرابع
لوحدة والشيطان يفر
من ظل الحق ولا يطيقه
فيحطو ابدأ في مجال تلك
الظلال الى جوانب
الاسرافات وحيث يجهز
قلى جوانب التفريطات
كما في الحبة والالفه ولهذا
قال امير المؤمنين على عليه
السلام لا ترى الجاهل الا
مفرطاً او مفرطاً فان
الجاهل مهره الشيطان (انما
بأمركم بالسوء) الاضرار
والاذى الذى هو افراط
القوة الغضبية (والغشاه)
اي القبالح التي هي افراط

نزلت في مشركى العربى ابى جهل واصحابه لانهم كانوا يتعمون بما بسط لهم في الدنيا من المال
ويكذبون بالمعاد وقيل نزلت في المنافقين عبدالله بن ابى واصحابه وقيل نزلت في رؤساء اليهود
ويحتمل انها نزلت في الكل والمزين هو الله تعالى بدليل قراءة من قرأ زين بفتح الزاى وذلك
انه لا يتمتع ان يكون الله تعالى هو المزين لهم بما اظهره في الدنيا من الزهرة والضرارة والطيب
والهزة وخلق الاشياء العجيبة والمناظر الحسنة وانما فضل ذلك ابتلاء لعباده وذلك انه جعل دار
الدنيا دار الابتلاء والامتحان وركب في الطباع الميل الى اللذات وحسب الشهوات لاعلى سبيل
الاجاء والقصر الذى لا يمكن تركه بل على سبيل الحبب الذى تميل النفس اليه مع امكان ردها
عنه ففطر الخلق الى الدنيا اكثر من قدرها فأعجبهم حسننها وزهرتها وزينتها فأحبوها وقتنوا
بها وقيل ان المراد من التزين انه تعالى املهم في الدنيا حتى اقبلوا عليها واحبوها فكان هذا
الامهال هو التزين وقيل ان المزين هو الشيطان وغواة الجن والانسان وذلك انهم زينوا للكفار
الحرص على الدنيا وطلبها وقصوا لهم امرا الآخرة وقيل او هموم ان لا آخرة ليقبلوا على
لذات الدنيا وطلب الحرص عليها وهذا التأويل ضعيف لان قوله تعالى زين للذين كفروا يتناول
جميع الكفار فيدخل فيه الشيطان وغواة الجن والانسان وان كلهم مزين لهم وهذا المزين لا بد
وان يكون مقابرا لهم فثبت بهذا ضعف قول المعتزلة (ويحضرون من الذين آمنوا) يعنى
ان الكفار يستهزؤون بفقراء المؤمنين قال ابن عباس مثل عبدالله بن مسعود وعمار بن ياسر
وصهيب وبلال ونظرائهم وقيل كانوا يقولون انظروا الى هؤلاء الذين يزعم محمد انه يغلب
بهم (والذين اتقوا) يعنى الفقراء من المؤمنين (فوقهم) اى فوق الكفار (يوم القيامة)
لان الفقراء في عطين والكفار والمنافقين في اسفل السافلين (ق) عن حارثة بن وهب انه سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا اخبركم بأهل الجنة كل ضعيف مستضعف لوا قسم على الله
لا يره الا اخبركم بأهل النار كل جواز جعظرى مستكبر القتل الفظ الغليظ الشديد
في الخصومة الذى لا يتقادخير والجواز الفاجر المختال في مشيته وقيل هو القصير البطين والجعظرى
الفظ الغليظ وقيل هو الذى يتدح بما ليس فيه او عنده (ق) عن اسامة بن زيد عن ابى
صلى الله عليه وسلم قال قت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين واصحاب الجدد محبوسون
غير ان اصحاب النار قد امر بهم الى النار وقت على باب النار فاذا عامة من دخلها النساء الجدد
بفتح الجيم هو الحظ والغنى وكثرة المال (والله يرزق من يشاء بغير حساب) قال ابن
عباس يعطى كثيرا بغير مقدار لان كل ما يدخل عليه الحساب فهو قليل والمعنى انه يوسع لمن
يشاء من عباده وقيل يرزقه في الدنيا ولا يحاسبه في الآخرة وقيل معناه انه يرزق من يشاء
من حيث لا يحتسب وقيل معناه انه يرزقه بغير استحقاق وقيل معناه انه تعالى لا يخاف نفاد ما في
خزائنه حتى يحتاج الى حساب لما يخرج منها لان الحساب انما يكون ليعلم قدر ما يعطى والله غنى عالم
بما يعطى ولا يخاف نفاد خزائنه لانه يابى الكاف والتون وقيل معناه ان الله يقتر الرزق لمن يشاء ويبسط
الرزق لمن يشاء ولا يبسط كل واحد على قدر حاجته بل يعطى الكثير لمن لا يحتاج اليه ولا معارض له
في حكمه ويحاسب فيما رزق ولا يقل لم اعطيت هذا وحرمت هذا ولا لم اعطيت هذا اكثر من
ذلك لانه تعالى لا شريك له في ملكه يتنازعه ولا يستل ما يغفل وقيل يحتمل ان يكون المراد منه

ما يعطى الله المتقين في الآخرة من الثواب والكرامة بغير محاسبة منه لهم على ما من به عليهم وذلك ان نعم الجنة لا تقادله ولا تنقطع وقيل انه تعالى يعطى اهل الجنة الثواب والاجر بقدر اعمالهم ثم يفضل عليهم فذلك الفضل منه اليهم بغير حساب * قوله عز وجل (كان الناس امة واحدة) اى على دين واحد قيل هو آدم وذريته كانوا مسلمين على دين واحد الى ان قتل قابيل هابيل فاختلَفوا وقيل كان الناس على شريعة واحدة من الحق والهدى من وقت آدم الى بعث نوح ثم اختلفوا فبعث الله نوحا وهو اول رسول بعث ثم بعث بعده الرسل وقيل هم اهل السفينة الذين كانوا مع نوح وكانوا مؤمنين ثم اختلفوا بعد وفاته وقيل ان العرب كانت على دين ابراهيم عليه السلام الى ان غيره عمرو بن لحي وقيل كان الناس امة واحدة حين اخرجوا من ظهر آدم لاختلاف الناق فقال الست بربكم قالوا بلى فاعترفوا بالعبودية ولم يكونوا امة واحدة غير ذلك اليوم ثم لظهروا الى الوجود اختلفوا بسبب البغى والحسد وقيل ان آدم وحده كان امة واحدة يعنى اماما وقوة يقتدى به وانما ظهر الاختلاف بعده وقيل كان الناس امة واحدة على الكفر والباطل بديل قوله فبعث الله النبيين فان قيل اليس قد كان فيهم من هو مسلم نحو هابيل وشيث وادريس ونحوهم فالجواب ان الغالب في ذلك الزمان كان الكفر والحكم للغالب وقيل ان الآية دلت على ان الناس كانوا امة واحدة وليس فيها ما يدل على انهم كانوا على ايمان او كفر فهو موقوف على دليل من خارج (فبعث الله النبيين) وجعلتهم مائة الف واربعة وعشرون الفا الرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر المذكورون منهم في القرآن باسماء الاعلام ثمانية وعشرون نبيا (مبشرين) يعنى بالثواب لمن آمن واطاع (ونذرين) يعنى مخوفين بالعقاب لمن كفر وعصى وانما قدم البشارة على الانذار لان البشارة تجري مجرى حفظ الصحة للابدان والاذنار يجري مجرى ازالة المرض ولا شك ان المقصود هو الاول فكان اولى بالتقديم (وانزل معهم الكتاب) اى الكتب او يكون التقدير وانزل مع كل واحد الكتاب (بالحق) اى بالعدل والصدق وجملة الكتب المنزلة من السماء مائة واربعة كتب انزل على آدم عشر صحائف وعلى شيث ثلاثون وعلى ادريس خسون وعلى موسى عشر صحائف والتوراة وعلى داود الزبور وعلى عيسى الانجيل وعلى محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم القرآن (ليحكم بين الناس) يعنى الكتاب وانما اضيف الحكم الى الكتاب وان كان الحاكم هو الله تعالى لانه انزله والمعنى ليحكم الله بالكتاب الذى انزله وقيل معناه ليحكم بين الناس كل نبى بكتابه المنزل عليه فاسناد الحكم الى الكتاب او النبى مجاز والله هو الحاكم في الحقيقة (فيما اختلفوا فيه) اى فى الحق الذى اختلفوا فيه من بعد ما كانوا متفقين عليه (وما اختلف فيه) اى فى الحق (الا الذين اتوه) اى اعطوا الكتاب والمراد به التوراة والانجيل والذين اتوه اليهود والنصارى واختلفوا فيهم هو تكفير بعضهم بعضا بغير حسد وقيل اختلفوا في تحريفهم وتبديلهم وقيل الكناية فيه راجعة الى محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى وما اختلف في امر محمد صلى الله عليه وسلم بعد وضوح الدلالات على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم الا اليهود الذين اتوا الكتاب بغيرها منهم وحسدا (من بعد ما جاءتهم البينات) اى الدلالات الواضحات على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (بغيا بينهم) اى انهم لم يبق لهم حذر في العدول عنه وترك ما جاء به وانما تركوا اتباعه بغيا وحسدا وهو طلب الدنيا وطلب الرياسة (فهدى الله الذين

القوة الشهوانية) وان تقولوا على الله ما لا تعلمون (الذى هو افراط القوة الطبيعية لشوب العقل بالوهم الذى هو الشيطان المحض له) واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله (من مراعاة خد الاعتدال والعدالة فى كل شئ على الوجه المأمور به فى الشرع) قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا (من الاسرافات المذمومة فى الجاهلية تقليدا لهم) (ا) تبعوهم (واوكان آباؤهم لا يعقلون شيئا) من الدين والعلم (ولا يهتدون) الى الصواب فى العمل لجهلهم (ومثل الذين كفروا) اى مثل داعى الكفار المردودين (كمثل الذى ينطق بما لا يسمع الادعاء ونداء صم بكم عى فيهم لا يسمعون) الناقى بالباطل فانها لا تسمع الا صوتا ولا تفهم ما معناه فكذا حالهم (يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) ان كنتم موحدين تخلصون العبادة بالله فلا تناولوا الا من طيبات ما رزقناكم اى ما يندبى فى العدالة ان يستعمل من البرزوقات (واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون) باشغالها فيما يجب ان تستعمل

لوجه الذي ينبغي ان تستعمل
على بالقدر الذي ينبغي فان
التوحيد يقتضى مراعاة
الاعتدال والعدالة في كل
شيء اقتضاء الذات ظلها
ولازمها عن النبي صلى الله
عليه وسلم عن الله تعالى اني
والجن والانس في بناء عظيم
اخلق وبعدي غيري وارزق
وبشكر غيري (انما حرم
عليكم الميتة) لحمود الدم
فيها وبعدها عن الاعتدال
باعتراف المزاح (والدم)
لاختلاطه بالفضلات النجسة
البعيدة عن قبول الحياة
والعدالة والورية وعدم
صلاحته لذلك بعد لقصور
الضجيج (ولحم الخنزير) لفظة
السبعة والشره وما شرة
القاذورات والديانة على
طبعه فيولد في اكله مثل
ذلك (وما اهل به لغير الله)
اي رفع الصوت بدعيه
لغير الله يعني ما قصد بدعيه
واكله الشرك لما ساقته
التوحيد سفيراً عن الشرك
ويضاهيه ما يقوى اكله به
على الكلام ورفع الصوت
لغير الله اي كل ما يؤكل
لاعلى التوحيد فهو محرم
على اكله (فن اضطر) اي
من الجماعة (غير باغ) على
مضطر آخر باستثنائه
(ولا عابد) سد الرمي (فلا

آمنوا لما اختلفوا فيه) اي الى ما اختلفوا فيه (من الحق) والمعنى فهدى الله الذين آمنوا
لحرفة ما اختلفوا فيه من الحق وقيل هو من المقلوب والمعنى فهدى الله الذين آمنوا للحق الذي
اختلفوا فيه وكان اختلافهم الذي اختلفوا فيه الجمعة فهدى الله تعالى هذه الامة الاسلامية
اليها (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون
يوم القيامة او تواتر الكتاب من قبلنا واوتينا من بعدهم فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله فقدنا
اليهود وبعدهم خد للنصارى وفي رواية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نحن
الآخرون السابقون بدانهم او تواتر الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم
فاختلفوا فيه فهدانا الله له زاد النسائي يعني يوم الجمعة ثم اتفقوا فالتسلسل لنا تبع اليهود غدا
والنصارى بعد غد (م) عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اضل الله عن
يوم الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا فهدانا ليوم
الجمعة فجعل الله الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من
اهل الدنيا الاولون يوم اتيهم المقضى لهم يوم القيامة قبل الخلائق وقبل اختلفوا في شأن
القبلة فصلت اليهود نحو المغرب الى بيت المقدس وصلت النصارى الى المشرق وهدانا الله
الى الكعبة وقيل اختلفوا في الصيام فهدانا الله لشهر رمضان واختلفوا في ابراهيم فقالت
اليهود كان يهوديا وقالت النصارى كان نصرانيا فهدانا الله الى الحق فقلنا كان حنيفا مسلما
واختلفوا في عيسى بن مريم فاليهود فرطوا فيه والنصارى افراطوا فيه فهدانا الله في ذلك كله
للحق والمعنى فهدى الله الذين آمنوا الى الحق ما الذي اختلف فيه من اختلف (باذنه) يعني
بعلمه وامره وارادته (والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) * قوله عز وجل (ام
حسبتم ان تدخلوا الجنة) نزلت في غزوة الاحزاب وهي غزوة الخندق وذلك ان المسلمين
اصابهم ما اصابهم من الجهد والشدة والخوف والبرد وضيق العيش الذي كانوا فيه يومئذ وقيل
نزلت في غزوة احد وقيل لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه المدينة في اول
الهجرة اشتد عليهم الضر لانهم خرجوا بلا مال وتركوا اموالهم وديارهم بايدي المشركين
وآثروا رضا الله ورسوله واظهرت اليهود العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وآثر قوم
الفاق فانزل الله هذه الآية تطيباً لقلوبهم ومعنى الآية احسبتم والميم صلة وقيل هل حسنت
والمعنى انظروا ايها المؤمنون ان تدخلوا الجنة بمجرد الايمان ولم يصيبكم مثل ما اصاب
من كان قبلكم من اتباع الانبياء والرسل من الشدائد والمحن والابتلاء والاختبار
وهو قوله (ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم) اي شبه الذين مضوا قبلكم من
النبيين واتباعهم من المؤمنين ومثل محنتهم (مستهم البأساء) اي اصابهم الفقر او الشدة
والمسكنة وهو اسم من البؤس (والضراء) يعني المرض والزمانة وضروب الخوف
(وزلزلوا) اي وحركوا بأنواع البلايا والرزايا واصل الزلزلة الحركة وذلك لان الخائف
لا يستقر بل لا يزال يضطرب ويتهرب لقلقه (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله)
وذلك لان الرسل اثبت من غيرهم واصبروا وضبط لنفسهم عند نزول البلاء وكذا اتباعهم
من المؤمنين والمعنى انه بلغ بهم الجهد والشدة والبلاء ولم يبق لهم صبر وذلك هو القساية

ثم عليه ان الله غفور رحيم
ان الذين يكتفون ما نزل الله
من الكتاب ويشترتون به
ثمنا قليلا اولئك ما يأكلون
في بطونهم الا النار (اي
ملء بطونهم الا ما هو
وقودنا والحرمات وسبب
اشتعال نيران الطبيعة
الحاجة من نور الحق
المعدبة بميات السوء المظلة
الموقفة صاحبها في جحيم
الهوى الجماعية (ولا يكلمهم
الله يوم القيامة ولا يزكهم
ولهم عذاب اليم اولئك
الذين اشتروا الضلالة
بالهدى والعذاب بالمغفرة
فاصبرهم على النار ذلك
بان الله نزل الكتاب بالحق
وان الذين اختلفوا في
الكتاب لى شقاق بئيد) عبارة
عن شدة غنبة عليهم
وبعدهم عنه (ليس البران
تولوا وجوهكم قبل
المشرق والمغرب) مشرق
عالم الاواح ومغرب عالم
الاجساد فانه تنقيد واحتجاب
(ولكن البر) بالموحدين
الذين آمنوا بالله والمعاد
في مقام الجمع اذ التوحيد
في مقام الجمع يلزمه البقاء
الابدى الذى هو المعاد
الحقيق وشاهدوا الجمع في
ماصيل الكثرة ولم
تجبوا بالجمع عن التفصيل

القصوى في الشدة فلما بلغ بهم الحال في الشدة الى هذه الغاية واستطاعوا النصر قيل لهم (الا
ان نصر الله قريب) اجابة لهم في طلبهم وللعنى هكذا كان حالهم لم يغيرهم طول البلاء
والشدة عن دينهم الى ان يأتيتهم نصر الله فكونوا بامعشر المؤمنين كذلك وتحملوا الاذى
والشدة والمشقة في طلب الحق فان نصر الله قريب (خ) عن خباب بن الارت قال شكونا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد برذلة في ظل الكعبة فقلنا لا تنتصر لنا
الا ندعولسا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيصفرله في الارض فيصل فيها ثم يؤتى
بالمشار فيوضع على رأسه فيصل نصفين ويمشط بامشاط الحديد مادون لجه وعظه ما يصد
ذلك عن دينه والله لئن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف
الا الله والذنب على غنمه ولكنكم تستجلبون * قوله عز وجل (يسألونك ماذا ينفقون)
نزلت في عمرو بن الجموح وكان شجاعا كبيرا ذاملا فقال يا رسول الله بماذا تنفق وعلى من
ننقى فأنزل الله تعالى يسألونك ماذا ينفقون (قل ما ننفق من خير) اى مال والمعنى وما
تعملوا من اتفاق شئ من المال قل اوكثر (فلو الدين) وانما قدم الاتفاق على الوالدين
لوجوب حقهما على الولد لانها كانا السبب في اخراجه من العدم الى الوجود (والاقرين)
وانما ذكر بعد الوالدين الاقرين لان الانسان لا يقدر ان يقوم بمصالح جميع الفقراء فتقديم
القرابة اولى من غيرهم (واليتامى) وانما ذكر بعد الاقرين اليتامى لصغرهم ولانهم
لا يقدر ان يكتسبوا ولا لهم احد يتفق عليهم (والمساكين) وانما اخرهم لان حاجتهم
اقل من حاجة غيرهم (وابن السبيل) يعنى المسافر فانه بسبب انقطاعه عن بلده فديقع في
الحاجة والفقر فانظر الى هذا الترتيب الحسن الجيب في كيفية الاتفاق ثم ما فصل الله هذا
الفصيل الحسن الكامل اتبعه بالاجال فقال تعالى (وما تفعلوا من خير فان الله به عليم)
وما تفعلوا من خير مع هؤلاء او غيرهم طلسا لوجه الله تعالى ورضوانه فان الله به عليم
فيجازيكم عليه وذكر علما تفسيران هذه الآية منسوخة قال ابن مسعود نسخها آية الزكاة
وقال الحسن انها محكمة ووجه احكامها ان الله ذكر فيها من نحب الفقة عليه مع فقره
وهما الوالدان وقال ابن زيد هذا في انفل وهو ظاهر الآية فمن احب التقرب الى الله تعالى
بالاتفاق فالاولى به ان يتفق في الوجوه المذكورة في الآية فيقدم الاول قالول * بقى في
الآية سؤال * وهو انه كيف طابق السؤال الجواب وهو انهم سألوا عن بيان ما ينفق
فأجيبوا ببيان المصروف واجيب عن هذا السؤال بانه قد تضمن قوله ما ننفق من خير بيان
ما ينفقونه هو المال ثم ضم الى جواب السؤال ما يكمل به المقصود وهو بيان المصروف لان
التفقة لا تعد نفقة الا ان تقع موقعها قال الشاعر

ان الصنعة لا تعد صنعة * حتى يصاب بها طريق المصنع

* قوله عز وجل (كتب عليكم القتال) اى فرض عليكم الجهاد واختلف العلماء في حكم
الآية فقال عطاء الجهاد تطوع والمراد من الآية اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دون
غيرهم واليه ذهب الثورى وحكى عن الاوزاعى نحوه ووجه هذا القول ان قوله كتب
يقضى الاجاب ويكنى العمل به مرة واحدة ووجه من اوجهه على اصحاب رسول الله صلى الله

الذى هو باطن عالم الملائكة
وظاهر عالم البين (من آمن
بالله واليوم الآخر
والملائكة والكتب
والبين وآتى المال) الذى
جمع بين الظاهر بالاحكام
والمصارف واقاد علم
الاستقامة ثم استقاموا بعد
تمام التوحيد جمعا وتفصيلا
بالاعمال المذكورة فان
الاستقامة عبارة عن وقوف
جميع القوى على حدودها
بالامر الالهى لتصورها
بور الروح عند تحقق
صاحبها بالله فى مقام البقاء
بعد الفناء وذلك مقام العدالة
وتكون هى فى ظل الحق
منخرطة فى سلك الوحدة
تلكيتها (على حبه ذوى
القرى واليتامى والمساكين
واس السبل والساكنين
وفى الرقاب واعام الصدقة)
اى فى حال الاحتياج اليه
والشع به كما قال ابن مسعود
ان توثيه واست صحيح صحيح
تأمل العيش وتغشى القرو
تمهل حتى اذا نامت الخلقوم
قلت افلان كذا ولما لان كذا
قال الله تعالى يؤثرون على
انفسهم ولو كان بهم خصاصة
وعلى حب الله لئلا يشغل
قلبه عنه ولانه تعالى يرضى
بأشده اوعلى حب الايتام
يعنى بطيب النفس فان

عليه وسلم ان قوله عليكم يقتضى تحفيس هذا الخطاب بالموجودين فى ذلك الوقت وقيل
بل الآية على ظاهرها والجهاد فرض على كل مسلم ويدل على ذلك ما روى عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجهاد واجب عليكم مع كل امير را كان او فاجرا اخرجه
ابوداود بزيادة فيه (ق) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح لا هجرة
بعد الفتح ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا وقيل ان الجهاد فرض على الكفاية اذا قام
به البعض سقط الفرض عن الباقي وهذا القول هو المختار الذى عليه جمهور العلماء قال الرهرى
كتب الله القتال على الناس جاهدا او لم يجاهدوا فغن غزافها ونعمت ومن قعد فهو عذر ان استعين
به اعان وان استنفر نقر وان استغنى عنه قعد قال الله تعالى فضل الله المجاهدين باه والهم وانفسهم على
القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى ولو كان القاعد تاركوا كفر ضالم بعده بالحسنى واختاف علماء السامع
والمسوخ فى هذه الآية على ثلاثة اقوال احدها انها محكمة ناسخة لعفو عن المشركين القول الثانى انها
منسوخة لان فيها وجوب الجهاد على الكافة ثم نسخ بقوله تعالى وما كان المؤمنون ليغفروا كافة القول
الثالث انها ناسخة من وجه ومنسوخة من وجه فالناسخ منها ايجاب الجهاد مع المشركين بعد الميع
والمسوخ ايجاب الجهاد على الكافة بقوله تعالى (وهو كره لكم) اى القتال شاق عليكم وهذا الكره
انما حصل من حيث تغور الطبع على القتال لما فيه من مؤنة المال وشقة النفس وخطر الروح والخوف
لانهم كرهوا امر الله وقيل نسخ هذا الكره بقوله تعالى اخبار اعلمهم وقالوا سمعوا اطعوا قيل انما كان
كرهتهم القتال قبل ان يفرض عليهم لما فيه من الخوف والسدة وكثرة الاعداء فبين الله تعالى ان الذى
تكبرهون من القتال هو خير لكم من تركه لئلا يكبرهونه بعد ان فرض عليهم (وعسى ان تكرهوا
شيئا وهو خير لكم) لفظة عسى توهم الشك مثل لعل وهى من الله يقين وقيل انها كلمة طمعة هى
لا تدل على حصول الشك للقاتل وتدل على حصول الشك للمستمع والمعنى ان الغزو فيه احدى
الحسينين اما الظفر والقيمة واما الشهادة والجنة وقيل ربما كان النسي شاقا فى الحال وهو سبب
المنافع الجليلة فى المستقبل ومثله شرب الدواء المر فانه يفر عنه الطمع فى الحال ويكرهه لكن يتعمل
هذه الكراهة والمشقة لتوقع حصول الصحة فى المستقبل (وعسى ان تحبوا شيئا) يعنى القعود
من الغزو (وهو شر لكم) يعنى لما فيه من فوت النعمة والاجر وطمع العدو فيكم لانه اذا علم
ميلكم الى الراحة والدعة والسكون قصد بلادكم وحاول قتالكم واذا علم ان فيكم شهامة وحلاوة
على القتال كف عنكم (والله يعلم) يعنى ما فى الجهاد من النعمة والاجر والخير (وانتم لاتعلمون)
يعنى ذلك والمعنى ان العبد اذا علم قصور علمه وكال علم الله نعم ان الله تعالى امره بامر كان ذلك الامر
فيه مصلحة عظيمة فيجب على العبد امتثال امر الله تعالى وان كان يشق على النفس فى الحال بقوله
عز وجل (يستأثرونك عن الشهر الحرام قتال فيه) سبب نزول هذه الآية ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش وهو ابن عمته فى سرية فى جادى الآخرة قبل قتال بدر شهرين
وامره على السرية وكتب له كتابا وقال سر على اسم الله ولا تنظر فى الكتاب حتى تسير يومين
فاذا نزلت فاقم الكتاب فاقرأ على اصحابك ثم امض لما امرتك به ولا تستكرهن احدا منهم على
السير معك فصار عبد الله يومين ثم نزل وقم الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فسر

الكريم هو الفرح وطيب
النفس بالايعاء ومن قوله
واقي المال الى قوله (واقي
الزكوة) من باب العفة التي
هي كمال القوة الشهوانية
ووقوفها على حدها فيما
يتعلق بها وقوله (والموفون
بهمدم اذا عاهدوا) من
باب العدالة المستلزمة
للحكمة التي هي كمال القوة
النطقية فانها مالم تعلم تبعه
القدر والخيانة وفائدة
الفضيلة المقابلة لهما لم تف
بالعهد وقوله (والصابرين
في الباساء) اي الشدة والفقر
(والضراء) اي المرض
والزمانة (وحين الباس)
اي الحرب من باب الشهادة
التي هي كمال القوة الغضبية
(اولئك) الموصوفون بهذه
الفضائل كلها الثابتون في
مقام الاستقامة (الذين
صدقوا) الله في موطن
التجريد بافعالهم التي هي
البركة (واولئك هم
المتقون) من محبة غير الله
حتى النفس الجردون عن
غواشي النشأة والطبيعه
ويمكن ان يزول المال بالعلم
الذي هو مال القلب لانه
يقرب به ويستغنى اي اعطى
الجميع كونه محبوبا لذوي
قرب القوى الروحانية
فقرها منه وينتهي التقوى

على بركة الله تعالى عن ملك من اصحابك حتى نزل بطن نخلة فارصد بها عير القريش لئلا تأتينا
منها بخير فقال سما وطاعة ثم قال لاصحابه ذلك وقال انه نهاني ان استكره احدا منكم فن كان يريد
الشهادة فلينطلق ومن كان يكره فليرجع ثم مضى ومضى اصحابه معه وكانوا ثمانية رهط ولم يتخلف
عنه احد منهم حتى اذا كان بمعدن فوق الترع بموضع من الجاز يقال له نجران اضل سعد بن ابى
وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا يعتقبانه فختلفا في طلبه ومضى عبدالله ببقية اصحابه حتى
نزل في بطن نخلة بين مكة والطائف فبيناهم كذلك اذمرت بهم عير لقريش تحمل زيبا وادما
وتجارة من تجارة الطائف وفي العير عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان وثمان بن عبدالله بن
الغيرة ونوفل بن عبدالله الخزوميان فلما راوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هابوهم وقد
نزلوا قريبا منهم فقال عبدالله بن جحش ان القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا رأس رجل منكم
وليعرض لهم فاذا رأوه محلوفا امنوا فحلقوا رأس عكاشة بن محصن ثم اشرف عليهم فلما رأوه
امنوا وقالوا قوم عمار فلا بأس علينا وكان ذلك في آخر يوم من جادى الآخرة وكانوا يرون انه
من رجب فتشاور القوم فيهم وقالوا متى تركتوهم هذه الليلة ليدخلن الحرم ولينتن منكم فاجعوا
امرهم في مواضع القوم فرمى واقد بن عبدالله السهمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله
فكان اول قتل من المشركين واسر الحكم بن كيسان وثمان وكانا اول اسيرين في الاسلام
وافلت نوفل فاعجزهم واستاق المسلمون العير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام وسفك الدماء واخذ الخرائب يعني المال
وعير بذلك اهل مكة من كان بها من المسلمين وقالوا يا معشر الصباة استحلتم الشهر الحرام وقاتلتم
فيه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لعبدالله بن جحش واصحابه ما امرتكم باقتال
في الشهر الحرام ووقف العير والاسيرين وابى ان يأخذ شيئا من ذلك وغنف المسلمون اصحاب
السرية فيما صنعوا وقالوا لم صنعتهم مالم تؤمروا به فغظم ذلك على اصحاب السرية وظنوا انهم
قد هلكوا وسقط في ايديهم وقالوا يا رسول الله اننا قتلنا ابن الحضرمي ثم امسينا فنظرنا هلال
رجب فلاندرى اني رجب اصبناه ام في جادى واكثر الناس في ذلك فارتل الله هذه الآية
فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم العير فعزل منها الحرس وكان اول خسر في الاسلام واول غنية
قسمت فقسم الباقي على اصحاب السرية وبعث اهل مكة في فداء اسيرهم فقال بل بقيقهما حتى يقدم
سعد وعقبة وان لم يقدما قتلناهما بهما فلما قدما فاداهما فاما الحكم بن كيسان فاسلم واقام مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالدينة فقتل يوم بئر ونة شهيدا واما عثمان بن عبدالله فرجع الى مكة فقات
بها كافرا واما نوفل فضر بطن فرسه يوم الاحزاب ليدخل الخندق فوقع في الخندق مع فرسه
فقطعا جيعا وقتله الله فطلب المشركون جيفته بالثمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
خذوه فانه خبيث الجيفة خبيث الدية واما تفسير الآية فقوله تعالى يستاونك يعني يا محمد عن
الشهر الحرام يعني رجبا وسمى بذلك لتحريم القتال فيه وفي السائلين رسول الله صلى الله عليه وسلم
قولان احدهما انهم المسلمون سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل اخطوا ام اصابوا وقيل
ان المسلمين كانوا يملون ان القتال في الحرام وفي الشهر الحرام لا يحل فلما كتب عليهم القتال سالوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال في الشهر الحرام فزلت هذه الآية والقول الثاني ان

السائلين هم المشركون وانما سألوه على وجه العيب على المسلمين فنزلت هذه الآية يستأثرونك عن الشهر الحرام قتال فيه (قل) اى قل لهم يا محمد (قتال فيه كبير) اى عظيم مستكبر واختلف العلماء فى حكم الآية على قولين احدهما انها محكمة وانه لا يجوز الغزو فى الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه فيقاتلوا على سبيل الدفع روى عن عطاء انه كان يحلف بالله ما يحل للناس ان يغزوا فى الشهر الحرام ولا ان يقاتلوا فيه ومانسخت والقول الثانى الذى عليه جمهور العلماء وهو الصحيح انها منسوخة قال سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار القتال جائز فى الشهر الحرام وهذه الآية منسوخة بقوله اقاتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبقوله وقاتلوا المشركين كافة يعنى فى الاشهر الحرم وغيرها (وصد عن سبيل الله) هذا ابتداء كلام والمعنى وصدكم المسلمين عن الحج او صدكم عن الاسلام من يريده (وكفر به) اى بالله (والمسجد الحرام) اى وصدكم عن المسجد الحرام (واخرج اهله منه) يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حين آذوهم حتى هاجروا وتركوا مكة وانما جعلهم الله اهله لانهم كانوا هم القائمين بحقوق المسجد الحرام دون المشركين (اكبر عند الله) اى اعظم وزر عند الله من القتال فى الشهر الحرام (والفتنة) اى الشرك الذى اتم عليه (اكبر من القتل) يعنى قتل ابن الحضرمي فى الشهر الحرام فلما نزلت هذه الآية كتب عبدالله بن انيس وقيل عبدالله بن جحش الى مؤمنى مكة ان هيركم المشركون بالقتال فى الشهر الحرام فيروهم انتم بالكفر وباخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة والمسلمين ومنعهم اياهم من البيت (ولا يزالون) يعنى مشركى مكة (يعاتلونكم) يعنى يامشرون المؤمنين (حتى يردوك عن دينكم) يعنى الى دينهم وهو الكفر (ان استطاعوا) يعنى ان قدروا على ذلك وفيه استبعاد لاستطاعتهم فهو كقول الرجل لعدوه ان ظنرت فى فلاتى على وهو واثق انه لا يظفر به (ومن يرددكم عن دينه فميت وهو كافر) يعنى ومن يطاوعهم منكم فيرجع الى دينهم فميت على ردة قبل ان يتوب (فالولئك حبطت اعمالهم) اى بطلت اعمالهم (فى الدنيا والآخرة) وهو ان المرتد يقتل وتبين زوجته منه ولا يستحق الميراث من اقاربه المؤمنين ولا ينصر ان استنصر ولا يمدح ولا يثنى عليه ويكون ماله فى المسلمين هذا فى الدنيا ولا يستحق الثواب على اعماله ويحبط اجرها فى الآخرة وظاهر الآية يقتضى ان الارتداد اذا غش على الاحكام اذامات المرتد على الكفر اما اذا اسلم بعد الردة لم يثبت عليه شئ من احكام الردة وفيه دليل للشافعي ان الردة لا تحبط الاعمال حتى يموت المرتد على ردة وخدأى حنيفة ان الردة تحبط العمل وان اسلم (واولئك اصحاب النار) يعنى الذين ماتوا على الردة والكفر هم اصحاب النار (هم فيها خالدون) اى لا يخرجون منها ابدا (ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله) نزلت فى عبدالله بن جحش واصحابه وذلك ان اصحاب السرية قالوا يا رسول الله هل تؤجر على وجهنا هذا ونطمع ان يكون لنا غزو فانزل الله هذه الآية وعن جندب بن عبدالله قال لما كان من امر عبدالله بن جحش واصحابه وامر ابن الحضرمي ما كان قال بعض المسلمين ان لم يكونوا اصابوا فى سفرهم وزرا فليس لهم فيه اجر فانزل الله هذه الآية ان الذين آمنوا والذين هاجروا اى فارقوا مساكنهم وعشائرهم واموالهم وفارقوا مساكنة المشركين فى معصاتهم ومجاورتهم فى ديارهم فمحولوا عن المشركين وعن بلادهم الى غيرها وجاهدوا يعنى المشركين فى سبيل الله اى فى طاعة الله فجعل الله لاصحاب هذه السرية جهادا (اولئك يرجون رحمت الله) اى يطمعون فى نيل رحمة الله اخبر انهم على رجاء الرحمة وقبل المراد من الرجاء هنا القطع فى اصل الثواب وانما دخل الفان فى كونه

النفسانية لانقطاعها عن نور الروح الذى هو الاب الحقيقى ومساكن القوى الطبيعية لكونها دائمة السكون ثواب البدن وعلمها علم الاخلاق والسياسات الفاضلة ثم اذا ارتوى من العلم علم المعارف والاخلاق والآداب والمعيش جلة وتفصيلا وفرغ من نفسه افاض على ابناء السبيل اى السالكين والسائلين اى طلبة العلم وفى ذلك رقاب عبدة الدنيا والشهوات من اسرهم بالوعظ والخطابة واقام صلاة الحضور اى ادامها بالمشاهدة وآتى ما يركى نفسه عن النظر الى الغير والتفاتات الخواطر بالنفى ومحو الصفات والموفون بهمد الازل بملازمة التوحيد وانه الذات والآية والصابرين فى بأساء الافتقار الى الله دائما وضراء كسر النفس وقع الهوى وحين بأس محاربة الشيطان اولئك الذين صدقوا الله فى الوفاء بعده وعزيمة السلوك وتفقه اولئك هم المتقون عن الشرك المتزهون عن البقية (يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصص فى اقل الحر

ووقته قال قتادة اثنى الله تعالى على اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم احسن الثناء فقال ان الذين آمنوا والذين هاجروا واجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمت الله هؤلاء هم خيار الامة هذه ثم جعلهم الله اهل رجا كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف هرب (والله غفور) اى لذنوب عباده (رحيم) بهم والمعنى انه تعالى غفر لعبد الله بن جحش واصحابه ما لم يلطوا به قوله عز وجل (يسئلونك عن الجمر والميسر) الآية نزلت في عربين الخطاب ومعاذ بن جبل وجاعة من الانصار اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله افنتا في الجمر والميسر فانما مذهب العقل لمسلة للمال فانزل الله تعالى هذه الآية واصل الجمر في اللغة الستر والغطية وسميت الجمر حجرا لانها تخامر العقل اى تخالفه وقيل لانها تستر وتغطي وجلة القول في تحريم الجمر ان الله عز وجل انزل في الجمر اربع آيات نزل بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكراف كان المسلمون يشربونها في اول الاسلام وهى لهم حلال ثم نزل بالمدينة في جواب سؤال عمر وماذ يسئلونك عن الجمر والميسر قل فيها اثم كبير نذر كما قوم لقوله اثم كبير وشربها قوم لقوله ومافع للناس ثم ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما ودعا اليه ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطعمهم وسقاهاهم الجمر وحضرت صلاة المغرب فقدموا احدثهم ليعلى بهم فقرا قل يا ايها الكافرون اعد ما تعبون بحذف حرف لا الى آخر السورة فانزل الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فحرم الله السكر في اوقات الصلوات فكان الرجل يشربها بعد صلاة العشاء فيصبح وقد زال سكره فيصلى الصبح ويشربها بعد صلاة الصبح فيمحو وقت صلاة الظهر ثم ان عتيان بن مالك اتخذ صنيعا يبنى وليمة ودعا رجالا من المسلمين وفيهم سعد بن ابى وقاص وكان قد شوى لهم رأس بئر فأكلوا وشربوا الجمر حتى اخذت منهم فافخروا عند ذلك واتسبوا وتناشدوا الاشعار فاشد سعد قصيدة فيها فخر قومه وهجاء الانصار فاخذ رجل من الانصار لحى البعير فضرب به رأس سعد فشبهه موضحة فانطلق سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه الانصارى فقال عمر اللهم بين لنا في الجمر بينا شافيا ويروى ان حزة بن عبد المطلب شرب الجمر يوما وخرج فاقى رجلا من الانصار وبده ناصح له والانصارى يتمل بيتين لكعب بن مالك يمدح قومه وهما

جعنا مع الايواء نصرا وهجرة * فلم يرجى ملسا في المعاشر

فاحياؤنا من خير احياء من مضى * واماواتنا من خير اهل المقابر

فقال جره اولئك المهاجرون وقال الانصارى بل نحن الانصار فتنازعوا فجرد حزة سيفه وعدا الى الانصارى فهرب الانصارى وترك ناضحة فقطعه حزة فجاء الانصارى مستديا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بفعل حزة فزعم له رسول الله صلى الله عليه وسلم ناضحا فقال عمر اللهم بين لنا في الجمر بينا شافيا فانزل الله تعالى الآية التى في المائدة الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر اتعيا يارب وذلك بعد عزوالة احزاب بابا والحكمة في وقوع التحريم على هذا الترتيب ان الله تعالى علم ان القوم كانوا قد الفوا شرب الجمر وكان انتفاعهم بذلك كثيرا فلم انه لو منعهم من الجمر دفعة واحدة لشق ذلك عليهم فلأجرم استعمل هذا التدرج وهذا الفرق قال انس حرمت الجمر ولم يكن يومئذ للعرب عيش اعجب منها وما حرم عليهم شئ اشد من الجمر (ق) عن انس قال ما كان

بالحر والعبد بالبعد والانى بالاشى فن عفى له من اخيه شئ فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فن اغندى بعد ذلك فله عذاب اليم والىكم في القصاص) القصاص طائون من قوا بين العدالة فرض لازالة عدوان القوة السبعة وهون ظل من ظلال عدله تعالى فانه اذا تصرف في عبده بافائه فيه عوضه عن حر روحه روحا وهو ما خيرا منه وعن عبد قلبه قلبا وهو ما وعن اثنى نفسه نفسا وهو نكالة مقاصدة الله اياكم بما ذكر (حياة) عظيمة اى حياة لا يوصف كنهها (ياولى الباب) اى العقول الخالصة عن قنر الاوهام وغواشى العيون والاجرام فكندافى فهذا القصاص (لعلكم تتقون) كي تتقوا تركه وتحفظوا عليه كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية والدين والاقربين بالمعروف * الوصية والمحاملة عليها فانون آخر فرض لارالة تقطعان القوة الملكية اى القوة الطبيعية وقصورها ما يقتضى الحكمة من الحرف في الاموال والبائنة على القوتين

لناخر غير فضيحكم وانى لقائم اسقى بالملحة وابالوب وفلانا وفلانا اذ جاء رجل فقال حرمت
الحمر فقالوا اهرق هذه القلال بالنس فاسألوا عنها ولاراجعوها بعد خبر هذا الرجل الفضيخ
بالضاد والخاء المجهتين شراب يتخذ من بسر مطبوخ والمفضوخ المشدوخ والمكسور والاهراق
الصب والقلال جمع قلة وهى الجرعة الكبيرة

فصل فى تحريم الحمر ووعيد من شربها اجعت الامة على تحريم الحمر وانه يحسد شاربها ويضق
بذلك مع اعتقاد تحريمها فان استعملها كفر بذلك ويجب قتله (ق) من ابن عمر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الحمر فى الدنيا ومات وهو يد منها لم ينفع
منها لم يشربها فى الآخرة لفظ مسلم (م) عن جابر ان رجلا قدم من جيشان وجيشان من اليمن
فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن شراب يشربونه بارضهم من الذرة يقال له المزرق قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم او مسكر هو قال نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام وان على الله
عهدا لمن يشرب المسكر ان يسقيه من طينة الخبال قالوا وما طينة الخبال يا رسول الله قال عرق اهل
النار او عصارة اهل النار وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر حرام وكل
مسكر حرام ومن شرب مسكرا تخست صلاته اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد
الرابعة كان حقا على الله ان يسقيه من طينة الخبال قيل وما طينة الخبال يا رسول الله قال صديد اهل
النار اخرجه ابوداود * عن عبدالله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
شرب الحمر جعلها فى بطنه لم تقبل منه صلاة سبعا وان مات فيها مات كافرا فان اذهبت عقله عن
شئ من القرائن وفى رواية عن القرآن لم تقبل صلاته اربعين يوما وان مات فيها مات كافرا
اخرجه النسائي * عن عثمان بن عفان قال اجتنبوا الحمر فانما الخبائث فانها والله لا يجتمع الايمان
وايمان الحمر الا بوشك ان يخرج احدهما صاحبه اخرجه النسائي * وقوفنا عليه وفيه قصة عن
انس قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحمر عشرة ماصرها ومعتصرها وشاربها وساقها
وحاملها والمحمولة اليه وبائنها ومبتاعها وواهبها وآكل ثمنها اخرجه الترمذى

فصل فى احكام تتعلق بالحمر * وفيه مسائل * الاولى فى ماهيتها * قال الشافعى الجرعة عبارة
عن عصير العنب التى الشديدة التى قدف بالزبد وكذلك نقيع الزبيب والتمر المتخذ من العسل والحلطة
والشعير والارز والذرة وكل ما اسكر فهو حرام وقال ابو حنيفة الحمر من العنب والرطب ونقيع التمر
والزبيب فان طبخ حتى ذهب ثلثاه حل شربه والمسكر منه حرام واحتج على ذلك بما روى عن
عمر بن الخطاب انه كتب الى بعض عاله ان ارزق المسلمين من الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه وفى
رواية اما بعد فاطموا شرابكم حتى يذهب منه نصيب الشيطان فان له اثنين ولكم واحدا اخرجه
النسائي الطلاء بكسر الطاء والمد الشراب المطبوخ من عصير العنب الذى ذهب ثلثاه وبقي ثلثه
واحتج ايضا بما روى عن ابن عباس قال حرمت الحمر بعينها قليلا وكثيرها والسكر من كل
شراب اخرجه النسائي واستدل ايضا على ان السكر حرام لما روى عن ابى الاحوص عن القاسم
بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابى بردة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اشربوا ولا تسكروا
وعن عائشة نحوه اخرجه النسائي وقال هذا حديث غير ثابت واستدل الشافعى على ان الحمر من
حدة اشياء بما روى عن ابن عمر قال على منبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اما بعد

الاخرين بنور الحق
وحكم الشرع ومنها عن
عدوانها ايضا بتبديل
الوصية الذى هو نوع من
الجرعة والخيانة وتحريمها
على التحقيق والتدقيق فى
باب الحكمة التى هى كمالها
بالاصلاح بين الوصى لهم
على مقتضى الحكمة اذا
توقع وعلم من الوصى
اضرارا بالسوء او العمد
(حقا على المتقين فمن بدله بعد
ما سمعه فانما سمعه على الذين
يدلون ان الله سميع عليم فمن
خاف من موص جفا او انما
فاصلح بينهم فلا اثم عليه ان
الله غفور رحيم يا ايها الذين
آمنوا كتب عليكم الصيام
* الصيام قانون آخر مما
فرض لازالة عدوان القوة
البيمية وتسليطها (واعلم) *
ان قصاص اهل الحقيقة
ما ذكر ووصيتهم هى
بالحفاظة على عهد الازل
بترك ما سوى الحق كما قال
تعالى ووصى بها ابراهيم
بنه ويعقوب وصياههم
هو الامساك عن كل قول
وفعل وحركة وسكون
ليس بالحق للحق (كما
كتب على الذين من قبلكم
لعلكم تتقون يا امة ادوات
فمن كان منكم مريضا او على
سفر فعدة من ايام اخره على

ايها الناس انه نزل تحريم الخمر وهي من خمسة العنب والتمر والعسل والخطلة والشعير والحمر
 ما خامر العقل ثلاث وددت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عهدا لينا فيهن عهدا ينتهي اليه
 الجد والكلالة وابواب من ابواب الزنا اخرجته البخاري ومسلم (ق) عن عائشة ان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم سئل عن البتغ فقال كل شراب اسكر فهو حرام البتغ شراب يتخذ من
 العسل كان اهل اليمن يشربونه * عن النعمان بن بشير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان
 من العنب خرا وان من البر خرا وان من الشعير خرا وان من التمر خرا اخرجته ابو داود وزاد
 في رواية والذرة واني انها كم عن كل مسكر ولترمذي نحوه زاد وان من العسل خرا (خ) عن
 ابن عباس انه سئل عن الباذق فقال سبق حكم محمد بالباذق فاسكر فهو حرام عليك والشراب الحلال
 الطيب ليس بعد الحلال الطيب الا الحرام الخبيث قال صاحب المطالع الباذق بفتح الذال المججمة هو
 الطلاء المطبوع من عصير العنب كان اول من صنعه وسماه بنو امية لينقلوه عن اسم الحمر وكل ما اسكر
 فهو خمر لان الاسم لا ينقله عن معناه الموجود فيه وقال ابن الاثير في النهاية الباذق الخمر تعريب باذه
 وهو اسم للخمر بالقارسية اي لم يكن في زمانه اوسبق قوله فيها وفي غيرها من جنسها وقبل معناه
 سبق حكم محمد صلى الله عليه وسلم ان ما اسكر فهو حرام * عن ام سلمة قالت نهى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر اخرجته ابو داود والمفتر كل شراب اجى الجسد و صار فيه فتور
 وضعف وانكسار واستدل الشافعي على ما اسكر كثيره فقليله حرام بما روى عن جابر بن
 عبدالله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اسكر كثيره فقليله حرام اخرجته الترمذي وابو
 داود * عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر حرام وما اسكر منه الفرق فله
 الكنف منه حرام اخرجته ابو داود والنسائي وفي رواية له والحسوة منه حرام الفرق بالتحريك
 مكيال يسع تسعة عشر رطلا بالبغدادي واجيب عن حديث عمر في الطلاء بأنه مارض بما روى
 عن السائب بن يزيد ان عمر قال وجدت من فلان ريح شراب وزعم انه شرب الطلاء وانا
 سائل عنه فان كان يسكر جلده فسال عنه فقل له انه يسكر جلده عمر الحد ثاما اخرجته مالك
 في الموطا واما حديث ابن عباس فوقوف عليه ومعارض بما روى عنه في الباذق وقوله والسكر
 من كل شراب قد رواه الحفاظ السكر بفتح السين قال صاحب التريين السكر خمر الا حرام ويقال
 لما يسكر السكر وروى هذا الحديث ابن حنبل وقال فيه والمسكر من كل شراب وقال موسى
 بن هرون وهو الصواب واما حديث ابى الاحوص فقيه وهما احدهما في سنده حيث قال
 عن ابى بردة وانما يرويه سماك عن القاسم عن ابى بردة عن ابيه والوهم اثنا في منته حيث
 قال اشربوا ولا تسكروا وانما يرويه الناس ولا تشربوا مسكرا ويدل على صحة هذا ما روى
 مسلم في صحيحه عن محارب بن دثار عن ابن بريدة عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 كنت نهيتمكم عن الاشرية في ظروف الادم فاشربوا في كل وعاء غير ان لا تشربوا مسكرا وقال
 النسائي في حديث ابى الاحوص هذا حديث منكرو غلط فيه ابو الاحوص سلام بن سليم
 لا يعلم ان احدا تابعه عليه من اصحاب سماك واما حديث عائشة فيه فهو غير ثابت كما تقدم في
 قول النسائي في المسئلة الثانية في الحكم بنحاسة الخمر وما يلحق بها بنحاسة العين وبدل على
 نجاستها قوله تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه

الذين يطبقونه فدية طعام
 مسكين فمن تطوع خيرا
 فهو خير له وان تصوموا
 خير لكم ان كنتم تعلمون
 شهر رمضان اي احتراق
 النفس بنور الحق (الذي
 انزل فيه) في ذلك الوقت
 (القرآن هدى الناس) اي
 العلم الجامع الاجال المسمى
 بالعقل القرآني الموصل
 الى مقام الجمع * هداية للناس
 الى الوحدة باعتبار الجمع
 (وينبات من الهدى
 والفرقان فمن شهد منكم
 الشهر) ودلائل متصلة
 من الجمع والفرق اي
 العلم التفصيل المسمى
 بالعقل الفرقاني * فمن
 حضر منكم في ذلك الوقت
 اي بلغ مقام شهود الذات
 (فليصمه) اي فليصمك عن
 قول وفعل وحركة ليس
 بالحق فيه (وكان مريضا)
 اي مبتلى بامراض قلبه
 من الجلب الفسائية المانعة
 من ذلك الشهود (او على
 سفر فعدة من ايام آخر)
 اي في سلوكك بعد ولم يصل
 اليك الشهود الذاتي فعليه
 من اربا اخر يقطعها حتى
 يصل الى ذلك المقام (يريد
 الله بكم اليسر) بالوصول
 الى مقام التوحيد والامتداد
 بقدره الله (ولا يريد بكم
 اليسر) اي تكلف الافعال

والرجس في اللغة البس والشيء المستقذر وقوله تعالى فاجتنبوه فأمر باجتنابها فكانت نجسة العين وبدل على نجاستها أيضا أنها محرمة تناول للاحترام ولأن الناس مشغوفون بها فيذبحون ان يحكم بنجاستها تأكيذا لجزعها * المسئلة الثالثة في تحريم بيعها والانتفاع بها * اجتمعت الامة على تحريم بيع الجر والانتفاع بها وتحريم ثمنها وبدل على ذلك ما روى عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما لم يفتح مكة ان الله تعالى حرم بيع الجر والانتفاع بها والمينة والخزير والاصنام اخرجها في الصحيحين مع زيادة اللفظ (ق) عن عائشة قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان حرم من التجارة في الجر (ق) عن ابن عباس قال بلغ عن ابن الخطاب ان فلانا باع خرا فقال قاتل الله فلانا لم يعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فحملوها فباعوها عن المفيرة بن شعبة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من باع الجر فليشقص الخنازير اخرجها ابو داود وقوله فليشقص الخنازير اي فليقطعها قطعاً قطعاً كما تقطع الشاة للبيع والمعنى من استعمل بيع الجر فليستعمل بيع الخنازير فانهما في التحريم سواء * عن ابي طلحة قال يا نبي الله اني اشتريت خرا الايتام في جحري فقال اهرق الجر واكسر الدنان اخرجته الترمذي وقال وقد روى عن انس ان ابا طلحة كان عنده خمر لايتام وهو اصبح فان قلت فاجه قوله تعالى ومنافع للناس قلت منافعها الله التي توجد عند شربها والفرح والطرب معها وما كانوا يصيبون من الربح في ثمنها وذلك قبل التحريم فلما حرمت الجر حرم ذلك كله

فصل * واما الميسر فهو القمار واشتقاقه من اليسر لانه اخذ مال بسهولة من غير تعب وكذا قال ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يخاطر الرجل على اهله وماله فليما قرر صاحبه ذهب باهله وماله فانزل الله هذه الآية واصل الميسر ان اهل الثروة من العرب في الجاهلية كانوا يشترون جزورا فيفخروا بها ويحزونها ثمانية وعشرين جزائهم يسهمون عليها بعشرة قداح قال لها الا زلام والاقلام واسماؤها القذ والتوام والرقيب والحلس والناس والمسيل والمعل والمنج والسفج والوغد وكانوا يسهمون لسبعة منها انصاء فللذد سهما وللتوام سهمين وللرقيب ثلاثة اسهم وللحلس اربعة وللناس خمسة وللمعل ستة وللعل سبعة وثلاثة من القداح لا انصاء لها ودى المنج والسفج والوغد قال بعضهم

لي في الدنيا سهام * ليس فيهن ربيع انما سهمى وغد * ومنج وسفج

ثم يجمعون القداح في خريطة يسعونها الربابة ويضعونها على يد رجل عدل عندهم يسعونه المحيل والمفيض فيجعلها في الخريطة ويخرج منها قدحا باسم رجل منهم فليهم خرج اسمه اخذ نصيبه على قدر ما يخرج من القداح وان خرج له قدح من الثلاثة التي لا انصاء لها لم يأخذ شيئا وغرم ممن الجزور كله وقيل لا يأخذ ولا يفرم ويسمون ذلك القدح لغوا ثم يدفعون ذلك الجزور الى الفقراء ولا يأكلون منه شيئا وكانوا يفتخرون بذلك ويذهبون من لا يفعله ويسمونه البرم يعني البخل الذي لا يخرج شيئا بين اصحاب البخله واما حكم الآية فالمراد به جميع انواع القمار فكل شيء فيه قمار فهو من الميسر روى عن ابن سيرين ومجاهد وعطاء كل شيء فيه خطر يعني الرهن فهو من الميسر حتى لسب الصبيان بالجزور والكسب واما الزد فمحرّم

بالفس الضعيفة العاجزة (ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم) ولتتموا تلك المراتب والاحوال والمقامات الموصلة * ولتعظموا الله وتعرفوا عظمته وكبرياءه على هدايته اياكم الى مقام الجمع (ولعلكم تشكرون) بالاستقامة امركم بذلك (واذا سئلك عبادي عني) السالكون الطالبون المتوجهون الى عن معرفتي (فاني قريب) ظاهر (اجيب دعوة الداع اذا دعان) من يدعوني لسان الحال والاستعداد باعطائه ما اقتضى حاله واستعداده (فليستجيبوا لي) ليؤمنوا بي لعلهم يرشدون بتعصية الاستعداد بالزهد والعبادة فاني ادعوهم الى نفسي واعلمهم كيفية السلوك الى وايشاهدوني عند التعصية فاني اتجلى عليهم في مرأى قلوبهم * لكي يرشدوا بالاستقامة اي لكي يستقيوا ويصلحوا (احل لكم) اي ابيع لكم (ليلة الصيام) اي في وقت الغفلة الذي يتخلل ذلك الامساك المذكور في زمان حضوركم (الرفث الى ناسكم من لباسكم وانتم لباسهم) التزل الى قادفة نفوسكم

العقبه سواء كان بخاطر ام لا ويدل على تحريمه ما روى عن بريدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لعب بانزد شير فكأنما صبيغ يده في دم خنزير خرجه مسلم وعن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لعب بانزد شير فقد عصي الله ورسوله اخرجه ابوداود وعن علي بن ابي طالب قال انزد والشرطيح من اليسر واختلوا في الشرطيح فذهب ابي حنيفة انه يحرم العقبه سواء كان برهن او بغير رهن ومذهب الشافعي انه مباح بشروط ذكرها الشافعي فقال اذا خلا الشرطيح عن الرهان والسان عن الطغيان وروى عن الهذيان والصلاة عن النسيان لم يكن حراما وهو خارج عن اليسر لان اليسر ما يوجب دفع مال واخذ مال وهذا ليس كذلك وقوله تعالى (قل فيما) يعني في الحجر واليسر (اثم كبير) اي وزر عظيم وقيل ان الحجر عدو للعقل فاذا غلبت على عقل الانسان ارتكب كل قبيح ففي ذلك آثام كبيرة منها اقدامه على شرب المحرم ومنها فعل ما لا يحل فعله واما الاثم الكبير في اليسر فهو اكل المال الحرام بالباطل وما يجري بينهما من الشتم والخاصمة والمعاداة وكل ذلك فيه آثام كثيرة (ومنافع للناس) يعني انهم كانوا يربحون في بيع الحجر قبل تحريمها واما منافع اليسر فهو اخذ مال بغير كد ولا تعب قيل ربما ان الواحد منهم كان يقصر في المجلس الواحد مائة بغير فيحصل له المال الكثير وربما كان يصرفه الى المحتاجين فيكسب بذلك الثناء والمدح وهو المنفعة (واثمها اكبر من نفعهما) يعني اثمهما بعد التحريم اكبر من نفعهما قبل التحريم وقيل اثمهما قوله تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الحجر واليسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون فهذه ذنوب يترتب عليها آثام كبيرة بسبب الحجر واليسر * قوله تعالى (ويستلونك ماذا ينفقون) وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حضهم على الصدقة فقالوا ماذا نفق فقال الله تعالى (قل النفو) يعني الفضل والنفو ما فضل عن قدر الحاجة فكانت العصابة يكتسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفاضل بحكم هذه الآية ثم نصح ذلك بآية الزكاة وقيل هو التصديق من ظهر غنى (ق) عن الزهري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول وقيل هو الوسط في الاتفاق من غير اسراف ولا افتار وقيل هو في صدقة التطوع اذ لو كان المراد بهذا الاتفاق الواجب لبين الله قدره فلما لم يبينه دل ذلك على ان المراد به صدقة التطوع (كذلك يبين الله لكم الآيات) اي يبين لكم الامور التي سأتم عنها من وجوه الاتفاق ومصارفه (لعلكم تفكرون في الدنيا والآخرة) يعني فتأخذون ما يصلحكم في الدنيا ويتفقون الباقي فينفقكم في الآخرة وقيل لعلكم تفكرون في زوال الدنيا فترهدوا فيها وفي اقبال الآخرة وبقائها فترغبوا فيها * قوله عز وجل (ويستلونك عن اليتامى) قال ابن عباس لما نزلت ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما نخرج السلطان من اموال اليتامى نحرجا شديدا حتى عزلوا اموالهم وتركوا محاللتهم وربما كان يصنع لليتيم الطعام فيفضل منه فيتركه ولا يأكلونه فاشتد ذلك عليهم فدأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى ويستلونك عن اليتامى (قل اصلاح لهم خير) اي اصلاح اموال اليتامى من غير اخذ اجرة ولا هوض خير لكم اي

يحفظونها اذ لا مصابة لكم عنها لكونها تلابسكم وكونكم تلابسونها بالطلق الضروري (علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم) باستراق الحظوظ في ازمنة تلك السلوك والرياضة والحضور (فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن) اي في وقت الاستقامة والتحكين حال البقاء بعد الفناء (باشروهن) في اوقات الغفلات (وابتغوا ما كتب الله لكم) من التقوى والتحكين بتلك الحظوظ على توفير حقوق الاستقامة والقيام بما امر الله به من العبودية والدعوة اليه (وكلوا واشربوا) اي كونوا مع رفقا (حتى يبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من النجس ثم اتوا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وانتم ما كنون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون) حتى تظهر عليكم بوادي الحضور ولوامعه وتقلب آثره وانواره على سواد الغفلة وظلمتها ثم كونوا على الامساك المذكور بالحضور مع الحق حتى

يا في زمان الفضلة لولا ذلك
 لا امكنه القيام بمصالح
 معاشه ومعامته ولا تقاربوه
 في حال كونكم
 معتكفين مقيمين حاضرين
 في مساجد قلوبكم والا
 تشوش وقتكم بظهورها
 (ولا تأكلوا اموالكم)
 معارفكم ومعلوماتكم (بينكم
 بالباطل) باطل شهوات
 النفس ولذاتها تفصيل
 ما ربه واكتساب مقاصدها
 الحسية والخيرية باستعمالها
 (وتدلوها الى الحكم)
 وترسلوا الى حكام الفوس
 الامارة بالسوء (لتأكلوا
 فريقا من اموال الناس)
 القوى الروحانية (بالاثم)
 اي بالظلم لصر فكم اياها
 في ملاذ القوى الفسادية
 (وانتم تعلمون) ان ذلك اثم
 ووضع لشيء في غير موضعه
 (يسئلونك عن الاهلة)
 اي عن الطوائف القلبية
 عند اشراق نور الروح
 عليهم (قل هي واقية للناس
 والحج) اي اوقات وجوب
 المعاملة في سبيل الله وعزيمة
 السلوك وطواف بيت
 القلب والوقوف في مقام
 المعرفة (وليس البر بان
 تأتوا البيوت) بيوت قلوبكم

اعظم اجرا وقيل هو ان يوسع على اليتيم من طعام نفسه ولا يوسع من طعام البيت
 (وان تحالطوهم) يعني في الطعام والخدمة والسكنى وهذا فيه اباحة المحالطة
 اي شاركوهم في اموالهم واخلطوها باموالكم ونفقاتكم ومساكنكم وخدمكم
 ودوابكم فصيروا من اموالهم عوضا من قيامكم بأمورهم او تكافؤهم على ما تصيبون من
 اموالهم (فاخوانكم) اي فهم اخوانكم والاخوان يمين بعضهم بعضا ويصيب بعضهم
 من مال بعض على وجه الاصلاح والرضا (والله يعلم الفساد من المصلح) يعني الفساد لئال البيت
 والمصلح له ويعلم الذي يقصد بالمخالطة الخيانة واكل مال اليتيم بغير حق والذي يقصد الاصلاح
 (ولو شاء الله لاحتكم) اي لضيق عليكم وما اباح لكم مخالطتهم واصل العنت الشدة والمشقة
 والمعنى لكلفكم في كل شيء ما يشق عليكم (ان الله عزيز حكيم) اي غالب يقدر ان يشق
 على عباده ويعنتهم ولكنه حكيم لا يكاف عباده الا ما تنسج فيه طاعتهم قوله عز وجل (ولا
 تنكحوا المشركات حتى يؤمن) نزلت في ابي مرثد بن ابي مرثد الضوي وامم ابي مرثد
 بسار بن حصين بنه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين سرا
 فلما قدمها سمعت به امرأة مشركة يقال لها عناق وكانت حليته في الجاهلية فأتته فقالت الا
 تخلو فقال ويحك يا عناق ان الاسلام حال بيني وبين ذلك فقالت له هل لك ان تزوج بي قال
 نعم ولكن ارجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم استأمره فقالت ابي تبرم واستأنت عليه
 فضربه ضربا شديدا ثم خلوا سبيله فلما قضى حاجته بمكة وانصرف الى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم اعلم بما كان من امره وامر عناق ومالقي بسببها وقال يا رسول الله احل لي ان اتزوجها
 فانزل الله تعالى هذه الآية واصل النكاح في اللغة الوطء ثم كثر حتى قيل للعقد نكاح ومعنى الآية
 ولا تنكحوا اهل المؤمنين المشركات حتى يؤمن اي يصدقن بالله ورسوله وهو الاقرار بالشهادتين
 والتزام احكام المسلمين واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقيل انها تدل على ان كل مشركة تحرم
 نكاحها على كل مسلم من اي اجناس الشرك كانت كالوثنية والمجوسية والنصرانية وغيرهن من
 اصناف المشركات ثم استثنى الله تعالى من ذلك نكاح الحرائر الكتابيات بقوله تعالى والمحصنات
 من الذين اتوا الكتاب من قبلكم فاباح الله تعالى نكاحهن بهذه الآية قال ابن عباس في قوله
 تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ثم استثنى نساء اهل الكتاب فقال والمحصنات من الذين
 اتوا الكتاب من قبلكم وقيل ان حكم الآية نزلت في مشركات العرب الوثنيات خاصة ولم ينسخ
 منها شيء ولم يستثن وانما حكمها عام مخصوص قال قتادة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن
 يعني مشركات العرب الا ان ليس فيهن كتاب يقرأه ويان هذا في مسئلة وهي ان لفظ الشرك
 على من يطلقه الا كثرون من العلماء وهو القول الصحيح المختار ان لفظ الشرك يندرج فيه اهل
 الكتاب من اليهود والنصارى وكذلك عبدة الاصنام والمجوس وغيرهم ويدل على ان اليهود
 والنصارى يطلق عليهم اسم الشرك قوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى
 المسيح ابن الله ثم قال تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم
 وما امروا الا لعباد الله واحدا لاله الا هو سبحانه عما يشركون فهذه الآية صريحة في شرك
 اليهود والنصارى وقيل كل من كفر بالله صلى الله عليه وسلم وان زعم ان الله تعالى واحد فهو

بشرك وذلك ان من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم مع صحة نبوته وظهور جهازه فقد زعم ان ما اتى به النبي صلى الله عليه وسلم هو من عند غير الله فقد اشرك مع الله غيره فعلى هذا القول ايضا يدخل فيه اليهود والنصارى لانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان اسم الشرك لا يتناول الالهة الاوثان فقط والاول اصح لما تقدم من ادلة فعله قول من قال ان اسم الشرك لا يتناول الا الوثنيات تكون الآية محكمة وعلى قول الاكثرين ان اسم الشرك يتناول الوثنيات والكتابات وغيرهن تكون الآية محكمة في حق الوثنيات منسوخة في حق الكتابات وقوله تعالى (ولائمة مؤمنة خير) يعنى انفع واصلم وافضل (من مشركة) يعنى حرة (ولو اعجبتمكم) يعنى بحمالها ومالها ونسبها فالامة المؤمنة خير وافضل عند الله من الحرة المشركة نزلت في خنساء ولدة كانت لحذيفة بن اليمان فقال يا خنساء قد ذكرت في الملاء الاعلى على سوادك ودمايك ثم اعتمها وتزوجها وقيل نزلت في عبدالله بن رواحة كانت عنده امرأة سوداء فغضب عليها يوما فلطمها ثم فزع فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال وماهى يا عبدالله قال هى تشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله وتصوم رمضان وتحسن الوضوء وتصلى فقال هذه امة مؤمنة قال عبدالله فوالذى بعتك بالحق لا اعتقنها ولا تزوجتها ففعلن عليه ناس من المسلمين فقالوا اتسكن امة وعرضوا عليه حرة مشركة فآثر الله هذه الآية (ولا تتكسوا المشركين حتى يؤمنوا) هذا خطاب لاولياء المرأة اى لا تزوجوا المسلمة من المشركين حرم على المؤمنين ان ينكحوا مشركا من اى اصناف الشرك كان وانفقد الاجماع على انه لا يجوز للمسلمة ان تزوج بالمشرك (ولعبد مؤمن خير من مشرك) يعنى حرا (ولو اعجبكم) بحسنه وماله وجاله (اولئك يدعون الى النار) يعنى يدعون الى الشرك الذى يؤدى الى النار (والله يدعو الى الجنة والمغفرة) يعنى انه تعالى بين هذه الاحكام وابعاد بعضها وحرم بعضها فاعملوا بما امركم به وانتهوا عما نهاكم عنه فانه من عمل بذلك استحق الجنة والمغفرة (باذنه) اى بتيسير الله وارادته وتوفيقه (وبين آياته للناس) اى يوضحه ادله وجهه فى او امره ونواهي واحكامه (لهم يذكرون) اى فيستولون * قوله عز وجل (ويستلونك عن الحيض) (م) عن انس ان اليهود كانوا اذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوها فى البيوت فسأل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم فآثر الله عز وجل ويستلونك عن الحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء فى الحيض الى آخر الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنعوا كل شئ الا السكاح فبلغ ذلك اليهود فقالوا ما يريد هذا الرجل ان يدع من امرنا شئ الا خالفنا فيه فجاء اسيدان حضير وعبدان بشرفقالا يا رسول الله ان اليهود تقول كذا وكذا افلا نجاءهم فخير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نساها قد وجد عليهما فخرجا استقبلتهما هدية من لبن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل فى آثارهما فسقاها فصرفا انه لم يجد عليهما الوجدان غضب واصل الحيض السيلان والاشجار يقال حاض الوادى اذا سال وفاض ماؤه (قل هو اذى) اى هوشى قدروا الاذى فى المغفرة ما يكره من كل شئ (فاعتزلوا النساء فى الحيض) اى فاجتنبوا مجامعتهم (ولا تقربوهن) يعنى بالوطاء والمجامعة فهو كالتوكيد لقوله فاعتزلوا النساء فى الحيض (حتى يطهرن) يعنى من

(من ظهورها) من طرق حوامسكم وعلوكم المتأخوذة من المشاعر البدنية فان ظهر القلب هو الجهة التى تلى البدن (ولكن البر) بر (من اتقى) شواغل الخواص وهو احبس الخيال ووساوس النفس (واتوا البيوت من ابوابها) الباطنة التى تلى الروح والحق فان باب القلب هو الطريق الذى انفتح منه الى الحق (واتقوا الله) فى الاشتغال بما يشغلكم عنه (لعلمكم تفليحون وقانا وافي سبيل الله الذين يقاتلونكم) من الشيطان وقوى النفس الامارة (ولا تشدوا) فى قتالها بان تبتئوها من قيامها بحقوقها والوقوف على حدودها حتى تقع فى التفریط والتقصير والفتور (ان الله لا يحب المعتدين) لكونهم خارجين عن ظل المحبة والوحدة الذى هو العدالة (واقتلوهم حيث تقتلوهم) وجموعهم ازيلوا حياتهم واموتهم من افعالها بقمع هو الذى هو روحها حيث كانوا (واخرجوهم) من حيث اخرحواكم والفتنة اشد من القتل

من مكة الصدر عد
استيلائها عليها كما اخرجوكم
عنها باستزالككم الى بقعة
الفس واخراجكم عن
مقر القلب * وقتهم التي
هي عبادة هواها واصنام
انما اشد من قع هواها
واماتتها الكلية او محتكم
وابتلاؤكم بهاعد استيلائها
اشد عليكم من القتل الذي
هو طمس غرائزكم بالكلية
لزيادة الالم هناك (ولا
تقاتلوهم عد المسجد
الحرام) الذي هو مقام
القلب اي عد الحضور
القلبي اذا وفقوكم في
توجهكم فانها اعوانكم على
الساووك حيثئذ (حتى
يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم
فاقتلوهم كذلك جزاء
الكافرين فان انتهوا فان الله
غفور رحيم) وبازهوكم
في مطالبهم ويجروكم عن
جنب القلب ودين الحق
الى مقام الفس ودينهم
الذي هو عبادة الجهل
(وقاتلوهم حتى لا تكون
منة) من تارهم ودواعيم
وتبدهم (ويكون الدين لله)
بتوجه جميعها الى جنب
القدس ومثابته للسرف
التوجه الى الحق ليس

الحيض والمني ولا تقربوهن حتى يزول عنهن الدم وقرى يطهرن بتشديد الطاء ومعناه حتى
يفتسلن (فاذا تطهرن) اي اغتسلن من حيضهن (فأتوهن من حيث امركم الله) قال ابن
عباس طوهن في الفرج ولا تمتدوا الى غيره فانه هو الذي امر الله به ولا تأتوهن في غير الماتي وقيل
فأتوهن من الوجه الذي امركم الله به وهو الطهر وقيل معناه وأتوهن من حيث يحل لكم غشائهن
وذلك بان لا يكن صاعغات ولا معتكفات ولا محرمات

فصل في حكم هذه الآية وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اجمع المسلمون على تحريم الجماع
في زمن الحيض ومستهله كافر عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اتى حائضا
او امرأة في دبرها او كافها فقد كفر بما ازل على محمد اخرجه الترمذي وقال انما معنى هذا
عند اهل العلم على التخليط ومن فعله وهو عالم بالتحريم عزره الامام وفي وجوب الكفارة قولان
احدهما انه يستغفر الله ويتوب اليه ولا كفارة عليه وهو قول ابي حنيفة والشافعي في الجديد
والقول الثاني انه تجب عليه الكفارة وهو القول انقديم للشافعي وبه قال احمد بن حنبل لما
روى عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في الرجل يقع على امرأته وهي حائض قال
يتصدق بنصف دينار وفي رواية قال اذا كان دما اجر فدينار وان كان دما صفر فصف
دينار اخرجه الترمذي وقال رفعه بعضهم عن ابن عباس ووقفه بعضهم (المسئلة الثانية)
اجمع العلماء على جواز الاستمتاع بالمرأة الحائض بما فوق المرة ودون الركبة وجواز مضاجعتها
وملاستها ويدل على ذلك ما روى عن عائشة قالت كانت احدانا اذا كانت حائضا واراد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يباشرها امرها ان تأتزر بازاري فور حيضها ثم يباشرها
وايكم يملك اربه كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يملك اربه وفي رواية قالت كنت
اغتسل انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من اناه واحد وكلانا يجب وكان يأمرني فأتزر
فيها شرني وانا حائض اخرجاه في الصحيحين المراد بالمباشرة الاستمتاع بما دون الفرج وفور كل
شيء اوله وابتدأه وقولها يملك اربه يروى بسكون الراء وهو العضو وفهها وهو الحاجة
(م) عن عائشة قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ناوليني الحجرة من المسجد قلت انا
حائض قال ان حبيبتك ليست في يدك الحجرة حصير صغير مضمفور من سعف النخل او غيره
بقدر الكف وقولها من المسجد يعني ناداها من المسجد لانه صلى الله عليه وسلم كان معتكفا
في المسجد وعائشة في حجرتها فطلب منها الحجرة وهي حائض (المسئلة الثالثة) يحرم على الحائض
الصلاة والصوم ودخول المسجد وقراءة القرآن ومس المنصف وحمله فلو امت الحائض من
الملوث في عبور المسجد جاز في احد الوجهين قياسا على الجنب والثاني لالان حدثها اغلظ
ويجب على الحائض قضاء الصوم دون الصلاة لما روى عن معاذة العدوية قالت سألت عائشة
فقلت ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة قالت احرورية انت قلت استبحرورية
ولكني اسأل قالت كان يصينا ذلك فتؤمر بقضاء الصوم ولا تؤمر بقضاء الصلاة اخرجاه
في الصحيحين (المسئلة الرابعة) لا يرتفع شيء مما منعه الحيض باقطاع الدم عالم فتتسل او تقيم حد
حدم الماء الا الصوم فانه اذا انقطع دمها بالليل ونوت الصوم فانه يصح وان اغتسلت في النهار
وذهب ابو حنيفة الى انه يجوز للزوج غشائها اذا انقطع الدم لاكثر الحيض وهو عشرة ايام

عنده قبل القتل ومذهب الشافعي وغيره من العلماء انه لا يجوز للزوج غشيانها ما لم تقتسل من الحيض او تنيم عند عدم الماء لان الله تعالى علق جواز وطأ الحائض بشرطين احدهما انقطاع الدم والثاني القتل فقال ولا تقربوهن حتى يطهرن يعني من الحيض فاذا تطهرن يعني اختسطن قأتوهن من حيث امركم الله فدل ذلك على ان الوطء لا يحل قبل القتل وقوله تعالى (ان الله يحب المتواابين) يعني من الذنوب والتواب الذي كلا اذنب جدد توبة وقبل التواب هو الذي لا يعود الى الذنب (ويحب المتطهرين) يعني من الاحداث وسائر التماسات بالماء وقبل المتطهرين من الشرك ولو قيل هم الذي لم يصيبوا الذنوب قوله عز وجل (نساؤكم حرث لكم) الآية (ق) عن جابر قال كانت اليهود تقول اذا جامعها من ورائها جاء الولد احول فترث نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم اتي شتم وفي رواية للترمذي كانت اليهود تقول من اتي المرأة في قبلها من دبرها وذكر الحديث وعن ابن عباس قال جاء عر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هلكت قال وما اهلكك قال حولت رحلى الليلة قال فلم يرد عليه شيئا فوجه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم اتي شتم اقبل وادبر واتق الدبر والحضة اخرجته الترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله حولت رحلى هو كتابة عن الاثنيان في غير المحل المعتاد هذا ظاهره ويجوز ان يريد به انه اتاها في المحل المعتاد لكن من جهة ظهرها وعن ابن عباس قال كان هذا الحلى من الانصار وهم اهل وثن مع هذا الحلى من يهودهم اهل كتاب فكانوا يرون لهم فضلا عليهم في العلم فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم وكان من شأن اهل الكتاب ان لا يأتوا النساء الا على حرف وذلك اشق ما تكون المرأة فكان هذا الحلى من الانصار قد اخذوا بذلك من فعلهم وكان هذا الحلى من قريش يشرحون النساء شرحا منكرا ويتلذذون بهن مقبلات ومدبرات ومستقلات فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الانصار فذهب ان يصنع بها ذلك فانكرته عليه وقالت انا كما نفق على حرف فاصنع ذلك والا فاجتنبني حتى سرى امرهما فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتزل الله من وجل نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم اتي شتم اي مقبلات ومدبرات ومستقلات يعني بذلك موضع الولد اخرجته ابوداود والوثن الصنم وقيل الصورة لاجته لها وقوله على حرف الحرف الجانب وحرف كل شئ ثجابه وقوله بشرحون النساء يقال شرح فلان جاريته اذا وطئها على قفاها واصل الشرح البسط وقوله سرى امرهما اي ارتفع وعظم وتفاخم واصله من سرى البرق اذا لج في البهائم عن ام سلة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في قوله تعالى نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم اتي شتم في صمام واحديروى سما بالسين اخرجته الترمذي وقال حديث حسن وقوله تعالى حرث لكم معناه مزرع لكم ومنبت لاولدوه هذا سبيل التشبيه فجعل فرج المرأة كالارض والطفة كالبر والولد كالبات الخارج (فاتوا حرثكم اتي شتم) يعني كيف شتم وحيث شتم اذا كان في القبل والمعنى كيف شتم مقبلة ومدبرة على كل حال اذا كان في الفرج وفي الآية دليل على تحريم اتيان النساء في ادبارهن لان محل الحرث والزرع هو القبل لا الدبر ويؤيد ذلك ما روى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون من اتي امرأة في دبرها اخرجته ابوداود وقال سعيد بن المسيب هذا في العزل يعني ان شتم فاهزوا

لشيطان والهوى فيه نصيب (فان اتهموا فلا عدوان الا على الظالمين) عليهم الا العادين المجاوزين عن حدودهم (الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرامات فصاص فن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمنل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين) اي وقت منعها اياكم عن مقصدكم وديكم هو بعينه وقت منعكم اياها عن حقوقها حتى ترضى بالوقوف على حدودها وشهرها الحرام هو وقت قيامها بحقوقها وشهركم الحرام هو وقت الحضور والمراقبة (وانفقوا في سبيل الله) ما معكم من العلوم بالعمل بها ولا تدخروها لوقت آخر عسى لتدركونه فلا شئ اضر من التسويف (ولا تملقوا بأيديكم الى التهلكة) تهلكة التفريط وتأخير العمل بالعلم واتفاقه في مصالح النفس فانه وجب للحرمان (واحسنوا) اي وكونوا في عملكم مشاهدين (المشاهدين في اعمالهم ربهم مخلصين له فيها) واتموا الخ والعمره لله

وان شتم لاتزلوا وسل ابن عباس عن العزل فقال حرثك ان شئت فعتش وان شئت
 فارو ويروى عنه انه قال تستأمر الحرة في العزل ولاتستأمر الجارية وبه قال احدوكره جماعة
 العزل وقالوا هو الوأد الخفي وروى نافع قال كنت امسك على ابن عمر المصحف فقرأ هذه الآية
 نساؤكم حرث لكم قال تدرى فيم نزلت هذه الآية قلت لا قال نزلت في رجل اتى امرأته
 في دبرها فشقي ذلك عليه فنزلت هذه الآية وروى عبدالله بن الحسن انه لقي سالم بن عبدالله بن
 عمر فقال له يا عمر ما حديث يحدثه نافع عن عبدالله انه لم يكن يرى بأسا باتيان النساء في ادبارهن
 فقال كذب العبد واخطا انما قال عبدالله يؤتون في فروجهن من ادبارهن ويحكى عن مالك اباحة
 ذلك وانكره اصحابه واجمع جمهور العلماء على تحريم اتيان النساء في ادبارهن وقالوا لان الله
 حرم الفرج في حال الحيض لاجل النجاسة العارضة وهو الادم فالولى ان يحرم الدبر لاجل النجاسة
 اللازمة ولان الله تعالى نص على ذكر الحث والحث به يكون نبات الولد فلا يخل العدول عنه
 الى غيره * وقوله تعالى (وقدموا لانفسكم) يعنى الولد وقيل قدمه والتسمية والدعاء عند الجماع
 (ق) عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لو ان احداكم اذا اراد ان يأتى اهله قال
 بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقنا فانه ان يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره
 الشيطان ابدا وقيل اراد به تقديم الافراط (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتحمه السار التحلة القسم قوله الا
 تحلة القسم يعنى قدر ما ير الله قسمه فيه وهو قوله تعالى وان منكم الاواردها فاذا وردتها
 جاوزها فقد ار الله قسمه وقيل قدمه وانفسكم يعنى من الخير والعمل الصالح بدليل سياق الآية
 (واقتوا الله) اى احذروا ان تأتوا شيئا مما نهاكم الله عنه (واعلموا انكم ملائكة) اى
 صارتون اليه في الآخرة فيجزىكم باعمالكم (وبشرا المؤمنين) يعنى بالكرامة من الله تعالى *
 قوله عز وجل (ولا تجعلوا الله عرضة لايامنكم) نزلت في عبدالله بن رواحة كان بينه
 وبين ختته بشير بن النعمان شيء يخاف عبدالله لا يدخل عليه ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين
 خصم له فكان اذا قيل له فيه يقول قد حلفت بالله ان لا افعل فلا يخل الى الان تبرئ مني فانزل الله
 هذه الآية وقيل نزلت في ابي بكر الصديق حين حلف ان لا يفتق على مسطح حين خاض في حديث
 الافك والعرضة ما يجعل معرضة للشيء وقيل العرضة الشدة والقوة وكل ما يعترض فيمنع عن الشيء
 فهو عرضة والمعنى ولا تجعلوا الحلف بالله سببا مانعا لكم من البر والتقوى يدعى احداكم الى
 بر أو صلة رحم فيقول قد حلفت بالله لا افعله فيعتل بيمينه في ترك البر والاصلاح (ان تبروا
 وتعتقوا وتصلحوا بين الناس) قيل معناه لا تحلفوا بالله ان لا تبروا ولا تعتقوا ولا تصلحوا بين الناس
 (م) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا
 منها فليأتها وليكفر عن يمينه وقيل معناه لا تكثروا الحلف بالله وان كنتم بارين معلمين فان
 كثرة الحلف بالله ضرب من الجراءة عليه (والله سمع) اى لحلفكم (عليه) يعنى بنياتكم
 * قوله عز وجل (لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم) اللغو كل ساقط مطرح من الكلام وما
 لا يتدبره وهو الذي يورد لاعتن روية وفكر واللغو في اليمين هو الذي لا عقد معه كقول
 القائل لا والله بلى والله على سبيل السان من غير قصد ونية وبه قال الشافعي ويعضده ما روى

صحيح توحيد الذات وعادة
 توحيد الصفات باتعام جميع
 المقامات والاحوال بالسلوك
 الى الله وفي الله (فان
 احصرتم) جمع كفار
 النفس الامارة اياكم عنهما
 (فاستبسر من الهدى)
 فجاهدوا في الله بسوق
 هدى النفس وذبحها ببناء
 كعبة القلب او عرصة
 مائتي منها القلب من المقام وما
 استبسر اشارة الى ان النفوس
 مختلفة في استعداداتها
 وصفاتها فبعضها
 موصوف بصفات حيوان
 ضعيف وبعضها بصفات
 حيوان قوى ولكل ما ييسر
 وبعضها بصفات حيوان
 ذلول سهل الانقياد
 وبعضها بصفات حيوان
 صعب غير الانقياد وربما
 كان بعضها صفة لم يتيسر
 قعها وان يتيسر فمع سائر
 صفاتها ومثل هذا الحاج
 محصر ابدا (ولا تحلقوا
 رؤسكم) ولا تزيلوا آثار
 الطبيعة وتخساروا طيب
 القلب وفراغ الخاطر من
 الهوم والتعلقات كلها
 والعبادات والعبادات
 وتقتصروا على صفاء
 الوقت كما هو مذهب
 القلندرية (حتى يبلغ الهدى)

عن عائشة قالت نزل قوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم في قول الرجل لا والله وبلى والله أخرجه البخاري موقوفاً ورثه أبو داود قال قالت عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو قول الرجل في يمينه كلا والله وبلى والله ورواه عنها أيضاً موقوفاً وقيل في معنى اللغو هو أن يحلف الرجل على شيء يرى أنه صادق ثم يتبين له خلاف ذلك وبه قال أبو حنيفة ولا كفارة فيه ولا إثم عليه عنده قال مالك في الموطأ أحسن ما سمعت في ذلك اللغو حلف الإنسان على الشيء يتيقن أنه كذا ثم يوجد بخلافه فلا كفارة فيه قال والذي يحلف على الشيء وهو يعلم أنه فيه آثم كاذب ليرضى به أحداً ويتذر لمخاوق أو يقطع به مالا فهذا اعظم من أن تكون فيه كفارة وإنما الكفارة على من حلف أن لا يفعل الشيء المباح له فعله ثم يفعله أو أن يفعله ثم لا يفعله مثل أن يحلف لا يبيع ثوبه بعشرة دراهم ثم يبيعه بذلك أو يحلف ليضربن غلامه ثم لا يضربه وقائدة الخلاف الذي بين الشافعي وأبي حنيفة في لقوا اليمين أن الشافعي لا يوجب الكفارة في قول الرجل لا والله وبلى والله وبوجهاً فيما إذا حلف على شيء يعتقد أنه كان ثم بان أنه لم يكن وأبو حنيفة يحكم بضد ذلك ومذهب الشافعي هو قول عائشة والشافعي وعكرمة ومذهب أبي حنيفة هو قول ابن عباس والحسن ومجاهد والنخعي والزهري وسليمان بن يسار وقادة ومكحول وقيل في معنى اللغو أنه اليمين في الغضب وقيل هو ما يقع سهواً من غير قصد البتة ومعنى لا يؤاخذكم أي لا يعاتبكم الله بلغو اليمين وقيل لا يؤاخذكم أي لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) يعني لكن يؤاخذكم بما عزمتم عليه وقصدتم له وكسب القلب هو العقد والنية

فصل في بيان حكم الآية وفيه مسائل **المسألة الأولى** لا تعقد اليمين إلا بالله وبأسمائه وصفاته فاما اليمين بالله فهو كقول الرجل والذي نفسي بيده والذي أبده ونحو ذلك والحلف بأسمائه كقوله والله والرحمن والرحيم واليمين ونحو ذلك والحلف بصفاته كقوله وعزة الله وقدرته وعظمته ونحوه فإذا حلف بشيء من ذلك ثم حث فعله الكفارة **المسألة الثانية** لا يجوز الحلف بنير الله كقوله والكعبة والنبي وأبي ونحو ذلك فإذا حلف بشيء من ذلك لا تعقد يمينه ولا كفارة عليه ويكره الحلف به لما روى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أدرك عمر وهو يسير في ركب وهو يحلف بأبيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله ينهاكم أن تخلعوا بأبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله أولي صحت أخرجاه في الصحيحين **المسألة الثالثة** إذا حلف على أمر في المستقبل فحث فعله الكفارة وإن كان على أمر ماضٍ ولم يكن أو على أنه لم يكن فكان فإن كان عالماً بحال حلفه بأن يقول والله ما فعلت وقد فعل أو لقد فعلت وما فعل فهذه اليمين التمسوس وهي من الكبائر سميت غموساً لأنها تغمس صاحبها في الأثم وتجب فيها الكفارة عند الشافعي سواء كان عالماً أو جاهلاً وذهب أبو حنيفة إلى أنه لا كفارة عليه فإن كان عالماً فهي كبيرة وإن كان جاهلاً فهي من لقوا اليمين (والله غفور) يعني لعباده فيما أتوا من إيمانهم التي أخبر أنه لا يؤاخذهم عليها ولو شاء أخذهم والزهم الكفارة في العاجل والقوبة عليها في الآجل (حليم) يعني في ترك معاملة أهل العصيان بالقوبة قال الحلبي في معنى الحليم أنه الذي لا يجبس انعامه وأفضاله عن عبادة لاجل ذنوبهم ولكنه يرزق العاصي كما يرزق المطيع

هدى النفس (محله) أي مكانه وهو مذهب أو مخرجه الذي يقتضي أن تكون أفعالها التي كانت محرمة عند حياتها بهوها نصير حلالاً عند قتلها لتكونها بالقلب فتأمنوا من بقاياها والانشوش وفنكم وتكرر صفاؤكم بظهورها ونشاطها بالدعوى عند بسط القلب كما هو حال أكثر القلندرية اليوم (فمن كان منكم مريضاً) أي ضعيف الاستعداد يملأ القلب بعوارض لازمة في جبلتها أو مكتسبة من العادات (أوبه أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك) أو يمنوا بمثل بهموم وتعلقات ورذائل وهيات ولم يتيسر له السلوك بالمجاهدة على ما ينبغي وإراد أن يقتصر على طيب القلب وصفاء الوقت ليبقى على الفطرة ولا ينكس ويحط من درجته وإن لم يترق فعله فدية من أمساك عن بعض لذاته وشواغله الفسافة * أو فعل برا أو رياضة ومجاهدة تقيم بعض القوى المزاجية للمحفظ وقته ويراع صفاه زهد ما أو عبادة أو مخالفة نفس (فإذا أنتم) من العدو

وبقيه وهو منكم كابتى البرالتقى وقديقه الآفات والبلايا وهو غافل لا يذكر فضلا عن
 ان يدعو كما يقبها الناسك الذى يدعو وبسأله وقال ابوسليمان الخطابي الحلبي ذوالصفحة والاناة
 الذى لا يستغفره غضب ولا يستخفه جهل جاهل ولا عصيان طامع ولا يستحق الصامع مع الجهر
 اسم الحلبي انما الحلبي الصفوح مع القدرة على الانتقام المتأني الذى لا يعمل بالعقوبة * قوله
 عز وجل (الذين يؤلون من نسائهم) يؤلون أى يحلفون والاية الجين قال كثير
 قليل الا لا يحافظ ليمينه * وان سبقت منه الالية برت
 والايلاء فى عرف الشرع هو اليمين على ترك الوطء كما اذا قال والله لا اجامعك اولا بأضعك
 اولا اقربك قال ابن عباس كان اهل الجاهلية اذا طلب الرجل من امرأته شيئا فابت ان تعطيه
 حلف لا يقربها السنة والسنين والثلاث فبدعها لا يما ولا ذات بعل فلا كان الاسلام جعل الله
 ذلك للمسلمين اربعة اشهر وانزل هذه الآية وقال سعيد بن المسيب كان الايلاء ضرارا لاهل
 الجاهلية فكان الرجل لا يريد امرأته ولا يحب ان يتزوجها غيره فيحلف ان لا يقربها ابدا
 فيتركها لا يما ولا ذات بعل وكانوا عليه فى ابتداء الاسلام فجعل الله تعالى له الاجل الذى به يهلم
 ما عند الرجل فى المرأة اربعة اشهر وانزل هذه الآية للذين يؤلون من نسائهم (تربص)
 أى انتظار (اربعة اشهر) والتربص التثبت والانتظار (فان فاؤا) أى رجعوا عن اليمين
 بالوطء والمعنى فان رجعوا عما حلفوا عليه من ترك جماعها (فان الله غفور رحيم) للزوج
 اذا تاب من اضراره بامرأته فانه غفور رحيم لكل التائبين * فروع * تتعلق بحكم الآية
 * الفرع الاول * اذا حلف انه لا يقرب زوجته ابدا او مدة هى اكثر من اربعة اشهر فهو
 مول فاذا مضت اربعة اشهر يوقف الزوج ويؤمر بالنفي وهو الرجوع او الطلاق وذلك بعد
 مطالبة الزوجة فان رجع عما قال بالوطء ان قدر عليه او باقوله مع العزم عنه فان لم ينفي ولم
 يطلق طلق عليه الحاكم واحدة وهو قول عمر وعثمان وابى الدرداء وابن عمر قال سليمان بن
 يسار ادركت بضعة عشر من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كلهم يقول بوقف المولى
 وذهب اليه سعيد بن جبير وسليمان بن يسار ومجاهد وبه قال مالك والشافعى واحمد واسحق
 وقال ابن عباس وابن مسعود اذا مضت مدة اربعة اشهر يقع عليها طلاق بائنة وبه قال سفيان
 الثوري وابو حنيفة وقال سعيد بن المسيب والزهري يقع عليها طلاق رجعية * الفرع الثانى *
 لو حلف ان لا يطأها اقل من اربعة اشهر فليس بمول بل هو حالف فان وطئها قبل مضى المدة
 لزمه كفارة يمين * الفرع الثالث * لو حلف ان لا يطأها اربعة اشهر فليس بمول بعد مضى
 المدة عند الشافعى لان بقاء المدة شرط للوقوف وثبت المطالبة بائنة او الطلاق وقدمت
 المدة وعند ابى حنيفة يكون مولا ويقع الطلاق بمضى المدة * الفرع الرابع * مدة الايلاء
 اربعة اشهر فى حق الحر والعبد جميعا عند الشافعى لانها مدة ضربت لحنى يرجع الى الطبع
 وهو قلة هجر المرأة عن الزوج فيستوى فيه الحر والعبد كدة العنة وعن مالك وابى حنيفة
 تنصف مدة الايلاء بالرق غير ان عند ابى حنيفة تنصف مدة الايلاء برق المرأة وعند مالك
 برق الزوج كفى الطلاق * الفرع الخامس * اذا وطئ اخرج من الايلاء ويجب عليه كفارة
 يمين وهذا قول اكثر العلماء وقيل لا كفارة عليه لان الله تعالى وعده المنقرة فقال فان فاؤا

المحصن (فمن تمتع بالعمرة
 الى الحج) بذوق تجلى
 الصفات متوسلا به الى حج
 تجلى الذات (فاستيسر
 من الهدى) بحسب حاله
 (فمن لم يجد) لضعف نفسه
 وجودها وانقهارها
 (فصيام ثلاثة ايام) فضله
 الامساك عن افعال القوى
 التى هى اصول القوة
 فى وقت التجلى والاستغراق
 فى الجمع والفناء فى الوحدة
 فانها لا بد من ان تحجب
 وتجرا الى حضيض النفس
 والصدر وهى العقل
 والوهم والخيالة (وسبعة
 اذا رحمتم) الى مقام
 الانفصال والكثرة وهى
 الحواس الخمس الظاهرة
 والغضب والشهوة ليكون
 عند الاستقامة فى الاشياء
 بالله (تلك عشرة كاملة)
 فذلك أى تلك الامساكات
 المذكورة عن افعال هذه
 القوى والمشاعر جميع
 التفاصيل الكاملة الموجبة
 لافعال قوى وجوده
 الموهوب بالحق عند حصول
 الكمال كما قال كنت سمع
 الذى يسمع به وبصره
 الذى يبصر به الى آخر
 الحديث (ذلك) الحكم
 (لمن لم يكن اهله حاضرا)

فان الله غفور رحيم ومن قال بوجوب الكفارة عليه قال ذلك في اسقاط العقوبة عنه لاني الكفارة * قوله (وان عزموا الطلاق) اي تحقوه بالايقاع (فان الله سميع) يعني لا قوا لهم (عليم) يعني بنياتهم وفيه دليل على انها لا تطلق مالم يطلقها زوجها لانه تعالى شرط فيها العزم * قوله عز وجل (والمطلقات) اي المطلقات من حبال ازواجهن والمطلقة هي التي اوقع الزوج عليها الطلاق (يتربصن بانفسهن) اي ينتظرن فلا يتزوجن (ثلاثة قروء) جمع قروء والقروء اسم يقع على الحيض والطهر قال ابو عبيدة الاقراء من الاضداد كالتشفق اسم للحمرة والبياض وقيل انه حقيقة في الحيض مجاز في الطهر وقيل بالكس واختلفوا في اصله فقيل اصله الجمع من قراى جمع لان في وقت الحيض يجتمع الدم في الرحم وفي وقت الطهر يجتمع في البدن وقيل اصله الوقت يقال رجع فلان لقروء اي لوقته الذي كان فيه لان الحيض يأتي لوقت والطهر يأتي لوقت وبحسب اختلاف اهل اللغة في الاقراء اختلف الفقهاء على قولين احدهما ان الاقراء هي الحيض روى ذلك عن عمر وعلى وابن مسعود وابن عباس وابي موسى وعبد بن الصامت وابي الدرداء وبه قال عكرمة والشافعي والسادى والاوزاعى وسفيان الثوري وابو حنيفة واصحابه وقال احمد بن حنبل كنت اقول ان الاقراء هي الاطهار وانا اليوم اذهب الى انها الحيض القول الثاني انها الاطهار يروى ذلك عن زيد بن ثابت وابن عمر وعائشة وبه قال الزهري وابان بن عثمان ومالك والشافعي ووجه من يقول ان الاقراء هي الحيض قوله صلى الله عليه وسلم للمستحاضة دعي الصلاة ايام اقرائك يعني ايام حيضك لان المرأة لاتدع الصلاة الا ايام حيضها ووجه من يقول انها الاطهار ان ابن عمر لما طلق امرأته وهي حائض قال اليه صلى الله عليه وسلم لعمر مره فليراجعها حتى تطهر ثم ان شاء امسكها وان شاء طلق قبل ان يمسه فذلك العدة التي امر الله ان يطلق لها فأخبر ان زمان العدة هو الطهر لا الحيض وبضده من اللغة قول الاعنبي

ففي كل عامات جاشم غزوة * تشدد لاقصاها عزم عرائنا

موردة مالا وفي الحى رضة * لما ضاع فيها من قروء نساكن

اراد انه كان يخرج للغزو ولم يغش نساء فتضيع اقراؤهن وانما يضيع بالسفر زمان الطهر لازمان الحيض وقاعدة الخلاف ان مدة العدة عند الشافعي اقصر وعند غيره اطول وذلك ان المعتدة اذا شرعت في الحيضة الثالثة فقد انقضت عدتها وحلت للازواج وبحسب بقية الطهر الذي وقع فيه الطلاق قرأ على قول من يحمل الاقراء الاطهار قالت عائشة رضي الله عنها اذا دخلت المطلقة في الحيضة الثالثة فقد بان من زوجها وحلت للازواج وروى عنها انها قالت اقراء الطهر ليس بالحيضة قال الشافعي والنساء بهذا اعلم لان هذا مما يتلى به النساء وان طلقها في حال الحيض فاذا شرعت في الحيضة الرابعة انقضت عدتها وعلى قول من يحمل الاقراء حيضا وهو مذهب ابى حنيفة لاتنقض عدتها مالم تطهر من الحيضة الثالثة ان كان وقع الطلاق في حال الطهر او من الحيضة الرابعة ان وقع في حال الحيض فان قلت ما معنى الاخبار عنهن بالتربص في قوله والمطلقات يتربصن بانفسهن قلت هو خبر في صورة الامر واصل الكلام ولتربص المطلقات فاخراج الامر في صورة الخبر تأكيده للامر واشعاره بان يجب ان يتلوا بالمسارعة الى امتاله فكانت من امثلن

(الامر)

المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا ان الله شديد العقاب) من المحبوبين الكاملين الحاضري مقام القلب في الوحدة فانه لا هدى له ولا مجاهدة ولا رياضة في وصوله وسلوكه الى الله بل هو للمحبين (الحج اشهر معلومات) اي وقت الحج ازمته معلومة وهو من وقت بلوغ الحلم الى الاربعين كما قال في وصف البقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك (لمن فرض فيهن الحج) على نفسه بالعزيمة والترم (فلارفت) اي فاحشة ظهور القوة الشهوانية (ولا فسوق) اي لاسباب يعني خروج القوة التفضيية عن طاعة القلب (ولاجدال) اي تعدى القوة النطقية بالشيطنة (في الحج) اي في قصديت القلب (وماتفعلوا من خير) من فضيلة من افعال هذه القوى الثلاث بأمر الشرع والعقل دون رذائلها (يعلم الله) ويحكمكم عليه (وتزودوا) من فضائلها التي يلزمها لاجتناب عن رذائلها (فان خيرا ازاد التقوى منها) واقفون (في اعمالكم) ياتكم (يا اولي الالباب)

الامر بالتبص فهو يخبر عن موجود ونظيره قوله في الداء رحك الله اخرج في صورة الخبر
ثقة بالاجابة فكانه قال وجدت الرحة فهو يخبر عنها
﴿ فصل في احكام العدة ﴾ وفيه مسائل ﴿ المسئلة الاولى ﴾ عدة الحامل تقضى بوضع الحمل
سواء المطلقة والمتوفى عنها زوجها وسواء في ذلك الحرة والامة ﴿ المسئلة الثانية ﴾ عدة
المتوفى عنها سوى الحامل اربعة اشهر وعشرة ايام سواء مات عنها زوجها قبل الدخول او بعده
وسواء في ذلك الحائض والامة والآيسة ﴿ المسئلة الثالثة ﴾ عدة المطلقة المدخول بها وهى
ضربان احدهما الحيض فعدتها بالاقرء وهى ثلاثة اقرء الضرب الثانى الآيسات من الحيض
اما لكبرا وتكون لم تحض قط فعدتها ثلاثة اشهر واما المطلقة قبل الدخول فلا عدة عليها ﴿ المسئلة
الرابعة ﴾ عدة الاماء نصف عدة الحرائر فيما له نصف وفي الاقرء قرآن لانه لا ينتصف قال عمر بن
الخطاب رضى الله تعالى عنه ينكح العبد اثنتين ويطلق طلقتين وتعد الامة بحضتين وقوله تعالى
(ولا يحل لهن ان يكفنن ما خلق الله في ارحامهن) قال ابن عباس يعنى الواد وقيل الحيض
والمعنى انه لا يحل للمرأة كتمان ما خلق الله في رحمها من الحيض او الحمل لتبطل بذلك الكتمان
حق الزوج من الرجعة والولد (ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر) هذا وعيد شديد لتأكيده
تحريم الكتمان وايجاب اداء الامانة في الاخبار عما في الرحم من الحيض او الولد والمعنى ان هذا
من فعل المؤمنات وان كانت المؤمنة والكافرة فيه سواء فهو كفوك ادحق ان كنت مؤمنة
يعنى ان اداء الحقوق من افعال المؤمنين وتقول للذى يظلم ان كنت مؤمنة فلا تظلمي والمعنى ينبغي
ان يمنعك ايمانك من الظلم وفى سبب وعيد النساء بهذا قولان احدهما انه لاجل ما يستحقه الزوج
من الرجعة قاله ابن عباس والثانى انه لاجل الحاق الولد بغير ابيه قاله قتادة وقيل كانت المرأة
اذا رغبت في زوجها تقول انى حائض وان كانت قد طهرت ليراجعها وان كانت زاهدة فيه
كتمت حيزها وتقول قد طهرت لتفوته فنها من الله عن ذلك وامرهن باداء الامانة (وبمولتهن
احق بردهن في ذلك) يعنى ازواجهن سمي الزوج بعلا لقيامه بامر زوجته واصل البعل
السيد والمالك والمعنى وازواجهن اولى برجعتهن وردهن اليهم في ذلك اى في حال العدة فاذا
انقضى وقت العدة فقد بطل حق الرد والرجعة (ان ارادوا اصلاحا) يعنى ان اراد الزوج
بالرجعة الاصلاح وحسن العشرة لا الاضرار بهن وذلك ان اهل الجاهلية كانوا يراجعون
ويريدون بذلك الاضرار فهى الله المؤمنين عن مثل ذلك وامرهم بالاصلاح وحسن العشرة
بعد الرجعة (ولهن) يعنى وللنساء على الازواج (مثل الذى عليهن) يعنى للازواج (بالمعروف)
وذلك ان حق الزوجية لا يتم الا اذا كان كل واحد منهما يراعى حق الآخر فيما له عليه فيجب
على الزوج ان يقوم بجميع حقها ومصالحها ويجب على الزوجة الانقياد والطاعة له قال ابن عباس
في معنى الآية انى احب ان اتزين لامرأتى كما احب ان تزين لى لان الله تعالى قال ولهن مثل
الذى عليهن بالمعروف (م) عن جابر انه ذكر خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وقال
فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتقوا الله في النساء فانكم اخذتموهن بامانات الله واستحلتم
فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم احداكم وهن فان فعلن ذلك فاضربوهن
ضربا يضر مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف قوله فاتقوا الله في النساء فيه الحث

فان قضية الاب اى العقل
الخالص من شوب الوهم
وقدر الماداة اتقانى (ليس
عليكم جناح ان تبغوا
فضلا من ربكم) اى لا حرج
عليكم عند الرجوع الى
الكثرة في ان تطلبوا
رققا لانفسكم وتمتعوها
بحظوظها على مقتضى
الشرع باذن الحق فان
حظها حينئذ يقويها على
موافقة القلب في مقاصده
ولانها غير طاغية لتنورها
بنور الحق (فاذا افضتم)
اى دفنتم انفسكم من
مقام المعرفة التامة الذى
هو نهاية مناسك الحج واما
كأقال النبي عليه السلام
الحج عرفة (فاذكروا الله
عند المشعر الحرام) اى
شاهدوا جلال الله عد
السر الروحى المسمى بالحقى
فان الذكر في هذا المقام
هو المشاهدة والمشرع هو
محل الشعور بالحال المحرم
من ان يصل اليه الغير
(واذكروه كاهداكم) الى
ذكره في المراتب فانه تعالى
هدى اولى الى الذكر
باللسان وهو ذكر النفس
ثم الى الذكر بالقلب وهو
ذكر الافعال الذى تصدر
نعماء الله والآؤه منه ثم ذكر

على الوصية بين ومراعاة حقوقهن ومعاشرتهن بالمعروف قوله فانكم اخذتموهن بامانات الله ويروى بامانة وقوله واستحلتم فروجهن بكلمة الله معناه باباحة الله والكلمة هي قوله فانكم صواب لكم من النساء وقيل الكلمة هي قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان وقيل الكلمة هي كلمة التوحيد وهي لا اله الا الله محمد رسول الله اذ لا تحل مسلمة لتغير مسلم وقوله لا يوطئن فرشكم احدا تكرهونه معناه ولا ياذن لاحد ان يتحدث اليهن وكان من عادة العرب ان يتحدث الرجال مع النساء ولا يرون ذلك عيبا ولا يبعدونه ريبة ان نزلت آية الحجاب فهوا عن ذلك وليس المراد بوطء الفرش نفس الزنا فان ذلك محرم على كل الوجوه فلامعنى لاشتراط الكراهة فيه ولو كان المراد ذلك لم يكن الضرب فيه ضربا غير بهرح انما كان فيه الحد والضرب بالبرح هو الشديد وقوله ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف يعني بالعدل وفيه وجوب نفقة الزوجة وكسوتهن وذلك ثابت بالاجماع * وقوله تعالى (وللرجال عليهن درجة) اي منزلة ورفعة قال ابن عباس بما ساق اليها من المهر واتفق عليها من المال وقيل ان فضيلة الرجال على النساء بامور : بما العقل والشهادة والميراث والدية وصلاحية الامامة والقضاء وللرجل ان يتزوج عليها ويتسرى وليس لها ذلك ويد الرجل الطلاق فهو قادر على تطليقها واذا طلقها رجعية فهو قادر على رجعتها وليس شيء من ذلك يدها (والله عزير) اي غالب لا يتمتع عليه شيء (حكيم) اي في جميع افعاله واحكامه روى البغوي بسنده عن ابي ظبيان ان معاذ بن جبل خرج في غزاة بعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ثم رجع فرأى رجلا يسجد بعضهم لبعض فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو امرت احد ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها * قوله عز وجل (الطلاق مرتان) عن عروة بن الزبير قال كان الرجل اذا طلق زوجته ثم ارتجعها قبل ان تنقضي عدتها كان له ذلك وان طلقها الف مرة فعاد رجل الى امرأته فطلقها حتى اذا شارفت انقضاء عدتها ارتجعها ثم قال والله لا آويك الى ولا تحلين ابدا فانزل الله تعالى الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان فاستقل الناس الطلاق حديثا من ذلك اليوم من كان طلق او لم يطلق اخرجه الترمذي وله عن عائشة قالت كان الناس والرجل يطلق امرأته ماشاء الله ان يطلقها وهي امرأته اذا ارتجعها وهي في العدة وان طلقها مائة او اكثر حتى قال رجل لامرأته والله لا اطلقك فتبينني مني ولا آويك ابدا قالت وكيف ذلك قال اطلقك فكلما همت عدتك ان تنقضي راجعتك فذهبت المرأة حتى دخلت على عائشة فاخبرتها فسكتت عائشة حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فسكت النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزل القرآن الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان قالت عائشة فاستأنف الطلاق مستقبلا من كان قد طلق ومن لم يطلق ومعنى الآية ان الطلاق الرجعي مرتان ولا رجعة بعد الثالثة الا ان تكسح زوجا آخر وهذا التفسير هو قول من جوز الجمع بين الطلاق الثلاث في دفعة واحدة وهو الشافعي وقيل في معنى الآية ان التطليق الشرعي يجب ان يكون تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة وهذا التفسير هو قول من قال ان الجمع بين الثلاثة حرام الا ان اباحيفة قال يقع الثلاث وان كان حراما وقبل ان الآية دالة على عدم الطلاق الذي يكون لرجل فيه الرجعة على زوجته

السر وهو معاينة الافعال ومكاشفة علوم تجليات الصفات ثم ذكر الروح وهو مشاهدة اوار تجليات الصفات مع ملاحظة نور الذات ثم ذكر الخلق وهو مشاهدة جلال الذات مع بقاء الاثنية ثم ذكر الذات وهو الشهود الذاتي بارتفاع البقية (وان كنتم من قبله) اي من قبل الوصول الى عرفات المعرفة والوقوف بها (لمن الضالين) عن هذه الاذكار (ثم افيضوا من حيث افاض الناس) الى تلواهر العبادات والطاعات وسائر وظائف الشرعيات والمعاملات من حيث اي من مقام افاضة سائر الناس فيها وكونوا كاه حدهم قيل لجيد رجعة الله عليه ما النهاية قال الرجوع الى البداية (واستغفروا الله ان الله غفور رحيم) من ظهروا انفسهم وتبرموا بالخال وطغيانها قال النبي صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في اليوم سبعين مرة وقال الهم فني على دبك فقيل له في ذلك فقال او ما يؤمنى ان من القلب كسل ريشة ففلاة تغلبها الرياح كيف كانت ولما تودمت قدماء

والعدد الذي تبين به زوجته منه والمعنى ان عدد الطلاق الذي لكم فيه رحمة على ازواجكم اذا كن مدحولا بين تطليقتان وانه لا رجعة له بعد التطليقتين ان سرحها مطلقا الثالثة (فامسك بمعروف) يعني بمدار جمة وذلك انه اذا رجعها بعد التطليقة الثانية فضله ان عسكها بالمعروف وهو كل ما عرف في الشرع من اداء حقوق السكاح وحسن العشرة (او تسريح باحسان) يعني انه يتركها بعد الطلاق حتى تقضى عدتها من غير مضارة وقيل هو انه اذا طلقها ادى اليها جميع حقوقها المالية ولا يذكرها بعد المفارقة بسوء ولا يفر الناس عنها ﴿فروع﴾ تتعلق بالاحكام الطلاق ﴿الفرع الاول﴾ صريح اللفظ الذي يقع به الطلاق من غيرية ثلاث الطلاق والفرار والسراح وعند ابي حنيفة الصريح هو لفظ الطلاق فقط ﴿الفرع الثاني﴾ الحر اذا طلق زوجته طلقة او طلقته بعد الدخول بها فله مراجعتها من غير رضاها مادامت في العدة فاذا لم يراجعها حتى انقضت عدتها او طلقها قبل الدخول بها او خالها فلا تحل له الانكاح جديد بانها واذن وليها ﴿الفرع الثالث﴾ العبد يملك على زوجته الامة تطليقتين واختلف فيما اذا كان احد الزوجين حرا فالحر يملك على زوجته الامة ثلاث تطليقات والعبد يملك على زوجته الحرية تطليقتين فالاعتبار بالزوج في عدد الطلاق وبه قال الشافعي ومالك واحد وذهب ابو حنيفة الى ان الاعتبار بالمرأة فالعبد يملك على زوجته الحرية ثلاث تطليقات والحر يملك على زوجته الامة تطليقتين (ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن) يعني اعطيتموهن (شبهة) يعني من مهر او غيره ثم استثنى الخلع فقال تعالى (الا ان يخافا ان لا يقيما حدود الله) نزلت في جيلة بنت عبد الله بن ابي ويقال حبيبة بنت سهل الانصاري كانت تحت ثات بن قيس بن ثعلبة وكانت تبغضه وهو يحبها وكان بينهما كلام فانت اباهما تشكوا اليه زوجها وقالت انه يسب ابي ويضر بني فقال ارجعي الى زوجك فاني اكره للمرأة ان لاتزال رافعة يديها تشكو زوجها قال فرجعت اليه الثالثة وبها اثر الضرب فقال لها ارجعي الى زوجك فلما رأت اباهما لا يشكها انت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه زوجها وارثه آثارا بها من صربه وقالت يا رسول الله لانا ولا هو فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ثابت فقال مالك ولاهلك فقال والذي بعثك بالحق نبيا ما على وجه الارض احب الي منها غيرك فقال لها ما تقولين فكرهت ان تكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سألتها فقالت صدق يا رسول الله ولكنني خشيت ان يهلكني فاخرجه منه وقالت يا رسول الله ما كنت احذك خدينا ينزل عليك خلافه هو اكرم الناس حبا لزوجته ولكنني ابغضه فلانا ولا هو قال ثابت اعطيتها حديقة فخل فقال لها فلتردها على واخل سييلها فقال لها تردين عليه حديقته وتملكين امره قالت نعم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ثابت خذ منها ما اعطيتها واخل سييلها ففعل (خ) عن ابن عباس ان امرأه ثابت بن قيس انت التي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ثابت بن قيس ما استب عليه في خلق ولا مال ولكنني اكره الكثر في الاسلام قال ابو عبد الله يعني تبغضه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تردين عليه حديقته قال نعم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل الحديقة وطلقها تطليقة قولها ما استب عليه يعني ما جدد عليه والمعنى المودة والحديقة البستان من النخل اذا كان عليه الحائط ومعنى قوله تعالى الا ان يخافا اي يعلما الزوجات من انفسهما ان لا يقيما حدود

فقات له عائشة رضي الله عنها اما غرلك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال افلا اكون عبدا شكورا وقال امير المؤمنين عليه السلام اعوذ بالله من الضلال بعد الهدى (فاذا قضيت مساككم) وفرغتم من الخلع (فاذكر والله كد كركم اياه كما واشد ذكر) اي فلا تكونوا كاهل العادة مشغولين بذكر الانساب والمناخرات وسائر احوال الدنيا فان ذلك يكدر وقتكم ويضي قلبكم بل كونوا مشتغلين بأنواع الذكر والمدارة مع الاخوان مل ما كنتم تدكرون احوال الانساب وسائر احوال الدنيا قبل السلوك واكباد كذا الناس هذه الاحوال بالعادة او ابلغ واقوى واكثر ذكرها منها ليق صناؤكم وبمدي بكم الناس (فن الناس من يقول ربنا آتانا في الدنيا اي لا يطلب الامتاع الدنيا ولا يشتغل الا بذكرها ولا بعد الله الا لاجلها) (وماله في الآخرة من خلاق) فان توجه الى الاخس يمنع عن قبول الاشرف اعد من خواص هيمته اليه واكتساب الظلة

الله والمعنى تخاف المرأة ان تعصى الله في امور زوجها وتخاف الزوج انه اذا لم تعطه ان يعتدى عليها فعصى الله الرجل ان يأخذ من امرائه شيئا مما اعطاها الا ان يكون النشور من قبلها وذلك ان تقول لا اطيعك امرا ولا اطالك مضجعا ونحو ذلك وقرئ ايخافا بضم الياء ومعناه الا ان يعلم ذلك من حالهما بمعنى يعلم القاضي والوالي (فان خفتم) يعني فان خشيتم واشفقتم وقبل معناه فان ظننتم (ان لا يقيا حدود الله) يعني ما اوجب الله على كل واحد منهما من طاعته فيما امر به من حسن الصحبة والمعاشرة بالمعروف وقبل هو يرجع الى المرأة وهو سوء خلقها واستخفافها بحق زوجها (فلا جناح عليهما فيما اقتدت به) اي لا جناح على المرأة في النشور اذا خشيت الهلاك والمعضية فيما اقتدت به نفسها او اعطت من المال لانها ممنوعة من اتلاف المال بغير حق ولا على الزوج فيما اخذ من المال اذا اعطته المرأة طائفة راضية

فصل في حكم الخلع وفيه مسائل **مسألة الاولى** قال الزهري والنخعي وداود لا يساخ الخلع الاعند الغضب والخوف من ان لا يقيا حدود الله فان وقع الخلع في غير هذه الحالة فهو فاسد ووجه هذا القول ان الآية صريحة في انه لا يجوز للزوج ان يأخذ من المرأة شيئا عند طلاقها ثم استثنى الله تعالى حالة مخصوصة فقال الا ان يخافا ان لا يقيا حدود الله فكانت هذه صريحة في انه لا يجوز الاخذ في غير حالة الغضب والخوف من ان لا يقيا حدود الله وذهب جمهور العلماء الى انه يجوز الخلع من غير نشوز ولا غضب غير انه يكره لافيه من قطع الوصلة بلا سبب عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس فحرام عليها راحته الجثة اخرجه ابو داود وترمذي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابض الحلال الى الله الطلاق اخرجه ابو داود ودليل الجمهور على جواز الخلع من غير نشوز قوله تعالى فان طبن اكم عن شيء منه نفسا فكلوه هينا مريئا فاذا جازلها انتهب مهرها من غير ان يحصل لها شيء فاذا بدلت كان ذلك في الخلع الذي تصير بسببه مالكة امر نفسها اولى واجيب عن الاستثناء المذكور في هذه الآية انه محمول على الاستثناء المقتطع **المسئلة الثانية** الخلع جائز على اكثر مما اعطاها وبه قال اكثر العلماء وقال بعضهم لا يجوز ان يأخذ اكثر مما اعطاها وهو قول علي وبه قال الزهري والشعبي والحسن وعطاء وطاوس وقال سعيد بن المسيب بل يأخذون ما اعطاها حتى يكون الفضل فيه ووجه الجمهور ان الخلع عقد على معاوضة فوجب ان لا يقيد بمقدار معين كمال للمرأة لا ترضى عند عقد السكاح الا بالكثير فكذلك للزوج ان لا يرضى عند الخلع الا بالبدل الكثير لاسيما وقد اظهرت الاستخفاف بالزوج حيث اظهرت بغضه وكرهته **المسئلة الثالثة** اختاف العلماء في الخلع هل هو فسخ او طلاق فقال الشافعي في القديم انه فسخ وهو قول ابن عباس وطاروس وعكرمة وبه قال احمد واسحق وابو ثور وقال الشافعي في الجديد انه طلاق وهو الاظهر وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود والحسن والشعبي والنخعي وعطاء وابن المسيب ومجاهد ومكحول والزهري وبه قال ابو حنيفة ومالك وسفيان الثوري ووجه القول القديم ان الله تعالى ذكر الطلاق مرتين ثم ذكر بعده الخلع ثم ذكر الطلقة الثالثة فقال فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ولو كان الخلع طلاقا لكان الطلاق اربما ووجه القول الجديد انه لو كان فسخا لما صح بالزيادة على المهر المسمى كالأقالة

المأقية للنور (ومنهم من يقول ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقمنا عذاب النار) اي يطلب خير كل من الدارين ويحترز عن الاحتجاب بالظلمة والعذاب بنيران الطبيعة والحرامان عن انوار الرحمة (اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب) من حظوظ الآخرة وانوار دار اقرار والذات الباقية بالأعمال الصالحة بعد المحاسبة وحط بعض الحسنات بالسيئات والتعذيب بحسبها او العفو (واذكروا الله في أيام معدودات) مراتب مودة بعد الفراغ من الحج وهو مرتبة الروح والقلب والنفس لان الواصل اذا رجع رجع الى هذه المراتب وعليه في المراتب الثلاث ان يكون بالله فذلك ذكره (فنجهل في يومين فلا اثم عليه) اي فنجهل الى حظوظه في مرتبة الروح والقلب فلا اثم عليه اذ الروح والقلب وحظوظهما لا يجيبان ولا يضران ومعنى التجمل هو ان الحركة اذا كانت بالله كانت امرعا ولا يكون معالبت ولا وقوف ريثما يظهر القلب او الروح

في البيع وايضا لو كان الخلع فمضا فاذا خالعهما لم يذكر مهر او جب ان يجب المهر عليها كالاقالة
فان الثمن يجب رده وان لم يذكره ثبت ان الخلع ليس بفسخ واذا بطل ذلك ثبت انه طلاق
وايضا فان الطلقة الثالثة قوله او تسريح باحسان وفاقدة الخلاف انا اذا جعلناه طلاقا يقص به
عدد الطلاق فان تزوجها بعده كانت معه على طلقين وان جعلناه فمضا بابت منه ثلاث قوله
تعالى (تلك حدود الله) يعني هذه او امر الله ونواهيته وهو ما تقدم من احكام الطلاق والرجعة
والخلع وحدود الله مامنع من مجاوزتها وهو قوله (فلا تتعدوها) اي فلا تجاوزوها (ومن
يتعد حدود الله) اي مجاوزها فاولئك هم الظالمون قوله عز وجل (فان طلقها) يعني
الطلقة الثالثة (فلا تحل له من بعد) اي لا تحل له رحمتها بعد الثلاث (حتى تسكن زوجا غيره)
يعني حتى تزوج زوجا آخر غير المطلق فيحتملها والكاح يتناول العقد والوطء جميعا والمراد
ها الوطء نزلت في تيممة وقيل عائشة بنت عبد الرحمن بن عتيك القرظي وكانت تحت ابن عمار
رفاعة بن وهب بن عتيك القرظي فطلقها ثلاثا (ق) عن عائشة قالت جاءت امرأ رفاعة القرظي
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اني كنت عند رفاعة فطلقني فبنت طلاق فتزوجت
بعده عبد الرحمن بن الزبير وانما معه مثل هدية الثوب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال تريدن ان ترجعي الى رفاعة لا حتى يدوق عسيلتك وتزوقي عسيلته قولها فبنت
طلاق اي قطعه والبت القطع وقولها مثل هدية الثوب اي طرفه وهو كاية عن استرحاء
الذكر قوله حتى يدوق عسيلتك بضم العين تعخير العسل شه لدة الجامع بالعسل
وهو كاية عنه وانما انت العسل لان من العرب من يؤثنه وقيل انه جلاله على الهني لان
المراد منه الطقة وعبد الرحمن المذكور هو عبد الرحمن الزبير ففتح الراي وكسر الباء مشددة
وروي انها البنت ما شاء الله ثم رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي قد مسمى فقال
لها الى صلى الله عليه وسلم كذبت بقولك الاول فلان اصدقك في الآخر فلبنت حتى قبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانت ابا بكر فقالت يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجع الى زوجي الاول
فان زوجي الآخر قد مسمى وطلقني فقال لها ابو بكر قد شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اتيته و
قال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر انت عرو وقالت له مثل ما قالت لابي بكر فقال لها لن ترجعت
اليه لارجحك قوله تعالى (فان طلقها) يعني الروح الثاني بعد وطئها (لا جناح عليهما) يعني على
المرأة والزوج الاول (ان يتراجعا) يعني يتكاح جديد (ان طلقا) اي علوا وايضا وقيل ان رجوا لان
احدا لا يعلم ما هو كائن الا الله تعالى (ان يقيما حدود الله) يعني يقيما بينهما الصلاح وحسن العشرة
والحمة وقيل مضاه ان علان نكاحهما على غير دلسة والمراد بالدلسة التصل بفرعان ولا
مذهب جمهور العلماء ان المطلقة بالثلاث لا تحل للزوج المطلقة منه بالثلاث الا بشرائط وهي ان تمتد منه
ثم تزوج زوجا آخر ويأهأهائم يطلقها ثم تمتد منه فاذا حصلت هذه الشرائط فقد حلت لاول
والا فلا وقال سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب نحل عمرد العقد والمذهب الاول هو الاصح واختلف
العلماء في اشتراط الوطء هل ثبت بالكتاب او بالسنة على ثلاثة اقوال الثالث وهو المختار انه ثبت
بهما الثاني اذ تزوج بالمطلقة ثلاثا ليحلها لاول فهاذا نكاح باطل وعقد فاقده قال مالك واحدا
روى عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لمن الحل والحللى له اخرجته الزمذى وقال

ويصير جها بانورا كما يكون
لاصحاب التلوي (ومن
تأخر) الى الثالث الذي
هو مرتبة النفس (فلا اثم
عليه لمن اتقى) اي ذلك
الحكم لمن اتقى ان يكون
مع حفظ النفس بالنفس
فان النفس الزم لحظها من
صاحبها وحفظها اغلظ
وابعد من النور من
حفظها وسريعا ما تظهر
للزوم الطيش والحركة
اياها بخلاف صاحبها
وحفظها ايضا كثيرا ما يحب
واذا جب كان جهابه
غلظا ظانيا فالاحتراز
هناك والاحتياط واجب
واولى من الباقيين لانها
ان تلهارق جهابها وسهل
زواله او ذلك التهيير لمن
اتقى في المراتب الثلاث
(واقوا الله) في المواطن
الثلاثة من ظهور الانانية
والآنية حتى تكونوا في
الحفظ به لا بالنفس ولا
بالقلب ولا بالروح (واعلموا
انكم اليه تحشرون) اي
انكم محشورون معه
تحشرون من اسم الى اسم
حاضرون بحضوره فأنتم
على خطر عظيم بخلاف سائر
الناس كالورد في الحديث
المخلصون على خطر عظيم

حديث حسن صحيح وروى انه قال هو التيس المستعار ولو تزوجها ولم يشترط في النكاح انه يمارقها
فالنكاح صحيح ويحصل به التحليل اذا طلقها وانقضت المدة غير انه يكره اذا كان في عزمها ذلك وبه
قال الشافعي وابو حنيفة ودليل ذلك ان الآية دلت على ان الحرمة تنتهي بوطء مسبوق به قد وقد
وجد ذلك فوجب القول بانتهاء الحرمة وقال نافع اتي رجل الى ابن عمر فقال ان رجلا طلق امراته
ثلاثة فانطلق اخ له من غير مؤامرة فتزوجها ليصلها للاول فقال لا لانكاح رغبة كنافذ هذا سفاحا
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (وتلك حدود الله بينها قوم يعلمون) يعني
يعلمون ما امرهم بها ونهاهم عنه وانما خص العلماء لانهم هم الذين ينتفعون بذلك البيان قوله عز وجل
(واذا طلقتم النساء) نزلت في ثابت بن يسار رجل من الانصار طلق امراته حتى اذا قرب انقضائه
عدتها راجعها ثم طلقها يقصد بذلك مضاربتها (فبلغن اجلهن) اي قاربن انقضائه عدتهن وشارفن
منتهاهن لم يرد انقضائه لانه لو انقضت عدتها لم يكن للزوج امساكها فالبطوخ هامة ربة كما يقال
باغ فلان البلدا اذا قاربته وشارفته فهذا من باب المجاز الذي يطلق اسم الكل فيه على الاكثر وقيل
ان الاجل اسم للزمان فيعمل على الزمان الذي هو آخر زمان يمكن ايقاع الرجعة فيه بحيث
اذا فات لا يبقى بعده مكنة الى الرجعة وعلى هذا الاول فلا حاجة لسأل المجاز (فأمسكوهن)
اي راجعوهن (بمعروف) وهو ان يشهد على رجعتهم وان راجعها بالقول بالاولى (او سرحوهن
بمعروف) اي اتركوهن حتى تقضى عدتهن فيملكن انفسهن (ولا تمسكوهن ضرازا)
اي لا تقصدوا بالرجعة المضارة بتأويل الحبس وقيل كانوا يبصرونهن لتفتدي المراتمة بما لها (لتعندوا)
اي لتظلوهن بمجاوزتكم في امورهن حدود الله التي بينها لكم وقيل معناه لا تضاروهن حتى قصد
الاعتداء عليهن (ومن يفعل ذلك نقضتم نفسه) اي ضر نفسه بمخالفة امر الله وتعرضه لعذاب الله
(ولا تمضوا آيات الله هزوا) يعني بذلك ما بين من حلاله وحرماه وامره ونهيه في وجبه وتزيله
فلا تمضوا ذلك استهزاء ولعابا فوجب عليه طاعة الله وطاعة رسوله ثم وصل اليه هذه الاحكام التي
تقدم ذكرها في المدة والرجعة والخلع وترك المضارة فلا تمضوها هزوا وفيه تهديد عظيم ووعيد
شديد وقيل هو راجع الى قوله فامسك بمعروف او تسريح باحسان فكل من خاف امرا من امور
الشرع فهو هزوا آيات الله هزوا وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعاقتهم
عن ذلك عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة جد من حدوهن لهن جد النكاح
والطلاق والرجعة اخرج به ابوداود الترمذي وقوله تعالى (واذ كروا نمت الله عليكم)
يعني بالايان الذي انتم به الله عليكم فهذا كله وسائر نعمه التي انتم بها عليكم (وما نزل عليكم)
اي واذا كروا نمته فيما انزله عليكم (من الكتاب) يعني القرآن (والحكمة) يعني السنة التي عليها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وسئلواكم وقيل المراد بالحكمة مواضع القرآن (بمظكم به) اي الكتاب
الذي انزله على نبيه صلى الله عليه وسلم (واتقوا الله) يعني خافوا الله فيما امركم به ونهاكم عنه (واعلموا
ان الله بكل شئ عليم) يعني ان الله تعالى يعلم ما خفيت من طاعة ومعصية في سر وعلن لا يخفى عليه
شئ من ذلك قوله عز وجل (واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن) نزلت في معقل بن يسار المزني
عصل اخته جيلة وكانت تحت ابي القداح عاصم بن عدي فطلقها عن معقل بن يسار قال كانت لي اخت
تخطب الي وامنهم من الناس فاتاني ابن عمي فانكحته اياه فاصطعبا ماشاء الله ثم طلقها طلاقا له رجعة
ثم تركها حتى نقضت عدتها فلما خطبت الى اناقي بخطبها مع الخطاب فقلت له خطبت الى فتعنت الناس

(وأثرتمك)

وعن النبي صلى الله عليه وسلم من الله تعالى بشر
الذين باني غفور وانذر
الصديقين باني غفور (ومن
الناس من يجهل) اي يدعي
الحبة وهو الداحضام
لكونه في مقام النفس
زنديقا ولهذا قال تعالى (قوله
في الحياة الدنيا ويشهد الله
على مافي قلبه وهو
الداحضام) اذ ليس له قول
في الآخرة باقلب (واذا
تولى سعي في الارض لفسد
فيما وبه لك الحرت والنسل)
لاباحته وتزنيته كما ترى
عليه اكثر مدعي الحبة
والثوحيد (والله لا يحب
الناسد) اي هو مفسد
ويدعي محبة الله وكيف
تأتي له والحب لا ينفصل
الا ما يحب محبو به والله
لا يحب ما يفعله فلا يكون
صادقا في دعواه كما قال
الشاعر

نعمى الاله وانت تظهر حبه
* هذا قبيح بالفعل بديع *
* لو كان حبك صادقا لاطمعه *
* ان الحب ان يحب مطيع *
(واذا قيل له اتق الله اخذته
العز بالاثم) اي جلته الحمية
النفسانية حمية الجاهلية على
الاثم لجابا واطر الظهور

وأترك بها فزوجتك ثم طلقها طلاقاً فيه رجعة ثم تركها حتى انقضت عدتها فلما خطبت الى آتيتني
تخطبها مع الخطاب والله لا انكسها لك ابدافني هذا زلت هذه الآية واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا
تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن الآية فكفرت عن عيني وانكسها لياها اخرجه البخاري وقيل
ان جابر بن عبد الله كانت له ابنة عم فطلقها زوجها تطليقة فلما انقضت عدتها اراد ان يرتجعها فأتى جابر
وقال طلق ابنة عنائهم تريد ان تنكحها الثانية وكانت المرأة تريد زوجها قدر ضيقته فنزلت هذه الآية
واراد بلوغ الاجل في قوله فبلغن اجلهن انقضت العددة بخلاف الآية التي قبل هذه قال الشافعي
دل اختلاف الكلامين على افتراق البلوغين (فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن) خطاب
للاولياء والمعنى لا تضيقوا عليهن ايها الاولياء فتمنعوهن من مراجعة ازواجهن بكاح جديد يتفقون
بذلك مضارتهن فهو خطاب عام لجميع الاولياء وان كان سبب الآية خاصا واصل العضل المع
والتضييق ومنه قول اوس بن حجر

وليس اخوك الدائم العهد بالذي يذمك ان ولى ويرضيك مقبلا

واكنه الباقى اذا كنت آما * وصاحبك الاذى اذا الامر اعضلا

يعنى اذا ضاق الامر وفي الآية دليل للشافعي ومن وافقه في ان المرأة لا تلى عقد الكاح ولا تأذن
فيه اذ لو كانت تملك ذلك لم يكن عضل ولا تلى الولي عن العضل معنى * وقوله تعالى (اذا تراضوا
بينهم بالمعروف) يعنى اذا تراضى الخطاب والنساء المعروف هناموافق الشرع من عقد حلال
ومهر جائز وقيل هو ان يرضى كل واحد منهما بما التزمه لصاحبه بحق العقد حتى تحصل المحبة
الحسنة والعشرة الحميلة (ذلك) اى ذلك الذى ذكر من التهى (يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله
واليوم الآخر) يعنى ان المؤمن هو الذى ينتفع بالوعظ دون غيره (ذلكم اركى لكم والطهر)
يعنى انه خير لكم والطهر لقلوبكم واطيب عبدالله (والله يعلم) يعنى ما فى ذلك من الزكاة والطهر
(وانتم لا تعلمون) يعنى ذلك * قوله عز وجل (والوالدات) يعنى المملقات اللاتي لهن اولاد من
ازواجهن وقبل المراءى جميع الوالدات سواء كن مملقات او متزوجات ويدل عليه ان اللفظ
عام وما قام دليل التخصيص فوجب تركه على عومه ولا نداهر اللفظ فوجب حمله عليه (يرضمن
اولادهن) هذا خبر بمعنى الامر والتقدير والوالدات يرضمن اولادهن فى حكم الله الذى
اوجبه وهذا الامر ليس امر ايجاب وانما هو امر ندب واستحباب لان تربية الطفل باين الام اصح له
من لبن غيره ولكمال شفقتها عليه ويدل على انه لا يجب على الوالدات رضاع الولد قوله فان ارضعن
لكم فآتوهن اجورهن ولو وجب عليها الرضاع لما استحققت الاجرة وقال تعالى وان تعاسرتم
فسترضع له اخرى هذا نص صريح فى ذلك فان لم يوجد من يرضع الطفل او لم يقبل غير ابن امه
وجب عليها ارضاعه كما يجب على كل احد * واساة المضطر فان رغب الام فى ارضاع وادها ففى
اولى له من غيرها (حولين كاملين) الحول السنة واصله من حال يحول اذا انقلب وانما قال
كاملين للتوكيد لانه مما يتساح فيه تقول ائت عد فلان حولا وان لم تستكمله فبين الله انهما
حولان كاملان اربعة وعشرون شهرا وهذا التحديد بالحولين ليس لتحديد ايجاب ويدل على
ذلك قوله بعد (لمن اراد ان يتم الرضاعة) فلما علق الاتمام بارادتنا علما ان هذا الاتمام خبر
واجب ثبت ان المقصود من هذا التحديد قطع النزاع بين الزوجين فى مقدار زمن الرضاعة

نفسه حيث نوزعه انه اعلم
بما يفعل من ناسحه (فحسبه
جهنم وليس الهاد) اى غايته
عق حضيض رنته التى
هو فيها وظلها فان جهنم معاه
مهورى بعيد العمق مظله
(ومن الناس من يشرى
نفسه ابتغاء مرضاة الله والله
رؤف بالعباد يا ايها الذين
آمنوا ادخلوا فى السلم)
يبدل نفسه فى سلوك سبيل
الله طابا ضاه (سكافة
ولا تتبعوا خطوات الشيطان
انه لكم عدو مبين) اى فى
الاستسلام وتسليم الوجوه
الله ادمعاده اقوى بعضها
بعضا وعليه موافقتها
فى التماسى لامر الله دليل
تتبع الشيطان وهو يريد ان
تستحقوا اقهر الله بارتكاب
الاسرافات المذمومة له ادواته
القرزية لكم لاختلاف
حبلته وجبلتكم وقصوره
عن نور فلتر تكلم لكونه
نارى الخلقة لا يطلب منكم
الا ان تكونوا نارين مثله
لانورائين فهو عدو
فى الحقيقة فى صورة المحب
(فان زلتم) من مقام التسليم
لامر الله (من بعد ما جاءكم
الايات) دلائل تعجليات
الاصال والصفات (فاعلموا
ان الله عزيز غالب يتقركم

فقد الله تعالى ذلك بالحولين حتى يرجعا اليه عند التنازع قال ابن عباس في رواية حكيمه اذا وضعت الولد لسته اشهر ارضعته حولين وان وضعت لسبعة اشهر ارضعته ثلاثا وعشرين شهرا وان وضعت لتسعة اشهر ارضعته احدا وعشرين شهرا اكل ذلك ثلاثون شهرا لقوله تعالى وحله وفصاله ثلاثون شهرا وقال في رواية الوالي عنه هو حد لكل مولود اى في وقت ولد لا ينقص رضاعه عن حولين الا بالاتفاق من الابوين فانهما اراد فطام الولد قبل الحولين فليس له ذلك الا اذا اتفقا عليه يدل على ذلك قوله فان ارادا فصلا عن تراض منهما وقيل فرض الله على الوالدات ارضاع الولد حولين ثم ازل التخفيف فقال لمن اراد ان يتم الرضاعة اى هذا متبى الرضاع لمن اراد اتمام الرضاعة وليس فيما دون ذلك حد محدود وانما هو على مقدار صلاح الطفل وما يعيش به (وعلى المولود له) يعنى الاب وانما عبر عنه بهذا لان الوالدات انما ولدن للابا مولد ذلك ينسب المولود للاب دون الام قال بعضهم

وانما مهاد النساء اوعية * مستودعات وللآباء البنات.

وقيل ان هذا تنبيه على ان الولد انما يلتحق بالوالد لكونه مولودا على فراشه فكأنه قال اذا ولدت المرأة الولد لاحل الرجل وعلى فراشه وجب عليه رماية مصالحه (رزقه) اى طعامه (وكسوته) اى لباسه (بالمعروف) اى على قدر الميسرة (لا تكلف نفس الا وسعيا) يعنى طاقته والمعنى ان ابا الولد لا يكلف في الاتفاق عليه وعلى امه الا قدر ما تتسع به قدرته ولا يبلغ اسراف القدرة (لا تضار والدته بولدها) يعنى لا ينزع الولد من امه بعد ان رضيت بارضاعه ولا يدفع الى غيرها قبل معناه لا تكره الام على ارضاع الولد اذا قبل الصبي لبن غيرها لان ذلك ليس بواجب عليها (ولا مولود له بولده) يعنى لا تلحق المرأة الولد الى ابيه وقد افقها بضاره بذلك وقيل معناه لا يلزم الاب ان يعطى ام الولد اكثر مما يجب عليه لها اذا لم يرضع الولد من غير امه فعلى هذا يرجع الضرر الى السوالدين فيكون المعنى لا يضار كل واحد منها صاحبه بسبب الولد وقيل يحتمل ان يكون الضرر راجعا الى الولد والمعنى لا يضار كل واحد من الابوين الولد فلا ترضعه حتى يموت فيتضرر بذلك ولا ينفق عليه الاب او ينزعه من امه فيضره بذلك فعلى هذا تكون الباء صلة والمعنى لا تضار والدته بولدها ولا ابولدا (وعلى الوارث مثل ذلك) يعنى وعلى وارث ابي الولد اذا مات مثل ما كان يجب عليه من النفقة والكسوة فيلزم وارث الاب ان يقوم مقامه في القيام بحق الولد وقيل المراد بالوارث وارث الصبي الذى لومات الصبي ورثته فعلى هذا الوارث مثل ما كان على ابي الصبي في حال حياته واختلف في اى وارث هو فقيل هم عصبة الصبي كالجدة والابن وابنه وقيل هو كل وارث له من الرجال والنساء وبه قال احمد فيجبرون على نفقة الصبي كل على قدر سهمه منه وقيل هو من كان ذارحم محرم منه وبه قال ابو حنيفة وقيل المراد بالوارث الصبي نفسه فعلى هذا تكون اجرة رضاع الصبي في ماله فان لم يكن له مال فعلى الام ولا يجبر على نفقة الصبي غير الابوين وبه قال مالك والشافعي وقيل معناه وعلى الوارث ترك المضارة (فان ارادا) يعنى الوالدان (فصلا) يعنى فطام الولد قبل الحولين (عن تراض منهما) اى على اتفاق من الوالدان في ذلك (وتشاور) اى يشاورون اهل العلم في ذلك حتى ينخروا ان الفطام قبل الحولين لا يضر بالولد والمشاوره استخراج

(حكيم) لا يظهر الا على مقتضى الحكمة والحكمة تقتضى قهر المخالف المنازع ليعتبر المطيع الموافق ويزيد في الطاعة (هل ينظرون) اى هل ينتظرون (الان يأتهم) يعنى (الله في ظلال من الغمام والملائكة وقضى الامر) صفات الهوية من جلة تجليات الصفات وصور ملائكة القوى السماوية وقضى في السوح امر اهلاكهم (والى الله ترجع الامور) سل بنى اسرائيل كم آتياهم من آية بينة ومن يدل نعمه الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب زين للذين كفروا الحياة الدنيا وسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حساب (يقابل كل امرئ بجرائه او ترهق اليه بالفناء) كان الداس امة واحدة) اى على الفطرة ودين الحق كما قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وهو في عهد الفطرة الاولى على الحقيقة او في زمن الطفولة او في عهد آدم عليه السلام كان الناس امة واحدة) ثم اختلفوا في

الرأى بما فيه مصلحة (فلا جناح عليهما) أى فلا حرج ولا اثم على الوالدين فى النظام قبل الحولين
 اذا لم يضر بالولد (وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم) أى لا اولادكم مرضع غير امهاتهم اذا ابنت امهاتهم
 ارضاعهم او تعذر ذلك لعلقه بين من انقطاع لبن او غير ذلك او اردن التزويج (فلا جناح عليكم اذا سلمتم)
 يعنى الى المراضع (ما آتيتن) يعنى لمن من اجرة الرضاع وقيل اذا سلمتم الى امهاتهم من
 اجرة الرضاع بقدر ما ارضعن (بالمعروف) أى بالاحسان والاجال امرؤ ان يكونوا عدد
 تسليم الاجرة مستبشرى الوجوه ناطقين بالقول الحليم مطيعين لانفس المراضع بما امكن حتى
 يؤمن من تقربطهن بقطع معاذيرهن (واتقوا الله) يعنى وخافوا الله فيما فرض عليكم من
 الحقوق وفيما اوجب عليكم لا اولادكم (واعلموا ان الله بآعمالون بصير) يعنى لا يخفى عليه خافية
 من جميع اعمالكم سرها وعلايتها فانه تعالى يراها ويعلمها قوله عز وجل (والذين يتوفون)
 يعنى يموتون (منكم) واصل التوفى اخذ الشئ وافيا فن مات دفنا استوفى عمره كاملا ويقال
 توفى فلان يعنى قبض واخذ (ويذرون) أى ويتركون (ازواجا) والمراد بالازواج هنا
 النساء لان العرب تطلق الزوج على الرجل والمرأة (يتربصن) أى ينتظرن (بانفسهن اربعة
 اشهر وعشرا) يعنى قدر هذه المدة وانما قال عشرة بلفظ التأنيث لان العرب اذا اجهت فى العدد
 من اليالى والايام غلبوا لليالى حتى ان احدهم يقول صمت عشرة من الشهر لكثرة تغليبهم
 لليالى على الايام فاذا اظهروا والايام قالوا صمت عشرة ايام وقيل ان هذه الايام ايام حزن وليس
 احداث فشبها باليالى على سبيل الاستعارة ووجه الحكمة فى ان الله تعالى حد العدة بهذه المقدر لان
 الولد يركض فى بطن امه نصف مدة الحمل يعنى يتحرك وقبل ان الروح ينفخ فى الولد فى هذه
 العشرة ايام ويدل على ذلك ماروى عن ابن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وهو الصادق المصدوق ان خلق احدكم يجمع فى بطن امه اربعين يوما نطفة ثم يكون علقه مثل
 ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا يكتب رزقه واجله وعمله وشق او سهله ثم
 ينفخ فيه الروح اخراجا فى الصحيحين بزيادة دل هذا الحديث على ان خلق الولد يجمع فى مدة
 اربعة اشهر ويتكامل خلقه بنفخ الروح فيه فى هذه الايام الرائدة

فصل فى حكم عدة المتوفى عنها زوجها والاحداد وفيه مسائل **المسئلة الاولى** به عدة
 المتوفى عنها زوجها اربعة اشهر وعشرا وعدة الامة على نصف عدة الحرة شهران وخمسة ايام وبه
 قال جمهور العلماء وقال ابو بكر الاصم عدة الامة كمدة الحرة وتمسك بظاهر هذه الآية وعدة
 الحامل بوضع الحمل سواء فيه الحرة والامة ولو وضعت بعد وفاة زوجها بالحظة حل لها ان
 تزوج ويدل على هذا ماروى عن سبيعة الاسلية انها كان تحت سعد بن خولة وهو من بنى عامر بن
 لؤى وكان بمن شهد بدرا فتوفى عنها فى حجة الوداع وهى حامل فلم تلبث ان وضعت حبلها بعد وفاته
 فلا قتلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها ابو السنابل بن بعلك رجل من بنى عبد الدار
 فقال ما لى اراك تجملت للخطاب لعلك ترجين النكاح وانك والله ما انت بنا كح حتى تمر عليك
 اربعة اشهر وعشرا قالت سبيعة فلما قال لى ذلك جعت على ثيابى حين امسيت واتيت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فأتانى بانى قد حلت حين وضعت حبلى وامرنى بالتزويج
 ان بدالى اخراجا فى الصحيحين وفيه قال ابن شهاب ولا ارى بأسا ان تزوج حين وضعت وان

النفقة بحسب اختلاف طبائعهم وغلبة صفات
 نفوسهم وتفرق اهوائهم
 فان تضاد اصول بيتهم
 ومراكز ابدانهم باختلاف
 البقاع والاهوية اقتضى
 ذلك وكذا ما فى طبائعهم
 من حذب البقع الخاص
 ودفع الضرر الخاص
 لاحتجاب كل عبادة بدنه
 واقتضاء الحكمة الالهية ذلك
 لمصلحة النشو والنماء يقتضى
 التعادى والتخالف (فبعث
 الله البينين مبشرين
 ومنذرين وازل معهم
 الكتاب بالحق ليحكم بين
 الناس فيما اختلفوا فيه وما
 اختلف فيه الا الذين اوتوه
 من بعد ما جائتهم البينات بغيا
 بينهم فهدى الله الذين آمنوا
 لما اختلفوا فيه من الحق باذنه
 والله يهدى من يشاء الى
 صراط مستقيم) ليدورهم
 من الخلاف الى الوفاق ومن
 الكثرة الى الوحدة ومن
 العداوة الى المحبة فنفروا
 وتحزبوا عليهم وعييزوا فاما
 السفليون الذين رسخت
 فى طبائعهم محبة الباطل وغلب
 على قلوبهم الرين وطبع عليها
 وعيت وزال استعدادهم
 بظلمة هواهم فازدادوا
 خلافا وعنادا فكانهم ما

اختلفوا الاعتد بعثهم واثباتهم
بالكتاب الذي هو سبب
ظهور الحق والوفاق حسدا
بينهم ناشئا من عد انفسهم
وغاية هواهم واحتجابهم
واما العلويون الذين بقوا
على الصفاء الا صلى
والاستعداد الاول فهداهم
الله الى الحق الذي اختلفوا
فيه وراى خلافهم وسلوكوا
الصراط المستقيم (ام حسبتم
ان تدخلوا الجنة) جنة تجلى
الجمال (ولما يأتكم) حال
(الذين) مضوا (من قبلكم
مستهم البأساء والضراء)
بأساء التزك والجهريد والفقير
والافتقار وضراء المجاهدة
والرياضة وكسر النفس
بالعبادة (وزلزلوا) بدواعى
الشوق والمحبة عن مقام
نفوسهم ليظهروا مافى
استعدادهم بالقوة (حتى
يقول الرسول والذين آمنوا
معه متى نصر الله) اى حتى
تضجروا من طول مدة
الحجاب وكثرة الجهاد من
الفراق وعيل صبرهم عن
مشاهدة الجمال وذوق
الوصال وطلبوا نصر الله
التجلى على قع صفات
النفوس مع قوة مصابرتهم
وحسن تحملهم لما يفعل
من سبب ويريد بهم من

كانت فى دمها غيرانه لا يقربا حتى تظهر فى هذا حكم الآية عام فى كل من توفى عنها زوجها
بان تعد اربعة اشهر وعشرا ثم خصص من هذا العموم اولات الاحال بهذا الحديث وبقوله تعالى
واولات الاحال اجلهن ان يضعن حملهن **المسئلة الثانية** **ب** يجب على من توفى عنها زوجها
الاحداد وهو ترك الزينة والطيب ودهن الرأس بكل دهن والكحل المطيب فان اضطرت الى
كحل فيه زينة فیرخص لها وبه قال مالك وابو حنيفة وقال الشافعى تكحل به بالليل وتمسحه
بالتنار عن ام سلمة قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفى ابوسلمة وقد جعلت
على صبرا فقال ما هذا يا ام سلمة فقلت انما هو صبر يا رسول الله ليس فيه طيب فقال انه يشب
الوجه فلا تجعله الا بالليل وتنزعه بالتنار ولا تمسحى بالطيب ولا بالحاء فانه خضاب قلت باى
شئ تمسحى يا رسول الله قال بالسدر تغلفين بك رأسك اخرجه ابو داود والنسائى نحوه قوله فانه يشب
الوجه اى يوقده ويمسحه وينوره من شئ النار اذا وقدها قوله تغلفين به رأسك اى تلطخين به
رأسك والتغلف هو الغمرة على وجه المرأة وكذا رأسها اذا طمخته بشئ فأكثر منه ولا يجوز
لها لبس الديباج والحرير والحلى والمصبوغ للزينة كالاحمر والاصفر ويجوز لها لبس ما صيغ لغير
الزينة كالاسود والازرق ويجوز لها ان تلبس البياض من الثياب والصوف والوبر (ق) عن
زينب بنت ابي سلمة قالت دخلت على ام حبيبة زوج النبی صلى الله عليه وسلم حين توفى ابوها
ابو سفيان بن حرب فحدثت ام حبيبة بطيب فيه صفرة خلوق او غيره فدهنت به جارية ثم مست
بعارضها ثم قالت والله ما لى بالطيب من حاجة غير انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
على المنبر لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحمد على ميت فوق ثلاث الا على زوج اربعة
اشهر وعشرا قالت زينب ثم دخلت على زينب بنت جحش حين توفى اخوها فدعت بطيب فمست
منه ثم قال والله ما لى بالطيب من حاجة غير انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر لا يحل
لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحمد على ميت فوق ثلاث الا على زوج اربعة اشهر وعشرا
(م) عن عائشة ان النبی صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحمد
على ميت فوق ثلاث الا على زوجها اربعة اشهر وعشرا (ق) عن ام عطية قالت كان نبي الله صلى الله عليه وسلم
على ميت فوق ثلاث الا على زوج اربعة اشهر وعشرا ولا تكحل ولا تنظف ولا تلبس ثوبا
مصبوغا الا ثوب عصب وقدر خص لنا عند الطهر اذا اغتسلت احدا منا من حیضتها فى بئدة من
كست اظفار قولها الا ثوب عصب العصب بالعین والصادا الممليتین من البرود الذى صبغ غزله قبل
النسج قولها بئدة من كست البئدة الشئ اليسير والكست لغة فى القسط وهوشى معروف يشجر
به عن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تلبس المتوفى عنها زوجها المصفرة من
الثياب ولا المشقة ولا الحلى ولا تخضب ولا تكحل ولا تضيب اخرجه ابو داود قولها ولا المشقة
الثياب المشقة هى المصبوغة بالمشق وهى المفرة عن نافع ان صفية بنت عبد الله اشتكت عنها
وهى حاد على زوجها ابن عمر فلم تكحل حتى كادت عيناها ترمضان اخرجه مالك فى الموطأ
المسئلة الثالثة **ب** اختلفوا فى هذه المدة سببا للوفاة او العلم بالوفاة فقال بعضهم ما لم تعلم بوفاة
زوجها لا تعتد بانقضاء الايام فى العدة واحتجوا على ذلك بان الله تعالى قال یتربصن بانفسهن وذلك
لا يحل الا بالقصد الى التربص ولا يحل ذلك الا مع العلم قال الجمهور السبب هو الموت فلو انقضت المدة

اواكثرها او بعضها ثم بلغها خبر موت الزوج وجب ان تعتد بما انقضى ويدل على ذلك ان الصغيرة التي لاعلم لها يكنى في انقضاء عدتها هذه المدة من المسئلة الرابعة ب اجمع العلماء على ان هذه الآية ناسخة لما بعدها من الاعتداد بالحول وان كانت هذه الآية متقدمة في التلاوة وسند ذكر تمام الكلام عليه بعد في موضعه ان شاء الله تعالى والله اعلم ب وقوله تعالى (فاذا بلغن اجلهن) اى انقضت عدتهن (فلاجناح عليكم) خطاب للاولياء لانهم هم الذين يتولون العقد (فيما فعلن في انفسهن بالمعروف) يعنى من التزين والتطيب والقلة من المسكن الذى كانت معتدة فيه ونكاح من يجوز لها نكاحه وقيل انما عني بذلك النكاح خاصة وقيل معنى قوله بالمعروف هو النكاح الحلال التطيب واحتج اصحاب ابى حنيفة على جواز النكاح بغيرولى بهذه الآية لان اضافة الفعل الى الفاعل محمول على المباشرة واجاب اصحاب الشافعى ان قوله تعالى فلاجناح عليكم خطاب للاولياء ولو صح العقد بغيرولى لما كان مخاطبا واجيب عن قوله فيما فعلن في انفسهن انما هو التزين والتطيب بعد انقضاء العدة لانها تزوج نفسها (والله بما تعملون خبير) يعنى انه تعالى لا يخفى عليه خافية والخبير فى صفة الله تعالى هو العالم بكنهه الشئ وحقيقته من غير شك والخبير فى صفة المخلوقين انما يستعمل فى نوع من العلم وهو الذى يتوصل اليه بالاجتهاد والفكر والله تعالى منزّه عن ذلك كله ب قوله عز وجل (ولا جناح) اى لا حرج (عليكم فيما عرضتم به) اى لو حتم واشترتم به والتعريض ضد التصريح ومعناه ان يضمن كلامه ما يصلح للدلالة على مقصوده ويصلح للدلالة على غير مقصوده ولكن اشار به بجانب المقصود اتم وارجع وقيل هو الاشارة الى الشئ ما يفهم السامع مقصوده من غير تصريح به وقيل التعريض من الكلام ماله ظاهر وباطن (من خطبة النساء) يعنى المعتدات فى عدتهن والخطبة بالكسر طلب النكاح والتامسه وقيل هو ذكر النساء والخطبة بالضم كلام مظلوم له اول وآخر ومعنى الآية فيما عرضتم به من ذكر النساء عندهن والتعريض بالخطبة فى العدة مباح وهو ان يقول انك لجميلة وانك لصالحة وان غرضى التزويج واتى فيك الراغب وعسى الله ان ييسرلى امرأة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهوم من غير تصريح بان يقول اتى اريد ان انكحك او اتزوجك ونحو ذلك ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن ابن عباس فى قوله تعالى فيما عرضتم به من خطبة النساء وان يقول اتى اريد التزويج وان النساء لمن حاجتى ولوددت ان ييسرلى امرأة صالحة اخرجها البخارى وروى ان سكية بنت حنظلة تأيمت فدخل عليها ابو جعفر محمد بن على الباقر فى عدتها فقال قد علمت قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدى على وقدى فى الاسلام فقال سكية غفر الله لك انما تخطفينى فى العدة وانت يؤخذ منك فقال انما اخبرتك بقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ام سلمة وهى فى عدة زوجها ابى سلمة فذكر لها نزلته من الله عز وجل وهو متعامل على يده حتى اثار الحصر فى يده صلى الله عليه وسلم من شدة تعامله عليهما فا كانت تلك خطبة (او اكنتم) يعنى اضمرتم (فى انفسكم) يعنى من نكاحهن وقيل هو ان يدخل ويسلم ويهدى ان شاء ولا يتكلم بشئ والمقصود انه لا حرج عليكم فى التعريض للمرأة فى عدة الوفاة ولا فيما يضمر الرجل فى نفسه من الرغبة فيها (علم الله انكم ستذكرونهن) يعنى بقلوبكم لان شهوة النفس والتغنى لا يخلو منه احد فلما كان هذا الخاطر كاشئ الشاق اسقط منه الحرج (ولكن

ابتلاهم بالهجران واذا قدم طم القرعة لاشتداد قوة المحبة فكيف بغيرهم فاجبوا اذ بلغ جهدهم ونفذت طاقتهم وقيل لهم (الا ان نصر الله قريب) اى رفع الحجاب وظهرت آثار الجمال (يستلثونك ماذا ينفقون قل ما تنفقتم من خير فلو الدين والاقرب بين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تنفقوا من خير فان الله به عليم كتب عليكم القتال وهو كرم لكم) قتال النفس والشيطان وهو مكروه لكم امر من طم العلقم واشد من ضمغ الضمغ (وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم) لا احتجما بكم بهوى النفس وحب اللذة العاجلة مما فى ضمنه من الخير الكثير واللذة السرمدية وكذا عكسه (والله يعلم) ما فى الاور من الخير والشر (وانتم لاتعلمون) ذلك لا احتجما بكم بالعاجل من الآجل وبما ظاهر من الباطن (يستلثونك عن

النهر الحرام قتال فيه)
يسألونك عن جهاد النفس
وأهوائها والشيطان
وجنوده في وقت التوجه
والسلوك إلى الحق وجمية
الباطن الحرام فيه حركة
السر (قل قتال فيه كبير
وصد عن سبيل الله وكفر
بهو المسجد الحرام وإخراج
أهله منه أكبر عند الله
والفتنة أكبر من القتل
ولا يزالون يقاتلونكم)
الجهاد في ذلك الوقت أمر
عظيم شاق وجوهكم عن
سبيل الله ومقام السرو محل
الخنور احتجاب عن
الحق وإخراج أهل
القلب الدين هم
القوى الروحية عن
مقارهم أنظم وأكبر
عند الله وقتة الشرك
والكفر وبلاؤهما عليكم
أشد من قتلهم إياهم بسيف
الرياضة ولا تزال تلك
القوى الفسائية والأهواء
الشيطانية يقاتلونكم بذنكم
عن دينكم ومقصدمكم
ودعوتكم إلى دين الهوى
والشيطان (حتى يردوكم
عن دينكم إن استطاعوا
ومن يردد منكم عن دينه)
بآثامهم (فبئس وهو كافر
فأولئك حبطلت أعمالهم)

لا تواعدوهن سرا) اختلفوا في معنى هذا السر المنهى عنه فقيل هو الزنا كان الرجل يدخل على
المرأة يعرض بالكاح ومراده الزنا ويقول لها دعيني فإذا وفيت عدتك أظهرت نكاحك فتبوا
عن ذلك وقيل هو قول الرجل للمرأة لا تقويني نفسك فاني ناكحك وقيل هو أن يأخذ عليها
العهد والميثاق أن لا تزوج غيره وقيل هو أن يخطبها في العدة وقال الشافعي السراج جامع وهو رواية
عن ابن عباس قال الكلبي لا تصغوا أنفسكم لهن بكثرة الجماع ويدل على أن لفظ السر كناية عن الجماع
قول امرئ القيس

الازمت بسياسة القوم اني * كبرت وان لا يحسن السرا مثالي

بسياسة اسم امرأة وانما وقع الكناية عن الجماع بالسر لانه ما يسر والله تعالى حي كريم فكفى به
عن لفظ الجماع بالصریح ومعنى الآية لا تواعدوهن مواعدة سرية ولا تواعدوهن بالشيء الموصوف
بالسر وقيل في معنى الآية أن الله تعالى اذن في اول الآية في التعريض بالخطبة ومنع في آخرها
عن التصريح بالخطبة (الا ان تقولوا قولا معروفا) بنى هو ما ذكره من التعريض بالخطبة وقيل
هو اعلام ولي المرأة انه راغب في نكاحها (ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله)
اي لا تحققوا العزم على عقدة النكاح في العدة حتى تقضي وانما سماها الله كتابا لانها فرضت به (واعلموا
ان الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه) اي فحذروا (واعلموا ان الله غفور رحيم) لا يجعل بالعقوبة على
من جاهره بالمعصية بل يستر عليه قوله تزوج (لا جناح عليكم ان طقمتم النساء ما لم تمسوهن
او تقرضواهن فريضة) اي ولم تمسوهن ولم تقرضواهن فريضة يعني ولم تعينواهن صدقا
ولم توجبوهن عليكم تزولت في رجل من الانصار تزوج امرأة من بني حنيفة ولم يسم لها صداقا ثم طلقها
قبل ان يسمها فنزلت هذه الآية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اتمتها ولو بقاذسك فان قلت
هل على من طلق امرأته جناح بعد الميس حتى يوضع عنه الجناح قبل الميس فأوجه في الحرج
والجناح عنه قلت فيه سبب قطع الوصلة وما جاء في الحديث ان ابيض الحلال إلى الله الطلاق ففي
الله الجناح عنه اذا كان الفراق ارواح من الامساك وقيل معناه لا حرج عليكم في تطليقهن قبل
الميس في اي وقت شئتم حائضا كانت المرأة او طاهر الانه لانه لا سنة في طلاقهن قبل الدخول (وتمسوهن)
اي اعطوهن من مالكم ما يتعنه به والمنة والمنازع ما يبلغ به من الزاد (على الموسع) اي الغني الذي
يكون في سعة من غناه (قدره) اي قدره اكله وطاقته (وعلى المقتصر) اي الفقير الذي هو في ضيق
من فقره (قدره) اي قدره اكله وطاقته (وما بالمعروف) يعني تمسوهن تمتعا بالمعروف يعني
من غير ظلم ولا حيف (حقا) اي ذلك التمتع حقا واجبا لازما (على المحسنين) يعني إلى المطلقات
بالتمتع وانما خص المحسنين بالذكر لانهم الذين ينتفعون بهذا البيان او قبل معناه من اراد ان يكون
من المحسنين فهذا شأنه وطريقه والمحسن هو المؤمن (ففصل في بيان حكم الآية) وفيه فروع
الفرع الاول اذا تزوج امرأتكم لم يفرض لها مهر او اتمها طلقها قبل الميس يجب لها عليه المنعة وبه
قال الشافعي وابو حنيفة واحمد وقال مالك المنعة مستحبة ولو طلقها قبل الدخول وقد فرض لها
مهر او وجب لها عليه نصف المهر المفروض ولا منعة لها عليه (الفرع الثاني) المطلقة المدخول بها فيها
قولان قال في القديم لا منعة لها لانها تستحق المهر كاملا وبه قال ابو حنيفة وهو احدى الروايتين عن احمد
وقال في الجديد لها المنعة لقوله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف وهو الرواية الاخرى عن احمد قال ابن عمر

التي عملوها في الاستسلام
والانقياد (في الدنيا
والآخرة واولئك اصحاب
النار) نار الجحيم والتعذيب
(هم فيها خالدون ان الذين
آمنوا) يقينا (وهاجروا)
اوطان النفس ومألوفا
الهوى (وجاهدوا في
سبيل الله) وجنود
الشيطان والفس الامارة
(اولئك يرجون رحمة الله)
تجليات الصفات وانوار
المشاهدة (والله غفور رحيم
يسئلونك عن الجمر
واليسر) جمر الهوى
وحب الدنيا وهيسر
احتيايل النفس في جذب
الخطيئة (قل فيها اثم كبير)
الحجاب والبعد (ومنافع
للناس واثمها اكبر من
نفعها ويسئلونك ماذا
ينفقون قل الغنى كذلك
يبين الله لكم الآيات لعلكم
تفكرون في الدنيا
والآخرة ويسئلونك
عن اليتامى قل اصلاح لهم
خير وان خالطوهم
فاخوانكم والله يعلم المفسد
من المصلح ولو شاء الله
لاعتكم ان الله عزيز حكيم
ولا تنكحوا المشركات
حتى يؤمن ولائمة مؤمنة
خير من مشركة ولو

لكل مطلقة متعة الا التي فرض لها المهر ولم يدخل بها زوجها نصف المهر **الفرع الثالث**
في قدر المتعة قال ابن عباس اعلاها خادم واوسطها ثلاثة اثواب درع وجاروازار واقلها دون ذلك
وقاية او مقنعة او شيء من الورق وهو مذهب الشافعي لانه قال اعلاها على الموسع خادم
واوسطها ثوب واقلها ماله ثمن وحسن ثلاثون درهما وروى ان عبدالرحمن بن عوف طلق امراته
وحجما يعني متعة جارية سوداء ومتع الحسن بن علي زوجته بعشرة آلاف درهم فقالت * متاع
قليل من حبيب مفارق * وقال ابو حنيفة مبلغها اذا اختلف الزوجان قدر نصف مهر مثلها لا يجاوز
وقال احمد في احدى الروايتين عنه تنقدر بما تجزى فيه الصلاة وقال في الرواية الاخرى تنقدر
بتقدير الحاكم والآية تدل على ان المتعة تعتبر بحال الزوج في اليسر والعسر وانه منوط الى
الاجتهاد لانها كالنفقة التي اوجبها الله تعالى للزوجات وبين ان حال الموسر يخالف حال المعسر
في ذلك **الفرع الرابع** ومن حكم الآية ان من تزوج امرأة بالقة برضاها على غير مهر
مثلها صح السكاح ولها مطالبته بان يفرض لها صداقا فان دخل بها قبل القرص ولها عليها مهر مثلها
وان طلقها قبل الفرض والدخول فلها المتعة * قوله عز وجل (وان طلقتموهن من قبل
ان تمسوهن) يعني تجمعهن وهذا في المطلقة بعد تسمية المهر وقبل الدخول حكم الله لها بنصف
المهر ولعدة عليها وهو قوله تعالى (وقد فرضتم لهن فريضة) اي سميتم لهن مهرا (فنصف
ما فرضتم) اي فلهن نصف المهر المسمى ومذهب الشافعي ان الخلوة من غير مسيس لا توجب الا
نصف المهر المسمى لان المسيس اما حقيقة في المس باليد او جعل كناية عن الجماع وايهما كان هدد
وجد الطلاق قبله وقال ابو حنيفة الخلوة الصحيحة تقرر المهر ومعنى الخلوة الصحيحة ان يخالها
وليس هناك مانع حسي ولا شرعي فالحسي نحو الرق والقرن او يكون معهما ثالث والشرعي
نحو الحيض والنفس وصوم الفرض وصلاة الفرض والاحرام سواء كان فرضا او نفلا والآية
جاءة لمذهب الشافعي قال شريح لم اسمع الله ذكر في كتابه بابا ولا ستر ان زعمانه لم يمسها فلها نصف
الصداق وقال ابن عباس اذا دخلها ولم يمسها فلها نصف المهر **الفرع الخامس** لو مات احد الزوجين
بعد التسمية وقبل المسيس فلها المهر كاملا وعليها العدة ان كان الزوج هو الميت * وقوله تعالى
(الا ان يعفون) يعني الامناء المطلقات والمعنى الا ان تترك المرأة نصيبها من الصداق فتعفو للزوج
فيعود جميع الصداق الى الزوج (او يعفو الذي بيده عقدة السكاح) فيه قولان احدهما انه الولي
وهو قول ابن عباس في رواية عنه والحسن وعلقمة وطاوس والشعبي والبخعي والزهري والسدي
وبه قال الشافعي في القديم ومالك والقول الثاني انه الزوج وهو قول علي وابن عباس في الرواية
الاخرى وجبير بن مطعم وسعيد بن المسيب وابن جبير ومجاهد والربيع وقتادة وماتل ولضحاك
ومحمد بن كعب القرظي وهو قول ابو حنيفة والشافعي في الجديد واحد وجهور الفقهاء فلي
القول الاول يكون معنى الآية الا ان تعفو المرأة اذا كانت ثيبا بالقة من اهل الفروع نصيبها للزوج
او يعفو وليها اذا كانت المرأة بكرا صغيرة او غير جائزة التصرف فيموزع عضوها لغيرها نصيبها للزوج
وانما يجوز عفو الولي بشروط وهي ان تكون بكرا صغيرة ويكون الولي ابا او احدا لان غيرهما
لا يزوج الصغيرة وعلى القول الثاني ان الذي بيده عقدة السكاح هو الزوج وصح هذا القول
الطبري والواحد فيكون معنى الآية او يعفو الذي بيده عقدة السكاح يعني الزوج فيعطى المرأة
الصداق كاملا لان الله تعالى لما ذكر عفو المرأة عن النصف الواجب لها ذكر عفو الزوج عن النصف

الساقط عنه فيحسن للمرأة ان تغفوا ولا تطالب بشئ من الصداق والرجل ان يغفوه في المهر
 كما لا يروى ان جبير بن مطعم تزوج امرأة ثم طلقها قبل الدخول بها فاكل لها الصداق وقال انا حق
 بالغفوا ولا ان المهر حق المرأة فليس لوليها ان يهب من مالها شيئاً فكذلك المهر لانه مالها (وان تغفوا
 اقرب للتقوى) هذا خطاب للرجال والنساء جميعاً وانما غلب جانب التذكير لان الذكورة هي الاصل
 والتأنيث فرع عنها والمعنى وعفو بعضكم عن بعض ايها الرجال والنساء اقرب الى حصول التقوى
 وقبل هو خطاب للزوج والمعنى وليعف الزوج فيترك حقه الذي ساق من المهر اليها قبل الطلاق وهو
 اقرب للتقوى (ولا تنسوا الفضل بينكم) يعني ليتفضل بعضكم على بعض فيعطى الرجل الصداق
 كما لا يروى ان المرأة نصيبها من الصداق حثماً جلياً على الاحسان وكمال الاخلاق (ان الله
 بما تعملون) يعني من عفو بعضكم لبعض عما وجب له عليه من حق (بصير) اي لا ينحني عليه شئ
 من ذلك * قوله عز وجل (حافظوا) اي داوموا وواظبوا (على الصلوات) يعني
 الجنس المكتوبات امر الله عز وجل عباده بالمحافظة على الصلوات الجنس المكتوبات بجميع
 شروطها وحدودها واتمام اركانها وفعلها في اوقاتها المختصة بها (والصلاة الوسطى) تانيث الاوسط
 ووسط كل شئ خير واعدله وقيل الوسطى يعني الفضلى من قولهم للافضل اوسطاً وانما افردت
 وعظمت على الصلوات لانفرادها بالفضل وقيل سميت الوسطى لانها اوسط الصلوات محلاً
 * فصل في ذكر اختلاف العلماء في الصلاة الوسطى * قد اختلف العلماء من الصحابة فمن بعدهم
 في الصلاة الوسطى على مذاهب * الاول ان الصلاة الوسطى هي صلاة الفجر وهو قول عمرو بن عمار
 وابن عباس ومعاذ وجابر وعطاء وعكرمة ومجاهد وربيع بن انس وبه قال مالك والشافعي ويدل
 على ذلك ان ما كلفه ان علي بن ابي طالب وابن عباس كانا يقولان الصلاة الوسطى صلاة الفجر
 اخرجه مالك في الموطأ واخرجه الترمذي عن ابن عباس وابن عمر تعليقاً ولا يهاين صلاتي جمع
 الفجر والعصر يحمان وهما صلاتا نهار والمغرب والعشاء يحمان وهما صلاتا ليل وصالاتا الفجر
 لا تقصر ولا تجتمع الى غيرها ولا يهاين في وقت مشقة بسبب برد الشتاء وطيب اليوم في الصيف
 وفنور الاعضاء وكثرة العاس وغفلة الناس عنها فخصت بالمحافظة عليها لكونها معرضة للضياع
 ولان الله تعالى قال تعالى وقوموا لله قانتين والقنوت هو طول القيام وصلاة النحر مخصوصة
 بطول القيام ولان الله تعالى خصها بالذكر في قوله وقرآن الفجر ان قرآن البحر كان مشهوداً
 يعني تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار فهي مكتوبة في ديوان حفظة الليل وديوان حفظة
 النهار فدل ذلك على * يدها * المذهب الثاني انها صلاة الظهر وهو قول زيد بن ثابت واسامة
 بن زيد وابي سعيد الخدري ورواية عائشة وبه قال عبدالله بن شداد وهو رواية عن ابي حنيفة
 ويدل على ذلك ما روى عن زيد بن ثابت وعائشة قال الصلاة الوسطى صلاة الظهر اخرجه مالك
 في الموطأ عن زيد والتزمه عطاء تعليقاً واخرجه ابوداود عن زيد قال كان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يصلي الظهر بالهاجرة ولم يكن يصلي صلاة اشد على اصحاب رسول الله صلى الله عليه
 وسلم منها فزلت حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقال ان قبلها الاثنين وبعدها صلاتين ولان
 صلاة الظهر تأتي وسط النهار وفي شدة الحر ولانها تأتي بين البردين يعني صلاة الفجر وصلاة
 العصر * المذهب الثالث انها صلاة العصر وهو قول علي وابن مسعود وابي ابي هريرة

عجبكم ولا تنكسوا
 المشركين حتى يؤمنوا
 ولعبد مؤمن خير من
 مشرك ولو اعجبكم اولئك
 يدعون الى النار والله
 يدهو الى الجنة والمغفرة
 باذنه وبين آياته للناس
 لعلهم يذكرون ويستلوك
 عن الحيف قل هو اذى
 فاعترفوا للنساء في الحيف ولا
 تقربوهن حتى يطهرن فاذا
 نظهرن فأتوهن من حيث
 امركم الله ان الله يحب
 التوابين ويحب المتطهرين
 نسأؤكم حرث لكم فأتوا
 حرثكم اتي شتم وقد موا
 لانفسكم واتقوا الله واعلموا
 انكم ملائكة وبشر المؤمنين
 ولا تجعلوا الله عرضة
 ليمانكم ان تبروا وتعتقوا
 وتصلحوا من الناس والله
 سميع عليم لا يؤاخذكم الله
 باللغو في ايمانكم ولكن
 يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم
 والله غفور حلِيم الذين
 يؤاؤن من ناسهم تربص
 اربعة اشهر فان فاؤا فان الله
 غفور رحيم وان عزوا
 السلاق فان الله سميع عليم
 والمطلقات يتربصن بانفسهن
 ثلاثة قروء ولا يحل لهن
 ان يكتمن ما خلق الله في
 ارحامهن ان كن يؤمن بالله

وابن عمر وابن عباس وابي سعيد الخدري وعائشة وهو قول ابي عبيدة السلماني والحسن
 البصري وابراهيم النخعي وقادة الضحاك والكبي ومقاتل وبه قال ابو حنيفة واحمد وداود
 وابن المنذر وقال الترمذي هو قول اكثر الصحابة فمن بعدهم وقال لما وردى من اصحابنا هذا
 مذهب الشافعي لعمدة الاحاديث فيه قال وانما نص على انها الصبح لانه لم يبلغه الاحاديث الصحيحة
 في العصر ومذهبه اتباع الحديث ويدل على صحة هذا المذهب ما روى عن علي بن ابي طالب رضي الله
 عليه وسلم قال يوم الاحزاب وفي رواية يوم الخندق ملائكة قلوبهم وبوتهم نارا كما شغلونا عن
 الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس وفي رواية شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر وذكر
 نحوه وزاد في اخرى ثم صلاها بين المغرب والعشاء اخرجاه في الصحيحين (م) عن ابن مسعود
 قال حبس المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة العصر حتى اجرت الشمس او
 اصفرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملائكة
 اجوافهم وقبورهم نارا او حشا الله اجوافهم وقبورهم نارا عن سمرة بن جندب ان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال الصلاة الوسطى صلاة العصر اخرجاه الترمذي وله عن ابن مسعود مثله
 قال في كل واحد منهما حسن صحيح (م) عن ابي يونس مولى عائشة قال امرتني عائشة ان اكتب
 لها بحمها وقالت اذا بلغت هذه الآية فاذني حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى قال فلا بلغت
 آذنتها فاملت على حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة الصر وقوموا لله قانتين قالت
 عائشة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عن حفصة نحوه ذلك ولان صلاة العصر
 تأتي وقت اشتغال الناس بمعايشهم فكان الامر بالمحافظة عليها ولي ولانها تأتي بين صلاتي نهار
 وهما الفجر والظهر وصلاتي ليل وهما المغرب والعشاء وقد خصت بزيد التأكيد والامر بالمحافظة
 والتنظيف لمن ضيعها ويدل على ذلك ما روى عن ابي الميج قال كنا مع ريدة في غزوة فقال في يوم
 ذي نعيم بكرنا بصلاة العصر فان النبي صلى الله عليه وسلم قال من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله
 اخرج به البخاري قوله بكرنا بصلاة العصر أي قدره بها في اول وقتها (ق) عن ابن عمر ان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال الذي نفوته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله قوله وتر أهله نقص وسلب
 أهله وماله في فردا بالأهل والامال ومعنى الحديث ليكن حذره من فوت صلاة العصر كحذره من
 ذهاب أهله وماله * المذهب الرابع انها صلاة المغرب قاله قبيصة بن ذؤيب وجهة هذا المذهب
 ان صلاة المغرب تأتي بين باض النهار وسواد الليل ولانها ازيد من ركعتين كافي الصبح واقل
 من اربع ولا تقصر في السفر وهي وتر النهار ولان صلاة الظهر تسمى الاولى لان ابداء جبريل
 كان بها واذا كانت الظهر اول الصلاة كانت المغرب هي الوسطى * المذهب الخامس انها صلاة
 العشاء ولم يقل عن احدهن السلف فيها شيء وانما ذكرها بعض المتأخرين وجهة هذا المذهب
 انها متوسطة بين صلاتين لا تقصران وهما المغرب والصبح ولانها اثقل صلاة على المأفقين
 * المذهب السادس ان الصلاة الوسطى هي احدى الصلوات الخمس لانها تعالى امر
 بالمحافظة على الصلوات الخمس ثم عطف عليها بالصلاة الوسطى وليس في الآية ذكر بانها واذا كان
 كذلك امكن ان يقال في كل واحدة من الصلوات الخمس انها هي الوسطى اللهم الله على عباده مع
 ما خصها بزيادة التوكيد تحريضهم على المحافظة على اداء جميع الصلوات على صفة الكمال والتمام

واليوم الآخر وبموثقتهم
 احق بردهن في ذلك ان
 ارادوا اصلاحا ولهن مثل
 الذي عليهن بالمعروف
 وللرجال عليهن درجة والله
 عزيز حكيم الطلاق مرتان
 فاماك بمعروف او تسريح
 باحسان ولا يحل لكم
 ان تأخذوا بما تنبتوهن
 شيئا الا ان يحلفا الا بيمين
 حدود الله فان خفتم الا
 بيمين حدود الله فلا جناح
 عليهما فيما افدت به تلك
 حدود الله فلا تعتدوها
 ومن بعد حدود الله
 فأولئك هم الظالمون فان
 طلقها فلا تحل له من بعد
 حتى تنكح زوجا غيره فان
 طلقها فلا جناح عليهما
 ان يترابعا ان ظنا ان يمين
 حدود الله وتلك حدود الله
 بينما تقوم يعلون واذا طلقتم
 النساء فبلغن اجلهن
 فأمسكنهن بمعروف
 او سرحوهن بمعروف
 ولا تمسكنهن ضرارا
 لمتدوا ومن يفعل ذلك
 فقد ظلم نفسه ولا تغزوا
 آيات الله هزوا واذكروا
 نعمت الله عليكم وما انزل
 عليكم من الكتاب والحكمة
 يعظكم به واتقوا الله واعلموا
 ان الله بكل شيء عليم واذا

طلعت النساء قبلن اجلهن فلا تمضوهن ان ينكحن ازواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم اذكى لكم والطهر والله يعلم وانتم لا تعلمون والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس الا وسعها لاتنصار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مل ذلك فان ارادا فصلا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بأنفسهن اربعة اشهر و عشرًا فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء او اكنتم في انفسكم علم الله انكم ستذكرونهن ولكن

ولهذا السبب اخفى الله تعالى ليلة القدر في شهر رمضان واخفى ساعة الاجابة في يوم الجمعة واخفى اسمه الاعظم في جميع اسمائه ليحافظوا على ذلك كله وهذا المذهب اختاره جمع من العلماء قال محمد بن سيرين ان رجلا سأل زيد بن ثابت عن الصلاة الوسطى فقال حافظ على الصلوات كلها تصبها وسترل الربيع بن خثيم عن الصلاة الوسطى فقال للسائل الوسطى واحدة منهمن حافظ على الكل تكن محافظا على الوسطى ثم قال ارأيت لو علمتها بعينها اكنت محافظا عليها ومضيعة لساكنها فقال السائل لا فقال الربيع انك ان حافظت عليهن فقد حافظت على الوسطى والصحيح من هذه الاقوال كلها قولان قول من قال انها الصحيح وقول من قال انها العصر واصح الاقوال كلها انها العصر للاحاديث الصحيحة الواردة فيها والله تعالى اعلم * وقوله تعالى (وقوموا لله قانتين) اي طائعتين فهو عبارة عن اكل الطاعة واتمامها والاحتراز عن ايقاع الخلل في اركانها وستنا قبل لكل اهل دين صلاة يقومون فيها عاصين فقوهوا انتم لله في صلاتكم طائعين وقيل القنوت هو الدعاء والذكر بدليل امن هو قانت ولما امر بالمحافظة على الصلوات وجب ان يحمل هذا القنوت على ما فيها من الذكر والدعاء فعنى الآية وقوهوا لله دائمين ذاكرين وقيل انما خص القنوت بصلاة الصبح والوتر لهذا المعنى وقيل القنوت هو السكوت عما لا يجوز التكليم به في الصلاة وبدل على ذلك ما روى عن زيد بن ارقم قال كانتكم في الصلاة بكلم الرجل صاحبه وهو الى جنبه في الصلاة حتى نزلت وقوهوا لله قانتين فامرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام اخرجاه في الصحيحين وقيل القنوت هو طول القيام في الصلاة وبدل عليه ما روى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الصلاة طول القنوت اخرجاه مسلم ومن القنوت ايضا طول الركوع والسجود وغض البصر والهدى في الصلاة وخفض الجناح والخشوع فيها وكان العلماء اذا قام احدهم يصلى يهاب الرحمن ان يلتفت او يقلب الحصى او يعبث بشئ او يتحدث نفسه بشئ من امور الدنيا الاناسيا * قوله عز وجل (فان خفتهم فرجالا) اي رجالا (اوركبانا) يعنى على الدواب جمع راكب والمعنى ان لم يمكنكم ان تصلوا قانتين موفين حقوق الصلاة من اتمام الركوع والسجود والخشوع والخوف عدو او غيره فصولا مشاة على ارجلكم اوركبانا على دوابكم مستقبل القبلة وغير مستقبلها وهذا في حال المقاتلة والمسابقة في وقت الحرب وصلاة الخوف قسمان احدهما ان يكون في حال القتال وهو المراد بهذه الآية وقسم في غير حال القتال وهو المذكور في سورة النساء في قوله تعالى واذا كنت فيهم فاقت لهم الصلاة وسيأتى الكلام عليها ان شاء الله تعالى في موضعه فاذا التهم القتال ولم يكن تركه لاحد فذهب الشافعي انهم يصلون ركبا على الدواب ومشاة على الارجل الى القبلة والى غير القبلة يؤمنون بالركوع والسجود ويكون السجود اخفض من الركوع ويحترزون عن الصباح فانه لا حاجة اليه وقال ابو حنيفة لا يصلى الماشى بل يؤخر الصلاة ويقضيها لان النبي صلى الله عليه وسلم اخر الصلاة يوم الخندق فصلى الظهر والعصر والمغرب بعد ما غربت الشمس فيجب علينا الاقتداء به في ذلك واحتج الشافعي لذهبه بهذه الآية واجيب عن تأخير النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة يوم الخندق بانه لم يكن نزل حكم صلاة الخوف وانما نزل بعد فلا نزلت صلاة الخوف لم يؤخر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك صلاة قطاما الخوف الحاصل لافي القتال بل بسبب آخر كالهارب من العدو او قصده سبع هائج او غشيه سيل يخاف على نفسه الهلاك لو صلى صلاة امن فله

لا تواعدوهن سرا الا ان
تقوئوا قولا معروفا ولا
تغزوا عقدة النكاح حتى
يبلغ الكتاب اجله واعلوا
ان الله يعلم ما في انفسكم
فاحذروه واعلوا ان الله
غفور حلیم لا جناح عليكم
ان تطلقتم النساء ما لم تمسوهن
او تقرضوا لهن فريضة
ومتعوهن على الموسع قدره
وعلى المقتر قدره متاعا
بالمعروف حقاقا للمحسنين
وان طلقتموهن من قبل ان
تمسوهن وقد فرضتم لهن
فريضة فنصف ما فرضتم الا
ان يعفون او يعفو الذي يده
عقدة النكاح وان تفوا
اقرب للتقوى ولا تنسوا
الفضل بيكم ان الله بما
تعملون بصير حافظوا على
الصاوات والصلوة والسعى
وقوه والله قاتلن فان ختم
فرجالا اوركبا فاذا امتم
فاذكروا الله كما علمكم ما لم
تكنوا تعلمون والذين
يتوفون مكهم ويزرون
ازواجا وصية لازواجهم
متاعا الى الحول غير اخراج
فان خرجن فلا جناح عليكم
فيما فعلن في انفسهن من
معروف والله عزيز حكيم
ولا مطلقات متاع بالمعروف
حقاقا للمقين كذلك بين

ان يصلي صلاة شدة الخوف بالاعاء في حال العمد ولان قوله تعالى فان ختم مطلق يتناول الكل
فان قلت قوله تعالى فرجالا اوركبا ما يدل على ان المراد منه خوف العدو حال القتال قلت هو
كذلك الا انه هناك ثابت لدفع الضرر وهذا المعنى موجود هنا فوجب ان يكون الحكم كذلك
ههنا وروى عن ابن عباس قال فرض الله الصلاة على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم في الحضر
اربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة اخرجه مسلم وقد عدل بظاهره داجاعة من السلف
منهم الحسن البصري وعطاء وطاوس ومجاهد وقتادة والضحاك وابراهيم واسحق بن راهويه
قالوا يصلي في حال شدة الخوف ركعة وقال الشافعي ومالك وجهور العلماء صلاة الخوف كصلاة
الامن في عدد الركعات فان كان الخوف في الحضر وجب عليه ان يصلي اربع ركعات وان كان
في السفر صلى ركعتين ولا يجوز الاقتصار على ركعة واحدة في حال من الاحوان وتاولوا حديث
ابن عباس هذا على ان المراد به ركعة مع الامام وركعة اخرى يأتي بها منفردا كاجاءات الاحاديث
الصحيفة في صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه في صلاة الخوف وهذا التأويل لا بد منه
للمجمع بين الاحاديث * وقوله تعالى (فاذا امنتم) يعني من خوفكم (فاذكروا الله) اي
فصلوا الصاوات الخمس تامة باركانها وسننها (كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون) فيه اشارة
الى انعام الله تعالى علينا بالعلم ولولا هدايته وتعليمه ايانا لم نعلم شيئا ولم نصل الى معرفة شئ فله
الحمد على ذلك * قوله عز وجل (والذين يتوفون منكم) يعني بامعشر الرجال (ويزرون
ازواجا) يعني زوجات (وصية لازواجهم) قرئ بالنصب على معنى فليوصوا وصية
وبالرفع على معنى كتب عليهم وصية (متاعا الى الحول) اي متعوهن متاعا وقيل جعل الله
لهن ذلك متاعا والمتاع نفقة سنة لطماعها وكسوتها وما تحتاج اليه (غير اخراج) اي غير خرجات
من بيوتهن نزلت هذه الآية في رجل من اهل الطائف يقال له حكيم بن الحرث هاجر الى المدينة
ومعه ابواه وامراته وله اولاد فارتفع ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه
الآية فاعلى النبي صلى الله عليه وسلم ابويه واولاده ميراثه ولم يعط امرأته شيئا وامرهم ان
يتقوا عليها من تركه زوجها حولا وكان الحكم في ابتداء الاسلام انه اذا مات الرجل اعتدت
زوجته حولا وكان يحرم على الوارث اخراجها من البيت قبل تمام الحول وكانت نفقتها
وسكنها واجبتين في مال زوجها تلك السنة وليس لها من الميراث شئ ولكنها تكون مخيرة
فان شاءت اعتدت في بيت زوجها ولها النفقة والسكنى وان شاءت خرجت قبل تمام الحول
وليس لها نفقة ولا سكنى وكان يجب على الرجل ان يوصي بذلك فدلّت هذه الآية على مجموع
امر من احدهما ان لها النفقة والسكنى من مال زوجها سنة والثاني ان عليها عدة سنة ثم ان
الله تعالى نسخ هذين الحكمين اما الوصية بالنفقة والسكنى فنسخها بآية الميراث فجعل لها الربع او
الثلث عوضا عن النفقة والسكنى ونسخ عدة الحول باربعة اشهر وعشرا فان قلت كيف نهضت
الآية المتقدمة المتأخرة قلت قد تكون الآية المتقدمة متقدمة في التلاوة متأخرة في الترتيب كقوله
تعالى سيقول السفهاء من الناس مع قوله تعالى قد نرى قلبك وجهك في السماء * وقوله تعالى
(فان خرجن فلا جناح عليكم) يعني بامعشر اولياء البيت (فيما فعلن في انفسهن من معروف)
يعني التزين للنكاح ولرفع الحرج عن الورثة وجهان احدهما انه لا جناح عليكم في قطع النفقة

عنه اذا خرجن قبل انقضاء الحول والوجه الثاني لاجتراح عليكم في ترك منهن من الخروج لان مقامها في بيت زوجها حولا غير واجب عليها خيرا الله تعالى بين ان تقيم في بيت زوجها حولا ولها النفقة والسكنى وبين ان تخرج ولا نفقة له ولا سكنى ثم نسخ الله ذلك باربعة اشهر وعشرا (والله عز وجل) اى غالب قوى في انتقامه من خالف امره ونهيه وتمدى حدوده (حكيم) يعنى فيما شرع من الشرائع وبين من الاحكام * قوله عز وجل (وللمطلقات متاع بالمعروف) انما اصاب الله تعالى ذكر المتعة هناك زيادة معنى وهو ان في تلك الآية بيان حكم غير المسوسة وفي هذه الآية بيان حكم جع المطلقات في المتعة وقيل لانه لما نزل قوله تعالى ومتعن على الموسع قدره الى قوله حق على المحسنين قال رجل من المسلمين ان فعلت احسنت وان لم ارد لم افعل فانزل الله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف فجعل المتعة لهن بلام التثنية وقال تعالى (حقا على المتقين) يعنى المؤمنين الذين يتقون الشرك وقد تقدم احكام المتعة * وقوله تعالى (كذلك بين الله لكم آياته) يعنى بين لكم ما يلزمكم ويلزم ازواجكم اي المؤمنون وكما عرفتم احكامى والحق الذى يجب لبعضكم على بعض في هذه الآيات كذلك بين لكم سائر احكامى في آياتى التى انزلتها على محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الكتاب (لعلكم تتقون) اى لكي تتقوا ما بينت لكم من الفرائض والاحكام وما فيه صلاحكم وصلاح دينكم اه * قوله عز وجل (الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم) قال اكثر المفسرين كانت قرية يقال لها داوردان وقع بها الطاعون فخرجت طائفة منها وبقيت طائفة فسلم الذين خرجوا وهلك اكثر من بقى بالقرية فلما ارتفع الطاعون رجع الذين خرجوا سالمين فقال الذين بقوا كان اصحابنا احزنا رأيا لو صنعنا كما صنعوا فينا كابقوا ولئن وقع الطاعون ثانية لخرجن الى ارض لاوباء فيها فرجع الطاعون من قابل فهرب عامة اهلها فخرجوا حتى نزلوا واديا فبيع فلما نزلوا المكان الذى يتخون فيه الهبة ناداهم ملك من اسفل الوادى وملك آخر من اعلاه ان موتوا فأتوا جميعا (ق) عن عمر انه خرج الى الشام فلما جاء سرع بلغه ان الوباء قد وقع بها فاخبره عبدالرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعت به بارض فلا تقدهوا عليه واذا وقع بارض وانتم فيها فلا تخرجوا منها فرارا منه فحمد الله عز وجل ثم انصرف وقيل انما فروا من الجهاد وذلك ان ملكا من ملوك بني اسرائيل امرهم ان يخرجوا الى قتال عدوهم فمسكروا ثم جنوا وكرهوا الموت فاعتلوا وقالوا للملكهم ان الارض انتى تأتينا بها وباء فلا تخرج حتى ينقطع منها الوباء فارسل الله عليهم الموت فخرجوا فرارا منه فلما رأى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب واله موسى قدرى معصية عبادك فارهم آية في انفسهم حتى يعلموا انهم لا يستطيعون الفرار منك فلما خرجوا قال الله لهم موتوا عقوبة لهم فأتوا وماتت دوابهم كوت رجل واحد فأتى عليهم غاية ايام حتى انتفضوا واروخت اجسادهم فخرج الناس اليهم فحزوا عن دفنهم فحظروا حظيره دون السباع فذلك قوله تعالى الم تر الى الم تعلم يا محمد باعلاى اياك وهو من رؤية القلب قال اهل المعاني هو تعجب له يقول هل رأيت مثل هؤلاء كما تقول الم تر الى صنع فلان وكل ما فى القرآن من قوله الم تر ولم يصاينه البى صلى الله عليه وسلم فهذا معناه * قوله تعالى (وهم الوف) قيل هو من العدد واختفوا في مبلغ عددهم فقبل ثلاثة آلاف وقيل عشرة آلاف وقيل بضع وثلاثون الفا وقيل اربعون

الله لكم آياته لعلكم تتقون) في باب المعاش وتحصيل الادة النفسانية والفرح بالذهول عن الهيات الرديئة المشوشة والهموم المكدره (الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف) اى او طائفتهم المألوفة ومقار نفوسهم المعهودة ومقاماتهم ومراتبهم من الدنيا وما ركنوا اليها بدواعى الهوى وهم قوم كثير (حذر الموت) الجهل والانقطاع عن الحياة الحقيقية والوقوف في المناهى الطبيعية (فقال لهم الله موتوا) اى امرهم بالموت الارادى او اماتهم عن ذواتهم بالتجلى الذاتى حتى فنوا في الوحدة (ثم احياهم ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون) بالحياة الحقيقية العلمية او به بالوجود الموهوب الحقائقى والبقاء بعد الفناء ولا يبعدان يريد به ما اراد من قصة عزراى خرجوا هاربين من الموت الطبيعى فأماتهم الله ثم احياهم بتعلق ارواحهم بابدان من جنس ابدانهم ليحصلوا بها كمالهم (وقاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم

من ذا الذي يرضى الله)
الفس والشيطان على
الاول والثاني وعلى الثالث
لاتخافوا من الموت في
مقاتلة الاعداء فان الهرب
منه لا يرفع كالم يرفع اولئك والله
يحبيكم كما يحياهم (قرضا
حسا فيضاعفه له اضعافا
كثيرة) هو بدل الفس بالجهاد
او بدل المال بالادار (والله
يقبض ويبسط واليه
ترجعون) اى هو مع
ما ملكتكم في القبض
والبسط فانكم
بأوصافكم تستنزلون
اوصافه ان جعلوا بما في
ايديكم يفتق عليكم ويقتل
وان تجودوا بوسع حياتكم
بحسب جودكم كما ورد في
الحديث تنزل المعونة على
قدر المؤنة (المر الى الملا
من بنى اسرائيل من بعد
موسى اذ قالوا لبي لهم
ابعث لنا ملكا نقاتل في
سبيل الله قال هل عسيتم
ان كتب عليكم القتال
الاتقانوا قالوا واما
الاتقان في سبيل الله
وقد اخرجنا من ديارنا
وابنائنا فلما كتب عليهم
القتال تولوا الا قليلا منهم

القا وقيل سبعون الفا واصح الاقوال قول من قال انهم كانوا زيادة على عشرة آلاف لان الله
تعالى قال وهم الوف والالوف جمع الكثير وجمع القليل آلاف وقيل معنى وهم الوف مؤتلفون
جمع الف والاول اصح قالوا فرعليهم مدة قبلت اجسادهم وعريت عظامهم فرعليهم حزيل
ابن بودى وهو ثالث خلفاء بنى اسرائيل بعد موسى وذلك ان القيم بامر بنى اسرائيل بعد موسى
كان يوشع بن نون ثم كان من بعده كالب بن يوقنا ثم قام من بعده حزيل وكان يقال له ابن
الجهوز لان امه كانت مجوزا فسألت الله تعالى الولد بعدما كبرت وعقمت فوهب الله لها
حزيل ويقال له ذوالكفل سمي به لانه تكفل سبعين نبيا وانجاهم من القتل فلما مر حزيل
على هؤلاء الموتى وقف عليهم وجعل يفكر فيهم فاوحى الله تعالى اليه اتريد ان اريك آية قال
نعم يا رب فاحياهم الله تعالى وقيل دعاربه حزيل ان يحياهم فاحياهم الله تعالى وقيل انهم كانوا
قومه احياهم الله تعالى بعد ثمانية ايام وذلك انه لما اصابهم ذلك خرج في طلبهم فوجدهم موتى
فبكى وقال يا رب كنت في قوم يعبدونك ويذكرونك فبقيت وحيدا لا قومى فاوحى الله اليه
انى قد جعلت حياتهم اليك فقال حزيل احياوا باذن الله فاشوا وقيل انهم قالوا حين احياوا
سبحانك ربنا وبمحمدك لاله الا انت ثم رجعوا الى قومهم وعاشوا دهرا طويلا وسخنة الموت
على وجوههم لا يلبسون ثوبا الا مددنا مل الكفن حتى ماتوا لا آجالهم التى كتبت لهم قال
ابن عباس وانما لتوحد اليوم لتلك الريح في ذلك السبط من اليهود قال قتادة دقتهم الله على
فرارهم من الموت فامتهم عقوبة لهم ثم بعثهم الله يستوفوا بقية آجالهم ولو جاءت آجالهم لما
بشوا فان قلت كيف اميت هؤلاء مرتين في الدنيا وقد قال الله تعالى لا يدوقون فيها الموت الا
الموت الاول قلت ان موتهم كان عقوبة لهم كما قال قتادة وقيل ان موتهم واحياهم كان مهرة
من مهزات ذلك النبى ومهزات الانبياء خوارق للعادات ونوادى فلا يقاس عليها فيكون قوله
الا الموت الاول عاما مخصوصا بمهزات الانبياء اى الا الموت الاول التى ليست من مهزات
الانبياء ولا من خوارق العادات وفي هذه الآية احتجاج على اليهود ومهزة عظيمة لبيبا
صلى الله عليه وسلم حيث اخبرهم بامر لم يشاهده وهم يظنون صحة ذلك وفيه احتجاج على
منكري البعث ايضا اذ قد اخبر الله تعالى وهو الصادق في خبره انه املتهم ثم احياهم في الدنيا
فهو تعالى قادر على ان يحياهم يوم القيامة وقوله تعالى (حذر الموت) اى مخافة الطاعون
وكان قد نزل بهم وقبل انهم امروا بالجهاد ففروا منه حذر الموت (فقال لهم الله موتوا)
يحتمل انهم ماتوا عند قوله تعالى موتوا ويحتمل ان يكون ذلك امر تحويل فهو كقوله كونوا
فرقة خاشعين (ثم احياهم) يعنى بعد موتهم (ان الله لذو فضل على الناس) يعنى ان الله
تعالى تفضل على اولئك الذين املتهم باحيائهم لانهم ماتوا على معصيته فتفضل عليهم باعادتهم
الى الدنيا ليتوبوا وقيل هو على العموم فهو تعالى متفضل على كافة الخلق في الدنيا ويخص المؤمنين
بفضله يوم القيامة (ولكن اكثر الناس لا يشكرون) يعنى اذا اكثر من انعم الله عليه لا يشكروه
اما الكافر فانه لم يشكروه اصلا واما المؤمنون فلم يلقوا غاية شكره وقوله عز وجل (وقالوا فى
سبيل الله) قبل هو خطاب للذين احياهم الله ثم امرهم بالجهاد فلى هذا القول فيه اعتبار
تقديره وقيل لهم قاتلوا في سبيل الله وقيل هو خطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم ومعناه

لاتهروا من الموت كتهرب هؤلاء فلم ينفعهم ذلك ففيه تحريض للمؤمنين على الجهاد (واعلوا ان الله سمع) بمعنى لما يقوله المتعلل عن القتال (عليم) بما يصح به قوله عز وجل (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) القرض اسم لكل ما يعطيه الانسان ليجازي عليه فسمى الله تعالى عل المؤمنين له قرضا على رجاء ما وعدهم به من الثواب لانهم يعملون لثواب اثواب وقيل القرض ما سلفت من عمل صالح اوسى قال امية بن ابي الصلت

كل امرئ سوف ينجى قرضه حسنا او سينا او مدينا كالدي دانا

واصل القرض في اللغة القطع سمي به لان المقرض يقطع من ماله شيئا فيعطيه ليرجع اليه مثله ومعنى الآية من ذا الذي يقدم لنفسه الى الله ما يرجو ثوابه عنده وهذا تطف من الله تعالى في استدعاء عباده الى اعمال البر والطاعة وقيل في الآية اختصار تقديره من ذا الذي يقرض عباد الله والمحتاجين من خافه فهو كقوله ان الذين يؤذون الله اى يؤذون عباد الله وكما جاء في الحديث الصحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يوما لقيامه يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعني قال يارب كيف اطعمتك وانت رب العالمين قال استطعمتك عدى فلان فلم تطعمه اما علمت انك لو اطعته لوجدت ذلك عندي الحديث واختلفوا في المراد بهذا القرض فقيل هو الاتفاق في سبيل الله وقيل هو الصدقة الواجبة وقيل صدقة التطوع لان الله تعالى سماه قرضا والقرض لا يكون الا تبرعا ولما روى الطبري بسنده عن ابن مسعود قال لما نزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قال ابوالدحداح وان الله يريد ما القرض قال النبي صلى الله عليه وسلم نعم يا ابا الدحداح قال ناواني يدك فاوله يده قال فاني قد اقرضت ربى حاططى حاططا فيه ستمائة نخلة ثم جاء يثنى حتى اتى الحائط وام الدحداح فيه في عيالها فناداها يا ام الدحداح قالت ليك قال اخرجي من الحائط فاني قد اقرضته لربى زاد غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم كم من عذق رداح لابي الدحداح وقيل في معنى يقرض الله اى ينفق في طاعته فيدخل فيه الواجب والتطوع وهو الاقرب حسنا بمعنى محتسبا طيبة به نفسه وقيل هو الاتفاق من المال الحلال في وجوه البر وقيل هو ان لا يمن بالتقرض ولا يؤذى وقيل هو الخالص لله تعالى ولا يكون فيه رياء ولا سمعة (فيضاغفه له) بمعنى ثواب ما انفق (اضعاقا كثيرة) قيل هو يضاغفه الى سبعمائة ضعف وقال السدي هذا التضعيف لانه لا الله تعالى وهذا هو الاصح وانما اهتم الله ذلك لان ذكر المبلغ في باب الترغيب اقوى من ذكر الحدود (والله يقبض ويبسط) قيل يقبض بامساك الرزق والتقير على من يشاء ويبسط بمعنى يوسع على من يشاء وقيل يقبض بقبول الصدقة ويبسط بالخلف والاثواب وقيل انه تعالى لما امرهم بالصدقة وحثهم على الاتفاق اخبر انه لا يمكنهم ذلك الا بتوفيقه وارادته واعانه والمعنى والله يقبض بعض الثواب حتى لا تقدر على الاتفاق في الطاعة وعمل الخير ويبسط بعد القلوب حتى تقدر على فعل الطاعات والاتفاق في البر كراوى عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بني آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك اخرجه مسلم وهذا الحديث من احاديث الصفات التي

والله عليم بالظالمين وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا كان رجلا فقيرا لا نسب له ولا مال فاقتبلوه للملك لان استحقاق الملك والرياسة عدالة انما هو بالسعادة الخارجية التي هي المال والنسب فيه نبيهم على ان الاستحقاق انما يكون بالسعادتين الاخيرين الروحانية التي هي العلم والبدنية التي هي زيادة القوى وشدة البنية والبسطة بقوله (قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم) والله اعلم بمن يستحق الملك فيؤتيه (والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع) كثير العطاء يؤتى المال كما يؤتى الملك (عليم) بمن له الاستحقاق وما يحتاج اليه من المال الذي يتعبد به فيعطيه ثم بين ان استحقاق الملك له علامة اخرى وهي اذعان الخلق له ووقوع هيئته ووفاره في القلوب وسكون قلوبهم اليه ومحبتهم له وقبولهم امره على الطاعة والانقياد

وهو الذي كان يسمى
الاجام من قدماء الفرس
خوره وما يخص بالملوك
كيان خوره ثم من بعدهم
سموه فرفقالوا كان فرلملك
افريدون وذهب عن
كيكاؤ وسفر الملك
فطلبوا من له اقر فوجدوا
للك المبارك كيشرو
وسماه التابوت اى ما يرجع
اليه من الامور لان التابوت

فعلت من التوب اى
يأتكم من جهته ما يرجع
في ثبوت ملكه من الاذان
والطاعة والانقياد والمحبة
له باثاء الله له ذلك في
قلوبكم كما قال النبي عليه
السلام نصرت بالرعب
مسيرة شهر او ما يرجع
اليه من الحالة الفسائية
والهيئة الشاهدة له على
صحة ملكه (وقال لهم نبيهم
ان آية ملكه ان يأتكم
التابوت فيه سكنة من
ربكم) اى ما تسكن قلوبكم
اليه (وبقية مما ترك آل
موسى وآل هرون) في
اولادهم من المعنى المسمى
فرو هو نور ما سكوتى
تستضى به النفس باتصالها
بالمسكوت السماوية
واستفاضتها ذلك من عالم
القدرة مستلزم لحصول

يحب الايمان بها والسكوت عنها وامرارها كاجابت من غير تكليف ولا تشيه ولا اثبات جارحة
هذا مذهب اهل السنة وسلف هذه الامة (وايه ترجعون) يعنى في الآخرة فيميزكم
بأعمالكم * قوله عز وجل (المر الى الملا من بنى اسرائيل) الملا اشرف القوم ووجوههم
واصله الجماعة من الناس لا واحد له من لفظه كالقوم وازرط (من بعد موسى) اى من بعد
موت موسى او من بعده من (اذ قالوا) يعنى اولئك الملا (لنبي لهم) اختلفوا في ذلك النبي
فقبل هو يوشع بن نون ابن افرايم بن يوسف بن يعقوب وقيل هو شمعون بن صفية بن علقمة
من ولد لاوى بن يعقوب وانما سمي شمعون لان امه دعت الله ان يرزقها غلاما فاستجاب الله
لها فولدت غلاما فسمته شمعون ومعناه سمع الله دعائى وتبدل السين بالعبرانية شينا وقال اكثر
المفسرين هو اشعويل بن يال وقيل هو ابن هلقائى قبل انه من ولد هرون ومعرفة حقيقة ذلك
النبي بعينه ليست مرادة من القصة انما المراد منها الترغيب في الجهاد وذلك حاصل

في ذكر الاشارة الى القصة *

كان سبب مسئلة اولئك الملا لذلك النبي انه لما مات موسى عليه السلام خلف من بعده في بنى
اسرائيل يوشع بن نون يقيم فيهم امر الله تعالى ويحكم بالتوراة حتى قبضه الله تعالى ثم خلف
من بعده كالب بن يوفنا كذلك ثم حزقيل كذلك حتى قبضه الله تعالى فغطت الاحداث بعده
في بنى اسرائيل ونسوا عهد الله حتى عبدوا الاصنام فبعث الله اليهم الياس نبيا فدعاهم الى الله
تعالى وكانت الانبياء من بنى اسرائيل من بعد موسى يبعثون اليهم ليجددوا مانسوا من التوراة
ويأصروهم بالعمل باحكامها ثم خلف من بعد الياس اليسع فكان فيهم ماشاء الله تعالى ثم
قبضه الله تعالى ثم خلف من بعده خلوف وعظمت فيهم الخطايا وظهر لهم عدو يقال له البلثاء
وهم قوم جالوت وكانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وهم العمالقة
فظهروا على بنى اسرائيل وغلبوا على كثير من ارضهم وسبوا كثيرا من ذرارهم واسروا
من ابنا ملوكهم اربعمائة واربعين غلاما فضرخوا عليهم الجزية واخذوا ثورتهم واتى
بنو اسرائيل منهم ثلاثون وثمانون ولم يكن لهم نبي يدبر امرهم وكان سبط البوة قد هلكوا كلهم الا
امرأة حبلى فحسوها في بيت رعية ان تلد جارية فتبدلها بفلام لما ترى من رغبة بنى اسرائيل
في ولدها وجعلت المرأة تدعو الله ان يرزقها غلاما فولدت غلاما فسمته اشعويل ومعناه بالعربية
اسمعيلى تقول سمع الله دعائى فلما كبر الفلام سلمه لتعليم التوراة في بيت المقدس وكفله شجع من
علمهم وتبناه فلما بلغ الفلام اناه جبريل عليه السلام وهو نائم الى جانب الشيخ وكان الشيخ
لا يامن عليه احدا فدعاه جبريل ليخبره بالامر يا اشعويل فقام الفلام فرعا الى الشيخ وقال يا ابنه
رايتك تدعوى فكره الشيخ ان يقول لا فيفزع الفلام فقال يا بنى ارجع فتم فام ثم دعاه الثانية
فقال الفلام دعوتى فقال نعم فان دعوتك فلا تجبى فلما كانت الثالثة ظهر له جبريل عليه السلام
قال له اذهب الى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله قد بعثك فيهم نبيا فلما اتاهم كذبوه وقالوا له
استجبت بالنبوة ولم تلك وقالوا له ان كنت صادقا فابعث لنا ملكا مقاتل في سبيل الله آية على
نبوتك وانما كان قوام امر بنى اسرائيل بالاجتماع على الملوك وطاعة الملوك انبياءهم وكان الملك
هو الذى يسير بالجوع والنبي هو الذى يقيم له امره ويشير عليه ويرشده ويأنيه بالخبر من ربه

قال وهب فبعث الله اشموئيل نبيا فلبثوا اربعين سنة باحسن حال ثم كان من امر جالوت والعمالقة ما كان فذلك قوله تعالى اذ قالوا لبي لهم (ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله) جزم على جواب الامر فلما قالوا له ذلك (قال) يعني قال النبي صلى الله عليه وسلم (هل صيتم) هذا استفهام شك يقول لعلكم (ان كتب) اي فرض (عليكم القتال) يعني مع ذلك الملك (ان لاتقاتلوا) يعني لاتقوا بما قلتم وتجنبوا عن القتال معه (قالوا وما لنا ان لاتقاتل في سبيل الله) فان قلت ما وجه دخول ان والعرب لاتقول مالك ان لاتفعل كذا ولكن يقول مالك لاتفعل كذا قلت دخول ان وحذفها لغتان صحيحتان فالاثبات كقوله مالك ان لاتكون مع الساجدين والحذف كقوله مالك لاتؤمنون وقيل معناه وما لنا في ان لاتقاتل بحذف حرف الجر وقيل ان هنا زائدة ومعناه وما لنا لاتقاتل في سبيل الله (وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا) اي اخرج من غلب عليهم من ديارهم فظاهر الكلام العموم وباطنه الخصوص لان الذين قالوا لنبيهم ابعث لنا ملكا كانوا في ديارهم وابنائهم وانما اخرج من اسر منهم ومعنى الآية انهم قالوا لنبيهم انا انما كنا تركنا الجهاد لانا كنا ممنوعين في بلادنا لا يظهر علينا عدونا فاما اذا بلغ ذلك منا فطبع ربنا في جهاد عدونا ونمنع نساءنا واولادنا * قال الله تعالى (فلا كتب عليهم القتال) في الكلام حذف وتقديره فسأل الله ذلك النبي فبعث لهم ملكا وكتب عليهم القتال فلما كتب عليهم القتال (تولوا) اي امرضوا عن الجهاد وضيعوا امر الله (الا قليلا منهم) يعني لم يتولوا عن الجهاد وهم الذين عبروا النهر مع طالوت واقتصروا على العرفة على ماسياى في قصتهم ان شاء الله تعالى (والله عليم بالظالمين) يعني هو عالم بمن ظلم نفسه حين حالف امرربه ولم يف بما قال * قوله عز وجل (وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا) وذلك ان اشموئيل سأل الله عز وجل ان يعث لهم ملكا فأتى بمصاقرن فيه دهن القدس وقيل له ان صاحبكم الذي يكون ملكا يكون طوله طول هذه العصا وانظر الى القرن الذي فيه الدهن فاذا دخل عليك رجل فنش الدهن في القرن فهو ملك بنى اسرائيل فادهن رأسه بالدهن وملكه عليهم واسم طالوت بالعبرانية ساول بن قيس من سبط بنيامين بن يعقوب وانما سمى طالوت لطوله وكان اطول من جميع الناس برأسه ومنكبيه وكان طالوت رجلا دبا غايديا في الاديم قاله وهب وقيل كان سقاء يستقي الماء على جار فضل حازه فخرج يطلبه وقال وهب ضلت جري لابي طالوت فارسله ابوه ومعه غلام في طلبها فرعى بيت اشموئيل النبي فقال الغلام لطالوت لو دخلنا على هذا النبي فسألناه عن امر الحير ليرشدنا اول يدعونا فدخلنا عليه فيينا هما عنده يذكر ان له حاجتهما اذنش الدهن في القرن فقام اشموئيل فقال طالوت بالعصا فكانت على طوله فقال لطالوت قرب رأسك فقربه اليه فدهنه بدهن اقدس وقال له انت ملك بنى اسرائيل الذي امرني الله تعالى ان املكك عليهم فقال طالوت او ما علمت ان سبطي من ادنى اسباط بنى اسرائيل قال بلى قال فبأي آية قال بآية انك ترجع وقد وجد ابوك حره فكان كذلك ثم قال لبي اسرائيل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا وقيل انه جلس عنده وقال يا ايها الناس ان الله ملك طالوت فأثبت عظماء بنى اسرائيل الى نبيهم اشموئيل وقالوا له ما شان طالوت تملك علينا وليس هو من بيت النبوة ولا المملكة وقد عرفت ان النبوة في سبط لاوى بن يعقوب والمملكة في سبط يهوذا بن

علم السياسة وتدير الملك والحكمة المزية لها (تحملة الملائكة ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين) اي ينزل اليكم بتوسط الملائكة السماوية ويمكن انه كان صندوقا فيه طلسم من باب نصرة الجيش وغيره من الطلسمات التي تذكرها الملك على ما يرى من انه كان فيه صورة لها رأس كراس الآدمي والهرو ذنب كذنب كالذي كان في عهد فريدون المسمى درفنس كاويان (فلا فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر) هو منهل الطبيعة الجسمانية (فن شرب منه فليس مني) اي من كرع فيه مفرطا في الرى منه لان اهل الطبيعة وعبدة الشهوات اذل واعجز خلق الله لاقوة لهم بقتال جالوت النفس الامارة ولا يجالوت عدو الدين اذلا حية لهم ولا تشدد (ومن لم يطمعه فانه مني الا من اغترف غرقة بيده) اي الا من اقتنع منه بقدر الضرورة والاحتياج من غير حرص وانهماك فيه (فمروا منه) اي كرعوا فيه فمروا منه كوا (الا قليلا

ممنهم) اذا المتزهدون عن
الاقذار الطبيعية المقدسون
عن ملابسها المتجردون عن
غواشيسها قليلون بالنسبة
الى من عداهم قال الله
تعالى وقليل ما هم وقليل
من عبادى الشكور وهم
الذين آمنوا مع من اهل
اليقين الذين كانوا
يعلمون بنور يقينهم ان
القلبة ليست بالكثرة بل
بالصورة الالهية فصبروا
على ما عاينوا بقوة يقينهم
فظفروا وقل من جد في
امر يطالبه * واستصعب
الصبر الا فاز بالظفر
(فلما حاوزه هو والذين
اموا معه قالوا لاطاقة لنا
اليوم بجالوت وجنوده
قال الذين يظنون انهم
ملاقوا الله كم من فئة قليلة
غلبت فئة كثيرة باذن الله
والله مع الصابرين ولما
برزوا لجالوت وجنوده
قالوا ربنا افرغ علينا صبرا
ونبت اقدامنا وانصرنا
على القوم الكافرين
فهزموهم باذن الله وقتل
داود جالوت واتاه الله
الملك والحكمة وعلمه بما
يشاء ولولا دفع الله الناس
بعضهم بعض لفسدت
الارض ولكن الله ذو

بمقرب فقال لهم نبهم اشمويل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا (قالوا اى يكون له الملك
علينا) اى من اين يكون له الملك وكيف يستحقه (ونحن احق بالملك منه) انما قالوا ذلك
لانه كان فى بنى اسرائيل سبطان سبط نبوة وسبط ملكة فسبط النبوة سبط لاوى بن يعقوب
ومنه كان موسى وهرون عليهما السلام وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنه كان داود
وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من احدهما وانما كان من سبط بنيامين بن يعقوب فلهذا
السبب انكروا كونه ملكا لهم وزعموا انهم احق بالملك منه ثم اكدوا ذلك بقولهم (ولم يؤت
سعة من المال) يعنى انه فقير والملك يحتاج الى المال (قال) يعنى اشمويل النبي (ان الله
اصطفاه عليكم) اى اختاره عليكم وخصه بالملك وفى هذه الآية دليل على بطلان قول من
زعم من الشيعة ان الامامة موروثة وذلك لان بنى اسرائيل انكروا ان يكون ملكهم من
لا يكون من بيت المملكة فرد الله عليهم واعلمهم ان هذا شرط فاسد والسفحى للملك من خصه الله
به (وزاده بسطة) اى فضيلة وسعة (فى العلم) وذلك انه كان من اعلم بنى اسرائيل وقيل
انه اوحى اليه حين اوتى الملك وقيل هو العالم فى الحرب (والجسم) يعنى بالطول وذلك لانه
كان اطول من الناس برأسه ومنكبيه وقيل بالحمل وكان طالوت من اجل بنى اسرائيل وقيل
المراد به القوة لان العلم بالحروب واقوة على الاعداء مما فيه حفظ المملكة (والله يؤتى ملكه
من يشاء) يعنى ان الله تعالى لا اعتراض عليه لاحد فى فضل فيخص بملكه من يشاء من عباده
(والله واسع) يعنى ان الله تعالى واسع الفضل والرزق والرحمة وسعت رحته كل شئ
ووسع فضله وورثه كل خافه والمعنى انكم طعنتم فى طالوت بكونه فقيرا والله واسع الفضل
والرزق فاذا فوض اليه الملك فتح عليه ابواب الرزق والمال من فضله وسعته وقيل الواسع
ذو السعة وهو الذى يعطى عن غنى (عليم) يعنى انه تعالى مع قدرته على اغناء الفقير عالم
بما يحتاج اليه فى تدبير نفسه وملكه والعليم هو العالم بما يكون وبما كان * قوله عز وجل
(وقال لهم نبهم ان آية ملكه ان ياتيكم التابوت) وذلك انهم سألوا اشمويل النبي فقالوا
ما آية ملكه فقال ان آية ملكه ان ياتيكم التابوت * وكانت قصة التابوت على ما ذكره علماء
السيرة والاختار ان الله تعالى انزل على آدم عليه السلام تابوتا فيه صورة الانبياء عليهم السلام
وكان التابوت من خشب الشمشاد طوله ثلاثة اذرع فى عرض ذراعين فكان عهد آدم ثم صار
الى شيث ثم توارثه اولاد آدم الى ان بلغ ابراهيم عليه السلام ثم كان عند اسمعيل لانه كان
اكبر اولاده ثم صار الى يعقوب ثم كان فى بنى اسرائيل الى ان وصل الى موسى عليه السلام
فكان يضع فيه التوراة ومنا من مناعه ثم كان عنده الى ان مات ثم تداوله انبياء بنى اسرائيل
الى وقت اشمويل وكان فى التابوت ما ذكر الله تعالى وهو قوله (فيه سكية من ربكم)
واختلفوا فى تلك السكية ما هى فقال على بن ابي طالب هى ريح خبجوج هفافة لها رأسان
ووجه كوجه الانسان وقال مجاهد هى شئ يشبه الهرة له رأس كراس الهرة وذنب كذنب الهرة
وله جناحان وقيل له عينا لهما شعاع وجناحان من زمرد وزبرجد وكانوا اذا سمعوا صوته
يقنوا النصر فكانوا اذا خرجوا وضعوا التابوت قدامهم فاذا سار ماروا واذا وقف وقفوا
وقال ابن عباس هى طشت من ذهب من الجنة كان يسل فيه قلوب الانبياء وقال وهب هى

روح من الله تعالى تكلم اذا اختلفوا في شيء فصرهم بيان ما يريدون وقال عطاء بن ابي رباح هي ما يعرفون من الآيات التي يسكنون اليها وقال قتادة والكلبي هي قبيلة من السكون اي لما ينبت من ربكم ففي اي مكان كان التابوت اطمأنوا وسكنوا اليه وهذا القول اولي بالهبة فعلى هذا كل شيء كانوا يسكنون اليه فهو سكينه فيحمل على جميع ما قبل فيه لان كل شيء يسكن اليه القلب فهو سكينه ولم يرد فيه نص صريح فلا يجوز تصويب قول وتضعيف آخره وقوله تعالى (وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون) يعني موسى وهرون انفسهما بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لابي موسى الاشعري لقد اوتيت من مار من مز امير آل داود فالمراد به داود نفسه واختلفوا في تلك البقية التي ترك آل موسى وآل هرون فقيل رضاض من الالواح وعصا موسى قاله ابن عباس وقيل عصا موسى وعصاهرون وشي من الواح التوراة وقيل كانت العلم والتوراة وقيل كان فيه عصا موسى ونعلاه وعصاهرون وعامته وقيل من المن الذي كان ينزل على بني اسرائيل فكان التابوت عندي اسرائيل يتوارثونه قرنا بعد قرن وكانوا اذا اختلفوا في شيء تحاكموا اليه فينتكلم ويحكم بينهم وكانوا اذا حضروا القتال قدموه بين ايديهم يستفتحون به على عدوهم فيصرون فلما عصوا وافسدوا سطا الله عز وجل عليهم العماقة فغلبوهم على التابوت واخذوه منهم وكان السبب في ذلك انه كان لعلي وهو الشيخ الذي ربي اشمويل ابنا شابا وكان علي حربي اسرائيل وصاحب قربانهم في زمنه فحدث ابنا في القربان شيئا لم يكن فيه وذلك انه كان منوط القربان الذي ينوطونه به كلابين فلما اخرجوا كاهن الكاهن الذي كان ينوطه فجعل ابنا كلابين وكان النساء يصلين في بيت المقدس فيثبثان بين فاحي الى اشمويل ان انطلق الى علي وقل له منك حب الولد من ان تزجر ابنيك عن ان يمدنا في قرباني وقدسي شيئا وان يعصيان فلا تزعزعه الكهانة منك ومن ولدك ولا هلكك واياهما فاخبره اشمويل بذلك ففزع وسار اليهم عدوهم من حولهم فامر علي ابنيه ان يخرجوا بالناس فيقاتلوا ذلك العدو فخرجوا واخرجاهم مما التابوت فلما تمروا للقتال جعل علي يتوقع الخبر فجاءه رجل فاخبره ان الناس قد انزموا وقد قتل ابنا قال فافضل في التابوت قال اخذه العدو وكان علي قاعدا على كرسيه فشيق ووقع على قفاه فمات فخرج امر بني اسرائيل وتفرقوا الى ان بعث الله طالوت ملكا فسالوا اشمويل البينة على محبة ملك طالوت فقال لهم نبيهم يعني اشمويل ان آية ملكه يعني علامة ملكه التي تدل على محبة ان ياتيكم التابوت وكانت قصة رجوع التابوت على ما ذكره اصحاب الاخبار ان الذين اخذوا التابوت من بني اسرائيل اتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها ازود فجعلوه في بيت اصنام لهم ووضعوه تحت الصنم اعظم فاصبحوا من القد والصنم تحته فاخذوه ووضعوه فوقه وسمروا قدمي الصنم على التابوت فاصبحوا وقطعت يد الصنم ورجلاه واصبح الصنم ملقى تحت التابوت واصبحت اناهم منكمسة فاخرجوا التابوت من بيت الاصنام ووضعوه في ناحية من مدينتهم فاخذاهل تلك الناحية وجع في اعناقهم حتى هلك اكثرهم فقال بعضهم لبعض اليس قد علم ان اله بني اسرائيل لا يقوم له شيء فاخرجوه الى قرية اخرى فبعث الله على اهل تلك الناحية افاة كانت الفأرة تبيت مع الرجل فيصبح ميتا قد اكلت ما في جوفه فاخرجوه الى الصحراء ودفنوه في محرة لهم فكان كل من تبرز هناك اخذه الباسور والقولنج قصبوا فيه فقال لت لهم امرأة من بني اسرائيل كانت عندهم وهي من بنات الانبياء لا تزالون ترون ما تكرهون

فضل على العالمين تلك آيات الله نلوهها عليك بالحق وانك لمن المرسلين تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس ولو شاء الله ماقتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتلوا ولكن الله يفعل ما يريد يا ايها الذين آمنوا اتقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون (الله الا اله الا هو) في الوجود فكل ما عبد دونه لم تقع العبادة الا اله علم اولم يعلم اذ لا معبود ولا موجود سواه (الحى) الذى حياته عين ذاته وكل ما هو حى لم يحيى الابعثاته (القيوم) الذى يقوم بنفسه ويقوم كل ما يقوم به فلولا قيامه مقام شيء في الوجود (لا تأخذه) غفوة ونعاس كما يقرى الاحياء من غير قهدهم فان ذلك لا يكون الا لمن حياته عارضة

مادام هذا التابوت فيكم فاخرجوه عنكم فاتوا بهلة بإشارة تلك المرأة وحلوا عليها التابوت ثم علقوها في ثورين وضربوا جنوبهما فأقبل التوران يسيران ووكّل الله ماشورين اربعة املاك يسوقونها فافتلحتى وقفا على ارض بني اسرائيل فكسرا نيرهما وقطعا حبالهما ووضعوا التابوت في ارض فيها حصاد لبني اسرائيل ورجعا الى ارضهما فليرجع بني اسرائيل الا والتابوت عندهم فكبروا وجدوا الله تعالى (تحمله الملائكة) اى تسوقه وقال ابن عباس جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والارض وهم ينظرون اليه حتى وضعته عند طالوت وقال الحسن كان التابوت مع الملائكة في السماء فلاولى طالوت الملك جلته الملائكة ووضعتهم بينهم وقال قتادة بل كان التابوت في اثني خلفه موسى عند يوشع بن نون فبقى هناك فاقبلت الملائكة تحمله حتى وضعته في دار طالوت فاصبح في داره فارقوا بعلكم (ان في ذلك لآية لكم) يعنى قال لهم بينهم اشتمول ان في محبتي التابوت تحمله الملائكة لآية لكم يعنى علامة ودلالة على صدقي فيما اخبرتكم به ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا (ان كنتم مؤمنين) يعنى مصدقين بذلك قال المفسرون فلما جاءهم التابوت وارقوا بالملك لطالوت تاهب للخروج الى الجهاد فاسرعوا الطاعته وخرجوا معه وذلك قوله تعالى (فلا فصل طالوت بالجدود) اى خرج واصل الفصل القاطع يعنى قطع مستقره شاخصا الى غيره فخرج طالوت من بيت المقدس بالجدود وهم سبعون الف مقاتل وقيل ثمانون الفا وقيل مائة وعشرون الفا ولم يختلف عنه الا كبير لكبره او مريض لمرضه او معذور لعدمه وذلك انهم لما راوا التابوت لم يشكوا في النصر فصارعوا الى الحروب في الجهاد وكان سيرهم في حرس شديد فشكوا الى طالوت قلنا ما بينهم وبين عدوهم وقالوا ان الماء لا نعلمنا فادع الله ان يجرى لنا نهر ف (قال) طالوت (ان الله منبليكم بنهر) اى مخبركم به لتبين طاعتكم وهو اعلم بذلك قال ابن عباس هونير فلسطين وقيل هونير عذب بين الاردن وفلسطين (فمن شرب منه فليس مني) اى فليس من اهل ديتى وطاعتي (ومن لم يطعمه) اى لم يذوقه يعنى الماء (فانه مني) يعنى من اهل طاعتي (الامن اغترف غرفة بيده) قرى بفتح الغين وضيمه لثان وقيل القرعة بالضم التي تحصل في الكف من الماء والغرفة بالفتح الاغتراف بالضم اسم والفتح مصدر (فشربوا منه) يعنى من التهر (الا قليلا منهم) قيل هم اربعة آلاف لم يشربوا منه وقيل ثلثمائة وبضعة عشر رجلا وهو الصحيح ويدل على ذلك ما روى عن البراء بن عازب قال كان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يتحدثون ان هذه اصحاب بدر على عدة اصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوزوه معه الا مؤمن بضعه عشر وثلثمائة اخرجه البخارى قبل البضعه ثلثمائة عشر فلما وصلوا الى النهر اتى عليهم العطش فشرب منه الكل الا هذا العدد القليل وكان من اغترف منه غرفة كأمه الله تعالى كفته لثربه وشرب دوابه وقوى قلبه وصح ايمانه وعبث التهر سالما والذين شربوا معه وخالفوا امر الله تعالى اسودت شفاههم وغلبهم العطش فلم يروا وجنبا وبقوا على شط النهر ولم يجاوزوه وقيل جاوزوه كلهم ولكن الذين شربوا لم يحضروا القتال وانما قاتل اولئك القليل الذين لم يشربوا وهو قوله تعالى (فلا يجاوزوه) يعنى جاوز التهر طالوت (والذين آمنوا معه) يعنى اولئك القليل (قالوا) يعنى الذين شربوا من النهر وخالفوا امر الله تعالى وكانوا اهل شك وتناقض فلي هذا يكون قد جاوز التهر مع طالوت المؤمن والمناقض والطائع والعاصي فلما راوا

تغلبه الطبيعة بالحالة الدائمة طمألهدو والراحة والا بدال عن تحليل اللحظة فأما من حياته عين داته فلا يمكن له ذلك وبين كون حياته غير عارضة بقوله (ولا يوم) فان النوم يساقى كون الحياة ذاتية لانه انسه شئ بالموت ولهذا قيل اليوم اخو الموت ومن لانومه لذاته لمافاته كون الحياة غير ذاته فلاسه لاذ السعة من مقدماته وآثاره كما يقول ليس له ضحك ولا نهم وقوله لا تأخذه سنة ولا نوم بيان لقبه به (لهما في السموات وما في الارض) بواصيم يده يفعل بهم ما يشاء (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) اذ كلمهم له وبه يتكلم من يتكلم به وبكلامه فكيف يتكلم بغير اذنه وارادته (يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم) ما قبلهم وما بعدهم فكيف بهم ومحالهم اى علمه شامل

العدو قال المنافقون (لا طاقة لنا اليوم بمحاولت وجنوده) فاجابهم المؤمنون بقولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة وقيل لم يجاوز الترمع طالوت الا المؤمنون خاصة لقوله تعالى فلجالوزه هو والذين آمنوا معه فان قلت فعلى هذا القول من القائل لا طاقة لنا اليوم بمحاولت وجنوده قلت يحتمل ان يكون اهل الايمان وهم الثلثمائة وبضعة عشر انقسموا الى قسمين قسم حين راوا العدو وكثرته وقيلة المؤمنين قالوا لا طاقة لنا اليوم بمحاولت وجنوده فاجابهم القسم الآخر بقولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ومعنى لا طاقة لنا لا قوة لنا اليوم بمحاولت وجنوده (قال الذين يظنون) اى يستيقنون ويعلمون (انهم ملاقوا الله) اى ملاقوا ثواب الله ورضوانه فى الدار الآخرة (كم من فئة قليلة) الفئة الجماعة لا واحده من لفظه كالمهبط (غلبت فئة كثيرة باذن الله) اى بقضاء الله وارادته (والله مع الصابرين) يعنى بالنصر والمهونة قوله عز وجل (ولما برزوا) يعنى طالوت وجنوده المؤمنين (جالوت وجنوده) يعنى الكافرين ومعنى برزوا صاروا بالبراز من الارض وهو ما ظهر واستوى منها (قالوا) يعنى المؤمنين اصحاب طالوت (ربنا افزع) اى اصعب (علينا صبرا) وثبت اقدامنا) اى قلوبنا تثبت اقدامنا (وانصرنا على القوم الكافرين) وذلك ان جالوت وقومه كانوا يعبدون الاصنام فسأل المؤمنون الله ان ينصرهم على القوم الكافرين (فبرزهم باذن الله) يعنى ان الله تعالى استجاب دعاء المؤمنين فاخرج عليهم الصبر وثبت اقدامهم ونصرهم على القوم الكافرين حين التقوا فبرزهم باذن الله يعنى بقضائه وارادته واصل الهزم فى اللغة الكسر اى كسروهم وردوهم (وقتل داود جالوت) وكانت قصة قتله على ما ذكره اهل التفسير واصحاب الاخبار انه عبر التهر فبين عبر مع طالوت ايشا بوداود فى ثلاثة عشر اياته وكان داود اصغرهم وكان يرمى بالقذافة فقال داود لايه يوما يا ايتاه ما ارمى بقذافتي شيئا الاصرعته فقال له ابوه ايشريانى فان الله قد جعل رزقك فى قذافتك ثم اتاه مرة اخرى فقال يا ايتاه لقد دخلت بين الجبال فوجدت اسدا رايصا فركبته واخذت باذنه فلم يلمسنى فقال له ابوه ايشريانى فان هذا خير يريده الله بك ثم اتاه يوما آخر فقال له يا ايتاه انى لاشى بين الجبال فاسبح فلا يبق جبل الا سبح معى فقال يابنى ايشر فان هذا خير اعطاك الله تعالى قالوا فارسل جالوت الجبار الى طالوت ملك بنى اسرائيل ان ابرز الى وابرز اليك او ابرز الى من يقاوتنى فان قتلنى فلكم ملكى وان قتلته فلى ملككم فشق ذلك على طالوت ونادى فى عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتى وناصفته ملكى فهاب الناس جالوت فلم يجبه احد فسأل طالوت نبيهم ان يدعوا الله فى ذلك فدعا الله فأتى بقرن فيه دهن القدس وتور حديده وقيل له ان صاحبكم الذى يقتل جالوت هو الذى اذا وضع هذا القرن على رأسه سال على رأسه حتى يدهن منه رأسه ولا يسيل على وجهه بل يكون على رأسه كهيشة الاكليل ويدخل فى هذا التور فيملؤه ولا يتقل فى فدعا طالوت بنى اسرائيل وجربهم فلم يوافقه احد منهم فأتوا جى الله الى نبيهم ان فى ولد ايتاه من يقتل جالوت فدعا طالوت ايشا وقال له اعرض على بنيك فاخرج له اثني عشر رجلا مثال السوارى فجعل يرضى واحدا واحدا على القرن فلا يرى شيئا فقال يا ايشاهل بقى لك ولد غير هؤلاء فقال لا فقال انى صلى الله عليه وسلم يارب انه قد زعم انه لا ولد له غيرهم فقال له كذب فقال له الهى ان رى قد كذبك فقال ايشا صدق

للأزمنة والأشخاص والاحوال كلها فيعلم المستحق للشفاة وغير المستحق لها (ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء) اى بما اقتضت مشيئته ان يعلمهم فعلم كل ذى علم شئ من علمه ظهر على ذلك المظهر كما قالت الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا (وسع كرسيه السموات والارض) اى علمه اذ الكرسي مكان العلم الذى هو القلب كما قال ابو يزيد البسطامى رحمة الله عليه لو وقع العالم وما فيه الف الف مرة فى زاوية من زوايا قلب العارف ما احس به لغاية سمته ولهذا قال الحسن كرسى عرشه مأخوذه من قوله عليه السلام نلب المؤمن من عرش الله الكرسي فى اللغة عرش صغير لا يفضل عن مقعد كما عُد شبه القلب به تصويرا تخيلا لعظمته وسعته واما عرش المجيد الا كبر فهو الروح الاول وصورتهما

ربى ياتى الله انى ولدا صغيرا مسقما اسمه داود استحييت ان يراه الناس لقصر قامته وحقارته
 فجعلته فى التيم يرعاها وهو فى شعب كذا وكان داود عليه السلام رجلا قصيرا مسقما ازرق امعر
 مصفرا فدعا به طالوت ويقال انه خرج اليه فوجده فى الوادى وقد سال الوادى ماء وهو يحمل
 شاتين شاتين يعبر بهما السيل الى الزريبة التى يربح فيها غنمه فلما رآه طالوت قال هذا هو الرجل
 المطلوب لاشك فيه فهذا يرحم البهائم فهو بالناس ارحم فدعا طالوت ووضع القرن على رأسه
 فنش وفاض فقال له طالوت هل لك ان تقتل جالوت وازوجك ابنتى واجرى خاتمك فى ملكى
 قال نعم فقال له هل آنت من نفسك شيا تقوى به على قتله قال نعم انا ارعى الغنم فيسمى الاسد
 او الثمر او الذئب فيأخذ شاة من الغنم فاقوم فاقبح لحية عنها واخرجها من فقاها فاخذ طالوت
 داود وورده الى العسكر فر داود عليه السلام فى طريقه بحجر فتاداه يادوا داحلنى فانى جبر هرون
 فحملة ثم مر بحجر آخر فقال يادوا داحلنى فانى جبر موسى فحملة ثم مر بحجر آخر فقال له
 يا داودا داحلنى فانى جبرك الذى تقتل به جالوت فحملة فوضع الثلاثة فى محلاته فلما رجع طالوت
 الى العسكر ومعه داود وتصافوا للقتال برز جالوت يطلب المبارزة فانتدب له داود عليه السلام
 فاعطى طالوت داود فرسا وسلاحا فلبس السلاح وركب الفرس وسار قريبا ثم رجع الى طالوت
 فقل من حوله جبن الغلام فجاء فوقف على طالوت فقال له ماشأناك فقال له داود عليه السلام
 ان لم ينصرنى ربى لم يفتن هذا السلاح عنى شيا وان نصرنى فلا حاجة لى به فدعنى اقاتل كما
 اريد قال نعم فاخذ داود محلاته وتقلدها واخذ المقلع بده ومضى نحو جالوت وكان جالوت
 من اشد الناس واقواهم وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بضعة جديد وزنها ثلثمائة رطل
 فلما نظر الى داود وهو يريده وقع الرعب فى قلبه فقال له جالوت وانت تبرزلى قال نعم وكان
 جالوت على فرس ابلق عليه السلاح التام فقال اتيتنى بالمقلع والحجر كما يؤتى الكلب فقال نعم
 وانت شرم الكلب قال جالوت لاجرم لا قسمي لحكم بين سباع الارض وطير السماء فقال داود
 عليه السلام او يقسم الله لحكم ثم قال داود باسم اله ابراهيم واخرجه حجرا ثم قال باسم اله اسحق
 واخرجه حجرا ثم قال باسم اله يعقوب واخرجه حجرا ووضعها فى مقلعه فصارت الثلاثة حجرا ثم
 واحدا وادار داود المقلع ورمى به جالوت فمضى الله له الرمح فمضت الحجر حتى اصاب انف
 البيضة فمخلط دماغ جالوت وخرج من فقاها وقتل من وراءه ثلاثين رجلا وخرج جالوت
 صريعا قتيلا فاخذه داود بحجره حتى القاه بين يدي طالوت ففرح بنو اسرائيل بذلك فرحا
 شديدا وهزم الله الجيش فرجع طالوت بالناس الى المدينة سالمين غانمين وجعل الناس يذكرون
 داود فجاء داود الى طالوت وقال له انجزلى ما وعدتني فقال له اريد ابنة المالك بغير صداق فقال
 داود ما شرطت على صداقا وليس لى شى فقال لا اكلفك الا ما تطيق انت رجل جبرى وفى
 حبالا اهداء لنا غلف فان قلت منهم مائتى رجل وجئتني بثلثهم زوجتك ابنتى فانهم فجعل
 كما قتل واحدا منهم نظم غلفته فى خبط حتى نظم مائتى غلفة فجاء بها الى طالوت والقاه بين يديه
 وقال ادفع الى امرأتى فزوجه ابنته واجرى خاتمه فى ملكه قال الناس الى داود عليه السلام
 واحبوه واكثروا ذكره فغسده طالوت واراد قتله فاخبر بذلك ابنة طالوت رجل يقال له
 فوالعينين فاخبرت بذلك داود وقالت له انك مقتول البيلة قال ومن يتبلى قالت ابى قال وهل

ومناهما فى الشاهد القلاك
 الاعظم والناس من المحيط
 بالسموات السبع وما فيهن
 (ولا يؤده) اى ولا ينقله
 (حفظهما) لانهما غير
 موجودين بدونيه ليقله
 حملهما بل العالم المعصوم كله
 باطنه والصورى ظاهره
 فلا وجود لهما الا به وليس
 غيره (وهو العلى) الثان
 الذى لا يعاونه شى وهو يعطو
 كل شى ويضمره بالقضاء
 (العظيم) الذى لا يعصم ركه
 عطيمه وكل عطية تعصم لثى
 فهو راحة من عطيمه وكل
 عطيمه فيصيب من عطيمه و
 حصة منها عطية فالعظمة مطلقا
 له دون غيره بل كلمه اله ليس
 اقيرء فيها نصيب وهى اعظم
 آية فى القرآن لعظم مدلولها
 (لا اكراه فى الدين) لان
 الدين فى الحقيقة هو الهدى
 المستفاد من البور القلبي
 فطرة الانسانية المستلزم
 للايمان اليقيني كما قال تعالى
 فاقم وجهك للدين حنيفا

اجرمت جرماً يوجب القتل قالت حدثني بذلك من لا يكذب ولا عليك ان تقيب الليلة حتى تنظر
مصدق ذلك فقال ان كان يريد ذلك فلا استطيع خروجاً ولكن اثبتني بزق خمر فاتمه فوضعه
في مضجعه على سريريه وسجاء ودخل داود تحت السرير فدخل طالوت نصف الليل فقال لا ياتيه
اين بعلك قالت هو نائم على سريريه فضربه بالسيف فسال الحجر فلما وجد ربح الحجر قال برحم الله
داود ما كان اكثر شربه للخمر وخرج فلما اصبح علم انه لم يفعل شيئاً فقال ان رجلاً طلبت
منه ما طلبت لحقيق ان لا يدعني حتى يدرك ثاره فني فاشتد حجابي وحراسته واغلق دونه ابوابه
ثم ان داود اتاه ليلة وقد هدأت العيون واعى الله عنه الحجاب ففتح الابواب ودخل عليه وهو نائم
على فراشه فوضع سهماً عند رأسه وسهماً عند رجله وسهماً عن يمينه وسهماً عن شماله وخرج فاستيقظ
طالوت فبصر بالسهم فعرها فقال برحم الله داود هو خير مني فغرت به فقصدت قتله وظفرت به
فكف عني ولو شاء لوضع هذا السهم في حلقى وما انا بالذى آمنه فلما كان من الليلة القابلة اتاه ثانياً
فامى الله عنه الحجاب فدخل عليه وهو نائم فاخذ ابريق وضوءه وكوزه الذى يشرب منه وقطع
شعرات من لحيته وشياً من طرف ثوبه ثم خرج وتوارى فلما اصبح طالوت ورأى ذلك سلط
على داود العيون وطلبه اشداً لطلب فلم يقدر عليه ثم ان طالوت ركب يوماً فوجد داود يمشى
في البرية فقال اليوم اقتله وركض في اثره فاشتد داود في عدوه وكان اذا فزع لم يدرك فدخل
غاراً فادعى الله تعالى الى العنكبوت فسدحت عليه فلما انتهى طالوت الى الغار ونظر الى بناء
العنكبوت قال لو كان دخلها لتعرق هذا السج وانطلق طالوت وتركه فخرج داود حتى
اتى جبل المتعبدين فتعبد معهم وطعن العلماء والعباد على طالوت في شان داود فجعل طالوت لا ينهيه
احد عن قتل داود الا قتله فقتل خافاً كثيراً من العباد والعلماء حتى اتى امرأة تعلم الاسم الاعظم
فامر خبازه بقتلها فرجها الخباز فلم يقتلها وقال لعلنا نحتاج الى عالم فتركها ثم وقع في قلب
طالوت التوبة والدم على ما فعل واقبل على البكاء حتى رجه الناس وكان كل ليلة يخرج الى
القبور ويبكى وينادى انشد الله عبداً يعلم لى توبة لا اخبرني بها فلما كثر ذلك منه ناداه مساد
من القبور يا طالوت اما ترضى ان تقتلنا حتى تؤذينا ام انا فاذداد حزناً وبكاء فتوجه الخباز
الى طالوت لما رأى من حاله وقال مالك ايها الملك فاخبره وقال هل تعلم لى توبة او تعلم في الارض
قالا اسأله عن توبتي فقال له الخباز ايها الملك ان ذلك على عالم يوشك ان تقتله فقال لا فتوثق
منه باليمين فاخبره ان تلك المرأة العالة عده فقال انطلق به اليها لاسأله عن توبتي قال نعم فانطلق
به فلما قربا من الباب قال له الخباز ايها الملك انها اذا راتك فزعت ولكن انت خفي فلا تدخل عليها
قال لها الخباز يا هذه الست تعلين حقى عليك قالت بلى قال فان لى اليك حاجة فتقضها قالت نعم
قال هذا طالوت قد جاءك يسأل هل له من توبة فلما سمعت بذلك طالوت غشي عليها فلما افافت
قالت والله ما اعلم له توبة ولكن دلوني على قبري فانطلقوا بها الى قبر اشمويل فوقف عليه
ودعت وكانت تعلم الاسم الاعظم ثم قالت يا صاحب القبر فخرج ينفض التراب على رأسه فلما
نظر الى ثلاثتهم قال ما لكم اقامت القيامة قالت لا ولكن هذا طالوت قد جاء يسأل هل
له من توبة فقال اشمويل يا طالوت ما فعلت بعدى قال لم ادع من الشر شيئاً الا فعلته وجئت
اطلب التوبة فقال اشمويل يا طالوت كم لك من الولد قال عشرة رجال قال ما اعلم لك من توبة

فطرت الله التي فطر الناس
عليها لا تبديل لخلق الله ذلك
الدين القيم والاسلام الذى
هو ظاهر الدين مبين عليه
وهو امر لا مدخل للاكرام
فيه والدليل على ان باطن
الدين وحقيقته الايمان كان
ظاهره وصورته الاسلام
مابعد (قديين) اى تميز
(الرشدين) بالادلة
الواضحة لمن له بصيرة
وعقل كاقبل قد اضاء الصبح
لذى عيين (فن يكفر
بالطاغوت) اى ماسوى الله
وينقى وجوده وتأثيره
(ويؤمن بالله) ايماناً شهودياً
حقيقياً (فقد استمسك بالعروة
الوثقى لا انفصام لها) اى
تمسك بالوحدة الذاتية التى
وثوقها واحكامها بنفسها فلا
ثنى اوثق منها اذ كل وثيق
بها وثوقى بل كل وجود بها
موجود بنفسه معدوم فاذا
اعتبر وجوده فله انفصام
بنفسه لان الممكن وثاقته
بوجوده بالواجب فاذا

الا ان تهمل من ملكك وتخرج انت وولدك في سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين
يديك ثم تقابل انت حتى تقتل آخرهم ثم ان اشمويل سقط ميتا ورجع طالوت احزن ما كان
رهبة ان لا ينام به بنوه على ما يريد وكان قد بقي حتى سقطت اشجار عييه ونحل جسمه فجمع
اولاده وقال لهم ارايتم لو دفعت الى النار هل كنتم تقذونني منها فقالوا بلى نقذك بما تقدر
عليه قال فانما النار ان لم تقبلوا ما امركم به قالوا اعرض علينا ما اردت فذكر اياهم القصة قالوا
وانك لمقتول قال نعم قالوا فلا خير لنا في الحياة بعدك قد طابت انفسنا بالذي سألت فقبض هو
وولده وخرج طالوت مجاهدا في سبيل الله فقدم اولاده فقاتلوا حتى قتلوا ثم شدهم من بعدهم
فقاتل حتى قتل وجاء قاتل طالوت الى داود فبشره بقتله وقال قد قتل عدوك فقال داود
ما انت باق بعده وقتله فكان ملك طالوت الى ان قتل مدة اربعين سنة فاقى بنو اسرائيل الى
داود فلكوه عليهم واعطوه خزائن طالوت قال الكلبي والضحاك ملك داود بعد قتل جالوت
سبع سنين ولم يجتمع بنو اسرائيل على ملك واحد الا على داود فذلك قوله تعالى (واتاه الله
الملك والحكمة) يعني النبوة جمع الله لداود بين الملك والنبوة ولم يكن كذلك من قبل بل كانت
النبوة في سبط والملك في سبط وقيل الحكمة هي العلم مع العمل به (وعلمه بما يشاء) اي وعلم الله
داود صنعة الدروع فكان يصنها ويبيعها وكان لا يأكل الا من عمل يده وقيل علمه منطق الطير
وقيل علمه الزبور وقيل هو الصوت الطيب والاحسان ولم يبط الله احدا من خلقه مثل صوت
داود فكان اذا قرأ الزبور تدوم منه الوحوش حتى يؤخذ باعناقها وتظله الطير مصحبة ويركد
الماء الجارى وتسكن الرياح عند قراءته وقيل علمه سياسة الملك وضبطه وذلك لانه لم يكن من
بيت الملك حتى يتعلم من ابيه وقال ابن عباس هو ان الله تعالى اعطاه سلسلة موصولة بالجرة
ورأسها عند صومعته قوتها قوة الحديد ولونها لون الور وحلقها مستديرة منفصلة بالجواهر
مدسرة بقضبان الاؤلؤ الرطب فكان لا يحدث في الهواء حدث الا لمصلحت السلسلة فيعلم داود
ذلك الحدث ولا يصحها ذواهاة الابرا وكانوا يتهاكون اليها بعد داود الى ان رقت فن تمدى
على صاحبها وانكره حقا اتى السلسلة فن كان صادقا مديده الى السلسلة فثالثها ومن كان كاذبا
لم ينلها فكانت كذلك الى ان ظهر فيهم المكر والخبث فلبسوا ان بعض ملوكهم اودع رجلا
جوهرة ثمينة فلما طال به الوديعه انكره اياها قتها كالى السلسلة فعمد الذي عنده الجوهرة الى
عكازة ففترها وجعل الجوهرة فيها واعتمد عليها حتى اتى السلسلة فقال صاحب الجوهرة رد
على الوديعه فقال صاحبها ما اعرف لك عندي وديعه فان كنت صادقا فتناول السلسلة فتناولها
بيده وقال لمنكر قم انت ايضا فتناولها فقال لصاحب الجوهرة امسك عكازتي فاخذها الرجل
منه وقام المنكر الى السلسلة وقال اللهم ان كنت تعلم ان الوديعه التي يدعيها قد وصلت اليه
فقرّب السلسلة مني ومديده فتناولها ففجّبه القوم من ذلك وشكّوا فيها فاصبحوا
وقد رفع الله السلسلة قوله تعالى (واولاد دفع الله اساس بعضهم بعض) يعني ولولا
ان الله يدفع بعض الناس وهم اهل الايمان والطاعة وبعضا وهم اهل الكفر والمعاصي
قال ابن عباس ولولا دفع الله بمنوده المسلمين لقلب المشركون على الارض فقتلوا المؤمنين
وخرّبوا المساجد والبلاد وقيل معناه ولولا دفع الله بالمؤمنين والابرار على الكفار والفجار

قطع النظر عنه فقد انقطع
وجود ذلك الممكن ولم يكن
في نفسه شيئا ولا يمكن
انقسامه عن وجود عين
ذاته اذ ليس فيه تجزؤ واثنية
وفي الانقسام لطيفة وهو انه
انكسار بلا انفصال ولما لم
يفصل شي من الممكنات من
ذاته تعالى ولم يخرج منه لانه
اماضه واما صفته فلا
انفصال قطعا بل اذا اعتبره
العقل بانفراده كان منفصلا
اي منقطع الوجود متعلقا
وجوده بوجوده تعالى
(والله سميع) يسمع قول ذوى
دين (عليهم) بنيتهم وایمانهم
(الله ولى الذين آمنوا) متولى
امورهم ومحبتهم (يخرجهم
من الظلمات الى النور) من
ظلمات صفات النفس وشبه
الخيال والوهم الى نور اليقين
والهدى وفناء عالم الروح
(والذين كفروا اولياؤهم
الطاغوت) ما يعبدون من
دون الله (يخرجونهم من
النور الى الظلمات) من نور

(فسدت الارض) يعنى لهلكت عن فيها ولكن الله يدفع بالمؤمن عن الكافر وبالصالح عن الفاجر روى احمد بن حنبل عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يدفع بالصالح عن مائة اهل بيت من جبر انه البلاء ثم قرأ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض (ولكن الله ذو فضل على العالمين) يعنى ان دفع الفساد بهذا الطريق انعام وافضل عم الناس كلهم (تلك آيات الله) يعنى القصص التى اقتصها من حديث الالوف واماتهم واحبايهم وتحليك طالوت واظهاره بالآية وهى التابوت واهلاك الجبارة على يد صبي (تنلوها عليكم بالحق) اى باليقين الذى لا يشك فيه اهل الكتاب لانه فى كتبهم (وانك لمن المرسلين) يعنى حيث تخبر بهذه الاخبار العجيبة والقصص القديمة من غير ان تعرف بقراءة كتاب ولا سماع اخبار فدل ذلك على انك من المرسلين وان الذى تخبر به وحى من الله تعالى ﴿ قوله عز وجل (تلك الرسل) يعنى جماعة الرسل الذين تقدم ذكرهم فى هذه السورة (فضلا بعضهم على بعض) فيه دليل على زوال الشبهة لمن اوجب التسوية بين الانبياء فى الفضيلة لاستوائهم فى القيام بالرسالة واجمع الامة على ان الانبياء بعضهم افضل من بعض وان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم افضلهم لمعوم رسالته وهو قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا (منهم) اى من الرسل (من كلم الله) اى كلمه الله وهو موسى عليه السلام (ورفع بعضهم درجات) يعنى محمد صلى الله عليه وسلم رفع الله منصبه ومرتبته على كافة سائر الانبياء بما فضله عليهم من الآيات البينات والمعجزات الباهرات فاوفاى نبي من الانبياء آية او معجزة الا وافى نبيا محمد صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وفضل محمد صلى الله عليه وسلم عن غيره من الانبياء بآيات ومعجزات اخر مثل انشقاق القمر باشارته وحنين الجذع الذى حن عند مفارقتة وتسليم الحجر والشجر عليه وكلام البهايم له شاهدة برسائه ونعيم الماء من بين اصابه وغير ذلك من الآيات والمعجزات التى لاتحصى كثرة واعظمها واظهرها معجزة وآية القرآن العظيم الذى عجز اهل الارض عن معارضته والايان بعمله فهو معجزة باقية الى يوم القيامة (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الانبياء الا وقد اعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذى اوتيته وحيا ووحاءه الله الى فازجو ان اكونا اكثرهم تابعا يوم القيامة (ق) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خسا لم يعطهن احد من الانبياء قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا فاما رجل من امتى ادركنه الصلاة فليصل واحلت لى الفنائم ولم تحل لاحد قبلى واعطيت الشفاعة وكان الذى يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة (م) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبياء بست اعطيت جوامع الكاهن ونصرت بالرعب واحلت لى الفنائم وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا وارسلت الى الخلق كافة وختم بى النبيون فان قلت لم ذكره على سبيل الرمز والاشارة ولم يصرح باسمه صلى الله عليه وسلم قلت فى هذا الاجرام والرمز من تنعيم فضله واعلاء قدره صلى الله عليه وسلم لما تحفى لافيه من الشهادة بانه العلم الذى لا يشته ولا يلبس فهو كما يقول الرجل وقد فعل شيا فله بعضكم او احدهم ويريد نفسه فيكون افهم من التصريح به كما سئل الحطيئة من اشعر الناس قال زهرو والنايفة ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث اراد نفسه ﴿ وقوله تعالى (وآتينا عيسى بن مريم البينات) يعنى الحجج

الاستعداد والهداية الفطرية الى ظلمات صفات النفس والشكوك والشبهات (والتك اصحاب النار هم فيها خالدون الم تر الى الذى حاج ابراهيم فربه ان آتاه الملك اذ قال ابراهيم ربى الذى يحى ويميت قال انا احيى واميت قال ابراهيم فان الله يأتى بالنفس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهد القوم الظالمين او كاذبى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال انى يحى هذه الله بعد موتها) اى ارايت من الذى مر على قرية باد اهلها وسقطت سقوفها وخرت جدرانها عليها فتعجب من احياها لكونه طالبا سالكا يصل الى مقام اليقين بعدو لم يستعد لقبول نور تجلى اسم المحيى والممهور انه كان عزيز (فأما الله) اى فابقاه على موت الجهل كما قال انا لافتين على قول وقال

والادلة الباهرة والمعجزات الظاهرة على نبوته مثل ابراء الاله والابرص واحياء الموتى (وايدناه بروح القدس) اى وقوته بجبريل عليه السلام فكان معه الى ان رفعه الى عنان السماء السابعة فان قلت لم خص موسى وعيسى بالذكور من بين سائر الانبياء قلت لما اوتيا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة ولقد بين الله تعالى وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو آية عظيمة وتأيد عيسى بروح القدس آية عظيمة ايضا فلما اوتى موسى وعيسى من الآيات العظيمة خصا بالذكور في باب التفضيل فعلى هذا كل من كان من الانبياء اعظم آيات واكثر معجزات كان افضل ولهذا احرز نبينا صلى الله عليه وسلم قصبات السبق في الفضل لانه اعظم الانبياء آيات واكثرهم معجزات فهو افضلهم صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين (ولو شاء الله) اى ولو اراد الله واصل المشيئة الارادة (ما اقبل الذين من بعدهم) يعنى بعد الرسل الذين وصفهم الله (من بعد ما جاتهم البينات) اى الدلالات الواضحات من الله بما فيه من درج لمن هداه الله تعالى ووقفه (ولكن اختلفوا) يعنى اختلف هؤلاء الذين من بعد الرسل (فمنهم من آمن) اى ثبت على ايمانه بالله ورسوله بفضل الله (ومنهم من كفر) اى ومنهم من نهد الكفر بعد قيام الحجة وبشارة الرسل (ولو شاء الله ما اقبلوا) اى ولو اراد الله ان يحجزهم عن الاقتال والاختلاف لحجزهم عن ذلك (ولكن الله يفعل ما يريد) يعنى انه تعالى يوفق من يشاء لطاعته والايان به فضلا منه ورحمة ويخذل من يشاء عدلا منه لا اعتراض عليه في ملكه وفعله سأل رجل على بن ابي طالب رضى الله عنه عن القدر فقال يا امير المؤمنين اخبرنى عن القدر فقال طريق مظلم فلا تسلكه فاعاد السؤال فقال بحر عيق فلا تلجه فاعاد السؤال فقال سر الله قد خفى عليك فلا تفتشه * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم) قيل اراد به ان كان الواجب وقيل اراد به صدقة التطوع والاتفاق في وجوه الخبر (من قبل ان يأتى يوم لا بيع فيه) اى لا فدية فيه وانما سماه بيعا لان الفداء شراء النفس من الهلاك والمعنى قد هودوا لانفسكم اليوم من اموالكم من قبل ان يأتى يوم لا يتجارة فيه فيكسب الانسان ما يفتدى به من العذاب (ولا خلة) اى ولا مودة ولا صداقة (ولا شفاعة) وظاهر هذا يقتضى نفي الخلة والشفاعة وقد دلت النصوص على ثبوت المودة والشفاعة بين المؤمنين فيكون هذا عاما مخصوصا (والكافرون هم الظالمون) لانهم وضعوا العبادة في غير موضعها * قوله عز وجل (الله الا هو الحى القيوم)

فصل في فضل هذه الآية الكريمة * عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل شئ نسام وان سنام القرآن البقرة وفيها آية هي سيدة آى القرآن آية الكرسي اخرجها الترمذى قوله ان لكل شئ نساما سنام كل شئ اعلاه تشبها بسنام البعير والمراد منه تعظيم هذه السورة والسيد الفاضل في قومه والشريف والكريم واصله من ساديسود وقوله هي سيدة آى القرآن اى افضله (م) عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بالالمنذر ان ترى اى آية من كتاب الله معك اعظم قلت الله لا اله الا هو الحى القيوم فضررب في صدرى وقال ليهك العلم يا بالالمنذر عن واثلة بن الاسقع ان النبي صلى الله عليه وسلم جاءهم في صفة المهاجرين فساله انسان اى آية في القرآن اعظم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله لا اله الا هو الحى القيوم اخرجهم

وكنتم امواتا فاحياكم (مائة عام) يمكن ان يكون العام في عهدهم كان مبنيا على دور القمر فيكون ثمانية اعوام واربعة اشهر وان يكون مبنيا على فصول السنة فيكون خمسة وعشرين سنة وان تكون اعوامهم في ذلك الزمان كانت لمؤيلة (ثم بعثه) بالحياة الحقيقية وطلب منه الوقوف على مدة البث فما ظنهم الا يوما او بعض يوم استعصار المدة الماثبت في موت الجهل المقضية بالنسبة الى الحياة الابدية واهدم شعوره بمرور المدة كالتأثم الغافل عن الزمان ومروره ثم لا تفكر فيه الله تعالى على طول مدة الجهل وموت القنلة بانه مائة عام او اماته بالموت الارادى في احدى المدد المذكورة فتكون المدة زمان رياضته وسلوكه ومجاهدته في سبيل الله او اماته حتف انقه بالموت الطبيعى فتعلق روحه

ابوداود وقال العلماء بما ميزت آية الكرسي بكونها اعظم آية في القرآن لما جمعت من اصول الاسماء والصفات من الالهية والوحدانية والحياة والعلم والقيومية والملك والقدرة والارادة فهذه اصول الاسماء والصفات وذلك لان الله تعالى اعظم مذكوراً كان ذكراً له من توحيد وتعليم كان اعظم الاذكار وفي هذا الحديث جملتان يقول بمجواز تفضيل بعض القرآن على بعض وتفضيله على سائر كتب الله المنزلة ومنع من جواز تفضيل بعض القرآن على بعض جماعة منهم ابوالحسن الاشعري وابوبكر الباقلاني قال لان تفضيل بعضه على بعض يقتضي نقص المفضل وليس في كلام الله عز وجل نقص وتاول هو لام ما ورد من المطلق لفظ اعظم وافضل على بعض الآيات او السور بمعنى عظيم وفاضل ومن اجاز تفضيل بعض القرآن على بعض من العلماء والمتكلمين قالوا هذا التفضيل راجع الى عظم اجر القارئ او جزيل ثوابه وقول ان هذه الآية او هذه السورة اعظم وافضل بمعنى ان الثواب المتعلق بها اكثر وهذا هو المختار وهو معنى الحديث والله اعلم من ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حين يصبح آية الكرسي وآيتين من اول حم تنزل الكتاب من الله العزيز العظيم حفظ يومه ذلك حتى يمسي ومن قراها حين يمسي حفظ ليلته تلك حتى يصبح اخرجته الترمذي وقال حديث غريب واما التفسير فقوله عز وجل الله لا اله الا هو نفي الالهية عن كل ما سواه واثبت الالهية له سبحانه وتعالى فهو كقولك لا كريم الا زيد فانه ابلغ من قولك زيد كريم الحى بمعنى الباقي على الابد الدائم بلا زوال والحى في صفة الله تعالى هو الذى لم يزل موجود او بالحياة موصوفاً لم يتحدث له الحياة بعد موت ولا يمتريه الموت بعد حياة وسائر الاحياء سواء يمتريهم الموت والعدم فكل شئ هالك الا وجهه سبحانه وتعالى القيوم قال مجاهد القيوم القائم على كل شئ وتأويله انه تعالى قائم بتدبير خلقه في ايجادهم وارزاقهم وجيع ما يحتاجون اليه وقيل هو القائم الدائم بلا زوال الموجود الذى يتمتع عليه التثوير وقيل هو القائم على كل نفس بما كسبت والقيوم فيقول من القيام وهو نعت للقائم على الشئ (لا تأخذ منة ولا نوم) السنة ما تقدم النوم من الفتور الذى يسمى نعاساً وهو النوم الخفيف والوسنان بين النائم واليقظان والنوم هو الثقل المزيل للعقل والقوة وقيل السنة في الراس والنعاس في العين والنوم في القلب فالسنة هي اول النوم والنوم هو غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع المعرفة بالاشياء والمعنى لا تأخذ منة فضلاً عن ان يأخذ منة لان النوم والسهر والفتلة محال على الله تعالى لان هذه الاشياء عبارة عن عدم العلم وذلك نقص وآفة والله تعالى منزّه عن النقص والآفات وان ذلك تغير والله تعالى منزّه عن التغير (م) عن ابي موسى الاشعري قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً بخمس كلمات فقال ان الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع اهله على الليل قبل على النهار وعلى النهار قبل على الليل يجابه النور وفي رواية البارلو كشفه لاحت سحابة وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه * شرح ما يتعلق بلفظ هذا الحديث منقول من شرح مسلم للشيخ محي الدين النووي قوله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام فعنه الاخبار انه سبحانه وتعالى لا ينام وانه مستحيل في حقه لان النوم انقمار وغلبة على العقل يسقط به الاحساس والله تعالى منزّه عن ذلك وقوله يخفض القسط ويرفعه اراد بالقسط الميزان الذى يقي به العدل ومعناه ان الله تعالى يخفض الميزان

يبدن آخر من جنسه لا كتناسب الكمالات اما بعد زمان واما في الحال حتى مر عليه احدى المدد الثلاث المذكورة وهو لا يطلع على حاله فيها ولم يشعر بمبدئه ومعاذته وكان ميتاً ثم بالحياة الحقيقية فاطلع بنور العلم على حاله وعرف مبداء ومعاذته وقوله (قال كم لبثت قال لبثت يوماً او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام) كقوله تعالى ويوم نحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار وقوله كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عبثاً او ضحاً وقوله ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كل ذلك لفطنتهم عن مرور الزمان وكذا مفارقة اخا او صاحباً او شيئاً آخر اذا ادرك الوصال بعد طول مدة الفراق كان تلك المدة كحِينِئذ لم تكن اذ لا يحس

ويرفعه بما يوزن فيه من اعمال الباد المرتمية اليه وقيل اراد بالقسط الرزق الذي هو قسط كل مخلوق ومعنى يخفض يقبض ويضيق على من يشاء ويرفعه اى يوسع على من يشاء وقوله يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار يعنى ان الحافظة من الملائكة يصعدون باعمال العباد في الليل بمدانقضائه في اول النهار ويصعدون باعمال النار بمدانقضائه في اول الليل قوله سبحانه الورلوكشفه لاحرق سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه سبحات بضم السين المهملة والباء الموحدة تحت وبضم التاء في آخره جمع سبعة ومعنى سبحات وجهه نوره وجلاله وبهاؤه والجلاب اصله في اللغة المنع وحقيقة الجلاب انما تكون للاجسام المحدودة والله تعالى منزّه عن الجسم والحد فالمراد به هنا الشيء المانع من الرؤية وسمى ذلك الشيء المانع نورا او نارا لانهما يعنان من الادراك في العادة والمراد بالوجه الذات والمراد بما انتهى اليه بصره من خلقه جميع المخلوقات لان بصره سبحانه وتعالى محيط بجميع الكائنات ولقطة من في قوله من خلقه لبيان الجنس لا للتبويض ومعنى الحديث لو زال المانع وهو الجلاب المسمى نورا او نارا وتبطل خلقه لاحرق حلال ذاته جميع مخلوقاته هذا آخر كلام الشيخ على هذا الحديث والله اعلم وروى الطبري بسنده عن ابن عباس في قوله لا تأخذهم سنة ولا نوم ان موسى عليه السلام سأل الملائكة هل ينام الله تعالى فاجابوا نعم فاجاب الله تعالى الى الملائكة وامرهم ان يؤرقوه ثلاثا فلا يتركوه ينام ففعلوا ثم اعطوه قارورتين فأمسكهما ثم تركوه وحدهم ان يكسرهما فجعل ينس وينبته وهما في يديه في كل يد واحدة حتى نفس نفس ففرض احدهما بالآخرى فكسرهما قال معمر انما هو مثل ضربه الله تعالى له يقول فكذلك السموات والارض ورواه عن ابي هريرة مرفوعا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكى عن موسى على المنبر قال وقع في نفس موسى هل ينام الله وذكر نحو حديث ابن عباس قال بعض العلماء انه صرح هذا الحديث فيحصل على ان هذا السؤال كان من جهال قوم موسى كطلب الرؤية من موسى لان الانبياء عليهم السلام هم اعلم بالله من غيرهم فلا يجوز ان ينسب لموسى مثل هذا السؤال والله تعالى اعلم * قوله تعالى (له ما في السموات وما في الارض) يعنى ان الله تعالى مالك جميع ذلك بغير شريك ولا منازع وهو خالقهم وهم عبيده وفي ملكه فان قلت لم قال له ما في السموات ولم يقل من في السموات قلت لما كان المراد اضافة كل ما سواه اليه من الخلق والملك وكان الغالب فيهم من لا يعقل اجري الغالب مجرى الكل فبرع عنه بلفظ ما (من ذا الذي يشفع عند الاباذنه) اى بأمره وهذا استفهام انكارى والمعنى لا يشفع عنده احد الا بامره وارادته وذلك لان المشركين زعموا ان الاصنام تشفع لهم فاخبر انه لا شفاعا لاحد عنده الا ما استنتاه بقوله الاباذنه يريد بذلك شفاعا الى صلى الله عليه وسلم وشفاعة بعض الانبياء والملائكة وشفاعة المؤمنين بعضهم لبعض (يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم) يعنى ما بين ايديهم من الدنيا وما خلفهم من الآخرة وقيل بعكسه لانهم يقدمون على الآخرة ويخلفون الدنيا وراء ظهورهم وقيل يعلم ما كان قبلهم وما كان بعدهم وقيل يعلم ما قدموه بين ايديهم من خيرا وشر وما خلفهم مما هو فاعلوه والمقصود من هذا انه سبحانه وتعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه شئ من احوال جميع خلقه (ولا يحيطون بشئ من علمه) يقال احاط بالشيء اذا علمه وهو ان يعلم وجوده وجنسه وقدره وحقيقته فاذا علمه ووقف عليه وجسه في قلبه فقد احاط به والمراد بالعلم المعلوم والمعنى ان احدا لا يحيط بمعلومات الله تعالى (الا بما شاء) يعنى ان يعلم

بها بدمضها وان قاساها قبل الوصال (وانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه) قيل طعامه التبن والعصا وشرابه الحمر والابن فالابن اشارة الى مدركات الكلية لكونه لساكله وكون الجزيات فيه بالقوة كالجبات التي في التبن والغيب اشارة الى الجزيات لقاء الواحق المادية معها في الادراك كالنجير والعم والابن اشارة الى العلم النافع كالشرائع والحمر اشارة الى العشق والارادة وعلوم المعارف والحقائق لم يتسنه اى لم يتغير عما كان في الازل بحسب الفطرة ودوافيق فان العلوم محزونة في كل نفس بحسب استعدادها كما قال عليه السلام الساس معادن كعادن الذهب والفضة فان حجب بالمواد وخفيت مدة ما لتغلب في البرازخ وطلاتها لم تسط ولم تتغير عن حالها حتى اذا رفع الجلاب بصفاء القلب نظرت كما كانت ولهذا قال عليه السلام الحكمة ضالة المؤمن (وانظر الى حمارك) اى يدرك بحاله على اوجه الاول والثاني وكيف نخرت عظامه وبلبت على

الوجه الثالث (وتجسك آية للناس) أى وتجسك دليلا للناس على البعث بتشاك (وانظر الى العظام كيف نشزها) أى نرفعها (ثم نكسوها لحما) على كلا الوجهين ظاهر فانه اذا بعث وعلم حاله وتجرده عن البدن علم تركيب بدنه برفع العظام وجعلها وكسوتها لحما (فلا تبين له) ذلك البعث والنشور (قال اعلم ان الله على كل شئ قدير واذا قال ابراهيم رب ارنى كيف تحيى الموتى) أى بلفنى الى مقام العيان من مقام العلم الايقانى ولهذا قرر ايمانه بهزمة الاستفهام التقريرية (فقال اولم تؤمن) أى اولم تعلم ذلك يقينا واجاب ابراهيم عليه السلام بقوله (قال بلى ولكن ليطئن قلى) أى ليسكن وتحصل طمأننته بالمصانة فان عين اليقين انما يوجب الطمأنينة لاعلمه (قال فخذ اربعة من الطير) أى القوى الاربعة التى تمنع عن مقام العيان وشهود الحياة الحقيقية وقبل كانت طاووسا وديكا وغرابا وحمامة وفى رواية بطلة فاطاوس هو العجب

عليه وهم الانبياء والرسل ليكون ما يطلعهم عليه من علم غيبه دليلا على نبوتهم كما قال تعالى فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول (وسع كرسيه السموات والارض) يقال فلان وسع الشئ سعة اذا احتمله واطاقه وامكنه القيام به واصل الكرسي فى اللغة من تركيب الشئ بعضه على بعض ومنه الكراسى لتركيب بعض اوراقها على بعض والكرسى فى العرف اسم لما يقعد عليه سمي به لتركيب خشبته بعضها على بعض واختلفوا فى المراد بالكرسى هنا على اربعة اقوال احدها ان الكرسي هو العرش نفسه قال الحسن لان العرش والكرسى اسم للسرير الذى يصح التحكىن عليه القول الثانى ان الكرسي غير العرش وهو امامه وهو فوق السموات السبع ودون العرش قال السدى ان السموات والارض فى جوف الكرسي كحلفة ملقاة فى فلاة والكرسى فى جنب العرش كحلفة فى فلاة وعن ابن عباس ان السموات السبع فى الكرسي كدراهم سبعة اقيت فى ترس وقيل ان كل قائمة من فوائم الكرسي طولها مثل السموات والارض وهو بين يدى العرش ويحمل الكرسي اربعة املاك لكل ملك اربعة وجوه واقدامهم على الصخرة التى تحت الارض السابعة السفلى ملك على صورة ابي البشر آدم وهو يسأل الرزق والمطر لبنى آدم من السنة الى السنة وملك على صورة النمر وهو يسأل الرزق للطير من السنة الى السنة وملك على صورة الثور وهو يسأل الرزق للانعام من السنة الى السنة وملك على صورة السبع وهو يسأل الرزق للوحوش من السنة الى السنة وفى بعض الاخبار ان بين حلة العرش وحلة الكرسي سبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام لولا ذلك لاحترقت حلة الكرسي من نور حلة العرش القول الثالث ان الكرسي هو الاسم الاعظم لان العلم يعتمد عليه كان الكرسي يعتمد عليه قال ابن عباس كرسى الله الملك والسلطان واقدرة لان الكرسي موضع الملك والسلطان فلا يبعد ان يكنى عن الملك بالكرسي على سبيل المجاز (ولا يؤده) أى لا يغله ولا يجهد ولا يشق عليه (حفظهما) أى حفظ السموات والارض (وهو العلى) أى الرفيع فوق خلقه الذى ليس فوقه شئ فمما يجب ان يوصف به من معاني الجلال والكمال فهو العلى بالاطلاق المتعالى عن الاشياء والانداد والاضداد وقيل العلى بالملك والسلطنة والقهر فلا اعلى منه احد وقيل معنى العلى فى صفة الله تعالى منقول الى اقتداره وقهره واستحقاق صفات المدح جميعا على كل وجه وقيل معناه انه لا يعلو ان يحيط به وصف الواسفين (العظيم) يعنى انه ذو العظمة والكبرياء الذى لا شئ اعظم منه وقال ابن عباس العظيم الذى قد كل فى عظمته وقيل العظيم هو ذو العظمة والجلال والكمال وهو فى صفة الله ينصرف الى عظم الشأن وجلالة القدر دون العظيم الذى هو من نعوت الاجسام قوله عز وجل (لا اكرام فى الدين) سبب نزول هذه الآية فيما روى عن ابن عباس قال كانت المرأة من الانصار تكون مقلاتا وهى التى لا يبيش لها ولد فكانت تذر لبن حاش لها ولد تهودنه فاذا عاش جعلته فى اليهود فجاء الاسلام وفيهم منهم فلما اجليت بنو النضير كان فيه عدد من اولاد الانصار فارادت الانصار استردادهم وقالوا هم ابناؤنا واخواننا فزلت الآية لا اكرام فى الدين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خيرا احباكم فان اختاروكم فهم منكم وان اختاروهم فاجلوهم معهم وقيل كان لرجل من الانصار من بنى سالم بن عوف يقال له ابو الحصين ابنا متصرا ان قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة فى نفر من النصارى يحملون الزيت فلزمهما ابوهما وقال لادعكما حتى نسلما فاختصموا الى النبي

والديك الشهوة والغراب
الحرص والحماة حب
الدنيا تألفها وكرها
ورجها والظاهر انها بطئة
فتكون اشارة الى الشره
القالب عليها (فصرهن
اليك) اي املهن واضمهن
اليك بضبطها ومنعها عن
الخروج الى طلب لذاتها
والنزوع الى مأولافاتها
وقيل امر بان يدبجها
وينف ريشها ويخاط
لحومها ودماها بالحق
ويحفظ رؤسها عده اي
يمعها عن افعالها وبزبل
هناكها عن النفس ويقمع
دواعيها وطبائعها وعاداتها
بالرياسة ويبقى اصولها فيه
(ثم اجعل على كل جبل
منهن جزا) اي من الجبال
التي بحضرتك وهي
العناصر الاربعة التي هي
اركان بدنه اي اقمها
وامنها حتى لا يبقى الا
اصولها المرسكوزة في
وجودك وموادها المعدة
في طوائع العناصر التي
فيك كانت الجبال سبعة
فعلى هذا يشير بها الى الاعضاء
السبعة التي هي اجزاء
البدن (ثم ادعهن) اي
انها اذا انت حيت بجيبتها
كانت غير طيبة مستولية

صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله ابدخل بعضي النار وانا انظر فانزل الله تعالى لا اكرام في الدين
فعلى سبيلها وقيل نزلت في اهل الكتاب اذا قبلوا الجزية لم يكرهوا على الاسلام وذلك
ان العرب كانت امة امية ولم يكن لهم كتاب يرجعون اليه فلم يقبل منهم الا الاسلام او القتل
ونزل في اهل الكتاب لا اكرام في الدين يعني اذا قبلوا الجزية فن اعطى الجزية منهم لم يكره
على الاسلام فعلى هذا القول تكون الآية محكمة ليست بمنسوخة وقيل بل الآية منسوخة
وكان ذلك في ابتداء الاسلام قبل ان يؤمروا بالقتال ثم نسخت بآية القتال وهو قول ابن مسعود
وقال الزهري سألت زيد بن اسلم عن قول الله تعالى لا اكرام في الدين قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم بمكة عشر سنين لا يكره احد في الدين فابي المشركون الا ان يقاتلوه فاستأذن الله في
قتالهم فاذن له ومعنى لا اكرام في الدين اي دين الاسلام ليس فيه اكرام عليه (قد تبين الرشد
من الغي) يعني طهر ووضع وتميز الحق من الباطل والايمان من الكفر والهدى من الضلالة
بكثرة الآيات والبراهين الدالة على صحته (فمن يكفر بالطاغوت) يعني الشيطان وقيل هو الساحر
والكاهن وقيل هو كل ماعبد من دون الله تعالى وقيل كل ما يعطى الانسان فهو طاغوت فاعول
من الطغيان (ويؤمن بالله) اي ويصدق بالله انه ربه ومعبوده من دون كل شيء كان يعبد
وفيه اشارة الى انه لا بد للكافر ان يتوب اولاعن الكفر ويتبرأ منه ثم يؤمن بعد ذلك بالله فمن
فعل ذلك صح ايمانه وهو قوله تعالى (فقد استمسك بالعروة الوثقى) اي فقد تمسك واعتصم
بالعقد الوثيق المحكم في الدين والوثقى تأنيث الاوثق وقيل العروة الوثقى السبب الذي يوصل
الى رضا الله تعالى وهو دين الاسلام (لا انفصام لها) اي لا انقطاع لها حتى تؤدي الى الجنة والمعنى ان
التمسك بالدين الصحيح الذي هو دين الاسلام كالتمسك بالشيء الوثيق الذي لا يمكن كسره ولا انقطاعه
(والله سميع) يعني انه تعالى يسمع قول من كفر بالطاغوت واثق بالشهادتين (عليم) بما في قلبه من
الايان وقيل معناه سميع لدعائك اياهم الى الاسلام عليم بحرصك على اسلامهم * قوله عز
وجل (الله ولي الذين آمنوا) اي ناصرهم ومعينهم وقيل محبهم ومتولى امورهم فلا يكلمهم
الى غيره وقيل هو متولى هدايتهم (يخرجهم من الظلمات الى النور) اي من الكفر الى الايمان
وكل ما في القرآن من ذكر الظلمات والنور فالمراد به الكفر والايان غير الذي في سورة
الانعام وهو قوله تعالى وجعل الظلمات والنور فالمراد به الليل والنهار وانما سمي الكفر ظلة
للا لباس طريقه ولان الظلمة تحجب الابصار عن ادراك الحقائق فكذلك الكفر يحجب القلوب
عن ادراك الحق الايمان وهي الاسلام نور الوضوح طريقه وبيان ادلته (والذين كفروا
اواياؤهم الصاغوت) يعني كسب بن الاشرف وحبي بن اخطب وسائر رؤس الضلالة (يخرجونهم
من النور الى الظلمات) اي من الهدى الى الضلالة فان قلت كيف قال يخرجونهم من النور
الى الظلمات وهم كفار لم يكونوا في نور قلت هم اليهود كانوا وقيين بمحمد صلى الله عليه وسلم
وصحة نبوته قبل ان يبعث لما يجدون في كتبهم من نعمة وصفته فلا بعث كفروا به وجدوا نبوته
وقيل هو على العموم في حق جميع الكفار سمي منع الطاغوت اياهم عن الدخول فيه اخراجا من
الايمان بمعنى صدهم الطاغوت عنه وحرهم خيره وان لم يكونوا دخلوا فيه قط فهو كقول
الرجل لايه اخر جنتي من مالك اذا وصى به لتغيره في حياته وحره منه وكقول الله تعالى
اخبرنا عن يوسف عليه السلام اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله ولم يكن قط في ملتهم (اولئك

اصحاب النار هم فيها خالدون) يعني الكفار والطاغوت اهل النار الذين يخلدون فيها دون غيرهم * قوله عز وجل (الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه) يعني هل انتهى اليك يا محمد خبر الذي خاصم ابراهيم وجادله لان الم تركه يوقف بها المخاطب على قبح منهاولفظها استفهام فهو كما يقال الم تر الى فلان كيف يصنع معناه هل رأيت فلانا في صنعه والذي حاج ابراهيم هو نمرود بن كنعان الجبار وهو اول من وضع التاج على رأسه ونجبر في الارض وادعى الربوبية (ان اتاه الله الملك) اي لان اتاه الله الملك فطغى ونجبر بسببه وكانت تلك الحاجة من بطر الملك وطمعانه قال مجاهد ملك الارض اربعة مؤمنان وكافران فاما المؤمنات فسليمان بن داود وذو القرنين واما الكافران فنمرود وبختنصر واخلفوا في وقت هذه الحاجة فقبل لما كسر ابراهيم الاصنام سجد نمرود ثم اخرججه ليعرقه فقال له من ربك الذي تدعوننا اليه قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت وقيل كان هذا بعد لقائه في النار وذلك ان الناس قطعوا على عهد نمرود وكان الناس يمتارون من عنده الطعام فكان اذا اتاه احد بمنا رساله من ربك فيقول انت فيميره فخرج ابراهيم عليه السلام اليه يمتار لاهله الطعام فاتاه فقال له من ربك قال ربي الذي يحيي ويميت قال انا احبي واميت قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فانت بها من المغرب فبهت الذي كفر فرده بغير طعام فرجع ابراهيم الى اهله فرز على كيب رمل اعفر فاخذ منه طيبسا لقلوب اهله اذا دخل عليهم فلما اتى اهله وضع متاعه ثم نام فقامت زوجته سارة الى رحله فقحته فاذا هو طعام اجود مما رآه احد فصمت منه خبزا فلما انتبه قربته اليه فقال لها ابراهيم من اين هذا وكان عهد اهله وليس عندهم طعام فعاتت من الطعام الذي جئت به فلم يبرحم ابراهيم ان الله قدر زوجه فحمد الله تعالى ثم ان الله تعالى بعث الى نمرود الجبار ملكا فقال له ان ربك يقول ان آمن بي واتركت في ملكك قال وهل رب غيري فجاء الثانية فقال له مثل ذلك ثم اتاه الثالثة فرد عليه مثل ذلك فقال له الملك اجع جوعك فجمع الجبار جوعه فامر الله الملك ففتح عليه بابا من البعوض حتى سترت الشمس فلم يروها فمنها الله عليهم فاكلت لحومهم وشربت دماءهم فلم يبق الا العظام ونمرود يظفر ولا يصبه شيء من ذلك ثم بعث الله عليه بعوضة فدخلت في منخره فمكثت في رأسه اربعمائة سنة يضرب رأسه بالمطارق وكان ارحم الناس به من يجمع له يديه ثم يضرب بهما رأسه فكان كذلك يذب اربعمائة سنة مدة ملكها حتى اماته الله عز وجل (اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت) هذا جواب سؤال غير مذكور تقديره قال له نمرود من ربك قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت (قال) يعني قال نمرود (انا احبي واميت) قال اكثر المفسرين دعانا نمرود برجلين فقتل احدهما واستحب الآخر فجعل ترك القتل احياء فانقل ابراهيم صلى الله عليه وسلم الى جهة اخرى لا عجزا من نصر جنته الاولى فانها كانت لازمة لانه اراد بالاحياء احياء الميت فكان لابراهيم ان يقول لنمرود فاحي من امت ان كنت صادقا ولكن انتقل الى جهة اخرى اوضح من الاولى لما رأى من قصور فهم نمرود وضعف رأيه فانه عارض افضل بمثله ونسى اختلاف الفعلين (قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فانت بها من المغرب فبهت الذي كفر) يعني نجبر نمرود ودعش وانقطعت جنته ولم يرجع اليه شيئا وعرف انه لا يطيق ذلك فان قلت كيف بهت الذي كفر وكان يمكنه ان يقول لابراهيم

عليك وحشية ممتنة عن قبول امرك فاذا قتلتها كنت حيا بالحياة الحقيقية الموهوبة بعد الفناء والحو فتعير هي حية بحياتك لا بحياتها حياة النفس طيبة لك منقادة لامرك فاذا دعوتها (ثم ادهمن يأتينك سعيًا واهل ان الله عزيز) غالب على قهر النفوس (حكيم) لا يقهرها الا بحكمة ويمكن حمله على حشر الوحوش والطيور وعلى هذا فيكون جعل اجزائها على الجبال تغذية الجسم بها ودعواؤه واتيانه اليه ساعية توجهها الى الانسان بعد الشور (مثل الذين يفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سابل في كل منبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء) ذكر سبحانه ثلاث انصافات وفاضل بينها في الاجزاء اولها الاتفاق في سبيل الله وهو انصاف في علم الملك عن تجلي الافعال بطيئه صاحبه ليثبه الله تعالى فانها به سبعمائة اضعاف ما عطى ثم زاد في الاضعاف الى مالا يسهى بحسب الهيئة لان يده تعالى ايسر والول من يده بما لا يتناهى (والله واسع) كثير العطاء

لا يتقدر باعطيتنا عطاؤه
(علم الذين يتفقون
اموالهم في سبيل الله)
بنيات المعطين واعتقاداتهم
انه من فضل الله تعالى
فيثيبهم على حسب ذلك
وثانيها الاتفاق عن مقام
مشاهدة الصفات على
ماسبأى وهو الاتفاق
لطلب رضا الله كما ان
الاولى هو الاتفاق لطلب
عطاء الله وثالثها الاتفاق
بالله وهو عن مقام شهود
الذات (ثم لا يتبعون ما
اتفقوا منا ولا اذى لهم
اجرم عند ربهم ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون)
نبه على ان الاتفاق يطله
المز والاذى لائن الاتفاق
انما يكون محمودا ثلاثة
اوجه كونه وافقا للامر
بالنسبة الى الله تعالى وكونه
مزيلا لردية البخل بالنسبة
الى نفس المنفق وكونه
نافعا مريحا بالنسبة الى
المستحق فاذا من صاحبه
فقد خالف امر الله لانه
منهى وظهرت نفسه
بالاستطالة والاعتداد
بالعنة والحب والاحتجاب
بغلها ورؤية النعمة منها
لامن الله وكلها رذائل
اردا من البخل لازمة له

سل انت ربك حتى يأتى بما من المغرب قلت انما لم يقبله لانه خاف انه لو سأل ذلك دعا ابراهيم
ربه فكان ذلك زيادة في فضيحة نمروود وانقطاعه وقبل ان الله تعالى صرفه عن تلك المعارضة
اظهارا للحمية عليه ومجزة لابراهيم صلى الله عليه وسلم وهو الصحيح (والله لا يهدى القوم
الظالمين) يعنى لا يرشدهم الى جهة يدحضون بها جميع اهل الحق عند الحاجة والحاصمة وعنى
بالظالمين نمروود قوله عز وجل (او كالذى مر على قرية) هذه معطوفة على الآية التي قبلها
والعنى الم تر الى الذى حاج ابراهيم او كالذى مر على قرية فيكون هذا عطف على المعنى وقيل تقديره
هل رأيت كالذى حاج ابراهيم وهل رأيت كالذى مر على قرية وقيل الكاف زائدة والتقدير
الم تر الى الذى حاج ابراهيم اولى الذى مر على قرية واختلفوا في ذلك المار فروى عن مجاهد
انه كان كافرا شك في البعث وهذا قول ضعيف لقوله تعالى قال كم لبثت والله تعالى لا يخاطب الكافر
وقوله تعالى ولصلى آية لباس وهذا اللفظ لا يستعمل في حق الكافر وانما يستعمل في حق الانبياء
وقال قتادة وعكرمة والضحاك والسدى هو عزيز بن شرخيا وقال وهب بن منبه هو ارميا
بن حلقيا من سبط هرون وهو الخضر ومقصود القصة تعريف متكررى البعث قدرة الله تعالى
على احياء خلقه بعد اماتهم لاتعريف اسم ذلك المار على القرية فجائز ان يكون ذلك المار هو عزيز
وجائز ان يكون ارميا وفي هذه القصة دلالة عظيمة بنسبة محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر
اليهود بما يجدونه في كتبهم ويعرفونه وهو اى لم يقرأ الكتب القديمة واختلفوا في تلك القرية فقيل
هى بيت المقدس وذلك لما اخبر بها مختصر والمراد بالاحياء هنا عمارتها وقيل هى القرية التى اهلك الله
اهلها الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف وقيل هى دير سابر آباد وقيل سلاباد وقيل هى دير هرقل
وقيل قرية العنب هى على فرسخين من بيت المقدس وقوله هى دير سابر آباد وضع كان بفارس وسلاباد
محلة او قرية من نواحي جرجان وقيل ايضا من نواحي همدان ودير هرقل بكسر اوله وراه
ساكنة وقاف مكسورة دير مشهور بين البصرة وعسكر مكرم وقيل هو موضع الذين خرجوا
من ديارهم وهم الوف فامتهم الله تعالى ثم احياهم لخر قبل كما تقدم ويقال ان المراد بقوله تعالى
او كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها هى التى عدها احياء الله جاره زير (وهى
خاوية على عروشها) اى ساقطة على سقوفها وذلك ان السقوف سقطت اولا ثم وقعت الحيطان
عليها بعد ذلك (قال) يعنى ذلك المار (انى يحى هذه الله بعد موتها) فن قال ان ذلك المار
كان كافرا وهو ضعيف اما حله على الشك في قدرة الله ومن قال كان نبيا حله على سبيل الاستبعاد
بحسب مجارى العرف والعادة لاعلى سبيل الانتكار لقدرة الله تعالى او كان المقصود منه طلب
زيادة الدلائل لاجل التأكيده كما قال ابراهيم عليه السلام رب انى كيف تحى الموتى ومعنى انى
يحى هذه الله من اى يحى هذه القرية والمراد بالاحياء عمارتها فاحب الله ان يره آية في نفسه
وفي احياء تلك القرية وكان سبب القصة في ذلك ما روى عن وهب بن منبه ان الله تعالى بعث
ارميا الى ناشية بن اموص ملك بني اسرائيل ليردده ويأتيه بالخبر من الله تعالى فظنت الاحداث
في بني اسرائيل وركبو المعاصى فوحى الله تعالى الى ارميا ان ذكر قومك نعمى عليهم وعرفهم
احداثهم وادعهم الى فقال ارميا يارب انى ضعيف ان لم تقوى عاجز ان لم تبلغنى مخذول ان لم
تصبرنى فقال الله تعالى انى اهلك فقام ارميا فيهم ولم يدرب ما يقول فالحمد لله تعالى في الوقت خطبة

بليغة طويلة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال في آخرها عن الله عز وجل اني احلف
 بزق لا يقضن لهم فتنة تخير فيها الحكيم ولا سلطان عليهم جبارا فارسا البسه الهيبة واتزع من
 صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد ايل المظلم ثم اوحى الله تعالى اليه اني مهلك بنى اسرائيل يافث
 ويافث هم اهل بابل وهم من ولد يافث بن نوح فلما سمع ارميا ذلك صاح وبكى وشق ثيابه ونبذ
 الرماح على رأسه فلما رأى الله تضرعه وبكاه ناداه يا ارميا اشق عليك ما اوحيت اليك قال نعم
 يا رب اهلكنى قبل ان ارى في بنى اسرائيل مالا امر به فقال الله عز وجل وعزنى وجلالى
 لا اهلك بنى اسرائيل حتى يكون الامر في ذلك من قبل ففرح ارميا بذلك وطابت نفسه
 وقال لا والذى بعث موسى بالحق لا ارضى بهلاك بنى اسرائيل ثم اتى الملك فاخبره بذلك
 وكان ملكا صالحا فاستبشر وفرح وقال ان يعذبنا ربنا فبذنبنا وان يصف عنا فبرجته ثم
 انهم مكثوا بعد ذلك الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا الا معصية وتماديا في الشر فقل الوحي
 وذلك حين اقترب هلاكهم فدعاهم الملك الى التوبة فلم يفعلوا فسلط الله عليهم يختصر
 البابل فخرج في ستمائة الف راية يريد اهل بيت المقدس فلما فصل سائرا واتى الخبر الى ملك بنى
 اسرائيل قال لارميا ابن مازعت ان الله تعالى اوحى اليك فقال ارميا ان الله لا يخلف الميعاد وانا به
 واثق فلما قرب الاجل بعث الله تعالى الى ارميا ملكا قد تمثل له في صورة رجل من بنى اسرائيل
 فقال له ارميا من انت قال انا رجل من بنى اسرائيل اتيتك استفتيك في اهل رحى وصلت
 ارحامهم ولم آت اليهم الاحساس ولا يزيدهم اكرامى اياهم الا مضطرا فافتنى فيهم فقال ارميا احسن
 فيما بينك وبين الله وصلهم وابشر بخير فانصرف الملك فكث اياما ثم اقبل اليه في صورة ذلك الرجل
 فقعد بين يديه فقال له ارميا من انت قال انا الرجل الذى اتيتك استفتيك في شأن اهل فقال له ارميا
 اما طهرت اخلاقهم بعد ذلك فيهم فقال يابنى الله والذى بعثك بالحق نيا ما علم كرامة ياتيا احدهم
 اللباس الى رحه الا قدمتها اليهم وافضل فقال ارميا ارجع اليهم فاحسن اليهم اسأل الله الذى
 يصلح عباده الصالحين ان يصلحهم فقام الملك فكث اياما ثم ان يختصر نزل بجنوده بيت المقدس
 ففرغ منهم بوا اسرائيل فقال ملكهم لارميا يابنى الله ان ما وعدك الله فقال انى ربى واثق ثم اقبل
 ذلك الملك الى ارميا وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصره الذى
 وعده فقعد بين يديه فقال له ارميا من انت قال انا الذى جئتك في شأن اهل مرتين فقال ارميا
 اما ان لهم ان يفيقوا من الذى هم فيه فقال الملك يابنى الله ان كل شئ كان يصيبني منهم قبل اليوم كنت
 اصبر عليه فاليوم رايتهم على عمل لا يرضى الله تعالى فقال له ارميا على اى عمل رايتهم قال على عمل عظيم
 يسخط الله تعالى فغضب الله عز وجل فأتيتك لاخبرك وانا اسألك بالله الذى بعثك بالحق ان تدعوا الله
 عليهم ليلكوا فقال ارميا ثم يامالك السموات والارض يا اذا للبلال والاكرام ان كانوا على حق
 وصواب فابقهم وان كانوا على عمل لا ترضاه فاهلكهم فاخرجت الكلمة من فيه حتى ارسل الله
 عز وجل صاعقة من السماء على بيت المقدس فالتب مكان القربان واحرقت سبعة ابواب من ابوابه
 فلما رأى ذلك ارميا صاح وشق ثيابه ونبذ الرماح على رأسه وقال يامالك السموات والارض ان ميعادك
 الذى وعدتني به فنودى انهم لم يصبر ما صلهم الا بفتياك ودعاك عليهم فاستيقن ارميا انها فتياه
 وان ذلك السائل كان رسولا من الله تعالى اليه فخرج ارميا حتى خالط الوحوش ودخل بختنصر

ولو لم يكن له الا رؤية
 نفسه بالفضيلة لكفاه
 ميطلا واما الوجه الثالث
 الذى هو بالنسبة الى
 المستحق فيطه الاذى
 المافى للراحة والرفع والمن
 ايضا مبطل له لاقضائه
 الترفع وانظار الاصطلاح
 واثبات حق عليه ثم قال
 (قول معروف ومفخرة
 خير من صدقة يتبعها ذى)
 اذا قول الجليل وان كان
 بالرد يفرح قلبه وروح
 روحه والصدقة انما تنفع
 جسده ولا تفرح القلب
 الا بالتبعية وتصور النفع
 فاذا فارن ما ينفع الجسد
 ما يؤذى الروح تكدر
 النفع وتنقص ولم يقع في
 مقابلة الترح الحاصل من
 القول الجليل ولو لم يكن
 مع التفتيش ايضا لان
 الروحانيات اشرف
 واحسن واوقع في النفوس
 (والله حق) عن الصدقة
 المقرونة بالاذى فيعطى
 المستحق من خزائن غيبه
 (حاتم) لا يماجل بالعقوبة
 (يابيا) الذين آمنوا لا تبطلوا
 عهدا تفكمن بالن والذى
 كذا ينطق ماله رئا
 الساس ولا يؤمن بالله
 واليوم الآخر فثله كمثل

وجنوده بيت المقدس ووطى الشام وقتل بنى اسرائيل حتى افناهم وخرب بيت المقدس وامر
جنوده ان يعلوا كل رجل منهم ترسه ترابا ويقذفه في بيت المقدس ففعلوا ذلك حتى ملؤوه ثم امرهم
ان يجمعوا من كان بقى في بلدان بيت المقدس فاجتمع عنده من كان بقى من بنى اسرائيل من صغير
وكبير فاختر منهم سبعين الف صبي فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل رجل منهم اربعة
غلعة وكان في اولئك الظان دانيال عليه السلام وحنانيا وعزرو وفرق من بقى من بنى اسرائيل
ثلاث فرق فثلاثا قتلهم وثلاثا سباهم وثلاثا اقرهم بالشام فكانت هذه الواقعة الاولى التى اتزلها الله بنى
اسرائيل بظلمهم فلما ولي بختنصر راجعا الى بابل ومعه سبا بنى اسرائيل اقبل ارميا على حمار له ومعه
عصير عنب في ركة وسلة تين حتى غشى ايليا وهى ارض بيت المقدس فلما راى خرابها قال انى يحى
هذه الله بعد موتها ومن قال ان الماركان عزيرا قال ان بختنصر لا حرب بيت المقدس قدم بسبا
بنى اسرائيل وكان فيهم عزير ودانيال وسبعة آلاف من اهل بيت داود فلما نجوا عزير من بابل ارتحل على
حمار حتى نزل دير هل على شط دجلة فطاف بالقربه فلما راى احدا وعامة شجرها حمل فاكل من الفاكهة
واختصر من العنب فشرب منه وجعل فضل الفاكهة في سلة وفضل العصير في زق ولما راى
خراب القرية وهلاك اهلها قال انى يحى هذه الله بعد موتها وانما قال ذلك تعبها لاشكا في البعث
ورجعنا الى حديث وهب قال ثم ان ارميا ربط حماره بحبل جديده والى الله تعالى عليه النوم فلانام
نزع الله منه الروح فثلاثة مائة عام وامالة حماره وبقي عصيره وتينه عنده واعى الله عه العيون فلما ربه
احد ذلك ضحى ومنع لجه من السباع والطير فلما مضى من وقت موته مدة سبعين سنة ارسل الله
تعالى ملكا الى ملك من ملوك فارس يقال له يوشك وقال له ان الله يبارك ان تنفريقه فنعمر
بيت المقدس وايليا حتى يعودا عما كانا فانتدب الملك الف قهرمان مع كل قهرمان ثلثمائة الف عامل
وجعلوا بعمرونه واهلك الله بختنصر بعموضة دخلت في دماغه ونجى الله من بقى من بنى اسرائيل
وردهم جبا الى بيت المقدس ونواحيها فعمروها ثلاثين سنة وكثروا كاحسن ما كانوا فغلبت المائدة
احيا الله منه عينه وسائر جسده ميت ثم احيا الله جسده وهونظر ثم نظر الى حماره فاذا عظامه
تلوح بين متفرقة فسمع صوتا من السماء ابتها العظام البالية ان الله يبارك ان تجتمعى فاجتمع
بعضها الى بعض ثم نودى ان الله يبارك ان تكنتى لحما وجلدا فكان كذلك ثم نودى ان الله يبارك
ان نحى فقام الحمار باذن الله ثم نهق وعمر الله ارميا فهو يدور في القلوات فذلك قوله تعالى (فاماته الله
مائة عام) اصل العام من العوم وهو السباحة سميت السنة عاما لان الشمس تعوم في جوع روجها
(ثم بعثه) اى ثم احياه واصله من بعث الناقة اذا اقامت من مكانها (قال كم لبثت) يعنى قال الله تعالى
له كم قدر الزمان الذى مكثت فيه ميتا قبل ان ابعثك من مكانك حيا ويقال ان الله تعالى لما احياه بعث
اليه ملكا فسأله كم لبثت (قال) يعنى ذلك المبعوث بعد مماته (لبث يوما) وذلك ان الله تعالى اماته
ضحى في اول النهار واحياه اربعة مائة سنة في آخر النهار قبل ان تغيب الشمس فقال لبث يوما وهو يرى ان
الشمس قد غابت ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال (او بعض يوم قال) يعنى قال الله له وقيل قال الملك له
(بل لبث مائة عام فانظر الى طعامك) يعنى التين الذى كان معه قبل موته (وشراك يعنى العصير) كانه قد
عصر من ساعته يعنى العصير (لم يتسنه) يعنى لم تغيره السنون التى انت عليه فكان التين كانه قد قطف من
ساعته لم يتغير ولم يتين (وانظر الى حمارك) اى وانظر الى احياه حمارك فانظر فاذا هو عظام بين فركب

صنوان عليه تراب فاصابه
وابل فتزكه صلدا لا يقدر
على شئ مما كسبوا والله
لا يهدى القوم الكافرين
مثل الذين ينفقون اموالهم
ابتغاء مرضاة الله (هذا
هو القسم الثانى من
الاتفاق فضله على الاول
بتشبيه الجنة فان الجنة مع
اياتها كلها تبقى بحالها بخلاف
الجنة فأشارنا انه ملك لهم
كأنه صفة ذاتية ولهذا قال
(وتيتنا من انفسهم) اى
توطينا لها على الجود الذى
هو صفة ربانية وقوله
(ربوة) اشارة الى ارتفاع
رتبة هذا الاتفاق وارتقائه
عن درجة الاول (اصابها
وابل) اى حظ كثير من
صفة الرحمة الرجائية
ومددوا فر من فيض جوده
لانها ملكة الاتصال بالله
تعالى بمناسبة الوصف
به (فانت اكلها ضعفين
فان لم يصبها وابل فضل)
اى حظ كثير فحفظ قليل
(والله بما تعملون بصير)
بأعمالكم يرى انما من اى
القبيل (ابودا حاكم ان تكون
له الجنة من نخيل واعناب

الله تعالى العظام بعضها على بعض ثم كساء اللحم والجلد واحياه وهو ينظر (ولتصليكم آية للناس)
 قيل الواو زائدة مقصورة وقيل دخول الواو فيه دلالة على انها شرط لقل بدها والمعنى فعلنا ما فعلنا
 من الامامة والاحياء لتصليكم آية للناس يعني عبرة ودلالة على البعث بعد الموت قاله
 اكثر المفسرين وقيل انه عاد الى القرية وهو شاب اسود الراس والصبية واولاده واولاد
 اولاده شيوخ وعجائز سقط فكان ذلك آية للناس (وانظر الى العظام كيف نشرها ثم فكسوها
 اللحم) قرئ بالراء ومضاه كيف نحيا يقال انشر الله الميت انتشارا يعني احياه وقرئ بالزاي ومضاه
 كيف نرفعها من الارض ونردها الى مكانها من الجسد وتركب بعضها على بعض وانشار الشيء
 رفعه وازواجه يقال نشرته فنشره فرفعه فارتفع واختلفوا في معنى الآية فقال الاكثرون
 انه اراد عظام الجمار قيل ان الله تعالى احيا عزيرا او ارميا على اختلاف القولين فيه ثم قال له
 انظر الى حمارك قد هلك وبليت عظامه فنظر وبمث الله ريحا فجاءت بعظام الجمار من كل سهل
 وجبل فاجتمعت فركب بعضها على بعض حتى العكسرة من العظم رجعت الى موضعها
 فصار حمارا من عظام ليس عليه لحم ولا فيه دم ثم كساه الله تلك العظام اللحم والعروق
 والدم فصار حمارا ذا لحم ودم لاروح فيه ثم بعث الله ملكا فاقبل اليه يمشي حتى اخذ بمنخر
 الجمار ففتح فيه الروح فقام الجمار حيا باذن الله تعالى ثم نهق وقيل اراد بالعظام عظام هذا
 الرجل نفسه وذلك ان الله تعالى اماته ثم بعثه ولم يمض جاره ثم قيل له انظر الى حمارك فنظر
 فرأى جاره حيا قائما كهيشه يوم ربطه لم يطم ولم يشرب مائة عام ونظر الى الرمة في عنقه جديدة
 لم تتغير ثم قيل له انظر الى العظام كيف نشرها وذلك ان الله اول ما احيا منه عينه فنظر فرأى
 سائر جسده ميتا وفي الآية تقديم وتأخير تقديره وانظر الى حمارك وانظر الى العظام كيف
 نشرها ولتصليكم آية للناس وعن ابن عباس وغيره من المفسرين لما احياه الله عزيرا بعدما
 اماته مائة سنة ركب حماره حتى اتى الى محله فانكره الناس وانكروا هو الناس وانكروا
 منزله فانطلق على وهم حتى اتى منزله فاذا بجوز عياه مقعدة قد اقي عليها مائة وعشرون
 وكانت امه لهم ولما خرج عزير عنهم كانت بنت عشرين سنة وكانت قد عرفت عهده وعقلته
 فقال لها عزير يا هذه هذا منزل عزير فقالت نعم وبكت وقال ما رأيت احدا يذكرك عزيرا
 منذ كذا وكذا فقال انا عزير فقالت سبحان الله ان عزيرا قد ناه من مائة سنة
 ولم نسمع له بذكر فقال اني عزير ان الله تعالى اماتني مائة سنة ثم احياي فقالت ان عزيرا كان
 رجلا محباب الدعوة وكان يدعو للمريضي وصاحب البلاء بالعافية فادع الله ان يرد على بصري
 حتى اراك فان كنت عزيرا عرفتك فدعا به ومسح يده على عينها فبصت واخذ بيدها وقال لها
 قومي باذن الله تعالى فاطلق الله رجلك فقامت صبيحة فنظرت اليه وقالت اشهد انك عزير وانطلقت
 الى بني اسرائيل وهم في انديتهم وبجالسهم وابن لعزيز شيخ ابن مائة سنة وثمانية عشرة سنة وبني
 بنيه شيوخ فتادت هذا عزير فدعاكم فكذبوها فقالت ان افلاحة مولاتكم فدعا على عزير ربه فرد
 على بصري واطلق رجلي وزعم ان الله تعالى قد اماته مائة سنة ثم بعثه قال فنهض الناس اليه وقال
 ابنه كان لابي شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفيه فنظر اليها فرأها ضرر فانه
 عزير وقيل لما رجع عزير الى قريته وقد احرق بختنصر التوراة ولم يكن من الله عهد بين

تجري من تحتها الانهار
 له فيها من كل الثمرات
 واصابه الكبرو له ذرية
 ضعاء فأصابها اعصار فيه
 نار فاحترقت كذلك بين
 الله لكم الآيات لعلكم
 تفكرون) تمثيل لحال من
 عمل صالحا اتفاقا كان وغيره
 متقربا به الى الله مبتغيا
 رضاه كافي هذا القسم من
 الاتفاق ثم ظهرت نفسه
 فيه وتحركت فكانت
 حركاتها المتخالفة بحركة
 الروح ودواعيها المتفاوتة
 المضادة لداعية القلب
 اعصارا فافترض الشيطان
 حركتها واتخذها مجالله
 بالسوسة فنفت فيها
 رؤية علمها اورياء فكان
 ذلك الثفت نارا احترقت
 علمها احوج ما يكون اليه
 كقال امير المؤمنين على
 عليه السلام اللهم اغفر لي
 ما تقربت به اليك ثم خالفه
 قلبي (يا ايها الذين آمنوا
 اسقوا من طبيات ما كسبتم
 وبما اخرجنا لكم من
 الارض) امر بالقسم
 الثالث من الاتفاق من
 طبيات ما كسبتم اذا اختار
 بالله يختار الاشراف من
 كل شيء المناسبة كما قال
 امير المؤمنين على عليه

السلام ان الله جيل يحب
الجمال ومن كان في اتفائه
بالفس لا يقدر على اتفاق
الاشرف لفضن النفس
ومحبتها اياه واستئثارها
به عن تخصيصه لالهها
كان بالفس ليس برصلا
لقوله تعالى لن تالوا البر
حتى تنفقوا مما تحبون
(ولا تيمموا الحيت منه
تنفقون) تخصونه بالاتفاق
كسادة الفقيرين بالفس
والطبيعة (ولستم بأخذه
الا ان تمغنوا فيه) لمحبكم
الاطيب من المال لانفسكم
لاختصاص محبتكم بالذات
اياها ولهذا لا تؤثرون
الله بالمال عليها تنفقوا
اطيله (واعلموا ان الله
غنى) فانصفوا بعاه
تستفيضوا به عن المال
ومحبته (جيد) لا يفعل
الا لافعال المحمود فان تدوا به
(الشيطان يعدكم الفقر
ويأمركم بالفحشاء) اى
الخصلة القبيحة التى هى
البخل فتعوزوا منه بالله
فانه (والله يعدكم مغفرة
مه) اى ستر الصفات
نفوسكم بنوره (وفضلا)
وموهبة من مواهب
صفاته لكم ونجاياتها
كاننى المطلق فلا يبقى فيكم

الخلاقي بكي عزير على التوراة فاعلمك باناه فيه ماء فقام من ذلك الماء فثبت التوراة في صدره
فرجع الى بني اسرائيل وقد علمه الله التوراة وبشئنا فقال اناعزير فلم يصدقوه فقال انى عزير
وقد بشئني الله اليكم لاجد ذلكم توراةكم قالوا فاعلمنا طينا فاعلمنا طينا فاعلمنا طينا فاعلمنا طينا
الله التوراة في قلب رجل بعدما ذهبت الا انه ابنه فقالوا عزير ابن الله وستأني القصص في سورة
اثوبة انشاء الله تعالى * وقوله تعالى (فلا تبين له) يعنى فلا تصحله عيانا كما كان يكره من احباء
الهيبة ورآه عيانا في نفسه (قال اعلم) قرى مجزوما موصولا على الامر يعنى قال الله له اعلم
وقرى اعلم على قطع الالف ورفع الميم على الخبر عن الذى قال انى يحى هذه الله بعد موتها والمعنى
فلا تبين له ورأى ذلك عيانا قال اعلم (ان الله على كل شئ قدير) يعنى الامانة والاحياء * قوله
عز وجل (واذا قال ابراهيم رب ارنى كيف تحي الموتى) اختلفوا في سبب هذا السؤال من
ابراهيم عليه السلام فقيل انه مر على دابة ميتة وهى جيفة حمار وقيل بل كانت حوتاميتا وقيل
كان رجلا ميتا بساحل البحر وقيل ببحر طبرية فرآها وقد توزعها دواب البحر والبر فاذا مد البحر
جاءت الحيتان فأكلت منها واذا جذر البحر جاءت السباع فأكلت منها فاذا ذهبت السباع جاءت
الطيور فأكلت منها فلارأى ابراهيم ذلك تعجب منها وقال يارب انى قد علمت انك تهجمها من بطون
السباع وحواصل الطير واجواف الدواب فارنى كيف تحيها لا عابن ذلك فازداد يقينا فاصابه الله
تعالى (قال اولم تؤمن) يعنى اولم تصدق (قال بلى) يارب قد علمت وآمنت (ولكن ليطمئن قالى)
اى ليسكن قالى عند المعينة اراد ابراهيم عليه السلام ان يصبر له علم اليقين عين اليقين لان الخبر ليس
كالمعينة وقيل لما رأى الجيفة على البحر وقد تناوتها السباع والطيور ودواب البحر تفكر كيف يجمع
ما تفرق من تلك الجيفة وتطلعت نفسه الى مشاهدة ميت يحييه ربه ولم يكن ابراهيم عليه السلام
شاكيا في احباء الله الموتى ولا دافضاله ولكنه احب ان يرى ذلك عيانا كما كان المؤمنين يحبون ان
يروا نبيهم محمدا صلى الله عليه وسلم ويحبون رؤية الله تعالى في الجنة ويطلبونها ويسألونه في
دعائهم مع الايمان بمحمد ذلك وزوال الشك عنهم فكذلك احب ابراهيم ان يصبر الخبر له عيانا وقيل
كان سبب هذا السؤال من ابراهيم انهما احتج على نمرود فقال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت
فقال نمرود انا احى واميت فقتل احدا رجلين والحق الآخر فقال ابراهيم ان الله تعالى يقصد
الى جسد ميت فيحييه فقال له نمرود انت تانيته فلم يقدر ابراهيم ان يقول نعم فانقل الى جهة اخرى
ثم سأل ابراهيم ربه ان يريه كيف يحيى الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي بقوة جنى
فاذا قيل انت تانيته فاقول نعم وقال سعيد بن جبير لما اتخذ الله ابراهيم خليلا سأل ملك الموت ربه
ان يأذنه فيبشر ابراهيم بذلك فاذا نزل على ابراهيم ولم يكن في الدار فدخل داره وكان ابراهيم
من اغبر الناس وكان اذا خرج اغلق بابا فلجاء وجد في الدار رجلا قاترا ليه يأخذه وقال له
من اذن لك ان تدخل دارى فقال اذن لي رب الدار فقال ابراهيم صدقت وعرفت انه ملك فقال له
من انت قال انا ملك الموت جئت ابشرك ان الله قد اتخذك خليلا فحمد الله عز وجل وقال له
ما علامه ذلك قال ان يحجب الله دعاءك ويحيى الموتى بسواك فحينئذ قال ابراهيم رب ارنى كيف
تحيى الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي بانك اتخذتني خليلا وتحيينى اذا دعوتك
وتصلينى اذا سالتك (ق) عن ابي حنيفة ابي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن احق بالشك

خوف النقر (والله واسع) يسع ذواتكم وصفاتكم وعطاؤكم لا يضيق وعاء جوده بالعطاء ولا ينقد عطايه (عليه) بمواقع تجلياته واستعدادها واستحقاقها (بؤى الحكمة من بشاء) لاخلاصه في الاتفاق وكونه فيه بالله فيعطيه حكمة الاتفاق لينفقوا من الحكمة الالهية لكونه متصفا بصفاته (ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا) لانها اخص صفات الله (وما ذكر) ان الحكمة اشرف الاشياء واخص الصفات (الاولو الابواب) الذين نور الله عتولهم بنور الهداية فصفاها عن شوائب الوهم وقشور الرسوم والمعادن وهو النفس جفزا، الاتفاق الاول هو الاضعاف جفزا الثاني هو الوجة الصفاتية المثرة للاضعاف وجزاء الثالث هو الحكمة اللازمة للوجود والموهوب فانظروكم بينها من التفاوت (وما انفقتم من نفقة) او نذرتم من نذر فان الله يعلم (من اى القبول هو فيجازيكم بحسبه) (وما لظالمين) اى المتفقين رياء الناس الواضعين الاتفاق في غير موضعه او انافسين

من ابراهيم اذ قال رب انى كيف تحيى الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى ويرحم الله لوطا لقد كان يأوى الى ركن شديد ولوليت في الجهن ما لبث يوسف لاجبت الداعى (والقول على معنى الحديث وما يتعلق به) اختلف العلماء في قوله صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابراهيم على اقوال كثيرة فأحسنها واحسنها ما نقل المزي وغيره من العلماء ان الشك مستحيل في حق ابراهيم فان الشك في احياء الموتى لو كان متطرقا الى الانبياء لمكنت انا احق به من ابراهيم ولقد علمت انى لم اشك فاعلموا ان ابراهيم لم يشك وانما خص ابراهيم بالذكر لكون الآية قد سبق الى بعض الاذهان الفاسدة منها احتمال الشك فنفي ذلك عنه وقال الخطابى ليس في قوله نحن احق بالشك من ابراهيم اعتراف بالشك على نفسه ولا على ابراهيم لكن فيه نفى الشك عنهما يقول اذ لم اشك انا في قدرة الله تعالى على احياء الموتى فابراهيم اولى بان لا يشك وقال ذلك على سبيل التواضع والهضم من النفس وكذلك قوله لوليت في الجهن ما لبث يوسف لاجبت الداعى وفيه الاعلام بان المسئلة من ابراهيم لم تعرض من جهة الشك لكن من قبل زيادة العلم بالبيان والبيان يفيد من المعرفة والطماينة ما لا يفيد الاستدلال وقيل لما نزلت هذه الآية قال قوم شك ابراهيم ولم يشك نبيا صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابراهيم ومعناه ان هذا الذى تظونه شكنا اناولى به فانه ليس بشك وانما هو طلب لمزيد اليقين وانما رجح ابراهيم صلى الله عليه وسلم على نفسه صلى الله عليه وسلم تواضعا منه وادبا وقيل ان يعلم انه صلى الله عليه وسلم خير ولد آدم واما تفسير الآية فقوله تعالى واذا قال ابراهيم اى واذا ذكر يا محمد اذ قال ابراهيم وقبل انه معطوف على قوله الم ترالى الذى حاج ابراهيم في ربه والتقدير الم ترالى الذى حاج ابراهيم في ربه الم تر اذ قال ابراهيم رب انى كيف تحيى الموتى قال يعنى قال الله لا ابراهيم اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى ويرحم الله لوطا لقد كان يأوى الى ركن شديد ولوليت في الجهن ما لبث يوسف لاجبت الداعى اولم تؤمن الف اثبات واجباب كقول جرير * الستم خير من ركب المطايا * اى الستم كذلك والمعنى اولست قد آمنت وصدقت انى احبى الموتى قال بلى قد آمنت وصدقت ولكن ليطمئن قلبى يعنى سأنتك ذلك ارادة طمأينة القلب وزيادة اليقين وقوة الوجة وقال ابن عباس معناه ولكن لارى من آياتك واعلم انك قد اجبتنى (قال غزارة من الطير) قبل اخذ طاوسا وديكا وحامة وغرابا وقيل نسرايدل الحامة فان قلت لم خص الطير من جملة الحيوانات بهذه الحالة قلت لان الطير صفة الطيران في السماء والارتفاع في الهواء وكانت همة ابراهيم عليه السلام كذلك وهو العالوف الوصول الى الملكوت فكانت مجزته مشاكلة لهيمته فان قلت لم خص هذه الاربعة الاجناس من الطير بالاخذلت فيه اشارة في الطاوس اشارة الى ما في الانسان من حب الزينة والجاه وفي النسر اشارة الى شدة الشغف بالاكل وفي الديك اشارة الى شدة الشغف بحب الكساح وفي القراب اشارة الى شدة الحرص ففي هذه الطيور مشابهة لما في الانسان من حب هذه الاوصاف وفيه اشارة الى ان الانسان اذا ترك هذه الشهوات الذميمة لحق اعلى الدرجات في الجنة وغازيل السعادات (فصرهن) قرى بكر الصادومعناه قطعهن ومنقهن وقرى بضم الصادومعناه امهnen (اليك) ووجههن وقيل معناه اجمعهن واضمهن اليك فمن فسرهم بالامالة والضم قال فيه اصمار ومعناه فصرهن اليك ثم قطعهن فحذف اكتفاء بقوله (ثم اجمل على كل جيل منهن جزا) لانه يدل عليه قال المفسرون امر الله تعالى ابراهيم صلى الله عليه وسلم ان يذبح تلك الطيور وينتف ريشها وان يخلط ريشها ولحمها ومها بعضه بعضا ففعل ثم امره ان يجعل على كل جيل منهن جزا واختلفوا في هذا الاجزاء

حقوقهم رؤية انفساهم
اوصم المن والاذى اليه
او بالانفاق من الخيـث
(من انصار) يخفـظونهم
من بأس الله (ان تبدوا
الصدقات فنعمها وان
تخفوها وتؤتوها الفقراء
فهو خير لكم ويكفر هـكم
من سيأتكم والله بما تعملون
خبر) بعدها عن الرؤيا
وكونها اقرب الى الاخلاص
(ليس عليك هـاهم) الى
الاتفاقات الثلاثة المذكورة
المبرأة عن المن والاذى
والرياء ورؤية الانفاق
وكونه من الخيـث اى
لا يجب عليك ان تجعلهم
مهدبين انما عليك تبليغ
الهداية (ولكن الله يهدى
من يشاء وما تفقوا من خير
فلا تنسكم) فلم تمنون به
على الساس وتؤذونهم
(وما تفقون الا ابتغاء
وجه الله) فالكم تستطلبون
به على الناس وكيف تراون
فيه (وما تفقوا من خير
يوف اليكم وانتم لاتطلبون)
ايستبركم فيه نصيب فلا
تفقوا الاعلى انفسكم فى
الحقيقة لاعلى غيركم فلا
يقص به شىء منكم فلكم
تفقدون الخيـث بالاتفاق
منه فلاتنها مصروفة

والجبال فقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما امر ان يجعل كل طائر اربعة اجزاء وان يجعلها
على اربعة اجبل على كل جبل ربعا من كل طائر قيل جبل على جهة الشرق وجبل على جهة الغرب
وجبل على جهة الشمال وجبل على جهة الجنوب وقيل جزءا سبعة اجزاء ووضعها على سبعة
اجبل وامسك رؤسهم بيده ثم دعاهم فقال تعالى باذن الله تعالى فجعلت كل قطرة من دم طائر
تطير الى انقطرة الاخرى وكل ريشة تطير الى الريشة الاخرى وكل عظم يطير الى العظم الاخر
وكل بضعة تطير الى البضعة الاخرى وابرهم ينظر حتى لقيت كل جثة بعضها ببعض فى السماء بغير
رؤس ثم اقبلن سعيان الى رؤسهم كلا جاء طائر قال برأسه فان كان رأسه دنانمه وان لم يكن
تأخر عنه حتى التقى كل طائر برأسه فذلك قوله تعالى (ثم ادعهم بأعينك سعيان) وقيل المراد
بالسعي الاسراع والدنو وقيل المثنى والحكمة فى سعى الطيور اليه دون الطيران لان ذلك
ابعد من الشبهة لانها لو طارت لتوهم متوهم انها غير تلك الطيور وان ارجلها غير سليمة ففى الله
تعالى هذه الشبهة بقوله بأعينك سعيان وقيل المراد بالسعي المثنى والمراد بالمثنى الطيران وفيه ضعف
لانه لا يقال للطائر اذا طار سعى وقيل السعى هو الحركة الشديدة (واعلم ان الله عز وجل) بنى انه
تعالى غالب على جميع الاشياء لا يهزمه شىء (حكيم) يعنى فى جميع اموره * قوله عز وجل
(مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله) قيل اراد به الاتفاق فى الجهاد وقيل هو الاتفاق
فى جميع ابواب الخير ووجوه البر فيدخل فيه الواجب والتطوع وفيه اختيار تقديره مثل صدقات
الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله (كمثل حبة) اى كمثل زارع حبة (انبت) يعنى اخرجت
تلك الحبة (سبع سنابل) جمع سنبله (فى كل سنبله مائة حبة) فان قلت فهل رأيت سنبله
فيها مائة حبة حتى يضرب المثل بها قلت ذلك غير مستحيل ومالا يكون مستحيلا فضرب المثل
به جائز وان لم يوجد والمعنى فى كل سنبله مائة حبة ان جعل الله ذلك فيها وقبل هو موجود
فى الدخن وقبل ان المقصود من الآية انه اذا علم الانسان الطالب للزيادة والريح ان اذا بدر
حبة واحدة اخرجت له سبع مائة حبة ما كان ينبغي له ترك ذلك ولا التفسير فيه فكذلك
ينبغي لمن طلب الاجر عند الله فى الآخرة ان لا يترك الاتفاق فى سبيل الله اذا علم انه يحصل له
بالواحد عشرة ومائة وسبع مائة (والله يضاعف لمن يشاء) يعنى انه تعالى يضاعف هذه
المضاعفة لمن يشاء وقيل مضاعف مضاعف على هذا ويزيد لمن يشاء من سبع الى سبعين الى
سبع مائة الى ما يشاء من الاضاف مما لا يعلم الا الله (والله واسع) اى غنى يعطى القنى عن
سعة وقيل واسع اقـدرة على المجازاة على الجواد والافضل (حلیم) يعنى بنية من ينفق
فى سبيله وقبل عليم بمقدار الاتفاق وبما يستحق المنفق من الجزاء والثواب عليه * قوله عز وجل
(الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله) قيل نزلت فى عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف
اما عثمان فجهاز المسلمين فى غزوة تبوك باف بصر باقتلها واحلاسها فنزلت هذه الآية وقال عبد
الرحمن بن سمرة جاء عثمان بألف دينار فى جيش العسرة فصبا فى حجر النبي صلى الله عليه وسلم
فرايته يدخل يده فيها ويقلبها ويقول ماض عثمان ماعل بعد اليوم فانزل الله الذين ينفقون
اموالهم فى سبيل الله واما عبد الرحمن فجاء باربعة آلاف درهم صدقة الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال كان حدى ثمانية آلاف فامسكت لفسى ولما بالى اربعة آلاف واربعة آلاف

اخرجتها لربي عز وجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما امسكت وفيما اعطيت والمعنى الذين يمينون المجاهدين في سبيل الله بالاتفاق عليهم في حوائجهم ومؤنتهم (ثم لا يتبعون ما انفقوا وما ولاذى) أى لا يتبع نفقته التى انفقها بالبن والاذى وهو ان يمن عليه بعطائه فيقول قد اصليتك كذا وكذا فيعده نعمه عليه فيكدرها عليه والاذى هو ان يسيره فيقول كم تسأل وانت فقير ابدا وقد بليت بك وارا حنى الله لك وامثال ذلك والمن في القصة الانعام والمدة العمة الثقيلة يقال من فلان على فلان اذا ائتمله بالنعمة ويكون ذلك بالقول ايضا ومنه قول الشاعر

فنى علينا بالسلام فاما * كلامك يا قوت ودر مظم

ومن المن بالقول ما هو مستقيم بين الناس مثل ان يمن على الانسان بما اعطاه قال عبدالرحمن بن يزيد كان ابي يقول اذا اعطيت رجلا شياً ورأيت ان سلامك ينقل عليه فلا تسل عليه والعرب تمدح بترك المن وكنم العمة وتدم على اظهارها والمن بها قال قائلهم في المدح بترك المن زاد معروفك عدى عطا * انه مدك مستور حقير
تسا ساء كان لم تاته * وهو في العالم مشهور كبير
وقال قائلهم يدم الممان بالعطاء

ايتت قليلا ثم اسرعت ممة * فيك يمون لذا قليل

واما الاذى فهو ما يصل الى الانسان من ضرر بقول او فعل اذا عرفت هذا فتقول المن هو اظهار المعروف الى الناس والمن عليهم به والاذى هو ان يشكو منهم بسبب ما اعطاهم فحرم الله تعالى على عباده المن بالمعروف والاذى فيه وذم فاعله فان قلت قد وصف الله تعالى نفسه بالممان فما الفرق قلت الممان في صفة الله تعالى معناه المتفضل فمن الله افضل على عباده واحسان اليهم فجميع ما هم فيه ممة منه سبحانه وتعالى ومن العباد تعبير وتكدير فظهر الفرق بينهما وقوله تعالى (لهم اجرهم) بمعنى ثوابهم (عند ربهم) بمعنى في الآخرة (ولا خوف عليهم) بمعنى يوم القيامة (ولا هم يخزنون) بمعنى على ما خلقوا من الدنيا (قول معروف) أى كلام حسن ورد جيل على الفقير السائل وقبل عدة حسنة تودعه بها وقيل دعاء صالح تدعوه بظهر القيب (ومغفرة) أى تستر عليه خلته وفقره ولا تهتك ستره وقيل هو ان يتجاوز عن الفقير اذا استطل عليه حاله ورده (خير من صدقة) بمعنى هذا القول المعروف والمغفرة خير من الصدقة التى تدفعها الى الفقير (يتبعها اذى) وهو ان يمدى الفقير الصدقة ويمن عليه بها ويعيره بقوله او يؤذيه بفعل (والله غنى) أى مستغن عن صدقة العباد والقنى الكمال القنى الذى لا يحتاج الى احد وليس كذلك الا الله تعالى (حليم) بمعنى انه تعالى حليم لا يجهل بالعقوبة على من يمن على عباده ويؤذى بصدقته قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم) بمعنى اجور صدقاتكم (بالمن والاذى) بمعنى على السائل الفقير وقال ابن عباس بالمن على الله تعالى والاذى لصاحبها ثم ضرب الله تعالى لذلك مثلا فقال تعالى (كاذى) أى كابطال الذى (ينفق ماله رياء للناس) أى مراآة لهم وسعة ليروا نفقته ويقولوا انه مسمى كريم (ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) بمعنى ان الرياء يبطل الصدقة ولا تكون النفقة مع الرياء

الى الاقسام الثلاثة المذكورة من الانفاق التحذير عن آلتها بتصور غايتها (لفقره) أى اقصدوا بصدقاتكم الفقراء (الذين احصروا) احصرهم المجاهدة (في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض) للفقارة والكسب لاشتغالهم بالله واستغراقهم في الاحوال وصرف اوقاتهم في العبادات (بحسبهم الجاهل اغيىء من التعفف) من السؤال والاستغناء عن الناس (تعرفهم بسيماهم) من صفرة وجوههم ونور جباههم وهيئة سخاتهم انهم عرفاء فقراء اهل الله لا يعرفهم الا الله ومن هو منهم (لا يستلون الناس الخافا) أى الخافا والمراد نفى مسئلة الناس بالكلية كقوله * على لاحب لا يهندى بماره * والمراد نفى المنار والاهتداء جيبا او نفى الخاف وايات التعطف في المسئلة (وما تفقوا من خير) على أى من انفقتم غنيا كان او فقيرا (فان الله به عليم) أى بان ذلك الاتفاق له اوله وبعده فيجارى بحسبه (الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عدرهم

من فضل المؤمنين ليتمكن من فعل المنافقين لان الكافر ملئن بكفره غير مرأبه (فثله)
 اى مثل هذا المرائى بصدقة وسائر اعماله (كمثل صفوان) هو الجمر الاملس الصلب
 وهو واحد وجمع فن جعله جما قال واحد صفوانة ومن جعله واحدا قال جمعه صفى
 (عليه تراب) اى على ذلك الصفوان تراب (فاصابه وابل) بنى المطر الشديد
 العظيم القطر (فتركه صلدا) بنى ترك المطر ذلك الصفوان صلدا املى لاشئ عليه من ذلك
 التراب فهذا مثل ضربه الله تعالى لنفقة المنافق والمرائى والمؤمن المنافق بصدقة يؤذى الناس يرى الناس
 ان لهؤلاء اعلا في الظاهر كما يرى التراب على الصفوان فاذا جاء المطر اذهب وازاله وكذلك حال
 هؤلاء يوم القيامة تبطل اعمالهم وتضمحل لانها لم تكن لله تعالى كما اذهب الوابل ما على الصفوان من
 التراب (لا يقدررون على شئ مما كسبوا) اى لا يقدررون على ثواب شئ مما عملوا في الدنيا (والله
 لا يهدي القوم الكافرين) يعنى الذين سبق في علمه انهم يموتون على الكفر روى البغوى بسنده
 عن محمود بن لبيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما اخوف ما اخاف عليكم الشرك
 الاصفر قالوا يا رسول الله واما الشرك الاصفر قال الربا يقال لهم يوم تبحازى العباد باعمالهم
 اذهبوا الى الذين كتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء (م) عن ابي هريرة
 قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك
 من عمل عملا اشرك فيه محى غيرى تركته وشركه قوله عز وجل (ومن الذين ينفقون
 اموالهم ابتغاء مرضات الله) اى طلب رضا الله (وتبتينا من انفسهم) يعنى على الاتفاق في
 طاعة الله تعالى وتصديقا بثوابه وقيل معناه ان انفسهم موقفة مصدقة بوعد الله اياها فيما
 اتفقت وقبل احسانا وقيل تصديقا والمعنى انهم يخرجون زكاة اموالهم وينفقون اموالهم
 في سائر وجوه البر والطاعات طيبة انفسهم بما اتفقوا على يقين بواب الله وتصديق بوعد
 يعلمون ان ما اتفقوا خبر لهم بما تركوا وقيل معناه على يقين باخلاف الله عليهم وقيل معناه
 انهم يتشبّهون في الموضع الذى ينعمون فيه صدقاتهم قبل كان الرجل اذاهم بصدقة ثبت فان
 كانت لله خالصة امضاها وان خالطه شك اوربا امسك (كمثل جنة) اى بستان قال الفراء
 اذا كان في البستان نخل فهو جنة وان كان فيه كرم فهو فردوس (بروة) هى المكان
 المرتفع من الارض المستوى لان ما ارتفع من الارض عن مسيل الماء والودية كان ثمرها احسن
 وازكى اذا كان لها من الماء ما يروىها وقيل هى الارض المستوية الجيدة الطيبة اذا اصابتها المطر
 اتفتحت وربت فاذا كانت الارض بهذه الصفة كثرت ريعها وحلت اشجارها (اصابتها وابل)
 وهو المطر الكثير الشديد قال بعضهم

ماروضة من رياض الحزن مشبة * خضراء جاد عليها وابل هطل

اراد بالحزن ما غلظ وارتفع من الارض (فآتت اكاهما ضعفين) اى فاعطت ثمرتها مثلين قيل
 انها حلت في سنة من الربيع ما يحمله غيرها في سنتين وقبل اضعف فصلمت في السنة مرتين (فان
 لم يصيبها وابل فطل) اى طش وهو المطر الخفيف الضعيف والمعنى ان لم يكن اصابتها وابل واصابتها
 طل فذلك حال هذه الجنة في تضاعف ثمرها فلما لاتقص بالطل عن مقدار ثمرها بالوابل وهذا
 مثل ضربه الله تعالى لعمل المؤمن الخالص في اتقائه وسائر اعماله يقول الله تعالى كان هذه امة

ولا خوف عليهم ولا هم
 يحزنون (عم الاتفاق اولا
 وثانيا بحسب الاوقات
 والاحوال ليعلم انه لا يتفاوت
 بها بل بالقصد والنية (الذين
 يأكلون الربوا لا يقومون
 الا كما يقوم الذى يقطعه
 الشيطان من المس) اكل الربا
 اسوا حالا من جميع مرتكبي
 الكبائر فان كل مكنتسب له
 توكل ما في كسبه قليلا كان
 او كثيرا كالتاجر والزارع
 والمخترع اذ لم يمينوا الرزاقهم
 بقولهم ولم تعين لهم قبل
 الاكتساب فهم على غير
 معلوم في الحقيقة كما قال
 رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ابنى الله ان يرزق
 المؤمن الامن حيث لا يعلم
 واما اكل الربا فقد عين
 على آخذه مكسبه ورزقه
 سواء ربح الآخذ او خسر
 فهو محبوب عن ربه بنفسه
 وعن رزقه بتعيينه لا توكل
 له اصلا فوكاله الله تعالى
 الى نفسه وعقله واخرجه
 من حفظه وكلامه فاحتفظه
 الجن وخلته فيقوم يوم
 القيامة ولا رابطة بينه
 وبين الله كسائر الناس
 المرتطين به بالتوكل
 فيكون كالمصروع الذى
 مسه الشيطان يقطعه

لا يمتدى الى مقصد (ذلك)
 بانهم قالوا انما البيع مثل
 الربوا واحل الله البيع
 وحرم الربوا فمن جاءه
 موعظة من ربه فانتهى فله
 ما سلف وامره الى الله
 ومن عاد فأتك أصحاب
 الارهم فيها خالدون)
 اى ذلك بسبب احتياجهم
 بقياسهم واول من اس
 ابليس فيكونون من اصحابه
 مطرودين مثله (يمحق الله
 الربوا ويربى الصدقات)
 وان كان زيادة في الظاهر
 (ويربى الصدقات) وان
 كان نقصانا في الشاهد
 لان الزيادة والنقصان
 انما يكونان باعتبار العاقبة
 والرفع في الدارين والمسال
 الحاصل من الربا لابركة
 له لانه حصل من مخالفة
 الحق فتكون عاقبته وخيمة
 وصاحبه يرتكب سائر
 المعاصي اذ كل طعام يولد
 في اكله دواعى وافصلا
 من جنسه فان كان حراما
 مدهوه الى افعال محرمة
 وان كان مكروهها قال
 افعال مكروهة وان كان
 مباحا قال مباحة وان كان
 من طعام الفضل قال

تربح وتزكو في كل حال ولا تخلف سواء كان المطر قليلا او كثيرا فكذلك يضعف الله صدقة
 المؤمن المخلص في صدقة وانفاقه الذي لا يمن ولا يؤذى سواء قلت نفقته او كثرت (والله
 بما تعملون بصير) يعنى انه تعالى لا تمنى عليه نفقة المخلص في صدقة الذي لا يمن بها ولا يؤذى
 والذي يمن بصدقة ويؤذى قوله عز وجل (ايودا حاكم ان تكون له الجنة من نخل واعناب)
 هذه متصلة بما قبلها وهو قوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم باليمن والاذى ايود يعنى يحب احداكم
 ان تكون له جنة اى يستأن من نخل واعناب انما خصهما بالذكر لانهما اشرف الفواكه
 واحسنهما ولما فيهما من الغذاء والنفكة (تجرى من تحتها الانهار) يعنى ان جرى الانهار فيها
 من تمام حسنهما وسبب لزيادة ثمرها (له فيها من كل الثمرات) لان ذلك من تمام كمال البستان
 وحسنه (واصابه الكبر) يعنى صاحب هذه الجنة كثرت جنات حاجاته ولم يكن له كسب
 غيرها فحينئذ يكون في غاية الاحتياج الى تلك الجنة فان قلت كيف عطف واصابه الكبر على ايود
 وكيف يجوز عطف الماضي على المستقبل قلت فيه وجهان احدهما ان يكون له جنة حال ما صابه
 الكبر والوجه الثاني انه عطف على المعنى فكأنه قيل ايود احداكم لو كانت له جنة واصابه الكبر
 (وله ذرية ضعفاء) يعنى له اولاد صغار عجزت عن الحركة بسبب الضعف والصغر (فاصابها)
 يعنى اصاب تلك الجنة (اعصار فيه نار فاحترقت) الاعصار ريح ترتفع الى السماء وتستدير ركانها
 عموذ وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المنافق والمرائي يقول مثل عمل المنافق والمرائي بعمله في
 حسنه كحسن جنة ينفع بها صاحبها فلما كبر وضعف وصار له اولاد ضعفاء اصاب جنته
 اعصار فيه نار فاحرقها وهو احوج ما يكون اليها فحصل في قلبه من القم والحسرة ما لا يملحه
 الا الله تعالى لكبره وضعفه وضعف اولاده فهو لا يجد ما يعود به على اولاده وهم لا يجدون
 ما يعودون به عليه فبقوا جعيا متحيرين عجزا لاحيلة بايديهم فكذلك حال من اتى يوم القيامة
 باعمال حسنة ولم يقصد بها وجه الله تعالى في مالها الله تعالى وهو في غاية الحاجة اليها حين لا يستعقب
 له ولا توبة وقال عيسى بن مريم قال عر يوما لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فين ترون
 نزلت هذه الآية ايود احداكم قالوا الله اعظم فغضب عر وقال قولوا نعم لان نعم فقال ابن عباس
 في نفسي منها شئ يا امير المؤمنين فقال عر قل يا ابن اخي ولا تحقر نفسك فقال ضرب الله مثلا
 لعمل قال لاى عمل قال لرجل غنى يعمل بطاعة الله ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى
 احرق امواله كلها (كذلك بين الله لكم الآيات) يعنى كما بين الله تعالى لكم امر النفقة المقبولة
 وغير المقبولة كذلك بين الله لكم من الآيات سوى ذلك (لعلكم تفكرون) اى فتعظوا
 وقال ابن عباس لعلكم تفكرون يعنى في زوال الدنيا واقبال الآخرة قوله عز وجل
 (يا ايها الذين آمنوا انفقوا من ثياب ما كسبتم) اى من خيار ما كسبتم وجيده وقيل
 من حلال ما كسبتم بالتجارة والصناعة وفيه دليل على اباحة الكسب وانه ينقسم الى طيب
 وخبيث عن خولة الانصارية قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا
 المال خضر حلو من اصابه بحق بور لئه فيه ورب متخوض فيماتت نفسه من مال الله ورسوله
 ليس له يوم القيامة الا النار اخرجه انتمذى المتخوض الذى يأخذ المال من غير وجهه كما يخوض
 الانسان في الماء عينا وشمالا (خ) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى على

الناس زمان لا يبالى المرء ما اخذ منه من حلال ام من حرام (خ) عن المقدم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما كل احد طعاما قط خيرا من ان يأكل من عمل يده وان نجا الله داود كان يأكل من عمل يده عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الطيب ما اكتمت من كسبكم وان اولادكم من كسبكم اخرجه الترمذى والنسائى واختلفوا في المراد بقوله تعالى انفقوا قليل المراد به الزكاة المفروضة لان الامر للوجوب والزكاة واجبة فوجب صرف الآية اليها وقيل المراد به صدقة التطوع وقيل انه يتناول الفرض والتفل جميعا لان المفهوم من هذا الامر ترجيح جانب القفل على الترك وهذا المفهوم قدر مشترك بين الفرض والتفل فوجب ان يدخل تحت هذا الامر فعل القول الاول ان المراد من هذا الاتفاق هو الزكاة يتفرع عليه مسائل **المسئلة الاولى** ظاهر الآية يدل على وجوب الزكاة في كل مال يكتسبه الانسان فيدخل فيه زكاة الذهب والفضة والتم وعروض التجارة لان ذلك يوصف بانه مكتسب وذهب جمهور العلماء الى وجوب الزكاة في مال التجارة وقال داود الظاهري لا تجب الزكاة بحكم التجارة في العروض الا ان ينوى به التجارة في حال تملكه ودليل الجمهور ما روى عن سمرة بن جندب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا باخراج الصدقة من الذى يعد للبيع اخرجه ابو داود وعن ابى عروب بن خاس ان اباهم قال مررت بعمر بن الخطاب وعلى عنى اداة احلها فقال عمر الاتؤدى زكائك يا خاس فقلت مالى غير هذا واهب في القرط قال ذلك مال فضع فوضها فحسبها فاخذ منها الزكاة فاذا حال الحول من عروض التجارة قوم فان بلغ قيمته عشرين دينارا او مائتى درهم اخرج منه ربع العشر **المسئلة الثانية** في قوله تعالى (ومما اخرجنالك من الارض) ظاهر الآية يدل على وجوب الزكاة في كل ما يخرج من الارض من النبات مما يزرع الادبيون لكن جمهور العلماء خصصوا هذا العموم فاوجبوا الزكاة في التخييل والكروم وفيما يقتات ويدخر من الحبوب وواجب ابو حنيفة الزكاة في كل ما يقصد من نبات الارض كالقواكه والبقول والخضر والفاكهة والطبخ والقتاء والخيار ونحو ذلك دليل الجمهور ما روى عن معاذ انه كتب الى النبی صلى الله عليه وسلم يسأله عن الخضر اوات وهى البقول فقال ليس فيها شئ اخرجه الترمذى وقال هذا الحديث ليس بصحيح وليس يصح عن النبی صلى الله عليه وسلم في هذا الباب شئ وانما يروى هذا عن موسى بن طلحة عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسل والعمل على هذا عند اهل العلم انه ليس في الخضر اوات صدقة قلت وحديث موسى بن طلحة اخرجه الشيخ مجيد الدين ابو البركات عبد السلام بن عبدالله بن تيمية الحراني في احكامه عن عطاء بن السائب قال اراد عبدالله بن المغيرة ان يأخذ من ارض موسى بن طلحة من الخضر اوات صدقة فقال له موسى بن طلحة ليس ذلك لك ان رسول الله الى الله عليه وسلم كان يقول ليس في ذلك صدقة رواء الاثم في سنته وهو اقوى المراسيل لاجتماع من ارسله به وقال الزهري والاوزاعي ومالك تجب الزكاة في الزيتون وتجب في الثمار عند بدو الصلاح وهو ان يحمر البسر ويصفرو وتخرج الاخراج بعد الاجتماع والجفاف وفي الحبوب عند الاشتداد وتخرج الاخراج بعد الدراس والتصنيف **المسئلة الثالثة** يجب اخراج العشر فياسق بالطر والانهار والعيون ونصف العشر فياسق بنضح او سانية ويدل على ذلك ما روى عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فيما سقت السماء والعيون

مندوبات وكان في افضاله متبرعا متفضلا وان كان بقدر الواجب من الحقوق فافضاله تكون واجبة ضرورية وان كان من الفضول والحفظ فافضاله تكون كذلك فليبه اثم الربا وآثار افضاله المحرمة المتولدة من اكله على ما ورد في الحديث الذنب الذنب بعد الذنب عقوبة للذنب الاول فتزداد عقوباته وآثامه ابدًا ويتلف الله ماله في الدنيا فلا ينفع به عقابه واولاده فيكون ممن خسر الدنيا والآخرة وذلك هو الحق المكيلى واما المتصدق فلكون ماله منى تبارك الله في ثمره مع حفظ الاصل وآكاه لا يكون الا مطبعا في افضاله ويبقى ماله في اعقابه واولاده متفعبا وذلك هو الزيادة في الحقيقة ولو لم تكن زيادته الا ما صرف في طاعة الله لكفى به زيادة واي زيادة افضل مما سبق عند الله ولو لم يكن نقصان الربا الاحصولة من مخالفة الله وارتكاب نهيه لكفى به نقصانا واي نقصان الخش ما يكون سبب حجاب

صاحبه وعذابه ونقصان
حظه عند الله (والله لا يحب
كل كفار تيم ان الذين آمنوا
وعملوا الصالحات واثابوا
الصلاة وآتوا الزكاة لهم
اجرهم عند ربهم ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
وذروا ما سبق من الربوا
ان كنتم مؤمنين فان لم
تفعلوا فاذنوا بحرب من
الله ورسوله وان تبتم فلكنم
رؤس اموالكم لا تظلمون و
لا تظلمون وان كان ذو عسرة
نظرة الايسرة وان تصدقوا
خير لكم ان كنتم تعلمون
واتقوا يوما ترجعون فيه
الى الله ثم توفي كل نفس
ما كسبت وهم لا يظلمون
يا أيها الذين آمنوا اذا
ندائتم بدین الى اجل مسمى
فاكتبوه وليكتب بينكم
كاتب بالعدل ولا ياب كاتب
ان يكتب كما علمه الله
فليكتب ولجلل الذي عليه
الحق ولينق الله ربه ولا
يخس منه شياً فان كان
الذي عليه الحق سفيها
او ضعيفا او لا يستطيع ان
يعمل هو فليجل وليه بالعدل
واشهدوا شهدين من
رجالكم فان لم يكونا رجلين

او كان هربا العشر وماسق بالنضج نصف العشر اخرججه البخاري ولا يداود والنسائي قال
فيما سقت السماء والانهار والعيون او كان بطلا العشر وماسق بالسواني والنضج نصف العشر
قال ابوداود البعل ما شرب بعروقه ولم يتعن في سقيه وقال وكيع هو الذي يبت من ماء السماء
قوله او كان هربا اراد به القوى من الزرع وهو البعل وقد فسره في لفظ الحديث والنضج
هو الاستسقاء وكذلك السانية وهي الدابة التي يسقى عليها سواء كانت من الابل او البقر ولا يجب
العشر في الثمار والزروع حتى تبلغ خسة اوسق والوسق ستون صاعا وقال ابو حنيفة يجب العشر
في كل قليل او كثير من الثمار والزروع واحتج الجمهور في ايجاب النصاب بما روى عن ابي
سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس فيما دون خسة اوسق صدقة وليس فيما دون
خسة اواق صدقة وليس فيما دون خسة ذود صدقة وفي رواية ليس فيما دون خسة اوساق
من تمر او حب صدقة اخرجاه في الصحيحين ومن قال ان المراد بقوله تعالى انفقوا من طيبات
ما كسبتم وما اخرجنا لكم من الارض صدقة التطوع احتج بما روى عن انس بن مالك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يفرس غرسا او يزرع زراعا فكل منه طيرا و انسان او بهيمة
الا كان له به صدقة اخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى (ولا تيمموا الخبيث) اي ولا تقصدوا
الخبيث يعني الردي من اموالكم (منه تنفقون) اي من الخبيث عن البراء بن عازب في قوله
تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال زلت فينا عشر الانصار كما اصحاب نخل فكان الرجل ياتي
من نخله على قدر كثرته وقلته وكان الرجل ياتي بالقنوق والقنوين فيعلقه في المسجد وكان اهل
الصفة ليس لهم طعام فكان احدهم اذا جاع اتى القنوق فصر به بعصاه فسقط البسر او التمر فأتى كل وكان
ناس ممن لا يرغب في الخير ياتي بالقنوق به الشيب والحشف والقنوق قد انكسر فيعلقه فانزل الله
تعالى يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم وما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث
منه تنفقون ولستم بأخذية الا ان تمضوا فيه قال لوان احدكم اهدى اليه مثل ما اعطى لم يأخذه
الا على اغراض وحيا قال فكنا بعد ذلك ياتي احدنا بصالح ما عنده اخرججه الترمذي وقال هذا
حديث حسن صحيح غريب وقيل كانوا يتصدقون بشرايرهم ويزالة اموالهم ويزلون
الجيد لانفسهم فانزل الله تعالى ولا تيمموا الخبيث يعني الردي منه تنفقون يعني تصدقون
(ولستم بأخذية) يعني ذلك الشيء الخبيث الردي (الا ان تمضوا فيه) الاغراض في الغنة
غرض البصر والطباق الجنين والمراد به هنا النجوس والمساهلة وذلك ان الانسان اذا راى ما يكره
اغض عليه لئلا يرى ذلك قال ابن عباس معناه لو ان لاحدكم على رجل حقا فجاءه بهذا لم يأخذه
الا وهو يرى انه قد اغض عن حقه وتركه وقال البراء هو لو اهدى ذلك ما اخذتموه الاستحياء
من صاحبه وغيظ فكيف ترضون لما لا ترضون لانفسكم اذا كان المال كله جيدا فليس له اعطاء
الردي لان اهل السهم ان شركاء به فيما عنده وان كان كله رديا فلا بأس باعطاء الردي (واعطوا
ان الله غني) يعني عن صدقاتكم لم يأمركم بالتصدق لموزوا احتياجا اليها (جيد) اي محمود وفي افضاله
وقيل جيد بمعنى حامداى اجركم على ما تظلمونه من الخير وقوله عز وجل (الشیطان يمدكم
الفقر) اي يخوفكم فقر يقال وعدته خيرا ووعدته شرا واذا لم يذكر الخير والشر يقال في الخير
وعدته والفقر سوء الحال وقلة ذات اليد اصله من كسر فقر الطير ومعنى الآية ان الشيطان

فرجل وامرأتان ممن
ترضون من الشهداء ان
تضل احدهما فتذكر
احدهما الاخرى ولا يأت
الشهداء اذا مادعوا
ولا تنسأوا ان تكسبوه
سغيرا وكبرا الى احله ذلكم
اقسط عدالله واقوم
بالهداة وادى الارتابوا
الا ان تكون تجارة حاضرة
تدرونها بكم فليس
عليكم حياح الا بكتوبها
واشهدوا اذا تبيعتم
ولا نصار كاتب ولا شهيد
وان تفتلوا فاه فسوق
كم واتقوا الله وعلكم
الله والله بكل شئ عليم
وان كنتم على سمر ولم
تجدوا كتابا فهاهنا موضة
فان امن بهنكم بعضا
فايؤدالدى ائمن امامه
وليقي الله ربه ولا تكتبوا
الشهادة ومن يكنها فاه
آثم قلبه والله بما تعملون
عليم (اي آكل الربا كفار
ائمن بفعله والله لا يحب
من كان كذلك (لله ما فى
السموات) اى فى العالم
الروحانى كله بواطه
وصفاته واستار غيوبه
ودفائن جوده (وما فى
الارض) اى فى العالم
الجماعى كله فلو اهره

يخوفكم بالفقر ويخوفكم بالجل امسك عليك مالك فانك اذا تصدقت افتقرت (وبأمركم بالفحشاء)
يعنى يوسوس لكم ويحسن لكم البخل ومنع الزكاة والصدقة قال الكلبي كل غشاء فى القرآن
فيه الزنا الا هذا الموضع وفى هذا الآية لطيفة وهى ان الشيطان يخوف الرجل اولا بالفقر ثم
يتوصل بهذا الخوف الى ان يأمره بالفحشاء وهى البخل وذلك لان الخيل على صفة مذمومة
عند كل احد فلا يستطيع الشيطان ان يحسن له البخل الا بتلك المقدمة وهى الخوف من الفقر
فلهذا قال تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء (والله يعدكم مغفرة منه) يعنى مغفرة
لذنوبكم وسرالكهم (فضلا) يعنى رزقا وخلفا فالمغفرة اشارة الى منافع الآخرة والفضل اشارة الى
الدنيا وما يحصل من الرزق والخلف عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للشيطان
بأبن آدم وللملك فاملة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق وامالة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق
فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله تعالى فليحمد الله ومن وجد الاخرى فلينعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ
الشيطان يعدكم بالفقر ويأمركم بالفحشاء اخرج به الترمذى وقال هذا حديث حسن غريب قوله ان
لشيطان لمه بأبن آدم الهمة الخطرة الواحدة من الامم وهو القرب من الشئ والمراد به الهمة التى
تقع فى القلب من فعل خير او شر والعزم فاملة الشيطان فوسوسة وامالة الملك فالهام من الله تعالى
(والله واسع) اى غنى قادر على اغناكم واخلاف ما تفقون (عليم) يعنى ما تفقونه لا تخفى
عليه خافية (ق) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم يصبح فيه العباد
الا ومكان ينزلان يقول احدهما لله اعطى منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم اعطى ممسكا ثلثا (ق)
عن ابي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى انفق ينفق عليك
وفى رواية يد الله ملائى لا تنفيها نفقة سماء الليل والنهار وقال ارايتم ما خلق السموات
والارض فاه لم يفض ما فى يده وفى رواية ويده الاخرى الفيض والقض يرفع ويخفض (ق)
عن اسماء بنت ابي بكر الصديق قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انفق ولا تنصى فيحصى
عليك ولا توى فيوى عليك قوله ولا توى اى لا تنصى فيشع الله عليك اى فيجازيك ثالثة تير فى ررك
ولا يخاف عليه ولا يبارك لك والمعنى لا تجمى وتسمى بل انفق ولا تسمى ولا تنصى * قوله عز وجل
(يؤتى الحكمة من يشاء) قال ابن عباس هى علم القرآن ناسحه ومنسوخه ومحكمه ومنشاه
ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وقال الضحاك القرآن والفهم فيه وانما قال ذلك لتحسين
القرآن الحكمة وقال فى القرآن مائة وتسع آيات ناسحة ومنسوخة والفاية حلال وحرام
لا يسمع المؤمنين تركهن حتى يملوهن ولا يكونوا كاهل النهر وان يعنى الخوارج ولوا أن من
القرآن فى اهل القبلة وانما نزلت فى اهل الكتاب فجهلوا علمها فسكوا بها الدماء وانها الاوال
وشهدوا على اهل السنة بالضلالة فليكن علم القرآن فاه من علمهم نزل لم يختلف فى شئ منه وقيل
هى القرآن والعلم والفقه وقيل هى الاصابة فى القول والفعل وحاصل هذا الاقوال الى شين العلم
والاصابة فيه ومعرفة الاشياء بذواتها واصل الحكمة المنع ومنه حكمة الدابة لانها تها قال الشاعر
ابن حنيفة احكموا سفهاءكم اى امنوا سفهاءكم وقال السدى الحكمة الورع فى دين الله لان
الورع يمنع صاحبه من ان يقع فى الحرام او ما لا يجوز له فعله (ومن يؤت الحكمة) يعنى
ومن يؤت الله الحكمة (فقد اوتى خيرا كثيرا) تكبير تعظيم معناه فقد اوتى اى خير كثير (وما يذكر

واسماؤه واضاله تشهد
 العالمين وهو على كل شيء
 شهيد (وان تبدوا ما في
 انفسكم او تخفوه بحاسبكم
 به الله) يشهده باسمائه
 وظواهره فيعلمه وبحاسبكم
 به وان تخفوه يشهده
 بصفاته وبواطه فيعلمه
 وبحاسبكم به (فيغفر لمن
 يشاء) لثوحيده وقوة
 بقينه وعروض سيئاته
 وعدم رسوخها في ذاته
 فان شئنه مبنية على حكمته
 ويعذب من يشاء) لفساد
 اعتقاده ووجود شكه
 اورسوخ سيئاته في نفسه
 (والله على كل شيء قدير)
 فيقدر على المغفرة والتعذيب
 جميعا (آمن الرسول بما
 انزل اليه من ربه) صدقه
 بقبوله والتخلق به كما قالت
 عائشة كان خلفه القرآن
 والترقي بمعانيه والتحقيق
 (والمؤمنون كل آمن بالله)
 وحده جميعا (ولا تكتنه
 وكتبه ورسله) اي وحده
 تفصيلا عند الاستقامة
 مشاهد الوحده في صورة
 تلك الكثرة معطيا لكل
 نجل من تجلياته في مظهر
 من مظاهر حكمه (لا تفرق
 بين احد من رسله) اي
 يقولون لا تفرق بينهم

الاولوالالباب) اي وما يتعظ بما وعظ الله الاذوا والعقول الذين حقلوا عن الله امره ونهيه
 * قوله عز وجل (وما انفقم من نفقة) يعني فيما فرضه الله عليكم من اعطاء زكاة وغيرها
 (او نذرتم من نذر) يعني به ما وجبتموه على انفسكم في طاعة الله فوقيته والتسدران
 يوجب الانسان على نفسه شيئا ليس بواجب يقال نذرت الله نذرا واصله من الخوف لان
 الانسان انما يبعد على نفسه ان يذير من خوف التقصير في الامر المهم والنذر في الشرع على ضربين
 مفسر وغير مفسر فالمفسر ان يقول الله على صوم او حج او عتي او صدقة فيلزمه الوفاء به
 ولا يجزيه غيره وغير المفسر هو ان يقول نذرت الله لا افعل كذا ثم يفعله او يقول الله على نذر
 من غير نسبة شيء فيلزمه فيه كفارة يعين (خ) عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقول من نذر ان يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصى الله فلا يعصه عن
 ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نذر ان لا يمسسه فكفارته
 كفارة يعين ومن نذر ان لا يمسسه فكفارته كفارة يعين ومن نذر ان لا يطيقه فكفارته
 كفارة يعين ومن نذر ان لا يطيقه فكفارة فليف به اخرج ابو داود عن عمران بن حصين قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نذر في معصية ولا فيما لا يملك ابن آدم اخرجناه الناسي (ق) عن
 ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن النذر وقال انه لا يأتي بخير وانما يستخرج
 به من البخل (م) عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان النذر لا يقرب من ابن
 آدم شيئا لم يكن الله قدره له ولكن النذر يوافق القدر فيخرج بذلك من البخل ما لم يكن البخل
 يريد ان يخرج قال بعض العلماء يحتمل ان يكون سبب النهي عن النذر كون الناذر يصير ملتزما
 ما لا يأتي به تكلفا من غير نشاط او يكون سببه كونه يأتي به على سبيل المعاضدة عن الامر
 الذي يطلبه فيقص اجره وشأن العبادة ان تكون متحصنة لله تعالى وقال بعضهم يحتمل ان
 يكون النهي لكونه قد يظن بعض الجهلة ان النذر يرد القدر او يمنع من حصول المقدور فنهى
 عنه خوفا من اعتقاد ذلك وسياق الحديث يؤكد هذا وقوله في بعض روايات الحديث انه لا يأتي
 بخير معناه انه لا يرد شيئا من القدر وقوله فيخرج بذلك من البخل ما لم يكن البخل يريد ان يخرج
 معناه انه لا يأتي بهذه القرينة تطوعا محضاً مبتدأ وانما يأتي بها في مقابلة شيء يريد كقوله ان
 شئني الله مريض فله على كذا ونحو ذلك مما يحصل بالنذر والله اعلم * وقوله تعالى (فان الله
 يعلمه) اي يعلم ما انفقم ونذرتم فيما نزيكم به وانما قال يعلم ولم يقل يعلمها لانه رد الضمير على
 الآخر مهما فهو كقوله ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا وقيل ان الكناية عادت على
 ما في قوله وما انفقم لانها اسم فهو كقوله وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ولم
 يقل لهما (وما للظالمين) يعني الواضعين الصدقة في غير موضعها وقيل الذين يريدون بصدقاتهم
 الرياء والسعنة وقيل هم الذين يتصدقون بالمال الحرام (من انصار) اي من اعوان يدفعون
 عنهم هذا الله تعالى ففيه وعيد عظيم لكل ظالم * قوله عز وجل (ان تبدوا الصدقات) اي
 تظهروا الصدقات والصدقة ما يخرج به الانسان من ماله على وجه القرية فيدخل فيه الزكاة
 الواجبة وصدقة التطوع (فتعماي) اي فتمت الخصلة هي وقيل فتم الشيء هي وقيل معناه
 فتم شيئا ابداء الصدقات (وان تخفوها) اي تسروا الصدقة (وتؤتوها الفقراء) اي وتسطوها

برد بعض وقبول بعض
ولانشك في كونهم على
الحق وبالحق لشهود
التوحيد ومشاهدة الحق
فيهم بالحق (وقالوا سمعنا
واطعنا) اى اجبنا ربنا في
كتبه ورسله ونزول
ملائكته واستقما في سيرنا
(غفرانك ربنا) اى اغفر لنا
وجوداتنا وصفاتنا واعمالنا
وجودك ووجود صفاتك
(واليك المصير) بالقضاء
فيك (لا يكلف الله نفسا
الا وسعها) لا يحملها الا ما
يسمعه ولا يضيق به طوقها
واستعدادها من القبلات
فان حمل كل احد من
الكشوف والجهليات
ما يطبق به وعاء استعداده
الموهوب له في الازل
من القبيض الاقدس ولا
يضيق عليه (لهما ما كسبت
وعليهما ما اكسبت)
من الخيرات والصلوم
والكمالات والكشوف
على اى وجه سواء كانت
بقصدتها او لا بقصدتها فانها
من عالم البور فالخيرات
كلها ذاتية لها ترجع فائتها
اليها دون الشرور
من الجبالات والرفائل
والعاصي والذائعي فانها
امور ظلية غريبة عن

الغفراء في السر (فهو خير لكم) يعنى اخفاء الصدقة افضل من العلانية وكل مقبول اذا كانت التوبة
صادقة واختلفوا في المراد بالصدقة المذكورة في الآية فقال الاكثرون المراد بها صدقة التطوع واتفق
العلماء على ان كثرة صدقة التطوع افضل واخفاؤها خير من اظهارها لان ذلك ابعد من الرياء واقرب
الى الاخلاص ولان فيه بدا اعمال تؤثره النفس من اظهار الصدقة وفي صدقة السر ايضا فائدة ترجع الى
الفقير الآخذ وهي انه اذا اعطى في السر زال عنه الذلل والانكسار واذا اعطى في العلانية يحصل له
الذل والانكسار ويدل على ان صدقة السر افضل ما روى عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
عليه وسلم سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشا في طاعة الله تعالى
ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا في الله تعالى اجتمعا على ذلك
وافترقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من خشية الله ورجل دعت امرأته ذات منصب
وجلال فقال انى اخاف الله ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه اخرجه
في المحبين ووجه جواز اظهار الصدقة يكون بمن قد امن على نفسه من مداخله الرياء في علمه
او يكون بمن يقتدى به في اخفائه فاذا اظهر الصدقة تابعه غيره على ذلك واما الزكاة فاطهار
اخرجهما افضل من كثرتها كالصلاة المكتوبة في الجماعة افضل وصلاة التطوع في البيت افضل
ولكن في اظهار الزكاة نفي التهمة عن المذكي وقيل ان الآية واردة في زكاة المرض وكان
اخفوها خيرا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا لا يظنون باحد انه يجمع الزكاة
فاما اليوم في زماننا فاطهار الزكاة افضل حتى لا يساء الظن به وقيل ان الآية عامة في جميع الصدقات
الواجبة والتطوع والاخفاء افضل في كل صدقة من زكاة وغيرها * وقوله تعالى (ونكفر عسكم
من سيئاتكم) قبل ان من صلة زائدة تقديره ونكفر عسكم سيئاتكم قال ابي عباس جميع سيئاتكم
وقيل ادخل من التبويض ليكون العباد على وجل ولا يتكلموا والمعنى ونكفر عسكم الصغائر من
سيئاتكم واصل التكفير في اللغة التغطية والستر (والله بما تعملون خبير) يعنى من اظهار
الصدقة واخفائها * قوله عز وجل (ليس عليك هداهم) قيل سبب نزول هذه الآية ان ناسا
من المسلمين كان لهم قرايات واصهار في اليهود وكانوا يتبعونهم ويفقون عليهم قبل ان يسلموا
فلا اسلموا كروها ان يتبعوهم وارادوا بذلك ان يسلموا وقيل كانوا يتصدقون على فقراء اهل
المدينة فلا اكثر المسلمون نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التصديق على المشركين كي تحملهم
الحاجة الى الدخول في الاسلام لخرصه صلى الله عليه وسلم على اسلامهم فنزل ليس عليك هداهم
ومعناه ليس عليك هداية من خالك حتى تمنعهم الصدقة لاجل ان يدخلوا في الاسلام حينئذ تصدق
عليهم فاعلم الله تعالى انه انما يحب بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه فاما كونهم مهتدين فليس ذلك
اليك (ولكن الله يهدي من يشاء) يعنى ان الله تعالى يوفق من يشاء فيهديه الى الاسلام واراد
بالهداية هداية اتوفيق واما هداية البيان والدعوة فكانت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما نزلت هذه الآية اعطوهم وتصدقوا عليهم (وما تنفقوا من خير) اى من مال (فلا تنفكوا)
اى ما تنفقوا وتنفقوا به (تنفكوا) وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله (فاعلموا ان الله لا يهدي
القوم الضالين) وقال الزجاج هذا خاص للمؤمنين اعلمهم الله انه قد علم ان مرادهم
بنفقهم ما عنده وقيل معناه ولسم في صدقاتكم على اقاربكم من المشركين تنفقون الا وجه الله

جوهرها فلا نصرها
ولانطق بتعنها بها الا اذا
كانت منجدة اليها متوجهة
بالقصد والاعتقال لتكسبها
ولهذا ورد في الحديث
ان صاحب البين يكتب
كل حسنة تصدر عن صاحبها
في الحال وصاحب الشمال
لا يكتب حتى تمضي عليه
ست ساعات فان استغفر
فيها وتاب او دم لم يكتب
وان اصر كتب والمراد
بالنفسها ما الدات والا
ليكن الامر بالعكس
فيكون حينئذ معاه لا يكلفها
الاما بسعها ويسير لها من
الاعمال دون مدى الجهد
والطاقة وذكر الكسب
في موضع الخير لكونها غير
معتبة به معتلة له والا كساب
في موضع الشر لكونها
منجدة اليه معتلة له بالقصد
لكونها اولى الشر
(ربنا لا تؤاخذنا ان سينا)
عيبك (او اخصاما) في
العمل المسالوا قرآن على
فرائدك متحجبين عك فانا
غريبا بعداء طال العهد
باصافرين عك تمحين
في بطالات بأنواع اللأ
ولا قدر ولا مقدار لما في
حصرتك حتى تؤاخذنا
بدوبنا (ربا ولا يحمل علينا

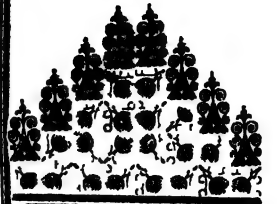
وقد علم الله هذا من قلوبكم فانفقوا عليهم اذا كنتم انما تجشون بذلك وجه الله في صلة الرحم
وسدخلة مضطر قال بعض العلماء لو انفق على شر خلق الله لكانت ثواب نفقتك واجمع العلماء
على انه لا يجوز صرف الزكاة الا الى المسلمين وهم اهل السهمان المذكورون في سورة التوبة ويجوز
ابو حنيفة صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة وحالقه سائر العلماء في ذلك هذا تكون الآية
مختصة بصدقة التطوع اباح الله تعالى ان تصرف فقراء المسلمين وفقراء اهل الذمة فاما زكاة الفرض
فلا يجوز صرفها الى اهل الذمة بحال (وما تنفقوا من خير يوف اليكم) اي يوف لكم جزاؤه
وقال ابن عباس يجازيكم به يوم القيامة ومعاه يؤدي اليكم يوم القيامة ولهذا حسن ادخاله الى
مع التوفية لانها نصبت معي الذميمة (وانهم لا تظنون) اي لا تنقصون شيئا من ثواب اعمالكم
بقوله عز وجل (لفقراء) اختلفوا في موضع اللام في قوله لانقرء قليل هو مردود على موضع
اللام من قوله فلا نفسكم فكانه قال وما تسقوا من خير فلفقراء وانما تنفقون لانفسكم
وقيل معناه الصدقات التي سبق ذكرها للفقراء وقيل حرم محذوف تقديره للفقراء الذين من
صفتهم كذا وكذا حق واحب وهم فقراء المهاجرين كانوا نحو ارسفائة رجل لم يكن لهم
بالمدية مساكن ولا عشاير وكانوا يأوون الى صفة في المسجد يتلون القرآن بالليل ويرضون
الوى بالهار وكانوا يفرحون في كل سرية يسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم اصحاب
الصمة بحال الله تعالى الناس واساتهم فكان من عددهم مسلم انهم به اذا سمعوا وقوله (الذين
احصروا في سبيل الله) يعني هم الذين حبسوا وانفسهم على الجهاد في سبيل الله وقيل حبسوا انفسهم
على طاعة الله (لا يستطيعون ضرا في الارض) يعني لا ينفرغون للتجارة وطلب المعاش والكسب
وهم اهل الصمة الذين تقدم ذكرهم وقيل حبسهم المقر والدم عن الجهاد في سبيل الله وقيل
هم قوم اصابتهم حراشات في الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاروا زمني حصرهم
المرض والامانة عن الصرب في سبيل الله (يحسبهم الجاهل اغنياء من التففف) اي يظن من
لم يختبر حالهم انهم اعياء من التففف وهو تففف من العفة وهي ترك الشيء والكف عنه يقال
تففف اذا ترك السؤال ولرم القناعة والمعنى يظنهم من لم يعرف حالهم اغنياء لانهم اهل العمل
وتركهم المسئلة (تعرفهم بسيماهم) السياء والسياء والسمة العلامة التي يعرف بها الشيء
واختلفوا في معاهاها فقل هي الخسوع والتواضع وقيل هي اثر الجهد من الحاجة والفر
وقيل هي صفة الوانهم من الجوع ورثاء ثلبهم من الضر (لا يسألون الناس الحافا) يعني
الحافا قبل اذا كان عدده غداء لا يسأل عشاء واذا كان عشاء لا يسأل غداء وقبل لا يسألون
الناس اصلا لانه قال يحسبهم الجاهل اغنياء من التففف وهو ترك المسئلة فلم بذلك انهم لا يسألون
النته ولا ند قال تعالى تعرفهم بسيماهم ولو كانت المسئلة من شأنهم لما كانت الى معرفتهم
بالعلامة حاجة فعني الآية ليس يصدر منهم سؤال حتى يقع فيه الحاف فهم لا يسألون الناس
الحافا ولا غير الحاف (ق) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس المسكين
كثرة العرض ولكن التقى غنى النفس (ق) ننه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس المسكين
الذي ترده القيمة والقمندان والتمرة والتمران الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يظن به
فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس لفظ (خ) عن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يأتى الجبل فيأتى بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها خيره من أن يسأل الناس أعطوه أم منعوه عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس وله ما يفتيه جاء يوم القيامة ومسئلته في وجهه خوش او خدوش او كدوح وقيل يا رسول الله ما يفتيه قال خسون درهما او قيمتها من الذهب اخرجه ابو داود والترمذى والنسائى عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل وله قيمة اوقية فقد الحف اخرجه ابو داود وقال زاد هشام في حديثه وكانت الاوقية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعين درهما وفي رواية عطاء بن يسار من سأل منكم وله اوقية او عهد لها بقدر سأل الحظا عن عبد الله بن عروب العاصي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس وله اربعون درهما فهو ملحف اخرجه النسائى (م) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس تكثرا ما يسأل جرا فليسقل اوليئك وقوله تعالى (وماتسقوا من خير فان الله به عليه) يعنى ان الله تعالى يعلم مقادير الاعناق ويحارى عليا فقيه حث على الصدقة الاتفاق واللعاة * قوله عز وجل (الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية) قال ابن عباس في رواية عنه نزلت هذه الآية في علي بن ابي طالب كانت عده اربعة دراهم لا يملك غيرها تصدق بدرهم ليل وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وفي رواية عنه قال لما نزل الفقراء الذين احصروا في سبيل الله تمت عدا الرحمن بن عوف بدماير كثيرة الى اهل الصدقة وبعثت علي بن ابي طالب في الليل بوسق من تمر فاثر الله فيهما الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار بسق بصفة الليل بصفة نهار واثار نفقة عدا الرحمن وفي الآية اشارة الى ان صدقة السرا فصل من صدقة العلانية لا بد تعالى تدم نفقة الليل على نفقة النهار وقدام السرا على العلانية وقيل نزلت الآية في الدين برلمان الحيل للجهاد في سبيل الله لانهم يملكونها بالليل والنهار وفي السرا والعلانية (خ) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احتسب سرا في سبيل الله ايمانوا واحتسابا وتصديقا بوعده كان شبعه ووربه وورثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعنى حسبات وقيل ان الآية عامة في الدين ينفقون اموالهم في جميع الاوقات ويمون بها اصحاب الحاجات والحاقات (عليهم اجرهم عذرهم) اى حراء اعمالهم (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) يعنى الآخرة * قوله عز وجل (الذين أكلون الربوا اى يساملون به وانما خص الاكل لانه معظم الامر المقصود من المسال لان المال لا يؤكل اعما يصرف في المأكول ثم يؤكل فمع الله التصرف في الرباء ذكر فيه من الوعيد (م) عن جابر قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا ووكاه وكتبه وشاهده وقالهم سواء واصل الربا في القصة الزيادة يقال ربنا الشىء يربوا اذا زاد وكثر فالربا الزيادة في المال (لا يقوهون) يعنى من قورهم يوم القيامة (الا كياتوم الذى يخبطه الشيطان) اى يصصره واصل الخبط الضرب والوطأ وهو ضرب به على غير استواء يقال ناقه خوططى تضرب الارض تضربوا عما وطأ الناس باخفافها واهم قولهم يخبط خبط عشواء للرجل الذى يتصرف في الامور على غير اهتداء وتميز وتدبر وتخبطه الشيطان لانما هو بخيل وجنون (من المس) يعنى من الجنون يقال مس الرجل فهو ممسوس اذا كان به جنون ومعنى الآية اذا آكل الربا يبعث يوم القيامة مثل المصروع الذى لا يستطيع الحركة الصحيحة لان الربا يأتى بطونهم حتى انهم فلا يقدرون على الاسراع قال سعيد بن جبير تلك

اصرا) في ذاتا وصفاتا واضالا فاصرنا وتجبها في مكانا مهجورين مك فانه لا ثقل اقل منها (كا) حلتها على الذين من قبلنا) من المحجبين بظواهر الاعمال وبواطن الصفات (رما ولا تخملا ملاطافة لنا به) من ثقل الصبران والحرمان عن وصالك ومشاهدة جاك بمحبت حلاك (واعبها) سياآت افعالنا وصفاتا فلها كاهها سياآت بمناحك وحرمانا برده قول واده رضواك (واعبر لنا) ذنوب وجوداتنا فلها اكر الكبار كما قيل اذا قلت ما دعت قالت مجيبة وعودك ذنب لا يقاس به ذنب (وارحسا) بالوجود الموهوب بعد الفناء (ات مولانا) ناصرنا ومتولى امورنا (فانصرنا) فان من حق الولي ان ينصر من يتولاه اوسيدنا ومن حق السيد ان ينصر عبيده (على القوم الكافرين) من قوى نفوسنا الامارة وصفاتها وجنود شياطين او هاننا وخيا لاتنا المحجورين ذلك الحاجبين ايانا بكفرها وظلم

علامة آكل الربا اذا استعمله يوم القيامة وروى البغوي بسند الطبري عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصة الاسراء قال فانطلق بي جبريل الى رجال كثير كل رجل بطنه مثل البيت الضخم منضدين على سابلة آل فرعون وآل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا قال فيقولون مثل الابل المتهومة يخطون الحجارة والشجر لا يسعون ولا يعقلون فاذا احس بهم اصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فيصرعون ثم يقوم احدهم فيميل به بطنه فيصرع فلا يستطيعون ان يبرحوا حتى يشاهم آل فرعون فيردوهم مقبلين ومدبرين فذلك عذابهم في البرزخ بين الدنيا والآخرة قال وآل فرعون يقولون اللهم لا تقم الساعة ابدأ قال يوم القيامة يقول ادخلوا آل فرعون اشد العذاب قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس قوله بطنه مثل البيت الضخم اي العظيم الكبير الغليظ وقوله منضدين اي موضوعين بعضهم على بعض والسابلة الطريق وقوله مثل الابل المتهومة الهمم بالحريك افراط في الشهوة بالطعام من الجوع * قوله عز وجل (ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا) اي ذلك الذي نزل بهم من العذاب بقولهم هذا واستحللهم اياه وذلك ان اهل الجاهلية كان احدهم اذا حل ماله على غيره يطالبه به فيقول الغريم لصاحب الحق زدني في الاجل حتى ازيدك في المال فتفعلان ذلك وكانوا يقولون سواء علينا الزيادة في اول السبع بالربح او عند المحل لاجل التأخير فكذبهم الله تعالى ورد عليهم ذلك بقوله (واحل الله البيع وحرم الربوا) يعني واحل الله لكم الارباح في التجارة بالبيع والشراء وحرم الربا الذي هو زيادة في المال لاجل تأخير الاحل وذلك لان الله تعالى خلق الخلق فهم عبده وهو مالكهم يحكمهم ميم بما يشاء ويستعبدهم بما يريد ليس لاحد ان يعترض عليه في شيء مما احل او حرم وانما على كافة الخلق الطاعة والتسليم لحكمه وامره ونهيه وذكر بعض العلماء الفرق بين البيع والربا فقال اذا باع ثوبا يساوي عشرة بعشرين فقد جعل ذات التوب مقابلا لعشرين فلما حصل التراضي على هذا التقابل صار كل واحد منهما مقابلا للآخر في المالة عندهما فلم يكن اخذ من صاحبه شيئا بغير عوض اما اذا باع عشرة دراهم بعشرين فقد اخذ العشرة الزائدة بغير عوض ولا يمكن ان يقال ان العوض هو الامهال في مدة الاجل لان الامهال ليس مالا او شيئا يشار اليه حتى يجعله عوضا عن العشرة الزائدة فقد ظهر الفرق بين الصورتين

﴿فصل في حكم الربا﴾ وفيه مسائل ﴿المسئلة الاولى﴾ ذكرنا في سبب تحريم الربا وجوها احدها ان الربا يقتضي اخذ مال الغير بغير عوض لان من يبيع درهما بدرهمين نقدا كان او نسيئة فقد حصل له زيادة درهم من غير عوض فهو حرام الوجه الثاني انما حرم فقد الربا لانه مع الناس من الاشتغال بالتجارة لان صاحب الدراهم اذا تمكن من عقد الرابح خاف عليه تحصيل الزيادة من غير تعب ولا مشقة فيفرض ذلك الى انقطاع منافع الناس بالتجارات وطلب الارباح الوجه الثالث ان الربا هو سبب الى انقطاع المعروف بين الناس من القرض فلما حرم الربا طابت النفوس بقرض الدراهم للمحتاج واسترجاع مثله لطلب الاجر من الله تعالى الوجه الرابع ان تحريم الربا قد ثبت بالنص ولا يجب ان يكون حكم جبيع اتمكليف مطلومة لخلق فوجب القطع بتحريم الربا وان كنا لانظم وجه الحكمة في ذلك ﴿المسئلة الثانية﴾ اعلم ان



﴿سورة آل عمران﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الم الله لا اله الا هو
الحى القيوم) مر تأويله
(نزل عليك الكتاب
بالحق) اي رفاق رتبة
ودرجة فدرجة بنزول
الكتاب عليك فمهما الى
العلم التوحيدي الذي
هو الحق باعتبار الجمع المسمى
بالعقل القراني (مصدق الملائكة
يديه) من التوحيد الازلي
السابق المعلوم في العهد
الاول المحزون في غيب
الاستعداد (وازل التوراة
والانجيل من قبل هدى
للناس) كذا ثم (وازل
الفرقان) اي التوحيد
التفصيلي الذي هو الحق
باعتبار الفرق المسمى بالعقل
الفرقاني وهو منشأ استقامة
وهذا الدعوة (ان الذين
كفروا بايات الله) اي
اجنبوا عن هدين التو
حين بالمظاهر والاكو ان
اي آيات التوحيد
في الحقيقة (لهم عذاب شديد)

في البعد والحرمان (والله عز وجل) اي قاهر (ذو انتقام لا يقدر وصفه ولا يبلغ كنهه ولا يقدر على مثله متقم (ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض وفي السماء هو الذي بصوركم في الارحام كيف يشاء لاله الا هو العزيز الحكيم هو الذي انزل عليك الكتاب) في العالمين فيعمل مواقع الانتقام (منه ايات محكمات) سميت من ان ينطق اليها الاحتمال والاشتباه لاحتمال معنى واحدا (هن ام) اي اصل (الكتاب) واخر (تشابهات) محتمل معنيين صاعدا وبشبهه فيها الحق والباطل وذلك ان الحق تعالى له وجه هو الوجه المطلق الباقي بعد فناء الخلق لا يحتمل التكرار والتعدد وله وجوه متعددة تتكررة اضافية متعددة بحسب مرأى المظاهر وهي ما يظهر بحسب استعداد كل مظهر فيه من ذلك الوجه الواحد ياتس فيها الحق بالباطل فورد التنزيل كذلك لتصرف التشابهات الى وجوه الاستعدادات فيتعلق كل بما يناسبه ويظهر الابتلاء

لربا في القفة هو الزيادة وطلب الزيادة بطريق التجارة غير حرام فثبت ان الزيادة المحرمة هو الربا وهو على صفة مخصوصة في مال مخصوص بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) من عربن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالورق ربا الا هاء وهاه والبر بالبر ربا الا هاء وهاه والشعير بالشعير ربا الا هاء وهاه والتمر بالتمر ربا الا هاء وهاه وفي رواية الورق بالورق ربا الا هاء وهاه والذهب بالذهب ربا الا هاء وهاه (م) من ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب وزنا بوزن مثلا بمثل والفضة بالفضة وزنا بوزن مثلا بمثل فمن زاد او استزاد فقد اربى وفي رواية التمر بالتمر والحلطة بالحلطة والشعير بالشعير والملح بالملح مثلا بمثل يدايد فمن زاد او استزاد فقد اربى الا ما اختلفت الواه (م) عن جادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل سوا يدايد فاذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا كيف شئتم اذا كان يدايد فنص رسول الله صلى الله عليه وسلم على جريان الربا في هذه الستة اشياء وهو النقدان واربعة اصناف من المطعومات وهي البر والشعير والتمر والملح فذهب عامة اهل العلم الى ان حكم الرابا ثبت في هذه الاشياء لاوصاف فيها فيتمدى الى كل ما يوجد من تلك الاوصاف فيه ثم اختلفوا في تلك الاوصاف فذهب قوم الى ان المعنى في جميعها هو واحد وهو الفع فثبتوا الربا في جميع الاموال وذهب الاكثرون الى ان الرابا ثبت في الدراهم والدنانير بوصف وفي اشياء المطعومة بوصف آخر واختلفوا في ذلك الوصف فذهب الشافعي ومالك الى انه ثبت في الدراهم والدنانير بوصف القدية وذهب اصحاب الراي الى انه ثبت بطله الوزن فثبتوا الربا في جميع الموزونات مثل الحديد والتماس والقطن ونحو ذلك واما الاربعة اشياء المطعومة فذهب اصحاب الراي الى ان الرابا ثبت فيها بطله الوزن والكيل فثبتوا الربا في جميع المكيلات والموزونات مطعوما كان او غير مطعوم كالجس والذرة ونحوهما وذهب جماعة الى ان العلة فيها العام مع الكيل والوزن فكل مطعوم مكيل او موزون يثبت فيه الربا ولا يثبت فيما سوى ذلك مما ليس بمكيل او موزون وهو قول سعيد بن المسيب والشافعي في القديم وقال في الجديد ثبت الربا فيها بوصف الدائم فثبت الربا في جميع الاشياء المطعومة من التمر والفواكه والبقول والادوية مكيلة كانت او موزونة لما روى عن معمر بن عبد الله ارسل علامه بصاع قمح فقال به ثم اشتره شعيرا فذهب القلام فاخذ صاعا وزيادة بعض من صاع فلما جاء معمر اخبره بذلك فقال له معمر لم فعلت ذلك انطلق فردده ولا تأخذن الا مثلا بمثل فاني كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الطعام بالطعام مثلا بمثل وكان طعامنا الشعير قيل له فانه ليس بمثله فقال اني اخاف ان يضارع اخرجه مسلم بحملة مال الراعي الشافعي ما كان ثمنا او معطوما (المسئلة الثالثة) الربا نوعان ربا فضل وهو الزيادة وربا نسيئة وهو الاجل فان باع ما يدخل فيه الربا بجنسه مثل ان باع احد القدين بجنسه كالذهب بالذهب او المطعوم بجنسه كالحلطة بالحلطة ونحو ذلك فيشترط فيه المساواة بمقيار الشرع فان كان موزونا كالدرهم والدنانير فيشترط فيه المساواة في الوزن وان كان مكيلا كالحلطة والشعير يشترط في بيعه بجنسه المساواة في الكيل ويشترط التقابض في مجلس العقد فان باع ما يدخل فيه الربا بغير جنسه ينظر هل باع بما لا يوافق في وصف الربا مثل ان باع مطعوما باحد القدين فلا يوافيه

والامتحان فأما العارلون
المحققون الذين يعرفون
الوجه الباقي في اية صورة
واى شكل كان فيعرفون
الوجه الحق من الوجوه
التي تتخذها المتشابهات
فيردونها الى المحكمات
متمثلين بمثل قول الشاعر
وما الوجه الا واحد غير انه
اذا انت اعددت المزايا تعددا
* واما المحجوبون (فاما
الذين في قلوبهم زيغ)
عن الحق (فيتبعوا متشابه
مه) الاحتمالهم بالكثرة
عن الوحدة كما ان المحققين
يتبعون الحكم ويتعنون
المتشابه فيختارون من
الوجوه المختلفة ما يناسب
دينهم ومذهبهم (ابتغاء
الفتنة) اى لطلب الضلال
والا ضلال الذى هم
بسيله (وابغاء تأويله)
بما يناسب حالهم وطريقتهم
اذا اخرجوا من سكينة فموج قرايه
فهم كما لا يعرفون الوجه
الباقي في الوجوه لرم ان
لا يعرفوا المعنى الحق من
المعاني فيزداد حجابهم
ويظلمون ليلسحقوا به العذاب
(وما يعلم تأويله الا الله
والرخصون في العلم)
العالمون يعلمون بعمه اى
انما الله جليلا وتفصيلا

كالمواضع تغير مال الربا فان باعه بما يوافقه في الوصف لاقى المجلس مثل ان باع الدراهم بالدنانير او
باع الخطة بالشعر او كان مطعوما بمطعم آخر من غير جنسه فلا يثبت فيه ربا التفاضل فيصير وجه
متفاضلا ويثبت فيه ربا النسبة فيشترط في بيعه التفاضل في المجلس لقوله صلى الله عليه وسلم
الايدا يد وقوله هاه وهاء ففيه اشتراط التفاضل في المجلس وتحريم النسبة وقوله صلى الله عليه
وسلم الاسواء بسواء مثلا بمثل ففيه ايجاب المماثلة وتحريم التفاضل عند اتساق المجلس وقوله
صلى الله عليه وسلم فاذا اختلفت هذه الاصناف فيبيعوا كيف شئتم ففيه اطلاق التبايع مع التفاضل
عند اختلاف المجلس مع اشتراط التفاضل في المجلس وهو قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان بدا
يدوالله اعلم * المسئلة الرابعة * في القرض وهو من اقرض شيئا وشرط عليه ان يرده عليه افضل
مه فهو قرض جرمفعة وكل قرض جرمفعة فهو ربا يدل عليه ما روى عن مالك قال بلغني
رجلا اتى ابن عمر فقال انى اسلفت رجلا سلفا واشترطت عليه افضل مما اسلفته فقال عبدالله بن عمر
فذلك الربا خرجه مالك في الموطا قال فان لم يشترط فضلا في وقت القرض فرد المستقرض افضل
مما اخذ جاز ويدل على ذلك ما روى عن مجاهد ان ابن عمر اسلف دراهم فقضى صاحبها خيرا منها فابى
ان ياخذها وقال هذه خير من دراهمي فقال ابن عمر قد علت ولكن نفسى بذلك طيبة اخرجته مالك
في الموطا * وقوله تعالى (فمن جاء موعظة من ربه) اى تذكير وتخويف وانما ذكر الفعل لان تائيه
غير حقيقى فجاء تذكيره وذلك لان الوعظ والموعظة شئ واحد (فانه) اى من اكل الربا
(فله ما سلف) اى ما مضى من ذنبه قبل ان يهتدى بمغفوره (وامره الى الله) يعنى بعد ان يهتدى ان شاء عصمه
حتى يثبت على الانتهاء وان شاء خذله حتى يعود الى اكل الربا وقبل معناه وامره الى الله فيما امره وينهاه
ويحمله عليه وليس اليه من امر نفسه شئ وقيل ان الآية فبين يقتصد بتحريم اكل الربا بما كاله
فامره الى الله تعالى ان شاء مناعه وان شاء عذبه (ومن طاع) يعنى الى اكل الربا بعد التحريم مستهله
(فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) * قوله عز وجل (يمحى الله الربوا) اى يقصه
ويهلكه وبذهب بركته قال ابن عباس لا يقبل الله منه صدقة ولا جاج ولا جهاد ولا صلة (ويربى
الصدقات) اى يزيد ما يربها ويبارك فيها في الدنيا ويضاعف اجرها في الآخرة (ق) عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصدق احد بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله
الا الطيب اخذها الرحمن بيينه وان كانت ثمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون اعظم من
الجل كما يربى احدكم فلوله او فصيلة لفظ مسلم والبخارى من تصدق بعدل ثمرة من
كسب طيب ولا يصعد الى الله وفي رواية ولا يقبل الله الا الطيب فان الله يقبلها بيينه ثم يربها
لصاحبها كما يربى احدكم فلوله حتى تكون مثل الجبل (والله لا يحب كل كفار) يعنى كل مصر على كفره
مقيم عليه مستهل لاكل الربا (اثم) يعنى مما تادي في الاثم وفيه نهى عنه وان من اكل الربا لا ينجز
عنه ولا يتركه وقيل يحتمل ان يكون الكفار راجعا الى مستهل الربا والاثم راجعا الى من يفعله
مع اعتقاد التحريم فتكون الآية جامعة لفرضين * قوله عز وجل (ان الذين آمنوا) يعنى
صدقوا بالله ورسوله (وعملوا الصالحات) يعنى اتى امرهم الله بها (واقاموا الصلاة) يعنى المفروضة
باركانها وحدودها في اوقاتها (وآتوا الزكاة) يعنى المفروضة عليهم في اموالهم (لهم اجرهم
عند ربهم) اى لهم ثواب اعمالهم في الآخرة (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) اى يوم القيامة

(يقولون آمنابه) يصدقون
علم الله به فهم يعلمون
بالور الايمانى (كل من
عند ربنا) لان الكل عندهم
معنى واحد غير مختلف
(وما يذكر الاواو الالباب)
بذلك العلم الواحد المنفصل
في التفاصيل المتشابهة
المبكرة الا الذين
صفت عقولهم بنور
الهداية وجردت عن
قشر الهوى والعادة (ربنا
لاترغ قلوبنا) عن التوجه
الى جنبك والسعى في
طلب لقائك والوقوف
ببابك بالافتان بحب الدنيا
وغلبة الهوى والميل الى
الفس وصناتها والوقوف
مع حظوظها ولذاتها
(بعد اذهيتا) بنورك الى
صراطك المستقيم والدين
القوم وبسجيات وجهك
الى جنبك الكريم (وهب
لنا من لدنك رحمة) رحمة
تحمي صفاتنا بصناتك
ونظلماتنا بنورك (انك انت
الوهاب ربنا انك جامع
الناس ليوم لا ريب فيه
ان الله لا يخلف الميعاد)
اي يجمعهم ليوم الجمع
الذى هو الوصول الى
مقام الوحدة الجامعة
لخلايق اجمعين الاولين

قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا) قيل نزلت في العباس
ابن عبد المطلب وعثمان بن عفان وكانا قد اسلفا في القرض فلما كان وقت الجذاذ قال صاحب القرض
لهما ان انما اخذتما حقكما لم يبق لي ما يكتفي عيالي فويل لكما ان تؤخرا النصف وتؤخر النصف
واضعف لكما فقه لافلا حل الاجل طالبا منه الزيادة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فنهاهما
وانزل الله هذه الآية فسمعوا وطاعا واخذوا رؤس اموالهم وقيل نزلت في العباس وخاندن
الوليد وكانا شريكين في الجاهلية يسئلان في الربا الى بنى عروب بن عمرو بن غير ناس من ثقيف فغشاهما
الاسلام ولهما اموال عظيمة في الربا فانزل الله تعالى هذه الآية وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حجة
الوداع فيما رواه جابر من افراد مسلم الاكل شيء من امر الجاهلية تحت قدمي موضوع ودماء
الجاهلية موضوعة وان اول دم اضع من دمائنا دم ربيعة بن الحارث كان مسترضعا في بنى
سعد فقتله هزيل ورب الجاهلية موضوع واول ربا اضرع ربا العباس بن عبد المطلب فانه موضوع
كاه وقبل نزلت في اربعة اخوة من ثقيف وهم مسعود وعبد المطلب وعبد المطلب وربيعة بن عمرو بن
عمر بن عوف القتي كانوا يدينون بنى المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وكانوا يرايون فلما
ظهر النبي صلى الله عليه وسلم على الطائف اسلم هؤلاء الاخوة بنو عمر والتقي وطلبوا رباهم من
بنى المغيرة فقال بنو المغيرة والله ما نعلم الربا في الاسلام وقد وضعه الله تعالى عن المؤمنين
فاختصموا الى عتاب بن اسيد وكان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة فكتب كتابا
الى النبي صلى الله عليه وسلم يقضيه الفريقين وكان ذلك مالا عظيما فانزل الله تعالى يا ايها الذين
آمنوا اتقوا الله اى خافوا الله فيما امركم به وانتهوا عما نهاكم عنه وذروا اى اتركوا ما بقى من
الربا والمعنى اتركوا طلب ما بقى لكم ما فضل على رؤس اموالكم (ان كنتم مؤمنين) يعنى
ان كنتم محققين لا يمانكم قولا وضلالا (فان لم تفعلوا) اى لم تتركوا ما بقى من الربا بعد تحريمه
(فاذنوا) قرئ بكسر الذاو والمد على وزن آمنوا ومعناه فاعلوا غيركم انه حرب لله ورسوله
وقرئ فاذنوا بفتح الذاو مع القصر ومعناه فاعلوا انتم وايقنوا (بحرب من الله ورسوله)
قال ابن عباس يقال لا كل الربا يوم القيامة خذ سلاحك للحرب قال اهل المعاني حرب الله
النار وحرب رسوله السيف واختلفوا في معنى هذه المحاربة فقيل المراد بها المبالغة في الوعيد
والتهديد دون نفس الحرب وقيل بل المراد منه نفس الحرب وذلك ان من اصر على اكل الربا
وعلم به الامام قبض عليه واجرى فيه حكم الله من التعزير والحبس الى ان تظهر منه التوبة
وان كان آكل الربا ذا شوكة وصاحب عسكر حارب الامام كما يحارب الفئة الباغية قال ابن عباس
من كان مقيما على اكل الربا لا ينزع عنه الحق على امام المسلمين ان يستنيبه فان زرع اى تاب
والا ضرب عقه (وان تبتم) اى ان تركتم اكل الربا ورجعتم عنه (فلنكن رؤس
اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) يعنى لا تظلمون انتم القريم بطلب زيادة على رأس المال
ولا تظلمون انتم بقصان رأس المال فلما نزلت هذه الآية قال بنو عمرو التقي ومن كان
يسام بالربا من غيرهم بل تنوب الى الله فانه لا يدان لنا يعنى لا قوة لنا بحرب الله
ورسوله ورضوا رؤس اموالهم فشكبنوا المغيرة العسرة ومن كان عليه دين وقالوا
اخرونا الى ان تدرك الفلات فابوا ان يؤخروهم فانزل الله عز وجل (وان كان ذو

والآخرين فلا يبقى لهم شك في مشيهم ذلك (ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا) بل هي سبت جحيمهم وبعدهم من الله وتعذيبهم بعذاب لشدة تعقلهم بهم ومحبتهم اياهم (واولئك هم وقود النار كذاب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا باياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم آية) يا معشر السالكين دالة على كالكهم وبلوغكم الى التوحيد (في فتيين التقنا فئة) القوى الروحانية الذين هم اهل الله وجنوده (تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم منليهم رأى العين) هي جنود النفس وادعوا الى الشياطين محجوبة عن الحق ترى الفتنة الاولى مع قلة عددهم منليهم عند التقائهما في معركة البدن لتأيد الفتنة الاولى بنور الله وتوفيقه وتخذلان الفتنة الثانية وذلهم وهزمهم وضعفهم وانقطاعهم عن عالم الايدى والقدرة فضلت

عسرة) يعنى وان كان الذى عليه الحق من غرمانكم معسرا والعسر نقض اليسر وهو تضر وجدان المال واعسر الرجل اذا ضايق ولم يجد ما يؤديه في دينه (فنظرة) اى فاهمال وتأخير (الى ميسرة) اى الى زمن اليسار وهو ضد الاعسار وهو وجدان المال الذى يؤديه في دينه واختلفوا في حكم الآية وهل الانظار مخصص بالربا ام هو عام في كل دين على قولين القول الاول وهو قول ابن عباس وشرح والضحاك والسدي ان الآية في الربا وذكر عن شريح ان رجلا خاصم رجلا اليه فقاضى عليه وامر بحبسه فقال رجل كان عند شريح انه معسر والله تعالى يقول في كتابه وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة فقال شريح انما ذاك في الربا وان الله تعالى قال في كتابه ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ولا يأمرنا الله بشئ ثم يعذبنا عليه والقول الثانى وهو قول مجاهد وجاعة من المفسرين ان حكم الآية عام في كل دين على معسروا حجبوا بان الله تعالى قال وان كان ذو عسرة ولم يقل ذا عسرة ليكون الحكم عاما في جميع المعسرين (وان تصدقوا خير لكم) يعنى وان تصدقوا على المعسر بما عليه من الدين فتركوا رؤس اموالكم للمعسر خير لكم وانما جاز هذا الحذف للعلم به لانه قد جرى ذكر المعسرين وذكر رأس المال فلم ان التصديق راجع اليهما (ان كنتم تعلمون) يعنى ان التصديق خير لكم وافضل لان فيه الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى

فصل في ثواب انظار المعسر والوضع عنه وتشديد امر الدين والامر بقضائه (م) عن ابي قتادة انه طلب غريمه فتوارى عنه ثم وجده فقال انى معسر قال الله قال الله قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره ان ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر او يضع عنه (م) عن ابي اليسر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من انظر معسرا او وضع عنه ان الله في ظله يوم لا ظل الا ظله (ق) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيمن كان قبلكم تاجريدا من الناس فان رأى معسرا قال لفتيانه تجاوزوا عنه لعل الله ان يتجاوز عنا فتجاوزا لله عنه وعن ابي موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اعظم الذنوب عند الله ان يلقاه به عبد بعد الكبرياء التى نهى الله عنها ان يموت رجل وعليه دين لا يدع له قضاء اخرجه ابو داود (خ) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ اموال الناس يريد اداها ادى الله عز وجل عنه ومن اخذ اموال الناس يريد ان يلاها تلفه الله (ق) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من القى ظلم زاد في رواية واذا اتبع احدكم على ملى فليتب (ق) عن كعب بن مالك انه تقاضى ابن ابي حذردية كان له في مهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فارتفعت اصواتهما حتى سمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيته فخرج اليهما حتى كشف صحيفة جمرته فنادى فقال يا كعب قلت ليك يا رسول الله فاشريده ان دع الشطر من دينك فقال كعب قد فعلت يا رسول الله قال قم فاقضه (ق) عن ابي هريرة قال كان لرجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الابل فجاءه يتقاضاه فقال اعطوه فطلبوا منه فلم يجدوا الا سنا فوقها فقال اعطوه فقال اوفيتني فاك الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان خيركم احسنكم قضاء وفي رواية انه اعطى لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين استقضاه حتى هم به بعض اصحابه

الاولى الساتية وفهرهم
بتأييد الله ونصره وصرفوا
اموالهم التي هي مدركاتهم
ومعلوماتهم في سبيل معرفة
الله وتوحيده (والله يؤيد
بنصره من يشاء) من اهل
عنايته المستعدين للقائه (ان
في ذلك لبرة لاولى الابصار)
اي اعتبارا او امرا يعتبر به
في الوصول الى الحقيقة
للمتصبرين الذين انفجحت
اعين بصائرهم واكتملت
بنور الايقان العلى من اهل
الطريقة يعتبرون به احوالهم
في النهاية (زين للناس حب
الشهوات من النساء والبنين
والقنطير المقطرة من
الذهب والفضة والخليل
المسومة والانعام والحراث
ذلك منافع الحياة الدنيا) لان
الانسان مركب من العالم
العلوي والسفلي ومن نشأته
وولادته تنحجبت فطرته
وخدث نار غريزته وانطفأ
نور بصيرته بالقشوات
الطبيعية والقواشي البدنية
والماء الاجاج من الذوات
الحسية والرياح العواصف
من الشهوات الحيوانية فبقى
المهجور من الحق في اوطان
القربة وديار الظلمة يسار به
مبلوا بأنواع النصب والتعب
فاذهو بشمشة نور من الخيز

فقال دعوه فان لصاحب الحق مقالتم امره بافضل من سنه (م) عن ابي قتادة الانصاري
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قام فيهم فذكر لهم ان الجهاد في سبيل الله والايمان بالله افضل
الاعمال فقام رجل فقال يا رسول الله ارايت ان قتل في سبيل الله تكفر عني خطايي فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قتل في سبيل الله وانت صابر محتسب مقبل غير مدبر ثم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف قلت قال ارايت ان قتل في سبيل الله انكفر عني
خطايي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم وانت صابر محتسب مقبل غير مدبر الا الدين
فان جبريل قال لي ذلك عن محمد بن جبريل قال كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرفع رأسه الى السماء ثم وضع يده على جبهته ثم قال سبحان الله ماذا نزل من التشديد فسكتنا
وفزعنا فلما كان من الغد سأته يا رسول الله ما هذا التشديد الذي نزل فقال والذي نفسي بيده
لو ان رجلا قتل في سبيل الله ثم احبي ثم قتل ثم احبي وعليه دين ما دخل الجنة حتى
يقضى عنه دينه اخبره النبي ﷺ قوله عز وجل (واتقوا) اي وخافوا (يوم ترجعون
فيه الى الله) قرئ بفتح التاء اي تصيرون فيه الى الله وقرئ بضم التاء وفتح الجيم اي تردون
فيه الى الله (ثم توفي كل نفس ما كسبت) يعني من خير او شر (وهم لا يظنون) اي
في ذلك اليوم وفي هذه الآية وعيد شديد وزجر عظيم قال ابن عباس هذه آخر آية نزلت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جبريل ضعها على رأس مائتين وثمانين من سورة البقرة
وعاش بعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدا وعشرين يوما وقيل تسع ليال وقيل سبعا
ومات صلى الله عليه وسلم لليلتين خلتا من ربيع الاول في يوم الاثنين سنة احدى عشرة من الهجرة
وروى الشعبي عن ابن عباس ان آخر آية نزلت آية الرابا ﷺ قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا
اذ تدانتم بدين) قال ابن عباس لما حرم الربا اباح السلم وقال اشهد ان السلف المضمون الى اجل
مسمى قد احله الله في كتابه واذن فيه وقوله اذ تدانتم اي تعاملتم بالدين اوداين بعضكم بعضا
واتدان تعامل من الدين يقال دابته اذا عاملته بالدين وانما قال بدين بعد قوله اذ تدانتم
لان المداينة قد تطلق على المجازاة وعلى المعاطاة فقيده بالدين ليعرف المراد من اللفظ ويخلص
احد المعنيين من الآخر وقيل انما قال بدين ليرجع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لم يذكر
ذلك لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلا يحسن الظم بذلك وقيل انما ذكره تأكيدا (الى
اجل مسمى) يعني الى مدة معلومة الاول والاخر مثل السنة والشهر ولا يجوز الى غير مدة
معلومة كما لو قال الى الحصاد او نحوه والاجل يلزم في الثمن في البيع وفي السلم حتى لا يكون لصاحب
الحق الطلب قبل محل الاجل بخلاف القرض فانه لا يلزم فيه الاجل عند اكثر اهل العلم (ق) عن
ابن عباس قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسلفون في الفراعنة والعاميين فقال لهم
من اسلف في عمر في كيل معلوم او وزن معلوم الى اجل معلوم ﷺ وقوله تعالى (فاكتبوه) اي
اكتبوا الدين الذي تدانتم به بما كان ذلك او سلا او قرضا واختلفوا في هذه الكتابة فقل هي
واجبة وهو مذهب عطاء وابن جريج والنخعي واختاره محمد بن جبرير الطبري وقيل الامر محمول
على الدب والاستحباب فان ترك فلا بأس وهو قول جمهور العلماء وقيل بل كانت الكتابة والشهاد
والرهن فرضا ثم نسخ بقوله تعالى فان امن بعضكم بعضا فليؤدى الذي اثنى امانته وهو قول

الحسن والشئ والحكم بن عينة ثم بين الله تعالى كيفية الكتابة فقال تعالى (وليكتب بينكم كاتب) أى يكتب الدين بين الطالب والمطوب كاتب (بالعدل) أى بالحق من غير زيادة ولا نقصان ولا تقديم أجل ولا تأخير قبل أن فائدة الكتابة هى حفظ المال من الجائنين لأن صاحب الدين إذا علم أن حقه مقيّد بالكتابة تعذر عليه الجور والنقص من أصل الدين الذى عليه فلما كانت هذه الفائدة من الكتابة أمر الله تعالى بها (ولا يَأْب) أى ولا يمنع (كاتب أن يكتب) واختلفوا فى وجوب الكتابة على الكاتب وتحمل الشهادة على الشاهد فقيل بوجودهما لأن ظاهر الكلام نهى عن الامتناع من الكتابة وإيجابها على كل كاتب فإذا طُلب بالكتابة وتحمل الشهادة من هو من أهلها ما وجب عليه ذلك وقيل هو من فرض الكفاية وهو قول الشئى فإن لم يوجد إلا واحد وجب عليه ذلك وقيل هو على الدب والاستحباب وذلك لأن الله تعالى لما علمه الكتابة وشرفه بها استحبه له أن يكتب ليقتضى حاجة أخيه المسلم ويشكر تلك العمة التى أنعم الله بها عليه وقيل كانت الكتابة وتحمل الشهادة واجبتين على الكتاب والشاهد ثم نسخهما الله تعالى بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد (كما علمه الله) أى كما شرعه الله وأمر به (فليكتب) وذلك أن يكتب بحيث لا يزيد ولا ينقص ويكتب ما يصلح أن يكون حجة عند الحاجة ولا يخص أحدًا الخصمين بالاحتياط له دون الآخر وأن يكون كل واحد منهما آمنة من إبطال حقه وأن يكون ما يكتبه متفقًا عليه عند العلماء وأن يحتز من الالتفات التى يقع النزاع فيها وهذه الأمور لا تحصل إلا من هو فقيه عالم باللغة ومذهب العلماء (وليلل الذى عليه الحق) يعنى أن المطلوب الذى عليه الحق يقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه من الحق فيذكر قدره وجنسه وصفة الأجل ونحو ذلك والأولاد والأولاد لثلاث فصيحتان معناهما واحد (وليتق الله ربه) يعنى المولى (ولا ينقص) أى ولا ينقص (منه) أى من الحق الذى وجب (شيئاً فإن كان الذى عليه الحق شيئاً) أى جاهلاً بالأولاد وقيل هو الطفل الصغير وقال الشئى السفيه هو الميزر المنفسد لله ودينه (أضعيفاً) يعنى شيئاً كبيراً وقيل هو ضعيف العقل لعنه أوجنون (أو لا يستطيع أن يعمل هو) يعنى لحرس أو عى أو عجمة فى كلامه أو جنس أو غيبة لا يمكنه الحضور عند الكاتب أو يجهل بالله وعليه فهو لا يعلم كلامهم لا يصح إقرارهم فلا بد من أن يقوم غيرهم مقامهم وهو قوله تعالى (فليملل وإيه) يعنى ولى كل واحد من هؤلاء الثلاثة المحجور عليهم لأنه مقامه فى صحة الإقرار وقال ابن عباس أراد بالولى صاحب الدين يعنى أن يحجز الذى عليه الحق عن الأولاد فليملل صاحب الحق لأنه أعلم بحقه (بالعدل) أى بالصدق (واستشهدوا شهيدين) يعنى وأشهدوا على حقوقكم شهيدين لأن المقصود من الكتابة هو الأشهاد (من رجالكم) يعنى من أهل ملتكم يعنى من المسلمين الأحرار دون العبيد والصبيان وهذا قول أكثر أهل العلم وأجاز شريح وابن سيرين شهادة العبيد وحجة هذا القول أن قوله من رجالكم عام يتناول العبيد وغيرهم وذلك لأن عقل الإنسان ودينه وعدائته تمنعه من الكذب فإذا اجتمعت هذه الشرائط فيه كانت شهادة معتبرة وحجة جهور العلماء ولا يَأْب أن تشهدا إذا مادتا فهذا نص يقتضى أن من تحمل شهادة وجب عليه الأداء إذا طُلب بها والعبد ليس كذلك فإن السيد إذا لم يأذن له فى ذلك حرم عليه الذهاب إلى أداء الشهادة فوجب أن لا يكون العبد من أهل الشهادة (فإن لم يكونا رجلين) أى فإن لم يكن الشاهدان رجلين (فرجل

ولمعان برق من عالم العقل وداع يناديه من الهوى والشيطان تتبعه فسادف منزلاً نزها وروضة انيقة فيها ماتشوى النفس وتلد الأعين فاستوطنه وشكر سعيه ورضيه مسكناً وقال عند الصباح يحمد القوم السرى * والداعى قدهى له القرى فذلك حب الشهوات أى المشتهيات المذكورة وتزينها له وهو تمتع له بحسب ما فيه من العالم السفلى وكالحياته حجب به من تمتع الحياة الأخرى وكالها بحسب ما فيه من العالم العلوى ولم يتب عليه أنى أبهى والذو أصنى مع ذلك وأبقى وهو معنى قوله (والله عنده حسن المآب) فإن أدركه التوفيق الإلهى والتزنيه السرى وقارنه الانباء النبوى كما قال (قل أو نبئكم بخير من ذلكم) أنبعث من باطنه شوق وعشق لحركة العلوى إلى مركزه واشتعلت ناره التى قد خمدت وتتابع عليه لواعى الأنوار الإلهية وطوالع الاشراقات القدسية فاستار نور بصيرته الذى قد انطفأ وقت الحجب التى منعت فطرته عن طلب المقرواوى وتنقص عيشه الذى هو فيه فتكدر ماهو

عليه واستظلم ما كان قد
استصفاه من الحياة الدنيا
وسكنت في نفسه سورة
الهوى بغلبة الجزء الروحاني
على الجسماني وذائق طعم ماء
فراة الحياة الحقيقية فلم يصبر
على الملح الاجاج وباشر قلبه
خطرات اليقين بحجريات
شربها من الماء المعين فلم انه
كان اكمن في سرب من
الارض فاستلغ ضوء
الكواكب ليلا وظنه نهارا
فخرج فاذا هو بيرية فيها ماء
زعاق وانواع من الحشائش
كالحمحم والجرجير ونحوها
فظنها رياحين ونمارا فخبس
بما وجد عن ضياء الشمس
والوان الطيب والقواكه
فغزم على رحيل الاوبة
وغشبه وحشة القرية فاتقى
ما استطاب واستغلى ثم سار
وخلى حتى اذا اضاء نور
صبح عين اليقين وحان
وقت طلوع شمس الوحدة
رأى جنة محير فيها بصره
ودهش في وصفها عقله وكان
ما كان مما لا عين رأت ولا
اذن سمعت ولا خاخر على
قلب بشر فاذا افاق وقد
طلعت الشمس وجد فيها
الاقاوا حبايا وعرف انه كان
له منوى وما يابا ورجع اليه
الانس ونزل محلة القدس

وامرأتان) اى فليشهد رجل وامرأتان واجمع الفقهاء على ان شهادة النساء مع الرجال جائزة
في الاموال فيثبت الحق بشهادة رجل وامرأتين واختلفوا في غير الاموال فذهب سفيان الثوري
واسحاب الرأي الى انه يجوز شهادة النساء مع الرجال في سائر الحقوق غير العقوبات وذهب جماعة
الى ان غير المال لا يثبت الا برجلين عدلين وذهب الشافعي الى ان ما يطلع عليه النساء غالبا كالولادة
والرضاع والبكة والثبوة ونحوها تجوز شهادة رجل وامرأتين او شهادة اربع نسوة
واقفوا على ان شهادة النساء غير جائزة ولا مقبولة في العقوبات والحدود * وقوله تعالى
(من ترضون من الشهداء) يعنى من كان مرضيا عندكم في دينه وامانه والشرائط المعبرة
في العدالة وقبول الشهادة عشرة وهى الاسلام والحرية والعقل والبلوغ والعدالة والمرواة
وان لا يجر تلك الشهادة منفعة الى نفسه ولا يدفع عنه بهامضرة ولا يكون مبروفا بكثرة الغلط
والسهو وان لا يكون بينه وبين من شهد عليه عداوة فشهد الكافر مردودة لان الكذاب لا تقبل
شهادته فالذى يكذب على الله اولى بان ترد شهادته وجوز بعض اهل الرأي شهادة اهل الذمة
بعضهم على بعض ولا تقبل شهادة العبيد واجازها ابن شريح وابن سيرين وهو قول انس ولا قول
الحجبنون معتبر حتى تصح شهادته ولا تجوز شهادة الصبيان وسئل ابن عباس عن ذلك فقال
لا تجوز لان الله تعالى قال من ترضون من الشهداء والعدالة شرط وهو ان لا يكون الشاهد
مقيما على الكبار مصرا على الصغار والمروءة شرط وهى ما تنصل باداب النفس مما يعلم ان تاركة
قليل الحياء وهى حسن البينة والسيرة والعشرة والصناعة فان كان الرجل يظهر في نفسه
شيئا مما يستهى امثال من اظهاره في الاغلب علم بذلك قلة مروءته وترد شهادته وانفاء الهمة
شرط فلا تقبل شهادة العدو على عدوه وان كان مقبول الشهادة على غيره لانه منهم في حق عدوه
لا في حق غيره ولا تقبل شهادة الرجل لولده ووالده وتقبل شهادته عليهما ولا تقبل شهادة من يجر
بشهادته الى نفسه نفعا عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجوز شهادة خائن ولا
خائنة ولا مجلود حدا ولاذى نمر على اخيه ولا مجرب شهادة ولا القانع اهل البيت لهم ولا ظنين
في لواء ولا قرابة قال الفرارى القانع التابع اخرجه الترمذى قوله لا تجوز شهادة خائن اراد
بالخيانة الخيانة في الدين والمال والامانة فان من ضيع شيئا من او امر الله او ارتكب شيئا مما
نهى الله عنه لا يكون عدلا والعمى بكسر الهمزة الحقد والقانع هو السائل المستعظم وقيل المنقطع
الى قوم يخدعهم فترد شهادته للثمة في جرافع الى نفسه لان التابع لاهل البيت ينفع بما يصير
اليهم والظنين بكسر الظاء المتهم * وقوله تعالى (ان تفضل احداهما) اى تنسى احدى
المرأتين (فذكر احداهما الاخرى) لان القالب على طباع النساء النسيان فاقبت المرأتان مقام
الرجل الواحد حتى لو نسيتهما احداهما تذكرها الاخرى فتقول حضرنا مجلس كذا وسمعنا كذا
فيصطل بذلك الذكرى وحكى عن سفيان بن عيينة انه قال هو من الذكر اى تحمل احداهما
الاخرى ذكرا والمعنى ان شهادتهما تصير كشهادة ذكر والقول الاول اصح لانه معطوف على
تفضل وهو النسيان وقوله تعالى (ولا ياب الشهداء اذا ما دعوا) يعنى اذا دعوا لتحمل الشهادة
وسماهم شهداء لانهم يكونون شهداء وهذا امر ايجاب عند بعضهم وقال قوم يجب اذا لم يكن
غيره فان كان غيره فهو محير وقيل هو امر ندب فهو محير في جميع الاحوال وقال بعضهم هذا في اقامة

الشهادة وادائها ومعنى الآية ولا ياب الشهداء اذا مادعوا لاداء الشهادة التي تحملوها وقيل
الآية في الامرين جميعا يعنى في التحمل والاداء والاقامة فاذا كان مارفا وقيل الشاهد بالخيار
ما لم يشهد فاذا شهد وجب عليه الاداء (ولتساموا) اى ولا تملوا ولا تضجروا (ان تكتبوه)
الضمير راجع الى الحق والدين (صغيرا) كان (او كبيرا) يعنى قليلا كان الحق والدين
او كثيرا (الى اجله) يعنى الى محل الحق والدين (ذلكم) يعنى ذلك الكتاب (افسط
عند الله) يعنى اعدل عند الله لانه امر به واتبع امره اعدل من تركه (واقوم للشهادة) يعنى ان
الكتابة تذكر الشهد (وادنى الارتابوا) يعنى واحرى واقرب الى ان لا تشكوا في الشهادة
(الا ان تكون تجارة حاضرة) اى الا ان تقع تجارة حاضرة يدا بيد (تديرونها بينكم)
اى فيما بينكم ليس فيها اجل (فليس عليكم جناح) اى لا ضرر عليكم (ان لا تكتبوها)
يعنى التجارة الحاضرة والتجارة ثقيل الاموال وتصريفها لطلب النماء والزيادة بالارباح
وانما رخص الله تعالى في الكتابة والاشهاد في هذا النوع من التجارة لكثرة ما يمرى بين الناس
فلو كلفوا فيها الكتابة والاشهاد لشق ذلك عليهم ولانه اذا اخذ كل واحد من المتبايعين حقه
من صاحبه في ذلك المجلس لم يكن هناك خوف البجاد فلا حاجة الى الكتابة والاشهاد (واشهدوا
اذ تبايعتم) يعنى فيما جرت العادة بالاشهاد فيه واختلفوا في هذا الامر فليلو وجوب فيجب
ان يشهد في صغير الحق وكبيره ونقده ونسيته وقيل هو امر نذير استحباب وهو قول الجمهور
وقيل انه منسوخ بقوله فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اتمن امانته * وقوله تعالى (ولا يضار
كاتب ولا شهيد) هذان من المضارة واصله يضار ربكسر الراء الاولى معناه لا يضار الكاتب
فيأبى ان يكتب والشاهد فيأبى ان يشهد او يضار الكاتب فيزيد او ينقص او يحرف ما مل على
فيضر صاحب الحق او من عليه الحق وكذلك الشاهد قيل اصله يضار بفتح الراء الاولى ومعناه
ان يدعو الرجل الكاتب والشاهد وهما مشغولان فيقولان نحن على شغل مهم فاطلب غيرنا فيقول
الداعى ان الله امر كان تحيا اذا دعيتا ويلح عليهما فيشغلهم ما عن حاجتهما في عن مضارتهما وامر ان
يطلب غيرهما (وان تفعلوا) يعنى ما نهيتهم عنه من الضرر (فانه فسوق بكم) اى معصية وخروج
عن الامر (واتقوا الله) اى خافوا الله واحذروه فيما نهاكم عنه من المضارة وغيرها (ويطعكم الله) يعنى
ما يكون ارشادكم في امر الدنيا كما يطعكم ما يكون ارشادكم في امر الدين (والله بكل شئ عليم)
يعنى ان الله تعالى عليم بجميع مصالح عباده لا يخفى عليه شئ من ذلك * قوله عز وجل (وان كنتم
على سفر) اى في سفر (ولم تجدوا كتابا) يعنى ولم تجدوا آلات الكتابة (فرهن) جمع رهن وقرئ
فرهان (مقبوضة) يعنى فارتهنوا من دينونه رهونا مقبوضة لتكون وثيقة لكم باموالكم واصل
الرهن الدوام يقال رهن الشئ اذا دام وثبت والرهن ما وضع عند الانسان مما ينوب مناب
ما اخذ منه دين فان قلت لم شرط الارتنان في السرقة عدم الكاتب ولا يختص به سفرون حضر
وقد صرح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رهن درعه عند ابى الشعم اليهودى على طعام اخذه الى
اجل ولم يكن ذلك في سفر ولا عند عدم كاتب قلت ليس الغرض تجوز الارتنان في السفر خاصة دون
الحضر ولكن لما كان السرقة مظة لاعواز الكاتب والاشهاد امر الله تعالى به على سبيل الارشاد الى
حفظ الاموال والى ما كان على سفر بان يقيم التوثيق بالارتنان مقام الكتابة والاشهاد واتفق

بدار القرار في جوار الملك
الغفار واشرفت عليه سمحات
وجهه الكريم وحل بقلبه
روح الرضا العليم وذلك
معنى قوله (لذين اتقوا عند
ربهم جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها وازواج
مطهرة ورضوان من الله
والله بصير بالعباد) فالجنات
جنات الافعال والازواج
اصناف روحانيات عالم
القدس والرضوان جنات
الصفات (الذين يقولون
ربنا اننا آمننا) بانوار افلاك
وصفاتك (فاغفر لنا ذنوبنا)
اى ذنوب وجودنا بذاتك
(وقنا عذاب النار) اى نار
الهجران ووجود البقية
(العاصرين) على غصص
المجاهدة والرياضة
(والصادقين) في المحبة
والارادة (والقانتين) في
السلوك اليه وفيه
(والمتقين) ما عدا من
اهوالهم وافعالهم وصفاتهم
ونفوسهم وذواتهم
(والمستغفرين بالاسحار)
عن ذنوب تلويحاتهم
وبطانتهم في اسحار ايام
التجليات الوردية عند
طلوع طوابع الانوار
وتظهور تابشير صبح يوم
القيامة الكبرى بالافق

العلماء على جواز ائزهن في الحضرة والسفر جميعا ومع وجود الكاتب وعدمه وقال مجاهد لا يجوز
الافى السفر عند عدم الكاتب لظاهر الآية واجاب الجمهور عن ظاهر الآية ان الكلام انما يخرج
على الاعم الاغلب لاعلى سبيل الشرط واتفق العلماء على ان الرهن لا يتم الا بالقبض وهو قوله تعالى
فرهن مقبوضة يعنى ارتهنوا واقبضوا لان المقصود من الرهن هو استيثاق جانب صاحب الحق
وذلك لا يتم الا بالقبض فلورهن ولم يسلم لم يجبر الراهن على التسليم فاذا سلم الرهن لرم من جهته حتى
لا يجوز له ان يسترجعه مادام شئ من الحق باقيا * قوله تعالى (فان امن بعضكم بعضا) يعنى فان
كان الذى عليه الحق امينا عند صاحب الحق ولم يرتعن منه شيا لحسن ظنه به (فليؤد الذى ائتمن امانته)
يعنى فليؤد المديون الذى عليه الحق الذى كان امينا في ظن الدائن الذى ائتمنه وان يؤدى اليه حقه الذى
حقه سمي الدين امانة وان كان مضمونا لا ائتمانه عليه حيث امن من جوده فلم يكتب ولم يشهد عليه
ولم يأخذ منه رهنا حث المديون على ان يكون عند ظن الدائن الذى ائتمنه وان يؤدى اليه حقه الذى
ائتمه عليه ولم يرتعن منه عليه شيا ثم زاد ذلك تأكيدا بقوله (وليتق الله ربه) اى المديون في اداء الحق عند
حلول الاجل من غير ماطلة ولا جحود بل بمامله المعاملة الحسنة كما احسن ظنه فيه ثم رجع الى خطاب
الشهود فقال تعالى (ولا تكتنوا الشهادة) يعنى اذا دعيت الى اقامتها وادائها وذلك لان الشاهد متى
امتنع من اقامة الشهادة وكتنفا فقد اسفل بذلك حق صاحب الحق فلماذا نهى عن كتمان الشهادة وبالغ
في الوعيد عليه فقال تعالى (ومن يكتنمها) يعنى الشهادة (فانه آثم قلبه) اى فاجر قلبه والاثم الفاجر
واتما ضيف الاثم الى القلب لان الافعال من الدواعى والصوارف انما تحدث في القلب فلما كان الامر
كذلك اضيف الاثم الى القلب قيل ما وعد الله على شئ كما يعاده على كتمان الشهادة فانه تعالى قال
فانه آثم قلبه واراد به مسح القلب نموذبا لله من ذلك (والله بما تعملون عليم) يعنى من بيات الشهادة
وكتنمها فيه وعيد وتحذير لمن كتم الشهادة ولم يظهرها * قوله عز وجل (لله ما في السموات
وما في الارض) ملكا واهله عبيد وهو مالكمهم (وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله)
وهذا يناول حديث النفس والخواطر الفاسدة التى ترد على القلب ولا يمكن من دفعها والمواخذة
بها تجرى مجرى تكليف ما لا يطاق واجيب عن هذا بان الخواطر الحاصلة في القلب على قسمين فمنها
ما يوطن الانسان نفسه عليه ويمزم على اظهاره الى الوجود فهذا مما يؤخذ الانسان به والقسم الثانى
ما يخطر بالبال ولا يمكن دفعه عن نفسه لكن يكرهه ولا يزم على فعله ولا اظهاره الى الوجود
فهذا معفو عنه بدليل قوله تعالى لهما ما كسبت وعليهما ما اكتسبت وقال قوم ان هذه الآية خاصة ثم
اختلفوا في وجه تخصيصها فقال بعضهم هى متصلة بالآية التى قبلها وانما نزلت في كتمان الشهادة ومعنى
الآية وان تبدوا ما في انفسكم اياها الشهود من كتمان الشهادة او تخفوه اى تخفوا الكتمان يحاسبكم به
الله وهذا ضعيف لان اللفظ عام ان كان واردا عقيب قضية فلم يلزم صرفه اليها وقال بعضهم ان الآية
نزلت فيمن يتولى الكافرين من المؤمنين والمعنى وان تبدوا اى تظهروا ما في انفسكم يعنى من ولاية
الكفار او تخفوه فلا تظهروه يحاسبكم به الله وذهب اكثر العلماء الى ان الآية عامة ثم اختلفوا
فقال قوم هى منسوخة بالآية التى بعدها وبديل عليه ما روى عن ابي هريرة قال لما نزلت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه
الآية اشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركعوا

الاعلى فاجابهم وقت
طلوع شمس الذات من
مغرب وجودهم فلم يبق
مغربا بقوله (شهد الله انه
لا اله الا هو) طلع الوجه
الباقى فشهد بذاته في مقام
الجمع على وحدانيته اذ لم
يبق شاهد ولا مشهود
غيره ثم رجع الى مقام
التفصيل فشهد بنفسه مع
غيره على وحدانيته في
ذلك المشهد فقال (واللثة
واولوا العلم قائما بالقسط)
اى مقيا للعدل في تفاصيل
مظاهره وصور كثرتها
الذى هو ظل الوحدة
في غير الجمع باعطاء كل ذى
حق بحسب استعداده
واستحقاقه حقه من
جوده وكاله وتجليه فيه
على قدر سعة وقائه (لا اله
الا هو) في المشهدين (العزيز)
القاهر الذى يقهر كل شئ
باعتبار الجمع فلا يصل اليه
احد (الحكيم) الذى يدبر
بحكمة كل شئ فيعطيه
ما يليق به باعتبار التفصيل
(ان الدين عند الله الاسلام
وماختلف الذين اتوا
الكتاب الامن بعد ما جاءهم
العلم بقيا بينهم ومن يكفر
بآيات الله فان الله سريع
الحساب) هو هذا التوحيد

على الركب فقالوا اي رسول الله كفنا من الاعمال ما نطبق الصلاة والصيام والجهاد والمصلحة
وقد ازلت عليك هذه الآية ولا نطيعها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اريدون ان تقولوا
كأهل الكتاب من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلا
اقرها القوم وذلستهم الستم انزل الله تعالى في اثرها آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون
كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين احدهم من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا
غفرانك ربنا واليك المصير فلا فعلوا ذلك نسخها الله عز وجل فانزل الله تعالى لا يكلف
الله نفسا الا وسعها لهما ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا قال نعم
ربنا ولا تحمل علينا اصرا كالجملة على الذين من قبلنا قال نعم ربنا لا تحملنا الا ما طاقناه قال نعم
واعف عنا واعرزلنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال نعم اخرجهم مسلم
وله عن ابن عباس نحوه وفيه قد فعلت بدل نعم (ق) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان الله تعالى تجاوز لامني ما حدثت به انفسها ما لم يعملوا به او ينكروا به وفي رواية
ما وسوست به صدورها وقال قوم ان الآية غير منسوخة لان النسخ لا يرد الا على الامر
والنهي ولا يرد على الاخبار وقول الله تعالى يحاسبكم به الله خبر فلا يرد عليه النسخ ثم اختلفوا
في تأويلها فقال قوم قد اثبت الله تعالى للقلب كسبا فقال بما كسبت قلوبكم وليس الله بعد امر
علما او اعلمه من حركة جارحة او همة قلب لا يعطه الله ثم يخبره به ويحاسبه عليه ثم يفر ما يشاء
ويعذب بما يشاء وقال آخرون في معنى الآية ان الله تعالى يحاسب خلقه بجميع ما لبسوا من
اعمالهم او اخفوه ويعاقبهم عليه غير ان معاقبتهم على ما اخفوه اخف مما لم يعملوا به وهو ما يحدث
لهم في الدنيا من الوائب والمصائب والامور التي يحزنون عليها وهذا قول عائشة عن امية
انها سألت عائشة عن قول الله عز وجل وان تدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وعن
قوله من يعمل سوا يحزنه فقالت ما سألتني عنها احد منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال هذه معاتبة الله العبد بما يصيه من الحى والنكبة حتى البضاعة يضعها في يد قيصة فيفقدوها
فيفزع لها حتى ان العبد ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الاخر من الكبر اخرجته الترمذى وقال
حديث حسن غريب وله عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اراد الله
بعده الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد الله بعده الشر امسك عليه بذنبه حتى يوافيه به
يوم القيامة وقال قوم في معنى الآية وان تدوا ما في انفسكم يعني بما عزمت عليه او تخفوه اى
ولا تدوا واتم حازمون عليه يحاسبكم به الله فاما حديث النفس بما لم تعزموا عليه فان ذلك بما
لا يكلف الله نفسا الا وسعها ولا يؤاخذ به قال عبدالله بن المبارك قلت لسفيان ايواخذ العبد
بالهمة فقال اذا كانت عز ما اخذها وقيل معنى المحاسبة الاخبار والتعريف فيجمع معنى هذه المحاسبة
الى كونه تعالى عالما بكل ما في الضمائر والسرائر مما ظهر او خفي ومعنى الآية وان تدوا ما في انفسكم
فعملوا به او تخفوه مما اضمرت وتوهم يحاسبكم به الله اى يخبركم به ويعرفكم اياه ثم يفر
للمؤمنين اظهار التفضل ويعذب الكافرين اظهارا لعدله يروى عن ابن عباس ويدل عليه انه قال
يحاسبكم به الله ولم يقل يؤاخذكم به لان المحاسبة غير المؤاخذة ويدل عليه ايضا ما روى عن
صفوان بن محرز المازني قال بلغ ابن عمر يطوف اذ عرض له رجل فقال يا ابا عبد الرحمن اخبرني

الذي قرره بنفسه فان
دينه دين اسلام الوجوه
كما قال ابراهيم صلى الله
عليه وسلم اسلت وجهي
له اى نفسى وجلى
وانخلعت عن اينتى ففتيت
فيه وامر الله تعالى حبيبه
عليه الصلاة والسلام
فيما بعد بقوله (فان حاجوك
فقل اسلت وجهي لله
ومن اتبعني * وقل للذين
اوتوا الكتاب والاميين
ما سلمت فان اسلموا فقد
اهتدوا وان تولوا فاعما
عليك البلاغ والله بصير
بالعباد ان الذين يكفرون
بآيات الله اى المحجوبين
عن الدين (ويقتلون النبيين
بغير حق) لكونهم محجوبين
بدينهم لا يقبلون الامام
عليه من التقيد والتقليد
والانبياء دعوهم الى
التوحيد ومنعهم عن
التقيد قتلهم (ويقتلون
الذين يأمرون بالقسط
من الناس فيشرهم بعذاب
اليم) من اتاهم اذا عدل
ظل التوحيد فن لم يكمل
له لا يهلكه العدل وهم
قد جعلوا بتقيدهم دينهم
فقد جعلوا بظلمهم عن العدل
فخالفهم وقتلهم (اولئك
الذين حبطت اعمالهم

ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجحوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يقول يذنب المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا وكذا فيقول
 اعرف رب اعرف مرتين فيقول الله سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها اليوم ثم تطوى صحيفة
 حسابه واما الآخرون وهم الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤس الخلائق هؤلاء الذين
 كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين اخرجاه في الصحيحين * وقوله تعالى (فيغفر لمن يشاء
 ويعذب من يشاء) قال ابن عباس يغفر لمن يشاء الذنب العظيم ويعذب من يشاء على الذنب
 الصغير لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون (والله على كل شيء قدير) يعنى انه تعالى قادر على كل
 شيء كامل القدرة فيغفر للمؤمنين فضلا ويعذب الكافرين عدلا * قوله عز وجل (آمن الرسول
 بما ازل اليه من ربه) عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية وان تبدوا ما في انفسكم او
 تخفوه بحاسبكم به الله دخل قلوبهم منها شيء لم يدخل من شيء فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
 فانزل الله آمن الرسول بما ازل اليه من ربه والمؤمنون الآية لا يكلف الله نفسا الا وسعها
 لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا قال قد فعلت ربنا ولا
 تحمل عنا اصرنا كما حملته على الذين من قبلنا قال قد فعلت ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واهف
 عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم المكافرين قال قد فعلت اخرجه الترمذي
 وقال حديث حسن قال الزجاج لما ذكر الله في هذه السورة فرض الصلاة والركعة والصوم
 والحج والطلاق والايلاء والحليض والجهاد واقاصيص الانبياء وما ذكر من كلام الحكماء ختم
 السورة بذكر تصديق نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بجميع ذلك ومعنى آمن الرسول صدق
 الرسول يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى صدق الرسول ان هذا القرآن وجلة ما فيه من
 الشرائع والاحكام نزل من عند الله عز وجل (والمؤمنون) اى وصدق المؤمنون بذلك
 ايضا (كل) اى كل واحد من المؤمنين (آمن بالله) ملائكته وكتبه ورسله (فهذه اربع
 مراتب من اصول الايمان وضروبيه فاما الايمان بالله فهو ان يؤمن بان الله واحد احد
 لا شريك له ولا نظيره ويؤمن بجميع اسمائه الحسنى وصفاته العليا وانه حي عالم قادر على كل شيء
 واما الايمان بالملائكة فهو ان يؤمن بوجودهم وانهم معصومون مطهرون وانهم السفرة
 الكرام البررة وانهم الوسائط بين الله تعالى وبين رسله واما الايمان بكتبه فهو ان يؤمن بان
 الكتب المنزلة من عند الله هى وحى الله الى رسله وانها حق وصدق من عند الله بغير شك ولا
 ارتياب وان القرآن لم يحرف ولم يبدل ولم يغير وانه مشتمل على المحكم والمتشابه وان محكمه
 يكشف عن متشابهه واما الايمان بالرسل فهو ان يؤمن بانهم رسل الله الى عباده وامناؤه على
 وحيه وانهم معصومون وانهم افضل المخلوق وان بعضهم افضل من بعض وقد انكر بعضهم
 ذلك وتمسك بقوله تعالى لا تفرق بين احد من رسله واجيب عنه بان المقصود من هذا الكلام
 شيء آخر وهو اثبات نبوة الانبياء والرد على اليهود والنصارى الذين يقرون بنبوة موسى
 وعيسى وينكرون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقد ثبت بالنص الصريح تفضيل بعض الانبياء
 على بعض بقوله تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ومعنى قوله (لا تفرق بين احد من رسله)
 فتؤمن ببعض وتكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى بل تؤمن بجميع رسله وفى الآية اضمار

حارج عن نورها واذا خالقوا نبهم لم يبق بينهم وبينه من الوصلة والمناسبة ما يتمكن به الاستفاضة من نوره فنجبوا عن نوره وكانت افعالهم منورة بنوره لاجل المتابعة لانور ذاتي لها اذ لم تكن صادرة عن يقين فاذا زال نورها العارضى باحتجابهم عن نبيهم فقد اظلمت وصارت كسائر السبات من صفات النفس الامارة وفيه ما سمعت غيره مرة من قتل كفار قوى النفس الامارة انبياء القلوب والاعمارين بالقسط من القوى الروحانية (قل اللهم مالك الملك) تملك ملك عالم الاجسام مطلقا تنصرف فيه لا مالك ولا متصرف ولا مؤثر فيه غيرك (تؤتي الملك من تشاء) تجعله متصرفا في بعضه (وتنزع الملك ممن تشاء) تجعله المتصرف في يد غيره ولا غير ثمرة بل تقلبه من يد الى يد فان المتصرف فيه على كل حال بحسب اختلاف المظاهر (وتعزمن تشاء) بالقضاء نور من انوار عزتك عليه فان العزة لله جميعا (وتذل من تشاء) بسلب لباس عزتك عنه

تقديره وقالوا يعنى المؤمنين لا تنرقى بين احد من رسله (وقالوا سمعنا واطعنا) يعنى سمعنا قولك واطعنا امرك والمعنى قال المؤمنون سمعنا قول ربنا فيما امرنا به واطعناه فيما اذننا من فرائضه واستعبدنا به من طاعته وسماعه فيما امرنا به ونهاهنا عنه (غفرانك ربنا) اى نسألك غفرانك ربنا او يكون المعنى اغفر لنا غفرانك ربنا (وابيك المصير) يعنى قالوا اليك يا ربنا مرجعنا ومعادنا فاغفر لنا ذنوبنا روى البقوى بغير سند عن حكيم بن جابر ان جبريل عليه السلام قال لنبى صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قد اتى عليك وعلى امك فسل تعطه قال بتلقين الله تعالى غفرانك ربنا وابيك المصير قوله عز وجل (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) قيل يحتمل ان يكون ابتداء خبر من الله تعالى ويحتمل ان يكون حكاية عن المؤمنين وفيه اضمار كأنه قال الله تعالى عنهم وقالوا لا يكلف الله نفسا الا وسعها يعنى طاقتها والوسع اسم لما يسع الانسان ولا يضيق عليه قال ابن عباس واكثر المفسرين ان هذه الآية نخصت حديث النفس والوسوسة وذلك انه لما نزل وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه ضج المؤمنون منها وقالوا يا رسول الله تنوب من عمل اليد والرجل والاسان فكيف تنوب من الوسوسة وحديث النفس فنزلت هذه الآية والمعنى انكم لا تستطيعون ان تمتنعوا من الوسوسة وحديث النفس كان ذلك ما لم تطبقوه وقال ابن عباس فى رواية عنه هم المؤمنون خاصة وسع الله عليهم امر دينهم ولم يكلفهم مالا يستطيعون كما قال يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال تعالى وما جعل عليكم فى الدين من حرج وسئل سفيان بن عيينة عن قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها قال الايسرها ولم يكلفها فوق طاقتها وهذا قول حسن لان الوسع مادون الطاقة وقيل معناه ان الله تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها فلا يعيدها بما لا تطيق (لها ما كسبت) يعنى للنفس ما عملت من الخير فلها اجره وثوابه (وعليها ما اكتسبت) يعنى من الشر عليها وزره وعقابه وقيل فى معنى الآية ان الله تعالى لا يؤاخذ احدا بذنب غيره قوله عز وجل (ربنا لا تؤاخذنا) وهذا تعليم من الله تعالى عباده المؤمنين كيف يدعونه ومعناه قولوا ربنا لا تؤاخذنا اى لا تعاقبنا وانما جاء بلفظ المفاعلة وهو فعل واحد لان المسمى قد امكن من نفسه وطرق السبيل اليها بفعله فكانه اعدل عليه من يعاقبه بذنبه وبأخذه به (ان نسيا او اخطأنا) فيه وجهان احدهما انه من النسيان الذى هو السهو وهو ضد التذكر قيل كان بنو اسرائيل اذا نسوا شيئا مما امروا به او اخطؤا عجلت لهم العقوبة فيحرم عليهم شئ مما كان حلالا لهم من معام او مشرب على حسب ذلك الذنب فامر الله المؤمنين ان يسألوه ترك مؤاخذتهم بذلك فان قلت اليس فعل الناسى فى محل العفو بدليل قوله صلى الله عليه وسلم رفع عن امتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه فاذا كان النسيان فى محل العفو قطعا فامعنى طلب العفو عنه بالدعاء قلت الجواب عنه من وجوه الاول ان النسيان على ضربين اما الاول فهو ما كان من البعد على وجه التضييع والتفريط وهو ترك ما امر بفعله كن رأى على ثوبه دما فاخر ازالته عنه ثم نسى فصلى فيه وهو على ثوبه فيعد مقصرا اذ كان يلزمه المبادرة الى ازالته اما اذا لم يره فيعذر فيه وكذا لو ترك ما امر بفعله على وجه السهو وارتكب منها عنه من غير قصد اليه كما كل آدم عليه السلام من الشجرة الى نهى عنها على وجه النسيان من غير عزم على الخافقة كما قال تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل

ففسى ولم نجد له عز ما مثل هذا يجب ان يسأل الله تعالى ان يعفوه عن ذلك واما الضرب
الثاني فهو كمن ترك صلاة ثم نسيها او ترك دراسة القرآن بعد ان حفظه حتى نسيه فهذا لا يعذر
بنسيان وسهوه لانه فرط فثبت ان النسيان على قسمين واذا كان كذلك صح طلب العفو
والغفران عن النسيان * الوجه الثاني من الجواب ان الصحابة رضى الله عنهم كانوا من المتقين لله
حق ثقته فان صدر منهم ما لا ينبغي فلا يكون الا على سبيل السهو والنسيان فطلبهم العفو والغفران
لا يقع منهم على سبيل السهو والنسيان انما هو لشدة خوفهم وتقواهم * الوجه الثالث ان المقصود
من هذا الدعاء هو التضرع والتذلل لله تعالى واما الخطأ في قوله او اخطأنا فعلى وجهين اينما
* احدهما ان يأتي العبد مائى عنه بقصد وارادة فذلك خطأ منه وهو به مأخوذ فيحسن
طلب العفو والغفران لذلك القفل الذى ارتكبه * الوجه الثاني ان يكون الخطأ على سبيل الجهل
والظن بان له فعله كمن ظن ان وقت الصلاة لم يدخل وهو في يوم غيم فاخرها حتى خرج وقتها
فهذا من الخطأ الموضوع عن العبد لكن طلب العفو والغفران لسبب تقصيره وقوله (ربنا ولا
تحمل علينا صرا) يعنى عهدا ثقيلا وميثاقا غليظا فلا تستطيع القيام به فتعذبنا بنقصه وتركه
(كما حالته على الذين من قبلنا) يعنى اليهود فلم يقوموا به فذبتهم عليه وقيل وعنا ولا تشدد
عينا كما شددت على اليهود من قبلنا وذلك ان الله تعالى فرض عليهم حسيين صلاة وامرهم
باداء ربع او اهلهم زكاة من اصاب منهم ثوبه نجاسة قطعها ومن اصاب ذنبا اصبح وذنبه مكتوب
على بابه ونحو هذا من الاتقال والآصار التى كتبت عليهم فسأل المسلمون ربهم ان يصونهم عن
امثال هذه التغليطات واليهود الثقيلة وقد اجاب الله تعالى دعاءهم برحمته وخفف عنهم بفضله
وكرمه فقال تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج وقيل الاصر ذنب لا توبة له فسأل
المؤمنون ربهم ان يعصمهم من مثله (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) يعنى لا تكلفنا من الاعمال
ما لا نطيق القيام به لثقل حمله علينا وتكليف ما لا يطاق على وجهين * احدهما ما ليس في قدرة العبد
احتماله كتكليف الاعمال النظر والزمن العدو فهذا النوع من التكليف الذى لا يكلف الله به عبده
بحال * الوجه الثاني من تكليف ما لا يطاق هو ما في قدرة العبد احتماله مع المشقة الشديدة والكلفة
العظيمة كتكليف الاعمال الشاقة والفرائض الثقيلة كما كان في ابتداء الاسلام صلاة الليل واجبة
ونحوه فهذا الذى سأل المؤمنون ربهم لا يحملهم ما لا طاقة لهم به واستدل بهذه الآية من يقول
ان تكليف ما لا يطاق حائزا اذ لو لم يكن جائزا لما حسن طلب تخفيفه بالدعاء من الله تعالى وقيل
في قوله ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به هو حديث النفس والوسوسة وقيل هيجان الغلة وقيل هو
الحب وقيل هو ثمانية الاعداء وقيل هو الفقرة والقطيعة وقيل هو مسح القردة والخنازير
نموذ بالله من ذلك كله (واعف عنا) اى تجاوز عن ذنوبنا واعف عنا (واغفر لنا) اى استر
علينا ذنوبنا ولا تقضضنا (وارحنا) اى تقمدا برحمة نجينا بها من عقابك فانه ليس
بشاج من عقابك الا من رحته وقيل ان الاتقال العمل بطاعتك ولا تترك مصيبتك الا برحمتك
واصل الرحمة رقة تقتضى الاحسان الى المرحوم واذا وصف بها الله تعالى فليس يراد
بها الا الاحسان المجرد والتفضل على العباد دون الرقة وقيل ان طلب العفو هو ان يسقط
عنه عقاب ذنوبه وطلب المغفرة هو ان يستتر عليه صوابه من الفضيحة كان العبد يقول اطلب

فيبقى ذنبلا (يدك الخير
انك على كل شئ قدير)
كاه وانت القادر مطلقا
تعطى على حسب مشيتك
تجعل تارة على بعض المظاهر
بصفة العزو والكبرياء
فتكسوه لباس العز والبهاء
وتارة بصفة القهر والاذلال
فتكسوه لباس الهوان
والصفار وتارة بصفة
المعز فتكون مذلا وتارة
بصفة المذل فتكون معزا
وتارة بصفة الغنى فتعطى
المال وتارة بصفة الغنى
فتنفقه اى تجعله مستغنيا
عن المال فقيرا لا يحتاج
الى شئ (تولج الليل في النهار
وتولج النهار في الليل) تدخل
ظلمة النفس في نور القلب
فيظلم وتدخل نور القلب في
ظلمة النفس فتستنير بخلطهما
معامع بعد المناسبة بينهما
(وتخرج الحى) اى حى
القلب (من الميت وتخرج
الميت من الحى) اى من ميت
النفس وميت النفس من حى
القلب بل تخرج حى العلم
والعرفه من ميت الجهل
وتخرج ميت الجهل من حى
العلم بحجبه عن الوركال
يلم بن باعورا (وترزق من
نشاء) من النعمة الظاهرة
والباطنة جميعا او من

احداهما (بغير حساب لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين) اذلا مناسبة بينهم في الحقيقة والولاية لا تكون الا بالجنسية والمناسبة فيئذ لا يمكن ان تكون المحبة بينهم ذاتية بل مجسولة مصنوعة بالصنع والرياء والنفاق وهي خصال مبعدة عن الحق اذ كلها حجب ظلمانية ولو لم يكن فيهم ظلمة تأسبت حال الكفرة ماقدروا على محالطتهم ومصاحبتهم (ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء) اي من ولاية الله في شيء معتد به اذ ليس فيه نورية صافية يناسبون بها الحضرة الالهية (الا ان تقوا منهم نقاة) اي الا ان تخافوا من جهتهم امر يجب ان تبقى قوا لوهم ظاهر اليس في قلوبكم شيء من محبتهم وذلك ايضا لا يكون الا لضعف اليقين اذ لو باشر قلوبهم اليقين لماخفوا الا الله تعالى وشاهدوا معنى قوله تعالى وان ممسك الله بضم فلا كاشف له الا هو وان يدرك بخير فلا راد لفضله فاحافوا غيره ولم يرجوا غيره ولذلك عقبه بقوله (ويحذركم الله نفسه)

منك العفو واذا عفوت عنى فاستره على فاذا عفا الله تعالى عن العبد واستره طلب الرحمة التي هي الانعام والاحسان ليعفو بالنعم والثواب (انت مولانا) اي ناصرنا وحافظنا وولينا ومتولى امورنا (فانصرنا على القوم الكافرين) يعني الجاحدين الذين عبدوا غيرك وجحدوا وحدانيتك قال ابن عباس في قوله تعالى غفرنا لك ربنا قال قد غفرت لكم وفي قوله لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا قال لا تؤاخذكم ربنا ولا تحمل علينا اصرا قال لا اجل عليكم ولا تحملنا مالا طاعة لنا به قال لا اجلكم واعف عنا واغفر لنا وارحنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرنكم على القوم الكافرين كان معاذ اذا ختم سورة البقرة قال آمين (م) عن عبدالله بن مسعود قال لما سري رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى الى سدره المنتهى وهي في السادسة واليها ينتهى ما يخرج من الارض فيقبض منها واليها ينتهى ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال اذ ينشئ السدره ما ينشئ قال فراش من ذهب قال فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا اعطى الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله من امته شيئا المقحمت المقحمت الذنوب العظام التي توجب مرتكبها النار واصل الاقحام الولوج (ق) عن ابي مسعود الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه معناه كفتاه من كل ما يحذر من كل هامة وشيطان فلا يقربه تلك الليلة وقيل كفتاه عن قيام الليل (م) عن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده جبريل عليه السلام اذ سمع نقيضا من فوقه فرفع جبريل بصره الى السماء فقال هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط الا اليوم فزل منه ملك فقال هذا ملك نزل من السماء الى الارض لم ينزل قط الا اليوم فسلم وقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما الا اعطيته عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله كتب لنا كتابا ان يخلق السموات والارض بالي عام انزل فيه آيتين ختم بهما سورة البقرة ولا يقرآن في دار ثلاث ليل فيقرها شيطان اخرجه الترمذي وقال حديث غريب آخر تفسير سورة البقرة والله اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿تفسير سورة آل عمران﴾

مدينة وهي مائة وثلاثة آلاف واربعمائة وثمانون كلمة واربعة عشر الفا وخمسمائة وعشرون حرفا ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل﴾ (الم الله لا اله الا هو الحي القيوم) قال المفسرون نزلت هذه الآية في وفد نجران وكانوا ستين راكبا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم اربعة عشر رجلا من اشrafهم منهم ثلاثة نفر اليهم بؤل امرهم وهم العاقب واسمه عبد المسبح وهو امير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون الا عن رأيه والسيد واسمه الايهم وهو ثمالهم القائم عالمهم وصاحب رحلتهم الذي يقوم بامر طعامهم وشرايبهم وابو حارثة بن علقمة وهو واسقهم وحجرهم وكان ملوك الروم يكرمونهم بالبلتهم عن غله واجتهاده في دينه فدخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يصلى العصر وعليهم ثياب الخيرات جيب واردة يقول من رآهم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ما رأينا وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا للصلاة في مسجد رسول الله

اي يدعوكم الى التوحيد
 الباني كيلا يكون حذرکم
 من غيره بل من نفسه (والى
 الله المصير) فلا تحذروا الا
 اياه فانه المطلع على اسراركم
 وعلاياتكم القادر على
 مجازاتكم ان توالوا اعداءه
 او تخافوه سرا او جهرا
 (قل ان تخفوا ما في صدوركم
 وتبدوه يعلم الله ويعلم ما في
 السموات وما في الارض
 والله على كل شيء قدير يوم
 تجد كل نفس ما عملت من خير
 محضرا وما عملت من سوء
 تود لو ان بينها وبينه امدا
 بعيدا) كل ما يعمل الانسان
 او يقوله يحصل منه اثر
 في نفسه وتنتقش نفسه به
 واذا تكرر صار النقش
 ملكة راسخة وكذا ينتقش
 في صحائف النفوس السماوية
 لكنه مشغول عن هيئات
 نفسه ونفوسها بالشواغل
 الحسية والادراكات
 الوهمية والخيالية لا يفرغ
 اليها فاذا فارقت نفسه
 جسدها ولم يبق ما يشغلها
 عن هيئاتها ونفوسها
 وجدت ما عملت من خيرا
 وشرا محضرا فان كان
 شرانتني بعدما بينها وبين
 ذلك اليوم اود ذلك العمل
 لتذنبها به فتصير تلك

صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهكم فصلوا الى الشرق فلما فرغوا
 كلم السيد والعاقب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
 اسلما قالا قد اسلمنا قبلك قال كذبتما بمنعكما من الاسلام دعوا كما لله ولدا وعبادتكما الصليب
 واكلكما الخنزير قالا ان لم يكن عيسى ولد الله فن ابوه وخاصموه جعيا في عيسى فقال
 النبي صلى الله عليه وسلم الستم تعلمون انه لا يكون ولد الا وهو يشبه اياه قالوا بلى قال
 الستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى يأتي عليه الموت قالوا بلى قال الستم تعلمون
 ان ربنا قيم على كل شيء يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك شيئا قالوا لا قال
 الستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك
 الاما علم قالوا لا قال الستم تعلمون ان ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء وربنا لا يأكل ولا يشرب
 قالوا بلى قال الستم تعلمون ان عيسى جلته امه كانه حمل المرأة ثم وضعت كانهض المرأة ولد هاتم غذي
 كانه يذى الصبي ثم كان يعلم ويشرب ويحدث قالوا بلى قال فكيف يكون الها كازعم فسكتوا
 فأنزل الله صدر سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية منها زاد بعضهم فقالوا يا محمد ائتت زعم
 ان عيسى كلمة الله وروح منه قال بلى قالوا حسبنا ثم ابوا الاجودا فأنزل الله ردا عليهم
 الم الله لا اله الا هو يعني ان كانت منازعتكم يا معشر النصارى في معرفة الاله فهو الله الذي
 لا اله الا هو فكيف تثبتون له ولدافين تعالى ان احدا لا يستحق العبادة سواء لانه الواحد الاحد
 ليس معه اله ولا له ولد ثم اتبع ذلك بما يجرى مجرى الدلالة عليه فقال تعالى الى اليوم اما الحى
 في صفة الله تعالى فهو الدائم الباقي الذى لا يصح عليه الموت واما القيوم فهو القائم بذاته والقائم
 بتدبير الخلق ومصلحهم فيما يحتاجون اليه في معاشهم ومعادهم (نزل عليك الكتاب) يعنى القرآن
 (بالحق) اى بالصدق والعدل (مصدقا لما بين يديه) يعنى لما قبله من الكتب في التوحيد والنبوات
 والايثار وبعض الشرائع وقوله لما بين يديه من مجاز الكلام وذلك ان ما بين يديه فهو امامه فقبل
 لكل شيء تقدم على الشيء هو بين يديه لغاية ظهوره واشتراكه (وانزل التوراة والانجيل من قبل)
 اى من قبل القرآن فان قلت لم يقل نزل الكتاب وانزل التوراة والانجيل قلت لان القرآن نزل
 منجما مفصلا في اوقات كثيرة ونزل هو للتكثير وانزل التوراة والانجيل جلة واحدة (هدى للناس)
 يعنى ان ازال التوراة والانجيل قبل القرآن كان هدى للناس فان قلت كيف وصف القرآن
 في اول البقرة بانه هدى للمتقين ووصف هنا التوراة والانجيل بانهما هدى للناس قلت انما وصف
 القرآن بانه هدى للمتقين لانهم هم الذين انتفعوا به وتبعوه ووصف هنا التوراة والانجيل بانهما
 هدى للناس لان المناظرة كانت مع نصارى نجران وهم يعتقدون صحة التوراة والانجيل فلماذا
 السبب قال هنا هدى للناس وقبل ان قوله هدى للناس يعود الى الكتب الثلاثة يعنى القرآن
 المتقدم ذكره والتوراة والانجيل وانما وصف هذه الكتب بانها هدى للناس لما فيها من الشرائع
 والاحكام (وانزل الفرقان) يعنى الفارق بين الحق والباطل قيل اراد به القرآن وانما اعاد
 ذكره تعظيما لشأنه ومدحاه لكونه فارقا بين الحق والباطل وقيل انما اعاد ذكره ليبين انه تعالى
 انزله بعد التوراة والانجيل ليصله فارقا بين ما اختلف فيه اليهود والنصارى في امر عيسى عليه
 السلام وقيل المراد به الكتب الثلاثة لانها كلها هدى للناس ومفرقة بين الحلال والحرام والحق

والباطل وقال المسدي في الآية: تقدم وتأخير تقديره واذل التوراة والانجيل والفرقان هدى للناس (ان الذين كفروا بآيات الله) يعني الكتب المنزلة وغيرها قيل اراد بهم نصارى وفد نجران كفروا بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان خصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ فهو يتناول كل من كفر بشئ من آيات الله تعالى (لهم عذاب شديد والله عزيز) اى غالب لا يظلب (ذوانتقام) يعنى بمن كفر به والانتقام المبالغة في العقوبة * قوله عز وجل (ان الله لا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء) اى لا يخفى عليه شئ من امر العالم وهو المطلع على احوالهم فقوله ان الله لا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء اشارة الى كمال علمه المصلى بجميع المعلومات (هو الذى يصوركم في الارحام) التصوير جعل الشئ على صورة والصورة هيئة يكون علم الشئ بالتأليف والارحام جمع رحم (كيف يشاء) يعنى الصور المختلفة المتفاوتة في الخلقة ذكرا او انثى ابيض او اسود حسنا او قبيحا كاملا او ناقصا والمعنى انه الذى يصوركم في ظلمات الارحام صورا مختلفة في الشكل والطبع واللون وذلك من نقطة (ق) من عباد الله بن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلقى احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث اليه ملك باربع كرات يكتب رزقه واجله وعمله وشئ او سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالله الذى لا اله غيره ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها (ق) عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكل الله بالرحم ملكا فيقول اى رب نصفه اى رب علقه اى رب مضغة فاذا اراد الله ان يقضى خلقها قال يارب اذكر ام انثى اشقى ام سعيد فا الرزق فا الاجل فكتب له ذلك في بطن امه وقيل ان الآية واردة في الرد على النصارى وذلك ان عيسى عليه السلام كان يخبر بعض القريب فيقول اكلت في دارك كذا صنعت كذا وانه اخيا للونى وابراأ الكه والارض وخلق من الطين طيرا فادعت النصارى فيه الالهية وقالوا ما قد على ذلك الا انه اله فرد الله تعالى عليهم بذلك واخبر ان الاله المستحق لهذا الاسم هو الذى لا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء وانه المصور في الارحام كيف يشاء وان عيسى عليه السلام من صوره في الرحم فبه يكون مصورا في الرحم على انه عبد مخلوق كغيره وانه يخفى عليه ما لا يخفى على الله عز وجل (لا اله الا هو العزيز الحكيم) وهذا ايضا في الرد على النصارى حيث قالوا عيسى ولد الله كانه قال كيف يكون ولد له وقد صوره الله في الرحم * قوله عز وجل (هو الذى انزل عليك الكتاب) يعنى القرآن (منه آيات محكمات) يعنى مبينات مفصلات احكمت عبارتها من احتمال التأويل والاشتباه سميت محكمة من الاحكام كانه تعالى احكمها فنع الخلق من التصرف فيها لظهورها ووضوح معناها (هن ام الكتاب) يعنى هن اصل الكتاب الذى يعول عليه في الاحكام ويعمل به في الحلال والحرام فان قلت كيف قال هن ام الكتاب ولم يقل امهات الكتاب قلت لان الآيات في اجتماعها وتكملها كالآية الواحدة وكلام الله كاه شئ واحد وقيل ان كل آية منهن ام الكتاب كما قال وجعلنا ابن مريم وامه آية يعنى ان كل واحد منهما آية (واخر) جمع اخرى (متشابهات) يعنى ان لفظه يشبه

الهيئات والثقوش صورتها ان كانت راسخة والا وجدت جزاءها محسما وتكرر (ويحذركم الله نفسه) تأكيد التلا بعملوا ما يستحقون به عقابه (والله رؤوف بالعباد) فلهذا يحذرهم عن السيئات تحذير الوالد المشفق ولده عما يوبقه (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعون يحبكم الله) لما كان عليه الصلاة حبيبه فكل من يدعى المحبة لزمه اتباعه لان محبوب المحبوب محبوب محبة النبي ومحبة انما تكون بتماثله وسلوك سبيله قولاً وعلاً وخلقاً وحالاً وسيرةً وتقيدةً ولا تمتنى دعوى المحبة الا بهذا فانه قطب المحبة ومظهره وطريقته طمس المحبة فمن لم يكن له من طريقته نصيب لم يكن له من المحبة نصيب واذا تابعه حق المتابعة فاسب باطنه وسره وقلبه ونفسه باطن الى وسره وقلبه ونفسه وهو مظهر المحبة فجزم هذه المناسبة ان يكون له هذا المتابع قسط من محبة الله تعالى بقدر تعلقه من المتابعة فليق الله تعالى محبته عليه ويسرى

من باطن روح النبي نور
تلك المحبة عليه فيكون
محبوا لله محبا له ولولم
يتابعه لخالف باطنه باطن
النبي فبعد عن وصف
المحبوبة وزالت المحبة
عن قلبه اسرع ما يكون
اذ لم يحبه الله تعالى لم يكن
محاله (ونفركم ذؤبكم)
كأختر لحبيه حيث قال
ليغفرلك الله ما تقدم من
ذنبك وما تأخر وذنه
التقدم ذاته والتأخر
صفاته فكذا ذنوب المتابعين
كما قال تعالى لا يزال العبد
يتقرب الى آخر الحديث
(والله غفور) يمحو ذنوب
صغائركم وذواتكم (رحيم)
يهب لكم وجودا وصفات
حقانية خيرا منها ثم
زل عن هذا المقام لانه اعز
من الكبريت الاجر ودعاهم
الى ما هو اعم من مقام المحبة
وهو مقام الارادة فقال (قل
اطيعوا الله والرسول) اي
ان لم تكونوا محبين ولم
تستطيعوا متابعة حبيبي فلا
اقل من ان تكونوا مريدين
مطيعين لما امرتم به فان المريد
يلزمه متابعة الامر وامثال
المأمورة (فان تولوا فان الله
لا يحب الكافرين) اي ان
امرضوا عن ذلك ايضا فهم

يشبه لفظ غيره ومعناه يخالف معناه فان قلت قد جعله هنا محكما ومتشابها وجعله في موضع آخر
كله محكما فقال في اوله هو الكتاب احكمت آياته وجعله في موضع آخر كانه متشابها فقال تعالى
في الزمر الله زل احسن الحديث كتابا متشابها فكيف الجمع بين هذه الآيات قلت حيث جعله
كله محكما اراد انه كله حق وصدق ليس فيه عيب ولا هزل وحيث جعله كله متشابها اراد ان بعضه
محكما وبعضه متشابها فقد اختلفت عبارات العلماء فيه فقال ابن عباس المحكمات اثلاث آيات التي
في آخر سورة الانعام وهي قوله تعالى قل تعالوا انل ما حرم ربكم عليكم ونظيرها في بني اسرائيل وقضى
ربك الا تعبدوا الاياه الآيات وعنه ان الآيات المحكمات هي النسخ والمتشابهات هي الآيات المنسوخة
وبه قال ابن مسعود وقادة السدي وقيل ان المحكمات ما فيه احكام الحلال والحرام والمتشابهات
ما سوى ذلك يشبه بعضه بعضا وصدق بعضه بعضا وقيل ان المحكمات ما اطلع الله عباده على معناه
والتشابه ما استأثر الله بعلمه فلا سبيل لاحد الى معرفته نحو ان خبر عن اشراط الساعة مثل الدجال
ويأجوج وماجوج ونزول عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها وفناء الدنيا وقيام الساعة
بجميع هذا مما استأثر الله بعلمه وقيل ان المحكم ما لا يحتمل من التأويل الاوجه واحد والمتشابه
ما يحتمل اوجهها وروى ذلك عن الشافعي وقيل ان المحكم سائر القرآن والتشابه هي الحروف المقطعة
في اوائل السور قال ابن عباس ان رهطا من اليهود منهم حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف
ونظراؤهما اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال له حيي بلغنا انك انزل عليك الم فانشدك الله
انزلت عليك قال نعم قال ان كان حقا فاني اعلم مدة ملك امتك هي احدى وسبعون
سنة فهل انزل عليك غيرها قال نعم المص قال فبذره اكثر هي احدى وستون ومائة
فهل انزل عليك غيرها قال نعم المرقال هذه اكثر هي مائتان واحدى وثلاثون سنة
فهل من غيرها قال نعم المرقال هذه اكثر هي مائتان واحدى وسبعون سنة ولقد اختلط علينا
فلا ندري ابكثيره نأخذ ما بقليله ونحن ممن لا يؤمن بهذا فانزل الله هذه الآية قوله تعالى فاما الذين
في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه به وقيل ان المحكم ما لم تكرر اللفظة والتشابه ما تكرر اللفظة
وقيل ان المحكم ما استقل بنفسه ولم يحتاج الى بيان والتشابه ما احتاج الى بيان وقيل ان المحكم هو الامر
والنهي والوعيد والتشابه هو القصص والامثال فان قلت انما انزل القرآن البيان الدين وارشاد
العباد وهدايتهم فافائدة التشابه وهلاك كانه محكما قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال اجوبة
احدها ان القرآن انزل بالفاظ العرب ولقائهم وكلام العرب على ضربين احدهما الایجاز
للاختصار والموجز الذي لا يخفى على سامعه ولا يحتمل غير ظاهره والاطالة لبيان المراد والتوكيد
الضرب الثاني المجاز والكتابات والاشارات والتلويحات واغاض بعض المعاني وهذا الضرب
هو المستحسن عند العرب والبدیع فی كلامهم فانزل الله تعالى القرآن على هذين الضربين ليحقق
عجزهم عن الاتيان بمثله فكأنه قال عارضوه بأي الضربين شتم ولو نزل كله محكما واضحا
لقالوا هل انزل بالضرب المستحسن عندنا الجواب الثاني ان الله تعالى انزل التشابه لفائدة عظيمة
وهي ان يشغل اهل العلم والنظر بدهم التشابه الى المحكم فيطول بذلك فكرهم ويتصل بالبحث
عن معانيه اهتمامهم فيثابرون على تعميم كتابهم على عبادتهم ولو انزل القرآن كله محكما لاستوى
في معرفته العالم والجاهل ولم يفضل العالم على غيره ومالات الخواطر وخدت الفكرة ومع النصوص

كفار منكرون محجوبون والله لا يحب من كان كافرا فيترك الطاعة يلزم الكفر وبترك المتابعة لا يلزم لان تارك المتابعة يمكن ان يكون مطيعا بمتابعة الامر ومعنى اطيعوا الله والرسول اطيعوا رسول الله لقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله (ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين) الاصطفاء اعم من المحبة والخلة فيشمل الانبياء كلهم لانهم خيرة الله وصفوته وتفاضل فيه مراتبهم كما قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض فاخص المراتب هو المحبة و اشار اليه بقوله ورفع بعضهم درجات فلذلك كان افضلهم حبيب الله محمد صلى الله عليه وسلم ثم الخلة التي هي صفة ابراهيم عليه السلام واعمال الاصطفاء اي صفة آدم عليه السلام (ذرية بعضها من بعض) في الدين والحقيقة اذ لولاية فيصان مصورية ومعنوية وكل نبي تبع نبيا آخر في التوحيد والعرفه وما يتعلق بالباطن من اصول الدين فهو ولده كاولاد المشايخ في زماننا هذا وكقول الآباء

تقع الحاجة الى الفكرة والخلة الى استخراج المعاني وقد قيل في عيب المعنى انه يورث البلادة وفي فضيلة الفقر انه يورث الفطنة وقيل انه يبحث على الخلة لانه اذا احتاج احتال الجواب الثالث ان اهل كل علم يحملون في علومهم معاني فامضة ومساائل دقيقة ليجتنبوا بذلك اذهان متعلين منهم على انتزاع الجواب لانهم اذا قدروا على انتزاع المعاني الفاضلة كانوا على الواضح اقدر فلما كان ذلك حسنا عند العلماء جاز ان يكون ما انزل الله تعالى من التشابه على هذا النحو الجواب الرابع ان الله تعالى انزل التشابه في كتابه مخبرانه عباده ليقتفوا من المؤمنين عنده ويردعوا الى طاعته فيعظم بذلك ثوابه ويرتاب به المنافق فيدخله الزيف فيستحق بذلك العقوبة كما ابتلى بنو اسرائيل بالثر والله اعلم بمراده * وقوله تعالى (فاما الذين في قلوبهم زيغ) اي ميل عن الحق وقيل الزيف الشك واختلفوا في المعنى بمرم والمشار اليهم فقيل هم وفدنجران الذين خاصموا رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلام وقالوا انت تزعم ان عيسى روح الله وكلمته قال بلى قالوا حسبنا فأنزل الله هذه الآية وقيل هم اليهود لانهم طلبوا معرفة مدة بقاء هذه الامة واستخرجاه بحساب الجمل من الحروف المقطعة في اوائل السور وقيل هم الخوارج وكان قتادة يقول ان لم تكنوا بالخرورية والسبئية فلا ادري من هم وقيل هم جميع المبتدعة (فيتبعون ما تشابه منه) يعني يحلون الحكم على التشابه والتشابه على الحكم ويقولون ما بال هذه الآية على ما كذا وكذا ثم نحضت وقيل كل من احتج باطله بالتشابه فهو المعنى بهذه الآية (ق) عن عائشة رضی الله تعالى عنها قالت تال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات الى وما يذكر الا اولو الاباب فقال اذا رايتم الذين يتبعون ما تشابه منه فاولئك الذين ساء لهم الله فاخذروهم * وقوله تعالى (ابتغاء الفتنة) اي طلب الشرك والكفر وقيل طلب الشبهات واللبس ليضلوا بها جهالهم وقيل طلب افساد ذات البين (وابتغاء تأويله) اي تفسيره واصل التأويل في اللغة الرجوع والمصير تقول آل الامر الى كذا اذا رجع اليه وتسمى العاقبة تأويلا لان الامر بصير اليه قال ابن عباس في قوله وابتغاء تأويله اي طلب بقاء ملك محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بهم الكفار طلبوا مني يعنون وكيف احيائهم بعد الموت وقيل هو طلب تفسير التشابه وعلمه (وما علم تأويله الا الله) يعني تأويل التشابه وقيل لا يعلم انقضاء ملك هذه الامة الا الله تعالى لان انقضاء ملكها مع قيام الساعة ولا يعلم ذلك الا الله وقيل يجوز ان يكون للقرآن تأويل استثنائه الله بطله ولم يطلع عليه احدا من خلقه كعلم قيام الساعة ووقت طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال ونزول عيسى بن مريم وعلم الحروف المقطعة واشبه ذلك مما استأثر الله بعلمه فالايان به واجب وحقائق علومه مفوضة الى الله تعالى وهذا قول اكثر المفسرين وهو مذهب ابن مسعود وابن عباس في رواية عن ابن عباس في كتابه وعائشة واكثر التابعين فعلى هذا القول ثم الكلام عند قوله الا الله فيوقف عليه ثم ابتداء فقال عز من قائل (والراسخون في العلم) اي الثابتون في العلم وهم الذين اتقنوا علمهم بحيث لا يدخل في علمهم شك (يقولون آمنا به) قال ابن عباس سمعهم الله راسخين في العلم بقولهم آمنا به فرسوخهم في العلم هو الايمان وقال عمر بن عبد العزيز في هذه الآية انتهى علم الراسخين في العلم بتأويل القرآن الى ان قالوا آمنا به (كل من عند ربنا) يعني الحكم والتشابه والماسخ والمنسوخ واما علمه وما لم نعلم ونحن معتمدون في التشابه بالايمان به ونكل معرفته

ثلاثة اب ولدك واب ربك
واب علك فكما ان وجود
البدن في الولادة الصورية
يتولد في رحم امه من نطفة
ايه فكذلك وجود القلب
في الولادة الحقيقية يظهر
في رحم استعداد النفس من
نفحة الشيخ والمعلم والى هذه
الولادة اشار عيسى عليه
عليه السلام بقوله لن يلج
ملكوت السموات من لم
يولد مرتين واعلم ان الولادة
المعنوية اكثرها يتبع
الصورية في التنازل ولذلك
كان الانبياء في الظاهر ايضا
نسلا ثم ثمر شجرة واحدة
فان عمران بن نصر اباموسى
وهرون كان من اسباط
لاوى بن يعقوب بن اسحق
بن ابراهيم وعمران بن ماثان
ابامريم ام عيسى كان من
اسباط يهوذا بن يعقوب
وكون محمد عليه الصلاة
والسلام من اسباط اسمعيل
بن ابراهيم مشهور وكذا
كون ابراهيم من نوح عليه
السلام وسيله ان الروح
في الصفاء والكسوة يناسب
الزواج في الاحتدال وعدمه
وقت التكون فلكل روح
مزاج يناسبه ويخصه
اذ القبيض بصل بحسب
الناسبه وتفاوت الارواح

الى الله تعالى وفي المحكم يجب علينا الايمان به والعمل بمقتضاه وروى عن ابن عباس انه قال تفسير
القرآن على اربعة اوجه فنه تفسير لايسع احدا جهله وتفسير تعرفه العرب بالسنتها وتفسير تعلمه
العلماء وتفسير لايعلمه الا الله وقيل ان الواو في قوله والراسخون في العلم واوعطف يعنى
ان تأويل المتشابه يعلمه الله ويعلمه الراسخون في العلم وهم مع علمهم يقولون آمنا به روى عن
ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه كان يقول انا من الراسخين في العلم وعن مجاهد عنه انا
ممن يعلم تأويله ووجه هذا القول ان الله تعالى انزل كتابه لينفع به عباده ولا يجوز ان يكون
في القرآن شئ لا يعرفه احد من الامة وفي المراد بالراسخين في العلم هنا قولان احدهما انهم
مؤمنوا اهل الكتاب مثل عبدالله بن سلام واصحابه دليله قوله تعالى لكن الراسخون في العلم منهم
والقول الثاني ان الراسخين هم العلماء العالمون بعلمهم مثل انس بن مالك عن الراسخين في العلم
فقال العالم العامل بما علم المتبع له وقيل الراسخ في العلم من وجد في علمه اربعة اشياء التقوى
فيما بينه وبين الله تعالى والتواضع فيما بينه وبين الناس والزهد فيما بينه وبين الدنيا والمجاهدة فيما
بينه وبين النفس (وما يذكر الاولوالاسباب) اى وما يتعظ بما في القرآن الاذووالعقول
وهذا ثناء من الله عز وجل على الذين قالوا آمنا به كل من عند ربنا * قوله عز وجل (ربنا
لا تزغ قلوبنا) اى ويقول الراسخون في العلم ربنا لا تزغ قلوبنا اى لا تعلمها عن الحق والهدى
كما زغت قلوب الذين في قلوبهم زيغ (بعد اذهبتنا) اى وفقتنا لدينك والايان بالحكم والمتشابه
من كتابك (وهب لنا من لدنك رحمة) اى اعطنا توفيقا وتأيينا للذى نحن عليه من الايمان
والهدى وقيل هب لنا تجاوزا ومغفرة (انك انت الوهاب) الهبة العطية الخالية عن الاعراض
والاغراض والوهاب في صفة الله تعالى انه تعالى يعطى كل احد على قدر استحقاقه (م) عن عبدالله
بن عمرو بن العاص انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قلوب بني آدم كلها بين اصبعين من
اصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف
القلوب صرف قلوبنا على طاعتك هذا من احاديث الصفات وللعلماء فيه قولان احدهما الايمان
به وامراره كجاءه من غير تعرض لتأويل ولا تكليف ولا معرفة معناه بل نؤمن به كجاءه وانه
حق ونكل علمه الى مراد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم هذا القول هو مذهب اهل السنة من
سلف الامة وخلفها من اهل الحديث وغيرهم والقول الثاني انه يتأول بحسب ما يليق به وان
ظاهره غير مراد قال تعالى ليس كمثل شئ فعلى هذا المراد هو المجاز كما يقال فلان في قبضتي وفي
كفنى يريد انه تحت قدرته وفي تصرفه لانه حال في كفه فعنى الحديث انه سبحانه وتعالى
متصرف في قلوب عباده وغيرها كيف شاء لا يمنع عليه منها شئ ولا يفوته ما اراد منها كما لا يمنع
على الانسان ما بين اصبعيه فطالب رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه بما يشعرونه ويعلمونه من
انفسهم وانما شئ لفظ الاصبعين والقدرة واحدة لانه جرى على اليهود من التمثيل بحسب
ما اعتادوه وان كان غير مقصود به التنبيه او الجمع وهذا مذهب جمهور المتكلمين وغيرهم من
المتأخرين وانما خص القلوب بالذكر لفائدة وهى ان الله تعالى جعل القلوب محال للخواطر
والارادات والنيات وهى مقدمات الافعال ثم جعل سائر الجوارح تابعة للقلوب في الحركات
والهككات والله اعلم * قوله عز وجل (ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه) اى ليوم

القضاء وقيل اللام بمعنى في أي في يوم لا ريب فيه أي لا شك فيه أنه كائن وهو يوم القيامة (إن الله لا يخلف الميعاد) هذا من بقية دعاء الراسخين في العلم وذلك أنهم طلبوا من الله تعالى أن يصرف قلوبهم عن الزيف وإن يخصهم بالهداية والرحمة وذلك من مصالح الدين والدنيا ثم أنهم اتجوا ذلك بقولهم ربنا أنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ومعناه أننا نعلم أنك جامع الناس للجزاء في يوم القيامة ونعلم أن وعدك حق وأنت لا تخلف الميعاد فمن أزغت قلبه فهو هالك ومن مننت عليه بالهداية والرحمة فهو ناج من العذاب سعيد * قوله عز وجل (إن الذين كفروا) يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس هم قريظة والنضير (لن تقضى) أي لن تنفع ولن تدفع (عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً) أي من عذاب الله شيئاً وقيل من بمعنى عند أي عند الله شيئاً (وأولئك هم وقود النار كذاب آل فرعون) قال ابن عباس كفعل آل فرعون وصنيعهم في الكفر وقيل كسنة آل فرعون وقيل كمادة آل فرعون والمعنى أن عادة هؤلاء الكفار في تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجود الحق كمادة آل فرعون فأنهم كذبوا موسى وصدقوا فرعون (والذين من قبلهم) بنى كفار الأمم الماضية مثل عاد وثمود وغيرهم (كذبوا بآياتنا) يعني لأجانتهم بها الرسل (فاخذهم الله بذنوبهم) أي فعاقهم الله بسبب تكذيبهم (والله شديد العقاب) وقيل في معنى الآية أن الذين كفروا لن تقضى عنهم أموالهم ولا أولادهم عند حلول النعمة والعقوبة مثل آل فرعون وكفار الأمم الخالية فاخذناهم فلم تقض عنهم أموالهم ولا أولادهم * قوله عز وجل (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون) قرئ بالثاء والياء فيهما فمن قرأ بالياء المنقولة تحت فعناه بلغهم يا محمد أنهم سيغلبون وتحشرون ومن قرأ بالثاء المنقولة فوق فعناه قل لهم ستغلبون وتحشرون (إلى جهنم) قبل أراد بالذين كفروا مشركي قريش والمعنى قل لكفار مكة ستغلبون يوم بدر وتحشرون في الآخرة إلى جهنم فلما نزلت هذه الآية قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر إن الله غالبكم وحاشركم إلى جهنم وقيل إن أباسفيان جمع جاعة من قومه بعد وقعة بدر فأنزل الله تعالى هذه الآية وقيل إن هذه الآية نزلت في اليهود وقال ابن عباس إن يهود المدينة قالوا لما هزم رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين يوم بدر هذا والله النبي الذي بشر به موسى لا ترد له راية وأرادوا اتباعه ثم قال بعضهم لبعض لا تفعلوا حتى ننظر وقعة أخرى فلما كان يوم أحد ونكب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا وغلب عليهم الشقاء فلم يسألوا وكان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى مدة فنقضوا العهد وأطلق كعب بن الأشرف في سنتين راكباً إلى مكة ليستغفرهم فاجعوا أمرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال ابن عباس وغيره لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً يوم بدر ورجع إلى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع وقال يا هشر اليهود احذروا من القدر مثل ما نزل بقريش يوم بدر واسألوا قيل إن ينزل بكم ما نزل فقد عرقتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم فقالوا يا محمد لا يفر منك أنك لقيت قوماً أغماراً لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة وأنا والله لو قاتلكم لعرفت أنا نحن الناس فأنزل الله عز وجل قل للذين كفروا يعني اليهود ستغلبون أي ستزيمون وتحشرون يعني في الآخرة إلى جهنم (وبئس المهاد) أي القراش والمعنى بئس ما مهد لهم في النار * قوله عز وجل (فكان لكم آية في فتنتين اتقتا) قيل الخطاب للمؤمنين يروى ذلك من ابن

في الازل بحسب صنوفها ومراتبها في القرب والبعد فتفاوت الامرجة بحسبها في الابد لتصل بها والابدان المتناسلة بعضها من بعض متشابهة في الامرجة على الاكثر اللهم الا لامور حارضة اتفاقية فكذلك الارواح المتصلة بها متقاربة في الرتبة متناسبة في الصفة وهذا مما يقوى ان المهدي عليه السلام من نسل محمد صلى الله عليه وسلم (والله سميع) حين قالت امرأة عمران رب اني نذرت لقومها (عليهم) اذ قالت امرات عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني (عليها) بنيتها كما شهدت بقولها (انك انت السميع العليم) فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها اثنى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى وانى سميتها مريم وانى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب (واعلم ان النبأت وهيئات النفس مؤثرة في نفس الولد كما ان

الاغذية مؤثرة في بدنه
 فمن كان غذاؤه حلالا
 طيبا وهيات نفسه نورية
 ونياته صادقة حقانية جاء
 ولده مؤمنا صديقا او وليا
 او نبيا ومن كان غذاؤه
 حراما وهيات نفسه
 ظلمانية خبيثة ونياته فاسدة
 رديئة جاء ولده فاسقا
 او كافرا خيئا اذا النطفة
 التي يتكون الولد منها
 متولدة من ذلك الغذاء
 مرباة بتلك النفس فتاسبها
 ولهذا قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم الولد
 سرا به فكان صدق مريم
 ونبوة عيسى بركة صدق
 ايها (وجد عند رزقا
 قال يا مريم اني لك هذا
 قالت هو من عند الله ان الله
 يرزق من يشاء بغير حساب)
 تجوز ان يراد به الرزق
 الروحاني من المعارف
 والحقائق والعلوم والحكم
 الفاضلة عليها من عند الله
 اذا لاختصاص بالعندية
 يدل على كونها من الارزاق
 الدنية (هالك دعا زكريا
 ربه) كان زكريا شيخاها
 وكان مقدما للناس اماما
 طلب من ربه ولدا حقيقيا
 يقوم مقامه في تربية الناس
 وهدايتهم كما اشار اليه

مسعود والحسن وقيل هو خطاب لكفار مكة فيكون عطا على الذي قبله فخرج على قول
 ابن عباس وقيل هو خطاب لليهود قاله ابن جرير فان قلت لم قال قد كان لكم آية ولم يقل قد
 كانت لان الآية مؤنثة قلت كل ما ليس بمؤنث حقيقي يجوز تذكيره وقيل انه رد للمعنى الى البيان
 فعناه قد كان لكم بيان فذهب الى المعنى وترك اللفظ وقال القراء انما ذكر لانه حالت الصفه بين
 الفعل والاسم المؤنث فذكر الفعل وكل ما جاء من هذا فهذا وجهه ومعنى الآية قد كان لكم
 آية اى عبرة ودلالة على صدق ما اقول انكم ستغلبون في فتنين اى فرقتين واصلها في الحرب
 لان بعضهم ينفي الى بعض اى يرجع التفتا يعنى يوم بدر (فئة تقاتل في سبيل الله) اى في طاعة الله
 وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وكانوا ثمانمائة وثلاثة عشر رجلا سبعة وسبعون رجلا
 من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون رجلا من الانصار وكان صاحب راية المهاجرين على بن
 ابي طالب وصاحب راية الانصار سعد بن عباد وكان فيهم سبعون بعيرا وفرسان وكان معهم
 من السلاح ستة ادرع وثمانية سيوف وقوله تعالى (واخرى كافرة) اى وفرقة اخرى
 كافرة) اى وفرقة اخرى كافرة وهم مشركو مكة وكانوا تسمائة وخسين رجلا من القبائل
 وكان رأسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وكان فيهم مائة فرس وكانت وفعة بدر اول مشهد
 شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة وقوله تعالى (يرونهم مثلهم) قرى باناء يعنى
 ترون اهل مكة ضعفي المسلمين يامعشر اليهود وذلك ان جماعة من اليهود كانوا قد حضروا قتال
 بدر لينظروا على من تكون الدائرة ولما النصر فرأوا المشركين منى عدد المسلمين ورأوا النصر
 للمسلمين فكان ذلك مجزة وفري يرونهم بالياء واختلفوا في وجه قراءة الياء فجعل بعضهم
 الرؤية للمسلمين ثم له تأويلان احدهما يرى المسلمون المشركين مثلهم كاهم فان قلت كيف قال
 مثلهم وانما كانوا ثلاثة امثالهم قلت هذا مثل قول الرجل وعنده درهم انا محتاج الى مثلى هذا
 الدرهم يعنى الى مثليه سواء فيكون ثلاثة دراهم ووجه آخر وهو ان يكون الله تعالى اظهر
 للمسلمين من عدد المشركين القدر الذي يعلم المؤمنون انهم يغلبونهم لازالة الخوف من قلوبهم
 وهذا التأويل الثانى هو الاصح قل الله المشركين في عين المسلمين حتى رأوهم مثلهم فان قلت
 كيف الجمع بين قوله تعالى يرونهم مثلهم وبين قوله واذا يريكموهم اذا التقيتم في اعينكم قليلا
 ويقللهم في اعينهم وكيف يقال ان المشركين استكثروا المسلمين لو المسلمين استكثروا المشركين
 وان الفئتين تساوى في استقلال احدهما الاخرى قلت ان التقليل والتكثير كانا في حالتين
 مختلفتين فان قيل ان الفئتين الراية هم المسلمون فانهم راوا عدد المشركين عند بداية القتال على ما هم
 عليه ثم قل الله المشركين في عين المسلمين حتى اجترأوا عليهم فصبروا على قتالهم بذلك السبب قال
 ابن مسعود نظرنا الى المشركين فرأناهم يضعفون علينا ثم نظرناهم فآرأناهم يزبدون علينا
 رجلا واحدا وفي رواية اخرى عنه قال لقد قللوا في اعيننا حتى قلت لرجل الى جنبى تراهم
 سبعين قال اراهم مائة قال فسرنا منهم رجلا فقلنا كم كنتم قال الفا وان قلنا ان الفئتين الراية هم
 المشركون على قول بعضهم ان الرؤية راجعة الى المشركين يعنى رأى المشركون المسلمين مثلهم
 فقلل الله المسلمين في عين المشركين في اول القتال ليحزوا عليهم ولا ينصرفوا فلما اخذوا في القتال
 كثرت الله المسلمين في عين المشركين ليجنوا فيكون ذلك سبب خذلانهم وقد روى ان المشركين لما

في سورة كهيعص فوهب له يحيى من صلبه بالقدره بعدما امر باعتكاف ثلاثة ايام ولك التأويل بالتطبيق على احوالك وتفصيل وجودك كما علمت وهو ان الطبيعة الجسمانية اى القوة البدنية امرأة عمران الروح نذرت ما في قوتها من النفس المطمئنة لله تعالى بانقيادها لامر ومطاوعتها له فوضعت اثنى النفس فكفها الله زكريا الفكر بعدما تغلبها لكونها زكية قدسية فكما دخل عليها زكريا الفكر محراب الدماغ وجد عندها رزقا من المعاني الخدسية التى انكشفت عليها بصفائها من غير امتياز الفكر اياها فهناك دعا زكريا الفكر تركيب تلك المعاني واستوهم من الله ولدا طيبا مقدسا عن لوث الطبيعة فسمع الله دعاه اى اجاب فادته ملائكة القوى الروحانية وهو قائم بامرهم في تركيب المعامات يساجى ربه استنزال الانوار ويتقرب اليه بالتوجه الى عالم القدس في محراب الدماغ قال رب هبلى من لدنك

اسروا يوم بدر قالوا للمسلمين كم كنتم قالوا كنا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا قالوا يعنى المشركين ما كنا نراكم الا تضعفون علينا فكان في وقعة بدر احوال في التكثير والتقليل وما ذلك الا اظهارا لقدرة التامة وقوله تعالى (رآى العين) اى في رآى العين (والله يؤيد) اى يقوى (بنصره من يشاء ان في ذلك) يعنى الذى ذكر من النصرة وقبل رؤية الجليش مثلهم (لبرة) اى لآية والبرة الدلالة الموصلة الى اليقين المؤدبة الى العلم واصلها من العبور كما نه طريق يعبرونه فيوصلهم الى مرادهم وقبل البرة هى التى يعبرونها من منزلة الجهل الى منزلة العلم (لاولى الابصار) لذوى العقول والبصائر قوله عز وجل (زين لباس) قال اهل السنة المزين هو الله تعالى لانه تعالى خالق لجميع افعال العباد ولان الله تعالى خلق جميع ملاذ الدنيا واباحها لعبده واباحتها للعبد تزيين لها قال الله تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا وقال تعالى قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق وقال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها وقال تعالى وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا فكل ذلك يدل على ان المزين هو الله تعالى وما يؤيد ذلك قراءة مجاهد زين بفتح الزاى على تسمية الفاعل وقال الحسن المزيه هو الشيطان وهو قول طائفة من المعتزلة ويدل على ذلك ان الله تعالى زهد في هذه الاشياء بان اعلم عباده زوالها ولان الله تعالى اطلق حب الشهوات فيدخل فيه الشهوات المحرمة والمزين لذلك هو الشيطان ولان الله تعالى ذكر هذا الاشياء في معرض الذم للدنيا ويدل عليه آخر الآية وهو قوله تعالى والله عنده حسن المآب ونقل عن ابي على الجبائى من المعتزلة ان كل ما كان حراما كان المزين له هو الشيطان وكل ما كان مباحا كان المزين له هو الله تعالى والصحيح ما ذهب اليه اهل السنة لان الله تعالى خالق كل شئ ولا شريك له فى ملكه وقوله تعالى (حب الشهوات) يعنى المشتبهات لان الشهوة توفان النفس الى الشئ المشتبهى (من النساء) انما بدأ بذكر النساء لان الالتذاذ بهن اكثر والاستئناس بهن اتم ولاتهن حبائل الشيطان واقرب الى الاقتتان (والبنين) انما خص البنين بالذكر لان حب الولد الذكرا اكثر من حب الانثى ووجه حبه ظاهر لانه يتكثر به ويضدده ويقوم مقامه وقد جعل الله تعالى في قلب الانسان حب الروجة والولد لحكمة بالغة وهى بقاء النوالد ولولا تلك المحبة لما حصل ذلك (والقناطير المقنطرة) جمع قنطار وسمى قنطارا من الاحكام والعقد يقال قنطرتة اذا حكمته ومنه القنطرة المحكمة الطاق واختلفوا في القنطار هل هو محدود او غير محدود على قولين احدهما انه محدود ثم اختلفوا في حده فروى عن معاذ بن جبل ان القنطار الف ومائتا اوقية وقال ابن عباس الف ومائتا مثقال وعنه انه اثناعشر الف درهم او الف دينار دية احدكم وبه قال الحسن وقال سعيد بن جبير هو مائة الف ومائة من ومائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم ولقد جاء الاسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا وقال سعيد بن المسيب وقناة هو ثمانون الفا وقال مجاهد سبعون الفا وقال السدى هو اربعة آلاف مثقال والقول الثانى ان القنطار ليس بمحدود وقال ربع بن انس القنطار المال الكثير بعضه على بعض وروى عن ابي عبيدة انه حكى عن العرب ان القنطار وزن لا يحد وهو اختيار ابن جرير الطبرى وغيره وقال الحاكم القنطار ما بين السماء والارض من مال وقال ابو نصره القنطار ملء مسك ثور ذهاب او فضة وقال القنطار من المال ما فيه عبور الحياة تشبيها بعبور القنطرة المقنطرة اى المجموعة وقيل المضاعفة لان القناطير جمع واقله ثلاثة

والمقنطرة المضاعفة فيحتمل ان تكون ستة او تسعة وقيل المقنطرة المسكوكة المنقوشة (من الذهب والفضة) انما بدايهما من بين سائر اصناف الاموال لانهما قيم الاشياء وانما كانا محبوبين لان المالك لهما مالك قادر على ما يريد وهى صفة كالدهى محبوبة وقيل سمي الذهب ذهابا لانه يذهب ولا يبقى والفضة لانها تنفض اى تفرق (والخيل المسومة) الخيل جمع لا واحد له من لفظه كالقوم ولرط سميت الافراس خيلا لا خيالا في مشيتها وقيل لان الخيل لا يركبها احدا الا وجد في نفسه المحيلة يعنى عجا واختلفوا في معنى المسومة على ثلاثة اقوال القول الاول انها الراعية يقال سمعت الدابة وسومتها اذا ارسلتها للرعى والمقصود انها اذا رعت زاد حسنها والقول الثانى انها من السمد وهى العلامة ثم القائلون بهذا القول اختلفوا في تلك العلامة فقيل هى الفرة والتحصيل التى تكون في الخيل وقيل هى الخيل البلق وقيل هى الحلقة بالكي والقول الثالث انها المضجرة الحسان وتسويها حسنها (والانعام) جمع نم وهى الابل والبقرة والغنم ولا يقال للجنس الواحد منها نم الا للابل خاصة فانه غلب عليها (والحرث) يعنى الزرع (ذلك) يعنى ذلك الذى ذكر من هذه الاصناف (متاع الحياة الدنيا) اى الذى يستمتع به في الحياة الدنيا وهى زائلة فانية يشير الى ان الحياة الدنيا متاع يفنى (والله عنده حسن المآب) اى المرجع فيه اشارة الى التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة وقيل فيه اشارة الى ان من آتاه الله الدنيا كان الواجب عليه ان يصرفها فيما يكون فيه صلاحه في الآخرة لانها السعادة القصوى * قوله عز وجل (قل اؤنبئكم) اى اخبركم (بخير من ذلكم) يعنى الذى ذكر من متاع الدنيا (لذين اتقوا) قال ابن عباس في رواية عنه يريد المهاجرين والانصار اراد ان يعرفهم ويشوقهم الى الآخرة قال العلماء ويدخل في هذا الخطاب كل من اتى الشرك (عند ربهم) معناه ان الله تعالى اخبر ان ما عنده خير مما كان في الدنيا وان كان محبوبا لختمهم على ترك ما يحبون لا يرجون ثم فسر ذلك الخير فقال تعالى (جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله) (ق) عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة يا اهل الجنة فيقولون لبك ربنا وسعديك والخير كله في يدك فيقول هل رضىتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطينا ما لم نعط احدا من خلقك فيقول الاعطيتكم افضل من ذلك فيقولون وماى شئ افضل من ذلك فيقول احل عليكم رضوانى فلا تسخط عليكم بعده ابدا وقيل ان العبد اذا علم ان الله تعالى قدرضى عنه كان اتم لسروره واعظم لفرحه (والله بصير بالعباد) يعنى ان الله تعالى عالم بمن يؤثر ما عنده بمن يؤثر شهوات الدنيا فيهازى كلاله غله فيتب ويعاقب على قدر الاعمال وقيل ان الله تعالى بصير بالذين اتقوا فلذلك اعد لهم الجنات * قوله عز وجل (الذين يقولون ربنا اتنا آتنا) اى صدقنا (فاغفر لنا ذنوبنا) اى استر علينا وتجاوز عنا (وقنا عذاب النار) * قوله عز وجل (الصابرين) يعنى على اداء الواجبات وعن الحرمان والتمنيات وفى البأساء والضراء وحين البأس وقبل الصابرين على دينهم وما اصلبهم (والصادقين) يعنى في ايمانهم وقال قتادة هم قوم صدقت نياتهم واستقامت سننهم وقلوبهم في السر والعلانية والصدق يكون في القول والافعال والنية فاما صدق القول فهو مجانبة الكذب والصدق في الفعل هو عدم

ذرية طيبة انك سمع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلى في المحراب ان الله يشرك بهيى) العقل بالفعل (مصدقا بكلمة من الله) يعنى القلب مؤمن به وهو كلمة من الله لتقدسه عن الاجرام والتولد عن المواد (وسيدا) لجميع اصناف القوى (وحصورا) مانعا نفسه عن مباشرة الطبيعة الجسمانية وملابسة طبائع القوى البدنية (ونبيا) بالاخبار عن المعارف والحقائق الكلية وتعليم الاخلاق الجميلة والتدابير السديدة بأمر الحق (من الصالحين) قال رب انى يكون لى غلام وقد بلغتى الكبر وامراتى عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء قال رب اجعل آية قال آتاك الاتكلم الناس ثلاثة ايام الارمزا واذا ذكر ربك سكنا وسج بالعيشى والابكار) من جملة المفارقات والمجردات التى تصلح بافعالها ان تكون من مقربى حضرة الله تعالى بعد ان بلغ الفكر كبر منتهى طوره ولم يكن منتها الى ادراك الحقائق القدسية والمعارف الكلية وكانت

أمراته التي هي طبيعة الروح النفسانية لأنها مخل تصرف الفكر عانرا بالآثار المجرد * وعلامة ذلك أي علامة حصول النور المجرد وظهوره من النفس الزكية أسماكه عن مكالمة القوى البدنية في تحصيل مطالبهم ومآربهم ومخالصتهم في فضول لذاتهم وشهواتهم ثلاثة أيام كل يوم عقد تام من المواعير عشرين عشرين الان يرمز اليهم بأشارة خفية وبأمرهم بتسبيحهم المخصوص بكل واحد منهم من غير أن يدنو منهم في مقاصدهم وأن يشتغل في الأيام الثلاثة التي مدها ثلاثون سنة من ابتداء سن التمييز الذي هو العشر الاول بذكر ربه في محراب الدماغ والتسبيح المخصوص به دائما وكذا قالت الملائكة القوى الروحانية لمريم النفس الزكية الطاهرة (واذا قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك) لتزهدك عن الشهوات (وطهرك) عن رذائل الاخلاق والصفات المذمومة (واصطفاك على تساء العالمين) نفوس

الانصراف عنه قبل انعامه والصدق في اليه العزم على الفعل حتى يبلغه (والقائتين) يعني المطيعين لله وقيل هم المصلون وهو عبارة عن دوام الطاعة والمواظبة عليها (والمنفقين) يعني اموالهم في طاعة الله تعالى ويدخل فيه نفقة الرجل على نفسه وعلى اهله واقاربه وصلة رجه والزكاة والنفقة في جميع القربات (والمستغفرين بالاسحار) يعني المصلين بالسكر وهو الوقت بعد ظلمة الليل الى طلوع الفجر وقيل كانوا يصلون بالليل حتى اذا كان وقت السكر اخذوا في الدماء والاستغفار فكان هذا دأبهم في ليالهم قال نافع كان ابن عر يحمي الليل ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول لا فيعاود الصلاة فاذا قلت نعم فقد يستغفر ويدعو حتى يصلي الصبح (ق) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى الثلث الاخير فيقول من يدعوني فاستجب له من يسأني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له وفي لفظ مسلم فيقول انا الملك انا الملك من ذا الذي يدعوني الحديث وله في رواية اخرى فيقول هل من سائل فيعطى هل من داع فيستجاب له هل من مستغفر فيغفر له حتى ينفجر الصبح هذا الحديث من احاديث الصفات والعلماء فيه وفي امثاله مذهبان معروفان مذهب السلف الايمان به واجراؤه على ظاهره ونفي الكيفية عنه والمذهب الثاني هو مذهب من يتأول احاديث الصفات قال ابو سليمان الخطابي انما ينكر هذا الحديث من يقيس الامور على ما يشاهده من الزوال الذي هو تدل من اعلى الى اسفل وانتقال من فوق الى تحت وهذا صفة الاجسام فاما نزول من لا تستولى عليه صفات الاجسام فان هذه المعاني غير توهمه فيه وانما هو خبر عن قدرته ورأفته بعباده وعطفه عليهم واستجابته دعاءهم متفتره لهم يفعل ما يشاء ليتوجه على صفاته كيفية ولا على افضاله كية سبحانه ليس كمثل شئ وهو السميع البصير وقيل في قوله والمستغفرين بالاسحار وصف الله تعالى هؤلاء بما وصفهم بين انهم مع ذلك لشدة خوفهم ووجلهم انهم يستغفرون بالاسحار وروى ان لقمان قال لابنه يا بني لا تكن اعجز من الديك فانه يصوت بالاسحار وانت تأثم على فراشك وقيل هم الذين يصلون صلاة الصبح في جماعة فعلى هذا القول انما سميت الصلاة استغفارا لانهم طلبوا بفعلها المغفرة * قوله عز وجل (شهد الله انه لا اله الا هو) قيل سبب نزول هذه الآية ان حبرين من احبار الشام قدما على النبي صلى الله عليه وسلم فلما ابصر المدينة قال احدهما لصاحبه ما شبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي صلى الله عليه وسلم الذي يخرج في آخر الزمان فلما دخلا على النبي صلى الله عليه وسلم عرفاه بالصفة فقال له انت محمد قال نعم قال فانا نساألك عن شئ فان انت اخبرتنا به اماننا بك وصدقناك قال اسألني قال فاخبرنا عن اعظم شهادة في كتاب الله عز وجل فانزل الله هذه الآية فاسلم الخبران وقيل ان هذه الآية نزلت في نصارى نجران فيما ادعوا في عيسى عليه السلام فقولته تعالى شهد الله يعني بين الله واظهر لان معنى الشهادة تبين واظهار وقيل معنى شهد الله حكم الله وقضى وقيل معناه اعلم الله انه لا اله الا هو وذلك بيان الدلائل لما امكن التوصل الى معرفة الواحدانية فهو تعالى ارشده بعباده الى معرفة توحيده بما بين من عجائب مصنوعاته وغرائب مبتدئاته سئل بعض الاعراب ما الدليل على وجود الصانع فقال ان البعرة تدل على البعير وآثار القدم تدل على المسير فهكل علوى بهذه اللطافة ومركز سفلى بهذه الكثافة اما بدلان على وجود الصانع الخبير قال ابن عباس خلق الله تعالى الارواح قبل الاجساد

بأربعة آلاف سنة وخلق الارزاق قبل الارواح بأربعة آلاف سنة فشهد لنفسه قبل ان خلق الخلق حين كان ولم تكن سماء ولا ارض ولا بر ولا بحر فقال تعالى شهد الله انه لا اله الا هو (والملائكة) اى شهد الملائكة بمعنى شهادة الله تعالى الاخبار والاعلام ومعنى شهادة الملائكة والمؤمنين الاقرار والاعتراف بانه لا اله الا هو ولا كان لكل واحد من هذين الامرين يسمى شهادة حسن اطلاق لفظ الشهادة عليهما (واولو العلم) اى وشهد اولو العلم بانه لا اله الا هو واختلفوا في اول العلم فقبلهم الانبياء عليهم السلام لانهم اعلم الخلق بالله تعالى وقيل هم علماء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار وقبلهم علماء مؤمنى اهل الكتاب مثل عبدالله ابن سلام واصحابه وقيل هم علماء جميع المؤمنين (قائما بالقسط) اى بالعدل نصب على الحال والقطع او المدح ومعناه انه تعالى قائم بتدبير خلقه كما يقال فلان قائم بامر فلان يعنى انه مدبر له ومتبهدلا سبابه وفلان قائم بحق فلان اى انه مجازله فانه مدبر امر خلقه وقائم بارزاقهم ومجازلهم باعمالهم (لا اله الا هو) انما كرره للتأكيد وقيل ان الاول وصف وتوحيد والثاني رسم تعليم اى قولوا لا اله الا هو وقيل فائدة تكرارها الاعلام بان هذه الكلمة اعظم الكلام واشرفه فقيه حث للعباد على تكريرها والاشتغال بها فانه من اشتغل بها فقد اشتغل بافضل العبادات (العزيز) اى الغالب الذى لا يقهر (الحكيم) يعنى فى جميع افعاله (ان الدين عند الله الاسلام) يعنى ان الدين المرضى عند الله هو الاسلام كما قال تعالى ورضيت لكم الاسلام ديناً وفيه رد على اليهود والنصارى وذلك لما دعت اليهود انه لادين افضل من اليهودية وادعت النصارى انه لادين افضل من النصرانية رد الله عليهم ذلك فقال ان الدين عند الله الاسلام وقرئ ان الدين بفتح الهزة ردا على ان الاول والمعنى شهد الله انه لا اله الا هو وشهد ان الدين عند الله الاسلام واصل الدين فى اللغة الجزاء يقال كاتدين تدان ثم صار اسما للمة والشرعية ومعناه الانقياد للطاعة والشرعية قال الزجاج الدين اسم لجميع ما تعبد الله به خلقه وامرهم بالاقامة عليه والاسلام هو الدخول فى السلم وهو الاستسلام والانقياد والدخول فى الطاعة وروى البغوى بسند الثعلبي عن غالب القطان قال اتيت الكوفة فى تجارة فنزلت قريبا من الاعش فكنت اختلف اليه فلما كان ذات ليلة اردت ان انحدر الى البصرة قام من الليل يتجسس فبرهذه الآية شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم قال الاعش وانا شاهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهى لى عند الله ودية ان الدين عند الله الاسلام قالها مرارا قلت سمع فيها شيئا فضليت الصبح معه وودعته ثم قلت له انى سمعتك ترددها فابلق فيها قال والله لا احديثك فيها الى سنة فكنت على بابه ذلك اليوم واقت سنة فلما مضت السنة قلت يا ابا محمد قد مضت السنة فقال حدثني ابو وائل عن عبدالله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحاء بصاحب يوم القيامة فيقول الله عز وجل ان لعبدى هذا عندى عهدا وانا حق من وفى بالعهد ادخلوا عبدى الجنة * قوله عز وجل (وما اختلف الذين اتوا الكتاب) قال الكلبي نزلت فى اليهود والنصارى حين تركوا الاسلام والمعنى وما اختلف الذين اتوا الكتاب فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (الا من بعد ما جاءهم العلم) يعنى بان نعمته وحننته فى كتبهم وقال الربيع ان موسى عليه السلام لما حضره الموت دعاه سبعين رجلا من خيار بني اسرائيل واودعهم التوراة واستخلف يوشع بن نون فلما مضى القرن الاول والثاني والثالث وقعت القرعة

الشهوانية الملونة بالافعال الذميمة والمسلكات الرثية (يا مريم اقنتى لربك) الطبعى لربك بوظائف الطاعات والعبادات (واسجدى) فى مقام الانكسار والذل ولافتقار والعجز والاستغفار (واركعى مع الراكعين) فى مقام الخضوع والخشوع مع الخاضعين (ذلك من انباء القيب) اى احوال غيب وجودك (نوحه اليك) يا بنى الروح (وما كنت لديهم) لدى القوى الروحانية والنفسانية اى فى رتبهم ومقامهم (اذيلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم) اى يتسابقون فى سهامهم ويتبادرون فى حظوظهم ايهم يدبر مريم النفس ويكفلها بحسب رايه ومقتضى طبعه يترأس عليها بامرها بما يراه من مصلحة امره (وما كنت لديهم) فى مقام الصدور الذى هو محل نزاع القوى الروحانية والنفسانية ومحل نزاعهم الذى هو الصدر (اذيختصمون) يتنازعون ويتجادلون فى طلب الرياسة عند ظهوره قبل الرياضة وفى حالها اذ غلبت ملائكة القوى

والاختلاف بينهم وهم الذين اتوا الكتاب وهم من أبناء الملوك السبعين حتى اهرقوا الدماء ووقع الشر والاختلاف وذلك بعد مجاءهم العلم يعني بان مافى التوراة من الاحكام (بنيائهم) اى طلبائهم لملك والرياسة فسلط الله عليهم الجبارة وقيل نزلت في نصارى نجران ومعناه وما اختلف الذين اتوا الكتاب يعني الانجيل واختلافهم كان في امر عيسى عليه الصلاة والسلام وما دعوافيه من الالهية الامن بعد مجاءهم العلم يعني بان الله تعالى واحد احد وان عيسى عبده ورسوله بنيائهم يعني المعادة والمخالفة (ومن يكفرا بآيات الله فان الله سريع الحساب) فيه وعيد وتهديد لمن اصر على الكفر من اليهود والنصارى الذين جمعوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بقوله عز وجل (فان حاجوك) اى خاصمك يا محمد في الدين وذلك ان اليهود والنصارى قالوا السنا على سميئناه يا محمد انما اليهودية والنصرانية نسب والدين هو الاسلام ونحن عليه فامر الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يتخج عليهم بانه اتبع امر الله الذى هم مقرون به بقوله (فقل اسلمت وجهى لله) اى اتقنت له بقلبي ولساني وجيع جوارحى وانما خص الوجه بالذكر لانه اشرف جوارح الانسان الظاهرة فاذا خضع وجهه لشيء فقد خضع له سائر جوارحه وقيل اراد بالوجه العمل اى اخلصت على الله وقصدت بعبادتي الله (ومن اتبعني) معنى ومن اسلم كما اسلمت انا (وقل للذين اتوا الكتاب) معنى اليهود والنصارى (والامين) معنى مشركى العرب (ما سلمتم) لفظه استفهام ومعناه امر اى اسلموا (فان اسلموا فقد اهتدوا) معنى الى الفوز والنجاة فى الآخرة فلا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية على اهل الكتاب قالوا قد اسلمنا فقال اليهود اتشهدون ان موسى كلم الله عبده ورسوله فقالوا معاذ الله وقال النصارى اتشهدون ان عيسى كلمة الله وعبده ورسوله فقال معاذ الله ان يكون عيسى عبدا ذل الله تعالى (وان توراه) اى امرضوا (فانما عليك البلاغ) معنى تبليغ الرسالة وليس عليك هدايتهم واختلف علماء الناصخ والمنسوخ فى الآية فذهب طائفة الى انها محكمة والمراد بها تسليية النبي صلى الله عليه وسلم لانه كان يحصر على ايمانهم ويتألم لتركهم الاجابة وذهب طائفة الى انها منسوخة بآية السيف لان المراد بها الاختصار على التبليغ وهذا منسوخ بآية السيف (والله بصير العباد) معنى انه تعالى عالم بمن يؤمن ومن لا يؤمن * قوله عز وجل (ان الذين يكفرون بآيات الله) معنى يجحدون القرآن ويتكرونه وهم اليهود والنصارى (ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس) كان انبياء بنى اسرائيل ياتيهم الوحي ولم يكن ياتيهم كتاب لانهم كانوا ملتزمين باحكام التوراة فكانوا يذكرون قومهم فيقتلونهم فيقوم رجال ممن آمن بهم وصدقهم فيذكرونهم ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فيقتلونهم ايضا فهم الذين يأمرون بالقسط معنى بالعدل من الناس روى البغوى بسند الطلي عن ابي عبيدة بن الجراح قال قلت يا رسول الله اى الناس اشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نيا اورجلا امر بالمعروف ونهى عن المنكر ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس الى ان انتهى الى قوله وما لهم من ناصرين ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة واربعين نبيا من اول التهارو فى ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بنى اسرائيل قاموا من قتلهم ونهواهم بالمعروف عن المنكر فقتلهم جميعا من

لروحانية بتوفيق الحق بعد الرياضة وقالت لمرم النفس (اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة) القلب موهوبا (منه اسمه المسيح عيسى بن مريم) لانه يمشك بالنور (وجبه فى الدنيا) لادراك الجزيات وتدير مصالح المعاش اجود واصنى واصوب ما يكون فيطيعه ويزعزله ويحتشمه ويعظمه انس القوى الظاهرة وجن القوى الباطنة (و) فى (الآخرة من المقربين) لادراكه المعاني الكلية والمعارف القدسية وقيامه بتدبير المعاد والهداية الى الحق فنعطيه ملكوت سماء الروح ونكرمه ومن جلة مقربى حضرة الحق قابلا لتجلياته وكاشفاته (ويكلم الناس فى المهد) فى مهد البدن (وكهلا) بالغا الى قرب طور شيخ الروح قابلا عليه بياض نوره (ومن الصالحين) مقام المعرفة (قالت رب انى يكون لى ولد) بحسب النفس من حلالها ولادتها من غير ان عساه شراى من غير تربية شيخ وتعليم معلم بشرى وهو معنى بكارتها (قال كذلك

آخر النهار في ذلك اليوم فهم الذين ذكرهم الله في كتابه وانزل الآية فيهم (فبشرهم بمذاب اليم)
 انما دخلت الفاء في قوله فبشرهم مع انه خبر ان لانه في معنى الجزاء والتقدير من كفر فبشره
 بمذاب اليم يوم القيامة وهذا محمول على الاستعارة وهو اذار الكفار بالمذاب قام مقام بشرى
 المحسنين بالتواب وفي هذه الآية توبيخ لليهود الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وان كان اسلافهم الذين قتلوا الانبياء لانهم رضوا بفعلهم (اولئك الذين حبطت) اي بطلت
 (اعمالهم في الدنيا والآخرة) وبطلان العمل هو ان لا يقبل في الدنيا ولا يجازى عليه في الآخرة
 (وما لهم من ناصرين) يعني يمنعونهم من المذاب * قوله عز وجل (الم تر الى الذين اتوا
 نصيبا من الكتاب) انزلت في اليهود (يدعون الى كتاب الله) يعني القرآن وذلك ان اليهود
 دعوا الى حكم القرآن فاعرضوا عنه قال ابن عباس ان الله جعل القرآن حكما فيما بينهم وبين
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم القرآن على اليهود والنصارى انهم على غير الهدى فاعرضوا
 عنه وروى عن ابن عباس ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل بيت المدراس على جماعة
 من اليهود فدعاهم الى الله عز وجل فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت يا محمد
 فقال على ملة ابراهيم قال ان ابراهيم كان يهوديا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلموا الى
 التوراة فهي بيننا وبينكم فايها عليه فانزل الله هذه الآية فبطل هذا القول يكون المراد بكتاب الله
 التوراة وروى عنه ايضا ان رجلا وامرأة من اهل خيبر زنيا وكان في كتابهم الرجم ففكروا
 رجهما لشرهما فيهم فرفضوا امرهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجوا ان تكون عنده
 رخصة فحكم عليهما بالرجم فقال النعمان بن اوفى وبحري بن عمرو جرت عليهما يا محمد وليس عليهم
 الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبينكم التوراة فقالوا قد انصفت فقال من اعلمكم
 بالتوراة فقالوا رجل اعور يقال له عبدالله بن صوريا يسكن فذلك فارسلوا اليه فقدم المدينة وكان
 جبريل قد وصفه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا قال
 نعم قال انت اعلم اليهود بالتوراة قال كذلك يزعمون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوراة
 وقال له اقرأ فقرأ اتي على آية الرجم وضع يده عليها وقرأ ما بعد ما فقال عبدالله بن سلام يا رسول الله
 قد جاوزها ثم قام ورفع كفه عنها وقرأها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اليهود وفيها
 ان المحصن والمحصنة اذا زنيا وقامت عليهما البينة رجا وان كانت المرأة حبلى تربى بها
 حتى تضع ما في بطنها فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم باليهوديين فرجا ففضبت اليهود لذلك
 فانزل الله عز وجل الم تر الى الذين اتوا نصيبا من الكتاب يعني علمهم الذي علموه من التوراة
 يدعون الى كتاب الله يعني القرآن او التوراة على اختلاف الروايتين (ليحكم بينهم) اي يقضى
 بينهم وازافة الحكم الى الكتاب هو على سبيل المجاز (ثم يتولى فربق منهم) يعني الرؤساء
 والعلماء (وهم معرضون) يعني عن الحق وقيل الذي تولواهم العلماء والذين امرضواهم
 الاتباع (ذلك بانهم) يعني ذلك التولى والاعراض انما حصل بسبب انهم (قالوا لن تمسنا
 النار الا اياما معدودات) تقدم تفسيره في سورة البقرة (وغرهم) اي واطمعهم (في دينهم
 ما كانوا يفترون) اي يحلفون ويكذبون قيل هو قولهم نحن ابناء الله واحباؤه وقيل هو
 قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودات وقيل غرهم قولهم نحن على الحق وانتم على الباطل (فكيف

الله يخاف ما يشاء) اي
 يصطفى من شاء بالجذب
 والكشف ويبب له مقام
 القاب من غير تربية وتعليم
 كما هو حال المحبوبين وبعض
 المحبين (اذا قضى امرا
 فاما يقول له كن فيكون
 ويعلم الكتاب والحكمة
 والتوراة والانجيل) بالتعليم
 الرباني كتاب العلوم
 المعقولة وحكم الشرائع
 ومعارف الكتب الالهية
 من التوراة والانجيل
 اي معارف الظاهر والباطن
 (ورسلوا الى نبي اسرائيل)
 الى المستعدين الروحانيين
 من اسباط يعقوب بالروح
 (اني قد جئتكم باية من
 من ربكم) تدل على اني
 آتيتكم من عنده (اني اخلق
 لكم من الطين) بالترية
 والتركية والحكمة العلمية
 من طين نفوس المستعدين
 بالقصص (كهنة الطير)
 الطائر الى جناب القدس
 من شدة الشوق (فأنفخ
 فيه) من نفث العلم الالهى
 ونفث الحياة الحقيقية
 بتثوير العصبية والترية
 (فيكون طيرا باذن الله)
 اي نفصاحية طائفة بخناج
 الشوق والهمة الى جناب
 الحق (وابرى الاله)

اذا جعناهم) اى فكيف يكون حالهم اذا جعناهم (ليوم) اى فى يوم (لا رب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت) اى لاشك فيه انه كائن وواقع وهو يوم القيامة وفيه تهديدهم واستعظام لما عدلهم فى ذلك اليوم وانهم يقعون فيما لاحيلة لهم فيه وان ما حدثوا به انفسهم وسهلوه عليا تعلق باطل وطمع فيما لا يكون ولا يحصل لهم قبل ان اول رايه ترفع لاهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود تفضيهم على رؤس الاشهاد ثم يؤمر بهم الى النار (وهم لا يظنون) اى لا ينقص من حسناتهم ان كانت لهم حسنة ولا يزداد على سيئاتهم * قوله عز وجل (قل اللهم مالك الملك) قال قتادة ذكرنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه عز وجل ان يجعل ملك فارس والروم فى امته فانزل الله هذه الآية وقال ابن عباس لما قنع رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وعدامته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيبات هيبات من اين لحمد ملك فارس والروم وهم اعزوا منع من ذلك الميكف محمدا مكة والمدينة حتى طمع فى ملك فارس والروم فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل ان اليهود قالوا والله لا نطبع رجلا جاء بنقل النبوة من نبى اسرائيل الى غيرهم فقتلت هذه الآية قل اللهم معناه يا الله لما حذف حرف النداء زيد الميم فى آخره وقيل ان الميم فيه معنى آخر وهو يا الله انما نجبر اى اقصدنا مالك الملك اى مالك العباد وما ملكوا وقيل مالك السموات والارض وقيل معناه يده الملك يؤتبه من يشاء وقيل معناه مالك الملوك ووارثهم يوم لا يدعى الملك احده غيره وفى بعض كتب الله المنزلة انا الله ملك الملوك ومالك الملك قلوب الملوك ونواصيهم يدي فان العباد اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وانهم عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الى اعطفهم عليكم وقيل الملك هو القدرة والمالك هو القادر والمعنى انه تعالى قادر على كل شئ * وملك على كل مالك ومملوك وقادر ومقدور وقيل معناه مالك الملك اى جنس الملك يتصرف فيه كيف يشاء (تؤتى الملك من تشاء) يعنى النبوة لانها اعظم مراتب الملك وذلك لان النبى صلى الله عليه وسلم له الامر على باطن الخلق وظواهرهم والملك ليس له الامر الا على ظواهر بعض الخلق وهو من طيعه منهم وطاعة النبى واجبة على الكافة (وتنزع الملك ممن تشاء) يعنى بذلك نزع النبوة من نبى اسرائيل وابتاعها محمدا صلى الله عليه وسلم فانه لا نبى بعده ولم يشركه فى نبوته ورسالته احد وقيل تؤتى الملك من تشاء يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم مراتب الملك من تشاء يعنى من ابي جهل وصناديد قريش وقيل تؤتى الملك من تشاء يعنى امة محمد صلى الله عليه وسلم وتنزع الملك ممن تشاء يعنى فارس والروم وقيل تؤتى الملك من تشاء يعنى آدم وذريته وتنزع الملك ممن تشاء يعنى ابليس وجنوده الذين كانوا فى الارض قبل آدم (وتعز من تشاء) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة (وتذل من تشاء) يعنى اليهود باخذ الجزية منهم ونزع النبوة عنهم وقيل تعز المهاجرين والانصار وتذل فارس والروم وقيل تعز من تشاء يعنى محمدا واصحابه دخلوا مكة فى عشرة آلاف ظاهرين عليا وتذل من تشاء يعنى ابا جهل واضرابه حين قتلوا والقوا فى قلب بدر يوم بدر وقيل تعز من تشاء بالطاعة وتذل من تشاء بالمصية وقيل تعز من تشاء بالتقى وتذل من تشاء بالفقر وقيل تعز من تشاء بالقناعة والرضا وتذل من تشاء بالحرص والطمع (يدك الخير) يعنى النصر والغنية وقيل الالف واللام تقييد العموم والمعنى بيدك كل الخيرات فان قلت قلت كيف قال بيدك الخير دون الشر قلت لان الكلام انما وقع فى الخير الذى يسوقه الله تعالى الى عباده المؤمنين وهو الذى انكرته اليهود والمنافقون فقال بيدك الخير تؤتبه

المحبوب عن نور الحق الذى لم تنفخ عين بصيرته قط ولم تبصر شمس وجه الحق ولا نوره ولم يعرف اهله بكحل نور الهداية (والابصر) المعبود نفسه بمرض الرذائل والعقائد الفاسدة ومحبة الدنيا ولوث الشهوات بطيب النفوس (واحبي الموتى) موتى الجمل بحياة العلم (باذن الله وانبتكم بما تأكلون) تتناولون من مباشرة الشهوات والذات (وماتدخرون فى بيوتكم) اى فى بيوت غيوبكم من الدواعى والنيات (ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين من ومصدقا لما بين يدي من التوراة) اى من تورااة علم الظاهر (ولا حل لكم بعض الذى حرم عليكم) من انوار الباطن (وجئتكم بآية) بديل (من ربكم) هو التوحيد الذى لم يخالفنى فيه نبى قط (فاتقوا الله) مخالفتى فاقى على الحق (واطيعون) فى دعوتكم الى التوحيد (ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا هو المستقيم فلما احسن موسى منهم) القلب من

اولياءك على رغم اعدائك وقيل ان قوله بيدك الخير لا ينافي ان يكون يده غيره فيكون المعنى بيدك
 الخير وبيدك ماسواه الا انه خص الخير بالذكر لان المتفجع به والمرغوب فيه (انك على كل شيء
 قدير) بمعنى من ايتاء الملك من تشاء واعزاز من تشاء واذلال من تشاء * قوله تعالى (تولج الليل
 في النهار) الآية لما ذكر الله تعالى انه مالك الملك اردفه بذكر قدرته الباهرة في حال الليل
 والنهار في المعاقبة بينهما وحال اخراج الحى من الميت ثم عطف عليه انه يرزق من يشاء بغير
 حساب وفي ذلك دلالة على ان من قدر على تلك الافعال العظيمة المحيرة لذوى الافهام
 والعقول فهو قادر ان ينزع الملك من فارس والروم واليهود ويؤتاه العرب ويعزهم
 فقوله تعالى تولج الليل في النهار بمعنى تدخل الليل في النهار وهو ان تجعل الليل قصيرا
 وما نقص منه زائدا في النهار حتى يكون النهار خمس عشرة ساعة وذلك غاية طول النهار
 ويكون الليل تسع ساعات وذلك غاية قصر الليل (وتولج النهار في الليل) حتى يكون الليل خمس
 عشرة ساعة وذلك غاية طوله ويكون النهار تسع ساعات وذلك غاية قصره وقيل المراد انه
 تعالى يأتي بسواد الليل عقيب ضوء النهار ويأتي بضوء النهار بعد ظلمة الليل والقول الاول اصح
 واقرب الى معنى الآية لانه اذا نقص الليل كان ذلك القدر زيادة في النهار وبالعكس وهو معنى
 الولوج (وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى) وهوانه تعالى يخرج الانسان الحى
 من النطفة وهى ميتة ويخرج النطفة من الانسان ويخرج القرخ وهوى من البيضة وهى ميتة
 وبالعكس وكذلك ساثر الحيوان وقيل يخرج النبات القصب الاخضر من الحب اليابس ويخرج
 النخلة من النواة وبالعكس وقيل معناه انه تعالى يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن لان المؤمن
 حى القواد والكافر ميتة (وترزق من تشاء بغير حساب) بمعنى من غير تضييق ولا تقدير بل تبسط
 الرزق لمن تشاء وتوسع عليه * قرله عن وجل (لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين)
 قال ابن عباس كان الحاج بن عمرو بن ابي الحقيق وقيس بن زيد يبطنون بغير من الانصار ليفتنوهم
 عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير وسعيد بن خيثمة لاولئك الفر اجنبوا هؤلاء
 اليهود لا يفتنونكم عن دينكم فأبى اولئك الفر الا مبايعتهم فأنزله الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت
 في حاطب بن ابي بلتعمة وغيره ممن كان يظهر المودة لكفار مكة وقيل نزلت في عبد الله بن ابي واصحبه
 كانوا يتولون المشركين واليهود ويأتونهم بالاخبار ويرجون ان يكون لهم الطغر على رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فأنزله الله هذه الآية ونهى المؤمنين عن مثل ذلك وقيل ان عبادة بن الصامت
 كان له حلفاء من اليهود فقال يوم الاحزاب يا رسول الله ان معى خمسائة من اليهود وقد رايت
 ان استظهرهم على العدو فنزلت هذه الآية وقوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء بمعنى انصارا
 واعوانا من دون المؤمنين بمعنى من غير المؤمنين والمعنى لا يجعل المؤمن ولايته لمن هو غيره ومنه
 الله المؤمنين ان يوالوا الكفار او يلاطفهم لقراءة بينهم او محبة او معاشرة والمحبة في الله والبغض في الله
 باب عظيم واصل من اصول الايمان (ومن يفعل ذلك) بمعنى موالاة الكفار من نقل الاخبار اليهم و
 اظهار عورة المسلمين او يودهم ويحبهم (فليس من الله في شيء) اى فليس من دين الله في شيء وقيل معناه
 فليس من ولاية الله في شيء وهذا امر معقول من ان ولاية المولى معاداة اعدائه وموالاة الله وموالاة

القوى الفسائية (الكفر)
 الاحتجاب والانكار
 والمخالفة (قال من انصارى
 الى الله) اى اقتضى من
 القوة الروحانية نصرته
 عليهم في التوجه الى الله
 (قال الحواريون) اى
 صفوته وخالصته من
 الروحانيات المذكورة
 (نحن انصار الله آمن بالله)
 بالاستدلال وبالتسور
 بنور الروح (واشهد أنا
 مسلمون) مذعنون منقادون
 (ربنا امنابما ازلت) من
 علم اتوحيد وفيض النور
 (واتبعنا الرسول فاكتبنا
 مع الشاهدين) الحاضرين
 لك المراقبين لامرك او
 من الشاهدين على
 وحدانيتك (ومكروا)
 اى الاوهام والخيالات
 في اغتيال القلب واهلاكه
 بانواع التسويلات (ومكر
 الله) بتغليب الحجج العقلية
 والبراهين القاطعة عن
 تخيلاتهم وتشكيكاتهم ورفع
 عيسى القلب الى سماء الروح
 والقي شبهه على النفس ليقع
 اغتيالهم (والله خير
 الماكرين) اذ غلبت مكروهم
 قال لعيسى (اذ قال الله يا عيسى
 انى متوفيك) اى قابضك
 الى من بينهم (وراضك الى)

اى الى سماء الروح فى
جوارى (ومطهر من)
رجز جوار (الذين
كفروا) من القوى الخبيثة
ومكرهم وخبت صحتهم
(وجاعل الذين اتبعوك)
من الروحانيين (فوق
الذين كفروا) من
الفسانيات الى يوم القيامة
الكبرى والوصول الى
مقام الوحدة (ثم) يومئذ
(الى مرجعكم فأحكم
بينكم) بالحق (فيما كنتم
فيه تختلفون) قبل الوحدة
من التجاذب واتسارع
الواقع من القوى فأقر
كلا فى مقره هناك واعطيه
ما يليق به من عدى فيرتفع
التخالف والتسارع (فلما
الدين كفروا فأعذبهم
عذابا شديدا) بالحرمان
عن مقام القلب والاحتجاب
بهيئات اعمالهم (فى الدنيا
والآخرة وما لهم من
ناصرين واما الذين آمنوا)
من الروحانيات (وعلوا
الصالحات) من انواع الزكوة
والاخلاق والتصفية فى عادة
القلب على النفس ومتابعته
فى توجهه الى الحق (فيوفهم
المحورهم) من الانوار
الهدسية والاشراقات
الروحانية عليهم (والله لا يحب
المسلمين) الذين يتقصون

الكفار ضد ان لا يجتمعان (الا ان يتقوا منهم تقاة) اى الا ان يخافوا منهم مخافة ومعنى الآية ان الله
نهى المؤمنين عن موالاة الكفار ومداونتهم ومبايعةهم الا ان يكون الكفار قائلين ظاهرين
او يكون المؤمنون فى قوم كفار فيداهنهم بلسانه وقلبه مطمئن بالايمان دفعا عن نفسه من غير ان
يسهل دما حراما او مالا حراما او غير ذلك من المحرمات او يظهر الكفار على حورة المسلمين
والثقية لا تكون الامع خوف القتل مع سلامة النية قال الله تعالى الامن اكروه وقلبه
مطمئن بالايمان ثم هذه الثقية رحمة فلو صبر على اظهار ايمانه حتى قل كان له بذلك اجر عظيم
وانكر قوم الثقية اليوم وقالوا انما كانت الثقية فى جدة الاسلام قبل استحكام الدين وقوة المسلمين
فلما اليوم فقد اعز الله الاسلام والمسلمين فليس لاهل الاسلام ان يتقوا من عدوهم قال يحيى البكا قلت
لسعيد بن جبيرة فى ايام الجاهلية ان الحسن يقول الثقية باللسان والقلب مطمئن بالايمان فقال سعيد ليس فى
الامان ثقية اما الثقية فى الحرب وقبل انما تجوز الثقية لصون النفس عن الضرر لان دفع الضرر
الضرر عن النفس واجب بقدر الامكان (ويحذركم الله نفسه) اى ويحذركم الله ان تصوبه
بان ترتكبوا النهى او تخالفوا الامور به او تولوا الكفار فتستحقوا عقابه على ذلك كله (والى
الله المصير) يعنى ان الله يحذركم عقابه اذا صرتم اليه فى الآخرة * قوله عز وجل (قل ان تخفوا
ما فى صدوركم) يعنى ما فى قلوبكم من موالاة الكفار ومودتهم وانما ذكر الصدر لانه وعاء القلب
(او تبدوه) يعنى تبدوا مودة الكفا وقولا فضلا وقيل معناه ان تخفوا ما فى قلوبكم من تكذيب
رسول الله صلى الله عليه وسلم او تبدوه اى تطهروه بالحرب والمقاتلة له (يعلمه الله) اى يحفظه عليكم
ويجازيكم به (ويعلم ما فى السموات وما فى الارض) يعنى انه تعالى اذا كان لا يخفى عليه شئ
فى السموات ولا فى الارض فكيف يخفى عليه حالكم وموالاة الكفار وميلكم اليهم بقلوبكم
(والله على كل شئ قدير) يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا) يعنى تجد كل نفس جزاء
ما عملت محضرا يوم القيامة لم يقص ولم يخس منه شئ (وما عملت من سوء) اى تجد ما عملت من الخير
محضرا فتسره وما عملت من سوء (تود) اى تتجى (لو ان بيننا وبينه) اى وبين ما عملت من
السوء (امدا بعيدا) اى مكانا بعيدا قيل كابدين المشرق والمغرب والامد الاجل والفاية وقيل
معناه تود انهم لم تعلمه ويكون بيننا وبينه امد بعيد (ويحذركم الله نفسه) انما ذكره لتأكيد الوعيد
(والله رؤوف بالعباد) قيل معناه انه رؤوف بهم حيث حذرهم نفسه وعرفهم كمال قدرته وعلمه
وانه يعمل ولا يعمل وقيل معناه انه رؤوف بالعباد حيث امهلهم للتوبة ولتدارك العمل الصالح وقيل
انه تعالى لما قال ويحذركم الله نفسه وهو وعيد اتبعه بقوله والله رؤوف بالعباد وهو وعيد يعلم
العباد المؤمن ان رحمة ووعده غلبت وعيده وسخطه * قوله عز وجل (قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعونى يحبك الله) نزلت فى اليهود والنصارى حيث قالوا نحن ابناء الله واحباؤه فنزلت
هذه الآية فعرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فلم يقبلوها وقال ابن عباس وقف رسول الله
صلى الله عليه وسلم على قريش وهم فى المسجد الحرام وقد نصبوا اصنامهم وعلقوا عليها بعض
العام وجعلوا فى آذانها الشنوف وهم يسجدون لها فقال يا مشركي شريش والله لقد حالقتم آله ابيكم
ابراهيم واسماعيل فقالت قريش انما نعبد هاجباه ليقربنا الى الله زلفى فنزلت هذه الآية وقيل
ان نصارى نجران قالوا انما نقول هذا اقوال فى عيسى حباه وتعظيمه فأنزل الله قل يا محمد
ان كنتم تحبون الله فيما تزعمون فاتبعونى يحبك الله لانه قد ثبت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالدلائل

الاجور (ذلك تلوه عليك
من الآيات والذكر الحكيم)
من الحقوق واما التأويل
بغير التطبيق فهو انهم مكروا
بعث من بقتال عيسى عليه
السلام فشبه لهم صورة
جسدانية هي مظهر عيسى
روح الله عليه السلام
بصورة حقيقة عيسى
فقتلوه عيسى فقتلوه
وصلبوه والله رفع عيسى
عليه السلام الى السماء الرابعة
لكون روحه عليه السلام
فائضا من روحانية الشمس
ولم يعلوا لجهاشهم ان روح
الله لا يمكن قتله ولما يقين حاله
قبل الرفع قال لاصحابه اني
ذاهب الى ابي وابيكم
السمواي اى اظهر من عالم
الرجس واتصل بروح
القدس الواهب الصور
المفيض للارواح والكمالات
المربى للناس بالثفت في الروح
فامدكم من فيضه وكان اذ
ذلك لا تقبل دعوته ولا يتبع
مثله فامر الحوارين بالتفرق
بعده في البلاد والدعوة الى
الحق فقالوا كيف ذلك اذا
لم تكن معنا والآن انت بين
اظهرنا ولا نتجاب دعوتنا قال
علامة امدادى اياكم
قبول الخلق دعوتكم
بعدي فلما رفع لم يدع

الظاهرة والمجرات الباهرة فوجب على كافة الخلق متابعتها والمعنى قل ان كنتم صادقين في ادعاء
عبد الله فكونوا متفادين لاوامره مطيعين له فاتبعوني فان اتابى من محبة الله تعالى وطاعته وقال
العلماء ان محبة العبد لله عبارة عن اعظامه واجلاله وايتار طاعته واتباع امره ومجانبة نفيه ومحبة
الله للعبد ثاؤه عليه ورضاه عنه وثوابه له وعفوه عنه فذلك قوله تعالى (ونفقر لكم ذنوبكم) يعنى
ان من فقر له فقد ازال عنه العذاب (والله غفور رحيم) يعنى انه تعالى يغفر ذنوب من احبه ويرجوه
بفضله وكرمه ولما نزلت هذه الآية قال عبد الله بن ابي بن سلول راس المنافقين لاصحابه ان محمدا
يحمل طاعته كطاعة الله وبأمرنا ان نعبه كما احببت النصارى عيسى بن مريم فانزل الله عز وجل
(قل اطيعوا الله والرسول) يعنى ان طاعة الله ملقة بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان طاعته
لا تتم مع عصيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذا قال الشافعى رضى الله عنه كل امر اونهى ثبت
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جرى ذلك في الفريضة والزوم مجرى ما امر الله به في كتابه
اونهى عنه وقال ابن عباس رضى الله عنهما فان طاعتكم محمد صلى الله عليه وسلم طاعتكم لى فاما ان
تطيعوني وتعتصوا بمحمدا فلن اقبل منكم (فان تولوا) اى اعرضوا عن طاعة الله ورسوله (فان الله
لا يحب الكافرين) اى لا يرضى فعلهم ولا يفرلهم (خ) عن ابي هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كل امتى يدخلون الجنة الامن اى قالوا ومن يابى قال من اطاعنى
دخل الجنة ومن عصانى فقد ابى (ق) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اطاعنى
فقد اطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد اطاعنى ومن يعصى الامير فقد
عصانى قوله عز وجل (ان الله اصطفى آدم ونوحا) قال ابن عباس قالت اليهود نحن من
ابناء ابراهيم واسحق ويعقوب ونحن على دينهم فانزل الله هذه الآية والمعنى ان الله اصطفى
هؤلاء بالاسلام وانتم يامعشر اليهود على غير دين الاسلام ومعنى اصطفى اختار من الصفوة وهى
الخالص من كل شئ آدم هو ابوالبشر عليه السلام ونوحا هو نوح ابن لامك بن متوشلخ بن
اخنوخ وهو ادريس عليه السلام وحكى ابن الجوزى في تفسيره عن ابي سليمان الدمشقى ان اسم
نوح السكن وانما سمي نوحا لكثرة نوحه على نفسه (وآل ابراهيم) قيل اراد بآل ابراهيم
نفسه وقيل آل ابراهيم اسمعيل واسحق ويعقوب وذلك ان الله تعالى جعل ابراهيم اصلا لشعبين
فجعل اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام اصلا للعرب ومحمد صلى الله عليه وسلم منهم فهو داخل
في هذا الاصطفاء وجعل اسمعيل اصلا لبني اسرائيل وجعل فيهم النبوة والملك الى زمن نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم ثم جمع له ولأمته النبوة والملك الى يوم القيامة وقيل اراد بآل ابراهيم من كان
على دينه (وآل عمران) واختلفوا في عمران هذا فقيل هو عمران بن بصهر بن قهاث بن لاوى
بن يعقوب وهو والد موسى وهرون فيكون آل عمران موسى وهرون او نفسه وقيل هو عمران
بن اشيم بن امون وقيل بن ماثان وهو من ولد سليمان بن داود عليهما السلام وعمران هذا هو والد
مريم وابنها عيسى فلى هذا يكون المراد بآل عمران مريم وابنها عيسى عليه السلام وانما خص
هؤلاء بالذكر لان الانبياء والرسل من نسلهم (على العالمين) اى اختارهم واصطفاهم على العالمين
بما خصهم من النبوة والرسالة (ذرية) اى اصطفى ذرية واصلا من ذرايعنى خلق وقيل من
الذر لان الله تعالى استخرجهم من ظهر آدم كالذر وانما سمي الآباء والابناء ذرية لان الله خلق
بعضهم من بعض فالابناء من ذرية الآباء والآباء من ذرية ادم وهو من ذرية الله تعالى اى خلقه.

اصحابه احدا الا اجابهم
وظهر لهم القبول في الخلق
وعلت كلهم وانتشروا فيهم
في اقطار الارض ولما
لم يصل الى السماء السابعة
التي عرج بمحمد صلى الله
عليه وسلم اليها المعبر عنها
بسدرة المنتهى اعنى مقام
النهاية في الكمال ولم يزل
درجة المحبة لم يكن له
بدم النزول مرة اخرى
في صورة جسمانية يتبع
الملة المحمدية لنيل درجتها
والله اعلم بحقائق الامور
(ان مثل عيسى عند الله)
اى ان صفته عند الله في
انشائه بالقدرة من غير اب
(كمثل آدم خلقه من
تراب) في انشائه من غير
ابوين واعلم ان عجائب
اقدرة لا تنقضى ولا قياس
ثمرة على ان تكون الانسان
من غير الابوين نظيرا من
عالم الحكمة فان كثيرا
من الحيوانات الناقصة
الفرسية الخلقة تولد
خلقا في ساعة ثم تناسل
وتوالد فكذا الانسان
يخلق حدوته بالتولد في دور
في الادوار ثم بالتولد وكذا
الكون من غير اب فان منى
الرجل احرك كثيرا من منى
المرأة وفيه القوة العاقدة

(بعضنا من بعض) اى بعضنا من ولد بعض وقيل بعضها من بعض في التناصر والتعاضد وقيل
بعضها على دين بعض (والله سميع عليم) يعنى ان الله تعالى سميع لا قوال العباد عليهم بنيتهم وانما يصطفى
لنبوته ورسالته من يعلم استقامته قولا وفعلا قوله عز وجل (اذ قالت امرأت عمران) هي حنة
بنت فاقوذا ام مريم وعمران هو عمران بن ماثان وقيل ابن اشيم وليس بعمران ابى موسى لان بينهما
الفارق وثمان مائة سنة وكان بنو ماثان رؤس بني اسرائيل في ذلك الزمن واحبارهم وملوكهم (رب انى
نذرت لك ما فى بطنى محررا) اى جعلت الحمل الذى فى بطنى نذرا محررا منى لك والنذر ما يوجب
الانسان على نفسه والمعنى محررا اى حقيقا خالصا مفرغا لعبادة الله وخدمة الكنيسة لا اشغله بشئ من
امور الدنيا قيل كان المحرر عندهم اذا حرر جعل في الكنيسة فيقوم عليها ويتقدمها ولا يرحم مقيما
فيها حتى يبلغ الحلم ثم يخير فان احب اقام فيها وان احب ذهب حيث شاء فان اختار الخروج بعد ان
اختار الاقامة في الكنيسة لم يكن له ذلك ولم يكن احدا من انبياء بني اسرائيل ومن علمهم الاومن
اولاده محررا لخدمة بيت المقدس ولم يكن يحرق الا الثمان ولا تصلح الجارية لخدمة بيت المقدس لما
يصيبها من الحيض والاذى فحررت ام مريم ما فى بطنها وكانت القصة في ذلك على ما ذكره اصحاب
السير وال اخبار ان زكريا وعمران تزوجا اخنتين فكانت ايشاء بنت فاقوذا وهى ام يحيى عند زكريا
وكانت حنة بنت فاقوذا اخت ايشاء عند عمران وهى ام مريم وكان قد امسك عنه حنة الولد
حتى ايسر وكبر الله وكانوا اهل بيت صالحين وهم من الله بمكان فبينما هى فى ظل شجرة اذ
بصرت بطائر يطعم فراخا فحركت نفسها بذلك للولد فدعت الله ان يهب لها ولدا وقالت اللهم
لك على ان رزقنى ولدا ان تصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فلاحلت بمريم
حررت ما فى بطنها ولم تعلم ما هو فقال لها زوجها وبحك ما صنعت ارايت ان كان ما فى بطنك اثنى
فلا تصلح لذلك فوقما جعنا فى هم شديد من اجل ذلك فأت عمران قبل ان تضع حنة حملها ثم
قال تعالى حاكيا عنها (فتقبل منى) يعنى فتقبل نذرى والتقبل اخذ الشئ على الرضا واصله
من المقابلة لانه يقابل بالجزاء وهذا سؤال من لا يريد بما فعله الا الطلب لرضا الله تعالى والاخلاص
في دعائه وعبادته (انك انت السميع) يعنى لتضرعى ودعائى (العليم) يعنى بنيتى وما فى
ضميرى قوله عز وجل (فلا وضعتنا) اى ولدت حملها وانما قال وضعتنا لانه كان فى علم الله
انها جارية وكانت حنة ترجو ان يكون غلاما (قالت) يعنى حنة (رب انى وضعتنا اثنى)
تريد بذلك اعتذارا الى الله من الحلقها النذر المتقدم فذكرت ذلك على سبيل الاعتذار لاعلى
سبيل الاعلام لان الله تعالى عالم بما فى بطنها قيل ان تضعه (والله اعلم بما وضعت) قرئ بجزم
التاء اخبارا عن الله تعالى والمعنى انه تعالى قال والله اعلم بالثى الذى وضعت وقرئ وضعت برفع
التاء وهو من كلام ام مريم على تقدير انما لما قالت رب انى وضعتنا اثنى خافت ان تكون اخبرت الله
بذلك فزالته هذه الشبهة بقولها والله اعلم بما وضعت (وليس الذكرا لاثنى) يعنى فى خدمة
الكنيسة والعباد الذين فيها وفى الكلام تقديم وتأخير تقديره وليس الاثنى كالدكر والمراد منه
تفضيل الذكرا على الاثنى لان الذكرا يصلح للخدمة للكنيسة ولا تصلح الاثنى لذلك لضعفها وما
يحصل لها من الحيض ولانعاورة ولا يجوز لها الحضور مع الرجال وقيل فى معنى الآية ان المراد
منها هو تفضيل هذه الاثنى على الذكرا كانها قالت كان الذكرا مطلوبى لخدمة المسجد وهذه الاثنى
هى موهبة لله تعالى وليس الذكرا الذى طلبت كالاثنى التى هى موهبة لله تعالى وكانت مريم

افقوى كافى الانفحة بالنسبة الى الجن والمنتقدة فى منى المرأة افقوى كافى الدين فاذا اجتمعا تم العقد وانفقد ويتكون الجنين فيمكن وجود مزاج اناى قوى يناسب المزاج المذكورى كبايشاهد فى كثير من النسوان فيكون المتولد فى كليتها الينى بمثابة منى الذكر لفرط حرارته بمجاورة الكبد لمن مزاج كبدها صحيح قوى الحرارة والمتولد فى كليتها اليسرى بمثابة منى الانثى فاذا احتملت المرأة لاستيلاء صورة ذكرية على خيالها فى اليوم والبقطة بسبب اتصال روحها بروح القدس وبذلك آخر ومحاكاة الخيال ذلك كما قال تعالى فقتل لها بشرا سويا سبق المسان من الجانبين الى الرحم فتكون فى المنصب من الجانب الايمن قوة العقد وفى المنصب من الجانب الايسر قوة الانفقاد فيكون الجنين ويتعلق به الروح وقوله (ثم قال له كن فيكون) اشارة الى نفخ الروح وكونه من عالم الامر ليس مسبوقا بمادة ومدة كخلاق الجسد فيتناسب آدم وعيسى بما ذكر فى اشتراكهما فى خرق العادة ويكون جسديهما

من اجل النساء وافضلهن فى وقتها (وانى سميتها مريم) يعنى العابدة والخادمة وهو بلغتهم وارادت بهذه التسمية ان يفضلها الله على اناث الدنيا (وانى اعيزها بك وذريتها) اى امنعها واجبرها بك وذريتها (من الشيطان الرجيم) يعنى اللعين الطريد وذلك ان حنة ام مريم لما قالتها كانت تطلب من ان يكون ولدها ذكرا فاذا هى اتى تضرعت الى الله تعالى ان يحفظها ويعصمها من الشيطان الرجيم وان يجعلها من الصالحات العابدات (ق) عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من بنى آدم من مولود الا نخسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من نخسه اياه الامريم وانها ثم يقول ابو هريرة اقرؤا ان شئتم (وانى اعيزها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) البخارى عنه قال كل ابن آدم ليطن الشيطان فى جنبيه باصبعه حين يولد غير عيسى بن مريم ذهب ليطن فلعن فى الحجاب قوله عز وجل (فتقبلها ربهما بقبول حسن) يعنى ان الله تعالى تقبل مريم من حنة مكان الذكر المحرر يعنى قبل ورضى قال الزجاج الاصل فى العربية تقبلها بتقبل ولكن قبول محمول على قبلها قبول لا كما يقال قبلت الشئ قول لا اذارضته وقال ابو عمرو وليس فى المصادر فعول بفتح الفاء الا هذا ولم اسمع فيه الضم وقيل معنى التقبل والقبول واحد وهما سواء وهو ان يرى الشئ يأخذه وقيل معنى التقبل التكفل فى التربية والقيام بشأنه وانما قال بقبول للجمع بين الامرين يعنى التقبل الذى يعنى التكفل والقبول الذى هو بمعنى الرضا (وانبتها نابتا حسنا) معناها وانبتها فنبتت هى نابتا حسنا قال ابن عباس فى قوله تعالى فتقبلها ربهما بقبول حسن اى سلك بها طريق السعداء وانبتها نابتا حسنا يعنى سوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان فكانت تنبت فى اليوم ما ينبت المولود فى عام (وكفلها زكريا) قال اهل الاحبار لما ولدت حنة مريم اخذتها فلفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم يومئذ يلون من بيت المقدس ماتلى الحجة من الكعبة وقالت دونكم الذيرة فتنافس فيها الاحبار لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فقال لهم زكريا انا احق بها لان خاتما عندى فقالت له الاحبار لو تركت لاحق الناس بها التزكت لامها التى ولدتها ولكننا نقتزع عليها فتكون عندهم خرج سهمها فانطلقوا وكانوا تسعة وعشرين رجلا الى نهر جار قيل هو الاردن فالقوا اقلامهم فى الماء على ان من ثبت قلبه فى الماء وسعد فهو اولى بها من غيره وكان كل نالم مكتوب اسم واحد منهم وقيل بل كانوا يكتبون التوراة فالقوا اقلامهم التى كانت بأيديهم فارفع قلم زكريا فوق الماء ووقفوا انحدرت اقلامهم ثم رسبت فى النهر وقيل جرى قلم زكريا مصعدا الى اعلى وجرت اقلامهم مع جرى الماء الى اسفل فسههم زكريا وقرعهم وكان زكريا راس الاحبار ونبيهم فذلك قوله تعالى وكفلها زكريا قرى بتشديد الفاء ومعناه وضمته الله زكريا وضمها اليه بالقرعة وقرى بضم الفاء ومعناه وضمها زكريا الى نفسه بالقرعة وقام بها هو وزكريا بن اذن بن مسلم صدوق من اولاد سليمان بن داود عليهم السلام ففاضم زكريا مريم الى نفسه بنى لها بيتا واسترضع لها المراضع وقيل ضمها الى خاتما ثم يحيى حتى اذا شبّت وبلغت مبالغ النساء بنى لها محرابا فى المسجد وجعل بابا به فى وسطه ولا يرقى اليه الا بسلم ولا يصعد اليها غيره وكان يأتها بطعامها وشرابها كل يوم فذلك قوله تعالى (كلا دخل عليها زكريا المحراب) يعنى الترفة والمحراب اشرف المجالس ومقدّمها وكذلك هو من المسجد وقيل المحراب ما يرقى اليه بدرج وقيل كان زكريا يلقى عليها سبعة ابواب فاذا دخل عليها المحراب (وجد عندها رزقا) يعنى فاكهة فى غير وقتها فكان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف

وفاكهة الصيف في الشتاء (قال) يعني زكريا (يا مريم اتي لك هذا) اي من اين لك هذه الفاكهة (قال) يعني مريم بحبيبة زكريا (هو من عند الله) يعني من الجنة وقبل ان مريم من حين ولدت لم تلق ثديايل كان يأتيها رزقها من الجنة فيقول زكريا يا مريم اتي لك هذا فيقول هو من عند الله تكلمت وهي صغيرة في المهد كانتكلم ولدها عيسى عليه السلام وهو صغير في المهد وقال محمد بن اسحق اصابته بنى اسرائيل ازمة وهي على ذلك من حالها حتى ضعف زكريا عن حملها وكفا لها فخرج على بنى اسرائيل فقال يا بنى اسرائيل تعلمون والله لقد كبرت سني وضعفت عن حمل بنت عمران فايكم يكفلها بعدى فقالوا والله لقد جهدنا واصابنا من السنة ماترى فدافعوها بينهم ثم لم يجدوا من حملها بدافعار عوا عليها بالاقلام فخرج السهم لرجل نجاري قال له يوسف بن يعقوب وكان ابن عم لريم فحملها فخرجت مريم في وجهه شدة ذلك عليه فقال له يا يوسف احسن بالله الظن فان الله سيرزقنا فصار يوسف يرزق لكتلتها منه فكان يأتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها فاذا ادخله عليها في المحراب انما الله وزاده فيدخل زكريا عليها فيقول يا مريم اتي لك هذا فيقول هو من عند الله (ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) وهذا محتمل ان يكون من تمام كلام مريم او ابتداء كلام من الله عز وجل ومعناه ان الله تعالى يرزق من يشاء بغير تقدير لكثرة او من غير سبب وفي هذه الآية دليل على جواز كرامات الاولياء وظهور خوارق العادات على ايديهم قال اهل الاخبار فلما رأى زكريا ذلك قال ان الذي قدر على ان ياتي مريم بالفاكهة في غيروتها وحينئذ من غير سبب لقادر ان يصلح زوجي ويهب لي ولدا في غير حينه مع الكبر وطمع في الولد وذلك ان اهل بيته كانوا قد انقضوا وكان زكريا قد كبر وشاخ وابس من الولد فذلك قوله عز وجل (هناك دعا زكريا ربه) يعني انه عليه السلام دخل محرابه واغلق الابواب وسأل ربه الولد (قال رب هب لي من لدن ذرية طيبة) يعني انه قال يا رب اعطني من عندك ولدا مباركا تقيا صالحا راضيا والذرية تطلق على الواحد والجمع والذكور والانثى والمراد بها هنا الواحد وانما قال طيبة لتأنيث لفظ الذرية (انك سمع الدماء) اي سامعه وبجبهه قوله عز وجل (فنادته الملائكة) يعني جبريل عليه السلام وانما اخبر عنه بلفظ الجمع تعظيما لشأنه ولانه رئيس الملائكة وقل ان بيت الائمة جمع من الملائكة فجري ذلك على مجرى العادة (وهو قائم يصلي في المحراب) اي في المسجد وذلك ان زكريا عليه السلام كان الحبر الكبير الذي يقرب القربان ويفتح لهم الباب فلا يدخلون حتى ياذن لهم في الدخول فبينما هو قائم يصلي في محرابه عند المذبح والناس ينتظرون ان ياذن في الدخول اذا هو برجل شاب عليه ثياب بيض ففرغ زكريا منه فناداه جبريل عليه السلام يا زكريا (ان الله يبشرك بيحيى) اي بولد اسمحى يحيى قال ابن عباس سمي يحيى لان الله تعالى احياه عقرامه وقيل لان الله تعالى احياه قلبه بالان الله تعالى احياه بالطاعة حتى لم يهم بمصيبة قط (مصدقا بكلمة من الله) يعني عيسى بن مريم وانما سمي عيسى عليه السلام كلمة لان الله تعالى قال له كن فكان من غير اب دلالة على كمال القدرة فوقع عليه اسم الكلمة لانه بها كان وقيل سمي كلمة لان عيسى عليه السلام كان يرشد الخلق الى الحقائق والاسرار الالهية ويمتد به كما تمتدى بكلام الله تعالى فسمى كلمة هذا الاعتبار وقيل سمي كلمة لان الله تعالى بشربه مريم على لسان جبريل عليه السلام وقيل لان الله تعالى اخبر الانبياء الذين قبله في كتبه المنزلة عليهم انه يخلق نبياه من غير واسطة اب فلما جاء قيل هذا هو تلك الكلمة يعني الوعد الذي وعده ان يخلق كذلك وكان يحيى اول من

مخلوقين من تراب العناصر مسبوقين بمادة ومدة وكون روحهما مبدا من عالم الامر ليس مسبوقا بمادة ومدة (الحق من ربك فلا تكن من الممترين فمن حاجك فيه) اي في عيسى (من بعد ما جاهدك من العلم قل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم يتنهل فيجعل لعنت الله على الكاذبين ان هذا هو القصص الحق) ان لمباهلة الانبياء تأثير اعظما سببه اتصال نفوسهم بروح القدس وتأيد الله اياهم به وهو المؤثر باذن الله في العالم العنصري فيكون اتصال العالم العنصري منه كاتصال بدننا من روحنا بالهيات الواردة عليه كالغضب والحزن والفكر في احوال المشوق وغير ذلك من تحريك الاعضاء عند حدوث الارادات والعزائم وانفعال النفوس البشرية منه كاتصال حواسنا وسانا وسانا وسانا من هيات ارواحنا فاذا اتصل نفس قدسي به او بعض ارواح اجرام السماوية والنفوس الملكوتية كان تأثيرها في العالم عند التوجه للاتصال تأثير

بميسى وصدق به (وسيدا) من ساديسود والسيد هو الرئيس الذى يتبع وينتهى الى قوله وكان يحبى عليه السلام سيد المؤمنين ورئيسهم فى الدين والعلم والحلم وقيل السيد هو الحسن الخلق وقيل هو الذى يطيع ربه وقيل هو الفقيه العالم وقيل سيدا فى العلم والعبادة والورع وقيل السيد هو الحليم الذى لا يفضيه شئ وقيل السيد هو الذى يفوق قومه فى جميع خصال الخير وقيل هو البصير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيدكم عمرو بن الجحوح (وحصورا) قال ابن عباس وغيره من المفسرين الحصور الذى لا يأتى النساء ولا يقربهن فعلى هذا هو فاعل بمعنى فاعل يعنى انه حصر نفسه عن الشهوات واصله من الحصور وهو الحبس وقيل هو العنبر وقيل هو الفقير الذى لا مال له فيكون الحصور بمعنى المحصور يعنى المنوع من النساء قال سعيد بن المسيب كان له مثل هدبة اللوب وقد تزوج مع ذلك ليعض بصره وفيه قول آخر وهو ان الحصور هو الممتنع عن الوطء مع القدرة عليه وانما تركه للشفة والزهد فيه وهذا القول هو الصحيح وهو قول جماعة من المحققين وهو الذى يناسب الانبياء لان الكلام انما خرج مخرج المدح والنساء وذكر صفة النقص فى معرض المدح لا يجوزوا انضافان منصب النبوة يحمل من ان يضاف الى احد منهم نقص او آفة فحمل الكلام على منع النفس عن الوطء مع القدرة عليه اولى من حمله على ترك الوطء مع العجز عنه (ونبياء من الصالحين) يعنى انه من اولاد الانبياء الصالحين قوله عز وجل (قال) يعنى زكريا (رب) اى يارب قبل هو خطاب مع جبريل لان الآية المتقدمة دلت على ان الذين نادوهم الملائكة فعلى هذا القول يكون الرب هاء بمعنى السيد والمرى اى ياسيدى وقيل انه خطاب مع الله تعالى فيكون الرب يعنى المالك وذلك ان الملائكة لما بشروهم بالولد تعجب ورجع فى ازالة ذلك التعجب الى الله تعالى فقال رب (انى يكون لى غلام) يعنى من اين يكون وكيف يكون لى غلام (وقد بلغنى الكبر) قيل هو من المفلوس وممناه وقد بلغت الكبر وشخت وقيل ممناه وقد نالتى الكبر وادركنى الضعف فان قلت كيف انكر زكريا الولد مع تبشير الملائكة اياه به وممناى هذه المراجعة ولم تعجب من ذلك بعد وعد الله اياه به ا كان شاكا فى وعده الله او فى قدرته قلت لم يشك زكريا عليه السلام فى وعده الله وفى قدرته وانما قال ذلك على سبيل الاستفهام والاستعلام والمعنى من اى جهة يكون لى الولد ا يكون بازالة العقر عن زوجتى ورد شبابى على اوى يكون ونحن على حالنا من الكبر والضعف فاجابه بقوله كذلك الله يفعل ما يشاء وقال هكرسة والسدى لما سمع زكريا نداء الملائكة جاءه الشيطان وقال يار زكريا ان الصوت الذى سمعت ليس هو من الله تعالى وانما هو من الشيطان ولو كان من الله تعالى لا واه اليك كما يوحى اليك فى سائر الامور فقال ذلك زكريا دفعا للوسوسة واعترض على الجواب بانه لا يجوز ان يشبهه على الانبياء كلام الملائكة بكلام الشيطان اذ لو جوزنا ذلك لارتفع الوثوق باخبارهم عن الوحي السماوى واجيب عن هذا الاعتراض بانه لما دلت الدلائل على صدق الانبياء فيمنع خبرون به عن الله تعالى بواسطة الملك فلا مدخل للشيطان فيه وذلك فيما يتعلق بالدين والشرايع فاما ما يتعلق بمصالح الدنيا وبالولد فقد يحتمل فيه حصول الوسوسة فسأل زكريا ذلك اتزول هذه الوسوسة من خاطره قال الكلبى كان زكريا يوم بشر بالولد ابن اثنين وتسعين سنة وقيل ابن تسع وتسعين سنة وقال ابن عباس فى رواية الضحاك كان ابن مائة وعشرين سنة وكانت امرأته

ما اتصل به فتفعل اجرام العناصر والفوس الناقصة الانسانية منه بما اراد الم تركيف اتفعلت نفوس العصارى من نفسه عليه السلام بالخوف واجمعت عن المباهلة وطلبت المودة بقبول الجزية (وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة اى ليس عيسى من الالهة فى شئ فلا يستحق العبادة بمجرد تجرد ذاته فان عالم الملكوت والجبروت كله كذلك (سواء بيننا وبينكم) اى لم يختلف فى كلمة التوحيد نبى ولا كتاب قط (الا نعمد الا الله ولا نشرك به شئ ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقلوا اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل الامن بعده افلا تعقلون هانم هؤلاء حاجبتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لاتعلمون ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان

بنت ثمان وتسعين سنة فذلك قوله تعالى (وامرأتى طاهر) اى عقيم لانلد (قال كذلك الله يفعل مايشاء) يعنى انه تعالى قادر على هبة الولد على الكبر يفضل مايشاء لايجزئ شئ * قوله عز وجل (قال) يعنى زكريا (رب اجعل لى آية) اى علامة اعلم بها وقت حمل امرأتى فازيد فى العبادة والشكر لك (قال آيتك) اى علامتك على الذى طلبت معرفة علمه (ان لا تكلم الناس) اى لا تقدر على تكليم الناس (ثلاثة ايام) اى مدة ثلاثة ايام بلبالها قال جمهور المفسرين عقد لسانه عن تكليم الناس ثلاثة ايام مع ابقائه على قدرة التسبيح والذكر ولذلك قال فى آخر الآية واذكرك ربك كثيرا وسجع بالعشى والابكار يعنى فى ايام منقطع من تكليم الناس وهذه من الآيات الباهرة والمجرات الظاهرة لان قدرته على التسبيح والذكر مع عجزه عن تكليم الناس بامور الدنيا وذلك من محبة الجسم وسلامة الجوارح من اعظم المجزات وانما منع من الكلام مع الناس ليخلص فى هذه الايام لعبادة الله تعالى وذكره ولا يشغل لسانه بشئ آخر توفيرا منه على قضاء حق هذه النعمة الجليلة وشكر الله على ايجاته فيما طلب الآية من اجله وان يكون ذلك دليلا على وجود الحبل ليم سروره بذلك وقال تنادة انما امسك لسانه عن الكلام عقوبة لسؤاله الآية بعد مشافهة الملائكة اياه بشارته الولد فلم يقدر على الكلام ثلاثة ايام (الارمزا) يعنى الاشارة والاشارة قد تكون باليد وبالعين وبالايماء بالرأس وكانت اشارته بالاصبغ المسجعة وقيل الرمز قد يكون باللسان من غير تبين كلام وهو الصوت الخفى شبه الهمس وقيل اراد به صوم ثلاثة ايام لانهم كانوا اذا صاموا لم يتكلموا والقول الاول اصح لموافقة اهل اللغة عليه (واذكرك ربك كثيرا) وذلك لامنعه الله من الكلام المدة امره بالذكر فقال واذكرك كثيرا فانك لاتمنع من ذلك ولا يحال بينك وبينه (وسجع) اى وعظم ربك ونزهه عن القسائص وقيل وصل لربك وسميت الصلاة تسبيحا لان فيها تنزيها للرب سبحانه وتعالى (بالعشى والابكار) فاما العشى فهو ما بين زوال الشمس الى غروبها ومنه سميت صلاتا الظهر والعصر صلاتى العشى والابكار هو ما بين طلوع الفجر الى الضحى * قوله عز وجل (واذ قالت الملائكة) يعنى جبريل عليه السلام (يا صريم ان الله اصطفاك) اى اختارك (وطهرك) يعنى من ميسس الرجال وقيل من الحيض والنفاس وكانت مريم لا تحيض وقيل من الذنوب (واصطفاك) اى واختارك (على نساء العالمين) اى على زمانها وقيل على جميع نساء العالمين فان قلت هل فرق بين الاصطفاء الاول والثانى قلت ذكر العلماء فى معناهما وجوها يحصل منها الفرق فقول فى معنى الاصطفاء الاول ان الله تعالى اختار مريم وقبلها منذورة محررة ولم تحرر قبلها اتى ولم يجعل ذلك لغيرها من النساء وان الله بعث اليها رزقها من عنده وكفلها زكريا ومعنى الاصطفاء الثانى ان الله تعالى وهب لها عيسى من غير اب واسمها كلام الملائكة ولم يحصل ذلك لغيرها من النساء (ق) عن على بن ابي طالب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خير نساء مريم بنت عمران وخير نساء خديجة بنت خويلد قال ابو كريب واثار وكيع الى السماء والارض قيل اراد وكيع بهذه الاشارة تفسير الضمير فى قوله خير نساءها ومعناه انهما خير كل النساء بين السماء والارض قال الشيخ محبى الدين النووى والاظهر ان معناه ان كل واحدة منهما خير نساء الارض فى عصرها واما التفضيل بينهما فمكسوت عنه (ق) عن ابي موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل من الرجال كثير ولم يكمل

من المشركين ان اولى الناس ابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولى المؤمنين ودت طائفة من اهل الكتاب لوبضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وانتم تشهدون يا اهل الكتاب لم تآبسون الحق بالباطل وتكنون الحق وانتم تعلمون وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذى انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله ان نؤتى احد مثل ما اوطينم او يحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه ببنار لا يؤده اليك الا ما امنت عليه فانما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الاميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون

بلى من اوفى بعهده واتى
 فان الله يحب المتقين ان
 الذين يشترون بهدا الله
 وايمانهم ثمنا قليلا اولئك
 لافلاس لهم في الآخرة
 ولا يكلمهم الله ولا يظن
 اليهم يوم القيامة
 ولا يزكهم ولهم عذاب اليم
 وان منهم لفرقا يلوون
 الستم بالكتاب لحسبه
 من الكتاب وما هو من
 الكتاب ويقولون هو
 من عند الله وما هو من
 عند الله ويقولون على الله
 الكذب وهم يعلمون ما كان
 لبشر ان يؤتيه الله الكتاب
 والحكم والنبوة ثم يقول
 للناس كونوا عبادا لى من
 دون الله الاستنباء لا يكون
 الا بعد مرتبة الولاية
 والقضاء فى التوحيد
 ما ينبغي لبشر محالة
 بشرته بافائه عن نفسه
 واثابه وجودا نورانيا
 حقانيا فابلا للكتاب
 والحكمة الالهية ثم يدعوا
 الخلق الى نفسه اذ الداعى
 الى نفسه يكون محجوبا
 بالفس كفرعون
 واضرا به من الذين علوا
 اشوحيد وما وجدوه
 حالا وذوقا ولم يصلوا
 الى البيان ونفوسهم باقية

من النساء الامريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وفضل عائشة على النساء كفضل اشريد على سائر الطعام قال العلماء معناه ان الثريد من كل طعام افضل من المرق وثير اللحم افضل من مرقه بلا ثريد وثيرد مالا لحم فيه افضل من مرقه من غير ثريد وفضل عائشة على النساء كزيادة فضل الثريد على غيره وايس فى هذا تصريح بتفضيلها على مريم وآسية لاحتمال ان المراد تفضيلها على نساء هذه الامة عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون اخرجه الترمذى قوله عز وجل (يا مريم اقنتى لربك) اى قالت الملائكة لها شافها طبعى ربك وقيل معناه اطبل القيام فى الصلاة لربك قال الاوزاعى لما قالت الملائكة لها ذلك قامت حتى تورمت قدمها وسالت دماوقها وحكى عن مجاهد نحوه (واسجدى واركعى مع الراكعين) انما قدم السجود على الركوع لان الواو لا تقتضى الترتيب انما هى للجمع كانه قيل لها افلى الركوع والسجود وقيل انما قدم السجود على الركوع لانه كان كذلك فى شريعتهم وقال ابن الانبارى امرها امرأ عاما وحضها على فعل الخير فكانه قال استعملى السجود فى حال والركوع فى حال ولم يرتد عديم السجود على الركوع بل اراد العموم بالامر على اختلاف الحالين وانما قال اركعى مع الراكعين ولم يقل مع الراكعات لان لفظ الراكعين اعم فيدخل فيه الرجال والنساء والصلاة مع الرجال افضل واتم وقيل معناه افعلى كفعلى الراكعين وقيل المراد به الصلاة فى جماعة اى صلى مع المصائب فى جماعة قوله عز وجل (ذلك من انباء الغيب) يقول الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم ذلك الذى ذكرت لك من حديث زكريا ويحيى ومريم وعيسى عليهم السلام من اخبار الغيب (نوحه اليك) اى نلقه اليك يا محمد لانه لا يمكنك ان تعلم اخبار الامم الماضين الا بوحى من اليك وانما قال نوحه لانه رد الضمير الى ذلك فلذلك ذكر اللفظ (وما كنت) يعنى يا محمد (لديهم) هالك عندهم (اذ يلقون اقلامهم) يعنى التى كانوا يكتبون بها فى الماء لاجل الاقتراع (ايهم يكفل مريم) يعنى يربها ويقوم بمصالحها قيل سبب منازعتهم فى كفالة مريم حتى اقترعوا على ذلك انها كانت بنت عمران وكان رئيسهم وكبيرهم فلجل ذلك رغبوا فى كفالتها وقيل لان مريم حررت لخدمة الله وخدمة المسجد وكان ابوها قد مات فلجل ذلك رغبوا فى كفالتها (وما كنت لديهم اذ يختصمون) يعنى فى كفالتها وتربيتها قوله عز وجل (اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه) معناه وما كنت لديهم يا محمد اذ يختصمون وما كنت لديهم اذ قالت الملائكة يعنى جبريل عليه السلام يا مريم ان الله يبشرك بالبشارة اخبار المرء بما يسره من خير بكلمة منه يعنى برسالة من الله وخير من عنده فهو كقول القائل اتى الى فلان كلمة سرى بها واخبرنى خيرا فرحت به ومعنى الآية اذ قالت الملائكة لمريم يا مريم ان الله يبشرك ببشرى من عنده وهى ولد يولد لك من غير بعل ولا خل وذلك الولد (اسمه المسيح عيسى بن مريم) وقال قتادة فى قوله تعالى بكلمة منه هو قوله تعالى كن فسماء الله كلمة لانه كان عن الكلمة التى هى كن كما يقال لما قدر الله من شىء هذا قدر الله وقضاء الله يعنى ان هذا الامر عن قدره وقضائه حدث وقال ابن عباس الكلمة هى عيسى عليه السلام انما سمى كلمة لانه وجد عن الكلمة التى هى كن فان قلت ان كل مخلوق انما يوجد بواسطة الكلمة التى هى كن فلم يخص عيسى

عليه السلام بهذا الاسم وسمي كذا دون غيره قلت ان كل مخلوق وان وجد حدوثه وخلقه بواسطة الكلمة الا ان هذا السبب ما هو المتعارف ولما كان حدوث عيسى عليه السلام بمجرد الكلمة من غير واسطة اخرى فلا يجرم كان اضافة حدوثه الى الكلمة اثم واما كل وبهذا التأويل حسن ان يسمى عيسى عليه السلام نفس الكلمة لانه حدث عنها فان قلت الضمير في قوله اسمه عائدا الى الكلمة وهي مؤنثة فلم ذكر الضمير قلت لان المسمى بها مذكر فلماذا ذكر الضمير فان قلت لم قال اسمه المسيح عيسى بن مريم وهذه ثلاثة الاسماء من واحد وهو عيسى واما المسيح فلقب وابن مريم صفة قلت الضمير في قوله اسمه يرجع الى عيسى والاسمى علامة يعرف بها ويتميز عن غيره فكأنه قال الذي يعرف به ويتميز عن سواء هو مجموع هذه الثلاثة واختلفوا لمسمى عيسى عليه السلام مسيحا وهل هو اسم مشتق او موضوع فقيل انه موضوع واصله بالعبرانية مشيخا فقيرته العرب واصل عيسى ايشوع كما قالوا موسى واصل موسى او عيسى وقال الاكثرون انه اسم مشتق ثم ذكر وافي وجوها قال ابن عباس سمي عيسى مسيحا لانه ما مسح ذاعاها الا برأهنا وقيل لانه مسح بالبركة وقيل لان مسح من الاقدار وطهر من الذنوب وقيل انه خرج من بطن امه مسحوا بالدهن وقيل لان جبريل عليه السلام مسح به فخاضه حتى لا يكون للشيطان عليه سبيل وقيل لانه كان يسبح في الارض ولا يتم بمكان فكانه يمسح الارض اى يقطعها مساحة فلي هذا القول تكون الميم زائدة وقيل سمي مسيحا لانه كان مسح القدمين لاختصاصه وسمى الدجال مسيحا لان مسح احدى العينين وقيل المسيح هو الصديق وبه سمي عيسى عليه السلام وقد يكون المسيح بمعنى الكذاب وبه سمي الدجال فعلى هذا تكون هذه الكلمة من الاصداد * وقوله تعالى (وجها) اى شريفا رفيعا ذابجا وقدر (في الدنيا والآخرة) اما وجاهته في الدنيا فبسبب النبوة وانه كان يرى الاكله والارض ويعنى الموتى واما وجاهته في الآخرة فبسبب علو مرتبته عند الله وهو قوله تعالى (ومن المقربين) يعنى عدا الله يوم القيامة لان لاهل الجنة منازل ودرجات منازل ودرجات ومنازل الانبياء ودرجاتهم اعلى من سواهم وقيل فيه تشبيه على علو منزلته وانه رفعه الى السماء (ويكلم الناس في المهد) يعنى ويكلم الناس صغيرا وهو في المهد وذلك قل او ان الكلام ووقته والكلام الذى تكلم به هو ما ذكره الله عنه في سورة مريم وهو قوله انى عبد الله اتانى الكتاب الآية وتكلم براءة امه بما رماها به اهل القرية من القذف ويحكى ان مريم قالت كنت اذا خلوت انا وعيسى حدثنى وحدثته فاذا انغلنى عنه انسان سجع وهو في بطني وانا اسمع ولما تكلم براءة امه سكت بعد ذلك فلم يتكلم الا في الوقت الذى يتكلم فيه الصغير قال ابن عباس تكلم عيسى ساعة ثم سكت ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغ الطوق (وكهلا) يعنى ويكلم الناس في حال الكهولة والكهل في اللغة هو الذى اجتمعت قوته وكل شبابه والكهل عند العرب الذى جاوز الثلاثين وقيل هو الذى وخطه الشيب وهو السن الذى يستحكم فيه العقل وتتأهب فيه الانبياء قال ابن قتيبة لما كان لعيسى ثلاثون سنة ارسله الله تعالى فكثرت في رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله تعالى وقال وهب بن منبه جاءه الوحى على رأس ثلاثين سنة فكثرت في نبوته ثلاث سنين ثم رفعه الله فعنى الآية انه يكلم الناس وهو في المهد براءة امه وهى مجزة عظيمة ويكلم الناس في حال الكهولة بالدعوة والرسالة وقيل فيه بشارة لمريم اخبرها بانه يبق حتى يكتمل وقيل فيه

ما اذاقت لهم الصاء فاحتجبوا بها فدعوا الخلق الى نفوسهم وهم ممن قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شر الناس من قامت القياسمة عليه وهو حى (ولكن) يقول (كونوا ربانيين) منسوبين الى الرب لاستيلاء الربوبية عليهم وطمس البشرية بسبب كونهم عالمين عالمين معلمين تالين لكاتب الله اى كونوا عابدين مرناضين بالعلم والعمل والمواظبة على الطاعات حتى تصيروا ربانيين بغلبة النور على الظلمة (بما كنتم تفعلون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم) بتعبد معين والتفقد بصورة فانه حجاب وكفر ولا يأمر الله بالاحتجاب بعد اسلامكم الوجود لله (ان تحذروا الملائكة واليبين اربابا اياهمكم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون واذا اخذ الله ميثاق اليبين لساآيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال اقررتم اخذتم على ذلكم اصرى قالوا اقررنا قال فاشهدوا انا معكم من الشاهدين

اخبار بانه يتغير من حال الى حال ولو كان الها كازعمت النصارى لم يدخل عليه التغير فبه رد
على النصارى الذين يدعون فيه الالهية وقال الحسن بن الفضل وكهلا يعنى ويكلم الناس كهلا
بعد نزوله من السماء وفي هذه نص على انه سينزل من السماء الى الارض ويقتل الدجال وقال
بجاهد الكهل الحكيم والعرب تمدح الكهولة لانها الحالة الوسطى في احتكاك السن واستحكام العقل
وجودة الرأى والتجربة (ومن الصالحين) يعنى انه من العباد الصالحين مثل ابراهيم واسحق
يعقوب وموسى وغيرهم من الانبياء وانما ختم او صاف عيسى عليه السلام بكونه من الصالحين
بعد ما وصفه بالاوصاف العظيمة لان الصلاح من اعظم المراتب واشرف المقامات لانه لا يسمى
المرء صالحا حتى يكون مواظبا على التمسك بالاصلاح والطريق الاكمل في جميع اقواله وافعاله فلا
وصفه الله تعالى بكونه وجها في الدنيا والآخرة ومن المقربين وانه يكلم الناس في المهد وكهلا
اردفه بقوله ومن الصالحين ليكمل له اعلى الدرجات واشرف المقامات بقوله عز وجل (قالت)
يعنى مريم (رب) يعنى ياسيدى تقوله لجبريل لما بشرها بالولد وقيل تقول الله عز وجل (انى
يكون لى ولد) اى من ابن يكون لى ولد (ولم يمسنى بشر) اى ولم يصبنى رجل وانما قالت
ذلك تخبيا لاشكا في قدرته تعالى اذ لم يكن العادة جرت ان يولد ولد من غير اب (قال كذلك الله
يخلق ما يشاء) يعنى هكذا يخلق الله منك ولدا من غير ان يمسك بشر فيصعله آية للناس وعبرة فانه
يخلق ما يشاء ويصنع ما يريد وهو قوله (اذ قضى امرا فانما يقول له كن فيكون) يعنى كما يريد
(ويطه الكتاب) يعنى الكتابة والخط باليد (والحكمة) يعنى العلم والسنة واحكام الشرائع
(والتوراة) يعنى التى انزلت على موسى (والانجيل) يعنى الذى انزل عليه وهذا اخبار
من الله تعالى لمريم ما هو فاعل بالولد الذى بشرها به من الكرامة وعلو المنزلة (ورسولا الى بنى
اسرائيل) اى ونجعله رسولا الى بنى اسرائيل وكان اول انبياء بنى اسرائيل يوسف بن يعقوب
واخبرهم عيسى بن مريم عليه السلام فلما بعث اليهم قال (انى قد جئتكم بآية من ربكم)
يعنى بعلامة من ربكم على صدق قولى وانما قال بآية وقد جاء بآيات كثيرة لان الكل دل على
شئ واحد وهو صدقه في الرسالة فلما قال ذلك عيسى لبنى اسرائيل قالوا ما هذه الآية قال (انى
اخلق) اى اصور واقدر (لكم من الطين كهيئة الطير) والهيئة الصورة المهيأة من قولهم
هيأت النشء اذا قدرته واصلحته (فانفخ فيه) اى فى الطين المهيأ المصور (فيكون طيرا)
قرئ بلفظ الجمع لان الطير اسم جنس يقع على الواحد والاثنتين والجمع وقرئ فيكون طائرا
على التوحيد على معنى يكون ما انفخ فيه طائرا او ما خلفه يكون طائرا وقيل انه لم يخلق غير
الخفاش وهو الذى يطير فى الليل وانما خص الخفاش لانه من اكل الطير خلقا وذلك لانه بطير
بلا ريش وله اسنان ويقال ان الاثني منه له اثنى ونحيض ذكروا ان عيسى عليه السلام لما
ادعى النبوة وظهر لهم المعجزات اخذوا ينسئون عليه فظابوا منه ان يخلق لهم خفاشا فاخذ
طينا وصوره كهيئة الخفاش ثم نفخ فيه فاذا هو طير يطير بين السماء والارض قال وهب كان بطير
مادام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عنهم سقط ميتا لتجرب فعل المخلوق من فعل الخالق وهو الله
تعالى وليعلم ان الكمال لله تعالى (باذن الله) معناه بتكوين الله وتخليقه والمعنى انى اعمل هذا
التصويرا فاما خلق الحياة فيه فهو من الله تعالى على سبيل اظهار المعجزة على يد عيسى عليه السلام

ان بين النبيين تصارفا
ازليا بسبب كونهم اهل
الصف الاول عرفاء بالله
وكل عارف يعرف مقام
سائر العرفاء ومتعهدهم
من الله بعهد التوحيد عام
لبنى آدم كما ذكر وعهد
النبيين خاص بهم وبين
يعرفهم بحق المتابعة فقد
اخذ الله من النبيين عهدين
احدهما ما ذكر فى قوله
واذ اخذ ربك من بنى آدم
الى آخره وثانيهما ما ذكر
فى قوله تعالى واذا اخذنا
من النبيين ميثاقهم ومنك
ومن نوح وابراهيم وموسى
وعيسى بن مريم واخذنا
منهم ميثاقا غليظا وهو عهد
التمسك بدينهم واقامة
الدين وعدم التفرق به
بتصديق بعضهم بعضا
ودعوة الحق الى التوحيد
وتخصيص العبادة بالله تعالى
وطاعة النبي وتعريف
بعضهم بعضا الى اهمهم
وخصوصه بسبب ان
معرفة الله تعالى فى صورة
التفاصيل وحجب الصفات
وتكثر المظاهر اذ وفى
من معرفته فى عين الجمع
وهم من رزق حق المتابعة
عارفون بذلك وباحكام
تجليات الصفات التى هى

(وابرى الاكه والابرص) اى واشفى الاكه والابرص واصحما واختلفوا فى الاكه فقال ابن عباس هو الذى ولداعى وقيل هو الاعمى وان كان ابصر وقيل هو الاعشى وهو الذى يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل والابرص هو الذى به وضع وكان الغالب على زمان عيسى عليه السلام الطب فاراهم المعجزة من جنس ذلك الا انه ليس فى علم الطب ابراء الاكه والابرص فكان ذلك معجزة له ودليلا على صدقه وقال وهب رجا اجتمع على عيسى عليه السلام من المرضى فى اليوم الواحد نحو خمسين الفا فن اطاع ان يمضى اليه مشى ومن لم يطق مشى عيسى عليه السلام اليه وكان يداويهم بالدعاء على شرط الايمان برسالته (واحى الموتى باذن الله) قال ابن عباس قد احيا اربعة انفس عازر وابن العجوز وابنة العاشر وسام بن نوح وكلهم نبي وولده الاسام بن نوح فاما عازر فكان صديقا لعيسى عليه السلام فارسلت اليه اخت عازر ان اخاك عازر يموت وكان بينهما مسيرة ثلاثة ايام فاتاه عيسى واصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة ايام فقال لاخته انطلق بنا الى قبره فانطلقت بهم الى قبره فدعا الله عيسى فقام عازر حيا باذن الله تعالى فخرج من قبره وعاش وولده واما ابن العجوز فانه مريه وهو ميت على عيسى عليه السلام يحمل على السرير فدعا الله عيسى فجلس على سرير مريه ونزل عن اعناق الرجال ولبس ثيابه واتى اهله وعاش وولده واما ابنة العاشر فكان ابوها يأخذ العشر من الناس وماتت بالامس فدعا الله عيسى فاحياها بدعوته فحاشت وولدها واما سام بن نوح فان عيسى جاء الى قبره ودعا الله باسمه الاعظم فخرج من قبره وقد شاب نصف راسه خوفا من قيام الساعة ولم يكونوا يشيرون فى ذلك الزمان فقال قد قامت الساعة فقال عيسى عليه السلام لا ولكن دعوتك باسم الله الاعظم ثم قال مت فقال له بشرط ان يعيذنى الله من سكرات الموت مرة اخرى فدعا الله عيسى ففعل (وانبئكم) يعنى واخبركم (بما تاكلون) اى عالم اعيانه (وما تدخرون فى بيوتكم) اى وما ترفعونه قضيونه فى بيوتكم لتأكلوه فيما بعد ذلك قيل كان عيسى عليه السلام يخبر الرجل بما اكل البارحة وما يأكله اليوم وما يدخره للعشاء وقبل كان فى الكتاب يتحدث الغلمان بما يصنع آبائهم ويقول للغلام انسلق فقد اكل اهلك كذا وكذا وقد رفعوا لك كذا فيطلق الصبي فيبكي على اهله حتى يعطوه ذلك الشئ فيقولون من اخبرك بهذا فيقول عيسى فحبسوا صبيانهم عنه وقال لو الاتقعدوا مع ذلك الساحر وجعوه فى بيت فجاء عيسى يعلمهم فقالوا ليسوا بها فقال وما فى البيت قالوا اختاير فقال كذلك يكونون ففتحوا عليهم الباب فاذا هم خنازير ففشا ذلك فى بنى اسرائيل وظهر فهموا به فخافت عليه امه فحملته على جار لها وخرجت هاربة الى مصر وقال قتادة انما كان هذا فى نزول المائدة وكان خوانا ينزل عليهم انما كانوا فيه من طعام الجنة وامروا ان لا يخونوا ولا يدخروا لقد فتحنا وادخروا فكان عيسى عليه السلام يخبرهم ما كلوا من المائدة وما ادخروا منها فسمخهم الله خنازير وفى هذا دليل قاطع على صحة نبوة عيسى عليه السلام ومعجزة عظيمة له وهى اخباره عن المقيبات مع ما تقدم له من الآيات الباهرات من ابراء الاكه والابرص واحياء الموتى باذن الله تعالى واخباره عن القيوب باعلام الله اياه ذلك وهذا لا سبيل لاحد من البشر عليه الا الانبياء عليهم السلام فان قلت قد يخبر المنجم والكاهن عن مثل ذلك فالفرق قلت ان المنجم والكاهن لا يدبكل واحد منهما من مقدمات يرجع اليها ويمتد فى اخباره عليها اما المنجم فان يستعين على ذلك بواسطة معرفة

الشرائع خاصة دون من عداهم (فن تولى بعد ذلك) اى بعد ما علم عهد الله مع النبيين وتبلغ الانبياء اليه ما عهد الله اليهم (فأولئك هم الفاسقون) انما رجون عن دين الله ولادين غيره معتد به فى الحقيقة الاتوها (افغير دين الله يغفون له) اسلم من فى السموات والارض وكل من فى السموات والارض يدين بدينه (طوعا) كما عدا الانسان والشيطان (وكرها) كالانسان والشيطان اذا كفر لا يسع موجودا سواهما فكلهم يمتثلون لما امرهم الله طائعون والانسان لا يحباه بارادته ونسيانه عهد الله وقوله لدعوة الشيطان لمناسبتة اياه بالظلمة النفسانية لا يؤمن ولا يقاد الاكرها اللهم الا من عصمه الله واجتنباه والشيطان لا يحباه بهجه وانيته فى قوله انا خير منه وابائه واستكباره كفروا هو مع ذلك يعلم عصيانه يؤمن كرها ويحقق ان كفره بارادته تعالى وذلك بين الايمان كما قال تعالى كمثل الشيطان اذا قال للانسان اكفر فلا كفر

قال اني برى منك اني اخاف
الله رب العالمين وقال اذ زين
لهم الشيطان اعماله وقال
لا غالب لكم اليوم من الناس
واني جار لكم فلا ترامت
الفتنان نكص على عقبيه وقال
اني برى منكم اني ارى مالا
ترون اني اخاف الله والله
شديد العقاب وفي موضع
اخر وقال الشيطان لما قضى
الامر ان الله وعدكم وعد
الحق ووعدتكم فاخلفتكم
وما كان لي عليكم من سلطان
الا ان دعوتكم فاستجبتم لي
فلا تفلتوا واني لو موافقكم
ما انا بمصرخكم وما انتم
بمصرخي اني كفرت بما
اشركتمون من قبل فهذه
آيات دالة على ايمانه ولكن
حين لا ينفعه (واليه
ترجعون) في العاقبة فلا
يبقى دين غير دين الله بل
الكل عند الرجوع يدين
بدينه

كل يدين بدين الحق لو فطنوا
وليس دين لغير الحق مشروع
(قل آمن بالله وما ازل عينا
وما ازل على ابراهيم
واسماعيل واسحق ويعقوب
والاسباط وما اوتى موسى
وعيسى والييون من ربهم
لا نفرق بين احد منهم ونحن
له مسلمون ومن يتبع غير

الكتاب وامتنح بآياتها وبواسطة حساب الرمل او نحو ذلك وقد بخطى في كثير مما يخبر به واما
الكاهن فانه يستعين برأى من الجن وقد بخطى ايضا في كثير مما يخبر به واما الاخبار الانبياء عليهم
السلام عن المنيات فليس الا بالوحى السماوى وهو من الله تعالى وليس ذلك باستعانة بواسطة
حساب ولا غيره فحصل الفرق (ان في ذلك) معنى الذى تقدم ذكره من خلق الطير من الطين
باذن الله وبراء الاكاه والابرص والاخبار عن المنيات (لا يذكركم) اى لبرة ودلالة على صدق
اني رسول من الله اليكم (ان كنتم مؤمنين) يعنى مصدقين بذلك (ومصدقا) قيل انه عطف على قوله
ورسولا وقيل انه عطف على اني قد جئتكم باية من ربكم والمعنى وجئتكم مصدقا (لما بين يدي من
التوراة) وذلك لان الانبياء عليهم السلام يصدق بعضهم بعضا فكل واحد منهم يصدق الذى قبله
ويصدق بما ازل الله من الكتب والشرائع والاحكام فلماذا قال عيسى عليه السلام ومصدقا لما بين يدي
من التوراة (ولا حل لكم بعض الذى حرم عليكم) قال وهب بن منبه ان عيسى كان على شريعة موسى
عليهما السلام وكان يسب ويستقبل بيت المقدس وقال لبنى اسرائيل اني لم ادعكم الى خلاف حرف مما
في التوراة الا لاحتل لكم بعض الذى حرم عليكم واطاعوا ذلك ان الله تعالى كان قد حرم
على اليهود بعض الاشياء عقوبة لهم على بعض ما صدر منهم من الخيانات كما قال تعالى فيظلم من الذين
هادوا حرما عليهم طيبات احلت لهم فبقى ذلك التحريم مستقرا على اليهود الى ان جاء عيسى عليه
السلام فرفع عنهم تلك التشديدات التى كانت عليهم وقال قتادة كان الذى جاء به عيسى الين من الذى
جاء به موسى وكان قد حرم عليهم فيما جاء به موسى لحوم الابل والثوب والشحوم واشياء من الطير
والحيات زاد بعضهم فجاءهم عيسى بالتحفيف واحلها لهم وقال آخرون ان عيسى عليه السلام رفع
كثيرا من احكام التوراة رفع السبت ووضع الاحد وكان ذلك كله بامر الله فكان ذلك ناسخا
لتلك الاحكام والشرائع والناسخ والمنسوخ حق وصدق (وجئتكم باية من ربكم) اى
بمحبة واضحة شاهدة على صحة رسالتى ثم خوفهم بقوله (فانقوا الله) يعنى يا معشر بنى اسرائيل
فيما امركم به ونهاكم عنه (واطيعون) يعنى فيما ادعوك اليه لان طاعة الرسول من توابع تقوى
الله وما ادعوك اليه هو قولى (ان الله ربى وربكم فاعبدوه) لان جميع الرسل كانوا على دين واحد
وهو التوحيد ولم يختلفوا في الله تعالى وفي هذه الآية حجة بالغة على نصارى وفدنجران ومن قال
بقولهم من سائر النصارى باخبارى لله عن عيسى عليه السلام انه كان ربنا بما نسبته اليه
النصارى وانه كان عبدا لله وخصه بنبوته ورسالته ثم ختم ذلك بقوله (هذا صراط مستقيم)
يعنى التوحيد * قوله عز وجل (فلا احسن عيسى منهم الكفر) اى وجد وعرف وقيل
راى والاحساس عبارة عن وجدان الشئ بالحاسة والمعنى انهم تكلموا بكلمة الكفر فاحسن
ذلك عيسى منهم وعرف اصرارهم عليه وعزمهم على قتله * ذكر سب القصة * قال اهل
الاخبار والسير لما بعث الله عيسى الى بنى اسرائيل وامره باظهار رسالته والدعاء اليه فنوه
واخرجوه من بينهم فخرج هو واهله يسحان في الارض فنزل في قرية على رجل فاضافهم
واحسن اليهم وكان تلك القرية ملك جبار معتد فجاء ذلك الرجل في بعض الايام وهو مهموم
حزين فدخل منزله ومريم عند امراته فقالت مريم شان زوجك اراه كئيبا حزينا فقالت
لا تسأبنى فقالت مريم اخبرنى لعل الله ان يفرج كربته قالت المرأة ان لنا ملكا جبارا وقد جعل

الاسلام ديناً) المراد من
الاسلام ههنا التوحيد الذي
هو دين الله في قوله اسلمت
ورجعي لله وهو المذكور
في الآية التي قبلها وما
وصف شموله لجميع الاديان
ويلزمه الانتفاء التام
الطوي المذكور في فاصلة
الآية بقوله ونحن له مسلمون
(فلن يقبل منه) لعدم وصول
دينه الى الحق تعالى لمكان
الجلاب (وهو في الآخرة
من الخاسرين) الذين
خسروا باشرائهم انفسهم
وما جوباه بالحق (كيف
يهدى الله قوما كفروا بعد
ايمانهم وشهدوا ان الرسول
حق وجاءهم بالبينات) انكر
هدايته تعالى لقوم قد هداهم
اولاً بالنور الاستعدادي الى
الايمان ثم بالوراياي الى
ان ياتوا حقيقة الرسول
واقنعوا بحيث لم يبق لهم شك
وانضم اليه الاستدلال
العقل بالبينات ثم ظهرت
قوسهم بهذه الشواهد
كلها بالعناد واللجاج ووجت
قوار قلوبهم وعقولهم
في ارواحهم الشاهدة ثلاثها
الحق الحق لشؤم ظلم وقوة
استيلاء نفوسهم الامارة
بهميم الذي هو غاية الظلم
يقال (والله لا يهدي القوم

على كل رجل منا بما يطعمه فيه هو وجنوده ويسقيم الخمر وان لم يفعل ذلك عاقبه واليوم نوبتنا وليس
عندنا سعة لذلك فقالت لها قولي له لايتهم لذلك فانا امراني ان يدعوله فيكني ذلك ثم قالت مريم
لعيسى في ذلك فقال عيسى ان فعلت ذلك وقع شرفا لمرمى لا تبالى فانه قد احسن الينا واكرمنا
فقال عيسى قولي له اذا قرب ذلك الوقت فاملا قدورك وخوابك ماء ثم اعطني ففعل الرجل
ذلك ثم دعا الله عيسى عليه السلام فقول ماء القدور مرقا ولما وماء الخواي خرم لم تر الناس
مثله فلما جاء الملك واكل من ذلك الطعام وشرب من ذلك الخمر قال من اين لك هذا الخمر فقال الرجل
هو من ارض كذا فقال الملك ان خري من تلك الارض وليست مثل هذه فقال هي من ارض
اخرى فلما رآه الملك قد اختلط شد عليه فقال الرجل انا اخبرك ان عندي غلاما لا يسأل الله شيأ
الا اعطاه اياه وانه دعا الله تعالى فجعل الماء خرا وكان للملك ابن يريد ان يستخلفه في ملكه وقدمات
قبل ذلك بأيام وكان يحبه حبا شديدا فقال الملك ان رجلا دعا الله تعالى حتى صار الماء خرا بدعوته
ليستجيب له في احياء ابني فطلب عيسى وكلمه في ذلك فقال له عيسى لا تفعل فانه ان عاش وقع
شرفا لملك لا ابالي اليس اراء فقال عيسى ان انا احببته تتركني انا أو أي نذهب حيث قراه
قال نعم فدعا الله عيسى فاش الغلام فلما رآه اهل مملكة الرجل قد عاش تبادروا الى السلاح وقالوا قد
اكلنا هذا الملك حتى اذا دنا اجله يريد ان يستخلف علينا ابنه فيأكلنا كما اكلنا ابوه فقاتلوه وظهروا
عيسى قصصوا قتله وكفروا به وقيل ان اليهود كانوا عارفين بانه المسيح المبشر به في التوراة وانه
ينسخ دينهم فلما ظهر عيسى الدعوة اشتد ذلك عليهم فاخذوا في اذاه وطلبوا قتله وكفروا به فاستنصر
عليهم كما اخبر الله عز وجل عنه بقوله (قال) يعني عيسى عليه السلام (من انصاري الى الله) اي
مع الله وقيل معناه الى ان ابين امر الله واظهر دينه وقيل الى معنى في اي ذات الله وسيله وقيل الى في
موضاه والمعنى من يضم نصرته الى نصرته الله (قال الحواريون نحن انصار الله) وذلك ان عيسى
عليه السلام لم يدع ابني اسرائيل الى الله تعالى وتمردوا عليه وكفروا به فخرج يسوع في الارض
فرب جماعة بصطادون السمك وكانوا اثني عشر ورئيسهم شمعون ويعقوب فقال عيسى عليه السلام
ما تصنعون قالوا نصيد السمك قال افلا تمشون حتى نصيد الناس قالوا ومن انت قال انا عيسى بن
مريم عبدالله ورسوله فمسأوه آية تدلهم على صدقه وكان شمعون قد رمى بشبكته في الماء فدعا الله
عيسى فاجتمع في تلك الشبكة من السمك ما كادت تنزق من كثرتة فاستعانوا باهل سفينة اخرى وملؤا
السفيتين من السمك ففند ذلك آمنوا به فانطلقوا معه واختلف في الحواريين فقبل كان بصطادون
السمك فلما آمنوا بعيسى صاروا يصطادون الناس ويهدونهم الى الدين سموا حواريين
لباض ثيابهم يقال حورت الشيء بمعنى بضته وقيل كانوا قصارين سموا بذلك لانهم كانوا يحورون
الثياب اي يبيضونها وقيل ان مريم سلمت عيسى الى اعمال شتى فكان آخر من سلمته اليه الحواريين
وكانوا قصارين وصباغين فدفعته الى رئيسهم ليتعلم منه فاجتمع عنده ثياب وعرض له سفر فقال
لعيسى انك قد تعلمت هذه الصنعة وانا خارج الى السفر ولا رجوع الى عشرة ايام وهذه ثياب مختلفة
الالوان وقد علمت كل واحد منها بحيث على اللون الذي يصبغ به فاريد ان تفرغ منها وقت قدومي
وخرج المعلم الى سفره فطبخ عيسى حبا واحدا على لون واحد وادخل فيه جميع الثياب وقال كوني
باذن الله على ما اريد منك ثم قدم الحواري والثياب كلها في الحب فقال لعيسى ما فعلت قال قد فرغت

منها قال وابن هـ في الحب قال كما قالتم قال لقد افسدت على الثياب قال عيسى لا ولكن قم فانظر وقام عيسى واخرج ثوبا حرا وثوبا اخضر وثوبا اصفر وثوبا اسود حتى اخرجها كلها على الالوان التي يريد الحوارى فجعل الحوارى يتعجب من ذلك وعلم ان ذلك من الله تعالى فقال للناس تعالوا فانظر واقام منه هو واصحابه وهم الحوارى بون وقيل سمو حواريين الصفاء قلوبهم ولما ظهر عليهم من اثر العباد ونورها وقيل الحواريون الاصفاء وكانوا اصفاء عيسى وحاصته وقيل الحواريون هم الخلفاء وقيل هم الوزراء وكانوا خلفاء عيسى ووزراءه وقيل الحواريون هم الانصار والحوارى الناصر والحوارى الرجل الذى يستأن به (ق) عن جابر بن عبدالله قال ندب الى صلى الله عليه وسلم الناس يوم الخندق فاندب الزبير ثم ندبهم فاندب الزبير ثم ندبهم فاندب الزبير فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حواريا وحوارى الزبير قال الحواريون نحن انصار الله يعنى انصار دين الله ورسوله واعوانه (آمن بالله) اى صدقايان الله ربنا ورب كل شئ (واشهد) يعنى انت يا عيسى (بأننا مسلمون) قيل معناه واشهد باننا نقادون لما تريد من نصرك والذب عنك ومستسلمون لامر الله عز وجل وقيل هو اقرار منهم بان دينهم الاسلام وانه دين عيسى وكل الانبياء قبله لا اليهودية والنصرانية (ربنا آتانا بما نزلت) يعنى قال الحواريون بعد اشهاد عيسى عليهم بانهم مسلمون ربنا آتانا بما نزلت يعنى بكتابك الذى انزلته على عيسى عليه السلام (واتبعنا الرسول) يعنى عيسى (فاكتبنا مع الشاهدين) يعنى الذين شهدوا الانبياء بالصدق وانبىءوا امرنا ونهيك فاثبت اسماءنا مع اسمائهم واجعلنا في عدادهم ومعهم فيما نكرهم به وهذا يقتضى ان يكون للشاهدين الذين سال الحواريون ان يكونوا معهم من يد فضل عليهم فلماذا قال ابن عباس في قوله فاكتبنا مع الشاهدين اى مع محمد صلى الله عليه وسلم وامته لانهم المحصوصون بتلك التفضيلة فانهم يشهدون للرسول بالبلاغ وقيل مع الشاهدين يعنى اليبين لان كل نبي شاهد على امته قوله عز وجل (ومكروا) يعنى كفار بنى اسرائيل الذين احس عيسى منهم الكفر واصل المكر صرف الغير عما يقصده بضرب من الحيلة وقيل هو السعى بالفساد في الحفية فاما مكرهم بعيسى فانهم دبوا في قتله وهو ابه وذلك ان عيسى عليه السلام بعد ان اخرجهم قومه هو واه رجع مع الحواريين وصاح فيهم بالدعوة واظهر رسالته اليهم فموا بقتله والفتك به فذلك مكرهم والمكر من اخلق الخبيث والحدیعة والحيلة (ومكر الله) اى جازاهم على مكرهم فسمى الجزاء باسم الابتداء لانه في مقابلته وقيل مكر الله استدراج العبد واخذة بفتنة من حيث لا يحتسب ومكر الله في هذه الآية خاصة هو القاء الشبه على صاحبهم الذى دلهم على عيسى حين ارادوا قتله حتى قتل قال ابن عباس ان عيسى عليه السلام استقبل رهطاً من اليهود فلما راوه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحر وقال الفاعل ابن الفاعلة فغذفوه واه فلا سمع عيسى ذلك دعا عليهم ولعنهم فمسخوا خنازير فلما راي ذلك يهود اراس اليهود وملكهم فرغ لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى وتاروا الله ليقتلوه فبعث الله عز وجل جبريل فادخله خوخة في سقفها روزنة فرفعه الله من تلك الروزنة وامر يهودا ملك اليهود رجلاً من اصحابه يقال له ططيانوس ان يدخل الخوخة فيقتله فيها فلما دخل لم ير عيسى وابطأ عليهم فظنوا انه يقاله فيها والى الله عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا انه عيسى فأخذوه وقتلوه وصلبوه قال وهب بن منبه ان اليهود طرقوا عيسى في بعض الليل ونصبوا له خشية ليصلبوه عليها فانظرت

الظالمين (لفظ جبابهم وتعقمهم في البعد عن الحق وقول الدور وهم قسمان قسم رسمت هيئة استيلاء النفوس الامارة على قلوبهم فيهم وتمكنت وتاهوا في الهوى والاستمراء وتمادوا في البعد والعدا حتى صار ذلك ملكة لا تزول وقسم لم يرسخ ذلك فيهم بعد ولما نصر على قلوبهم ربا وبقي من وراء حجاب النفس مسكة من نور استعدادهم عسى ان تداركهم رحمة من الله وتوفيق فيندموا ويستحيوا بحكم غير العقول فاشار الى القسم الاول بقوله ان الذين كفروا بعد ايمانهم الى آخره والى الثاني بقوله (اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنت الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم واولئك هم الضالون) بالمواظبة على الاعمال والرياضات ما افسدوا (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدثهم مل الارض

الارض وارسل الله عز وجل الملائكة فالت بينهم وبينه فجمع عيسى عليه السلام الحواريين
تلك الليلة واوصاهم وقال ليكفرون بي احدكم قبل ان يصبح الديك ويبيعوني بدرهم يسيرة فخرجوا
وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاتي احد الحواريين الى اليهود وقال مات جعلون لي ان دللتكم على
المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فاخذها ودلهم عليه فلادخل البيت الذي فيه المسيح اتى الله شبه عيسى عليه
فرفع الله عيسى عليه السلام واخذ الذي دل عليه فقال انا الذي دللتكم عليه فلم يلتفقوا الى قوله
فقتلوه وصلبوه وهم يظنون انه عيسى فلما صلب الذي اتى عليه شبه عيسى جاءت مريم وامراة اخرى
كان عيسى دعا لها فابراها الله من الجنون بدعوته فجعلتا بكيان عند المصلوب فجاءهما عيسى عليه السلام
وقال علي من تكيان ان الله عز وجل قد رفعني ولم يصبني الاخير وهذا شئ شبه لهم فلما كان بعد سبعة
ايام قال الله تعالى لعيسى اهبط الى مريم المجدلانية وهو اسم ووضع نسبت اليه فانه لم يك عليك احد
بكاهوا ولم يخزن عليك احد حزنها ثم تجمع لك الحواريين فبعثهم في الارض دعاء الى الله عز وجل
فاهبط الله عز وجل عليها فاشتغل الجبل نور احين هبط فجعلت له الحواريين فبعثهم في الارض ثم
رفعه الله فذلك الليلة التي تدخن فيها النصارى فلما أصبح الحواريون تكلم كل واحد منهم بلفظ من ارسله
عيسى اليهم فذلك قوله تعالى ومكر او مكر الله (والله خير الماكرين) يعني وهو افضل المجازين بالسيئة
العقوبة وقال السدي ان اليهود حبست عيسى عليه السلام في بيت ومعه عشرة من الحواريين فدخل
عليهم رجل منهم وكان قد نافق فاتي عليه شبه عيسى فاخذ وقتل وصلب وقال قنادة ذكر لنا ان
نبي الله عيسى عليه السلام قال لاصحابه ايكم يقذف عليه شبهي فانه مقتول فقال رجل منهم انا يا نبي الله
فقتل ذلك الرجل ومنع الله عيسى ورفع له وكساه الریش والبسه الورد وقطع عنه لذة المطم
والمشرب وطار مع الملائكة فهو معهم حول العرش وصار انسيا ملكيا ارضيا سماويا قال اهل النار
جئت مريم به عيسى ولها ثلاث عشرة سنة وولدت له بيت لحم من ارض اورشليم لمضى خمس مخ
وستين سنة من غلبة الاسكندر على ارض بابل واوحى الله الى عيسى على راس ثلاثين سنة ورفع الله
من بيت المقدس ليلة القدر من رضاء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فكانت نبوته ثلاث سنين
وعاشت امه مريم بعد رفعه ست سنين قوله عز وجل (اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك
ورافعك الى) اختلفوا في معنى التوفي هنا على طريقين فالطريق الاول ان الآية على ظاهرها
من غير تقديم ولا تأخير وذكرها في معناها وجوها الاول معناه اني قابضك ورافعك الى من غير
موت من قولهم توفيت الشئ واستوفيته اذا اخذته وقبضته تاما والمقصود منه هان لا يصل
اعدائه من اليهود اليه بقتل ولا غيره الوجه الثاني ان المراد بالتوفي النوم ومه قوله عز وجل
الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فجعل النوم وفاة وكان عيسى قد نام فرفعه
الله وهونائم ثلاثا لحقه خوف فعني الآية اني متوفيك ورافعك الى الوجه الثالث ان المراد بالتوفي
حقيقة الموت قال ابن عباس معناه اني يميتك قال وهب بن منبه ان الله توفي عيسى ثلاث ساعات من
المهار ثم احياه ثم رفعه اليه وقيل ان النصارى يزعمون ان الله توفاه سبع ساعات من النهار ثم احياه
ورفعه اليه الوجه الرابع ان الواو في قوله ورافعك الى لا تعيد الترتيب والآية تدل على ان الله
تعالى يفعل به ما ذكر فاما كيف يفعل ومتى يفعل فالامر فيه موقوف على الدليل وقد ثبت في الحديث
ان عيسى سينزل ويقتل الدجال وسنذكره ان شاء الله تعالى الوجه الخامس قال ابو بكر الواسطي
معناه اني متوفيك عن شهواتك وعن حظوظ نفسك ورافعك الى وذلك ان عيسى عليه السلام لا

ذهبا ولو افندى به اولئك
لهم عذاب اليم ومالهم من
ناصرين (اذ لا تقبل هناك
الا الامور الورية الباقية
لان الآخرة هي عالم الور
والبقاء فلا وقع ولا خطر
للأمور الظلانية فيما القانية
وهل كان سبب كفرهم
واحتجابهم الا محبة هذه
الفواسق القسائية فكيف
تكون سبب نجاتهم وقرهم
وقبولهم وندبتهم وهي بعينها
سبب هلاكهم وبعد هم
وخسرانهم وحرمانهم (ان
تسالوا البر حتى تنفقوا مما
تحبون وما تنفقوا من شئ
فان الله به عليم) كل فعل
يقرب صاحبه من الله فهو
بر ولا يمكن التقرب اليه الا
بالتبري عما سواه فن احب
شيء بعد حجب عن الله تعالى
به واشرك شركا خفيا تعلق
محبه بغير الله كما قال تعالى
ومن الناس من يتخذ من
دون الله اندادا يحسبونهم
كعب الله وآثر نفسه به على
الله فقد بعد من الله ثلاثا
الوجه وهو محبة غير الحق
والشرك وابتار النفس على
الحق فان اثر الله به على نفسه
والصدق به واخرجه من
يد فقد زال البعد وحصل
الرب والابقى محبوبا وان

رفع الى السماء صارت حالته حالة الملائكة في زوال الشهوة الوجه السادس ان معنى التوفى اخذ الشيء وافيا ولما علم الله تعالى ان من الناس من يخطر بباله ان الذي رضى الله اليه هو روحه دون جسده كازعت النصارى ان المسيح رفع لاهوته يعني روحه وبقي في الارض ناسوته يعني جسده فرد الله عليهم بقوله اني متوفيك ورافعتك الى فاخبر الله انه رفعه بتمامه الى السماء بروحه وجسده جميعا الطريق الثاني ان في الآية تقدما وتأخيرا تقديره اني رافعتك الى وظهر لك من الذين كفروا ومتوفيك بعد انزالك الى الارض وقيل لبعضهم هل تجد نزول عيسى الى الارض في القرآن قال نعم قوله تعالى وكهلا وذلك لانه لم يكنهل في الدنيا وانما معناه وكهلا بعد نزوله من السماء (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليوصلن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويقبض المال حتى لا يقبله احد زاد في رواية حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها ثم يقول ابو هريرة اقروا ان شئتم وان من اهل الكتاب الا يؤمنن به قبل موته وفي رواية كيف اتم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم وفي رواية فامكم منكم قال ابن ابي ذؤيب تدرى ما امكم منكم قلت فاخبرني قال فامكم بكتاب ربكم عز وجل وبسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم وفي افراد مسلم من حديث النواس بن سمعان قال فبينما هما كذلك اذ بعث الله المسيح ابن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس باني وبينه يعني عيسى نبي وانه نازل فاذا رايتوه فاعرفوه فانه رجل مربوع الحجرة والياض ينزل بين مصرتين كان راسه يقطر وان لم يصبه بلل فيقاتل الناس على الاسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله الملل في زمانه كلها الا الاسلام ويهلك المسيح الدجال ثم يمكث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون اخرجه ابو داود ونقل بعضهم ان عيسى عليه السلام يدفن في حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقوم ابوبكر وعمر يوم القيامة بين نبيين محمد وعيسى عليهما السلام قوله عز وجل (ومطهرك من الذين كفروا) يعني يخرجك من بينهم ويهيك منهم (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) يعني وجاعل الذين اتبعوك في التوحيد وصدقوا قولك وهم اهل الاسلام من امة محمد صلى الله عليه وسلم فوق الذين كفروا بالقرآن والنصر والغلبة بالجملة الظاهرة وقيل هم الحواريون الذين اتبعوا عيسى على دينه وقيل هم النصارى فهم فوق اليهود وذلك لان ملك اليهود قد ذهب ولم يبق لهم مملكة وملك النصارى باق فعلى هذا القول يكون الاتباع بمعنى المحبة والادعاء لا تباع الدين لان النصارى وان اظهروا متابعة عيسى عليه السلام فهم اشد مخالفة له وذلك ان عيسى عليه السلام لم يرض بعامه عليه من الشرك والقول الاول هو الاصح لان الذين اتبعوه هم الذين شهدوا له بانه عبد الله ورسوله وكلمه وهم المسلمون وملكهم باق الى يوم القيامة (ثم الى مرجعكم) يعني يقول الله عز وجل الى مرجع الفريقين في الآخرة الذين اتبعوا عيسى وصدقوا به والذين كفروا به (فاحكم بكم فيما كنتم به تختلفون) يعني من الحق في امر عيسى ثم بين ذلك الحكم فقال تعالى (فاما الذين كفروا) يعني الذين جحدوا نبوة عيسى وخافوا ملته وقالوا من الباطل ووصنوه بما لا يدعي من سائر اليهود والنصارى (فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا) يعني بالقتل والسبي والنالة واخذ الجزية بهم

اتفق من غيره اضعافه فانا انفق لعله تعالى بما ينفق وباحتجابه بغيره (كل الطعام كان حلالا لبني اسرائيل) اي العقلاء يحكم بان الاشياء العقلية يحكم بان الاشياء خلقت لمافع العباد مطلقا فايكون من جملة المضطهومات خلقت لتناولها (الا ما حرم اسرائيل) الروح (على نفسه) بالنظر العقلي عند التجربة والقياس ومعرفة مصارها وما فيها على التفصيل بعد الحكم الاجالي بحالها فان العقل يحكم بحجامة ما يضر او يهلك (من قبل ان تنزل التوراة قل قاتلوا بالتوراة قاتلوه ان كنتم صادقين) اي من قبل نزول الحكم الشرعي بالتوراة وسائر الكتب الالهية وذلك ان الناس اختلفوا بعدما كانوا امة واحدة على دين الحق كما ذكر بعث الله النبيين لهدايتهم واصلاح احوالهم وسببهم وما دهم وردهم الى الحق والاتفاق فانتفضت الحكمة الالهية بحسب احوالهم المختلفة وطبائع قلوبهم المحرفة ونفوسهم المربضة حرمة من المألوفات والاشياء الصارفة عن الحق الحاجة

(والآخرة) أي واعذبهم في الآخرة بال نار (ومالهم من ناصرين) يعني مانعين عنهم من عذابنا (واما الذين آمنوا) يعني يعيسى عليه السلام وصدقوا بنبوته وانه عبدالله ورسوله وكلته (وعلموا الصالحات) يعني علموا بما فرضت عليهم وشرعت لهم (فيوفيهما أجورهم) يعني جزاء أعمالهم لا ينقص منه شيء (والله لا يحب الظالمين) أي لا يحب من ظلم غيره حقاله او وضع شيئا في غير موضعه والمني انه تعالى لا يرحمهم ولا ينبي عليهم بحميل ثم قال تعالى (ذلك) بني الذين ذكرته لك من اخبار عيسى واه مريم والحواريين وغير ذلك من القصص (تتلوه عليك) أي تخبرك به يا محمد على لسان جبريل واما ما اضاف ما تلوه جبريل عليه السلام الى نفسه سبحانه وتعالى لانه من عنده وبامر من غير تفاوت اضلا فاضافه اليه (من الآيات) يعني من القرآن وقيل الآيات بني العلامات الدالة على نبوتك يا محمد لانها اخبار لا يعلمها الا من يقرأ ويكتب او يوحى اليه وانت أي لا تقرأ ولا تكتب فثبت ان ذلك من الوحي السماوي الذي انزل عليك (والذكر الحكيم) أي المحكم المنوع من الباطل قيل المراد من الذكر الحكيم القرآن لانه كما يستفاد منه جميع الاحكام وقيل الذكر الحكيم هو اللوح المحفوظ الذي منه نزلت جميع كتب الله على رسله وهو لوح من درة بيضاء معلق بالعرش بقوله عز وجل (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب) الآية اجمع اهل التفسير ان هذه الآية نزلت في محاجة نصارى وفد نجران قاله ابن عباس ان رهط من اهل نجران قدوموا على النبي صلى الله عليه وسلم وكان فيهم السيد والعاقب فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ما شأنك تذكر صاحبنا فقال من هو قالوا ادعيسى تزعم انه عبدالله فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجل انه عبدالله فقالوا له فهل رايت له مثلا او انشئت به ثم خرجوا من عنده فجاءه جبريل عليه السلام فقال له قل لهم اذا اتوك ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم انه عبدالله وسوله وكلته القاهالي مريم العذراء البنول فغضبوا وقالوا يا محمد هل رايت انسانا قط من غير ان الله تعالى ان مثل عيسى عند الله أي في الخلق والانشاء في كونه خلقه من غير ان آدم في كونه خلقه من تراب من غير ان آدم ومعنى الآية ان عفة خلق عيسى من غير ان كسفة آدم في كونه خلقه من تراب لان اب وام من اقر بان الله خلق آدم من التراب اليابس وهو ابلغ في القدرة فلم لا يقر بان الله خلق عيسى ابن مريم من غير ان بل الشأن في خلق آدم اعجب واغرب وتم الكلام عند قوله كمثل آدم لانه تشبيه كامل ثم قال تعالى خلقه من تراب فهو خير مستأنف على جهة التفسير لحال خلق آدم في كونه خلقه من تراب أي قدره جسدا من طين (ثم قاله كن) أي انشاء خلقا بالكلمة وكذلك عيسى انشاء خلقا بالكلمة فعلى هذا القول ذكروا في الآية اشكالا وهو انه تعالى قال خلقه من تراب ثم قال له كن فهذا يقتضي ان يكون خلق آدم متقدما على قوله كن ولا تكون بعد الخلق واجيب عن هذا الاشكال بان الله تعالى اخبر بانه خلقه من تراب لامن ذكرنا حتى ثم ابتدأ خبر آخر فقال اني اخبركم ايضا اني قلت له كن فكان من غير ترتيب في الخلق كما يكون في الولادة ويحتمل ان يكون المراد انه تعالى خلقه جسدا من تراب ثم قال له كن بشرا فكان فيصح الظن وقيل الضمير في قوله كن يرجع الى عيسى عليه السلام وعلى هذا فلا اشكال في الآية فان قلت كيف شبه عيسى عليه السلام بآدم عليه السلام وقد وجد عيسى من غير ان آدم وجد آدم من غير ان آدم قلت هو مثله في احد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه لان المماثلة

بينهم وبين الله والمهيبة للهوى والشهوات وسائر المفاسد والفتن المانعة اياهم عن كمالهم واهتمامهم حرم عليهم (فن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المنصرين ان اول بيت وضع للناس) قيل هو اول بيت ظهر على وجه المساء عند خلق السماء والارض خلقه قبل الارض بألفي عام وكان زبدا يفضاء على وجه الماء قد حيت الارض محته فاليبت اشارة الى القلب الحقيقي وظهوره على وجه المساء تعلقه بالعلقة عند سماء الروح الحيواني وارض البدن وخلقته قبل الارض اشارة الى قدمه وحدوث البدن وتعيينه بألفي عام اشارة الى تقدمه على البدن بطورين طور النفس وطور القلب تقدما بالرتبة اذا ألف رتبة تامة كما سبق في اشارة اليه وكونه زبدا يفضاء اشارة الى صفاء جوهره ودحو الارض عنه اشارة الى تكون البدن من تأثير وكون

مشاركة في بعض الاوصاف ولانه شبه به في انه وجود وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهما في ذلك نظيران لان الوجود من غير اب وام اغرب في العادة من الوجود من غير اب فشبه الغريب بالاغرب ليكون اقطع للتصميم واحسم لمادة شبهته اذا نظر فيها هو اغرب مما استغربه وحكى ان بعض العلماء اسرف في بعض بلاد الروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب له اولى لانه لا اب له ولا ام قالوا وكان يحى الموقى فقال حزقيل اولى لان عيسى احيا اربعة نفر واحيا حزقيل اربعة آلاف قالوا وكان يرى الاله والارض قال فجر جيس اولى لانه طبع واحرق ثم قام سليما * وقوله كن (فيكون) قال ابن عباس معناه كن فكان فأريد بالمستقبل الماضي وقيل معناه ثم قال له كن واعلم يا محمد ان ما قاله ربك كن فانه يكون لاحالة (الحق من ربك) الذي اخبرتك به من تمثيل عيسى بآدم هو الحق من ربك (فلانكن من المميزين) اى من الشاكين ان ذلك كذلك وهذا خطاب لابي صلى الله عليه وسلم والمراد به امته لانه صلى الله عليه وسلم لم يشك قط فهو كقوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء والمعنى فلانكن من المميزين يا ايها السامع كائنا من كان لهذا التمثيل والبرهان الذي ذكر فهو من باب التمهيج لزيادة الثياب والطمأنينة * قوله عز وجل (فن حاكك فيه) اى فن جادل في عيسى وقيل في الخلق (من بعد ما جاك من العلم) يعنى بان عيسى عبدالله ورسوله (فقل تعالوا) اى هلموا والمراد منه الجى واصله من العلو بالراى والعزم كما تقول تعالى نتفكر هذه المسئلة (ندع ابناؤنا وابناؤكم) اى يدع كل منا ومنكم ابناؤه (ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم) قيل اراد بالاباء الحسن والحسين والنساء فاطمة والنفس نفسه صلى الله عليه وسلم وعليا رضى الله عنه وقيل هو على العموم لجماعة اهل الدين (ثم نبتهل) قال ابن عباس ننضرع في الدعاء وقيل معناه نجتهد ونبالغ في الدعاء وقيل معناه نلتعن والابتهال الاتعان يقال عليه بهلة الله اى لعنة الله (فنجعل لعنة الله على الكاذبين) يعنى منا ومنكم في امر عيسى قال المفسرون لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية على وفد نجران ودعاهم الى المباحلة قالوا حتى نرجع وننظر في امرنا ثم تأتيتك غدا فاختلا بعضهم ببعض قالوا للعاقب وكان كبيرهم وصاحب رايهم مازى يا عبد المسيح قال لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمد انبى مرسل وان فضلتم ذلك تهلكن فان ابيتهن الا الاقامة على ما اتهم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الزجل وانصرفوا الى بلادكم فانوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد احتضن الحسين واخذ بيد الحسن وفاطمة تمتشى خلفه وعلى عيسى خلفها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول لهم اذا دعوت فامنوا فثم ارفعهم اسقف نجران قال يا معشر النصارى انى لارى وجوها لو سالوا الله ان يزيل جبلا لازاله من مكانه فلا تبتهلوا قهلكوا ولا يبق على وجه الارض نصرانى الى يوم اقيامة فقالوا ايا ابا القاسم قد راينا ان لنا بهلك وان نتركك على هيك وتتركنا على ديننا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ابيتم المباحلة فاسلو ايكن لكم مالمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا ذلك فقال انى انا جزكم فقالوا مالمناجرب طاقة ولكننا نصلحك على ان لا تنزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا وان تؤدى اليك في كل سنة الف الف في صفرو الف في رجب زاد في رواية وثلاثا وثلاثين درهما حادية وثلاثا وثلاثين بيرا واربعا وثلاثين فرسا فاغاية فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال والذي نفسي بيده ان العذاب تدل على اهل نجران ولونا غنوا المخزومة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولا تسأصل الله نجران واهله حتى الطير على الشجر ولما حال الحول على النصارى

اشكاله وتخطيطاته وصور اعضائه تابعة لهياته فهذا تأويل الحكاية واعلم ان محل تعلق الروح بالبدن واتصال القلب الحقيقي به اولا هو القلب الصورى وهو اول ما يتكون من الاعضاء واول عضو يتحرك وآخر عضو يسكن فيكون اول بيت وضع للناس (الذى بيكة) الصدور صورة اواول متعبد ومسجد وضع للناس للقلب الحقيقي الذى بيكة الصدور المعنوى وذلك الصدور اشرف مقام من النفس وموضع ازدهامات القوى المتوجهة اليه (مباركا) ذا بركة الهية من الفيض المتصل منه بجميع الوجود والقوة والحياة فان جميع القوى التى في الاعضاء تسرى منه اولا اليها (وهدى للعالمين) سبب هداية ونور يهتدى به الى الله (فيه آيات بينات) من العلوم والمعارف والحكم والحقائق (مقام ابراهيم) اى العقل الذى هو موضع قدم ابراهيم الروحى معنى محل اتصال نوره من القلب (ومن دخله) من السالكين والتمهيد في بدها لجهالات (كان آتانا) من اغواء سعالى التمهيلة وغفارت احاديث

كلهم حتى هلكوا فان قلت ما كان دعاؤه الى المباهلة الا لتبيين الصادق من الكاذب منه ومن خصمه وذلك يختص به وعن يباهله فامعنى ضم الابناء والنساء المباهلة قلت ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجر اعالى تعريض اعزته وافلاذ كبده واحب الناس اليه فلذلك ضمهم في المباهلة ولم يقتصر على تعريض نفسه لذلك وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع احبته واعزته هلاك استئصال ان تمت المباهلة وانما خص الاباء والنساء لانهم اعز الاهل والصقهم بالقلب وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل وانما قدمهم في الذكر على النفس لئنه بذلك على لطف مكلمهم وقرب منزلتهم وفيه دليل قاطع وبرهان واضح على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه لم يروا احدا من موافق ومخالف انهم اجابوا الى المباهلة لانهم عرفوا صحة نبوته وما يدل عليها كتبهم * قوله تعالى (ان هذا) يعنى الذى قص عليك يا محمد من خبر عيسى عليه السلام وانه عبدالله ورسوله (لهو القصص الحق) واصله من القص وهو تبع الاثر والقصص الخبر الذى تتنازع فيه المعاني (وما من اله الا الله) انما دخلت من لتوكيد التفي والمعنى ان عيسى ليس بالله كما زعمت النصارى ففيه رد عليهم ونفى جميع من ادعى من المشركين انهم آلهة واثبات الالهية لله تعالى وحده لاشريك له في الالهية (وان الله لهو العزيز) اى القالب المنتقم بمن عصاه وخالف امره وادعى معه الها آخر (الحكيم) يعنى في تدبيره وفيه رد على النصارى لان عيسى لم يكن كذلك (فان تولوا) يعنى فان اعرضوا عن الايمان ولم يقبلوه (فان الله علم بالمفسدين) اى الدين يعبدون غير الله ويدعون الناس الى عبادة غيره وفيه وعيد وتهديد لهم * قوله عز وجل (قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم) قال المفسرون لما قدم وفد نجران المدينة احتموا باليهود واختصموا في ابراهيم صلى الله عليه وسلم فزعمت النصارى انه كان نصرانيا وهم على دينه واولى الناس به وقالت اليهود بل كان يهوديا وهم على دينه واولى الناس به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين برى عن ابراهيم ودينه بل كان حنيفا وانا على دينه فاتموا دينه الاسلام فقالت اليهود ما تريد الا ان تتخذك ربا كما اتخذت النصارى عيسى رباً وقالت النصارى يا محمد ما تريد الا ان تقول فيك ما قالت اليهود في عزيز فانزل الله عز وجل قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة معنى فيها انصاف ولا ميل فيها لاحد على صاحبه والعرب تسمى كل قصة او قصيدة لها اول وآخر وشرح كلمة سواء اى عدل لا تختلف فيها التوراة والانجيل والقرآن وتفسير الكلمة قوله (الان عبد الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا ارباباً من دون الله) وذلك ان النصارى عبدوا غير الله وهو المسيح واشركوا به وهو قولهم اب وابن وروح القدس فجعلوا الواحد ثلاثة واتخذوا احبارهم وورهبانهم ارباباً من دون الله وذلك انهم يطيعونهم فيما امرهم به من الشرك ويحجودون لهم فهذا معنى اتخاذ بعضهم بعضاً ارباباً من دون الله ثبت ان النصارى قد حرموا بين هذه الثلاثة اشياء ومعنى الآية قل يا محمد لليهود والنصارى علموا الى امر عدل نصف وهو ان نقول عزيز ابن الله ولا نقول المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بشر مخلوق مثلاً ولا نطيع احبارنا وورهباننا فيما احدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الى ما شرع ولا يسجد بعضهم لبعض لان المعبود لغير الله حرام فلا نعبد لغير الله وقيل معناه ولا نطيع احداً في معصية الله (فان تولوا) يعنى فان اعرضوا

النفس واختطاف شياطين الوهم وجن الخيالات واغتيال سباع القوى الفسادية وصفاتها (ولله على الناس حرج) هذا (البيت) والموافق به (من استطاع اليه سبيلاً) من السالكين المستعدين الصادقين في الارادة القادرين على زاد التقوى وراحلة قوة العزم دون من عداهم من الضعاف في الاستعداد القاعدين من الضعف والمرض وسائر الموانع الخلقية او العارضة الفسادية او البدنية (ومن كثر) اى يجب استعدادهم مع القدرة واعرض عنه بهوى النفس (فان الله غنى) عنه و(عن العالمين) كلهم اى لا يلتفت اليه لبعده وكونه غير قابل لرحمته في ذل الجباب وهو ان الحرمان محدود لا مردود (قل يا اهل الكتاب الله لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون قل يا اهل لكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها هو جواهرهم شهداء ومالله بفان لا تعلمون يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فرقا من الذين اتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين يفوك بكفروهم وانتم تتلى عليكم

آيات الله وفيكم رسوله ومن
يعتصم بالله فقد هدى الى
صراط مستقيم) بالانقطاع
عساواه والتمسك بالتوحيد
الحقيقي (فقد هدى الى
صراط مستقيم) اذ الصراط
المستقيم هو طريق الحق
تعالى كما قال ان ربي على
صراط مستقيم فن انقطع
اليه بالقضاء في الوحدة كان
صراطه صراط الله (يا ايها
الذين آمنوا اتقوا الله حق
تقائه في بقايا وجودكم فان
حق تقائه هو ان يتقى كما
يجب وبحق وهو الفناء
فيه اى اجلاؤه وقاية لكم
في الحذر عن بقايا ذواتكم
وصفاتكم فان في الله خلافا
عن كل مافات (ولا نموتن
الا وانتم مسلمون) الاعلى
حال اسلام الوجوه له
اى ليكن موتكم هو الفناء
في التوحيد (واعتصموا
بحبل الله جميعا) اى بعهده
في قوله الست بربكم
مجمعين على التوحيد
(ولا تفرقوا) باختلاف
الاهواء فان اتفرق عن
الحق انما يكون باختلاف
المبائيع واتباع الهوى
وتجاذب القوى والموحد
عنها بمعزل اذ تنور قلبه
بنور الحق واستنارت

عما امرتهم به (فقولوا) انتم لهؤلاء (اشهدوا باناسلمون) اى مخلصون بالتوحيد لله
والعبادة له (ق) عن ابن عباس ان ابا سفيان اخبره ان هرقل ارسل اليه في ركب من قريش
وكانوا تجار بالشام في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماد فيها ابا سفيان وكفار قريش فاتوه
وهو بابليا فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الذي بعث به مع دحية الكلبي الى عظيم بصرى فدفعه الى هرقل فقراءه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد عبدالله ورسوله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوك
بدعاية الاسلام اسلم تسلم يؤتلك الله اجر كمرتين فان توليت فانما عليك اثم اليريسين ويا اهل
الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا
اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا باناسلمون لفظ الحديث احد روايات البخاري
وقد اخرج به باطون من هذا وفيه زيادة قوله اليريسين وفي رواية اليريسين والاريس الاكار
وهو الزراع والفلاح وقبلهم اتباع عبدالله بن اريس رجل كان في الزمن الاول بعثه الله
فخالفه قومه وقبلهم الاروسيون وهم نصارى اتباع عبدالله بن اروس وهم الاروسة وقبل
هم الاريسون بضم الهمزة وهم الملوك الذين يخالفون انبياءهم وقبلهم المتجثرون وقبلهم
اليهود والنصارى الذين صدقهم عن الاسلام واتبعوك على كفركم * قوله عز وجل (يا اهل
الكتاب لم تحاجون في ابراهيم) قال ابن عباس اجتمع عند النبي صلى الله عليه وسلم نصارى
نجران واحبار اليهود فتنازعوا عنده فقالت الاحبار ما كان ابراهيم اليهوديا وقالت النصارى
ما كان ابراهيم الانصريا فانزل الله فيهم يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم (وما نزلت
التوراة والانجيل الا من بعده) ومعنى الآية ان اليهود والنصارى لما اختصموا عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم في شأن ابراهيم عليه السلام وادعت كل طائفة انه كان منهم وعلى دينهم
فبرأ الله عز وجل ابراهيم عما ادعوا فيه واخبر ان اليهودية والنصرانية اما حدثا بعد نزول التوراة
والانجيل وانما نزل بعد ابراهيم زمان طويل فكان بين ابراهيم وبين موسى ونزول التوراة عليه
خمس مائة سنة وخمسة وسبعون سنة وبين موسى وعيسى الف وستة وثمانون سنة وثلاثون سنة وقال
ابن اسحق كان بين ابراهيم وموسى خمس مائة سنة وخمس وستون سنة وبين موسى وعيسى
الف سنة وتسعمائة وعشرون سنة واورد على هذا التأويل ان الاسلام ايضا انما حدث
بعد ابراهيم وموسى وعيسى زمان طويل وكذلك ازال القرآن انما نزل بعد التوراة
والانجيل فكيف يصح ما ادعيت في ابراهيم انه كان حنيفا مسلما واجيب عنه بان الله عز وجل اخبر
في القرآن بان ابراهيم كان حنيفا مسلما وليس في التوراة والانجيل ان ابراهيم كان يهوديا
او نصرانيا فصح وثبت مادعاء المسلمون وبطل مادعاء اليهود والنصارى وهو قوله تعالى
(افلا تعقلون) يعنى بطلان قولكم يا مشرك اليهود والنصارى حتى لا تجادلوا مثل هذا
الجدال المحال (ها انتم هؤلاء) هاللتنيبه وهو موضع النداء يعنى يا هؤلاء والمراد بهم اهل
الكتابين يعنى يا مشرك اليهود والنصارى (حاجبتم) اى جادلتم وخاصتم (فميا لكم به
علم) يعنى فيما وجدتم في كتبكم وانزل عليكم يا الله في امر موسى وعيسى وادعيت انكم على
دينهما وقد ازلت التوراة والانجيل عليكم (فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) يعنى انه

ليس في كتابكم ان ابراهيم كان يهوديا او نصرانيا (والله يعلم) يعني ما كان ابراهيم عليه من الدين (وانتم لاتعلمون) يعني ذلك والمعنى وانتم جاهلون بما تقولون في ابراهيم ثم برأه الله عز وجل عما قالوا فيه واعلمهم ان ابراهيم برئ من دينهم فقال تعالى (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا) يعني لم يكن كما ادعوه فيه ثم وصفه بما كان عليه من الدين فقال تعالى (ولكن كان حنيفا مسلما) يعني مائلا عن الاديان كلها الى الدين المستقيم وهو الاسلام وقيل الخنيف الذي يوحده ويختن ويضحي ويستقبل الكعبة في صلاته وهو احسن الاديان واسهلها واحبها الى الله عز وجل (وما كان من المشركين) يعني الذين يعبدون الاصنام وقيل فيه تعريض بكون النصارى مشركين لقولهم بالهية المسجوعبائتهم له قوله عز وجل (ان اولي الناس بابراهيم) يعني اخصهم به واقربهم منه (لذين اتبعوه) يعني الذين كانوا في زمانه وآمنوا به واتبعوا شريعته (وهذا النبي) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (والذين آمنوا) يعني هذه الامة الاسلامية (والله ولي المؤمنين) يعني بالنصر والمعونة عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي ولاية من النبيين وان وليي ابي وخليل ربي ابراهيم ثم قرأ ان اولي الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين اخرجه الترمذي وروى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ورواه محمد بن اسحق عن ابن شهاب باسناده حديث هجرة الحبشة قال لما هاجر جعفر بن ابي طالب واناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الى ارض الحبشة واستقرت بهم الدار وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة وكان من امر بدر ما كان اجتمعت قرش في دار الندوة وقالوا ان لنا في الذين عند النجاشي من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثارا ممن قتل منكم بدر فاجعوا ما لا واهدوه الى النجاشي لعله يدفع اليكم من عنده من قومكم وليندب لذلك رجلا من ذوى رأيكم فبعثوا عمرو بن العاص وعارة بن ابي معيط معهما الهدايا الادم وغيره فركبا البحر حتى اتيا الحبشة فلما دخلا على النجاشي سجدا له وسلموا عليه وقالاه ان قومنا لك ناصحون شاكرون ولاصحابك محبون وانهم بشؤنا اليك للجدرك هؤلاء الذين قدموا عليك لانهم قوم رجل كذاب خرج فينا يزعم انه رسول الله ولم يتابعه احد منا الا السفهاء وانا كنا قد ضيقا عليهم الامر واجأناهم الى شعب بارضا لا يدخل عليهم احد ولا يخرج منهم احد فقتلهم الجوع والعطش فلما اشتد عليهم الامر بعث اليك ابن عمه ليفسد عليك دينك وملكت ورعيتك فاحذرهم وادفعهم اليك لعلهم يذهبوا فليسوا بدينك ولا يمشونك ولا يمشونك بالتحية التي يحبك بها الناس رغبة عن دينك وسنتك قالا فدعاهم النجاشي فلما حضروا صاح جعفر بالبواب يستأذن عليك خرب الله تعالى فقال النجاشي مروا هذا الصائح فليدعكم كلامه ففعل جعفر فقال النجاشي نعم فليدخلوا بآمان الله وذمته ففطر عمرو الى صاحبه فقال الاتمع كيف يرطنون بحزب الله وما اجابهم به الملك فساءهما ذلك ثم دخلوا عليه فلم يسجدوا له فقال عمرو بن العاص الاترى انهم يستكبرون ان يسجدوا لك فقال لهم النجاشي ما منعكم ان تسجدوا لي وتحيوني بالتحية التي يحييني بها من اتاني من الآفاق قالوا نسجد الله الذي خلقك وملكت وانما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد

نفسه من فيض القلب فتسالت القوى وتصادقت (واذكروا نعمت الله عليكم) بالهداية الى التوحيد المفيد للمحبة في القلوب (اذ كنتم اعداء) لاحتجابكم بالحبب النفسانية والقواشي الطبيعية بعداء عن النور والمقاصد الكلية التي تقبل الشركة وتزال بالاتفاق في مهوى الطلبة (فألف بين قلوبكم) بالتحاب في الله لتندور بنوره (فأصبحت سمعة اخوانا) في الدين اصدقاء في الله (وكنتم على شفا حفرة من النار) هي مهوى الطبيعة الفاسقة ومحل الحرمان والتعذيب (فأفدكم منها) بالتواصل الحقيقي بينكم الى سدره مقام الروح وروح جنة الذات (كذلك بين الله لكم آياته) بتجليات الصفات الطيفية والاشراقات النورية (لعلكم تتدرون) الى جلاله وتجل ذاته (ولكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون عن المعروف ويهتدون عن النور) اي ليكن من جنتكم جماعة عالمون عاملون يعرفون اولو استقامة

في الدين كشيوخ الطريقة
يدعون الى الحير فان من
لم يعرف الله لم يعرف الخير
اذ الخير المطلق هو الكمال
المطلق الذي يمكن للانسان
بحسب النوع من معرفة
الحق تعالى والوصول
اليه والاضا في ما يتوصل
به الى المطلق او الكمال
المخصوص بكل احد على
حسب اقتضاء استعداد
الخاص فالخير المدعو اليه
اما الحق تعالى واما طريق
الوصول * والمعروف
كل امر واجب او مندوب
في الدين يتقرب به الى الله
تعالى والمكروه كل محرم او
مكروه يعد عن الله تعالى
ويجعل فاعله عاصيا او
مقصرا مذنبا لم يكن له
اتوحيده والاستقامة لم يكن
له مقام الدعوة ولا مقام
الامر بالمعروف والنهي عن
المكر لان غير الموحد ربما
يدعو الى طاعة غير الله وغير
المستقيم في الدين وان كان
موحدا ربما امر بما هو
معروف عنده مكروه في نفس
الامر وربما نهى عما هو منكرو
عنده معروف في نفس الامر
كن بلغ مقام الجمع واحتجب
الحق عن الخلق فكثيرا ما
يستعمل محرمات كعصا

الاوثان فبعث الله فينا نبيا صادقا فامرنا بالتحية التي رضى الله وهي السلام تحية اهل الجنة
فعرف النجاشي ان ذلك حق وانه في التوراة والانجيل قال ايكم الهانف يستأذن عليك حزب الله
تعالى قال جعفر انا قال فتكلم قال انك ملك من ملوك الارض من اهل الكتاب ولا يصلح
عندك كثرة الكلام ولا الظلم وانما احب ان اجيب عن اصحابي فر هذين الرجلين فليستكما
احدهما ولينصت الآخر فتسمع محاورتنا فقال عمرو لجعفر تكلم فقال جعفر للنجاشي سل هذين
الرجلين اعبيد نحن ام احرار فان كنا عبيدا قد ابقا من اربابنا فردنا عليهم فقال النجاشي
اعبيد هم ام احرار فقال بل احرار كرام فقال النجاشي نجوا من العبودية فقال جعفر سلهما
هل ارقادما بغير حق فيقتص منا فقال عمرو لا ولا قطرة قال جعفر سلهما هل اخذنا اموال
الناس بغير حق فليتنا قضاؤها قال النجاشي ان كان قطارا فعلى قضاؤه فقال عمرو لا ولا قطرات
فقال النجاشي فما تطلبون منهم قال كنا واياهم على دين واحد وامر واحد على دين آباءنا فتركوا
ذلك واتبعوا غيره فبعثنا قوما لتدفعهم الينا فقال النجاشي وما هذا الدين الذي كنتم عليه والدين
الذي اتبعوه فقال جعفر اما الدين الذي كنا عليه فهو دين الشيطان كنا نكفر بالله ونعد
الجاراة واما الذي تحولنا اليه فهو دين الله الاسلام جاءنا به من عند الله رسول وكتاب مل
كتاب ابن مريم موافق له فقال النجاشي يا جعفر تكلمت بامر عظيم فعلى رسلك ثم امر النجاشي
بضرب الناقوس فضرب فاجتمع اليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده قال النجاشي
انشدكم الله الذي انزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين يوم القيامة نبيا مرسلا
قالوا اللهم نعم قد بشرنا به عيسى فقال من آمن به فقد آمن بي ومن كفر به فقد كفر بي فقال
النجاشي لجعفر ماذا يقول لكم هذا الرجل وما يأمركم به وما ينهاكم عنه فقال يقرأ علينا كتاب الله
ويأمرنا بالمعروف وينهانا عن المنكر ويأمرنا بحسن الجوار وصلة الرحم وبر اليتيم ويأمرنا
ان نعبده وحده لا شريك له فقال اقرأ على مما يقرأ عليكم فقرأ عليه سورة العنكبوت
والرؤم ففاضت عينا النجاشي واصحابه من الدمع وقالوا زدنا من هذا الحديث الطيب فقرأ
عليهم سورة الكهف فاراد عمرو ان يغضب النجاشي فقال انهم يشنون عيسى واهمه فقال
النجاشي فما تقولون في عيسى واهمه فقرأ عليهم سورة مريم فلما انتهى على ذكر مريم وعيسى رفع
النجاشي من سواكه قدر ما يقضى العين وقال والله ما زاد المسيح على ما تقولون هذا ثم اقل
على جعفر واصحابه فقال اذهبوا فانتم سيوم بارضى يقول آتون من سبكم او اذا كم غرم ثم
قال ابشروا ولا تخافوا فلا دهورة اليوم على حزب ابراهيم فقال عمرو يا نجاشي ومن حزب ابراهيم
قال هؤلاء الرهط وصاحبهم الذي جاؤا من عنده ومن اتبعهم فانكروا ذلك المشركون وادتوا
دين ابراهيم ثم رد النجاشي على عمرو وصاحبه المال الذي حلووه وقال انما هديتكم الى رشوة فاقبضوها
فان الله ملكني ولم يأخذني رشوة قال جعفر فانصرفنا فكننا في خير جوار وانزل الله عز وجل
في ذلك اليوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في خصوصتهم في ابراهيم وهو في المدينة ان اولي
الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين * قوله تعالى (ودت
طائفة من اهل الكتاب لويضلونكم) تزلت في معاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان وعامر بن ياسر حين
دعاهم اليهود الى دينهم فزلت فيهم ودت طائفة اى تمت جماعة من اهل الكتاب بعض اليهود

لويضلونكم يعني من دينكم ويردونكم الى الكفر (وما يضلون الا انفسهم) لان المؤمنين لا يقبلون قولهم فيحصل عليهم الاتهم بتبنيهم اضلال المؤمنين (وما يشعرون) يعني ان وبال الاضلال يعود عليهم لان العذاب يضاعف لهم بسبب ضلالهم وتعني اضلال المسلمين وما قدرون على ذلك انما يضلون امثالهم واتباعهم واشياهم (يا اهل الكتاب) الخطاب لليهود (لم تكفروا بآيات الله) يعني القرآن وقيل المراد بآيات الله الواردة في التوراة والانجيل من نعمت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وسبب كفرهم بالتوراة والانجيل على هذا القول هو تحريفهم وتبديلهم ما فيها من بيان نعمت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته والبشارة بنبوته لانهم ينكرون ذلك (وانتم تشهدون) يعني ان نعمته وصفته مذكور في التوراة والانجيل وذلك ان احبار اليهود كانوا يكتفون الناس نعمته وصفته فاذا خلا بعضهم بعضا اظهروا ذلك فيما بينهم وشهدوا انه حق (يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل) وذلك ان علماء اليهود والنصارى كانوا يعلون بقلوبهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول من عند الله وان دينه حق وكانوا ينكرون ذلك بالستم وكانوا يجتهدون في القاء الشبهات والتشكيكات وذلك ان السامعي في اخفاء الحق لا يقدر على ذلك الا بهذه الامور فقوله تعالى لم تلبسون الحق بالباطل معناه تحريم التوراة وتبديلها فيضلون المحرف الذي كتبوه بايديهم بالحق المزل وقيل هو خلط الاسلام باليهودية والتصرانية وذلك انهم تواطوا على اظهار الاسلام في اول النهار والرجوع عنه في آخره والمراد بذلك تشكيك الناس وقيل انهم كانوا يقولون ان محمدا صلى الله عليه وسلم معترف ببعثة نبوة موسى وانه حق ثم ان التوراة دالة على ان شرع موسى لا ينسخ فهذا من تلبسائهم على الناس (وتكفون الحق) يعني نعمت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته في التوراة (وانتم تعلمون) يعني انه رسول من عند الله وان دينه حق وانما كنتم الحق عنادا وحدا وانتم تعلمون ما تستحقون على كتمان الحق من العقاب بقوله عز وجل (وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهاروا كفروا آخراه) وهذا نوع آخر من تلبسائهم اليهود وقيل توأما اثنا عشر احرار من يهود خيبر وقرى عربية فقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد اول النهار باللسان دون اعتقاد القلب ثم اكفروا آخر النهار وقولوا اننا نطرق في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا ان محمدا ليس هو بذلك المنوت ونظرونا كذبه فاذا فعلتم ذلك شك اصحاب محمد في ديه واتهموه وقالوا انهم اهل الكتاب واعلم به ما فيرجعون عن دينهم وقيل هذا في شأن القبلة وذلك انه لما صرفت الى الكعبة شق ذلك على اليهود فقال كعب بن الاشرف لاصحابه آمنوا بالذي انزل على محمد في امر الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم اكفروا وارجعوا الى قبلتكم آخر النهار لعلهم يرجعون فيقولون هؤلاء اهل كتاب وهم اعلم فيرجعون الى قبلتنا فاطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على سرهم وانزل هذه الآية ووجه النهار اوله والوجه مستقبل كل شيء لانه اول ما يواجه منه وانشدوا في معناه

من كان مسرورا بمقتل مالك * فلبأت نسوتنا بوجه نهار

وقوله (لعلهم يرجعون) يعني انا القينا هذه الشبهة لعلهم يشكون في دينهم فيرجعون عنه ولما دروا هذه الحيلة اخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بها فلم يمت لهم ولم

المسكرات والتصرف في اموال الناس ويحرم حلالا بل مندوبا كتواضع الخلق ومكافاة الاحسان وامثال ذلك (واولئك هم المفلحون) الاخضاء بالفلاح الذين لم يبق لهم حجاب وهم خلفاء الله في ارضه (ولا تكونوا) ناشئين بمقتضى طباعكم غير متابعين لامام ولا متفقيين على كلمة واحدة باتباع مقدم يجمعكم على طريقة واحدة (كالذين تفرقوا) واتبعوا الالهوا والادع (واختلفوا) من بعد ما جاءهم اليينات واولئك لهم عذاب عظيم) الحجج العقلية والشرعية الموجبة لاتحاد الوجهة واتفاق الكلمة للناس فان للناس طوائع وعرائز مختلفة واهواء مفرقة وعادات وسيراء متفاوتة مستفادة من امر جنهم واهويتهم ويترتب على ذلك فهموم متباينة واخلاق متعادية فان لم يكن لهم مقتدى وامام يخذلهم وسيرهم وآراؤهم بمتابعته وتنقيتهم وعاداتهم واهواؤهم بحسنة وطاعته كانوا مسلمين متفرقين فرائس للحيطان كثرية الغنم تكون للذئب ولهذا قال

امير المؤمنين عليه السلام
لا بد للناس من امام بر
او فاجر ولم يرسل نبي الله
صلى الله عليه وسلم رجلا
فصاعد الشان الا وامر
احدهما على الآخر وامر
الآخر بطاعته ومناجسته
ليتجد الامر وينظم والا
وقع الهرج والمرج
واضطرب امر الدين
والدنيا واختل نظام المعاش
والمعاد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من
فارق الجماعة قيد شبر لم
يرجى رجوة الجنة وقال الله
مع الجماعة الا ترى ان
الجمعة الانسانية اذا لم
تخضع برئاسة القلب
وطاعة العقل كيف اختل
نظامها وآلت الى الفساد
والفرق الموجب لخسار
الدنيا والآخرة ولما نزل
قوله تعالى وان هذا صراطي
مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا
السل تقفركم عن سبيله
خط رسول الله صلى الله
عليه وسلم خطا فقال هذا
سبيل الرشدم خط عن يمينه
وشماله خطوطا فقال هذه
سبل على كل سبيل شيطان
يدعوه اليه (يوم تبيض وجوه
وتسود وجوه) ايخاش
الوجه عبارة عن تودوجه

يحصل لها اثر في قلوب المؤمنين ولولا هذا الاعلام من الله تعالى لكان ربما اثر ذلك في قلوب
بعض من كان في ايمانه ضعف قوله تعالى (ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم) هذا متصل
بالاول وهو من قول اليهود يقول بعضهم لبعض ولا تؤمنوا اي ولا تصدقوا الا لمن تبع دينكم
اي وافق ملتكم التي انتم عليها وهي اليهودية واللام في لمن صلة كقوله رد لكم اي رد فكم
(قل ان الهدى هدى الله) اي الدين دين الله والبيان بانه وهذا خبر من الله تعالى ثم اختلفوا
فيه فتم من قال هذا كلام معترض بين كلامين وما بعده متصل بالكلام الاول وهو اخبار
عن قول اليهود بعضهم لبعض ومعنى الآية ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تؤمنوا ان يؤتى
احد مثل ما لو تيم من العلم والحكمة والكتاب والآيات من فلق البحر وازال المن والسلوى
عليكم وغير ذلك من الكرامات ولا تؤمنوا ان يحاجوكم عند ربكم لانكم اصح دينا منهم فلا
اخباره تعالى عن اليهود بذلك قال في اثناء ذلك قل ان الهدى هدى الله والمعنى ان الذي
انتم عليه انما صار دينا بحكم الله وامره فاذا امر بدين آخر وجب اتباعه والانقياد لحكمه
لانه هو الذي هدى اليه وامره وقيل معناه قل لهم يا محمد ان الهدى هدى الله وقد جعلتكم به
ولن يتفكم في دفة هذا الكيد الضعيف وقرأ الحسن والاعشى ان يؤتى بكسر الالف فيكون
قول اليهود تاما عند قوله الا لمن تبع دينكم وما بعده من قول الله تعالى والمعنى قل يا محمد ان
الهدى هدى الله (ان يؤتى احد مثل ما لو تيم) وتكون ان بمعنى الحمد اي ما يؤتى احد
مثل ما لو تيم يامة محمد من الدين والهدى (او يحاجوكم عند ربكم) معنى الا ان يحاجوكم
اي اليهود بالباطل فيقولوا نحن افضل منكم وقوله عند ربكم اي عند قل ربكم وقيل او
في قوله او يحاجوكم جنى حتى ومعنى الآية ما اعطى الله احدا مثل ما اعطيت يامة محمد من
الدين والجمعة حتى يحاجوكم عند ربكم وقرأ ابن كثير ان يؤتى بالمد على الاستفهام وحينئذ
يكون في الكلام اختصار تقديره ان يؤتى احد مثل ما لو تيم يامعشر اليهود من الكتاب
والحكمة فمصدونه ولا تؤمنون به هذا قول قتادة والربيع قال هذا من قول الله تعالى يقول
قل يا محمد ان الهدى هدى الله الا انزل كتابا مثل كتابكم وبث نبيا مثل نبيكم حصدعوه
وكفرتم به قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وقوله او يحاجوكم على هذه القراءة رجوع
الى خطاب المؤمنين وتكون او بمعنى ان لانها حرفا شرط وجزاء بوضع احدهما ووضع
الآخر والمعنى وان يحاجوكم يامعشر المؤمنين عند ربكم قل يا محمد ان الهدى هدى الله ونحن
عليه ويحتمل ان يكون الجميع خطابا للمؤمنين ويكون نظم الآية ان يؤتى احد مثل ما لو تيم
يامعشر المؤمنين فان حصدوكم قل ان الفضل بيد الله فان حاجوكم فقل ان الهدى هدى الله
ويحتمل ان يكون الخبر عن اليهود قد تم عند قوله لعلهم يرجعون وقوله ولا تؤمنوا من كلام الله
تعالى ثبت به قلوب المؤمنين لئلا يشكوا عند تليس اليهود وتزيروهم في دينهم يقول الله عز وجل
لا تصدقوا يامعشر المؤمنين الا من تبع دينكم ولا تصدقوا ان يؤتى احد مثل ما لو تيم من الدين
والفضل ولا تصدقوا ان يحاجوكم عند ربكم او قدروا على ذلك فان الهدى هدى الله وان الفضل
بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم فشكون الآية كلها خطابا للمؤمنين عند تليس اليهود لئلا
يرتابوا ولا يشكوا وقوله تعالى (قل ان الفضل) يعني قل لهم يا محمد ان التوفيق للايمان والهداية
للإسلام بيد الله اي انه مالك له وقادر عليه دونكم ودون سائر خلقه (يؤتيه من يشاء)

يعني الفضل الذي هو دين الاسلام يعطيه من يشاء من عباده ويوفق له من اراد من خلقه وفيه تكذيب لليهود في قولهم ان يؤتى احد مثل ما وُتيت فقال الله تعالى رد عليهم قل لهم ليس ذلك اليهم وانما الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء واصل الفضل في اللغة الزيادة واكثر ما يستعمل في زيادة الاحسان والفاضل الزائد على غيره في خصال الخير (والله واسع) اي ذو سعة يتفضل على من يشاء (عليم) اي بمن يتفضل عليه وهو للفضل اهل (يختص برحمته) يعني بنبوته ورسالته وقيل بدينه الذي هو الاسلام وقيل بالقرآن (من يشاء) يعني من خلقه وفيه دليل على ان النبوة لا تحصل الا بالاختصاص والتفضل لا بالاستحقاق لانه تعالى جعلها من باب الاختصاص وللفاعل ان يفعل ما يشاء الى من يشاء بغير استحقاق (والله ذو الفضل العظيم) قوله عز وجل (ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك) الآية نزلت في اليهود اخبر الله عز وجل ان فيهم امانة وخيانة وقسمهم قسمين والقنطار عبارة عن المال الكبير والدينار عبارة عن المال القليل يقول منهم من يؤدى الامانة وان كثرت مثل عبدالله بن سلام واصحابه ومنهم من لا يؤديها وان قلت وهم كفار اهل الكتاب مثل كعب بن الاشرف واصحابه قال ابن عباس في هذه الآية اودع رجل من قرش عبدالله بن سلام الفا ومائتي اوقية من ذهب فاذاها اليه فذلك قوله تعالى ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك يعني فخاص بن عازوراء استودعه رجل من قرش دينار فخاضه وجمده ولم يؤده اليه وقيل اهل الامانة هم النصاري واهل الخيانة هم اليهود لان مذهبهم ان يحل قتل من خالفهم في الدين واخذ ماله باى طريق كان (الا مادمت عليه قائما) قال ابن عباس يريد تقوم عليه وتطالبه بالاحل والخصومة والملازمة وقيل مصاء الامانة دواملك عليه يا صاحب الحق قائما على رأسه متوكلا عليه بالمطالبة له والتسليم بالرفع الى الحاكم واعامة الامة عليه وقيل اراد انه اودعته شيئا ثم استرجعته منه في الحال وانت قائم على رأسه لم تقارقه رده عليك وان اخرت استرجاع ما اودعته اسكره ولم رده عليك (ذلك) اي سبب ذلك الاستحلال والخيانة (بانهم قالوا) يعني اليهود (ليس علينا في الامين سبيل) يعني انهم يقولون لس عليائهم ولا حرج في اخذ مال العرب وذلك ان اليهود قالوا اموال العرب حلال لنا انهم ليسوا اهل ديننا ولا حرمة لهم في كتابنا وكانوا يستحلون غلهم من خائفهم في دينهم وقيل ان اليهود قالوا نحن ابناء الله واحباؤه والخلق لنا عبيد فلا سبيل علينا اذا اكلنا اموال عبيدنا وقيل انهم قالوا ان الاموال كلها كانت لنا في يد العرب فهو لنا وانما هم ظلونا وغصبوا ما فلا سبيل علينا في اخذها منهم باى طريق كان وقيل ان اليهود كانوا يبيعون رجالا من المسلمين في الجاهلية فلا اسلموا تقاضوهم ببقية اموالهم فقالوا ليس لكم علينا حق ولا عندنا قضاء لانكم تركتم دينكم وانقطع العهد بيننا وبينكم وادعوا اليهم وجدوا ذلك في كتابهم فأكذبهم الله تعالى فقال (ويقولون على الله الكذب) يعني اليهود (وهم يعلمون) يعني انهم كاذبون ثم انه تعالى رد على اليهود قولهم فقال (بلى) اي ليس الامر كما قالوا بل عليهم سبيل وانظروا بلى ليجردنى ما قبلها فقل هذا يحسن الوقوف عليها ثم ابتدئ من اوفى اى ولكن (من اوفى بمعهده) اي بمعهده الذي عهد اليه في التوراة من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن الذي انزل عليه وبإدائه الامانة الى من اتته عليها وقيل الهاء

القلب بور الحق للتوجه اليه والاعراض عن الجهة السفلية النفسانية المظلمة وذلك لا يكون الا بالثوحييد والاستقامة فيه يتنور النفس ايضا بنور القلب فتكون الجملة منتورة بنور الله واسوداده ظلمة وجه القلب بالاقبال على المس الطالبية حظوظها والاعراض عن الجهة النورية الحقيقية لصادقه النفس ومتابعة الهوى في تحصيل لذاتها وذلك اما يكون بتابع السبل المتفرقة الشيطانية (فاما الذين اسودت وجوههم) فيقال لهم (اكفرتم بعد ايمانكم) اي احتجبتم عن نور الحق بصفات النفس العلمانية وسكنتم في ظلماتها بعد هدايتكم ونوركم بنور الاستعداد وصفاء الفطرة وهداية العقل (فذوقوا العذاب بما كسبتم تكفرون) عذاب الحرمان باحتجابكم عن الحق (واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله) التي هي روح الوصال ونور القدس ويهود الحمال (هم فيها خلدون تلك آيات الله تناوها على كل باحق وما الله يريد ظلالا للطين والله ما في السموات وما في الارض والى الله

في قوله يمهده راجعة الى الموفى (واتق) يعنى الكفرو الخيانة ونقض العهد (فان الله يحب)
 المتقين) يعنى الذين يتقون الشرك (ق) عن عبدالله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كان فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى
 يدعها اذا اتى خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وفي رواية اذا حدث كذب
 واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر * قوله عز وجل (ان الذين يشتركون بهدا الله
 وايمانهم ثمنا قليلا) قال عكرمة نزلت هذه الآية في احبار اليهود ورؤسائهم ابى رافع وكنانة
 بن ابى الحقيق وكعب بن الاشرف وحبي بن اخطب الذين كتبوا معاهدة الله اليهم في التوراة
 في شأن محمد صلى الله عليه وسلم فبدلوه وكتبوا بايديهم غيره وحلفوا انه من عند الله لئلا تنفوتهم
 الرشا والمال كل التي كانوا ياخذونها من اتباعهم وسفلتهم وقيل نزلت في ادعاء اليهود الذين قالوا انه
 ليس علينا في الاميين سبيل وكتبوا ذلك بايديهم وحلفوا انه من عند الله وقيل نزلت في الاشعث
 ابن قيس وخصمه له (ق) عن عبدالله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على
 مال امرئ مسلم بغير حقه لقي الله وهو عليه غضبان قال عبدالله ثم قرا علينا رسول الله صلى الله
 عليه وسلم مصداقه من كتاب الله عز وجل ان الذين يشتركون بهدا الله وايمانهم ثمنا قليلا الى
 آخر الآية وفي رواية قال من حلف على عين صبر يقطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه
 غضبان فانزل الله تصديق ذلك ان الذين يشتركون بهدا الله وايمانهم ثمنا قليلا الآية فدخل
 الاشعث بن قيس الكندى فقال ما يحدثكم ابو عبد الرحمن قلنا كذا وكذا فقال صدق في نزلت
 كان بيني وبين رجل خصومة في بئر فاختمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم شاهدك اوبينه قلت انه اذا يحلف ولا يبالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 من حلف على عين صبر يقطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان ونزلت
 ان الذين يشتركون بهدا الله وايمانهم ثمنا قليلا الى آخر الآية واخرجه الترمذى وابوداود وقالوا
 ان الحكومة كانت بين الاشعث وبين رجل يهودى وقيل نزلت هذه الآية في رجل اقام سلعة
 في السوق فحلف لقد اعطى بها مال يعطه (خ) عن عبدالله بن ابى اوفى ان رجلا اقام سلعة وهو في
 السوق فحلف بالله لقد اعطى بها مال يعط ليقع فيها رجلا من المسلمين فنزلت ان الذين يشتركون
 بهدا الله وايمانهم ثمنا قليلا الى آخر الآية وقيل الاقرب حل الآية على الكل فقوله تعالى ان الذين
 يشتركون بهدا الله يدخل فيه جميع ما امر الله به ويدخل فيه اليهود والمواثق المأخوذة من جهة
 الرسل ويدخل فيه ما يلزم الرجل نفسه من عهد وميثاق فكل ذلك من عهد الله الذى يجب الوفاء
 به ومعنى ان الذين يشتركون يستبدلون بهدا الله يعنى الامانة وايمانهم يعنى الكاذبة ثمنا قليلا يعنى
 شيئا يسيرا من حطام الدنيا وذلك لان المشتري يأخذ شيئا ويعطى شيئا فكل واحد من المعطى والمأخوذ
 ثمنا لاخر فهذا معنى الشراء (اولئك) يعنى من هذه صفتهم (لا خلاق لهم في الآخرة) اى
 لا نصيب لهم في الآخرة ونعيمها وجميع منافعها (ولا يكلمهم الله) يعنى كلاما سرهم به اوبيعهم
 وقيل هو معنى الغضب (ولا ينظر اليهم يوم القيامة) اى لا يرجهم ولا يحسن اليهم ولا ينيلهم خيرا
 (ولا يزكهم) اى ولا يظهرهم من الذنوب ولا تثني عليهم بحبيل (ولهم عذاب اليم) يعنى في الآخرة
 (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة

ترجع الامور كنتم خيرة
 اخرجت للناس) لكونكم
 موحدين قائلين بالعدل
 الذى هو ظله (تأمرون
 بالمعروف وتنهون عن
 المنكر) اذ لا يقدر على ذلك
 الا الموحد العادل لعله
 بالمعروف والمنكر كما مر في
 تأويل قوله وكذلك جعلناكم
 امة وسطا قال امير المؤمنين
 عليه السلام نحن النمرة
 الوسطى بنا يلحق التأويل
 والنا يرجع الغالى فيأمرون
 المقصر بالمعروف الذى
 يوصله الى مقام التوحيد
 وينهون الغالى المحجوب
 بالجمع عن التفصيل وبالوحدة
 عن الكثرة (وتؤمنون بالله)
 اى يثبتون في مقام التوحيد
 الذى هو الوسط وكذا
 في كل تضييق وافراط
 واعتدال في باب الاخلاق
 (ولو آمن اهل الكتاب
 لكان خيرا لهم منهم
 المؤمنون واكثرهم
 الفاسقون) لكانوا مثلكم
 (لن يضرركم الاذى وان
 يقاتلوكم يولوكم الادبار
 ثم لا ينصرون) لكونهم
 منقطعين عن اصل القوى
 والقدر كائين في الاشياء
 بالنفس التى هى محل الجهر
 والشر وانتم معصونون

بالله متضمنون به كاثون
في الاشياء بلخلق الذي هو
منبع القهر فقدرتهم لا تبلغ
الاحد الطعن باللسان
وانخبت والايداء الذي
هو حد قدرة النفس ونهايتها
وقدرتكم تفوق كل قدرة
بالقهر والاستئصال
لاتصافكم بصفات الله
تعالى فلا جرم ينزومون
منكم عند المسائلة ولا
يصرون (ضربت عليهم
الذلة) لان العزة لله جيبا
فلا نصيب فيها لاحد الا
لمن تخلق بصفاته بمحو
صفات البشرية كالرسول
والمؤمنين الذين هم مظاهر
عرته كما قال الله تعالى والله
العزة ورسوله وللمؤمنين
فن خاتمهم فهو مضاد لصفة
العزة مبين للاعزاء
فتلزمه الذلة وتشمه على
اي حال تكون الاربطة
ما بينه وبين اهل العزة
كقوله (انما سفقوا الانجيل
من الله وحبل من الناس
وبما ينض من الله
وطربت عليهم المسكة
ذللهم بانهم كانوا يكفرون
بآيات الله ويقتلون الانبياء
بغير حق فلذلك بعاصوا
وكافوا يستبدون اي ذمة
وعهد وذلك يكون امرا

ولا ينظر اليهم ولا يزكهم ولهم عذاب اليم رحل حلف على سلمة لقد اعطى بها اكثر مما اعطى وهو
كاذب ورجل حلف على عيين كاذبة بعد العصر ليقطع بها مال امرئ مسلم ورجل منع فضل ماله
فيقول الله اليوم امنك فضل كما منعت فضل مالم تعمل يدك (م) من ابي ذر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكهم ولهم عذاب اليم قال
فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فقلت خابوا وخبروا من هم يا رسول الله قال
المسبل المان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب والانسائي المان بما اعطى والمسبل ازاره والمنفق
سلعته بالحلف الكاذب (م) عن ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اقطع حق امرئ
مسلم يمينه حرم الله عليه الجنة واوجب له النار فقالوا يا رسول الله وان كان شيئا يسيرا قال وان كان
قضيما من اراك قوله عز وجل (وان منهم) يعني من اليهود (لقريبا) يعني طائفة وجاعة وهم
كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحبي بن اخطب وابو ياسر وشعبة بن عمرو الشاعر (يلوون)
اي يعطفون ويميلون واصل الى القتل من قولك لويت يده اذا قتلها (السنهم بالكتاب) يعني
بالتحريف والتغيير والتبديل وتحريف الكلام تقليبه عن وجهه لان الحرف تلوى لسانه من سنن
الصواب بما ياتي به من عند نفسه فالواحد ويحتمل ان يكون المعنى يلوون بالسنتهم الكتاب
لانهم يحرفون الكتاب عما هو عليه بالسنتهم فيأتون به على القلب ونقل الامام فخر الدين عن القفال
قال يلوون السنتهم معناه ان يعمدوا الى اللفظة فيحرفونها في حركات الاعداء تحريفا يغير به المعنى
وهذا كثير في لسان العرب فلا يجد مثله في العبرانية فلما فعلوا ذلك في الآيات الدالة على نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة كان ذلك هو المراد من قوله يلوون السنتهم بالكتاب وقيل
انهم غيروا صفة النبي صلى الله عليه وسلم من التوراة وبدلوا آية الرجم وغير ذلك بما بدلوا
وغيروا (تصبوه من الكتاب) يعني تظنوا ان الذي حرفوه وبدلوه من الكتاب الذي
انزل الله على انبيائه (وما هو من الكتاب) يعني ذلك الذي يزعمون انه من الكتاب
ما هو منه (ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله) يعني الذي يقولونه ويضرونه وانما
كرر هذا بلفظين مختلفين مع اتحاد المعنى لاجل التاكيد (ويقولون على الله الكذب وهم يلوون)
يعني انهم كاذبون وقال ابن عباس ان الآية نزلت في اليهود والنصارى جيبا وذلك انهم حرفوا
التوراة والانجيل والحقوا في كتاب الله ما ليس فيه قوله عز وجل (ما كان لبشر ان يؤتيه الله
الكتاب والحكم والنبوة) قبل ان نصارى نجران قالوا ان عيسى امرهم ان يتخذوه رباقا قال الله
تعالى رد اعليهم ما كان لبشر نعى عيسى عليه السلام ان يؤتيه الله الكتاب يعني الانجيل وقال
ابن عباس في قوله تعالى ما كان لبشر يعني محمد صلى الله عليه وسلم ان يؤتيه الله الكتاب يعني
القرآن وذلك ان ابا رافع من اليهود والسيد من نصارى نجران قالوا يا محمد تريد ان نبدلك ونخذلك
ربا قال معاذ الله ان امر بعبادة غير الله وما بذلك امرني الله وما بذلك بعثني فازل الله هذه الآية
ما كان لبشر اى ما ينبغي لبشر هو جيع نى آدم لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط. وبوضع
موضع الواحد والجمع ان يؤتيه الله الكتاب والحكم معنى الفهم والعلم وقيل هو امضاء الحكم
من الله تعالى والنبوة معنى المنزلة الرفيعة (ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله) ومعنى
الآية انه لا يتجتمع لرجل نبوة مع القول للناس كونوا عبادا لي من دون الله وكيف يدعو الناس

الى عبادة نفسه دون الله وقد آتاه الله ما آتاه من الكتاب والحكم والتبوة وذلك ان الانبياء موصوفون
بصفات لا يحصل معها اداء الالهية والربوبية منها ان الله تعالى آتاهم الكتب السلوية ومنها
آتاه النبوة ولا يكون الا بكمال العلم وكل هذه تمنع من هذه الدعوى (ولكن كونوا ربانيين) يعنى
ولكن يقول لهم كونوا ربانيين فاضرب القول على حسب مذهب العرب في جواز الاضمار اذا كان
في الكلام ما يدل عليه واختلفوا في معنى الرباني فقال ابن عباس معناه كونوا فقهاء علماء وعنه كونوا
فقهاء معلمين وقيل معناه حكماء علماء وقيل الرباني الذى يربى الناس بصغار العلم وكباره وقيل
الرباني العالم الذى يعمل بعلمه وقيل الرباني العالم بالحلال والحرام والامر والنهى وقيل الرباني
الذى جمع بين علم البصيرة والعلم بسياسة الناس ولما مات ابن عباس رضى الله عنهما قال محمد بن
الحنفية اليوم مات رباني هذه الامة قال سيويه الرباني المنسوب الى الرب يعنى كونه عالما به ومواظبا
على طاعته وزيادة الالف والتون فيه للدلالة على كمال هذه الصفة وقال المبرد الربانيون ارباب
العلم واحدهم ربان وهو الذى يرب العلم ويرب الناس اى يعلمهم وينصحهم والالف والتون للمبالغة
فعلى قول سيويه الرباني منسوب الى الرب على معنى التخصيص بمعرفة الرب وطاعته وعلى قول
المبرد الرباني مأخوذ من التربة وقيل الربانيون هم ولاة الامر والعلماء وهما الفريقان اللذان
يطاعان ومعنى الآية على هذا التأويل لا ادعوك الى ان تكونوا عبادا لى ولكن ادعوك الى ان
تكونوا ملوكا وعلماء ومعلمين الناس الخير ومواظبين على طاعة الله وعبادته وقال ابو عبيدة احسب
ان هذه الكلمة ليست عربية انما هى عبرانية او سريانية وسواء كانت عربية او عبرانية فهى
تدل على الذى علم وعمل بما علم وعلم الناس طريق الخير * وقوله تعالى (بما كنتم تعملون الكتاب
وبما كنتم تدرسون) اى كونوا ربانيين بسبب كونكم معلمين ومعلمين وبسبب دراستكم
الكتاب فدللت الآية على ان العلم والتعليم والدراسة توجب كون الانسان ربانيا فمن
اشتغل بالعلم والتعليم لا لهذا المقصود ضاع علمه وخاب سعيه * قوله عز وجل (ولا
يأمركم) قرئ بنصب الرأى عطفا على قوله ثم يقول فيكون مردودا على البشر وقيل
على اضممار ان اى ولا ان يأمركم وقرئ برفع الرأى على الاستثناف وهو ظاهر ومعناه
ولا يأمركم الله وقيل ولا يأمركم محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ولا يأمركم عيسى وقيل
ولا يأمركم الانبياء (ان تتخذوا الملائكة والبيين اربابا) يعنى كفعل قريش والصائبين حيث
قالوا الملائكة بنات الله وكفعل اليهود والنصارى حيث قالوا فى المسيح المزمير ما قالوا وانما اخص
الملائكة والبيين بالذكر لان الذين وصفوا بعبادة غير الله عز وجل من اهل الكتاب لم يحك
عنهم الا عبادة الملائكة وعبادة المسيح وعزير فلهذا المعنى خصهم بالذكر (يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا
اذا انتم مسلمون) انما قاله على طريق التمجيد والامتنان يعنى لا يقول هذا ولا يفعله * قوله
عز وجل (واذا اخذ الله ميثاق البيبين) قال الزجاج موضع اذا نصب والمعنى واذا كرى
اقاصيصك اذا اخذ الله وقال الطبري معناه واذا كروا اهل الكتاب اذا اخذ الله معنى حين اخذ الله
ميثاق النبيين واصل الميثاق فى اللغة عقد يؤكد بين وبين ومعنى ميثاق البيبين ما وثقوا به على انفسهم
من طاعة الله فيما امرهم به ونهاهم عنه وذكروا فى معنى اخذ الميثاق وجهين احدهما انه
مأخوذ من الانبياء والثاني انه مأخوذ لهم من غيرهم فلهذا السبب اختلفوا فى المعنى هذه الآية

عارضيا لا اصل له مرتبطا
برابطة محمولة فلا تقابل
صفتهم الذاتية اللازمة لهم
التي هى الذلة الناشئة من
اصل نفوسهم * واستحقوا
غضبا شديدا من عند الله
بعدهم واعراضهم عن الحق
ولزمهم المسكنة لانقطاعهم
عن الله الى نفوسهم فوكلهم
الى انفسهم (ليسوا سواء من
اهل الكتاب امة قائمة
يتلون آيات الله آتاه الليل
وهم يجحدون يؤمنون بالله
واليوم الآخر ويأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر
ويسارعون فى الخيرات
واولئك من الصالحين) اى
بالله ثم وصفهم باحوال اهل
الاستقامة اى منهم اهل
الوحيد والاستقامة (وما
تفعلوا من خير فلن يكفروه)
اى كل ما يصدر منكم مما
يقربكم عند الله يتصل به
جزاؤه من ان تحرموا شيئا
.. قال الله تعالى من تقرب
الى شبرا تقربت اليه ذراعا
ومن تقرب الى ذراعا قربت
اليه باعلا من اتانى مشيائته
هرولة الحديث وقال انا
جلست من ذكرنى وانيس
من سكرنى ومطبع من
طاعنى اى كما اطعته بتصفية
الاستعداد واتوجه نحوه

فذهب قوم الى ان الله تعالى اخذ الميثاق من البين خاصة قبل ان يلقوا كتاب الله ورسالاته الى عباده ان يصدق بعضهم بعضا واخذ العهد على كل نبي ان يؤمن بمن يأتي بعده من الانبياء وينصره ان ادركه وان لم يدركه ان يأمر قومه بنصرته ان ادركوه فاخذ الميثاق من موسى ان يؤمن بعيسى ومن عيسى ان يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين وهذا قول سعيد بن جبير والحسن وطاوس وقيل انما اخذ الميثاق من النبيين في امر محمد صلى الله عليه وسلم خاصة وهو قول علي وابن عباس وقتادة والسدي فلي هذا القول اختلقوا فقيل انما اخذ الله الميثاق على اهل الكتاب الذين ارسل اليهم النبيين وبدل عليه قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم تؤمنون به وتنصره وانما كان محمد صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى اهل الكتاب دون النبيين وانما اطلق هذا اللفظ عليهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل كتاب والبيون منا وقيل اخذ الله الميثاق على النبيين وامهم جميعا في امر محمد صلى الله عليه وسلم فاكتفى بذكر الانبياء لان العهد مع المتبوع عهد مع الاتباع وهو قول ابن عباس قال علي بن ابي طالب ما بعث الله نبيا آدم فمن بعده الا اخذ عليه العهد في امر محمد صلى الله عليه وسلم واخذ هو العهد على قومه ليؤمنوا به ولئن بعث وهم احياء لينصره وقيل ان المراد من الآية ان الانبياء كانوا يأخذون العهد والميثاق على اممهم بانه اذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم ان يؤمنوا به وينصروه وهذا قول كثير من المفسرين وقوله (لما اتيتكم من كتاب وحكمة) قرئ بفتح اللام من لما وبكسر هاء مع التخفيف في القراءة ثين فن قرأ بفتح اللام قال معنى الآية واذا اخذ الله ميثاق البين من اجل الذي آتاهم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول يعني ذكر محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة تؤمنون به للذي عندكم في التوراة من ذكره ومن قرأ بكسر اللام جعل قوله يؤمنون به من اخذ الميثاق كما يقال اخذت ميثاقك لتفعلن لان اخذ الميثاق بمنزلة الاستحلاف فكان معنى الآية واذا استخلف الله البين للذي آتاهم من كتاب وحكمة متى جاءهم رسول مصدق لما معهم ليؤمنوا به وينصره وقوله (ثم جاءكم رسول) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (مصدق لما معكم) وذلك ان الله وصفه في كتب الانبياء المتقدمة وشرح فيها احواله فاذا جاءت صفاته واحواله مطابقة لما في كتبهم المنزلة فقد صار مصدقا لها فيجب الايمان به والافتقاد لقوله ولا م قوله (تؤمنون به) لام القسم تقديره والله تؤمنون به (وتنصره) قال البغوي قال الله عز وجل للانبياء حين استخرج الذرية من صلب آدم والانبياء فيهم كالمصابيح اخذ عليهم الميثاق في امر محمد صلى الله عليه وسلم وأقرتم واخذتم على ذلكم اصرى الآية وقال الامام فخر الدين الرازي يحتمل ان يكون هذا الميثاق مقرر في عقولهم من الدلائل الدالة على ان الاتقياد من الله واجب فاذا جاء رسول وظهرت المعجزات الدالة على صدقه فاذا خبرهم بعد ذلك ان الله امر الخلق بالايمان به عرفوا عند ذلك وجوبه بتقرير هذا الدليل في عقولهم لهذا هو المراد من الميثاق (قال أقرتم) يعني قال الله تعالى أقرتم فان فسرنا ان اخذ الميثاق كان من البين قال معناه قال الله تعالى للنبيين أقرتم بالايمان به والنصر له وان فسرنا بان اخذ الميثاق كان على الامم كان معناه قال كل نبي لامته أقرتم وذلك لانه تعالى اضاف اخذ الميثاق الى نفسه وان كان النبيون اخذوه على الامم فلذلك طلب هذا الاقرار و اضاف الى نفسه

اطاعكم بافاضة الفيض على حسبه والاقبال اليكم (والله عليم بالمتقين) بالذين اتقوا ما يحجبهم عنه فيتجلى لهم بقدر زوال الجباب (مثل ما يتفقون في هذه الحياة الدنيا) الفانية ولذاتها السريعة الزوال طلبا للشهوات اورياء او سمعة في المفارخو طلب محمدة الناس لا يطلبون به وجه الله وماتلكه وتقنيه بالكلية من ربح هوى النفس التي فيها بردنيا تكمل الفاسدة واغراضكم الباطلة كالرياء ونحوه (كمثل ربح فياصر اصابت حرث قوم ظلوا انفسهم) بالشرك والكفر (فاهلكته) حقونه من الله لظلمهم (وما ظلمهم الله) باهلاك حرثهم (ولكن انفسهم يظلمون) لانه مسبب عن ظلمهم كما قيل مهلا بيداك وكتبا وفوك ففخ (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم) بطانة الرجل صفيه وخليفته الذي يبطه ويطلع عليه اسراره ولا يمكن وجود مثل هذا الصديق الا اذا اتحدا في المقصد واتفقا في الدين والصفة متحابين في الله

لا تعرض كما قيل في الا
صدقاء نفس واحدة في
ابدان متفرقة فاذا كان
من غير اهل الايمان فبأن
كون كاشحا اخرى ثم
بين عاقبه واستبطانه العداوة
بقوله (لا يا لوكم خلا)
الى آخره اذ المحبة الحقيقية
الخالصة لا تكون الا بين
الموحدين لكونها ظل
الوحدة فلا تكون بين
المجبوبين لكونهم في عالم
التضاد والطامة فإين الصفاء
والوفاق في عالم بل ربما
تألفهم الجنسية العامة
الانسانية لاشتراكهم
في النفع والمفاد والملاذ
واحتياجهم الى التعاون
مهما ظالم تحصل اغراضهم
من النفع واللذة تما رشوا
وتباغضوا وبطالت الافة
التي كانت بينهم لكونها
مسدة عن امر قد تغير
اد الفس منشأ التغير
والمسافع الدنيوية لاتبقى
بجالاتها والذات الفسائية
سريعة الانقضاء فلا تدوم
المحبة عليها بخلاف المحبة
الاولى فانها مستدة الى
امر لا تغير فيه اصلا هذا
اذا كانت فيما بينهم فكيف
اذا كانت بينهم وبين من
يخالفهم في الاصل

وان وقع من الانبياء والمقصود ان الانبياء بالقوا في اثبات هذا الميثاق وكبره على الامم ومطالبهم
بالقبول واكدوا ذلك بالاشهاد (واختمتم على ذلكم اصرى) اى عهدى والاصر العهد الثقيل
وقيل سمي العهد اصرا لانه مما يؤصر اى يشد ويعد (قاتوا اقرنا) اى قال اليبون اقرنا عا
الزمتنا من الايمان برسلك الذين ترسلهم معصدين لامتنا من كتبك (قاتوا فاشهدوا) يعنى قال الله
عز وجل للنبيين فاشهدوا يعنى انتم على انفسكم وقيل على اممكم واتباعكم الذين اخذتم عليهم الميثاق
وقيل قال الله للملائكة فاشهدوا فهو كناية عن غير مذكور وقيل معناه فاعلموا وبنوا لان اصل
الشهادة العلم والبيان (وانا معكم من الشاهدين) يعنى قال الله يا معشر الانبياء وانا معكم
من الشاهدين عليكم وعلى اتباعكم اوقال للملائكة وانا معكم من الشاهدين عليهم (فن نولى) اى
اعرض عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ونصرته (بعد ذلك) الاقرار (فاولئك هم
الفاسقون) اى الخارجون عن الايمان والطاعة * قوله عز وجل (افغير دين الله يعنون) وذلك
ان اهل الكتاب اختلفوا فادعى كل فريق منهم انه على دين ابراهيم عليه السلام فاخصموا الى الهى
صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين برى من دين ابراهيم
ففضبوا وقالوا لا ترضى بقضائك ولا خذ بك فانزل الله افغير دين الله الهمة للاستفهام والمراد
منه الانكار والتوبيخ يعنى ابعد اخذ الميثاق عليهم ووضوح الدلائل ان دين ابراهيم هو دين الله
الاسلام تبغون فرى بالثناء على خطاب الحاضراى فغير دين الله تطلبون يا معشر اليهود والنصارى
وقرى بالياء على القية رداعلى قوله فن نولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون (وله اسلم) اى
خضع وانقاد (من في السموات والارض طوعا وكرها) الطوع الاقباد والاتباع بسهولة والكره
ما كان من ذلك بمشقة واباء من النفس واختلفوا في معنى قوله طوعا وكرها فقبل اسلم اهل
السموات طوعا واسلم بعض اهل الارض طوعا وبعضهم كرها من خوف القتل والسبي وقيل اسلم
المؤمن طوعا وانقاد الكافر كرها وقيل هذا في يوم اخذ الميثاق حين قال الست برنكم فالوا الى
فن سبقت له السعادة قال ذلك طوعا ومن سبقت له الشقاوة قال ذلك كرها وقيل اسلم المؤمن طوعا
ففهمه اسلامه يوم القيامة والكافر يسلم كرها عند الموت في وقت اليأس فلم يفعه ذلك في القيامة
وقيل انه لاسيل لاحد من الخلق الى الامتناع على الله في مراده فاما المسلم فينقاد لله فيما امره او نهاه
عنه طوعا واما الكافر فينقاد لله كرها في جميع ما يقضى عليه ولا يمكنه دفع قضائه وقدره عنه
(واوله ترجعون) قرى بالثناء والمعنى ان مرجع الخلق كلهم الى الله يوم القيامة وفيه وعيد عظيم
لمن خالفه في الدنيا * قوله عز وجل (قل آمن بالله) لما ذكر الله عز وجل في الآية المتقدمة اخذ
الميثاق على الانبياء في تصديق الرسول الذى يأتى مصداقا لهم بين في هذه الآية ان من صفة محمد
صلى الله عليه وسلم مصداقا لهم فقال تعالى قل آمن بالله وانما وحد الضمير في قوله قل وجع في قوله
آمن بالله لانه انما خاطبه لفظ الواحدان يدل هذا الكلام على انه لا يبلغ هذا التكليف عن الله
تعالى الى الخلق الا هو ثم قال آمن بالله تنبيها على انه حين قال هذا القول واقفه اصحابه فحسن الجمع
في قوله آمنوا معنى الآية قل يا محمد صدقنا بالله انه ربنا والهنا لا اله الا هو ولا رب سواه وانما قدم
الايمان بالله على غيره لانه الاصل (وما نزل علينا) يعنى قل يا محمد وصدقنا ايضا بما نزل علينا
من وحيه وتنزيله وانما قدم ذكر القرآن لانه اشرف الكتب وانه لم يحرف ولم يبدل وغيره

بحرف وبدل (وما ازل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى) انما خص هؤلاء الانبياء بالذكر لان اهل الكتاب يعترفون بوجودهم ولم يختلفوا في نبوتهم والاسباط هم اولاد يعقوب الاثنا عشر وكانوا انبياء ثم جمع جميع الانبياء فقال (واليون) اى وما اوتى النبيون (من ربهم لا تفرق بين احد منهم) وذلك ان اهل الكتاب يؤمنون ببعض النبيين ويكفرون ببعض فامر الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يخبر عن نفسه وعن امته انه يؤمن بجميع الانبياء فان قلت لم عدى ازل في هذه الآية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها في البقرة بحرف الانتهاء قلت لوجود المعنيين جميعا لان الوحي ينزل من فوق وينتهى الى الرسل فجاء تارة باحد المعنيين وتارة بالآخر (ونحن له مسلمون) اى موحدون مخلصون انفسنا لا نجعل له شريكا في عبادتنا قوله عز وجل (ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه) يعنى ان الدين المقبول عند الله هو دين الاسلام وان كل دين سواه غير مقبول عنده لان الدين الصحيح ما يأمرك الله به ويرضى عن فاعله وبشيه عليه (وهو في الآخرة من الخاسرين) يعنى الذين وقعوا في الخسار وهو حرمان الثواب وحصول العقاب وروى ابن جرير الطبري عن عكرمة في قوله ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه قالت اليهود فحقن مسلمون فقال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهم والله على الناس حجج اليبات فلم يحجوا قوله عز وجل (كيف يهتدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم) نزلت في اثني عشر رجلا ارتدوا عن الاسلام وخرجوا من المدينة واتوا مكة كفارا منهم الحرث بن سويد الانصارى وطعنة بن ايرق وجوج بن الاسلت وقال ابن عباس نزلت في اليهود والنصارى وذلك ان اليهود كانوا قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم يستفتحون به على الكفار ويقولون به ويقولون قد اظلم زمان نبى مبعوث فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كفروا به بغيا وحسدا ومعنى كيف يهتدى الله كيف يرشده الله للصواب ويوفق للايمان قوما كفروا اى جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم اى تصديقهم اياه واقرارهم به وبما جاء به من عند ربه (وشهدوا ان الرسول حق) يعنى وبعد ان اقروا وشهدوا ان محمدا رسول الله الى خلقه وانه حق وصدق (وجاءهم البيئات) يعنى الحجج والبراهين والمجرات الدالة على صحة نبوته التي تمثلها ثبوت النبوة (والله لا يهتدى القوم الظالمين) اى لا يوفقهم الى الحق والصواب لما سبق في علمه تعالى انهم ظالمون وقيل لا يهديهم في الآخرة الى الجنة والثواب فان قلت كيف قال في اول الآية كيف يهتدى الله قوما كفروا قال في آخرها والله لا يهتدى القوم الظالمين وهذا تكرار قلت ليس فيه تكرار لان قوله كيف يهتدى الله قوما كفروا انما هو مختص بالمرتدين عن الاسلام ثم انه تعالى عم ذلك الحكم في آخر الآية فقال والله لا يهتدى القوم الظالمين يعنى جميع الكفار المرتدين عن الاسلام والكافر الاصلى وانما سمي الكافر ظالما لانه وضع العبادة في غير موضعها (اولئك جزاؤهم) يعنى الذين كفروا بعد ايمانهم (ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها) اى في عذاب اللعنة وقد تقدم تفسير هذه الآية في سورة البقرة (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينعفون) اى لا يؤخرون عن وقت العذاب ولا يؤخر عنهم من وقت الى وقت ثم استثنى سبحانه وتعالى فقال (الا الذين

والوصف وانى يتجانس النور والظلمة ومن اين يتوافق العلو والسفل فينبغي عداوة حقيقة وتخالف ذاتي لا تخفى آثاره كما بين الله تعالى بقوله (ودوا ما عنكم قد بدت البغضاء من افواههم) لا تمناع اختفاء الوصف الذاتي قال النبي عليه الصلاة والسلام ما اضمحل احد شيئا الا واطهره الله في فلتات لسانه وصنمحات وجهه (وما تخفى صدورهم اكبر) لانه نار وهذا شرار ذلك الاصل وهذا فرعه (قد بينا لكم الآيات) دلائل المحبة والعداوة واسبابهما (ان كنتم تعقلون) اى تفهمون من غوى الكلام (ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم) بمقتضى التوحيد اذ الموحدين يحب الناس كلهم بالحق والعق ويراهم بتسليم بنفسه اتصال الاحياء والاقرباء بل اتصال الاجزاء فينظر اليهم بنظر الرحمة الالهية والرافة الربانية ويعطف عليهم فترجوا اذ يراهم اهل الرحمة شغلوا بالباطل وابتلوا بالقدر ولا يحبونكم

تأبوا من بعد ذلك) يعني من بعد ارتدادهم وكفرهم وذلك ان الحرث بن سويد الانصاري لما
 لحق بالكفار ندب على ذلك فارسل الى قومه ان سلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لي
 من توبة ففعلوا فانزل الله تعالى الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحو الآية فبعثهم اليه اخوه
 الجلاس مع رجل من قومه فاقبل الى المدينة تابا وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته وحسن
 اسلامه (واصلحو) اي وضمو الى التوبة الاعمال الصالحة فبين ان اتوبه وحدها لا تكفي
 حتى يضاف اليها العمل الصالح وقيل معناه واصلحو باطنهم مع الحق بالراقيات وظاهرهم مع الخلق
 بالعبادات والطاعات (فان الله غفور رحيم) اي غفور لقبائهم في الدنيا بالستر رحيم في الآخرة
 بالحو وقيل غفور بازالة العذاب رحيم باعطاء الثواب قوله عز وجل (ان الذين كفروا
 بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم) نزلت في اليهود وذلك انهم كفروا بعيسى
 والانجيل بعد ايمانهم بموسى وغيره من انبيائهم ثم ازدادوا كفرا يعني كفروهم بمحمد صلى الله
 عليه وسلم والقرآن وقيل نزلت في اليهود والنصارى وذلك انهم كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم
 لما رأوه بعد ايمانهم به قبل مبعثه لما ثبت عندهم من نعمته وصفته في كتبهم ثم ازدادوا كفرا يعني
 ذنوبا في حال كفرهم وقيل نزلت في جميع الكفار وذلك انهم اشركوا بالله بعد اقرارهم بان الله
 خالقهم ثم ازدادوا كفرا يعني بافانهم على كفرهم حتى هلكوا عليه وقيل زيادة كفرهم
 هو قولهم نتربص بمحمد رب المنون وقيل نزلت في احد عشر رجلا من اصحاب الحرث بن
 سويد الذين ارتدوا عن الاسلام فلما رجع الحرث الى الاسلام اقاموا على كفرهم بمكة وقالوا
 نقيم على الكفر ما بد لنا ومتى اردنا الرجعة ينزل فينا مثل ما نزل في الحرب فلما فتح رسول الله
 صلى الله عليه وسلم مكة فن دخل منهم في الاسلام قبلت توبته ونزل فبين مات منهم على كفره
 ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار الآية فان قلت قد وعد الله قبول التوبة ممن تاب فامعنى قوله
 لن تقبل توبتهم قلت اختلف المفسرون في معنى قوله لن تقبل توبتهم فقال الحسن وعطاء وقتادة
 والسدي لن تقبل توبتهم حين يحضرهم الموت وهو وقت الحشرجة لان الله تعالى قال وليست
 التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن فان الذي يموت
 على الكفر لا تقبل توبته كانه قال ان اليهود او الكفار او المرتد الذين فعلوا ثم ماتوا على ذلك
 لن تقبل توبتهم وقال ابن عباس انهم الذين ارتدوا وعزموا على اظهار اتوبة لستر احوالهم
 والكفر في ضمائرهم وقال ابو العالية هم قوم تابوا من ذنوب علوها في حال الشرك ولم يتوبوا
 من الشرك فان توبتهم في حال الشرك غير مقبولة وقال مجاهد لن تقبل توبتهم اذا متوا على الكفر
 وقال ابن جرير الطبري معنى لن تقبل توبتهم اي مما ازدادوا من الكفر على كفرهم بعد
 ايمانهم لا من كفرهم لان الله تعالى لما وعد ان يقبل التوبة عن عباده وانه قابل توبة كل تائب من
 كل ذنب لقوله تعالى الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحو فان الله غفور رحيم على ان المعنى
 الذي لا تقبل التوبة منه غير المعنى الذي تقبل التوبة منه فلي هذا فالذي لا تقبل التوبة منه هو
 الازدياد على الكفر بعد الكفر لا يقبل الله منه توبة ما اقام على كفره لان الله تعالى لا يقبل على
 مشرك ما اقام على شركه فاذا تاب من شركه وكفره واصلح فان الله كما وصف نفسه غفور رحيم
 بوجه قوله تعالى (واولئك هم الضالون) يعني هؤلاء الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا

بمقتضى الحجاب والبقاء
 في ظلمة النفس وتضاد
 الطبع (وتؤمنون
 بالكتاب) اي يحسن
 الكتاب (كله) لتناول
 علمكم التوحيدى ولا
 يؤمنون للتقيدى بديتهم
 والاحتجاب بما هم عليه
 (واذا لقوكم قالوا آمنا)
 لفاقهم المستجاب لاغراضهم
 الصالحة (واذا خلوا
 عضوا عليكم الانامل من
 الفيض) لحقدتهم الداني
 وبفضهم الكائن والباقي
 ظاهر قل موتوا بفيضكم
 ان الله عالم بذات الصدور
 ان تمسككم حسنة
 تؤمهم وان تصبكم سيئة
 يفرحوا بها وان تصبروا
 ع ما ينزلكم الله به من
 الشدائد والحن والمصاب
 وتبتوا على مقتضى
 اتوحيدهم الطاعة (وتقوا)
 استعانة بهم في اموركم
 والانجاء الى ولايتهم
 (لا يضركم كيدهم شيئا)
 لان المتوكل على الله الصابر
 على بلائه المستعين به
 غيره ظافر في بته
 غالب على خصمه محفوظ
 بحسن كلامه ربه والمستعين
 بنيره مخذول وكبر الى
 نفسه محروم من نصرة

هم الذين ضلوا على سبيل الحق واخطوا منهاجه * قوله عز وجل (ان الذين كفروا ماتوا وهم كفار) قال ابن عباس لما قبح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة دخل من كان من اصحاب الحرب بن سويد حيا في الاسلام فنزلت هذه الآية فيمن مات منهم على الكفر وقيل نزلت فيمن مات كافرا من جميع اصناف الكفار من اليهود والنصارى وعبداء الاصنام فالآية عامة في جميع من مات على الكفر (فلن يقبل من احدثهم ملء الارض ذهابا) اي قدر ما علة الارض من شرقها الى غربها (ولو اقتدى به) قيل معناه لو اقتدى به والواو زائدة مقحمة وقيل الواو على حالها فادلتها انها للعطف والتقدير لو تقرب الى الله بملء الارض ذهابا وقدمات على كفره لم يسمع ذلك وكذلك لو اقتدى من العذاب بملء الارض ذهابا لن يقبل منه وهذا أكد في الغليظ لانه تصرح بنفي القول من جميع الوجوه فان قلت الكافر لا يملك شيئا في الآخرة فافوجه قوله فلن يقبل من احدثهم ملء الارض ذهابا قلت الكلام ورد على سبيل الفرض والتقدير والمعنى لو ان للكافر قدر ملء الارض ذهابا يوم القيامة لبذله في تخلص نفسه من العذاب ولكن لا يقدر على شيء من ذلك وفيه معناه لو ان الكافر انفق في الدنيا ملء الارض ذهابا ثم مات على كفره لم ينفعه ذلك لان الطاعة مع الكفر غير مقبولة (اولئك) اشارة الى من مات على الكفر (لهم عذاب اليم ومالهم من ناصرين) يعني مانعين يمنعونهم من العذاب (ق) عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل لاهون اهل النار عذابا يوم القيامة لو انك ما في الارض من شيء اكنتم تقتدى به فيقول نعم فيقول اردت منك اهون من هذا وانت في صلب آدم ان لا تشرك بي شيئا فابت الا تشرك لفظ مسلم * قوله عز وجل (ان تسالوا البر) قال ابن عباس يعني الجدة وقيل البر هو التقوى وقيل هو الطاعة وقيل معناه ان تسالوا حقيقة البر ولن تكونوا ابرارا حتى تنفقوا مما تحبون وقيل معناه لن تسالوا بالله وهو ثوابه والبر التوسع في فعل الخير يقال بر العبد ربه اي توسع في طاعته فالبر من الله الثواب ومن العبد الطاعة وقد يستعمل في الصدق وحسن الخلق لانهما من الخير المتوسع فيه (ق) عن عبدالله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا (م) عن النواس بن سميان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والانتم وقال البر حسن الخلق والاثم ما حاك في صدرك وكرهت ان يبلغ عليه الناس منك فقل هذا يكون المعنى عليكم بالاعمال الصالحة حتى تكونوا ابرارا وتدخاوا في مرضاة الابرار ومن قال ان لفظ البر هو الجنة فقال معنى الآية لن تسالوا ثواب البر المؤدى الى الجنة (حتى تنفقوا مما تحبون) يعني من جيد اموالكم وانفسها عديم قال الله تعالى ولا تيمموا الحبيب منه تنفقون وقيل هو ان تنفق من مالك ما انت محتاج اليه قال الله تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة (ق) عن ابي هريرة قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله اي الصدقة افضل قال ان تصدق وانت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل العسى ولا تهمل حتى اذا باغت الخلق قوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا الا وقد كان واختلفوا في هذا الاتفاق فقال ابن عباس هو ان كذا المفروضة والمعنى لن تسالوا البر حتى

ربه كما قال الشاعر
من استعان بغير الله في طاب
فان ناصره عجز وخذلان
(ان الله بما يعملون) من
المكابد (محيط) فيسطلها
ويهلكها وقد قيل اذا
اردت ان تنكس من
يحمذك فازدد فضلا في
نفسك فالصبر والتقوى
من اجل الفضائل ان
لزمتموها تظفروا على
عدوكم (واذا غدت من
اهلك تبوء المؤمنين
مقاعد للقتال والله سميع
عليم اذ همت طاشتاز
مكم ان تفشلا والله وليهم
وعلى الله فليتوكل المؤمنون
وافقه نصركم الله بدر
واتم اذلة فاتفوا الله
لعلمكم تشكرون اذ تقول
المؤمنين ان يكتفيكم ار
يمدكم ربكم ب ثلاثة آلاف
من الملائكة منزلين بلى
ان تصبروا وتتقوا ويؤتكم
من فورهم هذا يمددكم
ربكم بخمسة آلاف من
الملائكة مسومين) الصبر
على مضى الجهاد وبذل
النفس في طاعة الله وتحمل
لمكروه طالما لرضا الله
لا يكون الا بعد اتقوى
تأييد الحق وسوره بنور
يقين وثباته نزول

تخرجوا جواز كاة اموالكم فلي هذا القول قيل ان الآية منسوخة بآية الزكاة وفيه بدلان
 ترغيب في اخراج الزكاة وقال ابن عمر المراد بها سائر الصدقات وقال الحسن كل شيء انفق المسلم
 من ماله مما يبني به وجه الله ويطلب ثوابه حتى الثمرة فانه يدخل في قوله لن تناولوا البر حتى
 تنفقوا مما تحبون (ق) عن انس بن مالك قال كان ابو طلحة اكثر الانصار بالمدينة مالا وكان
 احب امواله اليه يبرحها وكانت مستقبله المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها
 ويشرب من ماء فيها طيب قال انس فلما نزلت هذه الآية لن تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
 قام ابو طلحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان الله تعالى يقول في كتابه لن
 تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وان احب اموالي الي يبرحها وانها صدقة لله عز وجل ارجو برها
 وذخرها عند الله فضمها يا رسول الله حيث شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بخ بخ
 ذلك مال راجح او قال ذلك مال راجح اري ان تجعلها في الاقربين فقال ابو طلحة افضل يا رسول الله
 فقسمها ابو طلحة في اقاربه وبنى عمه قوله بخ بخ هي كلمة تقال عند المدح والرضا وتكريرها للبلالة
 وهي مبينة على السكون فاذا وصلت جرت ونونت فقلت بخ بخ قوله مال راجح اي ذورج وفي
 الرواية الاخرى ذلك مال راجح بالياء معناه يروح عليك نفعه وثوابه ويبرح اسم موضع بالمدينة
 وهو حائط كان لابن طلحة وروى عن زاهد قال كتب عمر بن الخطاب ابي موسى الاشعري ان
 يتابعه جارية من سبي جلولا يوم قمحت فلما جاءت اعجبته فقال عمر ان الله عز وجل يقول لن
 تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها عمر وعن حنيفة بن عبد الله بن عمر ان عبد الله بن عمر
 رضى الله عنهما خطرت على قلبه هذه الآية لن تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال عبد الله
 فذكرت ما عطاى الله تعالى فمن كان شيء احب الى من فلانة فقلت هي حرة لوجه الله تعالى
 قال ولولا اني لا اعود في شيء جعلته لله لسكنته وعن عرو بن دينار قال لما نزلت هذه الآية
 لن تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون جاء زيد بن حارثة بفارس يقال لها سيل كان يحبها الى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فقال تصدق بهذه يا رسول الله فاعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة
 ابن زيد بن حارثة فقال يا رسول الله انما اردت ان تصدق بها فقال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قد قبلت صدقتك وفي رواية كان زيدا وجد في نفسه فلما رأى ذلك منه النبي صلى الله عليه
 وسلم قال اما ان الله قدر قبلها وروى ان اباذر نزل به ضعيف فقال للراعى ائمتي بخيرا بل بخاء
 بناقة مهزولة فقال للراعى ختنى فقال الراعى وجدت خيرا لابل فخلها فذكرت يوم حاجتكم
 اليه فقال ان يوم حاجتى اليه ليوم اوضع في حفرتي وقوله تعالى (وما تنفقوا من شيء)
 يعنى من اى شيء كان من طيب تحبونه او من خبيث تكرهونه (فان الله به عليم) اى يعلم
 ويمجازيكم به قوله عز وجل (كل الطعام كان حلالا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه
 من قبل ان تنزل التوراة) سبب نزول هذه الآية ان اليهود قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم
 انك تزعم انك على ملة ابراهيم وكان ابراهيم لا يأكل لحوم الابل والبائنا وات تأكل ذلك
 كله فليست على ملته فقال النبي صلى الله عليه وسلم كان ذلك حلالا لابراهيم قالوا كل ما تحرمه
 اليوم كان ذلك حراما على نوح وابراهيم حتى انتهى اليها فانزل الله عز وجل كل الطعام كان
 حلالا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه وهو يعقوب من قبل ان تنزل التوراة

السكينة والطمأنينة عليه
 والتقوى في مخالفة امر
 الحق والميل الى النفع
 والغنية وخوف تلف
 النفس لا تكون الا عند
 انكسار النفس تحت قهر
 سلطان القلب والروح
 اذ الثبات والوقار صفه
 الروح والعين والاضراب
 صفة النفس فاذا استولى
 سلطان الروح على القلب
 واخذ مملكته عصمه من
 استيلاء صفات النفس
 وجنودها عليه فيعشفه
 القلب ويسكن اليه لنورانيته
 المحبوبة لذاتها ويتقوى
 به على النفس وقواها
 فيزهرها ويكسرهما ويدفع
 غلبتها وظلمتها عن نفسه
 ويجعلها ذلولا مطيعة
 مطيعة اليه فيزول عنها
 الاضطراب وتنور بنوره
 وعند ذلك تنزل الرحمة
 ويناسب القلب ملكوت
 السماء في نورانيته وقهرها
 لما تحتها ومحبتها وشوقها
 لما فوقها وبذلك التناسب
 يصل بها ويستنزل قواها
 واوصافها في افعالها خصوصا
 عند حاجته وانقلاعه عن
 الجهة السفلية وانقطاعه
 بقوة اليقين والتوكل الى
 الجهة العلوية ويستند من

بني ليس الامر على ما تدعيه اليهود من تحريم لحوم الابل على ابراهيم بل كان ذلك حلالا على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب وانما حرمة يعقوب بسبب من الاسباب وبقيت تلك الحرمة في اولاده فانكر اليهود ذلك فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم باحضار التوراة وطلب منهم ان يستخرجوا منها ان ذلك كان حراما على ابراهيم فجزوا عن ذلك واقتضوها وبان كذبهم فيما ادعوا من حرمة هذه الاشياء على ابراهيم وقيل ان اليهود انكروا شرع محمد صلى الله عليه وسلم وادعوا ان النسخ غير جائز فابطل الله ذلك عليهم واخبر ان كل الطعام كان حلالا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه فذلك الذي حرمة على نفسه كان حلالا ثم صار حراما عليه وعلى اولاده فقد حصل النسخ وبطل قول اليهود بان النسخ غير جائز فانكرت اليهود ذلك وقالوا بل كان حراما من زمن آدم الى هذا الوقت فآمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم باحضار التوراة وقال ان التوراة ناطقة بان بعض انواع الطعام اثم احرم بسبب ان اسرائيل حرمة على نفسه فخاف اليهود من الفضيحة وامتنعوا من احضار التوراة فحصل بذلك كبهم وانهم ينسبون الى التوراة ما ليس فيها وبطل قولهم بان النسخ غير جائز ولا هذا دليل على صحة نوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان رجلا اميالم يقرأ الكتب ولم يعرف ما في التوراة فلا اخبر ان ذلك ليس في التوراة علم ان الذي اخبر به صلى الله عليه وسلم وسبح من الله تعالى وقوله كل الطعام يعني كل انواع الطعام او سائر المطعومات كان حلالا لبني اسرائيل الامام حرم اسرائيل على نفسه اسرائيل هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام واختلفوا في الذي حرم يعقوب على نفسه فقيل حرم لحوم الابل والبانم وروى الطبري بسنده عن ابن عباس ان عصابة من اليهود حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القاسم اخبرنا اي الطعام حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم بالله الذي انزل التوراة على موسى هل تعلمون ان اسرائيل يعقوب مرض مرضا شديدا فطال سقمه معه فذله نذرا ان يغافه الله من سقمه ليحرم من احب الطعام واشرب اليه وكان احب الطعام اليه لحم الابل واحب الشراب اليه البانم فقالوا اللهم نعم وقال ابن عباس هي العروق وكان سبب ذلك انه اشكى عرق النساء وكان اصل وحمه فياروي عن الضحاك ان يعقوب كان نذرا لله اثني عشر ولدا واتي بيت المقدس محيما ان يذبح احدهم وفي رواية آخرهم فنلقاه ملك من الملائكة وقال يا يعقوب انك رحل قوى فهل لك في الصراع فماله فلم يصرع احدهما صاحبه ففهمه الملك غزاة فعرض له عرق النساء من ذلك ثم قال اما اني لو شئت ان اصارعك ففعلت ولكن غزت هذه الغزاة لانك قد نذرت ان اتيت بيت المقدس محيما ذبحت آخر ولدك بفعل الله لك بهذه الغزاة من ذلك مخرجا فلما قدم يعقوب بيت المقدس اراد ذبح ولده ونسى ما قال له الملك وقال له انما غرتك للمخرج وقد وفي نذرك فلا سبيل لك الى الذبح ولدك وقال ابن عباس في آخرين اقبل يعقوب من حران يريد بيت المقدس حين هرب من اخيه العيص وكان يعقوب رجلا بطشا قويا فلقاه ملك في صورة رجل فظن يعقوب انه لص فماله ان يصرعه ففهمه الملك فخذ يعقوب وصد الى السماء ويعقوب ينظر فيها جبه عرق النساء ولقي منه شدة فكان لا ينام الليل من الوجع وبقيت وله رغاء اي صياح فلفف يعقوب لن شفاء الله ان لا يأكل عرقا ولا طعاما فيه عرق فخرمه على نفسه فكان ينوء بعد ذلك يتبعون

قوى قهرها على من يقض عليه فذلك نزول الملائكة واذا اجزع وهلع وتفسير وخاف اموال الى الدنيا غلبة النفس وقهرته واستولت عليه وجهته بظلمة صفاتها عن النور فلم يبق تلك الماسة فانقطع المدد ولم تنزل الملائكة (وما جعله الله الا بشري لكم) اي ما جعل الامداد بالملائكة الا تستنبروا به فتزداد قوة قلوبكم وشجاعتكم ونجدتكم ونشاطكم في التوجه الى الحق والتجريد للسلوك (ولتطمئن قلوبكم) فتتحقق الفضي بقدر النصفية والخلف بقدر الترك (وما النصر الا من عند الله) لا من الملائكة ولا من غيرهم فلا تحجبوا بالكثرة عن الوحدة ولا بالخلق عن الحق فانما مظاهر لاحقيقة لها ولا تأثير (العزيز) القوى القوي القوي القوي (الحكيم) الذي ستر قهره ونصرته بصور الملائكة بمحكمة (يقطع طرهم الذين كفروا) يتل بعضهم تقوية للمؤمنين (او يكذبهم) يحزبهم ويذلهم بالهمة اعزازا للمؤمنين (فيملأوا خابئين ليس لك من الامر شيء) او يتوب عليهم (بالاسلام تكثيرا

العروق ومخرجونها من الظلم ولا ياكلونها وقيل لما اصاب يعقوب ذلك وصفه الاطباء
 ان يجنب لحوم الابل غرمها يعقوب على نفسه وقيل انما حرم يعقوب لحوم الجوز ونسب الله تعالى
 وسأل ربه ان ينجز ذلك غرمه الله على ولده وهو ظاهر الآية لان الله تعالى قال كل الطعام كان
 حلالا بنى اسرائيل ثم استثنى ما حرم اسرائيل على نفسه فوجب بحكم الاستثناء ان يكون ذلك
 حراما على بنى اسرائيل اما قوله من قبل ان تنزل التوراة فعنه ان قبل انزال التوراة كان كل انواع
 الطعام حلالا لبنى اسرائيل على نفسه اما بعد نزول التوراة فقد حرم الله تعالى عليهم اشياء كثيرة
 من انواع الطعام ثم اختلفوا في حال هذا الطعام المحرم على بنى اسرائيل بعد نزول التوراة فقال
 الذى حرم الله عليهم في التوراة ما كانوا حرموه على انفسهم قبل نزولها وقال عطية انما كان حراما
 عليهم بغير ما حرم الله تعالى لان عاقبة الله تعالى لا ياكله ولدى ولم يكن ذلك محرما عليهم في التوراة
 وقال الكلبي لم يحرمه الله في التوراة وانما حرم عليهم بعد نزول التوراة لظلمهم كما قال تعالى
 فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقال تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا الى
 ان قال ذلك جزيناكم بغيبهم وانا لصادقون فكانت بنو اسرائيل اذا اصابوا ذنبا عظيما حرم الله
 عليهم طعاما طيبا او صب عليهم رجزا وهو الموت وقال الضحاك لم يكن شئ من ذلك حراما
 عليهم ولا حرمه الله في التوراة وانما حرموا على انفسهم اتباعا ليهيهم ثم اضافوا تحريمه لله عز وجل
 فكذبهم الله تعالى فقال الله تعالى (قل فاشوا بالتوراة) يعنى قل لهم يا محمد فاشوا بالتوراة
 (فاشوها) اى فاقروها وما فيها حتى يتبين ان الامر كما قلتم (ان كنتم صادقين) يعنى فيما ادعيتهم
 فلم يأتوا بها وخافوا الفضيحة فقال تعالى (فن انترى على الله الكذب) الافتراء اختلاق الكذب
 والافتراء الكذب والقذف والافساد واصله من فرى الاديم اذا قلعه لان الكاذب يقطع القول
 من غير حقيقة له الوجود (من بعد ذلك) اى من بعد ظهور الحجة بان التحريم انما كان من جهة
 يعقوب ولم يكن محرما قبله (فاولئك هم الظالمون) اى هم المستحقون للعذاب لان كفرهم ظلم
 منهم لانفسهم ولمن اضلوه عن الدين من بعدهم وهذا رد على اليهود وتكذيب لهم حيث ارادوا
 براءة ساحتهم فيما بقى عليهم مما نطق به القرآن من تعديدهم ساوهم التي كانوا يرتكبونها (قل صدق الله)
 يعنى قل صدق الله يا محمد فيما اخبر ان ذلك النوع من الطعام صار حراما على اسرائيل واولاده
 بعد ان كان حلالا لهم فصح القول بالنسخ وبطل قول اليهود وقيل معناه صدق الله في قوله
 ان لحوم الابل وابنائها كانت محملة لابراهيم عليه السلام وانما حرمت على بنى اسرائيل سبب
 تحريمها اسرائيل على نفسه وقبل صدق الله في ان سائر الاطعمة كانت محملة على بنى اسرائيل
 وانما حرمت على اليهود جزاء على قاتح افعالهم فيه تعريض بكذب اليهود والمعنى ثبت ان الله
 تعالى صادق فيما انزل واخبروا انهم كاذبون يا عشرين اليهود (فاتبعوا ملة ابراهيم حينئذ) اى
 اتبعوا ما يدعوكم اليه محمد صلى الله عليه وسلم من ملة ابراهيم وهى الاسلام وهو الدين الصحيح
 وهو الذى عليه محمد ومن آمن معه واتبعوا ملة ابراهيم لانها ملة محمد صلى الله عليه وسلم
 (وما كان من المشركين) اى لم يدع مع الله الها آخر ولا عبد سواه قوله عز وجل (ان
 اول بيت وضع للناس للذى ببكة) سبب نزول هذه الآية ان اليهود قالوا للمسلمين بيت المقدس
 قبلنا وهو افضل من الكعبة واقدم وهو مهاجر الانبياء وقتلهم وارضى المحشر وقتل المسلمون

لسواد المؤمنين (او يعذبهم
 فانهم ظالمون والله ما فى
 السموات وما فى الارض
 يفر لمن يشاء ويعذب من
 يشاء والله غفور رحيم)
 بسبب ظلمهم واصرارهم
 على الكفر تفرجحا للمؤمنين
 وواقع بين المعطوف
 والمعطوف عليه فى اثناء
 الكلام قوله ليس لك من
 الامر شئ اعتراضا لثلاث
 ينفل رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فى نفسه تأثيرا
 فى بعض هذه الامور فيجب
 عن التوحيد ولا يزول
 وتغير شهوده فى الاقسام
 كلها اى ليس لك من امرهم
 شئ كيفما كان انت الا
 بشر مأمور بالانذار ان
 عليك الابلاغ انما امرهم
 الى الله (يا ايها الذين آمنوا لا
 تأكلوا الربا ضعا فامضاعفة
 واتقوا الله لعالمكم تفعلون
 : تقوا النار التى اعدت
 لكافرين واتبعوا الله
 الرسول لعلكم ترحون)
 اى توكلوا على الله فى طلب
 الرزق فلا تنكسبوا بالرماة
 عليكم كما يجب عليكم التوكل
 ليه فى طلب النفع وجهاد
 العدو لئلا تنجبوا بكلاءة
 لله وحفظه واعلموا ان جزاء
 المرابى هو جزاء الكافر

فاحذروه لكونه محبوبا عن
افعاله تعالى كما ان الكافر
محبوب عن صفاته وذاته
والمحبوب غير قابل للرجة
وان اتسعت فارفعوا الجباب
بالطاعة وترك المخالفة كي
تدرككم رحمة الله (وسارحوا
الى مغفرة من ربكم وجنة
عرضها السموات والارض)
سزا فالحكم التي هي جبابكم
عن مشاهدة افضل الحق
بافعاله تعالى فانما حرمتم عن
التوكل ووجه عالم الملك التي
هي تجلي الافعال برؤية
افعالكم اي الى ما يوجب ستر
افعالكم بافعالها وجنة الافعال
من الطاعات بمدكها ورداعوذ
بفؤك من عقابك ولان
المراد بالجنة هنا جنة الافعال
وصف عرضها بمساواة
عرض السموات والارض
اذ وحيد الافعال هو توحيد
عالم الملك وانما قدر طولها
لان الافعال باعتبار السلسلة
العرضية وهي توقف كل فعل
على فعل آخر تنحصر في عالم
الملك الذي يتقدره الناس
واما باعتبار الطول فلا
تنحصر فيه ولا يقدرها اذ
الفعل مظهر الوصف
والوصف مظهر الذات فلا
نهاية له ولا حدة فالمحبوبون
عن الذات والصفات

بل الكعبة افضل فانزل الله هذه الآية وقيل لما دعت اليهود والنصارى انهم على ملة ابراهيم
اكرمهم الله تعالى واخبر ان ابراهيم كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين وامرهم باتباعه فقال
تعالى في الآية المتقدمة فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وكان من اعظم شأنا ملة ابراهيم الحج الى الكعبة
ذكر في هذه الآية فضيلة البيت لينفرح عليها ايجاب الحج وقوله ان اول بيت وضع للناس
الاول هو القرد السابق المتقدم على ما سواه وقيل هو اسم للشيء الذي يوجد ابتداء سواء حصل
عقبيه شيء آخر او لم يحصل والمعنى ان اول بيت وضع للناس اي وضعه الله موضعا للطاعات
والعبادات وقبله للصلاة وموضعا للحج والطواف تزداد فيه الخيرات وثواب الطاعات وكونه
وضع للناس يعني يشترك فيه جميع الناس كما قال تعالى سواء العاكف فيه والباد فان قلت كيف
اضافه الى نفسه مرة في قوله وطهر بيتي واطافه للناس اخرى بقوله وضع للناس قلت اما اضافته
الى نفسه فعلى سبيل التشريف والتعظيم له كقوله ناقة الله واطافته الى الناس فلا يشاركه في
جميع الناس لانه موضع جهنم وقبله صلاتها للذي بككة قيل هي مكة تقسمها والعرب تعاقب بين
الباء والميم فيقولون ضربة لازب ولازم وقيل بككة اسم للبلد وفي اشتقاق بككة وجهان احدهما
انه من البك الذي هو عبارة عن الدفع يقال بكك بككة اذا دفعه وزاحه ولهذا قال سعيد بن جبير
سميت بككة لان الناس يتباكون فيها اي يزدجون في الطواف وهو قول محمد بن علي الباقر
ومجاهد وقتادة الوجه الثاني سميت بككة لانها بك اعناق الجبابرة اي تدقها ولم يقصدها جبار
بسوء الاقصمه الله تعالى وهذا قول عبدالله بن الزبير وامامك فسميت بذلك لقلة ما بها من قول
العرب مك الفصل ضرع امه وامتك اذا مضى كل ما به من اللبن وقيل لانها تمك الذنوب اي
تزيلها وسميت مكة ام رحم لان الرحمة تنزل بها والحالمة لانها تحطم من استخف بمرمتها ولان
الناس يحطم بعضهم بعضا من الزحمة وسميت ام القرى لانها اصل كل بلدة ومن تهنأ حيث
الارض واختلف العلماء في كون البيت اول بيت وضع للناس على قولين احدهما انه اول
في الوضع والبناء قال مجاهد خلق الله هذا البيت قبل ان يخلق شيئا من الارضين وفي رواية
عنه ان الله خلق موضع البيت قبل ان يخلق شيئا من الارض بالني عام وقيل هو اول بيت ظهر على
وجه الماء عند خلق السموات والارض خلقه قبل الارض بالني عام وكان زبدة بيضاء على وجه
الماء فدحيت الارض من تحته وهذا قول ابن عرو ومجاهد وقتادة والسدي وقيل هو اول بيت بنى
على الارض وروى عن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم ان الله تعالى وضع تحت العرش
بيتا وهو البيت المعمور وامر الملائكة ان يطوفوا به ثم امر الملائكة الذين في الارض ان يبنوا بيتا
في الارض على مثاله وقدره فبنوا هذا البيت واسمه الضراح وامر من في الارض ان يطوفوا به
كما يطوف اهل السماء بالبيت المعمور وروى ان الملائكة بنوه قبل خلق آدم بالني عام وكانوا
يحجونه فلما جاء آدم قالت له الملائكة برجك يا آدم لقد جئنا هذا البيت قبلك بالني عام وقال ابن
عباس هو اول بيت بناه آدم في الارض قبل ان آدم لما هبط الارض استوحش وشكا الوحشة
فامر الله تعالى ببناء الكعبة فبناها وطاف بها وبني ذلك البناء الى زمان نوح عليه السلام فلما كان
الطوفان رفع الله البيت الى السماء وبقي موضع البيت اكة بيضاء الى ان بعث الله ابراهيم عليه
السلام فمره ببناءه القول الثاني ان المراد من الاولية كون هذا اول بيت وضع للناس مباركا

رون الاعرض هذه
الجنة واما البارزون
لله الواحد القهار فعرض
حنهم من طولها ولاحد
اطولها فلا يقدر قدرها
طولا ولاعرضا (اعدت
للمقين) الذين يتقون
حجب افعالهم وشرك نسبة
الافعال الى غير الحق (الذين
يقفون في السراء والضراء)
لائمهم الاحوال المضادة
من الاتفاق لعمدة توكلهم
على الله برؤية جميع الافعال
مه (والكاظمين القبط)
ذلك ايضا اذ يرون
الجنابة سليم فعل الله فلا
يعترضون ولولم يفيضوا
لكانوا في مقام الرضا وجنة
العصاة (والعافين عن
الناس) لما ذكرنا وتعودهم
بغفوه تعالى عن عقابه
(والله يحب الحسنين)
الذين يشاهدون تجليات
افعاله تعالى (والذين اذا
فعلوا فاحشة) كبيرة من
الكثائر وبرؤية افعالهم
صادرة عن قدرتهم (او ظلوا
انفسهم) نقصوا حقوقها
بارتكاب الصغائر وظهور
انفسهم فيها (ذكروا الله)
في صدور افعالهم برؤيتها
واقعة بقدرته الله وتبرأوا
عنها اليه لرؤيتهم ابتلاء

وبدل عليه سياق الآية وهو قوله تعالى للذي بركة مباركا وروى ان رجلا قام الى على بن ابي
طالب فقال لا تخبرني عن البيت احوال بيت وضع في الارض قال لا قد كان قبله بيوت
ولكنه اول بيت وضع للناس مباركا وهدي وفيه مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا وقال الحسن
هواول مسجد عبدالله فيه وقال مطرف هواول بيت وضع للعبادة وقال الضحك هو اول بيت
وضع فيه البركة واول بيت وضع للناس يحج اليه واول بيت جعل قبلة للناس (ق) عن ابي
ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اول مسجد وضع في الارض قال المسجد الحرام
قلت ثم اى قال المسجد الأقصى قلت كم بينهما قال اربعون عاما ثم الارض لك مسجد فخشا ما دركت
الصلاة فصل زاد البخارى فان الفضل فيه وقوله (مباركا) يعنى ذابركة واصل البركة
النمو والزيادة وقيل هو ثبوت الخير الالهى فيه وقيل هواول بيت خص بالبركة وزيادة الخير
وقيل لان الطاعات وسائر العبادات تتضاعف ويزداد ثوابها عنده (ق) عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال صلاة في مسجدي هذا افضل من الف صلاة فيما سواه من المساجد
الا المسجد الحرام (وهدي للعالمين) يعنى انه قبلة للمؤمنين يهتدون به الى جهة صلاتهم وقيل
لان فيه دلالة على وجود الصانع المختار لما فيه من الآيات التي لا يقدر عليها غيره وقيل هو هدى
للعالمين الى الجنة لان من قصده بان صلى اليه او حجه فقد اوجب الله تعالى له الجنة برحمة الله وقوله
تعالى (فيه آيات بينات) اى فيه دلالات واضحات على حرمة ومنه مزيد فضله ثم اختلفوا في
تفسير تلك الآيات فقيل هى قوله مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا وقيل الآيات غير مذكورة
وهى ما يدل على فضل هذا البيت منها ان الطير لا يطير فوق الكعبة في الهواء بل ينحرف عنها
اذا وصل اليها يمينا وشمالا ومنها ان الوحوش لا تؤذى بعضها في الحرم حتى الكلاب لا تهيج
الطبا ولا تصطادها ومنها ان البئر اذا مرض منه شئ استشفى بالكعبة ومنها تعجيل العقوبة
لمن انتهك حرمة البيت وما قصده جبار بسوء الا اهلكه الله كما اهلك اصحاب القيل وغيرهم
ومن الآيات التي فيه الحجر الاسود والمترم والحطيم وزهرهم ومشاعر الحبحم التي فيها كلها من الآيات
ومنها ان الامر ببناء هذا البيت هو الجليل والمهندس له جبريل والباني هو ابراهيم الخليل
والمساعد في بنيانه هو اسمعيل فهذه فضيلة عظيمة لهذا البيت لله قوله تعالى (مقام ابراهيم) يعنى
الحجر الذي كان يقوم عليه عند بناء البيت وكان فيه اثر قدمي ابراهيم فاندس من كثرة المسح
بالايدى (ومن دخله كان آمنا) قيل لما كانت الآيات المذكورة عقيب قوله ان اول بيت
وضع للناس موجودة في جميع الحرم علم ان المراد بقوله ومن دخله كان آمنا جميع الحرم وبدل
عليه ايضا دعوة ابراهيم حيث قال رب اجعل هذا البلد آمنا يعنى من ان يهاج فيه وكانت
العرب يقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض وكان من دخل الحرم امن من القتل والقارة
وهو المراد من حكم الآية على قول اكثر المفسرين قال الله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرمنا آمنا
ويحفظ الناس من حولهم وقيل في معنى الآية ومن دخله عام عمرة القضاء مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان آمنا وقيل هو خبر بمعنى الامر تقديره ومن دخله فامنوه وهو قول
ابن عباس حتى ذهب ابو حنيفة الى ان من وجب عليه القتل قصاصا كان او حدا فالجاء الى الحرم
فانه لا يستوفى منه القصاص او الحد في الحرم لكنه لا يطعم ولا يبيع ولا يشارى ولا يكلم ويضيقي

اياهم بها (فاستغفروا
لذنوبهم) طلبوا استغفارهم
التي هي ذنوبهم بأفعاله
بالتبري عن الحول والقوة
اليه (ومن يغفر الذنوب)
اي وحودات الافعال
(الا الله) اي علوا ان
لا غافر الا هو (ولم يصروا
على ما فعلوا) في غفلتهم
وحالة ظهور انفسهم بل
تابوا ورجعوا اليه في
افعالهم (وهم يظنون) ان
لا فصل الا الله (اولئك
جزاؤهم) مغفرة من ربهم
وجبات تجرى من تحتها
الانهار خالدين فيها وهم
اجر العاملين) بمقتضى
توحيد الافعال (قد خلت
من قبلكم سنن) بطشات
ووقائع مما سمع الله في
افعاله بالذين كذبوا
بالانبياء في توحيد الافعال
(فسيروا في الارض
فانظروا كيف كان عاقبة
المكذبين) في آثارها
فتعلموا كيف كان عاقبتهم
(هذا) الذي ذكر (بان
للناس هدى وموعظة
للتقين) من علم توحيد
الافعال وتفصيل المتقين
الذين هم اهل التكنين في
ذلك والتائبين الذين هم
اهل التلوين والمصيرين

عليه حتى يخرج من الحرم فيقام عليه الحد خارج الحرم وقال الشافعي اذا وجب عليه القصاص
خارج الحرم ثم لجأ الى الحرم استوفى منه في الحرم واجموا على انه لو قتل في الحرم او سرق
او زنى فانه يستوفى منه الحد في الحرم عقوبته وقيل في معنى الآية ومن دخله معظما له متقربا
بذلك الى الله تعالى كان آما من العذاب يوم القيامة وقيل ومن دخله كان آمنا من الذنوب
التي اكتسبها قبل ذلك * قوله عز وجل (والله على الناس حج البيت) اي والله على الناس
فرض حج البيت والحج احد اركان الاسلام (ق) من ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم بنى الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وابتداء
الزكاة والحج وصوم رمضان فعدا النبي صلى الله عليه وسلم الحج من اركان الاسلام الخمسة
(من استطاع اليه سبيلا) يعني وفرض الحج واجب على من استطاع من اهل التكليف ووجد
السبيل الى حج البيت الحرام

﴿ فصل ﴾ في فضل البيت والحج والعمرة (ق) عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان اول بيت وضع للناس مباركا يعلى فيه الكعبة قالت ثم اي قال المجدد الاقصى قلت كم بينهما
قال اربعون عاما عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل الحجر الاسود من
الجنة وهو اشد بياضا من اللبن وانما سودته خطايا بني آدم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
صحيح وله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحج والعمرة ليعتق الله يوم القيامة وله عيان
يبصر بهما ولسان يطق به يشهد على من استله بحق وله عن جده الله بن عمرو بن العاص قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما
ولولم يطمس نورهما لاضاء تاما بين المشرق والمغرب قال الترمذي وهذا يروى عن ابن عمرو
موقوفا (ق) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تشدوا الرحال الا الى ثلاثة
مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول والمسجد الاقصى (ق) عن ابي سعيد الخدري ان النبي
عليه السلام قال لا تشدوا الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى
(م) عن ابي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس قد فرض عليكم
الحج فحجوا فقال له رجل في كل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم عن ابن عمر قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله ما يوجب الحج قال الزاد والراحلة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
وابراهيم بن زيد الجوزي المكي قد تكلم فيه بعض اهل العلم من قبل حفظه (ق) عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له
جزاء الا الجنة وفي رواية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حج لله عز وجل وفي
لفظ من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه اخرجه الترمذي وقال غفرله
ما تقدم من ذنبه وعن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تابعوا بين الحج
والعمرة فانهما ينفيان الذنوب والفقر كإنني الكبر خبث الحديد والذهب والفضة وليس لجة
مبرورة ثواب الا لجة وامن مؤمن يظل يومه محرما الا ثابته الشمس بذنوبه اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب وله عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من

مسلم يلبي الالبي ما من يمينه وشماله من حجر او شجر او مدر حتى تقطع الارض من ههنا وههنا
وقال الترمذي هذا حديث غريب وله عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من طاف بالبيت خمسين مرة خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه قال الترمذي هذا حديث غريب
فصل في احكام تتعلق بالحج قال العلماء الحج واجب على كل مسلم وهو احدى اركان الاسلام
والبلوغ والعقل والحرية والاستطاعة ولا يجب على الكافر والمجنون ولو حمله بصره لان الكافر
ليس من اهل القرية ولا يحكم لقول المجنون ولا يجب على الصبي والعبد ولو حمله صبي يعقل او
حج عبد صحيح جهمها تطوعا ولا يسقط الفرض فاذا بلغ الصبي وعق البعد واجتمع فيهما شرائط
الحج وجب عليهما ان يحجا ثانيا ولا يجب على غير المستطيع لقوله تعالى والله على الساس حج
البيت من استطاع اليه سبيلا فلو تكلف غير المستطيع الحج وحج صح حجه وسقط عنه فرص
حجة الاسلام والاستطاعة نوعان احدهما ان يكون مستطيعا بنفسه والآخر ان يكون مستطيعا
بغيره فاما المستطيع بنفسه فهو ان يكون قويا قادرا على الذهاب ووجد الراد والراحلة لما تقدم
من حديث ابن عمر في الزاد والراحلة قال ابن المنذر وحديث الزاد والراحلة لا يثبت لانه ليس
بمتصل وانما المرفوع مارواه ابراهيم بن يزيد عن محمد بن عباد عن ابن عمر عن النبي صلى الله
عليه وسلم وابراهيم بن مزيه عن ابي يحيى بن معين ابراهيم بن مزيه عن ابي يحيى بن معين ابراهيم بن مزيه
واختلف العلماء في قوله تعالى من استطاع اليه سبيلا فقالت طائفة الآية على العموم اذ لا تعلم خيرا
ثابتا عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا اجاما لاهل العلم يوجب ان نستثنى من ظاهر الآية
بعضا فعلى كل مستطيع للجمع يجد الى السيل باى وجه كانت الاستطاعة الحج على ظاهر الآية قال
وروي عن عكرمة انه قال الاستطاعة الصحة وقال الضحاك اذا كان شابا صحيحا مليؤ حر نفسه
بأكله وعقبه حتى يقضى نسكه وقال مالك الاستطاعة على اطاقه الناس الرحل يجد الراد والراحلة
ولا يقدر على المشي وآخر يقدر على المشي على رجله وقالت طائفة الاستطاعة الزاد والراحلة
كذلك قال الحسن وسعيد بن جبيرة ومجاهد واحد بن حنبل واحتجوا بحديث ابن عمر المتقدم وقال
الشافعي الاستطاعة وجهان احدهما ان يكون الرجل مستطيعا بدينه واجدا من ماله ما يملكه الحج
وتكون استطاعته تامة عليه ففرض الحج والثاني لا يقدر ان يثبت على الراحلة وهو قادر على
من بطعه اذا امره ان يحج عنه او قادر على مال ويمجد من يستأجره فيحج عنه فيكون هذا
من لزمه فرض الحج اما حكم الزاد والراحلة فهو ان يحدد راحلة فصلح له ووجد من الراد
ما يكفيه لذهابه ورجوعه فاضلا عن نفقته ونفقة من تلزمه نفقتهم وكسوتهم وعن دين ان كان
عليه ووجد رفقة يخرجون في وقت جرت العادة بخروج اهل البلد في ذلك الوقت فان خرجوا
قبله او اخروا الخروج الى وقت لا يصلون الا بقطع اكثر من مرحلة لا يلزمه الخروج بهم
ويشترط ان يكون الطريق اما فان كان فيه خوف من عدو مسلم او كافر او رصدي يطلب
الخفاة لا يلزمه ويشترط ان تكون منازل الماء مأهولة معمورة بمجد فيها ما جرت العادة بوجوده
من الماء والزاد فان تفرق اهلها لجذب او فارت مياهها فلا يلزمه الخروج ولو لم يجد الراحلة
وهو قادر على المشي او لم يجد الزاد وهو قادر على الاكتساب لا يلزمه الحج عند من جعل وحدان
الزاد والراحلة شرطا لوجوب الحج ويستحب له ان يفعل ذلك ويلزمه الحج عند مالك

المحبوبين عنه المكدين
به وزيادة هدى وكشف
عيان وتثبت وانعاط للدين
اتقوا رؤية اصالحهم او
هدى لهم الى توحيد
الصفات والذات (ولاتهوا)
في الجهاد عد استيلاء
الكفار (ولا تحزنوا)
على ما فاتكم من الفتح
وما جرح واستشهد من
اخوانكم (واتم الاعلون)
في الرتبة لقرركم من الله
وعلو درجاتكم بكونكم
اهل الله (ان كنتم مؤمنين)
موحدين لان الموحدي
ما يجرى عليه من البلاء
من الله فأقل درجاته
الحصر ان لم يكن رضا
يتقوى به فلا يخزن ولا يخن
(ان يمسسكم قرح فقد
مس القوم قرح مثله وتلك
الايام نداولها بين الناس
وليعلم الله الذين آمنوا)
الوقائع وكل ما يحدث من
الامور العظيمة نسي يوما
واياما كما قال تعالى وذكرهم
أيام الله وقدم تفسير
ليعلم الله من ظهور العلم
اتمصيل السابغ اوقوع
المعلوم (ويحدد مكتم
شهداء) الذين يشهدون
الحق فيذهلون عن انفسهم
اي نداول الوقائع بين

واما المستطيع فغيره فهو ان يكون الرجل عاجزا بنفسه بان كان زما او به مرض لا يرجى
برؤه وله مال يمكنه ان يستأجر من يحج عنه فيجب عليه ان يستأجر من يحج عنه وان لم يكن
له مال وبذله ولده او اجنبي الطاعة في ان يحج عنه لزمه الحج ان كان يعتمد على صدقه لان
وجوب الحج متعلق بالاستطاعة وعند ابي حنيفة لا يجب الحج بذل الطاعة وعند مالك لا يجب
على من غصب ماله وجبة من اوجب الحج بذل الطاعة ما روى عن ابن عباس قال كان الفضل
بن عباس رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه فجعل الفضل
ينظر اليها وتظر اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل الى الشق
الآخر قالت يا رسول الله ان فرضة الله على عباده في الحج ادر كنت ابي شفا كبيرا لا يستطيع
ان يثبت على الرحلة افاحج عنه قال نعم وذلك في حجة الوداع اخرجاه في الصحيحين قوله تعالى
(ومن كفر فان الله غني عن العالمين) يعني ومن جحد ما لزمه الله من فرض حج بيته وكفر به
فان الله غني عنه وعن حجه وعمله وعن جميع خلقه وقيل زلت فبين وجد ما يحج فثم مات ولم
يحج فهو كفر به لما روى عن علي بن ابي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ملك
زاد او راحلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه ان يموت يهوديا او نصرانيا وذلك ان الله
تعالى يقول والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا اخرجاه الترمذي وقال هذا
حديث حسن غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وفي اسناده مقال وهلال بن عبد الله مجهول
والحرث بنصف في الحديث وقيل هو الذي ان حج لم يره برا وان قد لم يره اثما وقيل زلت
في اليهود وغيرهم من اصحاب الملل حيث قالوا انا مسلمون فنزلت والله على الناس حج البيت فلم
يحجوا وقالوا الحج الى مكة غير واجب وكفروا به فنزلت ومن كفر فان الله غني عن العالمين
قوله عز وجل (قل يا اهل الكتاب لعل اهل الكتاب لعل اهل الكتاب الذين خلوا منكم انكرت انبوتهم
محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الخطاب لجميع اهل الكتاب اليهود والنصارى الذين انكروا نبوته
(لم تكفرون بآيات الله) يعني الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانه حق
وصديق والمعنى لم تكفرون بآيات الله التي دلتكم على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل المراد بآيات الله القرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم (والله شهيد على ما تعملون) اي والله
شاهد على اعدائكم فيما زعمتم فيها (قل يا اهل الكتاب لم تصدون على سبيل الله من آمن) يعني
لم تصرفون عن دين الله من آمن وكان صدهم عن سبيل الله بالقاء الشبهة والشكوك وذلك
بانكارهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم (تبغونها حوجا) يعني زيفا وميلا عن الحق
والعوج بالكسر الزيف والميل عن الاستواء في الدين والقول والعمل وكل ما لا يرى فاما الشيء
الذي يرى كالحائط والقناة ونحو ذلك يقال فيه هوج بفتح الميم والهاء في قوله تبغونها حائدة
على السبيل والمعنى لم تطلبون الزيف والميل في سبيل الله بالقاء الشبهة في قلوب الضعفاء (واتم
شهداء) قال ابن عباس يعني وانتم شهداء ان نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته مكتوب
في التوراة وان دين الله الذي لا يقبل غيره هو الاسلام وقيل معناه وانتم تشهدون المجزات التي
تظهر على يد محمد صلى الله عليه وسلم الدالة على نبوته (وما الله بغافل عما تعملون) فيه وعيد
وتوبيخ لهم وذلك انه كانوا يخفون ويحتالون بالقاء الشبهة في قلوب الناس لصددهم عن سبيل الله

(والتصديق)

الناس لا مورد شئ وكم
كثيرة غير مذكورة من
خروج ما في استعدادهم
الى الفعل من الصبر والجلد
وقوة اليقين وقلة المبالاة
بالنفس واستيلاء القلب
عليها وقمها وغير ذلك
ولهذين العليين المذكورتين
وتخليص المؤمنين من
الذنوب والقواشي التي
تبعدهم من الله بالعقوبة
والبلية اذا كانت عليهم
ومحق الكافرين وقهرهم
وتدبيرهم اذا كانت لهم
وقد اعترض بين الملل
قول (والله لا يحب الظالمين)
ليعلم ان من ليس على صفة
الايان والشهادة وتحمص
الذنوب وقوة الثبات
لكمال اليقين بل حضر
القتال لطالب الغنيمة
او افترض آخر فهو ظالم
والله لا يمه (وليحص
الله الذين آمنوا ويمحق
الكافرين ام حسبتم ان
تدخلوا الجنة وما يعلم
الله الذين جاهدوا منكم
يعلم الصابرين ولقد
كنتم تمنون الموت من قبل
فانفقوه) كل موطن اذا لم
كن يقينه ملكة بل كان
خطرات فهو في بعض
حواله يتنى امورا ويدعى

والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم فلذلك قال الله تعالى وما الله بغافل عما تعملون قوله عز وجل
 (يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب) الآية قال زيد بن اسلم مرشاس
 بن قيس اليهودي وكان شيئا عظيما للكفر شديد الطعن على المسلمين فربغز من الاوس والخزرج
 وهم في مجلس يتحدثون فيه فغائظه ما رأى من الفتنم وصلاح ذات بينهم في الاسلام بعد الذي
 كان بينهم من العداوة في الجاهلية وقال قد اجتمع ملائكة قبلة بهذه البلاد والله مالا معهم اذا
 اجتمعوا من قرار فامر شابا من اليهود كان معه فقال له اعد اليهم واجلس معهم ثم ذكرهم
 يوم بعث وما كان قبله وانشد لهم بعض ما كانوا يتناولون فيه من الاشعار وكان يوم بعث يوما
 اقتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس على الخزرج فقتل فتكلم القوم عند ذلك
 وتنازعوا وتنازعوا حتى تواب رجلان من الحيين على الركب وهما اوس بن قبطى احد بنى
 حارثة من الاوس وجبار بن صهر احد بنى سلة من الخزرج فتناولا فقال احدهما لصاحبه
 ان شتم والله ردناها الآن جذعة وغضب الفريقان جيجا وقالوا قد فعلنا السلاح السلاح مودعكم
 الظاهر وهى الحرة فخرجوا اليها وانضمت الاوس والخزرج بعضهم الى بعض على دعواهم
 في الجاهلية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين
 حتى جاءهم فقال يا معشر المسلمين ابدعوى الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذا اكرمكم الله
 بالاسلام وقطع عنكم امر الجاهلية والى ما كنتم عليه كفسار الله
 الله صرف القوم انما زغة من الشيطان وكبد من عدوهم فاقولوا السلاح من ايديهم ونكوا
 واعتق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين قال جابر
 فلاربت يوما فجع اولا واحسن آخر من ذلك اليوم فانزل الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا
 تطيعوا فريقا من الدين اوتوا الكتاب يبنى شاسا اليهودى واصحابه (بردوكم بعدا ما نكم كافرين)
 والكفر بوجوب الهلاك في الدنيا بوقوع العداوة والمغضاء وهيجان الفتنة والحرب وسفك
 الدماء وفي الآخرة البارئ قال تعالى (وكيف تكفرون وانتم تنلى عليكم آيات الله وفبكم رسوله)
 وكلمة كعب كلمة تعجب والتعجب انما يلقى بمن لا يعلم السبب وذلك على الله بحال فالمراد منه المنع
 والتنظيظ وذلك لان تلاوة آيات الله وهى القرآن حالا بعد حال وكون رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فيكم يرشدكم الى مصالحكم وذلك بمنع من وقوع الكفر فكان وقوع الكفر منهم بعيدا
 على هذا الوجه قال قتادة في هذه الآية علان بيان كتاب الله تعالى ونبي الله صلى الله عليه وسلم
 اما نبي الله فقد مضى واما كتاب الله فقد ابداه الله بين اظهركم رحمة منه ونعمة (م) عن زيد بن ارقم
 قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فبا خطيبا بماه يدعى خا بين مكة والمدينة حمد الله واثى
 عليه ووعظ الناس وذكرهم قال اما بعد يا ايها الناس انما انا بشر يوشك ان يأتيني رسول ربي فأجيب
 وانى تارك فيكم تغلين اولها مكتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به
 فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي
 اذكركم الله في اهل بيتي وقوله (ومن يعتصم بالله) اى يمتنع باقته ويستمسك بدنه وطاعته واصل
 العصمة الامتناع من الوقوع في أفذوفيه حدث لهم في الانباء الى الله تعالى في دفع شر الكفار عنهم
 (فقد هدى الى صراط مستقيم) اى الى طريق واضح وهو طريق الحق المؤدى الى الجنة قوله عز وجل

احوالا بحسب نفسه دائما وكذلك حال غير اليقين وعند اقبال القلب هو صادق مادام موصوفا بحاله اما في غير تلك الحالة وعند الادبار فلا يبقى من ذلك اثر وكذا كل من لم يشاهد حالا ولم يمارسه ربانيته لتصوره في نفسه وعدم تضرره به حال الصور اما في حال وقوعه وابتلائه فلا يطبق تحمل شدائده كما حكى عن سمعون الحب رحه الله لما قال في آياته * فكيفما شئت فاخترنى * فابتنى بالاسر فلم يطق فكان يتردد في الطريق ويرضخ الى الصبيان ما يلعبون به كالجوز ويقول ادعوا على مككم الكذاب وفي هذا المعنى قال الشاعر
 واذا ما خلا الجبان بارضى طلب الطعن وحده والنزالا فلا يلتفت بحال الا اذا صار مقاما ولا يعتبر مقاما الا اذا امضى في موطنه فاذا خلاص من الامتحان فقد صبح وهذا احد فوائد مداولة الايام بينهم ليعتبروا بالموت ويتقوى بغيرهم ويتوفر صبرهم ويتحقق

مقامهم بالمشاهدة كما قال
(فقد رايتوه) من قتل
اخوانكم بين ايديكم
(وانتم تطرون) تشاهدون
ذلك وفيه توبخ لهم على
ان يقينهم كان حالا لا مقاما
ففشلوا في المواطن (وما
محمد الا رسول قد خلت
من قبله الرسل افئن مات
او قتل انقلبتم على اعقابكم)
اي انه رسول بشر سميت
او يقتل كحال الانبياء
قبله فمن كان على يقين من
دينه فبصيرة من ربه لا يرتد
بعوت الرسول وقته ولا
يفتر عما كان عليه لانه يجاهد
لربه لا للرسول كصحاب
الانبياء السابقين وكما قال
انس عم انس بن مالك
يوم احدث حين ارجف بقتل
رسول الله عليه السلام
وشاع الخبر وانزعم المسلمون
وبلغ اليه مما قال بعضهم ليت
فلانا يا اخي فلانا امانا من ابي
سفيان لا قول المنافقين لو
كان نبيا ما لجل يا قوم ان كان
محمد قد قتل فان رب محمد حي
لا موت وما تصنعون بالحياة
بشر رسول الله فقاتلوا على
ما اتل عليه وموتوا على ما
مات عليه ثم قال اللهم اني
اخذ بك ما يقول هؤلاء
واخذ بك ما يجابه هؤلاء

(يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) قال مقاتل بن حيان كان بين الاوس والخزرج عداوة
في الجاهلية وقتال فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اصلى بينهم فاقهر بعد ذلك منهم
رجلان وهما ثعلبة بن غنم من الاوس واسعد بن زرارة من الخزرج فقال الاوسى منا خزيم
بن ثابت ذو الشهادتين ومنا حنظلة غسيل الملائكة ومنا عاصم بن ثابت الفلج حبي الدبر ومنا سعد
بن معاذ الذي اهتز عرش الرحمن له ورضي الله بحكمه في بني قريظة وقال الخزرجي مناربعة
احكموا القرآن ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وابوزيد ومنا سعد بن عباد خطيب
الانصار ورئيسهم فخرى الحديث بينهم فغضبوا واشدا الاشعار وتاخروا الجاه الاوس والخزرج
ومعهم السلاح فأتاهم الى صلى الله عليه وسلم فاصلى بينهم فأمر الله عز وجل هذه الآية يا ايها الذين
آمنوا اتقوا الله حق تقاته قال ابن عباس هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى
وقال مجاهد هو ان يجاهدوا في الله حق جهاده ولا تأخذكم في الله لومة لائم وتقوموا لك بالقسط
ولو على انفسكم وآباءكم وابنائكم من انس قال لا يتق الله عبد حتى تقاته حتى يحزن لسانه وقيل حق
تقاته يعني واجب تقواه وهو القيام بالواجب واجتناب المحرم واختلف العلماء في هذا القدر
من هذه الآية هل هو منسوخ ام لا على قولين احدهما انه منسوخ وذلك انه لما نزلت هذه الآية
شق ذلك على المسلمين وقالوا يا رسول الله ومن يقوى على هذا فأمر الله تعالى الناسخ وهو قوله
تعالى في سورة التوبة فاتقوا الله ما استطعتم وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبيرة وقتادة وابن
زيد والسدي والقول الثاني انها محكمة غير منسوخة وهو رواية عن ابن عباس ايشاويه قال طابوس
وموجب هذا الاختلاف يرجع الى معنى الآية فمن قال انها منسوخة قال حق تقاته هو ان يأتى
العبد كل ما يحب لله ويستحقه فهذا يحجز العبد عن الوفاء به قصصه تمتع ومن قال بانها محكمة قال
ان حق تقاته اداء ما يلزم العبد على قدر طاقته فكان قوله تعالى اتقوا الله ما استطعتم مفسرا لحق
تقاته لا ما مضى ولا محضضا فمن اتقى الله ما استطاع فقد اتقاه حق تقواه وقيل معنى حق تقاته كما يجب
ان يتق وذلك بان يحب جيع معاصيه وقيل في معنى قول ابن عباس هو ان يطاع فلا يعصى
هذا صحيح والذي صدر من العبد على سبيل السهو والنسيان غير قادر فيه لان التكليف في تلك
الحال مرفوع عنه كذلك قوله وان يشكر فلا يكفر فواجب على العبد حضور ما انتم الله به عليه
بالال واما عند السهو فلا يجب عليه وكذلك قوله وان يذكر فلا ينسى فان هذا انما يجب عند الدماء
والعبادة لا عند السهو والنسيان وقوله تعالى (ولا تموتن الا وانتم مسلمون) لفظ النهي واقع على
الموت والمعنى واقع على الامر بالاقامة على الاسلام المعنى كونوا على اسلام فاذا ورد عليكم الموت
صادفكم على ذلك وقيل هذا في الحقيقة نهى عن ترك الاسلام المعنى لا تتركوا الاسلام فان الموت
لا بد منه فتي جاءكم صادفكم وانتم على الاسلام لانه لما كان يمكنهم الثبات على الاسلام حتى اذا
اتاهم الموت اتاهم وهم على الاسلام صار الموت على الاسلام بمنزلة ما قد دخل في امكانهم وقيل
معناه ولا تموتن الا وانتم مسلمون مخلصون مفوضون الى الله اموركم تحسنون الظن به عز وجل
عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قراه هذه الآية اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا
وانتم مسلمون فقال لو ان قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لافسدت على اهل الارض ما يشتم
فكيف بمن تكون طعاه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح * قوله عز وجل (واعتصموا

ثم شد بسيفه وقاتل حتى قتل
(ومن يقبل على عقبيه فلن يضر الله شيئاً) اغاض نفسه
بشاقه وضعف يقينه
(وسيجزي الله الشاكرين)
لعمرة الاسلام كأنس ابن
الضمر واضرا به من المؤمنين
(وما كان لفس ان تموت
الاذن الله كتاباً مؤجلاً)
فمن كان موقفاً شاهد هذا
المحن وكان من اشجع الناس
كأحكي حاتم بن الاصم من
نفسه انه شهد مع الشقيق
البلخي رحمه الله بعض
غزوات خراسان قال قلفني
شقيق وقد حى الحرب فقال
كيف تجد قلبك يا حاتم قلت
كما كان ليلة الزفاف بين
الحالين فوضع سلاحه وقال
اما انا فهكذا ووضع رأسه
على ترسه ونام بين الحركة
حتى سمعت غيطه وهذا فاية
في سكون القلب الى الله
ووثوقه بقوة اليقين (ومن
يرد ثواب الدنيا نؤته
منها ومن يرد ثواب
الآخرة نؤته منها وسنجزي
الشاكرين وكأين من
نحى قاتل معه رپون كثير
فأوهوا لما صابهم في سبيل
الله وما صعفوا وما استكانوا
والله يحب الصابرين وما
كان قولهم الا ان قالوا ربنا
عمر لنا ذنوباً واسرافاً في
امر نلوثب اقداماً وانصرنا

بجبل الله جيماً) أي تمسكوا بجبل الله والحبل هو السبب الذي يتوصل به الى البقية وسمى الامان
حبلًا لانه سبب يتوصل به الى زوال الخوف وقيل حل الله هو السبب الذي به يتوصل اليه
فلى هذا اختلفوا في معنى الآية فقال ابن عباس معناه تمسكوا بدين الله لانه سبب يتوصل اليه وقيل
حبل الله هو القرآن لانه ايضا سبب يتوصل اليه وفي افراد مسلم من حديث زيد بن ارقم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الا واني تارك فيكم ثقلين احدهما كتاب الله هو حبل الله من اتبعه كان
على الهدى ومن تركه كان على ضلالة الحديث عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ان هذا القرآن هو حبل الله المتين وهو الور المبين والشفاء الافع عصمة لمن تمسك به ذكره
البغوى بغير سند وقال ابن مسعود هو الجماعة وقال عليكم بالجماعة فانها حبل الله الذي امر به وان
ما تكمرون في الجماعة والطاعة خير مما تمحون في الفرقة وقيل بحبل الله يعني بأمر الله وطاعته
(ولا تفرقوا) يعني كما تفرقت اليهود والنصارى وقيل ولا تفرقوا يعني كما كنتم متفرقين في الجاهلية
متدابرين يهادى بعضكم بعضاً وقتل بعضكم بعضاً وقيل معناه لا تتحدثوا ما يكون عدا تفرق
وزول معه الاجتماع والائفة التي اتم عليها ففيه النهي عن التفرق والاختلاف والامر بالاتفاق
والاجتماع لان الحق لا يكون الا واحداً وماعداء يكون جهلاً وضلالاً واذا كان كذلك وجب
النهي عن الاختلاف في الدين وعن الفرقة لان كل ذلك كان عادة اهل الجاهلية فتروا عودى
البغوى بسده عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يرضى لكم ثلاثاً يرضى
لكم ان تدعوه ولا تشر كوا به شاوان تعتصموا بحبل الله جميعاً وان تاصحوا من ولى الله امركم
ويسخط لكم قيل قال واضاعة المال وكثرة السؤال (واذكروا النعمة الله عليكم
اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم صمته اخواناً) قال محمد بن اسحق وغيره من اهل
الاحبار كان الاوس والخزرج اخوين لاب وام فوقع بينهما عداوة قتيل ثم تناولت تلك
العداوة والحروب بينهم مائة وعشرين سنة الى ان اطفأ الله ذلك بالاسلام والى بينهم بنيه
محمد صلى الله عليه وسلم وسبب ذلك ان سويد بن الصامت أخى بن عروب بن عوف وكان شريفاً
يسميه قومه الكامل لجده ونسبه فقدم مكة حاجاً او معتمراً وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد بعث وامراً بالدعوة فتصدى له الى حين سمع به ودعاه الى الله عز وجل والى الاسلام
فقال له سويد فلعل الذى معك مثل الذى معى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما الذى
معك قال بحلة لقمان يعني حكمة لقمان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرضها على فرضها
عليه فقال ان هذا الكلام حسن وهى افضل من هذا قرآن ازله الله عز وجل على نور او هدى
فتلا عليه القرآن ودعاه الى الاسلام فلم يعده منه وقال ان هذا القول حسن ثم انصرف الى المدينة فلم يلبث
ان قتله الخزرج يوم بعث وان قومه يقولون قد قتل وهو مسلم ثم قدم ابو الحليس انس بن رافع ومعه فنية
من بنى عبد الاشهل فيهم اياس بن معاذ يلتصون الخلف من قريش على قومهم من الخزرج فلسمع
بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاهم وجلس اليهم وقال لهم هل لكم الى خير مما جتمتم له
قالوا وما هو قال انا رسول الله قد بعثني الله الى العباد ادهوهم الى ان لا يشركوا بالله شيئاً
وانزل على الكتاب ثم ذكر الاسلام وتلا عليهم القرآن قال اياس بن معاذ وكان غلاماً حدثاً

قوم هذا والله خير مما جئتم له فاخذ ابو الحليس حفنة من البطحاء فضرب بها وجه اياس وقال
دعنا ملك فلعمري لقد جئنا لغير هذا فصمت اياس وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم
وانصرفوا الى المدينة فكانت وقعة بعثت بين الاوس والخزرج فلم يلبث اياس بن معاذ ان
هلك فلما اراد الله عز وجل اظهار دينه واعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الموسم الذي لقي فيه الفر من الانصار ففرض نفسه على القتال من العرب
كما كان يصنع في كل موسم فلقى عند العقبة رهطا من الخزرج اراد ان يقتلهم خيرا وهم ستة نفر
اسعد بن زرارة وعوف بن الحرث وهو ابن عفراء ورافع بن مالك الجهلاني وقبضة بن عامر بن
باني وجابر بن عبد الله رضى الله عنهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من انتم قالوا
نفر من الخزرج قال امن موالى اليهود قالوا نعم قال افلا تجلسون حتى اكلمكم قالوا ابلى جلسوا
معه فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن قال وكان مما صنع الله
لهم به في الاسلام ان يهود كانوا معهم ببلادهم وكانوا اهل كتاب وعلم وهم اهل اوثان وشرك
وكانوا اذا كان بينهم شئ قالوا ان نبيا الآن مبعوث قد اظلم زمانه مستنعبه وقتلتكم معه
قتل حادوارم فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم اولئك الفر ودعاهم الى الله عز وجل قال
بعضهم لبعض يا قوم تعلمون والله انه النبي الذي توعدكم به يهود فلا يسبقنكم اليه فاجابوه
وصدقوه واسلموا معه وقالوا انا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم
فسي الله ان يجمعهم بك وسنقدم عليهم ندعوهم الى امرك فان يجمعهم الله عليك فلا رجل
اعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوه الى الاسلام حتى فشانهم فلم يبق دار من
دور الانصار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان العام المقبل وفي الموسم
من الانصار اثنا عشر رجلا وهم اسعد بن زرارة وعوف ومعاذ بن عفراء ورافع بن مالك الجهلاني
وذكوان بن عبد القيس وعبادة بن الصامت وزيد بن ثعلبة وعباس بن عباد وعقبة بن عامر
وقبضة بن عامر فهؤلاء خزرجيون وابو الهيثم بن التيهان وهو يمين ساعدة من الاوس
فلقوه بالعقبة وهو العقبة الاولى فابيعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعة النساء على ان
لا يشركن بالله ولا يسرقن ولا يزني ولا يقتلن اولادهن ولا يأتين بهتان بفتنة بين يمينين
وارجلهن ولا يهيننك في معروف الآية فان وفيتن فلكم الجنة وان غشيتن شيئا من ذلك فاخذتم
بجده في الدنيا فهو كفارة وان ستر عليكم فامركم الى الله عز وجل ان شاء عذبكم وان شاء
غفر لكم قال وذلك قبل ان يفرض الحرب قال فلما انصرف القوم بعث معهم مصعب بن عمير بن
هاشم بن عبد مناف وامره ان يقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام ويفهمهم في الدين وكان يسمى
مصعب بالمدينة القرى وكان منزله على اسعد بن زرارة ثم ان اسعد بن زرارة خرج ومصعب
فدخل به حائطا من حوائط بني ثعلبة فجلسا في الحائط واجتمع اليهما رجال من اسلم فقال
سعيد بن معاذ لاسيد بن حضير انطلق الى هذين الرجلين الذين اتيا دارنا ليسفها ضعاء فلما جرحهما
فان اسعد ابن خاتى ولولا ذلك لكفيتك وكان سعد ابن معاذ واسيد بن حضير سيدى قومهما
من بني عبد الاشهل وهما بعد مشركان فاخذ اسيد بن حضير حريته ثم اقبل الى مصعب واسعدوهما

على القوم الكافرين فاتاهم
الله ثواب الدنيا وحسن ثواب
الآخرة والله يحب المحسنين
يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا
الذين كفروا يردوكم على
اخطابكم فتقبلوا خاسرين
بل الله موليكم وهو خير
الناصرين سلفى في قلوب
الذين كفروا الرعب بما
اشركوا بالله ما لم ينزل به
سلطانا وما وهم الناروبش
مثنوى الظالمين جعل لقاء
الرعب في قلوب الكفار
مسيبا عن شرهم لان الشجاعة
وسائر الفضائل اعتدالات
في قوى النفس من وقوع
ظل الوحدة عليها عند
تورها بنور القلب المنور
بنور الوحدة فلا تكون
تامة حقيقة الا للوحد
الموقن في توحيدة واما
المشرك فلائه محجوب عن
منبع القوة والقدرة بما
اشرك بالله من الموجود
المشوب بالعدم لا مكانه
الخلق الوجود الضعيف
الذى لم يكن له بحسب
نفسه قوة ولا وجود
ولا ذات في الحقيقة ولم
ينزل الله بوحوده جهة
لوجوده اصلا لتحقق
عدمه بحسب ذاته فليس
له الا العجز والجبن وجيع

جالسان في الحائط فلما رآه اسعد بن زرارة قال لمصعب هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه قال مصعب ان يجلس اكلمه فلما وقف عليهما تشبها وقال ما جاء بكما الينا تسفهان ضعفاءنا اعتزلا ان كانت لكما في انفسكما حاجة قال له مصعب او تجلس فتسمع فان رضيت امرا قبلته وان كرهته كف عنك ماتكروه قال انصفت ثم ركز حربته وجلس اليهما فتكلمه مصعب بالاسلام وقرأ عليه القرآن قالا والله لعرفنا الاسلام في وجهه قبل ان يتكلم من اشارقه وتسله ثم قال ما احسن هذا واجله كيف تصنعون اذا اردتم ان تدخلوا في هذا الدين فالتفتل وتطهر ثوبك وتشهد شهادة الحق ثم تصلي ركعتين فقام واعتسل وطهر ثوبه وشهد شهادة الحق ثم صلى ركعتين ثم قال ان ورائي رجلان اتبعكم ايامي بخلف عنه احد من قومه وسارسله اليكما الآن سعد بن معاذ ثم اخذ حربته فانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس في ناديم فلما نظر سعد الى اسيد مقبلا قال احاف بالله لقد جاءكم اسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف اسيد على النادى قال له سعد ما فعلت قال كنت الرجلين فوالله ما رايت بهما بأسا وقد نيتهما فقال لا تفعل الا ما احببت وقد حدثت ان بنى حارثة خرجوا الى اسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك انهم عرفوا انه ابن خاتمك ليحرقوك فقام سعد مغضبا للذي ذكره من بنى حارثة فاخذ الحربة ثم قال والله ما راك اغيت شيئا فانصرف اليهما فلما رآهما مطمئنين عرف ان اسيدا انما اراد ان يسمع منهما فوقف عليه وتشبها ثم قال لاسعد بن زرارة لولا ما بيني وبينك من القرابة مارمت هذا مني تفشانا في دارنا بما نكره وقد كان قال اسعد لمصعب جاءك والله سيد قومه ان يتبعك لم يخالفك احد منهم فقال له مصعب او تفقد قسمي فان رضيت امرا ورغبت فيه قبلته وان كرهته عزلنا عنك ماتكروه فقال سعد انصفت ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه مصعب الاسلام وقرأ عليه القرآن قالا عرفنا والله الاسلام في وجهه قبل ان يتكلم من اشارق وجهه وتسله ثم قال كيف تصنعون اذا اسلمتم ودخلتم في هذا الدين فالا تفنسل وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي ركعتين فقام واعتسل وطهر ثوبه وشهد شهادة الحق وركع ركعتين ثم اخذ حربته واقبل حامدا الى نادى قومه ومعه اسيد بن حضير فلما راوه مقبلا قالوا نخلف بالله لقد رجع سعد اليكم بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال يابني عبد الاشهل كيف تعملون امرى فيكم قالوا سيدنا وافضلنا رايانا بمننا نقيبة قال فان كلام رجالكم ونساءكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله قال فامسى دار بنى عبد الاشهل رجل ولا امرأة الا مسلم ومسلمة ورجع اسعد بن زرارة ومصعب بن عير الى منزل اسعد فاقام عنده يدعو الناس الى الاسلام حتى لم يبق دار من دور الانصار الا وفيها رجال ونساء مسلمون ومسلمات الا ما كان من دار امية بن زيد وخطمة ووائل ووافق ذلك انه كان فيهم ابو قيس بن الاسلت الشاعر وكانوا يسمون منه ويطيعونه فوقف بهم عن الاسلام حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر واحد والخذق قالوا ثم ان مصعب بن عير رجع الى مكة وخرج معه من الانصار المسلمين سبعون رجلا مع حجاج قومه من اهل الشرك حتى قدموا مكة فوعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من اوسط ايام التشريق وهو بعة العقبة الثانية قال كعب بن مالك وكان قد شهد ذلك فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنا عبد الله بن عمرو بن حرام ابو جابر اخبرناه وكنا

الردائل اذ لا يكون اقوى من مبوده وان اتفقت له دولة او صولة او شوكة فشي لا اصل له ولا ثبات ولا بقاء كنار العرفج مثلا كانت دولة المشركين (ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم بادنه) اى وعدمكم النصران تصبروا وتقوا فادتم على حالكم من قوة الصبر على الجهاد

نكنتم من معنا من المشركين من قومنا امرنا فكلناه وقتلنا اباجبرائيل سيدنا ساداتنا وشريفنا
من اشرافنا وانا نرغب بك عما انت فيه ان تكون خطبا لنا رخذادعونا الى الاسلام فاسلم فاجبرناه
بعياد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معناه العقبة وكان نقيبا فبنتناك الية مع قومنا في
رحالنا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسلسل مستخفين
القطا حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن سبعون رجلا ومعنا امرأتان من نساءنا نسيبة بنت
كعب ام عارة احدى نساء بني النجار واسما بنت عمر بن هدي ام منيع احدى نساء بني سلة
فاجتمعنا بالشعب فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب
وهو يومئذ على دين قومه الا انه احب ان يحضر امر ابن اخيه ويتوثق له فاجلسنا اول من تكلم
العباس بن عبد المطلب فقال يا معشر الخزرج وكانت العرب يسمون هذا الحى من الانصار
الخزرج خزرجها واوسها ان محمدا منا حيث قد علمت وقد منعناه عن قومنا بمن هو على مثل
رأينا وهو في عز من قومه ومنعة في بلده وانه قد ابى الا الانتطاع اليكم والحقوكم بكم فان كنتم
ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه وما نعموه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم به من ذلك وان
كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم فمن الآن فدعوه فانه في عز ومنعة قال
فقلنا قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله وخذ لنفسك ولربك ما شئت فتكلم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فتلا القرآن ودعا الى الله عز وجل ورغب في الاسلام ثم قال يا ايهاكم على ان تمنعوا
منه انفسكم ونساءكم وابنائكم قال فماخذ البراء بن معرور بيده ثم قال والذي بئسك بالحق نبيا لن تنصك
فما منع منه اذ رنا فبايعنا يا رسول الله فحسن اهل الحرب واهل الحلقة ورتناهما كابرنا عن كابر
فاعرض القول والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو الهيثم بن التيهان فقال
يا رسول الله ان بيننا وبين الناس حبالا يعني عهودا وانا قاطعوها فهل عسيت ان فعلنا ذلك ثم
اظهرك الله ان ترجع الى قومك وتدها فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم
الدم والهدم والهدم اتم منى وانا مسكم احارب من حاربتم واسلم من سلمتم وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اخرحوا الى مسكم اثني عشر نقيبا كفلاء على قومههم بما فيهم ككفالة الحواريين
بعيسى بن مريم فاخرجوا اثني عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس قال طاسم بن عمرو بن
قتادة ان القوم لما احتجموا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عباد بن فضله
الانصارى يا معشر الخزرج هل ترون علام تبايعون هذا الرجل انكم تبايعونه على حرب
الاحر والاسود فان كنتم ترون انكم اذا نهكت اموالكم مصيبة واشرافكم قتلا اسلمتموه فمن
الآيات فهو والله خزي في الدنيا والآخرة وان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه
على نهكته الاوال وقتل الاشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة قالوا فاننا نأخذ على مصيبة
الاوال وقتل الاشراف فالتا بذلك يا رسول الله ان نحن وفيما قال الجنة قالوا ابسط يدك فبسط يده
فبايعوه واول من ضرب على يده البراء بن معرور ثم تابع القوم قال فلما بايعنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم صرخ الشيطان من راس العقبة بانقذ صوت ما سمعته قط يا اهل الجاهل هل انكم
في مذمم والصباء معه قد اجتمعوا على حربكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عدواؤه
هذا اذب العقبة يعني شيطان العقبة اسمع اى عدواؤه اما والله لا غرض لي ثم قال رسول

وتيقن النصر والثبات
على اليقين واتفاق الكلمة
بالتوجه الى الحق والاتقاء
عن مخالفة الرسول وميل
الفوس الى زخرف الدنيا
والاعراض عن الحق
بجاهدين لله لا الدنيا كان
الله معكم بالنصر وانجاز
الوعد وكنتم تقطعونهم
بأذنه وتمزؤهم (حتى اذا
فشتم) اى جبتم بدخول

الله صلى الله عليه وسلم انقضوا الى رحالكم فقال العباس بن عباد بن فضالة والذي بعثك بالحق
 ان شئت لميلن على اهل مني باسنا فقال رسوا الله صلى الله عليه وسلم لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا
 الى رحالكم فرجعنا الى مضاجعتنا فمنا عليها حتى اصبحنا فلما اصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى
 جاؤنا في منازلنا فقالوا يا معشر الخزرج بائنا انكم جئتم صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا
 وتبايعونه هل حربنا رانه والله ما حي من العرب ابغض الينا ان تشب الحرب بيننا وبينه منكم قال
 فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شيء وما علماء وصدقوا لم يلجوا به
 وبعضنا ينظر الى بعض وقام النوم وفيهم الحرث بن هشام بن المغيرة المخزومي وعليه نملان
 جديتان قال فقلت له كاذب كافي اريد ان اشرك القوم بها فيما قالوه ابا جابرا ما يستطيع ان يخذلوا
 سيد من ساداتنا مثل نعلي هذا الفتى من قريش قال فسمعها الحرث فخلعهما من رجله ورمى بهما
 الى قال والله لئن ظلمتهما قال ابو جابر مه والله احفظت الفتى فاردد اليه فعليه قال فقلت لا ارد هما
 قال والله يا ابا صالح لئن صدق القائل لاسلبه قال ثم انصرف الانصار الى المدينة وقد شدوا
 العقدا فاقدموها لظهور الاسلام بها وبلغ ذلك قريشا فاذوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان الله قد جعل لكم اخوانا ودارا تأمرون فيها فامرهم
 بالهجرة الى المدينة والحقوا باخوانهم من الانصار قال من هاجر الى المدينة ابوسدة بن عبد الاسد
 المخزومي ثم حار بن ربيعة ثم عبد الله بن جش ثم تابع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ارسالا الى المدينة ثم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فجمع الله عز وجل اهل
 المدينة اوسها وخزرجها بالاسلام واصلى ذات بينهم بنبيه عليه الصلاة والسلام وارل الله عز
 وجل واذكروا يعني يا معشر الانصار نعمة الله عليكم يعني بالاسلام اذ كنتم اعداء يعني قبل
 الاسلام فأنف بين قلوبكم يعني بالاسلام وبنبيه عليه الصلاة والسلام فاصبحت شيعته اخوانا
 يعني فصرتم رحمة وبديته الاسلام اخوانا في الدين والولاية بعد العداوة (وكنتم) يا معشر
 الاوس والخزرج (هل شفا حفرة من النار) يعني دلى حارف حفرة مثل شفا البئر ليس بكم
 وبين الوقوع في النار الا ان تموتوا على كفركم (فانقذكم منها) اى فخلصكم بالايمان من الوقوع
 في النار (كذلك بين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) قوله تعالى (ولكن منكم امة يدعون الى الخير
 ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) الام في قوله ولكن الامراى تكن منكم امة دعاء
 الى الخير وقيل ان كلمة من في قوله منكم لتبين لالتجسس وذلك لان الله عز وجل اوجب الامر
 بالمعروف والنهي عن المنكر على كل الامة في قوله تعالى كنتم خیرامة اخرجت للناس تأمرون
 بالمعروف وتنهون عن المنكر فيجب على كل مكلف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اما بيده او بلسانه
 او بقلبه (م) عن ابي سعيد الخدرى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رأى
 منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان فعلى
 هذا يكون معنى الآية كون الامة دعاء الى الخير آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر ومن قال بهذا القول
 يقول ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كذا اذ اقام به واحد فقط الفرض عن البقية
 وقيل ان من هاتين بعض وذلك لان الامة من لا يقدر على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
 لجهل او ضعف فحين ادخل انط من في قوله ولكن منكم امة يدعون الى الخير وقيل ان الامر

الضعف في يقينكم وفساد
 اعتقادكم في حق نفسه
 تجوز غلوه في الضميمة
 (وتأزمت) في امر الحرب
 بعد الاتفاق وما صبرتم
 عن حط الدنيا وهضم
 الرسول بترك ما امركم
 به من ملازمة المركز
 وملت الى زخرف الدنيا
 (في الامر وهضمتم من
 بعدما اراكم ماتحبون)

بالمعروف والنهي عن المنكر انما يختص بالعلماء وولاء الامر فعل هذا يكون المعنى ليكن بعضهم
 آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر (خ) عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل
 القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فاصاب بعضهم اعلاها وبعضهم
 اسفلها فكان الذي في اسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو انا خرقنا في نصيبنا
 خرقا ولم نؤذ من فوقنا فان تركوهم وما ارادوا هلكوا جميعا وان اخذوا على ايديهم نجوا جميعا والخير
 المذكور في الآية هو كل شيء يرغب فيه من الافعال الحسنة وقيل هو هنا كناية عن الاسلام
 والمعنى لكن امة اى جماعة دعاة الى الاسلام والى كل فعل حسن يستحسن في الشرع والعقل
 وقيل الدعوة الى فعل الخير يندرج تحتها نوعان احدهما الترغيب في فعل ما ينبغي وهو الامر بالمعروف
 والثاني الترغيب في ترك ما لا ينبغي وهو النهي عن المكروه فذكر الحسن اولا وهو الخير ثم تبعه بنوعيه
 مبالغة في البيان والمعروف اسم لكل فعل يعرف بالعقل والشرع حسنه والمنكر ضد ذلك وهو
 ما عرف بالعقل والشرع قبحه وقوله تعالى (واولئك هم الفالحون) تقدم تفسيره * قوله عز وجل
 (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا) يعنى ولا تكونوا يامعشر المؤمنين كالذين تفرقوا
 يعنى اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى في قولوا كثر المفسرين واختلفوا في دين الله وامره
 ونهيه وقيل تفرقوا واختلفوا بمعنى واحد وانما ذكرهما للتأكيذ وقيل تفرقوا بسبب العداوة
 واتباع الهوى واختلفوا في دين الله فصاروا فرقا مختلفين قال الربيع في هذه الآية هم اهل الكتاب
 نهى الله اهل الاسلام ان يفرقوا او يختلفوا كما تفرقوا واختلف اهل الكتاب وقال ابن عباس امر الله
 المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة واخبرهم انما هلك من كان قبلهم بالراء
 والخصومات في الدين وقال بعضهم هم المبتدعة من هذه الامة وقال ابو امامة هم الحرورية قال
 عبدالله بن شداد وقف ابو امامة وانامه على رؤس الحرورية على درج جامع دمشق فذرفت
 عيناه ثم قال كلاب اهل النار وكانوا مؤمنين فكفروا وابدعوا بآمنهم شريقيل تحت اديم السماء
 وخير قتل تحت اديم السماء الذين قتلهم هؤلاء قلت فاشأئتك دمت عيناك قال رحمة لهم كانوا
 من اهل الاسلام فكفروا بعد ايمانهم ثم اخذ يدي وقال ان بارضى منهم كثيرا وفي رواية ثم قرا
 بعد قوله فكفروا بعد ايمانهم ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا الى قوله اكرتم بعد ايمانكم
 ورواه الترمذى عن ابي غالب قال راي ابو امامة رؤسا منصوبة على درج دمشق فقال ابو امامة كلاب
 اهل النار شرقتلى تحت اديم السماء خير قتلى من قتلوه ثم قرأ يوم تبص جوه وتسود وجوه الى
 آخر الآية قلت لابي امامة انت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو لم اسمع الامرة
 او مرتين او ثلاث مرات او اربع مرات حتى عد سبعا ما حدثتكموه وقال فيه هذا حسن * وقوله
 تعالى (من بعد ما جاءهم البينات) يعنى الجمع الواضحات فطو هائم خالفوها وانما قال جاءهم ولم يقل
 جاءتهم لجواز حذف علامة التأنيث من الفعل في التقديم تشبيها بعلامه التثنية والجمع (واولئك لهم
 عذاب عظيم) يعنى لهؤلاء الذين تفرقوا واختلفوا عذاب عظيم في الآخرة وفيه زجر عظيم
 للمؤمنين عن التفرق والخلاف عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة
 شبرا فقد خلع ربة الاسلام من عنقه اخرجه ابو داود اراد بربة الاسلام عقدا الاسلام واصله
 ان الرقبى حبل فيه عدة عرا يشبهها النظم الواحد من العرا ربة وروى البغوى بسنده عن

من الفتح والفتنة وحان
 زمان شكركم الله وشدة
 اقبالكم عليه فذهلت عن
 فكان اشرفكم يريد
 الآخرة والباقيون يريدون
 الدنيا ولم يبق فيكم من
 يريد الله منعكم نصره
 (منكم من يريد الدنيا
 ومنكم من يريد الآخرة
 ثم صرفكم عنهم ليتبليكم
 ولقد عفا عنكم) بما فعلتم

عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يسكن بمجوحة الجنة فعليه
بالجماعة فان الشيطان مع القذ وهو من الاثنين ابعد بمجوحة الجنة وسطها والقذ هو الواحد
* قوله عز وجل (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) يعني اذ كروا يوم تبيض وجوه المؤمنين
وتسود وجوه الكافرين وقيل تبيض وجوه اهل السنة وتسود وجوه اهل البدعة وقيل تبيض
وجوه المخلصين وتسود وجوه المنافقين وفي بياض الوجوه وسوادها قولان احدهما ان
البياض كناية عن الفرح والسرور والسواد كناية عن الغم والحزن وهذا مجاز مستعمل يقال
لمن نال بغيته وظفر بمطلوبه ابيض وجهه يعني من السرور والفرح ولمن ناله مكروه اسود
وجهه واريد لونه يعني من الحزن والغم قال الله تعالى واذا بشر احدكم بالاثني ظل وجهه مسودا
يعني من الحزن فعلى هذا بياض الوجوه اشراقها وسرورها واستبشارها بعملها وذلك ان
المؤمن اذا ورد القيامة على ما قدم من خير وعمل صالح استبشر بثواب الله ونعمه عليه فاذا
كان كذلك وسم وجهه بياض اللون واشراقه واستنارته وابيضت صحيفته واشرفت وسعى
النور بين يديه وعن يمينه وشماله واما الكافر والظالم اذا ورد القيامة على ما قدم من قبيح
عمل وسيات حزن واغتم لعله بهذاب الله فاذا كان كذلك وسم وجهه بسواد اللون وكودته
واسودت صحيفته واظلمت واحاطت به الظلمة من كل جانب يعوذ بفضل الله وسعة رحمته
من الظلمات يوم القيامة والقول الثاني بياض الوجوه وسوادها حقيقة تحصل في الوجه فيبيض
وجه المؤمن ويكسى نورا ويسود وجه الكافر ويكسى ظلمة لان لفظ البياض والسواد حقيقة
فيهما والحكمة في بياض الوجود وسوادها ان اهل الموقف اذا راوا بياض وجه المؤمن عرفوا انه
من اهل السعادة واذا راوا اسود وجه الكافر عرفوا انه من اهل الشقاوة (فاما الذين اسودت
وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) اى فيقال لهم اكفرتم
والهمزة للتوبيخ وانتزيع فان قلت كيف قال اكفرتم بعد ايمانكم وهم لم يكونوا مؤمنين
فن المراد بهؤلاء الذين كفروا بعد ايمانهم قلت اختلف العلماء في ذلك فروى عن ابى ابن كعب
انه قال اراد به الايمان يوم اخذ الميثاق حين قال لهم الست بربكم قالوا بلى فآمن اكل فكل
من كفر في الدنيا فقد كفر بعد الايمان وقال الحسن هم المنافقون وذلك انهم تكلموا بالايمان
بالسهم وانكروه بقلوبهم وقال هكرمة هم اهل الكتاب وذلك انهم آمنوا بمحمد صلى الله عليه
وسلم قبل بعثته فلما بعث انكروه وكفروا به وقيل هم الذين ارتدوا زمن ابى بكر الصديق
رضي الله عنه وهم اهل الردة (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا
فرطكم على الخوض وليرفن الى رجال منكم حتى اذا هويت اليهم لانهم اختلجوا دوني
فاقول اى رب اصحابي فيقال لك لا تدري ما احدثوا بعدك (ق) عن انس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال يردن على الخوض رجال من صاحبني حتى اذا رفسوا الى الخلتجوا دوني فلا تقولان
اى رب اصحابي فيقال لي لا تدري ما احدثوا بعدك زاد في رواية فاقول صحفان بدل
بمدى (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرد على يوم القيامة رهط
من اصحابي او قال من امتي فيجولون عن الخوض فاقول يا رب اصحابي فيقول انه لا علم لك بنا
احد ثوابك انهم ارتدوا على اديارهم اقهقروا وقيل هم الخوارج الذين خرجوا على علي بن

فكان الابتلاء لطفًا بكم
وفضلاً (والله ذوا فضل
على المؤمنين اذ تصعدون
ولا تلوون على احد
والرسول يدعوكم في
اخراكم) في الاحوال
كلها اما بالنصرة واما
بالابتلاء فان الابتلاء فضل
ولطف خفي ليعلموا ان
احوال العباد جالبة للظهور
او صاف الحق عليهم فما

ابى طالب وقتلهم وهم الخوارجية (م) عن زيد بن وهب انه كان في الجيش الذين كانوا مع علي
 لما ساروا الى الخوارج فقال علي ايها الناس اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج
 قوم من امتي يقرؤن القرآن ليس قراءتكم الى قراءتهم بشئ ولا صلاتكم الى صلاتهم بشئ
 ولا صيامكم الى صيامهم بشئ يقرؤن القرآن يحسبون انه لهم وهو عليهم لا يتجاوز صلاتهم تراقيهم
 يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية وفي رواية سويد بن غفلة عنه يقرؤن القرآن لا يتجاوز
 ايمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فاذا لقيتوهم فاقتلوه فان في قتلهم
 اجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة (ق) عن بشير بن عمرو قال قلت لسهل بن حنيف هل سمعت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الخوارج شيئا قال سمعته يقول واهوى يده الى العراق
 يخرج منهم قوم يقرؤن القرآن لا يتجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام مروى السهم من الرمية
 وقيل هم اهل البدع والاهواء من هذه الامة كالتدريه ونحوهم ومن قال بهذا القول يقول
 كفرهم بعد ايمانهم هو خروجهم من الجماعة ومفارقتهم في الاعتقاد (م) عن ابى هريرة ان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال يادروا بالاعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا
 ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا وقال الحرث الاعور سمعت علي بن ابى
 طالب رضى الله عنه يقول على المبران الرجل ليخرج من اهله فايؤب اليهم حتى يعمل عملا
 يستوجب به الجنة وان الرجل ليخرج من اهله فايهود اليهم حتى يعمل عملا يستوجب به النار ثم
 قرا يوم تبيض وجوه الآية ثم نادى هم الذين كفروا بعد الايمان ورب الكعبة وقوله تعالى
 (واما الذين ابضت وجوههم) يبنى المؤمنين المطيعين لله عز وجل (ففي رحمة الله) يبنى في
 جنة الله وانه سميت الجنة رحمة لانها دار رحمة وفيه اشارة الى ان العبد وان عمل بالباطل لا يدخل
 الجنة الا برحمة الله تعالى (هم فيما خالدون) قيل انما كرر كلمة في لان في كل واحدة منهم معنى غير
 الاخرى المعنى انهم في رحمة الله وانهم في الرحمة خالدون (ذلك آيات الله) يبنى القرآن وقيل
 هذه الآيات اتى تقدمت (تلوها عليك بالحق) اى بالمعنى الحق لان التلوه حق (وما الله يريد
 ظلما للعالمين) يبنى لا يصاب احد ابغى جرم واستحقاق للعقوبة وانما ذكر الظلم هنالاه قد تقدم
 ذكر العقوبة في قوله فاما الذين اسودت وجوههم الى قوله فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون
 اخبر انهم وانما وقعوا فيما وقعوا فيه بسبب افعالهم المنكرة وانه لا يظلم احدا من خلقه (وله
 ما في السموات وما في الارض) لما ذكر الله انه لا يريد ظلما للعالمين لانه لا حاجة به الى الظلم وذلك ان الظلم
 انما يظلم غيره ليزداد ما لا او عزا او سلطانا او يتم نقصا فيه بما يظلم به غيره ولما كان الله عز وجل
 مستغنيا عن ذلك وله صفة الكمال اخبر ان له ما في السموات وما في الارض وان جميع ما فيها ملكه
 واهلهما عبده واذا كان كذلك يستحيل في حقه سبحانه وتعالى ان يظلم احدا من خلقه لانهم
 عبده وفي تبضته ثم قال (والى الله ترجع الامور) يبنى واليه مصير جميع الخلائق المؤمن والكافر
 والطائع والعاصي فيجازى الكل على قدر استحقاقهم ولا يظلم احدا منهم قوله عز وجل
 (كنتم خيرا امة) سبب نزول هذه الآية ان مالك بن الصيف ووهب بن يهودا اليهوديين قالا
 لعبد الله بن مسعود وابى بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة نحن افضل منكم

اعدوا له نفوسهم موهوب
 لهم من عند الله كما مر في
 قوله مطيع من اطاعني كما
 يكونون مع الله يكون الله
 معهم ولثلا يناسوا الى
 الاحوال دون المساكات
 ولينزلوا بالصبر على
 الشدائد والفتن في
 المواطن ويحكموا في اليقين
 ويحملوه ملكاتهم ومقاما
 ويتحققوا ان الله لا يغير

وديننا خير من دينكم الذي تدعوننا اليه فانزل الله هذه الآية واختلف في لفظة كان فقيل
 هي بمعنى الحدوث والوقوع والمعنى حدثتم ووجدتم وخلقم خیرامة وقيل كان هنا ناقصة
 وهي عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض ولا تدل على انقطاع طارئ بدليل قوله وكان الله
 غفورا رحیما فلي هذا التقدير يكون المعنى كنتم في علم الله خير امة وقيل كنتم مذكورين
 في الامم الماضية بانكم خیرامة وقيل كنتم في الوحد المحفوظ موصوفين بانكم خیرامة وقيل معناه
 كنتم منذ انتم خير امة وقيل قوله خیرامة تابع لقوله فاما الذين ابضت وجوههم والتقدير
 انه يقال لهم عند دخول الجنة كنتم في دنياكم خیرامة فلماذا استحققت ما انتم فيه من باض الوجوه
 والنعيم المقيم وقيل كنتم بمعنى انتم وقيل يحتمل ان يكون كان بمعنى صار فمعنى قوله كنتم
 اى صرتم خیرامة فاما المحاسبون بهذا من هم ففيه خلاف قال ابن عباس في قوله كنتم
 خير امة هم الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن جرير عن عرين
 الخطاب قال لو شاء الله تعالى لقال انتم فكساكم ولكن في خاصة من اصحاب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ومن صنع مثل ما صنعتكم كانوا خير امة اخرجت للناس تأمرون
 بالمعروف وتنهون عن المنكر وقال الضحاك هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى
 به كانوا هم الرواة الدعاة الذين امر الله عز وجل المسلمين باتباعهم وطاعتهم (ق) عن
 عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم
 ثم الذين يلونهم قال عمران فلا ادري اذكر بعد قرنه قرين او ثلاثة ثم ان بعدهم قوما
 يشهدون ولا يشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن زاد
 في رواية ويخلفون ولا يستخفون (ق) عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يحيى قوم تسبق شهادة احدهم يمينه
 ويمينه شهادته قوله خير الناس قرني يعني اصحابي والقرن اهل كل زمان مأخوذ من الاقتران
 فكأنه الزمان الذي يقترن فيه اهل ذلك الزمان في اعمارهم واحوالهم وقيل القرن اربعون
 سنة وقيل ثمانون وقيل مائة سنة (ق) عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم لا تسبوا اصحابي فلو ان احدا اتفق مثل احد ذهب ما بلغ مداحدهم ولا نضيفه الصيف
 النصف وقال ابن عباس في رواية عطاء في قوله كنتم خیرامة هم امة محمد صلى الله عليه وسلم قال
 الزجاج قوله كنتم خیرامة الخطاب فيه مع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه عام في
 كل الامة ونظيره قوله كتب عليكم الصيام كتب عليكم القصاص فان كل ذلك خطاب مع
 الحاضرين بحسب اللفظ ولكنه عام في حق الكل كذا همنا عن جزيين حكيم عن ابيه عن جده
 انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله تعالى كنتم خیرامة اخرجت للناس قال انتم
 تنون سبعين امة انتم خيرها واكرمها على الله تعالى اخرجته الترمذي وقال حديث حسن
 واصل الامة الجماعة المجتمعة على الشيء وامة محمد صلى الله عليه وسلم هم الجماعة الموصوفون
 بالايمان بالله عز وجل وبمحمد صلى الله عليه وسلم (خ) عن ابي هريرة قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم كل امتي يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن ابى قال من اطاعني دخل
 الجنة ومن عصاني فقد ابى عن ابن عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يجمع

ما يقوم حتى يسيروا
 ما بأنفسهم ولا يميلوا الى
 الدنيا وزخرفها ولا يذموا
 عن الحق ولا يبيعوه بالدنيا
 والآخرة ويكون عقوبة
 عاجلة للبعض فيتمصوا عن
 ذنوبهم وينالوا درجة الشهادة
 برفع الجلب خصو صاحب
 محبة النفس فيلقوا
 الله طاهرين ولهذا قال
 ولقد عفا عنكم اذا ابتلاء

امتى اوقال امه محمد صلى الله عليه وسلم على ضلالة ويد الله على الجماعة ومن شذ شذ في النار
 اخرج به الترمذى عن ابى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امتى امة مرحومة
 ليس عليها عذاب في الآخرة عذابها في الدنيا القتل والزلازل والقتل اخرج به ابو داود عن
 انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل امتى كمثل المطر لا يدرى آخره خير ام اوله
 اخرج به الترمذى وله عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اهل الجنة عشرون
 ومائة صف ثمانون منها من هذه الامة واربعون من سائر الامم وله عن ابن عمر قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم باب امتى الذى يدخلون منه الجنة عرضة مسيرة الراكب الممرع
 المجد ثلاثا انهم يتضاغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول قال الترمذى سألت محمد بن يعقوب
 عن هذا الحديث فلم يعرفه وقال لخالد بن ابى بكر مناكير عن سالم بن عبد الله زاد غيره في
 الحديث وهم شركاء الناس في سائر الابواب عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم من امتى من يشفع في القنات من الناس ومنهم من يشفع في القبيلة ومنهم من
 يشفع للعصبة ومنهم من يشفع لواحد اخرج به الترمذى (خ) عن سهل بن سعد قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدخلن الجنة من امتى سبعون الفا وسبعمائة الف سباطين
 مما سكن آخذ بعضهم بعض حتى يدخل اولهم وآخرهم الجنة وجوههم على صورة القمر
 ليلة البدر عن ابى امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعدنى ربى ان يدخل
 من امتى الجنة سبعون الفا لاحساب عليهم ولا عذاب ومع كل الف سبعون الفا وثلاث حثيات
 من حثيات ربى اخرج به الترمذى وروى البغوى باسناد الثعلبى عن عمر بن الخطاب عن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم قال ان الجنة حُرمت على الانبياء كلهم حتى ادخلها وحرمت على
 الامم حتى تدخلها امتى * وقوله تعالى (اخرجت للناس) معناه كنتم خيرا لامم المخرجة
 للناس في جميع الاعصار ومعنى اخرجت اظهرت للناس حتى تميزت وعرفت وقيل معناه
 كنتم للناس خيرا اخرجت (خ) عن ابى هريرة قال كنتم خيرا امة اخرجت للناس قال
 خيرا للناس للناس تأتون بهم في السلاسل في اعناقهم حتى يدخلوا في الاسلام وقبل اخرجت
 صلة والتقدير كنتم خيرا امة للناس وقيل معناه ما اخرج للناس امة خير من امة محمد صلى الله
 عليه وسلم (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) هذا كلام مستأنف والمقصود منه بيان
 علة تلك الخيرية وكونهم خيرا امة كما تقول زيد كريم يعلم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم
 والمعروف هو الوحيد والمنكر هو الشرك والمعنى تأمرون الناس بقول لا اله الا الله وتنهونهم
 عن الشرك (وتؤمنون بالله) اى وتصدقون بالله وتخلصونه له التوحيد والعبادة فان
 قلت لم قدم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على الايمان بالله في الذكر مع ان الايمان يلزم
 ان يكون مقدما على كل الطاعات والعبادات قلت الايمان بالله امر يشترك فيه جميع الامم
 المؤمنة وانما فضلت هذه الامة الاسلامية بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر على سائر الامم
 واذا كان كذلك كان المؤثر في هذه الخيرية هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واما الايمان
 بالله فهو شرط في هذا الحكم لانه ما لم يوجد الايمان لم يصبر شئ من الطاعات مقبولا فثبت
 ان الموجب لهذه الخيرية لهذه الامة هو كونهم آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر فلهذا

كان سبب العفو (فأنا بكم غما
 بكم) اى صرفكم عنهم فجاءكم
 غما بسبب غم لحق رسول الله
 من جهنكم بعضا نكم اياه
 وفشلكم وتارهم او غابعد
 غم اى غما مضاعفا لتتروا
 بالصبر على الشدائد والثبات
 فيها وتعودوا رؤية الغلبة
 والظفر والفتنة وجب
 الاشياء من الله لا من انفسكم
 فلا لكم لا تحزنوا على ما

السبب حسن تقدم ذكر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على ذكر الايمان * وقوله تعالى (ولو آمن اهل الكتاب) يعني ولو آمن اليهود والنصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالدين الذي جاء به (لكان خير لهم) يعني بما هم عليه من اليهودية والنصرانية وانما جعلهم على ذلك حب الرياسة واستتباع العوام ولو انهم آمنوا لحصلت لهم الرياسة في الدنيا والثواب العظيم في الآخرة وهو دخول الجنة (منهم) يعني من اهل الكتاب (المؤمنون) يعني عدا الله بن سلام واصحابه الذين اسلموا من اليهود والنجاشي واصحابه الذين اسلموا من النصارى (واكثرهم الفاسقون) اي المتحذرون في الكفر وقيل ان الكافر قد يكون عدلا في دينه وهؤلاء مع كثرتهم فاسقون * قوله عز وجل (لن يضروكم الا اذى) سبب نزول هذه الآية ان رؤساء اليهود عدوا الى من آمن منهم مثل عبدالله بن سلام واصحابه فآذوهم لاسلامهم فانزل الله تعالى لن يضروكم الا اذى يعني لن يضركم اي المؤمنون هؤلاء اليهود الا اذى يعني باللسان من طعنهم في دينكم او تهديد او القاء شبهة وتشكيك في القلوب وكل ذلك يوجب الاذى والنم (وان يقاتلوكم يولوكم الادبار) يعني منكم من محذولين (ثم لا ينصرون) يعني لا يكون لهم النصر عليكم بل تصرون عليهم وفيه نسبت لمن اسلم من اهل الكتاب لانهم كانوا يؤذونهم بالقول ويهددونهم ويوحونهم فاعلمهم الله تعالى انهم لا يقدر ان يجاوزوا الاذى بالقول الى غيره من الضرر ثم وعدهم القلبة والانتقام منهم وان عاقبتهم الخذلان والذل فقال تعالى (ضربت عليهم الذلة) يعني جعلت الذلة ملصقة بهم كالشيء يضرب على الشيء فيلتصق به والمراد بالذلة قتلهم وسيبهم وغيبة اموالهم وقيل الذلة ضرب الجزية عليهم لانها ذلة وصغار وقيل ذلتهم انك لا ترى في اليهود ملكا قاهرا ولا رئيسا معتبرا بل هم مستضعفون في جميع البلاد (ايما ثقوا) اي حثما وجدوا وصودفوا (الابجل من الله) يعني الابهى من الله وهو ان اسلموا فنزل عنهم الذلة (وحل من الناس) يعني المؤمنين ببذل الجزية والمعنى ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس وهو ذمة الله وعهده وذمة المسلمين وعهده لا عز لهم الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة لما قبلوه من بذل الجزية وانما سمي العهد جبلا لانه سبب يوصل الى الامن وزوال الخوف (وباؤا بغضب من الله) يعني رجعوا بغضب من الله واستوجبوه وقيل اصله من البواء وهو المكان والمعنى انهم مكثوا في غضب من الله وحلوا فيه (وضربت عليهم المسكنة) يعني كما يضرب البيت على اهله فهم ساكنون في المسكنة غير خارجين منها قال الحسن المسكنة هي الجزية وذلك لان الله تعالى اخرج المسكنة عن الاستثناء وذلك يدل على انها باقية عليهم والباقي عليهم هو الجزية فدل على ان المسكنة هي الجزية وقيل المراد بالمسكنة هو ان اليهودي يظهر من نفسه الفقر وان كان غنيا موسرا (ذلك) اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبؤ بالغضب اي بسبب انهم (كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء خير حتى ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) اي ذلك الذي نزل بهم بسبب عصيانهم الله عز وجل وتهديتهم لحدوده فنزل بهم ما نزل * قوله عز وجل (ليسوا سواء) قال ابن عباس لما اسلم عبدالله بن سلام واصحابه قالت احبار اليهود ما آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم الا شرارنا ولولا ذلك ماتركوا دين آبائهم فانزل الله تعالى هذه الآية وفي قوله ليسوا سواء قولان

فاتكم) من الحظوظ والمنافع (ولاما اصابكم والله خبير بما تعملون) من التمسوا والمضار (ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة ناعسا يغشى طائفة منكم وطائفة) خلى عنكم الغم بالامن والقاء النعاس على الطائفة الصادقين دون الماقيين الذين (قد اهنتهم انفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل

أحدهما أنه كلام تام يوقف عليه والمعنى أن أهل الكتاب الذين سبق ذكرهم منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون ليسوا سواء وقيل مناه لا يستوى اليهود وامة محمد صلى الله عليه وسلم القائمة بأمر الله الثابتة على الحق والقول الثاني أن قوله ليسوا سواء متعلق بما بعده ولا يوقف عليه * وقوله (من أهل الكتاب امة قائمة) فيه اختصار واضمار والتقدير ليسوا سواء من أهل الكتاب امة قائمة ومنهم امة مذبذومة غير قائمة فترك ذكر الامة الاخرى اكتفاء بذكر احد الفريقين وهذا على مذهب العرب أن ذكر احد الضدين يفنى عن ذكر الآخر قال ابو ذؤيب

دعاني اليها القلب انى امرؤها * مطيع فلا ادري ارشد طلبها

اراد أن غير رشد فاكنتى بذكر احد الرشدتين دون الآخر وقال الزجاج لاجابة الى اختصار الامة المذبذومة لانه قد جرى ذكر أهل الكتاب بقوله كانوا يكفرون بآيات الله ويتلون الانبياء بغير حق فاعلم الله أن منهم امة قائمة فلاحاجة بنا الى أن نقول وامة غير قائمة وانما ابتدأ بذكر فعل الاكثر منهم وهو الكفر والمشاقة ثم ذكر من كان مبائنا لهم في فعلهم فقال ليسوا سواء من أهل الكتاب امة قائمة قال ابن عباس قائمة اى هدية قائمة على أمر الله تعالى لم يضيعوه ولم يتركوه وقيل قائمة اى عادلة وقيل قائمة على كتاب الله عز وجل وحدوده وقيل قائمة فى الصلاة (يتلون آيات الله) اى يقرؤن كتاب الله عز وجل (آناه اليل) يعنى ساعاته (وهم يمجدون) يعنى يصلون عبر بالسجود عن الصلاة لان التلاوة لا تكون فى السجود وقيل هى صلاة التهجد بالليل وقيل هى صلاة العشاء لان اليهود لا يصلونها وقيل يحتمل أنه اراد بالسجود والخضوع والخشوع لان العرب تسمى الخشوع سجدوا وقال عطاء فى قوله تعالى ليسوا سواء من أهل الكتاب امة قائمة يريد اربعين رجلا من أهل نجران من العرب واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه الصلاة والسلام وصدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وآمنوا به وكان عدة نفر من الانصار منهم اسعد بن زرارة البراء بن معمر ومحمد بن مسلمة وابوقيس صرمة بن انس كانوا قبل الاسلام وحدين يشتغلون من الحياطة ويقومون بما عرفوا من شرائع الحنيفية حتى جاءهم الله عز وجل بالنبى صلى الله عليه وسلم فآمنوا به وصدقوه ثم وصفهم الله تعالى بصفات ما كانت فى اليهود فقال (يؤمنون بالله واليوم الآخر) وذلك لان ايمان أهل الكتاب فيه شرك ويصفون اليوم الآخر بشئ ما يصفه المؤمنون وقيل ان الايمان بالله يستلزم الايمان بجميع انبيائه ورسله واليهود يؤمنون ببعض الانبياء ويكفرون ببعض والايمان باليوم الآخر يستلزم الحذر من فعل المعاصى واليهود لا يحترزون منها فلم يحصل الايمان الخالص بالله واليوم الآخر (ويأمرؤن بالمعروف وينهون عن المنكر) يعنى غير مداهنين كما يداهن اليهود بعضهم بعضا وقيل يأمرؤن بالمعروف يعنى بتوحيد الله تعالى والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وينهون عن المنكر يعنى عن الشرك وعن كتم صفته محمد صلى الله عليه وسلم (ويسارعون فى الخير) اى يبادرون اليها خوفاً للقوت وذلك ان من رغب فى امر سارع اليه وقام به غير متوان عنه وقيل يسارعون فى الخير غير متشاكين ولا كسالى (واوتك) اشارة الى الموصوفين بما وصفوا به (من الصالحين) اى من جملة الصالحين الذين صلحت

لأمن الامر من شئ قل ان الامر كله لله يخفون فى انفسهم ما لا يدون لك يقولون لو كان لنا من الامر شئ ماقتلناهم قل لو كنتم فى بؤنسكم لانفس الرسول والذين وافقوا علامه للمفوق لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم لقوله ما اصاب من مصيبة فى الارض ولا فى انفسكم الا

احوالهم عند الله عز وجل ورضى عنهم واستحقوا ثناءه عليهم وذلك لان الصلاح ضد الفساد
فاذا حصل الصلاح للانسان فقد حصل له اعلى الدرجات واكل المقامات وقيل يحتمل ان يراد
بالصالحون المسلمون والمعنى واولئك الذين تقدم وصفهم من جلة المسلمين * قوله عز وجل (وما
يفعلوا من خير فلن يكفروه) قرئ بالياء لان الكلام متصل بما قبله من ذكر مؤمنى اهل
الكتاب وذلك ان اليهود لما قالوا لعبد الله بن سلام واصحابه انكم خسرتم بسبب هذا الدين
الذى دخلتم فيه فاخبر الله تعالى انهم فازوا بالدرجات العلى وما فعلوه من خير يحازيهم به ولا
يمنع من خصوص السبب عموم الحكم فيدخل فيه كل فاعل للغير وقرئ بالياء على انه ابتداء
كلام وهو خطاب لجميع المؤمنين ويدخل فيه مؤمنوا اهل الكتاب ايضا ومعنى الآية وما تفعلوا من
خير اي المؤمنون فلن تكفروه اي فلن تعدموا ثوابه ولن تحرموه او تمنعوه بل يشكركم لكم
ويجازيكم به (والله عليم بالمتقين) فيه بشارة للمتقين بميزيل التواب ودلالة على انه لا ينفوز
عنده الا اهل الايمان والتقوى * قوله عز وجل (ان الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم
ولا اولادهم من الله شيئا) قال ابن عباس يريد بنى قريظة والضير وذلك ان رؤساء اليهود
مالوا الى تحصيل الاموال في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كان مقصودهم معاداة
تحصيل الرياسة والاموال فقال الله عز وجل لن تغنى عنهم اموالهم وقيل نزلت في شرك تريض
فان ابا جهل كان كثير الافتقار بالاموال وانفق ابوسفيان مالا كثيرا في يومى بدر واحدى
المشركين وقيل ان الآية عامة في جميع الكفار لان اللفظ عام ولا دليل يوجب التخصيص فوجب
اجراء اللفظ على عومه ومعنى الآية ان الذين كفروا لن تغنى اي تدفع عنهم اموالهم بالقديرة لو
اخذوا بها من عذاب الله ولا اولادهم بالنصر وانما خص الاموال والاولاد بالذكر لان
الانسان يدفع من نفسه تارة بالقضاء بالمال وتارة بالاستعانة بالاولاد فاعلم الله تعالى ان الكافر لا ينفقه
شيئا من ذلك في الآخرة ولا يخلص له من عذاب الله وهو قوله (واولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون) لا يخرجون منها ولا ينفقونها قوله عز وجل (مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا)
قيل اراد نفقة ابى سفيان واصحابه بدر واحد في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل
اراد نفقة اليهود على علمهم ورؤسائهم وقيل اراد نفقات جميع الكفار وصدقاتهم في الدنيا وقيل
اراد نفقة المرائى الذى لا يريد بما ينفق وجهه الله تعالى وذلك لان انفاقهم المالى اما ان يكون
لمنافع الدنيا وللمنافع الآخرة فان كان لمنافع الدنيا لم يبق له اثر في الآخرة في حق المسلم فضلا
عن الكافر وان كان لمنافع الآخرة كمن يتصدق ويميل اعمال البر فان كان كافرا فان الكفر يحبط
جميع اعمال البر فلا ينفع بما انفق في الدنيا لاجل الآخرة وكذلك المرائى الذى لا يريد بما انفق
وجهه الله تعالى فانه لا ينفع بنفقته في الآخرة ثم ضرب لذلك الاتفاق مثلا فقال تعالى (كنز ربح
فيهاصر) فيه وجهان احدهما وهو قول اكثر المفسرين واهل اللغة ان الصرا البر الشديده
قال ابن عباس وقتادة والسدى وابن زيد الوجه الثانى ان الصرا هو السعوم الحارة التى تقتل
وهو رواية عن ابن عباس وبه قال ابن الانبارى من اهل اللغة وعلى الوجهين فالتشبيه صحيح
والقصود منه حاصل لانها سواء كان فيها برد فنى مهلكة او حرفى مهلكة ايضا (اصابت)
يعنى الريح التى فيها صرا (حرث قوم) اي زرع قوم (ظلموا انفسهم) يعنى بالكنز والمناصى

في كتاب من قبل ان نراها
(وليطلب الله ما في صدوركم)
اي وليمنن ما في استعدادكم
من الصدق والاخلاص
واليقين والصبر والتوكل
والجود وجميع الاخلاق
والمقامات ويخرجها من
القوة الى الفعل (وليحصن
ما في قلوبكم والله عليم بذات
الصدور) اي وليخلص ما
برز منها من مكنى الصدر

ومنع حق الله فيه (فاهلكته) يعنى فاهلكت الريج الزرع ومعنى الآية مثل نفقات الكفار في ذهابها وقت الحاجة اليها كمثل زرع اصابته ريج باردة فاهلكته او نار فاحرقته فلم ينتفع به اصحابه فان قلت الغرض تشبيه ما انفقوا وابطال ثوابه وعدم الانتفاع به بالحرث الذى هلك بالريج فكيف شبهه بالريج المهلكة للحرث قلت هو من التشبيه المركب وهو ما حصلت فيه المشابهة بين ما هو المقصود من الجملتين وان لم تحصل المشابهة بين اجزاء الجملتين فعل هذا زال الاشكال ومن التشبيه ما حصلت فيه المشابهة بين المقصود من الجملتين وبين اجزاء كل واحدة منهما فان جعلنا هذا المثل من هذا القسم ففيه وجهان احدهما ان يكون التقدير مثل الكفر في اهلاك ما ينفقون كمثل الريج المهلكة للحرث الوجه الثانى مثل ما ينفقون كمثل مهلك الريج وهو الحرث والمقصود من ضرب هذا المثل هو تشبيه ما ينفقون بشئ يذهب بالكلية ولا يبقى منه شئ وقوله تعالى (وما ظلمهم الله) يعنى بان لم يقبل نفقاتهم (ولكن انفسهم يظنون) يعنى انهم عصوا الله فاستحقوا عقابه فابطس نفقاتهم واهلك حرثهم وقبل ظلموا انفسهم حيث لم يأتوا بنفقاتهم مستحقين للقبول * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة) الآية قال ابن عباس كان رجال من المسلمين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصداقة والحلف والجوار والرضاع فانزل الله عز وجل هذه الآية ونهاهم عن مبايعتهم خوف التثنية عليهم ويدل على صحة هذا القول ان الآيات المتقدمة فيها ذكر اليهود فتكون هذه الآية كذلك وقيل كان قوم من المؤمنين يصافون المنافقين ويفشون اليهم الاسرار ويطلعونهم على الاحوال الخفية فنهاهم الله عن ذلك وجدة هذا القول ان الله ذكر في سياق هذه الآية قوله واذ قالواكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وهذه صفة المنافقين لاصفة اليهود وقيل المراد بهذه جميع اصناف الكفار ويدل على صحة هذا القول معنى الآية لان الله تعالى قال لا تتخذوا بطانة من دونكم فنع المؤمنين ان يتخذوا بطانة من دون المؤمنين فيكون ذلك نهيًا عن جميع الكفار والبطانة خاصة الرجل المطاع على سره واشتقاقه من بطانة الثوب بدلالة قولهم لبست فلانا اذا اختصصته ويقال فلان شعارى ودثارى والشعار الذى بلى الجسد وكذلك البطانة والحاصل ان الذى يخصه الانسان بمزيد القرب يسمى بطانة لانه يستبطن امره ويطلع منه على ما لا يطلع عليه غيره (من دونكم) قيل من صلة زائدة والتقدير لا تتخذوا بطانة دونكم وقيل من للتبيين اى لا تتخذوا بطانة من دون اهل ملتكم والمعنى لا تتخذوا اولياء ولا اصدقاء من غير اهل ملتكم ثم بين سبحانه وتعالى علة النهى عن مبايعتهم فقال تعالى (لا يألونكم خبالا) يعنى لا يقصرون ولا يتركون جهدهم فيما يورثكم الشر والفساد وهو الخبال لان اصل الخبال الفساد والضرر الذى يلحق الانسان فيورثه نقصان العقل (ودوا ما عنتم) اى يودون هتككم وهو ما يشق عليكم من الضرر والشر والهلاك والعنت المشقة (قد بدت البغضاء من افواههم) اى ظهرت العداوة من افواههم بالشيعة والوقعة بين المسلمين وقبل هو اطلاق المشركين على اسرار المؤمنين (وما تخفى صدورهم) يعنى من العداوة والغيب (اكبر) اى اعظم مما يظهرونه (قد بينا لكم الآيات) يعنى الدالة على وجوب الاخلاص في الدين من موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين (ان كنتم تعلمون)

الى مخزن القلب من عثرات
وساوس الشيطان ودناءة
الاحوال وخوار النفس
فعل ذلك فان البلاء سوط
من سيط الله بسوق به عباده
اليه بتصفيتهم عن صفات
نفوسهم وانظار ما فيهم من
الكملات وانقطاعهم عنده
من الخلق ومن النفس الى
الحق ولهذا كان متوكلا
بالانبياء ثم الاولياء وقال

ما بين لكم فتستولون به * قوله تعالى (هاتم) هاتم كناية للمخاطبين من الذكور
 (اولاء) اسم للشار اليهم في قوله (تحبونهم) والمعنى انتم ايها المؤمنون تحبون هؤلاء اليهود
 الذين نيتكم عن مباطنتهم للاسباب التي بينكم وبينهم من القرابة والرضاع والمصاهرة والخلف
 (ولا يحبونكم) يعني اليهود لا يحبونكم وبينهم من المخالفة في الدين وقيل تحبونهم يعني تريدون لهم
 الاسلام وهو خير الاشياء ولا يحبونكم لانهم يريدون لكم الكفر وهو شر الاشياء لان فيه هلاك
 الابد وقيل هم المنافقون تحبونهم لما اظهروا من الايمان وانتم لاتعلمون ما في قلوبهم ولا يحبونكم
 لان الكفر ثابت في قلوبهم وقيل تحبونهم وذلك بان تشعروا اليهم اسراركم ولا يحبونكم اي لا يفعلون
 مثل ذلك معكم (وتؤمنون بالكتاب كله) يعني وهم لا يؤمنون واتخاذ كرا الكتاب بلفظ
 الواحد والمراد به الجمع لانه ذهب به الى الجنس كقوله كثر الدرهم في ايدي الناس والمعنى انكم
 تؤمنون بالكتاب كلها وهم لا يؤمنون بشئ من كتابكم (واذا لقوكم قالوا آمنا) يعني ان
 الذين وصفهم في هذه الآية بهذه الصفات اذا لقوا المؤمنين قالوا آمنا كما ياتكم وصدقوا
 كتصديقكم وهذه صفة المنافقين وقيل هم اليهود (واذا خلوا) اي خلا بعضهم الى بعض
 (عضوا عليكم الانامل من الغيظ) الانامل جمع انملة وهي طرف الاصبع والمعنى انه اذا
 خلا بعضهم بعض اظهروا العداوة وشدة الغيظ على المؤمنين لما يرون من اثنائهم واجتماع
 كلمتهم وصلاح ذات بينهم وعض الانامل عبارة عن شدة الغيظ وهذا من مجاز الامثال وان
 لم يكن هناك عض كما يقال عض يده من الغيظ والغضب (قل موتوا بغيظكم) هذا دعاء عليهم ان
 يزداد غيظهم حتى يهلكوا به وذلك لما يرون من قوة الاسلام وعزة اهله وماله في ذلك
 من الذل والخزي والمعنى ابقوا الى الممات بغيظكم (ان الله عليم بذات الصدور) يعني به
 الخواطر القائمة بالقلب والدواعي والصوارف الموحودة فيه وهي لكونها حالة في اقاب
 متنسبة اليه كشيء منها بذوات الصدور والمعنى انه تعالى عالم بكل ما يحصل في قلوبكم من
 الخواطر فاخبرهم انه عليم بما يسرونه من عض الانامل غيظا اذا خلوا وانه عليم بما هو
 اخفى منه وهو يسرونه في قلوبهم * قوله عروجي (ان تمسكتم) اي تصبكم ايها المؤمنون
 واصل المس باليد ثم يسمى كل ما يصل الى شئ ماساله على سبيل التشبيه كما يقال مسه نصبت
 وتعب اي اصابه (حسنة) المراد بالحسنة هاهنا نفع الدنيا مثل ظهوركم على عدوكم واسباغكم
 غنيمتهم منهم وتابع الناس في الدخول في دينكم وخصب في معاشكم (تسؤهم) اي تحزنهم
 وتغمهم بالسوء ضد الحسنى (وان تصبكم سيئة) اي مساة من اخفاق سرية لكم او اصابة
 عدو منكم او اختلاف يقع بينكم او غدر ونكبة ومكره يصيبكم (يفرحوا بها) اي بما
 اصابكم من ذلك المكروه (وان تصبروا) يعني على اذاهم وقيل ان تصبروا على طاعة
 الله وما بنا لكم فيها من شدة (وتنفوا) اي تخافوا ربكم وقيل وتنفوا ملناكم عنه وتوكلوا
 عليه (لا يضركم) اي لا ينقصكم (كيدهم) اي عداوتهم ومكرهم (شيئا) اي لانكم في
 نهاية الله وحفظه (ان الله بما يعملون) قرئ بالياء على التثنية والمعنى انه عالم بما يعملون
 من عداوتكم واذاكم فيعاقبهم عليه وقرئ بالتاء على خطاب الحاضر والمعنى انه عالم بما
 تعملون ايها المؤمنون من الصبر والتقوى فيجازيكم عليه (محيط) اي عالم بجميع ذلك

رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بيانا لفضله ما وصى نبي مثل
 ما وصى كانه قال ما صفي
 نبي مثل ما صفت ولقد
 احسن من قال
 لله در النبايات فانها *
 صدق الامام وصيقل الاحرار *
 اذ لا يظهر على كل منهم الا ما
 في مكنى استعداده كما قيل
 عند الامتحان يكرم الرجل
 او يهان (ان الذين تولوا منكم

حافظ لا يهرب عنه شيء منه * قوله عز وجل (واذا غدوت من اهلك نبوي المؤمنين مقاعد للقتال) قال بجهود المفسرين ان هذا كان في يوم احد وهو قول عبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وابن عباس والزهري وقادة السدي والريبيعي وابن اسحق وقال الحسن ومجاهد ومقاتل انه يوم الاحزاب ونقل عن الحسن ايضا انه يوم بدر قال ابن جرير الطبري الاول اصح لقوله تعالى اذ همت طائفتان منكم ان تقتلا وقد اتفق العلماء ان ذلك كان يوم احد قال مجاهد والكلبي والواقدي غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل عائشة فثبي على رجله الى احد فجعل يصف اصحابه للقتال كما يقوم القدرح قال محمد بن اسحق والسدي من رجالهما ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنزولهم استشار اصحابه ودعا عبدالله بن ابي ابن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبدالله بن ابي واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصابنا منه فكيف وانت فيا فدعهم يا رسول الله فان اقاموا اقاموا وبشر مجلس وان دخلوا قاتلتهم الرجال في وجوههم ورامهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا رجعوا خائبين فاجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الرأي وقال بعض اصحابه يا رسول الله اخرجنا الى هذه الاكلب لئلا يروا انا جبا عنهم وضعفوا وخفوا فهاهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني قد رايت في سامي بقرا فاوتما خيرا ورايت في ذباب سبني ثلثا فاوتها هزيمة ورايت اني ادخلت يدي في درع حصينة فاوتها المدينة فان رايتهم ان تقبوا بالمدينة وتدعوهم فان اقاموا اقاموا بشر وان دخلوا غلبت المدينة قاتلتهم فيا فوالله صلى الله عليه وسلم يجبه ان يدخلوا عليه المدينة فيقاتلهم في الازقة فقال رجال من المسلمين ممن قاتلهم يوم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا فلم نزلوا برسول الله صلى الله عليه وسلم من جبههم لقاء القوم حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزله ولبس لامته نارا وهدم قدليس السلاح ندموا وقالوا بئس ما صنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي ياتيه ففاهوا واعتذروا اليه وقالوا يا رسول الله اصنع ما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لسي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل وكان قد قام المشركون بأحد يوم الاربعاء والحميس وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة بعدما صلى باصحابه الجمعة وكان قد مات في ذلك اليوم رجل من الانصار فصرى عليه ثم خرج عليهم فاصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة وقبل كان نزوله في جانب الوادي وجعل ظهروا واصحابه الى احد واصر عبدالله بن جبير على الرماة وقال ادفعوا عنا بائيل حتى لا يأتونا من ورائنا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اثبتوا في هذا المقام فاذا جانيكم ولوا الادبار فلا تطلبوا المدبرين ولا تخرجوا من هذا المقام ولما خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم راى عبدالله بن ابي ابن سلول شق عليه ذلك وقال لاصحابه اطاع الولدان وعصاني ثم قال لاصحابه ان محمدا انما يظفر بعدوكم وقد وعد اصحابه ان اعداءهم اذا جانيهم انهم انهم اذا جانيهم اعداءهم فلنهمزوا انهم فيتمو نكم فيصير الامر الى خلاف ما فاته محمد لاصحابه فلما اتى الجمعان وكان عسكر المسلمين الفا وكان المشركون ثلاثة آلاف انخزل عبدالله بن ابي ابن سلول بثلاثة من اصحابه من المناقبين وبقى مع رسول الله صلى الله

يوم اتى الجمعان انما استزلهم الشيطان) اى طلب منهم الزلة ودعاهم اليها وهى الزلة التولى (بعض ما كبوا) من الذنوب فان الشيطان انما يقدر على وسوسة اللباس وانفاذ امره اذا كان له مجال بسبب ادنى غلبة في القلب حادثة من ذنب وحركة من النفس كما قيل الذنب بعد الذنب

عليه وسلم نحو سبعمائة من اصحابه فقواهم الله تعالى وثبتهم حتى هزموا المشركين فلما رأى
المؤمنون انهزام المشركين طعموا في ان تكون هذه الوقعة كوقعة بدر فطلبوا المدبرين وخالفوا
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد الله ان يقطعهم عن هذا الفعل لئلا يقدموا على مثله
من مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعلموا ان ظفرهم يوم بدر انما كان يركب طاعة الله
وطاعة رسوله ثم ان الله تعالى نزح الرعب من قلوب المشركين فكروا راجعين على المسلمين
فانهمز المسلمون وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم في جساعة من اصحابه منهم ابوبكر و
والعباس وطهمة وسعد وكميت رابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشيخ وجهه يومئذ كان
من امر غزوة احد ما كان ذلك قوله تعالى واذ غدت من اهلك اى واذا غدت من اهلك
يعنى من منزل عائشة ففيه منقبة عظيمة لعائشة رضى الله عنها لقوله من اهلك فنص الله تعالى على
انها من اهل تبوى المؤمنين اى تنزل المؤمنين مقاعد للقتال اى مواضع ومواطن للقتال وقيل
تخذ عسكرا للقتال (والله سميع) يعنى لا تقول لكم (عليه) يعنى بنياتكم وما فى ضمركم * قوله
عز وجل (اذ همت طائفتان منكم ان تقتلا) اى تجبنا وتضعنا عن القتال والطائفتان بنسبة
من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحى العسكر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم خرج الى احد فى الف رجل وقيل فى تسعمائة وخسين رجلا وكان المشركون ثلاثة آلاف
رجل فلابلغوا الشوط انخذل عبدالله بن ابي ثاث الباس ورجع فى ثلثمائة وقال علام نقتل
انفسنا واولادنا فتبسم ابوجابر السلمي وقال انشدكم الله فى نبيكم وانفسكم فقال عبدالله بن ابي
لونهلم قتالا لا تبصركم وهمت الطائفتان بالانصراف مع عبدالله بن ابي فقصهم الله فثبتوا وعضوا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس اضربوا ان رجعا فغزم الله لهم على الرشد
فثبتوا فذكرهم الله عظيم نعمته عليهم فقال اذ همت طائفتان منكم ان تقتلا (والله وليهما)
اى ناصرهما وحافظهما ومتولى امرهما بالتوفيق والعصمة فان قلت الهم الغزم على فعل الشئ
والآية تدل على ان الطائفتين قد غزمتا على افشل وترك القتال وذلك معصية فكيف
مدحهما الله تعالى بقوله والله وليهما قلت الهم قد يراد به العزم وقد يراد به حديث النفس هناولى
والله تعالى لا يؤاخذ بحديث النفس وبعضه قول ابن عباس انهم اضربوا ان رجعا فلما غزم الله
لهم على الرشد وثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مدحهم الله تعالى بقوله والله وليهما (ق)
عن جابر قال نزلت فىنا اذ همت طائفتان منكم ان تقتلا والله وليهما قال نحن الطائفتان بنو حارثة
وبنوسيلة وما يبرئني انهما نزل لقول الله والله وليهما ففيه الاستبشار بما حصل لهم من الشرف
العظيم وانزاله فيهم آية تامة مفعمة بان الله وليهم وان تلك الهمة التى هموها ما اخرجتهم من ولاية الله
تعالى * وقوله تعالى (وعلى الله نليتوكل المؤمنون) التوكل تفعل من وكل امره الى غيره اذا
اعتمد عليه فى كفايته والقيام به وقيل التوكل هو الجزم والاعتماد على الغير وقيل هو تفويض
الى الله تعالى ثقة بحسن تدبيره فأمر الله عباده المؤمنين ان لا يتوكلوا الا عليه وان لا يفوضوا
امرهم الا اليه * قوله عز وجل (ولقد نصركم الله بدر) بدر اسم موضع بين مكة والمدينة
معروف وقيل هو اسم لبر هناك وكانت البر لرجل يقال له بدر فسميت به ذكراك المؤمنين
منه عليهم بالنصر يوم بدر (وانما اذلة) جمع ذليل وهو جمع قلة واراد به قلة العدد فان المسلمين

الاول (ولقد هفوا الله عنهم)
بالاعذار والندم (ان الله
غفور حلیم يا أيها الذين
آمنوا لا تكونوا كالذين
كفروا وقالوا لاخوانهم
اذا ضربوا فى الارض
او كانوا غزى لو كانوا
عندنا ما ماتوا وما قتلوا
ليحمل الله ذلك حسرة
فى قلوبهم) اى يحمل ذلك
القول والاعتقاد ضيقا

كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وفي رواية وثلاثة عشر رجلا والمراد بذلتهم ضعف الحال وقلة السلاح
والمركوب والمال وعدم القدرة على مقاومة العدو وذلك انهم خرجوا على نواضح وكانوا الفر
منهم يتقرب على البعير الواحد وكان اكثرهم رجالة ولم يكن معهم الا فرس واحد وكان عدوهم
من كفار قريش في حال الكثرة زهاء الف مقاتل ومعهم مائة فرس وكان معهم السلاح والشوكة
فنصر الله المؤمنين مع قتلهم على عدوهم مع كثرتهم (فاتقوا الله) يعني في الثبات مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم (لعلكم تشكرون) يعني بتقواكم ما انتم به عليكم من نصرته قوله عز وجل
(اذقول للمؤمنين ان يكفكم ان عدكم ربكم ثلاثة آلاف من الملائكة منزليين) اختلف المفسرون
في ان هذا الوعد بانزال الملائكة هل حصل يوم بدر او يوم احد على قولين احدهما انه كان يوم بدر
قال قتادة كان هذا يوم بدر امدهم الله بألف من الملائكة كما قال اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني
مدم بألف من الملائكة مردفين ثم صاروا ثلاثة آلاف كاذكرها (بلى ان تصبروا وتتقوا يأتوكم
من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة) فصرحوا يوم بدر واتقوا فامدهم الله بخمسة
آلاف كما وعد قال ابن عباس لم تقاتل الملائكة في معركة الا يوم بدر وفيما سوى ذلك يشهدون القتال
ولا يقاتلون انما يكونون عددا او مددا وقال الحسن هؤلاء الخمسة آلاف ردة للمؤمنين الى يوم
القيامة وقال الشعبي بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين يوم بدر ان كرز بن جابر المحاربي
يريد ان يمد المشركين فشق ذلك عليهم فانزل الله تعالى ان يكفكم الى قوله مسومين فبلغ
كرزا الهزيمة فرجع ولم يأتهم ولم يمدهم فلم يمدهم الله ايضا بالخمسة آلاف وكانوا قداما وبالف
من الملائكة وفي صحيح البخاري من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
يوم بدر هذا جبريل اخذ براس فرسه عليه اداة الحرب واحتج لهذه القول ايضا بان الله
تعالى قال قبل هذه الآية ولقد نصركم الله بدر وانتم اذلة وظاهر هذا يقتضي ان الله نصرهم
حين قال النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمنين ان يكفكم ان يمدكم ربكم ثلاثة آلاف ولان العدد
والعدد كانت يوم بدر قليلة وكان الاحتياج الى الامداد اكثر القول الثاني ان هذا الوعد
بانزال الملائكة كان يوم احد وهو قول عكرمة والضحاك ومقاتل قال غير بن اسحق لما
كان يوم احد انجلى القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقي سعد بن مالك يرمي
وفتي شاب يتبل له كلسا في البلب اتاه به فثره وقال ارم ابا اسحق ارم ابا اسحق مرتين فلما
انجلى المعركة سئل عن ذلك الرجل فلم يعرف (ق) عن سعد بن ابى وقاص قال رأيت
عن عيين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم احد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان
عنه كاشد القتال ما رايتهما قبل ولا بعد يعني جبريل وميكائيل واحتج لهذه القول بان
المدد كان يوم بدر بالف من الملائكة كما نص عليه في سورة الانفال ولم يكن ثلاثة آلاف
ولا بخمسة آلاف كما هو وايضا ان الكفار كانوا يوم بدر الفا او ما يقرب منهم وسكان
المسلمون على الثلث من ذلك فانهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر فافضل الله يوم بدر الف من
الملائكة في مقابلة عدد الكفار فوقع النصر يومئذ للمسلمين والهزيمة للكفار وكان عدد
المسلمين يوم احد الفا وعدد الكفار ثلاثة آلاف فاسب ان يكون المدد يومئذ للمسلمين
آلاف من الملائكة ليكون ذلك مقابلا لعدد الكفار كما في يوم بدر واجيب عن احتجاج

وضنكا وغما في قلوبهم
لرؤيتهم القتل والموت
مسبا من فعل ولو كانوا
موقنين موحدين لرأوا
انه من الله فكانوا منشر
حي الصدور (والله يحيي)
من يشاء في السفر والجهاد
وغيره (ويميت) من يشاء
في الحضر وغيره (والله
يعملون بصبر ولئن قتلتم
في سبيل الله او تم لمغفرة

الاول لهذا القول بان الله تعالى امدهم يوم بدر بالف كما ذكر في سورة الانفال ثم لما سمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بامداد كرز لكفار قريش شق عليهم وعدوا بان يمدوا بثلاثة آلاف وبخمسة آلاف لتقوى قلوبهم بذلك واجيب عن اثنائي وهو ان الكفار كانوا يوم بدر الفا فانزل الله اتقا وفي يوم احد كانوا ثلاثة آلاف فانزل الله ثلاثة آلاف بان هذا تقرب حسن والله ان يزيد ماشاء في اى وقت شاء ولهذا قال عكرمة في قوله تعالى بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا قال يوم بدر قال ولم يصبروا ويتقوا يوم احد فلم يمدوا ولو امدوا لم يهزموا يومئذ وقيل لم يصبروا ولم يتقوا الا في يوم الاحزاب فامدهم الله بالملائكة حتى حاصروا قريظة (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ووضع السلاح واعتسل اتاه جبريل فقال قد وضعت السلاح والله ما وصعاه اخرج اليهم قال فالى ابن قال ههنا وأشار الى بنى قريظة فخرج البى صلى الله عليه وسلم اليهم (خ) عن انس رضى الله عنه قال كافى انظر الى الفار ساطعا في رفاق بنى عتم موكب حبريل عليه السلام حين سار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بنى قريظة وقال عدالله بن ابي اوفى كنا محاصرين قريظة والنضير ماشاء الله فلم يفتح علينا في جمعنا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسئل رأسه اذ جاءه جبريل عليه السلام فقال اوضعتم اسلحتكم ولم تضع الملائكة اوزارها فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخرقه فلف بها رأسه ولم يفضله ثم نادى فيناقمها حتى اتينا قريظة والنضير فيومئذ امدنا الله بثلاثة آلاف من الملائكة ففتح لنا فتحا يسيرا وقال ابن جرير الطبرى واولى الاقوال بالصواب ان الله تعالى اخبر عن نبيه صلى الله عليه وسلم انه قال للمؤمنين ان يكفيكم ان يمدكم بكم ثلاثة آلاف من الملائكة واعدائهم واتقوا ولادلالة في الآية على اهم امدواهم ولاعلى انهم لم يمدوا بهم فقد يجوز ان الله امدهم وقد يجوز ان لا يكون امدهم ولايت ذلك الابن تقوم به الحاجة في ذلك وقد ثبت بص القرآن انهم امدوا يوم بدر بالف من الملائكة كما في سورة الانفال واما يوم احد فالدلالة على انهم لم يمدوا بهن منها انهم امدوا وذلك انهم لو امدوا لم يهزموا لم يزل منهم ماياي منهم فان قلت فتضع بحديث سعد بن ابي وقاص المتقدم في يوم احد وانه رأى ملكين عن عيين النبي صلى الله عليه وسلم وشماله قلت انما كان ذلك لى صلى الله عليه وسلم خاصة لانه صبر ولا يهزم كما انهزم اصحابه يوم احد واما النفسير فقوله تعالى اذ تقول للمؤمنين فعل قول من قال ان هذا كان يوم بدر فال نظم الآية ولقد نصركم الله بدر وانتم اذلة اذ تقول للمؤمنين ومن قال هذا يوم احد يقول نظم الآية ان الله ذكر قصة احد ثم اتبعه بقوله ولقد نصركم الله بدر وانتم اذلة فكذلك هو قادر ان يصركم في سائر المواطن ثم رجع الى قصة احد فقال تعالى اذ تقول للمؤمنين ان يكفيكم ومعنى الكفاية هو سداخله والقيام بالامر مع بلوغ المراد ان يمدكم بكم الامداد اعانة الجيش فا كان على جهة القوة والاعانة يقال له امد امداد او ما كان على جهة الزيادة يقال فيه مدهدا وقيل المد في الشر والامداد في الخير بثلاثة آلاف من الملائكة من الذين امدوا الله بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويتقوا بصر الله ويعزموا على اشبات بلى تصديق لو عدالله اى بلى نعمكم وقيل بلى ايجاب لما

من الله ورحمة) اى لعبكم
الاخروى من حنة الاصل
وحنة الصفات خير لكم
من الدنيوى لكونكم
عاملين للآخرة و (خير
منما يجمعون ولئن تم
او قتلتم لالى الله تحشرون)
ما كان توحيدكم لحالككم
دما بعد الموت احسن من
حالككم قبله (فما رحمة من
الله) اى فما تصافك رحمة

بعد ان يعنى بكم الامداد بهم فواجب الكفاية ان تصبروا اى على لقاء عدوكم وتحملوا يعنى مصيبة الله ومحالفة نبيه صلى الله عليه وسلم وياثوكم يعنى المشركين من فورهم هذا قال ابن عباس ابتداء الامر يوجد فيه ثم يوصل بالآخر فن قال معنى من فورهم من وجههم اراد ابتداء مخرجهم يوم بدر ومن قال معناه من غضبهم اراد ابتداء غضبهم لقتالهم يوم بدر لانهم رجعوا للحرب يوم احد من غضبهم ليوم بدر ومددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة لم يدخسوا آلاف سوى الثلاثة المتقدمة بل اراد معهم فن قال ان هذا الامداد كان يوم بدر قال ان الله تعالى امدهم بالف فلا سمحوا ان كرز بن جابر المحاربي يريد ان يمد المشركين فشق على المسلمين ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين ان يكفبكم ان يمدكم ربكم الآية على تقدير ان يحبى للمشركين المدد فلا يمدوا لم يمد الله المسلمين بغير الف وروى ابن الجوزى في تفسيره عن جبير بن مطعم عن علي بن ابي طالب قال بينا انا امشع من قليب بدر جاءت ريح شديدة لم ارشد منها ثم جاءت ريح شديدة لم ارشد منها الا التي قبلها ثم جاءت ريح شديدة لم ارشد منها الا التي كانت قبلها فكانت الريح الاولى جبريل نزل في القين من الملائكة وكانوا بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وكانت الريح الثانية ميكائيل نزل في القين من الملائكة وكانوا عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم والريح الثالثة اسرافيل نزل في الف من الملائكة عن يسار رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت عن يساره وهزم الله اعداءه ومن الناس من ضم العدد القليل الى الكثير فقال لان الله تعالى ذكر الالف في سورة الانفال وذكرنا ثلاثة آلاف وخمسة آلاف فيكون المجموع تسعة آلاف وان حلتاه على غزوة احد فيكون المجموع ثمانية آلاف لانه ليس فيها ذكر الالف المفردة (مسووين) قرئ فتح الواو وبكسرهما فن فتح الواو اراد ان الله سوههم ومعناه معلمين قد سوموا فهم مسوون والسومة والسيما العلامة وهذه العلامة يعلمها الفارس يوم اللقاء يعرف بها قال عنزة

فتعرفوني اني انا ذلكم * شاكي سلاح في الحوادث علم

ومن كسر الواو نسب الفعل الى الملائكة والمعنى انهم اعلوا انفسهم بعلامات مخصوصة او اعلوا خيلهم واختلفوا في تلك العلامة فقال عروة بن الزبير كانت الملائكة على خيل باقى وعظيم عائم صفر وقال دلى وابن عباس كان عليهم عائم بيض قد ارسلوها بين اكتافهم وقال هشام بن عروة والكلبي كانت عليهم عائم صفر مرخاة على اكتافهم وقال قتادة والضحاك كانوا قد اعلوا باليمن يعنى بالصوف المصبوغ في نواصي خيلهم واذنبها وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم بدر تسوموا فان الملائكة قد تسومت بالصوف الابيض في قلائسهم ومغارهم ذكره البغوي بغير سند وقيل كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وقيل كانوا قد سوموا انفسهم بسيما القتال * قوله تعالى (وما جعله الله) يعنى هذا الوعد والمدد (الابشرى لكم) يعنى بشارة بانكم تنصرون فتسبشرون به (وتسطنن) اى وتسكن (قلوبكم به) اى فلا تجزع من كثرة عدوكم وقلة عددكم (وما النصر الا من عند الله) يعنى لا تحبلوا النصر على الملائكة والجند وكثرة العدد فان النصر من عند الله لا من عند غيره والغرض ان يكون توكلهم على الله لاهل الملائكة الذين امدوا بهم وفيه تنبيه على الاهراض

رحمية اى رحمة تامة كاملة وافرة هى صفة من جلة صفات الله تابعة لوجودك الموهوب الالهي لا الوجود البشري (لنتلهم ولو كنت فظا) موصوفا بصفات النفس التي منها الانطاطة والغلظ (خليط القلب لا تنفضوا من حوذك) لان الرحمة الالهية الموجبة لحيثهم اياك تجمعهم (فاعف

عن الاسباب والاقبال على مسبب الاسباب (العزيز الحكيم) يعني فاستعينوا به وتوكلوا عليه لان الزم وهو كمال القدرة والقوة والحكم وهو كمال العلم له فلا تخفى عليه مصالح عباده (ليقطع طرفا من الذين كفروا) هذا متعلق بقوله ولقد نصركم الله بيدروا المعنى ان المقصود من نصركم بدر ليقطع طرفا اى يهلك طائفة من الذين كفروا وقيل معناه ليهدم ركنان من اركان الشرك بالقتل والاسر فقبل يوم بدر من قادتهم وساداتهم سبعون وامر سبعون ومن جل الآية على غزوة احد قال قد قتل منهم ستة عشر وكان النصر فيه للمسلمين حتى حالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم (او يكتبهم) اصل الكبت في اللغة صرع الشيء على وجهه والمعنى انه يصصرهم على وجوههم والمراد منه القتل والهزيمة او الاهلاك واللعن والخزى (فينقلبوا حاشين) اى بالخيبة لم ينالوا شيئا من الذى املوه من الظفر بكم بقوله عز وجل (ليس لك من الامر شيء) او يتوب عليهم او يعذبهم) اختلف في سبب نزول هذه الآية فقيل انها نزلت في اهل بئر معونة وهم سبعون رجلا من القراء بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بئر معونة وهى بين مكة وعسفان وارضى هذيل وذلك في صفر سنة اربع من الهجرة على رأس اربعة اشهر من احد بعثهم ليعلموا الناس القرآن والعلم وامر عليهم المذنبين عمرو وقتلهم عامر بن الطفيل فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وقت شهر اى الصلوات كلها يدعو على جماعة من تلك القبائل باللعن (خ) عن ابن عمر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ادا رفع رأسه من الركوع في الركعة الاخيرة من الفجر يقول اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا بعدما يقول سمع الله لمن جده ربنا لك الحمد فانزل الله تعالى عليه ليس لك من الامر شيء الى قوله فانهم ظالمون (ق) عن ابى هريرة قال لما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من الركعة الثانية قال اللهم انح الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعبيد بن ابي ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سين كسنى يوسف زاد في رواية اللهم العن فلانا وفلانا لاجياء من العرب حتى انزل الله تعالى ليس لك من الامر شيء الآية سماهم في رواية يونس اللهم العن رجلا وذكوان وعصبة عصت الله ورسوله قال ثم بلغنا انه ترك ذلك لما انزل الله ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون وقيل انها نزلت يوم احد ثم اختلفوا في سببها فقيل ان عتبة بن ابي وقاص شج وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسر رايته (ق) عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرت رايته وشج في رأسه فبسل الدم معه ويقول كيف يفلح قوم شجبوا نبيهم وكسروا رايته وهو يدعوهم الى الله تعالى فانزل الله تعالى ليس لك من الامر شيء وقيل اراد انى صلى الله عليه وسلم ان يدعو عليهم بالاستئصال فزلت هذه الآية وذلك لانه ان اكثرهم يسلمون وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما وقف صلى عن حجرة ورأى ما صنعوا به من المثلة اراد ان يدعو عليهم فنزلت هذه الآية وقال العلماء وهذه الاشياء كلها محتملة فلا يبعد حل الآية في النزول على كلها ومعنى الآية ليس لك من امر مصالح عبادى شيء الا ما اوحى اليك فان الله تعالى هو مالك امرهم فاما ان يتوب عليهم ويهدم ويهلكهم ويعذبهم ان اصرروا على الكفر وقيل ليس لك

منهم) فيما يتعلق بك من جانيهم لرؤيتك اياه من الله بظن التوحيد وعلو مقامك من التأدى بفعل البشر والغيظ من افعالهم وتنشئ القبط بالانقسام منهم (واستغفر لهم) فيما يتعلق بحق الله لمكان خفتهم وندامتهم واعتذارهم (وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله

مسئلة هلاكهم والدعاء عليهم لانه تعالى اهل بمصالحهم فربما تاب على من يشاء منهم
وقيل معاه ليس لك من امر خلقى شئ الاما وافق امرى اتاانت عبد مبعوث لاناذارهم
ومجاهدتهم وقيل ان قوله اويوب عليهم معطوف على قوله ليقطع طرفا وقوله ليس
لك من الامر شئ كلام معترض بين المعطوف والمعطوف عليه والتقدير ليقطع طرفا من الذين
كفروا اويوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون ليس لك من الامر شئ بل الامر امرى في ذلك
كاه قال بعض العلماء والحكمة في معصية الله عليه وسلم من الدعاء عليهم ولهم ان الله تعالى علم
من حال بعض الكفار انه سيعلم فينوب عليهم او سيبولدهم من بعضهم ولديكون مسارا تقيافا لاجل

هذا المعنى مع الله تعالى من الدعاء عليهم لان دعوته صلى الله عليه وسلم بحجة فلو دعا عليهم بالهلاك
هلكوا جميعا لكن انتفضت حكمة الله وما سبق في علمه انقاءهم ليتوب على بعضهم ويخرج من
بعضهم ذرية صالحة مؤمنة وبها لك بعضهم بالقتل والموت وهو قوله او يعذبهم فيحتمل ان يكون
المراد بعدائهم في الدنيا وهو القتل والاسر وفي الآخرة وهو عذاب النار (فانهم ظالمون) هو

كالتعليل لعذابهم والمعنى انما يعذبهم لانهم ظالمون ثم قال تعالى (والله مافي السموات ومافي الارض)
هدانا كيد لما قبله من قوله ليس لك من الامر شئ والمعنى انما يكون لمن له مافي السموات ومافي
الارض وليس ذلك الا الله تعالى وليس لاحد معه امر (نفقر لمن يشاء) بفضل ورहित (ويعذب
من يشاء) بعدله يحكم فيهم بما يشاء لا بما رعه في حكمه ولا بما رعه في فعله (والله غفور رحيم)
يعنى انه تعالى يستردوب عباده ويفقرها لهم ويرحمهم بترك العقوبة عنهم عاجلا وانما يفضل ذلك على
سبيل التفضل والاحسان الى عباده لاعلى سبيل الوجوب عليه لانه تعالى لو ادخل جميع
حلقه الجنة لكان ذلك برحته ولو ادخل جميع خلقه النار كان ذلك بعدله لكن جانب المغفرة
والرحمة غالب قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة) اراد
به ما كانوا يفعلونه في الجاهلية عند حلول الدين من زيادة المال وتأخير الاجل كان الرجل
في الجاهلية اذا كان له على انسان دين فاذا جاء الاجل ولم يكن للمدين ما يؤدى قاله
صاحب الدين زدنى في المال حتى اريدك في الاجل فربما فعلوا ذلك مرارا فيصير الدين
اضعافا مضاعفة فهي الله عز وجل عن ذلك وحرم اصل الربا ومضاعفته (واتقوا الله)
يعنى في اكل الربا فلا تأكلوه (لعلكم تفقهون) اى لكي تسعدوا بنوابه في الآخرة لان الفلاح
يتوقف على التقوى فلو اكل ولم يتق لم يحصل الفلاح وفيه دليل على ان اكل الربا من الكبائر
ولهذا عقبه بقوله تعالى (واتقوا النار التي اعدت للكافرين) يعنى واتقوا ايها المؤمنون
ان تسخطوا شيئا مما حرم الله فان من اسخط شيئا ما حرم الله فهو كافر بالاجماع ويستحق النار
بذلك قال ابن عباس هذا تهديد للمؤمنين ان يستخطوا ما حرم الله عليهم من الربا وغيره مما
اوجب الله فيه النار قال بعضهم ان هذه الآية اخوف آية في القرآن حيث اوصد الله المؤمنين
بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه ويحذروا محارمه وقال الواحدى في هذه الآية تقوية
لرجاء المؤمنين رحمة من الله تعالى لانه قال اعدت للكافرين فبعضها معدة للكافرين دون
المؤمنين (واطيعوا الله) يعنى فيما امركم به او نهاكم عنه من اكل الربا وغيره (والرسول)
اى واطيعوا الرسول ايضا فان طاعته طاعة الله قال محمد بن اسحق في هذه الآية معاتبه للذين

ان الله يحب المتوكلين)
في امر الحرب وغيره
مراعاة لهم واحترام ولكن
اذا عزمت ففوض الامر
الى الله بالتوكل عليه ورؤية
جميع الاموال والفتح
والصر والصلح بالاصح
والارشاد منه لامتك ولا
تساوره ثم حقق معنى
التوكل والتوحيد في
الافعال بقوله (ان يصرك

فصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد (للكم ترجون) أي لكي ترجوا ولا تمذبوا
 اذنه اطعم الله ورسوله فإن طاعة الله مع مصيبة رسوله ليست بطاعة * قوله عز وجل
 (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم) يعني وبادروا وسابقوا إلى ما يوجب المغفرة من ربكم
 وهي الأعمال الصالحة المأمور بفعلها قال ابن عباس إلى الإسلام ووجهه أن الله تعالى ذكر
 المغفرة على سبيل التكبير والمراد منه المغفرة العظيمة وذلك لا يحصل إلا بسبب الإسلام لأنه
 يجب ما قبله وعن ابن عباس أيضا إلى التوبة لأن التوبة من الذنوب توجب المغفرة وقال علي
 بن أبي طالب إلى أداء القرائن لأن اللفظ مطلق فبم الكل وكذا وجه من قال إلى جميع
 الطاعات وروى عن أنس بن مالك وسعيد بن جبير أنها التكبير الأولى يعني تكبيره الأحرام
 وقيل إلى الإخلاص في الأعمال لأن المقصود من جميع العبادات هو الإخلاص
 وقيل إلى الهجرة وقيل إلى الجهاد (وجنة) أي وسارعوا إلى جنة وإنما فصل
 بين المغفرة والجنة لأن المغفرة هي إزالة العقاب والجنة هي حصول الثواب
 وقيل أشعاره لأنه لا بد من المسارعة إلى التوبة الموجبة للمغفرة وذلك بترك المنيات والمسارة إلى
 الأعمال الصالحة المؤدية إلى الجنة (عرضها) أي عرض الجنة (السموات والأرض) كعرض
 السموات والأرض لأن نفس السموات والأرض ليس عرضا للجنة والمراد سعتها وإنما خص
 العرض للمبالغة لأن الطول في العادة يكون أكثر من العرض يقول هذه صفة عرضها فكيف
 بطولها والمراد وصف الجنة بالسعة والبسط فشبهت بأوسع شيء علمه الناس وذلك أنه لو جعلت
 السموات والأرض طبقة طبقا ثم وصل البعض ببعض حتى يكون طبقا واحدا كان ذلك مثل
 عرض الجنة فاما طولها فلا يعلمه إلا الله تعالى وقيل المراد بالعرض السعة كما تقول العرب بلاد
 عريضة أي واسعة عظيمة قال الشاعر

كأن بلاد الله وممر عريضة * على الخائف المطلوب كفة حابل

والأصل فيه أن ما اتسع عرضه لم يمتدق ولم يدق وما ضاق عرضه دق فجعل العرض كناية عن
 السعة وروى أن هرقل أرسل إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنك كتبت تدعوني إلى جنة عرضها
 السموات والأرض فأين النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحانه الله فأين الليل إذا جاء
 النهار قيل معناه والله أعلم بذلك أنه إذا دار الفلك حصل النهار في جانب والليل في ضد ذلك
 الجانب فكذلك الجنة في جهة العلو والنار في جهة السفلى وروى طارق بن شهاب أن ناسا من
 اليهود سألوا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعنده أصحابه فقالوا أرايتم قولكم جنة عرضها
 السموات والأرض فأين النار فقال عمر بن الخطاب أرايتم إذا جاء الليل فأين يكون النهار
 وإذا جاء النهار فأين يكون الليل فقالوا أن مثلها في التوراة ومعناه حيث يشاء الله تعالى أن
 قلت قال الله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون وأراد بالذي وعدنا به الجنة ومذهب
 أهل السنة أنها في السموات وإذا كانت الجنة في السموات فكيف يكون عرضها السموات
 والأرض قلت المراد من قولنا أنها في السموات أنها فوق السموات وتحت العرش كما
 سئل أنس بن مالك عن الجنة أي السماء هي أم في الأرض فقال أي أرض وسما تسع
 الجنة قبله فأين هي قال فوق السموات تحت العرش وقد وصف رسول الله صلى الله عليه

الله الأغلب لكم وإن
 يحذركم فمن ذا الذي
 ينصركم من بعده وعلى الله
 فليتوكل المؤمنون
 وما كان لبي أن يفل
 بعد مقام النبوة وعصمة
 الأنبياء عن جميع الرذائل
 وامتناع صدور ذلك منهم
 مع كونهم منسطين عن
 صفات البشرية معصومين
 عن تأثير دواعي النفس

وسلم الفردوس فقال وسقفها عرش الرحمن وقال قتادة كانوا يرون الجنة فوق السموات السبع وان جهنم تحت الارضين ان باب الجنة في السماء وعرشها كمرضى السموات والارض (اعدت للمتقين) اى هيئت للمتقين وفيه دليل على ان الجنة والنار مخلوقتان الآن * قوله عز وجل (الذين ينفقون في السراء والضراء) يعنى في العسر واليسر لا يتركون الاتفاق في كلتا الحالتين في الفنى والفقر والرخاء والشدة ولا في حال فرح وسرور ولا في حال محنة وبلاء وسواء كان الواحد منهم في عرس او حبس فانهم لا يدعون الاحسان الى الناس قائل ماذكر الله من اخلاقهم الموجبة للجنة السماء لانه اشقى على النفس وكانت الحاجة الى اخراج المال في ذلك الوقت اعظم الاحوال للحاجة اليه في مجاهدة الاعداء ومواساة الفقراء من المسلمين عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار والجاهل سخي احب الى الله تعالى من جاهد بخيل اخرجته الترمذى (ق) عن ابي هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مثل البخيل والمفق كمثل رجلين عليهما جنتان من حديد من تديهما الى تراقيهما فاما المنفق فلا ينقى الا سبغت او وفيت على جلده حتى تحق ثيابه وتنفو اثره واما البخيل فلا يريد ان ينقى شيأ الا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها فلا تنسع الجنة الدر عن الحديد (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكاً خلفاً (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى انفق ينفق عليك (ق) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق زوجين في سبيل الله دعاه خزنة الجنة كل خزنة باب اى فلهم فقال ابو بكر يا رسول الله ذاك الذى لا توى عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لارجوان تكون منهم قوله اى فل يعنى يا فلان وليس بترخيم والتوى الهلاك يعنى ذاك الذى لا هلاك عليه وقوله تعالى (والكاظمين الغيظ) يعنى والجارعين القبط عند املاء نفوسهم منه والكظام حبس الشئ عند املائه وكظم القبط هو ان يمتلئ غيظاً فريده في جوفه ولا يظهره بقول ولا فعل ويصبر عليه ويسكت عنه ومعنى الآية انهم يكفون غيظهم عن الامضاء ويردون غيظهم في اجوافهم وهذا الوصف من اقسام الصبر والحلم من سهل بن معاذ عن انس الجهمي عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظاً وهو يستطيع ان ينفذه دعاه الله تعالى يوم القيامة على رؤس الخلائق حتى يخيره في اى الحور شاء اخرجته الترمذى ولبوداود (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة اما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب وروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان خادماً لها فاطماً فقالت لله درائقى ما تركت لذى غيظ شفاء (والعافين عن الناس) يعنى اذا جنى عليهم احدهم واخذوه فتكون الآية على الموم وقيل اراد بالناس الممالك السوء ادب يقع منهم فتكون على الخصوص وقيل يعفون ظلمهم واساء اليهم وهو قريب من القول الاول (والله يحب المحسنين) يحتمل ان تكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويحتمل ان تكون اشارة الى المذكورين في الآية والاحسان الى الغير انما يكون بايصال النعم اليه او بدفع الضر عنه وقيل الاحسان ان تحسن

والشيطان فيهم قائمين بالله متصفين بصفاته (ومن يظلل يأت بما غل) كن باه بسخط من الله اى يظهر على صورة غلوله بما غل بعينه (افن اتبع رضوان الله) اى التبي في مقام الرضوان التى هى جنة الصفات لانسانه بصفات الله والقال في مقام السخط لاحتجاب بصفات نفسه

لن اسماء اليك فان الاحسان الى الحسن متاجرة وقبل الحسن هو الذي يم باحسانه كل احد كالشمس والمطر والريح وقبل الاحسان وقت الامكان وليس عليك في كل وقت احسان وقبل الاحسان هذه الخصال المذكورة في هذه الآية فمن فعلها فهو محسن ولما كانت هذه الخصال احسانا الى الغير ذكر الله ثوابها بقوله والله يحب المحسنين فان محبة الله تعالى للعبد اعظم درجات الثواب * قوله عز وجل (والذين اذا فعلوا فاحشة) قال ابن مسعود رضي الله عنه قال المؤمنون لنبى صلى الله عليه وسلم يا رسول الله كانت بنو اسرائيل اكرم على الله منا كان احدهم اذا اذنب ذنبا اصحمت كفارة ذنبه مكتوبة على عتبة بابه اجدع انك اذنك افضل كذا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية وروى عطاة عن ابن عباس انها نزلت في تيهان النخار اتته امرأة حسناء تتابع منه تمر فقال لها ان هذا التمر ليس بجيد وفي البيت اجود منه فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك فاقى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك فنزلت هذه الآية وفي رواية ابى صالح عن ابن عباس ان رسوله الله صلى الله عليه وسلم آتى بين رجلين احدهما انصارى والاخر ثقي فخرج الثقي في غزوة واستخلف اخاه الانصارى على اهله فاشترى لهم ذات يوم لحما فلما ارادت المرأة ان تأخذ منه دخل على اثرها وقبل يدها ثم ندم وانصرف ووضع التراب على رأسه وهام على وجهه فلما رجع الثقي لم يستقبله الانصارى فسأل امرأته عن حاله فقالت لا اكثر الله في الاخوان مثله وذكر له الحال والانصارى يسبح في الجبال تابا مستغفرا فطلبه الثقي حتى وجده فاقى به الى ابى بكر وجاء ان يجده راحة وفرجا فقال الانصارى هلكك وذكر القصة فقال ابو بكر ويحك اما علمت ان الله تعالى يغار للغاوى مالا يغار للمقيم ثم لقياء فقال لهما مثل ذلك فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهما مثل مقالتهما فانزل الله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة يعنى فعلة فاحشة خارجة عما اذن الله فيه والناحشة ما عظم قبحه من الافعال والاقوال واصل الفحش القبح والخروج عن الحد قال جابر الفاحشة الزنا وقوله تعالى (او نلوا انفسهم) ظلم النفس هو مادون الزنا مثل انقبلة والمعانقة والمس والظر وقيل الفاحشة الكيرة وظلم النفس هي الصغيرة وقيل الفاحشة ما يكون فعله كاملا في القبح وظلم النفس هو اى ذنب كان (ذكروا الله) يعنى ذكروا وعيد الله وعقابه وان الله يسألهم عن ذلك يوم الفزع الاكبر وقيل ذكروا وجلال الله الموجب للحياء منه وقيل ذكروا الله باللسان عند الذنوب * وهو قوله تعالى (فاستغفروا لذنوبهم) يعنى لاجل ذنوبهم فتابوا منها واقبلوا عنها نادمين على فعلها طارمين على ان لا يعودوا اليها وهذه شروط صحة التوبة المقبولة (ومن يغفر الذنوب الا الله) وصف نفسه بسعة الرحمة وقرب المغفرة وان التائب من الذنب عنده كن لا ذنب له وانه لا مفرغ للمذنبين الا الى فضله وكرمه واحسانه وعفوه ورحمته وقبه تنبيه على ان العبد لا يطلب المغفرة الا منه وانه الادر على عقاب المذنب وكذلك هو القادر على ازالة ذلك العقاب عنه فثبت انه لا يجوز طلب المغفرة الا منه (ولم يصروا على ما فعلوا) يعنى ولم يقيموا على الذنوب ولم يثبتوا عليها ولكن تابوا منها واناوبوا واستغفروا قبل الاصرار وهو ترك الاستغفار* عن ابى بكر الصديق رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما صر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين

(وماواه جهنم وبئس المصير) اسفل حضيم النفس المظلمة فهل يشابهها (هم درجات) اى كل من اهل الرضا واهل الحضرة ذوو درجات متفاوتة اذ هم مختلفون اختلاف الدرجات (قل هو مرعد انفسكم) لاينا في قولا قل كل من عند الله لاذ السبب القاعلى في الحجب

المسلمون الجبل فذلك قوله وانتم الاعلون وقيل وانتم الاعلون لان حالكم خير من حالهم لان قتلاكم في الجبة وقتلاهم في النار وانتم تقاتلون على الحق وهم يقاتلون على الباطل وقيل وانتم الاعلون في العاقبة لانكم تظفرون بهم وتسنلون عليهم (ان كنتم مؤمنين) اي اذا كنتم مؤمنين وقيل معناه ان كنتم مصدقين بان ناصركم هو الله تعالى فصدقوا بذلك فانه حق وصدق وقوله تعالى (ان يمسخكم فرح) قرئ بضم القاف وبفتحها لهما لقتان ومعنا هما واحد وقيل انه بالفتح مصدر وبالضم اسم وقبل انه بالفتح اسم الجراحه وبالضم المجرأه والآية خطاب للمسلمين حين انصرفوا من احد مع الحزن والكآب فيقول ان يمسخكم اي المسلمون فرح يوم احد (فقد مس القوم) يعني الكفار (فرح مثله) يعني في يوم بدر وقيل ان الكفار قد نالهم يوم احد مثل ما نالكم من الجراح والقتل فقد قتل منهم نيف وعشرون رجلا وكثرت الجراحات فيهم (وتلك الايام نداولها بين الناس) المدوالة نقل الشيء من واحد الى آخر يقال نداولته الايدي اذا انتقل من واحد الى آخر ويقال الدنيا دول اي تنتقل من قوم الى آخرين ثم منهم الى غيرهم والمعنى ان ايام الدنيا هي دول بين الناس فيوم لهؤلاء فكانت الدولة للمسلمين على المشركين في يوم بدر حتى قتلوا منهم سبعين رجلا واسروا سبعين وادبل المشركون من المسلمين يوم احد حتى جرحوا منهم سبعين وقتلوا خمسا وسبعين (خ) من البراء بن عازب قال جعل النبي صلى الله عليه وسلم على الرجالة يوم احد وكانوا خمسين رجلا وهم الزماعة عبد الله بن جبير فقال ان رايتونا نخطفنا الطير فلا تبرحوا من مكانكم هذا حتى ارسل اليكم وان رايتونا هزما القوم ووطشاهم فلا تبرحوا حتى ارسل اليكم فها هم الله قال فانا والله رايت النساء يشتدون قد بدت خلا خاهن واسوقهن رافات ثيابهن فقال اصحاب عبدالله بن جبير الغنية اي قوم الغنية ظهر اصحابكم فما تنتظرون فقال عبدالله بن جبير انيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا والله لنا بين الناس فلنصيب من الغنية فلما اتوهم صرفت وجوههم فألقوا منزمين فذلك قوله والرسول يدعوكم في اخراكم فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم غير اثنى عشر رجلا فأصابوا من سبعين رجلا وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اصاب من المشركين يوم بدر اربعين ومائة سبعين اسيرا وسبعين قتلا فقال ابوسفيان افي القوم محمد ثلاث مرات فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يجيئوه ثم قال افي القوم ابن ابي قحافة ثلاث مرات ثم قال افي القوم عمر بن الخطاب ثلاث مرات ثم رجع الى اصحابه فقال اما هؤلاء فقد قتلوا فما ملك عمر نفسه فقال كذبت والله يا عدو الله ان الذي عدت لاحياء كلهم وقد بقي لك ما يسوءك قل يوم يسوم بدر والحرب سبها انكم سجدون في القوم ثلاثة ايام ولم تسؤني ثم اخذ يرتجز اهل هبل اهل هبل فقال الى صلى الله عليه وسلم الاتجبيوه فقالوا يا رسول الله ما نقول قال قولوا الله اعل واجل قال ابوسفيان ان لنا عزي ولا عزي لكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم الاتجبيوه قالوا يا رسول الله ما نقول قال قولوا * الله مولانا ولا مولاي لكم * قال البغوي وقد روى هذا المعنى عن ابن عباس وفي حديثه قال ابوسفيان يوم يوم وان الايام دول والحرب سبها فقال عمر لسواء قتلا في الجنة وقتلاكم في النار قال الزجاج الدولة تكون للمسلمين على الكفار لقوله تعالى وان جندنا لهم الغالبون

وبذل النفس طلبا لرضا الله او بالجهاد الاكبر وكسر النفس وقمع الهوى بالرياضة (امواتا بل احياء عند ربهم) بالحياة الحقيقية بمجرد دين عن دنس الطبائع مقربين في حضرة القدس (رزقون) من الارراق المعنوية اي المعارف والحقائق واستشرق الانوار وورقون في الجنة الصورية

فكانت يوم أحد فكفار على المسلمين لما قاتلهم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (وليعلم الله الذين آمنوا) يعني انما جعل الدولة لكفار على المسلمين ليعلم المؤمن المحلص من يرتد عن الدين اذا اصابته تكة وشدة وقيل معناه وليعلم الله الذين آمنوا بما يظهر من صبرهم على جهاد عدوهم اى يعرفهم بايمانهم الا ان سبب العلم وهو ظهور الصبر حذف هنا وقيل معناه يعلم الله ذلك واقصائهم لان الله تعالى يعلم الشئ قبل وجوده ولا يحتاج الى سبب حتى يعلم والمعنى ليقع ما علمه حياتا ومشاهدة للناس والمجازاة انما تقع على الواقع دون المعلوم الذى لم يوجد وقيل معناه يعلم اولياء الله فاضاف عليهم الى نفسه تفخيما وقيل معناه لعلمكم الله بالامتنياز بين المؤمن والمنافي فوضع العلم موضع الحكم لايحصل الا بعد العلم (ويتخذ منكم شهداء) يعنى وليكرم قوما منكم بالشهادة عن اراد ان يكرمهم بها وذلك لان قوما من المسلمين قاتلهم يوم بدر وكانوا يتنون لقاء العدو وان يكون لهم يوم كيوم بدر فيقاتلون فيه العدو ويلتصون فيه الشهادة والشهداء جمع شهيد وهو من قتل من المسلمين بسيف الكفار في المعركة واختلفوا في معنى الشهيد وميل الشهيد الى لقوله تعالى بل احياء عند ربهم يرزقون فارواحهم حية حضرت دار السلام وشهدتها وارواح غيرهم لا تشهدوا وقيل سمي شهيدا لان الله شهد له بالجنة وقيل سموا شهداء لانهم يشهدون يوم القيامة مع الانبياء والصديقين على الامم لان الشهادة تكون للافضل فالأفضل من الامة ولان منصب الشهادة منصب عظيم ودرجة عالية (والله لا يحب الظالمين) يعنى المشركين وقيل هم الذين ظلموا انفسهم بالمعاصي وقيل هم المساقون الذين يظهرون الايمان بالسنتهم ويسرون الكفر والمعنى والله لا يحب من لا يكون ثابا على الايمان صابرا على الجهاد (وليعلم الله الذين آمنوا) اى وليظهرهم من ذنوبهم ويزيلها عنهم واصل المحص في الائمة النقية والازالة (ويمحق الكافرين) اى يفيهم ويهلكهم ومعنى الآية ان قتلهم الكافرون فهو شهادة وتصير لكم وان قتلتموهم انتم فهو محقتهم واستنصاهم قوله عز وجل (ام حسبتم) اى بل حسبتم ونظمت والمراد به الانكار والمعنى لا تحسبوا ايها المؤمنون (ان تدخلوا الجنة) وتالوا كرامتي وثوابي (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) قال الامام فخر الدين الرازى ظاهر الآية يدل على وقوع النى على العلم والمراد وقوعه على نفى المعلوم والتقدير ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يصدر الجهاد عنكم وتقديره ان العلم متعلق بالمعلوم كما هو عليه فلما حصلت هذه المطابقة لاجرم حسن اقامة كل واحد منهما مقام الآخر قال الواحدى النى فى الآية واقع على العلم والمعنى على الجهاد دون العلم وذلك لساقية من الابهام في انتفاء جهاد لو كان له والتقدير ولما يكن المعلوم من الجهاد الذى اوجب عليكم فجرى النى على العلم للايجاز على سيل التوسع في الكلام اذا المعنى مفهوم من غير اخلال وقال الزجاج المعنى ولما يقع العلم بالجهاد والعلم بصبر الصابرين اى ولما يعلم الله ذلك واقصائهم لانه يعلم غيبا وانما يجازيهم على علمهم وقال الطبري يقول ولما يبين لبادى المؤمنين المجاهد منكم على ما امرته به (ويلم الصابرين) يعنى في الحرب وعلى ما نالهم في ذات الله عز وجل من جراح والم ومكروه وفي هذه الآية حكمة لمن اتهم يوم أحد والمعنى ام حسبتم ايها المتزيمون ان تدخلوا الجنة كما دخلها الذين

كأيرقى سائر الاحياء فان
الجهاد مراتب بعضها
معسوية وبعضها صورية
لكل من المعسوية والصورية
درجات على حسب الاعمال
فالمعسوية جنة الدات وجنة
العقاب وتفاضل درجاتها
على حسب تفاضل درجات
اهل الجبروت والمكوت
والصورية جنة الافعال
وتفاوت درجاتها على حسب

قتلوا وبذلوا مهيبهم لربهم عز وجل وصبروا على المجرع والضرب وثبوا لعدوهم من غير ان تسلكوا طريقهم وتصبروا صبرهم * قوله تعالى (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه) قال ابن عباس لما اخبر الله عز وجل المؤمنين على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بما فعل بشهادتهم يوم بدر من الكرامة رغبوا في ذلك فتمنوا قتالا يستشهدون فيه فيلحقون باخوانهم فأراهم الله يوم احد فلم يلبثوا ان انهمزوا الا من يشاء الله منهم فانزل الله هذه الآية وقيل ان قوما من المسلمين تمنوا يوما كيوم بدر ليقاتلوا فيه ويستشهدوا فأراهم الله يوم احد ومعنى قوله تمنون الموت اى تطلبون اسباب الموت وهو القتال والجهاد من قبل ان تلقوه اى من قبل ان تلقوا يوم احد (فقد رايتوه) يعنى رايتهم ما كنتم تمنون والهاء في رايتوه حادثة على الموت اى رايتهم اسبابه ما بين له شاهدين قتل من قتل من اخوانكم بين ايديكم (وانتم تنظرون) قيل ذكره تأكيد وقال الزجاج معناه فقد رايتوه وانتم بصراء كما تقول رايت كذا وكذا وليس في عيبك علة اى رايت رؤية حقيقية وقبل معناه وانتم تنظرون ما نعيم فلم انهمزتم * قوله عز وجل (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل) قال اهل المغازى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالشعب من احد في سبعائة رجل وجعل عبد الله بن جبر على الرحالة وكانوا خمسين رجلا وقال اقبوا بأصل الجبل وانضحوا عنا بالبل حتى لا يأتونا من خلفنا فان كانت لنا او علينا لانبرحوا من مكانكم حتى ارسل اليكم فاما لن نزال غالبين ما نبتهم مكانكم وكانت قريش على يمينهم خالد بن الوليد ودلى ميسرتهم عكرمة ابن ابى جهل ومهم النساء يضربن بالدفوف وينشدن الاشار ذة تلوا حتى حيت الحرب وحل النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه على المشركين فهزمهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اخذ سيفا وقال من يأخذ هذا السيف بحقه ويضرب به العدو حتى ينخن فأخذه ابودجانة سمالك بن خرشة الانصارى فلما اخذه اعتم بهامة جراء وجعل يتحتر في مشيته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها مشية يقضها الله تعالى ورسوله الا في هذا الموضع فلما نظرت الرماة الى المشركين وقد انكشفوا ورأوا اصحابهم ينهبون النخبة اقبلوا يريدون التهب فلما رأى خالد بن الوليد قلة الرماة واشتغال المسلمين بالفتية ورأى ظهورهم خالية صاح في خيله وحل على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهزمهم ورعى عبد الله بن قتيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكدر الله وراعيته وشبهه في وجهه فاقبله وتفرق عنه اصحابه ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صخرة ليعلوها فلم يستطع وكان قد ظاهر بين درعين فجلس تحته طلحة فنهض حتى استوى على الصخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة ووقعت هند والنسوة معها يثلن بالقتلى من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحد عن الآذان والانوف حتى اتخذت من ذلك فلاحا واعطتها وحشيا وبقرت عن كبد حزة رضى الله تعالى عنه وكان قد قتل يومئذ فأخذت منها قطعة فلاكتها فلم تسفها فلنظتها واقبل عبدالله بن قتيبة يريد قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فذب عنه مجعب بن عمر رضى الله عنه وهو يومئذ صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتله

تفاوت درجات عالم الملك من السموات العلى وجنات الدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لماصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طير حضرت دور في انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فالطير الخضراء اشارة الى الاجرام السماوية

ابن فيسة وهو يرى انه قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع وقال اني قد قتلتم محمدا وصاح صارخ الا ان محمدا قد قتل ويقال ان الصارخ ابليس العين فانكفا الناس وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الى عباد الله الى عباد الله فاجتمع اليه ثلاثون رجلا فمهم حتى كشفوا عنه المشركين ورمى سعد بن ابى وقاص حتى اندقت سبة قوسه وتلله رسول الله صلى الله عليه وسلم كسانه وقال ارم فذاك ابى وامى وكان ابو طلحة رجلا راميا شديد الزرع كسريو ثم قوسين او ثلاثة وكان الرجل يمر ومعه جعبة النبل فيقول اشرها لابي طلحة وكان ادارمى تشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بنظر موضع نبله واصيبت يد طلحة بن عبيد الله فيستوفي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم واصيبت عين قتادة بن النعمان يومئذ حتى وقعت على وجهه فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمادت احسن ما كانت فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ادركه ابى بن خلف الجحشى وهو يقول لانبجوت ان نبجوت فقال القوم يا رسول الله لا يمضف عليه رجلا ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوه حتى اذا داناهم وكان ابى قبل ذلك يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول عندي رمكة اعطها كل يوم فرق ذرة اقلك عليها فيقول النبي صلى الله عليه وسلم بل انا اقلك ان شاء الله فلما داناهم تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة ثم استقبله وطعنه في عنقه وخدشه خدشة فسقط عن فرسه وهو يخور كما يخور الثور ويقول قتاني محمد فاحمله اصحابه وقالوا ايس عليك بأس يقال بل لو كانت هذه الطعة بربعة ومضمر لقتلهم ايس قال لى انا اقلك فلو بزق على بعد تلك المقالة لقتلنى بها فلم يابث بعد ذلك الا يوما حتى مات بموضع يقال له سرف (خ) من ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد غضب الله على من قتله نبي في سبيل الله اشتد غضب الله على قوم ادهوا وجه نبي الله قالوا ونشأ في الناس ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل فقال بعض المسلمين ليت لنا رسولا الى عبد الله بن ابى فآخذنا امانا من ابى سفيان وجلس بعض الصحابة والقوا بأيديهم وقال اناس من المنافقين ان كان محمد قد قتل فان رب محمد لم يقتل وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وهو قوا على ما مات عليه ثم قال اللهم انى اعتذر اليك بما يقول هؤلاء يعنى المسلمين وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء يعنى المشركين ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى الصخرة وهو يدعو الناس فاول من هرف رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك قال قد عرفت عينه تزه ان تحت المنفر فادبت باعلى صوتي ياه مشرك المسلمين ابشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشار الى ان اسكت فأنحازت اليه طاشقة من اصحابه فلامهم النبي صلى الله عليه وسلم على القرار فقالوا يا رسول الله فدينك يا أبانا وامهاتنا اتانا الخبر بانك قد قتلت فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فانزل الله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ومعنى الآية فيسئلوا محمد كما خلت الرسل من قبله فكما ان اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلو انبيائهم فليكن انتم ان تمسكوا بدينه بعد خلوه لان القرض من بشار الرسول تبلغ الرسالة والزام الجملة لا وجوده بين ظهراني قومه ومحمد اسم علم الرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه اشارة وصفه بذلك وتخصيصه بمناحه وهو الذي كثرت خصاله الحمودة

والفتاويل هي الكواكب
اي تعلقت بالسيرات من
الاجرام السماوية لتزاهيها
وانهار الجمة منابع العلوم
ومشارعها وثمارها الاحوال
والعارف والانهار والثمار
الصورية على حسب جنهم
المضوية او الصورية فان كل
ما وجد في الدنيا من المطامير
والشارب والمناكح والملابس
وسائر الملاذ والمشتريات

والمستحق لجميع المحامد لانه الكامل في نفسه صلى الله عليه وسلم فاكرم الله عز وجل نبيه
صلى الله عليه وسلم فسماء باسمين مشتقين من اسمه الحمود سبحانه وتعالى فسماء محمد واحد
وفي ذلك يقول حسام بن ثابت

الم تر ان الله ارسل عبده * برهانه والله اعلى وامجد * اخر عليه بالنبوة حاتم
من الله مشهور يلوح ويشهد * وشوقه من اسمه ليجله * فذوالعشيرة محمود وهذا محمد

(ق) عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء انا محمد وانا احمد
وانا الماحي الذي يمحوا الله بي الكفر واما الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب والعاقب
الذي ليس بعده نبي وسماء الله رؤفا رحيا (م) من ابي موسى الاشعري قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يسمى لنا نفسه اسماء فقال انا محمد وانا احمد وانا الملقى ونبي اتونة ونبي الرحمة قوله
الملقى هو آخر الانبياء الذي لا نبي بعده والرسول هو المرسل ويكون بمعنى الرسالة والمراد به
هذا المرسل بدليل قوله تعالى وانك لمن المرسلين (افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم)
يعنى اتقلون على اعقابكم ان مات محمد او قتل وترحمون الى ديسكم الاول يقال لكل من
رحم الى ما كان عليه رحمه وراءه وكفى على عقبه وحاصل الكلام ان الله تعالى بين ان
موت محمد صلى الله عليه وسلم او قتله لا يوجب ضعفا في دينه ولا الرجوع عنه بدليل موت
سائر الانبياء قبله وان اتباعهم ثبوتوا على دين ابيائهم بعد موتهم (ومن يقلب على عقبه) يعنى
يفترق عن دينه ويرجع الى الكفر (فلن نضر الله شيئا) يعنى بارتداده لان الله تعالى لا يضره
كفر الكافرين لانه تعالى عن العالمين وانه يضر المرتد الكافر نفسه (وسيجزى الله الشاكرين)
يعنى الثابتين على دينهم الدين لم يقلوا عنه لانهم شكروا نعمة الله عليهم بالاسلام وثبتهم عليه
فسماهم الله شاكرين لما فعلوا والمعنى وستيب الله من شكره على توفيقه وهدايته وروى ابن
جبير عن علي بن ابي طالب رضى الله تعالى عنه في قوله وسيجزى الله الشاكرين قال الثابتين على
دينهم اما بكر واصحابه وكان علي يقول ابو بكر امين الشاكرين وامين اخبار الله وكان اشكرهم
واحبه الى الله تعالى قوله عز وجل (وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله) اى بار الله
وقضائه وقدره وهله وذلك ان الله تعالى يأمر ملك الموت بقبض الارواح فلا يموت احدا الا
باذن الله تعالى وامره والمراد من الآية تحريض المؤمنين على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو
باعلاهم بان الجبن لا يبع وان الحذر لا يدفع المقدور وان احدا لا يموت قبل اجله وان خاض
المهاك واقفهم المارك واذا جاء الاجل لم يدفع الموت بحيلة فلا فائدة في الخوف والجبن وفي
الآية ايضا ذكر حفظ الله رسوله صلى الله عليه وسلم عند غلبة العدو وتخليصه منهم عند
التفافهم عليه واسلام اصحابه له فانجاه الله تعالى من عدوه سالما مسلما لم يضره شيء (كتابا
مؤحلا) يعنى موقته احل معلوم لا يتقدم ولا يتأخر والمعنى ان الله تعالى كتب لكل نفس
اجلا لا يقدر احد على تغييره او تقديمه او تأخيره وقيل الكتاب هو القروح المحفوظ لان فيه
آجال جميع الخلق (ومن يرد ثواب الدنيا فؤته منها) يعنى من يرد ثوابه وطاعته الدنيا ويحمل
لها فؤته منها ما يكون جزاء لعمله والمعنى فؤته منها ما نشاء على مقدرة له نزلت في الذين
تركوا المركز يوم احد وطلبوا الغلبة (ومن يرد ثواب الآخرة فؤته منها) يعنى من يرد

موجود في الآخرة وفي
طغات السماء الدواصي ما
في الدنيا (فرحين بما آتاهم
الله من فضله) من الكرامة
والعزة والقرب عد الله
(ويستبشرون -) حال
الحيوانهم (الذين لم يلحقوا
بهم من خلفهم) ولم يسالوا
دعوتهم بعد من خلفهم
لا يستعاضونهم من قريب بثل
لهم ولحقهم بهم (الاخوف

بجمله الآخرة فؤته ثوابه فيها نزلت في الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
احد واعلم ان هذه الآية وان نزلت في الجهاد خاصة لكننا عامة في جميع الاعمال وذلك
لان الاصل في ذلك كله يرجع الى نية العبد فان كان يريد بجمله الدنيا فليس له جزاء الا فيها
وكذلك من اراد بجمله الدار الآخرة فجزاؤه ايضا فيها (ق) عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى
عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما الاعمال بالنيات وفي رواية ثانية وانما
لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت
هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة يتزوجها وفي رواية بنكحها فهجرته الى ما هاجر اليه وروى
البغوي بسنده عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كانت نيته طلب
الآخرة جعل الله غناه في قلبه وجعل له مثله واثته الدنيا راغمة ومن كانت نيته طلب الدنيا
جعل الله الفقر بين عينه وشنت عليه امره ولا يأتيه منها الا ما كتب الله * وقوله تعالى
(وسنجزي الشاكرين) يعني المؤمنين المطيعين الذين لم يشغلهم شيء عن الجهاد ولم يريدوا
بإعالمهم الا الله تعالى والدار الآخرة * قوله عز وجل (وكأين من نبي) أي وكما من نبي (قتل
معه) وقرئ قاتل معه فمن قرأ قتل بضم القاف فله اوجه احدها ان يكون القتل راجعا
على النبي وحده فقل هذا يكون الوقف على قتل لانه كلام تام وفيه اضمار تقديره قتل
ومعه ربيون كثير ويكون معناه قتل حال ما كان معه ربيون كثير والمعنى ان كثير من الانبياء
قتلوا والذين بقوا بعدهم ما وهنوا في دينهم وما استكانوا بل استمروا على جهاد عدوهم ونصرة
دينهم فكان ينبغي لكم ان تكونوا مثلهم الوجه الثاني ان القتل نال النبي ومن معه من الربيون
ويكون المراد البعض ويكون قوله ما وهنوا راجعا الى السابقين والمعنى وكأين من نبي قتل
وبعض من كان معه ما ضعف الباقون لقتل من قتل من اخوانهم بل مضوا على جهاد عدوهم
فكان ينبغي لكم ان تكونوا كذلك الوجه الثالث ان يكون القتل نال الربيون لان النبي والمعنى
وكأين من نبي قاتل من كان معه وعلى دينه ربيون كثير ومن قرأ قاتل معه ربيون كثير
فالمعنى وكأين من نبي قاتل معه العدد الكثير من اصحابه فاصابهم من عدوهم قروح وجراحات
فا وهنوا لما اصابهم بل استمروا على جهاد عدوهم لان الذي اصابهم انما هو في سبيل الله
وطاعته واقامه دينه ونصرة دينه فكان ينبغي لكم ان تفعلوا مثل ذلك يا امة محمد وجهه هذه القراءة
ماروى عن سعيد بن جبير انه قال ما سمعنا ان نبيا قتل في القتال * وقوله (ربيون كثير)
قال ابن عباس جموع كثيرة وقيل الربيون الالوف وقيل الرية الواحدة عشرة آلاف وقيل
الف وقيل ربيون يعني فقهاء علماء وقيل الربيون هم الاتباع (فلو وهنوا) أي فاسجبوا عن
الجهاد في سبيل الله (لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا) يعني من مجاهدة عدوهم بما نالهم من المجرع
وقتل الاصحاب (وما استكانوا) يعني وما استسلموا وما خضعوا لعدوهم ولكم صبروا على امر
ربهم وطاعة دينهم وجهاد عدوهم وهذا تبرئ بما اصابهم يوم احد من الوهن والانكسار
عنه الارجاف يقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعفهم عن مجاهدة المشركين واستكانتهم
لعدوهم انما هي في سبيل الله بن ابي في طلب الامان من ابيه سفيان

عليهم ولا هم يحزنون) بدل
اشتغال من الذين اى
يستبشرون بانهم آمنوا لا
خوف عليهم ولا هم يحزنون
(يستبشرون نعمة من الله)
اي اياهم نعمة عظيمة لا يعلم
كنها هي جنة الصفات
بحصول مقام الرضوان
المذكورة بعدهم (وفضل
وان الله لا يضيع اجر
المؤمنين) وزيادة عليهم هي
جنة الذات والامن الكلى
من بقية الوجود وذلك كال
كونهم شهداء لله ومع ذلك
فان الله لا يضيع اجرايمانهم
الدى هو جنة الافعال وثواب

والمقصود من الآية حكاية ما جرى لسائر الانبياء واتباعهم تقتدى هذه الامة بهم وترغب الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجهاد (والله يحب الصابرين) يعنى في الجهاد والمعنى ان من صبر على تحمل الشدائد في طلب الآخرة ولم يظهر الجزع والجزع فان الله تعالى يحبه ومحبة الله تعالى للعبد عبارة عن ارادة اكرامه واعزازه وايصال الثواب له وادخاله الجنة مع اوليائه واصفيائه * ثم قال تعالى (وما كان قولهم) يعنى قول الربيين (الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا) فيدخل فيه جمع الصغائر والكبائر (واسرفنا في امرنا) يعنى ما سرفنا فيه فتحطينا الى العظام من الذنوب لان الاسراف الافراط فى الشيء ومجاوزة الحد فيه فيكون المعنى اغفر لنا ذنوبنا الصغائر منها والكبائر (وثبت اقدامنا) لكي لا نزل عند لقاء العدو وذلك يكون بازالة الخوف والرعب من قلوبهم (وانصرنا على القوم الكافرين) لان النصر على الاعداء لا يكون الا من عند الله بين الله تعالى انهم كانوا مستعدين عند لقاء العدو بالدعاء والتضرع وطلب الاعانة والنصر من الله تعالى والترض منه ان يقتدى بهم في هذه الطريقة الحسنة امة محمد صلى الله عليه وسلم يقول هلا فلتهم مثل ما فعلوا وقتلهم مثل ما قالوا (فاتاهم الله ثواب الدنيا) يعنى النصر والغنية وقهر الاعداء والثناء الجميل وغفران الذنوب والخطايا (وحسن ثواب الآخرة) يعنى الجاه وما فيها من النعيم المقيم وانما خص ثواب الآخرة بالحسن تنبيها على اجلاله وعظمته لانه غير زائل ولم يشب بتقصي ولم يصف ثواب الدنيا بالحسن لقلته ولانه سريع الزوال مع ما يشوبه من التفتي (والله يحب المحسنين) يعنى الذين يفعلون مثل ما فعل هؤلاء وهذا تعليم من الله تعالى لعباده المؤمنين ان يقولوا مثل هذا عند لقاء العدو وفيه دققة لطيفة وهى انهم لما اعترفوا بذنوبهم وكونهم مسيئين سماهم الله تعالى محسنين * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا) يعنى اليهود والنصارى وقيل المنافقين وذلك في قولهم للمؤمنين عند الهزيمة يوم احذار رجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم وقيل معناه ان تطيعوهم فيما امرؤ ونكبه من ترك الجهاد (يردوكم على اعقابكم) يعنى يرجعوك الى امركم الاول وهو الكفر والشرك بالله بعد الايمان به لان قبول قولهم في الدعوة الى الكفر كفر (فتقلبوا خاصرين) يعنى مغبونين في الدنيا والآخرة اما خسار الدنيا فهو طاعة الكفار والتذلل للاعداء واما خسار الآخرة فهو دخول النار وحرمان دار القرار (بل الله مولاكم) اى وليكم وناصركم وحافظكم فاستعينوا به (وهو خير الناصرين) يعنى انه تعالى قادر على نصركم والمعنى انكم انما تطيعون الكفار لينصروكم ويعينوكم وهم عاجزون عن نصر انفسهم فضلا عن غيرهم فاطلبوا النصر من الله تعالى فهو خير الناصرين * قوله عز وجل (سئل في قلوب الذين كفروا الرعب) وذلك ان اباسفيان ومن معه ارتحلوا يوم احد متوجهين الى مكة فلما بلغوا بعض الطريق ندموا وقالوا بشئ ما صنعنا قتلناهم حتى اذا لم يبق منهم الا الشريد تركناهم ارجعوا اليهم فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك اتى الله في قلوبهم الرعب يعنى الخوف الشديد حتى رجعوا عنهم وابه فعل هذا القول يكون الوعد بالعقب في قلوب الكفار مخصوصا بيوم احد وقيل انه عام وان كان السبب خاصا لقوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر فكأنه قال سئل في قلوب الذين كفروا الرعب منكم حتى تهروهم ويظهر دينكم على سائر الاديان وقد فضل الله ذلك

الاعمال (الذين استجابوا لله)
بالفناء في الوحدة الذاتية
(والرسول) بالمقام بحق
الاستقامة (من بعدما اصابهم
الفرح) اى كسر النفس
(الذين احسنوا منهم) اى
ثبتوا في مقام المشاهدة
(الذين قال لهم الناس) قبل
الوصول الى المشاهدة (ان
الناس قد جمعوا لكم
فاخشوهم) اى اعتبروا
لوجودكم واعتدوا بكم
فاعتدوا بهم (فزادهم) ذلك
القول (ايمانا) اى يقينا
لوتوحيدا بنى القبر وعدم
المبالاة به وتوصلوا بنى
ماسوا لله تعالى اثباته بقولهم

يفضله وكرمه حتى صار دين الاسلام ظاهرا على جميع الاديان والملل كما قال تعالى ليظهره على الدين كله (عاشركوا بالله) يعني انما كان القاء الرعب في قلوبهم بسبب اشراكهم بالله (ما لم ينزل به سلطانا) يعني حجة وبرهانا وسميت الحجة سلطانا لان السلطان مشتق من السليطو وهو ما يستصحب به وقيل السلطان القوة والقدرة وسميت الحجة سلطانا لقوتها على دفع الباطل (وما واهم النار) لما بين الله تعالى حان الكفار في الدنيا وهو القاء الرعب والخوف في قلوبهم بين حالهم في الآخرة فقال تعالى وما واهم النار اى مسكنهم (وبئس مثوى الظالمين) اى المسكن الذى يستقرون به ويقيرون فيه وكلمة بئس تستعمل في جميع المقام والمعنى وبئس مقام الظالمين ظلوا انفسهم باكتساب ما اوجب لهم عذاب النار والاقامة فيها * قوله عز وجل (ولقد صدقكم الله وعده) قال محمد بن كعب القرظى لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه من احد الى المدينة وقد اصابهم ما اصابهم قال ناس من الصحابة من اين اصبنا وقد وعدنا الله النصر فانزل الله تعالى ولقد صدقكم الله وعده يعنى بالنصر والظفر وذلك ان الظفر كان للمسلمين في الابتداء وقيل ان الله وعد المؤمنين النصر باحد فنصرهم فلما خالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلبوا الغنية هزموا (اذ تحسبونهم) يعنى اذ تقتلون الكفار قتلا زريعا وقيل معنى تحسبونهم تستأصلونهم بالقتل (باذنه) يعنى يعلم الله وامره وقيل بفضاء الله وقدره (حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم) قال الفراء فيه تقديم وتأخير تقديره حتى اذا تنازعتم في الامر وعصيتم فشلتم وقيل معناه ولقد صدقكم الله وعده بالنصر الى ان كان منكم الفشل والتنازع والمعصية وقيل فيه معنى الشرط وجوابه محذوف تقديره حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم منعكم الله النصر ومعنى فشلتم ضعفتم والفشل الضعف مع جبن ومعنى التنازع الاختلاف وكان اختلافهم وتنازعهم ان الرماة الذين كانوا مع عبدالله بن جبير لما انهزم المشركون قال بعضهم لبعض اى قوم ما نمنع بمقامنا ههنا وقد انهزم المشركون ثم اقبلوا على الغنمة وقال بعضهم لبعض لا نتجاوزوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت عبدالله بن جبير امير القوم في نفر يسير دون العشرة من كان معه فلما رأى خالد بن الوليد وعكرمة بن ابى جهل ذلك جلوا على الرماة الذين ثبتوا مع عبدالله بن جبير فقتلوا عبدالله بن جبير واصحابه واقبلوا على المسلمين وتحوّلت الریح دبور ابد ما كانت صبا وانتفضت صفوف المسلمين واختلطوا فجلوا يقتلون على غير شعار يضرب بعضهم بعضا وما يشعرون بذلك من الدهش ونادى ابليس ان مجددا قتل فكان ذلك سبب هزيمة المسلمين وقوله وعصيتم يعنى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما امركم به من لزوم المركز (من بعد ما راكم سانحون) من النصر والظفر والغنمة ياه عشر المسلمين (منكم) من يريد الدنيا يعنى الذين تركوا المركز واقبلوا على الثوب (ومنكم) من يريد الآخرة يعنى الذين ثبتوا مع اميرهم عبدالله بن جبير حتى قتلوا قال عبدالله بن مسعود ما شرعت انا احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى كان يوم احد نزلت هذه الآية (ثم صرفكم عنهم) يعنى يامعشر المسلمين يعنى عن المشركين بالهزيمة (ليبتليكم) يعنى ليعتصمكم وقيل لينزل عليكم البلاء لتتوبوا اليه وتستغفروه وقبل معناه ليعتبركم وهو اعلم ليعتبر المؤمن من المنافق ومن يريد الدنيا من يريد الآخرة (ولقد عفا عنكم) يعنى ولقد عفا الله عنكم ايما الخالقون امر رسول الله

(حسبنا الله) فشاهدوه ثم رجعوا الى تفاصيل الصفات بالاستسقامة فقالوا (ونعم الوكيل) وهى الكلمة التى قالها ابراهيم عليه السلام حين اتى في النار فصارت بردا وسلاما عليه (فانقلبوا بعمة من الله وفضل) اى رجعوا بالوجود الحقيقى في جنة الصفات والذات كما مر آنفا (لما عسى لهم سوء) البقية ورؤية الغير (و) هم

صلى الله عليه وسلم فلم يستأصلمكم بمخالفة والمعصية وقيل عفا عن عقوبتكم ايها المخالفون
(والله ذو فضل على المؤمنين) وهذا من تمام نعمه على عباده المؤمنين لانه نصرهم اولائهم عفا عن
الذين منهم ثانيا لانه ذو الفضل والطول والاحسان وفي الآية دليل على ان صاحب
الكبرية مؤمن وان الله تعالى يعفو بفضله وكرمته ان شاء لانه سمحهم مؤمنين مع
ما ارتكبوه من مخالفة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي كبيرة وعفا عنهم
بمد ذلك * قوله عز وجل (اذ تصعدون) قبل هو متعلق بما قبله والتقدير ولقد عفا عنكم
اذ تصعدون لان عفوهم لازم لا بد وان يتعلق بأمر اقترفوه وذلك الامر هو ما بينه بقوله
اذ تصعدون يعني هاربين في الجبل وقيل هو ابتداء كلام لاتعلق له بما قبله والمعنى اذكروا
اذ تصعدون قراءة الجمهور بضم التاء وكسر العين من الاعداء وهو الذهاب في الارض والابعاد
فيها وقرا الحسن تصعدون بفتح التاء من الصعود وهو الارتقاء من اسفل الى اعلى كالصعود
على الجبل وعلى السلم ونحوه للتفسيرين في معنى الآية قولان احدهما انه صعودهم في الجبل عند
الهزيمة والثاني انه الابداع في الارض في حال الهزيمة ووقت الهرب (ولا تلوون على احد) اي
لا تخرجون ولا تقيون على احد ولا يلتفت بفضلكم الى بعض من شدة الهرب (والرسول يدعوك في
اخراكم) اي في آخركم ومن ورائكم يقول الى عباد الله انا رسول الله من كراي رجع فله
الجنة (فانكم غائبون) يعني فجزاكم بغراكم عن نبيكم صلى الله عليه وسلم وفشلكم عن
عدوك غائب فسمى العقوبة التي عاقبتهم بها ثوبا على سبيل المجاز لان لفظ الثواب لا يستعمل
في الاغلب الا في الخير وقد يجوز استعماله في الشر لانه مأخوذ من تاب اذا رجع فأصل
الثواب كل ما يعود الى الفاعل من جزاء فعله سواء كان خيرا او شرا فتي حلنا لفظ
الثواب على اصل اللغة كان الكلام صحيحا ومتى جلسنا على الاغلب كان على سبيل
المجاز فهو كقول الشاعر

احاف زيدا ان يكون عطاؤه * اداهم سودا او محدرجة سمرا

فجعل العطاء مكان العقاب لان الاداهم السود هي القيود الثقالة والمحدرة هي السياط
والباء في قوله غائب بمعنى على لان حروف الجر ينوب بعضها عن بعض وقيل الباء على
ذاتها والمعنى غائب متصلا بهم واختلقوا في معنى الثمن وقيل الثم الاول هو ما فاتهم من الظفر
والقيمة والثم الثاني هو ما نالهم من القتل والهزيمة وقيل الثم الاول ما عاينهم من القتل
والجراح واغم الثاني هو ما سمعوا بأن محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل فانسأهم غمهم الاول
وقيل الثم الاول هو انهم غوار رسول الله صلى الله عليه وسلم بمخالفة امره فجزاهم الله بذلك الثم
القتل والهزيمة وقيل ان غمهم الاول بسبب اشراق خالد بن الوليد مع خيل المشركين عليهم
والثم الثاني حين اشرف ابوسفيان عليهم وذلك ان اباسفيان واصحابه وقفوا بباب الشعب فلما
نظر المسلمون اليهم غمهم ذلك وظلوا انهم يعملون عليهم فيقتلونهم فاهمهم ذلك * قوله تعالى
(لكيلا) في لفظ لا قولان احدهما انها باقية على اصلها ومعناها التي فلي هذا يكون الكلام متصلا
بقوله ولقد عفا عنكم والمعنى ولقد عفا عنكم لكيلا (نحو نواعي ما فاتكم ولا ما اصابكم) لان عفوهم
يذهب كل هم وحزن وقيل: ما فاتكم لما انكم الحزن على ما فاتكم ولا ما اصابكم وقد روي

(اتبعوا رضوان الله) الذي
هو جنة الصفات في حال
ساوكم حين لم يعلموا ما اخفى
لهم من قرة عين وهي جنة
الدات المشار اليها بقوله
(والله ذو فضل عظيم) فان
الفضل هو المزيد على
الرضوان (انما ذلك الشيطان
يخوف اوليائه) المحبوبين
بالسهم مثله من الناس او
نحو ذلك اوليائه (فلا
تخافوهم) ولا تعتدوا

انهم لاسمعوا بان النبي صلى الله عليه وسلم قد قتل نسوا ما اصابهم وما فاتهم والقول الثاني ان لفظه
لاصلة ومعنى الكلام لكي تحزنوا على ما فاتكم واصابكم عقوبة لكم على مخالفتكم قال
ابن عباس الذي فاتهم الفتنة والذي اصابهم القتل والهزيمة (والله خير بما تعملون) اي هو عالم
بجميع اعمالكم خيرا وشرها فيجازيكم عليها قوله عز وجل (ثم انزل عليكم) يا معشر
المسلمين (من بعد القم) اذى اصابكم (امنة ناسا) يعني امناء الامنة والامن واحد وقيل الامن
يكون مع زوال الخوف والامنة مع بقاء سبب الخوف وكان سبب الخوف بعد باقيا والعاس
اخف من التوم والمعنى اعقبكم بما انلكم من الخوف والرعب ان امنكم امناء مومن معه
لان الخائف لا يكاد يتام فانهم بعد خوفهم (يشئ طائفة منكم) قال ابن عباس امنهم يومئذ
بناس تغشاهم وانما يغش من يأمن والخائف لا ينام (خ) عن انس عن ابي طلحة قال كنت
فيمن تغشاهم العاس يوم احد حتى سقط صبي من يدي مرارا بسقط واخذه وسقط فاخذه
واخرجه الترمذي عنه قال غشنا العاس ونحن في مصاف يوم احد وذكره نحو رواية البخاري
وزاد والناطقة الاخرى المافقون ليس لهم هم الا انفسهم اجبن قوم وارعبه واخذ به الحق
وفي رواية اخرى له قال رفعت راسي يوم احد فجعلت اراهم وما منهم يومئذ احد الا يمدحوت
جففته من العاس فذلك قوله تعالى ثم انزل عليكم من بعد الغم امنا ناسا وقال الزبير بن العوام
لقد رايتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشد عليا الخوف ارسل الله تعالى علما اليوم
والله اني لاسمع قول منب بن قشير والناس يشئ ما سمع الا كالحلم يقول لو كان لمن الامر شي
ما قلنا ههنا فقوله تعالى يشئ طائفة منكم يعني المؤمنين (وطائفة قد اهتم انفسهم) يعني
المافقين اراد الله ان يميز المؤمنين من المافقين فوقع الناس على المؤمنين حتى اءوا لم يقع
الناس على المافقين فبقوا في الخوف وفي لقاء الناس على المؤمنين دون المافقين آية عظيمة
ومجزة باهرة لان الناس كان سبب امن المؤمنين وعدم الناس عن المافقين كان سبب خوفهم
وهو قوله تعالى وطائفة قد اهتمت انفسهم يعني حلتهم انفسهم على الهل لان اسباب الخوف وهي
قصدا لاعداء كانت حاصلة عندهم (يظنون بالله غير الحق) يعني يظنون ان الله لا ينصر محمدا
واسحابه وقيل ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل وان امره يضمحل والمعنى يظنون بالله غير ظن
الحق الذي يجب ان يظن به (ظن الجاهلية) اي كظن اهل الجاهلية (يقولون) يعني المافقين
(هل لنا) اي مالنا (من الامر من شي) وذلك انه لما شاور النبي صلى الله عليه وسلم عبدالله بن ابي
ابن سلول راس المافقين في هذه الواقعة واثار عليه ان لا يخرج من المدينة فلما خالعه النبي
صلى الله عليه وسلم وخرج وقتل من قتل قبل لعبد الله بن ابي قد قتل بواخر جرح قال هل لنا من الامر شي
وهو استفهام على سبيل الانتكار اي مالنا امر يطاع وقيل المراد بالامر النصر والظفر يعني مالنا
من هذا الذي يعدنا محمد بن من النصر والظفر من شي انما هو للتركيب (قل) يا محمد لهؤلاء
المافقين (ان الامر كله لله) يعني النصر والظفر والقضاء والقدر كله لله ويده يصرفه كيف
احب (يخفون في انفسهم ما لا يدونك) يعني من الكفر والشك في وعد الله عز وجل وقيل يخفون
الندم على خروجهم مع المسلمين وقيل الذي اخفوه هو قوله تعالى حكاية عنهم (يقولون لو كان لنا من
الامر شي ما قلنا ههنا) وذلك ان المافقين قال بعضهم لبعض لو كان لنا قول لم نخرج مع محمد الى قال

بوجودهم (وخافون ان
كتم مؤمنين) موحدين
اي لا تخافوا غيري لعدم عينة
واثره (ولا يحزنك الذين
يسارعون في الكفر) لطلبهم
الاصلي وظلمهم الذاتية خوف
ان يضروك (انهم لن يضروا
الله شيئا) اولاء الكفار
وطول حياتهم سبب لشدة
عذابهم وغاية هوانهم
وصغارهم لا رديا دهم بطول
عمرهم حجابا على حجاب وبعدا
على بعد وكما ازدادوا بعدا

الحق ما قلناه هنا عن ابن عباس في قوله تعالى اهل مكة ولم تقتل رؤسنا وقيل كانوا يقولون كنا على الحق يظنون بالله غير الحق يعني التكذيب بالقدر وهو قولهم لو كان لنا من الامر شيء ما قلناه هنا قبل ان الذي قال هل لنا من الامر من شيء هو عبدالله بن ابي ابن سلول المنافق والذي قال لو كان لنا من الامر شيء هو معتب ابن قشير (قل) اي قل يا محمد لهؤلاء المنافقين (لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتال) اي قضى عليهم القتال وقدر عليهم (الى مضاجعهم) يعني الى مصارعهم التي يصرعون بها وقت القتال ومعنى الآية ان الحذر لا ينفع مع القدر والتدبير لا يقاوم التقدير فالذين قدر عليهم القتال وقضاه وحكم به عليهم لا بد وان يقتلوا والمعنى لو جلستم في بيوتكم خرج منها وظهر الذين قضى الله عليهم بالقتل وقدره الى حيث يقتلون فيه (وليتلى الله مافي صدوركم) اي وليعتبر مافي صدوركم ليعلمه مشاهدة كما علمه غيالا ان المجازاة انما تقع على ما علمه مشاهدة وقيل معناه ليعلمكم معاملة المبتلى المحتر لكم وقيل معناه ليتلى اولياء الله مافي صدوركم فأضاف الابتلاء اليه تعظيما لشان اوليائه المؤمنين (وليمحص مافي قلوبكم) قال قتادة اي يظهرها من الشك والارتياب بما يريكم من عجائب صنعه في القاء الامنة وصرف العدو واطهار سراير المنافقين فعلى هذا يكون الخطاب للمؤمنين خاصة وقيل معناه وليبين و يظهر مافي قلوبكم يعني من الاعتقاد لله ورسوله وللمؤمنين من العداوة فعلى هذا يكون الخطاب للمنافقين خاصة (والله عليم بذات الصدور) يعني بالاشياء الموجودة في الصدور وهي الاسرار والضمائر لانه عالم بجميع المعلومات * قوله عز وجل (ان الذين تولوا منكم يوم اتقوا الجمعان) اي انهمزوا و هربوا منكم يا معشر المسلمين فهو خطاب لمن كان مع النبي صلى الله عليه وسلم من المؤمنين يوم احد باحد وكان قد انهزم اكثر المسلمين ولم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم الا ثلاثة عشر رجلا وقيل اربعة عشر من المهاجرين سبعة ومن الانصار سبعة فن المهاجرين ابو بكر وعمر وعلي وطهمة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن ابي وقاص رضي الله عنهم (انما استزلهم الشيطان) اي طلب زلتهم كما يقال استجهله اي طلب عجلته وقيل جعلهم على الزلة وهي الخطيئة وذلك بالقاء الوسوسة في قلوبهم لانه امرهم بها (بعض ما كسبوا) يعني بمعضية النبي صلى الله عليه وسلم وتركهم المركز وقيل استزلهم الشيطان بذكر خطايا سبقت لهم فكروا ان يقتلوا قبل اخلاص التوبة منها وهذا اختيار الزجاج لانه قال لم يتولوا على جهة المعاندة ولا على القرار من الزحف رغبة في الدنيا وانما ذكرهم الشيطان خطايا سلفت لهم فكروا لقاء الله الاعلى حالة يرضاها (ولقد عفا الله عنهم) يعني ولقد تجاوز الله عن الذين تولوا يوم اتقوا الجمعان فلم يعاقبهم بذلك وغفر لهم وقيل ان عثمان عوتب في هزيمته يوم احد فقال ان ذلك وان كان خطأ لكن الله قد عفا عنه وقرأ هذه الآية (ان الله غفور) يعني لمن تاب واناب (حليم) لا يجمل بالعقوبة وما يستاصلهم بالقتل * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا) يعني المنافقين عبد الله بن ابي واصحابه (وقالوا لاخوانهم) يعني في النفاق والكفر وقيل لاخوانهم في النسب وكانوا مسلمين (اذا ضربوا في الارض) يعني اذا سافروا في الارض لتجارة وغيرها (او كانوا

عن الحق الذي هو منبع العزة
ازدادوا هوانا (ريد الله الا
يجعل لهم حظا في الآخرة
ولهم عذاب عظيم از الذين
اشترى الكفر بالايمان لن
نضرو الله شيئا ولهم عذاب
اليم ولا يحسن الذين كفروا
انما على لهم خير لانفسهم اما
نعلى لهم ايزدادوا اثما ولهم
عذاب مهين ما كان الله ليذر
المؤمنين على ما كنتم عليه)
من ظاهر الاسلام وتصدق
اللسان (حتى يميز الخبيث
من الطيب) من صفات
الفسس وشكوك الوهم

غزا) جمع غازى غزاة فى الكلام حذف دل المعنى على ذلك الحذف وهو اذا ضربوا
فى الارض فاتوا او كانوا غزا فقتلوا (لو كانوا عندنا) يعنى مقيمين (ماماتوا وما قتلوا
ليحصل الله ذلك) يعنى قولهم وظنهم (حصرة فى قلوبهم) يعنى غما وتأسفا (والله يحبى
ويميت) هذا رد لقول المنافقين لو كانوا عندنا ماماتوا وما قتلوا والمعنى ان الامر بدلالة
وان المحبى والميت هو الله تعالى فقد يحبى المسافر والغازى ويميت المقيم والقاعد عن النزو
كما يشاء فكيف يتعم الجلولس فى البنت فى البيت وهل يحبى احد من الموت (والله بما تعملون
بصير) يعنى انه تعالى مطلع على ما تعملون من خيراو شرفيمازيكم به فاقفوه ولا تكونوا
مثل المنافقين لان مقصدهم تغير المؤمنين عن الجهاد بقولهم كانوا عندنا ماماتوا وما قتلوا
فان الله تعالى هو المحبى الميت فمن قدر له البقاء لم يقتل فى الجهاد ومن قدر له الموت لم يبق وان
اقام بيبته عند اهله فلا تقولوا انتم ايها المؤمنون لمن يريد الخروج الى الجهاد لا تخرج فقتل
فلا تيموت فى الجهاد فيستوجب الثواب فان ذلك خير له من ان يموت فى بيته بلا فائدة
وايه الاشارة بقوله تعالى (ولئن قتلتم فى سبيل الله او متم لغفرة من الله ورحمة) يعنى
فى العاقبة (خير مما يجمعون) يعنى من القنائم والمعنى ولئن تم عليكم ما تخافونه من القتل
فى سبيل الله او الهلاك بالموت فان ماتلونه من المغفرة والرحمة بالموت والقتل فى سبيل الله خير
مما يجمعون من الدنيا ومنافعا لو لم تموتوا (ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون) يعنى
لالى الله الرحيم الواسع الرحمة والمغفرة المنيب العظيم الثواب تحشرون فى الآخرة فيجازيكم
بأعمالكم وقد قسم بعض مقامات العبودية ثلاثة اقسام فمن عبده خوفا من ناره ائنه الله
مما يخاف واياه الاشارة بقوله تعالى لغفرة من الله ومن عبده تعالى شوقا الى جنته ان الله
ما يرجو واياه الاشارة بقوله تعالى ورحمة لآل الرحمة من اسماء الجنة ومن عبده شوقا الى
وجهه الكريم لا يريد غيره فهذا هو العبد المخلص الذى يتجلى له الحق سبحانه وتعالى فى دار
كرامته واياه الاشارة بقوله لالى الله تحشرون * قوله عز وجل (فبما رحمة من الله لست
لهم) اى فبرحة من الله وما صلة لست لهم اى سهلت لهم اخلائك وكثرت احتمالك
ولم تسرع اليهم بتعنيف على ما كان يوم احد منهم ومعنى فبما رحمة من الله هو توفيق الله
عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم للرفق والتلطف بهم وان الله تعالى التى فى قلب نبيه
صلى الله عليه وسلم داعية الرحمة والعطف حتى فصل ذلك معهم (ولو كنت فظا) يعنى
جافيا (غليظ القلب) يعنى قاسى القلب سبي الخلق قليل الاحتمال (لانتفضوا من حولك)
اى لنفروا عنك وتفرقوا حتى لا يبق منهم احد عندك (فاعف عنهم) اى تجاوز عن
زلاتهم وما اتوا يوم احد (واستغفر لهم) اى واسأل الله المغفرة لهم حتى يشفعك فيهم
وقيل فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بمحقوق الله وذلك من تمام الشفقة
عليهم (وشاورهم فى الامر) اى استخرج آراءهم واعلم ما عندهم واختلف العلماء فى المعنى
الذى من اجله امر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشاورة لهم مع كمال عقله وجزالة
رأيه ونزول الوحى عليه ووجوب طاعته على كافة الخلق فيما احبوا او كرهوا ففيل هو
عام مخصوص والمعنى وشاورهم فيما ليس عندك من الله فيه عهد وذلك فى امر الحرب ونحوه

وحفظ الشيطان ودواى
الهوى من طيات صفات
القلب كالخلاص واليقين
والمكاشفة ومشاهدات
ارواح ومناغبات السر
ومسائرته وتخلص المعرفة
والحبة لله بالابتلاء ووقوع
الفتن والمصائب بينكم (وما
كان الله ليطلحكم على) غيب
وجودكم من الحقائق
والاحوال الكامنة فيكم
بلا واسطة الرسول بعد
ما بينكم وبينه وعدم المناسبة
وانقاء استعداد التلقى منه

من امور الدنيا لتستظهر برأيهم فيما تشاورهم فيه وقيل امر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورتهم تطييبا لقلوبهم فان ذلك اعطف لهم عليه واذهب لاضغانهم فان سادات العرب كانوا اذا لم تشاوروا في الامور شق ذلك عليهم وقال الحسن قد علم الله تعالى ان ما به الى مشاورتهم حاجة ولكن اراد ان يستن به من بعده من امته وقيل انما امر بمشاورتهم ليعلم مقادير حقولهم وافهامهم لا ليستفيد منهم رايًا وروى البغوي بسنده عن عائشة انها قالت ما رأيت رجلا اكثر استشارة للرجال من رسول الله صلى الله عليه وسلم اتفق العلماء على ان كل ما نزل فيه وحى من الله تعالى لم يجز لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يشاور فيه الامة وانما امر ان يشاور فيا سوي ذلك من امر الدنيا ومصالح الحرب ونحو ذلك وقيل ان تشاورهم في امر الدين والدنيا فيما لم ينزل عليه في شيء لان النبي صلى الله عليه وسلم شاورهم في اسارى بدر وهو من امر الدين قال علي بن ابي طالب رضى الله عنه الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه والتدبر قبل العمل يؤمنك من الندم وقال بعض الحكماء ما استنبط الصواب بمثل المشاورة ومن ذوات المشاورة انه قديزم الایزم الانسان على امر يشاور فيه فيدين له الصواب في قول غيره فيعلم بذلك بعجز نفسه عن الاحاطة بغنون المصالح ومنها انه اذا لم ينجح امره علم ان امتناع التجاح محض قدر علم لم نفسه وقال بعضهم في مدح المشاورة

وشاور اذا وردت كل مذهب * لبيب اخي حزم ارشد في الامر * ولاتك بمن يستبد برأيه فتعجز اولًا تستريح من الفكر * لم تر ان الله قال لعبد * وشاورهم في الامر حتمًا بلانكر * قوله تعالى (فاذا عزمتم) يعنى على المشاورة (فتوكل على الله) اى فاستعن بالله في امورك كلها وثني به ولا تعتمد الاعليه فانه ولى الاعانة والصحة واتسدد والمقصود ان لا يكون للعبد اعتماد على شيء الا على الله تعالى في جميع اموره وان المشاورة لاتافى التوكل (ان الله يحب المتوكلين) يعنى المتوكلين عليه في جميع امورهم * قوله عز وجل (ان ينصركم الله) يعنى ان يصركم الله بنصره ويمنعكم من عدوكم كما فعل يوم بدر (فلا غالب لكم) يعنى من الناس لان الله تعالى هو المتولى نصركم (وان يخذلكم) كما فعل يوم احد فلم ينصركم ووكلكم الى انفسكم لمهاقتكم امره وامر رسوله صلى الله عليه وسلم (فن ذا الذى ينصركم من بعده) اى من بعدخذ لانه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) لاعلى غيره لان الامر كله لله ولاراد لقضائه ولادافع لحكمه فيجب ان يتوكل العبد في كل الامور على الله تعالى لاعلى غيره وقيل التوكل ان لاتعصى الله من اجل رزقك ولا تطلب لنفسك ناصرا غيره ولا لملك شاهدا سواء (م) عن عران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة من امتي سبعون الفا بغير حساب قالوا ومن هم يا رسول الله قال هم الذين لا يكتون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال انت منهم فقام آخر فقال يا نبي الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو وخصاصا

(ولكن الله يجتبي من رسله
من يشاء) فيطلع على اسراره
وحقائقه بالكشف لهديك
الى ما غاب عنكم من كنوز
وجودكم واسراره للجنسية
الفسانية التى بينه وبينكم
الموجبة لا مكان اهتدائكم
به (فآمنوا بالله ورسوله)
بالتصديق التام والارادة
والتمسك بالشريعة ليحكمكم
التلقى والقبول منهم (وان
تؤمنوا) بعد ذلك الايمان

وتروح بطانا اخرجه الترمذى وقال حديث حسن * قوله عز وجل (وما كان لبي ان
 يفل) قال ابن عباس نزلت هذه الآية وما كان لبي ان يفل في قطيفة جراء فقدت يوم
 بدر فقال بعض القوم لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها فأنزله تعالى هذه الآية
 الى آخرها اخرجه ابوداود والترمذى وقال حديث حسن غريب وروى عن الضحاك
 قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثين فقم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقسم
 الثلاثين فأنزله تعالى وما كان لبي ان يفل وروى ابن جرير الطبري عن ابن عباس
 في قوله تعالى وما كان لبي ان يفل يقول ما كان لبي ان يقسم الى طائفة من المؤمنين ويترك
 طائفة ويحوز في القسم ولكن يقسم بالعدل يأخذ فيه بامر الله ويحكم فيه بما أنزل الله يقول
 ما كان الله ليحعل نبيا يفل من اصحابه فاذا فعل ذلك البى استوابه وقال مقاتل والكلبي
 نزلت في غنائم احد حين ترك الرماة المركز للنجية وقالوا تخشى ان يقول النبي صلى الله عليه وسلم
 من اخذ شيئا فهو له وان لا تقسم الغنائم كالم تقسم يوم بدر وتركوا المركز وقصوا في الغنائم فقال لهم النبي
 صلى الله عليه وسلم الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى يأبىكم امرى قالوا تركا بنية اخوانا
 وقوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل نلتهم انا نفل فلانقسم فانزل الله تعالى هذه الآية وقال قتادة
 ذكر لنا انها نزلت في طائفة غلت من اصحابه وقيل ان الاقوياء الحوا عليه يسألونه من المغنم
 فانزل الله تعالى ما كان لبي ان يفل يعني فيعطى قوما ويمع آخرين بل عليه ان يقسم بينهم
 بالسوية وقال محمد بن كعب القرظي ومحمد بن اسحق بن يسار هذا في شأن الوحي يقول وما كان
 لبي ان يكتم شيئا من الوحي رغبة او رهبة او مداهة والقلول هو الحياة واصله اخذ الشيء
 في خفية يقال غل فلان يفل قرى يفتح الباء وضم القين اى وما كان لبي اى يخون لان
 النبوة والحياة لا يجتمعان لان منسب النبوة اعظم المناصب واشرفها واعلاها فلا تليق به الخيانة
 لانها في نهاية الدناءة والخسة والجمع بين الضدين محال فثبت بذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يخن
 امته في شيء لامن الغنائم ولا من الوحي وقيل المراد به الامنة لانه قد ثبت براءة ساحته النبي صلى الله عليه
 وسلم من القلول والحياة فدل ذلك على ان المراد بالقلول غير ما قيل الام فيه مقولة معناه ما كان
 ليغل على نفي القلول عن الانبياء وقيل معناه ما كان لبي القلول اراد ما غلبني قط فني عن الانبياء القلول
 وقيل معناه وما كان ليغل القلول واذا لم يحل له لم يفعله ووجه هذه القراءة انهم نسبوا النبي صلى الله
 عليه وسلم الى القلول في بعض الروايات فيبين الله تعالى هذه الآية ان هذه الخصلة لا تليق به ونفي عنه
 ذلك بقوله وما كان لبي ان يفل وقرى يفل بضم الباء وفتح القين ولها معنيان احدهما ان يكون
 من القلول ايضا ومعناه وما كان لبي ان يخان اى تخونه امته والثاني ان يكون من الاغلال
 ومعناه وما كان لبي ان يخون اى ينسب الى الخيانة (ومن يقال يأت بما غل يوم القيامة)
 يعنى بالشيء الذى يمينه يحمله على ظهره يوم القيامة ايزداد فضيحة بما يحمله يوم القيامة وقبل
 يمثل له ذلك الشيء في النار ثم يقال له انزل فخذ فيحمله على ظهره فاذا بلغ موضعه وقع
 ذلك الشيء في النار فيكف ان ينزل اليه ليخرجه يفعل به ذلك ما شاء الله وقيل معناه انه يأتي
 باثم ما غله فيجازى به يوم القيامة وهو قوله تعالى (ثم توفى كل نفس ما كسبت) يعنى من
 خير او شر والمعنى ان كل كاسب خيرا كان ذلك الكسب او شرا فهو مجزى به يوم القيامة

بالتحقيق والسلوك الى اليقين
 والمتابعة في الطريقة (وتتقوا)
 المحب الفسائبة وروائع
 السلوك (ملككم اجر عظيم)
 من كشف الحقيقة ما آتاهم
 الله من فضله من المال والعلم
 والقدرة والفس ولا يفتونه
 في سبيل الله على المستحقين
 والمستعدين والانبياء
 والصدّيقين في الدب عنهم

وهو في جزاء علمه (وهم لا يظنون) يعني بل يعدل بينهم يوم القيامة في الجزاء فيصاوي كل على علمه

فصل في ذكر احاديث وردت في القتل ووعيد القاتل وقد تقدم ان اصل القتل هو اخذ الشيء في خفية وانه الخيانة الا انه قد صار في العرف مخصوصا بالخيانة في القيمة وبهذا وردت الاحاديث (ق) عن ابي هريرة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر القتل فعظمه وعظم امره حتى قال لا الفين احدكم يحيى يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول يا رسول الله اغثنى فاقول لا املك لك شيئا قد ابغتنك لا الفين احدكم يحيى يوم القيامة على رقبته فرس له حميمة فيقول يا رسول الله اغثنى فاقول لا املك لك شيئا قد ابغتنك لا الفين احدكم يحيى يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يقول يا رسول الله اغثنى فاقول لا املك لك شيئا قد ابغتنك لا الفين احدكم يحيى يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول يا رسول الله اغثنى فاقول لا املك لك شيئا قد ابغتنك لا الفين احدكم يحيى يوم القيامة على رقبته رقاع تحف فيقول يا رسول الله اغثنى فاقول لا املك لك شيئا قد ابغتنك لفظ مسلم الرغاء صوت البعير والثغاء صوت الشاة والرقاع الثياب والصامت الذهب والفضة (ق) عن ابي هريرة قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خير ففتح الله علينا فلم تقم ذهابا ولا ورعا غنما المانع والطعام والثياب ثم انطلقنا الى الوادي يعني وادي القرى ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد له وهبه رجل من جذام يدعى رفاع بن زيد من بني الضبيب فلما نزلوا الوادي قام عبد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحل رحله فرمى بسهم فكان فيه حتفه فقلنا هنيئنا له شملته الشهادة يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا والذي نفس محمد بيده ان الشملة لتلتهب عليه نارا اخذها من القاتم يوم خير لم تصبها المقاسم قال ففزع الناس فجاء رجل بشارك او شراكين فقال اصبتها يوم خير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شراك من نار او شراكان من نار وفي رواية نحوه وفيه ومعه عبد يقال له مدع اهداه له احد بني الضبيب وفيه اذ جاءه سهم عائر انشرك السير النعل الذي يكون على ظهر القدم ومثله شمع النعل والسهم العائر هو السهم الذي لا يدري من رماه (خ) عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال كان على ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يقال له كركرة فأت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو في النار فذهبوا ينظرون اليه فوجدوا عبادة قد غلها عن زيد بن خالد الجهني ان رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال صلوا على صاحبكم تتغيرت وجوه الناس لذلك فقال ان صاحبكم غل في سيل الله ففتشنا متاعه فوجدنا خرزا من خرز اليهود لا يساوي درهمين اخرجه ابو داود والنسائي عن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من غل فاحرقوا متاعه واضربوه اخرجه ابو داود والترمذي عن عبدالله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر احرقوا متاع القات وضربوه زاد في رواية ومنعوه سهمه اخرجه ابو داود قوله تعالى (افني اتبع رضوان الله) يعني فترك القتل فلم يغل (كن بآء) اي رجع (بخط من الله) يعني بغضب من الله والمعنى فضل والخط الغضب الشديد المضى العقوبة وهو من الله انزل العقوبة عن خط عليه وقبل في معنى الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر المسلمين باتباعه واخروجه معه

او اتفناء في الله (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خير لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) اي يجعل غل اغناهم وسبب تقيدهم وحرمانهم عن روح الله ورجته وموجب هوانهم وجباهم عن نور جلاله لحبتهم له وتلفهم به (والله ميراث السموات والارض) من

يوم احدا تبه المؤمنون وتختلف عنه جماعة من المنافقين فاخبر الله تعالى بحال من اتبعه بقوله افمن اتبع
 رضوان الله وبحال من تخلف عنه بقوله كن باء بخط من الله (وماؤاه جهنم وبئس المصير)
 يعنى القاتل او المتخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم (هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون)
 يعنى هم ذوو درجات عند الله قال ابن عباس يعنى من اتبع رضوان الله ومن باء بخط
 من الله يختلفو المازل عند الله فلن اتبع رضوان الله الثواب العظيم ولن باء بخط من الله
 العذاب الاليم والمعنى افمن اتبع رضوان الله كن باء بخط من الله ليسوا سواء بل هم درجات
 عند الله على حسب اعمالهم وقيل الضمير في قوله هم درجات عائذ على قوله افمن اتبع رضوان
 الله فقط لان الغالب في العرف استعمال الدرجات لاهل الثواب والدركات لاهل المارولان
 الله وصف من باء بخط من الله ان مأواهم جهنم وبئس المصير فدل على ان الضمير في قوله
 هم درجات عند الله راجع للاول وفيه تحريض على العمل بطاعته وتحذير عن العمل بمعاصيه
 * قوله عز وجل (لقد من الله على المؤمنين) يعنى احسن اليهم وتفضل عليهم والمدة العمة
 العظيمة وذلك في الحقيقة لا يكون الا من الله ومنه قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين (اذ بعث
 فيهم رسولا من انفسهم) يعنى من جنسهم عربيا مثلهم ولد ببلدهم ونشأ بينهم يعرفون نسبه
 وليس حى من احياء العرب الاوقد ولدوه وله فيهم نسب الابنى تغلب فانهم كانوا نصارى وقد
 ثبتوا على النصرانية فظهر الله رسوله صلى الله عليه وسلم من ان يكون له فيهم نسب وقيل
 اراد بالمؤمنين جميع المؤمنين ومعنى اقوله تعالى من انفسهم اى بالايان والشفقة لا بالنسب ومن
 جنسهم ليس بملك ولا احد من غير بنى آدم وقيل من انفسهم يعنى انه من ولد اسمعيل بن ابراهيم
 الخليل عليها السلام ووجه المدة والانعام على المؤمنين بعنة الرسول صلى الله عليه وسلم لكونه
 داعيا لهم الى ما يخلصهم من العذاب الاليم ويوصلهم الى الثواب في جنات العيم وكونه من
 انفسهم ومن جنسهم لانه اذا كان اللسان واحدا سهل الاخذعه فيما يحب عليهم وكانوا واقفين
 على جميع احواله وافعاله يعرفون صدقه وامانه فكان ذلك اقرب الى تصديقه والوثوق به
 وفي كونه من انفسهم شرف لهم وكان فيما خطب به ابوطالب حين زوج رسول الله صلى الله
 عليه وسلم خديجة بنت خويلد رضى الله تعالى عنها وقد حضر ذلك بنوهاشم ورؤساء مضر
 قوله الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضى معدو عنصر مضر
 وجعلنا سدة بيته وسواس حرمه وجعل لابينا محجوبا وحرما آمنا وجعلنا الحكم على الناس
 وان ابنى هذا محمد بن عبدالله لا يوزن به فى الارحيم وهو والله بمدله نأعظم وخطب
 جليل وقيل في وجه المنة بعنة الرسول صلى الله عليه وسلم ان الخلق جبلوا على الجهل
 ونقصان العقل وقلة الفهم وعدم الدراية فمن الله تعالى على خلقه وانهم عليهم واحسن اليهم
 بأن بعث فيهم رسولا من انفسهم انقذهم به من الضلالة وبصرهم به من الجهالة وهداهم به
 الى صراط مستقيم وانما خص المؤمنين بالذكر لانهم هم المنتفعون بما جاء به دون غيرهم
 (تلووا عليهم آياته) يعنى يقرأ عليهم كتابه الذى انزل عليه بعد ان كانوا اهل جاهلية لم
 يطرقت اسمعهم شئ من الوحي السماوى (وزيكهم) اى ويطهرهم من دنس الكفرو نجاسة
 المحرمات والخبائث (ويعلمهم الكتاب والحكمة) يعنى القرآن والسنة التى سنهالهم على

النفوس وصفاتها كالقوى
 والقدر والعلوم والاوال
 وكل ما ينطبق عليه اسم
 الوجود فمالهم يخلون بماله
 عنه (والله بما تعملون خبير
 قد سمع الله قول الذين اقالوا
 ان الله فقير ونحن اغنياء
 سنكتب ما قالوا وقتهم الانبياء
 بغير حق ونقول ذووقوا
 عذاب الحريق ذلك بما قدمت

لسان نبيه صلى الله عليه وسلم (وان كانوا من قبل) يعنى من قبل بضعة الرسول صلى الله عليه وسلم (لى ضلال مبين) يعنى انى جهالة وحيرة عن الهدى عما لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فهذا هم الله بنبيه صلى الله عليه وسلم * قوله تعالى (اولما اصابكم مصيبة) يعنى ما اصابهم يوم احد (قد اصبتم مثلها) يعنى بدر وذلك ان المشركين قتلوا من المسلمين يوم احد سبعين وقتل المسلمون من المشركين يوم بدر سبعين واسروا سبعين وقيل ان المسلمين هزموا المشركين يوم بدر وهزموهم فى اول الامر يوم احد فلما عصوا الله ورسوله هزمهم المشركون فحصل انهم انهمز المشركين مرتين وانهمز المسلمين مرة واحدة (قلتم انى هذا) اى من اين لنا هذا القتل والهزيمة ونحن مسلمون ورسول الله صلى الله عليه وسلم فىنا وهو استفهام انكار (قل هو من عندنا نفسكم) يعنى انما وقعتم فيما وقعتم فيه بشؤم ذنوبكم وهو مخالفتكم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه صلى الله عليه وسلم اختار الاقامة فى المدينة على الخروج الى العدو واختار وهم الخروج اليه وايضا امر الرماة بالاقامة فى الموضع الذى عينه لهم فخالقوا وتركوا المركز لاجل الغلبة فكان ذلك سبب القتل والهزيمة وروى عبدة السلماني عن علي بن ابي طالب قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الله قد كرم ما صنع قومك فى اخذهم الفداء من الاسارى وقد امرك ان تخبرهم بين ان يضربوا اعناق الاسارى وبين ان يأخذوا الفداء على ان يقتل منهم عدتهم فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس فقالوا يا رسول الله عشارنا واخواننا بل نأخذ فداءهم فننقوى به على قتال عدونا ويسند شاهد منا عدتهم فقتل منهم يوم احد سبعون عددا اسارى اهل بدر لم يسند البغوى واسنده ابن جرير الطبرى فذلك معنى قوله قل هو من عند انفسكم يعنى بأخذكم الفداء واختياركم القتل لانفسكم (ان الله على كل شئ قدير) يعنى من نصركم مع الطاعة وترك نصركم مع المخالفة * قوله عز وجل (وما اصابكم) يعنى من القتل والجراح والهزيمة (يوم التقي الجمعان) يعنى جمع المؤمنين وجمع المشركين وذلك ما حدث يوم احد (فباذن الله) يعنى فبعلمه وقضائه وقدره وحكمه وفيه تسلية للمؤمنين بما حصل لهم يوم احد من القتل والهزيمة ولا تقع التسلية الا اذا علموا الا ان ذلك كان واقعا بقضاء الله وقدره فحينئذ يرضون بما قضى الله عليهم (ولبعلم المؤمنين ولبعلم الذين نافقوا) اى ليظهر ايمان المؤمنين ببوتهم على ما نالهم ويظهر نفاق المنافقين بقلة صبرهم على ما نزل بهم فالمراد من العلم المعلوم والتقدير ليتبين المؤمن من المنافق وليتميز احدهما من الآخر والمناق هو الذى اظهر الايمان بلسانه واضمر خلافه واشتقاقه من النفق وهو السرب فى الارض النافذ ومنه نفاق البربوع لانه لهجرا فى الارض له بابان اذا طلب من احدهما خرج من الآخر فكذلك المنافق صنع له طريقين احدهما اظهار الايمان بلسانه والاخر اضممار الكفر بقلبه من احدهما طلب من الآخر وقيل لانه دخل فى الايمان من باب وخرج من باب اخر والنفاق اسم اسلامى لم تك العرب تعرفه قبل الاسلام (وقيل لهم تعالوا فاقبلوا فى سبيل الله او ادفعوا) المقول له عبدالله بن ابي ابن سلول المنافق واصحابه وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج الى احد فى الفارجل حتى اذا كان بالشوط بين احد والمدينة انخزل عبدالله بن ابي ابن سلول بثلث الناس وقال ما تدري حلام نقتل انفسنا فرجع عن معه من المنافقين قبيهم

ايدىكم وان الله ليس بظلام
للعبيد الذين قالوا ان الله عهد
الىنا الانؤمن لرسول حتى
يأتينا بقربان تأكله البارقل
قد جاءكم رسل بالبينات
وبالدى قدتم فلم تلتقوهم
(ان كنتم صادقين) روى
ان انبياء بنى اسرائيل كانت
همزتهم ان يأتوا بقربان

جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الانصاري اخو بني سلة وهو يقول يا قوم اذكركم الله ان
تخذلوا نبيكم عند حضور عدوه فذلك قوله تعالى وقيل لهم يعني المنافقين عبدالله بن ابي ابن
سلول واصحابه تعالوا قاتلوا في سبيل الله اى لاجل دين الله وطاعته او ادفعوا يعني عن اموالكم
واهلكم وقيل معناه تعالوا كثروا سواد المسلمين ان لم تقاتلوا ليكون ذلك دفعا وقعا للعدو
(قالوا) يعني المنافقين (لو نعلم قتالا لاتبعناكم) اى لو نعلم ان اليوم يجرى فيه قتال لاتبعناكم
ولم نرجع ولو ظلموا ماتبعوهم وقيل معناه لو نحسن قتالا لاتبعناكم (هم للكفر) يعني المنافقين
الى الكفر (يومئذ اقرب منهم للايمان) اى الى الايمان وانما قال تعالى يومئذ لانهم قبل ذلك
اليوم لم يظهروا ما يظهروه من المعاندة والرجوع عن المسلمين وقولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم
وانما كانوا قبل ذلك يظهرون كلمة الاسلام ويخفون الكفر (يقولون بافواهم ما ليس في قلوبهم)
يعنى يظهرون بالسنتهم الايمان وليس هو في قلوبهم انما في قلوبهم الكفر والفاق وهذه صفة
المنافقين لاصفة المؤمنين لان صفة المؤمن من المحاسن والطاعة القلب للسان على شئ واحد وهو
التوحيد (والله اعلم بما يكنون) يعنى من النفاق (الذين قالوا لايخوانهم) نزلت في عبدالله
بن ابي المنافق واصحابه وفي المراد باخوانهم قولان احدهما ان المراد باخوانهم الذين استشهدوا
بأحد فيكون اخوانهم في النسب لافي الدين والقول الثاني ان المراد باخوانهم المنافقون فعلى القول
الاول يكون معنى الآية الدين قالوا في اخوانهم او عن اخوانهم الذين قتلوا بأحد لواطاعونا
ماقتلوا لانهم بعد ان قتلوا لا يخطبون وعلى القول الثاني يكون معنى الآية الذين قالوا
وهم عبدالله بن ابي واصحابه لايخوانهم يعنى في النفاق (وقعدوا) يعنى عن الجهاد (اوطاعونا) يعنى
هؤلاء الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اوطاعونا يعنى في القعود عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم او الانصراف عنه (ماقتلوا) يومئذ قد الله تعالى عليهم بقوله (قل) يعنى
قل لهم يا محمد (فادروا) اى فادفعوا (عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين) يعنى ان الحذر لا ينفذ
من القدر وفي الآية دليل على ان المقتول يموت باجله خلافا لمن يزعم ان القتل قطع على المقتول
اجله (ولانحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا) قيل نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر
رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار وقال اكثر المفسرين انها نزلت في شهداء احد
ويدل على ذلك ما روى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انه لما اصيب
اخوانكم بأحد جعل الله ارواحهم في جوف طير خضر ترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى
الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم وشربهم ومقابلهم قالوا
من يبلغ اخواننا عنا اننا احياء في الجنة ثلاث زهدوا في الجنة ولا ينكسروا عن الحرب فقال الله تعالى
انا بلغهم عنكم فانزل الله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون
الى آخر الآية أخرجه ابو داود (م) عن مسروق قال سألت ابا عبد الله عن هذه الآية ولا تحسبن الذين
قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فقال اما ان قد سألت عن ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ارواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من
الجنة حيث شئت ثم تأوى الى تلك القناديل فاطلع اليهم ربهم اطاعه فقال هل تشتهون
شيئا قالوا اى شئ تشتهى ونحن تسرح من الجنة حيث شئنا ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما

فدعوا الله فتساقى نار من
السموات كله و تولى ان يأتوا
بفسوسهم يتقربون بها الى الله
وبه عون الله بالزهد والعبادة
تأتى نارا لعشق من سماء
الروح تأكله ونفسيه في
الوحدة فبعد ذلك صحت
نبوتهم وظهرت فسمع به عوام
بنى اسرائيل فاعتقدوا ظاهره

رأوا انهم لن يتركوا من ان يسألوا قالوا يارب نريد ان ترد ارواحنا واجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة اخرى فلما رأى ان ليس لهم حاجة تركوا * ذكر ما يتعلق بهذا الحديث قول مـ روق سألنا عبد الله كذا جاء عبد الله غير منسوب وقد نسب به بعض الناس فقال عبد الله بن عمرو قد ذكره ابو مسعود الدمشقي والحميدي في مسنده عن عبد الله بن مسعود وهو الصحيح وهذا الحديث مرفوع لقوله اما انا قد سألنا عن ذلك فقال يعنى النبي صلى الله عليه وسلم وفي الحديث دليل على ان الجنة مخلوقة الآن خلافا للمعتزلة لقوله صلى الله عليه وسلم تسرح من الجنة حيث شاءت وهو مذهب اهل السنة وفيه دليل على ان الارواح باقية لا تفنى بفناء الجسد وان المحسن ينم ويجازى بالثواب وان المسيء يذب ويجازى بالعقاب قبل يوم القيامة وهو مذهب اهل السنة ايضا قوله ارواحهم في جوف طير خضر اى يجعل الله ارواح الشهداء في جوف طير خضر وهذا ليس بعيد لاسيما مع القول بان الارواح اجسام لطيفة وقيل ان الدم والمغذبة من الارواح والاجساد جزء من الجسد تبقى فيه الروح وهو الذى يتلذذ بالنعيم ويتألم بالعذاب فغير مستحيل ان يصور الله تعالى ذلك الجزء طائرا ويجعل في جوف طير تسرح في الجنة وتأوى الى تلك القناديل وقد تعلق بهذا الحديث من يقول بالتناسخ من المتدعة ويقول بانتقال الارواح وتعيمها في الصور الحسان المرفهة وتعذيبها في الصور القبيحة المسخرة ويزعون ان هذا هو الدواب والعقاب وهذا ضلال بين وقول سخي فبعدة بالطة لما في هذا القول من ابطال ما جاءت به الشرائع من الحشر والنشر والمعاد والجنة والنار وقد جاء في بعض روايات هذا الحديث ما يرد عليهم وهو قوله حتى يرجعه الله الى جسده يوم يعثه يعنى يحى جميع جسده يوم يعثه وهو يوم القيامة والله اعلم عن جابر قال لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مهمتم فقال ما لي اراك منكسرا قلت يا رسول الله استشهد ابى يوم احد وترك عيالا ودينا فقال لا ابشرك بمالى الله به اباك قلت بلى قال ما كلم الله احدا قط الا من وراء حجاب وانه احيا اباك وكله كفاحا وقال يا عبدى تمن على اعطيك قال رب تحببني فاقتل ثانية قال سبحانه انه قد سبق من انهم لا يرجعون فنزلت ولا تحسن الذين قتلوا في سبيل الله الآية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وقيل ان الآية نزلت في شهداء بئر معونة وهى بئر بين مكة وعسفان وارض هذيل قال محمد بن اسحق عن اشياخه من اهل العلم فالواقدم ابو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة وكان سيد بنى عامر بن صعصعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واهدى له هدية فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقبلها وقال انى لا قبل هدية مشرك ثم عرض عليه الاسلام واخبره بماله فيه وما اعد الله للمؤمنين وقرأ عليه القرآن فلم يسلم ولم يحدو قال يا محمد ان الذى تدعوا اليه حسن جميل فلو بعثت رجلا من اصحابك الى اهل نجد يدعونهم الى امرك رجوت ان يستجبوا لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى اخشى عليهم اهل نجد فقال ابو براء انا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس الى امرك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المذنب عمرو الخثعمي ساعدا في سبعين رجلا من خيار المسلمين وكان يقال لهم القراء منهم الحرث بن الصمة وحرام بن ملحان وعروة ابن اسماء بن الصلت ونافع بن يزيد بن رواء الخزاعي وعامر بن فهيرة مولى ابى بكر وذلك في صفر سنة اربع من الهجرة بعد احد باربعة اشهر فساروا حتى نزلوا بئر معونة وهى

وان كان ممكنا من عالم القدرة
فاقتروا على كل نبى تلك
الآية كما توهوا من اقراض
الله الذى هو بذل المال في
سبيل الله بالاتفاق لاستيفاء

ارض بين ارض بنى عامر وحررة بنى سليم فلما نزلوها قال بعضهم لبعض ايكم يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل هذا الماء فقال حرام بن ملحان انا فخرج بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عامر بن الطفيل وكان على ذلك الماء فلما اتاهم حرام بن ملحان لم ينظر عامر بن الطفيل في كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرام بن ملحان يا اهل بئر معونة اتاني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم واتى اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فآمنوا بالله وسوله فخرج اليه رجل من كسر البيت برمح فضربه به في جنبه حتى خرج من الشق الآخر فقال الله اكبر فزت ورب الكعبة ثم استصرخ عامر بن الطفيل بنى عامر على المسلمين فابوا ان يجيبوه الى مادعاهم اليه وقالوا لا نخفرا ببراء فقد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم قبائل بنى سليم عصابة ورعلا وذكوان فاجابوه فخرجوا حتى غشوا القوم فاحاطوهم في رحالهم فلما راوهم اخذوا السيوف فقاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم الا كعب بن زيد فانهم تركوه وبه رمق فارتث بين القتل فاش حتى قتل يوم الخندق وكان في سرح القوم عرو بن امية الصمري ورجل من الانصار احده بنى عرو بن عوف فلم نعلما بمصايب اصحابهما الا الطير تحوم على المسكر فقالا والله ان لهذا الطير لثانا فاقلنا لينظرا فاذا القوم في دملهم واذا الخيل التي اصابتهم واقفة فقال الانصاري لعرو بن امية ماذا ترى قال لنلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ونخبره فقال الانصاري لكني لا ارجو عن موطن قتل فيه المذبرين عرو ثم قاتل القوم حتى قتل واخذ عرو بن امية الصمري اسيرا فلما اخبرهم انه من مضر اطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته واعتقه عن رقبة زعم انها كانت على ايه فقدم عرو بن امية على رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عمل ابي براء وقد كنت لهذا كارها متخوفا فبلغ ذلك ابا براء فشق عليه اخفار عامر بن الطفيل اباه وما اصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه وجواره وكان حين اصاب عامر بن فهيرة مولى ابي بكر الصديق فروى محمد بن اسحق عن هشام بن عروة عن ايه ان عامر بن الطفيل كان يقول من الرجل منهم لم يقتل رأيت رفع بين السماء والارض حتى رأيت السماء من دونه قالوا هو عامر بن فهيرة قالوا وبلغ ربيعة بن ابي براء ان عامر بن الطفيل اخفر ذمة ايه فحمل على عامر بن الطفيل فطعنه فخر عن فرسه قتل وذكر ابن الاثير الجزري في كتاب جامع الاصول له في قسم الاسماء في ترجمة عامر بن الطفيل ان عامر بن الطفيل قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن بضعة وثمانين سنة ولم يسلم وعاد من عنده فخرج له خراج في اصل اذنه اخذه منه مثل النار فاشتد عليه ومات منه (ق) عن انس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اقواما من بنى سليم الى بنى عامر في سبعين وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خاله اخلام سليم واسمه حرام في سبعين راكبا فلما قدموا قال لهم خالي اتقدمكم فان امنوني حتى ابلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والا كنتم مني قريبا فتقدم فامنوه فبينما هو يتحدثهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذاؤموا الى رجل منهم فطعنه فاتفقه فقال الله اكبر فزت ورب الكعبة ثم مالوا على بقية اصحابه فقتلوهم الارجلا اخرج سعد الجبل قال همام واره آخر معه فاخبر جبريل

الثواب وبذل الافعال
والصفات بالحق في السلوك
لاستبدال صفات الحق وافضاله
وتحصيل مقام الابدال فقر
الحق وغناهم او كبروا
الانبياء في الموضعين بعدما
فهموا (ان كنتم صادقين فان
كذبوك فقد كذب رسل من
قبلك جاؤا بالبينات والزبر

عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم انهم قد لقوا ربهم فرضى عنهم وارضاهم قال
فكننا نقرا ان بلغوا قومنا ان قد لقينا ربنا فرضى عنا وارضانا ثم نسبح بعد فدا
عليهم اربعين صباحا على رعل وذكوان وبني عصية الذين عصوا الله ورسوله
وفي رواية ان رعلا وذكوان وبني لحيان استمدوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فامدهم بسبعين رجلا من الانصار كنا نسميهم القراء في زمانهم كانوا يخطبون
بالتار ويصلون بالليل حتى اذا كانوا ببرءة قتلوهم وغدروا بهم فبلغ ذلك النبي صلى الله
عليه وسلم فغنت عليهم شهرا يدعو في الصبح على احياء من العرب على رعل وذكوان وعصية
وبني لحيان قال انس فقرانا فيهم قرآنا ثم ان ذلك رفع بلغوا قومنا ان قد لقينا ربنا فرضى عنا وارضانا
ولمسلم قال جاء ناس الى النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه ان ابعث معنا رجلا يعلمونا القرآن
والسنة فبعث اليهم سبعين رجلا من الانصار وذكر نحو ما تقدم وقيل ان اولياء الشهداء واهليهم
كانوا اذا اصابتهم نعمة وخير تحسروا على الشهداء وقالوا نحن في النعمة والرحاء وآبأونا وآبأونا
واخوانا في القبور فانزل الله تعالى هذه الآية تطيبا لقلوبهم وتقديسا عنهم واخبارا عن حال
قتلاهم فقال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله اى ولا تظنن الخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ولكل احده من امته والمعنى لا يظن ظان ان الذين قتلوا في سبيل الله اوات يعني كما واث
غيرهم ممن لم يقتل في سبيل الله (بل احياء) اى بل هم احياء وظاهر الآية يدل على كون من قتل
في سبيل حيا فاما ان يكون المراد انهم سيصبرون احياء في الآخرة اوبكون المراد انهم احياء
في الحال وعلى تقدير انهم احياء في الحال هل يكون المراد اثبات الحياة الروحانية او اثبات الحياة
الجسمانية فهذه ثلاثة اوجه في معنى احتمال الحياة فن قال بالوجه الاول وهو انهم سيصبرون
احياء في الآخرة قال معنى الآية بل هم احياء في الذكر وانهم يدكرون بخيراتهم وانهم استشهدوا
في سبيل الله وقبل بل هم احياء في الدين وهذا القول ليس بصواب لان الله تعالى اثبت لهم الحياة
في الحال بقوله بل احياء يعني في حال ما يقتلون فانهم يحيون وهو الاحتمال الثاني واختلفوا في معنى
هذه الحياة هل هي للروح او للجسم والروح معا فن اثبت الحياة للروح دون الجسم قال يدل
على ذلك صلى الله عليه وسلم ارواح الشهداء في حواصل طير خضر فخص الارواح دون
الاجساد وقال بعض المفسرين ان ارواح الشهداء تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش الى يوم
القيامة ومن اثبت الحياة للروح والجسم معا قال يدل عليه سياق الآية وهو قوله عند ربهم
يرزقون فاخبر الله سبحانه وتعالى انهم يرزقون ويأكلون ويتعمون كالاحياء وقيل ان الشهيد
لا يبلى في قبره وتأكله الارض كغيره وروى انه لما اراده ماوية ان يجرى الماء على قبور الشهداء
امر ان ينادى من كان له قتل فليخرجه وليحو له من هذا الموضع قال جابر فخر جنا اليهم فاخرجناهم
رطاب الابدان فاصابت السمحة اصبع رجل منهم فانبت دما وذكر البغوي يغير سعد بن عبيد
الله بن غير قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من احد على مصعب بن غير وهو
مقتول فوقف عليه ودعاه ثم قرأ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هؤلاء شهداء عدالله يوم القيامة فأتوهم وزورهم وسلموا عليهم
فوالذي نفسي بيده لا يسلم عليهم احد الى يوم القيامة الا ردوا عليه وقوله تعالى (عند ربهم)

والكتاب المنير كل نفس
ذاتة الموت وانما توفون
اجوركم يوم القيامة فن
زحزح عن النار وادخل
الجنة فقد فاز وما الحياة
الدنيا الا متاع الزور
انبلون في اهلكم وانفسكم
ولتسمعن من الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم ومن

يعنى في محل كرامته وفضله (يرزقون) يعنى من ثمار الجنة ونحفظها (فرحين بما آتاهم الله من فضله)
يعنى بما اعطاهم من الثواب والكرامة والاحسان والافضال في دار النعيم (ويستبشرون)
اى يفرحون والاشتبشار هو الفرح والمرور الذى يحصل للانسان عند البشارة (بالذين
لم يلحقوا بهم من خلفهم) يعنى من اخوانهم الذين تركوهم احياء في الدنيا على منهج الايمان والجهاد
لعلهم بانهم اذا استشهدوا لحقوا بهم ونالوا من الكرامة مثل ما نالوا فهم بذلك مستبشرون وقيل
ان الشهداء سألوا الله عز وجل ان يخبر اخوانهم بما نالوا من الخير والكرامة ليرغبوا في الجهاد
فاخبرهم الله عز وجل اني قد انزلت على نبي محمد صلى الله عليه وسلم واخبرته بما لكم وما صرتم
اليه من الكرامة وان محمد صلى الله عليه وسلم قد اخبر اخوانكم بذلك ففرحوا بذلك واستبشروا
(ان لا خوف عليهم) يعنى في الآخرة (ولا هم يحزنون) يعنى على ما قاتلهم من نعيم الدنيا (يستبشرون
بنعمة من الله وفضل) لما بين الله تعالى ان الشهداء يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من
خلفهم ذكرانهم ايضا يستبشرون لانفسهم بما رزقوا من النعيم والفضل فلا تشبشار بالذي
لانفسهم خاصة (وان الله لا يضيع اجر المؤمنين) يعنى كما انه تعالى لا يضيع اجر المجاهدين والشهداء
كذلك لا يضيع اجر المؤمنين

الذين اشركوا اذى كثيرا
وان تصبروا وتتقوا فان
ذلك من عزم الامور واذ
اخذ الله ميثاق الذين اتوا
الكتاب لتبينه للناس
ولا تكتونه فنبذوه وراء
ظهورهم واشتروا به ثمنا
قليل فبئس ما يشترون
لا تحسبن الذين يفرحون

فصل في فضل الجهاد والشهادة في سبيل الله (ق) عن ابي هريرة رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يفرجه الا جهادا في سبيلي وايمانى
وتصديقاً برسلى فهو على ضامن ان ادخله الجنة او ارجعه الى مسكنه الذى خرج منه نائلاً
ما نال من اجر او غنية والذى نفس تمديدته ما نكلم في سبيل الله الا جاء يوم القيامة كهيمته
حين يكلمه لونه لون دم وريحه ريح مسك والذى نفس تمديدته لولا ان يشق على المسلمين ما قعدت
خلاف سرية تغزو في سبيل الله ابدا ولكن لا جد سعة فاحلهم ولا يجدون سعة وبشق عليهم
ان يتخلعوا عنى والذى نفس تمديدته اوددت انى اغزو في سبيل الله فاقتل ثم اغزو فاقتل لفظ
مسلم (ق) عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقدوة في سبيل الله اوروحة خير من
الدنيا وما فيها (ق) عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في سبيل الله
خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط احدكم في الجنة خير من الدنيا وما عليها عن فضالة بن عبيد
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل ميت يتغم على عمله الا المرابط في سبيل الله فانه يغنى له عمله الى
يوم القيامة ويأمن من فنة ان قبر اخرجه ابوداود والترمذى عن معاذ بن جبل انه سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة ومن سأل الله القتل
في سبيل الله صادق من نفسه ثم مات او قتل كان له اجر شهيد ومن حرق جرحا في سبيل الله او نكب
نكبة فانها تجى يوم القيامة كاعز رما كانت لونها لون زعفران وريحها ريح المسك ومن خرج
به خراج في سبيل الله فان عليه طابع الشهداء اخرجه ابوداود والنسائي واخرجه الترمذى مرفقا
في موضعين (ق) عن ابي سعيد قال اتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اى الناس افضل
قال مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قال ثم من قال رجل في شعب من اشعاب بعد الله وفي رواية
يتقى الله ويدع الناس من شره (خ) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس

فرسا في سبيل الله ايمانا واحتسابا وتصديقا بوعده فان شبهه وربيه ورويه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات (ق) عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما احدي دخل الجنة فيصعب ان يرجع الى الدنيا وله ما على الارض من شيء الا الشهيد يتنى ان يرجع الى الدنيا فيقتل عشر مرات لا يرى من الكرامة وفي رواية لما يرى من فضل الشهادة (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يغفر للشهيد كل ذنب الا الذين عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما يجد الشهيد من مس القتل الا كما يجد احدهم من القرصة اخرجه الترمذي وللنسائي نحوه عن ابى الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع الشهيد في سبعين من اهل بيته اخرجه ابودود قوله عز وجل (الذين استجابوا لله والرسول) الآية قال اكثر المفسرين ان اباسفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء نده واهل انصرافهم وتلاوه واقتالوا الا محمد اقبلتم ولا الكواكب اردتهم قتلتموهم حتى اذا لم يبق الا الشريد تركتموهم ارجعوا فاستاصلوهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد ان يهرب العدو ويبرهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج في طلب ابى سفيان فانتدب عصاة منهم مع ملابهم من الم الجراح والقرح الذي اصابهم يوم احد ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا يخرجن معنا احدا من حضرةنا بالامس فكلمه جابر بن عبد الله فقال يا رسول الله ان ابى كان خلفي على اخوات لي سبع وقال لي يا بني انه لا ينبغي لي ولك ان تترك هؤلاء النسوة ولا رجل فيهن ولست بالذى اوترك على نفسي بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتخلف على اخواتك فتخلفت طهين فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه وانما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهبا للعدو وليبلغهم انه خرج في طلبهم فيظنون به قوة وان الذي اصابهم لم يوهنهم فينصرفوا فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ابوبكر وعمر وعثمان وعلي وطهمة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابوعبيدة ابن الجراح وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان في سبعين رجلا من اصحابه حتى بلغوا اجراء الاسد وهى من المدينة على ثمانية اميال (ق) عن عائشة في قوله الذين استجابوا لله والرسول من بعدما اصابهم القرع للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم قالت لعروة يا ابن اختى كان ابوك منهم الزبير وابو بكر لما اصاب نبي الله صلى الله عليه وسلم ما اصاب يوم احد وانصرف المشركون خاف ان يرجعوا فقال من يذهب في اثرهم فانتدب منهم سبعون رجلا كان فيهم ابو بكر والزبير قال فر رسول الله صلى الله عليه وسلم معبد الخزاعي بحمراء الاسد وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بتهامة صفقتهم معه لا يخفون عنه شيئا كان بها ومعبد يومئذ مشرك فقال يا محمد والله لقد عز علينا ما اصابك في اصحابك ولو ددنا ان الله كان قد اعفأك فيهم ثم خرج معبد من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقي اباسفيان ومن معه بالروحاء وقد اجعوا على الرجعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا قد اصبنا جل اصحابه وقادتهم لنكرن على بقتهم ولنفرغن منهم فلا رأى ابو سفيان معبدا قال له ما وراك يا معبد قال محمد قد خرج في اصحابه يطلبكم في جمع لم ارمثه قط تحرقون عليكم تحرقا

بما اتوا) اى يحبوا بما فعلوا من طاعة واشار وكل حسنة من الحسنات ويحبون برؤيته (ويحبون ان يحمداوا) اى يحمدهم الناس فهم محبوبون يعرض الحمد والتناء من الناس او ان يكونوا محمودين في نفس الامر عند الله (بالم

وقد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندوهوا على صنعهم وفيهم من الحق عليكم شيء لم ار مثله قط قال ابو سفيان وبك ما تقول قال والله ما اراك ترحل حتى ترى نواصي الخيل قال فوالله لقد اجعنا الكثرة عليهم لنستأصل بقيتهم فقال والله اني انما لك عن ذلك فوالله لقد جعلني ما رأيت على ان قلت اياتا قال وما قلت قال قلت

كادت تهد من الاصوات راحلتى * اذ سالت الارض بالجر دابايل
تردى باسد كرام لا تنال * عند اللقاء ولا ميل معازيل
فقلت ويل ابن حرب من لقائكم * اذ تطفطت البطحاء بالخيول
اني نذير لاهل السبل ضاحية * لكل ذي اربة منهم ومعقول
من جيش اجد لا وحش يقاله * وليس بوصف ما نذرت بالقليل

قالوا فثنى ذلك ابو سفيان ومن معه ومر ركب من عبد القيس فقال ابن تريدون قالوا نريد المدينة لاجل الميرة قال فهل انتم مبلغون عنا محمدا رسالة واحل لكم آبالكم زيبا بعكاظ اذا وافتموها قالوا نعم قال اذا وافتموه فاخبروه انا قد اجعنا السير اليه والى اصحابه لنستأصل بقيتهم وانصرف ابو سفيان الى مكة ومر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الاسد فاخبروه بالذي قال ابو سفيان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حسب الله ونعم الوكيل ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة بعد ثلثة وقال مجاهد وعكرمة نزلت هذه الآية في غزوة بدر الصغرى وذلك ان اباسفيان يوم احد حين اراد ان ينصرف قال يا محمد موعد ما بيننا وبينك موسم بدر الصغرى لقاتل ان شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بيننا وبينك ان شاء الله فلا كان العام المقبل خرج ابوسفيان في اهل مكة حتى نزل بمجنة من ناحية مر الظهران ثم اتى الله الرعب في قلبه فداله الرجوع فاقى نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال له ابو سفيان يا نعيم اني قد واعدت محمد او اصحابه ان نلتقي بموسم بدر الصغرى وهذا عام جدب ولا يصالحنا الاعام رعى فيه النحر ونشرب الابن وقد بدالى ان لا اخرج اليها واكره ان يخرج محمد ولا اخرج انا فيزيدهم ذلك جراءة ولان يكون الخلف من قبلهم احب الى من ان يكون من قبلى فالحق بالمدينة فنبطهم واعلمهم انا في جمع كثير لاطافة لهم بنا ولك عندي عشرة من الابل اضعاها لك على يد سهيل بن عمرو ونصنعا لك قال وجاء سهيل فقال له نعيم يا ابازيدا تضمن لي هذه القلائس وانطلق الى محمد فاشطه قال نعم قال فخرج نعيم حتى اتى المدينة فوجد الناس يتجهزون لمعاد ابى سفيان فقال نعيم ابن تريدون قالوا واعدنا اباسفيان ان نلتقي بموسم بدر الصغرى فقال نعيم بشس الراى رايتم اتوكم في دياركم وقرارك فلم يفلت منكم الا الشريد افتريدون ان تخرجوا اليهم وقد جمعوا لكم عند الموسم والله لا يفلت منكم احد فكره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا اخرجن ولو وحدى فاما الجبان فانه رجع واما الشجاع فانه تاهب للقتال وقالوا حسينا الله ونعم الوكيل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في اصحابه حتى وافوا بدر الصغرى وكانوا يلقون المشركين فيسألونهم عن قربش فيقولون قد جمعوا لكم يريدون بذلك ان يربصوا المسلمين فيقول المؤمنون حسينا الله ونعم الوكيل حتى بافوا بدر الصغرى وكانت موضع سوق لهم في الجاهلية يجتمعون اليها كل عام ثمانية ايام فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر ينتظر اباسفيان وقد انصرف ابوسفيان من مجنة الى مكة فلم يلق

يفعلوا) بل فعله الله على ايديهم اذ لا فعل الا لله والله خلقكم وما تعملون (فلا تحسبهم بمقازة من العذاب فانزى من عذاب الحرمان (ولهم عذاب اليم) لكان استعدادهم واحتجابهم بافيه وكان من حمهم ان ناسبوا الفضيلة والفعل الخيل الى الله ويسهبوا من حوائم وقوتهم اليه ولا يتحجبوا برؤية الفعل

رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه احدا من المشركين ووافوا السوق وكان معهم تجارات ونفقات فباعوا فاصابوا بالدرهم درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين فاعين فذلك قوله تعالى الذين استجابوا لله والرسول اى اجابوا الله واطاعوه في جميع او امره واطاعوا الرسول ايضا (من بعد ما صابهم القرح) يعنى من بعد ما نالهم من الم الجراح (لذين احسنوا منهم واتقوا) يعنى احسنوا بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجابوه الى القز وواتقوا معصية والتخاف عنه (اجر عظيم) يعنى لهم ثواب جزيل وهو الجنة * قوله عز وجل (الذين قال لهم الناس) هذا الآية متعلقة بالآية التى قبلها لان المراد بالذين من تقدم ذكره وهم الذين استجابوا لله والرسول وفي المراد بالناس وجوه احدها انه نعيم بن مسعود الاشجعي فيكون اللفظ عاما اريد به الخاص وانما جاز اطلاق لفظ الناس على الانسان الواحد لان ذلك الواحد اذا فعل فعلا او قال قولاً ورضى به غيره حسن اضافة ذلك الفعل والقول الى الجماعة وان كان الفاعل واحدا فهو كقوله تعالى واذا قتلتم نفسا والقاتل واحد الوجه الثانى ان المراد بالناس الركب مع عبد القيس قاله ابن عباس ومحمد بن اسحق الوجه الثالث ان المراد بالناس المنافقون وذلك انهم لما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم يتجهز لمعاد ابى سفيان بن حاطب عن الخروج معه وقالوا لهم ان القوم قد اتوكم في دياركم فقتلوا الاكثر منكم فان خرجتم اليهم لم يبق احد منكم (ان الناس) يعنى اباسفيان واصحابه من رؤساء المشركين (قد جعوا لكم) يعنى المجموع الكثيرة لان العرب تسمى الجيش جمعا ويجمعونه جموعا (فاخشوهم) اى فخافوهم واحذروهم فانه لاطاقة لكم بهم (فزادهم ايمانا) يعنى فزاد المسلمين ذلك التخويف تصديقا وبقيت وقوة في دينهم وثبوتاً على نصر نبيهم صلى الله عليه وسلم وفي هذه الآية دليل لمن يقول بزيادة الايمان ونقصه لان الله تعالى نص على وقوع الزيادة في الايمان (وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) اى كافيا الله هو الذى يكفينا امرهم فهو كقول امرئ القيس * وحسبك من غنى شع ورى * اى يكفيك الشعب والرى ونعم الوكيل يعنى ونعم الموكل اليه في الامور كلها وقيل الوكيل هو الكافي والمعنى يكفينا الله ونعم الكافي هو وقيل الوكيل هو الكفيل ووكيل الرجل في ماله هو الذى كفله وقام به الوكيل في صفة الله تعالى هو الكفيل بارزاق العباد ومصالحهم وانه الذى يستقل بامورهم كلها (خ) عن ابن عباس قال في قوله تعالى ان الناس قد جعوا لكم الى قوله وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قاله ابراهيم حين اتى في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس ان الناس قد جعوا لكم * قوله تعالى (فانقلبوا) اى فانصرفوا وارجعوا بعد خروجهم والمعنى وخرجوا فانقلبوا فحذف الخروج لان الانقلاب يدل عليه (بنعمة من الله) اى بعافية لم يبقوا عدوا (وفضل) اى تجارة وريح وهو ما صابوا في سوق بدر من الربح وقيل النعمة منافع الدنيا والفضل ثواب الآخرة (لم عسهم سوء) اى لم يصبرهم ذى ولا مكروهم من قتل وجراح (واتبعوا رضوان الله) يعنى في طاعة الله وطاعة رسوله وقيل انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله ثواب القز وورضى عنهم بمجرد خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (والله ذو فضل عظيم) يعنى انه تعالى تفضل عليهم بالتوفيق للافعال وقيل تفضل عليهم باقواء العرب في قلوب المشركين حتى رجعوا * قوله عز وجل (انما ذلكم الشيطان يخوف اوليائه) يعنى انما ذلكم الخوف والنبط هو الشيطان يخوف بالسوسة بان اتى ذلك في افواههم ليرهبوا المؤمنين

من انفسهم ولا يتوقوا به المدح والنساء (والله ملك السموات والارض) ليس لاحد فيها شئ حتى يعطى غيره فيجب بعطائه (والله على كل شئ قدير) لا يقدر غيره على فعل ما حتى يعجب برؤيته فيفرح به فرح اعجاب (ان في خالق السموات والارض واختلاف الليل والنهار آيات لاولى الابواب الذين يذكرون الله)

ويخوفهم ويحبونهم وقوله اولياءه يعني الشيطان يخوفكم يامعشر المؤمنين باولياءه وقيل
معناه يعظم اولياءه في صدوركم تخافونهم وقيل معناه يخوف اولياءه المنافقين ليقعدوا عن قتال
المشركين واولياء الشيطان هم الكفار والمنافقون الذين يطيعونه وبؤتروا امره واولياء
الله هم المؤمنون الذين لا يخافون الشيطان اذا خوفهم ولا يطيعونه اذا امرهم (ولا تخافوهم)
يعني فلا تخافوا اولياء الشيطان ولا تقعدوا من قتالهم ولا تجنّبوا عنهم (وحافون) اي فاجهدوا
في سبيل مع رسولي فاني وليكم وناصركم (ان كنتم مؤمنين) اي مصدقين بوعدى اتى متكفل
لكم بالنصر والظفر قوله تعالى (ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) قيل هم كذّار
قريش هم وقيل هم المنافقون ورؤساء اليهود وقيل هم قوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى ولا يحزنك
يا محمد من يسارع في الكفر ويجمع الجموع لمحاربك فان هذا المقصود لا يحصل لهم وقيل يسارعونهم
في الكفر مظاهرتهم الكفار على النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى يسارعون في نصرة
الكفر فلا يحزنك فعلهم فانك منصور عليهم (انهم لن يضرروا الله شيئا) يعني يسارعونهم في الكفر
انما يضررون انفسهم بذلك وقيل معناه لن يضرروا اولياء الله شيئا (يريد الله الان يجعل) يسارعونهم
(لهم حظا في الآخرة) يعني لا يجعل لهم نصيبا في بواب الآخرة فذلك خذلهم حتى سارعوا
في الكفر وفي الآية دليل على ان الخير والشر بارادة الله تعالى وفيه رد على القدرية والمعتزلة
(ولهم عذاب عظيم) يعني في الآخرة (ان الذين اشتروا الكفر بالايمان) يعني المنافقين أمّوا
ثم كسرو والمعنى انهم استبدلوا الكفر بالايمان فكانهم اعطوا الايمان واخذوا الكفر كايضل
المشتري من اعطاء شيء واخذ غيره بدلا عنه (ان يضرروا الله شيئا) يعني باستبدالهم الكفر بالايمان
وانما ضروا انفسهم بذلك (ولهم عذاب اليم) يعني في الآخرة قوله عن وحل (ولا تحسبن
الذين كفروا) قري حُسين بالتأويل الياء فنقرأ بانتهاء فعناه ولا تحسبن يا محمد املاءنا للكفار خيرا لانفسهم
ومن قرأ الياء قال معناه ولا تحسبن الكفار املاءنا لهم خيرا نزلت في منكرى مكة وقيل نزلت
في يهود بنى قريظة والضمير (انما على لهم) الاملاء الاهمال والتأخير واصله من الماودة وهى
المدة من الزمان والمعنى ولا تظنن الذين كفروا ان امهالنا ايهم بطول العمر والانساء في الاجل
(خير لانفسهم) ثم قال تعالى (انما على لهم ليزدادوا اثما) يعني انما تمهلهم ونؤخر في آجالهم
ليزدادوا اثما (ولهم عذاب بهين) يعني في الآخرة روى البغوى بسنده عن عبد الرحمن بن ابي
بكر عن ابيه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الناس خير قال من طال عمره وحسن
عمله قيل فاي الناس شر قال من طال عمره وساء عمله وروى ابن جرير الطبري بسنده عن الاسود
قال قال عبد الله ما من نفس رقت ولا فاجرة الا والموت خير لها وقرأوا لا تحسبن الذين كفروا انما على لهم
خير لانفسهم انما على لهم ليزدادوا اثما وقرأوا نزلنا من عند الله وما عند الله خير الا برار وقال ابن
الانباري قال جماعة من اهل العلم انزل الله عز وجل هذه الآية في قوم يعاندون الحق سبق في
عمله انهم لا يؤمنون فقال انما على لهم ليزدادوا اثما بمعاندتهم الحق وخلافهم الرسول وقد دل
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيت الله يعطى على المعاصي فان ذلك استدراج من الله
خلقه ثم تلا هذه الآية وقال الزجاج هؤلاء قوم اعلم الله نبيه صلى الله عليه وسلم انهم لا يؤمنون
ابدا وان نفاقهم يزيدهم كفرا وانما وهذه الآية بحجة ظاهرة على القدرية حيث اخبر الله تعالى
انه يطيل اعمار قوم ويعلمهم ليزدادوا كفرا وانما وغيا قوله تعالى (ما كان الله ليجزى المؤمنين

في جميع الاحوال وعلى
جميع الهيئات (قياما) في
مقام الروح بالمشاهدة
(وقعودا) في محل القاب
للمحاشنة (وعلى حواسهم)
اي تقاباتهم في مكان النفس
بالمشاهدة (ويتكبرون)
بالباهم اي عموهم الخاصة
عن سوب الوهم (في خلق
السوات والارض) عالم
الارواح والاجساد
يقولون عند اليهود (ربنا

على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) اختلف العلماء في سبب نزول هذه الآية فقال
الكلبي قالت قريش يا محمد تزعم ان من خالفك فهو في النار والله عليه غضبان وان من اطاعك وتبعك
على ذلك فهو في الجنة والله عه راض فاجبرنا بمن يؤمن بك وبمن لا يؤمن بك فانزل الله تعالى
هذه الآية وقال السدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت على امي في صورها في الطين
كأعرضت على آدم واعلمت من يؤمن بي ومن يكفر بي فبلغ ذلك المنافقين فقالوا استنزاء زعم
محمد انه يعلم من يؤمن به ومن يكفر بمن لم يخلق بعد ونحن معه وما يعرفنا فبلغ ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقام على المنبر فحمد الله تعالى واشى عليه ثم قال ما بال اقوام طعنوا في علي
لاتسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة الا نباتكم به فقام عبدالله بن حذافة السهمي
فقام من ابي يا رسول الله فقال حذافة فقام عمر فقال يا رسول الله رضينا بالله ربا وبالا سلام
دينا وباقرا آن اماما وبك نبيا فاعف عنا عفا الله عنك فقال النبي صلى الله عليه وسلم فهل انتم
متنهون فهل انتم متنهون ثم نزل عن المنبر فانزل الله هذه الآية وقيل ان المؤمنين سألوا
ان يعطوا آية يفرقون بها بين المؤمن والكافر فنزلت هذه الآية وقيل ان قوما من
المنافقين ادعوا ان ايمانهم كايمن المؤمنين فاطهر الله تضافهم يوم احد وانزل هذه
الآية واختلفوا في معنى الآية وحكمها فقال ابن عباس واكثر المفسرين الخطاب للكفار
والمنافقين والمعنى ما كان الله ليدرك المؤمنين على ما أنتم عليه يا مشرك الكفار والمنافقين من الكفر
والنفاق حتى يميز الخبيث من الطيب وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما كان الله ليدرككم يا مشرك
المؤمنين على ما أنتم عليه من اختلاط المؤمن بالمنافق والتباس بعضهم ببعض حتى يميز الخبيث
من الطيب بمعنى المنافق من المؤمن الخاص فيزاله المؤمنين من المنافق يوم احد فاطهر المنافقون
النفاق وتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انما حصل التمييز يوم احد بالقاء الجميع
في الخوف والقتل والهزيمة فن كان مؤنثبت على ايمانه وتصديقه ولم ينزل ومن كان منافقا
اظهر نفاقه وكفره وقيل في معنى الآية حتى يميز المؤمن من المنافق والكافر بالجهاد والهجرة
وقيل في معنى الآية ما كان الله ليدرك المؤمنين في اصلاص الرجال المشركين وارحام النساء
المشركات والمعنى ما كان الله ليدع اولادكم الذين جرى لهم الحكم بالايمان على ما أنتم عليه
من الشرك حتى يميزا خبيث من الطيب يعني يفرق بينكم وبين من في اصلاصكم وارحام نسائكم
من المؤمنين فيحكم لاهل الايمان بالجنة ولاهل الشرك والكفر والنفاق بالنار (وما كان الله
ليطلعكم على الغيب) الخطاب في قوله ليطلعكم لكفار قريش الذين قالوا يا محمد اخبرنا عن
يؤمن بك ومن لا يؤمن والمعنى وما كان الله ليبين لكم ايها الكفار المؤمن من الكافر فيقول
فلان مؤمن وعلان كافر ومنافق لانه لا يعلم الغيب احد غيره وان سنة الله جارية انه
لا يطلع على غيبه آحاد الناس فلا سبيل الى معرفة المؤمن من الكافر والمنافق الا بالامتحان بالآفات
والمصائب فيتميز المؤمن المحلص ببياته على ايمانه وينزل المنافق عند الحسن
والبلايا وقيل في معنى الآية وما كان الله ليطلع محمد ا على الغيب فيضركم بالمؤمن
من الكافر (ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء) يعني ولكن الله يصطفى ويختار من رسله من
يشاء ويطلعه على ما يشاء من غيبه (فاؤمنوا بالله ورسله) يعني انه لما قامت الدلائل على
صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يبق الا الايمان بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم

ما خافت هذا) الخلق
(باطلا) اي شيئ غيرك فان
غير الحق هو الباطل بل
جعلته اسماءك ومظاهر
صفاتك (سبحانك) نزهك
ان يوجد غيرك اي يقارن
شيء فردا نيتك اويني
وحدا نيتك (فقنا عذاب
النار) نار الاحتجاب
بالاكوان عن افعالك
وبالافعال عن صفاتك
وبالصفات عن ذاتك وقاية

وانما قال ورسله على الجمع ولم يقل ورسوله على التوحيد لقوله ولكن الله ينجي من رسله من يشاء ولانه اذا اقر بجميع الرسول كان مقرا باحدهم وهذه صفة المؤمنين لانهم آمنوا بجميع الرسل (وان تؤمنوا وتلقوا) يعنى وان تصدقوا من اجتيته رسالى واطلعت على ما اشاء من غيبى واعلمته بالتناق منكم والمؤمن المخلص وتلقوا ربكم فيما امركم به ونهاكم عنه (فلكم اجر عظيم) يعنى فلكم بايمانكم واتقانكم ثواب جزيل وهو الجنة * قوله عز وجل (ولا يحسبن الذين يخجلون بما آتاهم الله من فضله هو خير لهم) يعنى ولا يحسبن الذين يخجلون الخجل خير لهم (بل هو) يعنى الخجل (شر لهم) والخجل هو امساك المقتنيات عما لا يستحق حبسها عنه والخجل هو الذى يكثر منه الخجل والآية دالة على ذم الخجل عن عبدالله بن عمر قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اياكم والشح فانما هلك من كان قبلكم بالشح امرهم بالخجل فجلوا وامرهم بالفجور ففجروا اخرجه ابوداود وعن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خصتان لا يجتمعان في مؤمن الخجل وسوء الخلق اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب واختلف العلماء فيمن زلت هذه الآية فقال عبدالله بن مسعود وابو هريرة وابن عباس في رواية ابى صالح عنه والشعبي ومجاهد زلت هذه الآية في الذين يخجلون ان يؤدوا زكاة اموالهم ووجه هذا القول ان اكثر العلماء ذهبوا الى ان الخجل عبارة عن منع الواجب وان من منع التطوع لا يكون بخيلا ويدل عليه الوعيد الشديد في سياق الآية وهو قوله تعالى سيطوقون ما تملكون به وهذا لا يكون الا في ترك الواجب لافي التطوع وقال ابن عباس في رواية علمية عنه وابن جريج عن مجاهد انها زلت في اخبار اليهود الذين كتبوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وهذا القول هو اختيار الزجاج ووجه هذا القول ان الخجل عبارة عن منع الخير والنفع ويدخل فيه العلم كما يقال بخل فلان بعلمه وصحح الطبري القول الاول واختاره * وقوله (سيطوقون ما تملكون به يوم القيامة) اى سيلزمون وبال ما تملكون به الزام الطوق فان جلتا معنى الآية على منع الزكاة والخجل بها فقد قال ابن مسعود وابن عباس يجعل مامنه من الزكاة حية تطوق في عتقه يوم القيامة تنهشه من فرقه الى قدمه ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاع اقرعه زبيتان بطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمته يعنى شديقه ثم يقول انما لك انا كنزك ثم تلا ولا تحسبن الذين يخجلون بما آتاهم الله الآية اخرجه البخارى قوله له زبيتان قيل هما التكتان السود او ان فوق عيني الحية وقيل هما نقطتان تكتنفانها وقيل هما زبيتان في شديقهما وقد جاء في الحديث تفسير لهزمته بانهما شدة وقيل انهما مضغان في اصل الحنك وقيل هما منحنى العميين اسفل من الاذنين وكاهن تغارب (ق) عن ابى ذر وقال انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رأى قالهم الاخسرون ورب الكعبة قال فجئت حتى جلست فلم اقاها ان قت فقلت يا رسول الله فذاك ابى وامى من هم قالهم الا كثرون او الا الامن قال هكذا وهكذا هكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم مامن صاحب ابل ولا بقر ولا قم لا يؤدى زكاتها الا جاءت يوم القيامة اعظم ما كانت واسمعه تنطع بقرونها ونطوء باطلاها كانت قد اخرها عادت عليه اولاهها حتى يقضى بين الناس لفظا

مطلقة تامة كافية (ربنا انك من تدخل النار) بالحرمان (فقد اخزيته) بوجود البقية التي كلها ذل وعار وشار (وما للظالمين) الذين اشركوا برؤية الغير مطلقا او البقية (من انصار ربنا اننا سمعنا) باسماع قلوبنا (مناديا) من اسرارنا التي هي شاطئ وادرى الروح الايمن (ينادى للإيمان) الى الايمان

مسلم وفرقه البخاري بعناه في موضعين وقيل في معنى الآية انه يجعل في اعناقهم اطواق من النار وقيل يكفون يوم القيامة ان يأتوا بما يخلوا به من اموالهم في الدنيا وان جلتا تفسير البخل على البخل بالعلم وكنهانه فقد قال ابن عباس في قوله سيطوفون ما يخلوا به يوم القيامة يخلون وزره واثمه فيكون على طريق التخييل كما يقال قلدتك هذا الامر وجعلته في عنقك وقيل يجعل في رقابهم طوق من نار ويدل عليه ما روى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل علما يعلم فكتمه الجحيم بلجام من نار اخرجه الترمذي وفي رواية ابى داود من سئل عن علم فكتمه الجحيم الله بلجام من نار يوم القيامة قيل في معنى الحديث انهم لما سئلوا عن العلم فكتموه ولم ينطقوا به بالسند منهم ولم يخرجوه من افواههم عوضوا عن ذلك بلجام من نار في افواههم عقوبة لهم والله اعلم * قوله تعالى (ولله ميراث السموات والارض) معنى انه سبحانه وتعالى الباقي الدائم بعد فناء خلقه وزوال املاكهم فيموتون وتبقى املاكهم فيرثها سبحانه والمقصود من الآية انه يظل ملك جميع المالكين ويبقى الملك لله تعالى وقيل في معنى الآية وله ما فيها مما يتوارثه اهلها من ما علم وغير ذلك فمالهؤلاء الاخلاء يخلون عليه بما ملكه ولا يتفقونه في سبيله (والله بما يعملون خير) قرئ يعملون بالياء على التيقية على طريقة الالتفات هي المبلغ في الوعيد والمعنى والله بما يعملون يعنى الاخلاء من منعمهم الحقوق خير فيجازيهم عليه وقرئ بالياء على خطاب الحاضرين * قوله عز وجل (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء) قال الحسن وقتادة لما نزلت هذه الآية من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قالت اليهود ان الله فقير يستقرض منا ونحن اغنياء وذكر الحسن ان القائل هذه المقالة هو حبي بن اخطب وقال عكرمة والسدى ومقابل ومحمد بن اسحق كتب الى صلى الله عليه وسلم مع ابى بكر الصديق الى يهود بني قينقاع يدتوهم الى الاسلام والى اقامة الصلاة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فدخل ابو بكر ذات يوم بيت مدراسهم فوجدنا سا كثيرا قد اجتمعوا على فقاح بن عازوراء وكان من علمائهم و معه حبر آخر يقال له اسديع فقال ابو بكر لفحاح اتق الله واسلم فوالله انك لتعلم ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاءكم بالحق من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة فان صدق واقرض الله قرضا حسنا يدخلك الجنة وبضاعف لك الثواب فقال فقاح يا ابا بكر تزعم ان ربنا يستقرض اموالنا وما يستقرض الا التقير من الغنى فان كان ما تقول حقا فان الله اذا فقير ونحن اغنياء ففضب ابو بكر وضرب وجه فقاح ضربة شديدة وقال والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينكم لضربت عنقك يا عدو الله فذهب فقاح الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد انظر ما صنع بي صاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاني بكر ما حلك على ما صنعت فقال يا رسول الله ان هذا عدو الله قال قولا عظيما زعم ان الله فقير وانهم اغنياء ففضبت لله وضربت وجهه فجحد ذلك فقاح فانزل الله تصديقا لابي بكر وتكذبا لفحاح ورد عليه لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء وهذه المقالة وان كانت قد صدرت من واحد من اليهود لكنهم يرضون بمقاتله هذه فتسببت الى جسيمهم ولا يخلوا ان يكونوا قالوا هذه المقالة عن اعتقاد ذلك القول او قالوها استهزاء واجما كان فهذه المقالة عظيمة القبح لاتصدر عن عاقل وانما صدرت عن كافر متمرد في كفره وضلاله (سنكتب ما قالوا) يعنى قولهم ان الله

الغياي (ان آمنوا بربكم فآمننا) اى شاهدوا ربكم فشهدنا (ربنا فاغفر لنا ذنوبنا) ذنوبنا (ذنوب صفاتنا بصفاتك (وكفرنا سيئاتنا) سيئات افعالنا برؤية افعالك (وتوفنا مع الابرار) عن ذواتنا في محبة الابرار من الابدال الذين توفاهم بذاتك عن ذواتهم لا الابرار الباقين على حالهم في مقام محو الصفات غير المتوفين

فقبر ونحن اغنياء لان ذلك كذب وافتراء والمعنى سحفظ عليهم ما قالوا وقيل سثبت ذلك القول في صحائف ائمة الهن التي تكتبها الحفظة عليهم حتى يوافوا بها يوم القيامة فهو وعيد وتهديد لهم (وقلمهم الانبياء بغير حق) قيل معناه سنكتب مقال هؤلاء اليهود ونكتب ما فعله اسلافهم فيجازي كلا الفريقين بما هو اهل له وانما نسب قتل الانبياء الى اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وانما فعله اسلافهم واوائلهم لانهم رضوا بفعلهم فنسب اليهم وقيل في معنى الآية سنكتب على هؤلاء ما قالوا بانفسهم ونكتب عليهم ايضا رضاءهم بقتل آباءهم الانبياء والقائدة في ضمير قتلهم الانبياء الى ما وصفوا الله تعالى بالفقر الاعلام بذلك انهما اخوان في العظم وان هذا القول منهم ليس باول ما ارتكبه من العظائم انهم اصلاء في الكفر والجهل والضلال ولهم في ذلك سوابق وان من قتل الانبياء لا يبعد منه الاجترار مثل هذا القول العظيم الفحش والقبح (ونقول) يعني لهؤلاء الذين قالوا هذه المقالة (ذوقوا عذاب الحريق) اي ننتقم منهم بان نقول لهم يوم القيامة ذوقوا عذاب الحريق كما اذقم المسلمين الغصص في الدنيا (ذلك) اي ذلك العذاب المحرق جزاء فمناكم حيث وصفتم الله بالفقر واقدمتم على قتل الانبياء (بما قدمت ايديكم) انما ذكر الايدي على سبيل المجاز لان الفاعل هو الانسان لا اليد لان اليد لا كانت آلة الفعل حسن اسناد الفعل اليها لان اكثر الاعمال يكون باليد فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل التغليب (وان الله ليس بخالام للعبيد) فيعذب بغير ذنب بل هو سبحانه وتعالى عادل ومن العدل ان يعاقب المسيء ويبغ المحسن قوله عز وجل (الذين قالوا ان الله عهد اليها) هل انكبي نزلت في كعب بن الاشرف ومالك بن صبي ووهب بن يهودا وزيد بن تابوت وقحاص بن عازوراء وحيي بن اخطب من اليهود اتوا الى صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد نزع ان الله بعثك اليها رسولا وانزل عليك كتابا وان الله عهد اليها في التوراة ان لا تؤمن لرسول نزع انه جاء من عند الله حتى يأتيكم بقران تأكله الارقان جنته صدقات فانزل الله تعالى الذين قالوا يعني قد سمع الله قول الذين قالوا ان الله عهد اليها يعني امرنا واوصانا في كتبه (ان لا تؤمن لرسول حتى يأتيكم بقران تأكله الار) يعني فيكون ذلك دليلا على صدقه وذكر الواحدى عن السدى انه قال ان الله تعالى امر بني اسرائيل في التوراة من جاءكم يزعم انه رسول الله فلا تصدقوه حتى يأتيكم بقران تأكله الار حتى يأتيكم المسيح ومحمد فاذا اتياكم فآمنوا بهما فانهما يأتيان بغير قران زاد غير الواحدى عنه قال وكانت هذه العادة باقية فيهم الى مبعث المسيح عليه السلام ثم ارتفعت وزالت وقيل ادعاء هذا الشرط كذب على التوراة وهو من كذب اليهود وتخريفهم ويدل على ذلك ان المقصود في الدلالة على صدق النبي هو ظهور المجزة الخارقة للعادة فاي مجزة اتى بها النبي قبلت منه وكانت دليلا على صدقه وقد اتى النبي صلى الله عليه وسلم بالمعجزات الباهرات الدالة على صدقه فوجب على كافة الخلق اتباعه وتصديقه والقران كل ما يتقرب به العبد الى الله عز وجل من اعمال البر من نكح ومصدق وذبح وكل عمل صالح ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم الصوم جنة والصلاة قران بمعنى انما ما يتقرب بها الى الله عز وجل وكانت القرابين والقائم لاتعل لى اسرائيل وكانوا اذا قربوا قربانا او غنما عجمة جمعوا ذلك وجاءت نار بيضاء من السماء لادخان لها ولها دوى وحفيف فتأكل ذلك القران او الضحية وتحرقه فيكون ذلك دليلا وعلامة على القبول

بالكلية (ربنا واتأما وعدتنا على) اتباع (رسلك) او محمولا على رسلك من البقاء بعد الفناء والاستقامة بالوجود الموهوب بعد التوحيد (ولا نخزنا يوم القيامة) الكبرى ووقت بروز الخلق لله الواحد القهار بالاحتجاب بالوحدة عن الكثرة وبالجمع عن التفصيل (انك لا تخلف

وإذا لم يقبل بقي على حاله ولم تنزل نار وقال عطاء كانت بنو اسرائيل يذبحون لله فأتوا خنوع
الثوب والطايب اللحم فيضعونها في وسط بيت والسقف مكتوف فيقوم بينهم عليه السلام
في البيت ويناجي ربه عز وجل وبنو اسرائيل خارجون حول البيت فتزل نار يضاء لها دوى
وحفيف ولا دخان لها فتأكل كل ذلك القربان ثم قال الله عز وجل مجيباً عن هذه الشبهة التي
ذكرها هؤلاء اليهود واقامة للحجة عليهم (قل) يعني قل يا محمد هؤلاء اليهود (قد جاءكم
يعني يا معشر اليهود) (رسل من قبلي) يعني مثل زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام (بالبينات)
يعني بالدلائل الواضحات الدالة على صدقهم (وبالذي قلم) يعني ما طلبوا من القربان (فلم
قتلهم) يعني فلم قتلتم الانبياء الذين اتوا بما طلبتم منهم مثل زكريا ويحيى وسائر من قتلوا
من الانبياء واراد بذلك فعل اسلافهم وانما خاطب بذلك اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله
عليه وسلم لانهم كانوا راضين بفعل اسلافهم (ان كنتم صادقين) يعني في دعواكم ومعناه
تكذيبهم اياك يا محمد مع علمهم بصدقك كقتل آباءهم الانبياء مع اتيانهم بالقربان ثم قال تعالى مسلياً
لنبيه صلى الله عليه وسلم (فان كذبوك) يعني هؤلاء اليهود (فقد كذب رسل من قبلك) يعني
مثل نوح وهود وصالح وابراهيم وغيرهم من الرسل (جاؤا بالبينات) يعني بالدلائل
الواضحات والمعجزات الباهرات (والزبر) اي الكتب واحدها زبور وكل كتاب فيه حكمة
فهو زبور واصله من الزبر وهو الزجر وسمى الكتاب الذي فيه الحكمة زبوراً لانه زبراً يزجر
عن الباطل ويدعو الى الحق (والكتاب المنير) اي الواضح المضيء وانما عطف الكتاب المنير على
الزبر لشرفه وفضله وقيل اراد بالزبر الصحف وبالكتاب المنير التوراة والانجيل * قوله عز وجل
(كل نفس ذائقة الموت) يعني ان كل نفس مخلوقة ذائقة الموت ولا بد لها منه قيل لما نزل قل يتوفاكم
ملك الموت قالوا يا رسول الله انما نزلت في نبي آدم فاين ذكر الموت للجن والانعام والوحوش والطير
فنزلت هذه الآية وقيل لما خلق الله آدم عليه السلام اشتكت الارض الى ربها عز وجل بما اخذ منها
فوعدها ان يرد فيها ما اخذ منها فما احدي موت الاويد فن في التربة التي خلق منها فان قلت الحور
والولدان نفوس مخلوقة في الجنة لا تذوق الموت فاحكم لفظ كل في قوله كل نفس ذائقة الموت قلت
لفظة كل لا تقتضي الشمول والاحاطة بدليل قوله تعالى واوتيت من كل شيء ولم تؤت ملك سليمان
فتكون الآية من العام المخصوص ويحتمل ان يكون المراد بهم المكافين بدليل سياق الآية وهو
قوله تعالى (وانما توفون اجوركم) يعني توفون جزاء اعمالكم (يوم القيامة) ان كان خير افخروا وان
كان شر افشروا (فمن زحرج عن النار وادخل الجنة فقد فاز) يعني فمن نجحوا بعد عن النار وادخل
الجنة فقد ظفروا بالجنة ونجوا من الخوف (وما الحياة الدنيا الا متاع القرون) يعني ان العيش في هذه الدار
القانية بغير الانسان بما يمينه من طول البقاء وسينقطع عن قريب فوصفت بانها متاع القرون لانها تقرب بطل
المحبوب وتخيّل للانسان انه يدوم وليس بدائم والمتاع كل ما يستمتع به الانسان من مال وغيره وقيل المتاع
كالقأس والقدر والقصة ونحوها والقرون ما يفر الانسان مما لا يدوم وقيل القرون الباطل ومعنى
الآية ان منفعة الانسان بالدنيا كنفعته بهذه الاشياء التي يستمتع بها ثم تزول عن قريب وقيل متاع وترك
يوشك ان يضمحل ويؤول فيعود من هذا المتاع واعلموا فيه بضاعة الله ما استطعتم قال سعيد بن جبيرة
متاع القرون لمن لم يشغل بطلب الآخرة فاما من اشتغل بطلب الآخرة فهي له متاع وبلاغ الى ما هو خير
منها (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين
ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة

المعاد) فتبقى مقاماً وراء
نال فصل اليه (فاستجاب
لهم ربهم اني لا اضيع عمل
عامل منكم من ذكر)
القلب من الاعمال القلبية
كالخلاص واليقين
والكشف (او اثني) النفس
من الاعمال القلبية
كالطاعات والمجاهدات
والرياضات (بعضكم من
بعض) يجمعكم اصل واحد

اعين زادا التزمى وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها واقرؤا ان شئتم وظل ممدود
وموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها واقرؤا ان شئتم فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد
فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الفروور وقوله عز وجل (تلبون) الام لام القسم تقديره والله تلبون
اي تخبرن فتوقع عليكم المحن ليعلم المؤمن من غيره والاختبار طلب المعرفة ليعرف الجيد من الرديء
وذلك في وصف الله محال لان الله تعالى عالم بحقائق الاشياء كلها قبل ان يخلقها فعلى هذا يكون معنى
الاختبار في وصف الله تعالى انه يعامل العبد معاملة المحتبر (في اموالكم) يعني بالابتلاء في الاموال
بالنقصان منها وقيل باداء ما فر من فيها من الحقوق (وانفسكم) يعني بالمصائب والامراض والقتل وفقد
الاقارب والعشائر خو طلب بهذه الآية المسلمون ليوطنوا انفسهم على احتمال الاذى وما سيلقون من
الشدائد والمصائب ليصبروا على ذلك حتى اذا تقوها لقوها وهم مستعدون بالصبر لها لا يرهقهم ما يرهق
غيرهم بمن تصيبه الشدة بفتنة فينكروها ويشتمونها (ولتسمن من الذين اتوا الكتاب من قبلكم ومن
الذين اشركوا اذى كثيرا) قال عكرمة نزلت في ابي بكر الصديق وقصاص بن عازوراء وذلك
ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث ابا بكر الى قمصاص سيد بنى قينقاع يستخذه وكتب اليه معه كتابا
وقال لابي بكر لا تفتنان على بشي حتى ترجع فجاء ابو بكر وهو متوشع بالسيف الى قمصاص واعطاه
الكتاب فلما قرأه قال قمصاص قد احتاج ربك حتى تمده فهم ابو بكر ان يضربه بالسيف ثم ذكر قول النبي
صلى الله عليه وسلم لا تفتنان على بشي حتى ترجع فنزلت الآية وقال الزهري نزلت هذه الآية
في النبي صلى الله عليه وسلم وكعب بن الاشرف اليهودي وذلك انه كان يحبوا النبي صلى الله عليه وسلم
ويسب المسلمين ويحرم من المشركين على قتالهم في شعره (ق) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من لكعب بن الاشرف فانه قد اذى الله ورسوله قال محمد بن مسلمة انحب ان اقتله قال نعم قال ائذن لي
فلاقل قال فانه فقال له وذكرا ما بينهم وقال ان هذا الرجل قد اراد الصدقة وقد عنا فلما سمعه قال واذنا
والله لئلكنه قال انما قد اتبعناه ونكره الا ان ندعه حتى ننظر الى اى شئ يصير امره قال وقد اردت ان
تسلفني سلفا قال فانه هني اترهني نساء كم قال انت اجل العرب ازهنك نساء نأقال له ترهون اولادكم
قال يسب ابن احدنا فيقال رهن في وسقين من تمر ولكن ترهونك اللامة يعني السلاح قال نعم وواعده ان
يأتيه بالحرث وابي عبس بن جبر وعبد بن بشر قال جفاؤا فدعوه ليل انزل اليهم قالت امرأتها اني لاسمع
صوتا كما كان صوت دم قال انما هو محمد رضي ابو نائلة ان الكريم يدعى الى طعنة ليل الاجاب قال نعم
اني اذا جاء فسوف اميدي الى رأسه فاذا استمكنك منه فدونكم قال فلما نزل وهو متوشع فقالوا نجد
منك ريح الطيب قال نعم تحتى فلانة اعطر نساء العرب قال فتأذن لي ان اشم منه قال نعم فشم فتناول فشم ثم
قال اتأذن لي ان اعود قال فاستمكن من رأسه ثم قال دونكم فقتلوه زاد في رواية ثم اتوا النبي صلى الله
عليه وسلم فاخبروه وزاد اصحاب السير والمغازي فاختلف عليه اسايههم فلم تغن شيئا قال محمد بن مسلمة
فذكرت مغولا في سبي فاخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولها حصن الا واودت عليه نار قال
فوضعت في ثدونه ثم تحملت عليه حتى بلغت عاتقه ووقع عدو الله وقد اصيب الحرث بن اوس بجرح في
رأسه اصابه بعض اسيا فافجر جنا وقد ابطأ علينا صاحبنا الحرث وزفه الدم فوق قتاله ساعة حتى اتانا
ينبع آثارنا فحملناه وجئنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل وهو قائم يصلي فلما عليه فخرج
علينا فاخبرناه بقتل كعب بن الاشرف وجئنا برأسه اليه وتقل على جرح صاحبنا فرجعنا الى اهله
واصبنا وقد خافت اليهود وقتابعد والله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ظفرتم به من

وحقيقة واحدهم الروح
الانسانية اى بعضكم منشأ
من بعض فلا اثيب بعضكم
واحرم بعضنا (فالذين
هاجروا) عن اوطان
الوفات النفس (واخر حوا
من ديارهم) ديار صفاتها
او هاجروا من احوالهم
التي اللذوا بها واخر حوا
من مقاماتهم التي يسكنون
الها (واو ذوا في سبيلي)

رجال اليهود فاقتلوه وانزل الله عز وجل في شأن كعب بن الاشرف اليهودي ثلثون في اموالكم وانفسكم ولستم من الذين اتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى ومن الذين اشركو ايدي مشركي العرب اذى كثير يعني بالاذى قول اليهود ان الله فقير ونحن اغنياء وما شبه ذلك من افتراءهم وكذبهم على الله ورسوله وما كان كعب بن الاشرف يعجبه النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين فهذا هو الاذى الكثير (وان تصبروا وتقوا) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين يعني وان تصبروا على اداهاهم وتقوا فيما امركم به ونهاكم عنه لان الصبر عبارة عن احتمال الاذى والمكروه والتقوى عبارة عن الاحتراز عما لا ينبغي (فان ذلك من عزم الامور) اي من صواب التدبير الذي لا شك ان الرشد فيه ولا ينبغي لمعاقل تركه واصله من قولك عزمت عليك ان تفعل كذا اي الزمتك ان تفعله لاحالة ولا تركه وقيل معناه فان ذلك بما قد عزم عليكم فعله اي الزمتكم الاخذ به ~~بما~~ قوله تعالى (واذا خذ الله) اي واذا كرم يا محمد وقت اذا خذ الله (ميثاق الذين اتوا الكتاب) يعني اليهود والنصارى والمراد منهم العلماء خاصة وقيل المراد بالدين اتوا الكتاب العلماء والاحبار من اليهود خاصة واخذ الميثاق هو التوكيد والارم لسان ما وتوهم من الكتاب وهو قوله تعالى (ليبينه للناس) يعني ليبين ما في الكتاب وليظهره للناس حتى يعلموه وذلك ان الله اوجب على علماء التوراة والانجيل ان يشرحوا للناس ما في هذين الكتابين من الدلائل الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (ولا يكتفونه) يعني ولا يخفون ذلك على الناس (فتبذروهم) يعني الكتاب وقيل الميثاق (وراء ظهورهم) اي فطرحوه وضيعوه وتركوا العمل به (واشربوا به ثمنا قليلا) يعني المآكل والشراب التي كانوا يأخذونها من هوامهم وسفلتهم (فبئس ما يشربون) ذمهم الله تعالى على فعلهم ذلك واعلم ان ظاهر هذه الآية وان كان مخصوصا بعلماء اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى فلا يبعد ان يدخل فيه علماء هذه الامة الاسلامية لانهم اهل كتاب وهو القرآن وهو اشرف الكتب قال قتادة هذا ميثاق اخذ الله تعالى على اهل العلم فن علم شأ فليعلموا ياكم وكتان العلم فانه هلكة وقال ايضا مثل علم لا يقال به كمثل كنز لا يتفق معه ومثل حكمة لا تخرج كمثل صنم لا يأكل ولا يشرب وقال ايضا طوبى لعالم باطى وسع وعاد هذا علم غافله وهذا سمع خيرا فقله ووعاه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل عما يعلم فكنهه الحلم بلجام من نار اخرجه الترمذي والابن داود ومن سئل عن علم فكنهه الجمه الله بلجام من نار يوم القيامة وقال ابو هريرة لولا ما اخذ الله عز وجل على اهل الكتاب ما حدثكم بشئ ثم تلا هذه الآية واذا خذ الله ميثاق الذين اتوا الكتاب الآية وقال الحسن بن عمار قاتلت الزهري بعد ان ترك الحديث فالفقه على بابه فقلت اريد ان تحدثني فقال اما علمت اني قد تركت الحديث فقلت اما ان تحدثني واما ان احديثك قال حدثني فقلت حدثني الحكم بن عيينة عن يحيى بن الخراز قال سمعت علي بن ابي طالب رضي الله عنه يقول ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا قال حدثني اربعين حديثا ~~بما~~ قوله عز وجل (لنحسبن الذين يفرحون) قرى بالباء على الخطاب اي لا تحسبن يا محمد الفارحين الذين يفرحون وقرى بالياء على الغيبة يعني ولا يحسبن الفارحون والمعنى لا يحسبن الذين يفرحون فرحهم فنجيهم من العذاب نزلت هذه الآية في المنافقين (ق) عن ابي سعيد الخدري ان رجلا من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الفز وتخلفوا عنه وفرحوا ببعدهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا اليه وحلفوا له واحبوا ان يحمدا وعالم يفعلوا فنزلت لا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا الآية وقيل نزلت في اليهود (ق) عن

اي ابتلوا في سبيل ساوكة
افعالا بالبلايا والمحن
والشدائد والفتن ليقرنوا
بالصبر ويفوزوا بالتوكل
في سبيل سلوك صفاتي
بسلوات تجليات الجلال
والعظمة والكبرياء ليصلوا
الى الرضا (واقبلوا) البقية
بالجهاد في (وقتلوا) وافوا
في الكفاية (لا كفرن عنهم
سيئاتهم) كماها من الصغائر

حيد بن عبد الرحمن بن عوف ان مروان قال اذهب يا رافع لبوابه الى ابن عباس فقل اني كان كل امرئ منافرح بماقي واحب ان يحمدوا لم يفعل معذبا لتعذب اجمعون قال ابن عباس ما لكم ولهذه الآية انما نزلت هذه الآية في اهل الكتاب ثم تلا ابن عباس واذا اخذ الله ميثاق الذين اتوا الكتاب ليدينهم للناس الآية وتلا ابن عباس لا يحسن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا وقال ابن عباس سألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه اياه واخبروه بغيره فخرجوا وقذاروه ان قد اخبروه بما سألهم عنه واستخمدوا اليه بذلك وفرحوا بما اتوا ومن كتمانهم اياه ما سألهم عنه (بما اتوا) يعني يفرحون بما فعلوا (ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا) اي ويحبون ان يحمدوا ما لم يفعلوا على شيء لم يفعلوه قبل عنى بذلك قوم من اهل الكتاب اليهود كانوا يفرحون باضلالهم للناس ونسبة الناس اياهم الى العلم قال ابن عباس واذا اخذ الله ميثاق الذين اتوا الكتاب الى قوله ولهم عذاب اليم يعني قحاص واسبيع واشباههما من الاحبار الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زينوا للناس من الضلالة ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا اي يقول الناس لهم علماء وليسوا باهل علم وقيل هم اليهود فرحوا باجتماع كلمتهم على تكذيب نبيهم صلى الله عليه وسلم وذلك انهم كتبوا الى اليهود والعراق والشام واليمن ومن يلفهم كتابهم من اليهود في الارض كلها ان محمد ليس بنبي فاثبتوا على دينكم فاجتمعت كلمتهم على الكفر ففرحوا بذلك وقالوا نحن اهل الصوم والصلاة واحبوا ان يحمدوا على ذلك وقيل فرحوا بما اتوا من تبديلهم التوراة واحبوا ان يحمدوا الناس على ذلك وقيل ان يهود خيبر انت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا نحن نعرفك ونصدقك وقالوا لا صحابه نحن على رأيكم ونحن لكم ردة وليس ذلك في قلوبهم واحبوا ان يحمدوا النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون على ذلك (فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) اي فلا تظننهم بمنجاة من العذاب الذي اعد الله لهم في الدنيا من القتل والاسر وضرب الجزية والذلة والصغار (ولهم عذاب اليم) يعني في الآخرة وهذه الآية وان كانت قد نزلت في اليهود او المنافقين خاصة فان حكمها عام في كل من احب ان يحمدوا بما لم يفعل من الخير والصالح او ينسب الى العلم وليس هو كذلك قوله عز وجل (ولله ملك السموات والارض) يعني انه تعالى مالك لما فيهما جبر ما يتصرف به كيف يشاء وفيه تكذيب لمن قال ان الله فقير ونحن اغنياء بقول الله عز وجل ان من له جبر ما حوته السموات والارض من شيء كيف يكون فقيرا (والله على كل شيء قدير) يعني انه تعالى قادر على تعجيل العقوبة لهم على ذلك القول ولكنه تفضل على خلقه بما لهم قوله عز وجل (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب) قال ابن عباس ان اهل مكة سألوا النبي صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم بآية فنزلت هذه الآية والمعنى تفكروا واعتبروا ايها الناس فيما خلقه وانشأته من السموات والارض لمعاشكم وارزاقكم وفيما عفت من ذلك بين الليل والنهار واختلافهما في الطول والقصر فعملتم ما يختلفان ويعتبان عليكم لكي تنصرفوا فيهما لمعاشكم تطلبون ارزاقكم في النهار وتسكنون في الليل لراحة اجسادكم فاعتبروا وتفكروا يا اولي الباب يعني يا ذوي العقول الصافية يعني الذين يفهمون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار لا ينظرون اليها انظر البهائم غافلين عما فيها من عجائب مخلوقاته وغرائب مبتدعاته (ق) عن ابن عباس انه بات عند ميمونة ام المؤمنين وهي خاتمه قال فقلت لا نظرن الى صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فطرحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسادة فاضطجعت في عرض الوسادة واضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واهله في طولها فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اتصف بالليل اوقبله بقليل او بعده بقليل ثم استيقظ

والكباثر اي سيأت بقاياهم
(ولا دخلنهم اجنات تجري
من تحتها الانهار) الجنات
السلامة المذكورة (ثوابا)
اي عوضا لما اخذت
منهم من الوحودات الثلاثة
(والله عده حسن الثواب)
اي لا يكون عد غير
الثواب المطلق الذي لا يبق
منه شيء ولهذا قال والله لانه
الاسم الجامع لجميع الصفات

رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يمسح النوم عن وجهه يده ثم قرأ العشر آيات الخواتم من سورة آل عمران ثم قام إلى شن معلقة فتوضأ منها فاحسن وضوءه ثم قام يصلي قال عبد الله بن عباس فتمت فصنعت مثل ما صنع ثم ذهبت فتمت إلى جنبه فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده اليمنى على رأسى واخذ بأذنى ففتلها فصلى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم أوترتم واضطجع حتى جاء المؤذن فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم خرج فصلي الصبح وفي رواية فقامت عن يساره فجعلني عن يمينه وفي رواية قال بت في بيت خالتي ميمونة فحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اهله ساعة ثم رقد فلما كان ثلث الليل الاخير قد فنظر الى السماء فقال ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار آيات لاولى الالباب وذكره قوله تعالى (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) قال علي بن ابي طالب وابن مسعود وابن عباس وقتادة هذا في الصلاة يعني الذين يصلون قياما فان عجزوا فعلى جنوبهم والمعنى انهم لا يتركون الصلاة في حال من الاحوال بل يصلون في كل حال (خ) عن ابن بن حصين قال كانت بي بواسير فسألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فقال صل قائما فان لم تستطع فقعاعا فان لم تستطع فعلى جنب اخرجه الترمذي وقال فيه سأله عن صلاة المريض وذكر نحوه قال الشافعي رضي الله تعالى عنه اذا صلى المريض مضطجعا وجب ان يصلي على جنب ويومئ برأسه ايماء وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى بل يصلي مستلقيا على ظهوره فان وجد خفة قعد وجهه الشافعي ظاهر الآية وهو قوله تعالى جنوبهم وقوله صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين فان لم تستطع فعلى جنب فمن على الجانب دون غيره وقال اكثر المفسرين المراد به المداومة على الذكر في غالب الاحوال لان الانسان قل ان يخلو من احدى هذه الثلاث حالات وهي القيام والقعود وكونه نائما على جنبه (م) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله عز وجل في كل احيائه عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قعد مقعدا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة ومن اضطجع مضطجعا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة وما شئ احد يمشي لا يذكر الله فيه الا كانت عليه من الله ترة اخرجه ابوداود الترمذي والنقص وقيل هي هال التبعة وقوله تعالى (ونفكرون في خلق السموات والارض) اصل الفكر اعمال الخاطر في الشئ وتردد القلب في ذلك الشئ وهو قوة متفرقة للعلم الى العلوم والتفكير جريان تلك القوة بحسب نظر العقل ولا يمكن التفكير الا في صورة في القلب ولهذا قيل تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله اذ الله منزه ان يوصف بصورة فلذلك اخبر عن عباده الصالحين بانهم يتفكرون في خلق السموات والارض وما يبدع الله فيهم ان يحثب مصنوعاته وخرائب مبتدعاته ليدلهم ذلك على كمال قدرة الصانع سبحانه وتعالى ويعلموا ان لهم خالقا قادرا مدبرا حكما لان عظيم آثاره وافعاله تدل على عظيم خالقها سبحانه وتعالى كما قيل

وفي كل شئ له آية تدل على انه واحد

وقيل ان الفكر قلوب عن الفكر لان الفكر مستعمل في المعاني وهو فرك الامور وبختمها طلبا لوصول الى حقيقتها وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث القلب الحشية كما يحدث الماء الزرع النماء وما جلبت القلوب بعمل الاحزان ولا امتنارت بمنزلة الفكرة (ربنا) اي يقولون ربنا وقيل معناه ونفكرون في خلق السموات والارض قائلين ربنا (ما خلقت هذا باطلا) يعني عبثا وهزل لابل خلقته دليلا على وحدانيتك وكال قدرتك (سبحانك) تنزهك عن ان تخلق شيئا عبثا لغير حكمة (فقتلنا عذاب النار) يعني انا قد صدقنا بوحدانيتك وان لك حنة ونارا فقتلنا عذاب النار والمقصود من قوله سبحانه فقتلنا عذاب النار

فلم يحسن ان يقول والرحمن في هذا الموضع او اسم آخر غير اسم الذات (لا يفرنك) تغلب الذين كفروا في البلاد) اي يجوبوا عن التوحيد الذي هو دين الحق في المقامات والاحوال (متاع قليل) اي هو يعني الاحتجاب بالمقامات والتغلب فيها تمتع قليل (ثم ما واهم جنهم) الحرمان (وبئس المهاد لكن الذين

تعليم عباده كيفية الدماء فن اراد ان يدعو فليقدم التناء على الله ولا يدل عليه قوله سبحانه وبعد ذلك التناء
 يأتي بالدعاء ويدل عليه قوله فقنا عذاب النار (ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيت) اى اهنته واذلته
 وقيل اهلكته وقيل فضحته وابلغت في ايدائه واخزى ضرب من الاستخفاف او انكسار يلحق الانسان
 وهو الحياء المفرط فان قلبه قد تمسكت المعتزلة بهذه الآية وقالوا قد اخبر الله انه لا يخزى الله النبي والذين
 آمنوا معه فوجب ان كل من يدخل النار لا يكون مؤمنا لقوله انك من تدخل النار فقد اخزيت والمؤمن
 لا يخزى قلت قد ذكر العلماء في الجواب وجوها احدها ما روى عن انس في تفسير قوله تعالى انك من تدخل
 النار فقد اخزيت قال من يخلده وروى نحوه عن سعيد بن المسيب قال هي خاصة لمن لا يخرج منها وهذا
 الجواب انما يصح على مذهب اهل السنة الذين يرون اخراج الموحدين من النار لما على مذهب المعتزلة
 فلا يصح هذا الجواب لان مذهبهم ان الفاسق يخلد في النار فهو داخل في قوله تعالى فقد اخزيت الوجه
 الثاني في الجواب ان المدخل في النار يخزى في حال دخوله وان كانت عاقبته ان يخرج منها ومعنى الآية
 على هذا فقد اخزيت بدخوله فيها وتعذيبه بها ويدل على صحة هذا المعنى ما روى عن عروب بن دينار قال قدم
 علينا جابر بن عبد الله في عمرة فانتهيت اليه انا وعطاء فسألته عن هذه الآية ربنا انك من تدخل
 النار فقد اخزيت فقال وما اخزاه حين احرقه بالنار ان دون ذا خزي او هذا الوجه هو اختيار
 ابن جرير الطبري لان من ادخل النار فقد اخزى بدخوله اياها وان اخرج منها وذلك
 اخزى هو هتك الخزي وفضيخته وقال ابن الانبارى حل الآية على العموم اولى من نقلها
 الى الخصوص اذ لا دليل عليه الوجه الثالث في الجواب ما قاله اهل المعاني وهو ان الخزي
 يحتمل معاني منها الاهانة والاهلاك والابعاد وهذا للكفار ومنها الاخجال يقال خزي خزاية اذا
 استحيى واذا غل يستحي منه ويخجل فيكون خزي المؤمن الذي يدخل النار الحياء من المؤمنين بدخوله
 النار الى ان يخرج منها وخزي الكافر الهلاك بالخلود في النار وحاصل هذا الجواب ان لفظ الاخزاء
 مشترك بين التخييل والاهلاك واللفظ المشترك لا يمكن حله في طرف النفي والاثبات على منيه جميعا
 وهذا يسقط الاستدلال الوجه الرابع في الجواب وهو الذي اختاره الفخر الرازي ومحمده ان قوله تعالى
 يوم لا يخزى الله النبي والذين آمنوا معه لا يقتضى نفي الاخزاء مطلقا وانما يقتضى ان لا يحصل الاخزاء
 حال ما يكونون مع النبي وهذا لنفي لا ينافيه اثبات الاخزاء في الجملة لاحتمال ان يحصل ذلك الاثبات في
 وقت آخر والله اعلم وقوله تعالى (وما الظالمين) يعنى المشركين الذين وضعوا العبادة في غير موضعها
 (من انصار) يعنى يصرونهم يوم القيامة ويمنعونهم من العذاب قوله عز وجل (ربنا اننا سمعنا مناديا
 ينادى للايمان) قال ابن عباس واكثر المفسرين المنادى هو محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا
 قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة وقوله وداعيا الى الله باذنه وقال محمد بن كعب القرظى المنادى هو
 القرآن قال اذ ليس كل احد لى النبي صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول ان كل احد يسمع القرآن
 ويغمه فاذا وفقه الله تعالى للايمان به فقد فاز به وذلك لان القرآن مشتمل على الرشد والهدى
 وانواع الدلائل الدالة على الوحدانية فصار كالداعى اليها والام في الايمان بمعنى الى معنى
 ينادى الى الايمان (ان آمنوا بربكم فآمنا) اى فصدقنا (ربنا فاغفر لنا ذنوبنا) اى كبار
 ذنوبنا (وكفر عنا سيئاتنا) اى صفائر ذنوبنا وقيل وان النفر هو السر والتغطية وكذلك
 التكفير فهما بمعنى واحد وانما ذكرهما لتأكيد لان الاحاح في الدعاء والمبالغة فيه مندوب
 اليه وقيل معناه اغفر لنا ما تقدم من ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا في المستقبل وقيل يريد بالتفران

اتقوا ربهم لهم جنات تجري
 من تحتها الانهار خالدين فيها
 من المؤمنين اى تجردوا عن
 الوجودات الثلاثة لهم
 الجنات الثلاث (نزلا) معدا
 (من عند الله وما عند الله خير
 للابرار * وان من اهل
 الكتاب) اى المحبوبين عن
 التوحيد والمذكورين بصفة
 التقلب في الاحوال والمقامات
 (لن يؤمن بالله) اى يتحقق

ما يزول بالتوبة من الذنوب وبالتكفير ما يكفر بالطاعات من الذنوب (وتوفنا مع الابرار) يعني في جلتهم
وزمرتهم والابرار هم الانبياء والصالحون والمعنى توفنا على مثل اعمالهم حتى نكون في درجتهم يوم القيامة
وقبل توفنا في جلة اتباعهم واشياعهم (ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك) يعني على السنة رسلك وقيل معناه
وآتانا ما وعدتنا على تصديق رسلك فان قلت كيف سألوا الله انجاز ما وعدوا الله لا يتخلف الميعاد قلت معناه
انهم طلبوا من الله تعالى التوفيق فيما يحفظ عليهم اسباب انجاز الميعاد وقيل هو من باب اللجأ الى الله تعالى
والتذلل له واظهار الخضوع والعبودية كما كان الانبياء عليهم السلام يستغفرون الله مع علمهم انهم مغفور
لهم يقصدون بذلك لربهم سبحانه وتعالى والتضرع اليه واللبجأ اليه الذي هو سبب العبودية وقيل
معناه ربنا واجعلنا ممن يستحق ثوابك وتؤتهم ما وعدتهم على السنة رسلك لانهم لم يتيقنوا استحقاتهم تلك
الكرامة فسألوا ان يجعلهم مستحقين لها وقيل انما سألوا فنجيل ما وعدهم من النصر على الاعداء قالوا قد
علمنا انك لا تخاف الميعاد ولكن لا صبر لنا على حلك فعمل هلاكهم وانصرنا عليهم (ولا تخزنا يوم القيامة)
يعني ولا تهلكنا ولا تنضحنا ولا تنهنا في ذلك اليوم فان قلت قوله وآتانا ما وعدتنا على رسلك يدل على طلب
الثواب وحتى حصل الثواب اندفع العقاب لا محالة فامعنى قوله ولا تخزنا هو طلب دفع العقاب عنهم قلت
المقصود من الآية طلب التوفيق على الطاعة والعصمة عن فعل المعصية كانهم قالوا وقتنا للطاعات واذ
وقتنا لها فاعصمتنا عن فعل ما يبطلها ويوقتنا في الخزي وهو الهلاك ولا يحتمل ان يكون قوله ولا تخزنا يوم
القيامة سببا لقوله تعالى وبدلهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فانه ربما يظن الانسان انه على عمل صالح
فاذا كان يوم القيامة ظهر انه على غير ما يظن فيحصل الخجل والحسرة والندامة في موقف القيامة
فسألوا الله تعالى ان يزيل ذلك عنهم فقالوا ولا تخزنا يوم القيامة (انك لا تتخلف الميعاد) * قوله تعالى
(فاستجاب لهم ربهم) يعني اجاب دعاءهم واعطاهم ما سألوه (اني) اي وقال لهم اني (لا اضيع عمل عامل
منكم) يعني لا احبط عملكم اي المؤمنون بل اتيكم عليه (من ذكر او انسى) يعني لا اضيع عمل عامل ذكر او
كان او انسى عن ام سلمة قالت قلت يا رسول الله ما سمع الله تعالى ذكر النساء في الهجرة بشئ فانزل الله تعالى
اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انسى بعضكم من بعض الى والله عنده حسن الثواب اخرجه الترمذي
 وغيره * وقوله تعالى (بعضكم من بعض) يعني في الدين والنصرة والمواالات وقيل كالكم من آدم وحواء
وقيل من معنى الكفاي اي بعضكم كبعض في الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية فهو كبايقال فلان
منى معنى على خلقى وسيرتى وقيل ان الرجال والنساء في الطاعة على شكل واحد (فالذين هاجروا
واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلى) يعني المهاجرين الذين هجروا اوطانهم واهليهم واذاهم
المشركون بسبب اسلامهم ومتابعتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجوا مهاجرين الى الله ورسوله
وتركوا اوطانهم وعشائرهم لله ورسوله ومعنى في سبيلى في طاعتي ودينى واتباء مرضاتى وهم المهاجرون
الذين اخرجهم المشركون من مكة فهاجروا طائفة الى الحبشة وطائفة الى المدينة قبل هجرة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبعد هجرته فلا استقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة رجع اليه من كان
هاجرا الى الحبشة من المسلمين (وقاتلوا وقتلوا) يعني وقتلوا الملعود واستشهدوا في جهاد الكفار
(لا كفرن عنهم سيئاتهم) يعني لا يحون عنهم ذنوبهم ولا غفرنا لهم (ولادخانهم جنات تجري من تحتها
الانهار ثوابا من عند الله) يعني ذلك الذى اعطاهم من تكفير سيئاتهم وادخالهم الجنة ثوابا من فضل الله
واحسانه اليهم (والله عنده حسن الثواب) وهذا تأكيد لكن ذلك الثواب الذى اعطاهم من فضله
وكرمه لانه جواد كريم روى ابن جرير الطبري بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول

باتوحيد الذاتى (وما نزل
اليكم) من علم التوحيد
والاستقامة (وما نزل اليهم)
من علم المبدأ والمعاد (خاشعين
لله) قابلين لتجلى الذات
لا يشترطون بآيات الله ثمنا قليلا
التي هي تجليات صفاته وثمر
لبقية الموصوف بالقلّة
او تلك لهم اجرهم عند
بهم) من الجنان المذكورة
(ان الله سريع الحساب)

الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول ثلثة تدخل الجنة فقراء المهاجرين الذين يتقى بهم المكاره اذا امروا
سمعوا واطاعوا وان كانت لرجل منهم حاجة الى سلطان لم تقض له حتى يموت وهى في صدره فان الله
عز وجل يدعو يوم القيامة الجنة فتأتى بزخرفها وزينتها فيقول اين عبادى الذين قاتلوا في سبيلى وقتلوا
واودا في سبيلى واجاهدوا في سبيلى ادخلوا الجنة فيدخلونها بغير عذاب ولا حساب وتأتى الملائكة
فيسجدون ويقولون ربنا نحن نسبحك الليل والنهار ونقدسك من هؤلاء الذين آثرتهم علينا فيقول
الرب عز وجل هؤلاء عبادى الذين قاتلوا في سبيلى واودوا في سبيلى فتدخل الملائكة عليهم من كل باب
سلام عليكم بما صبرتم فتم عقبي الدار قال بعضهم في هذه الآيات تعليم من الله تعالى لعباده كيف يدعى
وكيف يتهم اليه ويتضرع وتكرر ربنا من باب الابتهاج واعلام بما يوجب حسن الاجابة وقال جعفر
الصادق من حزيه امر فقال خمس مرات ربنا نجواه الله بما يخاف واعطاه ما اراد وقرأ هذه الآيات وقال
الحسن حكي الله عنهم انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم اخبر انه استجاب لهم * قوله عز وجل (لا يفرنك
تقلب الذين كفروا في البلاد) زلت في المشركين وذلك انهم كانوا في رخاؤين من العيش يجرون
ويتعمون فقال بعض المؤمنين ان اعداء الله فيما نرى من الخير ونحن في الجهد فانزل الله تعالى هذه الآية
لا يفرنك الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من الامة لانه صلى الله عليه وسلم لم يفر
قط والمعنى لا يفرنك ايها السامع تقلب الذين كفروا في البلاد يعني ضربهم في الارض وتصرفهم في البلاد
للتجارات وطلب الارباح والمكاسب (متاع قليل) اى ذلك متاع قليل وبلغة فانية ونعمة زائلة (ثم
ماؤاهم) يعنى مصيرهم في الآخرة (جهنم وبئس المهاد) اى وبئس الفراش هى * قوله تعالى (لكن
الذين اتقوا ربهم) فيما امرهم به من العمل بطاعته واتباع مرضاته واجتناب ما نهى عنه من معاصيه
(لهم جنتان تجري من تحتها الانهار خالدون فيها زلا) اى جزاء وثواب والنزل ما يهب للضيف عند قدومه
(من عند الله) يعنى من فضل الله وكرمه واحسانه (وما عند الله) يعنى من الخير والكرامة والتعظيم
الدائم الذى لا ينقطع (خير للابرار) يعنى ذلك الفضل والنعمة التى اعد الله للطيعين الابرار خير
ما ينقلب فيه هؤلاء الكفار من نعيم الدنيا ومتاعها فانه قليل زائل (ق) عن عربين الخطاب قال جنت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو في مشربة وانه لعل حصير ما يبه وبئس شئ * وتحت رأسه وسادة من ادم
حشو هاليف وعندر جلجله قرط مصبور وعند رأسه اهاب ملققة فرايت اثر الحصير في جنبه فبكيت فقال
ما يبكيك قلت يا رسول الله ان كسرى وقيصر فيما هم فيه وانت رسول الله فقال اما ترى ان تكون
لهم الدنيا ولنا الآخرة لفظ البخارى المشربة القرفة والعية والمشارب العلالى * قوله عز وجل (وان
من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما نزل اليكم وما نزل اليهم) قال ابن عباس زلت في النجاشى ملك
الحبشة واسمه الصمة وسماه بالعربية عطية وذلك انه لما مات نعام جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله
عليه وسلم في اليوم الذى مات فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه اخرجوا فاصلوا على اخ
لكم مات بغير ارضكم النجاشى فخرج الى البقيع وكشف له الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشى
فصلى عليه وكبر اربع تكبيرات واستغفر له فقال المناقون انظروا الى هذا يصلى على علع حبشى
نصرانى لم يره قط وليس على دينه فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل زلت في اربعين رجلا من اهل
نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فآمنوا
بالنبي صلى الله عليه وسلم وصدقوه وقيل زلت في عبدالله بن سلام واصحابه الذين آمنوا بالنبي صلى

بحاسبهم وبجاءهم فيعاقب
على بقايا من بقى منهم شئ او
يثيب بنى البقايا على حسب
درجاتهم في المواطن الثلاثة
(يا ايها الذين آمنوا اصبروا)
لله (وصابروا) مع الله
(ورابطوا) بالله اى اصبروا
في مقام النفس بالمجاهدة
وصابروا في مقام القلب مع
سلطات تجليات صفات
الجلال بالمكاشفة ورابطوا

الله عليه وسلم وقيل تزلت في جميع مؤمني اهل الكتاب وهذا القول اولي لانه لما ذكر احوال الكفار
واحوال اهل الكتاب وان مصيرهم الى النار ذكر حال من آمن من اهل الكتاب وان مصيرهم الى
الجنة فقال تعالى وان من اهل الكتاب يعني بعض اليهود والصاري اهل التوراة والانجيل لمن
يؤمن بالله يعني من يقربو حدانية الله وما انزل اليكم يعني ويؤمن بما انزل اليكم ايها المؤمنون يعني القرآن
وما انزل اليهم يعني من الكتب المنزلة مثل التوراة والانجيل والزبور (خاشعين لله) يعني خاضعين لله
متواضعين له غير مستكبرين (لا يشترتون بآيات الله ثمنا قليلا) يعني لا يفترون كتبهم ولا يجر فونها ولا
يكتمون صفة محمد صلى الله عليه وسلم لاجل الرياسة والماكل والرشا كما يفعل غيرهم من رؤساء اليهود
(اولئك) اشارة الى من هذه صفته من اهل الكتاب (لهم اجرهم عند ربهم) يعني لهم ثواب اعمالهم التي
عملوها لله ذلك الثواب لهم ذخرا عند الله وفيه اليهم يوم القيامة (ان الله سريع الحساب) يعني انه تعالى عالم
بجميع المعلومات لا يخفى عليه شيء من اعمال عباده فيجازي كل احد على قدر عمله لانه سريع الحساب قوله
تعالى (يا ايها الذين آمنوا اصبروا) يعني على دينكم الذي انتم عليه ولا تدعوه لشدة ولا تغيرها واصل الصبر
حبس النفس عما يقتضيه شريع ولا عقل والصبر لفظ عام تحت انواع من المعاني قال بعض الحكماء الصبر
على ثلاثة اقسام ترك الشكوى وقبول القضاء وصدق الرضا وقيل في معنى الآية اصبروا على طاعة الله
وقيل على اداء الفرائض وقيل على تلاوة القرآن وقيل اصبروا على امر الله وقيل اصبروا على البلاء
وقيل اصبروا على الجهاد وقيل اصبروا على احكام الكتاب والسنة (وصابروا) يعني الكفار والاعداء
وجاهدوهم (ورابطوا) يعني وداوموا على جهاد المشركين واثبتوا عليه واصل المراقبة ان يربط
هؤلاء اخيولهم وهؤلاء اخيولهم بحيث يكون كل من الخصمين مستعدا للقتال الاخر ثم قيل لكل مقيم بغير
يدفع عن وراءه رابطوا ان لم يكن له مركب مربوط (ق) عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال رابط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط احدكم من الجنة خير من الدنيا وما
عليها والروحة بروحها العبد في سبيل الله او القدوة خير من الدنيا وما عليها (م) عن سلمان الخير قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رابط يوم و ليلة خير من صيام شهر وقيامه وان مات فيه جرى عليه
عمله الذي كان يعمل واجر يجرى عليه رزقه وامن الفتان وقيل المراد بالربطة انتظار الصلاة بعد الصلاة قال
ابوسلمة بن عبد الرحمن لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم غزو يربط فيه ولكنه انتظار الصلاة
خلف الصلاة ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا دلکم علی ما یمنحوا الله به الخطایا ویرفع به الدرجات قالوا بلی یا رسول الله قال اسباغ الوضوء علی
المکاره وکثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلکم الرباط اخرجه مسلم (واتقوا الله
لعلکم تفلحون) قال محمد بن كعب القرظي يقول الله عز وجل واتقوا الله فيما بيني وبينكم لعلکم تفلحون
غدا اذا قمتوني وقال اهل المعاني في معنى هذه الآية يا ايها الذين آمنوا اصبروا على بلائنا وصابروا على
نعمائنا وربطوا على مجاهدة اعدائنا واتقوا محبة سوائكم لعلکم تفلحون بلقاءنا وقيل اصبروا على النعماء
وصابروا على البأس والضراء وربطوا في دار الاعداء واتقوا الله الارض والسماء لعلکم تفلحون
في دار البقاء وقيل اصبروا على الدنيا ومحنا رجاء السلامة وصابروا عند القتال باثبات والاستقامة
ورابطوا على مجاهدة النفس اللوامة واتقوا ما يعقبكم الندامة لعلکم تفلحون غدا في دار الكرامة والله
اعلم بمراده واسرار كتابه

في مقام الروح ذواتكم
بالمشاهدة حتى لا يغلبكم فترة
او غفلة او غيبة بالتلويحات
(واتقوا الله لعلكم تفلحون)
في مقام الصبر عن المحافة
والرياء وفي المصابرة
عن الاعتراض والامتلاء
وفي المراقبة عن البقية
والجفاء لكي تفلحوا الفلاح
الحقيقي السرمدي الذي
لا فلاح وراءه ان شاء الله

(سورة النساء)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الناس اتقوا ربكم)

احذروا في أعمالكم صفة

عند صدور الخبرات منكم

واتخذوا الصفة وقاية لكم

في صدور ما صدر منكم من

الخبر وقولوا صدر من

القادر المطلق (الذي خلقكم

من نفس واحدة) هي النفس

الطائفة الكلية التي هي قلب

العالم وهو آدم الحقيقي

(وجعل منها زوجها) أي

النفس الحيوانية الماشئة منها

وقيل أنها خلقت من ضلعه

اليسر من الجهة التي تلي

عالم الكون فأنها أضعف من

الجهة التي تلي الحق ولولا

زوجها لما اهبط إلى الدنيا

كما اشتهر أن أبا إسحق

لها أولاد فوسل ما غواها إلى

اغواء آدم ولا شك في أن

التعلق البدني لا ينهي إلا

واسطتها (وبث منها رجالا

كثيرا) أي أصحاب قلوب

ينزحون إلى أبهم (ونساء)

أصحاب نفوس وطائع

نزحون إلى أمهم (واقواله)

في ذاته عن آيات وجودكم

واجملوه وقاية لكم عند

ظهور البقية منكم في الفناء

في التوحيد حتى لا تعجبوا

برؤية الفناء (الذي تسمون

به) لا بكم (والأرحام)

(تفسير سورة النساء وهي مدنية) *

وهي مائة وخمس وسبعون آية وثلاثة آلاف وخمسون كلمة وستة عشر ألف حرف وثلاثون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم) *

قوله عز وجل (يا أيها الناس) خطاب للكافة فهو كقوله يا بني آدم (اتقوا ربكم) أي احذروا أمر ربكم أن يخالفوه فيما أمركم به أو نهاكم عنه ثم وصف نفسه بكمال القدرة فقال تعالى (الذي خلقكم من نفس واحدة) يعني من أصل واحد وهو آدم أبو البشر عليه السلام وإنما أنت الوصف على لفظ النفس وإن كان المراد به الذكر فهو كما قال بعضهم * أبو خليفة ولدته أخرى * وأنت خليفة ذلك الكمال * فأنما قال ولدته أخرى لتأنيث الخليفة (وخلق منها زوجها) يعني حواء وذلك أن الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام أتى عليه النوم ثم خلق حواء من ضلع من أضلاعه اليسرى وهو قصير فلا استيقظ رآها جالسة عد رأسه فقال لها من أنت قالت امرأة قال لماذا خلقت قالت خلقت لتسكن إلى قال إليها وألفها لأنها خلقت مني واختلقت في أي وقت خلقت حواء فقال كمب الاحبار وذهب ابن اسحق خلقت قبل دخوله الجنة وقال ابن مسعود وابن عباس إنما خلقت في الجنة بعد دخوله إياها (وبث منها) يعني نشر وانظر من آدم وحواء (رجالا كثيرا ونساء) أنما وصف الرجال بالكثرة دون النساء لأن حال الرجال أتم وأكمل وهذا كالتبيين على أن الالتق بحال الرجال الظهور والاشتهار وبحال النساء الاختفاء والجمول (واتقوا الله الذي تسمون به) أنما كرر ذكرى التقوى لتأكيده أنه أهل أن يتقوا والتساؤل بالله هو كقولك سألت بالله واحلف عليك بالله واستشفع إليك بالله (والأرحام) قرئ بفتح الميم ومعناها اتقوا الأرحام أن تقطعوا أو قرئ بكسر الميم فهو كقولك سألتك بالله وبالرحم وناشدتك بالله وبالرحم لأن العرب كان من عاداتهم أن يقولوا ذلك والرحم القرابة وأنما استعير اسم الرحم للقرابة لأنهم خرجوا من رحم واحدة وقيل هو مشتق من الرحمة لأن القرابة يتراحمون ويعطف بعضهم على بعض وفي الآية دليل على تعظيم حق الرحم والنهي عن قطعها ويدل على ذلك أيضا الأحاديث الواردة في ذلك (ق) عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعته الله (ق) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مره أن يبسط عليه من رزقه ويبسأ في أثره فليصل رحمه قوله ينسأ في أثره أي يؤخره في أجله (ق) عن جابر بن مطعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع قال سفيان في روايته يعني قاطع رحم وعن الحسن قال من سألك بالله فاعطه ومن سألك بالرحم فاعطه وعن ابن عباس قال الرحم معلقة بالعرش فإذا أتاه الواصل بشتبه وكأنه وإذا أتاه القاطع احتجبت عنه (إن الله كان عليكم رقيبا) يعني حافظا والرقيب في صفة الله تعالى هو الذي لا يضل عما خلق فيلحقه نقص ويدخل عليه خلل وقيل هو الحافظ الذي لا يسيب عنه شيء من أمر خلقه فبين بقوله إن الله كان عليكم رقيبا أنه يعلم السر وأخفى وإذا كان كذلك فهو جدير بأن يخاف ويتق * قوله عز وجل (وأتوا الناس أموالهم) نزلت في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم كان في حجره فلما بلغ التيم طلب المال الذي له فتمعه ففرضه إلى أبيه صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فلما سمعها ألم قال ألمعنا الله وألمعنا

الرسول فمؤذناؤه من الحوب الكبير ودفع الى اليتيم ماله فقال النبي صلى الله عليه وسلم من شمع نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره بنى جنته فلما قبض الصبي ماله اتفق في سبل تعالى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ثبت الاجر وبقى الوزر فقالوا كيف ثبت الاجر وبقى الوزر قال ثبت الاجر للغلام وبقى الوزر على ابيه والخطاب في قوله تعالى وآتوا للاولياء والاوه واليتامى جمع يتيم وهو الصبي الذي مات ابوه واليتيم في اللغة الانفراد ومنه الدرّة البتية لانفراد واسم اليتيم يقع على الصغير والكبير لغة لبقاء معنى الانفراد عن الآباء لكن في العرف اخته اسم اليتيم بمن لم يبلغ مبلغ الرجال فاذا بلغ الصبي وصار يستغنى بنفسه عن غيره زال عنه اسم اليتيم وسئل ابن عباس عن اليتيم متى يقطع عنه اسم اليتيم قال اذا اونس منه الرشد وانما سمح ينامى بعد البلوغ على مقتضى اللغة او تقرب عهدهم باليتيم وان كان قد زال عنهم بالبلوغ وقيل المراد باليتامى الصغار الذين لم يبلغوا والمعنى وآتوا اليتامى اموالهم بعد البلوغ وتحقق الرشد وقيل معناه وآتوا اليتامى الصغار ما يحتاجون اليه من نفقة وكسوة والقول الاول هو الصحيح اذ المراد باليتامى البالغون لانه لا يجوز دفع المال الى اليتيم الا بعد البلوغ وتحقق الرشد (ولا تبدلوا) اي ولا تستبدلوا (الحديث الطيب) يعنى الحديث الذى هو حرام عليكم بالحلل من اموالكم واختلفوا في هذا التبديل فقال سعيد بن المسيب والحصى والزهرى والسدى كان اولياء اليتامى يأخذون الجيد من مال اليتيم ويحملون مكانه الردى فربما كان احدهم يأخذ الشاة السمينة ويحمل مكانها الهزيلة يأخذ الدرهم الجيد ويحمل مكانه الريف ويقول شاة بشاة ودرهم بدرهم فذلك تبديلهم فنهوا عنه وقال عطاء هو الریح في مال اليتيم وهو صغير لاعلمه بذلك وقيل انه ليس بابدال حقيقة وانما هو اخذه مستهلكا وذلك ان اهل الجاهلية كانوا لا يورثون النساء والصغار وانما كان يأخذ الميراث الاكابر من الرجال وقيل هو اكل اموالهم فنهوا عن ذلك (ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم) يعنى مع اموالكم وقيل معناه ولا تنضموا اموالهم الى اموالكم في الانفاق واحمل ان الله تعالى نهى عن اكل مال اليتيم واراد به جميع التصرفات المهلكة للمال وانما ذكر الاكل لانه معظم المقصود (انه كان حوبا كبيرا) يعنى اذا اكل مال اليتيم من غير حق اثم عظيم والحوب الانثم قوله عز وجل (وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى) يعنى وان خفتم يا اولياء اليتامى ان لا تعدلوا فيهم اذا كنتموهن فانكموهن غيرهن من القرائب (ق) عن عروة انه سأل عائشة رضی الله عنها عن قوله تعالى وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكموهن ما طاب لكم من النساء الى قوله اوه ملكتم ايمانكم قالت يا ابن اختى هذه البتية تكون في حجر وليها فيرغب في جالها ومالها ويربها ان ينقص صداقها فنهوا عن بكاحهن الا ان تقسطوا لهن في اكال الصداق وامروا بتكاحهن من سواهن قالت عائشة رضی الله عنها فاستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فأنزل الله عز وجل ويستفتونك في النساء الى وترغبون ان تنكوهن فبين الله لهم في هذه الآية ان البتية اذا كانت ذات جال ومال رغبوا في نكاحها ولم يلحقوها بستنها في اكال الصداق وان كانت مرغوبة عنها في قلّة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها من النساء قال فا يتركونه حين يرغبون عنها فليس لهم ان ينكوهها اذا رغبوا فيها الا ان يقسطوا لها ويعطوها حقها الاوفى من الصداق وقال الحسن كان الرجل من اهل المدينة تكون عنده الايتام وفيهن من يعمل له نكاحها فيتزوجها لاجل مالها وهى لا تجبه كراهية ان يدخل غريب فيشاركه في مالها

اي احذروا الارحام الحقيقية
اي اقربة المبادئ العالية
من المغارات وارواح الانبياء
والاولياء في قطعها بعدم المحبة
واجعلوها وقاية لكم في
حصول سعادتكم وكالاتكم
فان قطع الرحم يفقد المحبة
توجه عن الاتصال والوحدة
الى الانفصال والكثرة وهو
المقتضى الحقيقى والبعد الكلى
عن جناب الحق تعالى ولهذا
قال عليه الصلاة والسلام
صلة الرحم تزيد في العمر
اي توجب دوام البقاء واحمل
ان الرحم من الظاهر صورة
الاتصال الحقيقى في الباطن
وحكم الظاهر في التوحيد
تحكم الباطن فن لا يقدر
على مراعاة الظاهر فهو
اخرى بان لا يقدر على
مراعاة الباطن (ان الله كان
عليكم رقيبا) يرقبكم لئلا
تغيبوا عنه بظهور صفة من
صفاتكم او ببقية من بقاياكم
فتعذبوا (وآتوا اليتامى)
يتامى قواكم الروحانية
المنقطعين عن تربية الروح
القدسى الذى هو ابوهم
(اموالهم) اي معلوماتهم
وكالاتهم وربوهم بها
(ولا تبدلوا الخبيث) من
المحسوسات والخياليات
والوساوس ودواعى الوهم
وسائر قوى النفس التى هى

اموالها (بالطيب) من
اموالهم (ولا تأكلوا
اموالهم الى اموالكم)
اي لا تخططوها بها فيشتبه
الحق بالباطل وتستعملوها
في تحصيل لذاتكم الحسية
وكالاتكم العسية فتنتفخوا
بها في مطالبتكم الحسية
الدنيوية وتخططوها غداء
نفوسكم (انه كان حوبا
كثيرا) حبة وحرمانا (وان
ختم الاتسوطا في اليتامى
فانكموا ما طالب لكم من
النساء مثنى وثلاث ورباع
فان ختم الاتسوطا فواحدة
او ما ملكت ايمانكم ذلك
ادنى الاتسوطا وآتوا النساء
صدقاتهن نحلة فان ملن لكم
عن شئ منه نفسا فكلوه
هنيا مريئا ولا تؤثوا السفهاء
اموالكم التي جعل الله لكم
قياما وارزقوهم فيها
واكسوهم وقولوا لهم قولا
معروفا وابتلوا اليتامى حتى
اذا بلغوا الكاح فان انتم
منهم رشدا فادعوا اليهم
اموالهم ولا تأكلوها سراطا
وبدار ان يكبروا ومن كان
غيا فلا تستعفف ومن كان فقيرا
فليا كل بالمعروف فاذا دفعتم
اليهم اموالهم فاشهدوا
عليهم وكفى بالله حسيبا
لرجال نصيب مما ترك
الوالدان والاقربون والنساء

يسى مصبتها ويزبص بها الى ان تموت فيرتها فباب الله ذلك عليهم وانزل هذه الآية وقال عكرمة
في روايته عن ابن عباس كان الرجل من قریش يتزوج العنصر من النساء او اكثر فاذا صار مدينا
من مؤن نسائه مال الى مال يتيمته الذي في جره فانفقه فقيل لهم لا تزيدوا على اربع حتى لا يحوجكم
الى اخذ مال اليتامى وقيل كانوا يخرجون من اموال اليتامى ويترخصون في النساء فيتزوجون
ما شاؤا فرما عدلوا وربما لم يعدلوا فلما انزل الله تعالى في اموال اليتامى وآتوا اليتامى اموالهم
انزل هذه الآية وان ختم الاتسوطا في اليتامى يقول فكما ختم ان لاتسوطوا في اليتامى
فكذلك خافوا في النساء ان لاتعدلوا فيهن فلاتزوجوا اكثر مما يمكنكم اقيام بحققن لان النساء
في الضعف كاليتامى وهذا قول سعيد بن جبير وقادة والضحاك والسدي ثم رخص الله تعالى
في نكاح اربع فقال تعالى (فانكموا ما طالب لكم من النساء) يعني ما حل لكم من النساء واستدل
الظاهرية بهذه الآية على وجوب النكاح قالوا لان قوله فانكموا امر والا امر للوجوب واحيب
عنه بان قوله تعالى فانكموا انما هو بيان لما يحل من العدد في النكاح وتمسك الشافعي في بيان
ان النكاح ليس بواجب بقوله ومن لم يستطع منكم طولا ان يكسح الى قوله ذلك لمن خشي العت
منكم وان تصبروا خير لكم الآية لحكم في هذه السورة بان ترك النكاح خير من فعله وذلك يدل
على انه ليس بواجب ولا مندوب وقوله تعالى (مثنى وثلاث ورباع) معناه اثنين اثنين وثلاثا
ثلاثا واربع اربعا وهو غير منصرف لانه اجتمع فيه امر ان العدل والوصف والواو بمعنى
او في هذا الفصل لانه لما كانت او بمنزلة واو النسق جاز ان تكون الواو بمنزلة او وقيل ان الواو
افادت انه يجوز لكل احد ان يختار لنفسه قسما من هذه الاقسام بحسب حاله فان قدر على
نكاح اثنتين فاثنتان وان قدر على ثلاث فثلاث وان قدر على اربع فاربع لانه يضم عددا
واجعت الامة على انه لا يجوز لاحد ان يزيد على اربع نسوة وان الزيادة على اربع من خصائص
رسول الله صلى الله عليه وسلم التي لا يشاركه فيها احد من الامة ويدل على ان الزيادة على اربع
غير جائزة وانها حرام ماروى عن الحرث بن قيس او قيس بن الحرث قال اسلمت وهدى ثمان
نسوة فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اختر منهن اربعا اخرجه ابو داود
عن ابن عمر ان غيلان بن سلعة الثقفي اسلم وله عشر نسوة في الجاهلية فاسلمن معه فامرهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يختار منهن اربعا اخرجه الترمذي قال العلماء فيجوز للحر ان يجمع بين
اربعة نسوة حرار ولا يجوز للعبد ان ينكح اكثر من امرأتين وهو قول اكثر العلماء لانه خطاب
لمن ولى وملك وذلك للاحرار دون العبيد وقال مالك في احدى الروايتين عنه وريعة يجوز
للعبد ان يتزوج باربع نسوة واستدل بهذه الآية واجاب الشافعي بان هذه الآية محتصة بالاحرار
ويدل عليه آخر الآية وهو قوله فان ختم الاتسوطا فواحدة او ما ملكت ايمانكم والعد
لا يملك شيا فثبت بذلك ان المراد من حكم الآية الاحرار دون العبيد وقوله تعالى (فان ختم)
يعني فان خشيتم وقيل فان علمتم (الاتسوطا) يعني بين الازواج الاربع (فواحدة) يعني
فانكموا واحدة (او ما ملكت ايمانكم) يعني وما ملكتم من السرارى لانه لا يلزم فيهن من
الحقوق مثل ما يلزم في الحرار ولا قسم لهن (ذلك ادنى) اي اقرب (الاتسوطا) معناه
اقرب من ان لاتسوطوا فيحذف لفظة من دلالة الكلام عليه ومعنى ان لاتسوطوا اي لاتميلوا

انتم ماتر كنتم من بعد وصية
توصون بها ودين وان كان
رجل يورث كلاله او امرأة
وله اخ او اخت فلكل واحد
مهما السدس فان كانوا
اكثر من ذلك فهم شركاء
في الثلث من بعد وصية
يوصي بها ودين غير مضار
وصية من الله والله عليم
حليم تلك حدود الله ومن
يطع الله ورسوله يدخله
جنت تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها وذلك الفوز
العظيم ومن يعص الله ورسوله
ويتعد حدوده يدخله ناراً
خالداً فيها وله عذاب مهين
واللاتي يأتين الفاحشة من
نسائكم فاستشهدوا عليهن
اربعة منكم فان شهدوا
فأمسكوهن في البيوت
حتى يتوفاهن الموت او
يجعل الله لهن سبيلاً والذان
يأتيانها منكم فآذوهما فان
تابا واصحما فاعرضوا عنهما
ان الله كان تواباً رحيماً انما
التوبة على الله للذين يعملون
السوء بجهالة ثم يتوبون من
قريب فأولئك يتوب الله
عليهم وكان الله عليهما حكيماً
وليست التوبة للذين يعملون
السيئات حتى اذا حضر
احدهم الموت قال اني تبت
الآن ولا الذين يموتون وهم
كفار اولئك اعتدنا لهم

سواكم من ازواج او بنات او امهات وقيل هم الاولاد خاصة يقول لا تعط ولدك السفيه مالك الذي
هو قيامك فيفسده عليك وقيل امرأتك وابنتك السفيه قال ابن عباس لا تعتمد الى مالك الذي خولك الله
وجعله لك معيشة قطع عليه امرأتك وابنتك فيكونوا هم الذين يقومون عليك ثم تنظر الى ما بين ايديهم
امسك مالك واصلمه وكن انت الذي تنفق عليهم في رزقهم ومؤونتهم وقال الكلبي اذا علم الرجل
ان امرأته سفية مفسدة وان ولده سفية مفسد لا ينبغي له ان يسلط واحدا منها على ماله فيفسده
وقال سعد بن جبير هو مال اليتيم يكون عندك يقول لا تؤنه اياه واففق عليه منه حتى يبلغ وانما
اضاف المال الى الاولياء لانهم قوامها ومدررها واصل السفة الخفة واستعمل في خفة النفس لقصان
العقل في الامور الدنيوية والدينية والسفيه المستحق الحر هو الذي يكون مذبذبا في ماله ومفسدا
في دينه فلا يجوز لولي ان يدفع اليه ماله وقيل ان السفة الذكور في هذه الآية ليس هو صفة ذم
لهؤلاء وانما هو اسفاه خلفه فقولهم ونقصان تمييزهم وضعفهم عن القيام بحفظ المال فقوله
تعالى ولا تؤتوا السفهاء يعني الجهال بموضع الحق اموالكم (التي جعل الله لكم قياما) يعني قوام
مبايشكم يقول المال هو قوام الناس وقوام معايشهم كن انت قيم اهلك انفق عليهم ولا تؤت مالك
امرأتك وولدك فيكونوا هم الذين يقومون عليك ولما كان المال سبباً للقيام بالمعاش سمي به الملاقا لاسم
السبب على السبب على سبيل المبالغة لانه به يقام الحرج والجهد واعمال البر وفكك الرقاب من النار
(وارزقوهم فيها) اي اطعموهم (واكسوهم) يعني لمن يحب عليكم رزقه وكسوته لانه الله عن
اتاء المال للسفيه امر ان يجري رزقه وكسوته وانما قال وارزقوهم فيها ولم يقل معها لانه اراد
جعلوا لهم فيها رزقا والرزق من الله تعالى هو العطية من غير حدود لا قطع ومعنى الرزق من العباد
هو الاجر المولف المعلوم لوقت معلوم محدود (وقولوا لهم قولا معروفا) يعني قولا جيلا لان
القول الجليل يؤثر في القلب ويزيل السفة وقيل معناه عدوهم عدة جيلة من البر والصلة قال عطية
يقول اذا رجحت اعطيتك وان غنت قسمت لك حظا وقيل معناه الدماء اي ادعوهم فادابهم فادابهم فادابهم فادابهم
ان لم يكن ممن تجب عليك نفقته فقل له طافا نال الله واياك بارك الله فيك وقيل معناه قولوا لهم قولا
تطيب به انفسهم وهو ان يقول الولي لليتيم السفيه مالك عندى وانا امين عليه فاذا بلغت ورشدت
اعطيتك مالك وقال الزجاج معناه علومهم مع اطعامكم وكسوتكم اياهم امر دينهم وما يصلحهم
ما يتعلق من العلم والعمل قوله عز وجل (وابتلوا البتة) الآية نزلت في ثابت بن رفاعه وفي عمه وذلك
ان رفاعه مات وترك ابنه ثابتا وهو صغير فجاءه الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له ان ابن اخي يتيم
في حجرى فاجعل لي من ماله ومتى ادفع اليه ماله فانزل الله تعالى هذه الآية وابتلوا البتة يعني
اخبروهم في عقولهم واديانهم وحقوق اموالهم (حتى اذا بلغوا النكاح) اي بلغ الرجال والنساء
(فان آنستم) اي ابصرتم وعرفتم (منهم رشدا) يعني عقلا وصلاحا في الدين وحفظا للمال
وعلا ما يصلحه

* (فصل) * في احكام تتعلق بالجر وفيه مسائل * (المسئلة الاولى) * الاتباع يختلف باختلاف
احوال البتة فان كان ممن يتصرف بالبيع والشراء في الاسواق يدفع اليه شيئا يسيرا من المال وينظر
في تصرفه وان كان ممن لا يتصرف في الاسواق فيختبر بنفقته على اهله وعبيده واجرائه وتصرفه
في احوال داره ويختبر المرأة في امر بيتها وحفظ متاعها وغز لها واستقرها فاذا راي حسن تدبير اليتيم

وحسن تصرفه في الامور مرارا وغلب على الظن رشده دفع اليه ماله بعد بلوغه ولا يدفع اليه ماله وان كان شحيحا يظلم عليه السفة حتى يؤنس منه الرشده * (المسئلة الثانية) * قال الامام ابو حنيفة تصرفات الصبي العاقل المميز باذن الولى صحيحة وقال الشافعي هي غير صحيحة واحتج ابو حنيفة على قوله بهذه الآية وذلك لان قوله تعالى وابتلوا النياحى حتى اذا بلغوا السكاح يقتضى ان هذا الابناء انما يحصل قبل البلوغ والمراد من هذا الابتلاء اختبار حاله في جميع تصرفاته ثبت ان قوله وابتلوا النياحى امر للاولياء بالاذن لهم في البيع والشراء قبل البلوغ اجاب الشافعي بان قال ليس المراد بقوله وابتلوا النياحى الاذن لهم في التصرف حال الصغر بدليل قوله فان آنستم منهم رشدا (فادفعوا اليهم اموالهم) وانما دفع اليهم اموالهم بعد البلوغ وابتلوا الرشده ثبت بموجب هذه الآية انه لا يدفع اليه ماله حال الصغر فوجب ان لا يصح تصرفه حال الصغر وانما المراد من الابتلاء هو اختبار عقله واستكشاف حاله في معرفة المصالح والمفاسد * (المسئلة الثالثة) * في بيان البلوغ وذلك باربعة اشياء اثنان يشترك فيهما الرجال والنساء واثنان يختصان بالنساء اما اللذان يشترك فيهما الرجال والنساء فاحدهما السن فاذا استكمل المولود خمس عشرة سنة حكم ببلوغه غلاما كان او جارية ويبدل عليه ماروى عن ابن عمر رضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم عام احدوا ابن اربع عشرة سنة فردنى ثم عرضت عليه عام الخندق وانا ابن خمس عشرة سنة فاجازنى اخرجاه في العجحين وهذا قول اكثر اهل العلم وقال ابو حنيفة بلوغ الجارية باستكمال سبع عشرة سنة وبلوغ الفلام باستكمال ثمانى عشرة سنة والثانى الاحتلام وهو ازال الملى الدافق سواء ازال باحتلام او جاع فاذا وجد ذلك من الصبي او الجارية حكم ببلوغه لقوله تعالى واذ بلغ الاطفال مسكم الحلم ولقوله صلى الله عليه وسلم لعاذخذ من كل حالم ديسارا اما انبات الشعر الحشن حول العرح فهو يدل على اللوغ في اولادا المشركين لما روى عن عطية القرظى قال كنت من سبي قريظة فكانوا يظرون فن انبت الشعر قتل ومن لم ينبت لم يقتل فكنت ممن لم ينبت وهل يكون ذلك علامة على البلوغ في اولاد المسلمين فيه قولان احدهما انه يكون بلوغا كفى اولاد المشركين والثانى لا يكون ذلك بلوغا في حق اولاد المسلمين لانه يمكن الوقوف على مواليذ اولاد المسلمين الرجوع الى قول آباءهم بخلاف الكفار فانه لا يوقف على مواليذهم ولا يقبل في ذلك قول آباءهم لكفرهم فحمل الانبات الذى هو اماراة البلوغ بلوغا في حقهم واما الذى يختص بالنساء فهو الحيض والحبل فاذا حاضت الجارية تعد استكمال تسع سنين حكم ببلوغها وكذلك اذا ولدت حكم ببلوغها قبل الوضع بستة اشهر لانها اقل مدة الحمل * (المسئلة الرابعة) * في بيان الرشده هو ان يكون مصليا في دينه وماله فالصلاح في الدين هو احتساب الفواحش والمهصى التى تسقط بها العدالة والصلاح في المال هو ان لا يكون مذرا والتبذير ان ينفق ماله فيما لا يكون محمدا دنيوية ولا ماثوبة اخروية ولا يحسن التصرف فيعين في البيع والشراء فاذا بلغ الصبي وهو مفسد لماله ودينه لم ينفك عنه الحجر ولا ينفذ تصرفه في ماله وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة اذا كان مصليا لماله زال عنه الحجر وان كان مفسدا لدينه واذا كان لماله مفسدا لا يدفع اليه المال حتى يبلغ خمسة عشر سنة غير انه ينفذ تصرفه قله والقرآن حجة الشافعي في استدامة الحجر عليه لان الله تعالى قال فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم امر بدفع المال بعد البلوغ وابتلوا الرشده والقاسق لا يكون

مذايا لما يالها الذين آمنوا
لا يحل لكم ان ترثوا النساء
رهاولا تفضلوهن لتذهبوا
بعض ما آتيتوهن الا ان
أتين بفاحشة مينة
وطشروهن بالمعروف فان
رهنوهن فصى ان تكرر هوا
شيا ويجعل الله به خيرا
كثيرا وان اردتم استبدال
زوج مكان زوج وآتيتهم
احداهن قطارا فلا تأخذوا
منه شيا اذاخذونه به تافا وانما
مينا وكيف تأخذونه وقد
افضى بعضكم الى بعض
واخذ منكم ميثاقا غليظا
ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم
من النساء الا ما قد سلف
انه كان فاحشة ومقتوا ساء
سبلا حرمت عليكم امهاتكم
بناتكم واخواتكم وعماتكم
وخالاتكم وبنات الاخ
وبنت الاخ وامهاتكم
الاى اوضعنكم واخواتكم
من الرضاة وامهات
نسلككم ورباسكم الاى
في مجورك من نسائك الاى
دخلتم بهن فان لم تكونوا
دخلتم بهن فلا جناح عليكم
وحلائل بناتكم الذين من
اصلا بكم وان تجمعوا بين
الاخين الا ما قد سلف
ان الله كان عفورا رحيا
والحصان من النساء الا
ما ملكتم بايمانكم كتاب الله

رشيد او بعد بلوغه حسا وعشرين سنة وهو مفسد لماله بالاتفاق غير رشيد فوجب ان لا يجوز دفع المال اليه كاقبل بلوغ هذا السن * (المسئلة الخامسة) * اذ بلغ الصبي او الجارية واونس الرشد زال عنه الحجر ودفع اليه ماله سواء تزوج او لم يتزوج وقال مالك ان كانت امرأة لا يدفع اليها المال مالم تزوج فاذا تزوجت دفع اليها ماله ولا ينفذ تصرفها الا باذن الزوج مالم تكبر وتنجرب * (المسئلة العادسة) * اذ بلغ الصبي رشيدا زال عنه الحجر فلو عا دس فيها بظر فان كان مبذرا لماله جرح عليه وان كان مفسدا في دينه فلي وجهين احدهما ان يعاد عليه الحجر كما يستدام اذ بلغ وهو بهذه الصفة والثاني لا يجبر عليه لان حكم الدوام اقوى من حكم الابتداء وعندناي حنيفة لا جرح على الحر السائل البالغ بحال والدليل على اثبات الحجر من اتفاق الصحابة ما روى عن هشام بن عروة عن ابيه ان عبد الله بن جعفر ابتاع ارضا بفضة بستين الف درهم فقال على لآتين عثمان ولا جرحن عليك فاقى ابن جعفر الزبير فاعله بذلك فقال الزبير انا شريكك في بيعك فاقى على عثمان فقال اجبر على هذا فقال الزبير انا شريكه فقال عثمان كيف اجبر على رجل في بيع شريكه فيه الزبير فكان اتفاقا منهم على جواز الحجر حتى احتال الزبير لدفعه * وقوله تعالى (ولا تأكلوا مما اسرافا) الخطاب للاولياء يعنى بامعشر الاولياء لا تأكلوا اموال اليتامى بغير حق (وبدارا ان يكبروا) يعنى لا يتادروا كبرهم ورشدهم فتفرطوا في اتقاقها وتقولون نفق كما نشبهى قبل ان يكبروا فيلز مكم تسليمها اليهم * ثم بين تعالى حال الاولياء وقسمهم قسمين فقال تعالى (ومن كان غنيا فليستغفف) اى فليستغ من اكل مال اليتيم ولا يرزؤه قليلا ولا كثيرا (ومن كان فقيرا) يعنى محتاجا الى مال اليتيم وهو يحفظه (فليا كل بالمعروف) روى ابو داود عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال انى فقير وليس لى شئ ولى يتييم فقال كل من مال يتييم غير مسرف ولا مبذر ولا متائل واختلف العلماء في حكم هذه الآية فروى عن عمرو بن عباس وابن جبير وابى العالية وهبيدة السلقى وابى وائل ومجاهد ومقاتل انه يأخذ من مال اليتيم على وجه القرض واختلفوا في انه هل يلزمه القضاء فذهب قوم الى انه يلزمه القضاء اذا ايسر وهو المراد من قوله تعالى فليا كل بالمعروف والمعروف القرض اى يستقرض من مال اليتيم اذا احتاج اليه فاذا ايسر قضاء وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير قال عمر بن الخطاب انى ازلت نفسى من مال الله بمنزلة مال اليتيم ان استغفنت استغفنت وان افترقت اكلت بالمعروف فاذا ايسرت قضيت وقال قوم لاضمان عليه ولا قضاء بل يكون ما يأكله كالاجرة له على عمله وهو قول الحسن والشعبي والنخعي وقادة قال الشعبي لا يأكله الا ان يضطر اليه كما يضطر الى الميتة ثم القائلون بجواز الاكل من مال اليتيم اختلفوا في قوله فليا كل بالمعروف فقال عطاء وعكرمة يأكل باطراف اصابعه ولا يمسرف ولا يكتسب منه ولا يلبس الكتنان ولا الحلل لكن يأكل ما يسد به الجوع ويلبس ما يستر به العورة وقال الحسن يأكل من تمر نخله ولين وما شبهه بالمعروف ولا قضاء عليه فأما الذهب والفضة فلا يأخذ منه شيأ فان اخذ وجب عليه رده وقال الكشي المعروف هو ركوب الدابة وخدمة الخادم وليس له ان يأكل من ماله شيأ وروى ان رجلا قال لان عباس انى لي ثيما وانله ابلا افا شرب من لبن ابى فقال ابن عباس ان كنت تبنى ضالة ابى وتنهأ جرباها وتليط حوضها وتسقيها يوم ورودها فا شرب غير مضر نسل ولا ناهك في الحلب

عليكم واحل لكم ما وراء ذلكم ان تبشروا بأموالكم محصنين غير مسافحين فاستعتم به منهم فأتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتهن به من بعد الفريضة ان الله كان عليما حكما ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمن مالمكنت ايمانكم من فتيانكم المؤمنات والله اعلم بامانكم بعضكم من بعض فانكحوهن باذن اهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخدان فاذا احصين فان اثنين فاحشة فعلهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشى العنت منكم وان تصبروا خير لكم والله غفور رحيم يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم وينوب عليكم والله عليم حكيم والله يريد ان ينوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا باليه الذين امنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيم ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما

وقال قوم المعروف ان يأخذ من ماله بقدر قيامه وأجرة عمله ولا قضاء عليه وهو قول عائشة
وجعالة من اهل العلم وقوله تعالى (فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم) هذا اصرار شاذ
وليس بواجب امر الله تعالى الولي بالشهاد على دفع المال الى اليتيم بعد البلوغ تزول عنه التهمة
وتقطع الخصومة لانه اذا كانت عليه بينة كان ابعد من ان يدعى عدم القبض وتظهر بذلك
امانة الوصي وتسقط عنه اليمين عند انكار اليتيم القبض (وكفى بالله حسيبا) يعني بحاسبنا وبجازيا
وشاهدا به * قوله تعالى (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون) نزلت هذه الآية
في اوس بن ثابت الانصاري توفي وترك امراته ويقال لهما امكة وثلاث بنات منها فقام رجلان هما ابنا عم
الميت ووصياه يقال لهما سويد وعرجة فاخذ اماله ولم يعطيا امراته ولا بناته شيئا من ماله وذلك
انهم كانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير من الذكور وانما كانوا يورثون الرجال ويقولون
لا يعطى الارث الا من قاتل وحاز القسيمة وحى الحوزة فجاءت امكة امرأة اوس الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله مات اوس بن ثابت وترك ثلاث بنات وانا امراته وليس
عندي ما تنفق عليهن وقد ترك ابوهن مالا حسنا وهو عند سويد وعرجة ولم يعطيا ولا بناته
منه شيئا وهن في جحرى ولا يطمعن ولا يسقين فدعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله ان ولدا لا ير كبن فرسا ولا يحملن كلا ولا ينكين عدوا فانزل الله هذه الآية وتبين ان الارث
ليس محنصا بالرجال بل هو امر يشترك فيه الرجال والنساء فقال تعالى للرجال يعني الذكور من
اولاد الميت وعصبته نصيب اى حظ مما ترك الوالدان والاقربون يعني من الميراث (وللنساء نصيب)
يعنى وللاناث من اولاد الميت حظ (مما ترك الوالدان والاقربون بما قل منه او اكثر) يعنى
من المال المحلف عن الميت (نصيبا مفرضا) يعنى معلوما او قرض ما فرضه الله تعالى وهو آكد
من الواجب لما نزلت هذه الآية بحجة ولم يبين كم هو النصيب ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى سويد وعرجة لاتقرا من المال شيئا فان الله تعالى قد جعل لبناته نصيبا مما ترك ولم يبين كم
هو حتى انظر ما ينزل فيهن فانزل الله تعالى بوصيكم الله في اولادكم الآية فلما نزل ارسل رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى سويد وعرجة ان ادفعالى امكة الثمن عن ترك ولدى بناته الثلاثين
ولكم بما فى المال * قوله عز وجل (واذا حضر القسمة) يعنى قسمة الميراث فلى هذا القول يكون
الخطاب للوارثين (اولوالقربى) يعنى القرابة الذين لا يرثون (واليتامى والمساكين) انما قدم
اليتامى لشدة ضعفهم وحاجتهم (فارز قوه من) اى فارضوا لهم من المال قبل القسمة
واختلف العلماء فى حكم هذه الآية فقال قوم هذه الآية منسوخة بآية الموارث وهذا قبل نزول آية
الموارث فلما نزلت آية الموارث جعلت لاهلها ونسخت هذه الآية وهى رواية مجاهد عن ابن
عباس وقول سعيد بن المسيب وعكرمة والضحاك وقنادة وقال قوم هى محكمة غير منسوخة وهى
الرواية الاخرى عن ابن عباس وهو قول ابى موسى الاشعري والحسن وابى الصالية
والشعبي وعطاء بن ابى رباح وسعيد بن جبير ومجاهد والنضى والزهرى ثم اختلف
العلماء بعد القول بانها محكمة هل هذا الامر امر وجوب او نهي على قولين احدهما انه
واجب فقيل ان كان الوارث كبيرا وجب عليه ان يرضخ لمن حضر القسمة شيئا من المال بقدر تطيب به
نفسه وان كان الوارث صغيرا وجب على الولي ان يعتذر اليهم ويقول انا لا املك هذا المال وهو

فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا ان
تجتنبوا كبار ما تنهون عنه
من اثبات القبر فى الوجود
الذى هو الشرك ذاتا وصفة
وفلا فان اكبر الكبار اثبات
وجود غير وجوده تعالى
كما قيل * وجودك ديب
لا يقاس به ذنب * ثم اثبات
الانثى فى الذات باثبات
زيادة الصفات عليها كما قال
امير المؤمنين عليه السلام
وكما قال الاخلاص له نفي
الصفات عنه (تكفر عنكم
سيئاتكم) بظهور النفس
والقلب بصفة من صفاتها
احيانا فانها بعد ظهور نور
التوحيد لا تثبت (وتدخلكم
مدخلا كريما) اى حضرة
عين الجمع لا كرم الا فيها
(ولا تمنوا ما فضل الله به
بعضكم على بعض) من
الكملات المرتبة بحسب
الاستعدادات الاولى فان
كل استعداد يقتضى بهويته
فى الازل كالا وسعادة تناسبه
وحصول ذلك الكمال الخاص
لتفريده محال ولذلك ذكر
بلفظ التثنية الذى هو طالب
ما يتمتع حصوله للطالب
لا تمتنع سببه (للرجال)
اى الافراد الواصلين (نصيب
بما اكتسبوا) بنور استعدادهم
الاصلى (وللنساء) اى

لهؤلاء الضعفاء قال ابن عباس ان كان الورثة كبارا رضخوا لهم وان كان الورثة صغارا اعتذر اليهم فيقول الولي او الوصي اني لا املك هذا المال وانما هو لصغار ولو كان لي منه شيء لاعطيتكم وان يكبروا فسيرفوا حقكم هذا هو القول المعروف وقال بعضهم هذا حق واجب في مال الصغار والكبار فان كان الورثة كبارا تولوا اعطاهم بانفسهم وان كانوا صغارا اعطى وليهم وروى محمد بن سيرين ان عبيدة السلماني قسم اموال ايتام فأمر بشاة فدبجت وصنعت طعاما لاجل هذه الآية وقال لولا هذه الآية لكان هذا من مالي وقال الحسن والنخعي هذا الرضخ يختص بقسمة الاعيان فاذا آل الامر الى قسمة الارضين والرقب وما اشبه ذلك فقولوا لهم قولوا معروفا وقيل كانوا يعطون التابوت والاولاد وراث الثياب والمتاع الذي يسقى من قمته والقول الثاني ان هذا الامر ندب واستحب لاهل سبل الفرض والاجاب وهذا القول هو الاصح الذي عليه العمل اليوم واحبوا لهذا القول بأنه لو كان لهؤلاء حق معين لبيته الله تعالى كابن سائر الحقوق فحيث لم يبين علما ان ذلك غير واجب وقيل في معنى الآية ان المراد بالقسمة الوصية فاذا حضر الوصية من لا يرث من الاقرباء واليتامى والمساكين امر الله الوصي ان يحصل لهم نصيبا من تلك الوصية ويقول لهم مع ذلك قولوا معروفا وقوله (وقولوا لهم قولوا معروفا) هو ان لا يتبع العطية بالمال والاذى قوله تعالى (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا) يعني اولادا صغارا (حافوا عليهم) يعني افقر قبل هذا خطاب للذين يجلسون عند المريض وقد حصره الموت فيقولون له انظر لنفسك فان اولادك وورثتك لا يفتنون عليك شيئا قدم لنفسك اهلك وتصدق واعط فلا يزالون به حتى ياتي على عامة ماله فنهام الله عن ذلك وامرهم بان يأمروه بالنظر لولده ولا يرد على الثلث في وصيته ولا يجحف والمخني كما انكم تكرهون بقاء اولادكم في الضعف والجوع من غير مال فخشوا الله ولا تحملوا المريض على ان يحرم اولاده الصغار من ماله وحاصل هذا الكلام كما انك لا ترضى مثل هذا الفعل لنفسك فلا ترضه لاختك المسلم وكما انه لو كان هذا القائل هو الوصي لسره ان يمتهن من يحضره على حفظ ماله لولده ولا يدهم عالة يتكفون الناس مع ضعفهم وهجرهم وقيل هو الرجل يحضره الموت ويريد ان يوصي بشيء فيقول له من حصره من الرجال اتق الله وامسك اموالك لولده فيمتعونه من الوصية لا قاربه المحتاجين وقيل الآية يحتمل ان تكون خطابا لمن حضر اجله ويكون المقصود نهيه عن تكثير الوصية لتلحق وراثته فقراء ضعافا ضالعين بعد موته ثم ان كانت هذه الآية نزلت قبل تقدير الثلث كان المراد منها ان لا يحصل الوصية مستغرقة للتركة وان كانت قد نزلت بعد تقدير الثلث كان المراد منها ان يوصي بالثلث او باقل منه اذا خاف على وراثته كما روى عن كثير من الصحابة انهم اوصوا بالقليل لاجل ذلك وكانوا يقولون الحسن في الوصية افضل من الربع والربع افضل من الثلث وقد ورد في الصحيح الثلث والثلث كثير لانذر ورثتك اغنياء خير من ان تدرهم عالة يتكفون الناس يعني يسألونهم بأكفهم وقيل هو خطاب لاولياء التلوي والمعنى وليخش من خاف على ولده من بعد موته ان يضيع مال اليتيم الضعيف الذي هو ذرية غيره اذا كان في جره والمقصود من الآية من كان في جره يقيم فليحسن اليه وليه او وصيه وليفعل به ما يحب ان يفعل بأولاده من بعده (فليتقوا الله) يعني في الامر الذي تقدم ذكره (وليقلوا قولاً سديداً) يعني هدلا وصوابا قال قول السديد

الناقصين القاصرين عن الوصول (نصيب مما اكتسب) بقدر استعدادهم (واسألوا الله من فضله) اي اطلبوا منه افاضة كمال يقتضيه استعدادكم بالتركية والتسوية حتى لا يحول بينكم وبينه فتعجبوا وتعذروا بيران الحرمان منه (ان الله كان بكل شيء) بما يخفى عليكم كما في استعدادكم بالقوة (علما) فيحييكم بما يليق بكم كما قال وآتاكم من كل ما سئتموه اي لسان الاستعداد الذي مادما واحدة الاحاب كما قال ادعوني استجب لكم (ولكل جعلنا مالا يمارك الولدان والافريون والذين عقدت ايمانكم فأتوهم نصيبهم ان الله كان على كل شيء شديدا الرجال فآمون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما اتفقوا من اموالهم فالصالحات قانتات حافظات للقيب بما حفظ الله واللاتي يخافون نشرهن فطوهن واهجروهن في المضاجع واصربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا وان ختم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدوا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليا خيرا واجدوا الله

خصصوه بالتوجه اليه والفناء فيه الذي هو غاية التذلل (ولا تشركوا به شيئاً) بآيات وجوده (وبالوالدين احساناً) واحسنوا بالروح والفس الذين تولد القلب منهما وهو حقيقتكم لستم الا اياه ووفوا حقوقها وراعوها حق المرامة بالاستفاضة من الاول والتوجه اليه بالتسليم والتعظيم وتزكية الثانية وحفظها من ادناس محبة الدنيا والتذلل بالحرص والشره وامثالها ومن شر الشيطان وعداوته اباه واجنوها بالرأفة والحمية بنوفير حقوقها عليها ومنع الحفظون ها (وبدي القرى) الذي يناسبكم في الحقيقة بحسب القرب في الاستعداد الاصلى والمشكلة الروحانية (واليتامى) المستعدين المقطعين عن نور الروح القدسي الذي هو الاب الحقيق بالاجتناب عنه (والمساكين) العاملين الذين لا مال لهم اى لاحظ من العلوم والمصارف والحقائق فسكنوا ولم يقدرُوا على المسير وهم السعداء الصالحون الذين ما لهم الى الجنة الافصال (والجبار ذى القربى) الذى هو فى

من الجالسين عند المريض هو ان يأمره ان يتصدق بدون التلث ويترك الباقي لولده وورثته وان لا يحيف في وصيته والقول السديد من الاوصياء واولياء اليتامى ان يكلموهم كما يكلمون اولاده ولا يؤذوهم بقول ولا فعل قوله عز وجل (ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلماً) قال مقاتل وابن حبان نزلت في رجل من غطفان يقال له مرثد بن زيد ولى مال يتيم وكان اليتيم ابن اخيه فاكله فانزل الله هذه الآية ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلماً يعنى حراما بغير حق (انما يأكلون في بطونهم نارا) يعنى سبأ كلون يوم القيامة فسمى الذين يأكلون نارا بما يؤول اليه امرهم يوم القيامة قال السدى يعث آكل مال اليتيم ظلماً يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن سامعه واذنيه وعينه وانه يعرفه من رآه بأكل مال اليتيم وفي حديث ابى سعيد الخدرى قال حدثنا النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة اسرى به قال نظرت فاذا انا يقوم لهم مشافراً كذا را الابل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافريهم ثم يجعل في افواههم صخراً من نار يخرج من اساطهم قلت يا حبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون اموال اليتامى ظلماً انما يأكلون في بطونهم نارا وقيل انما ذكر اكل النار على سبيل التمثيل والتوسع في الكلام والمراد ان اكل مال اليتيم ظلماً يفضى به الى النار وانما خص الاكل بالذكر وان كان المراد سائر انواع الانكافات وجميع التصرفات الرديئة المتلفة للمال لان الضرر يحصل بكل ذلك لليتيم فبهر عن جميع ذلك بالاكل لانه معظم المقصود وانما ذكر البطون للتأكيد فهو كقولك رأيت بعينى وسمعت بأذنى (وسيعملون سعيراً) يعنى يأكلهم اموال اليتامى ظلماً والسعير النار الموقدة المسعرة ولما نزلت هذه الآية تقل ذلك على الناس واحترزوا من مخالطة اليتامى واموالهم بالكلية فشق ذلك على اليتامى فنزل قوله تعالى وان تحاطبوا فخذوا منهم ان قوله وان تحاطبوا ناسخ لهذه الآية وهذا غلط ممن توهمه لان هذه الآية واردة في المنع من اكل اموال اليتامى ظلماً وهذا لا يصير منسوخاً لان اكل مال اليتيم بغير حق من اعظم الآثام وقوله وان تحاطبوا فخذوا منهم واردة على سبيل الاصلاح في اموال اليتامى والاحسان اليهم وهو من اعظم القربى قوله تعالى (يوصيكم الله في اولادكم لذكر مثل حظ الانثيين) اختلف العلماء في سبب نزول هذه الآية فروى عن جابر قال مرضت فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بعودنى وابوكروهما بمشيان فوجداني اغنى على فتوضاً رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صب وضوءه على فافقت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم جالس فقلت يا رسول الله كيف اصنع في مالى كيف اقضى في مالى فلم يجبنى بشئ حتى نزلت آية الميراث وفي رواية فقلت لا يرثني الاكلالة فكيف الميراث فنزلت آية الفرائض وفي رواية اخرى فنزلت يوصيكم الله في اولادكم وفي رواية اخرى فلم يرد على شيئاً حتى نزلت آية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم اخرجهم البخارى ومسلم وقال مقاتل والكلبي نزلت في ام سكة امرأة اوس بن ثابت وبنته وقال هطاء نزلت في سعد بن الربيع القبيبي استشهد يوم احد وترك بنتين وامراً واحاً (ق) عن جابر رضى الله عنه قال جاءت امرأة سعد بن الربيع باثنتين من سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله هاتان اثنتان سعد بن الربيع قتل ابوهما معك يوم احد شهيدا وان عنهما اخذ ماله فمأدع لهما مالا ولا ينكحان الا لهما مال قال يقضى الله في ذلك فنزلت آية الميراث فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عنهما فقال اعطى ابنتى سعد الثلثين واعطى امهما الثلث وما بقى فهو لك اخرجهم

الترمذى وقال السدى كان اهل الجاهلية لا يورثون الجوارى ولا الضمء من الغلمان لا يرث الرجل من ولده الا من اطاق القتال فأت عبد الرحمن اخو حسان الشاعر وترك امرأة وخمس بنات فجاء الورثة واخذوا ماله فشكت امرأته الى النبي صلى الله عليه وسلم فأئزله تعالى هذه الآية الكريمة وقبل الشروع في تفسير هذه الآية تقدم فصولا تتضمن احكام الفرائض واصول قواعدها

(فصل في الملت على تعليم الفرائض) * اهل ان علم الفرائض من اعظم العلوم قدرا واشرفها ذخرا وافضلها ذكرا وهي ركن من ارکان الشريعة وفرع من فروعها في الحقيقة اشتغل الصدر الاول من الصحابة بتحصيلها وتكلموا في فروعها واصولها ويكفي في فضلها ان الله عز وجل تولى فتحها بنفسه وانزلها في كتابه مبينة من محل قدسه وقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعليمها فيما رواه ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا الفرائض والقرآن وعلوا الناس فاني مقبوض اخرجه الترمذى وقال فيه اضطراب واخرجه احمد بن حنبل وزاد فيه فاني امرؤ مريض والعلم مرفوع وبوشك ان يختلف اثنان في الفريضة فلا يجد ان احدا يخبرهما عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا الفرائض وعلوها فانه نصف العلم وهو اول علم يندى وهو اول شئ ينزع من امتي اخرجه ابن ماجه والدارقطنى

(فصل في بيان احكام الفرائض) * ادامات الميت وله مال يبدأ تجهيزه من ماله ثم تقضى ديونه ان كان عليه دين ثم تفذ وصاياه وما فضل بعد ذلك من ماله يقسم بين ورثته والوارثون من الرجال عشرة الابن وابن الابن وان سفل والاب والجدوان علا والاخ سواء كان لاب وام اولاب اولام وابن الاخ للاب والام اوللاب وان سفل والام للاب والام اولالاب وابناهما وان سفلوا والزوج والمعتق والوارثات من النساء سبع البنت وبنت الابن وان سفلت والام والجددة وان سفلت والاخت من كل الجهات والزوجة والمعتقة وستة من هؤلاء لا يلحقهم حجب الحرمان بالتير وهم الابوان والولدان والزوجان لانه ليس بينهم وبين الميت واسطة ثم الورثة ثلاثة اصناف صنف يرث بالفرض المجرد وهم الزوجان والبسات والاخوات والامهات والجدات واولاد الام وصنف يرث بالتعصيب وهم البنون والاخوة وبنوهم والاعام وبنوهم وصنف يرث بالتعصيب تارة وبالفرض اخرى وهم الاب والجد فيرث بالتعصيب اذا لم يكن للميت ولد فان كان له ابن ورث الاب بالفرض السدس وان كانت بنت ورث السدس بالفرض واخذ الباقي بالتعصيب والعصبة اسم لمن ياخذ جميع المال اذا انفرد وبأخذ ما فضل من اصحاب الفرائض

(فصل) * واسباب الارث ثلاثة نسب ونكاح وولاء فالنسب القرابة يرث بعضهم بعضا والنكاح هو ان يرث احد الزوجين من صاحبه بسبب النكاح والولاء هو ان المعتق وعصابته يرثون المعتق والاسباب التي تمنع الميراث اربعة اختلاف الدين فالكافر لا يرث المسلم ولا المسلم الكافر لما روى عن اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم اخرجاه في الصحيحين فالما الكفار فيرث بعضهم بعضا مع اختلاف ملهم واديانهم لان الكفر كله ملة واحدة وذهب بعضهم الى ان اختلاف الملل والكفر يمنع التوراث ايضا حتى لا يرث اليهودى

مقام من مقامات السلوك قريب من مقامك (والجار الجنب) الذى هو في مقامه بعيد من مقامك (والصاحب بالجنب) والرفيق الذى هو في عين مقامكم ورافقكم في سيركم (وابن السبيل) اى السالكات في طريق الحق الداخلة في القرية عن مأوى النفس الذى لم يصل الى مقام من مقامات اهل الله (وما ملكك ايمانكم) من اهل ارادتكم ومحببتكم الذين هم عبيدكم كلابعاً ياسبه ويليق به من انواع الاحسان وان شئت اولت دى القربى بما ينصل به من الملكوت العالوية من المجرّدات واليتامى بالقوى الروحانية كابر والمساكين بالقوى النفسانية من الحواس الظاهرة وغيرها والجار ذى القربى بالعقل والجار الجنب بالوهم والصاحب بالجنب بالشوق والارادة وابن السبيل بالفكر والمالك بالملكات المكتسبة التي هي مصادر الافعال الجلية (ان الله لا يحب من كان مختالا) يسعى في السلوك بنفسه لابل الله معجبا بآعاليه (فخوار) متعجبا باحواله ومقاماته وكلالته متعجبا برؤيتها ورؤية انصافه بها

من النصراني ولا النصراني من اليهودي والى هذا ذهب الزهري والاوزاعي واحد وامحق
لما روى عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا توارث بين اهل ملتين اخرجه الترمذي
وقال حديث غريبه عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا توارث
اهل ملتين شتى اخرجه ابوداود وحله الآخرون على الاسلام والكفر لان الكفر عندهم مله
واحدة فتورث بعضهم من بعض لا يكون فيه اثبات التورات بين ملتين شتى والرق يمنع
الارث لان الرقيق ملك ولا ملك له فلا يرث ولا يورث والقتل يمنع الارث عدا كان القتل او
خطأ لما روى عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال القاتل لا يرث اخرجه الترمذي وقال هذا
حديث لا يصح والعمل عليه عند اهل العلم ان القاتل لا يرث سواء كان القتل عمدا او خطأ وقال بعضهم
اذا كان القتل خطأ فانه يرث وهو قول مالك وعمر بن الخطاب وموت المتوارثين وذلك بان غرقا
او انهدم عليهما باء فلم يدرا بمما سبق موته فلا يرث احدهما الا آخر بل يكون ارث كل واحد
مهما لم كانت حياته يقينا بعد موته من ورثته * (فصل) * والسهام المحدودة في الفرائض
المذكورة في كتاب الله عز وجل ستة الصنف والرابع والثمن والثلاثان والثالث والسدس فان نصف
فرض حصة فرض الزوج عند عدم الولد وفرض البنت الواحدة للصلب او بنت الابن عند عدم
بنت الصلب وفرض الاخت الواحدة للاب والام وفرض الاخت الواحدة للاب اذا لم يكن
ولد لاب وام والرابع فرض الزوج مع الولد وفرض الزوجة مع عدم الولد والثمن فرض الزوجة
مع الولد والثلاثان فرض البنتين فصاعدا او بنت الابن عند عدم بنات الصلب وفرض الاختين
فصاعدا للاب والام اوللاب والثالث فرض ثلاثة فرض الام اذا لم يكن للبيت ولد ولا اثنان من
الاخوة والاخوات الا في مستثنين احدهما زوج وابوان والاخرى زوجة وابوان فان لام
فيهما ثلث الباقى بعد نصيب الزوج او الزوجة وفرض الاثنتين فصاعدا من اولاد الام ذكرهم
وانثاهم فيه سواء وفرض الجدة مع الاخوة اذا لم يكن في المسئلة صاحب فرض وكان الثلث
للجد خيرا من المقاسمة مع الاخوة والسدس فرض سبعة فرض الاب اذا كان للبيت ولد وفرض
الام اذا كان للبيت ولد او ولد ابن او اثنان من الاخوة والاخوات وفرض الجدة اذا كان للبيت
ولد ومع الاخوة اذا كان في المسئلة صاحب فرض وكان السدس خيرا للجد من المقاسمة مع الاخوة
وفرض الجدة والجدة وفرض الواحد من اولاد الام ذكر او انثى وفرض بنات الابن مع
بنت الصلب تكملة الثلثين وفرض الاخوات للاب مع الاخت للاب والام تكملة الثلثين (ق)
عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقوا الفرائض بأهلها فابقى فهو لأولى
رجل ذكر (خ) عن ابن عباس قال كان المال للولد والوصية للوالدين ففسخ الله من ذلك ما حب
لجمل للذكر مثل حظ الانثيين وجعل للابوين لكل واحد منهما السدس والثلث وجعل للمرأة
الثمن والرابع وللزوج الشطر والرابع اه

(فصل)

روى عن زيد بن ثابت قال ولد لالبا بنت لالبا ابن لالبا ابن لالبا ابن لالبا ابن لالبا ابن لالبا
يرثون كل يرون ويحبون كل يحبون ولا يرث ولد ابن مع ابن ذكر فان تركا ابنة وابن ابن
ذكر اكان لبنت النصف ولابن الابن مابق لقوله صلى الله عليه وسلم الحقوا الفرائض بأهلها فابقى
فهو لأولى رجلا ذكر في هذا الحديث دليل على ان بعض الورثة يحب بعض الجلب جبلت حب

(نفسه)

(الذين يضلون) أولا
بامساك كالاتهم وعلوهم
في مكان قرائتهم ومطامير
ضرائهم لا يظهر ونها بالعمل
بما في وقتها ثم بالامتناع عن
توفير حقوق ذوي الحقوق
عليهم لا يذلون صفاتهم
وذواتهم بالقضاء في الله
لحبهم لها ولا يفتقون
اموال علومهم واخلاصهم
وكالاتهم على ما ذكرنا من
المستحقين (ويأمرون
الناس بالعدل) يحملونهم
على مثل حالهم (ويكتمون
ما آتاهم الله من فضله) من
لوحيد والمعارف والاخلاق
والحقائق في كتم الاستعداد
وظللة القوة كائنات معدومة
(واعتدنا للكافرين)
المحبوبين عن الحق (عذابا
مهينا) في ذل وجوههم
وشين صفاتهم (والذين
ينفقون اموالهم رياء الناس)
اي يبرزون كالاتهم من
كتم الصدم ويخرجونها
الى العمل محبوسين برؤيتها
لانفسهم يراؤن الناس
بانها لهم (ولا يؤمنون بالله)
الاعمان الحقيقي فيعلون
ان الكمال المطلق ليس
الاله من اين لغيره وجود
حتى يكون له فيخلصون
عن حجاب رؤية الكمال
لانفسهم ويجنون عن اثم

العجب) ولا باليوم الآخر
 اى الفناء فى الله والبرو
 للواحد القهار فيتبرؤوا
 من ذنب الشرك وذلك
 لمقارنة شيطان الوهم اياه
 (ومن يكن الشيطان له قريه
 فساء قرينا) لانه يضلّه من
 الهدى ويحبّجه عن الحق
 (وما ذاعليم لو آمنوا بالله)
 اى لو صدقوا الله بالتوحيد
 والفناء فيه ومحو كالاتهم
 التى رزقهم الله باضافته
 الى الله (واليوم الآخر
 وانفقوا بما رزقهم الله وكان
 الله بهم عليا) يجازيهم بالبقاء
 بعد الفناء وكونهم مع تلك
 الصفات والكمالات بالله
 لا بانفسهم (ان الله يظلم اى
 لا ينقص من تلك الكمالات
 بالقضاء فيه (منقال ذرة)
 بل يضاعفها بالتأيد الحقائق
 (وانك حسنة بضاعفها)
 ولا تكون حسنة الا اذا
 كانت له (وبؤت من لدنه
 اجرا عظيما) هو ما خفى له
 من قرّة عين اى الشهود
 الذاتى الذى لا حجة معه
 عن تفاصيل الصفات
 (فكيف اذا جئنا من كل امة
 يشهدون بجنابك على هؤلاء
 شهدا) الشهيد والشاهد
 ما يحضر كل واحد مما بلغه
 من الدرجة فى العرفان
 وهو الغالب عليه فهو يكشف

نقصان وجب حرمان اما الاول وهو جب النقصان فهو ان الولد ولد الابن يحجب الزوج
 من النصف الى الربع والزوجة من الربع الى الثمن والام من الثلث الى السدس وكذلك الابن
 من الاخوة والاخوات يحجبون الام من الثلث الى السدس واما الثانى وهو جب الحرمان
 فهو ان الام تسقط الجدات واولاد الام وهم الاخوة للام يسقطون بأربعة بالاب والجدوان
 علاو بالولد وولد الابن واولاد الاب والام وهم الاخوة للاب والام يسقطون بثلاثة بالاب
 والابن وابن الابن وان سفلوا ولا يسقطون بالجد على مذهب زيد بن ثابت وهو قول عمرو بن
 وعلى وابن مسعود وبه قال مالك والاوزاعى والثافعى واحمد واولاد الاب يسقطون بهؤلاء
 الثلاثة وبالاخ للاب والام وذهب قوم الى ان الاخوة يسقطون جميعا بالجد كما يسقطون بالاب
 وهو قول ابى بكر الصديق وابن عباس ومعاذ بن ابي الدرداء وعائشة وبه قال الحسن وعطاء
 وطاوس وابو حنيفة والاقرّب من العصباء يسقط الابعدهم فافريهم الابن ثم ابن الابن وان سفل
 ثم الاب ثم الجد وان علا فان كان مع الجد احد من الاخوة والاخوات للاب والام اولاب
 يشتركان فى الميراث فان لم يكن جد فلالح للاب والام ثم الاخ للاب ثم بنوا الاخوة يقدم اقربهم
 سواء كان لاب وام اولاب فان استويا فى الدرجة فالذى هولاب وام اولى ثم الملام وام ثم لاب
 ثم بنوهم على ترتيب بنى الاخوة ثم عم لاب ثم عم الجد على الترتيب فان لم يكن احد من عصباء النسب
 وعلى الميت ولأولاد الميراث لله فان لم يكن حيا فله عصباء المعتق واربعة من الذكور يعصبون الاناث
 الابن وابن الابن والاخ للاب والام والاخ للاب فلولمات من ابن وبنت او عن اح واخت لاب
 وام اولاب يكون المال بينهما لذكر مثل حظ الانثيين ولا يرضى للبنت والاخت وكذلك
 ابن الابن يعصب من فى درجته من الاناث ومن فوقه اذا لم يأخذ من الثلثين شيأ حتى لومات
 عن بنتين وبنت ابن فلبنتين الثلثان ولا شئ لبنت الابن فان كان فى درجتها ابن ابن او اسفل
 منها ابن ابن ابن كان الباقي بينهما لذكر مثل حظ الانثيين والاخت للاب والام اولاب
 تكون مع البنت حصبة حتى لومات عن بنت واخت كان للبنت النصف والباقي وهو النصف
 للاخت ولومات عن بنتين واخت كان للبنتين الثلثان والباقي للاخت ويدل على ذلك ما روى
 عن هذيل بن شرحبيل قال سئل ابو موسى عن ابنة ابن واخت فقال للابنة النصف
 وللأخت النصف واتى ابن مسعود فسئل ابن مسعود واخبر بقول ابى موسى فقال
 ابن مسعود لقد ضللت وما نا من المهنتين ثم قال اقضى فيها قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
 للابنة النصف ولابنة الابن السدس تكملة الثلثين وما بقى فللاخت فاخبر ابو موسى بقول
 ابن مسعود فقال لا تسألونى مادام هذا الخبر فيكم اخرج به البخارى وأما التفسير فقوله
 تعالى يوصيكم الله اى يهد اليكم ويفرض عليكم فى اولادكم يعنى فى امر اولادكم اذا متم
 والوصية من الله ايجاب وانما ابد الله تعالى بذكر ميراث الاولاد تعلق قلب الانسان بولده
 اشد من تعلقه بغيره فلها قدم الله ذكر ميراثهم لذكر مثل حظ الانثيين يعنى ان الولد الذكر له
 من الميراث ضعفا سهام الانثى فلذا ذكر سهام وانثى سهم فلو حصل مع الاولاد غير هم
 من الورثة من اهل القروض كالابوين اخذوا فروضهم وما بقى بعد ذلك كان بين الاولاد
 لذكر مثل حظ الانثيين (فان كن) يعنى المتزوات من الاولاد (نساء فوق اثنتين) يعنى

بنيتين فصاعدا (فلهن ثلثا مترك) واجعت الامة على ان للبنتين الثلثين الاماروى من ابن عباس انه ذهب الى ظاهر الآية وقال الثلثان فرض الثلاث من البنات لان الله تعالى قال فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا مترك فجعل الثلثين للنساء ازا زدن على اثنتين وعنده ان فرض الثلثين النصف كفرض الواحدة واجيب عنه بوجوه فيها جهة لمذهب الجمهور ايضا الوجه الاول ان الله تعالى قال وان كانت واحدة فلها النصف فجعل النصف للواحدة وذلك ينفي حصول النصف نصيبا للبنتين الوجه الثاني ان في الآية تقديم وتأخيرا والتقدير فان كن نساء اثنتين فما فوقهما فلهن الثلثان الوجه الثالث ان لفظة فوق ههنا صلة والتقدير فان كن نساء اثنتين فهو كقوله فاضربوا فوق الاعناق بمعنى فاضربوا الاعناق وانما سمي اثنتين نساء بلفظ الجمع لان العرب تطلق على اثنتين جماعة بدليل قوله تعالى فقد صنت قلوبكما الوجه الرابع قال علماء الجمهور انما اعطينا البنتين الثلثين بناويل القرآن لان الله تعالى جعل للبنت الواحدة النصف بقوله تعالى وان كانت واحدة فلها النصف وجعل للاخت الواحدة النصف بقوله ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف مترك ثم جعل للاختين الثلثين بقوله فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان فلما جعل للاختين الثلثين علما ان للبنتين الثلثين قياسا على الاختين الوجه الخامس ان النبي صلى الله عليه وسلم قضى بالثلثين لابنتي سعد بن الربيع وهذان صريح في المسئلة وقوله تعالى (وان كانت واحدة) يعنى البنت واحدة (فلها النصف) يعنى فرضا لها (ولابوي) يعنى ابوي الميت كناية عن غير مذكور وهما والداها (لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد) يعنى ان للاب والام مع وجود الولد او ولد الابن لكل واحد منهما سدس الميراث واعلم ان اسم الولد يقع على الذكر والانثى فاذا مات الميت وترك ابوين وولدا ذكرا او احدا كان او اكثر اترك بنات فان للام السدس بالفرض وللأب السدس مع الولد الذكر بالفرض ومع البنات له السدس بالتعصيب وهو الباقي من التركة وله مع البنت الواحدة السدس بالفرض والباقي بالتعصيب (فان لم يكن له ولد) يعنى للميت (وورثه ابواه فلامه الثلث) يعنى ان الميت اذا مات عن ابوين وليس له وارث سواهما فان الام تأخذ الثلث بالفرض وتأخذ الأب باقى المال بالفرض والتعصيب فيكون المال بينهما اثلاثا للذكر مثل حظ الانثيين فان كان مع الابوين احد الزوجين فيفرض للام ثلث الباقي بعد نصيب الزوج او الزوجة (فان كان له) يعنى للميت (اخوة) يعنى ذكورا أو انثى (فلامه السدس) يعنى لام الميت سدس التركة اذا كان معها اب واهل واجع العلماء على ان الثلاثة يجعون الام من الثلث الى السدس وان الاخ الواحد او الاخت الواحدة لا تحجب الام من الثلث الى السدس واختلفوا في الاخوين فلا كثرون من الصحابة يقولون ان الاخوين يحسبان الام من الثلث الى السدس وهذا قول عمر وعثمان وعلي وزيد بن ثابت والجمهور وقال ابن عباس لا تحجب الاخوة الام من الثلث الى السدس الا ان يكونوا ثلاثة قال ابن عباس لعثمان لم صار الاخوان يردان الام من الثلث الى السدس وانما قال الله تعالى فان كان له اخوة والاخوان في لسان قومك ليسا باخوة فقال عثمان يابني

عن حاله وعمله وسعيه ومبلغ جهده مقاما كان اوصفة من صفات الحق اوداتا فلكل امة شهيد بحسب مادامهم اليه بينهم وعرفه لهم ومادامهم الا الى ماوصل اليه من مقامه في المعرفة ولا يثبت في الانحساب استعدادا منه فهم يعرفون الله بنور استعدادهم في صورة كمال نبيهم ولهذا ورد في الحديث ان الله يتجلى لعباده في صورة معتقدهم فيعرفه كل واحد من الملل والمذاهب ثم يتحول عن تلك الصورة فيبرز في صورة اخرى فلا يعرفه الا الموحدون الداخلون في حضرة الاحدية من كل باب وكان لكل امة شهيدا فكذلك لكل اهل مذهب شهيد ولكل واحد شهيد يكشف عن حال مشهودة واما المحمديون فتمهيدهم الله المحبوب الموصول بجميع الصفات لما كان كمال نبيهم وكونه حيا مؤثري جوامع الكلم متملكا من الاخلاق فلا جرم يعرفونه هذا التوصل في جميع الصور اذ اتا بعوا نبيهم حتى التابعة وكانوا اوحدين محبوبين كنيهم (يومئذ يود الذين كفروا) بالاحتجاب عن الحق

(وعصو الرسول) بالاحتماب
عن الذين (لوتسوى بهم
الارض) ارض الاستعداد
فتطمس نفوسهم او نصير
ساذجة لا نقش فيها من العقائد
الفاسدة والردائل الموبقة
(ولا يكتفون الله حديثا) اى
لا يقدرّون على كتم حديث
من تلك النقوش حتى
لا يتعذبون بعقابه (يا أيها الذين
آمنوا) بالايمان العلى فان
المؤمن بالايمان العينى
لا يكون فى صلاته غافلا
(لاتقربوا الصلوة) اى لاتقر
بوامقام الحضور والمناجاة مع
الله فى حال كونكم (وانتم
سكارى) من نوم الغفلة
او من خور الهوى ومحبة
الدنيا (حتى تعلموا ما تقولون)
فى منا جاتكم ولا تشتغل
قلوبكم بأشغال الدنيا ووسا
وسماتذلهوا عنه ولا فى حال
كونكم بعداء من الحق بشدة
الميل الى النفس ومباشرة
لذاتها وشهواتها وحظوظها
والركون اليها (ولا جنبا
الا عارى سبيل) اى مارين
عليها سالكى طريق من طرق
تمتعها بقدر الضرورة
والمصلحة كعبور طريق
الاغتذاء بالطعم والمشرّب
لسد الرقى وحفظ القوة
والاكساة لدفع الحرو البرد

ان قومك جبوها باخوين ولا استطيع نقض امر قد كان قبلى وانما نشأ هذا الاختلاف
لانهم اختلفوا فى اقل الجمع وفيه قولان احدهما ان اقل الجمع اثنان وهو قول القاضي ابى
بكر الباقلانى وجهة هذا القول انك اذا جمعت واحدا الى واحد فمما جاعة لان اصل الجمع ضم شئ
الى شئ وقال ابن الانبارى التثنية عند العرب اول الجمع ومشهور فى كلامهم ايقاع الجمع على التثنية
فمن ذلك قوله تعالى وكنا لحكمهم شاهدين وهما داود وسليمان عليهما السلام ومنه قوله
تعالى قد صغت قلوبكما يريد قلبا كما والقول الثانى ان اقل الجمع ثلاثة وهو قول جمهور العلماء
وهو الاصح وانما يجب العلماء الامم بالاخوين لدليل اتفقوا عليه وهو ان لفظ الاخوة يطلق
على الاخوين فإزاد وذلك جائز فى اللغة كما تقدم ثم ان الاخوة اذا جبو الامم من الثلث الى السدس
فانهم لا يرثون شئ البتة بل يأخذ الاب الباقي كرجل مات عن ابوين واخوين فان للام السدس
والباقي وهو خمسة اسداس للاب سدس بالفريضة والباقي بالتعصيب قال قتادة وانما يجب الاخوة
الامم من غير ان يرثوا مع الاب شئ موعة للاب لانه يقوم بشأنهم وينفق عليهم دون الام
(من بعد وصية يوصى بها او دين) يعنى ان هذه الانصاء والسهام انما تقسم بعد قضاء الدين
وانقاذ وصية الميت فى ثلثه وذكر الوصية مقدم على الدين فى اللفظ لافى الحكم لان لفظة
اولا توجب الترتيب وانما هى لاحد الشينين كانه قال من بعد احد هذين مفردا او مضموما الى
الاخر قال على رضى الله عنه انكم تقرّون الوصية قبل الدين وبدا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالدين قبل الوصية وهذا اجاع على ان الدين مقدم على الوصية والارث مؤخر عنهما لان
الدين حق على الميت والوصية حق له وهما يتقدمان على حق الورثة * قوله تعالى (اباؤكم
وابناؤكم لاتدرون ايهم اقرب لكم نفعا) قيل هذا كلام معترض بين ذكر الورثين وانصبتهم
وبين قوله فريضة من الله ولا تعلق لصناء بمعنى الآية ومعنى هذا الكلام فى قول ابن عباس
ان الله عز وجل يشفع المؤمنين بعضهم فى بعض فاطوعكم الله من الآباء والابناء ارضكم
درجة فان كان الوالد ارفع درجة من ولده رفع الله درجة ولده اليه وان كان الولد ارفع
درجة من والديه رفع الله اليه والديه لتقرب ذلك اعينهم فقال تعالى لاتدرون ايهم اقرب لكم
نفعا لان احدهما لا يعرف منفعة صاحبه فى الجنة وسبقه الى منزلة عالية تكون سببا لرفعه
اليها وقيل ان هذا الكلام ليس معترضا بينهما ومعناه متعلق بمعنى الآية يقول اباؤكم وابناؤكم
يعنى الذين يرثونكم لاتدرون ايهم اقرب لكم نفعا اى لاتعلمون ايهم اتفع لكم فى الدين والدنيا
فنكم من يظن ان الاب اتفع له فيكون الابن اتفع له ومنكم من يظن ان الابن اتفع له فيكون
الاب اتفع له ولكن الله هو الذى ذبر امركم على ما فيه المصلحة لكم فاتبعوه ولو وكل ذلك
اليكم لم تعلموا ايهم اتفع لكم فتمطون من لا يستحق ما لا يستحق من الميراث وتمنعون من يستحق
الميراث (فريضة من الله) يعنى ما قدر من الموارث لاهلها فريضة واجبة (ان الله كان
عليما حكيميا) يعنى كان عليما بالاشياء قبل خلقها حكيميا حيث فرض للصغار مع
من الاحكام وقيل مضاه عليما بخلفه قبل ان يخلقهم حكيميا حيث فرض للصغار مع
الكبار ولم يخص الكبار بالميراث كما كانت العرب تفعل وفى معنى لفظة كان ثلاثة اقوال
احدها ان الله تعالى كان عليما بالاشياء قبل خلقها ولم يزل كذلك الثانى حكى الزجاج

عن سيدويه انه قال ان القوم لما شاهدوا علما وحكمة ومفكرة وفضلا قيل لهم ان الله كان كذا ولم يزل الله على ما شاهدتم الثالث قال الخليل الخبر عن الله عز وجل بمثل هذه الاشياء كالخبر بالحال والاستقبال لان صفات الله تعالى لا يجوز عليها الزوال والتقلب قوله عز وجل (ولكم نصف ما تركا وواحكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصي بها او دين) هذا ميراث الازواج من الزوجات وقال تعالى في ميراث الزوجات من الازواج (ولهن) يعني لزوجات (الربع مما تركن ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثلث مما تركن من بعد وصية يوصي بها او دين) لما جعل الله في الموحد السبي حظ الرجل مثل حظ الانثيين جعل الله في الموجب السبي حظ الرجل مثل حظ الانثيين واعلم ان الواحد من النساء له الربع او الثلث وكذلك لو كن اربع زوجات فانهم يشتركون في الربع او الثلث واسم الولد يطلق على الذكر والانثى ولا فرق بين الولد وولد الابن وولد البنت في ذلك وسواء كان الولد للرجل من الزوجة او من غيرها قوله تعالى (وان كان رجل يورث كلالة او امرأة) تقدير الآية وان كان رجل او امرأة يورث كلالة واختلفوا في الكلالة فذهب اكثر الصحابة الى ان الكلالة من لا ولده ولا والد روى الشعبي قال سئل ابو بكر الصديق عن الكلالة فقال سأقول فيها قولاً رأيي فان كان صواباً فمن الله وان كان خطأ فمني ومن الشيطان اراه ما خلا الوالد والولد فلما اختلف عمر قال اني لاحصى من الله ان ارد شيئا قاله ابو بكر وهذا قول علي وابن مسعود وزيد بن ثابت واحدى الروايتين عن عمرو بن عباس وهذا القول هو الصحيح المختار ويدل على صحته ان اشتقاق الكلالة من كلت الرجل فلان وفلان اذا تابعت القراءة يذهب فسميت القراءة البعده كلالة من هذا الوجه وقبل ان الكلالة في اصل الفقه عبارة عن الاحاطة ومعه الاكليل لاحاطته بالرأس فمن عدا الوالد والولاء من القراءة انما سموا كلالة لانهم كالدارة المحيطة بالانسان اما نسبة الولادة فليست كذلك لان فيها توسع البعض من البعض وتولد البعض من البعض فهو كالشيء الواحد الذي يزايد على سقى واحد فاما القرابة النازلة لقراءة الولادة وهم الاخوة والاخوات والاعمام والعلمات وغيرهم فانما يحصل نسبهم اتصال احاطة بالنسب اليه فثبت بذلك ان الكلالة عبارة عن عدا الوالد والولد والرواية الاخرى عن عمرو بن عباس ان الكلالة من لا ولده وبه قال طاوس واخرج لهذا القول بقوله تعالى قل الله يفتيك في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وبناؤه عند طاعة العلماء مأخوذ من حديث جابر بن عبد الله لان الآية نزلت فيه ولم يكن له يوم نزولها اب ولا ابن لان اياه قتل يوم احد وآية الكلالة نزلت في آخر عمر انبي صلى الله عليه وسلم فصار شأن جابر انما لم يراد الآية التي نزلت في آخر السورة لنزولها فيه واختلفوا في ان الكلالة اسم لمن فهم من قال هو اسم للميت وهو قول علي بن ابي طالب وابن مسعود وابن عباس لانه مات عن ذهاب طرفه بكل عود ونسبه وقيل هو اسم للميت وهو قول ابي بكر الصديق وعليه جمهور العلماء الذين قالوا ان الكلالة من دون الوالد والولد وبدل عليه حديث جابر انما يرثني كلالة اي يرثني ورثة ليسوا بولد ولا ولدان كان المراد بالكلالة الميت الموروث فلما رآه يرثه غير الوالد والولد وان كان المراد الوارثين فهم غير الوالد والولد وقال ابن زيد الكلالة الذي لا ولده ولا والد والحي والميت كلهم كلالة هذا يرث بالكلالة وهذا يورث بالكلالة وقال ابو الخير سأل رجل عتبة عن الكلالة فقال الاتبعون من هذا يسألني عن الكلالة وما

وسر العوة والمباشرة لحفظ السل لا مفضذين اليها بالكلية بمجردها الهوى فتطبع فيكم فلا يمكن زوالها او يتعذر (حتى تقتلسوا) اي تتطهروا عن تلك الهيئة الحاصلة من الانجذاب الى الجهة السفلية بما التوبة والاستغفار وحيون الاتصال والاعتذار (وان كنتم مرضى) القلوب فاقدى سلامتها بامراض العقائد الفاسدة والارذائل المهلكة (او على سفر) في تيه الجهل والحيرة لطلب لذة النفس ومادة الرجس المحرمين (او جاء احدكم من القناطر) من الاشتغال بلوث المال وكسب الحطام ملوثا بميثة محبته وميله راسخة فيه تلك الهيئة (اولا ستم النساء) لازمت النفوس وباشترعوا في لذاتها وشهواتها فلم يجدوا (واما) علمائكم الى التفصي منها ويهذبكم بالتطهر منها (فجميعا صيدا طيبا) فتو جهوا صيدا استعدادكم الطيب واقتصدوه وارجموا الى يحصل الاستعداد لقطري (فامسحوا) من نوره (بوجوهكم وايديكم) اي فموا اليكم الموجودة وصفاتكم بالتزول ومحوها من اتماقها والتصرف فيها فان ذلك التراب يمسحوا آثارها صافية

كما كانت (ان الله كان عفواً) يعفو عن تلك الهيئات المظلمة وروح تلك الملكات الحاجة تركها والاهراض عنها فيزِيلها بالكلية فيصفو استعدادكم وتسعدوا اللقاء (غفورا) بستر صفاتكم وذوائكم بصفاته وداته (الم ترائي الذين اوتوا نصيبا من الكتاب) اي بعضا هو اعتراضهم بالحق مع احتسابهم من الدين (بشرون الضلالة) يستبدلون الاحتساب عن الذين هو طريق الحق نور هداية استعدادهم ويريدون بكم ذلك ايضا وهم اعداؤكم علم الله عداوتهم اياكم اذا (ويريدون ان تضلوا السبل) والله اعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا) يلي امركم بالتوفيق لطريق التوحيد ونصيرا يصركم على اعدائكم بالقيع من الذين هاد والبحر فون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الذين ولوانهم قلوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خير لهم واقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا يا ايها الذين اوتوا الكتاب) كتاب الاستعداد (آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم) ايمانا حقيقيا عينا

وما حصل باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم شيء ما حصلت بهم الكلالة (ق) من عمر قال ثلاث وددت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عهد الباقين عهدا ينتهي اليه الجد والكلالة وابواب من ابواب الربا وهذا طرف حديث ذكر في البحر (ق) من معدان بن ابي طلحة قال خطب عمر بن الخطاب فقال اني لادع بعدى شيئا اهم عندى من الكلالة ما رجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء ما رجعت في الكلالة وما غلظ لي في شيء ما غلظ لي في الكلالة حتى طعن باصبعه في صدرى وقال يا عمر لا يكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء وانى ان امش اقض فيها بقضية يقضى بها من يقرأ القرآن ومن لا يقرأ القرآن لفظ مسلم قوله لا يكفيك آية الصيف اراد ان الله عز وجل ازل في الكلالة آيتين احدهما في الشتاء وهي التي في اول سورة النساء والآية الاخرى في الصيف وهي التي في آخر السورة وفيها من البيان ما ليس في آية الشتاء فلذلك احاله عليها * قوله تعالى (وله اخ واخت وكل واحد منهما السدس) اراد به الاخ والاخت للام باتفاق العلماء وقرأ سعد بن ابي وقاص وله اخ واخت من ام قان قالت ان الله تعالى قال وان كان رجل يورث كلالة وامراة ثم قال تعالى وله اخ فذكر الرجل ولم يذكر المرأة فالسبب فيه قلت هذا على مادة العرب فانهم اذا ذكروا اسمين ثم اخبروا عنهما وكانا في الحكم سواء بما ضافوا احدهما الى الآخر وبما ضافوا اليهما فهو كقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة ثم قال تعالى وانها لكيرة وقال الفرما اذا جاء حرفان بمعنى واحد جاز اسناد التفسير الى ايهما اريد ويجوز اسناده اليهما ايضا (فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث) وهذا اجماع العلماء ان اولاد الام اذا كانوا اثنين فصاعدا يشتركون في الثلث ذكرهم واثامهم فيه سواء قال ابو بكر الصديق في خطبته الا ان الآية التي ازل الله في اول سورة النساء من شأن الفرائض ازلها في الولد والوالد والام والآية الثانية في الزوج والزوجة والاخوة من الام والآية الثالثة التي ختم الله بها سورة النساء في الاخوة والاخوات من الاب والام والآية التي ختم بها سورة الانتقال ازلها الله في اولي الارحام بعضهم اولى بعض في كتاب الله * وقوله تعالى (من بعد وصية يوصي بها ودين) تقدم تفسيره وبقي شيء من الاحكام يذكرها وذلك ان ظاهر الآية يدل على جواز الوصية بكل المال وبعضه وفي معنى الآية ما روى عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه وفي رواية له شيء يريد ان يوصي به ان يبيت ليلتين وفي رواية ثلاث ليل الا ووصيته مكتوبة عنده قال نافع سمعت عبدالله بن عمر يقول ما مررت على ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك الا وعندي وصيتي مكتوبة اخرجه في الصحيحين ففي ظاهر الآية والحديث ما يدل على اطلاق الوصية لكن ورد في السنة ما يدل على تقيدها هذا المطلق وتخصيصه وهو قوله صلى الله عليه وسلم في حديث سعد بن ابي وقاص قال الثلث والثلث كثير انك ان تذر ورثتك اغنيا خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس اخرجه في الصحيحين ففي هذا الحديث دليل على ان الوصية لا تجوز بأكثر من الثلث وان النقصان عن الثلث جائز ولا تجوز الوصية لو ارث ويدل عليه ما روى عن عمرو بن خارجة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث والولد للفراش وللعاهر الحجر اخرجه الترمذي والنسائي عن ابي امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله

باخراج ما في كتاب استعداد
كم الى القفل من توحيد الذات
(من قبل ان نطمس وجوها
من قبل ان نطمس وجوها
بازالة استعدادها ومحوه
(مفرد هاعلى ادبارها)
التي هي اسفل سافلى
عالم الجسم الذى هو خلف
كل عالم (اول نعمهم كالعنا)
نعذبهم بالسبح كما سحنا
(اصحاب السبت وكان
امر الله مقعولا) اى مقضيا
الى الابد لا يغيره احد
ولا ينقضه (ان الله لا يغير
ان يشركه) اشارة الى ان
الشقاوة العلمية الاحتقادية
مخلدة لا تتدارك ابدا دون
العملية اى لا يستر بوجوده
ولا ينفى بداته من يثت غيره
في الوجود وكيف وانه
يناوبه بوجوده (ويقفر
مادون ذلك لمن يشاء
ومن يشرك بالله فقد افترى
اثما عظيما المزم الى الدين
يزكون انفسهم) اى يربلون
صفات نفوسهم بنفوسهم
وذلك غير ممكن كما لا يمكن
لاحدنا جل نفسه اذهى
لوازم النفس باقية لازمة
لها ولهذا قال تعالى من يوق
شحم نفسه اذ الرذائل مجبونة
فيها باقية بقاءها وقال
عليه الصلاة والسلام شر

اعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث اخرج ابو داود * وقوله تعالى (غير مضار) يعنى غير
مدخل الضرر على الورثة بمجاوزة الثلث في الوصية وهو ان يوصى بأكثر من الثلث وقيل هو
ان يوصى بدين ليس عليه او يقرب ماله او اكثر ماله لاجني ويترك ورثته عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل والمرأة بطاعة الله سنتين سنة ثم يحضرهما الموت
فيضاران في الوصية فتجب لهما النار ثم قرأ ابو هريرة من بعد وصية يوصى بها او دين الى قوله وذلك
القوز العظيم اخرج ابو داود والترمذي وقال قتادة كره الله تعالى الضرار في الحياة وعند الموت
فنهى عنه وقدم عليه وقيل ان الاضرار في الوصية من الكبار لان مخالفة امر الله عز وجل كبيرة
وقد نهى الله عن الاضرار في الوصية فدل على ان ذلك من الكبار واعلم ان الاولى بالانسان ان ينظر
عد الموت في قدر ما يخلف من المال ومن يخلف من الورثة ثم يجعل وصيته بحسب ذلك فان كان
ماله قليلا وفي الورثة كثرة فالاولى به ان لا يوصى بشئ لقوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن ابى وقاص
انك ان تدر ورثتك اغنياء خير من ان تدرهم طال ينكفون الناس وان كان في المال كثرة اوصى
بحسب المال وبحسب الورثة وحاجتهم بعده في القلة والكثرة * وقوله تعالى (وصية من الله)
اى فريضة من الله وقيل عهد من الله اليكم فيما يجب لكم من ميراث من مات منكم (والله عليم)
يعنى انه عالم بمصالح عباده ومضارهم وما يفرض عليهم من الاحكام وقيل عليم بمن يحور في وصيته
وبمن لا يحور (حليم) يعنى انه تعالى ذو حلم ودوانة في ترك العقوبة بمن جارف في وصيته وقال ابو سليمان
الخطابي الحليم ذو الصفع والاناة الذى لا يستمره غضب ولا يستخفه جهل جاهل والحليم
هو الصفوح مع القدرة المتأني الذى لا يسجل بالعقوبة * قوله عز وجل (تلك حدود الله) يعنى
الاحكام التى تقدم ذكرها في هذه السورة من مال يتامى والوصايا والانكحة والموارث واما
سمها حدودا لان الثرائع كالحدود المصروبة للمكلفين فلا يجوز لهم ان يتجاوزوها وقال ابن
عباس يريد ما حد الله من فرائضه (من بطع الله ورسوله) يعنى في شأن الموارث ورضى بما
قسم الله له وحكم عليه (يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك القوز العظيم
ومن يعص الله ورسوله) يعنى في شأن الموارث ولم يرض بقسمه الله ورسوله (ويتعد حدوده)
يعنى ويتجاوز ما امر الله تعالى به (يدخله نار اخالدا فيه اوله عذاب مهين) فان قلت كيف قطع
للعاصي بالخلود في النار في هذه الآية وهل فيها دليل للمعتزلة على قولهم ان العصاة والفساق
من اهل الايمان يخلدون في النار قلت قال الضحاك المعصية هنا الشرك وروى عكرمة عن ابن
عباس في معنى الآية من لم يرض بقسمه الله ويتعد ما قال الله يدخله نارا وقال الكلبي يكفر بقسمه
الموارث ويتعد حدود الله استملا لا اذابت ذلك فن رد حكم الله ولم يرض بقسمه ككفر بذلك واذا
كفر كان حكمه حكم الكفار في الخلود في النار اذ لم يتب قبل موته واذا مات وهو مصر على
ذلك كان مخلدا في النار بكفره فلا دليل في الآية للمعتزلة والله اعلم * قوله تعالى (واللاتي) هو
جمع التى وهى كلمة يخبر بها عن المؤنث خاصة (ياتين الفاحشة) يعنى بفعلى الفاحشة يقال اتيت
امرا قبيحا اذا فعلته والفاحشة في اللغة الفعلة القبيحة وقيل الفاحشة عبارة عن كل فعل او قول يعظم
قبحه في النفوس ويقبح ذكره في الالسنه حتى يبلغ الغاية في جنسه وذلك مخصوص بشهوة الفرج
الحرام ولذلك اجعوا على ان الفاحشة ههنا الزنا وانما سمى الزنا فاحشة لزيادة قبحه (من نسائكم)

الاولى وقيل المراد بمن ذكر في الاولى التسامو هذه لرجاء لان الله تعالى حكم في الآية الاولى بالحس في البيت على التسامو هو الاتاق بماله لان الرأفاعة تعمل الفاحشة عند الخروج فاذا حبست في البيت انقطعت مادة المعصية واما الرجل فلا يمكن حبه في البيت لانه يحتاج الى الخروج في اصلاح معاشه واكتساب قوت حياته فبطلت حقبة الزجل الرائي الاذية بالقول والفعل (فأذوهما) يعني عروهما بالقول باللسان وهو ان يقال له اما خفت الله اما استحييت من الله حين زينت وقال ابن عباس سبوهما واشتموهما وفي رواية عنه قال هو باللسان واليد يؤذى بالتعير ويضرب بالنعال (فان تابا) يعني من الفاحشة (واصلها) يعني العمل فيما يأتي (فاعرضوا عنهما) اي اتركوهما ولا تؤذوهما (ان الله كان توابا رحيمًا) يعني انه تعالى يعود على عبده بفضله ومغفرته ورحته اذا تاب اليه وهذا الحكم كان في ابتداء الاسلام كان حد الزاني الاذى بالتوبيخ والتعير بالقول باللسان فلانزلت الحدود وثبتت الاحكام نسخ ذلك الاذية بالآية التي في سورة النور وهي قوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله الآية ثبتت الجلدة على الكبريخ الكتاب وثبت الرجم على التيب المحصن بسنة رسو الله صلى الله عليه وسلم فقد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم ماعز اوكان قد احصن وسواء في هذا الحكم المسلم واليهودي لانه ثبت في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين زنيا وكانا قد احصنا وقال ابو حنيفة لا رجم على اليهودي لان المشرك ليس بمحصن واجب عنه بان المراد بهذا الاحصان احصان العفاف لا احصان الفرج * قوله تعالى (انما التوبة على الله) يعني التوبة التي يقبلها الله تعالى فيكون على معنى عند وقيل على معنى من أي من الله وقال اهل المعاني ان الله تعالى وعد قبول التوبة من المؤمنين في قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة واذا وعد الله شيئا انجز ميعاده وصدق فيه فعني قوله على الله اوجب على نفسه من غير ايجاب احد عليه لانه تعالى يفعل ما يريد (الذين يعملون السوء) يعني الذنوب والمعاصي سميت سوء لسوء طاعتها اذا لم يتب منها (بجهالة) قال قتادة اجتمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان كل شيء عصى الله به فهو جهالة عدا كان او غيره وكل من عصى الله فهو جاهل وقال ابن عباس من عمل السوء فهو جاهل من جهالة عمل السوء فكل من عصى الله سمي جاهلا وسمى فعله جهالة وانما سمي من عصى الله جاهلا لانه لم يستعمل مامعه من العلم بالثواب والعقاب واذا لم يستعمل ذلك سمي جاهلا بهذا الاعتبار وقبل معنى الجهالة ان يأتي الانسان بالذنب مع العلم بانه ذنب ولكنه يجهل عقوبته وقيل معنى الجهالة هو اختيار الاذية الفانية على الاذية الباقية (ثم يتوبون من قريب) يعني يتوبون بعد الاقلاع عن الذنب بزمان قريب للتلاصق في زمرة المصيرين وقيل القريب ان يتوب في صحته قبل مرض موته وقيل موته وقيل معانسة ملك الموت ومعانسة احوال الموت وانما سميت هذه المدة قريبة لان كل ما هو آت قريب وفيه تقيبه على ان عمر الانسان وان طال فهو قليل وان الانسان يتوقع في كل ساعة ولحظة زول الموت به من ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يفرغ اخرجه الزمى القرقرة ان يحصل المشروب في ثم المريض فيرده في الخلق ولا يصل اليه لا يقدر على بله وذلك عند بلوغ الروح الى الخلق وروي البغوي بسنده عن ابي سعيد الخدري ان

المحبوبين من الخلق الذين
شركوا شركا جليلا فانسوهم
وصوتوهم وزعموا انهم
اهدى الموحدين على ما رى
عليه بعض الظاهريين من
الاسلاميين (اولئك الذين
لنعم الله) بمسح الاستعداد
من طرده الله فلا يمكن لاحد
نصرته بالهداية والتقريب
والانجاء (ومن يلعن الله
فلن تجده نصيرا ام لهم
حبيب من الملك فاذا لا يؤتون
الناس تقيرا ام يحسدون
على ما آتاهم الله من فضله
فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب
والحكمة وآتيناهم ملكا
عظيما فهم من آمن به ومنهم
من صد عنه وكفى بجهنم
سعيرا ان الذين كفروا
يا ايها الذين آمنوا انهم
صفاتا وافعالنا اذ مطلع
الآية كونه متجليا بالعلم
والحكمة والملك في آل
ابراهيم (سوف نصليهم نارا)
نار شوق الكدال لاقتضاء
غرائرهم وطبعاتهم بحسب
استعدادهم ذلك مع رسوخ
الجهاب ولزومه اوتار قهر
من بجهليات صفات قهره
تناسب احوالهم اوتار
شره نفوسهم وحدة شوقها
وطلبها لما ضريت بهما من
كالات صفاتها وشهواتها
مع حرمانها عنها (كان نصيبت

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بن الشيطان قال وعزتك يارب لا ابرح اخوى عبادك
مداومت ارواحهم في اجسادهم فقال الرب تبارك وتعالى وعزتي وجلالي وارفعاه في مكان
لا ازال اغفر لهم ما استغفروني وقيل في معنى الآية ان القريب هو ان يتوب الانسان قبل ان يحيط السوء
بمحنته فيبطلها (فاولئك يتوب الله عليهم) يعني يقبل توبتهم (وكان الله عليهما حكيما) قال
ابن عباس علم ما في قلوب عباده المؤمنين من التصديق واليقين فحكم بالتوبة قبل الموت
ولو بقدر فراق ناقة وقيل في معنى الآية علم انه انما اتى تلك المعصية باستيلاء الشهوة والجهالة
عليه فحكم بالتوبة لمن تاب عنها وانا بريد الشرك وقال ابو الصالية وسعيد بن جبير
يصلون السينات) قال ابن عباس يريد الشرك وقال ابو الصالية وسعيد بن جبير
المنافقون وقال سفيان الثوري هم المسلمون الا ترى انه قال ولا الذين يموتون وهم كفار
(حتى اذا حضر احدهم الموت) يعني وقع النزح وجاب ملائكة الموت وهو حالة السوق
حين تنشق الروح للخروج من جسده (قال اني تبث الآن) قال المحققون قرب الموت
لا يمنع من قبول التوبة بل المانع من قبولها مشاهدة الاحوال التي لا يمكن معها الرجوع الى الدنيا
بحال ولذلك لم تقبل توبة فرعون ولا يمانه وهو قوله تعالى حتى اذا ادركه الفرق قال آمنت
انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين الآن وقد عصيت قبل وكنت
من المفسدين ويدل على ذلك ايضا قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا بأسنا فان قلت
قد تعلق الوعيدية بهذه الآية وقالوا اخبر الله تعالى ان عصاة المؤمنين اذا اهلوا امرهم
الى اقتضاء آجالهم حصلوا على عذاب الآخرة مع الكفار لان الله تعالى جمعهم في قوله واولئك
اعتدنا لهم عذابا عاليا وايضا انه تعالى اخبرانه لا توبة لهم عند ماينة الموت واسبابه قلت ليس الامر
على ما زعموا فقد روى من ابن عباس في قوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات يريد
الشرك وقال سعيد بن جبير نزلت الآية الاولى في المؤمنين يعني قوله انما التوبة على الله
والوسطى في المنافقين يعني قوله وليست التوبة والآخرى في الكافرين يعني قوله ولا الذين
يموتون وهم كفار واذا كانت الآية نازلة في المنافقين والكفار فلا وجه لحملها على
المؤمنين وعلى تقدير ان تكون الآية نازلة في عصاة المؤمنين فقد روى عن ابن عباس في قوله
تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات الآية ثم ازل الله تعالى بذلك ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك ان يشاء فغرم الله المغفرة على من مات وهو كافر وارجا اهل
التوحيد الى مشيئة ولم يؤيسهم من المغفرة فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة في حق
المؤمنين * وقوله تعالى (ولا الذين يموتون وهم كفار) معناه لا توبة للكفار اذ ماتوا على
كفرهم وانما لم تقبل توبتهم في الآخرة لرفع التكليف في الآخرة ومعاناة ما وعده وابه
من العقاب (اولئك اعتدنا لهم) اي هيا تالهم (هذا باليما) * قوله عز وجل (يا ايها
الذين امنوا لا يحل لکم ان ترثوا النساء کرها) نزلت في اهل المدينة وذلك انهم كانوا
في الجاهلية وفي اول الاسلام اذ مات الرجل وخلف امراته جاء به من غيرها او قربه من ذوى
عصبته فالتى توبه على تلك المرأة وعلى خباياها فصار حق بها من نفسها ومن غيرها فان شاء تزوجها
بغير صدق الا لصدقا الاول الذي اصدتها الميت وان شاء زوجها غيره واخذ هو صداقتها

جلودهم) رفعت جبههم
الجمانية بانسلاخهم عنها
(بدلتهم جلودا) جبا
غيرها جديدة (ليدوقوا
العذاب) نيران الحرمان
(ان الله كان عزيزا) قويا
يقهرهم وبذلهم بذل صفات
نفوسهم ويحرقهم بنيران
توقاها الى كالاتهم مع حرمانهم
ابدا (حكيم) يحاسبهم
بما سبهم من العذاب الذي
اختاروه لانفسهم بدواعيهم
النفسية والشهوية وغيرها
وميلهم الى الملاذ الجمانية
فلذلك بدلوا جبا ظلمة بعد
جبا (الذين آمنوا)
بتوحيد الصفات (وعملوا
الصالحات) ما يصلحهم
لقبول تجلياتها (سندخلهم
جنت) الانصاف بها
ومقاماتها (تجري من
تحتها الانهار حالدين فيها
ابدالهم فيها ازواج مطهرة)
اي انهار علوم تجلياتها من
علوم القلب والازواج ههنا
الارواح المقدسة التي هي
مظاهر الصفات الالهية
المطهرة بالهيات البدنية
(وندخلهم ظلالا
ظلالا) اي ظلال الصفات
الالهية الدائم روحها
بمحو الصفات البشرية
(ان الله يأمركم ان تؤدوا
الامانات الى اهلها واذا

حكمت بين الناس ان يحكموا بالعدل ان الله نعماً يعظكم به) اى حق كل ذى حق اليه يتوفيه حق الاستعداد او لا ثم يتوفيه حقوق القوى كلها من كالاتها التي تقتضيها ثم يتوفيه حق الله تعالى من اداء الصفات اليه ثم اداء الوجود فتكونوا فائزين في التوحيد فاذا رجعت الى البقاء بعد الفناء وحكمتم بين الناس كنتم قائمين في الاشياء بالله قوامين بالقسط متصفين بعدل الله بحيث لا يمكن صدور الجور منكم واقل الدرجات في العدل هو المحو في الصفات اذا القائم بالنفس لا يقدر على العدل ابدًا (ان الله كان سميعاً) باقواكم فيما بين الناس من المحاكات هل هي صائبة بالحق ام فاسدة بالنفس (بصيرا) باعمالكم هل تصدر من صفات نفوسكم او من صفات الحق (يا ايها الذين آمنوا) بتوحيد الصفات (اطيعوا الله) بتوحيد الذات والفناء في الجمع (واطيعوا الرسول) بمراعاة حقوق التفصيل في عين الجمع وملاحظة ترتيب الصفات بعد الفناء في الذات (واولى الامر منكم) بمن

وان شاء حضلها ومنعها من الازواج بضارها بذلك لتفتدى منه بما ورتت من الميت لوتعموت هي فيرتها فان ذهبت المرأة اهلها قبل ان يلقي عليها ولى زوجها ثوبه كانت احدى بنفسها لو كانوا على ذلك حتى توفي ابو قيس بن الاسات الانصارى وترك امراته كيشة بنت معن الانصارية فقام ابن له من غيرها يقال له حصن وقيل اسمه قيس بن ابي قيس فطرح ثوبه عليها فورث نكاحها ثم تركها فلم ينفق عليها يضارها بذلك لتفتدى منه فأتت كيشة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابا قيس توفي وورث نكاحي ابنه فلا هو ينفق علي ولا هو يدخل بي ولا يخل سبيلي فقال اصدى في بيتك حتى يأتى امر الله فيك فانزل الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا يخل لكم ان ترثوا النساء كرها بسنى ميراث نكاح النساء وقيل معناه ان ترثوا اموالهن كرها بسنى وهن كارهات (ولا تمنصوهن) اى ولا تمنصوهن من الازواج واصل العضل المنع (لنذهبوا بعض ما آتيتوهن) يعنى لتضجر فتفتدى بعض مالها قيل هو خطاب للازواج قال ابن عباس هذا في الرجل تكون له امرأة وهو كاره لها ولعجبته ولها عليه مهر فيضارها لتفتدى منه وترد اليه ماساق اليها من المهر فمضى الله عن ذلك وقيل كان الرجل يطلق امراته ثم يراجعها ثم يطلقها يضارها بذلك قهوا من ذلك وقيل هو خطاب لاولياء الميت قهوا من الله عن عضل المرأة ثم قال تعالى (الا ان يأتين ساحشة مينة) يعنى تخينذ يخل لكم اضرارهن ليفتدين منكم واختلفوا في الفاحشة المينة فقيل هي الشوز وسوء الخلق واداء الزوج وقيل الفاحشة هي الزنا يعنى ان المرأة اذا نشرت اوزنت حل للزوج ان يسألها الخلع وقيل كانت المرأة اذا اصابته فاحشة اخذ منها وجهها ماساق اليها واخرجها ففسخ الله ذلك بالحدود (وما شروهن بالمعروف) قيل هو راجع للكلام الذى قبله والمعنى وآتوا النساء صدقاتن نحلة وما شروهن بالمعروف والمعاشرة بالمعروف هو الاجال في القول والميت والتفقة وقيل هو ان تصنع لها كما تحب ان تصنع لك (فان كرهتموهن) يعنى فان كرهتم عشرتهن وصحبتهن وآترتم فراقهن (فسي ان تكروه اشياء ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) قال ابن عباس ربما رزق منها وادخالها فجعل الله في ولدها خيرا كثيرا فتقلب تلك الكراهة محبة والفرقة رغبة وقيل في الآية تدب الى امساك المرأة مع الكراهة لئلا يلهى اذا كره محبتها وتحمل ذلك المكروه طلبا للثواب وانفق عليها واحسن هو محبتها استحق الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى وقيل في معنى الآية انكم ان كرهتموهن ورغبتم فراقهن فربما جعل الله في تلك المفارقة لهن خيرا كثيرا وذلك بان تخلص من هذا الزوج الكاره لها وتزوج غيره خيرا منه * قوله عز وجل (وان اردتم استبدال زوج مكان زوج) الخطاب للرجال واراد بالزوج الزوجة قال المفسرون لما ذكر الله في الآية الاولى مضارة الزوجات اذا اتين بفاحشة وهي اما الشوز او الزنا بين في هذه الآية تحريم المضارة ان لم يكن من قبلها نشوز ولا زنا ونهى عن بخش الرجل المرأة اذا اراد طلاقها واستبدال غيرها (وأتين احداهن قطارا) يعنى وكان ذلك الصداق مالا كثيرا وفي الآية دليل على جواز المالة في المهور روى ابن عمر قال على المنبر الا تاتوا في مهور نسائكم فقامت امرأة فقالت يا ابن الخطاب الله يعطينا وانت تمنعنا وناقلت الآية فقال كل الناس افقه منك يا عمر وفي رواية امرأة اصابته واميرا خطأ ورجع عن كراهة

الغلاة وقد تقال الناس في صدقات النساء حتى بلغوا الالف وقبل ان خير المهور ايسرها واسهلها
(فلا تأخذوا منه شيئا) يعني من القنطار الذي آتيتوهن لو جعلتم ذلك القدر لهن صداقا فلا
تأخذوا منه شيئا وذلك ان سوء العشرة اما ان يكون من قبل الزوج او من قبل الروجة فان كان
من قبل الزوج واراد طلاق المرأة فلا يحل له ان يأخذ شيئا من صداقها وان كان النشوز من قبل
المرأة جازله ذلك (ان تأخذونه) استفهام بمعنى التوبيخ (بهتاناً) يعني ظنا وقيل باطلا (وانما
مبيناً) يعني ان تأخذونه مباهتين آتئين فلا تفعلوا مثل هذا الفعل مع ظهور رغبته في التبرع والعقل
ثم قال تعالى (وكيف تأخذونه) كلمة تعجب والمعنى لاي وجه تفعلون مثل هذا الفعل وكيف
يليق بالعقل ان يسترد شيئا بذله لزوجته من طيب نفس وقيل هو استفهام معناه التوبيخ والتعظيم
لاخذ المهر بغير حله ثم ذكر السبب في ذلك فقال تعالى (وقد افضى بعضكم الى بعض) اصل
الافضاء في اللغة الوصول يقال افضى اليه اي وصل اليه ثم للمفسرين في معنى الافضاء في هذه الآية
قولان احدهما انه كناية عن الجماع وهو قول ابن عباس ومجاهد والسدي واختيار الزجاج وابن
قتيبة ومذهب الشافعي لان عنده ان الزوج اذا طلق قبل المسيس فله ان يرجع بنصف المهر وان
خلابها والقول الثاني في معنى الافضاء هو ان يخلوبها وان لم يجامعها وقال الكوفي الافضاء ان
يكون معها في لحاف واحد جامعا او لم يجامعها وهذا القول هو اختيار القراء ومذهب ابى حنيفة
ان الخلوة الصحيحة عنده تقرر المهر (واخذن منكم ميثاقا غليظا) قيل هو قول العائد عند العقد
زوجتها على ما اخذ الله للنساء على الرجال من امساك بمعروف او تسريح باحسان وقيل هي كلمة
النكاح المقودة على الصداق وهي الكلمة التي تستحل بها فروج النساء ويدل على ذلك ما روى
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتقوا الله في النساء فانكم اخذتموهن بامانة الله واستحلتم
فروجهن بكلمة الله * قوله تعالى (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء) قال المفسرون كان
اهل الجاهلية يتزوجون ازواج آبائهم فنهاهم الله عن ذلك بهذه الآية روى انه لما توفي ابوقيس
وكان من صالحى الانصار خطب ابنه قيس امرأة ابيه فقالت انى اتخذتكم ولدا وانت من
صالحى قومك ولكنى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستأمره فاته فاخبرته فانزل الله
عز وجل ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء (الا ما قد سلف) يعني الا ما مضى في الجاهلية
قبل نزول التحريم فانه معفو عنه (انه كان فاحشة) انما كان فاحشة لان زوجه الاب في منزلة
الام ونكاح الامهات حرام فلما كان ذلك كذلك سماه الله فاحشة لانه من اقبح المعاصي (وهما)
يعنى انه يورث المقت من الله وهو اشد القضب وغاية الخزي والخسارة (وساميلاً) اي وبئس
ذلك طريقا لانه يؤدى الى مقت الله والعرب تسمى ولد الرجل من امرأة ابيه مقيتا وكان منهم
الاشعث بن قيس وابو معيط ابن ابى عمرو بن امية روى البغوى بسنده عن البراء بن عازب قال مر بي
خالى ومعه لواء فقلت ابن تذهب قال بعثنى النبي صلى الله عليه وسلم الى رجل تزوج امرأة
ابيه آتية برأسه * قوله عز وجل (حرمت عليكم امهاتكم) بين الله عز وجل في هذه الآية
الحرمت من النساء بسبب الوصلة اما بسبب اونسب (خ) عن ابن عباس قال حرم من النسب
سبع ومن الصهر سبع ثم قرأ حرمت عليكم امهاتكم الآية بجملة الحرمت من النساء بنص الكتاب
اربعة عشر صنفا فاما الحرمت بالنسب فقله حرمت عليكم امهاتكم جمع ام واصل امهات

استحق الولاية والرياسة
كأمر في حكاية طالوت (فان
تنازعتم في شئ فردوه الى
الله والرسول ان كنتم
تؤمنون بالله واليوم الآخر
ذلك خير واحسن تأويلا
المتر) اي نصب (من الذين
يزعمون انهم آمنوا بما نزل
البك) من علم التوحيد (وما
انزل من قبلك) من علم
المبدأ والمعاد (يريدون
ان ينحسروا الى الطاغوت)
وهو ينساقى مادعوه اذلو
كان ايمانهم صحيحا لما ثبتوا
فبراحتى يكون له حكم
فانهم يحكموا الايمان الحقيق
بأمورون بالكفر بغيره
ومن لم ينسلخ عن صفاته
وافساله ولم تنطس ذاته
في الله تعالى فهو غيره ومن
توجه الى الغير فقد اطاع
الشيطان ولا يريد الشيطان
بهم الا الضلال البعيد الذي
هو الانحراف عن الحق
بالشرك اذ الزبغ عن الدين
هو الضلال المبين (وقد
امروا ان يكفروا به ويريد
الشيطان ان يضلهم ضلالا
بعيدا واداقيل لهم نصالوا
الى ما نزل الله والى الرسول
رايت المنافقين يصدون
عنك صدودا فكيف اذا
اصابهم مصيبة بما قد مت
ابديهم ثم جاؤك يحلفون

بأنه ان اردنا الاحسانا
وتوفيقا اولئك الذين يعلم الله
ما في قلوبهم فاهض عنهم
وعظمهم وقل لهم في انفسهم
قولا بليسا وما ارسلنا من
رسول الا ليطاع باذن الله
الفرق بين الرسول والنبي
هو ان الرسالة باعتبار
تبلغ الاحكام بالامر الرسول
بلغ والنبوة باعتبار الاخبار
عن المعارف والحقائق التي
تعلق بتفاصيل الصفات
والافعال فان النبوة تظاهرها
الولاية التي هي الاستغراق
في عين الجمع والقضاء في
الذات فعلها علم توحيد
الذات ومحو الافعال
والصفات فكل رسول نبي
وكل نبي ولي وليس كل
ولي نبيا ولا كل نبي مرسلا
وان كانت رتبة الولاية
اشرف من النبوة والنبوة
من الرسالة كاتيل مقام
النبوة في برزخ * دوين
المولى وفوق الرسول فلا
يرسل الرسول الا ليطاعة
اذ حكمه حكم الله باعتبار
التبليغ فيجب ان بطاع الا
بإذنه فان من جب عنه بقصور
الاستعداد كالكافر الاصل
والنشق الحقيقى اوبالرين
ومحو الاستعداد كالنافق
ليس بأذن له في الطاعة
في الحقيقة (ولو انهم اذغلوا

امات وانما زيدت الهاء للتوكيد والام هي الوالدة القريبة ويدخل في حكمها كل امرأة رجع
النسب اليها من جهة الاب او من جهة الام بدرجة او بدرجات ومن جميع الجدات وان علون فيحرم
نكاح الام وجميع الجدات (وبنائكم) والنبث عبارة عن كل انثى رجع نسبها اليك بالولادة بدرجة
او درجات باناث كبنث البنت وان سفلت وكذا بنث الابن (واخواتكم) جمع اخوت وهي عبارة عن
كل امرأة شاركتك في اصلك فتدخل فيه الاخوات من الابن والام والاخوات من الاب والاخوان
من الام (وعمائكم) جمع عمه وهي كل امرأة شاركت اباك في اصله ومن جميع اخوات الاب
واخوات آباءه وان علون وقد تكون العممة من جهة الام ايضا وهي اخت ابي الام (وخالاتكم)
جمع خالة وهي كل امرأة شاركت الام في اصلها فتدخل فيه جميع اخوات الام واخوات امهاتها
وقد تكون الخالة من جهة الاب ايضا وهي اخت ام الاب (وبنات الاخ وبناات الاخت) وهي
عبارة عن كل امرأة لاختك او لاختك عليها ولادة ويرجع نسبها الى الاخ والاخت فتدخل
فيهن جميع بنات اولاد الاخ والاخت وان سفلن فهذه الاصناف السبعة محرمة بسبب النسب
بنسب الكتاب وجعلته انه يحرم على الرجل اصوله وفصوله وفصول اول اصوله واول فصل
من كل اصل بعده اصل فالاصول من الامهات والجدات والفصول من البنات وبنات الاولاد
وفصول اول اصوله من الاخوات وبنات الاخوة والاخوات واول فصل من كل اصل بعده
اصل من العمات والخالات وان علون قال العلماء كل امرأة حرم الله نكاحها بالنسب والرحم فحرمنا
مؤبدة لا تحل بوجه من الوجوه * الصنف الثاني المحرمات بالسبب ومن سبع الاول والثاني
المحرمات بالرضاع وذلك في قوله تعالى (وامهاتكم اللائي ارضعنكم واخواتكم من الرضاة) كل انثى
انست بالابن اليها فامك وبنتها اختك وانما نص الله على ذكر الام والاخت ليدل بذلك على جميع
الاصول والفروع فبذلك انه تعالى اجري الرضاة مجرى النسب وبدل على ذلك ما روى عن عائشة
رضي الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحرم من الرضاة ما يحرم من الولادة
اخرجه في الصحيحين (ق) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في بنت حزة انها
لا تحل لي يحرم من الرضاة ما يحرم من النسب وانما ابنة اخي من الرضاة فكل من حرمت بسبب
النسب حرم نظيرها بسبب الرضاة وانما سمي الله تعالى المرضعات امهات لاجل الحرمة فيحرم عليه
نكاحها ويحله له النظر اليها والخلوة بها والسفر معها ولا يترتب عليه جميع احكام الامومية من كل
وجه فلا يتوارثان ولا ينجب على كل واحد منهما نفقة الاخر وغير ذلك من الاحكام وانما بنيت حرمة
الرضاة بنسطين احدهما ان يكون ارضاة بالمصبي في حال الصغر وذلك الى انتهاء سنتين من ولادته
لقوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين وقوله تعالى وفصاله في عامين من ام سلة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحرم من الرضاة الا ما تقي الامماء في الثدي وكان قبل اقسام
اخرجه الترمذي عن ابن مسعود قال لا رضاة الا ما كان في الحولين اخرجه مالك في الموطأ
بأطول من هذا واخرجه ابو داود مختصرا قال قال عبد الله بن مسعود لا رضاة الا ما شدا اللحم
وقال ابو حنيفة مدة الرضاة ثلاثون شهرا لقوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وحمله الجمهور على
اقل مدة الحمل واكثر مدة الرضاة لان مدة الحمل ذاخله فيه واقفه ستة اشهر الشرط الثاني ان

يوجد خمس رضعات متفرقات* روى ذلك عن عائشة* وبه قال عبد الله بن الزبير* واليه ذهب الشافعي* ويدل على ذلك ما روى عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تحرم المصاة ولا المصتان اخرجه مسلم (م) عن ام الفضل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تحرم الاملاجة ولا الاملاحتان وفي رواية ان رجلا من بني عامر بن صعصعة قال يا نبي الله هل تحرم الرضعة الواحدة قال لا (م) عن عائشة قالت كان فيما اتزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرم من ثم نسخت بخمس معلومات فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن (قولها توفي في رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن يحتمل انه لم يبلغها نسخ ذلك واجمعوا على ان هذا لا ينلي فهو مما نسخ تلاوته وبقي حكمه* وذهب جمهور العلماء الى ان قليل الارضاع وكثيره يحرم وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه قال سعيد بن المسيب واليه ذهب الثوري والاوزاعي ومالك وابن المبارك وابو حنيفة واحد في احدي الروايتين عنه والرواية الاخرى كذهب الشافعي* واخرج مذهب الجمهور بمطلق الآية لانه على عموم القرآن وظاهره ولم يذكر عددا* واجاب الشافعي ومن وافقه في هذه المسئلة بأن السنة مبينة للقرآن مفسرة له وقوله تعالى (وامهات نسائكم) يعني اذا تزوج الرجل بامرأة حرمت عليه امها الاصلية وجب جدها من قبل الاب والام كما في النسب والرضاع ايضا (وهذه المذهب اكثر الصحابة وجب التامين وكل العلماء ان من تزوج امرأة حرمت عليه امها بنفس العقد سواء دخل بها اولم يدخل بها) (وذهب جمع من الصحابة الى ان ام المرأة انما تحرم بالدخول بانبتها وهو قول علي وزيد بن ثابت وابن عمر وابن الزبير وجابر واظهر الروايات عن ابن عباس* والعمل اليوم على القول الاول وهو مذهب الجمهور) (ويدل على ذلك ما روى عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اما رجل يكح امرأة فلا يحل له نكاح ابنتها وان لم يكن دخل بها فليكح ابنتها واما رجل نكح امرأة فلا يحل له ان يكح امها دخل بها اولم يدخل اخرجه الترمذي وقوله تعالى (وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) الربائب جمع ربيبة وهي بنت المرأة من رجل آخر سميت ربيبة لتربيتها في حجر الرجل* وقوله دخلتم بهن كناية عن الجماع لانفس العقد فيصرم على الرجل بنات امرأته وبنات اولادها وان سفلن من النسب والرضاع بعد الدخول بالزوجة فلو فارق زوجته قبل الدخول بها او ماتت قبل دخوله بها جازله ان يتزوج بنتها ولا يجوز له ان يتزوج امها لان الله تعالى اطلق تحريم الامهات وعلق تحريم البنات بالدخول بالام وقوله تعالى (وحلائل ابنائكم) يعني ازواج ابنائكم واحداثا حليلة والرجل حليلة سيما بذلك لان كل واحد منهما محل لصاحبه. وقيل لان كل واحد منهما محل حيث محل صاحبه في ازار واحد. وقيل لان كل واحد منهما محل ازار صاحبه من الحل بفتح الحاء* وجعلته يحرم على الرجل ازواج ابناؤه وابناء اولاده وان سفلوا من النسب والرضاع وذلك بنفس العقد (الذين من اصلابكم) اما قال من اصلابكم احترازا من التبنين ليعلم ان زوجة التبنين لا تحرم على الرجل الذي تبناه لانه كان في صدر الاسلام بمنزلة الابن فنسخ الله ذلك وقال الله تعالى ادهوهم لا بائهم وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجة زيد ابن حارثة وكان قد تبناه فقال المشركون تزوج زوجة ابنه فانزل الله تعالى وما جعل

انفسهم) بمعناها عن حقوقها التي هي كالاتها الثابتة فيها بالقوة وتكدير الاستعداد بالتوجه الى طلب الذات الحسية والاعراض القانية (جاؤك) بالارادة التي هي مقتضى استعدادهم (فاستغفروا الله) طلبوا من الله ستر صفات نفوسهم التي هي مصادر تلك الافعال الحاجبة لما في استعدادهم بنور صفاته (واستغفر لهم الرسول) بامدادهم بنور صفاته التي هي صفات الله عز وجل رابطة بالجنسية التي بينهم وبين نفسه ومكان الارادة والحصة التي تستلزم قريبتهم منه وامتزاجهم به (لوجدوا الله توابا) مظهر امصفا لاستعدادهم بوجه اذ قبول التوبة هو القاء نور الصفات عليهم وتنوير بواطنهم بهيئة نورية تعصمهم من الخطا في الافعال بعد الورع عن الغلبة (رحيما) يفيض عليهم رحمة الكمال اللائق بهم من الايقان العلى والعبى والحق (فلا وربك لا يؤمنون) الايمان الحقيقي التوحيدي (حتى يحكموك) لكون حكمك حكم الله وانما جئت الذات بالصفات

والصفات بالافعال فاذا
تساجروا وقفوا مع صفاتهم
محبوبين من صفات الحق
اومع افعالهم محبوبين
من افعال الحق فلم يؤمنوا
حقيقة فاذا حكموك
انسلخوا عن افعالهم واذا لم
يحدوا في انفسهم حرجا
من فضائل انسلخوا عن
ارادتهم فصاروا الى مقام
الرضا وعن علمهم وقدرتهم
فصاروا الى مقام التسليم فلم
يبق لهم حجاب من صفاتهم
واتصفوا بصفات الحق
فانكشف لهم في صورة
الصفات فعلوا انك هو قائم
به لا بنفسك عادل بالحقيقة
بعده تحقق ايمانهم بالله
(فيما شجروا بينهم ثم لا يجحدوا
في انفسهم حرجا قضيت
ويسلوا تسليوا لو انا كتبنا
اي فرضنا عليهم ان اقلوا
انفسكم) بقمع الهوى
الذي هو حياتها وافناء
صفاتها (او اخرجوا من
دياركم) مقاماتكم التي هي
الصبر والتوكل والرضا
وامثالها لكونها حاجبة
عن التوحيد كما قال الحسين
بن منصور قدس الله روحه
لأبرهيم بن ادهم رحمه الله
لما سأله عن حاله واجابه
بقوله ادور في الصغاري
والطوف في البراري حيث

ادعاءكم ابناءكم * وقال تعالى * لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم * وقوله تعالى
(وان يجمعوا بين الاختين) يعني لا يجوز للرجل ان يجمع بين الاختين في نكاح واحد سواء
كانت الاخوة بينهما اخوة نسب او رضاع (والجمع بين الاختين يقع على ثلاثة اوجه (احدها
ان يجمع بينهما بقدر واحد فهذا العقد فاسد لا يصح فلو تزوج احدى الاختين ثم تزوج الاخرى بعدها
فهنا يحكم بطلان نكاح الثانية فلو طلق الاولى طلاقا بائنا جازله نكاح اختها (الوجه الثاني من
صور الجمع بين الاختين هو ان يجمع بينهما بملك اليمين فلا يجوز له ان يجمع بينهما في الوطء فاذا
وطئ احدهما حرمت عليه الثانية حتى يحرم الاولى ببيع او هبة او عتق او كتابة (الوجه الثالث
من صور الجمع بين الاختين هو ان يتزوج احدهما ويشترى الاخرى فيملكها بملك اليمين * نذهب
بعض العلماء الى انه لا يجوز الجمع بينهما لان ظاهر هذه الآية يقتضي تحريم الجمع مطلقا فوجب
ان يحرم الجمع بينهما على جميع الوجوه * ونذهب بعضهم الى جوازه * والقول الاول اصح واولى
لما روى قبيصة ابن ذؤيب ان رجلا سأل عثمان عن اختين مملوكتين لرجل هل يجمع بينهما
فقال عثمان احلتهما آية وحرمتها آية فأما انا فلا أحب ان اصنع ذلك فنخرج من عنده فلقى
رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عنه فقال اما انا فلو كان لي من الامر
شيء لم اجد احدا فعل ذلك لاجلته نكالا قال ابن شهاب اراء على بن ابي طالب قال مالك انه
لغنه عن الزبير بن العوام مثل ذلك اخرجه مالك في الموطأ * وقوله تعالى (الاما قد سلف)
يعني لكن ما قد مضى فانه معفو عنه بدليل قوله تعالى (ان الله كان غفورا رحاما) وقيل ان
قاعدة هذا الاستثناء ان النكحة الكفار صحيحة فلو اسلم عن اختين قبله اخترايتهما شئت ويدل
على ذلك ما روى عن الضحاك بن فيروز عن ابيه قال قلت يا رسول الله اني اسلمت وتحتي اختان
قال طلق ايتهما شئت اخرجه ابو داود * (فروع) * تتعلق بمحكم الآية الاول لا يجوز الجمع بين
المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها ويدل على ذلك ما روى عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال لا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها اخرجه في الصحيحين * قال بعض العلماء
في حد ما يحرم الجمع كل امرأتين بينهما قرابة اولبن لو كان ذلك بينك وبين المرأة لم يجر ذلك
نكاحها لم يجر ذلك الجمع بينهما * الفرع الثاني المحرمات بالنسب سبعة اصناف ذكرت في الآية نسقا
والمحرمات بالسبب صنفان صنف يحرم بالرضاع وهن الامهات والاخوات على ما تقدم ذكره
وصنف يحرم بالمصاهرة وهن ام المرأة وحليلة الابن وزوجة الاب وقد تقدم ذكرها في قوله
تعالى ولا تتكسوا مانكح آباؤكم من النساء الآية والرابط على التفصيل المذكور والجمع بين الاختين
* الفرع الثالث التحريم الحاصل بسبب المصاهرة انما يحصل بنكاح صحيح فلو زنى بامرأة لم تحرم عليه
امها ولا بنتها لو اراد ان يتزوج بهن وكذلك لا تحرم المزني بها على آباء الزاني ولا ابنته انما تتعلق
الحرمة بنكاح صحيح او بنكاح فاسد يجب لها به الصداق وتجب عليها العدة ويلحق به الولد * وهذا
قول على وابن عباس وبه قال سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والزهرى * واليه ذهب مالك
والشافعي وفقهاء الجيزة * ونذهب قوم الى ان الزنا يتعلق بتحريم المصاهرة * يروى ذلك عن عمر ابن
حصين وابي هريرة * وبه قال جابر بن زيد والحسن واهل العراق (ولولس امرأ فاجنية بشهوة

أوقبلها بشهوة هل يحصل ذلك كالدخول في إثبات تحريم المصاهرة . وكذلك لو لمس امرأة بشهوة هل يحصل ذلك كالوطء في تحريم الربيعة) فيه قولان أحدهما أنه تثبت به حرمة المصاهرة وهو قول أكثر أهل العلم والثاني لا تثبت به كما لا تثبت بالظر بشهوة * قوله تعالى (والمحصنات) يعني وحرمت المحصنات (من النساء) وأصل الاحصان في اللغة المنع والحصان بالفتح المرأة العفيفة وبطلق الاحصان على المرأة ذات الزوج والحرمة والعفيفة والمرأة المسلمة * والمراد من الاحصان في قوله والمحصنات ذوات الأزواج من النساء فلا يحل لأحد نكاحهن قبل مفارقة أزواجهن وهذه هي السابعة من النساء التي حرم من النساء (قال أبو سعيد الخدري نزلت هذه الآية في نساء كن هاجرن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن أزواج قترن جن بعض السليين ثم قدم أزواجهن مهاجرين فنبه الله المسلمين عن نكاحهن ثم استثنى فقال تعالى (إلا ما ملكتم إيمانكم) يعني السبايا التي سبين ولهن أزواج في دار الحرب فيحل لالكنهن وطؤهن بعد الاستبراء لأن السبي يرتفع به النكاح بينهما وبين زوجها (قال أبو سعيد الخدري بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا إلى أوطاس فأصابوا سبايا لهن أزواج من المشركين ففكروا غشيانهن فأنزل الله تعالى هذه الآية (وقال ابن مسعود أراد أنه إذا باع الجارية المزوجة ففقع الفرقة بينها وبين زوجها ويكون بيعها طلاقا فيحل للمشتري وطؤها (وقال عطاء أراد بقوله إلا ما ملكتم إيمانكم أن تكون أمته في نكاح عبده فيجوز له أن يتزها منه (وقبل أراد بالمحصنات من النساء الحرائر ومعناه أن ما فوق الأربع منهن فإنه عليكم حرام إلا ما ملكتم إيمانكم فإنه لا عدد عليكم في الجوارى ولا حصر (كتاب الله عليكم) يعني حرمت عليكم أمهاتكم وكنب عليكم هذا كتابا (وقيل معناه الزموا كتاب الله) (وقيل معناه كتابا من الله عليكم بمعنى كتب الله تحريم ما حرم عليكم من ذلك وتحليل ما حلل كتابا (وأحل لكم ما وراء ذلكم) يعني وأحل الله لكم ما سوى ذلكم الذي ذكر من المحرمات وظاهر هذه الآية يقتضي حل ما سوى المذكورين من الأصناف المحرمات لكن قد دل الدليل من السنة بتعريم أصناف أخرى ما ذكره * فن ذلك أنه يحرم الجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها * ومن ذلك المطلقة لأنها لا تحل لزوجها الأول حتى تنكح زوجا غيره * ومن ذلك نكاح المعتدة فلا تحل للأزواج حتى تقضى عدتها * ومن ذلك أن من كان في نكاحه حرة لم يجز له أن يتزوج بأمة والقادر على طول الحرة لم يجز له أن يتزوج بالأمة * ومن ذلك أن من كان عنده أربع نسوة حرم عليه أن يتزوج بخامسة * ومن ذلك الملاعة فإنها محرمة على الملاحن بالتأبيد فهذه أصناف من المحرمات سوى ما ذكر في الآية فلي هذا يكون قوله تعالى وأحل لكم ما وراء ذلكم ورد لفظ العموم لكن العموم دخله التخصيص فيكون عاما مخصوصا وقوله تعالى (أن تنكحوا ما وراءكم) فيه إضمار تقديره وأحل لكم أن تنكحوا أي تطلبوا بما وراءكم أي تنكحوا بصدائق أو تشتروا بنين * وفي الآية دليل على أن الصداق لا يتقدر بشئ فيجوز على القليل والكثير لطلاق قوله تعالى أن تنكحوا ما وراءكم (محصنين) يعني متزوجين وقيل متعففين (غير مساكين) يعني غير زانين والسفاح القبور وأصله من السفح وهو الصب وإنما سمي الزنا سفاحا لأن الزاني لا عرض له إلا صب الطرفة فقط وقوله تعالى (فما استغفتم به منهن) اختلفوا في معناه فقال الحسن ومجاهد أرادما اتغفتم وتلذذتم بالجماع من النساء بنكاح صحيح لأن

لأما ولا شجر ولا روض ولا مطر هل يصح حالي في التوكل أم لا فقال إذا أقيمت عرك في عران بطنك فإن الفناء في التوحيد (ما فسلوه الأقل منهن) وهم المحبون المستعدون للاقائه إلا كثرون قدرا الأقلون عددا كما قال تعالى وقيل ما هم (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خير لهم بحسب كمالهم الحاصل لهم عند رفع حجب صفات النفس بالانصاف بصفات الحق أو بالوصول إلى عين الجمع (واشد تنبيها) بالاستقامة في الدين عند البقاء بعد الفناء (وإذا لا تنكحوا من لدنا أجر أعطينا) من تجليات الصفات عند قتل النفس (ولهديناهم صراطا مستقيما) عند الخروج عن الديار أي منازل النفس والمقامات وهو طريق الرحلة والاستقامة في التوحيد (ومن بطع الله) بسلوك طرق التوحيد والجمع (والرسول) بمراعاة التفصيل (فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم بالهداية) (من الدين والصدقيين) الذين صدقوا بنسبة الأفعال والصفات إلى الله بالانحلال عن صفاتهم والانصاف بصفاته

اصل الاستمتاع في اللغة الانتفاع وكل ما انتفع به فهو متاع (قأوه من أجورهم) يعني مهور من
 واتمسمى المهر اجرا لانه بدل المنافع ليس بدل الاعيان كما سمي بدل منافع الدار والدابة
 اجرا وقال قوم المراد من حكم الآية هو نكاح المتعة وهو ان ينكح امرأة الى مدة معلومة بشئ معلوم
 فاذا انقضت تلك المدة بانت منه بغير طلاق ويستبرئ زوجها وليس بينهما ميراث وكان هذا
 في ابتداء الاسلام ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المتعة فحرمها (م) عن سبرة بن
 معبد الجهني انه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس اني كنت اذنت
 لكم في الاستمتاع من النساء وان الله قد حرم ذلك الى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شئ
 لم يخل سبيله ولا تأخذوا مما آتيتموهن شئاً الى هذا ذهب جمهور العلماء من الصحابة فمن
 بعدهم اى ان نكاح المتعة حرام والآية منسوخة واختلفوا في ناسها فقيل نسخت بالسنة وهو ما تقدم
 من حديث سبرة الجهني (ق) عن علي بن ابي طالب رضى الله عنه قال نهى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم عن متعة النساء يوم خيبر وعن اكل لحوم الحمير الانسية وهذا على مذهب من يقول
 ان السنة تنسخ القرآن ومذهب الشافعي ان السنة لا تنسخ القرآن فلي هذا يقول ان ما نسخ
 هذه الآية قوله تعالى في سورة المؤمنون والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم
 او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين والمنكوحه في المتعة ليست بزوجة ولا ملك يمين
 واختلفت الروايات عن ابن عباس في المتعة فروى عنه ان الآية محكمة وكان يرخص
 في المتعة قال عماره سألت ابن عباس عن المتعة اسفاح هي ام نكاح فقال لا سفاح ولا نكاح قلت فاهي
 قال متعة قال الله تعالى فما استمتعتم به منهن فلت هن لهن ما اهدى عدوكم
 قال لا وروى ان الناس لما ذكروا الاشعار في فتيا ابن عباس بالمتعة قال قاتلهم الله انا ما فتيت
 باباحتها على الاطلاق لكن قلت انما تحمل للمضطر كما تحمل الميتة * وروى انه رجع عنه وقال
 بغيرهما وروى عطاء الخراساني عن ابن عباس في قوله فما استمتعتم به منهن انها صارت
 منسوخة بقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن * وروى سالم بن عبدالله بن
 عمران عن ابن الخطاب سعد المبرخمة قال اثنى عليه ثم قال ما بال اقوام ينكحون هذه المتعة وقد نهى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها لاجد رجلا نكحها الاربعين بالجارية وقال هدم المتعة النكاح
 والطلاق والعدة والميراث * قال الشافعي لا علم في الاسلام شئاً احل ثم حرم ثم احل ثم حرم غير المتعة
 * وقال ابو عبيد المسلمون اليوم مجمعون على ان متعة النساء قد نسخت بالتحريم نسخها الكتاب والسنة
 هذا قول اهل العلم جميعا من اهل الجاهل والشام والعراق من اصحاب الاثر والراي وانه لا رخصة
 فيها لمضطر ولا لغيره قال ابن الجوزي في تفسيره وقد تكلف قوم من مفسري القرآن فقالوا
 المراد بهذه الآية نكاح المتعة ثم نسخت بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى متعة
 النساء وهذا تكلف لا يحتاج اليه لان النبي صلى الله عليه وسلم اجاز المتعة ثم منع منها فحرمها
 فكان قوله منسوخا بقوله واما الآية فانها لم تنسخ جواز المتعة لانه تعالى قال فيها ان تبغوا
 يا موالكم محصنين غير مسافحين فدل ذلك على النكاح الصحيح * قال الزجاج ومعنى قوله فاستمتعتم به
 منهن فانكحتموه على الثرائط التي جرت وهو قوله محصنين غير مسافحين اى ما قد بن الزوج
 وقال ابن جرير الطبري اولى التأويلين في ذلك بالصواب تأويل من تأوله فما نكحتموه

(منهن)

ولولهم وبصفات نفوسهم
 لكانوا كاذبين (والشهداء)
 اى اهل الحضور
 (والصالحين) اى اهل
 الاستقامة في الدين (وحسن
 اولئك رفيقاً ذلك الفضل
 من الله وكفى بالله علماً)
 اى التوفيق لتحصيل
 الكمال الذى ناسبوا به
 النبي ومن معهم فراقواهم
 (وكفى بالله علماً) يعلم
 ما في استعدادهم من الكمال
 فيظهره عليهم (يا ايها الذين
 آمنوا خذوا حذرکم) اى
 ما تحذرون من لقاء الشيطان
 ووساوسه واهلاكه اياكم
 بالاغواء ومن ظهور
 صفات نفوسكم واستيلائها
 عليكم فانها لهدى عدوكم
 (فاتقوا ثبات) اسلكوا
 في سبيل الله جماعات كل
 فرقة على طريقة شيخ كامل
 عالم (واقرءوا جميعاً)
 في طريق التوحيد والاسلام
 على متابعة النبي (وان منكم
 لمن ليبطئن فان اصابكم
 مصيبة قال قد انعم الله على
 اذ لم يكن معهم شهيد اولئ
 اصابكم فبذل من الله ليقولن
 كائن لم تكن بينكم وبينه
 مودة ياليتنى كنت معهم
 فأفوز فوزاً عظيماً فليقاتل
 في سبيل الله الذين يشرون
 الحياة الدنيا بالآخرة من

منهم بفهمهم فأتوهن أجورهن لقيام الحجة بتحريم الله تعالى متعة النساء على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقوله تعالى فأتوهن أجورهن يعني مهورهن (فريضة) يعني لازمة وواجبة (ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة) اختلفوا فيه فمن حل ما قبله على نكاح المتعة قال اراد انهما اذا عقدا عقدا الى اجل على مال فاذا تم الاجل فان شامت المرأة زادت في الاجل وزاد الرجل في الاجر وان لم يراضيا فارقها وقد تقدم ان ذلك كان جائزاً ثم نسخ وحرم * ومن حل الآية على الاستمتاع بالنكاح الصحيح قال المراد بقوله ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به يعني من الإبراء من المهر والافتداء والاعتراض * وقال الزجاج معناه لا جناح عليكم ان تهب المرأة للزوج مهرها وان يهب الرجل للمرأة التي لم يدخل بها نصف المهر الذي لا يجب عليه (ان الله عليم) يعني بما يصلحكم ايها الناس في مناحيكم وغيرها من سائر أموركم (حكيم) يعني فيما دبر لكم من التدبير وفيما أمركم به وينهاكم عنه ولا يدخل حكمه خلل ولا زلل * (فصل في قدر الصداق وما يستحب منه) * اصل انه لا تقدير لأكثر الصداق لقوله تعالى وآتيتن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً والمستحب ان لا يبالغ فيه قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الا لتألفوا في صدقة النساء فانها لو كانت مكرمة في الدنيا وتقوى عند الله لكان اولاكم بهاني الله صلى الله عليه وسلم ما علمت رسول الله صلى الله عليه وسلم نكح شيئاً من نسائه ولا نكح شيئاً من بناته على أكثر من اثني عشر اوقية اخرجه الترمذي ولا بن داود نحوه (م) عن ابي سلمة قال سألت عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم كم كان صداق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان صداقه لازواجه اثني عشر اوقية ونشأ قلت اتدري ما للنس قلت لا قالت نصف اوقية فذلك خمسمائة درهم (واختلف العلماء في لقل الصداق فذهب جماعة الى انه لا تقدير لاقله بل كل ما جاز ان يكون مبيعاً او مئناً جاز ان يكون صداقاً وهو قول ربيعة وسفيان الثوري والشافعي واحد واسحق . وقال قوم يتقدر الصداق بصاب السرقة وهو قول مالك وابي حنيفة غير ان نصاب السرقة عند مالك ثلاثة دراهم وعند ابی حنيفة عشرة دراهم (والدليل على ان الصداق لا يتقدر ما روى عن سهل بن سعد الساعدي قال جاءت امرأة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله قد وهبت نفسي لك فظفر اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد المنظر فيها وصوبه ثم طأطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه فلما رأته المرأة انه لم يقض فيها شيئاً جلست فقام رجل من اصحابه فقال يا رسول الله ان لم تكن لك بها حاجة فزوجنيها فقال فهل عندك من شيء فقال لا والله يا رسول الله فقال اذهب الى اهلك فانظر هل تجد شيئاً فذهب ثم رجع فقال لا والله ما وجدت شيئاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر ولوحاتنا من حديد فذهب ثم رجع فقال لا والله يا رسول الله ولا خاتماً من حديد ولكن ازارى هذا قال سهل ماله رداء فلما نصفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصنع بازارك ان لبسته لم يكن عليها منه شيء وان لبسته لم يكن عليك منه شيء فجلس الرجل حتى اذا طال مجلسه قام فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم موباً فأمر به فدعى له فلما جاء قال ما ذامك من القرآن قال معي سورة كذا وسورة كذا دعدها قال تقرأهن عن ظهر قلبك قال نعم قال اذهب فقد

يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يفلت فسوف تؤتيه اجر عظيم أو مالهكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهله واجعل لنا من لدنك ولياً واجعلنا من لدنك نصيراً الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفاً الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقبلوا الصلوة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذلفريق منهم يحشون الناس كخشبة الله او اشدة خشبة وقالوا ربنا لم كتب علينا القتال لولا اخبرتنا الى اجل قريب قل متاع الدنيا قليل والاخرة خير لمن اتقى ولا تظنون قليلاً ان تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك (اثبت انهم قد ربون بضيقون الخيرات الى الله والشرور الى الناس يشبهون بالجوس في اثبات مؤثرين مستقلين

في الوجود واضافتهم
الشروع الى الرسول لالي
انفسهم كانت لانه باعهم
ومحرمهم على مايقولون
بسببه الشر عندهم فأمر
الرسول بدهوتهم الى توحيد
الافعال ونفي التأثير من
الاضمار والاقرار بكونه
فاعل الخير والشر بقوله
(قل كل من عند الله قال
هؤلاء القوم لا يكادون
يفقهون حديثا) لاحتياجهم
بصفات النفوس وارتجاج
آذان قلوبهم التي هي
اوعية السماع والوعي ثم
بين ان الله فضلا وعدلا
في الخيرات والكمالات كلها
من فضله والبرور من
عده اي بقدرها علينا
وفعلها بنا لاستعداد
واستحقاق فينا يقتضي
ذلك وذلك الاستحقاق انما
يحدث من ظهور النفس
بصفاتنا وارتكابها المعاصي
والذنوب الموجبة للعقاب
لا بفعل آخر كنسبوا
ماصا بهم من الشر الى
الرسول لان الاستحقاق
مرتب على الاستعداد
ولا يعرض ما يقتضيه
استعداد احد لغيره كما قال
تعالى ولا تزر وازرة وزر
اخرى فكذبهم وخطأهم
في قدرتهم باثبات السبب

ملكتمها بامك من القرآن وفي رواية فقد زوجتمكم تعلمها من القرآن وفي رواية فقد
انكحتمكم بامك من القرآن اخرجاه في الصحيحين وهذا لفظ الجدي في هذا الحديث دليل
على انه لا تقدير لاقول الصداق لانه قال هل تجد شيئا فهذا يدل على جواز اي شيء كان من المال
ثم قال ولو خاتمنا من حديد ولا قيمة له الا القليل النافه وفيه دليل على انه يجوز ان يجعل تطعيم
القرآن صداقا وهو قول الشافعي ومنه اصحاب الرأي من جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من اعطى في صداق امرأة ملاء كفيه سويقا او تمرا فقد استحل اخرجاه ابو داود عن عبد الله
بن حاتم عن ابيه ان امرأة من بني فزاره تزوجت على نعلين فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
ارضيت من نفسك ومالك بنعلين قالت نعم فاجازه اخرجاه الترمذي وقال عمر بن الخطاب ثلاث
قبضات من زبيب مهر قوله عز وجل (ومن لم يستطع منكم طولا) يعني فضلا وسعة وانما سمى
الغنى طولا لانه ينال به من المراد ما لا ينال مع الفقر والطول هنا كناية عما يصرف الى المهر
والنفقة (ان ينكح المحصنات) يعني الحرار (المؤمنات فما ملكت ايمانكم) يعني جارية
اخيك المؤمن فان الانسان لا يجوز له ان يتزوج بجارية نفسه (من فتياتكم المؤمنات) المعنى
من لم يقدر على مهر الحرة المؤمنة فليزوج الاممة المؤمنة (والفتيات الجوارى المملوكات جمع
فتاة يقال للاممة فتاة وللعبدة فتى وفي الآية دليل على انه لا يجوز للحر نكاح الامة الا بشرطين
احدهما ان لا يجد مهر حرة لانه جرت العادة في الاماء بتخفيف مهورهن ونفقتهن وسبب
ذلك اشتغالهن بخدمة ساداتهن والشرط الثاني هو خوف الفتى على نفسه وهو قوله تعالى
ذلك لمن خشي العنت منكم قال ابن عباس هو الزنا وهذا قول جابر وابن عباس وسعيد بن
جبير وطاوس ومسروق ومكحول وعمر بن دينار وابيه ذهب مالك والشافعي واحد وروى
عن علي والحسن البصري وابن السيب ومجاهد والزهرى انه يجوز للحر ان ينكح الامموان
كان موسرا وهو مذهب ابي حنيفة الا ان يكون في نكاحه حرة والسبب في منع الحر من نكاح
الامة الا عند خوف العنت ان الولد يتبع الام في الرق والحرية واذا كانت الام رقيقة
كان الولد رقيقا وذلك نقص في حق الحر وفي حق ولده ولان حق السيد اعظم من حق
الزوج فربما احتاج الزوج اليها فلا يجد اليها سبيلا لان للسيد حبسا لخدمته ولان مهرها
ملك السيد فلا تقدر على هبته من زوجها ولان تبرئه منه بخلاف الحرة فلهذا السبب منع الله
من نكاح الاممة الا على سبيل الرخصة والاضطرار ويجوز للعبد نكاح الامة وان كان في نكاحه
حرة وعند ابي حنيفة لا يجوز له اذا كانت تحت حرة كما يقول في الحر وفي الآية دليل على انه
لا يجوز للمسلم حرا كان او عبدا نكاح الامة الكتابية لقوله تعالى من فتياتكم المؤمنات يفيد جواز
نكاح الامة المؤمنة دون الكتابية لان فيها نوعين من النقص وهما الرق والكفر بخلاف
الامة المؤمنة لان فيها نقصا واحدا وهو الرق وهذا قول مجاهد والحسن وابيه ذهب مالك
والشافعي وقال ابو حنيفة يجوز التزويج بالاممة الكتابية وبالاتفاق يجوز وطء الامة الكتابية
بملك اليمين وقوله تعالى (والله اعلم بايمانكم) قال الزجاج اي عملوا على الظاهر في الايمان
فانكم متعبدون بما ظهر والله يتولى السرائر والحق في قيل معناه لا تعرضوا لباطن
في الايمان وخذوا بالظاهر فان الله اعلم بايمانكم (بعضكم من بعض) يعني انكم كلكم من نفس واحدة

اولى الامر منهم لعله الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا فقاتل في سبيل الله لاتكلف الانفسك وحرص المؤمنون صلى الله ان يكف بأس الذين كفروا والله اشد بأسا واشد تنكيلا من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء هقيما واذا حيتيم بغيه فبوا بأحسن منها اوردها ان الله كان على كل شيء حسيبا الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا فالكلم في المناقشين فتيين والله اركسهم بما كسبوا اريدون ان تهدوا من اضل الله ومن يضل الله فلن تجد له سبيلا وذاوا لوتكفرون كما كفروا فتكونون سواء لا تفتنوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تفتنوا منهم ولولا لانصيرا الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق او جاوركم حصرت صدورهم

تحمله شدة الشبق وانفلة وشدة الشهوة على الزنا * وانما سمى الزنا بالعت لما يقبى من المشقة وهى شدة العزوبة فاباح الله تعالى نكاح الامة بثلاثة شروط عدم القدرة على نكاح الحرة وخوف العنت وكون الامة مؤمنة (وان تصبروا) يعنى من نكاح الاماء متعفين (خير لكم) يعنى كيلا يكون الولد عبادا رقيقا (والله غفور رحيم) وهذا كالتوكيد لما تقدم يعنى انه تعالى غفر لكم ورحمكم حيث اباح لكم ما انتم محتاجون اليه * قوله تعالى (يريد الله ليبين لكم) اللام في قوله ليبين معناه ان يبين وقيل معناه يريد ازال هذه الآيات من اجل ان يبين لكم دينكم ويوضح لكم شرعكم ومصالح اموركم وقيل بين لكم ما يبريكم منه وقيل بين ان الصبر على نكاح الاماء خير لكم (ويهديكم) اى ويرشدكم (سن الذين من قبلكم) اى شرائع من قبلكم في تحريم الامهات والبنات والاخوات فانها كانت محرمة على من قبلكم وقيل معناه يرشدكم الى ما لكم فيه مصلحة كما يبين لكم ان قبلكم (وقيل معناه ويهديكم الى الملة الخفيفة وهى ملة ابراهيم عليه السلام) ويتوب عليكم) يعنى وينجاوز عنكم ما صيتم قبل ان يبين لكم ويرجع بكم عن المعصية التى كنتم عليها الى طاعته (وقيل لما بين لنا امر الشرائع والمصالح وارشدنا الى طاعته فرمنا وقع منا تقصير وتفریط فيما امر به وبينه فلا جرم انه تعالى قال ويتوب عليكم (والله عليم) يعنى بمصالح عبادته فى امر دينهم ودنياهم (حكيم) يعنى في ابدار من امورهم (والله يريد ان يتوب عليكم) قال ابن عباس معناه يريد ان يخرجكم من كل ما يكره الى ما يحب ويرضى * وقيل معناه يدلكم على ما يكون سببا لتوبتكم التى يغفر لكم بها ما سلف من ذنوبكم * وقيل معناه ان وقع منكم تقصير في دينه فيتوب عليكم ويغفر لكم (ويريد الذين يتبعون الشهوات) قيل هم اليهود والنصارى * وقيل هم اليهود خاصة لانهم يقولون ان نكاح بنت الاخت من الاب حلال * وقيل هم الجوس لانهم يستحلون نكاح الاخوات وبنات الاخوة فلما حره من الله قالوا انكم تحلون بنت الخالة وبنت العممة والخالة والعممة عليكم حرام فانكسوا بنات الاخ والاخت فنزلت هذه الآية * وقيل هم الزناة يريدون ان تكونوا مثلهم (ان عملوا) يعنى عن الحق وقصد السبيل بالمعصية (ميلا عظيما) يعنى باتيانكم ما حرم الله عليكم (يريد الله ان يخفف عنكم) يعنى ليسهل عليكم احكام الشرائع فهو امام في كل احكام الشرع وجيع ما يبرهنا وسهله علينا احسانا منه لنا وتفضلا ولطفنا ولم ينقل التكاليف علينا كما نقلها على بنى اسرائيل فهو كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقوله تعالى وما جعل عليكم فى الدين من حرج وكبروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بشت بالخفيفة السهلة السمحة * وقوله تعالى (وخلق الانسان ضعيفا) يعنى في قلة الصبر عن الشهوة فلا صبر له عنهن وقيل انه لضعفه بسجته هو اه فهو ضعيف العزم عن قهر الهوى وقيل هو ضعيف فى اصل الخلقة لانه خلق من ماء مهين * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل) يعنى بالحرام الذى لا يحل فى الشرع كالربا والقمار والنصب والسرقة والخيانة وشهادة الزور واخذ المال باليمين الكاذبة ونحو ذلك وانما خص الاكل بالذكر ونهى عنه تنبيها على غيره من جميع التصرفات الواقعة على وجه الباطل لان معظم المقصود من المال الاكل وقيل يدخل فيه اكل مال نفسه بالباطل وماله غيره اما كل ماله بالباطل فهو افقاه في المعاصى واما كل مال غيره فقد تقدم معناه

وقيل يدخل في اكل المال بالباطل جميع العقود الفاسدة * وقوله تعالى (الا ان تكون تجارة عن تراض منكم) هذا الاستثناء منقطع لان التجارة عن تراض ليست من جنس اكل المال بالباطل فكان الاهنا بمعنى لكن يحل اكله بالتجارة عن تراض يعني بطيبة نفس كل واحد منكم وقيل هو ان يخير كل واحد من المتبايعين صاحبه بعد البيع فيلزم والا فلهما الخيار ما لم يتفرقا لما روى عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا تباع الرجلان فكل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا وكانا جميعا او يخير احدهما الآخر فان خيرا احدهما الآخر فتبايعا على ذلك فقد وجب البيع وان تفرقا بعد ان تباعا ولم يترك واحد منهما البيع فقد وجب البيع اخرجاه في الصحيحين * وقوله تعالى (ولا تقتلوا انفسكم) اي لا يقتل بعضهم بعضا وانما قال انفسكم لانهم اهل دين واحد فهم كنفس واحدة وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في حجة الوداع الا لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضهم رقاب بعض وقيل ان هذا نهى للانسان عن قتل نفسه (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها ابدا ومن تحمى سماً فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا ومن قتل نفسه بحديدة فحديده في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا وقوله يتردى هو الوقوع من موضع عال الى اسفل * قوله يتوجأ يقال جاءته بالسكين اذا ضربته بها وهو يتوجأ بها اي يضرب بها نفسه (ق) عن جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان رجل جراح فقتل نفسه فقال الله تبارك وتعالى بادرني بعدي بنفسه حرمت عليه الجنة وفي رواية قال كان فين كان قبلكم رجل به جرح فجزع فاخذ سكيناً فجزعها يده فارقا الدم حتى مات فقال الله تعالى بادرني بعدي بنفسه حرمت عليه الجنة * وقيل في معنى قتل الانسان نفسه ان لا يفعل شيئاً يستحق به القتل مثل ان يقتل فيقتل به فيكون هو الذي تسبب في قتل نفسه * وقيل معناه ولا تقتلوا انفسكم باكل المال بالباطل * وقيل معناه ولا تهلكوا انفسكم بان تعملوا عملاً ربما ادى الى قتلها (ان الله كان بكم رحيم) يعني انه تعالى من رحته بكم نهاكم عن كل شيء تستوجبون به مشقة او محنة * وقيل انه تعالى امر بني اسرائيل بقتل انفسهم ليكون ذلك توبة لهم وكان بكم بالامة محمد رحيماً حيث لم يكلفكم تلك التكاليف المشقة الصعبة (ومن يفعل ذلك) يعني ما سبق ذكره من قتل النفس المحرمة لان الضمير يعود الى اقرب المذكورات (وقيل انه يعود الى قتل النفس واكل المال بالباطل لانهما مذكوران في آية واحدة) (وقيل انه يعود الى كل ما نهى الله عنه من اول السورة الى هنا) (هدوا واطلوا) يعني يتجاوز الحد فيضع الشيء في غير موضعه فلذلك قيده بالعدوان والظلم لانه قد يكون القتل بحق وهو القصاص وكذلك قد يكون اخذ المال بحق فلذلك السبب قيده بالوهيد وما كان على وجه العدوان والظلم وهو قوله تعالى (فسوف نعصيه ناراً) اي ندخله في الآخرة ناراً يصلي فيها (وكان ذلك على الله سبيراً) اي هيناً لانه تعالى قادر على ما يريد * قوله عز وجل (ان تجتنبوا كبائر ما نهون عنه) اجتناب الشيء المباحة عنه وتركه جأباً والكبير ما كبر وعظم من الذنوب وعظمت عقوبته * وقبل ذكر التفسير نذكر الاحاديث الواردة في الكبائر * فمن ذلك ما روى عن ابي بكره قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الا انبئكم باكبر الكبائر ثلاثاً قلنا بلى يا رسول الله قال الاشرار بالله وعقوق الوالدين الا وشهادة

ان يقاتلوك او يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فان اهتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فاجعل الله لكم عليهم سبيلاً سجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلاً ردوا الى الفتنة اركسوا فيها فان لم يعزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم حيث يفتقوهم واولئك جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً وما كان لؤم من ان يقتل مؤمناً بالخطأ ومن قتل مؤمناً خطأ فقتل مؤمناً ومثله دية مسلمة الى اهله الا ان يصدقوا فان كان من قوم هدو لكم وهو مؤمن فقتل مؤمناً ومثله دية مسلمة وان كان من قوم يديكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله ونحوه برقة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليماً حكيماً ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذاباً عظيماً يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن اتى اليكم السلام لست مؤمناً فتقوا عراض الحياة الدنيا فتدللوا فانهم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله

عليكم فثبوا ان الله كان
بما تعملون خبيراً لا يستوى
القاعدون من المؤمنين غير
اولى الضرر والمجاهدون
في سبيل الله بأموالهم وانفسهم
فضل الله المجاهدين بأموالهم
وانفسهم على القاعدین
درجة وكلا وعد الله الحسنى
وفضل الله المجاهدين على
القاعدین اجرا عظيماً درجات
منه ومغفرة ورجة
وكان الله غفوراً رحيماً
ان الذين توفاهم الملائكة
التوفى هو استيفاء الروح
من البدن بقضائها عنه وهو
على ثلاثة اوجه توفى
الملائكة وتوفى ملك الموت
وتوفى الله اما توفى الملائكة
فهو لاصحاب النفوس وهم
اتمام اهل الخير
والصفات الحميدة والاخلاق
الحسنة من الصالحين
المتقين الذين توفاهم
الملائكة طيبين يقولون
سلام عليكم ادخلوا الجنة
بما كنتم تعملون فمادهم الى
جنة الافضل واما اشقياء
اهل الشر والصفات الرديئة
والاخلاق السيئة فلا يقبض
رواحهم الا لقوى الملكوتية
التي هي للعالم بمائة قواهم
التي هم في مقامها محجوبون
بصفات النفس ولذات القوى
الحالية والوهية والسبعية

الزور او قول الزور وكان متكئاً فجلس لا زال يكررها حتى قلنا ليته سكت اخرجه في الصبحين
(ق) عن انس بن مالك قال ذكر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبار قال الشريك بالله وهو حق
الوالدين وقتل النفس وقال الا تبشكم باكر الكبار قول الزور او قال شهادة الزور (ق) عن ابي
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هن قال
الشريك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل مال اليتيم والزنا والتولي يوم الزحف
وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات (خ) عن ابن مسعود قال سألت رسول الله صلى الله عليه
وسلم اى الذنب اعظم عند الله قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ان ذلك لعظيم ثم اى قال ان تقتل
ولدك مخافة ان يطمع بك قلت ثم اى قال ان ترائى حليلة جارك (خ) عن عبد الله بن عمرو بن العاص
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الكبار الاشراك بالله وحقن والوالدين وقتل النفس واليمين
أفتموس وفي رواية ان عرابيا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الكبار قال
الاشراك بالله قال ثم ماذا قال اليمين أفتموس قلت وما اليمين أفتموس قال الذي يقطع مال امرئ
مسلم بين هو فيها كاذب (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الكبار شتم الرجل
والديه قالوا وهل يشتم الرجل والديه قال نعم بسب الرجل ابا الرجل او امه فيسب اياه او امه
وفي رواية من اكبر الكبار ان يعلن الرجل والديه وذكر الحديث وقال عبد الله بن مسعود
اكبر الكبار الاشراك بالله والامن من مكواله والقنوط من رجدة الله والياس من روح الله
وعن سعد بن جبران رجلا سأل ابن عباس عن الكبار اسبعه الى السبعائة اقرب
وفي رواية الى السبعين اقرب الا انه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار وقال كل شيء
عصى الله به فهو كبيرة فمن عمل شيئاً منها فليستغفر الله فان الله لا يخلد في النار من هذه الامة الا من
كان راجعاً عن الاسلام او جاحداً فريضة او مكذبا بقدره وقال علي بن ابي طالب كل ذنب ختمه الله
بار او غضب اوله او عذاب فهو كبيرة * وقال سفيان الثوري الكبار ما كان فيه المظالم فيما بينك
وبين العباد والصغار ما كان بينك وبين الله تعالى لان الله كريم يغفر ويعفو واحتج لذلك بما
روى عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى مناد من بطنان العرش يوم
القيامة يا مائة محمد ان الله قد عفا عنكم جميعاً المؤمنين والمؤمنات توابها المظالم وادخلوا الجنة
برحمتي * وقال مالك بن مغول الكبار ذنوب اهل البدع والسيئات ذنوب اهل السنة وقيل الكبار
ذنوب العمد والسيئات الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه وحديث النفس المرفوع عن هذه
الامة * وقال السدي الكبار ما نهى الله عنه من الذنوب والسيئات مقدماتها وتوابها التي يقع فيها
الصالح والفاسق مثل النظرة والمسمة والقبلة واشباه ذلك (ق) عن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال كتب علي ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة العينان زناهما النظر
والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل
زناها الخطا والقلب يهودى ويثنى ويصدق ذلك الفرج او يكذب لفظ مسلم * وقيل الكبار الشريك
وما يؤدى اليه وما دونه فهو من السيئات فقد ثبت بما تقدم من الادلة ان من الذنوب كبار
وصغار والى هذا ذهب الجمهور من السلف والخلف وثبت بدلائل الكتاب والسنة واذا ثبت
اقسام المعاصي الى صغار وكبار فقوله تعالى ان تجنبوا كبار ما تنهون عنه هي كل ذنب عظم

وقبضه وعظمت عقوبته اما في الدنيا بالحدود واما في الآخرة بالعذاب عليه (تكفر عنكم سيئاتكم) يعني نسترها عليكم حتى تصير بمنزلة مالم يعمل لان اصل التكفير الستر والتغطية فصغار الذنوب تكفر بالحسنات ولا تكفر كبارها الا بالتوبة والاقلاع عنها كما ورد في الصحيح عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات لما بينهن زاد في رواية ما لم تقش الكبائر وزاد في رواية اخرى ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر اخرجه مسلم * وقوله تعالى (وندخلكم مدخلا كريما) يعني حسنا شريفا وهو الجنة والمعنى اذا اجتنبت الكبائر وايتيم بالطاعات ندخلكم مدخلا تكمون فيه * قوله عز وجل (ولا تتنوا) مافضل الله به بعضكم على بعض (على بعض) اصل التني ارادة الشيء وتنهى حصول ذلك الامر المرغوب فيه ومنه حديث النفس بما يكون وبما لا يكون * وقيل التني تقدير الشيء في النفس وتصويره فيها وذلك قد يكون عن تخمين وظن وقد يكون عن رؤية واكثر التني تصور مالا حقيقته * وقيل التني عبارة عن ارادة ما يعلم او يظن انه لا يكون * عن مجاهد عن ام سلمة قالت قلت يا رسول الله يفز الرجال ولا تفز النساء وانما لنا نصف الميراث فانزل الله تعالى ولا تتنوا مافضل الله به بعضكم على بعض قال مجاهد وانزل ان المسلمين والمسلات وكانت ام سلمة اول طعينة قدمت المدينة مهاجرة اخرجه الترمذي وقال هذا حديث مرسل * وقيل لما جعل الله للذكر مثل حظ الانثيين من الميراث قالت النساء نحن احق واحوج الى الزيادة من الرجال لانا ضعفاء وهم اقوى واقدر على طلب المعاش منا فانزل الله تعالى هذه الآية * وقيل لما نزل قوله للذكر مثل حظ الانثيين قالت الرجال انا لارجو ان نفضل على النساء في الحسنات في الآخرة فيكون لنا اجرنا على ضعف اجر النساء كما فضلنا عليهن في الميراث وقالت النساء انا لارجو ان يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال كما لنا في الميراث النصف من نصيبهم فنزلت هذه الآية * والتني على قسمين احدهما ان يتننى الانسان ان يحصل له مال غيره مع زوال تلك النعمة عن ذلك الغير فهذا القسم هو الحسد وهو مذموم لان الله تعالى يفيض نعمه على من يشاء من عباده وهذا الحاسد يعترض على الله تعالى فيما فعل وربما اعتقد في نفسه انه احق بتلك النعمة من ذلك الانسان ايضا فهذا اعتراض على الله ايضا وهو مذموم * القسم الثاني ان يتننى مثل مال غيره ولا يحب ان يزول ذلك المال عن الغير وهذا هو القبطة وهذا ليس بمذموم ومن الناس من منع منه ايضا قال لان تلك النعمة ربما كانت مفسدة في حقه في الدين او الدنيا قال الحسن لا تمن مال فلان ولا مال فلان ولا تدري لعل هلاكك في ذلك المال فيعلم العبد ان الله عز وجل اعلم بمصالح عباده فليرض بقضائه ولكن امينته الزيادة من عمل الآخرة وليقل اللهم اعطني ما يكون صلاحا في ديني ودنياي ومعادى * وقوله تعالى (لرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) قال ابن عباس يعني مترك الوالدان والاقربون من الميراث يقول للذكر مثل حظ الانثيين * وقيل هذا الاكتساب في الاجر يعني ان الرجال والنساء في الاجر في الآخرة سواء لان الحسنات بعشر امثالها والسيئات بمثلها يستوى في ذلك الرجال والنساء وان فضل الرجال في الدنيا على النساء * وقيل للرجال نصيب مما اكتسبوا من امر الجهاد وللنساء نصيب مما اكتسبن يعني من طاعة الازواج وحفظ القروج (واسألوا الله من فضله) قال ابن عباس يعني من رزقه * وقيل من عبادته وهو سؤال التوفيق للعبادة وقيل

والبيعة من الكافرين الذين تنوفاهم الملائكة ظاهري انفسهم فعادهم الى النار واما توفي ملك الموت فهو لارباب القلوب الذين برزوا عن حجاب النفس الى مقام القلب ورجعوا الى الفطرة فتنوروا بنورها فقبض ارواحهم النفس اللاطقة الكلية التي هي قلب العالم باتصالهم بها هذا اذا قبض ارواحهم ملك الموت بنفسه اما اذا قبض بأعوانه وقواهم فهم الفريق الاول وقد قبض بنفسه ويذرهم في ملكوت العذاب حتى يحاسبوا ويعاقبوا بحسب ذنوبهم ويخلصوا وذلك للكمال العلى كما خلص من الجهل والشرك وتحلى بالعلم والتوحيد ولكن تراكت على قلبه الهيشات المظلمة والملكات الرديئة بسبب الاعمال السيئة والاخلاق الذميمة وللعلم بالتوحيد والجهل بالمعاد كالوحد المسمى للجزء فينهمك في المعاصي كما قال تعالى قل تنوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم واما توفي الله تعالى فهو الموحدون الذين مرجعوا عن مقام القلب الى محل الشهود فلم يبق بينهم وبين ربهم حجاب فهو يتولى قبض ارواحهم بنفسه ويحشرهم الى نفسه يوم

نحشر المتقين الى الرحمن
وفدا كما قال الله تنوفي الانفس
حين موتها (ظالمى انفسهم)
بمنعها عن حقوقها التي اقتضتها
استعداداتهم من الكمالات
المودعة فيها (فيم كنتم)
حيث قصرتم في السعي
لا قدرتم وفقرتم في جنب الله
وقصرتم عن بلوغ كمالكم
الذي هي لكم وندتم اليه
(قالوا كنا مستضعفين
في الارض) في ارض
الاستعداد الذي جبلنا
عليه باستيلاء قوى النفس
الامارة وغلبة سلطان
لهوى بشيطان الوهم اسرونا
في قيودهم وجبرونا على
دينهم واكرهونا على كفرهم
(قالوا لم تكن ارض الله
واسعة فتهاجروا فيها)
الم تكن سعة استعدادكم
بحيث تهاجروا فيها من
مبادفرتكم خطوات يسيرة
بحيث اذا ارتقت عنكم بعض
لجب انطلقت من اسر القوى
وتخلصتم من قيود الهوى
وتقوّيتم بامداد احوالكم
القوى الروحية ونصرتهم
بأنوار القلب فخرجتم من
القرية الظالم اهلها التي هي
مدنة النفس الى بلد القلب
الطيبة فتداركتم رحمة ربكم
النفور (فاولئك مأواهم
جهنم) نفوسهم الشديدة
التوفان مع حصول الحرمان

لم يأمر الله عباده بالمسئلة الا ليعطيم وقبه تنبيه على ان العبد لا يمين شيأ في الدماء والطلب ولكن
يطلب من فضل الله ما يكون سببا لصلاح دينه ودينه وآخرته * وقيل لا تمنى النساء ان يكن رجالا
وان يكون لهن مثل ما للرجال فهاهن الله عن ذلك وامرهن ان يسألوه من فضله فانه اعلم بمصالح
عباده (ان الله كان بكل شيء عليما) يعني انه تعالى عليم بما يكون صلاحا للسائلين فليقتصر
السائل على الجمل في الطلب فان الله تعالى عليم بما يصلحه فلا تمنى غير الذي قدر له * قوله تعالى
(ولكل) يعني من الرجال والنساء (جعلنا موالى) يعني ورثة من بنى * واخوة وسائر
العصبات (بما ترك) يعني يرثون مما ترك (الوالدان والاقربون) من ميراثهم فعلى هذا الوالدان
والاقربون هم الموروثون * وقيل معناه ولكل جعلنا موالى اى ورثة مما ترك وتكون ما بمعنى من
يعنى من تركهم الميت ثم فسر الموالى فقال الوالدان والاقربون فعلى هذا الوالدان والاقربون هم
الوارثون والمعنى ولكل شخص جعلنا ورثة بمن تركهم وهم والداء واقربوه * والقول الاول
اصح لانه مروي عن ابن عباس وغيره (والذين عاقدت ايمانكم) وقرئ عقدت بغير الف مع
التخفيف * والمعاقدة المحالفة والمعاهدة * والايمان جمع يمين يحتمل ان يراد بها القسم او اليد اوهما
جسما وذلك انهم كانوا اذا تحالفوا اخذ كل واحد منهم يد صاحبه وتحالفوا على الوفاء بالعهد
والتمسك بذلك العقد وكان الرجل يحالف الرجل في الجاهلية ويعاقده فيقول دمي دك وهدمي
هدمك ونادى تارك وحربي حربك وسلمى سلك ترثني وارثك وتطلبني والطلب بك وتعمل
عني واقبل عنك فيكون لكل واحد من الحليفين السدس في مال الآخر وكان الحكم ثباتا في الجاهلية
وابتداء الاسلام فذلك قوله تعالى (فآتوهم نصيبهم) يعني اعطوهم حظهم من الميراث ثم نسخ الله
هذا الحكم بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله * وقال ابن عباس نزلت هذه
الآية في الذين آخى بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار لما
قدموا المدينة وكانوا يتوارثون تلك المؤاخاة دون النسب والرحم فلا نزلت ولكل جعلنا
موالى مما ترك الوالدان نسختها ثم قال والذين عاقدت ايمانكم من النصر والرفادة والنصيحة
وقد ذهب الميراث ويوصى له وفي رواية اخرى عنه قال والذين عاقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم
كان الرجل يحالف الرجل ليس بينهما نسب فيرث احدهما الآخر فنسخ ذلك بسورة الانفال
فقال واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وقال سعيد بن المسيب كانوا يتوارثون
بالتبني بهذه الآية ثم نسخ ذلك * وذهب قوم الى ان الآية ليست بمنسوخة بل حكمها باق والمراد
بقوله والذين عاقدت ايمانكم الحلفاء والمراد من قوله فآتوهم نصيبهم معنى من الصرة والنصيحة
والموااة والمصافة ونحو ذلك * فعلى هذا لا تكون منسوخة * وقيل نزلت في عبدالرحمن بن ابي
بكر الصديق عن داود بن الحصين قال كنت اقرأ هللى ام سعد بنت الربيع وكانت بتيمة في حجر
ابى بكر الصديق فقرأت والذين عاقدت ايمانكم فقالت لا تقرؤا والذين عاقدت ايمانكم انما نزلت
في ابى بكر وابنه عبدالرحمن حين ابى الاسلام خلف ابو بكر ان لا يورثه فلما اسلم امره الله
ان يؤثبه نصيبه اخرجته ابوداود وعلى هذا فلا نسخ ايضا فن قال ان حكم الآية باق انما
كانت المعاقدة في الجاهلية على الصرة لا غير والا سلام لم يغير ذلك وبطل عليه ما روى عن جابر
بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حلف في الاسلام واما حلف كان في الجاهلية

(وساءت مصيرا الا
المستضعفين من الرجال)
اي اقوياء الاستعداد الذين
قويت قواهم الشهوية
والنفسية مع قوة استعدادهم
فلم يقدر واعي قضاها في سلوك
طريق الحق ولم يذهبوا
لقواهم الوهمية والخيالية
فيبتلووا استعداداتهم بالعقائد
الفاصلة فبقوا في اسرف قواهم
البدنية مع تنويع استعدادهم
بنور العلم وعجزهم عن السلوك
برفع القيود (والنساء) اي
القاصري الاستعداد عن
درك الكمال العلي وسلوك
طريق التحقيق الضعفاء القوي
والاحلام الذين قال في حقهم
اكثر اهل الجلمة البله
(والولدان) اي الناقصين
القاصرين من بلوغ درجة
الكمال لغيره لتحققهم من قبل
صفات النفس (لا يستطيعون
حيلة) اعدم قدرتهم وعجزهم
عن كسر صفات النفس ووقع
الهوى بالريضة (ولا يبتدون
سيلا) لعدم علمهم بكيفية
السلوك وحرمانهم من نور
الهدي الشريعة (فاؤتلك
عسى الله ان يعفو عنهم)
بمحو تلك الهيئات المظلمة لعدم
رسوخها وسلامة عقائدهم
(وكان الله عفوا) العفو
عن الذنوب مادامت القطرة
لم يتغير (غفورا) يستتر بنور

لم يزد الاسلام الاشد اخرجهم مسلم * وقوله تعالى (ان الله كان على كل شئ شهيدا) قال عطاء
يريد انه لم يصب عنه علم ما خلق وبرأ فلي هذا الشهيد بمعنى الشاهد والمراد منه علمه بجميع الاشياء
* وقيل الشهيد هو الشاهد على الخلق يوم القيامة بكل ما عملوه فلي هذا الشاهد بمعنى المحبر وفيه وعد
للمؤمنين ووعد للمصاة المحققين * قوله عز وجل (الرجال قوا امون على النساء) نزلت في سعد
بن الربيع وكان من النقباء وفي امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير ويقال امرأته بنت محمد بن مسلمة وذلك
انما نشزت عليه فلطمها فانطلق ابو هاشم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال افرشته كرمي فلطمها
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لتقص من زوجها فانصرفت مع ابيا لتقص منه فقال صلى الله
عليه وسلم ارجعوا هذا جبريل انا في قال الله تعالى هذه الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم اردنا
امرأوا راد الله امرأ والذى اراد الله خير ورفع القصاص فقوله تعالى الرجال قوا امون على النساء
اي متسلطون على تأديب النساء والاخذ على ايديهن قال ابن عباس امرأوا عليهن فلي المرأان
تطيع زوجها في طاعة الله * والقوام هو القائم بالمصالح والتدبير والتأديب فالرجل يقوم بامر المرأة
ويجهد في حفظها * ولما ثبت القيام للرجال على النساء بين السبب في ذلك فقال تعالى (بما فضل
الله بعضهم على بعض) يعني ان الله تعالى فضل الرجال على النساء بامور منها زيادة العقل والدين
والولاية والشهادة والجهاد والجمعة والجماعات والامامة لان منهم الانبياء والخلفاء والائمة ومنها
ان الرجل يتزوج مائة نسوة ولا يجوز للمرأة غير زوج واحد ومنها زيادة النصيب في الميراث والتعصيب
في الميراث ويده الطلاق والنكاح والرجعة واليه الانساب وكل هذا يدل على فضل الرجال على النساء
* ثم قال تعالى (وبما نفقوا من اموالهم) يعني وبما اعطوا من مهور النساء والنفقة عليهن
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو كنت امرا احد ان يبعد لاحد لامرته
المرأة ان تجرد زوجها اخرجته الزهدي (فالمصالحات) يعني الحسنات العامة بالخير (فانثت)
اي مطيعات لا زواجهن وقيل مطيعات لله (حافظات للغيب) لقروجهن في غيبة ازواجهن
تلايحق الزوج العار بسبب زناها ويحق به الولد الذي هو من غيره * وقيل معناه حفظ سر زوجها
وحفظ ماله وما يجب على المرأة من حفظ متاع البيت في غيبة زوجها عن ابي هريرة قال قيل
يا رسول الله اي النساء خير قال التي تسره اذا نظر اليها وتطيعه اذا امر ولا تخالفه في نفسها ولا مالها
بما يكره اخرجته النسائي ورواه البغوي بسند الثعالبي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم خير النساء امرأة اذا نظرت اليها سرتك واذا امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك
في مالها ونفسها ثم تلا الرجال قوا امون على النساء الآية * وقوله تعالى (بما حفظ الله)
يعني بما حفظهن الله حين اوصى بين الزوجات واموهم باداء المهر والنفقة اليهن (ق) عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فان المرأة خلقت من ضلع
احوج وان احوج ما في الضلع اعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل احوج فاستوصوا
بالنساء * وقيل في معنى الآية بما حفظهن الله وعصمن ووقفهن لحفظ الغيب * وقيل بما حفظ
الله من حقوقهن على ازواجهن حيث امرهم بالعدل فيهن وامساكن بمعروف او تسريحهن
باحسان (واللاق تحافون) اي تعلمون وقيل تظنون (نشوزهن) اي شرورهن واصل النشوز
الارتفاع ونشوز المرأة هو بغض الزوجها ورفع نفسها عن طاعته والتكبر عليه * وقيل دلالات النشوز

قد تكون بالقول والقول مثل ان كانت تلبيه اذ ادعاها وتضع له اذ احاطها والقول مثل ان كانت تقوم له اذ ادخل عليها وتسرع الى امره اذا امرها فاذا خالفت هذه الاحوال بان رقت صوتها عليه ولم تجبه اذ ادعاها ولم تبادر الى امره اذا امره اذ ذلك على نشوزها على زوجها (فظوهن) يعني اذا ظهر منهن امارات النشوز فظوهن بالتخويف بالقول وهو ان يقول لها اتقي الله وخافيه فان لي عليك حقا وارجى عما انت عليه واعلى ان طاعتى فرض عليك ونحو ذلك فان اصرت على ذلك هجرنا في المضجع وهو قوله تعالى (واهجر وهن في المضاجع) يعني ان لم يزنهن من ذلك بالقول فاهجر وهن في المضجع قال ابن عباس هوان يوليها ظهره في الفراش ولا يكلهما * وقيل هوان يمتثل عنها الى فراش آخر (واضر بوهن) يعني ان لم يزنهن بالهجران فاضر بوهن يعني ضربا غير مبرح ولا شام * قيل هوان يضربها بالسواك ونحوه * وقال الشافعي الضرب مباح وتركه افضل عن عمرو بن الاحوص انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يقول بعد ان جد الله واثني عليه وذكرو وعظ فذكر في الحديث قصة فقال الا فاستوصوا بالنساء خيرا فاتمهن هوان عندكم ليس تملكون منهن شيا غير ذلك الا ان يأتين بفاحشة مبينة فان فعلن فاهجر وهن في المضجع واضربوهن ضربا غير مبرح فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا اخرجه الترمذي زيادته * قوله هوان جمع طائفة اى اسيرة شبه المرأة ودخلها تحت حكم زوجها بالاسير * والضرب المبرح الشديد الشاق * وقوله (فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) اى لا تطلبوا عليهن طريقة تتجهون بها عليهن اذ اقرن بواجب حقكم * عن حكيم بن معاوية عن ابيه قال قلت يا رسول الله ما حق زوجة احدنا عليه قال ان تطعمها اذ اطعمت وتكسوها اذا اكتسبت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تجبر الا الى البيت اخرجه ابو داود * قوله ولا تقبح اى لا تغفل فمك الله (ق) عن عبد الله بن زمة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلد احدكم امرأته بجلد العبد ثم لعله يجامعها او قال يضاجعها من آخر اليوم * عن اياس بن عبد الله بن ابي ذئاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تضربوا النساء فجاء عمر اى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال زبرت النساء على ازواجهن فرخص في ضربهن فاطاف بالرسول الله صلى الله عليه وسلم نساء كثير يشكون ازواجهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد طاف بال محمد نساء كثير يشكون ازواجهن ليس اولئك بخياركم اخرجه ابو داود * اياس بن عبد الله هذا قد اختلف في صحبته وقال البخارى لا يعرف له صحبة * قوله زبرت المرأة على زوجها اذا نشزت واجترأت عليه * واطاف بالرسول صلى الله عليه وسلم نساء كثير * الاحاديث دليل على ان الاولى ترك الضرب للنساء فان احتاج الى ضربها لتأديب فلا يضربها ضربا شديدا ولكن ذلك مفرقا لا يوالى بالضرب على موضع واحد من بدنها ولينق الوجه لانه يجمع الحسن ولا يبلغ بالضرب عشرة اسواط * وقيل ينبغي ان يكون الضرب بالمندبل والبدول لا يضرب بالسوط والعصا وبالجملة بالتخفيف بابلغ ثنى * اولى في هذا الباب * واختلف العلماء فقال بعضهم حكم الآية مشروع على الترتيب فان ظاهر اللفظ وان دل على الجمع الا ان مجرى الآية يدل على الترتيب * قال علي بن ابي طالب رضى الله تعالى عنه يعطها بلسانه فان انتهت فلا سبيل له عليها فان ابت هجر مضجعا فان ابت ضربها فان لم تنطق بالضرب بعث الحكم وقال آخرون هذا الترتيب مراعى عند خوف النشوز

صفاته صفات نفوسهم
(ومن ياجر في سبيل الله)
اي قار النفس المألوفة
في سبيل طريق الحق بالعزيمة
(بحدف الارض مرغا كثيرا)
في ارض استعداده مهاجر
ومساكن ومنازل كثيرة
فيها رغم أنوف قوى نفسه
الوهمية والخيالية والبهيمية
والسبعية واذلالها (وسعة)
وانثرا حافى الصدر عند
الخلاص من ضيق صفات
النفس وأسرها الهوى (ومن
يخرج) من المقام الذي هو
فيه سواء كان مقر استعداده
الدى جبل عليه أو منزلا
من منازل النفس أو مقاما
من مقامات القلب (مهاجرا
الى الله) بالتوجه الى توحيد
الذات (ورسوله) بالتوجه
الى طلب الاستقامة في توحيد
الصفات (ثم يدرك الموت)
الانقطاع قبل الوصول
(فقد وقع أجره على الله)
بحسب ما توجه اليه فان
التوجه الى السلوك له أجر
المزل الذى وصل اليه
أهى المرتبة من الكمال الذى
حصل له ان كان واجرا المقام
الذى وقع نظر عليه وفقد
فان ذاك الكمال وان لم
يحصل بحسب الملاك
والقدم لكنه اشتاق اليه
بحسب القصد والنظر فحسب

ان يؤيده التوفيق بعد
ارتفاع الجلب بالوصول
اليه (وكان الله غفورا)
يفرله ما يمنعه من قصده
من المونغ (رحما) برحه
بان يهب له الكمال الذي
توجه اليه ووقع نظره عليه
* (واذا ضرتم في الارض)
واذا سافرت في ارض
الاسعداد بالطريق العلى
لطلب اليقين (فليس عليكم
جناح ان تقصروا) من
الصلاة اى تقصوا من
الاعمال البدنية واداء
حقوق العبودية من الشكر
والحضور لقوله عليه
الصلاة والسلام من أوى
حظه من اليقين فلا يبالى بما
انقص من صلاته وصومه
(ان خفتم ان يفتنكم) اى
يفويكم ويضللكم (الذين
كفروا) اى سجدوا من
قوى الوهم والخيال
وشياطين الانس الضالين
المضلين لماعلم من قوله
صلى الله عليه وسلم لقيه
واحد اشد على الشيطان
من الف باء (ان الكافرين
كانوا لكم عدوا مبينا واذا
كتم فيهم فاقم لهم الصلوة
فلتقم طائفة منهم معك
وليأخذوا اسلحتهم فاذا
سجدوا فليكونوا من ورائكم
ولتأت طائفة اخرى

اما عند تحقق النشوز فلا بأس بالجمع بين الكل * وقيل ازاله ان يعظها عند خوف النشوز وهل له ان
يعبر هافيه احتمال ذلك وله عند ظهور النشوز ان يعظها وان يعبرها او يضربها * عن عمر رضى الله تعالى
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يسل الرجل فيم ضرب امرأته اخرجته ابوداود (ق)
عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا الرجل امرأته الى فراشه فابت ان تجي
فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح وفى رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذى
نفسى يدها من رجل يدعها امرأته الى فراشه فتأبى عليه الا كان الذى فى السماء ساخا عليها حتى
يرضى عنها وفى رواية اذا باتت مع امرأة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح وفى اخرى حتى
ترجع * عن طلق بن على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دعا الرجل امرأته الى حاجة فلتأته
وان كانت على التنور اخرجته الترمذى * اوله من عاذن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا الا فأت زوجته من الحور العين لا تؤذيه فأتك الله فانما هو دخیل
عندك يوشك ان يارقك البناء وله من امسلة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا امراء ماتت
وزوجها راض عنها دخلت الجنة * وقوله تعالى فان اطعنكم بعضى فأنرجمن عن النشوز
الى طاعتكم عند هذا التأديب فلا تبغوا عليهم سبيلا يعنى فلا تطلبوا عليهم الضرب والهجران على
سبيل التعنت والايذاء * وقيل معناه ازيلوا عنهم التعرض بالاذى والتوبخ ولا تبغوا عليهم
الذنوب * وقيل معناه لا تكلفوهن محبتكم فان القلب ليس بايديهن (ان الله كان عليا كبيرا) العلى
فى صفة الله تعالى معناه الرفيع الذى يعلو عن وصف الواسفين ومعرفة العافين * العلى بالاطلاق الذى
يستحق جميع صفات المدح * والكبير هو المستغنى عن غيره وذلك هو الله تعالى الموصوف بالجلال
والعظمة والكبرياء وكبر الشأن الذى يصغر كل احد لكبريائه وعظمته تعالى * والمعنى ان الله متعال
من ان يكلف عباده ما لا يطيقونه * وقيل ان النساء وان ضعفن عن دفع ظلم الرجال عهن فان الله
على تكبير قادر على ان ينتصف لهن من ظلمهن من الرجال * وقيل معناه ان الله مع علوه وكبريائه يقبل توبة
العاصي اذا تاب ويفرله فاذا تاب المرأة من نشوزها فالاولى بكم ان تقبلوا توبتها وتتركوا
معابرتها واعلوا ان قدرته عليكم اعظم من قدرتكم على من تحت ايديكم فأنتم احق بالغو
عن جنى عليكم * قوله تعالى (وان خفتم) يعنى وان علمتم وتيقنتم وقيل معناه الظن
اى ظنتم (شقاق بينهما) يعنى بين الزوجين واصل الشقاق المخالفة وكون كل واحد من
المخالفين فى شق غير شق صاحبه او يكون اصله من شق العصا وهو ان يقول كل واحد من
الزوجين ما يشق على صاحبه سماعه وذلك انه اذا ظهر بين الزوجين شقاق ومخالفة واشتبه
حاله ما لم يفعل الزوج الصلح ولا الصغح ولا الفرقة وكذلك الزوجة لا تؤدى الحق ولا الفدية وخرجها
الى ما لا يجل قولها فضلا * وقوله تعالى (فابشوا حكما من اهله وحكما من اهلها) اختلفوا
فى الخطابين بهذا ومن المأثور بعثة الحكمين * فقيل الخطاب بذلك هو الامام او نائبه لان تنفيذ الاحكام
الشرعية اليه وقيل الخطاب بذلك كل احد من صالحى الامة لان قوله تعالى فابشوا خطاب الجمع وليس
جله على البعض اولى من جلّه على البقية فوجب جلّه على الكل فعلى هذا يجب ان يكون امر الآحاد
الامة سواء وجد الامام او لم يوجد فلا صالحين ان يعشوا حكما من اهله وحكما من اهلها وايضا
فهذا يجرى مجرى دفع الضرر فلكل واحد ان يقوم به * وقيل هو خطاب للزوجين فاذا حصل

بينهما شقاق بعثا حكيمين حكما من اهله وحكما من اهلها (ان يريدوا اصلاحا) يعني الحكيمين
وقيل الزوجين (يوفق الله بينهما) يعني بالصلاح والالفة روى الشافعي بسنده عن علي بن ابي
طالب رضي الله تعالى عنه انه جاءه رجل وامرأة ومع كل واحد منهما قمام من الناس فقال
علام شأن هذين قالوا وقع بينهما شقاق قال علي فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ثم قال
للكميين تدريان ما عليكم عليهما ان رأيتما ان تجمععا جعتما وان رأيتما ان تفرقا فرقتما فقالت المرأة
رضيت بكتاب الله بما علي فيه ولي وقال الرجل اما الفرقة فلا قال علي كذبت والله حتى تقر بمثل
ما اقرت به قال الشافعي والمستحب ان يعث الحاكم عدلين ويعلمهما حكيمين والاولى ان يكون
واحد من اهله وواحد من اهلها لان اقرار بهما اعرف بحالهما من الاجانب واشد طلبا للاصلاح
فان كانا اجنيين جاز وقائدة الحكمين ان كل واحد منهما يخلو بصاحبه ويستكشف حقيقة الحال
ليعرف ان رغبته في الاقامة على النكاح اوفى المفارقة ثم يجتمعان فيفعلان ما هو الصواب من
اتفاق او طلاق او خلع * والحكمان وكيلان للزوجين وهل يجوز لهما تنفيذ امر يلزم الزوجين
دون رضاها واذنهما في ذلك مثل ان يطلق حكم الرجل او يشتدي حكم المرأة بشئ من مالها
* فللشافعي في ذلك قولان * احدهما انه لا يجوز الا برضاها وليس لحكم الزوج ان يطلق الاباذنه
ولاحكم المرأة ان يختلع بنى من مالها الاباذنه وهو مذهب ابي حنيفة واحد لان عليا توقف
حين لم يرض الروح وذلك حين قال اما الفرقة فلا فقال له على كذبت حتى تقر بمثل ما اقرت به
فتبت ان تنفيذ الامر موقوف على اقراره ورضاها ومعنى قول علي للزوج كذبت اى لست
بمصف في دعواك حيث لم تقر بمثل ما اقرت به من الرضا بحكم كتاب الله لها وعليها والقول
الثاني انه يجوز بعث الحكمين دون رضاها ويجوز لحكم الزوج ان يطلق دون رضاها وحكم
الزوجة ان يختلع دون رضاها اذا رآيا الصلاح في ذلك كالحاكم بحكم بين الخصمين وان لم يكن
على وفق مرادها وبه قال مالك ومن قال بهذا القول قال ليس المراد من قول علي للزوج
حتى تقر ان رضا شرط بل معناه ان المرأة لما رضيت بما في كتاب الله تعالى فقال الرجل اما الفرقة
فلا يعني لست بالفرقة في كتاب الله فقال له على كذبت حيث انكرت ان تكون الفرقة في كتاب الله بل هي
في كتاب الله فان قوله تعالى يوفق الله بينهما يشتمل على الفراق وعلى غيره لان التوفيق ان يخرج
كل واحد منهما من الاثم والوزر ويكون تارة ذلك بالفراق وتارة بصلاح حالهما في الوصلة
* وقوله تعالى (ان الله كان عليا خيرا) يعني ان الله تعالى يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع
بين المتفرقين وفيه وعيد شديد للزوجين والحكمين ان سلكوا غير طريق الحق * قوله عز وجل
(واعبدوا الله) يعني وحدوه والطيعوا وعبادة الله تعالى عبارة عن كل فعل يأتي به العبد لجرد الله
تعالى ويدخل فيه جميع اعمال القلوب واعمال الجوارح (ولا تشرکوا به شيا) يعني واخلصوا له
في العبادة ولا تجعلوا له في الربوبية والعبادة شريكا لان من عبد مع الله غيره او اراد بعمله غير الله
فقد اشرك به ولا يكون مخلصا (ق) عن معاذ بن جبل قال كنت رديف رسول الله صلى الله
عليه وسلم على حمار يقال له غدير او اسمه يعفور فقال يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده وما
حق العباد على الله قلت الله ورسوله اعلم قال فان حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيا

لم يصلوا فليصلوا معك
رأيا أخذوا حذرهم واسلمتهم
وذا الذين كفروا الوتقلون
من اسلمتكم وامتنكم
فيملون عليكم ميلة واحدة
ولا جناح عليكم ان كان بكم
اذى من مطراو كنتم مرضى
ان تضعوا اسلمتكم وخذوا
حذرکم ان الله اعد للكافرين
هذا مهينا فاذا قضيت
الصلوة فاذكروا الله قياما
وقعودا وعلی جنوبکم فاذا
اطمأنتم فاقبوا الصلوة
ان الصلوة كانت على
المؤمنين كتابا موقوتا ولا
تمنوا في ابتغاء القوم ان
تكونوا تاملون فانهم ياملون
كما تاملون وترجون من الله
مالا رجون وكال الله عليا
حكيميا اما انزلنا اليك الكتاب
بالحق (تحکم بين الناس
اى علم تفاصيل الصفات
واحكام تجلياتها بالحق
ملتسما بالعدل والصدق
او قائما بالحق لا بنفسك
تكون حاكما بين الخلق
(بما اراد الله) من عدله
(ولا تكن للساثنين) الذين
لا يؤدّون امانة الله التي
اودعها عندهم في الازل
بما ركز في استعدادهم من
الانوار كال معرفته وخانوا
انفسهم وغيرهم بنهب
حقوقهم وصرفها في غير

وحق العباد على الله ان لا يعذب من لا يشرك به شيئاً فقلت يا رسول الله افلا ابشر الناس قال لا تبشروهم
 فينكسوا قوله هل تدري ما حق الله على عباده معناه ما يستحقه مما اوجبه وجعله محتسماً عليهم ثم
 فسر ذلك الحق بقوله ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وقوله وما حق العباد على الله انما قال
 حقهم على سبيل المقابلة لحقه عليهم لانهم يستحقون عليه شيئاً ويجوز ان يكون من قول الرجل
 لصاحبه حقك على واجب اى متأكداً كقياى به * وقوله افلا ابشر الناس الخ انما قال لا تبشروهم
 فينكسوا لانه صلى الله عليه وسلم رأى ذلك اصلح لهم واخرى ان لا ينكسوا على هذه البشارة ويتركوا
 العمل الذى ترفع لهم به الدرجات فى الجنة * وقوله تعالى (وبالوالدين احساناً) تقديره واحسنوا
 بالوالدين احساناً يعنى رآ بهما وعطفا عليهما وانما قرن بر الوالدين بعبادته وتوحيده لئلا يكدحهما
 على الولد واعلم ان الاحسان الى الوالدين هو ان يقوم بخدمةتهما ولا يرفع صوته عليهما وبسعى
 فى تحصيل مرادهما والاتفاق عليهما بقدر القدرة (ق) عن ابى هريرة قال جاء رجل الى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من احق الناس بحسن صحابتي قال امك قال ثم من قال ثم
 امك قال ثم من قال ثم امك قال ثم من قال امك ثم ابوك وفى رواية قال امك ثم امك ثم ابوك ثم ابوك
 فادناك قوله ثم ابوك فيه حذف تقديره ثم برأبك (م) عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يقول رغم انفه رغم انفه قيل من يا رسول الله قال من ادرك والديه عند الكبر
 اواحدهما ثم لم يدخل الجنة * قوله تعالى (وبذى القربى) اى واحسنوا الى ذى القرابة وهو
 ذو رحه من قبل ابيه وامه (ق) عن انس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقول من سره ان يبسط له فى رزقه وينسأله فى اثره فليصل رحمه * قوله
 ينسأله فى اثره يعنى يؤخر له فى اجله وعمره * وقوله تعالى (واليتامى والمساكين) اى واحسنوا
 الى اليتامى وانما امر بالاحسان اليهم لان اليتيم مخصوص بنوعين من العجز الصغر وعدم المشفق
 والمسكين هو الذى ركه ذل الفاقة والفقر فتمسكن لذلك (خ) عن سهل بن سعد قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا واثار بالسباية والوسطى وفرج بينهما شيئاً
 (ق) عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الساعى على الارملة والمسكين كالمجاهد
 فى سبيل الله واحسبه قال وكالقائم الذى لا يفتر وكالنائم لا يفطر * وقوله تعالى (والجار
 ذى القربى والجار الجنب) اى واحسنوا الى الجار ذى القربى وهو الذى قرب جواره منك والجار
 الجنب هو الذى بعد جواره عنك وقيل الجار ذى القربى هو القريب والجار الجنب هو الاجنبى الذى
 ليس بينك وبينه قرابة (ق) عن ابن عمر رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت انه سيورثه وعن عائشة مثله (خ) عن عائشة
 رضى الله تعالى عنها قالت قلت يا رسول الله انلى جارين فالى ايها اهدى قال الى اقربهما بابا
 منك (م) عن ابى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابذر اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها
 وتعاهد جيرانك وفى رواية قال اوصانى خليلي صلى الله عليه وسلم قال اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها
 ثم انظر الى اهل بيت من جيرانك فاصبهم منها بمعروف (ق) عن ابى هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
 قال والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل من يا رسول الله قال الذى لا يأمن جاره بوائقه * ولمسلم
 لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه * البوائق التوائل والشورور (ق) عنه قال قال رسول الله

وجها (خصياً) يدفع عنهم
 العذاب وتسلط الله الخلق
 عليهم بالايذاء ويخرج عنهم
 على غيرهم او على الله
 بالاعتراض بأنه لم يخذلهم
 وقهرهم فانهم الظالمون
 لاجلهم بل الجنة عليهم
 (واستغفر الله) لتقسط بترك
 الاعتراض والاحتجاج
 عنهم لغفر تلو ينك الذى

صلى الله عليه وسلم يأنس المؤمنات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة معناه ولو ان تهدي اليها فرسن شاة وهو الظلف واراد به الشيء الخفي (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت * وقوله تعالى (والصاحب بالجنب) قال ابن عباس هو الرفيق في السفر * وقيل هي المرأة تكون معك الى جنبك * وقيل هو الذي يصحبك رجاء نفعك * عن عبدالله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الاصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره اخرجه الترمذى وقال حديث حسن * وقوله تعالى (وابن السيل) يعنى المسافر المجتاز بك الذين قد انقطع به وقال الاكثرون المراد بابن السيل الضيف بمركب فتكرمه وتحسن اليه (ق) عن ابى شريح خويلد بن عمر والعدوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته قالوا وما جائزته يا رسول الله قال يومه وليته والضيافة ثلاثة ايام فاكان وراء ذلك فهو صدقة عليه وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت زاد في رواية ولا يحل لرجل مسلم ان يقيم عند اخيه حتى يؤثمه قالوا يا رسول الله وكيف يؤثمه قال يقيم عنده ولا شيء عنده يقربه به * قوله جائزته يومه وليته الجائزة العطية اى يقرى الضيف ثلاثة ايام ثم يعطيه ما يجوز به من منهل الى منهل * وقيل هو ان يكرم الضيف فاذا سافر اعطاه ما يكفيه يوما وليلة حتى يصل الى موضع آخر * وقوله ان يقيم عند اخيه حتى يؤثمه اى يوقه فى الاثم لانه اذا اقام عنده ولم يقره اثم بذلك * وقوله تعالى (وما ملكت ايمانكم) يعنى الممالك فاحسنوا اليهم والاحسان اليهم ان لا يكلفهم ما لا يطيقون ولا يؤذ بهم بالكلام الخشن وان يعطيهم من الطعام والكسوة ما يحتاجون اليه بقدر الكفاية * عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة سبي الملكة اخرجه الترمذى * عن رافع بن مكبان النخعي صلى الله عليه وسلم قال حسن الملكة تمام وسوء الخلق شؤم اخرجه ابوداود * وله من على بن ابى طالب قال كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم الصلاة الصلاة اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم (ق) عن المعمر بن سويد قال رأيت اباذر عليه حلة وعلى غلامه حلة مثلها فأسأله عن ذلك فذكر انه سابر رجلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فميره بامه فاقى الرجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك امرؤ فبك جاهلية قلت على ساعتي هذه من كبر السن قال نعم هم اخوانكم وخولكم جعلهم الله تحت ايديكم فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ويلبسه بما لبس ولا تكلفوه ما يغلبهم فان كلفتموهم فاهينوهم عليه * وقوله تعالى (ان الله لا يحب من كان مختالا) المختال المتكبر العظيم فى نفسه الذى لا يقوم بحقوق الناس (فتمورا) الفخور هو الذى يفخر على الناس ويعد مناقبه تكبرا وتطاولا على من دونه * وقيل هو الذى يفخر على عباد الله بما اعطاه الله من نعمه ولا يشكره عليها * وانما ختم الله هذه الآية بهذين الوصفين المذمومين لان المختال الفخور يأنف من اقاربه الفقراء ومن جيرانه الضعفاء فلا يحسن اليهم ولا يلوى بنظره عليهم ولان المختال هو المتكبر ومن كان متكبرا فلا يقوم بحقوق الناس (ق) عن ابن عمر ان رسول الله

ظهر عليك بوجود قلبك وبصفاته (ان الله كان غفورا رحاما ولا يجادل) لهرتا وبه من هذا (من الذين يختارون انفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا اثما يستخفون من الناس) بكتان رذائلهم وصفات نفوسهم التى هى معاصيهم عنهم (ولا يستخفون من الله

صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة الى من جرتوبة خيلاء (ق) عن ابي هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة الى من جرازاره بطرا (ق) عن ابي هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل يمشى في حلة تعجبه نفسه مر رجل جتته يختال في مشيته اذ خسف الله به فهو يتججل الى يوم القيامة (خ) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل من كان قبلكم يجرازاره من الخيلاء خسف به فهو يتججل في الارض الى يوم القيامة (ق) عن ابي هريرة رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسوا الله صلى الله عليه وسلم يقول الفخر والخيلاء في القدادين من اهل الوبور والسكينة في اهل الغنم القدادون هم الفلاحون والحراثون واصحاب الابل والبقر المستكثرون منهما المتكبرون على الناس بهما * قوله عز وجل (الذين يخلون ويأمرون الناس بالبخل) نزلت في اليهود الذين يخلوا ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم فكتموها * وعلى هذا يكون المراد بالبخل كتمان العلم * وقال ابن عباس نزلت في كردم بن زيد وحبي بن اخطب ورقاعة بن زيد بن التابوت واسامة بن حبيب ونافع بن ابي نافع ويحيى بن عروة كانوا يأتون رجلا من الانصار ويخاطبونهم يقولون لهم لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون فانزل الله عز وجل هذه الآية * وقيل يحتمل ان يكون المراد بالبخل كتمان العلم ومنع المال لان البخل في كلام العرب منع السائل من فضل ماله واما ماك المتقين وفي الشرح البخل عبارة عن امساك الواجب ومنعه واذا كان ذلك امكنا حله على منع المال ومنع العلم (ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) يعنى اليهود كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وما عندهم من العلم وقيل هم الاغنياء الذين كتموا الفنى واظهروا الفقر ويخلوا بالمال (واعتدنا للكافرين) يعنى الجاحدين نعمة الله عليهم (عذابا مهينا) يعنى في الآخرة عن ابي سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق اخرجه الترمذى وقال حديث غريب * قوله عز وجل (والذين ينفقون اموالهم رياء الناس) يعنى للفخار والسمة وليقال ما اسماهم وما اجودهم لا يريدون بما تنفقوا وجهه الله تعالى (م) عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك بهى فيه غيرى تركته وشركه * نزلت هذه الآية في اليهود * وقيل في المنافقين لان الرياء ضرب من الفساق * وقيل نزلت في مشركى مكة المنافقين اموالهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولا يؤمنون بالله واليوم الآخر) يعنى ولا يصدقون بتوحيد الله ولا بالمعاد الذى فيه جزاء الاعمال انه كائن (ومن يكن الشيطان له قرينا فسا قرينا) يعنى من يكن الشيطان صاحبه وخليله فبئس صاحب وبئس الخليل الشيطان وانما اتصل الكلام هنا بذكر الشيطان تقريرا لهما على طاعة الشيطان * والمعنى من يكن علمه بما سؤل له الشيطان فبئس العمل عمله * وقيل هذا في الآخرة يحصل الله الشياطين قراءهم في النار يقرن مع كل كافر شيطان في سلسلة من النار ثم وبخهم الله تعالى وغيرهم على ترك الايمان فقال تعالى (وماذا عليهم) يعنى واى شئ عليهم واى وبال وبتعة تلهمهم (لوا آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مآرزهم الله) اى اى وبال عليهم في الايمان بالله والاتفاق في سبيله وابتغاء مرضاته (وكان الله بهم عليما) يعنى لا يخفى عليه شئ من اعمال هؤلاء الذين ينفقون اموالهم لاجل الرياء والسمة وفيه وعيد وتهديد لهم * قوله عز وجل (ان الله لا يظلم منقلا ذرة)

وهو مهم) بازائها وقلها
وهو شاهدهم يعلم بواطنهم
(اذ يبيتون) اى يقدرون
في طلم ظلة النفس والطبيعة
(ما لارضى من القول)
من الوهميات والتخيلات
الفاصلة التى يلفقونها
في تحصيل اغراضهم من
حطام الدنيا ولذاتها
(وكان الله بما يعملون محيطا)

نظم الكلام وماذا عليهم لو آمنوا وانفقوا فان الله لا يظلم ولا يبغض ولا ينقص احدا من ثواب عمله
مثقال ذرة بمعنى وزن ذرة وقال ابن عباس الذرة رأس نملة جرم وقيل الذرة كل جزء من
اجزاء الهباء الذي يكون في الكوة اذا كان فيها ضوء الشمس لا وزن لها وهذا مثل ضربه الله تعالى
لاقل الاشياء والمعنى ان الله تعالى لا يظلم احدا شيئا من قليل ولا كثير فخرج الكلام على اصغر شيء
يعرفه الناس (وانك حسنة يضاهفها) بمعنى الحسنات بعشر امثالها وقيل هذا عند الحساب فمن بقي له
من الحسنات مثقال ذرة ضاهفها الله له الى سبعمائة والى اجر عظيم قال قتادة لان تفضل حسنتي
على سياتي بمثقال ذرة احب الى من الدنيا وما فيها (م) عن انس بن مالك في قوله تعالى ان الله لا يظلم
مثقال ذرة وانك حسنة يضاهفها قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يظلم مؤمنا
حسنة يعطى بها في الدنيا ويحجزى بها في الآخرة واما الكافر فيعطى بحسنات قد عمل بها في الدنيا
حتى اذا افضى الى الآخرة لم تكن له حسنة يحجزى بها * عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى سيخلص رجلا من امتي على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر له
تسعة وتسعون سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول اتكبر من هذا شيئا اظلك كبتى
الحافظون فيقول لا يارب فيقول اقلك عذر فيقول لا يارب فيقول تعالى بلى انك عندنا
حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها اشهدان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده
ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فقال فانك لا تظلم
فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل
مع اسم الله شيء اخرجه الترمذي (ق) عن ابى سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم يضرب الجسر على جهنم وتحمل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قبل يارسول الله وما
الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلايب وحسكة تكون ببجدها شويكة يقال لها السعدان
فير المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكالوايد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش
مرسل ومكدوش في نار جهنم حتى اذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما من احد منكم
بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيام لاخوانهم الذين في النار وفي رواية فانتم
بأشد مناشدة في الحق قد تبين لكم من المؤمنين يومئذ الجبار اذا رآهم قد نجوا خوفا في اخواتهم يقولون
ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم اخرجوا من عرقيم فحرم صورهم على النار
فيخرجون خلقا كثيرا قد اخذت النار الى نصف ساقيه والى ركبته ثم يقولون ربنا ما بقي فيها احد
من امرئنا فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا
ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا من امرئنا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار
من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها من امرئنا احدا ثم يقول ارجعوا
فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها
خيرا وكان ابو سعيد يقول ان لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وانك
حسنة يضاهفها ويؤت من لذه اجرا عظيما فيقول الله تبارك وتعالى شفعت الملائكة وشفعت النبيون
وشفعت المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوم لم يعملوا خيرا قط
قد عادوا جحما فيلقبهم في نهر في افواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كأنهم خرج الحبة في حبل السيل
الاترونها تكون الى البحر والى البحر ما يكون الى الشمس اصفر واخضر وما يكون منها الى الظل

يجازيهم بحسب صفاتهم
واعالهم (ها انتم هؤلاء)
ظاهر مأمرا (جادتم عنهم
في الحياة الدنيا فمن يحادل الله
عنهم يوم القيامة ام من يكون
عليهم وكيل او من يعمل سوا)
يظهر وصفة من صفات نفسه
(او يظلم نفسه ثم يستتر الله)
بنقص شيء من كالاته التي
هي مقتضى استعداد

يكون ايض فقالوا يا رسول الله كأنك كنت ترى بالبادية قال فيخرجون كالؤلؤ في رقابهم انخواتم
 يعرفهم اهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين ادخلهم الله الجنة بغير عمل غلوه ولا خير قدموه ثم يقول
 ادخلوا الجنة فارأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا اعطينا ما لم تعط احدا من العالمين فيقول لكم
 عندي افضل من هذا فيقولون ربنا أي شيء افضل من هذا فيقول رضاي فلا احتط عليكم بعده
 ابد اللفظ مسل وهو بعض حديث وقال بعضهم هذه الآية واردة في الخصوم ويدل عليه ما روى
 عن عبد الله بن مسعود قال اذا كان يوم القيامة جمع الله الاولين والآخرين ثم نادى مناد من عند الله
 الامن كان يطلب مظلة فليجي الى حقه فليأخذها قال فيفرح المرء ان يكون له الحق على والده او ولده
 او زوجته او اخيه فياخذ منه وان كان صغيرا ومصدق ذلك في كتاب الله تعالى قوله تعالى فاذا نفخ
 في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ويؤتى بالعبد وينادى مناد على رؤس الاولين
 والآخرين هذا فلان بن فلان من كان له عليه حق فليأت الى حقه ثم يقال له آت هؤلاء حقوقهم فيقول
 اي رب من اين وقد ذهبت الدنيا فيقول الله تبارك وتعالى لللائكة انظروا في اعماله الصالحات فأعطوهم
 منها وان بقي مثقال ذرة من حسنة قالت الملائكة يا ربنا وهو اعلم بذلك اعطينا كل ذي حق حقه وبقى له
 مثقال ذرة من حسنة فيقول للملائكة ضعفوها لعبدي وادخلوه بفضل رحمتي الجنة ومصدق
 ذلك في كتاب الله ان الله لا يظلم مقال ذرة وان لك حسنة بضاعفها ويؤتى من لدنه اجرا عظيما اي
 الجنة وان كان عبدا شقيقا قالت الملائكة آلهنا فنيت حسناته وبقى طالبون كثير فيقول الله تبارك وتعالى
 خذوا من سيئاتهم فاضيفوها الى سيئاتهم اكتبوا له كتابا الى الدار اخرج به البغوى بغير سند عن ابن
 مسعود موقوفا عليه واسنده ابن جرير الطبري عن ابن مسعود فعني الآية على هذا التأويل ان الله لا يظلم
 من قال ذرة للخصم على خصمه بل يأخذها له منه ولا يظلم من قال ذرة تبقى له بل ينبيه عليه او يضاعفها له
 فذلك قوله تعالى وان لك حسنة بضاعفها اي يجعلها اضعا فاكثيرة (ويؤتى من لدنه) يعني من عنده
 (اجرا عظيما) يعني الجنة والمعنى ويعطى من عنده اجرا عظيما يعني عوضا من حسنة وذلك العوض
 هو الجنة وقال ابو هريرة اذا قال الله عز وجل اجرا عظيما فن بقدر قدره * قوله تعالى (فكيف اذا جئنا
 من كل امة بشهيد) يعني فكيف يكون حال هؤلاء المشركين والمنافقين يوم القيامة اذا جئنا من كل امة
 بشهيد قال ابن عباس يريد بنبيها والمعنى انه يؤتى نبي كل امة بشهيد عليها ولها (وجنتها) يا محمد (على
 هؤلاء شهداء) يعني تشهد على هؤلاء الذين سمعوا القرآن وخوطبوا به بما عملوا (ق) عن ابن مسعود
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ على القرآن فقلت يا رسول الله اقرأ عليك وعليك
 أنزل قال اني احب ان اسمع من غيري قال فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت الى هذه الآية
 فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجنتهاك على هؤلاء شهداء قال حسبك الآن قال فالتفت اليه
 فاذا عيناه تدرقان زاد مسل شهيدا مادمت فيهم اوقال ما كنت فيهم شك احد رواه * وقوله تعالى
 (يومئذ) يعني يوم القيامة (يود) اي يتنى (الذين كفروا) يعني جحدوا وحادثة الله تعالى
 (وعصوا الرسول) يعني فيما امرهم به من توحيد الله عز وجل (لوتسوى بهم الارض) يعني
 لو صاروا فيها وسويت عليهم وقبل انهم ودوا ان لن يعجزوا لانهم انما كانوا في الارض وهي
 مستوية عليهم وقال الكلبي يقول الله تعالى للبهائم والوحوش والطيور والسباع كوني ترابا
 فتسوى بهن الارض فند ذلك يتنى الكافر لو يكون ترابا (ولا يكتنون الله حديا) قال ابن عباس

تقصير فيه وارتاب عمل
 ينافيه ثم يطلب من الله ستر
 تلك الصفة والهيئة الساترة
 لكمالها بالتوجه اليه والتوصل
 عن الذنب (بمجد الله ففورا)
 يستر ذلك السوء والهيئة المظلمة
 بنور صفته (رحيما) يهب
 ما يقتضيه استعداد (ومن)
 يكسب خطيئة (بظهور

في رواية عطاء وذا لوتسوى بهم الارض وانهم لم يكونوا كتموا امر محمد صلى الله عليه وسلم ولا كفروا به ولا ناقوه فعلى هذا القول يكون الكتمان ما كتموا في الدنيا من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونسته هو كلام متصل بما قبله وقيل هو كلام مستأنف قال سعيد بن جبيرة سأل رجل ابن عباس فقال اني اجد في القرآن اشياء تختلف على هات ما يختلف عليك قال منها قوله تعالى ولا يكتنون الله حديثا ومنها قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين فقد كتموا فقال بغفر الله تعالى لاهل الاسلام ذنوبهم ويدخلهم الجنة فيقول المشركون تعالوا نقول ما كنا مشركين فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين رجاء ان يغفر لهم فيختم على افواههم وتنطق ايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون فعند ذلك عرفوا ان الله لا يكتم حديثا وعنده يود الذين كفروا وعصوا الرسول لوتسوى بهم الارض فلا يختلف عليك القرآن فان كلاما من عند الله وقال الحسن انها موطن في موطن لا يتكلمون ولا تسمع الا همسا وفي موطن يتكلمون ويكذبون ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين وما كنا نعمل من سوء وفي موطن يعترفون على انفسهم وهو قوله تعالى فاعترفوا بذنوبهم وفي موطن لا يتساءلون وفي موطن يسألون الرجعة وآخر تلك المواطن ان يختم على افواههم وتنكلم جوارحهم فهو قوله تعالى ولا يكتنون الله حديثا قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى) جمع سكران (حتى تعلموا ما تقولون) سبب نزول هذه الآية ما روى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال صنع لنا ابن عوف طعاما فداونا فاكلنا وسقانا خرا قبل تحريم الخمر فاخذت منا وحضرت الصلاة فقدموني فقرأت قل يا ايها الكافرون اعبدوا ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون قال فخلطت قزلت لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون اخبره الترمذي وقال حديث حسن غريب واخرجه ابوداود ولفظه ان رجلا من الانصار دماه وعبدالرحمن بن عوف فسقاها قبل ان تحرم الخمر فحضرت الصلاة قائمهم على في المغرب فقرأ قل يا ايها الكافرون فخلط فيها قزلت الآية لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون وروى ابن جرير الطبري عن ابن عباس ان رجلا كانوا يأتون الصلاة وهم سكارى قبل ان تحرم الخمر فقال الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى الآية فعلى هذا في المراد بالصلاة قولان احدهما انه نفس الصلاة ذات الركوع والسجود وهو قول الاكثرين والمعنى لا تصلوا وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون والقول الثاني ان المراد بالصلاة موضع الصلاة وهو المسجد واطلاق لفظ الصلاة على المسجد محتمل فيكون من باب حذف المضاف والمعنى لا تقربوا مواضع الصلاة وانتم سكارى وحذف المضاف جائز سائغ ويدل عليه قوله تعالى لهدمت صوامع وبيع وصلوات والمراد بالصلوات مواضعها ثبت ان اطلاق لفظ الصلاة والمراد موضعها جائز واطلاق هذا النهي عن قربان الصلاة في حالة السكر انما كان قبل تحريم الخمر فكانوا يشربونها في غير اوقات الصلاة ثم نزل تحريم الخمر بعد ذلك ونهضت هذه الآية وقال الضحاك المراد بالسكر سكر النوم يعني لا تقربوا الصلاة عند غلبة النوم ويدل عليه ما روى عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا نفس أحدكم وهو يصل فليرقد حتى يذهب عنه النوم فان أحدكم اذا صلى وهو ناعس لا يدري لعله يذهب يستغفر ربه فيسب نفسه أخرجه في الصحيحين وقوله تعالى (ولا جنبا) يعني لا تقربوا الصلاة وانتم جنب والجنب يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جري مجرى

نفسه (او انما) يحو ما في استعداده وكسب هيئة منافية لكماله (ثم يرميه برثسا) بان قال جلتي على ذلك فلان ومنعني من طلب الحق فلان وهذا جريمة فلان كما هو عادة المتعاليين بالاعذار (فقد احتمل بهتاناً) بنسبة فعله الى الغير اذ لو لم يكن في نفسه ميل

المصدر الذي هو الاجنب واصل الجنب البعد سمي الذي اصابته الجنبه جنبالانه يتجنب الصلاة
والمسجد وقيل لجنبته الناس حتى يقتسل (الا مابرى سيل) العابر هنا قائل من العبور وهو
قطع الطريق من هذا الجانب الى الجانب الآخر * واختلف العلماء في معنى قوله الا مابرى سيل على
قولين * احدهما ان المراد بالعبور هو العبور في المسجد وذلك ان قوما من الانصار كانت ابوابهم
في المسجد فتصيبهم الجنبه ولا ماء عندهم ولا يمر لهم الا في المسجد فرخص لهم العبور فيه فعلى هذا
القول يكون المراد بالصلاة موضع الصلاة والمعنى لا تقربوا المسجد وأنتم جنب الاجتازين فيه
اما الخروج منه او لدخول فيه مثل ان يكون قد نام في المسجد فاجنب فيجب الخروج منه او يكون
الماء في المسجد فيدخل اليه او يكون طريقه عليه فيمر فيه من غير اقامة وهذا قول ابن مسعود وانس
بن مالك والحسن وسعيد بن المسيب وعكرمة والضحاك وعطاء الخراساني والنخعي والزهري
واليه ذهب الشافعي واحده القول الثاني ان المراد من قوله الا مابرى سيل المسافرون والمعنى
لا تقربوا الصلاة وأنتم جنب الا ان تكونوا مسافرين ولم تجدوا الماء فتيمموا فنع الجنب من الصلاة
حتى يقتسل الا ان يكون في سفر ولا ماء معه فتيمم ويصل الى ان يجد الماء فيغتسل وهذا قول علي
وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة فمن جعل مابرى السيل المسافرين منع الجنب من
العبور في المسجد وهو مذهب ابي حنيفة ومحمم ابن جرير الطبري والواحدى القول الاول * ويدل
على صحته وجهان * احدهما ان المسافر الجنب لا تصح صلاته بدون التيمم ولم يذكر التيمم هنا
فيحتاج الى اضرار شيئين عدم الماء وذكر التيمم وعلى القول الاول لا يحتاج الى اضرار شي * الوجه
الثاني ان الله تعالى ذكر حكم السفر وعدم الماء وجواز التيمم بعده فلا يجعل هذا على حكم
مصاد في الآية ويدل عليه ان جميع القراء استحسنوا الوقف على قوله (حتى تقتسلوا) يعنى
الى ان تغتسلوا وفيه دليل على ان حكم الجنبه باق على الجنب الى غاية هي الاغتسال

* (فصل في أحكام تتعلق بالآية) * اختلف العلماء في العبور في المسجد فاباحه قوم على الاطلاق
وهو قول الحسن وبه قال مالك والشافعي ومنعه بعضهم على الاطلاق وهو قول اصحاب الراى
وقال قوم يتيمم العبور في المسجد * واختلف العلماء في المكث في المسجد أيضا للجنب فتنه اكثر اهل
العلم وقالوا لا يجوز للجنب المكث في المسجد بحال لما روى عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت
جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجوه بيوت اصحابه شاردة في المسجد فقال وجهوا هذه
البيوت عن المسجد ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يصنع القوم شيأ رجاء ان تنزل لهم
رخصة فخرج اليهم بعد فقال وجهوا هذه البيوت عن المسجد فاني لاحل المسجد لحائض ولا
جنب اخرجه ابو داود * وجوز اجد المكث في المسجد بشرط الوضوء وبه قال المزني من اصحاب
الشافعي وأجاب احمد عن حديث عائشة بانه في رواه مجهول وقال عبد الحق لا يثبت من قبل
اسناده * واستدل احمد لمذهبه بما روى عن عطاء بن يسار قال رأيت رجلا من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يجلسون في المسجد وهم مجنبون اذا توضؤوا وضوء الصلاة اخرجه سعيد بن
منصور في مسنده * واحمى لمذهب الجمهور بمحموم الآية وبما روى عن ام سلمة قالت دخل النبي
صلى الله عليه وسلم صرحة هذا المسجد فتأدى بأعلى صوته ان المسجد لا يحل لجنب ولا حائض

لما يضاف ذكره ومناسبة لمن
واقفة واطاعه لما قبل ذلك
منه فما كان الا من قبل نفسه
كما قال لهم الشيطان ان الله
وعدكم وعد الحق ووعدهم
فاخلفنكم وما كان لي عليكم
من سلطان الا ان دعوتكم
فاستجبتم لي فلا تلو موني
ولوموا انفسكم اذ لو لم يكن
في نفوسهم ظلمة نكسها

اخرجه ابن ماجه * ويحرم على الجنب ايضا الطواف وقرأة القرآن كما يحرم عليه فعل الصلاة * ويدل على ذلك ايضا ما روى عن علي بن ابي طالب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى حاجته ثم يخرج فيقرأ القرآن ويأكل من اللحم ولا يجبه وربما قال ولا يجزه من القرآن شي * ليس الجنب اخرجه ابوداود والنسائي والترمذي ولفظه كان يقرأ القرآن على كل حال ما لم يكن جنباً وقال حديث حسن صحيح * عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقرأ الجنب ولا الخائض ولا النفساء من القرآن شي * اخرجه الدارقطني * ويجب الغسل باحد شيئين بانزال المني وهو الماء الدافق او ببلال الحشفة في الفرج وان لم ينزل * ويدل على ذلك ما روى عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يجمد البلب ولا يذكر احتلاما قال يغتسل وعن الرجل يرى انه احتلم ولا يجمد بل لا قال لا غسل عليه قالت ام سلمة والمرأة ترى ذلك اعليها غسل قال نعم اخرجه ابوداود والترمذي (ق) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا جلس بين شعبا الاربع ثم جهدها فقد وجب الغسل زاد في رواية وان لم ينزل * وقوله تعالى (وان كنتم مرضى) جمع مريض واراد به المرض الذي يضر معه امس الماء مثل الجدري واحراق النار ونحو ذلك وان كان على بعض اعضائه جراحة او به قروح يخاف من استعمال الماء التلغف او زيادة الوجع فانه يتيم ويصلي مع وجود الماء وان كان بعض اعضائه صحيحا وبعضها جريحا غسل الصحيح نيم للجريح في الوجه واليدين لما روى عن جابر قال خرجنا في سفرا فاصاب رجلا منا جرح فشبهه في رأسه ثم احتلم فسأل اصحابه هل يجدون لي رخصة في التيم فقالوا ما نجد لك رخصة وانت تقدر على الماء فاغتسل فأت فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر بذلك فقال قتلوه قتلهم الله الاسألوا اذالم يعلموا فانما شفاء العلى السؤال انما كان يكفيه ان يتيم ويعصر او قال يعصب شك الراوى على جرحه خرقه ثم يمسح عليه ويغسل سائر جسده اخرجه ابوداود والدارقطني * ولم يحوز اصحاب الراى الجمع بين الغسل والتيم قالوا اذا كان اكثر اعضائه اوبده صحى غسل الصحيح ولا يتيم عليه وان كان الاكثر جريحا اقتصر على التيم * والحديث جملته اوجب الجمع بين الغسل والتيم * قوله تعالى (او على سفر) يعنى او كنتم مسافرين واراد به السفر الطويل والقصر وعدم الماء فانه يتيم ويصلي ولا اعادة عليه لما روى عن ابي ذر قال اجتمعت غنيمة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا ذر ايها فبدوت الى الربذة فكانت تصيبني الجنبات فأمكت الخنس والست فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابوذر فسكت فقال ثكلتك أمك يا ابا ذر لأمك الويل فدمنا بحارية سوداء فجاءت بنس فيدماء فسترته بنوب واستترت بالراحلة فاغسلت فكا في القيت عنى جبلا فقال الصعيد الطيب وضوء المسلم ولو الى عشر سنين فاذا وجدت الماء فأمسسه جلدك فان ذلك خير اخرجه ابوداود * النص قدح من فخار يجعل فيه الماء للوضوء والاعتسال * اما اذا لم يكن الرجل مريضا ولا على سفر وعدم الماء في موضع لا يعمد فيه قال فانه يتيم ويصلي ثم يعيد اذا وجد الماء وقدر عليه وبه قال الشافعي * وقال مالك والاوزاعي لا اعادة عليه * وقال ابو حنيفة يؤخر الصلاة حتى يجد الماء * وقوله تعالى (اوجاء احدكم من الماء) الفائط المكان المظلم من الارض وجهه الشيطان وكانت مادة العرب اتيان الفائط للحدث فكناؤه

ويظهر وصفاتهم لم يكن فيهم محل لوسوسته وقابلية لدعونه (وانما مينا) ظاهرا متضاعفا لتزكبه من هيئة الخطيئة والامتناع من الاحتراف ونسبة التقصير الى انفسهم لتكسر تقصير عن الاستيلاء على القلب وجبهه عن الكمال (ولو لا فضل الله عليك) اى توفيقه

عن الحدث وذلك ان الرجل منهم كان اذا اراد قضاء الحاجة طلب غائطا من الارض يعني مكانا منخفضا من الارض يحبه عن أعين الناس فسمى الحدث بهذا الاسم فهو من باب تسمية الشيء باسم مكانه * وقوله تعالى (اولا مستمن النساء) قرئ هنا وفي سورة المائدة لاستمن النساء ولمستم بغير الف واختلف العلماء في معنى اللامسة على قولين * احدهما انه الجماع وهو قول علي وابن عباس والحسن وبجاهد وقتادة ووجه هذا القول ان الله تعالى كنى باللمس عن الجماع لان اللمس يوصل اليه قال ابن عباس ان الله حي كريم يكنى عن الجماع باللامسة * والقول الثاني ان المراد باللمس هنا التقاء البشريتين سواء كان بجماع او بغير جماع وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبي والنخعي ووجه هذا القول ان اللمس حقيقة في اللمس باليد فاما حله على الاجماع فمجاز والاصل حل الكلام على الحقيقة لا المجاز وامارة من قرأ اولامستم فاللامسة مقابلة من اللمس لاتدل على الجامعة ايضا على الاطلاق لانه قد ورد في الحديث النهى عن بيع اللامسة قال ابو عبيدة في معناها هي ان يقول اذ لمست توبى اولمست توبى فقد وجب البيع فاللامسة في الحديث بمعنى اللمس باليد واذا كانت مستعملة في غير الجامعة لم يدل قوله تعالى اولامستم النساء على صريح الجماع بل حل على الاصل الموضوع له وهو اللمس باليد

* (فصل في احكام تتعلق بالآية) * وفيه مسائل * (المسئلة الاولى) اذا افضى الرجل بشئ من يده الى شئ من بدن المرأة ولا حائل بينهما انتقض وضوءهما وهو قول ابن مسعود وابن عمر وبه قال الزهري والاوزاعي والشافعي لما روى الشافعي بسنده عن ابن عمر انه قال قبلة الرجل امرأته وجسها يده من اللامسة فمن قبل امرأته او جسها يده فعليه الوضوء اخرجه مالك في الموطأ قال الشافعي وبلغنا عن ابن مسعود مثله وقال مالك والليث بن سعد واحد واسحق اذا كان اللمس بشهوة انتقض الوضوء وان لم يكن بشهوة فلا * ويدل عليه ما روى عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل امرأة من نسائه ثم خرج الى الصلاة ولم يتوضأ قال عروة ومن هي الا انت فضحك اخرجه ابو داود * واجيب عن هذا الحديث بانه ليس ثابت قال الترمذي انه لا يصح اسناده بحال وسمعت محمد بن اسمعيل يضعف هذا الحديث وقال حبيب بن ثابت لم يسمع من عروة وضعف يحيى بن سعيد القطان هذا الحديث وقال هوشب لاشئ وفيه ضعف من وجه آخر وهو ان عروة هذا ليس بعروة بن الزبير ابن اخت عائشة انما هو شيخ مجهول قال البيهقي يعرف بعروة المزني وانما المحفوظ عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل وهو صائم كذا رواه الثقات عن عائشة * وقال ابو حنيفة لا ينتقض الوضوء باللمس الا ان يحدث الانتشار * وقال قوم لا ينتقض بحال وهو قول ابن عباس وبه قال الحسن والثوري * واحتج من لم يوجب الوضوء باللمس بما روى عن عائشة انها قالت كنت انام بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلاي في قبلته فاذا مجد غزني فقبضت رجلي فاذا قام بسطتهما والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح اخرجاه في العيصين * واجاب من اوجب الوضوء باللمس عن هذا الحديث بانه يحتمل ان يكون غزاه لها على حائل * (المسئلة الثانية) * اختلف قول الشافعي في لمس المحرم كالام والبنت والاخت واجنبية صغيرة فاصح القولين عنه انه لا ينتقض الوضوء به والثاني انه ينتقض الوضوء به * ومأخذ القولين عند اصحاب الشافعي التردد بين التعلق بعموم الآية في قوله اولامستم النساء والنظر الى المعنى في

النقض بالمس وهو تحرك الشهوة فان اخذنا بعموم الآية فينتقض الوضوء بلمس المحارم وان اخذنا بالمعنى فلا ينتقض * وفي الممس قولان والممس هو الذي لا فعل منه في المباشرة رجلا كان او امرأة واللامس هو الفاعل للمس وان لم يقصد المباشرة * فأحد القولين انه ينتقض وضوء اللامس والممس لعموم الآية لانه لمس وقع بين الرجل والمرأة فينتقض وضوءهما معا والقول الثاني انه ينتقض وضوء اللامس دون الممس لما روى عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفرائش فالتصت فوضعت يدي على اخمص قدميه وهو ساجد وهما منصوبتان وهو يقول اللهم اني اعوذ برضاك من مخطئك وبمعاقتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك اخرجه مسلم فلو انتقض وضوءه صلى الله عليه وسلم لقطع الصلاة ولو لمس شعرا امرأة او سنمها او نظرها فلا وضوء عليه * (المسئلة الثالثة في الحدث) * وهو الخارج من السبيلين عينا كان كالبول والغائط او اثرا كالريح ونحوها فاذا حصل شيء من ذلك فلا تصح صلاته ما لم يتوضأ او يتيمم عند عدم الماء لما روى عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة احدكم اذا حدث حتى يتوضأ فقال رجل من اهل حضرموت ما لحدث يا ابا هريرة قال فساء او ضراطا خرجا في الصحيين * اما خروج البجاسة من غير السبيلين كالقصد والحامة والرأف والقي ونحوها * فذهب قوم الى انه لا وضوء من خروج هذه الاشياء يروى ذلك عن ابن عمرو وابن عباس وبه قال عطاء وطاوس والحسن وابن المسيب واليه ذهب مالك والشافعي لما روى عن انس قال اخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلي ولم يتوضأ ولم يزد على غسل محاجه اخرجه الدارقطني * وذهب قوم الى ان يجاب الوضوء من ذلك منهم سفيان الثوري وابن المبارك واصحاب الرأي واحد واسحق واتفق هؤلاء على ان خروج القليل منه لا ينقض الوضوء ويدل على انتقاض الوضوء بخروج هذه الاشياء ما روى عن معدان بن ابي طلحة عن ابي الدرداء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فتوضأ قال معدان فلقيت ثوبان في مسجد دمشق فذكرت له ذلك فقال صدق انا صليت له وضوءا اخرجه الترمذي وقال هو اصح في شيء هذا الباب * (المسئلة الرابعة) * من نواقض الوضوء زوال العقل بجنون او اغما او نوم لما روى عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العين وكاء السنة فن نام فليتوضأ اخرجه ابوداود وابن ماجه ويستثنى من ذلك النوم اليسير قاعدا مقضيا بمحمل الحدث الى الازس ويدل على ذلك ما روى عن انس قال كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرون العشاء الاخرة حتى تخفق رؤسهم ثم يصلون ولا يتوضؤون اخرجه ابوداود * وذهب قوم الى ان النوم لا ينقض الوضوء بكل حال وهو قول ابي هريرة وعائشة وبه قال الحسن واسحق والمزني * وذهب قوم الى انه لو نام قائما او قاعدا او ساجدا وهو في الصلاة فلا وضوء عليه حتى يضطجع وبه قال سفيان الثوري وابن المبارك واصحاب الرأي لما روى عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس على من نام ساجدا وضوء حتى يضطجع فانه اذا اضطجع استرخت مفاصله اخرجه احمد بن حنبل وضعف بعضهم هذا الحديث * (المسئلة الخامسة) * من نواقض الوضوء مس الفرج من نفسه او غيره فذهب قوم الى انه يوجب الوضوء وهو قول عمرو بن عمرو وابن عباس وسعد بن ابي وقاص وابي هريرة وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار واليه ذهب الاوزاعي والشافعي واحمد واسحق

غير ان الشافعي قال ينتقض الوضوء اذا لمس بطن الكف* والرجل والمرأة في ذلك سواء* ويدل على ذلك ما روى عن بسرة بنت صفوان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مس ذكره فلا يصل حتى يتوضأ اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح ولا ي داود والنسائي نحوه* وعن ام حبيبة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من مس فرجه فليتوضأ اخرجه ابن ماجه وصححه احمد وابوزرعة وعن ابى هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من افضى يده الى ذكره وليس دونه ستر فقد وجب عليه الوضوء اخرجه احمد بن حنبل* وذهب قوم الى ان مس الذكر لا يوجب الوضوء وهو قول علي* وابن مسعود وابى الدرداء وحذيفة وبه قال الحسن واليه ذهب الثوري وابن المبارك واصلح الرأي* واحتجوا بما روى عن طلق بن علي قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل كأنه بدوى فقال يا نبي الله ما ترى في مس الرجل ذكره بعدما توضأ قال هل هو الا وضعة او قال بضعة منه اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي نحوه بمعناه* واجاب من اوجب الوضوء على من مس الذكر عن حديث طلق بن علي بان قدمه على رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في اول الهجرة وهو بيني المسجد وابو هريرة من آخرهم اسلاما وقد روى انتفاض الوضوء بمس الذكر فصار حديث ابى هريرة ناسخا لحديث طلق بن علي وايضا فان حديث طلق يرويه عنه ابنه قيس بن طلق وهو ليس بالقوى عند اهل الحديث* وقوله تعالى (فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا) اعلم ان التيمم من خصائص هذه الامة خصها الله تعالى به ليسهل عليهم اسباب العبادة ويدل على ذلك ما روى عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الارض كلها مسجدا وجعلت تربتها طهورا اذا لم نجد الماء اخرجه مسلم* وكان سبب بدء التيمم ما روى عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره حتى اذا كنا بالبيداء او بذات الجليش انقطع عقدى فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه واقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فأتى الناس الى ابى بكر الصديق فقالوا الاترى الى ما صنعت عائشة برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجاء ابوبكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذي قد نام فقال حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت عائشة فماتني ابوبكر وقال ماشاء الله ان يقول وجعل بطن يده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك الا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اصبح على غير ماء فأنزل الله عز وجل آية التيمم فتييمموا فقال اسيد بن حضير وهو احد النقباء ما هي بأول بر كنتم يا آل ابى بكر قالت عائشة فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته اخرجه في الصحيحين* قولها بالبيداء البيداء المفازة والقفر وكل صحراء فهي بداء وجعها يبد* وذات الجليش اسم لموضع وهو على برية من المدينة* وقولها فبعثنا البعير اى اثرناه* قوله تعالى فلم تجدوا ماء هو معطوف على ما قبله والمعنى اوجاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فطلبتم الماء لتطهروا به فلم تجدوه يعنى فاهوزكم فلم تجدوه بمن ولا بغير ثمن لان الحديث مامور بالتطهر بالماء فاذا اعوزه الماء عدل عنه الى التيمم بعد طلب الماء قال الشافعي اذا دخل وقت الصلاة طلب الماء فان لم يجده تيمم

وصلى ثم اذا دخل وقت الصلاة الثانية وجب عليه الطلب مرة اخرى * وقال ابو حنيفة لا يجب عليه الطلب للصلاة الثانية * حجة الشافعي قوله تعالى فلم تجدوا ماء فقدم الوجدان مشعر بسبق الطلب فلا بد في كل مرة من سبق الطلب * واجمعوا على انه لو وجد الماء لكنه يحتاج اليه لمطشه او عطش حيوان محترم فانه يجوز له التيمم مع وجدان ذلك الماء * وقوله تعالى فقيموا صعيدا طيبا اصل التيمم في اللغة القصد يقال تيمت فلانا اذا قصده وهو في الشرع عبارة عن افعال مخصوصة عند عدم الماء لتأدية الصلاة * واختلفوا في الصعيد الطيب فقال قتادة الصعيد الارض التي ليس فيها شجر ولا نبات وقال ابن زيد الصعيد المستوي من الارض وكذلك قال الليث الصعيد الارض المستوية التي لا شيء فيها وقال الفراء الصعيد هو التراب وكذلك قال ابو عبيد في قوله صلى الله عليه وسلم اياكم والقعود بالصعدات قال الصعدات الطرق مأخوذ من الصعيد وهو التراب وقيل الصعيد وجه الارض البارز وهو اختيار الرجاج قال الصعيد وجه الارض ولا تبال أكان في الموضع تراب او لا لان الصعيد ليس هو التراب انما هو وجه الارض ونقل الربيع عن الشافعي في تفسير الصعيد قال لا يقع اسم الصعيد الا على تراب ذي غبار فأما البطحاء الغليظة والريقة فلا يقع عليها اسم الصعيد فان خالطه تراب او مدر يكون له غبار كأن الذي خالطه هو الصعيد * قال ولا تيمم بنورة ولا كحل ولا زرنج كل هذا حجارة هذا كلام الشافعي في تفسير الصعيد وهو القدوة في اللغة وقوله في ذلك حجة وقد وافقه على ذلك الفراء وابو عبيد في انه التراب * وجميع الاقوال في الصعيد صحيحة في اللغة لكن المراد به هنا التراب وقد قال ابن عباس في قوله صعيدا هو التراب * واختلف اهل العلم فيما يجوز به التيمم فذهب الشافعي الى انه يختص بما وقع عليه اسم التراب ماله غبار يعلق بالوجه واليدين لان النبي صلى الله عليه وسلم قال جعلت لي الارض مسجدا وترابها طهورا فخص التراب بالطهور ولان الله تعالى وصف الصعيد بالطيب والطيب * من الارض هو الذي ينبت فيها بدليل قوله والبلد الطيب يخرج نباته فعلى هذا ما لا ينبت ليس بطيب ولما ايضا قوله تعالى في سورة المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه وكلمة من للتبعض هنا ولا يتأتى ذلك في الصخر الذي لا تراب عليه وايضا فانه يقال للغبار صعيد لانه مأخوذ من الصعود وهو الارتفاع ولا يكون ذلك في الصخر وما شبهه * وذهب ابو حنيفة ومالك الى انه يجوز التيمم بكل ما هو من جنس الارض كالرمل والجص والنورة والزرنج ونحو ذلك حتى لو ضرب يده على صخرة ملساء لا غبار عليها صح تيممه عندهم * واحتج ابو حنيفة ومن وافقه بظاهر الآية قالوا لان التيمم هو القصد والصعيد اسم لما تصاعد من الارض فقوله تعالى فقيموا صعيدا طيبا اي اقصدوا ارضا فوجب ان يكون هذا القدر كافيا * واجيب عنه بما تقدم من الدليل في قوله منه وان لفظة من تكون للتبعض * قالوا ولا روى عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا * واجيب عنه بان هذا مجمل يفسره ما تقدم من حديث حذيفة في تخصيص التراب والمفسر يقضي على المجمل * وجوز بعضهم التيمم بكل ما هو متصل بالارض من شجر ونبات ومدر ونحو ذلك قالوا لان اسم الصعيد يقع على ما تصاعد على الارض * واجيب عنه بما تقدم من الادلة * وقوله تعالى (فامسحوا بوجوهكم وايديكم) الوجه المسوح في التيمم هو المحدود في الضوء * واختلف العلماء فيما يجب مسح من اليد

فذهب أكثر أهل العلم منهم ابن عمر وابنه سالم والحسن وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي أنه
 يمسح الوجه واليدين إلى المرفقين بضربتين* وصورة ذلك أن يضرب كفيه على التراب ويمسح بهما
 وجهه ولا يجب إيصال التراب إلى منابت الشعور ثم يضرب ضربة أخرى ويفرق أصابعه
 فيمسح يديه إلى المرفقين* ويدل على ذلك ما روى عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم التيمم
 ضربتان ضربة للوجه وضربة لليدين إلى المرفقين رواه البيهقي ولم يضعفه وروى الشافعي عن
 إبراهيم بن محمد عن أبي الحويرث عن الأعرج عن ابن الصمة قال مررت على النبي صلى الله عليه
 وسلم وهو يقول فسلط عليه فلم يرد علي حتى قام إلى الجدار فحتم بعصا كانت معه ثم وضع
 يده على الجدار فمسح وجهه وذراعيه ثم رد علي* هذا حديث منقطع لأن الأعرج وهو عبد الرحمن
 بن هرم لم يسمع هذا من ابن الصمة وإنما سمعه من غير مولى ابن عباس عن ابن الصمة وكذا هو
 مخرج في الصحيحين عن غير مولى ابن عباس قال دخلنا على أبي جهيم بن الحارث فقال أبو جهيم
 أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من نحو بئر جل فلقه رجل فسلم عليه فلم يرد النبي صلى الله
 عليه وسلم حتى أقبل على الجدار فوضع يده على الحائط فمسح بوجهه ويديه ثم رد عليه السلام
 ولابي داود عن نافع قال انطلقت مع ابن عمر في حاجة إلى ابن عباس فلما انقضى حاجته فكان
 من حديثه يومئذ أن قال مر رجل في سكة من سكك المدينة فلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قد خرج من غائط أو بول فسلم عليه الرجل فلم يرد عليه حتى إذا كان الرجل أن يتوارى في السكة
 ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على حائط ومسح بها وجهه ثم ضرب ضربة أخرى
 فمسح بها ذراعيه ثم رد عليه السلام وقال لم يمنعني أن أرد عليك أو لا إلا أني لم أكن على طهر
 وفي رواية فمسح ذراعيه إلى المرفقين فهذا أجود ما في هذا الباب فإن البيهقي أشار إلى صحة إسناده
 وفيه دليل على الحكمين يعني مسح الوجه واليدين بضربتين وإيصال المسح إلى المرفقين وفيه
 دليل على أن التيمم لا يصح ما لم يعلق بالوجه واليدين غبار التراب لأن النبي صلى الله عليه وسلم
 حتم الجدار بالعصا ولو كان مجرد الضرب كافيا لما كان حتمه وذهب الزهري إلى أنه يمسح اليدين
 إلى المنكبين ويدل على ذلك ما روى عن عمار بن ياسر قال تمسحوا وهم مع رسول الله صلى الله
 عليه وسلم بالصعيد لصلاة الفجر فضربوا بكفهم الصعيد ثم مسحوا بوجوههم مسحة واحدة
 ثم طأوا فضربوا بكفهم الصعيد مرة أخرى فمسحوا بأيديهم كلها إلى المناكب والآباط ثم بطون
 أيديهم أخرجه أبو داود* وذهب جماعة إلى أن التيمم ضربة واحدة للوجه والكفين وهو قول
 علي وابن عباس وبه قال الشعبي وعطاء ومكحول وأبو ذهاب الأوزاعي ومالك وأحمد وإسحق
 وداود الظاهري* واحتجوا بما روى عن عمار بن ياسر قال بعثنى النبي صلى الله عليه وسلم في حاجة
 فاجتبت فلم أجد الماء فتمرغت في الصعيد كما تمرغ الدابة ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت
 ذلك له فقال إنما يكفيك أن تقول بديك هكذا ثم ضرب يديه الأرض ضربة واحدة ثم مسح الشمال
 على اليمين وظاهر كفيه وباطنهما ووجهه وفي رواية أن تقول هكذا وضرب يديه الأرض فنفض يديه
 فمسح وجهه وكفيه أخرجاه في الصحيحين وجلته أن يداسم لهذه الجارحة وحدها عند بعض
 أهل اللغة من الأطراف الأنامل إلى الكوع وهذا هو المقطوع في حد السرقة وقال أبو إسحق الزجاج
 حدها من أطراف الأنامل إلى الكتف فنذهب إلى أن المسح في التيمم هو الكف قال أن حد

اليده هو المقتطوع في حد السرقة ومن ذهب الى ان الممسوح في التيمم الى المناكب والآباط نظر الى ان مسمى اليد يطلق على جميعها ومن ذهب الى ان الممسوح في التيمم الى المرفقين قال ان التيمم بدل عن الوضوء واليد المفسولة في الوضوء هي الممسوحة في التيمم فيصل المطلق الذي في قوله تعالى فامسحوا بوجوهكم وايديكم على المقيد الذي في قوله تعالى في آية الوضوء فامسحوا بوجوهكم وايديكم الى المرافق * واجاب من ذهب الى هذا عن حديث عمار بان المراد منه بيان صورة الضرب وليس المراد منه جميع ما يحصل به التيمم

(فصل) * واركان التيمم خمسة الاول تراب طاهر خالص له غبار يطلق بالوجه واليدين ويجوز بالرمل اذا كان عليه غبار * الثاني قصد الصعيد فلو تعرض لمهب الريح لم يكفه ولو عمه غيره باذنه مع مجزئه جاز وان كان قادرا فوجهان * الثالث نقل التراب الى الوجه واليدين * الرابع نية استحباب الصلاة فلو نوى رفع الحدث لم يصح واكمله ان ينوي استحباب الفرض والنفل * الخامس مسح الوجه واليدين الى المرفقين بضربتين والترتيب * ولا يصح التيمم لصلاة الا بعد دخول وقتها ولا يجوز الجمع بين صلاتي فرض بتيمم واحد وهو قول علي وابن عباس وابن عمرو قال الشعبي والنخعي وقتادة واليه ذهب مالك والشافعي واحمد واسحق وذهب جماعة الى ان التيمم كالوضوء فيجوز تقديمه على الوقت ويجوز ان يصلي به ماشاء من الفرائض ما لم يحدث وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والزهرى والثوري واصحاب الرأي وانفقوا على انه يجوز ان يصلي بتيمم واحد ماشاء من التوافل قبل الفرض وبعده الى ان يدخل وقت الصلاة الاخرى وان يقرأ القرآن ان كان جنباً ويشترط طلب الماء في السفر بان يطلبه في رحله وعند رفقائه وان كان في صحراء ولا حائل دون نظره نظر حواليه وان كان دون نظره حائل قريب من تل او جدار او نحوه عدل عنه لان الله تعالى قال فلم تجدوا ماء فتيمموا ولا يقال لم يجد الا لمن طلب ولا يشترط طلب هند ابي حنيفة فان رأى الماء ولا يقدر عليه لمانع من عدو اوسع عنه من الذهاب اليه او كان الماء في برء وليس معه آلة الاستقاء فهو كالعادم فيتيمم ويصلي ولا اعادة عليه والله اعلم * وقوله تعالى (ان الله كان عفواً) يعني يتجاوز عن ذنوب عباده ويعفو ويصفح عنهم (عفورا) ستورا على عباده يغفر الذنوب ويستترها وفيه تنبيه على ان الله تعالى رخص لعباده امر العبادات ويسرها عليهم لان من كانت طادته ان يغفر الذنوب ويعفو عنها كان اولى بان يرخس للعاجزين امر العبادات * قوله عز وجل (الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب) نزلت في يهود المدينة وقال ابن عباس نزلت في رفاعة بن زيد ومالك بن دحشم اليهوديين كانا اذا تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لويالاستئهما واما باه فانزل الله تعالى الم تر يعني الميمنة علك يا محمد الى هؤلاء الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يعني اعطوا حظا من علم التوراة وذلك انهم عرفوا نبوة موسى من التوراة وانكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم منها فلذلك اتى بمن التي هي للتبعض وقيل انهم علموا التوراة ولم يؤتوا العمل بها (يشتركون الضلالة) يعني يؤثرون تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم ليأخذوا بذلك الرشا وتحصل لهم الرياسة وانما ذكر بلفظ الشراء لانه استبدال شئ بشئ وقيل فيه اضمار يعني يستبدلون الضلالة بالهدى (ويريدون) يعني اليهود (ان تضلوا السيل) يعني عن السيل والمعنى انهم يتوصلون الى اضلال المؤمنين والتليس عليهم لكي يحتبوا

الاسلام (والله اعلم باعدائكم) يعني انه سبحانه وتعالى اعلم بكنهه ما في قلوب اليهود من العداوة والبغضاء لكم يا معشر المؤمنين فلا تتحسروهم فانهم اعداؤكم (وكفى بالله وليا) يعني متوليا امركم والقائم به ومن كان الله تعالى وليه لم يضره احد (وكفى بالله نصيرا) يعني فهو ينصركم عليهم فثقوا بولايته ونصره وقوله تعالى (من الذين هادوا) قيل هو بيان للذين اتوا نصيبا من الكتاب والتقدير الم تر الى الذين اتوا نصيبا من الكتاب من الذين هادوا وقيل هو متعلق بما قبله والتقدير وكفى بالله نصيرا من الذين هادوا وقيل هو ابتداء كلام وفيه حذف تقديره من الذين هادوا قوم (يحرفون الكلم) اي يزيلونه ويغيرونه ويبدلونه (عن مواضعه) يعني يغيرون صفة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة وقال ابن عباس كانت اليهود يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسألونه عن الامر فيضربهم به فيرى انهم يأخذون بقوله فاذا خرجوا من عنده حرفوا كلامه وقيل المراد بالتحريف القاء الشبهة الباطلة والتأويلات الفاسدة وهو تحريف اللفظ عن معناه الحق الى معنى باطل (ويقولون سمعنا وعصينا) يعني سمعنا قولك وعصينا امرك وذلك انهم كانوا اذا امرهم النبي صلى الله عليه وسلم بامر قالوا في الظاهر سمعنا وقالوا في الباطن عصينا وقيل انهم يظهرون ذلك القول عنادا واستخفا (واسمع غيره سمع) هذه كلمة تحتل المدح والذم فاما معناها في المدح اسمع غير مسمع مكروها واما معناها في الذم فانهم كانوا يقولون اسمع منا ولا نسمع منك وقيل انهم كانوا يقولون لاني صلى الله عليه وسلم اسمع ثم يقولون في انفسهم لا سمعت وقيل معناه غير مقبول منك ما تدعوا اليه وقيل معناه غير مسمع جوابا بوافقتك ولا كلاما ترتضيه (وراعا) اي ويقولون راعنا يريدون بذلك نسبته الى الرعونة وقيل معناه ارعنا سمعك اي اصرف سمعك الى كلامنا وانصت الى قولنا ومثل هذا لا يخاطب به الانبياء بل انما يخاطبون بالاجلال والتعظيم والتجليل والتفخيم (يا بالسنتهم وطعنا في الدين) اصله لويالانه من لويت الشيء اذا قتلته والمعنى انهم يقتلون الحق فيجعلونه باطلا لان راعنا من المراعاة فيجعلونه من الرعونة وكانوا يقولون لاصحابهم انما نشتمه ولا يعرف ولو كان نبيا لعرف ذلك فانظروا الله تعالى على خبث ضمايرهم وما في قلوبهم من العداوة والبغضاء ثم قال تعالى (ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا) يعني ولو انهم قالوا بدل سمعنا وعصينا سمعنا واطعنا (واسمع) يعني بدل قولهم لا سمعت (وانظرنا) يعني بدل قولهم راعنا اي انظرنا لينا (لكان خير لهم) يعني عند الله (واقوم) يعني اعدل واصوب (ولكن لعنهم الله) يعني طردهم وابعدهم عن رحته (بكفرهم) يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم (فلا يؤمنون الا قليلا) يعني فلا يؤمن من اليهود الا نفر قليل مثل عبدالله بن سلام واصحابه وقيل اراد بذلك القليل هو اعتراضهم بان الله خلقهم ورزقهم * قوله تعالى (يا أيها الذين اتوا الكتاب) خطاب لليهود (آمنوا بما نزلنا) يعني القرآن (مصدقا لما معكم) يعني التوراة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كلم احبار اليهود عبدالله بن صوريا وكعب بن الاشرف فقال يا معشر اليهود اتقوا الله واسلموا فوالله انكم لتعلمون ان الذي جئتكم به لحق قالوا ما نعرف ذلك واصروا على الكفر فانزل الله هذه الآية وامرهم بالايمان وقرن بهذا الامر الوعيد الشديد فقال تعالى (من قبل ان نطمس وجوها) اصل الطمس ازالة الابرار بالحو وذكروا في المراد بالطمس ههنا وجهين * احدهما ان يحمل على حقيقته والثاني ان يحمل على مجازة امامن حله على الحقيقة فقال هو

محو تخطيط صور الوجوه قال ابن عباس يجعلها كخف البعير وقيل نعميها فيكون المواد بالوجه العين (فردا على اديارها) يعني نجعلها على هيئة اديارها وهي الاقفاء وقيل نديرها قبصل الوجوه الى خلف والاقفاء الى قدام وانما جعل الله هذا عقوبة لهم لما فيه من تشويه الخلقة والمثلة والفضيحة وعند هذا يحصل لهم النعم وتكثر الحشرات فعلى هذا يكون هذا الوعيد مختصا بيوم القيامة * واما من جل الطمس على الجواز فقال المراد به نطمسها عن الهدى فردا على اديارها يعني على ضلالتها * وقيل المراد بالطمس طمس القلب والبصيرة فردا على اديارها يعني بتغيير احوالهم فلبسهم الصفار والذلة بعد العز * وقيل المراد بالطمس محو آثارهم من المدينة وردهم الى اذرات واريحاء من ارض الشام من حيث جاؤا وهو اجلاء بني النضير * فان قلت قد اوعدهم وهددهم بطمس الوجوه ان لم يؤمنوا ولم يؤمنوا فلم يفعل بهم ذلك * قلت هذا الاشكال انما يرد على من فسر الطمس بتغيير الوجوه ومحو تخطيطها وحله على الحقيقة والجواب عنه ان هذا مشروط بعدم الايمان وقد آمن منهم ناس فرفع عن الباقيين وروى ان عبدالله بن سلام لما سمع هذه الآية جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يأتي اهله فاسلم وقال يا رسول الله ما كنت ارى ان اصل اليك حتى يحول وجهي الى قفائي وكذلك روى عن كعب الاحبار انه لما سمع هذه الآية في خلافة عمر بن الخطاب اسلم وقال يا رب اسلمت مخافة ان يصيبني وعيد هذه الآية فكان هذا الوعيد مشروطا بان لا يؤمن احد منهم وهذا الشرط لم يوجد لانه آمن منهم جمع كثير في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كعبدالله بن سلام واصحابه فقات الشرط لقوات المشروط * وقيل ان الطمس باق في اليهود فيكون فيهم طمس ومسح قبل يوم القيامة * وقيل انه تعالى جعل الوعيد باحد شيئين اما بالطمس او بالعنة وهو قوله تعالى (اولئعلم كما لنا اصحاب السبت) اي نجعلهم قردة كافعلنا باوائهم * وقيل المراد من لعنهم الطرد والابعاد من الرحمة والكناية في لعنهم تعود الى مخاطبين في قوله تعالى يا أيها الذين اتوا الكتاب وهذا على طريقة الالتفات كما في قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وقد احتمل ان يكون معناه من قبل ان نطمس وجوها فردا ونلعن اصحاب الوجوه قبصل الكناية في قوله اولئعلم عن ذكر اصحاب الوجوه اذا كان في الكلام دلالة عليهم * وقوله تعالى (وكان امر الله مفعولا) يعني لابد وان يقع بهم ذلك ان لم يؤمنوا فلا راد لحكمه ولا ناقض لامره على معنى انه لا يمتنع عليه شيء يريد ان يفعله * وقيل معناه وكان ما مور الله مفعولا والامر هنا في موضع المأمور سمي امرا لانه عن امره كان * وقوله عز وجل (ان الله لا ينفر ان يشركه ويفر مادون ذلك لمن يشاء) قال ابن جرير الطبري معناه يا أيها الذين اتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا فان الله لا ينفر ان يشركه ويفر مادون ذلك لمن يشاء * فعلى هذا يكون في الآية دلالة على ان اليهودي يسمى مشركا في صرف الشرع * وقيل ان الآية نزلت في وحشي واصحابه وذلك لما قتل حرة رضى الله عنه ورجع الى مكة ندم هو واصحابه فكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا قد ندمنا على ما صنعنا وانه ليس يمنعنا عن الاسلام الا اناسمناك بمكة تقول والذين لا يدعون مع الله ألها آخر الى آخر الآيات وقد دعونا مع الله ألها آخر وقتل النفس التي حرم الله وزيننا فلولا هذه الآيات لاتبعناك فنزلت الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا آيتين فبعث بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم

فلما قرؤهما كتبوا اليه ان هذا شرط شديد ونحاف ان لا نعمل عملا صالحا فنزلت ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فبعث بها اليهم فبعثوا انا نحاف ان لا نكون من اهل المشيئة
فنزلت قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الآية فبعث بها اليهم فدخلوا في الاسلام ورجعوا الى
النبي صلى الله عليه وسلم فقبل منهم ثم قال لوحشي اخبرني كيف قلت جزء فلما اخبره قال ويحك
غيب وجهك عني فلتحق بالشام فكان به الى ان مات * وقيل لما نزلت قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
الآية قام رجل فقال يا رسول الله والشرك فسكت ثم قام اليه مرتين او ثلاثا فنزلت هذه الآية ومعنى
الآية ان الله لا يغفر لشرك مات على شركه ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء يعني ويغفر ما دون الشرك
لمن يشاء من اصحاب الذنوب والاثام ففي الآية دليل على ان صاحب الكبيرة اذا مات من غير توبة
فانه في خط المشيئة ان شاء عقابه وادخله الجنة بمنه وكرمه وان شاء عذبه بالنار ثم ادخله الجنة
برحمته واحسانه لان الله تعالى وعد المغفرة لما دون الشرك فان مات على الشرك فهو مخلد في النار
فقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء * وفي الآية رد على المعتزلة والقدرية
حيث قالوا لا يجوز في الحكمة ان يغفر لصاحب كبيرة * وهذا اهل السنة ان الله تعالى يفعل
ما يشاء لامركه ولا يجبر عليه * ويدل على ذلك ايضا ما روى عن ابن عمر قال كنا على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا مات الرجل على كبيرة شهدنا انه من اهل النار حتى نزلت هذه الآية
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فامسكنا عن الشهادة وقال ابن عباس لعمرو
بن الخطاب يا امير المؤمنين الرجل يعمل من الصالحات لم يدع من الخير شيئا الا عمله غير انه مشرك
قال عمر هو في النار فقال ابن عباس الرجل لم يدع شيئا من الشر الا عمله غير انه لم يشرك بالله شيئا
فقال عمر الله اعلم قال ابن عباس اني لارجوه كانه لا ينع مع الشرك عمل كذلك لا يضر مع التوحيد
ذنب فسكت عمر * عن علي بن ابي طالب قال ما في القرآن احب الي من هذه الآية ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (م) عن جابر قال
جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الموجبتان قال من مات لا يشرك بالله شيئا
دخل الجنة ومن مات يشرك به دخل النار وقوله تعالى (ومن يشرك بالله) يعني يجعل معه شريكا غيره
(فقد افترى) اي اخلق (انما عظيما) يعني ذنبا عظيما غير مغفور ان مات عليه * قوله عز وجل (الم تر
الى الذين يزكون انفسهم) نزلت في رجال من اليهود اتوا باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا يا محمد هل هو لامن ذنب قال لا قالوا ما نحن الا كهم ينهم ما علمنا بالنهار يكفرون بالليل وما علمنا
بالليل يكفرون بالنهار فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت في اليهود والنصارى حين قالوا نحن ابنا الله
واحباؤه وقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى والتركية هنا عبارة عن مدح الانسان نفسه
بالصلاح والدين ومنه تركية الشاهد حتى يصير عدلا قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى
وذلك لان التركية متعلقة بالتقوى وهي صفة في الباطن فلا يعلم حقيقةها الا الله تعالى فلا تصح التركية
الامن عند الله تعالى فلماذا قال الله تعالى بل الله يزكي من يشاء ويدخل في هذا المعنى كل من ذكر نفسه
بصلاح او وصفها بركاء العمل او بزيادة الطاعة والتقوى او بزيادة الزاقي عند الله تعالى فهذه الاشياء لا يعلمها
الا الله تعالى فلماذا قال فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى ومعنى يزكون انفسهم يزعمون انهم ازكيا لانهم
برئوا انفسهم من الذنوب قال تعالى ردا عليهم (بل الله يزكي من يشاء) فيجعلها زكيا (ولا يظنون
قبلا) يعني ان الذين يزكون انفسهم يعاقبون على تلك التركية من غير ظلم وقيل معناه ان الذين زكاهم الله

وامداده لسلوك طريقه
بما يخرج كالك الى القصل
ويرز ما فيك كما منان العلم
(ورحمته) هبته لذلك
الكمال المطلق الذي اودعه
فيك في الازل وهي الرحمة
التي ليس وراءها رحمة
(لهمت طائفة منهم ان
يضلوك وما يضلون الا
انفسهم) لكون الضلال

ناشئا من اصل استعدادهم
لكونهم مجبولين على
الشقاوة اذ لا فكيف يرجع
ذلك الضلال المجهول فيهم
الى غيرهم (وما يضرؤنك
من شيء) وانزل الله عليك
الكتاب (اى العلم التفصيلى
التام بعد الوجود الموهوب
(والحكمة) وعلم احكام
التفاصيل وتجليات

لا يتقصون من ثواب طاعتهم شيئا والقتيل المقتول وسمى ما يكون في شق النواة قبلا لكونه على
هيئته * وقيل القتل هو ما تقتله بين اصابعك من وسخ وغيره ويضرب به المثل في الشيء الخفي
الذى لا قيمة له (انظر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم انظر يا محمد الى هؤلاء اليهود (كيف
يفترون على الله الكذب) يعنى قولهم انهم لا ذنوب لهم وتركبتهم انفسهم (وكفى به) اى بذلك
الكذب (انما مينا) * قوله عز وجل (الم تر الى الذين اتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت
والطاغوت) نزلت في كعب بن الاشرف وسبعين راكبا من اليهود قدموا مكة بعد وقعة احد
ليخالفوا قريشا الى النبي صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتزل كعب بن الاشرف على ابي سفيان فأحسن منواه ونزل باقى اليهود على قريش في دورهم فقال لهم
اهل مكة انتم اهل كتاب ومحمد صاحب كتاب ولا نأمن ان يكون هذا مكر انكم فان اردتم ان تخرج
معكم فاسجدوا الى هذين الصنمين ففعلوا ذلك فذلك قوله تعالى يؤمنون بالجبت والطاغوت
ثم قال كعب بن الاشرف لاهل مكة ليجئ منكم ثلاثون رجلا ومنا ثلاثون فلنراق اكبانا بالكعبة
فتماهد رب هذا البيت لتجهدن على قتال محمد ففعلوا ثم قال ابو سفيان لكعب بن الاشرف
انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن اميون لانعلم فأبنا اهدى سبيلا نحن ام محمد فقال كعب
اعرض على دينكم فقال ابو سفيان نحن نخرج الكوماء ونسقيهم الماء ونقرى الضيف ونفك
العاق ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن اهل الحرم ومحمد فارق دين آباءه وقطع
الرحم وفارق الحرم وديننا القديم ودين محمد الحديث فقال كعب انتم والله اهدى سبيلا مما عليه
محمد فانزل الله تعالى الم تر يعنى يا محمد الى الذين اتوا نصيبا من الكتاب يعنى كعب بن الاشرف
واصحابه اليهود يؤمنون بالجبت والطاغوت يعنى سجدوهم للصنمين * واختلف العلماء فيهما . فقيل
الجبت والطاغوت كل معبود دون الله تعالى . وقيل هما صنمان كانا لقريش وهما اللذان سجد
اليهود لهما لمرضاة قريش . وقيل الجبت اسم للاصنام والطاغوت شياطين الاصنام ولكل صنم
شياطين يعبر فيها ويحكم الناس فيفترون بذلك . وقيل الجبت الكاهن والطاغوت الساحر * عن قطن
بن قبيصة عن ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العيافة والطيرة والطرق
من الجبت اخرجهم ابوداود وقال الطرق الزجر والعيافة الخط * وقيل العيافة هي زجر الطير وذلك
ان اهل الجاهلية كان احدهم اذا خرج لامر زجر طيرا فاذا اخذ ذات اليمين مضى في حاجته
واذا اخذ ذات الشمال رجع فنهوا عن ذلك . والطرق هو ضرب الجحارة والحصا على طريق
الكهانة فنهوا عنه . والطيرة هو ان يطير بالشئ فيرى الشؤم فيه والشر منه وقبل هو من
التطير وهو زجر الطائر والخط هو ضرب الرمل لاستخراج الضمير . وقيل الجبت كل ما حرم الله
تعالى والطاغوت كل ما يبطى الانسان . وقيل الجبت هو حي بن اخطب والطاغوت كعب بن
الاشرف اليهوديان وكانا طاغية اليهود (ويقولون) يعنى كعب بن الاشرف واصحابه (للذين
كفروا) يعنى لكفار قريش (هؤلاء) يعنى انتم يا هؤلاء (اهدى من الذين آمنوا سبيلا) يعنى
طريقا (اولئك الذين لعنهم الله) يعنى كعب بن الاشرف واصحابه (ومن يلعن الله) يعنى يطرده
من رحته (فلن يجدله نصيرا) يعنى ينصره * قوله تعالى (ام لهم نصيب من الملك) هذا
استفهام انكار يعنى ليس لهم من الملك شئ البتة وذلك ان اليهود كانوا يقولون نحن اولى بالملك

والنبوة فكيف تتبع العرب فأكذبهم الله تعالى وأبطل دعواهم (فإذا لا يؤتون الناس نقيرا)
 هذا جواب وجزاء لخصم قدره ولأن كان لهم نصيب وحظ من الملك فلا يؤتون الناس منه
 نقيرا وصفهم بالجل في هذه الآية ووصفهم بالجهل في الآية المتقدمة ووصفهم بالحسد في الآية
 الآتية وهذه الخصال كلها مذمومة فكيف يدهون الملك وهي حاصلة فيهم والقير هو القطعة
 التي تكون على ظهر النواة ومنها تنبت النخلة ويضرب به المثل في الشيء الحقير النافه الذي
 لا قيمة له قوله عز وجل (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) أصل الحسد تمنى زوال النعمة
 عن هو مستحق لها وربما يكون ذلك مع سعي في زوالها ووصف الله اليهود بشر خدلة وهي الحسد
 والمراد بالناس محمد صلى الله عليه وسلم وحده وإنما جازان يقع عليه لفظ الجمع وهو واحد لأنه
 صلى الله عليه وسلم اجتمع فيه من خصال الخير والبركة ما لا يجتمع مثله في جماعة ومن هذا القبيل
 يقال فلان أمة وحده يعني أنه يقوم مقام أمة وقيل المراد بالناس النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه
 لأن لفظ الناس جمع وجهه على الجمع أولى والمراد بالفضل النبوة لأنها أعظم المناصب وأشرف
 المراتب وقيل حسدوه على ما أحل الله له من النساء وكان له يومئذ تسع نسوة فقالت اليهود لو كان
 نبيا لشغله امر النبوة عن الاهتمام بأمر النساء فأكذبهم الله تعالى ورد عليهم بقوله (فقد آتينا
 آل إبراهيم الكتاب والحكمة) يعني أنه قد حصل في أولاد إبراهيم صلى الله عليه وسلم جماعة
 كثيرون جمعوا بين الملك والنبوة مثل داود وسليمان عليهما السلام فلم يشغلهم الملك عن امر
 النبوة المعنى كيف يحسدون محمد صلى الله عليه وسلم على ما آتاه الله من فضله وقد آتينا آل إبراهيم
 الكتاب والحكمة وأنتم لا تحسدونهم والمراد بالكتاب التوراة وبالحكمة النبوة (وآتيناهم
 ملكا عظيما) يعني فلم يشغلهم عن النبوة فنفس الفصل بكثرة النساء فسر الملك العظيم في حق
 داود وسليمان بكثرة النساء فإن كان لداود مائة وسليمان ألف امرأة لثلاثة حرة وسعائلة
 سرية ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ إلا تسع نسوة ولما لم يكن ذلك مستبعدا في حقهم
 ولا نقصا في نبوتهم فلا يكون مستبعدا في حق محمد صلى الله عليه وسلم ولا نقصا في نبوته (فهم)
 يعني من اليهود (من آمن به) أي بالنبي صلى الله عليه وسلم وما أنزل إليه كعبد الله بن سلام وأصحابه
 (ومنهم من صد عنه) أي عرض عنه ولم يؤمن به (وكفى بجهنم سعيرا) يعني وكفى في عذاب
 من لم يؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم سعيرا * قوله تعالى (إن الذين كفروا ما يأتيانك)
 نصليهم نارا) هذا وعيد من الله عز وجل للذين أقاموا على كفرهم وتكذيبهم بما أنزل الله
 عز وجل على محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود وغيرهم من سائر الكفار والمعنى إن الذين
 جحدوا ما أنزلت على رسول محمد من آيات الدالة على توحيدى وصدق رسول محمد صلى الله عليه
 وسلم سوف نصليهم نارا أي ندخلهم نار نشويهم فيها (كما فضجت جلودهم) يعني احترقت
 (بدلائهم جلودا غيرها) يعني غير الجلود المحترقة قال ابن عباس يدلون جلودا بعضا كأمثال
 القراطيس وروى أن هذه الآية قرئت عند عمر بن الخطاب فقال عمر للقارئ أدها فأعادها وكان عنده
 معاذ بن جبل فقال معاذ عندي تفسيرها تبدل في كل ساعة مائة مرة فقال عمر هكذا سمعت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ذكره بغوى بغير سند وقال الحسن تأكلهم النار في كل يوم سبعين ألف
 مرة (ق) عن أبي هريرة يرفعه ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع

الصفات مع العمل به (وعليك
 ما لم تكن تعلم) لأنه علم الله
 لا يعلمه إلا هو فلا كشف لك
 من ذاته بضائك فيه ثم أبقاك
 بالوجود الحقائق فصار
 قلبك وجيبك بحجاب
 ذلك القلب عليك علمه إذ
 الصفة تابعة للذات (وكان
 فضل الله عليك) في إظهار هذا
 الكمال عليك بالتوفيق

(م) عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرر الكافر لو قال ناب الكافر مثل احد وغلظ جلده مسيرة ثلاثة ايام فان قلت كيف تعذب جلود لم تكن في الدنيا ولم تعص مقلت بعد الجلد الاول في كل مرة وانما قال جلودا غيرها لتبديل صفتها كما تقول صفت من خاتمي خاتما غيره فاني هو الاول غير ان الصناعة بدلت الصفة وقيل ان العذاب للجملة الحساسة وهي النفس التي عصت فاذا كان كذلك فغير مستحيل ان الله يخلق للكافر في كل ساعة من الجلود ما لا يحصى لتعرق ويصل المهابه وقيل المراد بالجلود السرايل وهو قوله سرايلهم من قطرال والمعنى كما نضجت سرايلهم واحترقت بدلانهم سرايل من قطران غيرها لان الجلود لو احترقت لفنيت وفي فائتها راحتها وقد اخبر الله عنهم انهم لا يموتون فيها ولا يخفف عنهم من عذابها ولان الجلد احد اجزاء الجسم ثبت ان التبديل انما هو للسرايل وقيل يدل الجلد من نفس الكافر فيخرج من لحمه جلدا * وقيل ان الله تعالى يلبس اهل النار جلودا لاتألم تكون زيادة في عذابهم كلما احترق جلد بدلهم جلدا غيره * وقوله تعالى (ليدوقوا العذاب) اي انما فعلنا بهم ذلك ليعصوا الم العذاب وكرهه وشدة وانما في بلفظ الذوق مع ما ينالهم من عظم العذاب الذي نالوه اخبارا بان احساسهم به في كل حال كاحساس الذائق في تجديد وجدان الذوق من غير نقصان في الاحساس (ان الله كان عزيزا) يعني في انتقامه ممن ينتقم من خلقه لا يغلبه شيء ولا يتمتع عليه احد (حكما) يعني في تدبيره وقضائه لا يفعل الا ما هو الصواب (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم) يعني سوف ندخلهم يوم القيامة (جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) يعني باقون فيها (ابد) يعني ذلك الخلود بغير نهاية ولا انقطاع (لهم فيها) يعني في الجنات (ازواج مطهرة) يعني مطهرات من الحيض والنفس وسائر اقدار الدنيا (ندخلهم ظلالا ظليلا) يعني كئينا ذلك الظل لاتسفه الشمس ولا يؤذيهم به حر ولا برد وذلك الظل هو ظل الجنة فان قلت اذا لم يكن في الجنة شمس يؤذي حرها فافائدة وصفها بالظل الظليل * قلت انما خاطبهم بما يعقلون ويعرفون وذلك لان بلاد العرب في غابة الحرارة فكان الظل عندهم من اعظم اسباب الراحة والذادة فهو كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشا * وقوله عز وجل (ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهله) قال البغوي نزلت في عثمان بن طلحة الجلي من بني عبد الدار وكان سادن الكعبة فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب البيت وصعد السطح فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح فقيل له انه مع عثمان فطلب منه رسول الله المفتاح فأبى وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه المفتاح فلوى على بن ابي طالب واخذ منه المفتاح وقبح الباب ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وصلى فيه ركعتين فلما خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح وان يجمع له بين السقاية والسدانة فانزل الله هذه الآية فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ان رد المفتاح الى عثمان ويعتذر اليه ففعل ذلك فقال له عثمان اكرهت ثم جئت ترفق فقال علي لقد اتزل الله عز وجل في شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاسلم فكان المفتاح معه الى ان مات فدفعه الى اخيه شيبة فالمفتاح والسدانة في اولادهم الى يوم القيامة قلت وفيما ذكره البغوي رحمه الله من اسلام عثمان بن طلحة يوم الفتح ومنعه المفتاح وقوله لو اعلم انه رسول الله لم امنعه المفتاح نظر والصحيح ما حكاه ابو عمر بن عبد البر وابن منده وابن الاثير ان عثمان بن طلحة هاجر الى المدينة

لهم المذى او صلك الى
مالو صلك (عظيم) لاخير
في كثير من نجواهم) فانها
فضول والفضول يجب
تركها على المسالك كما قال
عليه الصلاة والسلام من
حسن اسلام المرء تركه
لا لايمنه (الا من امر) اي
الانجوى من امر (بصدقة)
اي بفضيلة السقاء التي هي

في هدنة الحديبية سنة ثمان مع خالد بن الوليد ولقيهما عمرو بن العاص مقبلا من عند النجاشي فرافقهما وهاجر معهما فلما راهم النبي صلى الله عليه وسلم قال رمتكم مكة بافلاذ كبدها يعني انهم وجوه اهل مكة فاسلموا وسلم عثمان بن طلحة المفتاح للنبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فرد النبي صلى الله عليه وسلم اليه وقال خذوها يا بني طلحة خالدة مخلدة لا يزعها منكم الا ظالم ولم يذكر واسأل العباس السدانة والله اعلم وثبت في الصحيحين من حديث ابن عمر قال اقبل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو مردف اسامة على القصور ومعه بلال وعثمان حتى اتاها عند البيت ثم قال لعثمان ائتنا بالمفتاح فجاءه بالمفتاح ففتح الباب وذكر الحديث وذكر ابن الجوزي في تفسير هذه الآية من رواية ابي صالح عن ابن عباس قال ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طلب مفتاح البيت من عثمان بن طلحة فذهب ليعطيه اياه فقال العباس بابي انت وامى اجمعه لي مع السقاية فكف عثمان يده مخافة ان يعطيه العباس فقال النبي صلى الله عليه وسلم هات المفتاح فاعاد العباس قوله وكف عثمان يده فقال النبي صلى الله عليه وسلم هات المفتاح ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فقال هاكه يا رسول الله بامانة الله فاخذ المفتاح ففتح الباب ونزل جبريل بهذه الآية فدا عثمان ودفعه اليه في هذه الرواية ايضا ما يدل على تقدم اسلام عثمان بن طلحة على فتح مكة لان قوله صلى الله عليه وسلم لعثمان ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر يدل على ذلك فعلى هذا القول يكون الخطاب في قوله ان الله يا امرمكم للنبي صلى الله عليه وسلم وهو ان الله امره ان يرد مفتاح البيت الى عثمان بن طلحة وقيل الخطاب في قوله ان الله يا امرمكم ان تؤدوا الامانات الى اهله لولاة امور المسلمين من الامراء والحكام وغيرهم ويدل على ذلك سياق الآية وهو قوله واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ومعنى الآية ان الله يا امرمكم يا اولاد الامور ان تؤدوا ما ائتمتم عليه من امور رعينكم وان توفوهم حقوقهم وان تعدلوا بينهم وقيل ان الآية عامة في جميع الامانات ولا يمتنع من خصوص السبب عموم الحكم فيدخل في ذلك جميع الامانات التي يحملها الانسان وينقسم ذلك الى ثلاثة اقسام * القسم الاول رعاية الامانة في عبادة الله عز وجل وهو فعل المأمورات وترك المنهيات قال ابن مسعود الامانة لازمة في كل شيء حتى في الوضوء والنسل من الجنابة والصلاة والزكاة والصوم وسائر انواع العبادات * القسم الثاني هو رعاية الامانة مع نفسه وهو ما اتم الله به عليه من سائر اعضائه فامانة اللسان حفظه من الكذب والقيصة والنيمة ومحو ذلك وامانة العين فحضاها عن المحارم وامانة السمع ان لا يشغله بشيء من اللهو والفحش والا كاذب ونحوه ثم سائر الاعضاء على نحو ذلك * القسم الثالث هو رعاية الامانة العبد مع سائر عباد الله تعالى فيجب عليه رد الودائع والعياري الاربابها الذين ائتموه عليها ولا يخونهم فيها عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لائمة الى من ائتمك ولا تخن من خائلك اخرج ابو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب ويدخل في ذلك ولاء الكيل والميزان فلا يطف فيهما ويدخل في ذلك ايضا عدل الامراء والملوك في الرعية ونصح العلماء للعامة فكل هذا الاشياء من الامانة التي امر الله عز وجل بادائها الى اهله وروى البغوي بسنده عن انس قال فلما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الاقال لا ايمان لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له وقوله تعالى (واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل) يعني وان الله يا امرمكم ان تحكموا بين الناس بالعدل فيجب على الحاكم ان يأخذ الحق بمن وجب عليه لمن وجب له واصل

من باب العقبة (او معروف)
قولي كنعليم علم وحكمة
من باب فضيلة الحكمة
او ضلي كافانة ملهوف
وايانة مظلوم من باب
الشجاعة (او اصلاح بين
الناس) من باب العدالة
(ومن يفعل ذلك) اي
يجمع بين الكمالات
المذكورة (انباء مرضاة

العدل هو المساواة في الاشياء فكل ما خرج عن الظلم والاعتداء سمي عدلا قال بعض العلماء ينبغي للقاضي ان يسوى بين الخصمين في خمسة اشياء في الدخول عليه والجلوس بين يديه والاقبال عليهما والاستماع منهما والحكم بالحق فيما لهما وعليهما وحاصل الامر فيه ان يكون مقصودا لحاكم بحكمه ابصال الحق الى مستحقه وان لا يمزج ذلك بغرض آخر (م) عن عبد الله بن عروب بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الناس الى الله يوم القيامة وادناهم عنده مجلسا امام مأدل وابفض الناس الى الله وابعدهم منه مجلسا امام جائر اخرجه الترمذي * قوله تعالى (ان الله نعماء يعظكم به) اي نعم الشيء الذي يعظكم به وهو اداء الامانات والحكم بالعدل (ان الله كان سميعا بصيرا) يعني انه تعالى سميع لما يقولون وبصير بما تفعلون فاذا حكمتم فهو يسمع حكمكم واذا اديتم الامانة فهو يبصر فعلكم * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم) (ق) من ابن عباس قال لما نزل قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم الآية قال نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي السهمي اذ بعثه النبي صلى الله عليه وسلم في سرية وقال السدي نزلت في خالد بن الوليد وذلك انه بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على سرية وفيها عارب يأسر فلما قرى بوا من القوم هربوا منهم وجاء رجل الى عمار قد اسلم فامنه عمار فرجع الرجل فبعاه خالد فاخذ مال الرجل فقال عمار اني قد امتنته وقد اسلم فقال خالد لا تجبر علي وانا لالامير فتنازما وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجاز امان عمار ونهاه ان يبحر الثانية على امير فانزل الله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم * واصل الطاعة الانقياد وهو امتثال الامر فطاعة الله عز وجل امتثال امره فيما امره والانقياد لذلك الامر وطاعة الله واجبة على كافة الخلق وكذا طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم واجبة ايضا لقوله تعالى واطيعوا الرسول فاطيعوا وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم على الخلق * واختلف العلماء في اولى الامر الذين اوجب الله طاعتهم بقوله واولى الامر منكم يعني واطيعوا اولى الامر منكم قال ابن عباس وجابرهم الفقهاء والعلماء الذين يعملون الناس معالم دينهم وهو قول الحسن والضحاك ومجاهد وقال ابو هريرة الامراء والولاة وهي رواية عن ابن عباس ايضا قال علي بن ابي طالب حق على الامام ان يحكم بما اذن الله ويؤدي الامانة فاذا فعل ذلك فحق على الرعية ان يسمعوا ويطيعوا (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن طيع الامير فقد اطاعني ومن عصى الامير فقد عصاني (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على المرء المسلم السمع والطاعة فيما احب او كره الا ان يؤمر بمعصية الله فان امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة (خ) عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسمعوا واطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشي كان رأسه زينة ما اقام فيكم كتاب الله وقال ميمون بن مهران هم امراء السرايا والبعوث وهي رواية عن ابن عباس ايضا ووجه هذا القول ان الآية نازلة فيهم وقال عكرمة اراد باولى الامر ابابكر وعمر لما روى عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لا ادري ما باقائي فيكم فاقدوا بالذين من بعدي ابي بكر وعمر اخرجه الترمذي وقيل هم جميع الصحابة لما روى عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم اخرجه ورين في كتابه

الله) لا تطلب الحمدة او الرياء والسمعة فتصير به الفضيلة رذيلة (فسوف تؤتيه اجرا عظيما) من جنات الصفات (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وسامت مصير ان الله لا يقفر ان بشره ويفقر

وروى البغوي بسنده عن الحسن عن انس قال ان رسواله صلى الله عليه وسلم قال مثل اصحابي في امتي كالمخ في الطعام لا يصلح الطعام الا بالمخ قال الحسن قد ذهب لمخنا كيف نصليح قال الطبري واولى الاقوال بالصواب قول من قال هم الامراء والولاة لهذه الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالامر بطاعة الائمة والولاة فيما كان الله عز وجل طاعة والمسلمين مصالحة وقال الزجاج وجلة اولى الامر من يقوم بشأن المسلمين في امر دينهم وجميع ما دى اليه صلاحهم قال العلماء طاعة الامام واجبة على الرعية مادام على الطاعة فاذا زال عن الكتاب والسنة فلا طاعة له وانما تجب طاعته فيما وافق الحق * وقوله تعالى (فان تنازعتم في شئ) يعنى اختلفتم في شئ من امر دينكم * والتنازع اختلاف الآراء واصله من انتزاع الحقة وهوان كل واحد من المتنازعين ينزع الحجة لنفسه (فردوه الى الله والرسول) اى ردوا ذلك الامر الذى تنازعتم فيه الى كتاب الله عز وجل والى رسوله صلى الله عليه وسلم مادام حيا وبعد وفاته فردوه الى سنته والرد الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واجب فان وجد ذلك الحكم في كتاب الله اخذ به فان لم يوجد في كتاب الله ففي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فان لم يوجد في السنة فسيبيله الاحتماد وقيل الرد الى الله ورسوله ان يقول لا يعلم الله ورسوله اعلم (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) يعنى افعلوا ذلك الذى امرتكم به ان كنتم تؤمنون بالله وان طاعته واجبة عليكم وتؤمنون بالمعاد الذى فيه جزاء الاعمال قال العلماء في الآية دليل على ان من لا يعتقد وجوب طاعة الله وطاعة الرسول ومتابعة السنة والحكم بالاخبار الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون مؤمنا بالله واليوم الآخر (ذلك خير) يعنى رد الحكم الى الله ورسوله خير (واحسن تأويلا) يعنى واحد قاطبة وقيل معناه ذلك اى ردكم ما اختلفتم فيه الى الله ورسوله احسن تأويلا منكم له واعظم اجرا * قوله عز وجل (الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما نزل من قبلك يريدون ان يتحاكوا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به) قال ابن عباس نزلت في رجل من المنافقين يقال له بشر كان بينه وبين يهودى خصومة فقال اليهودى نطلق الى محمد وقال المنافق بل نطلق الى كعب بن الاشرف وهو الذى سماه الله الطاغوت فأبى اليهودى ان يخاصمه الا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى المنافق ذلك اتى معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهودى فلا خرجا من عنده لزمه المنافق وقال انطلق بنا الى عمر فأتيا عمر فقال لليهودى اختصمت انا وهذا الى محمد فقضى لي عليه فلم يرض بقضائه وزعم انه محاصى اليك فقال عمر للمنافق اكذلك قال نعم فقال لهما عمر رويدا حتى اخرج اليكما فدخل عمر البيت واخذ السيف واشتمل عليه ثم خرج فضرب به المنافق حتى يرد وقال هكذا اقضى بين من لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله فنزلت هذه الآية وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمى الفاروق وقال السدى كان ناس من اليهود قد اسلموا ووافق بعضهم وكانت قريظة والنضير في الجاهلية وكانت قريظة خلفاء الخزرج والنضير خلفاء الاوس وكان اذا قتل رجل من بنى قريظة رجلا من بنى النضير قتل به او اخذت دية مائة وسق من تمر واذا قتل رجل من بنى النضير رجلا من قريظة لم يقتل به واعطى دية ستين وسقا فلما جاء الاسلام وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة قتل رجل من النضير رجلا من قريظة

مادون ذلك لمن يشاء ومن
يشرك بالله فقد ضل
ضللا بعيدا ان يدعون
من دونه الا انانا اى نفوسا
اذ كل من يشرك بالله فهو
عابد لنفسه بطاعة هواها
وعابد لشيطان الوهم
يقول اغواؤه وطاعته
او كل ما يعبد من دون الله
لانه يمكن وكل يمكن فهو متأثر

فاختصموا في ذلك فقال بنو النضير كنا وانتم قد اصلحتمنا على ان تقتل منكم ولا تقتلوا منا ودينا مائة وسق ودينكم ستون وسقا فمن نعطكم ذلك فقالت الخزرج هذا شيء كنتم فعلتموه في الجاهلية لكثرتكم وقتلنا فقهرتمونا على ذلك فاليوم نحن اخوة في الدين فلا فضل لكم علينا فقال المنافقون منهم نطلق الى ابي بردة الكاهن الاسلى وقال المسلمون من الفريقين بل نطلق الى النبي صلى الله عليه وسلم فابي المنافقون وانطلقوا الى ابي بردة الكاهن ليحكم بينهم فقال اطعموا القثمة يعني الخضر فقالوا لك عشرة اوسق فقال لابل مائة وسق ديني فابوا ان يعطوه الا عشرة اوسق وابي ان يحكم بينهم فانزل الله عز وجل آتني القصاص وانزل هذه الآية الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك الزعم والزم بضم الزاي وقهها لتتان واكثر ما يستعمل الزعم بمعنى القول الذي لا يتحقق وقيل هو حكاية قول يكون مظنة للكذب واذك قيل زعم مظية الكذب والمراد به في هذه الآية الكذب لان الآية نازلة في المنافقين وظاهر الآية بدل على انها نازلة في الذين نافقوا من مؤمنى اهل الكتاب وبدل عليه قوله آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكوا الى الطاغوت يعني كعب بن الاشرف في قول ابن عباس سماء الله طاغوتا لا فراطه في الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو ابو بردة الكاهن في قول السدي (وقدامروا ان يكفروا به) يعني بالطاغوت ايمان بالله عز وجل (ويريد الشيطان ان يضلهم) يعني عن طريق الهدى والحق (ضلالا بعيدا واذا قيل لهم) يعني للمنافقين (تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول) يعني هلموا الى حكم الله الذي اترله في كتابه والى الرسول ليحكم بينكم به (رايت المنافقين يصدونك صدودا) يعني يعرضون عنك وعن حكمك اعراضا واي اعراض وانما اعرض المنافقون عن حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم علموا انه صلى الله عليه وسلم كان يحكم بينهم بالحق الصريح ولا يقبل الرشا وقوله عز وجل (فكيف اذا اصابهم مصيبة) يعني فكيف حال هؤلاء المنافقين وكيف يصنعون اذا اصابهم مصيبة يعجزون عنها (بما قدمت ايديهم) يعني نصيبهم عقوبة بسبب ما قدمت ايديهم وهو انهاكم الى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا وعيد لهم على سوء صنيعهم ورضاهم بحكم الطاغوت دون حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل المصيبة هي قتل عمر لذلك المنافق وقيل هي كل مصيبة تصيب المنافقين في الدنيا والآخرة (ثم جاؤك) يعني المنافقين حين نصيبهم المصائب يعتذرون اليك (يخلفون بالله ان اردنا) اي ما اردنا بها كنا الى غيرك (الاحسانا) يعني في العاكم الى غيرك لاساءة (وتوفيقا) يعني بين الخصمين لمخالفة لك في حكمك وقيل جاء اولياء المنافق الذي قتله عمر يطلبون دية وقالوا ما اردنا بالتهاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا في حكمه ويوفق بينه وبين خصمه وما خطر بالنا انه يحكم بما حكم به من قتل صاحبنا فاهدر الله دم ذلك المنافق (اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم) يعني من النفاق (فاعرض عنهم) يعني عن عقوبتهم وقبل من قبول حذرهم (وعظمهم) يعني باللسان والمراد زجرهم بالوعظ من النفاق والكفر والكذب وتخويفهم بعذاب الآخرة (وقل لهم في انفسهم قولنا بلينا) يعني بلينا يؤثر في قلوبهم موقعه وهو التوفيق بالله عز وجل وقيل هو ان يودعهم بالقتل ان لم يتوبوا من النفاق وقيل هو ان يقول لهم ان اظهرتم ما في قلوبكم من النفاق قتلتم لان هذا القول

عن الغير قابل لتأثيره محتاج اليه وهي صفة الاناث (وان يدهون الاشيطان) مریدا لعنه الله وقال لا تتخذن من عبادك نصيبا مفروضا اي غير المخلصين الذين خصوا دينهم بالتوحيد (ولا تملنهم ولا تملنهم) بالعادات الفاسدة والاهواء

يلف في نفوسهم كل مبلغ * وقيل معناه فاعرض عنهم في الملاقاة لهم في انفسهم اذا خلوت بهم قولا بليغا اى اغلظ لهم في القول خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا لهم بالنصيحة لانها في السر انجع * وقيل هذا الاعراض منسوخ بآية القتال وقد تكلم العلماء في حد البلاغة فقال بعضهم البلاغة ائصال المعنى الى الفهم في احسن صورة من اللفظ وقيل البلاغة حسن العبارة مع صحة المعنى هو قيل البلاغة سرعة الاجاز مع الافهام وحسن التصرف من غير اضجار * وقيل احسن الكلام ما قلت الفاظه وكثرت معانيه * وقيل خير الكلام ما شوقى اوله الى سماع آخره * وقيل لا يستحق الكلام اسم البلاغة الا اذا طابق لفظه معناه ومعناه لفظه ولم يكن لفظه الى السمع اسبق من معناه الى القلب وقيل * المراد بالقول البليغ في الآية ان يكون حسن الالفاظ حسن المعاني مشتملا على الترهيب والترغيب والاعذار والانتذار والوعد والوعيد بالتواب والعقاب فان الكلام اذا كان كذلك عظم وقفه في القلوب واثري النفوس * قوله تعالى (وما ارسلنا من رسول الا بطاع باذن الله) يعنى بامر الله والمعنى انما وجبت طاعة الرسول بامر الله لان الله اذن في ذلك وامره به وقيل * معناه بامر الله وقضائه اى طاعته تكون باذن الله لانه اذن فيه فتكون طاعة الرسول طاعة الله ومعصيته عصية الله والمعنى وما ارسلنا من رسول الا فرضت طاعته على من ارسلته اليهم وانت يا محمد من الرسل الذين فرضت طاعتهم على من ارسلوا اليهم ففيه توبيخ وتقرع للمنافقين الذين تركوا حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضوا بحكم الطاغوت (ولوانهم اذ ظلموا انفسهم) يعنى الذين تحاكموا الى الطاغوت ظلموا انفسهم بالتحاكم اليه (جاؤك) يعنى جاؤك تائبين من النفاق والتحاكم الى الطاغوت متنصلين مما ارتكبوا من المخالفة (فامدّهم الله) يعنى من ذلك الذنب بالاخلاص وبالعودة الى الاعتذار اليك من ايدائك رد حكمك لانتهاك الى غيرك (واستغفر لهم الرسول) يعنى من مخالفته والتحاكم الى غيره وانما قال واستغفر التسوية ولم يقل واستغفرت لهم اجلال لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتفخيمه وتعظيم الاستغفار والصديق ذا جاؤك فقد جاؤا من خصه الله برسائه وجعله سفيرا بينه وبين خلقه ومن كان كفى صدق ثم تعالى لا يرد شفاعته فلهذا السبب عدل الى طريقة الالتفات من لفظ الخطاب الى لفظ القول الله حوا الله توابا رحما) يعنى لو انهم تابوا من ذنوبهم ونفاقهم واستغفرت لهم لعلموا ان الله يتوب عليهم ويتجاوز عنهم ورحمهم * قوله عز وجل (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) نزلت هذه الآية في الزبير بن العوام ورجل من الانصار (من عروة بن الزبير عن ابيه ان رجلا من الانصار خاصم الزبير في شراج الحرة التي يسقون بها النخل فقال الانصارى سرج الماء يمر فاقبى عليه فاختصم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير اسق يا زبير ثم ارسل الى جارك ففضب الانصارى ثم قال يا رسول الله ان كان ابن عمك تفلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للزبير اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر فقال الزبير والله انى لاحسب هذه الآية نزلت في ذلك فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم زاد البخارى فاستوى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ للزبير حقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك قد أشار على الزبير بآيى اراد سعة له وللانصارى فلما حفظ الانصارى رسول الله صلى الله عليه وسلم استوى رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير حقه في صريح الحكم قال الزبير والله ما احسب

المردية والافعال الشنيعة
المخالفة للعقل والشرع
فليتكن آذان الانصام
ولامرهم فليغيرن خلق
الله ومن يتخذ الشيطان
وليامن دون الله فقد خسر
خسرا تامينا بعدهم ويمنيهم
وما بعدهم الشيطان الا غرورا
او لك مأواهم جهنم
ولا يجدون عنها محيصا
والذين آمنوا الايمان الحق في
التوحيد لانهم في مقابلة
لمشركين (وعلوا الصالحات)
ما يصلح لهم في الوصول الى
الجمع او يصلح للناس اجمعين
بالاستقامة في الله وبالله
بعد الفناء وحصول البقاء
(سندخلهم جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها

هذه الآية نزلت الا في ذلك * قوله في شراج الحرة * الشراج مسابيل الماء التي تكون من الجبل وتنزل الى السهل الواحدة شرجة يسكون الراء * والحرة الارض الجرداء المتأبسة بالجارية السود * وقوله فتلون وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني تغير * وقوله فلما حفظ اى اغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقوله حتى يرجع الى الجدر هو يفتح الجيم يعني اصل الجدار * وقوله فاستوحى له اى استوفى حقه في صريح الحكم وهو ان كان ارضه اقرب الى فم الوادى فهو اولى باول الوادى وحقه تمام السقي فرسول الله صلى الله عليه وسلم اذن للزير في السقي على وجه المساحة فلما ابى خصمه ذلك ولم يعترف بما اشار به رسول الله صلى الله عليه وسلم من المساحة لاجله امر الزبير باستيفاء حقه على التمام وحل خصمه على مر الحق * فعلى هذا القول تكون الآية مستأنفة لا تتعلق لها بما قبلها قال البغوي وروى انهما لما خرجا مرآ على المقداد فقال لمن كان القضاء قال الانصارى لابن عمته ولوى شقه ففطن له يهودى كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يهجمونه في قضاء يقضى بينهم وابعدهم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حياة موسى فدعاه موسى الى التوبة منه فقال فاقبلوا انفسكم ففعلوا فبلغ قتلا ناسبعين الفا في طاعة رضى عنا فقال ثابت بن قيس بن شمس اما الله ان الله يعلم منى الصدق ولو امرني محمدان اقتل نفسي اقبلت * وقال مجاهد والشعبي نزلت هذه الآية في بشر المنافق واليهودى الذين اختصما الى الطاغوت * وعلى هذا القول تكون الآية متصلة بما قبلها * فلا وربك * معناه وربك فعلى هذا تكون لا مزيد لنا كيد معنى القسم * وقيل ان لارد لكلام سبق كانه قال ليس الامر كما يزعمون انهم آمنوا وهم يخالفون حكمك ثم استأنف القسم فقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم يعني فيما اختلفوا فيه من الامور واشكل عليهم حكمه * وقبل في التيسر عليهم يقال شجره في الامر اذا نازعه في حكمه اصله التداخل والاختلاط وشجر الكلام اذا دخل بعضه في بعض واختلط * ثم لا يجحدوا فصريح * حرجا بما قضيت * يعني ضيقا بما قضيت وقيل شكها فيما قضيت بل يرضوا بقضائك * وقيل هو لا يعني وينقاد والامر كالتقيد او لا يعارضونك في شيء من امرك * وقيل معناه يسلموا * انكم * قوله عز وجل (ولو انا كتبنا عليهم) اى فرضنا واوجبنا عليهم * الضمير في عليهم على سوء المنافقين وقيل يعود الضمير على الكافة فيدخل فيه المنافق وغيره (ان اقبلوا انفسكم او اقبلوا دياركم) يعني كما كتبنا على بنى اسرائيل القتل والخروج من مصر (ما فعلوه الا قليل منهم) معناه لم يفعلوا الا قليل منهم نزلت في ثابت بن قيس بن شمس وذلك ان رجلا من اليهود قال والله لقد كتب الله علينا القتل والخروج ففعلنا فقال ثابت والله لو كتب الله علينا ذلك لفعلنا وهو من القليل الذي استثنى الله وقيل انزلت هذه الآية قال عمرو بن لوحي بن مسعود وناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم القليل الذين ذكرهم الله والله لو امرنا لفعلنا والحمد لله الذي عاقبنا فبلغ ذلك اليه صلى الله عليه وسلم فقال ان من امتي لرجالا الايمان في قلوبهم اثبت من الجبال الرواسي * ومن قال ان الضمير في عليهم يعود الى المنافقين قال معنى ما فعلوه الا قليل منهم يعني رياء وسعنة والمعنى ان ما كتبنا عليهم الا طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم والرضا بحكمه ولو ان كتبنا عليهم القتل والخروج من الدور والوطن ما كان فعله الا نفريسير منهم * وقرئ الا قليلا منهم بالنصب وتقديره الا ان يكون قليلا منهم (ولو انهم فعلوا ما بوعدون به) يعني ولو انهم فعلوا ما كلفوا به من طاعة الرسول

ابدا وعد الله حقا ومن اصدق من الله قيلا) الجنات الثلاثة المذكورة (ليس) حصول الموعد (بأما بكم ولا ما في اهل الكتاب) اى ما بقيتم مع نفوسكم وصفاتها وافعالها فاردتكم بجر دمعن والتنى طلب ما تمتنع وجوده في العادة (ومن يعمل من

صلى الله عليه وسلم والرضا بحكمه (لكان خير الهم) يعنى فى الدنيا والآخرة وانما سمي ذلك التكليف
وفظالان او امر الله تعالى وتكليفه مقرونة بالوعد والوعيد والثواب والعقاب وما كان كذلك
يسمى وعظا (واشد ثبوتا) يعنى تحقيقا وتصديقا لا يما نهم والمعنى ان ذلك اقرب الى ثبات ايمانهم
وتصديقهم (واذا آتيناهم من لدنا اجر اعظيما) يعنى ثوابا وافرا جزيلا واذا جواب لسؤال مقدر
كأنه قيل ماذا يكون من هذا الخير والثبوت قال هو ان تؤتيهم من لدنا اجر اعظيما (ولهديناهم صراطا
مستقيما) قال ابن عباس معناه ولا رشدناهم الى دين مستقيم يعنى دين الاسلام وقيل معناه ولهديناهم
الى الاعمال الصالحة التى تؤدى الى الصراط المستقيم وهو الصراط الذى يمر عليه المؤمنون الى
الجنة لان الله تعالى ذكر الاجر العظيم اولانم ذكر الصراط المستقيم بعده لانه هو المؤدى الى
الجنة ﴿وقوله عز وجل (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين انعم الله عليهم) الآية نزلت
في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بى مرض ولا وجع غير انى اذالم اراك استوحشت وحشة
شديدة حتى التاكثمت انى اذا ذكرت الآخرة اخاف لاراك لانك ترفع الى عليين مع الدين وانى
اخاف ان دخلت الجنة كنت في منزلة هي ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة لاراك ابدًا فزلت
هذه الآية وقيل ان بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال كيف يكون الحال وانت يا رسول الله
في الدرجات العلى ونحن اسفل منك فكيف نراك فازل الله تعالى هذه الآية ومن يطع الله يعنى
في اداء الفرائض واجتناب النواهي * والرسول اى ويطع الرسول في الس التي سنه * فاولئك مع
الذين انعم الله عليهم يعنى بالهداية والنوفيق في الدنيا وبدخول الجنة في الآخرة (من الدين) يعنى
ان المطيعين مع النبيين في الجنة لا تفوتهم رؤية الانبياء في الجنة ومجالستهم لانهم يكونون في درجاتهم
في الجنة لان ذلك يقتضى التسوية في الدرجة بين الفضل والمفضول (والصديقين) الصديق الكثير
الصدق فعيل من الصديق والصدقون هم اتباع الرسل الذين اتبعوهم على مناهجهم بعدهم حتى لحقوا بهم
وقيل الصديق هو الذى صدق بكل الدين حتى لا يخاطبه فيه شك * والمراد بالصديقين في هذه الآية
افاضل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كابي بكر فانه هو الذى سمي بالصديق من هذه الامة
وهو افضل اتباع الرسل (والشهداء) هم الذين استشهدوا في سبيل الله وقيل هم الذين استشهدوا يوم
احد (والصالحين) جمع صالح وهو الذى اتت سيرته وعلايته في الخير وقيل الصالح من اعتقاده
صواب وعمله في سنة وطاعة * وقيل المراد بالنيبين هنا محمد صلى الله عليه وسلم وبالصديقين ابوبكر
وبالشهداء عمرو عثمان وعلي * وبالصالحين سائر الصحابة (وحسن اولئك) يعنى المشار اليهم وهم
التيون والصديقون والشهداء والصالحون وفيه معنى التجب كائنه قال وما احسن اولئك
(رفيقا) يعنى في الجنة * والرفيق الصاحب سمي رفيقا لارتفاقك به وبصحبتك * وانما وحد الرفيق وهو
صفة الجمع لان العرب تعبر به عن الواحد والجمع * وقيل معناه وحسن كل واحد من اولئك رفيقا (ق)
عن انس ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال متى الساعة قال وما اعدت لها
قال لا شئ الا انى احب الله ورسوله فقال انت مع من احببت قال انس فافرحنا بشئ اشد فرحا
بقول النبي صلى الله عليه وسلم انت مع من احببت قال انس فانما احب الي صلى الله عليه وسلم

الصالحات من ذكر او انثى
وهو مؤمن فأولئك
يدخلون الجنة ولا يظنون
نفيرا ومن احسن ديناً
اى طريقاً (عن اسلم وجهه)
اى وجوده (لله) واخلص
ذاته من شوب الانية
والاثنية بالفناء المحض
(وهو محسن) مشاهد
لجمع في عين التفصيل

وابا بكر وعروار جوان اكون معهم بحبي اياهم وان لم اعمل باعمالهم * وقوله تعالى (ذلك) اشارة الى ما تقدم ذكره من وصف الثواب (الفضل من الله) يعنى الذى اعطى الله المطيعين من الاجر العظيم (وكفى بالله علما) يعنى يحجز من اطاعه وقيل معناه وكفى بالله علما بعباده فهو يوفىكم لطاعته وفيه دليل على انهم لم ينالوا تلك الدرجة بطاعتهم بل انما نالوها بفضل الله تعالى ورحمته * ويدل عليه ما روى عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يدخل احدكم الجنة عمله الجنة قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان تغمدنى الله منه بفضل ورحمة فقط البخارى ومسلم نحوه * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا خذوا حذرکم) الحذر احتراس من خوف والمعنى احذروا واحذروا من عدوكم ولا تمكثوا من انفسكم * وقيل المراد بالحذر هنا السلاح يعنى خذوا سلاحكم وعدتكم لقتال عدوكم وانما سمى السلاح حذرا لان به يتقوى ويحذرو قتل معناه احذروا عدوكم * وللقائل ان يقول اذا كان المقدور كائنا ما ينفع الحذر * فالجواب عنه بانه لما كان الكل يقضاه الله وقدره كان الامر باخذ الحذر من قضاء الله وقدره (فانقروا ثبات) اى اخرجوا سورايا متفرقين سرية بعد سرية (وانقروا جميعا) يعنى اواخرجوا جميعا كلكم مع نبيكم صلى الله عليه وسلم الى جهاد عدوكم (وان منكم لمن ليبطئن) نزلت في المنافقين وانما قال منكم لاجتماعهم مع اهل الايمان في الجنسية والنسب والظهار كلمة الاسلام لافى حقيقة الايمان والمعنى وان منكم لمن يتأخرن وليتأخرن عن الجهاد وهو عبدالله بن ابي بن سلول المنافق وكان رأس المنافقين (فان اصابكم مصيبة) اى قتل وهزيمة (قال) يعنى هذا المنافق (قد انعم الله على) يعنى بالعود (اذ لم كن معهم) يعنى مع المؤمنين (شيسدا) يعنى حاضر الواقعة فيصينى ما اصابهم (ولئن اصابكم فضل من الله) اى قبح وغنيمة (ليقولن) يعنى هذا المنافق (كأن لم تكن بينكم وبينه مودة) اى معرفة ومودة فى الدين والمعنى كأنه ليس من اهل دينكم وذلك ان المنافقين كانوا يوادون المؤمنين فى الظاهر (بالتنى كنت معهم) فى تلك الفزوة التى غنم فيها المؤمنون (فأفوز فوزا عظيما) اى فأخذ نصيبا وافرا من الغنيمة * قوله عز وجل (فليقاتل فى سبيل الله) هذا خطاب للمنافق اى فليخلص الايمان وليقاتل فى سبيل الله * وقيل هو خطاب للمؤمنين المخلصين اى فليقاتل المؤمنون فى سبيل الله (الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة) اى يبيعون يقال شريت بمعنى بعث لانه استبدال عوض بعوض والمعنى فليقاتل المؤمنون الكافرين الذين يبيعون حياتهم فى الدنيا بثواب الآخرة وما وعد الله فيها لاهل الايمان والطاعة وقيل معناه فليقاتل فى سبيل الله المؤمنون الذين يبيعون الحياة الدنيا ويختارون الآخرة وثوابها على الدنيا القانية (ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل) اى فيستشهد (او يظلب) يعنى يظفر بعدوه من الكفار (فسوف نؤتيه) يعنى فى كلا الحالتين الشهادة او الظفر نؤتيه فيما (اجرا عظيما) يعنى ثوابا وافرا (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج فى سبيله لا يخرج به الاجهاد فى سبيل ويا عابدى وتصديق برسى فهو على ضامن ان ادخله الجنة او ارجعه الى مسكنه الذى خرج منه نائلا ما نال من اجرا وغنيمة فقط مسلم * قوله عز وجل (وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله) قال المفسرون هذا حض من الله على الجهاد فى سبيله لاستنقاذ المؤمنين المستضعفين من ايدى الكفار وفيه دليل على ان الجهاد واجب والمعنى لا عذر لكم فى ترك الجهاد

مراع لحقوق تجليات الصفات واحكامها سالك طريق الاحسان بالاستقامة فى الاعمال (واتبع ملة ابراهيم) فى التوحيد (حنيفا) مائلا من كل شرك فى ذاته وصفاته وافضاله وعن كل دين باطل اى طريق يؤدى الى اثبات فضل لغيره اوصفة او ذات اذ دينه دين الحق اعنى سيرة

وقد بلغ حال المستضعفين ما بلغ من الضعف والاذى (والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان) قال ابن عباس يريد ان قوما من المؤمنين استضعفوا فخبسوا وعذبوا وقيل كان هؤلاء بمكة يلقون من المشركين اذى شديدا وكان اهل مكة قد اجتهدوا ان يفتنوا قوما من المؤمنين عن دينهم بالاذى لهم وكانوا مستضعفين في ايديهم ولم يكن لهم بمكة قوة يمتنعون بها من المشركين * فلي هذا يكون معنى الآية ومالك لا تقاتلون في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين * وقال ابن عباس معناه وعن المستضعفين لان المراد صرف الاذى عنهم (خ) عن ابن عباس في قوله ومالك لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين الآية قال كنت انا وامى من المستضعفين وفي رواية ابن ابي مليكة قال تلا ابن عباس الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان قال كنت انا وامى من هذا الله انا من الولدان وامى من النساء * فلي هذه الرواية الثانية من حديث ابن عباس يكون معنى والمستضعفين الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان فانهم ممن ترك القتال * والولدان جمع وليد وهو الصبي الصغير (الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية) يعنى مكة (الظالم اهلها) يعنى الظالم اهلها انفسهم بالشرك لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم وذلك ان المستضعفين لما منهم المشركون من الهجرة من مكة الى المدينة دعوا الله عز وجل فقالوا ربنا اخرجنا من هذه القرية يعنى مكة الظالم اهلها بالشرك (واجعل لنا من لدنك وليا) يعنى وليا يلى امرنا (واجعل لنا من لدنك نصيرا) يعنى ينصرنا ويمنعنا من العدو فاستجاب الله دعاءهم وجعل لهم من لدن خير ولي وخير ناصر وهو محمد صلى الله عليه وسلم فتولى امرهم ونصرهم واستنقذهم من ايدي المشركين يوم فتح مكة واستعمل عليهم عتاب بن اسيد وكان ابن ثمان عشرة سنة فكان ينصر المظلومين على الظالمين ويأخذ للضعيف من القوى * قوله عز وجل (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله) يعنى في طاعة الله واعلاء كلمته وانشاء مرضاته (والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت) يعنى في طاعة الشيطان (فقاتلوا اولياء الشيطان) اى فقاتلوا اهل المؤمنين حزب الشيطان وجنوده وهم الكفار (ان كيد الشيطان كان ضعيفا) الكيد السعى في الفساد على جهة الاحتيال ويعنى بكيد ما كاد المؤمنين به من تخويفه اولياء الكفار يوم بدر وكونه ضعيفا لانه خذل اولياء الكفار لما رأى الملائكة قد نزلت يوم بدر وكان النصر لاولياء الله وحزبه على اولياء الشيطان وحزبه * وادخال كان في قوله ضعيفا لتأكيد ضعف كيد الشيطان * قوله عز وجل (الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقموا الصلاة وآتوا الزكاة) قال الكلبي نزلت في عبدالرحمن بن عوف الزهري والمقداد بن الاسود الكندي وقدامة بن مظعون الجمسى وشعبد بن ابي وقاص وجاعة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يلقون من المشركين اذى كثيرا بمكة قبل ان يهاجروا فكانوا يقولون يا رسول الله انذن لنا في قتالهم فانهم قد آذونا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا ايديكم فاني لم اومر بقتالهم واقموا الصلاة وآتوا الزكاة يعنى قيل لهم كفوا ايديكم عن قتالهم وادوا ما افترض عليكم من الصلاة والزكاة * وفيه دليل على ان فرض الصلاة والزكاة كان قبل فرض الجهاد (فلا كتب عليهم القتال) اى فرض عليهم جهاد المشركين امروا بالخروج الى بدر (اذا فريق منهم) يعنى اذا جاعة من الذين سألوا ان يفرض عليهم الجهاد (يخشون الناس) يعنى يخافون مشركي مكة (كخشية الله اواشد خشية) او بمعنى الواو يعنى واشد خشية (وقالوا ربنا لم كتب علينا

حينئذ سير الى الله لاسير
في الله بسلوك طريق
الصفات ولا الى الله بقطع
صفات النفس ومناهل
صفات القلب فلا دين
احسن من دينه (واتخذ الله
ابراهيم خليلا) يخالاه اى
يدخله في خلل ذاته
وصفاته بحيث لا يذر منها
بقية او يسد خلله ويقوم

القتال) يعني لم فرضت علينا الجهاد (لولا آخرتنا الى اجل قريب) يعني هلا تركتنا ولم تفرض علينا القتال حتى نموت بأجالتنا والقائلون لهذا القول هم المنافقون لان هذا القول لا يليق بالمؤمنين وقيل قاله بعض المؤمنين وانما قالوا ذلك خوفا وجبنا لاعتقادنا ثم انهم تابوا من هذا القول (قل) اى قل لهم يا محمد (متاع الدنيا قليل) يعني ان مفعمتها والاستمتاع بالدنيا قليل لانه فان زائل (والآخرة) يعني ونواب الآخرة (خير لمن اتقى) يعني اتقى الشرك وعبادة معصية الرسول صلى الله عليه وسلم (ولا تظلمون قليلا) اى ولا تنقصون من اجوركم قدر قليل (م) عن المستورد بن شداد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه هذه وأشار يعني بالسبابة في اليم فلينظر يمين ترجع * قوله عروجل (ايما تكونوا يدرككم الموت) نزلت في المنافقين الذين قالوا في قتل واحد لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فرد الله عليهم بهذه الآية * وقيل نزلت في الذين قالوا ربنا لم كتب علينا القتال فرد الله عليهم بقوله تعالى ايما تكونوا يدرككم الموت يعني ينزل بكم الموت فيمن تعالى انه لا خلاص لهم من الموت واذا كان لابد لهم من الموت كان القتل في سبيل الله وجهاد اعدائه افضل من الموت على الفراش لان الجهاد موت تحصل به سعادة الآخرة * ثم بين تعالى انه لا بد لهم من الموت وانه لا ينبغي منه شئ بقوله (ولو كنتم في روج مشيدة) البروج في كلام العرب الحصون والقلاع والمشيقة المرفوعة المطوالة * وقيل هي المطلية بالشيد وهو الجص (وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله) نزلت في المنافقين واليهود وذلك ان المدينة كانت ذات خير وازراق ونم عندهم قدم النبي صلى الله عليه وسلم فلما ظهر نفاق المنافقين وعناد اليهود امسك الله عنهم بعض الامساك فقال المنافقون واليهود ما زلنا نعرف القصد في ثمارنا ومرارنا منذ قدم علينا هذا الرجل واصحابه فقال الله تعالى وان تصبهم حسنة اى خصب في الثمار ورخص في السعر يقولوا هذه من عند الله يعني من قبل الله (وان تصبهم سيئة) اى جذب في الثمار وغلاء في السعر (يقولوا هذه من عندك) يعني من شؤم محمد واصحابه * وقيل المراد بالحسنة الظفر والفضية يوم بدر وبالسيدة القتل والهزيمة يوم احد ومعنى من عندك انت الذي حملنا عليه يا محمد * فعلى هذا القول يكون هذا اخبارا عن المنافقين خاصة (قل) اى قل لهم يا محمد (كل من عند الله) يعني الحسنة والسيدة والخصب والجذب والفضية والهزيمة والظفر والقتل فاما الحسنة فانعام من الله واما السيدة فابتلاء منه (فالهؤلاء القوم) اى فاشأ هؤلاء القوم المنافقين واليهود الذين قالوا ما قالوا (لا يكادون يفقهون حديثا) يعني لا يفقهون معاني القرآن وان الاشياء كلها من الله عز وجل خيرها وشرها * قوله تعالى (ما اصابك من حسنة) يعني من خير ونعمة (فمن الله) يعني من فضل الله عليك بفضل به احسانا منه اليك (وما اصابك من سيئة) يعني من شدة ومكروه ومشقة واذى (فمن نفسك) يعني فمن قبل نفسك وبذنب اكتسبته نفسك استوجبت ذلك به * وفي المحاطب بهذا الكلام قولان * احدهما انه عام وتقديره ما اصابك أيها الانسان * والثاني انه خطاب لاني صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من الامة والنبي صلى الله عليه وسلم يرى لان الله عز وجل قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وقد عصمه من حين البعثة فهو معصوم فيما يستقبل حتى يموت * ويدل على ان المراد بهذا الخطاب غيره قوله عز وجل يا أيها النبي اذا طلقتم النساء

بدل ما بيني منه عند تكميله وفقره اليه فانخليل وان كان اهل مرتبة من الصفي لكنه ادون من الحبيب لان انخليل محب يوشك ان يتوهم فيه بقية غيرية والحبيب محبوب لا يتصور فيه ذلك ولهذا اتى في ناز العشق دونه (ولله ما في السموات وما في الارض وكان الله بكل شئ محيطا ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيمن وما ينزل عليكم في الكتاب في يتامى النساء الاتى لا تؤتونهن ما كتب

خاطبه وحده ثم جمع الكل بقوله اذا طلقت النساء فعنى قوله فنفسك اى عقوبة لذنبك يا ابن آدم كذا قاله قتادة * وقال الكلبي ما اصابك من خير فآله وعاذك عليه وما اصابك من امر تكره فبذنبك عقوبة لذلك الذنب * وقد تعلق بظاهر هذه الآية القدرية وقالوا نفى الله السيئة عن نفسه ونسبها الى الانسان بقوله وما اصابك من سيئة فنفسك * ولا تعلق لهم بها لانه ليس المراد من الآية حسنة الكسب من الطاعات ولا السيئة المكتسبة من فعل المعاصي بل المراد من الحسنة والسيئة في هذه الآية ما يصيب الانسان من النعم والمحن وذلك ليس من فعل العبد لانه لا يقال في الطاعة والمعصية اصابني وانما يقال اصبته ويقال في النعم والمحن اصابني بدليل انه لم يذكر عليه ثواب ولا عقاب فهو كقوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ولما ذكر الله حسنات الكسب وسياته وعد عليها بالثواب والعقاب فقال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلهما فبطل بهذا قول القدرية وقال بعضهم لو كانت الآية على ما يقول اهل القدر لقال ما اصبحت من حسنة وما اصبحت من سيئة ولم يقل ما اصابك لان العادة جرت بقول الانسان اصابني خير او مكروه واصبت حسنة او سيئة * وقيل في معنى الآية ما اصابك من حسنة اى الصبر والظفر يوم بدر فن الله اى من فضل الله وما اصابك من سيئة اى من قتل وهزيمة يوم احد فن نفسك يعنى فبذوب اصحابك وهو مخالفتهم اياك * فان قلت كيف وجه الجمع بين قوله تعالى قل كل من عند الله وبين قوله وما اصابك من سيئة فن نفسك فأضاف السيئة الى فعل العبد في هذه الآية * قلت اما اضافة الاشياء كلها الى الله تعالى في قوله قل كل من عند الله فعلى الحقيقة لان الله تعالى هو خالقها وموجدها واما اضافة السيئة الى فعل العبد فعلى المجاز تقديره وما اصابك من سيئة فن الله بذنب نفسك عقوبة لك * وقيل اضافة السيئة الى فعل العبد على سبيل الادب فهو كقوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين فأضاف المرض الى نفسه على طريق الادب ولا يشك طائل ان المرض هو الله تعالى * وقيل هذه متصلة بما قبلها وفيه اضمحار وتقديم وتأخير تقديره فا لهؤلاء الما القوم لا يكادون يفقهون حديثنا ويقولون ما اصابك من حسنة فن الله وما اصابك من سيئة فن نفسك قل كل من عند الله * وقال ابن الانباري في معنى الآية ما اصابك الله به من حسنة وما اصابك به من سيئة فالعلان راجعان الى الله تعالى * قوله تعالى (وارسلناك للناس رسولا) يعنى وارسلناك يا محمد الى كافة الناس رسولا لتبلغهم رسالتى وما ارسلتك به ولست رسولا الى العرب خاصة كما قال بعض اليهود بل انت رسول الى الخلق كافة العرب وغيرهم (وكفى بالله شهيدا) يعنى على ارسلناك للناس كافة فما ينبغي لاحد ان يخرج عن طاعتك واتباعك * وقيل معناه وكفى بالله شهيدا على بليغك ما ارسلت به الى الناس * وقيل معناه وكفى بالله شهيدا على ان الحسنة والسيئة من الله * قوله عز وجل (من يطع الرسول فقد اطاع الله) سبب نزول هذه الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اطاعنى فقد اطاع الله ومن اجنبى فقد احب الله فقال بعض المنافقين ما يريد هذا الرجل الا ان يتخذ ربا كما اتخذ النصراني عيسى بن مريم ربا فانزل الله هذه الآية من يطع الرسول يعنى فيما امر به ونهى فقد اطاع الله يعنى ان طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة الله تعالى لانه هو امر به * وقال الحسين جعل الله طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم طاعته وقامت به الحجة على المسلمين وقال الشافعي

لهن وترغبون ان
تسكوهن والمستضعفين
من ولدان وان تقوموا
للتامى بالقسط وما تفعلوا
من خير فان الله كان به عليما
وان امرأة خافت من بعلها
نشورا او اعراضا فلا
جناح عليهما ان يحملا بينهما
صلحا والصلح خير
احضرت النفس الشح
وان تحسنوا وتوفوا فان الله
كان بما تعملون خبيرا ولن
تستطيعوا ان تعدلوا بين
النساء ولو حرصتم فلا
تميلوا كل الميل فتذروها
كالمعلقة وان تصلموا وتنفقوا
فان الله كان غفورا رحاما

ان كل فريضة فرضها الله في كتابه كالخج والصلاة والزكاة لولا بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ما كنا نعرف كيف نأتيها ولا كان يمكننا اداء شيء من العبادات واذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه المنزلة الشريفة كانت طاعته على الحقيقة طاعة الله (ومن تولى) أي اعرض عن طاعته (فأرسلناك عليهم حفيظا) يعني حافظا تحفظ اعمالهم عليهم بل كل امرهم الى الله * قال المفسرون وكان هذا قبل ان يؤمر بالقتال ثم نسخ ذلك بآية القتال * قوله تعالى (ويقولون طاعة) نزلت في المنافقين وذلك ان المنافقين كانوا يقولون باللسان لرسول الله صلى الله عليه وسلم آمنا بك وصدقك فربا مارك طاعة أي امرنا وشأننا طاعة (فاذا برزوا من عندك) أي خرجوا من عندك (بيت طائفة منهم غير الذي تقول) التبييت كل امر يفعل بالليل يقال هذا امر بيت اذا دبر ليل وقضى ليل فقد بيت والمعنى انهم قالوا وقدروا امر بالليل غير الذي اعلوك بالنهار من الطاعة وقبل معنى بيت غير وبدل طائفة منهم غير الذي تقول يعني غير الذي عهدت اليهم * فلي هذا يكون التبييت بمعنى التبديل * وانما خص طائفة من المنافقين بالتبييت في قوله منهم وكلمة من للتبويض لانه تعالى علم ان منهم من بقي على كفره ونفاقه ومنهم من رجع عنه ويتوب فخص من بصر على النفاق بالذكر * وقيل ان طائفة منهم اجتمعوا في الليل وبيتوا ذلك القول فخصهم بالذكر (والله يكتب) أي يثبت ويحفظ عليهم (ما يبشرون) يعني ما يزورون ويغيرون ويقدررون * وقال ابن عباس يكتب ما يبشرون من النفاق (فأعرض عنهم) أي لا تعاقبهم يا محمد ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم واخلهم في ضلالتهم فانما تنتقم منهم * وقيل لا تفر باسلامهم (وتوكل على الله) أي فوض امرك الى الله في شأنهم فان الله يكفيك امرهم وينتقم لك منهم (وكفى بالله كيلا) يعني ناصرالك عليهم * قوله عز وجل (افلا يتدبرون القرآن) اصل التدبر النظر في عواقب الامور والتفكر في ادبارها ثم استعمل في كل تفكر وتأمل يقال تدبرت الشيء أي نظرت في عاقبته ومعنى تدبر القرآن تأمل معانيه والتفكر في حكمه وتبصر ما فيه من الآيات قال ابن عباس افلا يتدبرون القرآن فينتفكرون فيه فيرون تصديق بعضه لبعض وما فيه من المواضع والذكر والامر والنهي وان احدا من الخلق لا يقدر عليه * قال العلماء ان الله تعالى احتج بالقرآن والتدبر فيه على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم * والجمعة في ذلك من ثلاثة اوجه * احدها فصاحته التي عجز الخلق عن الاتيان بمثلها في اسلوبه * الثاني اخباره عن النيوب وهو ما يطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على احوال المنافقين وما يخفونه من مكرهم وكيدهم فيفضهم بذلك وغير ذلك من الاخبار عن احوال الاولين واخبارهم وما يأتي في المستقبل من امور الغيب التي لا يعلمها الا الله تعالى * الثالث سلامته من الاختلاف والتناقض وهو المراد بقوله تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) قال ابن عباس يعني تفاوتوا وتناقضوا وفي رواية انه لو كان من عند مخلوق لكان فيه كذب واختلاف وقيل معناه لوجدوا في اخباره عن الغيب بما يكون وبما قد كان اختلافا كثيرا لان الغيب لا يعلمه الا الله تعالى واذا كان كذلك ثبت انه من عند الله وانه ليس فيه اختلاف ولا تناقض * وقيل لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من حيث البلاغة والفصاحة والمعنى لو كان من عند مخلوق لكان على قياس الكلام المخلوق بعضه فصيح بليغ حسن وبعضه مردود ركيك فاسد فلما كان القرآن جيبه على منهاج واحد في الفصاحة

والبلاغة ثبت انه من عند الله والمعنى أفلا تفكرون في القرآن فيعرفوا بعدم التناقض فيه وصدق ما يخبر به عن القيوب انه كلام الله عز وجل وان ما يكون من عند غير الله لا يخلو عن تناقض واختلاف فلما كان القرآن ليس فيه تناقض واختلاف علم انه من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره عالم بما لا يعلمه سواه * قوتعالى (واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به) وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبعث البعوث والسرايا فاذا غلبوا او غلبوا بادر المنافقون يستخبرون عن حالهم ثم يشيعونه ويحدثون به قبل ان يحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيضعفون به قلوب المؤمنين فانزل الله تعالى هذه الآية واذا جاءهم يعني المنافقين امر من الامن يعني جاءهم خبر بفتح وغنية او الخوف يعني القتل والهزيمة اذاعوا به اى افشوا ذلك الخبر واشاعوه بين الناس يقال اذاع السر واذاع به اذا اشاعه واطهره قال الشاعر

اذاع به في الناس حتى كانه * بعلياء نار اوقدت بقوب

(ولو ردوه) يعني الامر الذي تحدثوا به (الى الرسول) يعني انهم لم يتحدثوا به حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يتحدث به ويظهره (والى اولى الامر منهم) يعني ذوى العقول والرأى والبصيرة بالامور منهم وهم كبار الصحابة كابى بكر وعمر وعثمان وعلي * وقبلهم امراء السرايا والبعوث وانما قال منهم على حسب الظاهر ولان المنافقين كانوا يظهرون الايمان فلما قال والى اولى الامر منهم (لعلمه الذين يستنبطونه منهم) اى يستخرجون تدبيره بدكانهم وفطنهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب وما ينبغي لها وما يكيدها وهم العلماء الذين علموا ما ينبغي ان يكتف من الامور وما ينبغي ان يداع منها والبطالماء الذى يخرج من البر اول ما تحصر واستباطه استخراجهم فاستخرج لما يخرج الرجل بفضل ذكائه وصفاء ذهنه وفطنه من المعاني والتدبر فيما يعضل ويهم يقال استنبط الفقيه المسألة اذا استخراجها باجتهاده ومهمه * وفي الآية دليل على جواز القياس وان من العلم ما يدرك بالنص وهو الكتاب والسنة ومه ما يدرك بالانسباط وهو القياس عليهما ومعنى الآية ولوان هؤلاء المنافقين والمدينين ردوا الامر من الامن والخوف الى الرسول والى اولى الامر وطلبوا معرفة الحال به من جهتهم لعلوا حقيقة ذلك منهم وانهم اولى بالبحث عنه فانهم اهل ما ينبغي ان يشاع اويكتم * قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحته) يعني ولولا فضل الله عليكم بعبث محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن ورحته بالتوفيق والهداية (لاتبتم الشيطان) يعني لبقيتكم على الكفر والضلالة (الا قليلا) اختلف العلماء في هذا الاستثناء والى ماذا يرجع * فقيل هو راجع الى الاذاعة وهو قول ابن عباس والتقدير واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به الا قليلا فاخرج بعض المنافقين والمؤمنين عن هذه الاذاعة لانهم لم يدعوا ما علوا من امر السرايا وهذا القول اختيار القراء وابن جرير الطبري * وقيل هو راجع الى المستنبطين وهو قول الحسن وقادة واختاره ابن قتيبة وتقديره لعلمه الذين يستنبطونه منهم الا قليلا * فضلى هذين القولين في الآية تقديم وتأخير * وقبل انه راجع الى اتباع الشيطان وهو قول الضحاك واختاره الزجاج ومعلوم ان صرف الاستثناء الى ما يليه ويتصل به اولى من صرفه الى الشيء البعيد وتقديره ولولا فضل الله عليكم ورحته لاتبتم الشيطان الا قليلا منكم وهم قوم آمنوا واهتدوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وانزال

القرآن مثل زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وقس بن معاذة الياهمي * قوله تعالى (فقاتل في سبيل الله لا تكلف الانفسك) نزلت في مواعدة رسول الله صلى الله عليه وسلم اباسفيان بن عروب * وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واعد مواسم بدر الصغرى بعد حرب احد وذلك في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى الخروج فكثرهم بعضهم فاتزل الله هذه الآية فقاتل في سبيل الله يعني لا تدع جهاد العدو والانتصار للمستضعفين من المؤمنين لا تكلف الانفسك يعني لا تكلف فرض غيرك بل جاهد في سبيل الله ولو وحده فقاتل الله ناصر لك لا الجنود وقد وعدك النصر عليهم وهو لا يخلف الميعاد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين راكبا الى بدر الصغرى فكفاهم الله القتال ورجعوا سالمين واثاب الله من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية على ترك الجهاد والخروج معه وفي الآية دليل على ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اشجع الناس واعلمهم بامور القتال ومكائده لان الله تعالى امره بالقتال وحده ولو لم يكن اشجع الناس لما امره بذلك ولقد اقدم به ابو بكر الصديق في قتال اهل الردة من بني حنيفة الذين منعوا الزكاة فصرم على الخروج الى قتالهم ولو وحده (وحرص المؤمنين) يعني حضهم على الجهاد ورغبهم في الثواب وليس عليك في شأنهم الا التحريض فحسب لا التعنيف بهم (عسى الله) اي لعل الله (ان يكف بأس الذين كفروا) يعني لعل الله ان يمنع بأس الكفار وشدتهم وقد فعل ذلك ان اباسفيان بدله عن القتال فلم يخرج الى الموعد (والله اشد بأسا) اي اعظم صولة (واشد تسكيلا) يعني واشد عذابا وعقوبة من غيره * قوله عز وجل (من يشفع شفاعا حسنة يكن له نصيب منها) الشفاعا مأخوذة من الشفع وهو ان يصير الانسان بنفسه شفيعا لصاحب الحاجة حتى يجتمع معه على المسئلة الى المشفوع اليه فلي هذا قيل ان المراد بالشفاعة المذكورة في الآية هي شفاعا الانسان لغيره ليحلب له بشفاعته نفعا او يخلصه من بلاء نزل به * وقيل هي الاصلاح بين الناس * وقيل معنى الآية من يصير شفعا لوتر اصحابك يا محمد فيشفعهم في جهاد عدوهم يكن له نصيب منها اي حظ وافر من اجر شفاعته وهو ثواب الله وكرامته (ومن يشفع شفاعا سيئة) قيل هي الحمية ونقل الحديث لا يباع العداوة بين الناس * وقيل اراد بالشفاعة السيئة دعاء اليهود على المسلمين * وقيل معناه من يشفع كفره بقتال المؤمنين (يكن له كفل) اي ضعف وقيل نصيب (منها) اي من وزرها (وكان الله على كل شيء مقبلا) قال ابن عباس يعني مقتدرا او مجازيا واوقات على الشيء * قدر عليه قال الشاعر

وذى ضمن كفت الشرحه وكنت على اسائه مقبلا

يعني قادر على الاساءة اليه * وقيل معناه شاهدا وحفيظا على الاشياء (ق) عن ابي موسى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فجاء رجل يسأل فأقبل علينا بوجهه وقال اشفعوا تؤجروا ويقضى الله على لسان رسوله ما شاء * وفي رواية كان اذا جاءه طالب حاجة اقبل على جلسائه وقال اشفعوا تؤجروا ودكره * قوله عز وجل (واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها) التحية تقبلة من حيا واصلها من الحياة ثم جعل السلام تحية لكونه حارجا من حصول الحياة وسبب الحياة في الدنيا وفي الآخرة والتحية ان يقال حياك الله اي جعل لك حياة وذلك اخبار ثم يجعل دعاء وهذه اللفظة كانت العرب تقولها فلما جاء الاسلام بدل ذلك بالسلام وهو المراد به في الآية يعني اذا سلم عليكم فاسلموا فاجيبوه

يا حسن يا جميل عليكم . . . واختير لفظ السلام على لفظة حيالك الله لانه اتم واحسن واكمل لان معنى السلام السلامة من الآفات فذا دعا الانسان بطول الحياة بغير سلامة كانت حياته مذمومة منقصة واذا كان في حياته سليما كان اتم واكمل فلهذا السبب اختير لفظ السلام (اوردوها) يعني لوردوا عليه كما سلم عليكم (ان الله كان على كل شئ حسيبا) يعني محاسبا ومجازيا والمعنى انه تعالى على كل شئ من ردة السلام بمثله اوبأحسن منه مجاز

« (فصل في فضل السلام والحث عليه) * (ق) عن عبد الله بن عروب بن العاص ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الاسلام خير قال تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » قوله اى الاسلام خير معناه اى خصال الاسلام خير (م) من ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا اولاد لكم على شئ ادا فعلنوه تحابتم افشوا السلام بينكم » عن عبد الله بن سلام قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ايم الناس افشوا السلام واطعموا الطعام وصلوا الارحام وصلوا الناس يام تدخلوا الجنة بسلام اخرجه الترمذى وقال حديث صحيح » من ابى امامة قال امرنا نبينا صلى الله عليه وسلم ان نفشى السلام اخرجه ابن ماجه « (فصل في احكام تتعلق بالسلام) * وفيه مسائل * (المسئلة الاولى في كيفية السلام) * (ق) عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام قال اذهب فسلم على اولئك فمن الملائكة جلوس فاستمع ما يحبونك به فانها تحببك وتحمي ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا عليك السلام ورحمة الله فزادوه ورحمة الله قال العلماء يستحب لمن يتندى بالسلام ان يقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فيأتى بصمير الجمع وان كان المسلم عليه واحدا ويقول المحبب وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فيأتى بواو العطف في قوله وعليكم » من عمران بن حصين قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم فرد عليه ثم جلس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه فجلس فقال عشر ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه فجلس فقال ثلاثون اخرجه الترمذى وابوداود وقال الترمذى حديث حسن موثق اذا قال المسلم السلام عليكم فيقول المحبب وعليكم السلام ورحمة الله فيزيده ورحمة الله واذا قال السلام عليكم ورحمة الله فيقول وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فيزيده وبركاته واذا قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فيرد عليه السلام بمثله ولا يزيد عليه » وروى انه رجلا سلم على ابن عباس فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم زاد شيئا فقال ابن عباس ان السلام اثنين الى البركة ويستحب للمسلم ان يرفع صوته بالسلام ليسمع المسلم عليه فيحييه » ويشرط ان يكون الرد على الفور فان اخره ثم رد لم يصدقوا وكان آتما بترك الرد » (المسئلة الثانية في حكم السلام) » لا ابتداء بالسلامنة مستحبة ليس بواجب وهو سنة على الكفاية فان كانوا جماعة فسلم واحد عنهم كفى من جميعهم ولو سلم كلهم كان افضل واكمل » قال القاضي حسين من اصحاب الشافعى ليس للمحنة على الكفاية الا هذا وفيه نظر لان تسميت العاطس سنة على الكفاية ايضا كلسلام » ولودخل على جماعة في بيت او مجلس او مسجد وجب عليه ان يسلم على الحاضرين لقوله صلى الله عليه وسلم افشوا السلام والامر للوجوب او يكون ذلك سنة » تأكدة لان السلام من شعار اهل الاسلام فيجب انلهاه او تأكده استحبابه » اما الرد على المسلم فقد اجمع العلماء

على وجوبه ويدل عليه قوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها وادّوها والامر بالمعروف والنهي عن المنكر
لان في ترك الرد اهانة للمسلم فيجب ترك الاهانة فان كان المسلم عليه واحد اوجب عليه الرد واذا
كانوا جماعة كان رد السلام في حقهم فرض كفاية فلورد واحد منهم سقط فرض الرد عن الباقيين
وان تركوه كلهم اثموا عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجزى
عن الجماعة اذا مروا ان يسلم احدهم ويجزى عن الجلوس ان يرد احدهم اخرجهم ابوداود
(المسئلة الثالثة في آداب السلام) السنة ان يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل
على الكثير والصغير على الكبير (ق) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يسلم
الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير وفي رواية البخاري قال يسلم الصغير
على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير واذا تلاقي رجلان فليبتديا بالسلام هو الافضل
لما روى عن ابي امامة الباهلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اولي الناس بالله عز وجل
من بدأهم بالسلام اخرجهم ابوداود والترمذي ولفظه قال قيل يا رسول الله الرجلان يلتقيان
ايهما يبدأ بالسلام قال اولاهما بالله قال الترمذي حديث حسن* ويستحب ان يبدأ بالسلام قبل
الكلام والحاجة والسنة ادا امرت جماعة صبيان صغار ان يسلم عليهم لما روى عن انس
انه مر على صبيان فسلم عليهم وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ما اخرجاه في الصحيحين
وفي رواية لابن داود ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على غلمان يلعبون فسلم عليهم* واما السلام
على النساء فان كن جمعا جالسا في مسجد او موضع فيستحب ان يسلم عليهن اذا لم يخف على نفسه
او عليهن فتنة لما روى عن أسماء بنت يزيد قالت مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة فسلم
عليها اخرجهم ابوداود وفي رواية الترمذي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر في المسجد يوما
وعصبة من النساء قعود قالوا لبيده بالتسليم قال الترمذي حديث حسن* واذا مر على امرأة مفردة
اجنبية فان كانت جيلة فلا يسلم عليها ولو سلم فلا ترد هي عليه لانه لم يستحق الرد وان كانت مجوزا
لا يخاف عليه ولا عليها الفتنة سلم عليها وترد هي عليه* وحكم النساء مع الرجال مع الرجال
في السلام فيسلم بعضهم على بعض*(المسئلة الرابعة في الاحوال التي يكره السلام فيها)* فمن ذلك لذي
يول او يتخوط او يجامع ونحو ذلك لا يسلم عليه فلو سلم فلا يستحق المسلم جوابا لما روى عن ابن عمر ان
رجلا مرور رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلم فسلم عليه فمرد عليه اخرجهم مسلم قال الترمذي انما يكره
اذا كان على القائط او البول ويكره التسليم على من في الحمام وقيل ان كانوا متزينين بالمالا زر سلم
عليهم والا فلا ويكره التسليم على النائم والناس والمصلي والمؤذن والتالي في حال الصلاة والاذان
والتلاوة ويكره الابتداء بالسلام في حال الخطبة لان الجالسين مأمورون بالانصات للخطبة ويكره
ان يبدأ المتدع بالتسليم عليه وكذلك المعلن بفسق وكذلك الظلة ونحوهم فلا يسلم على هؤلاء
(المسئلة الخامسة في حكم السلام على اهل الذمة اليهود والنصارى) اختلف العلماء فيه فذهب
اكثرهم الى انه لا يجوز ابتداءهم بالسلام وقال بعضهم انه ليس بحرام بل هو مكروه كراهة
تنزيه ويدل على ذلك ما روى عن ابي هريرة ان رسولا الله صلى الله عليه وسلم قال لا تبدوا اليهود
ولا النصارى بالسلام واذا قيتهم احدهم في طريق فاضطروه الى اضيقه اخرجهم مسلم* واذا سلم
يهودي او نصراني على مسلم فمرد عليه ويقول عليك بغيروا والعطف لما روى عن انس ان يهوديا

أتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال السام عليكم فردّ عليه القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما قال قالوا الله ورسوله أعلم سلم يانبي الله قال لا ولكنك قال كذا وكذا ردّوه على فردّوه فقال قلت السام عليكم قال نعم نبي الله فقال صلى الله عليه وسلم عند ذلك إذا سلم عليكم أحدهم من أهل الكتاب فقولوا عليك أي عليك ما قلت أخرجته الترمذي فلو أتى بواو العطف وميم الجمع فقال وعليكم جاز لا ننجاب عليهم في الدماء ولا يجابون علينا ويبدل على ذلك ما روى عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ عليه ناس من اليهود فقالوا السام عليك يا أبا القاسم فقال وعليكم فقالت عائشة وغضبت لم تسمع ما قالوا قال بلى قد سمعت فرددت عليهم وأنا نجاب عليهم ولا يجابون علينا أخرجته مسلم* وإذا مرّ المسلم على جماعة فيهم مسلمون ويهود ونصارى سلم عليهم ويقصد تسليمه المسلمين لما روى عن أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ على مجلس فيه اخلاط من المسلمين واليهود فسلم عليهم أخرجته الترمذي * قوله عز وجل (الله لا اله الا هو ليجمعنكم) هذه لام القسم تقديره والله الذي لا اله الا هو ليجمعنكم الله في الموت وفي القبور (الى يوم القيامة) يعنى الى يوم الحشر والبعث سميت القيامة قيامة لقيام الناس من قبورهم بعد الموت وقيل لقيامهم للحساب نزلت هذه الآية في منكرى البعث (لا ريب فيه) يعنى لا شك في ذلك اليوم انه كائن (ومن اصدق من الله حديثا) يعنى لا احد اصدق من الله فانه لا يخلف الميعاد ولا يجوز عليه الكذب والمعنى ان القيامة كائنة لا شك فيما ولا ريب * قوله عز وجل (فالكلم في المناققين فتنين) اختلفوا في سبب نزول هذه الآية فقيل نزلت في الذين تخلفوا يوم احد من المنافقين فلما رجعوا قال بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اقلهم يا رسول الله فانهم منافقون وقال بعضهم اعف عنهم فانهم قد تكلموا بكلمة الاسلام (ق) عن زيد بن ثابت قال لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احد رجع ناس من خرج معه فكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فتنين قالت فرقة تقتلهم وقالت فرقة لا تقتلهم فنزلت فالكلم في المناققين فتنين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها طيبة تنقي الرجال كما ينقي الكبر خبث الحديد* وقيل نزلت في قوم خرجوا الى المدينة واسلموا ثم استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى مكة ليأتوا ببضائع لهم يتجرون فيها فخرجوا واقاموا بمكة فاختلف المسلمون فيهم فقاتل يقولهم منافقون وقائل يقولهم مؤمنون * وقيل نزلت في ناس من قريش قدموا المدينة واسلموا ثم قدموا على ذلك فخرجوا كهية المتزهرين فلما بعدوا عن المدينة كتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اناعلى الذي فارقتك عليه من الايمان ولكننا اجتمعنا المدينة واشتقنا الى ارضنا ثم انهم خرجوا في تجارة الى الشام فبلغ ذلك المسلمين فقال بعضهم نخرج اليهم ونقتلهم ونأخذ ما معهم لانهم رغبوا عن ديننا وقالت طائفة منهم كيف تقتلون قوما على دينكم وان لم يذروا ديارهم وكان هذا بعين رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساكت لا ينهى احدا الفريقين فنزلت هذه الآية * وقيل نزلت في قوم اسلموا بمكة ولم يهاجروا وكانوا يظاهرون المشركين * وقيل نزلت في عبد الله بن ابي اسلول المنافق لما تكلم في حديث الافك ومعنى الآية فالكلم يا معشر المؤمنين في المناققين فتنين أي صرتم في امرهم فرقين فرقة تذب عنهم وفرقة تبينهم وتعاليمهم فسمى الله الفرقة الذين يذبون عنهم وأمر المؤمنين جميعا

ان يكونوا على مناجاة واحدى البيان لهم والتميز منهم ثم اخبر عن كفرهم بقوله (والله اكبر)
 يعني نكسهم في كفرهم وارتدادهم وردهم الى احكام الكفار (بما كسبوا) اي بسبب
 ما اكتسبوا من اعمالهم الخبيثة وقيل بما اظهروا من الارتداد بعدما كانوا على الحق (ارتدوا)
 ان تهذوا من اضل الله (هذا خطاب لفئة التي دافعت عن المنافقين والمجنى اتبعون ابيها المؤمنين
 هداية هؤلاء المنافقين الذين اضلهم الله عن الهدى (ومن يضل الله) يعني عن الهدى (فلن
 تجده سبيلا) يعني فلن تجد له طريقا تهديه فيها الى الحق والهدى * قوله تعالى (ودوا) يعني
 تمنى او تلك الذين رجعوا عن الايمان الى الارتداد والكفر (لو تكفروا) يعني تكفروا ايتهم
 يا معشر المؤمنين (كما كفروا فتكونون سواء) في الكفر (فلا تخذوا منهم اولياء) يعني من
 الكفار منع المؤمنين من موالاتهم (حتى يهاجروا) يعني يسلموا او يهاجروا (في سبيل الله)
 معكم وهي هجرة اخرى * والهجرة على ثلاثة اوجد الاولى هجرة المؤمنين في اول الاسلام من
 مكة الى المدينة الثانية هجرة المؤمنين وهي الخروح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله
 مخلصين صابرين محسنين كما حكى الله عنهم وفي هذه الآية منع المؤمنين من موالاته المنافقين
 حتى يهاجروا والهجرة الثالثة هجرة المؤمنين ما نهى الله عنه بقوله (فان تولوا) يعني فان اعرضوا
 عن الاسلام والهجرة واختاروا الاقامة على الكفر (فخذوهم) لخطاب المؤمنين اي خذوهم
 ايها المؤمنون (واقتلوهم حيث وجدتموهم) يعني ابن وجدتموهم في الحقل والحرم (ولا تخذوا
 منهم وليا) يعني في هذه الحالة (ولا نصيرا) يعني نصركم على اعدائكم لانهم اعداء ثم استثنى الله
 عز وجل طائفة منهم فقال تعالى (الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق) هذا الاستثناء
 يرجع الى القتل لا الى الموالات لان موالاته الكفار والمنافقين لا يجوز بحال ومعنى يصلون يتبعون
 اليهم لو يتنزل اليهم او يدخلون معهم بالحلف والجوار وقال ابن عباس يريد يلجئون الى قوم بينكم وبينهم
 ميثاق اي عهد وهم الاسليون وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وادع هلال بن وهير
 الاسلي عند خروجه الى مكة على ان لا يمينه ولا يمين عليه ومن وصل الى هلال من قومه وغيرهم
 ولجأ اليه فلهم الجوار مثل ما لهلال * وفي رواية عن ابن عباس قال اراد بالقوم الذين بينكم
 وبينهم ميثاق بن بكر بن زيدمنا كانوا في الصلح والهدنة وقيل هم خزاعة والمعنى ان من دخل
 في عهد من كان داخلا في عهدكم فهم ايضا داخلون في عهدكم (او جاؤكم حصرت صدورهم)
 يحتمل ان يكون عطا على الذين وتقديره الا الذين يتصلون بالمجاهدين او يتصلون بالذين
 حصرت صدورهم فلا تقتلوهم وقيل يحتمل ان يكون عطا على صفة قوم وتقديره الا الذين
 يصلون الى قوم بينكم وبينهم عهد او يصلون الى قوم حصرت صدورهم فلا تقتلوهم ومعنى
 حصرت اي ضاقت صدورهم عن المقاتلة فلا يريدون قتالكم لانكم مسلمون ولا يريدون قتالهم
 لانهم اقرارهم وهم بمداخل وكانوا جاهدا ان لا يقاتلوا المسلمين وجاهدا قريبا ان لا يقاتلوهم
 (ان يقاتلوكم) يعني ضاقت صدورهم عن قتالكم للهداية بينكم وبينهم (او يقاتلوا قومه)
 يعني من آمن منهم وقيل معناه انهم لا يقاتلونكم مع قومه ولا يقاتلون قومه معكم فقد ضاقت
 صدورهم لذلك عن قتالكم والقتال معكم وهم قوم هلال الاسليون وبنو بكر نهى الله عن قتال
 هؤلاء المرتدين اذا اتصلوا باهل عهد المسلمين لان من انضم الى قوم ذوى عهد فله حكمهم في حقن

الذم وذلك ان الله تعالى اوجب قتال الكفار الامن كان معاهدا اولجا الى معاهد اوترك القتال
 لا لا يجوز قتل هؤلاء على هذا القول فالقول بالنسخ لازم لان الكافروا ترك القتال فقتاله
 جائزه وقال جماعة من المفسرين معاهدة المشركين وموادعتهم في هذه الآية منسوخة بآية السيف
 وذلك لان الله تعالى لما امر الاسلام واهله امران لا يقبل من مشركي العرب الا الاسلام او القتل (ولو
 شاء الله لاسلمهم عليكم فلقاتلوكم) يذكر الله تعالى منته على المسلمين بكف بأس المعاهدين وذلك لما اتى الله
 الزهبي في قلوبهم وكفهم عن قتالكم ومعنى التسلط هنا تقوية قلوبهم على قتال المسلمين ولكن قذف الله
 الرهب في قلوبهم وكفهم عن المسلمين (فان اعتزلوكم) يعني فان اعتزلوكم عن قتالكم (فلم يقاتلوكم)
 ويقال فلم يقاتلوكم يوم قح مكة مع قومهم (واقفوا اليكم السلم) يعني الانقياد والصلح فانقادوا
 واعتسلموا (فاجعل الله لكم عليهم سبيلا) يعني بالقتل والتقال قال بعض المفسرين هذا منسوخ بآية
 القتال وهي قوله تعالى اقاتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقال بعضهم هي غير منسوخة لانا
 اذا جئنا على المعاهدين فكيف يمكن ان يقال انها منسوخة * قوله عز وجل (سجدون آخرين)
 قال ابن عباس هم اسد وخطفان كالوا من حاضري المدينة فتكلموا بكلمة الاسلام رياء وهم
 غير مسلمين وكان الرجل منهم يقول له قومه بماذا آمنت يقول آمنت بالقرء والعرب
 وانفسا وما اذا قالوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لهم انا على دينكم يريدون بذلك
 الامن من القرنيين هو في رواية اخرى عن ابن عباس انها نزلت في بني عبد الدار وكانوا بهذه الصفة
 (يريدون ان يأمنوك) يعني يريدون باظهار الايمان ان يأمنوك فلا تعرضوا لهم (ويأمنوا
 قومهم) يعني باظهار الكفر لهم فلا يتعرضوا لهم (كلما ردوا الى الفتنة) يعني كلما دعوا الى
 الشرك (اركسوا فيها) رجعوا الى الشرك وقادوا اليه منكوسين على رؤسهم فيه (فان لم
 يعتزلوكم) يعني فان لم يكفوا عن قتالكم حتى يسروا الى مكة (ويلقوا اليكم السلم ويكفوا
 ايديهم) اي ولم يلقوا الصلح ولم يكفوا عن قتلهم (فخذوهم) يعني اسرى واقتلوهم حيث
 تقفتموهم (بني حيث ادر كنتموهم) (واوثكم) يعني اهل هذه الصفة (جعلنا اكم عليهم
 سلطانا مبيلا) يعني جمة ظاهرة بالقتل والقتال وقبل الحجة الواضحة هي ظهور عداوتهم وانكشاف حالهم
 بالكفر والعداوة * قوله تعالى (وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ) الآية نزلت في عياش
 بن ابي ربيعة المخزومي وذلك انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة قبل الهجرة فاسلم
 ثم خاف ان يظهر اسلامه لاهله فخرج هاربا الى المدينة وتحصن في اطم من اطمها والاطم الحصن
 فجزعت امه لذلك جزعا شديدا وقالت لابنها الحرث وابي جهل ابني هشام وهما اخو عياش
 بن ابي ربيعة لاهم والله لا يظلني سقف ولا ذوق طعاما ولا شرابا حتى تأتيني به فخرجوا في طلبه
 وخرج معهما الحرث ابن زيد بن ابي انيسة حتى اتوا المدينة فأتوا عياشا وهو في الاطم فقالوا
 انزل فان امك لم يؤوها سقف بعدك وقد حلفت لا تأكل ولا تشرب حتى ترجع اليها ولك
 عهد الله علينا ان لا نكرهك على شيء يحول بينك وبين دينك فلذا كروا له جرعا امه وابتغوا له
 العهد بالله نزل اليهم فاخرجوه من المدينة واوثقوه بأسعة وجلده كل واحد منهم مائة جلدة
 ثم قدموا به على امه فلما اناها قالت لا احلك من وثاقك حتى تكفر بالذي آمنت به ثم تركوه موثقا
 في الشمس ماشاء الله فاصلاهم الذي ارادوا فاما الحرث بن زيد فقال يا عياش اهذا الذي كنت عليه

دينار أو ثمانية آلاف درهم قال وكانت دية أهل الكتاب يومئذ على النصف من دية المسلم فكانت كذلك حتى اختلف عرفهم فقام خطيب فقال إن الأبل قد غلت ففرضها عمر على أهل الذهب ألف دينار وعلى أهل الورق اثني عشر ألف درهم وعلى أهل البرمائى بقرعة وعلى أهل الشاة ألف شاة وعلى أهل الحل مائتى حلة قال وترك دية أهل الكتاب فلم يرضها فيما رفع من الدية أخرجه أبو داود فذهب قوم إلى أن الواجب فى الدية مائة من الأبل أو ألف دينار أو اثنا عشر ألف درهم وهو قول عروة بن الزبير والحسن البصرى وبه قال مالك والشافعى * وذهب قوم إلى أنها مائة من الأبل أو ألف دينار أو عشرة آلاف درهم وهو قوله سفیان الثورى وأصحاب الرأى ودية المرأة نصف دية الذكر الحر ودية أهل الذمة والعهد ثلث دية المسلم إن كان كتابيا وإن كان مجوسيا فخمس الثلث ثمانمائة درهم وهو قول سعيد بن المسيب وإليه ذهب الشافعى * وذهب قوم إلى أن دية الذمى والمعاهد مثل دية المسلم روى ذلك عن ابن مسعود وهو قول سفیان الثورى وأصحاب الرأى وقال قوم دية الذمى نصف دية المسلم وهو قول عمر بن عبد العزيز وبه قال مالك وأحمد والأصل فى ذلك ما روى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دية المعاهد نصف دية الحر أخرجه أبو داود وعنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عقل أهل الذمة نصف عقل المسلمين وهم اليهود والنصارى أخرجه النسائى * فمن ذهب إلى أن دية أهل الذمة ثلث دية المسلم أجاب عن هذا الحديث بأن الأصل فى ذلك كان النصف ثم رفعت زمن عمر دية المسلم ولم ترفع دية الذمى فبقيت على أصلها وهو قدر الثلث من دية المسلمين والدية فى قتل العمد وشبه العمد مغلظة فتجب ثلاثون حقة وثلاثون جذعة وأربعون خلفة فى بطونهم وأولادها وهذا قول عمرو بن زيد بن ثابت وبه قال عطاء وإليه ذهب الشافعى لما روى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل متعمدا دفع إلى أولياء المقتول فان شاؤا قتلوا وإن شاؤا أخذوا الدية وهو ثلاثون حقة وثلاثون جذعة وأربعون خلفة وما صورحوا عليه فهو لهم وذلك لتشديد العقل أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وهو عن عقبة بن أوس عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال خطب النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فقال الاوان قتل العمد بالسوط والعصا والحر مائة من الأبل أربعون تية إلى بازل وأمها كلهن خلفة عوفى رواية أخرى إلا أن كل قتل خطأ العمد وشبه العمد قتل السوط والعصا مائة من الأبل فيها أربعون فى بطونهم وأولادها أخرجه النسائى * وذهب قوم إلى أن الدية المثلثة أربع خس وعشرون بنت مخاض وخمس وعشرون بنت لبون وخمس وعشرون حقة وخمس وعشرون جذعة وهذا قول الزهري وربيعه وإليه ذهب مالك وأحمد وأصحاب الرأى * وأما دية الخطأ فمخففة وهى أخماس بالاتفاق غير أنهم اختلفوا فى تقسيمها فذهب قوم إلى أنها عشرون بنت مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون حقة وعشرون جذعة وهذا قول عمر بن عبد العزيز وسليمان بن يسارى والزهري وربيعه وبه قال مالك والشافعى * وأما دية قوم أبناء اللبون بينات المخاض يروون ذلك عن ابن مسعود وبه قال أحمد وأصحاب الرأى * والدية فى قتل الخطأ وشبه العمد على العاقلة وهم العصبات من الذكور ولا يجب على الجاني منها شيء لأن النبي صلى الله عليه وسلم أوجبها على العاقلة * ودية الأعضاء والأطراف حكمها * بين فى كتب الفقه * ودية أعضاء المرأة على النصف من دية أعضاء الرجل والله أعلم * (المسئلة الثالثة فى حكم

وإن تفرقا بين الله كلاما من
سمعه وكان الله واسعاً
حكيماً والله ما فى السموات
وما فى الأرض ولقد وصينا
الذين أتوا الكتاب من
قبلكم وإياكم أن اتقوا الله
وإن تكفروا فإن الله
ما فى السموات وما فى الأرض
وكان الله غنياً مجداً والله
ما فى السموات وما فى الأرض

(الكفارة) * الكفارة اعتاق رقبة مؤمنة ونجى في مال القتال سواء كان المقتول مسلماً أو مساهداً رجلاً كان أو امرأة حراً كان أو عبداً فمن لم يجد الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين أو القتال ان كان واجداً للرقبة أو قادراً على تحصيلها بوجود الثمن فاضلاً عن نفقته ونفقة عياله وحاجته من مسكن ونحوه فعليه الاعتاق ولا يجوز له ان ينتقل الى الصوم فان عجز عن الرقبة او عن تحصيل ثمنها فعليه صوم شهرين متتابعين فان افطر يوماً متعمداً في خلال الشهرين او نسي النية او نوى صوماً آخر وجب عليه استئناف الشهرين وان افطر يوماً بعذر مرض او سفر هل يقطع التتابع اختلف العلماء فيه * فمنهم من قال يقطع التتابع وعليه استئناف الشهرين وهو قول النخعي واظهر قولي الشافعي لانه افطر مختاراً ومنهم من قال لا يقطع التتابع وعليه ان يني وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والشعبي ولو حاضت المرأة في خلال الشهرين افطرت ايام الحيض ولا يقطع التتابع فاذا طهرت بنت لانه امر كتبه الله على النساء ولا يمكن الاحتراز عنه * فان عجز عن الصوم فهل ينتقل عنه الى الاطعام فيطعم ستين مسكيناً ففيه قولان * احدهما انه ينتقل الى الاطعام كافي كفارة الظهار * والثاني لا ينتقل لان الله تعالى لم يذكره بدلاً فقال فصيام شهرين متتابعين توبة من الله فنص على الصوم وجعل ذلك حقونة لقتل الخطا والله اعلم * قوله عز وجل (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم) نزلت في مقيس بن صباية الكناني وكان قد اسلم هو واخوه هشام فوجد اخاه هشاماً قتيلاً في بني الجحار فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من بني فهر الى بني الجحار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمرهم ان علم قاتل هشام بن صباية ان تدفعوه الى اخيه مقيس فيقتلوه منه وان لم تعلموه ادفنوه اليه دينه فبلغهم القهرى ذلك فقالوا سمعنا وطاعة لله ورسوله ما نعلمه قاتلوا ولكننا نؤدى اليه دينه فاعطوه مائة من الابل فانصرفا راجعين نحو المدينة فأتى الشيطان مقيساً فوسوس اليه فقال له تقبل دية اخيك لتكون عليك سبة اقل القهرى الذي معك فتكون نفس مكان نفس وفضل الدية فتغفل القهرى فرماه بصخرة فقتله ثم ركب بعير امن الابل وساق بقيتها راجعاً الى مكة كافر وقال في ذلك

وكفى بالله وكبلاً ان يشأ
يذهبكم ايها الناس ويأت
بآخرين وكان الله على
ذلك قديراً من كان يريد
ثواب الدنيا) بالوقوف مع
هو النفس فماله يطلب
اخص الاشياء ويقف في
ادنى المراتب (فند الله ثواب
الدنيا والآخرة) الدارين
حبه ان اراده بالقضاء فيه لانه

قتلت به فهرا وحملت عقله * سراة بنى النجار را رباب قارع

وادركت نارى واضطجعت موسدا * وكنت الى الاصنام اول راجع

فنزلت فيه ومن يقتل مؤمناً متعمداً يعنى قاصد القتله جزاؤه جهنم (حالدا فيها) يعنى بكفره وارتداده وهو الذى استنأه النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة عن امنه من اهلها فقتل وهو متعلق باستار الكعبة (وغضب الله عليه) يعنى لاجل كفره وقتله المؤمن متعمداً (ولعنه) يعنى وطرده عن رحته (واعذله عذاباً عظيماً) اختلف العلماء في حكم هذه الآية هل هي منسوخة ام لا وهل لمن قتل مؤمناً متعمداً توبة ام لا فروى عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس المن قتل مؤمناً متعمداً من توبة قال لا تقتلوه عليه الآية التي في الفرقان والذين لا يدعون مع الله ألهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق الى آخر الآية قال هذه آية مكبة نهضها آية مدنية ومن يقتل مؤمناً متعمداً جزاؤه جهنم * وفي رواية قال اختلف اهل الكوفة في قتل المؤمن فرحلت الى ابن عباس فقال نزلت في آخر ما نزل ولم ينصها شئ * وفي رواية اخرى

قال ابن عباس نزلت هذه الآية بالمدينة والذين لا يدعون مع الله ألها آخر الى قوله مهانا فقال
المشركون وما ينفي عنا الاسلام وقد عدلنا بالله وقد قلنا النفس التي حرم الله واتينا القوا حش
قاتزل الله تعالى الامن تاب وآمن وعمل صالحا الى آخر الآية زاد في رواية فاما من دخل
في الاسلام وعقله ثم قتل فلا توبه له اخرجاه في الصحيحين وروى عن علي بن ابي طالب رضي الله
تعالى عنه انه ناظر ابن عباس في هذه الآية فقال من اين لك انها محكمة فقال ابن عباس تكاثف
الوحيد فيها وقال ابن مسعود انها محكمة وما تزداد الا شدة وعن خازجة ابن زيد قال سمعت زيد
بن ثابت يقول انزلت هذه الآية ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها بعد التي
في الفرقان والذين لا يدعون مع الله ألها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق بستة اشهر
اخرجه ابوداود والنسائي وزاد النسائي في رواية بثمانية اشهر وقال زيد بن ثابت لما نزلت هذه
الآية التي في الفرقان والذين لا يدعون الله ألها آخر عجبنا من لينها فلبينا سبعة اشهر ثم نزلت
العليلة بعد اللينة فنسخت اللينة وادار بالعليلة هذه الآية التي في سورة النساء وباللينة آية الفرقان
هو ذهب الا كثرون من علماء السلف والخلف الى ان هذه الآية منسوخة واختلفوا في ناسخها فقال
بعضهم نسختها التي في الفرقان وليس هذا القول بالقوى لان آية الفرقان نزلت قبل آية
النساء والمتقدم لا ينسخ المتأخر * وذهب جمهور من قال بالنسخ الى ان ناسخها الآية
التي في النساء ايضا وهي قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يسركم به ويعفو ما دون ذلك لمن يشاء
* واجاب من ذهب الى انها منسوخة عن حديث ابن عباس المتقدم المخرج في الصحيحين بان هذه الآية
خبر عن وقوع العذاب بمن فعل ذلك الامر المذكور في الآية والنسخ لا يدخل الاخبار وليس سلمانه
يدخلها النسخ لكن الجمع بين الآيتين ممكن بحيث لا يكون بينهما تعارض وذلك بان يحمل
مطلق آية النساء على تقييد آية الفرقان فيكون المعنى جزاؤه جهنم الامن تاب وقال بعضهم
ما ورد عن ابن عباس انما هو على سبيل التشديد والمبالغة في الزجر عن القتل فهو كروى
عن سفيان بن عيينة انه قال ان لم يقتل يقال له لا توبه لك وان قتل ثم ندم وجاء تابا
يقال له لا توبه وقيل انه قد روى عن ابن عباس مثله وروى عنه ايضا ان توبته تقبل وهو قول
اهل السنة ويدل عليه الكتاب والسنة واما الكتاب فقوله تعالى واتى لقهار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم
اخذنى وقوله ان الله يغفر الذنوب جميعا واما السنة فاروى عن جابر بن عبد الله قال جاء عرابي الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الموجبتان قال من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات
يشرك به شيا دخل النار اخرجه مسلم (ق) من عبادة بن الصامت قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم في مجلس فقال يا معوي بن ابي لانشركو بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنا ولا تقتلوا النفس التي حرم
الله الا بالحق وفي رواية ولا تقتلوا اولادكم ولا تأتوا بهتان تقرونه بين ايديكم وارجلكم
ولا تصوني في معروف فن وفي منكم فاجره على الله ومن اصاب شيئا من ذلك فستره الله عليه فامر
الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه فبايضا على ذلك

* (فصل) * وقد تعلق المعترلة والوعيدية بهذه الآية لعمدة مذهبهم على ان الفاسق يخلد في النار
مواجب علماء السنة بان الآية نزلت في كافر قتل مسلما وهو عقيس بن صبابه فكانت الآية على
هذا مخصوصة وقيل هذا الوعيد لمن قتل مسلما مستحلا لقتله ومن استحل قتل مسلما كان كافرا

الوجود المحبط بالكل
فلا يغفونه شيئا (وكان الله
سميعا) بأحاديث نفوسكم
(بصيرا) بنياتكم وادانتكم
بأعمالكم (يا أيها الذين آمنوا)
بالتوحيد العليّ واردة
ثواب الدارين (كونوا)
ثابتين في مقام العدالة التي
هي اشرف الفضائل
(قوامين بالقسط شهداء)

وهو مغلد في النار بسبب كفره. هو عن أبي محاز في قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم قال هي جزاؤه فان شاء الله ان يجاوز عن جزائه فعل اخرجه ابو داود. وقيل ان الخلود لا يقتضي التأيد بل معناه دوام الحالة التي هو عليها ويدل عليه قول العرب للامام خواد ذلك لطلوع مكثها لا دوام بقائها واذا ذكر الخلود في حق الكفار قرنه بذكر التأيد كقوله خالد بن فيها ابدًا فاذا قرن الخلود بهذه اللفظة علم ان المراد منه الدوام الذي لا ينقطع. اذا ثبت هذا كان معنى الخلود المذكور في الآية ان الله تعالى يعذب قاتل المؤمن عدا في النار الى حيث يشاء الله ثم يخرج منه بفضل رحمته وكرمه فانه قد ثبت في احاديث الشفاعة العجيبة اخراج جميع الموحدين من النار. وقيل ان قاتل المؤمن عدا عدوانا اذا تاب قبلت توبته بدليل قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ولان الكفر اعظم من هذا القتل وتوبة الكافر من كفره مقبولة بدليل قوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف واذا كانت التوبة من الكفر مقبولة فلا تنقبل من القاتل اولى والله اعلم. قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا) الآية قال ابن عباس نزلت في رجل من بني مرة بن عوف يقال له مرداس بن نهيك وكان من اهل فدا لم يسلم من قومه غيره فسمعوا بسرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم تريد من كان على السرية رجل يقال له غالب بن فضالة البثي فبروا منه واقام ذلك الرجل المسلم فلما رأى الحيل خاف ان لا يكونوا مسلمين فاجلأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد هو الجبل فلما تلاحت الخيل سمعهم يكبرون فعرف انهم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكبر عليه وسلم فقتله واستلقى غنمه ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه الخبر فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وكان قد سبقهم الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلوه ارادة مامه ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على اسامة بن زيد هذه الآية فقال اسامة استغفر لي يا رسول الله فقال كيف انت بلا الله الا الله يقولها ثلاث مرات قال اسامة فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكررها حتى وددت اني لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اعتق رقبة وروى ابو بزيان عن اسامة قال قلت يا رسول الله انما قالها خوفا من السلاح فقال افلا شققت عن قلبه حتى تعلم اقالها خوفا ام لا وفي رواية عن ابن عباس قال مر رجل من بني سليم على نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه غنم فلم عليهم فقالوا انما سلم عليكم ليتحوذ منكم فقاموا اليه فقتلوه واخذوا غنمه فاتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل هذه الآية يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله يعني اذا سافرتم الى الجهاد فتبينوا من البيان يقال تبينت الامر اذا تأملت قبل الاقدام عليه وفري فتبينوا من التثبت وهو خلاف العجلة والمعنى قفوا وتثبتوا حتى تعرفوا المؤمن من الكافر وتعرفوا حقيقة الامر الذي تقدمون عليه (ولا تقولوا لمن اتى اليكم السلام) يعني التحية يعني لا تقولوا لمن حياكم بهذه التحية انه انما قالها تموتا فتقدموا عليه بالسيف لتأخذوا ماله ولكن كفوا عنه واقبلوا منه ما ظهره لكم وقرئ السلم بفتح السين من غير الف ومعناه الاستسلام والانقياد اى استسلم واتقاد لكم وقال لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل السلام والسلم بمعنى واحد اى لا تقولوا لمن سلم عليكم (لست مؤمنا) يعني لست من اهل

تدولوا على انفسكم او الوالدين والاقربين ان يكن غيبا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تبصوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا او تعرضوا ان الله كان بما تعملون خبيرا) بحقوقها بحيث تكون ملكة راسخة فيكم لا يمكن معها صدور جور وميل منكم في شيء ولا ظهور

الايان فقتلوه بذلك قال العلماء اذا رأى الفزاة في بلد او قرية اوحى من العرب شعار الاسلام يجب ان يكفوا عنهم ولا يغيروا عليهم لما روى عن حصار المزي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعت جيشا اوسرية يقول لهم اذا رأيتم مسجدا او سمعتم مؤذنا فلا تقتلوا احدا اخرجه ابوداود والترمذي وقال اكثر الفقهاء لو قال اليهودى او النصرانى انا مؤمن لا يحكم بايمانه لانه يدعى ان الذى هو عليه ايمان ولو قال لا اله الا الله محمد رسول الله فعند بعض العلماء لا يحكم باسلامه حتى يبرأ من دينه الذى كان عليه ويعترف انه دين باطل وذلك لان بعض اليهود يزعم ان محمدا رسول الى العرب خاصة لانه رسول الى كافة الخلق فاذا اعترف انه رسول الى كافة الخلق وان الذى كان عليه من اليهود او النصر باطل صح اسلامه وحكم بعقوبته وقوله تعالى (يتفنون عرض الحياة الدنيا) يعنى تطلبون النجاة التى هى من حطام الدنيا سريرة الفناد والذهاب وعرض الدنيا منافها ومتاعها (فعند الله مغام كثيرة) اى غنائم كثيرة من رزقه فيمنكموها بفتنكم بها عن قل من يظهر الاسلام ويتوذبه وقبل معناه فعند الله ثواب كثير لمن اتقى قتل المؤمن (كذلك كنتم من قبل) يعنى كما كان هذا الذى اتى اليكم السلام فقتلتم لست مؤمنا فقتلتموه كنتم انتم من قبل يعنى من قبل ان يعز الله دينه كنتم تستخفون انتم بدينكم كما استخفى هذا الذى قتلتموه بدينه من قومه حذرا على نفسه منهم وقيل معناه كذلك كنتم تأمنون في قومكم بهذه الكلمة فلا تحقروا من قالها ولا تقتلوه وقيل معناه كذلك كنتم من قبل مشركين (فمن الله عليكم) يعنى بالاسلام والهداية فلا تقتلوا من قال لا اله الا الله وقيل معناه من عليكم باعلان الاسلام بعد الاختفاء وقيل من عليكم بالتوبة (فتبينوا) اى ولا تبهلوا بقتل مؤمن وهو ما كبد الامر بالتبين (ان الله كان بما تعملون خبيرا) يعنى فلا تتهاونوا في القتل وكونوا متحرزين من ذلك محتاطين فيه وقوله عز وجل (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم) الآية (خ) عن زيد بن ثابت قال املى على النبي صلى الله عليه وسلم لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم فجاء ابن ام مكتوم وهو عليها على فقال والله يا رسول الله لو استطع الجهاد لجاهدت وكان اعمى فآزر الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذي ثقلت على حتى خفت ان ترض فخذي ثم سرى عنه فآزر الله عز وجل غير اولى الضرر (ق) عن البراء بن عازب لما نزلت لا يستوى القاعدون من المؤمنين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا فجاء بكتف فكبها وشكا ابن ام مكتوم ضرارته فزلت لا يستوى القاعدون من المؤمنين قال النبي صلى الله عليه وسلم ادعوا فلانا فجاءه ومعه الدواة والوحي والكتف فقال لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله وخلف النبي صلى الله عليه وسلم ابن ام مكتوم فقال يا رسول الله ان اضرب قزلت مكانها لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله هذه الرواية الثانية اخرجه ابن الاثير في كتابه جامع الاصول و اضافها الى البخارى ومسلم ولم اجدها في كتاب الجمع بين الصحيحين للحميدى وفي هذه الآية فضل الجهاد في سبيل الله والحث عليه فقوله تعالى لا يستوى القاعدون من المؤمنين يعنى لا يبدل المتخلفون عن الجهاد في سبيل الله

صفة نفس لا تباع هوى
في جذب نفع دنيوى أو دفع
مضرة (يا ايها الذين آمنوا)
بالايان التقليدى (آمنوا)
بالايان التحقيقى أو آمنوا
بالايان العلى آمنوا بالايان
العنى (بالله ورسوله
والكتاب الذى نزل على
رسوله والكتاب الذى انزل
من قبل ومن يكفر بالله

من المؤمنين المجاهدين في سبيل الله غير اولى الضرر يعني اولى الزمانة والضعف في البدن والبصر فانهم يساوون المجاهدين لان العذر اقصدهم عن الجهاد (م) عن جابر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بالمدينة رجلا ما سترتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم حبسهم المرض (خ) عن انس قال رجعتنا من غزوة تبوك مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان اقواما خلفنا بالمدينة ما سلكنا شعبا ولا واديا الا وهم معنا حبسهم العذر (خ) عن ابن عباس قال لا يستوى القاعدون من المؤمنين عن بدر والخارجون اليها * وقوله تعالى (فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة) يعني فضيلة في الآخرة قال ابن عباس اراد بالقاعدين هنا اولى الضرر فضل الله المجاهدين على اولى الضرر درجة لان المجاهد باشر الجهاد بنفسه وماله مع النية واولو الضرر كانت لهم نية ولم يباشروا الجهاد فزولوا عن المجاهدين درجة (وكل) يعني كلا من المجاهدين والقاعدين (وعدا الله الحسن) يعني الجنة بايمانهم (وفضل الله المجاهدين) يعني في سبيل الله (على القاعدين) يعني الذين لا عذر لهم ولا ضرر (اجرا عظيما) يعني ثوابا جزيلا * ثم فسر ذلك الاجرا العظيم فقال تعالى (درجات منه) قال قتادة كان يقال للاسلام درجة والهجرة في الاسلام درجة والجهاد في الهجرة درجة والقتل في الجهاد درجة وقال ابن زيد الدرجات هي سبع وهي التي ذكرها الله في سورة براءة حين قال ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله الى قوله ولا يقطعون واديا الا كتب لهم وقال ابن محرز الدرجات سبعون درجة ما بين كل درجتين حضرة الفرس الجواد المضر سبعين سنة (م) عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رضى الله ربا وبالا سلام ديناً وبمحمد رسولا وجبت له الجنة فتعجب لها ابو سعيد فقال اعد لها على يا رسول الله فاعادها عليه ثم قال واخرى رفع الله بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كباين السماء والارض قال وما هي يا رسول الله قال الجهاد في سبيل الله (خ) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آمن بالله ورسوله واقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان وحج كان حقا على الله ان يدخله الجنة جاهد في سبيل الله او جلس في ارضه التي ولد فيها فقالوا اولان تبشر الناس بقولك فقال ان في الجنة مائة درجة اعد الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كباين السماء والارض فاذا سألت الله فاسأله الفردوس الاعلى فانه اوسط الجنة واعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة * فان قلت قد ذكر الله عز وجل في الآية الاولى درجة واحدة وذكر في هذه الآية درجات فواجه الحكمة في ذلك * قلت اما الدرجة الاولى فلتفضيل المجاهدين على القاعدين بوجود الضرر والعذر واما الثانية فلتفضيل المجاهدين على القاعدين من غير ضرر ولا عذر فضلوا عليهم بدرجات كثيرة * وقيل يحتمل ان تكون الدرجة الاولى درجة المدح والتعظيم والدرجات درجات الجنة ومنازلها كما في الحديث والله اعلم * قوله تعالى (وه مغفرة) يعني لذنوبهم يسترها ويصفيح عنها (ورجة) يعني رافذة بهم (وكان الله غفورا) يعني لذنوب عباده المؤمنين (رحيما) يعني بهم يفضل عليهم رحته ومغفرته * عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه عز وجل قال قال ايعابد من عبادي خرج مجاهدا في سبيل الله ابتغاء مرضاتي ضمننت له ان ارجعته ارجعته بما

وملائكته وكتبه ورساله واليوم الآخر فقد صل ضللا بعيدا ان الذين آمنوا هم كفروا) أي تحيروا وتردوا بين جهنم والجنة العلوية والسفلية لشدة النفاق وغلبة نور الفطرة تارة واستيلاء ظلمة النفس والهوى أخرى لاستواء الحالتين فيهم حتى

اصاب من اجر او غنيمة وان قبضته غفرت له ورجته اخرجته النساء
 * (فصل) * اهل ان الجهاد ينقسم الى فرض عين وفرض كفاية ففرض العين ان يدخل العدو دار
 قوم من المؤمنين وبلادهم فيجب على كل مكلف من الرجال من لا حذر له ولا ضرر به من اهل
 تلك البلدة الخروج الى عدوهم دفاعا عن انفسهم وعن اهلهم وجيرانهم وسواء في ذلك الحر
 والعبد والفقير والغني والضعيف والقوي على الكفاية وهو في حق من بعد عنهم من المسلمين فرض كفاية فان
 لم تقع الكفاية بمن نزل بهم العدو تجب مساعدتهم على من قرب منهم من المسلمين او بعد عنهم
 وان وقعت الكفاية بالنزول بهم فلا فرض على الابدن الا على طريق الاختبار ولا يدخل في هذا
 الفرض اعني فرض الكفاية الفقراء والعبيد واذا كان الكفار قارين في بلادهم فعلى الامام ان لا يخلى
 كل سنة من غزاة يفزوه فيها ما ينقصه او سراياه حتى لا يبطل الجهاد والاختبار * والمطبق الجهاد
 مع وقوع الكفاية بغيره لا يقدره ولكن لا يفرض عليه لان الله تعالى وعد المجاهدين والقاعد
 الثواب بقوله وكلا وعد الله الحسنى ولو كان فرضا على الكافة لاستحق القاعدون عن الجهاد
 العقاب لا الثواب والله اعلم * قوله تعالى (ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم) الآية نزلت
 في اناس تكلموا بالاسلام ولم يهاجروا منهم قيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة
 واشياهما فلما خرج المشركون الى بدر خرجوا معهم فقتلوا مع الكفار فانزل الله تعالى هذه الآية
 ان الذين توفاهم الملائكة يعني ملك الموت واعوانه وهم ستة ثلاثة منهم يلون قبض ارواح
 المؤمنين وثلاثة يلون قبض ارواح الكفار وقيل اراد به ملك الموت وحده وانما ذكره بلفظ
 الجمع على سبيل التعظيم كما يحاطب الواحد بلفظ الجمع * وفي التوفى هنا قولان احدهما انه قبض
 ارواحهم الثاني حشرهم الى النار فعلى القول الثاني يكون المراد بالملائكة الزبانية الذين يلون
 تعذيب الكفار * ظالمى انفسهم يعني بالشرك وقيل بالمقام في دار الشرك وذلك لان الله تعالى
 لم يقبل الاسلام من احد بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم حتى يهاجروه ثم نسخ ذلك بعد فتح
 مكة بقوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية اخرجاه في الصحيحين * وقيل ظالمى
 انفسهم بخروجهم مع المشركين يوم بدر وتكثير سوادهم حتى قتلوا معهم فضرت الملائكة
 وجوههم وادبارهم (قالوا فيم كنتم) سؤال توبيخ وتقريع يعني قالت الملائكة لهؤلاء الذين قتلوا
 في اي الفريقين كنتم في فريق المسلمين ام في فريق المشركين فاعتذروا بالضعف عن مقاومة
 المشركين وهو قوله تعالى اخبارا عنهم (قالوا كنا مستضعفين) يعني عاجزين (في الارض)
 يعني في ارض مكة (قالوا) يعني قال لهم الملائكة (الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها)
 يعني الى المدينة وتخرجوا من بين اهل المشركين فاكذبهم الله في قولهم كنا مستضعفين واعلموا
 بكذبهم (فاولئك) يعني من هذه صفتهم (مأواهم) يعني منزلهم (جهنم وساءت مصيرا) يعني
 بس المصير مصيرهم الى جهنم * ثم استثنى اهل العذر ومن علم ضعفه منهم فقال تعالى (الا المستضعفين
 من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة) يعني لا يقدر على حيلة ولا نفقة ولا قوة لهم
 على الخروج من مكة (ولا يهتدون سبيلا) يعني ولا يعرفون طريقا يسلكونه من مكة الى المدينة
 (فاولئك) يعني المستضعفين واهل الاعذار (عسى الله ان يعفو عنهم) يعني يتجاوز عنهم بفضل
 واحسانه وعسى من الله واجب لانه اطعم اذا اطعم عبدا وصله (وكان الله

استحكمت الهيئات المظلة
 وازدادت الجحور وضمت
 العقائد الفاسدة والملكات
 الكاسدة باستيلاء صفات
 النفس واستملائها مطلقا
 فرانت على قلوبهم (لم يكن الله
 ليغفر لهم) لمكان الرين
 الحاجب وفساد جوهر
 القلب وزوال الاستعداد
 (ولا يهديهم سبيلا) الى

عفو اغفورا) قال ابن عباس كنت انا وامى عن عذر الله بنى من المستضعفين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو لهؤلاء المستضعفين في الصلاة (ق) عن ابي هريرة قال لما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من الركعة الثانية قال اللهم ارحم الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وهياش بن ابي ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشد وطأتك على مضراهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف * قوله عز وجل (ومن يهاجر في سبيل الله يحد في الارض مراغما كثيرا وسعة) قال الزجاج معنى مراغما مهاجرا بمعنى يحد في الارض مهاجرا بمعنى ان المهاجر لقومه والمراغم لهم بمنزلة واحدة وان اختلف اللفظان وهو مأخوذ من الرغام وهو الزراب يقال رغامته اذا التصق بالزراب وذلك لان الانف عضو شريف والزراب ذليل حقير فبطلوا قولهم رغامته كناية عن حصول الذل له ويقال راغت فلانا بمعنى هجرته وحديثه ولم يبال به رغامته ويقوى ذلك قول بعض اهل اللغة هو الخروج من بلاد العدو * وقيل معناه ان الرجل اذا خرج من قومه خرج مراغما لهم اي مغاضبا لهم ومقاطعا وقال الفرما المراغم المضطرب والمضطرب في الارض وانشد الزجاج في المعنى

الى بلد غير داني المحل * بعيد المراقم والمضطرب

فعلى هذا يكون معنى الآية يحد هذا يذهب اليه اذا رأى ما يكرهه هذا قول اهل اللغة في معنى المراغمة * وقال ابن عباس يحد متحولا لا يتحول اليه من ارض الى ارض * وقال مجاهد يحد متزحزا فاعما يكره * وقيل يحد متقلبا يقلب اليه * وقيل المراغمة والمهاجرة واحدة يقال راغت قومي اي هاجرتهم وسميت المهاجرة مراغمة لانه يهاجر قومه برغامه وقوله وسعة بمعنى في الرزق * وقيل يحد سعة من الضلالة الى الهدى * وقيل يحد سعة في الارض التي يهاجر اليها قال ابن عباس لما نزلت الآية التي قبل هذه سمى رجل من بني ثعلبة شيخا كبيرا مريض يقال له جندع بن ضمرة فقال والله ما انا ممن استثنى الله عز وجل واني لاجد حيلة ولى من المال ما يلفني الى المدينة وابعدها والله لا ابيت الليلة بمكة اخرجوني فخر جوابه يحملونه على سرير حتى اتوا به التحميم فادركه الموت نصفق بيينه على شمالك ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايصل على ما يابصك رسولك ثم مات فبلغ خبره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لووا في المدينة لكان اثم واوفى اجر اوضحك المشركون وقالوا ما ادرك ما طلب فانزل الله عز وجل (ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت) بمعنى قبل بلوغه الى مهاجرة (فقد وقع اجره على الله) بمعنى فقد وجب اجر هجرته على الله بايجابه على نفسه بحكم الوعد والتفضل والكرم لا وجوب استحقاق وتحميم * قال بعض العلماء ويدخل في حكم الآية من قصد فعل طاعة من الطاعات ثم عجز عن اتمامها كتب الله له ثواب تلك الطاعة كاملا وقال بعضهم انما يكتب له اجر ذلك القدر الذي عمل واتي به اتمام الاجر فلا والقول الاول اصح لان الآية انما نزلت في معرض الترهيب في الهجرة وان من قصدها ولم يبلغها لمات دونها فقد حصل له ثواب الهجرة كاملا فكذلك كل من قصد فعل طاعة ولم يقدر على اتمامها كتب الله له ثوابها كاملا (وكان الله غفورا رحاما) بمعنى ويغفر الله له ما كان منه من القعود قبل الهجرة الى ان خرج مهاجرا * قوله عز وجل (واذا ضربتم في الارض) بمعنى اذا سافرتم فيها (فليس عليكم جناح) اي حرج واثم (ان تقصروا من الصلاة) بمعنى من اربع ركعات الى ركعتين وذلك في صلاة الظهر والعصر والعشاء واصل

الحق والى الكمال والى القطرة الاصلية لعدم قبولهم الهداية وصرف هذاهم بالايام لكان استعدادهم في الاصل (الذين يتخذون الكافرين اولياء) لمناسبتهم اياهم في الاحتجاب (من دون المؤمنين) لعدم الجنسية (يتفنون عندهم العزة فان العزة لله جميعا

القصر في اللغة التضييق وقيل هو ضم الشيء الى اصله وفسر ابن الجوزي القصر بالنقص ولم
اره لاحد من اهل التفسير واللفظ وقيل معنى قصر الصلاة جعلها قصيرة بترك بعض ركعاتها
او بعض اركانها ترخيصا لهذا السبب ذكروا في تفسير قصر الصلاة المذكورة في الآية قولين
«احدهما انه في عدد الركعات وهو رد الصلاة الرابعة الى ركعتين» والقول الثاني ان المراد بالقصر
ادخال التضييق في ادائها وهو ان يكتفى بالاياء والاشارة عن الركوع والسجود والقول الاول
اصح هو يدل عليه لفظة من في قوله ان تقصروا من الصلاة ولفظة من هنا لتبعض وذلك يوجب
جواز الاختصار على بعض الصلاة ثبت بهذا ان تفسير القصر باسقاط بعض ركعات الصلاة اولى
(ان خفتم ان يفتنكم) يعني يفتنكم ويقتلكم في الصلاة (الذين كفروا) * ذهب داود الظاهري الى
ان جواز القصر مخصوص بحال الخوف واستدل على صحة مذهبه بقوله تعالى ان خفتم ان يفتنكم
الذين كفروا ولان عدم الشرط يقتضي عدم المشروط فعلى هذا لا يجوز القصر عند الامن ولا يجوز
رفع هذا الشرط بخبر الواحد لانه يقتضي نسخ القرآن بخبر الواحد وذهب جمهور اهل العلم
الى ان القصر في حال الامن في السفر جائز ويدل عليه ما روى عن يعلى بن امية قال قلت لعمر بن
الخطاب ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا فقدم الناس
فقال عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله
بها عليكم فاقبلوا صدقة اخبره مسلم وعنه عبد الله بن خالد بن اسيدانه قال لا ينزول عن ركعتين تقصرون
الصلاة وانما قال الله تعالى ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم ان يفتنكم الذين
كفروا فقال ابن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتانا ونحن في ضلال فعلمنا فكان
فيما علمنا ان امرنا ان نصلي ركعتين في السفر اخبره النسائي وعن ابن عباس رسول الله صلى الله
عليه وسلم خرج من المدينة الى مكة لا يخاف الا رب العالمين فعصلي ركعتين اخبره الترمذي
والنسائي واجاب الجمهور عن قوله تعالى ان خفتم ان كلمة ان تفيد حصول الشرط ولا يلزم عدم
الشرط عدم المشروط فقوله تعالى ان خفتم يقتضي ان عدم الخوف لا يحصل رخصة القصر
واذا كان كذلك كانت الآية ساكنة عن حال الامن فثبتت الرخصة حال الامن بخبر الواحد
يكون اثبات الحكم سكت عنه القرآن وذلك غير ممنوع انما الممنوع اثبات الحكم بخبر الواحد على
خلاف ما دل عليه القرآن * فان قلت اذا كان هذا الحكم ثابتا في حال الامن والخوف فافائدة
تقيده بحال الخوف قلت انما نزلت الآية على غالب اسفار النبي صلى الله عليه وسلم واكثرها
لم يخل من خوف العدو فذكر الله عز وجل هذا الشرط من حيث انه الاغلب في الوقوع * وقوله
تعالى (ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا) اي ظاهر العداوة فلعل في هذا رخصتكم في قصر
الصلاة لتلايهم الى قتلهم واغتيالهم سيلا وانما قال عدوا ولم يقل اعداء لانه يستوى فيه
الواحد والجمع * (فصل في احكام تتعلق بالآية) وفيه مسائل * (للسئلة الاولى) * في حكم القصر
قصر الصلاة في حالة السفر جائزا بجماع الامم وانما اختلفوا في جواز الاتمام في حال السفر فذهب اكثر
العلماء الى ان القصر واجب في السفر وهو قول عمرو بن وهب وعمر بن الخطاب وابن عمر وابن عباس قال الحسن
وعمر بن عبد العزيز وقتادة وهو قول مالك وابي حنيفة ويدل عليه ما روى عن عائشة قالت فرض الله
الصلاة حين فرضها ركعتين ثم اتماها في الحضر واقرت صلاة السفر على القريضة الاولى وفي رواية

وقد نزل عليكم في الكتاب
ان اذا سمعتم آيات الله
يكفروا ويستنهزوا بها فلا
تعدوا معهم حتى يخوضوا
في حديث غيره انكم اذا
مثلهم ان الله جامع المنافقين
والكافرين في جهنم جميعا
الذين يتربصون بكم فان
كان لكم قريح من الله قالوا

أخرى قالت فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ركعتين في الحضر والسفر فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر أخرجه في الصحيحين، وذهب قوم إلى جواز الاتمام في السفر ولكن القصر أفضل يروى ذلك عن عثمان وسعد بن أبي وقاص وإلى ذهب الشافعي وأحمد وهو رواية عن مالك أيضا يدل على ذلك ما روى البغوي بسند الشافعي عن عائشة قالت كل ذلك قد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قصر واتم ومن عائشة أنها اعترت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة حتى إذا قدمت مكة قالت يا رسول الله يا بني أنت وامى قصرت واتممت وصمت وافطرت قال أحسنت يا عائشة وما باب على أخرجه التيساني وظاهر القرآن يدل على ذلك لأن الله تعالى قال فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ولقطة لا جناح أنما تستعمل في الرخصة لا فيما يكون حتما واجيب عن حديث عائشة فرض الله الصلاة ركعتين بأن معناه فرضت ركعتين أو لا يزيد في صلاة الحضر ركعتان على سبيل التتمه وأقرت صلاة السفر على جواز الاقتصار عليها وثبت جواز الاتمام بدليل آخر فوجب المصير إليه ليتمكن الجمع بين الأحاديث ودلائل الشرع (المسئلة الثانية) * اختلف في صلاة المسافر إذا صلى ركعتين ركعتين هل هي مقصورة أم غير مقصورة * فذهب قوم إلى أنها غير * مقصورة وإنما فرض صلاة المسافر ركعتان تمام غير قصر يروى ذلك عن ابن عباس وابن عمر وجابر بن عبد الله وإلى ذهب سعيد بن جبير والسدي وأبو حنيفة فلي هذا يكون معنى القصر المذكور في الآية هو تخفيف ركوعها وسجودها وقد تقدم الجواب عنه * وذهب قوم إلى أنها مقصورة وليست بأصل وهو قول مجاهد وطاوس وإلى ذهب الشافعي وأحمد (المسئلة الثالثة) * ذهب الشافعي ومالك وأحمد والجمهور إلى أنه يجوز القصر في كل سفر مباح وشرط بعضهم كونه سفر حجاج أو عمرة أو جهادا أو سفر طاعة ولا يجوز القصر في سفر العسيلة وقال أبو حنيفة والثوري يجوز ذلك * (المسئلة الرابعة) * اختلف العلماء في مسافة القصر فقال داود وأهل الظاهر يجوز القصر في قصر السفر وطوله ويروى ذلك عن أنس أيضا وقال عمرو بن دينار قال لي جابر بن زيد أقصر بعرفة وأما عامة أهل العلم فإنهم لا يجوزون القصر في السفر القصير واختلفوا في حد الطويل الذي يجوز فيه القصر فقال الأوزاعي مسيرة يوم وكان ابن عمر وابن عباس يقصران ويفطران في مسيرة أربعة برد وهي ستة عشر فرسخا وإلى ذهب مالك وأحمد وأصحابي وقول الحسن والزهرى قريب من ذلك فإنهما قالوا مسيرة يومين وإلى ذهب الشافعي فقال مسيرة ليّتين قاصدين ستة عشر فرسخا كل فرسخ ثلاثة أميال فتكون ثمانية وأربعين ميلا بالهاشمي والميل ستة آلاف ذراع والذراع أربعة وعشرون أصبعا معترضة معتدلة والأصبع ست شعيرات معترضة معتدلات وقال الثوري وأبو حنيفة وأهل الكوفة لا قصر في أقل من ثلاثة أيام

الم نكن معكم وان كان
لكافرين نصبت قالوا الم
نصوذ عليكم ونمنعكم
من المؤمنين فالله يحكم بينكم
يوم القيامة ولن يجعل الله
لكافرين على المؤمنين
سيلا (العزيز بهم في الدنيا
أو الثقوى بهم في الدنيا)
فلا سبيل إلى ذلك وهم
قد اخطوا لأن العزة كلها
صفة من صفات الله تعالى

(فصل) * قيل قوله تعالى إن خفتن أن يفتنكم الذين كفروا أكلام متصل بما بعده منفصل عما قبله وتقديره وإن خفتن روى عن أبي أيوب الأنصاري أنه قال نزل قوله تعالى فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة هذا القدر ثم بعد حول سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الخوف فقول إن خفتن أن يفتنكم الذين كفروا أن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا وإذا كنت فيهم الآية ومثل هذا في القرآن كثير يحمي الخبر بما هم ينسق عليه خبر آخر هو في الظاهر كالتصل به وهو منفصل عنه * قوله عز وجل (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) الآية روى عن ابن عباس وجابر

ان المشركين لما رأوا رسوا لله صلى الله عليه وسلم واصحابه قاموا الى الظهر يصلون جميعا ندما
ان لا كانوا اكبوا عليهم فقال بعضهم لبعض دعوهم فان لهم بعدها صلاة هي احب اليهم من آباتهم
واما انهم يعني صلاة العصر فاذا قاموا اليها فشدوا عليهم فاقتلوهم فنزل جبريل عليه السلام
فقال يا محمد انها صلاة الخوف وان الله عز وجل يقول واذا كنت فيهم فأقتلهم الصلاة فضله
صلاة الخوف وروى عن ابي عياش المرزوقي في سبب نزول هذه الآية قال كما مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعسفان وعلى المشركين خالد بن الوليد فضلبنا الظهر فقال المشركون لقد
اصبنا غرة وفي رواية غفلة ولو جئنا عليهم وهم في الصلاة فنزلت الآية بين الظهر والعصر
مقوله تعالى واذا كنت فيهم هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني واذا كنت يا محمد في اصحابك
وشهدت معهم القتال فأقتلهم الصلاة (فلتقم طائفة منهم معك) يعني اذا حان وقت الصلاة
واقمتها لاصحابك فاجعلهم فرقتين فلتقف فرقة منهم معك فتصلي بهم (وليأخذوا اسلحتهم)
اختلفوا في هؤلاء الذين امرهم الله بأخذ السلاح فقيل اراد بهم الذين قاموا معه الى الصلاة فانهم
يأخذون اسلحتهم في الصلاة فعلى هذا القول انما يأخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلاة
ولا يؤذي به من الى جنبه كالسيف والخنجر وذلك لانه اقرب الى الاحتياط وامنع للعدو ومن
الاعاءام عليهم فان كان السلاح يشغل بحركته وثقله عن الصلاة كالترس الكبير او يؤذي من
الى جنبه كالرمح فلا يأخذوه وقيل اراد بهم الطائفة الذين بقوا في وجه العدو فانهم يأخذون اسلحتهم
للمراسة وقبل يحتمل ان يكون امرا للفرقتين بحمل السلاح لان ذلك اقرب الى الاحتياط (فاذا
سجدوا فليكونوا من ورائكم) يعني اذا صلى الذين معك وفرغوا من الصلاة فليكونوا من
ورائكم يعني فليصرفوا الى المكان الذي هو في وجه العدو للمراسة (ولتأت طائفة اخرى لم
يصلوا) يعني ولتأت الطائفة التي كانت في وجه العدو (فليصلوا معك) الركعة الثانية التي بقيت
عليك وتجا بقية صلاتهم (وليأخذوا حذرهم واسلحتهم) يعني ان الله تعالى جعل الحذر
وهو الحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازي في دفع العدو فلذلك جعله مأخوذا مع السلاح فان
قلت لم ذكر في اوّل الآية الاسلحة فقط وذكر هنا الحذر والاسلحة قلت لان العدو قد ينتبه
للمسلمين في اول الصلاة بل يظنون كونهم قائمين في المحاربة والمقاتلة فاذا قاموا الى الركعة الثانية
ظهر لكفار ان المسلمين في الصلاة فينتهزون الفرصة في الاقدام على المسلمين فلا جرم ان الله
تعالى امرهم في هذا الموضع بزيادة الحذر من الكفار مع اخذ الاسلحة (ودالذين كفروا)
يعني بمعنى الكفار (لو تغفلون) يعني لو وجدوكم غافلين (من اسلحتكم وامتنعكم) يعني حواشكم
التي بها بلاغكم في اسفاركم قسوهون بها (فيمليون عليكم ميلة واحدة) يعني فيقصدونكم
ومحلمون عليكم حلة واحدة وانتم مشتغلون بصلاتكم عن اسلحتكم وامتنعكم فيصيبون
منكم غرة فيقتلونكم

* (فصل في احكام تتعلق بالآية وصفة صلاة الخوف) * وفيه مسائل * (المسئلة الاولى) *
قال ابو يوسف والحسن بن زياد من اصحاب ابي حنيفة صلاة الخوف كانت خاصة بالنبي صلى الله
عليه وسلم فلا يجوز لغيره بعده فعلها وقال المزني من اصحاب الشافعي كانت نابتة ثم نسخت واحتملوا
لحمة هذا القول بان الله تعالى خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى واذا كنت فيهم

منع القوى والقدر له قوة
القهر والقلبة لكل فيقدر
القرب منه وقبول نوره
وقوته والاتصاف بصفاته
نحصل العزة فهي بأهل الايمان
اولى واهل الجباب والكفر
بالزلة اولى (ان المناقطين
يتخادعون الله وهو خادهم
واذا قالوا الى الصلوة
قاموا كسالى) لعدم شوقهم

فأثقت لهم الصلاة وظاهر هذا يدل على ان اقامة الصلاة مشروطة بكون النبي صلى الله عليه وسلم فيهم فدل على تخصيصه بها ولان كلمة اذا تفيد الشرط وذهب جمهور العلماء والفقهاء الى ان هذا الحكم لما ثبت في حق النبي صلى الله عليه وسلم بحكم هذه الآية وجب ان يثبت في حق غيره من امته لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله صلى الله عليه وسلم صلوا كما رأيتموني أصلي ولان ذلك اجماع الصحابة على فعلها وقد روى عن علي بن ابي طالب انه صلى صلاة الخوف باصحابه ليلة الهرير وكذلك ابو موسى صلى باصحابه صلاة الخوف وكذلك حذيفة بن اليمان صلاها باصحابه بطبرستان وليس لهؤلاء مخالف من الصحابة واجيب عن قوله تعالى واذا كنت فيهم فأثقت لهم الصلاة بان هذا وان كان قد خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم فان سائر امته داخلون في هذا الحكم فهو كقوله يا ايها النبي اذا طلقت النساء الا ان يرد نص بتخصيصه صلى الله عليه وسلم بحكم دون امته كقوله تعالى حالصتك من دون المؤمنين ونظير قوله واذا كنت فيهم خذ من اموالهم صدقة فاذا كان هو مخاطب بها وقد ثبت حكم اخذ الزكاة لمن بعده من الائمة كان كذلك قوله واذا كنت فيهم واجيب عن نقطة اذا بان مقتضاها البتة عند الثبوت واما العدم عند العدم فغير مسلم * (المسئلة الثانية) * قال الخطابي صلاة الخوف انواع صلاها النبي صلى الله عليه وسلم في ايام مختلفة واشكال متباينة يجرى في ذلك كله ما هو الاحوط للصلاة والبلغ في الحراسة فهي مع اختلاف صورها متفقة المعنى فن انواع صلاة الخوف ما اذا كان العدو في غير جهة القبلة فرق الامام اصحابه فرقتين فتقف طائفة وجاء العدو فتمرس ويعلم بالطائفة الاخرى ركعة فاذا قام الى الثانية اتعوا لانفسهم وذهبوا الى وجاء العدو فيمرسون وتأتى الطائفة الثانية التي كانت تمرس فيصلى بهم الركعة الثانية ويثبت جالسا في التشهد حتى يتعوا لانفسهم الصلاة ثم يسلم بهم ويدل على ذلك ما روى عن يزيد بن رومان عن صالح بن خوات عن صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم ذات الرقاع صلاة الخوف ان طائفة صفت معه وطائفة وجاء العدو فصلى بالتي معه ركعة ثم ثبت قائما واتعوا لانفسهم ثم انصرفوا وجاء العدو وجاءت الطائفة الاخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته ثم ثبت جالسا فاتعوا لانفسهم ثم سلم بهم اخرجاه في الصحبين الذي صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم هو سهل بن ابي حمة وقد اخرجاه من رواية اخرى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى باصحابه وذكر نحوه وهذا هو مختار الشافعي لانه اشد موافقة لظاهر القرآن واحوط للصلاة والبلغ في حراسة العدو اما كونه اشد موافقة لظاهر القرآن فان قوله وتأتى طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك يدل على ان الطائفة الاولى قد صلت وقوله فليصلوا معك ظاهره يدل على ان جميع صلاة الطائفة الثانية حصلت مع الامام وكونها احوط لامر الصلاة من حيث انه لا يكثر فيها العمل من الجبى والذهاب وكونها احوط لامر الحرب والحراسة من حيث انه اذا لم يكونوا في الصلاة كان امكن للحراسة والكر والفر والهرب ان احتاجوا اليه وذهب قوم الى ان الطائفة الاولى تصلى مع الامام ركعة ثم تذهب الى وجه العدو فتمرس وهم في صلاتهم ثم تأتى الطائفة الثانية فصلى مع الامام الركعة الثانية ويسلم الامام ولا يسلطون هم بل يذهبون الى وجه العدو وترجع الطائفة الاولى الى موضع الامام فتقضى بقية صلاتها ثم تذهب ثم تأتى الطائفة الثانية الى موضع الامام فتقضى بقية صلاتها يروى ذلك عن ابن مسعود

الى الحضور وتغورهم عنه لظلة استعدادهم باستيلاء الهوى (ولن يحصل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) ان المناقذين تخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلوة فاعوا الكسالى براؤن الناس ولا يذكر الله الا قبلا مذبذبين بين ذلك لالى

وهو مذهب أبي حنيفة وبديل على ذلك ما روى عن ابن عمر قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف قال فكبر فصلى خلفه طائفة منا وطائفة مواجهة العدو فركع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة وسجد سجدتين ثم انصرفوا ولم يسلموا واقلبوا على العدو فصفاوا مكانهم وجاءت الطائفة الاخرى فصفاوا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم ركعة وسجدتين ثم سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تم ركعتين واربع سجعات ثم قامت الطائفتان فصلى كل انسان منهم لنفسه ركعة وسجدتين اخرجه النسائي قال ابو بكر بن السني سمع الزهري من ابن عمر ولم يسمع هذا منه والذي اخرجه في الصحيحين عن ابن عمر قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف باحدى الطائفتين ركعة والطائفة الاخرى مواجهة العدو ثم انصرفوا وقاموا في مقام اصحابهم مقبلين على العدو وجاء اولئك فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة ثم قضى هؤلاء ركعة وهؤلاء ركعة وفي رواية اخرى قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف في بعض ايامه فقامت طائفة معه وطائفة بازاء العدو فصلى بالذين معه ركعة وجاء الآخرون فصلى بهم ركعة وقضت الطائفتان ركعة وهذه الرواية المخرجة في الصحيحين اخذ الاوزاعي واشهب المالكى وهو جائز عند الشافعي ايضا ثم قبل ان الطائفتين قضوا ركعتهم الباقية معا وقبل متفرقين وهو الصحيح والفرق بين الروایتين ان الطائفة الاولى ادركت اول الصلاة وهى في حكم من خلف الامام واما الطائفة الثانية فلم تدرك اول الصلاة والمسبوق فيما يقضى كالمتفرد في حكم صلاته * (المسئلة الثالثة) * فاما اذا كان العدو في ناحية القبلة وصورة هذه الصلاة ما روى عن جابر بن عبد الله قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف فصفا صفتين خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم والعدو بيننا وبين القبلة فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وكبرنا جميعا ثم ركع وركعنا جميعا ثم رفع رأسه من الركوع ورفضنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذى يليه وقام الصف المؤخر في نحو العدو فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم السجود وقام الصف الذى يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود وقاموا ثم تقدم الصف المؤخر وتأخر الصف المقدم ثم ركع النبي صلى الله عليه وسلم وركعنا جميعا ثم رفع رأسه من الركوع ورفضنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذى يليه الذى كان مؤخرا في الركعة الاولى فقام الصف المؤخر في نحو العدو فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم السجود والصف الذى يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود فمجدوا ثم سلم النبي صلى الله عليه وسلم وسلمنا جميعا قال جابر كما يصنع حرسكم هؤلاء باصرائهم اخرجه مسلم بتمامه واخرج البخارى طرفا منه انه صلى صلاة الخوف مع النبي صلى الله عليه وسلم في الغزوة السابقة غزوة ذات الرقاع وبهذا الحديث اخذ الشافعي ومن وافقه فاما اذا كان العدو في جهة القبلة * (المسئلة الرابعة) * اذا اشتد الحرب والهم القتال صلوا رجالا وركبانا يؤذن بالركوع والسجود الى اى جهة كانت هذا مذهب الشافعي ومذهب ابي حنيفة انهم لا يصلون في هذه الحالة فاذا امنوا قضوا ما فاتهم من الصلاة ولصلاة الخوف صور اخر مذكورة في كتب الفقه وليس هذا موضعها والله اعلم * وقوله تعالى (ولا جناح عليكم) اى ولا اثم ولا حرج عليكم (ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم) قال ابن عباس رخص الله لهم في وضع السلاح في حال المطر وحال المرض

هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن
يضال الله فلن تجد له سبيلا
يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا
الكافرين اولياء (تلايتعدى
اليكم كفرهم واحببهم
بالعصبية والمخالطة فانه لا شئ
اقوى تأثيرا من العصبية والميل
الى ولايتهم لا يخلو من جنسية
بينهم لوجود هوى كامن
فيهم وضراوة بعادة

لان السلاح ينقل حله في هاتين الحالتين (وخذوا حذرکم) یعنی راقبوا عدوكم ولا تنفلوا عنه امرهم الله بالحفظ والتمرز والاحتياط لتلايقراً العدو عليهم قال ابن عباس تزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وذلك انه غزا بني محارب وبني النما رقتزلوا ولا يرون من العدو احدا فوضع الناس السلاح فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة حتى قطع الوادي والسماء ترش بالمطر فسال الوادي فقال السيل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين اصحابه فجلس تحت شجرة فبصره غوث بن الحرث المحاربي فقال قتلني الله ان لم اقله ثم انحدر من الجبل ومعه السيف ولم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم على رأسه وقد سل السيف من غدره وقال يا محمد من يمنعك مني الآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله عز وجل ثم قال اللهم اكفني غوث بن الحرث بما شئت فاهوى غوث بالسيف ليضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكب لوجهه من زلحة زلحها فندر السيف من يده فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ السيف ثم قال يا غوث من يمنعك مني الآن فقال لاحد فقال اشهدان لاله الا الله وان محمد عبده ورسوله واعطيك سيفك فقال لا ولكن اشهدان لاناقتك ابدا ولا حين عليك عدوا فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه فقال غوث لا تخير مني فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجل انا احق بذلك منك فرجع غوث الى اصحابه فقالوا له وليك يا غوث ما منعك منه فقال والله لقد اهاويت اليه بالسيف لاضربه به فوالله ما درى من زلخني بين كفتي فخررت لوجهي وذكر حاله لهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وسكن الوادي فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الوادي الى اصحابه واخبرهم الخبر وقرأ هذه الآية ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى قال ابن عباس كان عبد الرحمن بن عوف جريحا فزلت فيه ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذرکم یعنی من عدوكم (ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا) یعنی يهاونون به قوله عز وجل (فاذا قضيت الصلاة) یعنی فاذا فرغتم من صلاة الخوف (فاذكروا الله) یعنی بالتبجيل والتحميد والتهليل والتكبير واتوا على الله في جميع احوالكم (قياما وقعودا وعلى جنوبكم) فان ما انتم عليه من الخوف جدير بالمواظبة على ذكر الله عز وجل والتضرع اليه (ق) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله في كل احيائه وقيل المراد بالذكر الصلاة یعنی فصلوا الله قياما یعنی في حال الصحة وقعودا في حال المرض وعلى جنوبكم یعنی في حال الزمانة والجراح (فاذا اطمأنتم) یعنی فاذا اتمتم وسكنت قلوبكم واصل الطمأنينة سكون القلب (فاقموا الصلاة) یعنی فاقموا اربعا فلي هذا يكون المراد بالطمأنينة ترك السفر والمعنى فاذا صرتم مقيمين في اوطانكم فاقموا الصلاة تامة اربعا من غير قصره وقيل معناه فاقموا الصلاة باتمام ركوعها وسجودها فلي هذا يكون المراد بالطمأنينة سكون القلب عن الاضطراب والامن بعد الخوف (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) یعنی فرضا موقتا والكتاب هنا معنى المكتوب یعنی مكتوبة موقفة في اوقات محدودة فلا يجوز اخراجها عن اوقاتها على اى حال كان من خوف او امن وقيل معناه فرضا واجبا مقدرا في الحضر اربع ركعات وفي السفر ركعتين * قوله تعالى (ولا تنهوا في ابتغاء القوم) سبب نزول هذه الآية ان اباسفيان واصحابه لارجعوا يوم احد بعث النبي صلى الله عليه وسلم في آثارهم فشكوا من الم

ردية تشملهم لا يؤمن عليهم الوقوع في الكفر بقلبة الهوى والنفس (تريدون ان تجعلوا الله عليكم سلطانا مينا) حجة ظاهرة في عقابكم برسوخ الهيئة التي بها يعملون الى ولايتهم بصحبته ومجالسهم (ان المناقطين في الدرك الاسفل من النار) باختيار زيادة عذابه وشدة ايلامه

الجرارات فقال الله تعالى ولا تنهوا يعني ولا تضعوا ولا تنهوا في ابتغاء القوم يعني في طلب ابني
سفيان واصحابه ثم اورد عليهم الحجة ذلك والزمهم بها فقال تعالى (ان تكونوا تأملون فانهم
يأملون كما تأملون) يعني ان حصول الالم قدر مشترك بينكم وبينهم وليس ماتكبدون من
الوجع والالم الجراح مختصا بكم بل هم كذلك فادالم يكن الالم مانعاهم عن قتالكم فكيف يكون
مانعاهم عن قتالهم وكيف لا تصبرون مثل صبرهم مع انكم اولى بالصبر منهم لانكم مقرون بالخشع
والنشر والتواب والعقاب والمشركون لا يقرون بذلك كله فانتم ايها المؤمنون اولى بالجهاد
منهم وهو قوله تعالى (وترجون من الله مالا يرجون) يعني وتأملون من الله من الثواب
في الآخرة مالا يرجون وقيل ترجون النصر والظفر في الدنيا واطهار دينكم على الاديان
كلها (وكان الله عليما حكيما) يعني انه تعالى لا يأمركم بشئ الا وهو يعلم انه مصلحة لكم *
قوله عز وجل (انما انزلنا اليك الكتاب بالحق) قال ابن عباس نزلت هذه الآية في رجل من
الانصار يقال له طعمة بن ابريق من بني ظفر بن الحرث سرق درعا من جاره يقال له قتادة بن
النعمان وكانت الدرع في جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينثر من خرق في الجراب حتى انتهى
الى داره ثم خباها عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين فالتصت الدرع عند طعمة فحلف
بالله ما اخذها وماله بهامن علم فقال اصحاب الدرع لقد راينا اثر الدقيق حتى دخل داره فلما حلف
تركوه واتبعوا اثر الدقيق الى منزل اليهودي فأخذوه منه فقال اليهودي دفعها الى طعمة بن
ابريق زادا في الكشاف وشهد له جماعة من اليهود قال البغوي وجاء بوظرف قوم طعمة الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وسألوه ان يجادل عن صاحبهم طعمة فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يصاقب اليهودي وان يقطع يده فانزل الله هذه الآية وقيل ان زيد بن السمين اودع الدرع
عند طعمة فبجده طعمة فانزل الله هذه الآية انما انزلنا اليك يعني يا محمد الكتاب يعني القرآن بالحق
يعني بالصدق وبالامر والهي والفصل (لتحكم بين الناس بما اراك الله) يعني بما علمك الله
واوحى اليك وانما سمي العلم البقنى رؤية لانه جرى مجرى الرؤية في قوة الظهور روى عن
عمرانه قال لا يقولن احدكم قضيت بما راى الله فان الله لم يجعل ذلك الاليه صلى الله عليه وسلم
ولكن ليجهد ربه لان الراى من ارسل الله صلى الله عليه وسلم كان مصيبا لان الله تعالى كان ربه
اياه وان رأى احدنا يكون ظنا ولا يكون علما قال المحققون دلت هذه الآية على ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما كان يحكم الا بالوحى الالهى والنص المنزل عليه (ولا تكن) يعني يا محمد
(للمخائنين خصما) يعني ولا تكن لاجل المخائنين وهم قوم طعمة تخاصم عنهم وتجادل عن طعمة مدافعا
عنه ومعيناه (واستغفر الله) يعني مما هممت به من معاقبة اليهودي وقيل من جدالك عن طعمة
(ان الله كان غفورا) يعني لذنوب عباده يستغفر عنهم ويغفر لهم (رحما) يعني بعباده المؤمنين
* (فصل) * وقد تمسك بهذه الآية من يرى جوار صدور الدب من الانبياء وقالوا لولم يقع
من الرسول صلى الله عليه وسلم ذنب لامر بالاستغفار والجواب عما تمسكوا به من وجوه احدها
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعل المنهى عنه في قوله ولا تكن للمخائنين خصما ولم يخاصم
عن طعمة لما ساله قومه ان يذب عنه وان يلحق الدرفة باليهودي فتوقف رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن ذلك وانتظر ما يأتيه من الوحي السماوى والامر الالهى فنزلت هذه الآية واعلم رسول

واحرافه لا باعتبار كونه
ابون مرتبة اذ تأثير النار
في المنافق اشد وأكثر ايلاما
بقية استعداد فيه واما الكافر
الاصلي البهيم فله عدم استعداد
لا يتالم بعذابه كيتالم المنافق
وان كان اسوا حالامنه
واعظم عذابا وهو انا
(ولن نجعل لهم نصيرا)
يتصرهم من عذاب الله

الله صلى الله عليه وسلم بان طعمة كذاب وان اليهودى برئ من السرقة وانما مال صلى الله عليه وسلم الى نصرة طعمة وهم بذلك بسبب انه في الظاهر من المسلمين فامر الله بالاستغفار لهذا القدر الوجه الثانى ان قوم طعمة لما شهدوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم براءة طعمة من السرقة ولم يظهر في الحال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يوجب القدر في شهادتهم بان يقضى على اليهودى بالسرقة فلما اطلع الله على كذب قوم طعمة عرف انه لو وقع ذلك الامر لكان خطأ في نفس الامر فامر الله بالاستغفار منه وان كان معذورا الوجه الثالث يحتمل ان الله تعالى امره بالاستغفار لقوم طعمة لذنبهم من طعمة فان استغفاره صلى الله عليه وسلم يحتمل ان يكون لذنب قد سبق قبل النبوة وان يكون الذنوب امته الوجه الرابع ان درجة النبي صلى الله عليه وسلم الدرجات ومنصبه اشرف المناصب فلعلمو درجته وشرف منصبه وكمال معرفته بالله عز وجل فابقع منه على وجه التأويل والسهو او امر من امور الدنيا فانه ذنب بالنسبة الى منصبه صلى الله عليه وسلم كاقيل حسنات الابراسيات المقربين وذلك بالنسبة الى منازلهم ودرجاتهم والله اعلم * قوله تعالى (ولا تجادل عن الذين يخانون انفسهم) يعنى ولا تجادل يا محمد عن الذين يظنون انفسهم بالخيانة وهم طعمة ومن عاونه وذنب عنه من اقدم على ذنب فقد خان نفسه لانه اوقعها العذاب وحررها من الثواب ولهذا قيل لمن ظلم غيره انما ظلم نفسه وقيل المراد بهذا الجمع كل من خان خيانة اى فلا تخصم الخائن ولا تجادل عنه (ان الله لا يحب من كان خوانا ايماء) يعنى خوانا بسرقة الدرع انما يرميه اليهودى وهو برئ وانما قال تعالى خوانا ايماء على المبالغة لانه تعالى علم من طعمة الافراط في الخيانة وركوب المآثم ويدل على ذلك انه لما نزل فيه القرآن لحق مكة مرتدا عن دينه ثم دعا على الحاج بن علاط فنقب عليه بيته فسقط عليه حجر من الحائط فلما اصبحوا اخرجوه من مكة فلقى ركبا فعرض لهم وقال ابن سبيل ومنقطع به فحملوه حتى اذا جن عليه الليل عدا عليهم فسرقتهم ثم انطلق فركبوا في طلبه قادر كوه فرموا بالحجارة حتى مات ومن كانت هذه حاله كان كثير الخيانة والاثم فلذلك وصفه الله تعالى بالمبالغة في الخيانة والاثم قال بعضهم اذا عثرت من رجل على سينة فاعلم ان لها اخوات ويروى عن عمر انه امر بقطع يد سارق فجاءت امه تبكي وتقول هذه اول سرقة سرقتها فاعف عنه يا امير المؤمنين فقال كذبت ان الله لا يؤخذ عبده في اول مرة * قوله عز وجل (يستخفون من الناس) يعنى يستترون حياء من الناس يريد بذلك بنى ظفر بن الحرث وهم قوم طعمة ابن ابريق (ولا يستخفون من الله) يعنى ولا يستترون من الله ولا يستحيون منه واصل الاستخفاء الاستتار وانما فسر الاستخفاء بالاستخفاء على المعنى لان الاستخفاء من الناس يوجب الاستتار منهم (وهو معهم) يعنى والله معهم بالعلم والقدرة ولا يخفى عليه شئ من حالهم لانه تعالى لا يخفى عليه خافية وكفى بذلك زجرا للانسان عن ارتكاب الذنوب (اذ يبتون ما لا يرضى من القول) يعنى يضربون ويضربون ويؤذون في اذهانهم واصل التبيت تدبير الفعل بالليل وذلك ان قوم طعمة قالوا فيما بينهم نرفع الامر الى النبي صلى الله عليه وسلم فانه يسمع قول طعمة ويقبل بينه لانه مسلم ولا يسمع قول اليهودى لانه كافر فلم يرض الله تعالى بذلك منهم فاطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على سرهم وما هموا به (وكان الله بما يعملون محيطا) يعنى انه تعالى لا يخفى عليه من اسرار عباده وهو مطلع عليهم ومحيط بهم لا يخفى عليه خافية (هانتم هؤلاء) هانتيه يعنى يا هؤلاء الذين هو خطاب لقوم من المؤمنين كانوا يدبون

لانقطاع وصلتهم وارتفاع محبتهم مع أهل الله (الا الذين تابوا) رجعوا الى الله ببقية نور الاستعداد وقبول مدد التوفيق (وأصلحوا) ما افسدوا من استعدادهم بقمع الهوى وكسر صفات النفس ورفع حجب القوى بالزهد والرياضة (واعتصموا بالله) بالتمسك بحبل الارادة

وقوة العزيمة في التوجه
إليه (واخلصوا دينهم لله)
بإفناء موانع السلوك من
صفات النفس وإزالة خطاء
الشرك وقطع الضر عن
الغير في السير (فاولئك
مع المؤمنين) (المؤمنين
(وسوف يؤث الله المؤمنين
أجراً عظيماً) من مشاهدة
تجليات الصفات وجنة
الأنفال (ما يفعل الله بعذابكم
إن شكرتم وآمنتم وكان الله
شاكراً عظيمًا لا يحب الله
الجاهل بالسوء من القول
الأمين ظلم وكان الله سميعاً
عليماً إن تبدوا خيراً أو تخفوه
أو تعفوا عن سوء فإن الله
كان عفواً قديراً إن الذين
يكفرون بالله ورسوله
يخزيون عن الحق والدين
وعن الجمع والتفصيل
(ويريدون أن يفرقوا
بين الله ورسوله ويقولون
نؤمن ببعض وكفرنا
ببعض) (بالاحتجاب عن
الدين دون الحق والتفصيل
دون الجمع فينكرون الرسل
لنهمهم وحدة مضافة
للتكثرة وجعاً مبالغاً في التفصيل
وذلك هو إيمانهم ببعض
وكفركم بالباقي (ويريدون
أن يتخذوا) بين الإيمان
بالكل جمعاً وتفصيلاً

عن طعمة وعن قومه (جادلتم عنهم) يعني خاضتم عنهم بسبب أنهم كانوا يرونهم في الظاهر مسلمين
واصل الجدال شدة القتال لأن كل واحد من الخصمين يريد أن يقتل صاحبه عما هو عليه والمعنى
هو أنكم خاضتم وجدلتم عن طعمة وعن قومه (في الحياة الدنيا) وقيل هو خطاب لقوم طعمة
وفي قراءة ابن مسعود جادلتم عنه والمعنى هو أنكم خاضتم عن طعمة في الحياة الدنيا (فإن يجادل
الله عنهم يوم القيامة) يعني إذا أخذه به ذنبه فهو استفهام بمعنى التوبيخ والتقريع (أم من يكون
عليهم وكيلاً) يعني محافظاً ومحامياً عنهم من بأس الله إذا نزل بهم * قوله تعالى (ومن يعمل
سوا أو يظلم نفسه) نزلت هذه الآية في ترغيب طعمة في التوبة وعرضها عليه * وقيل نزلت في قومه
الذين جادلوا عنه وقيل هي عامة في كل مسمى * ومذنب لأن خصوص السبب لا يمنع من إطلاق
الحكم ومعنى الآية (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه) به غيره كأنه طعمة بالسرقة من فتادة * وإنما خص
ما يتعدى إلى الغير باسم السوء لأن ذلك يكون في الأكثر أيضاً للضرر إلى الغير أو يظلم نفسه يعني
فيما يختص به من الخلف الكاذب ونحو ذلك * وقيل معناه (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه) يعني
برمي لبرئ * وقيل السوء كل ما يأنم به الإنسان والظلم هو الشرك فإدونه (ثم يستغفر الله) يعني
من ذنوبه (يجد الله غفورا رحيمًا) * في هذه الآية دليل على حكمين أحدهما أن التوبة مقبولة
عن جميع الذنوب الكبائر والصغائر لأن قوله (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه عمداً) والحكم
الثاني أن ظاهر الآية يقتضي أن مجرد الاستغفار كاف وقال بعضهم أنه مقيد بالتوبة لأنه لا يرفع
الاستغفار مع الإصرار على الذنوب (ومن يكسب أثماً) يعني ومن يعمل ذنباً يأنم به (فإنما
يكسبه على نفسه) يعني إنما يعود وبال كسبه عليه والكسب عبارة عما ينفذ جرم منفعه أو دفع مضرته
فكانه تعالى يقول يا أيها الإنسان إن الذنب الذي ارتكبته إنما عادت مضرته عليك فاني مزه
عن الضر والنفع فأكثر من الاستغفار ولا تأس من قبول التوبة فاني لغفار لمن تاب * وهذه
الآية نزلت في طعمة أيضاً (وكان الله عليماً) يعني بسارق الدرع (حكيمًا) يعني إذا حكم
عليه بالقطع * وقيل معناه عليماً بما في قلب عبده عند إقدامه على التوبة حكيمًا تقتضي حكمته أن
يجاوز عن التائب ويغفر له ويقبل توبته (ومن يكسب خطيئة أو إثماً) قبل أن الخطيئة هي الصغيرة
من الذنوب والاثم هو الكبيرة * وقيل الخطيئة هي الذنب المخصص بشاعله والاثم الذنب المتعدى إلى
الغير وقيل أن الخطيئة هي سرقة الدرع والاثم هو يمينه الكاذبة (ثم يرم به برياً) يعني ثم يهذف
بما جناه برياً منه وهو نسبة السرقة إلى اليهودي ولم يسرق * فإن قلت الخطيئة والاثم اثنان فكيف
وحد الضمير في قوله ثم يرم به قلت معناه ثم يرم به أحد المذكورين برياً * وقيل معناه ثم يرم
بهما فاكفي بأحدهما عن الآخر وقيل أنه يعود للضمير إلى الاثم وحده لأنه أقرب مذكور وقيل
أن الضمير يعود إلى الكسب ومعناه ثم يرم بما كسب برياً (فقد احتمل بهاتين) البهتان من
البهت وهو الكذب الذي يصح في عظمه (وإنما مينا) يعني ذنباً يأنم به لأنه يكسب الاثم آثم
وبرمي البرئ باهت فقد جمع بين الأمرين * قوله عز وجل (ولو لا فضل الله عليكم ورحمته)
هذه الآية متعلقة بقصة طعمة بن أيرق وقومه حيث أبسوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر
صاحبهم فقوله تعالى ولو لا فضل الله عليكم يعني يا محمد بالذرة ورحمته يعني بالعصمة وما أوحى اليك
من الإطلاع على أسرارهم فهو خطاب لآبي صلى الله عليه وسلم (لهمت طائفة منهم) يعني من

بني ظفروهم قوم طمعة (ان بطلوك) يعني من القضاء بالحلق وتوخي طريق العدل * وقيل معناه
يخطؤك في الحكم ويلبسوا عليك الامر حتى تدفع عن طمعة وذلك لان قوم طمعة عرفوا انه سارق
ثم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم ان يدفع عنه ويتزهد عن السرقة ويرمي بها اليهودى (وما يضلون
الا انفسهم) يعني ان وبال ذلك يرجع عليهم بسبب تعاونهم على الاثم وبشهادتهم له انه برى فهم لما
قدموا على ذلك رجع وباله عليهم (وما يضررونك من شيء) يعني انهم وان سعوا في القاتك في الباطل
فانت ما وقعت فيه لانك بنيت الامر على ظاهر الحال وما خطر ببالك ان الامر على خلاف ذلك
* وقيل معناه وما يضررونك من شيء في المستقبل فوعده الله ادامة العصمة وانه لا يضره احد
(وانزل الله عليك الكتاب) يعني القرآن (والحكمة) يعني القضاء بهما يعني وواجب بهما بناء
الحكم على الظاهر فكيف يضررونك بالقاتك في الثبوتات (وعلمك ما لم تكن تعلم) يعني من احكام
الشرع وامور الدين * وقيل علمك من علم الغيب ما لم تكن تعلم * وقيل معناه وعلمك من خفيات الامور
واطلمك على ضمائر القلوب وعلمك من احوال المنافقين وكيدهم ما لم تكن تعلم (وكان فضل الله
عليك عظيما) يعني ولم يزل فضل الله عليك بان يحمر عظميا فاشكره على ما اولاك من احسانه ومن عليك
بذوبته وعلمك ما نزل عليك من كتابه وحكمته وعصمتك من حاول اضلالك فان الله هو الذي تولاك
بفضله وشملك باحسانه وكفاك غائلة من ارادك بسوء ففي هذه الآية تنبيه من الله عز وجل لتنبيه
محمد صلى الله عليه وسلم على ما حباه من الطافة وما شمله من فضله واحسانه ليقوم بواجب حقه
* قوله تعالى (لا خير في كثير من نجواهم) يعني من نجوى قوم طمعة * وقيل هي عامة في جميع
ما يتناجى الناس به والنجوى هي الاسرار في التدبير وقيل النجوى ما تفرق بتدبيره قوم سرا كان
ذلك اوجهر او ناجيته سارته * واصله ان يخلو في نجوة من الارض * وقيل اصله من النجى * والمعنى
لا خير في كثير مما يدبرونه ويتناجون فيه (الا من امر بصدقة) يعني الا في نجوى من امر بصدقة
* وقيل معناه لا خير فيما يتناجى فيه الناس ويخوضون فيه من الحديث الا فيما كان من اعمال الخير وقيل
هو استثناء منقطع تقديره لكن من امر بصدقة وحث عليها (او معروف) يعني او امر بطاعة الله
وما يميزه الشرع واعمال البر كلها معروف لان العقول تعرفها (او اصلاح بين الناس) يعني اصلاح
بين المتباينين والمتخالفين ليتراجعا الى ما كان فيه من الالفة والاجتماع على ما اذن الله فيه وامره
* عن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا خبركم بافضل من درجة الصيام والصلاة
والصدقة قالوا بلى يا رسول الله قال اصلاح ذات البين وان فساد ذات البين هي الحالقة اخرج
الترمذي وابوداود وقال الترمذي وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هي الحالقة لا اقول
تحلق الشعر ولكن تحلق الدين (خ) عن سهل بن سعد ان اهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالجمرة
فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذهبوا بانفصل بينهم (ق) عن ام مكتوم بنت عقبة بن
ابي معيط قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الكذاب الذي يصلح بين اثنين
او قال بين الناس فيقول خيرا او ينهى خيرا زاد مسلم في روايته له قالت ولم اسمعه يرخص في شيء
مما يقول الناس الا في ثلاث يعني الحرب والاصلاح بين الناس وحديث الرجل زوجته وحديث
المرأة زوجها (ومن يفعل ذلك) يعني هذه الاشياء التي ذكرت (ابتغاء مرضات الله) يعني
طلب رضاه لان الانسان اذا فعل ذلك خالصا لوجه الله نفعه وان فعله رياء وسمعة لم ينفعه ذلك

والكفر بالكل طريقا
(أو تلك هم الكافرون)
المحبوبون (حقا) بذواتهم
وصفاتهم فان معرفتهم
وهم وغلط وتوحيدهم
زندقة ليسوا من الدين
ولامن الحق في شيء (واعتدنا
للكافرين عذابا مهينا)
يعنيهم بوجود الجحيم
وذلل النفس وصفاتها
(والذين آمنوا بالله ورسوله
ولم يفرقوا بين احد
منهم أو تلك سوف يؤثمنهم
اجورهم) من الجنات
الثلاثة (وكان الله غفورا)
يسر عنهم ذواتهم وصفاتهم
التي هي ذنوبهم وجحيم
بذاته وصفاته (رحيم)
يرحمهم بتتبعهم بالجنات
الثلاثة وبالوجود الموهوب
الحقاني والبقاء السرمدي
(بسالك اهل الكتاب
ان تنزل عليهم كتابا من
السماء) علمائنا بالكاشفة
من سماء الروح (فقد سألوا
موسى اكبر من ذلك)
لان المشاهدة اكبر واعلى
من المكاشفة (فقالوا ان الله
جهرة فاخذتهم الصاعقة
فيظلمهم ثم اتخذوا الجبل
من بعد ما جاءتهم البينات
بغفونا عن ذلك) بطلبهم

قوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات الحديث (فسوف تؤتيه) يعنى في الآخرة اذا فعل ذلك ابتغاء مرضاة الله (اجر عظيما) لاحدله لان الله سماه عظيما واذا كان كذلك فلا يصلم قدره الا الله * قوله عز وجل (ومن يشاقق الرسول) نزلت في طعمة ايضا وذلك انه لما سرق وظهرت عليه السرقة خاف على نفسه القطع وانفضيحه فهرب الى مكة كافرا مرتدا عن الدين فانزل الله عز وجل فيه ومن يشاقق الرسول يعنى يخالفه في التوحيد والايمان * واصله من المشاققة وهى كون كل واحد منهما فى شق غير شق الآخر (من بعد ما تبين له الهدى) اى وضح له التوحيد والحدود وظهر له صحة الاسلام وذلك لان طعمة كان قد تبين له بما نزل فيه وظهر من سرقة ما يدل على صحة دين الاسلام فعادى الرسول صلى الله عليه وسلم وظهر الشقاق ورجع عن الاسلام (ويتبع غير سبيل المؤمنين) يعنى ويتبع غير طريق المؤمنين وما هم عليه من الايمان ويتبع عبادة الاوثان (نوله ماتولى) اى نكله في الآخرة الى ماتولى في الدنيا ونزكه وما اختار لنفسه (ونصله جهنم) يعنى ونلزمه جهنم واصله من الصلى وهو لزوم البار وقت الاستدفاء (وساءت مصيرا) يعنى وبئس المرجع الى البار * روى ان الشافعى سئل عن آية من كتاب الله تدل على ان الاجماع حجة فقرأ القرآن ثلاثمائة مرة حتى استخرج هذه الآية وهى قوله تعالى ويتبع غير سبيل المؤمنين وذلك لان اتباع غير سبيل المؤمنين وهو مفارقة الجماعة حرام فوجب ان يكون اتباع سبيل المؤمنين ولزوم جاعتهم واجبا وذلك لان الله تعالى الحق الوعيد بمن يشاقق الرسول ويتبع غير سبيل المؤمنين فثبت بهذا ان اجماع الامة حجة * قوله عز وجل (ان الله لا يغفر ان يشرك به) نزلت في طعمة بن ابرق ايضا لكونه مات مشركا * وقال ابن عباس نزلت هذه الآية في شيخ من الاعراب جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبى الله انى شيخ منهمك في الذنوب غير انى لم اشرك بالله منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصى جراءة على الله عز وجل وماتوهت طرفه عين انى اعجز الله هربا وانى لادم نائب مستغفر فاحالى عند الله فانزل الله هذه الآية ان الله لا يعفقران يشرك به فهذا نص صريح بان الشرك غير مغفور اذامات صاحبه عليه لانه قد ثبت ان المشرك اذا تاب من شركه وآمن قبلت توبته وصح ايمانه وغفرت ذنوبه كما هالتى علمها فى حال الشرك (ويعفقر مادون ذلك) يعنى مادون الشرك (لمن يشاء) يعنى لمن يشاء من اهل التوحيد * قال العلماء لما اخبر الله انه يعفقر الشرك بالايمان والتوبة علمانه يعفقر مادون الشرك بالتوبة وهذه المشيئة فحين لم يتب من ذنوبه من اهل التوحيد فاذا مات صاحب الكبيرة او الصغيرة من غير توبة فهو على خطر المشيئة ان شاء غفر له وادخله الجنة بفضل ورحمته وان شاء عذبه ثم يدخله الجنة بعد ذلك (ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) يعنى فقد ذهب عن طريق الهدى وحرم الخير كله اذامات على شركه * فان قلت لم كررت هذه الآية بلفظ واحد فى موضعين من هذه السورة وما فائدة ذلك * قلت فائدة ذلك التاكيد اولان الآية المتقدمة نزلت فى سبب ونزلت هذه الآية فى سبب آخر وهو ان الآية المتقدمة نزلت فى سبب سرقة طعمة بن ابرق ونزلت هذه الآية فى سبب ارتداده وموته على الشرك * قوله عز وجل (ان يدعو من دونه الا انانا) نزلت فى اهل مكة يعنى ما يعبدون من دون الله الا انانا لان كل من عبد شيا فقد دعاه لحاجته وفى قوله انانا اقوال احدها انهم كانوا يعبدون اصنامهم باسماء الاناث فيقولون

المشاهدة مع بقاء ذواتهم
اذ وجود البقية عند المشاهدة
وضع النى فى غيره موضعه
وطلب المشاهدة مع البقية
طغيان من النفس ينشأ
من رؤيتها كالات الصفات
لنفسها وذلك ظلم (وآتينا
موسى سلطانا مينا) تسلطا
بالجعة حلهم بعد الافاقة
(ورفضنا فوقهم الطور
بمناقهم وقلنا لهم ادخلوا
الباب سجدا وقلنا لهم لاتعدوا
فى السبت واخذنا منهم
ميثاقا غليظا فيما نفضهم
مينا قهم وكفرهم بايات الله
وقتلهم الانبياء بغير حق
وقولهم قلوبا غفل بل
طمع الله عليا بكفرهم فلا
يؤمنون الا قليلا وكفرهم
وقولهم على مريم بهتانا
عليها وقولهم انا قلنا المسيح
عيسى ابن مريم رسول الله
وما قتلوه وما صلبوه ولكن
شبه لهم وان الذين اختلفوا
فيه لى شك منه ما لهم به من
علم الا اتباع الظن وما قتلوه
يقينا بل رفعه الله اليه
وكان الله عزيزا حكيم
وان من اهل الكتاب الا
ليؤمن به) رفع عيسى عليه
السلام اتصال روحه عنه
المفارقة عن العالم السفلى
بالعالم العلوى وكونه

اللات والعزى ومنات قال الحسن كانوا يقولون لصنم كل قبيلة انثى بنى فلان* واقول الثاني
انا انبى امواتا قال الحسن كل شئ لا روح فيه كالجمر والخشبة هو اناث قال الزجاج والموات
كلها يخبر عنها كما يخبر عن المؤنث تقول هذه الجمر تبغى وهذه الدراهم تبغى والانثى انزل
درجة من الذكر والميت انزل درجة من الحي كما ان الموات انزل من الحيوان وقديطلق اسم
الانثى على الجمادات* والقول الثالث ان بعضهم كان يعبد الملائكة ويقول هن بنات الله (وان يدعون)
اي وما يعبدون (الاشيطانا مريدا) قال ابن عباس لكل صنم شيطان يدخل في جوفه ويترامى
للسدنة والكهنة ويكلمهم فلذلك قال الله تعالى وان يدعون الا شيطانا مريدا* وقيل هو ابليس
لانه اغواهم واغرامهم على عبادتها وطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة* والمريد والمارد هو المتمرّد
الحاقى الخارج عن الطاعة (لهذا الله) اي ابعده الله وطرده عن رحته (وقال) يعني ابليس (لا تحذرن
من عبادك نصيبا مفروضا) يعني حظا مقدرا معلوما فكل ما طبع فيه ابليس فهو نصيبه ومفروضه
واصل القرض القطع وهذا النصيب هم الذين يتبعون خطواته ويقبلون وسواسه (ولا ضلالتهم)
عن طريق الحق والمراد به التزيين والوسوسة والافليس اليه من الاضلال شئ* قال بعضهم لو كانت
الضلالة الى ابليس لاضل جميع الخلق (ولا منينهم) قال ابن عباس يريد تسويق التوبة وتأخيرها وقال
الكلي امينهم انه لاجنة ولا نار ولا بعث* وقيل امينهم ادراك الجنة مع عمل المعاصي* وقيل ازين لهم
ركوب الاهواء والاهوال الداعية الى العصيان* وقيل امينهم طول البقاء في الدنيا ونعيمها ليؤثروها
على الآخرة (ولا امرنهم فليتمكن اذان الانعام) يعني يقطعونها ويشقونها وهي البحيرة وذلك انهم
كانوا يشقون اذان الناقة اذا ولدت خسة ابطن وجاء الخامس ذكرها وحرموها على انفسهم الانتفاع
بها ولا يردونها عن ماء ولا مرعى وسول لهم ابليس ان هذا قرية (ولا امرنهم فليغرن خلق الله)
قال ابن عباس يعني دين الله هو تحليل الحرام وتحريم الحلال* وقيل تغيير خلق الله هو تغيير الفطرة التي
فطر الخلق عليها ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه
او ينصرانه او يمجسانه* وقيل يحتمل ان يحمل هذا التغيير على تغيير احوال تتعلق بظاهر الخلق مثل
الوشم ووصل الشعر ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله الواشحات والمستوشحات والتمنصات
والتفجمات للحسن المغيرات خلق الله اخرجاه من رواية ابن مسعود هو لهما عن اسماء قالت لعن النبي
صلى الله عليه وسلم الواصلة والمستوصلة وقيل تغيير خلق الله هو الاختصاص وقطع الاذان حتى ان بعض
العلماء حرّمه وكرهه انس اخضاء الفم وجوز به بعض العلماء لان فيه غرضا ظاهرا (ق) عن سعد بن
ابي وقاص قال لولا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رد على عثمان بن مظعون التبتل لاخصينا
التبتل هو ترك الكاح والانتقطاع للعبادة عن نافع قال كان ابن عمر يكره الاختصاص ويقول ان
فيه نماه الخلق اخرجهم مالك في الموطن ومناه في ترك الاختصاص نماه الخلق يعني زيادتهم وقال ابن
زيد هو التحنث وهو ان يتشبه الرجل بالنساء في حركاتهن وكلامهن ولباسهن ونحو ذلك وقيل
تغيير خلق الله هو ان الله تعالى خلق البهائم والانعام للركوب والاكل فخرمواها على انفسهم
وخلق الشمس والقمر والتجوم والنار والاجار لمنفعة الناس فعبدها من دون الله (ومن يتخذ
الشيطان وليا من دون الله) يعني يتخذها ربا يعطيه فيما يأمر به وقيل الولي من الموالاتة وهو
الناصر (فقد خسر خسرانا مبينا) لان طاعة الشيطان توصله الى نار جهنم وهي غاية الخسران

في السماء الرابعة اشارة الى
ان مصدر فيضان روحه
روحانية تلك الشمس الذي
هو بمثابة قلب العالم ومرجهه
اليه وتلك الروحانية نور
يحرر كذلك الفلك بمشوقته
واشراق اشعته على نفسه
المباشرة لتحريكه ولما كان
مرجهه الى مقره الاصل
ولم يصل الى الكمال الحقيقي
وجب نزوله في آخر الزمان
بتلقفه بدن آخر وحينئذ
يعرفه كل احد فيؤمن به
اهل الكتاب اي اهل العلم
العارفين بالمبدأ والمعاد كلهم
عن آخرهم قبل موت
حيسى بالنساء في الله واذا
آمنوا به يكون يوم القيامة
اي يوم بروزهم عن الجلب
الجبانية وقيامهم عن حال
غفلتهم ونومهم الذي هم عليه
الآن (قبل موته ويوم
القيامة يكون عليهم شهيدا)
شاهدهم بتجلى عليهم الحق
في صورة كما اشير اليه (فيظلم)
عظيم (من الذين هادوا)
اي بعبادتهم بحل النفس
واخذها لها وامتناعهم
عن دخول القرية التي هي
حضرة الروح واعتدائهم
في السبت بمخالفة النسخ
والاخصاب من كشف
لوحيد الافعال ونقصهم

«بقي في الآية سؤالان * الاول قال لا تحذن من عبادك نصيبا مفروضا واتصيب المفروض هو الشيء المقدور القليل وقال في موضع آخر لا تحتكن ذريته الا قليلا وقال لا غوينهم اجمعين الاعبادك منهم المخلصين وهذا استثناء القليل من الكثير فكيف وجه الجمع فالجواب ان الكفار الذين هم حزب الشيطان وان كانوا اكثر من المسلمين في العدد لكنهم اقل من المؤمنين في الفضل والشرف وعلو الدرجة عند الله والمؤمنون وان كانوا اقل من الكفار لكنهم اكثر منهم لان لهم الفضل والشرف والسودد والغلبة في الدنيا وعلو الدرجة في الآخرة وانشد بعضهم في هذا المعنى فقال

وهم الاقل اذا تعدت عشيرة * والاكثرون اذا بعدت السود

وقيل ان ابليس لما لم يزل من آدم ما اراد ورأى الجنة والبار وعلم ان لهذه اهلا ولهذه اهلا قال لا تحذن من عبادك نصيبا مفروضا يعني الذين هم اهل البار * السؤال الثاني من اين لا بليس العلم بالعواقب حتى يقول ولا صلنهم ولا غوينهم ولا نينهم ولا امرنهم وقال في الاعراف ولا تجد اكثرهم شاكرين وقال في بنى اسرائيل لا تحتكن ذريته الا قليلا فالجواب من ثلاثة اوجه * احدها ان ابليس ظن ان تقع منهم هذه الامور التي يريد بها منهم فحصل له ما ظنه ويدل على ذلك قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه * الوجه الثاني قال ابن الانباري المعنى لا تحذن ولا حرصن في ذلك لانه كان يعلم القيب * الوجه الثالث قال الماوردي من الجائر ان يكون قد علم ذلك من الملائكة بخبر من الله تعالى ان اكثر الخلائق لا يؤمنون * وقوله تعالى (يعدهم ويمنهم) يعني الشيطان يعد حزبه واوليائه ويمنهم فوعده وتمنيته ايهم ما يوقع في قلب الانسان من طول العمر ونيل ما اراد من الدنيا ومن نعمها ولذاتها وكل ذلك غرور فيجب على العاقل ان لا يلتفت الى شيء منها فربما لم يطل عمره ولم يحصل له ما اراد منها واثن طال عمره وحصل مقصوده فالموت وراءه ينقص عليه ما هو فيه وقيل يعدهم ويمنهم بأن لاجنة ولا نار ولا بعث فاجتهدوا في تحصيل اللذات الدنيوية (وما يعدهم الشيطان الا غرورا) يعني باطلا وضلالا (اولئك) يعني الذين اتخذوا الشيطان وليا (ما واهم جهنم) يعني مرجعهم ومستقرهم جهنم (ولا يجدون عنها) يعني عن جهنم (محيصا) يعني مفرا ومعد لا يعني لا يعدلون عنها الى غيرها ولا بد لهم من ورودها والخلد فيها لما ذكر وعيد الكفار اتبعه بوعد المؤمنين فقال تعالى (والذين آمنوا وعلوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار) يعني من تحت المساكن والغرف (خالدين فيها) يعني في الجنات (ابدا) بلا انتهاء ولا غاية * والابد عبارة عن مدة الزمان المتدلي لا انقطاع له ولا تجزأ كما تجزأ غيره من الازمنة لانه لا يقال ابد كذا كما يقال زمن كذا وفي قوله خالدين فيها ابد دليل على ان الخلود لا يفيد التأيد والدوام لانه لو افاد ذلك لزم التكرار وهو خلاف الاصل فعلم من ذلك ان الخلود عبارة عن طول الزمان لاهل الدوام فذا تبع الخلود بالابد علم انه يراد به الدوام الذي لا ينقطع * وقوله عز وجل (وعدا الله حقا) يعني وعد الله ذلك الذي ذكر وعدا حقا (ومن اصدق من الله قولا) يعني ليس احد اصدق من الله وهو توكيد ببلغ لقوله وعد الله حقا * قوله تعالى (ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب) الامنية افقولة من التمنية والتقدير شيء في نفس وتصوره فيها والامنية هي الصورة الحاصلة في النفس من معنى الشيء اذا وقع في نفسه واراده

ميثاق الله واحتجابهم عن تجليات الصفات الذي هو كفرهم بما يات الله والانتهاز في الرذائل كلها كقتل الانبياء والافتراء على الله بكون قلوبهم غلغا اى مغطاة بحجب خلقية لاسيلا الى رفعها وبهتانهم على مريم وادمانهم قتل عيسى عليه السلام من الخصال التي اجتماعها ظلم لا يعرف كنهه (حرمانا عليهم طيبات) جنات النعيم من تجليات الافعال والصفات وشهود الذات التي هي طيبات لا يعرف كنهها (احلت لهم) بحسب قابلية استعدادهم لولا هذه الموانع (وبصدهم) الناس بصحبتهم ومرافقتهم ودعوتهم الى الضلال او بصدة قواهم الروحية (عن سبيل الله كثيرا واخذهم الربوا وقدنوا عنه) ربا فضول العلوم كالحلاف والجدل والذات البدنية والحظوظ التي تنواعتها (واكلهم اموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا ليلا) برذيل الحرص والطمع كأخذ الرشا واجر التزويرات والتليسات واستعمال علوم

* وفي الخطاب بقوله ليس بآياتكم ولا آياتي اهل الكتاب قولان * احدهما انه خطاب للمسلمين
 واهل الكتاب اليهود والصاري وذلك انهم اقضوا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبىكم وكتابنا
 قل كتابكم فحسن اولى بالله منكم وقال المسلمون نبينا خاتم الانبياء وكتابنا يقضى على الكتب وقد
 آتانا بكتابكم ولم تؤمنوا بكتابنا فحسن اولى بالله منكم * والقول الثاني انه خطاب لشركى مكة في قوله
 لا تبعث ولا نحاسب وخطاب لاهل الكتاب في قوله لن تمسنا الا اياما معدودة والمعنى ليس الامر
 بالآياتي انما الامر بالعمل الصالح (ومن يعمل سوءا يجز به) قال الضحاك يقول ليس لكم ماتعتيم
 وليس لاهل الكتاب ماتنوا ولكن من عمل سوءا يعنى شركا فأت عليه يجزبه النار وقال الحسن
 هذا في حق الكفار خاصة لانهم يجازون بالعقاب على الصغير والكبير ولا يجزى المؤمن بسوء
 عمله يوم القيامة ولكن يجزى بأحسن عمله ويتجاوز عن سيئاته ويدل على صحة هذا القول سياق
 الآية وهو قوله (ولا يجده من دون الله وليا ولا نصيرا) وهذا هو الكافر فاما المؤمن فله ولي
 ونصير وقال آخرون هذه الآية في حق كل من عمل سوءا من مسلم ونصراني وكافر قال ابن عباس
 هي عامة في حق كل من عمل سوءا يجز به الا ان يتوب قبل ان يموت فيتوب الله عليه * وقال ابن عباس
 في رواية ابي صالح عنه لما نزلت هذه الآية شقت على المسلمين مشقة شديدة وقالوا يا رسول الله
 وانا من لم يعمل سوءا غيرك فكيف الجزاء قال منه ما يكون في الدنيا فمن يعمل حسنة فله عشر حسنات
 ومن جوزى بالسيئة نقصت واحدة من عشر حسناته وبقيت له تسع حسنات فويل لمن غلبت
 آحاده امثاله واما من كان جزاؤه في الآخرة فيقابل بين حسناته وسيئاته فيلقى مكان كل سيئة
 حسنة وينظر في الفضل فيعطى الجزاء في الجنة فيؤتى كل ذى فضل فضله * ويدل على صحة هذا
 القول ما روى عن ابي هريرة قال لما نزلت من يعمل سوءا يجز به بلغت من المسلمين مبلغا شديدا
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاربوا وسددوا في كل ما يصاب به السلم كفارة حتى النكبة
 ينكها والشوكة يشاكها اخرجه مسلم * وعن ابي بكر الصديق قال كنت عند رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فنزلت من يعمل سوءا يجز به ولا يجده من دون الله وليا ولا نصيرا فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر الا قرأت آية انزلت على قلت بلى يا رسول الله قال فقرأتها هلا علم
 الا اني وجدت انقصا في ظهري فتمطأت لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشأك يا ابا بكر
 قلت يا رسول الله باني انت وامى وانا لم يعمل سوءا وانا المجزون باعمالنا فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم امانت يا ابا بكر والمؤمنون قبحزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله وليس عليكم
 ذنوب واما الآخرون فيجتمع ذلك لهم حتى يجزوا به يوم القيامة اخرجه الترمذى وقال حديث
 غريب وفي اسناده وقال وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن ابي بكر وليس له اسناد صحيح
 * وقوله ولا يجده من دون الله وليا ولا نصيرا قال ابن عباس يريد وليا يمنعه ولا نصيرا ينصره فان
 قلنا ان هذه الآية خاصة في حق الكفار فتاويلها ظاهر وان قلنا انها في حق كل حامل سوء من
 مسلم وكافر فانه لاولى لاحد من دون الله يوم القيامة ولا ناصر فالمؤمنون لاولى لهم غير الله
 وشفاعة الشافعين تكون باذن الله فليس يمنع احد احدا عن الله وقوله تعالى (ومن يعمل من
 الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن) قال مسروق لما نزلت من يعمل سوءا يجز به قال اهل
 الكتاب انحن وانتم سواء فنزلت هذه الآية قال المفسرون بين الله تعالى بهذه الآية فضيلة المؤمنين

القرى الروحية بين الكفر
 والفعل الظرفى راعى
 في تحصيل المال كل
 والمشارب وكسب الخطام
 وتحصيل اللذات والشهوات
 الحسية والمآرب السبعية
 والبيمية عند ما يؤمل الوجود
 استعدادهم (لكن الرامحون
 في العلم) اى المحققون (منهم
 والمؤمنون) بالايمان
 التقليدى المطابق الثابت
 (يؤمنون بما انزل اليك
 وما نزل من قبلك والمقيمين
 الصلوة والمؤتون الزكاة)
 اى يتصفون بالتزكية والتجلية
 (والمؤمنون بالله) الموحدون
 بالتوحيد العيانى (واليوم
 الآخر) المعانين لآحوال
 المعاد على ما هو عليه (اولئك
 سنؤتيهم اجرا عظيما) من
 حظوظ تجليات الصفات
 وجناتها (انا وحينا اليك
 كما وحينا الى نوح والتينين
 من بعد ووحينا الى ابراهيم
 واسماعيل واسحق ويعقوب
 والاسباط وعيسى وابوب
 ويونس وهرون وسليمان
 وآتينا داود ذبورا ورسلا
 قد قصصناهم عليك من قبل
 ورسلا لم نقصصهم عليك
 وكلم الله موسى تكليما
 رسلا مبشرين) بتجليات

على غيرهم ونقطة من في قوله من الصالحات لتبعض لان احد الايقدر ان يستوعب جميع الصالحات بالعمل فاذا عمل بعضها استحق الثواب (فاولئك يدخلون الجنة ولا يظنون نقيرا)
 القير نقرة في ظهر النواة ومنها ثبت الخلة قال ابن عباس يريد لا يقصون قدر نقرة النواة وهذا على سبيل المبالغة في نفي الظلم ووعد بتوفية جزاء اعمالهم من غير نقصان * قوله عز وجل (ومن احسن دينا من اسلم وجهه لله وهو محسن) لما بين الله تعالى ان الجنة لمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن من شريح الايمان وبين فضله فقال تعالى ومن احسن دينا معنى ومن احكم دينا والدين هو المشتل على كمال العبودية والخضوع والانقياد لله عز وجل وهو الذي كان عليه ابراهيم صلى الله عليه وسلم واعلم ان دين الاسلام مبنى على امرين * احدهما الاعتقاد واليه الاشارة بقوله اسلم وجهه لله يعنى انقاد الله وخضع له في سره وعلايته وقيل معناه اخلص طاعته لله وقيل فوض امره الى الله الامر الثاني من مباني الاسلام العمل واليه الاشارة بقوله وهو محسن يعنى في عمله الله فيدخل فيه فعل الحسنات والمفروضات والطاعات وترك السيئات وقال ابن عباس في تفسير قوله وهو محسن يريد وهو موحد لله عز وجل لا يشركه شياً قال العلماء وانما صار دين الاسلام احسن الاديان لان فيه طاعة الله ورضاه وهما احسن الاعمال وانما خص الوجه بالذكر في قوله اسلم وجهه لله لانه اشرف الاعضاء فاذا انقاد الوجه لله وخضع له فقد انقاد الله جميع الاعضاء لانها تابعة له (واتب ملة ابراهيم) يعنى دين ابراهيم عليه السلام (حنيفا) يعنى مسلما مخلصا والحنيف المائل ومعناه المائل عن الاديان كلها الى الاسلام لان كل ماسواه من الاديان باطل * وحنيفا يجوز ان يكون حالا لابراهيم ويجوز ان يكون حالا للمتبع كما تقول رأته راكبا قال ابن عباس ومن دين ابراهيم عليه السلام الصلاة الى الكعبة والطواف ومناسك الحج والحائى ونحو ذلك * فان قلت ظاهر هذه الآية يقتضى ان شرع محمد صلى الله عليه وسلم هو نفس شرع عليه السلام وعلى هذا لم يكن لمحمد صلى الله عليه وسلم شرع يستقل به وليس الامر كذلك فالجواب * قلت ان شرع ابراهيم وملته داخلان في شرع محمد صلى الله عليه وسلم وملته مع زيادات كثيرة حسنة خص الله بها محمدا صلى الله عليه وسلم فن اتبع ملة محمد صلى الله عليه وسلم فقد اتبع ملة ابراهيم لانها داخلة في ملة محمد صلى الله عليه وسلم وشرع ابراهيم داخل في شرع محمد صلى الله عليه وسلم وانما قال تعالى واتب ملة ابراهيم لان ابراهيم صلى الله عليه وسلم كان يدهو الى توحيد الله وعبادته ولهذا خصه بالذكر لانه كان مقبولا عند جميع الامم فان العرب كانوا يفتخرون بالانتساب اليه وكذا اليهود والنصارى فاذا ثبت هذا وان شرعه كان مقبولا عند الامم وان شرع محمد صلى الله عليه وسلم وملته هو شرع ابراهيم وملته لزم الخلق الدخول في دين محمد صلى الله عليه وسلم وقبول شرعه وملته وقوله تعالى (واتخذ الله ابراهيم خليلا) يعنى صفياء والخلة صفاء المودة . وقيل الخلة الافتقار والانتفاع فخليل الله المتنتفع اليه وسمى ابراهيم خليلا لانه انقطع الى الله في كل حال . وقيل الخلة الاختصاص والاصطفاء وسمى ابراهيم خليلا لانه والى في الله وعادى في الله . وقيل لانه تخلق بأخلاق حسنة وخلال كريمة وقيل لخليل الحب الذى ليس في محبته خلل وسمى ابراهيم خليل الله لانه احبه محبة كاملة ليس فيها نقص ولا خلل . وانشد في معنى الخلة التى هي بمعنى المحبة قد تخللت مسلك الروح منى * وبه سمي خليل خليلا

صفات اللطف (و مذكرين)
 بجليات صفات القهر (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) ظهور وسلطنة بوجود صفة ما بعد رفعها ومحوها بامداد الرسل (وكان الله عزيزا) قويا يقهرهم بمحو صفاتهم وافناء دوانهم (حكيم) لا يفعل ذلك الا بحكمة انصفهم بصفاته وابقائهم بذاته (لكن الله يشهد بما ائزلك) لكونك في مقام الجمع وهو محبوبون لا يقررون به بل هو يشهد (ائزله) ملتبسا بعله اى في حالة كونه عالما به بحيث انه عليه الخاص لا علك ولا علم غيرك من غيره (والملائكة يشهدون) لكونك مراعايا للتفصيل في غير الجمع فهو الشاهد بذاته وباسمائه وصفاته (وكفى بالله شهيدا) اى الذات مع الصفات تكفى في الشهادة اذ لا موجود غيره (ان الذين كفروا) وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا حجبوا عن الحق لكون ضلالهم (بعيدا) ان الذين كفروا (حجبوا عن الذين) وظلوا (منعوا) استعداد انهم عن حقوقها

وقيل الخليل من الخلطة بفتح الخاء وهى الحاجة سميت خلعة للاختلال الذى يلحق الانسان فيها
وسمى ابراهيم خليلا لانه جعل فقره وفاقته وحاجته الى الله تعالى وخلعة الله للعبد هى
تمكينه من طاعته وعصيته وتوفيقه وسرّ خلعه ونصره والثناء عليه فقد اثنى الله عز وجل
على ابراهيم عليه السلام وجعله اماما للناس يقتدى به واختلفوا فى السبب الذى من اجله اتخذ الله
ابراهيم خليلا فقال ابن عباس كان ابراهيم صلى الله عليه وسلم ابا الضيفان وكان منزله على
ظهر الدريق يضيف من مر به من الناس فاصاب الناس شدة فحط فقصد الناس باب ابراهيم
يطلبون منه الطعام وكانت الميرة تأتية من صديق له بمصر فبعث ابراهيم غلامه الى خليله الذى
بمصر فقال خليله لخلان ابراهيم لو كان ابراهيم يريد انهاء الطعام لنفسه احتملنا ذلك له وقد دخل علينا من
مادخل على الناس من الشدة فرجع غلمان ابراهيم بغير طعام فروا بيطحاء من الرمل سهلة فقالوا
لو حملنا من هذه البطحاء ليرى الناس اننا قد جئنا بالميرة فان استحي ان نمر بهم وابلنا فارغة فلو من ذلك
الرملى القرار التى معهم ثم اتوا الى ابراهيم صلى الله عليه وسلم فأعلموه وسارة تأتمت فاهتم لذلك
ولمكان الناس ببابه فقلبت عيناها فنام واستيقظت سارة وقد ارتفع النهار فقالت سبحان الله ما جاء الخلان
قالوا بلى قالت فجاؤا بشئ قالوا نعم فقامت الى القرار ففتحتها فاذا هى ملاهى باجود دقيق يكون حوارى
فأمرت الخبازين فخبزوا واطعموا الناس فاستيقظ ابراهيم فوجد ربح الطعام فقال يا سارة من اين لكم
هذا فقالت من عند خليلك المصرى فقال هذا من عند خليلي الله قال فيوهذا نخذه الله خليلا وقيل
لما رآه الله ملكوت السموات والارض وحاج قومه فى الله ودعاهم الى توحده ومنعهم من عبادة النجوم
والشمس والقمر والاثوان وبذل نفسه للقاء فى النيران وبذل ولده للقوبان وماله عليه للضيفان اتخذ الله
خليلا وجعله اماما للناس يقتدى به وجعل النبوة فيه وفى ذريته . وقيل ان ابراهيم عليه السلام
لما كسر الاصنام وعادى قومه فى الله عز وجل اتخذ الله خليلا وقيل لما دخل عليه الملائكة فظنهم ضيفا
فقرّب اليهم عجلا مشويا وقال كلوا على شرط ان تسبوا الله فى اوله وتحمده فى آخره فقال جبريل انت
خليل الله فمن يومئذ سمى ابراهيم خليل الله (م) عن انس قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا خير
البرية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ابراهيم خليل الله (فصل) * وقد اتخذ الله محمدا صلى الله
عليه وسلم خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا فقد ثبت فى الصحيحين عن ابى سعيد الخدرى عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال لو كنت متخذ خليلا فخير ربي لانخذت ابا بكر خليلا وعن ابن مسعود عن النبي
صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذ خليلا لانخذت ابا بكر خليلا ولكنه اخى وصاحبى وقد اتخذ الله
صاحبكم خليلا اخرجه مسلم فقد ثبت بهذين الحديثين الخلعة لابي صلى الله عليه وسلم وزاد على ابراهيم
عليه السلام بالحببة فمحمدا صلى الله عليه وسلم خليل الله وحبيه فقد جاء فى حديث عن ابن عباس ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال الا وانا حبيب الله ولا فخر اخرجه الترمذى باطول منه * قوله تعالى
(والله مافى السموات ومافى الارض) قال أهل المعانى لما دعا الله الخلق الى طاعته وعبادته
والانقياد لامره بين سعة ملكه ليرغب الخلق اليه بالطاعة له وانما قال مافى السموات ومافى
الارض ولم يقل من لانه ذهب به مذهب الجنس والذى يعقل اذا ذكر وأريده الجنس
ذكر بلفظة ما (وكان الله بكل شئ محيطا) يعنى لما علم احاطة وهو العلم بالشيء من كل
وجه حتى لا يشذ عنه نوع الاعلم * وقيل يجوز ان يكون معناه محيطا بالقدرة عليه * قوله

من الكمالات بارتكاب الرذائل
وتسليط صفات النفس
على قلوبهم (لم يكن الله
ليغفر لهم) لرسوخ حيث
الرذائل فيهم وبطلان
الاستعداد (ولا يهديهم
طريقا) لجهلهم المركب
واعتقادهم الفاسد وعدم
علمهم بطريق مامن طرق
الكمالات (الا طريق جهنم
خالدين فيها ابدا) نيران
اشواق نفوسهم الى الملاذ
مع حرمانهم عنها (وكان
ذلك على الله يسيرا) سلا
على الله لاجتذابهم اليها
بالطبيعة (يا اهل الكتاب
لا تغلوا فى دينكم) اما
اليهود فباتعمق فى الظاهر
ونفى البواطن وحط عيسى
عن درجة النبوة ومقام
الاتصاف بصفات الربوبية
واما النصارى فباتعمق
فى البواطن ونفى الظواهر
ورفع عيسى الى مقام
الالوهية (ولا تقولوا على الله
الا الحق) بالجمع بين الظواهر
والبواطن والجمع والتفصيل
كما هو عليه التوحيد المحمدي
والقول بكون عيسى مظهرا
لصفات الالهية حياحياته
داعيا الى مقام توحيد
الوصاف (انما المسيح
عيسى بن مريم رسول الله

عز وجل (وبستفونك في النساء قل الله يفتيكهم فبين) الآية قال ابن عباس نزلت في بنات أم
كمية وقد تقدمت قصتهن في أول السورة وقالت عائشة هي البتية تكون في حجر الرجل وهو
ولها في رغبت في نكاحها إذا كانت ذات جلال ومال بأقل من سنة صداقها وإذا كانت غير مرغوب
فيها قللة الجلال والمال تركها وفي رواية قالت هي البتية تكون في حجر الرجل وقد شر كته
في ماله فيرغب عنها فلا يزوجها لدمامتها ويكره أن يزوجها غيره فيدخل عليه ويشر كته في ماله
فيحبسها حتى تموت فتهاجم الله عن ذلك وأنزل هذه الآية فقال وبستفونك يعني وبستفونك
يا محمد في شأن النساء وحالهن والاستفتاء طلب الفتوى وهو الظاهر ما أشكل من الأحكام
الشرعية وكشفه وتبينه قال المفسرون والذي استفتوه فيه هو ميراث النساء وذلك أنهم كانوا
لا يورثون النساء ولا الصغار من الأولاد فلما نزلت آية الميراث قالوا يا رسول الله كيف ترث المرأة
والصغير فأجابهم بهذه الآية قل الله يفتيكهم فبين قل يا محمد الله يفتيكهم في شأن النساء
وحالهن (وما يلى عليكم في الكتاب) يعني يفتيكهم فيما يلى عليكم والمعنى أن الله يفتيكهم في النساء
بما أنزل في كتاب عليكم وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ والقرض منه تعظيم حال هذه
الآية التي تلى عليكم وانها في اللوح المحفوظ وأن العدل والانصاف في حقوق البتية من أعظم
الأمور عند الله تعالى التي تجبر مراعاتها وإن المخيل بها ظالم (في بنات النساء) قيل معناه في النساء البتية
وقيل في البتية ولا النساء لأن الآية نزلت في بنات أم كمية (اللاتي لا تؤنوهن ما كتب لهن)
يعني ما فرض لهن من الميراث وهذا على قول من يقول أن الآية نازلة في ميراث البتية والصغار
وعلى القول الآخر معناه ما كتب لهن من الصداق (وترغون أن ينكحوهن) يعني
ويرغبون في نكاحهن لالهن وجالهن بأقل من صداقهن وقيل معناه وترغون عن نكاحهن لقبهجن
ودمامتهن وتمسكوهن رغبة في أم والهن (ق) عن عائشة قالت هذه البتية تكون في حجر
ولها في رغبت في جلالها ومالها ويريد أن ينقص صداقها فنوعا نكاحهن الآن يقسملوا
لهن في اكمال الصداق وأمروا بنكاح من سواهن قالت عائشة رضي الله عنها فاستفتى الناس
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فأنزل الله عز وجل وبستفونك في النساء إلى قوله
وترغبون أن تنكحوهن فبين لهم أن البتية إذا كانت ذات جلال ومال رغوا في نكاحها
ولم يلحقوها باستنفاء اكمال الصداق وإذا كانت مرغوبة أعما في قللة المال والجمال تركوها واتموا
غير ها قال فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوها الآن يقسملوا
لها ويعطوها حقها الا وفي من الصداق * وقوله تعالى (والمستضعفين من الولدان) يعني
ويفتيكهم في المستضعفين من الولدان وهم الصغار أن تعطوهم حقوقهم لأن العرب في الجاهلية
كانوا لا يورثون الصغار أيضا فتهاجم الله عن ذلك وأمرهم أن يعطوهم حقوقهم من الميراث
(وأن تقوموا للبناى بالقسط) يعني بالعدل في مهورهن ومواريهن (وما تفعلوا من خير
فإن الله كان به عليما) يعني فيجازيكم عليه * قوله تعالى (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا
أو اضرارا) (ق) عن عائشة في قوله تعالى (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اضرارا
قالت نزلت في المرأة تكون عند الرجل لا يستكثر منها فيريد طلاقها ويزوج غيرها فتقول له
امسكني لا تطلقني ثم تزوج غيرها وأنت في حل من الفقة على والقسم على قالت فذلك قوله

وكنته (نفسا مجردة هي
كلمة من كات الله أي حقيقة
من حقائقه الروحانية
روحا من ارواح (وكلمه
اقامها إلى مريم وروح منه
فأمنوا بالله ورسوله) بالجمع
والفصيل (ولا تقولوا
بلائة) بزيادة الحياء والعلم
على الذات فيكون الاله
لأنة اشياء ويكون عيسى
حزء من حسياته بالشيخ
أوبالفرقة بين ذات الحق
وعالم الور وعالم المخلقة
فيكون عيسى متولدا من
نوره بل قولوا ما كل من
حيث هو كل ويكون العلم
والحياة عين الداب وكذا
عالم الور وأئمة ويكون
عيسى فانيا فيه موجودا
بوجوده حيا بحياته عالما بعلمه
وذلك وحدته الداتية المعبر
عها بقوله (انهوا خير لكم
إنما الله واحد سبحانه
أن يكون له ولد) زهه
عن أن يكون موجود غيره
فيتولد منه ويفصل ويخالفه
بانه موجود مثله بل هو
الموجود من حيث هو
وجود (له ما في السموات)
الارواح (وما في الارض)
الاجساد يكونها اسماءه
وظاهره وباطنه (وكفى بالله
وكيلا) يقوم مقام الخلق

تعالى فلاجتاح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير وقبل تزات في عمة بنت محمد بن مسلة ويقال اسمها خولة وفي زوجها سعد بن الربيع ويقال له رابع بن خديج تزوجها وهي شابة فلما كبرت تزوج عليها امرأة أخرى شابة وأثرها عليها وجفا الأولى فأنت ابنة محمد بن مسلة تشكو زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية وقيل كان رجل له امرأة قد كبرت وله منها أولاد فأراد أن يطلقها ويزوج غيرها فقالت لا تطلقني ودعني أقوم على أولادي واقسم لي كل شهرين أن تثت وإن تثت فلا تقسم لي فقال أن كان يصلح ذلك فهو أحب إلي فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فأنزل الله هذه الآية وإن امرأة خافت من بعلها وظلعت فليحل لها الزنا فمما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يحل للمرأة أن يشوازا يعني بفضا وقيل هو ترك مضاجعتها وأصله من النشز وهو المرتفع من الأرض والنشز قد يكون من الزوجين وهو أن يكره كل واحد منهما صاحبه فنشوز الزوج هو أن يعرض عن المرأة وهو قوله تعالى أو اعراضا يعني بوجهه عنها أو يعبس في وجهها أو يترك مضاجعتها أو يبسي عشرتها أو يشتغل بغيرها وقيل المراد من النشوز اظهار الخشونة في القول والفعل والمراد من الاعراض السكوت عن الخير والنشر والايذاء بل يعرض عنها بوجهه أو يشتغل بغيرها (فلاجتاح عليهما) يعني فلا حرج ولا اثم على الزوج والمرأة (ان يصلحا) من المصالحة وقرئ ان يصلحا بضم الياء وكسر اللام من الاصلاح (بينهما صلحا) يعني في القسمة والفققة وهو ان يقول الزوج للمرأة انك قد كبرت ودخلت في السن وأنا اريد ان تزوج امرأة جبلة شابة أوثرها عليك في القسمة لئلا ونهارا فان رضيت فاقبى وإن كرهت ذلك فارتك وخليت سبيلك فان رضيت بذلك كانت هي المحسنة ولا تجبر على ذلك وان لم ترض بدون حقها كان على الزوج ان يوفىها حقها من القسم والفققة أو يسرحها باحسان وان أمكسها ووفىها حقها مع الكراهة لها كان هو المحسن قال ابن عباس فان صالحته على بعض حقها من القسمة والفققة جاز وان انكرت ذلك بعد الصلح كان ذلك لها ولها حقها (والصلح خير) يعني اقامتها بعد تخييرها اياها والمصالحة على ترك بعض حقها من القسم والفققة خير من الفرقة عن ابن عباس قال خشيت سودة ان يطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا تطلقني وامسكني واجعل يومى لعائشة ففعل فنزلت فلاجتاح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير فاصطلحا عليه من شيء فهو جائز اخرج الترمذي وقال حديث حسن غريب فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لعائشة يومين يومها ويوم سودة (واحضرت الانفس الشح) الشح اقمج البخل وحقيقته الحرص على منع الخير وانما قال واحضرت الانفس الشح لانه كالامر الا لازم للنفوس لانها مطبوعة عليه ومعنى الآية ان كل واحد من الزوجين يشبع بنصيبه من الآخر فالمرأة تنزع على مكانها من زوجها والرجل يشبع عليها بنفسه اذا كان غيرها احب اليه منها (وان تحسنوا وتتقوا) هذا خطاب للزوجين يعني وان تحسنوا اي بالازواج المحبة والعشرة وتتقوا الله في حق المرأة فانها امانة عندكم وقيل معناه وان تحسنوا بالاقامة معها على الكراهة وتتقوا ظلمها والجور عليها (فان الله كان بما تعملون خبيرا) يعني فيجازيكم باعمالكم قوله عز وجل

في افعالهم وصفاتهم وذواتهم عند فسادهم في التوحيد كما قال امير المؤمنين علي عليه السلام لا اله الا الله بعد فناء الخلق (ل يستكشف المسبح ان يكون عبد الله ولا المثلثة المقربون) في مقام التفصيل اذا اعتبار الجمع لا وجود للمسيح ولا لغيره فلا يمكن اصلا واما باعتبار التفصيل فكل ما ظهر بتعين فهو ممكن والممكن لا وجود له بنفسه فضلا عن شيء غيره فيكون عبدا محتاجا ذليلا مفتقرا غير مستكشف عن دلة العبودية وان كان غنيا عن تعلق الاجسام بالجبر والخص والتقدس عن دنس الطباع كاللائكة المقربين الذين هم الارواح المجردة والانوار المحضة (ومن يستكشف عن عبادته) بظهور انيته ويستكبر بظهور انيته في الظهور بصفاته (فسيحشرهم اليه جميعا) بظهور نور وجهه ونجليه بصفة قاهرته حتى ينفوا بالكلية في عين الجمع كما قال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى سبعين الف حجاب

من نور وظلمة لو كشفها
لا حرق سحبات وجهه
ما انتهى اليه بصره من خلقه
فاما الذين آمنوا بالصاء
في عين الجمع بمحو الصفات
وطمس الذات (وعلموا
الصالحات) بالاستقامة
في الاعمال ومراعاة تفاصيل
الصفات وتجلياتها (فيوفهم
اجورهم) وصفاتهم من
جنان صفاته (وزيدهم
من فضله) بالوجود
الموہوب بعد الفناء في الذات
(واما الذين استكبروا)
بظهور انبيهم (واستكبروا)
طفوا عد تجليات الصفات
وتوزهم بنورها
فظهروا بها ونسوها
الى انفسهم كن قال اناركم
الاعلى (فيعذبهم عذابا ليليا)
باحجابهم بقايا دواتهم
وصفاتهم وحرمانهم عن
مقام الجمع (ولا يجدون لهم
من دون الله غير الله ولبا)
بالبهم برفع حجاب الذات
(ولانصير) بنصرهم في
رفع حجاب الصفات البرهاني
وهو التوحيد الذاتي والنور
المبين وهو التفصيل في عين
الجمع اي القرآن الذي هو
علم الجمع والفرقان الذي
هو علم التفصيل (بأيها الناس

(ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء) يعني ولن تقدرُوا ان تسوُوا بين النساء في الحب وميل
القلب لان ذلك مما لا تقدرُونَ عليه وليس من كسبكم (ولو حرصتم) يعني على العدل والتسوية
بينهن وقيل معناه ولو حرصتم على ذلك (فلا تميلوا كل الميل) يعني الى التي تحبونها في القسم
والفقه والمعنى انكم لستم منهينين عن حصول التفاوت في الميل القلبي لان ذلك خارج عن قدرتكم
ووسعكم ولكم منبهون عن اظهار ذلك الميل في القول والفعال عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من كانت له امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط اخرجه
الترمذي وعند ابي داود من كانت له امرأتان قال الى احدهما جاء يوم القيامة وشقه مائل عن
عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فيعدل فيقول اللهم هذا قسمي فيما املك
فلا تلني فيما تملك ولا املك يعني القلب اخرجه ابوداود والترمذي والنسائي وقوله تعالى
(فذروها كالمخلاة) يعني فذرعوها الاخرى التي لا تميلون اليها كالمعلقة لا يما ولا ذات بعل
كالشيء الملحق لاهو في السماء ولا على الارض وقيل معناه فذروها كالمسجونة لاهى مخلصه
فتزوج ولاهى ذات بعل فيحسن اليها (وان فصلحوا) يعني بالعدل في القسم (وتقوا)
يعني الجور في القسم (فان الله كان غفورا) يعني لما حصل من الميل الى بعضهن دون بعض
(رحما) يعني انكم حيث لم يكلفكم ما لا تقدرُونَ عليه (وان تفرقا) يعني ان لم يصلحوا واراد
الفرقة (يفن الله كلا من سعته) يعني من فضله ورزقه والمعنى يعني الزوج بامرأة اخرى والمرأة بزوج
آخر وقيل معناه يموت الزوج بما يحب والمرأة بما تحب ويموت عليهما وفي هذا تسوية لكل واحد
من الزوجين بعد الطلاق (وكان الله واسعا) يعني واسع الفضل والرحمة وقيل واسع القدرة والعلم
والرزق وقيل هو الغنى الذي وسع جميع مخلوقاته غناه (حكيم) يعني فيما امر به ونهى عنه
(فصل) * فيما يتناقض يحكم الآية وجلته ان الرجل اذا كان تحت امرأتان او اكثر يحب
عليه التسوية بينهما فان ترك التسوية بينهما في فعل القسم عصي الله عز وجل في ذلك
وعليه القضاء للمظلومة والتسوية شرط في البتة اما في الجماع فلا لان ذلك يدور على النشاط
وميل القلب وليس ذلك اليه ولو كان في نكاحه حرة وامه قسم للحرة ليلتين والامة ليلة
واحدة * واذا تزوج جديدة على قديمت كن عده فانه يخص الجديدة بان يبيت عدها
سبع ليل ان كانت الجديدة بكر وان كانت ثيبا خصها بلاث ليل ثم انه يستأنف القسم ويسوى
بينهن ولا يجب عليه قضاء عوض هذه الليالي للقديمت ويدل على ذلك ما روى ابو قلابه عن
انس قال من السنة اذا تزوج البكر على الثيب اقام عندها سبعا وقسم واذا تزوج الثيب اقام
عندها ثلاثا وقسم قال ابو قلابه ولوشئت لقلت ان انسا رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم
اخرجه في العجيين واذا سافر الرجل الى سفر حاجه جازله ان يحمل معه بعض نسائه بشرط
ان يقرع بينهما ولا يجب عليه ان يقضى للباقيات عوض مدة سفره وان طالت اذا لم يزد
مقامه في البلد على مدة السفرين ويدل على ذلك ما روى عن عائشة قالت كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفر القرع بين نسائه فابتن خرج سهمها خرج بها معه اخرجه البخاري مع
زيادة فيه واذا اراد الرجل سفر نقلة وجب عليه اخذ نسائه معه قوله تعالى (ولله
ما في السموات وما في الارض) يعني عبيدا وملكا قال اهل المعاني لما ذكر الله تعالى انه يفتي

من سعة وفضله اشار الى ما يوجب الرغبة اليه في طلب الخير منه لان من ملك السموات والارض
لا نفى خزائنه (ولقد وصينا الذين اتوا الكتاب من قبلكم) يعنى من اليهود والنصارى
واصحاب الكتب القديمة (واياكم) يعنى ووصيناكم يا اهل القرآن في كتابكم (ان اتقوا الله)
اى بان تقوا الله وهو ان توحده وتطيعوه وتحذروه ولا تخالفوا امره والمعنى ان الامر
يتقوى الله سرية قديمة اوصى الله بها جميع الامم السالفة في كتبهم (وان تكفروا) يعنى وان
تجحدوا ما اوصاكم به (فان الله مافى السموات وما فى الارض) يعنى فان الله ملائكة فى السموات
والارض هم اطوع له منكم * وقيل معناه ان الله تعالى خالق السموات والارض وما فيهن
ومالكن والمنعم عليهم باصناف النعم ومن كان كذلك خلق لكل احد ان ينقيه ويرجوه
(وكان الله غنيا) يعنى عن جميع خلقه غير محتاج اليهم ولا الى طاعتهم (حيدا) يعنى مجودا
على نعمه عليهم (والله مافى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيل) قال ابن عباس يعنى
شهيدا على ان له فيهن عبيدا * وقيل معناه وكفى بالله دافعا ومجبرا * فان قلت ما لادعة في تكرير
قوله تعالى والله مافى السموات وما فى الارض * قلت الفائدة في ذلك ان لكل آية معنى تختص به اما
الآية الاولى فمنها فان الله مافى السموات وما فى الارض وهو يوصيكم بتقوى الله فاقبلوا وصيته
* وقيل لما قال تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته بين ان له مافى السموات وما فى الارض وانه
قادر على اعطاء جميع الخلائق وهو المستغنى عنهم واما الآية الثانية فانه تعالى قال وان تكفروا
فان الله مافى السموات وما فى الارض والمراد انه تعالى منزّه عن طاعات الطائعين وعن ذنوب
المذنبين وانه لا يزداد جلاله بالطاعات ولا ينقص بالمعاصى * وقيل لما بين ان له مافى السموات
وما فى الارض وقال بعد ذلك وكان الله غنيا فلماذا منه انه تعالى هو الفنى وله الملك
فاطلبوا منه ما يطلبون فهو يعطيكم لان له مافى السموات وما فى الارض واما الثالثة فقال تعالى
ولله مافى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيل اى فتوكلوا عليه ولا تتوكلوا على غيره فانه
المالك لما فى السموات والارض * وقيل تكريرها تعديدا لما هو موجب تقواه لتتقوه وتطيعوه
ولا تعصوه لان التقوى والخشية اصل كل خير * قوله عز وجل (ان يشاء يذهبكم ايها
الناس) قال ابن عباس يريد المشركين والمنافقين (وبأت باخرين) بغيركم هم خير منكم
واطوع له ففيه تهديد للكفار والمعنى انه يهلككم ايها الكفار كما اهلك من كان قبلكم اذ
كفروا به وكذبوا رسله (وكان الله على ذلك قديرا) يعنى وكان الله على ذلك الاهلاك واعادة
غيركم قادرا بليغا فى القدرة لا يمنع عليه شئ اراده لم يزل ولا يزال موصوفا بالقدرة على جميع
الاشياء * قوله تعالى (من كان يريد ثواب الدنيا) يعنى من كان يريد بعمله عرضا من الدنيا
* نزلت في مشركى العرب وذلك انهم كانوا يقولون بان الله تعالى خالقهم ولا يقرون بالبعث يوم
القيامة فكانوا يتقربون الى الله ليعطيهم من خير الدنيا ويصرف عنهم شرها * وقيل نزلت
في المنافقين لانهم كانوا لا يصدقون بيوم القيامة وانما كانوا يطلبون بجهادهم مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم عاجل الدنيا وهو ما ينالونه من الغنيمة (فعد الله ثواب الدنيا والآخرة)
يعنى الذين يطلبون باعمالهم وجهادهم ثواب الدنيا وما ينالونه من الغنيمة مخطفون قصدهم لان الله
عنده ثواب الدنيا وثواب الآخرة فلو كانوا عقالا لطلبوا ثواب الآخرة حتى يحصل لهم ذلك ويحصل

قد جاءكم برهان من ربكم
وانزلنا اليكم نورامينا
فاما الذين آمنوا بالله
بالتوحيد الذاتي (واعتصموا
به) اى في كثرة الصفات
وتفرقها وراوا الجمع
في التفاصيل (فسد خلهم
في رجة منه) من جنات
الصفات التي لا يعرف
كنها (وفضل) من جنات
الذات (ويهديهم اليه
صراطا مستقيما) بالاستقامة
الى الوحدة في تفاصيل
الكثرة اورجة من جنات
الافعال وفضل من جنات
الصفات ويهديهم اليه
صراطا مستقيما من تفاصيل
الصفات الى الفناء في الذات
والاول اولى هذا المقام
ولك التطبيق على تفاصيل
وجودك واحوالك في نفسك
حيث امكن من هذه
السورة على القاعدة التي
حمرت في آل عمران والله
تعالى اعلم (يستفتونك قل الله
يفتيكم في الكلالة ان امرؤ
هلك ليس له ولد وله اخت
فلها نصف مترك وهو
يرثها ان لم يكن لها ولد فان
كانتا اثنتين فلهما الثلثان
سماترك وان كانوا اخوة
رجالا ونساء فلا ذكرا مثل

لهم ثواب الدنيا على سبيل التبعة والمعنى ان من اراد بعمله الدنيا آتاه الله منها ما اراد وصرف عنه من شرها ما اراد وليس له ثواب في الآخرة يحزى به ومن اراد بعمله وجهه الله وثواب الآخرة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة يؤتيه من الدنيا ما قدر له ويجزيه في الآخرة خير الجراء (وكان الله سمعا) يعنى لا قوالهم وما يسرونه من طلب ثواب الدنيا (بصيرا) يعنى بذياتهم وما في نفوسهم وقيل بصيرا بمن يطلب الدنيا بعمله ومن يطلب الآخرة بعمله قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء الله) قال السدى ان فقيرا وغيا اختصهما الى النبي صلى الله عليه وسلم فكان صفوه مع الفقير يرى ان الفقير لا يظلم الغنى فأنزل الله هذه الآية وامر بالقيام بالقسط مع الغنى والفقير وقيل ان هذه الآية متعلقة بقصة طعمة ابن ابرق فهي خطاب لقومه الذين جادلوا عنه وشهدوا له بالبطل فامرهم الله تعالى ان يكونوا قوامين بالقسط شاهدين لله على كل حال ولو على انفسهم واقرارهم فقال تعالى كونوا قوامين بالقسط القوام مبالغة في القيام بالعدل في جميع الشهادات واجتناب الجور فيها قال ابن عباس كونوا قوامين بالعدل في جميع الشهادات على من كانت شهداء الله يعنى اقيموا شهادتكم لوجه الله كما امركم فيها فيقول الحق في شهادته (ولو على انفسكم) يعنى ولو كانت الشهادة على انفسكم امر الله العبد ان يشهد على نفسه بالحق وهو ان يقر على نفسه وذلك الاقرار يسمى شهادة في كونه موجبا للحق عليه (او الوالدين والاقرين) يعنى ولو كانت الشهادة على الوالدين والاقرين من ذوى رحمه او اقاربه والمعنى قونوا الحق ولو على انفسكم او على الوالدين او الاقارب فأتيموا الشهادة عليهم لله تعالى ولا تحابوا غيا لنساء ولا تزجروا فقرا لفقره فذلك قوله تعالى (ان يكن) يعنى المشهود عليه (غيا او فقرا فالله اولي بهما) يعنى منكم او المعنى كلوا امرهم الى الله تعالى فهو اعلم بهم وبحالهم وانما قال بهما على النذية لان رد الضمير الى المعنى دون اللفظ يعنى فالله اولى بالغنى والفقير (فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا) يعنى فلا تتبعوا الهوى واتقوا الله ان تعدلوا عن الحق في اداء الشهادة وقيل معناه اتركوا متابعة الهوى حتى تصيروا موصوفين بصفة العدل لان العدل عبارة عن ترك متابعة الهوى (وان تلوا) قرئ بواوين ومعناه ان يلوى الشاهد لسانه الى غير الحق قال ابن عباس يلوى لسانه بغير الحق ولا يقيم الشهادة على وجهها (او تعرضوا) يعنى او يعرض الشاهد عن الشهادة فيكتمها ولا يقيمها يقال لويته حقه اذا دفنته عنه ومطلته به وقيل معناه وان تلوا عن القيام باداء الشهادة او تعرضوا عنها فتركوها وقيل معناه التعريف والبدل في الشهادة من قولهم لويت الشيء اذا قلبته وقيل هو خطاب مع الحكماء يقول وان تلوا يعنى تميلوا مع احد الخصمين دون الآخر او تعرضوا عنه بالكلية وقرئ تلوا بواو واحدة من الولاية فهو خطاب للحكام ايضا ومعناه فلا تلوا امور المسلمين وتضيعوهم او تعرضوا عنهم (فان الله كان بما تعملون خبيرا) يعنى انه تعالى يجازى الحسن باحسانه والسيئ بالسيئ فبما يعملون كما عملوا قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله) قال ابن عباس نزلت في عبد الله بن سلام واسد واسيد بن كعب وطمية بن نيس وسلام بن اخنوخ عبد الله بن سلام وسلمة بن اخيه ويامين بن يامين فهو لاه وؤمنوا هل الكتاب اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انافوا من بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سوى ذلك من الكتب والرسول

حظ الاتيين بين الله لكم ان تسلموا والله بكل شيء عليم (سورة المسادة) (بسم الله الرحمن الرحيم) (يا ايها الذين آمنوا) (اوفوا بالعقود) (اي المرائم التي احكمتوها) (في السواك والفرق بين العهد والعقد هما ان العهد هو ايداع النوحيد فيهم في الارل كالمرة والعقد هو احكام عزائم التكليف عليهم ليتأديهم الى الايفاء بما عاهدوا عليه فالحمد سابق والعقد لاحق وكل عزيمة على امر يوجب اخراج ما في الاستعداد بالقوة الى الفعل فحديبه وبين الله يجب الوفاء والامتناع عن نقضه بفنوت وتفصيل (احملت لكم بيعة الانعام) جميع انواع التمتع والخطوط بالفوس السليمة التي لا تغلب عليها السبعية والسر كالفوس التي هي على طابع الانعام الثلاثة (الاماني عليكم) من التمتع المنافية للفضيلة والعدالة فانها منهية عنها لجهلها عن الكمال الشخصي والوحي (غير محلي العبد وانتم حرم) اي لا تمنع بالخطوط في تحريككم للسلوك وشرعكم

فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يا آمنوا بالله وبرسوله محمد والقرآن وبكل كتاب كان قبله فأنزل الله هذه الآية يا أيها الذين آمنوا يعني بمحمد والقرآن وبموسى والتوراة آمنوا بالله ورسوله اسم جنس يعني آمنوا بجميع رسله * وقيل هو خطاب لاهل الكتاب جميعا والمعنى يا أيها الذين آمنوا بموسى والتوراة وبعيسى والانجيل آمنوا بمحمد والقرآن * وقيل هو خطاب للمنافقين والمعنى يا أيها الذين آمنوا بألستهم ولم تؤمن قلوبهم آمنوا بقلوبكم حتى ينفعكم الايمان لان الايمان باللسان لا ينفع من غير مواطاة القلب * وقيل هو خطاب للمؤمنين والمعنى يا أيها الذين آمنوا في الماضي والحال آمنوا في المستقبل ودومواوا اذبنوا على الايمان (والكتاب الذي نزل على رسوله) يعني القرآن (والكتاب الذي انزل من قبل) يعني وآمنوا بالقرآن وبجميع الكتب التي انزلها على انبيائه قبل القرآن فيكون الكتاب اسم جنس لجميع الكتب (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر فقد ضللا بعيدا) * قوله عز وجل (انا الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا) قال ابن عباس نزلت في اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا بعبادتهم الجبل ثم آمنوا بعد ذلك ثم كفروا بعيسى والانجيل ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن * وقيل انهم آمنوا بموسى ثم كفروا بعده ثم آمنوا بداوهم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم * وقيل نزلت في المنافقين وذلك انهم آمنوا ثم كفروا بعد الايمان ثم آمنوا يعني بالسنتم وهو اظهارهم الايمان لتجرى عليهم احكام المؤمنين ثم ازدادوا كفرا يعني بموتهم على الكفر * وقيل بذنوب احدثوها في الكفر * وقيل هم قوم آمنوا ثم ارتدوا الى الكفر ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا يعني بموتهم عليه وذلك لان من تكرر منه الايمان بعد الكفر والكفر بعد الايمان مرات كثيرة يدل على انه لا وقع للايمان في قلبه ومن كان كذلك لا يكون مؤمنا بالله ايمانا صحيحا وازديادهم الكفر هو استهزاؤهم وتلاعبهم بالايمان * ومثل هذا المتلاعب بالدين هل تقبل توبته ام لاحكى عن علي بن ابي طالب انه قال لا تقبل توبته بل يقتل * وذهب اكثر اهل العلم الى ان توبته مقبولة * وقوله تعالى (لم يكن الله ليفرلهم) يعني ما اقاموا على الكفر وماتوا عليه وذلك لان الله تعالى اخبرانه بغير الكفر اذا تاب منه بقوله قل للذين كفروا ان ينهوا عن الكفر بغيرلهم ما قد سلف يعني من كفرهم (ولا يهديهم سبيلا) يعني طريق هدى * وقيل لا يجعلهم بكفرهم مهتدين * قوله تعالى (بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما) يعني اخبرهم يا محمد واما موضع بشر مكان اخبرتهكم ما بهم * وقيل البشارة كل خير تنغير به بشرة الوجه سارا كان ذلك الخبر او غير ساره * وقيل معناه اجعل موضع بشارتك لهم العذاب لان العرب تقول تحيتك الضرب اى هذا بدل من تحيتك قال الشاعر

وخيل قد دلفت لها نبيل * تحية بينهم ضرب وجيع

ثم وصف الله تعالى المنافقين فقال تعالى (الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين) يعني يتخذون اليهود اولياء وانصارا وبطانة من دون المؤمنين وذلك ان المنافقين كانوا يقولون ان محمد الايم امره فيوالون اليهود فقال الله تعالى ردا على المنافقين (اينتون عندهم العزة) يعني يطلبون من اليهود العزة والمعونة والظهور على محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه (فان العزة لله جميعا) يعني فان القوة والقدرة والتلبة لله جميعا وهو الذي يعز اولياءه واهل طاعته كما

في الرياضة عند السير الى الله لطلب الوصول فانه يجب حينئذ الاقتصاد على الحقوق اذا الاحرام في الظاهر صورة الاحرام الحقيقي للمالكين في طريق كعبة الوصال والقاصدين لدخول الحرم الآلهي وسرديات صفات الجلال والكمال (ان الله يحكم ما يريد) على من يريد من اوليائه (يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله) من المقامات والاحوال التي يعلم بها حال السالك في سلوكه كالصبر والشكر والتوكل والرضا وامثالها اى لا تتكبروا ذنوب الاحوال ولا تخرجوا عن حكم المقامات فانها شاعر دين الله الخالص وكان المواضع المعلومة المعلقة بما فعل فيها كالطاف والمسي والنصر وغيرها والافعال المعلومة في الحج شاعر بشعريها الحاج فلهذه المقامات والارانب والاحوال شاعر بشعريها حال السالك وكانه لا يجوز قتلها الشرع تغييرها على موضعها والخروج عن حكمها فكذلك هذه في شرع الصبين كما يحكى عن

احدهم انه كان ينكح
في الصبر فذبّ عقرب
على ساقه واحدت نصريه
وهو على حاله لا ينزعها
فسئل عنه فقال استحي
من ان اتكلم في مقام واما
اعل ما يافيه (ولا الشهر
الحرام) اي وقت الاحرام
بالحلق الحلق وهو وقت
السلوك والوصول
بالجروح عن حكمه
والاشتغال بما يافيه ويصده
عن وجهته وبدبته في سيرة
(ولا الهدى) ولا النفس
المستعدة المعدة للقربان
عند الوصول الى فناء
الحضرة الآتية على ما يشير
اليه باستعمالها في شغل
بصرفها عن طريقها
او بصرفها او حل فوق
طاققتها من الرياضة فيقطع
دون اللوغ الى المحل
(ولا القلائد) ولا ما قلده
النفس من شعار اهل السلوك
والسنن والاعمال الظاهرة
بتركها وتغييرها عن وضعها
(ولا آيين البيت الحرام)
ولا القاصدين المجددين
في السلوك المجتهدين بتغييرهم
ومنعهم عن الرياضة وابيان
عزائمهم بالمحاطة وتقليل
السعي وايهامهم انه لا حاجة
بهم اليه وشغلهم بما يصدهم

قال تعالى وله العزة ورسوله وللمؤمنين (وقد نزل عليكم) يا معشر المسلمين (في الكتاب) يعني
القرآن (ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستنهزها) قال المفسرون الذي انزل عليهم في الهى
من بحالستهم هو قوله تعالى في سورة الانعام واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم
حتى يخوضوا في حديث غيره وهذا انزل بمكة لان المشركين كانوا يخوضون في القرآن
ويستهزؤن به في مجالسهم ثم ان احبار اليهود بالمدينة كانوا يفعلون مثل فعل المشركين وكان المنافقون
يجلسون اليهم ويخوضون معهم في الاستهزاء بالقرآن فهى الله المؤمنين عن القعود معهم بقوله
(فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره) بأخذوا في حديث آخر غير الاستهزاء
بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس دخل في هذه الآية كل محدث في الدين وكل
مبتدع الى يوم القيامة (انكم اذا مثلهم) يعني انكم يا ايها الجالسون مع المستهزين بايات الله اذا
رضيت بذلك فانتهم وهم في الكفر سواء قال العلماء وهذا يدل على ان من رضى بالكفر فهو كافر
ومن رضى بمنكر او حاط اهل كان في الاثم بمنزلتهم اذا رضى به وان لم يباشره فان جلس اليهم
ولم يرض بفعلهم بل كان ساخطا له وانما جلس على سبيل التقية والخوف فالامر فيه اهون من
المجالسة مع ارضا وان جلس مع صاحب بدعة او منكر ولم يخض في بدعته او منكره فيجوز
الجلوس معه مع الكراهة وقيل لا يجوز بحال والاول اصح (ان الله جامع المنافقين والكافرين
في جهنم جميعا) اي انهم اجتمعوا في الدنيا على الاستهزاء بايات الله وكذلك يجمعهم في عذاب
جهنم يوم القيامة * قوله عز وجل (الذين يترصون بكم) نزلت في المنافقين والمعنى ينتظرون
ما يحدث بكم من خير او شر (فان كان لكم فئحة من الله) اي ظفر على عدوكم وغنيمة تالونها منهم
(قالوا) يعني المنافقين لكم (المنكن معكم) يعني في الوقعة والفتح عاقلونا من الغيصة * وقيل
معناه المنكن على دينكم وفي الجهاد كنا معكم فاجعلوا لنا نصيبا من الغنيمة (وان كان للكافرين
نصيب) اي دولة وظهور على المسلمين (قالوا) يعني المنافقين لا كفارة (المنستخوذ عليكم)
الاستخوذ هو الاستيلاء والقبلة يقال استخوذ فلان على فلان اي غلب عليه والمعنى المنغلبكم
وتنكح منكم ومن قد انكم واسركم ثم لم تفعل ذلك * وقيل معناه المنغلبكم على رايتكم (ونمكنكم
من المؤمنين) يعني من صلاتهم والدخول في دينهم وقيل معناه المندفع المؤمنين بتحويلهم عنكم
ومراسلتنا اياكم باخبارهم واسرارهم فها تواتر نصيبا ما صبتهم عنهم ومراد المنافقين اظهار المنة على
الكفار فان قلت لم يسمي ظفر المؤمنين قبحا وسمى ظفر الكافرين نصيبا قلت تعظيما لشأن المؤمنين
وتخصيما لحظ الكافرين لان ظفر المؤمنين امر عظيم تفتح له ابواب السماء حتى ينزل الصر على
المسلمين واما ظفر الكفار فاهو الاحظ دنى ونصيب خيس لا يبق منه الا ما نالوه في الدنيا ولهم
في الآخرة العقوبة الشديدة على ذلك النصيب الذي نالوه من المسلمين (فانه يحكم بديكم
يوم القيامة) يعني الفريقين فريق المؤمنين وفريق المنافقين والمعنى انما وضع السيف عن المنافقين
في الدنيا لاجل كرامتهم بل اخرعناهم الى يوم القيامة (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين
سيلا) * فيه قولان احدهما وهو قول علي بن ابي طالب وابن عباس ان المراد به يوم القيامة بدليل
انه عطف على قوله فانه يحكم بينكم يوم القيامة روى ابن رجلا سأل على ابن ابي طالب عن
هذه الآية ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سيلا وهم يقتلوننا فقال ولن يجعل الله للكافرين

يوم القيامة على المؤمنين سيلا والقول الثاني ان هذا في الدنيا والمعنى ان حجة المؤمنين غالبة في الدنيا على الكافرين وليس لاحد ان يظلمهم بالحجة وقيل معناه ان الله لم يجعل للكافرين على المؤمنين سيلا بان يحسد دولة المؤمنين بالكية حتى يستبجوا بختهم فلا يبقى احد من المؤمنين وقيل معناه ان الله لم يجعل للكافرين على المؤمنين سيلا بالشرع فان شريعة الاسلام ظاهرة الى يوم القيامة ويتفرع على ذلك مسائل عن احكام الفقه منها ان الكافر لا يرث المسلم ومنها ان الكافر اذا استولى على مال المسلم لم يملكه بدليل هذه الآية ومعناه ان الكافر ليس له ان يشتري عبدا مسلما ومنها ان المسلم لا يقتل بالذمي بدليل هذه الآية قوله تعالى (ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم) يعنى يعاملون الله وهو يحازيهم على خداعهم وقيل معناه يخادعون رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم يظهرون له الاسلام ويبطنون له الكفر وهو خادعهم يعنى والله يحازيهم بالعقاب وقيل انهم يعطون نور يوم القيامة كما يعطى المؤمنون فيمضى المؤمنون بنورهم على الصراط وبطفا نور المنافقين (واذاقموا الى الصلوة) يعنى المنافقين (قاموا كسالى) يعنى متخاذلين وسبب هذا الكسل انهم يتعبدون بها الا انهم لا يريدون بفعلها ثوبا ولا يريدون به اوجه الله عروجل ولا يخافون على تركها عقابا لان الداعى الى فعلها خوف الناس فلذلك وقع فعلها دلى وجه الكسل والفنور (يزاؤون الناس) يعنى انهم لا يقوون الى الصلاة الا لاجل الرياء والسمعة لاجل الدين ولا يرون انها واجبة عليهم قال قتاده والله لولا الناس ماصلى منافق (ولا يذكرون الله الا قليلا) قال ابن عباس انما قل ذلك لانهم يفعلونه رياء وسمعة ولو ارادوا بذلك القليل وجهه الله لكان كثيرا وقيل لان الله لم يقبله ولوقبله لكان كثيرا وقيل المراد بذكر الله الصلاة والمعنى انهم لا يصلون الا قليلا لانهم متى لم يكن معهم احد من المؤمنين فلا يصلون واذ كانوا مع المؤمنين يتكفون فعلها (مذبذبين بين ذلك) يعنى متحيرين مترددين بين الكفر والايمان لانهم ليسوا مع المؤمنين حتى يجب لهم ما يجب للمؤمنين المحلصين ولا مع المشركين المصرحين بالشرك وهو قوله تعالى (لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء) يعنى ليسوا مع المؤمنين حتى يجب لهم ما يجب للمؤمنين وليسوا مع الكفار فؤخذ منهم ما يؤخذ من الكفار (ومن يضل الله فلن تجد له سيلا) يعنى طريقا الى الهدى (ق) عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الفئتين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة قوله كمثل الشاة العائرة بالعين المهملة ومعناه التحيرة المتردة لا تدري لاي الفئتين تتبع ومعنى تعير تتردد وتذهب ويمناوشمالا مرة الى هذه ومرة الى هذه لا تدري الى اين تذهب وهذا مثل المنافق مرة مع المؤمنين ومرة مع الكافرين او ظاهره مع المؤمنين وباطنه مع الكافرين * قوله عن رجل (يا ايها الذين آمنوا لاتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين) لماذم الله عن رجل المنافقين بقوله مذبذبين بين ذلك نبى الله المؤمنين ان يخلفوا باخلاق المنافقين يقول لاتوالوا الكفار من دون اهل ملتكم ودينكم فتكونوا كن اوجبته لار من المنافقين والسبب في هذا النبى ان الانصار بالمدينة كان لهم من يهودى بنى النضير وقريظة حلف ومودة ورضاع فقالوا يا رسول الله من نبولى فقال المهاجرين (اتريدون ان تجعلوا الله عليكم سوطا مينا) يعنى اتريدون ان تجعلوا الكفار اولياء ان تجعلوا الله عليكم حجة بينة لاتخذكم الكفار اولياء

او يكسلهم (يفتنون فضلا من ربهم) بتجليات الاعمال (ورضوانا) بتجليات الصفات (واذاحلتهم) بالرجوع الى البقاء بعد الفناء والاستقامة (فاصطادوا) اى فلا حرج عليكم فى الحظوظ بل ربما كان تمتع النفس بالحظوظ اعانة لها فى مشاهداتها ومكاشفاتها لشرفها وذكائها وسدنة صفاتها (ولا يجرمكم شتان قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام) اى لا يكسبكم بعض القوم الفسادية المانعة عن سلوككم ان تقهروها بالكيفية بمنعها عن الحفوق التى تقوم بها فتبطلوها او تضعفوها عن منافعها وما يحتاج اليه من افعالها بسبب صدائها اياكم فان وبال ذلك طائد اليكم اعداؤه قوم من اهل بيعة واقراركم واصدة ذككم بسبب منعهم اياكم عن التجريد والرياسة فى السلوك (ان تتعدوا) عليهم باضرارهم وعتقهم وارادة الشر بهم فانه اضربكم فى السلوك من منعهم اياكم (وتعاونوا على البر والتقوى) بتدبير تلك القوى وسياساتها بالاحسان

من دون المؤمنين فلتستجيبوا بذلك النار ثم بين مقر النار من المنافقين فقال تعالى (ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار) يعني في الطبقة الذي في قعر جهنم والار سبع دركات بعضها فوق بعض سميت طبقات جهنم دركات لانها متداركة متتابعة وقيل الدرك بيت مقفل عليهم تنوقد فيه النار من فوقهم ومن تحتمهم وقيل هي توابيت من حديد مقفلة عليهم في النار فان قلت لم كان المنافق اشد عذابا من الكافر قلت ان المنافق مثل الكافر في الكفر وزيادة وهو انه ضم الى كفره نوما آخر من الكفر اخبت منه وهو الاستهزاء بالاسلام والسلمين وافشاء اسرار السلمين ونقاها الى الكفار فلهذا السبب جعل الله عذاب المنافقين اشد عذابا من الكفار والمنافق من اظهر الايمان واطن الكفر وقيل هو الذي يصف الاسلام بلسانه ولا يعمل بشراعه ولا يتقيد بقبوده ولا يدخل تحت احكامه وامانة من ارتكب ما يفسق به منافقا فلا غليظ ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد خلف واذا ائتمن خان فان هذه الخصال صفات المنافقين فن فعلها فقد تشبه بالمنافقين * وقوله تعالى (وان تجد لهم نصيرا) يعني وان تجد يا محمد لهؤلاء المنافقين ناصرا ينصرهم من عذاب الله اذا نزل بهم ثم استثنى الله عز وجل من تاب من المنافقين فقال تعالى (الا الذين تابوا) يعني من الففاق (واصلموا) يعني اصلموا الاعمال فعملوا بما امر الله به وادوا فرائضه وانتهوا عما نهاهم عنه (واعتصموا بالله) يعني وتمسكوا بعهد الله ووثقوا به (واخلصوا دينهم لله) يعني واخلصوا طاعتهم واعمالهم التي عملوها لله وارادوه بها ولم يريدوا رياء ولا سمعة فهذه الامور الاربعة اذا حصلت فقد كل الايمان فلذلك قال تعالى (فاولئك) يعني التائبين من الففاق (مع المؤمنين) يعني في الجنة وقيل مع معنى من اى من المؤمنين (وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما) يعني في الآخرة * قوله تعالى (ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم) هذا استفهام تقرير معناه انه تعالى لا يعذب الشاكر المؤمن فان تعذبه لا يزيد في ملكه وتركه عقوبته لا ينقص من سلطانه لانه الفنى الذى لا يحتاج الى شىء من ذلك فان عاقب احدا فاما يعاقبه لامرا وجه العدل والحكمة فان قتم بشكر نعمته وآمنتم به فقد انقذتم انفسكم من عذابه قال اهل المعاني فيه تقديم وتأخير تقديره ان آمنتم وشكرتم لان الايمان مقدم على سائر الصالحات ولان الشكر لا ينفع مع عدم الايمان ولان الواو لا توجب الترتيب وقيل هو على اصله والمعنى ان العاقل ينظر بعين بصيرته او لا الى ما عليه من النعمة العظيمة في ايجاده وخلقه فيشكر على ذلك شكرا عظيما مبهما ثم اذا تم النظر ثانيا انتهى به النظر الى معرفة النعم عليه فآمن به ثم شكره شكرا مفعلا فكان ذلك الشكر المبهم قدما على الايمان فلذلك قدم الشكر على الايمان في الذكر (وكان الله شاكرا) معنى ميثيا عباده المؤمنين موفيا اجورهم والشكر من الله الرضا بالقليل من اعمال عباده واضعاف الثواب عليه وقيل لما امر الله عباده بالشكر سمى الجزاء شكرا على سبيل الاستعارة فالمراد من الشاكر في صفة الله تعالى كونه ميثيا على الشكر (عليما) معنى بحق شكركم وايمانكم فيجازيكم على ذلك * قوله عز وجل (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم) قال اهل المعاني معنى انه تعالى لا يحب الجهر بالسوء ولا غير الجهر به ايضا من القول معنى من القول القبيح الامن ظلم قيل هو استثناء متصل والمعنى الاجهر من ظلم وقيل هو استثناء منقطع ومعناه لكن المظلوم يجوز ان

اليها بحقوقها ومنعها عن حظوظها او بمرأاة الاهلين والاقارب والاصدقاء بمواساتهم والاحسان اليهم والمعروف في حقهم مع مخالفتهم الى ما يمنعكم عنه والاجتناب عن ذلك كما قال تعالى فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا (ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتفقوا) واجعلوه وقاية لكم في هذه الامور واحذروه في خلافها (ان الله شديد العقاب) يعاقبكم بالصد والحرمان (حرمت عليكم الميتة) هذه هي الامور المستثناة من انواع التمتع المحللة وهي الميتة اى خود الشهوة التي هي رذيلة التفریط المنافية للعبة كالخنونة والهجز عن الاقدام على القدر الضروري من التمتع والتمتع بفقدان اعتدال القوة الشهوانية على ما يفعله الخنائى وبعض المفرلين والمتقشين والمتزهدين بالطبع القاصرين عن السواك لقصان الاستعدادات (والدم) اى التمتع بهوى النفس في الاهمال فان مزج الهوى وشوبه يفسد الاعمال كلها (وللمخنزير) ووجوه انتمات الحاصلة بالحرص

والشره فان قوة الحرص اخبت القوى واسدّها لطرق الكمال والنجاة (وما اهل لغير الله به) اى الرياضات والاعمال بالرباء وكل ما يفصل لغير الله فان كسر النفس وقهرها ومخالفتها لا يكون فعلاجها وفضيلة ومعنا في السلوك الا اذا كان لله فاما اذا كان لغير الله فهو شرك والشرك اكبر الكبائر (والمختصة) اى حبس النفس عن الرذائل ومنعها عن القبايح بمجصول صور الفضائل وصـ دور الافعال الحسنة صورة مع كون الهوى فيها فان الافعال النفسية انما تحسن بقمعها وقهر الله وخروج الهوى الذى هو قوتها وحياتها عنها وقيامها بارادة القلب كخروج الدم الذى هو قوة الحيوان وحياته منه بذبحه لله (والموقودة) اى صدور الفضائل فى الظاهر عن النفس مع كره منها واجبار عليها (والتزدية) التى تتعلق بالتفريط والنقصان والميل الى الجهة السفلية والخطا النفس عن العلم والطه والدرجة القوية (والخطية) التى تصدر عن خوف وقهر من مثله

بمجر بظلم الظالم قال العلماء لا يجوز اظهار احوال الناس المستورة المكتومة لان ذلك يصير سببا لوقوع الناس فى القية ووقوع ذلك الشخص فى الرية لكن من ظلم فيصوزه اظهار ظلمه فيقول سرق منى او غصب ونحو ذلك وان شتم جازله ان يشتم بمثله ولا يزيد شيا على ذلك ويدل على ذلك ما روى عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المستبان ما قال لافضل الاول وفى رواية فعلى الابدى منهما حتى يعتدى المظلوم اخرجه مسلم قال ابن عباس لا يحب الله يدهوا حدى احدا لان يكون مظلوما فانه قد ارضى له ان يدعو على من ظلمه وذلك قوله الامن ظلم وان صبر فهو خير له وقال الحسن البصرى هو الرجل يظلم الرجل فلا يدع عليه ولكن ليقول اللهم اعني عليه اللهم استخرج لي حقى اللهم حل بينى وبين ما يريد ونحوه من الدماء وقيل نزلت الآية فى الضيف اذا نزل يقوم قلم يقروه ولم يحسنوا ضيافته فله ان يشكوا ما صنع به قال مجاهد هو الرجل ينزل بالرجل فلا يحسن ضيافته فيخرج من عنده فيقول لساء ضيافتى وقال مقاتل نزلت فى ابي بكر الصديق وذلك ان رجلا نال منه والنبي صلى الله عليه وسلم حاضر فسكت عنه ابو بكر مرارا ثم ردد عليه فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر يا رسول الله شتمنى فلم يقل له شيا حتى اذا رددت عليه قلت قال ان ملكا كان يحجب عنك فلما رددت عليه ذهب الملك وجاء الشيطان فتمت ونزلت هذه الآية (وكان الله سمعا) يعنى لدعاء المظلوم (علما) بما فى قلبه فليقل الله ولا يقل الا الحق قوله تعالى (ان تبدوا خيرا) قال ابن عباس يريد من اعمال البر كالصيام والصدقة والضيافة والصلة وقيل معناه ان تبدوا خيرا بدلا من السوء (او تخفوه) يعنى تخفوا الخير فلم تظهروه وقيل معناه ان تبدوا حسنة فتعملوا بها تكتب لكم عشرة وان هم بها ولم يعملها كتبت له واحدة وقيل ان جميع مقاصد الخيرات على كثرتها محصورة فى قسمين احدهما صدق النية مع الحق والثانى الخلق مع الخلق فالذى يتعلق بالخلق ينحصر فى قسمين ايضا وهما ابصال نفع اليهم فى السر والعلانية واليه الاشارة بقوله تعالى ان تبدوا خيرا او تخفوه او رفع ضرر عنهم واليه الاشارة بقوله تعالى (او تعفوا عن سوء) فدخل فى هاتين الكلمتين جميع اعمال البر وجميع دفع الضرر وقيل المراد بالخير المال والمعنى ان تبدوا الصدقة فتعطوها للفقراء جهرا او تخفوها فتعطوها سرا او تعفوا عن مظنة (فان الله كان عفوا قديرا) يعنى لم يزل ذا عفو مع قدرته على الانتقام فاعفوا انتم عن ظلمكم واتقوا بسنة الله عز وجل يعف عنكم يوم القيامة لانه اهل لتجاوز والعفو عنكم وقيل معناه ان الله كان عفوا لمن عفا قديرا على ابصال الثواب اليه قوله عز وجل (الذين يكفرون بالله ورسله) نزلت فى اليهود وذلك انهم آمنوا بموسى والتوراة وكفروا بعبسى والانجيل وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقبل نزلت فى اليهود والنصارى جميعا وذلك ان اليهود آمنوا بموسى وكفروا بعبسى وبمحمد والنصارى آمنوا بعبسى وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وجميعين (ويريدون ان يفرقوا بين الله والايان برسله ولا يصح الايمان بالله مع التكذيب ببعض رسله) (ويريدون ان يخذلوا بين ذلك سبيلا) يعنى بين الايمان ببعض دون البعض يخذلون مذهبا يذهبون اليه وديننا يدينون به (اولئك) يعنى من هذه صفتهم (هم الكافرون حقا) يعنى يقينا وانما قال ذلك توكيدا للكفرهم ثلاثتهم متوهم ان الايمان ببعض الرسل يزيل اسم الكفر عنهم وليعلم ان الكفر ببعض

كالغاف الحاصل بواسطة زجر المحتسب وخوف الفضيحة (وما أكل السبع) كفضائل العفة التي تحصل لشدة القوة الغضبية من الانفة والحمية واستيلاء الغضب فان الغضب اذا استولى منع الشدة عن فعلها اولهه من قهار كالمك والامير (الاماد كيم) الا ما قرنت واعتادت واقفات لكم بعدهم من غير فكانت تصدر عنها الفضائل بارادة قلبية من غير مزج الهوى (وما ذبح على النصب) ما يفعل بناء على العادات التي يحب رفعها الافتراض على اوشري (وان تستقموا بالازلام) وان تطلبوا السعادات والكمالات بالرسوم والطوالع انكالا على ما قضى الله وقدره وتركوا السعي والجد في الاب وتجعلوا ذلك علة للتقصير بان تقولوا ليس لنا نصيب فيها ولو كان لنا نصيب لحصل فانه ربما كان مجرّد تمثيل وقد علق في القدر كماله بسعيه فانه لم يطلع على ذلك (ذلكم فسق) خروج عن الدين الذي هو طريق الحق (اليوم) اى وقت حصول الكمال

الانبياء كالكفر بكلم لان الدليل الذى يدل على توبة البعض وهو المجزة لزم منه انه حيث وجدت المجزة حصلت التوبة وقد وجدت المجزة لجميع الانبياء فلزم الايمان بجميعهم (واعتدنا) يعنى وهبنا (للكافرين هذا ما مينا) يعنى يهاتون فيه (والذين آمنوا بالله ورسله) يعنى والذين صدقوا بوحدة الله ونبوّة جيع انبيائه وان جيع ما جاؤا به من عند الله حق وصدق (ولم يفرقوا بين احد منهم) يعنى من الرسل بل آمنوا بجميعهم وهم المؤمنون (اولئك) يعنى من هذه صفتهم (سوف يؤتيهم اجرهم) يعنى جزاء ايمانهم بالله وبجميع كتبه ورسله (وكان الله غفورا رحيم) يعنى انه تعالى لما وعدهم بالثواب اخبرهم انه يجاوز عن سيئاتهم ويغفرها لهم ويرحمهم فهو كالترغيب لليهود والنصارى في الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لانهم اذا آمنوا غفر لهم ما كان منهم في حال الكفر * قوله تعالى (يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء) يعنى يسألك يا محمد اهل الكتاب وهم اليهود وذلك ان كعب بن الاشرف وقحاص بن عازوراء من اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا فأتنا بكتاب جلة واحدة من السماء كما اتي موسى بالتوراة وقيل سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا مختصا بهم وقيل سألو ان ينزل عليهم كتابا الى فلان ليشهدا بانك رسول الله وكان هذا السؤال من اليهود سؤال تعنت واقتراح لاسؤال استرشاد وانقياد والله تعالى لا ينزل الايات على اقتراح العباد ولان مجزة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت قد تقدمت وظهرت مكان طلب الزيادة من باب التعنت * وقوله تعالى (فقد سألو موسى اكبر من ذلك) يعنى اعظم من الذى سألوكم يا محمد ففيه تسليّة للنبي صلى الله عليه وسلم وتوبيخ وتقريع لليهود حيث سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم سؤال تعنت والمعنى لا تعظن عليك يا محمد مسئلتهم ذلك فانهم من فرط جهلهم واجترأهم على الله لو اتينهم بكتاب من السماء لما آمنوا بك وانما اسند السؤال الى اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وان وجد هذا السؤال من آبائهم الذين كانوا في ايام موسى عليه السلام فهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم ومشاكين لهم في التعنت (فقالوا) يعنى اسلاف هؤلاء اليهود (ارنا الله جهرة) يعنى عيانا والمعنى ارنا نره جهرة وذلك ان سبعين من بني اسرائيل خرجوا مع موسى عليه الصلاة والسلام الى الجبل فقالوا ذلك وقد تقدمت القصة في سورة البقرة (فاخذتهم الصاعقة بظلمهم) يعنى بسبب ظلمهم وسؤالهم الروية (ثم اتخذوا الجبل) يعنى الها وهم الذين خلفهم موسى مع اخيه هرون حين خرج الى ميقات ربه (من بعد ما جاءتهم البينات) يعنى الدلالات الواضحات الدالة على صدق موسى وهى العصا واليد وخلق البحر وغير ذلك من المعجزات الباهرة (ففنونا عن ذلك) يعنى من ذلك الذنب العظيم فلم نستأصل عبدة الجبل والمقصود من هذا تسليّة النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ان هؤلاء الذين يطلبون منك يا محمد ان تنزل عليهم كتابا من السماء انما يطلبونه عنادا ولجاجا فاني قد انزلت التوراة جلة واحدة على موسى وآتينه من المعجزات الباهرات والايات البينات ما فيه كفاية ثم انهم طلبوا الرؤية على سبيل العناد وعبدوا الجبل وكل ذلك يدل على جهلهم وانهم مجبولون على اللجاج والعناد وفي قوله ففنونا عن ذلك استدعاء الى التوبة والمعنى ان اولئك الذين اجرموا لما تابوا غفونا عنهم فتوبوا انتم نف عنكم (وآتينا موسى سلطانا مبينا)

بمعنى حجة واضحة تدل على صدقه وهي المعجزات الباهرة التي اعطاها الله عز وجل لموسى عليه السلام * قوله عز وجل (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم) يعني ورفعنا فوقهم الجبل المسمى بالطور بسبب اخذ ميثاقهم وذلك ان بنى اسرائيل امتنعوا من قبول التوراة والعمل بما فيها فرفع الله فوقهم الطور حتى اظلم لهم ليخافوا فلا ينقضوا العهد والميثاق (وقلنا لهم) يعني والطور يظلمهم (ادخلوا الباب سجدا) فخالقوا ودخلوا وهم زحفون على استاهم (وقلنا لهم لا تعبدوا في السبت) يعني وقلنا لهم لا تجاوزوا في يوم السبت الى ما لا يحل لكم فيه وذلك انهم نهوا ان يصطادوا السمك في يوم السبت فاعتدوا واصطادوا فيه وقبل المراد به النهي عن العمل والكسب في يوم السبت (واخذنا منهم ميثاقا غليظا) يعني واخذنا منهم عهدا مؤكدا شديدا بان يعملوا بما امرهم الله به وان يذنبوا لعناهم الله عنه نعم انهم نقضوا ذلك الميثاق وهو قوله تعالى (فبما نقضهم ميثاقهم) يعني فبنقضهم وما حزيمة للتوكيد والمعنى فيسبب نقضهم ميثاقهم لصاحمهم وسخطنا عليهم وفضلناهم ما فعلنا (وكفرهم بآيات الله) يعني وبجحودهم بآيات الله الالهة على صدق انبيائه (وقلنا لهم لا تعبدوا في السبت) يعني بعد قيام الحجمة والدلالة على صحة نبوتهم (بغير اسحق) يعني بغير اسحق لذللك القتل (وقولهم قلوبنا غلف) يعني بقولهم على قلوبنا اغطية وغشاوة فهي لا تفقه ما نقول جمع اغلف وقيل جمع غلاف يعنى قلوبنا اوعية للسلم فلا حاجة بنا الى ما تدعوننا اليه فرد الله عليهم بقوله (بل طبع الله عليها كفرهم) يعنى بل ختم الله على قلوبهم بسبب كفرهم (فلا يؤمنون الا قليلا) يعنى ايمانهم بموسى والتوراة وكفرهم بما سواه من الانبياء والكتب وقيل لا يؤمنون قليلا ولا كثيرا وقيل المراد بالقليل هو عبد الله بن سلام وصحابه الذين آمنوا من اليهود * قوله تعالى (وبكفرهم وقولهم على مريم بنتنا عظيما) يعنى حين رموها بالزنا وذلك انهم انكروا قدرة الله تعالى على خلق الولد من غير اب ومنكرة قدرة الله كافر فالمراد بقوله وبكفرهم هو انكارهم قدرة الله تعالى والمراد بقولهم على مريم بنتنا عظيما هو رميها اياها بالزنا وانما سماها بنتنا عظيما لانه قد ظهر عند ولادة مريم من المعجزات ما يدل على برائتها من ذلك فلهذا السبب وصف الله قول اليهود على مريم بالبنت العظيمة * قوله عز وجل (وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله) ادعت اليهود انهم قتلوا عيسى عليه السلام وصدقهم النصارى على ذلك فكذبهم الله عز وجل جميعا وورد عليهم بقوله (وما قتلوه وما صلبوه) وفي قوله رسول الله قولان احدهما انه من قول اليهود فيكون المعنى انه رسول الله على زعمه والقول الثاني انه من قول الله لاعلى وجه الحكاية عنهم وذلك ان الله تعالى ابدل ذكرهم في عيسى عليه السلام القول القبيح بالقول الحسن رفعا لدرجته عما كانوا يذكرونه من القول القبيح * وقوله تعالى (ولكن شبه لهم) يعنى القى شبه عيسى على غيره حتى قتل وصلب واختلف العلماء في صفة التشبيه الذي شبه على اليهودى في امر عيسى عليه السلام فروى الطبرى بسنده عن وهب بن منبه انه قال اتى اليهودى عيسى ومعه سبعة عشر من الخواريين في بيت فاحاطوا بهم فلادخلوا عليهم صورهم الله تعالى كلهم على صورة عيسى فقالوا لهم سحرتمونا لبرزن لنا عيسى اول قتلناكم جميعا فقال عيسى لاصحابه من بشرى نفسه معكم اليوم بالجنة فقال رجل منهم انا فخرج اليهم فقال انا عيسى وقد صورته الله تعالى على صورة عيسى فآخذوه وقتلوه وصلبوه فنم شبه لهم وظنوا

يقترن النفس بالفضائل وتبينها في العزائم (يئس الذين كفروا) اى جربوا من قوى نفوسكم او من ابناء جنسكم يا اهل جلدتكم من الطبيعيين والمتزندقين (من دينكم) اى من ان يصدكم وكمن عن طريق الحق (فلانحنوهم) فانهم يستولون عليكم بعد ذلك (واخشوني) بان لا تقفوا عند تجلى صفة من صفاتي وتهيبوا عظمتى ذاتى حتى تصلوا الى مقام الفناء (اليوم اكملت لكم دينكم) بيان الشعائر وكيفية السلوك (واتممت عليكم نعمتى) بالهداية الى (ورضيت لكم الاسلام) الاستسلام والانقياد بالانحواء عند تجليات الافعال والصفات او اسلام الوجه للفناء عند تجلى الذات (ديننا فمن اضطر) الى امر من هذه الامور المحرمة التي عدناها (في نخصة) في هيجان شديد من النفس وغلبة للظهور صفة من صفاتها (غير متجانف لاثم) غير منحرف عن الدين والوجهة الى رذيلة مانعة لقصد منه وعزيمة (فان الله غفور) يستتر ذلك عنه بنور صفة

من صفاته تقابلها (رحيم)
 يرحم بعداد التوفيق لانه
 الكمال وروع موانعه
 (يسألوك ماذا احل لهم
 قل احل لكم الطيبات)
 من الحقائق والمعارف الحقية
 والقضئ للعلية التي تحصل
 اكم بعقولكم وقلوبكم
 وارواحكم (وما علمكم من
 لجوارح متكبين) من
 جوارح حواسكم الظاهرة
 والباطية وسائر قواكم
 وآلاتكم البدنية في اكتساب
 الفضائل والآداب المحترفين
 (تعلمونهم) علمكم الله
 من علوم الاخلاق والشرائع
 التي تبين طريق الاحتشاء
 من الحظوظ على وجه
 العدالة (فكلوا مما مسكن
 عليكم) مما حصل لكم
 بتعليمكم على ما ينبغي بنية
 وارادة قلبية وغرض
 صحيح يؤدي الى كمال الشخص
 او النوع لا يهجن ويشين
 وينزل عليه بملهن
 وحرصهن لطلب لذتهن
 وشهواتهن (واذكروا
 اسم الله عليه) واحضروا
 قلوبكم انما للصورة الانسانية
 الكاملة تقصد وتراد
 لا ترضى اخرها جعلوا الله
 وقاية لكم في ضلها حتى

انهم قد قتلوا عيسى وثلثت النصارى مثل ذلك ورفع الله عز وجل عيسى عليه السلام من يومه
 ذلك وفي رواية اخرى عن وهب ان عيسى عليه السلام قال لاصحابه ليكرن في احدكم قبل ان
 يصبح اليك ثلاث مررات وليدعي بدرهم بسيرة وليا كلن ثمني فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود
 تطلبه فاخذوا شمعون احد الخواريين فقالوا هذا من اصحاب عيسى فبحمد وقال ما لنا بصاحبه فتركوه
 ثم اخذوا آخر فبحمد كذلك فلما أصبح اتى بعض الخواريين الى اليهود وكان منافقا فقال ما تجعلون لي
 ان انا دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فدلهم عليه فأتى الله شبه عيسى على ذلك المناق
 الذي دل عليه فاخذوه وقتلوه وصلبوه وهم ينظرون انه عيسى وقال قتادة ان اعداء الله اليهود زعوا
 انهم قتلوا عيسى وصلبوه وذكرنا ان نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام قال لاصحابه ايكم
 يقذف عليه شبيهي وله الجنة فانه مقتول فقال رجل منهم انا يا نبي الله فاخذ ذلك الرجل وقتل
 وصلب ورفع الله عز وجل عيسى الى السماء وقيل اليهود حبسوا عيسى في بيت وجعلوا عليه
 رقبيا يحفظه فأتى الله شبه عيسى على ذلك الرقيب فاخذ وقتل وصلب ورفع الله عز وجل عيسى
 في ذلك الوقت قال الطبري واولى الاقوال بالصواب ما ذكرنا عن وهب بن منبه من ان شبه
 عيسى اتى على جميع من كان مع عيسى في البيت حين احيط به وبهم من غير مسألة عيسى اياهم
 ذلك ولكن ليخزي الله بذلك اليهود وينقذه نبيه عيسى عليه السلام من كل مكروه ارادوه به
 من قتل وغيره وليتلى الله من اراد ابتلاء من عباده ويحتمل ان يكون الذي شبهه على بعض اصحابه
 بعد ما تفرق عنه اصحابه ورفع الله عيسى عليه السلام وبقي ذلك فاخذ وقتل وصلب وظن اصحابه
 واليهود ان الذي قتلوه وصلبوه هو عيسى لما راوا من شبهه به وخفي امر عيسى عليهم وكانت
 حقيقة ذلك الامر عند الله فلذلك قال تعالى وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم (وان الذين
 اختلفوا فيه) يعني في قتل عيسى وهم اليهود (ان شك منه) يعني من قتله وذلك ان اليهود
 قتلوا ذلك الشخص المشبه بعيسى وكان قد اتى الشبه على وجه ذلك الشخص دون جسده فاما قتلوه نظروا
 الى جسده فوجدوه غير جسد عيسى فقالوا الوجه وجه عيسى والجسد جسد غيره فهذا هو اختلافهم
 فيه وقيل ان اليهود لما حبسوا عيسى واصحابه في البيت دخل عليه رجل منهم ليخبره اليهم فأتى الله شبه
 عيسى على ذلك الرجل فاخذ وقتل ورفع الله عز وجل عيسى الى السماء وققدوا اصحابهم فقالوا ان كنا
 قتلنا المسيح فابن صاحبنا وان كنا قتلنا صاحبه فابن المسيح عيسى فهذا هو اختلافهم فيه وقيل ان الذين
 اختلفوا فيه هم النصارى فبعضهم يقول ان القتل وقع على ناسوت عيسى دون لاهوته وبعضهم
 يقول وقع القتل عليهما جميعا وبعضهم يقول رأياه قتل وبعضهم يقول رأياه رفع الى السماء فهذا
 هو اختلافهم فيه قال الله تعالى (ما لهم به من علم) يعني انهم قتلوا من قتلوا على شك منهم
 فيه ولم يعرفوا حقيقة ذلك المقتول هل هو عيسى او غيره (الاتباع الظن) يعني لكنية مون
 الظن في قتله ظنا منهم انه عيسى لاعن علم وحقيقة (وما قتلوه يقينا) قال ابن عباس يعني لم يقتلوا
 ظنهم يقينا فعلى هذا القول تكون الهاء في قتلوه عائدة على الظن والمعنى ما قتلوا ذلك الظن يقينا
 ولم يزل ظنهم ولم يرتفع ما وقع لهم من الشبه في قتله فهو كقول العرب قتله علما تاما واصل
 ذلك ان القتل الذي يكون من قهر واستيلاء وغلبة ومعنى الآية على هذا لم يكن عليهم بقتل
 عيسى علما تاما كلاما انما كان ظنا منهم انهم قتلوه ولم يكن لذلك حقيقة وقيل ان الهاء في قتلوه عائدة

تكون حسنة (واتقوا الله ان الله سريع الحساب) بحاسبكم بها في ان لا يازمنه كحصول حياتها في انفسكم نذار تكتابها (اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لكم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اتوا الكتابات من قبلكم اذا آتيتوهن اجورهن محصنين غير سافحين ولا متغذي اخذان من يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين يا ايها الذين امنوا (اذا م الى الصلاة) اجتمعتم من نوم لطفلة وقصدتم الى صلاة الحضور والمجاهد الحقيقية التوجه الى الحق (فاضلوا رجوهكم) اي طهروا وجود قلوبكم بماء العلم لتافع الطاهر المطهر من علم الشرائع والاخلاق والجماليات التي تنلق بازالة لموانع عن لوث صفات النفس (وابدكم) اي وقدركم من دنس تناول الشهوات التصرفات في مواد لرجس (الى المرافق) الى در الحقوق والمنافع وامسوها برؤسكم

على عيسى والمعنى وما قتلوا المسيح بقينا كادعوا انهم قتلوه وقيل ان قوله يقينا يرجع الى ما بعده تقديره وما قتلوه (بل رفعه الله اليه) يقينا والمعنى انهم لم يقتلوا عيسى ولم يصلبوه ولكن الله عز وجل رفعه اليه وظهره من الذين كفروا وخلصه من اراده بسوء وقد تقدم كيف كان رفعه في سورة آل عمران بما فيه كفاية * وقوله تعالى (وكان الله عززا) يعنى في اقتداره على من يشاء من عباده (حكيا) يعنى في انجاء عيسى عليه السلام وتخليصه من اليهود وقيل عززا يعنى منيعا منتقما من اليهود فسلط عليهم ينطونس بن اسبانيون الرومي فقتل منهم قتل عظيم حكيا حكم بالعدة والغضب على اليهود حيث ادعوا هذه الدموى الكاذبة * قوله تعالى (وان من اهل الكتاب) يعنى وما من احد اهل الكتاب (الا يؤمن به) يعنى بعيسى عليه السلام وانه عبدالله ورسوله وروحه ولكنه هذا قول ابن عباس واكثر المفسرين وقال عكرمة في قوله الا يؤمن به يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا القول لا وجه له لانه لم يجر للنبي صلى الله عليه عليه وسلم ذكر قبل هذه الآية حتى يرجع الضمير اليه وقول الاكثرين اولى لانه تقدم ذكر عيسى عليه السلام فكان عود الضمير اليه اولى (قبل موته) اختلف المفسرون في هذا الضمير الى من يرجع فقال ابن عباس واكثر المفسرين ان الضمير يرجع الى الكتابي والمعنى وما من احد من اهل الكتاب الا آمن بعيسى قبل موت ذلك الكتابي ولكن يكون ذلك الايمان عند الخسرة حين لا يقعه ايمانه قال ابن عباس . معاذ اذا وقع اليأس حين لا يقعه ايمانه سواء احترق او تردى من شاق اوسقط عليه جدار او اكله سبع او مات بقاء فقل له ارايت ان خرم من فوق بيت قال يتكلم به في الهواء فقل له ارايت ان ضربت حقه قال يطلع به لسانه وقال شهر بن حوشب ان اليهودي اذا حضره الموت ضربت الملائكة باجنهم وجوه ودره وقالوا يا عدو الله اناك موسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت انه عبدالله ورسوله وتقول للنصراني اناك ديسي نبيا فزعت انه الله وابن الله فيقول آمنت انه عبدالله فاهل الكتابين يؤمنون به ولكن حيث لا يقعه ذلك الايمان وذهب جماعة من اهل التفسير الى الضمير يرجع الى عيسى عليه السلام وهو رواية عن ابن عباس ايضا والمعنى وما من احد من اهل الكتاب الا يؤمن بعيسى قبل موت عيسى وذلك عند نزوله من السماء في آخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتابين الا آمن بعيسى حتى تكون الملة واحدة وهي ملة اسلام قال عطاء اذا نزل عيسى الى الارض لا يبقى يهودى ولا نصراني ولا احد بعد غير الله الا آمن بعيسى وانه عبدالله ولكنه ويدل على صحة هذا القول ما روى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسى بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد زاد في رواية وحتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها ثم يقول ابو هريرة اقرؤا ان شئتم وان من اهل الكتاب الا يؤمن به قبل مؤته الآية وفي رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لينزل فيكم ابن مريم حكما عادلا فليكسر الصليب وليقتل الخنزير وليضع الجزية وليتركن الاقلاص فلا يسي عليها وليذهبن الثهناء والتباغض والتحاسد وليدعون الى المال فلا يقبله احد اخرجاه في الصحبين ففي هذا الحديث دليل على ان عيسى ينزل في آخر الزمان في هذه الامة ويحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وانه لا ينزل نبيا

بجهات ادواحكم عن قسام
كدورة القلب وغبار قفيره
بالتوجه الى العالم السفلى
ومحبة الدنيا نور الهدى
فان الروح لا يتكدر بالتعلق
بل يختبئ نوره عن القلب
فيستود القلب ويظلم ويكفى
في انتشار نوره صقل الوجه
العالى من القلب الذي اليه
فان القلب ذو وجهين احدهما
الى الروح والراس ههنا
اشارة اليه والثاني الى النفس
وقواها فاحرى بالرجل
ان تكون اشارة اليه
(وارجلكم) وجهات قواكم
الطبيعية البدنية بنقض
غبار الاحماك في الشهوات
والافراط في اللذات (الى
الكهين) الى حد الاعتدال
الذي يقوم به البدن فعل
هذان انهمك في الشهوات
وافرط في اللذات احتاج
الى غسلها بماء علم الاخلاق
وعلم الرياضات حتى ترجع
الى الصفاء الذي يستعده
القلب للحضور والمناسخة
ومن قرب حوضه فيها
من الاعتدال كفاء السمح
ولهذا مسيح من مسيح وغسل
من غسل (وان كنتم جنباً)
بعداء عن الحق بالانجذاب
الى الجهة السفلية والاعراض
عن الجهة العلوية والميل

برسالة مستقلة وشريعة ناصحة بل يكون حاكماً من حكام هذه الامة واماماً من
ائمهم لقوله صلى الله عليه وسلم فيكسر الصليب يعني يكسره حقيقة وبسطل مازعه
النصارى من تعظيمه وكذلك قتله الخنزير وقوله ويضع الجزية يعني لا يقبلها ممن بذلها
من اليهود والنصارى ولا يقبل من أحد الا الاسلام أو القتل وعلى هذا فديقال هذا خلاف
ما هو حكم الشرع اليوم فان الكنتاني اذا بذل الجزية وجب قبولها منه ولم يجز قتله ولا اجباره
على الاسلام والجواب ان هذا الحكم ليس مستمراً الى يوم القيامة بل هو مفيد بما قبل نزول
عيسى عليه السلام وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بنسخه وليس النسخ هو عيسى عليه
السلام بل النسخ لهذا الحكم هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه هو المبين للنسخ أو أن
عيسى عليه السلام يحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم فدل على أن الامتناع من قبول
الجزية في ذلك الوقت هو شرع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والله أعلم قال الزجاج هذا القول بعيد
يعنى قول من قال ان ايمان أهل الكتاب بعيسى انما يكون عند نزوله في آخر الزمان قال
لعموم قوله تعالى وان من أهل الكتاب الا ليؤميه به قال والذين يقولون يومئذ يعني عند نزوله
شرذمة قليلة منهم وأجاب أصحاب هذا القول يعني الذين يقولون ان ايمان أهل الكتاب
بعيسى انما يكون عند نزوله في آخر الزمان بان هذا على العموم ولكن المراد بهذا العموم الذين
يشاهدون ذلك الوقت ويدركون نزوله فيؤمنون به ويكون معنى الآية وما من أحد من
أهل الكتاب أدرك ذلك الوقت الا آمن بعيسى عند نزوله من السماء وصحح الطبري هذا
القول وقال حكمة في معنى الآية وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن بمحمد صلى الله عليه
وسلم قبل موت الكتابي فلا يموت يهودى ولا نصراني حتى يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم
وذلك عند الخسرة حتى لا ينقضه ايمانه . * وقوله تعالى (ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا)
يعنى يكون عيسى عليه السلام شاهداً على اليهود انهم كذبوه واطعوا فيه وعلى النصارى انهم
اتخذوه رباً وأشركوا به وبشهدوا على تصديق من صدقه منهم وآمن به قال قتادة معناه انه
يكون شهيداً يوم القيامة انه قد بلغ رسالة ربه وأقر على نفسه بالعبودية * قوله عز وجل
(فبظلم من الذين هادوا) يعنى فبسبب ظلم منهم (حرمانا عليهم طيبات أحلت لهم) يعنى
ما حرمانا عليهم الطيبات التي كانت حلالاً لهم الا بظلم عظيم ارتكبوه وذلك الظلم هو ما ذكره
من نقضهم الميثاق وما عدد عليهم من أنواع الكفر والكبائر العظيمة مثل قولهم اجعل لنا
السم كالسم آلهة وكقولهم أرنا الله جهرة وعبادتهم العجل فبسبب هذه الامور حرم الله عليهم
طيبات كانت حلالاً لهم وهى ما ذكره في سورة الانعام في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل
ذى ظفر الآية وقال الطبري في معنى الآية فحرمانا على اليهود الذين نقضوا ميثاقهم
الذى واثقوا ربهم به وكفروا بآيات الله وقتلوا أنبياءهم وقالوا البهتان على مريم وفضلوا
ما وصفهم الله به في كتابه طيبات من المساكل وغيرها التي كانت لهم حلالاً عقوبة لهم
بظلمهم الذي أخبر الله عنهم في كتابه وروى عن قتادة قال عوقب القوم بظلم ظلودهم وبغى
بنفوسهم وحرمت عليهم أشياء بنفهم وظلمهم ونقل الواحدى وابن الجوزى عن مقاتل قال كان الله
حرم على أهل التوراة أن يأكلوا الربا ونهاهم أن يأكلوا أموال الناس ظلماً فأكفوا الربا

أكلوا أموال الناس ظلماً بالباطل وصدوا عن دين الله وعن الإيمان بحمد صلى الله عليه وسلم فحرم الله عليهم عقوبة لهم ما ذكر في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية قال الواحدى فأما وجه تحريم الطيبات عليهم كيف ومتى كان وعلى لسان من حرم عليهم فلم يجد فيه شيئاً انتهى إليه امره ولقد أنصف الواحدى فيما قال فإن هذه الآية في غاية الاشكال وبيانه ان الله تعالى لا يعاقب على ذنب قبل وقوعه وقد ذكر المفسرون في معنى الظلم المذكور في الآية ما تقدم ذكره وكلها ذنوب في المستقبل * فان قلت علم الله تعالى وقوع هذه الذنوب منهم قبل وقوعها فحرم عليهم ما حرم من الطيبات التي كانت لهم حلالاً لعقوبة لهم على ما يقع منهم * قلت جوابه ما تقدم وهو ان الله تعالى لا يعاقب على ذنب قبل وقوعه ولهذا لم يذكر الامام فخر الدين في تفسير هذه الآية ما ذكره المفسرون بل ذكر تفسيراً اجاليا فقال اعلم أن أنواع الذنوب محصورة في نوعين الظلم للخلق والاعراض عن الدين الحق أما ظلم الخلق فاليه الاشارة بقوله (وبصدهم عن سيل الله كثيرا وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه) ثم انهم مع ذلك في غاية الحرص على طلب المال فتارة يحصلونه بطريق الرباع انهم قد نهوا عنه وتارة يحصلونه بطريق الرشا وهو المراد بقوله (وأكلهم أموال الناس بالباطل) فهذه الاربعة هي الذنوب التي شدد عليهم بسببها في الدنيا والآخرة * أما التشديد في الدنيا فهو ما تقدم من تحريم الطيبات عليهم * وأما التشديد في الآخرة فهو المراد بقوله تعالى (واعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً) قال المفسرون انما قال منهم لان الله علم ان قوماً منهم سيؤمنون فيأمنون من العذاب * قوله تعالى (لكن الراسخون في العلم منهم) يعني من اليهود وهذا استثناء استثنى الله عز وجل من آمن من اهل الكتاب ممن تقدم وصفهم وصفتهم في الآيات التي تقدمت فبين فيما تقدم حال كفار اليهود واجمال منهم وبين في هذه الآية حال من هداه لدينه منهم وارشده للعمل بما علم فقال لكن الراسخون في العلم * ولكن هنا بمعنى الاستدراك والاستثناء والراسخون في العلم الثابتون في العلم بالحقون فيه اولو البصائر الثابتة والعقول الصافية وهم عبدالله بن سلام واصحابه الذين اسلموا من اهل الكتاب لانهم رسخوا في العلم وعرفوا حقيقته فاولصهم ذلك الى الإيمان بحمد صلى الله عليه وسلم (والمؤمنون) يعني بالله ورسله (يؤمنون بما نزل اليك) يعني بالقرآن الذي انزل اليك (وما نزل من قبلك) يعني ويؤمنون بآثار الكتب التي انزلها الله على انبيائه من قبلك يا محمد * وفي المراد بالمؤمنين ههنا قولان * احدهما انهم اهل الكتاب فيكون المعنى لكن الراسخون في العلم منهم وهم المؤمنون والقول الثاني انهم المهاجرون والانصار من هذه الامة فيكون قوله والمؤمنون اشارة لكلام مستأنف يؤمنون بما نزل اليك يعني انهم يصدقون بالقرآن الذي انزل اليك يا محمد وما نزل من قبلك (والمقيمين الصلاة) اختلف العلماء في وجه نصبه فخى عن عائشة وأبان بن عثمان انه غلط من الكتاب ينبغي ان يكتب والمقيمين الصلاة وقال عثمان بن عفان ان في المصحف لحنا سقيم العرب بالسنتهم قليل له افلا تقيرو فقال دعوه فانه لا يحل حراماً ولا يحرم حلالاً وذهب عامة الصحابة وسائر العلماء من بعدهم الى انه لفظ صحيح ليس فيه خطأ من كاتب ولا غيره * واجيب عما روى عن عثمان بن عفان وعن عائشة وأبان بن عثمان بان هذا بعيد جداً لان الذين جمعوا القرآن هم اهل اللغة والفصاحة والقدرة على ذلك

الكلى الى النفس (فادهروا) بكليتنكم من تلك الهيئة المظلمة والصفة الخبيثة الموجبة للبعد والاحتجاب (وان كنتم مرضى على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم ويديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) من ضيق ومشقة بكثرة المجاهدات والمكابدات (ولكن يريد ليطهركم) ان يطهركم من الهيئات المظلمة والصفات الخبيثة (وليتم نعمته عليكم) بالتكميل (لعلكم تشكرون) نعمته الكمال بالاستقامة والقيام بحق العدالة عند البقاء بعد الفناء (واذكروا نعمت الله عليكم) بالهداية الى طريق الوصول (وميثاقه الذي واثقكم به) اى عقود عزائم المذكورة اذ قبلتموها من معدن البوّة بصفاء القطرة (اذ قلتم سمعنا واطعنا واتقوا الله ان الله عالم بذات الصدور) يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى (

اي العقل اقرب للتجربة من
ملابس صفات النفس
واتخاذ صفات الله تعالى
وقاية لانه اشرف الفضائل
الذي اذا حصل تبعه الجميع
(واتقوا الله) واجعلوه
وقاية لكم في صدور العدل
منكم فان منبع الكمالات
والفضائل ذاته تعالى
(ان الله خير بما تعملون)
انه من صفات نفوسكم
اومنه (وعد الله الذين
آمنوا) منكم بالتوحيد
العلوي (وعملوا الصالحات)
التي توصلهم الى التوحيد
العيني وتعدهم لذلك
(لهم مغفرة) من صفاتهم
(واجر عظيم) من تجليات
صفاته تعالى (والذين
كفروا) وكذبوا بآياتنا
اولئك اصحاب الجحيم
يا أيها الذين آمنوا اذكروا
نعمة الله عليكم اذ هم
قوم) من قوى نفوسكم
المحبوبة وصفاتها
(ان يسلطوا اليكم ايديهم)
بالاستيلاء والقهر والاستلاء
لتعصيل ما ربه وما ملاذها
فيها عنكم بما اراكم من
طريق التطهير والتنزيه
(فكف ايديهم عنكم)
واتقوا الله) واجعلوه
وقاية في قهرها ومنعها

فكيف يتركون في كتاب الله لنا يصلحهم غيرهم فلا ينبغي ان ينسب هذا اليهم قال ابن الانباري
ماروي عن عثمان لا يصح لانه غير متصل ومحال ان يؤخر عثمان قاسدا ليصلحهم غيره ولان
القرآن منقول بالثواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يمكن ثبوت الحسن فيه وقال
الزمخشري في الكشاف ولا يلتفت الى ما زعموا من وقوع لحن في خط المصحف وربما التفت اليه
من لم ينظر في الكتاب يعني كتاب سيويه ولم يعرف مذاهب العرب ومالهم في الصب على
الاختصاص والمدح من الاقتنان وهو باب واسع قد ذكره سيويه عن امثلة وشواهد وربما
غبي عليه ان السابقين الاولين كانوا ابدتهم في الفيرة على الاسلام وذبح الطاعن عنه من ان يتركوا
في كتاب الله عز وجل ثلثة يسدها من بعدهم وخرفا يرفؤهم من يلحق بهم ثم اختلف العلماء في المقيمين
الصلاة اهم الراسخون في العلم ام غيرهم على قولين احدهما انهم هم وانما نصب على المدح والمعنى
اذكر المقيمين الصلاة وهم المؤتون الزكاة قالوا والعرب تفعل ذلك في صفة الشيء الواحد ونعته
اذا تناولت بمدح او ذم فربما خالفوا بين اعراب اوله واوسطه احيانا ثم رجعوا بآخره الى
اعراب اوله وربما اجرؤا اعراب آخره على اعراب اوسطه وربما اجرؤوا ذلك على نوع واحد
من الاعراب واستشهدوا على معنى الآية

لا يبعدون قومي الذين هم * سم العداوة وآفة الجزر

الساقلين بكل معترك * والطيبون معاهد الازر

وهذا على معنى اذكر السابقين وهم الطيبون ومن هذا المعنى تقول جاني قومك المطمئنين وهم
المعنيون والقول الثاني ان المقيمين الصلاة غير الراسخين في العلم وموضع المقيمين الصلاة خفض
بالعطف على قوله تعالى بما انزل اليك فعلى هذا القول يكون معنى الآية والمؤمنون يؤمنون
بما انزل اليك وما انزل من قبلك بالمقيمين الصلاة وهم الانبياء لانه لم يخل شرع احد منهم عن
اقامة الصلاة وقيل المراد بهم الملائكة لانهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وصحح الزجاج القول
الاول واختاره وصحح الطبري القول الثاني واختاره وقوله تعالى (والمؤتون الزكاة) عطف
على والمؤمنون لانه من صفتهم (والمؤمنون بالله واليوم الآخر) يعني والمصدقون بوحدانية الله
تعالى وبالبعث بعد الموت وبالواب وبالعقاب (اولئك) يعني من هذه الاوصاف صفته (سنؤتيهم
اجر عظيم) يعني سنعطيهم على ما كان منهم من طاعة الله واتباع امره ثوابا عظيما وهو الجنة
وقوله عز وجل (انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده) قال ابن عباس
قال سكين وهدى بن زيد يا محمد ما تعلم ان الله انزل على بشر من شيء من بعد موسى فأنزل الله
هذه الايات وقيل هو جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم
كتابا من السماء جلة واحدة فأجاب الله عز وجل عن سؤالهم بهذه الآية فقال انا اوحينا اليك يا محمد كما
اوحينا الى نوح والنبيين من بعده والمعنى انكم يا مشركي تفترون بنبوة نوح وبجميع الانبياء المذكورين
في هذه الآية وهم اثنا عشر نبيا والمعنى ان الله تعالى اوحى الى هؤلاء الانبياء وانتم يا مشركي اليهود
معتزون بذلك وما انزل الله على كل احد من هؤلاء المذكورين كتابا جلة واحدة مثل ما انزل
على موسى فلا يمكن عدم ازال الكتاب جلة واحدة على احد هؤلاء الانبياء قادحا في نبوته
فكذلك لم يكن ازال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم قادحا في نبوته بل قد انزل عليه كما

(وعلى الله فليترك المؤمنون
ولقد اخذ الله)
برؤية الافعال كلها منه
(ميثاق بني اسرائيل) هو
العهد المذكور والقباء
الاشناس منهم الخواس
الحسن الظاهرة والحسن
الباطن والقوة العاقلة
الطرية والعاقلة العلية
(وبعضهم اثني عشر
نفسا وقال الله اني معكم)
من اقم الصلوة وآيتكم الزكوة
في المقدس الاحق وافقكم
واعينكم لنا اقم بحقوق
التربية والتخليفة من
الاعراض عن السعادات
الدنية بالعبادة وترك
السعادات الخارجية بالزهد
وانار النالمة التي هي الايمان
برسل العقل والالهامات
والافكار الصائبة والخواطر
الصادقة من الروح والقلب
وامداد الملكوت وتعزيره
اي تعطيهم بتسليطهم على
شياطين الوهم وتقويتهم
ومنعهم وساوسها والقاء
الوهميات والخياليات
والخواطر النفسانية (وآتم
برسلي وعزرتهم
واقرضهم الله قرضا حسنا)
بالبراءة من الحول والقوة
والعلم والقدرة الى الله
بالجملة من الافعال والصفات

انزل عليهم قال المفسرون وانما بدأ الله عز وجل بذكر نوح عليه السلام لانه اول نبي بعث بشريعة
واول نذير على الشرك وانزل الله عز وجل عليه عشر صحائف وكان اول من عذبت امته
لردهم دعوته واهلك اهل الارض بدعائه وكان ابا البشر كآدم عليهما السلام وكان اطول الانبياء
عمرًا عاش الف سنة لم تنقص قوته ولم يشب ولم تنقص له سن وصبر على اذى قومه طول عمره
ثم ذكر الله الانبياء من بعده جلة بقوله تعالى والييين من بعده ثم خص جاعة من الانبياء
بالذكر لشرفهم وفضلهم فقال (واوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط)
وهم اولاد يعقوب وكانوا اثني عشر (وعيسى وابوب وبونس وهرون وسليمان وآتينا داود
زبوراً) يعني وآتينا داود كتاباً مزبوراً يعني مكتوباً وقيل الزبور بالفتح اسم للكتاب الذي
انزل على داود وهو مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام بل كلها تسبيح
وتقديس وتمجيد وثناء على الله عز وجل ومواظب وكان داود عليه السلام يخرج الى البرية
فيقوم ويقرا الربور ويقوم علماء بني اسرائيل خلفه ويقوم الناس خلف العلماء ويقوم الجن
خلف الناس والشياطين خلف الجن وتجي الدواب التي في الجبال فيقمن بين يديه وترفرف
الطير على رؤس الناس وهم يستمعون لقراءة داود ويتعجبون منها وقيل له كان ذلك
انس الطاعة وهذا ذل العصية (ق) عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لورائتي البارحة وانا استمع لقراءتك لقد اعطيت مزاراً من مزارير آل
داود قال الحميدي زاد البرقاني قلت والله يا رسول الله لو علمت انك تسمع لقراءتي لجرته لك تحميراً
التحير تحسين الصوت بالقراءة قال بعض العلماء انما لم يذكر موسى في هذه الآية لان الله انزل
عليه التوراة جلة واحدة وكان المقصود بذكر من ذكر من الانبياء في الآية انه لم ينزل على احد
كتاباً جلة واحدة فلذلك لم يذكر موسى عليه السلام قوله تعالى (ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل)
لما نزلت هذه الآية التقدمة قالت اليهود ما لموسى لم يذكر فانزل الله هذه الآية وفيها ذكر
موسى عليه السلام والمعنى واوحينا الى رسل قد قصصناهم عليك من قبل يعني سميناهم في القرآن
وعرفناك اخبارهم والى من بعثوا وما ورد عليهم من قومهم (ورسلا لم نقصهم عليك) اي
لم نسهمهم لك ولم نعرفك اخبارهم قال اهل المعاني الذي نوء الله بذكرهم من الانبياء يدل على تفضيلهم على
من لم يذكر ولم يسم وقوله تعالى (وكلم الله موسى تكليماً) يعني خاطبه مخاطبة من غير واسطة
لان تأكيد كلاً بالمصدر يدل على تحقيق الكلام وان موسى عليه السلام سمع كلام الله بلا شك
لان افعال المجاز لا تؤكد بالصادر فلا يقال اراد الخائض يسقط ارادة وهذا رد على من يقول
ان الله خلق كلاماً في محل فسمع موسى ذلك الكلام وقال القراء العرب تسمى كل ما يوصل
الى الانسان كلاماً باى طريق وصل لكن لا تحققة بالمصدر واذا حقق بالمصدر لم يكن
الاحقيقة الكلام فدل قوله تعالى تكليماً على ان موسى قد سمع كلام الله حقيقة من غير واسطة
وروى الطبري بسنده من عدة طرق عن كعب الاحبار قال لما كلم الله موسى عليه السلام كله
باللسنة كلها قبل كلامه يعني كلام موسى بلسانه فجعل موسى يقول يارب لا افهم حتى كله بلسانه
آخر اللسنة فقال يارب هكذا كلامك قال لو سمعت كلامي يعني على وجهه لم تك شيئاً قال موسى
يارب هل في خلقك شيء يشبه كلامك قال لا واقرب خلقي شياً بكلامي اشد ما يسمع الناس من

الصواعق * قال العلماء كما ان الله تعالى خص موسى عليه السلام بالتكليم وشرفه به ولم يكن ذلك قادحا في نبوة غيره من الانبياء فكذلك ازال التوراة عليه جلة واحدة لم يكن قادحا في نبوة من ازل عليه كتابه متفرقا من الانبياء * قوله عز وجل (رسلا مبشرين ومنذرين) يعني انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والتبيين من بعده ومن اولئك البين ارسلت رسلا الى خلق مبشرين من اطاعني واتباع امرى وصدق رسل بالثواب الجزيل في الجنة ومنذرين من عصاني وخالف امرى وكذب رسل بالعذاب الاليم في النار * وقيل هو جواب عن سؤال اليهود ازال الكتاب جلة واحدة والمعنى ان المقصود من بعثة الرسول هو ارشاد الخلق الى معرفة الله وتوحيده والايان به والاشتغال بعبادته وانذار من خالف ذلك وهذا المقصود يحصل بازال الكتاب جلة واحدة وبازاله نحو ما متفرقة بل ازاله متفرقا ولى وذلك ان النفوس قبل بعثة الرسل وازال الكتب عليهم لم تكن تعرف شيئا من العبادات ولم تالفها فاذا نزل الكتاب جلة واحدة وفيه جميع التكاليف ربما حصل في بعض نفوس العباد نفور من تلك التكاليف وتقل عليهم كما اخبر الله عن قوم موسى بقوله تعالى واذنقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه فلم يقبلوا احكام التوراة الابد شدته فلهذا السبب كان ازال القرآن نحو ما متفرقة اولى وقوله تعالى (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) يعني بعد ارسال الرسل وازال الكتب والمعنى لئلا يخرج الناس على الله في ترك التوحيد والطاعة بعدم الرسل فيقولوا ما ارسلت اليك رسولا وما ازلت علينا كتابا فبفيه دليل على انه لو لم يبعث الرسل لكان للناس عليه حجة في ترك التوحيد والطاعة وفيه دليل على ان الله لا يعذب الخلق قبل بعثة الرسل كما قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا * وفيه دليل لمذهب اهل السنة على ان معرفة الله تعالى لا تثبت الا بالسمع لان قوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل يدل على ان قبل بعثة الرسل تكون لهم الحجة في ترك الطاعات والعبادات * فان قلت كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل والخلق محجوجون بما نصب من الادلة التي النظر فيها موصل الى معرفته ووحدانيته كالمقبل

وفي كل شيء له آية * تدل على انه واحد

* قلت الرسول منبهون من رقاد الغفلة والجهالة وباضون الخلق الى النظر في تلك الدلائل التي تدل على وحدانيته سبحانه وتعالى ومبينون لها وهم وسائط بين الله تعالى وخلقهم ومدينون احكام الله تعالى التي افترضها على عباده ومبلغون رساله اليهم (ق) عن المغيرة بن شعبة قال قال سعد بن عبادة لو رأيت رجلا مع امرأتى لضربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انجبون من غيرة سعد والله لا ناغير منه والله اغير مني ومن اجل غيرة الله حرم الله الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا احدا يحب اليه العذر من الله من اجل ذلك بعث المنذرين والمبشرين ولا احد احب اليه المدحة من الله ومن اجل ذلك بعث الله المرسلين مبشرين ومنذرين وقوله تعالى (وكان الله عززا) يعني في انتقامه بمن خالف امره وعصى رسله (حكيم) يعني في ارساله الرسل * قوله تعالى (لكن الله يشهد بما ازل اليك) قال ابن عباس دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود فقال لهم انى والله اعلم انكم تعملون انى رسول الله فقالوا مانع ذلك فانزل الله هذه الآية وفي رواية عن ابن عباس ان رؤساء مكة اتوا رسول الله صلى الله

كلها ثم من الذات بالحو والافناء واسلامها الى الله (لا كفرن) عنكم سيناتكم) اى وجودات هذه الثلاث التي هي حجبكم وموانعكم عنكم (ولاد خلنكم جنات) من افعالى وصفاتى وذاتى (تجري من تحتها الانهار) علوم التوكل والرضا والتسليم والتوحيد وبالجملة علوم تجليات الافعال والصفات والذات فمن احتجب بعد ذلك العهد وبعث القباء منكم (فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل) المستقيم بالحقيقة (فيما تقضهم مبشاهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرمون الكلم عن مواضعه) قست باسنيلاء صفات الفسر عليها وميلها الى الامور الارضية الجاسية الصلية فحجبت عن انوار الملكوت والجبروت التي هي كلمات الله واستبدلوا قوى نفوسهم بها واستعملوا وهياتهم وخيالاتهم بدل معارفها وحقايقها من المعاني العقلية او خلطوها بها وذلك هو تحريف الكلم مواضعه (ونسوا حظا) اى نصيبا وافر مما اوتوه

في العهد السابق من الكمالات
الكامنة في استعدادهم
بالقوة فذكروا به في العهد
اللاحق (ولا تزال تطلع
على خائفة منهم الاقلية
منهم فاعف عنهم واصفح)
على نقض عهد ومنع
امانة لاستيلاء صفات
الفس والشیطان عليهم
وقساوة قلوبهم (ان الله يحب
المحسنين) الذين يشاهدون
ابتلاء الله اياهم فلا يقابلونهم
بالعقاب فيستعملون معهم
الصفح والرفق (ومن الذين
قالوا ان انصارى اخذنا
ميثاقهم ففسخوا حفظا
بما ذكروا به فاعزينا بينهم
العداوة والبغضا الى يوم
القيمة وسوف) اى
الزمانهم ذلك لخالف
دواعي قواهم السبعية
والبيعية والشیطانية وميلهم
الى الجهلة السفلية الموجب
للتضاد والتعاند لاحتجابهم
عن نور التوحيد وبعدهم
عن العالم القدسي الذي
فيه المقاصد الكلية لا تقتضى
التجاذب والتعاند الى وقت
قيامهم بظهور نور الروح
والقيامة الكبرى بظهور
نور التوحيد (يذهبهم الله
بما كانوا يصنعون) يعقاب
ما صنعوا عند الموت وظهور

عليه وسلم فقالوا يا محمد اناس اتنا عنك اليهود وعن صفتك في كتابهم فزعموا انهم لا يعرفونك فانزل
الله عز وجل لكن الله يشهد بما اُنزل اليك يعني ان جسدك هو لاء اليهود يا محمد وكفروا بما اوحينا
اليك وقالوا ما اُنزل الله على بشر من شيء فقد كذبوا فيما ادعوا فان الله يشهدك بالبوة ويشهد بما
اُنزل اليك من كتابه ووحيه والمعنى ان اليهود وان شهدوا ان القرآن لم ينزل عليك يا محمد لكن الله
يشهد بانه اُنزل عليك وشهادة الله انما عرفت بسبب انه اُنزل هذا القرآن البالغ في الفصاحة والبلاغة
الى حيث عجز الاولون والآخرين عن معارضته والاثبات بمثله فكان ذلك مجزا واطهار
المعجزة شهادة بكون المدعى صادقا لاجرم قال الله تعالى لكن الله يشهدك يا محمد بالبوة بواسطة
هذا القرآن الذي اُنزل عليك (اُنزله بعلمه) يعني انه تعالى لما قال لكن الله يشهد بما اُنزل اليك
بين صفة ذلك الانزال وهو انه تعالى اُنزله بعلم تام وحكمة بالغة وقيل معناه اُنزله وهو عالم بانك
اهل لانزاله عليك وانك مبلغه الى عبادته وقيل معناه اُنزله بعلم من مصالح عبادته في اُنزاله عليك
(والملائكة يشهدون) يعني يشهدون بان الله اُنزله عليك ويشهدون بتصديقك وانما عرفت
شهادة الملائكة لان الله تعالى اذا شهد بشيء شهدت الملائكة بذلك الشيء وقد ثبت ان الله يشهد
بانه اُنزله بعلمه فلذلك الملائكة يشهدون بذلك (وكفى بالله شهيدا) يعني وحسبك يا محمد ان
الله يشهدك وكفى بالله شهيدا وان لم يشهد معه احد غيره ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عن
شهادة اهل الكتاب له فان الله يشهد له وملائكته كذلك قوله عز وجل (ان الذين كفروا)
يعنى جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهم اليهود (وصدوا عن سبيل الله) يعنى منعوا غيرهم
عن الايمان به بكتمان صفته والقاء الشبهات في قلوب الناس وهو قولهم لو كان محمد رسولا لاتي
بكتاب من السماء جلة واحدة كاتى موسى بالتوراة (قدضلوا ضلالا بعيدا) يعنى عن طريق
الهدى (ان الذين كفروا وظلوا) يعنى كفروا بالله وظلوا محمدا صلى الله عليه وسلم بكتمان
صفته وظلوا غيرهم بالقاء الشبهة في قلوبهم (لم يكن الله ليغفر لهم) يعنى لمن علم منهم انهم يموتون
على الكفر وقيل معناه لم يكن الله ليستر عليهم قبايح افعالهم بل يفضحهم في الدنيا وبعاقبهم عليها
بالقتل والسبي والجلاء وفي الآخرة بالار وهو قوله تعالى (ولا يهديهم طريقا) يعنى ينجون
فيه من النار وقيل ولا يهديهم طريقا الى الاسلام لانه قد سبق في علمه انهم لا يؤمنون (الاطريق
جهنم) يعنى لكسبه تعالى يهديهم الى طريق يؤدى جهنم وهى اليهودية الماسية في علمه انهم اهل
لذلك (خالدين فيها) يعنى في جهنم (ابدا وكان ذلك على الله يسيرا) يعنى هينا قوله عز
وجل (يا ايها الناس) هذا خطاب عام يدخل فيه جميع الكفار من اليهود والنصارى وعبدة
الاصنام وغيرهم وقيل هو خطاب لمشركى العرب (قد جاءكم الرسول) يعنى محمد صلى الله عليه
وسلم (بالحق) يعنى بدين الاسلام الذى ارتضاه الله لعباده وقبل جاء بالقرآن الذى هو الحق
(من ربكم) يعنى من عند ربكم (فآمنوا خير لكم) يعنى فآمنوا بما جاءكم به محمد صلى الله
عليه وسلم يكن الايمان بذلك خيرا لكم يعنى من الكفر الذى انتم عليه (وان تكفروا) يعنى
وان تمجدوا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وتكذبوا بما جاءكم به من الحق من ربكم (فان الله
ما فى السموات والارض) يعنى فان الله هو الغنى عن ايمانكم لانه ما فى السموات والارض
ملكا وعبدا ومن كان كذلك لم يكن محتاجا الى شيء وانه قادر على ما يشاء (وكان الله عليما)

يعني بما يكون منكم لا يخفى عليه شيء من اعمال عباده فيجزي كل حامل بعمله (حكيمًا) يعني في تكليفكم مع علمه بما يكون منكم * قوله عز وجل (يا اهل الكتاب) نزلت هذه الآية في النصارى وذلك ان الله تعالى لما اجاب عن شبه اليهود فيما تقدم من الآية اتبع ذلك بابطال ما تعتقده النصارى * واصناف النصارى اربعة يعقوبة والمكائبة والنسطورية والمرقسية فأما يعقوبة والمكائبة فقالوا في عيسى انه الله وقالت النسطورية انه ابن الله وقالت المرقسية ثالث ثلاثة وقبل انهم يقولون ان عيسى جوهر واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون باقنوم الاب الذات باقنوم الابن عيسى وباقنوم روح القدس الحياة الحسنة فيه فتقديره عندهم الاله ثلاثة وقيل انهم يقولون في عيسى ناسوتية والوهية فناسوتيته من قبل الام والوهية من قبل الاب تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً يقال ان الذي اظهر هذا للنصارى رجل من اليهود يقال له بواص تصرودس هذا في دين النصارى ليضلهم بذلك وسأني قصته في سورة التوبة ان شاء الله تعالى * وقيل بمحتمل ان يكون المراد باهل الكتاب اليهود والنصارى جميعاً فانهم غلوا في امر عيسى عليه السلام فاما اليهود فانهم بالغوا في التقصير في امره حتى حطوه عن منزلته حيث جعلوه مولود الفير رشدة وغلّت النصارى في رفع عيسى عن منزلته ومقداره حيث جعلوه آلهاً فقال الله تعالى ردا عليهم جميعاً يا اهل الكتاب (لا تغفلوا في دينكم) واصل الغلو مجاوزة الحد وهو في الدين حرام والمعنى لا تغفلوا في امر عيسى ولا تحطوه عن منزلته ولا ترفعوه فوق قدره ومنزلته (ولا تغفلوا على الله الاالحق) يعني لا تقولوا ان له شريكاً وولداً وقبل معناه لا تصفوه بالحلول والاتحاد في بدن الانسان ونزهوا الله تعالى عن ذلك ولما منعهم الله من الغلو في دينهم ارشدهم الى طريق الحق في امر عيسى عليه السلام فقال تعالى (انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله) يقول انما المسيح هو عيسى ابن مريم ليس له نسب غير هذا وانه رسول الله فمن زعم غير هذا فقد كفر واشترك (وكنهه) هي قوله تعالى كن فكان بشر من غير اب ولا واسطة (القاهالي مريم) يعني اوصلها الى مريم (وروح منه) يعني انه كسائر الارواح التي خلقها الله تعالى وانما اضافته الى نفسه على سبيل التشريف والتكريم كما يقال ببت الله وناقته الله وهذه نعمة من الله يعني انه تفضل بهاء وقيل الروح هو الذي نفخ فيه جبريل في جيب درع مريم فحملت باذن الله وانما اضافته الى نفسه بقوله منه لانه وجد بأمر الله * قال بعض المفسرين ان الله تعالى لما خلق ارواح البشر جعلها في صلب آدم عليه السلام وامسك عنده روح عيسى عليه السلام فلما اراد الله ان يخلقه ارسل بروحه مع جبريل الى مريم فنفخ في جيب درعها فحملت بعيسى عليه السلام * وقيل ان الروح والريح متقاربان في كلام العرب فالروح عبارة عن نفخ جبريل عليه السلام وقوله منه يعني ان ذلك النفخ كان بأمره واذنه * وقيل ادخل النكرة في قوله وروح على سبيل التعظيم والمعنى روح واي روح من الارواح القدسية العالية المطهرة وقوله منه اضافته تلك الروح الى نفسه لاجل التشريف والتكريم (ق) عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبده ورسوله وكنهه القاهالي مريم وروح منه والجنة والارحى ادخله الله الجنة على ما كان له من العمل * وتوابعه تعالى (فآمنوا بالله ورسوله)

الجرمان والخسران
بظهور الهيشات القبيحة
المؤذية الراسخة فيهم
(يا اهل الكتاب قد جاءكم
رسولنا بين لكم كثيراً مما
كنتم تخفون من الكتاب
وبعضوا عن كثير قد جاءكم
من الله نور وكتاب مبين
يهدي به الله من اتبع رضوانه
سبل السلام ويخرجهم
من الظلمات النور باذنه
ويهديهم الى صراط مستقيم
لقد كفر الذين قالوا ان الله
هو المسيح بن مريم) بان
حصروا الالهية فيه
وقيدوا الاله بتعيينه (قل فمن
ملك من الله شيئاً ان اراد
ان يهلك المسيح بن مريم
واتمه ومن في الارض
جبراً) بالافاء في التوحيد
والطمس في غير الجمع كما قال
كل شيء هالك الا وجهه
(ولله ملك السموات) اي
حالم الارواح (والارض)
حالم الاجسام (وما بينهما)
يخلق ما يشاء والله على كل
شيء قدير من الصور
والاعراض كلها ظاهرة
وباطنة واسمؤه وصفاته
وافعاله (وقالت اليهود
والنصارى نحن اباء الله
واجباؤه قل فلم يعذبكم

يعني فصدقوا يا اهل الكتاب بوجدانية الله وانه لا ولد له وصدقوا رسله فيما جاؤكم به من عند الله وصدقوا بان عيسى عليه السلام من رسل الله قآمنوا به ولا تتجملوه آثم اوقوله تعالى (ولا تقولوا ثلاثة) يعني ولا تقولوا الآلهة ثلاثة وذلك ان النصارى يقولون ابواب وروح القدس وقيل انهم يقولون ان الله بالجواهر ثلاثة اقانيم وذلك انهم اثبتوا ذاتا موصوفة بصفات ثلاثة بدليل انهم يمجّزون على تلك الدات الحلول في عيسى وفي مريم فاثبتوا ذاتا متعددة وهذا هو محض الكفر فلماذا قال الله تعالى ولا تقولوا ثلاثة (انتهوا خير لكم) يعني يكن الانتهاء عن هذا القول خيرا لكم من القول بالتثليث ثم نزه الله تعالى نفسه عن قول النصارى بالتثليث فقال تعالى (انما الله آله واحد) ثم نزه نفسه عن الولد فقال (سبحانه ان يكون له ولد) يعني لا ينبغي ان يكون له ولد لان الولد جزء من الاب وتعالى الله عن التجزئة وعن صفات الحدوث (له ما في السموات وما في الارض) يعني انه تعالى له ملك السموات والارض وما فيها عبيده وملكه وعيسى ومريم من جملة من فيهما فمهما عبيده وملكه فاذا كانا عبيدين له فكيف يعقل مع هذا ان له ولدا وزوجة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وهذا بيان لتزييه مما نسب اليه من الولد والمعنى ان جميع ما في السموات والارض خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزءا منه لان التجزئة انما تصح في الاجسام والله تعالى منزّه عن صفات الاعراض والاجسام (وكفى بالله وكيفا) يعني انه تعالى كاف في تدبير جميع خلقه فلا حاجة له الى غيره وكل الخلق محتاجون اليه وفقراء اليه وهو غني عنهم * وقوله تعالى (لن يستكف المسيح ان يكون عبدا لله) وذلك ان وفد نجران قالوا يا محمد انك تعيب صاحبنا فتقول انه عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه ليس بعار على عيسى ان يكون عبدا لله فنزلت لن يستكف المسيح يعني لن يأنف ولن يتعظم والاستكفاف الاستكثار مع الانفة يقال نكفت من كذا واستكفت منه اي انفت منه واصله من نكفت النسيء نجته ونكفت الدمع اذا نجته باصبعك من خدك والمعنى لن يقبض ولن يمتنع ولن يأنف المسيح ان يكون عبدا لله (ولا الملائكة المقربون) يعني ولن يستكف الملائكة المقربون وهم جملة العرش والكروبيون وافاضل الملائكة مثل جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ان يكونوا عبيدا لله لانهم في ملكه ومن جملة خلقه وقبل لما ادعت النصارى في عيسى انه ابن الله وذلك لما رأوا منه خوارق العادات من احياء الموتى وبراء الاكهم والابرص وغير ذلك من المعجزات اجاب الله تعالى عن هذه الشبهات التي وقعت للنصارى بان عيسى من شرف قدره وكرامته لن يستكف ان يكون عبدا لله وكذلك الملائكة المقربون فانهم مع كرامتهم وعلو منزلتهم لن يستكفوا ان يكونوا عبيدا لله * وقد يستدل بهذه الآية من يقول بتفضيل الملائكة على البشر ووجه الدليل ان الله تعالى ارتقى من عيسى الى الملائكة ولا يرتقى الا من الادنى الى الاعلى ولا جلة لهم فيه * والجواب عند ان الله تعالى لم يقل ذلك رفعا لمقامهم بل على مقام البشر بل قاله ردا على من يقول ان الملائكة بات الله وانهم آلهة كما رد على النصارى قولهم ان المسيح ابن الله وقاله ايضا ردا على النصارى فانهم يقولون بتفضيل الملائكة يعني كان المسيح عبدا لله فكذلك الملائكة عبيدا لله * وقوله تعالى (ومن يستكف عن عبادته ويستكبر) يعني ومن يتعظم عن عبادة الله ويأنف من التذلل لله والخضوع والطاعات من جميع خلقه (فيسحقهم الله جعجا) يعني يسحقهم يوم القيامة

بذنوبكم بل انتم بشر من خلق ينفركم بشاء ويعذب من يشاء والله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولا بين لكم بلى فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير قد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير واذا قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمت الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا وآثامكم ما لم يؤث احدا من العالمين يا قوم ادخلوا الارض المقدسة اي حضرة القلب التي هي مقام تجلي الصفات فانه بالنسبة الى سماء الروح ارض (كتب الله لكم) عين لكم في القضاء السابق وادع في استعدادكم الوصول اليها والمقام بها (ولا ترتدوا على ادباركم) في الميل الى مدينة البدن والاقبال عليه بتحصيل ما ربه ولذاته وطلب موافقته وتزيين هيئاته فانه مقام خلف مقامكم وادنى واسفل من رتبكم (فتقلبوا خاصرين) باستبدال ظلمات البدن بانوار القلب وخباثته بطيباته (قالوا يا موسى

لوعدهم الذي وعدهم حيث لا يمكنون لانفسهم شيئا (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم) يعني يوفيهم جزاء اعمالهم الصالحة (ويزيدهم من فضله) يعني ويزيدهم على ما اعطاهم من الثواب على اعمالهم الصالحة من التضعيف على ذلك مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (واما الذين استكفوا واستكبروا) يعني الذين انغوا وتكبروا عن عبادة الله تعالى (فيعذبهم عذابا ليلا ولا يجردون لهم من دون الله) يعني من سوى الله لانفسهم (وليا) يعني ينجيهم من عذابه (ولا نصيرا) يعني ولا ناصرا ينصرهم منه ويدفع عنهم عقوبته * بقى في الآية سؤال وهو ان التفصيل غير مطابق للمفصل لان التفصيل اشتمل على ذكر فريقين وهو قوله فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم واما الذين استكفوا واستكبروا والمفصل اشتمل على ذكر فريق واحد وهو قوله ومن يستكف عن عبادته ويستكبر * والجواب انه لا اشكال فيه فهو مثل قولك جميع الامام الخوارج فن لم يخرج عليه كساه وحله ومن خرج عليه بكل * وصحة ذلك لوجهين * احدهما انه حذف ذكر احد الفريقين لدلالة التفصيل عليه لان ذكر احدهما يدل على ذكر الثاني * والوجه الثاني ان الاحسان الى غيرهم مما يفهم فكان داخلا في جملة التكميل بهم فكأنه قال ومن يستكف عن عبادته ويستكبر فيعذبهم بالحسرة وانما اذاروا اجور الطمعين العالمين لله تعالى * قوله عز وجل (يا ايها الناس) خطاب للكافة (فذبحكم برهان من ربكم) يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من البينات من ربه عز وجل وانما ساء برهاننا لما به من المعجزات الباهرة التي تشهد بصدقه ولان البرهان دليل على اقامة الحق وابطال الباطل والبي صلى الله عليه وسلم كان كذلك ولانه تعالى جعله حجة قاطعة قطع به عذر جميع الخلاق (واترانا اليكم نورا مينا) يعني القرآن وانما ساء نورا لان به تدبين الاحكام كاتبة الاشياء بالنور بعد الظلام ولانه سبب لوقوع نور الايمان في القلب فسماء نورا لهذا المعنى (فاما الذين آمنوا بالله) يعني صدقوا بوحداية الله وبما ارسل من رسول واتزل من كتاب (واعتصموا به) يعني بالله فان ينتهم على الايمان ويعصونهم عن زيغ الشيطان وقيل في معنى واعتصموا به اي وعصكوا بالنور وهو القرآن الذي اتراه على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (فسيدخلهم في رحمة منه) يعني فسيدخلهم في رحمة التي ينجيهم بها من اليم عذابه قال ابن عباس الرحمة الجنة (وفضل) يعني ما يفضل به عليهم بعد ادخالهم الجنة مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (ويهديهم الى صراطا مستقيما) يعني ويوفقهم لاصابة فضله الذي يفضل به عليهم ويسددهم لسلوك منهج من انهم عليه من اهل طاعته وارشدهم لديه الذي ارتضاه لعباده وهو دين الاسلام * قوله تعالى (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة) زلت في جابر بن عبد الله الانصاري (ق) من جابر بن عبد الله قال مرضت فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وابوبكر بعوداني ماشيين فاغنى على فوضأ النبي صلى الله عليه وسلم ثم صب على من وضوئه فاقت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله كيف اصنع في مالي كيف اقضي في مالي فلم يرده على شيئا حتى زلت آية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة وفي رواية فقلت يا رسول الله انما رثي كلاله فقلت آية الميراث قال شعبة فقلت لحمد بن المكدر يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة قال هكذا زلت وفي رواية للترمذي

ان فيها قوما جبارين) من سلطان الوهم وامراء الهوى والغضب والشهوة وسائر صفات النفس الفرعية اخذوها عنوة وقهرا واستولوا عليها مستعلين يجبرون كلا على هواهم مالههم يدان ولا يقدر على مقاومتهم قالوا ذلك لاعتقادهم بالذات الطبيعية والشهوات الجسمانية وغلبة الهوى عليهم فلم يقدروا على الرابضة وقمع الهوى وكسر صفات النفس بالمجاهدة (وانان ندخلها حتى نخرجوا منها فان يخرجوا منها فانادوا خلون) اي يصرفهم الله عنها بلا رياضة منا وبمجاهدة او ينصرفوا بالطبع مع احالته او يفسدوا عن الاستبلاء كما في الشيوخة مع امتناع دخولهم فيها حينئذ قال رجلا من الذين يخافون (كانا من القباء الاثني عشر وهم العقل الظري والعقل العلى يخافون سوء عاقبة ملازمة الجسم ووبال العقوبة بمشاته المظلة) انهم الله عليهما) بالهداية الى الطريق المستقيم والدين

وكانلى تسع اخوات حين نزلت آية الميراث يستفتونك قل الله يفتيك في الكلالة ولا في داود
قال اشتكت وعندي سبع اخوات فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ففتح في وجهي
فاثقت فقلت يا رسول الله الاوصى لاختي بالثلثين قال احسن قلت بالشر قال احسن ثم
خرج وتركني فقال يا جابر لا اراك ميتا من وجعك هذا وان الله قد انزل في الذي لاخوانك فجعل
لهن الثلثين قال فكان جابر يقول انزلت هذه الآية في يستفتونك قل الله يفتيك في الكلالة* وروى
الطبري عن قتادة ان الصحابة اهتموا شأن الكلالة فسالوا عنها نبي الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه
الآية* وروى عن ابن سيرين قال نزلت يستفتونك قل الله يفتيك في الكلالة والنبي صلى الله عليه وسلم
في مسير له والى جنبه حذيفة بن اليمان فبلغها النبي صلى الله عليه وسلم حذيفة وبلغها حذيفة عن ابن الخطاب
وهو يسير خلفه فلما استخلف عرسا حذيفة عنها ورجا ان يكون عنده تفسيرها فقال له حذيفة والله انك
له اجر ان ظننت ان امارتك تحملني ان احثك فيما مالم احثك به ثم قال عرلم ارد هذا رجك الله
واما التفسير فقوله تعالى يستفتونك يعني يسألونك ويستخبرونك عن معنى الكلالة بالمحمد قل الله يفتيك
في الكلالة يعني ان الله هو يخبركم عما سألتم عنه من امر الكلالة وقد تقدم في اول السورة الكلام على
معنى الكلالة من حيث الاشتقاق وغيره وان اسم الكلالة يقع على الوارث وعلى الموروث فان وقع على
الوارث فهم من سوى والد الوالد وان وقع على الموروث فهم من مات ولا يرثه احد الابوين ولا احد
الاولاد* وقوله تعالى (ان امرؤ هلك) يعني مات سمي الموت هلا كالانه اعدام في الحقيقة (ليس له
ولد) يعني ولا والد فاكتفى بذكر احدهما عن الآخر ويدل على المحذوف ان السؤال في الفتيا انما كان
في الكلالة وقد تقدم ان الكلالة من ليس له ولد ولا والد (وله اخت) يعني ولذلك الهالك اخت و اراد
بالاخت من ابيه وامه او من ابيه (فها نصف ماترك) يعني فلاخت الميت نصف تركته وهو فرضاها اذا
انفردت وباقي المال لبيت المال اذا لم يكن للميت عسبة وهذا مذهب زيد بن ثابت وبه قال الشافعي
وعند ابي حنيفة واهل العراق يراد بالباقي عليها فاذا كان للميت بنت اخذت النصف بالفرص وتأخذ
الاخت النصف الباقي بالتعصيب لا بالفرض لان الاخوات مع البنات عسبة* وقوله تعالى (وهو يرثها
ان لم يكن لها ولد) يعني ان الاخت اذا ماتت وتركها من الاب والام او من الاب فانه يستغرق جميع
ميراث الاخت اذا انفرد ولم يكن للاخت ولد وهذا اصل في جميع العصابات واستغراقهم جميع المال فاما
الاخ من الام فانه صاصب فرض لا يستغرق جميع المال وقد تقدم بيانه (فان كانتا اثنتين فلها
الثان مما ترك) اراد بثنين فصاعدا وهو ان من مات وترك اثنتين او اخوات فلهن الثلثان مما ترك
الميت (وان كانوا اخوة رجالا ونساء فلاذ كرمثل حظ الاثنين) يعني وان كان المتركون
من الاخوة رجالا ونساء فلاذ كرمثل نصيب اثنتين من اخواته الاناث (بين الله لكم ان تضلوا)
يعني بين الله لكم هذه القرائن والاحكام لتلاضلوا وقيل معناه كراهية ان تضلوا وقيل بين
الله الضلالة ليجنبوها (والله بكل شيء عليم) يعني من مصالح عباده التي حكم بهامن قسمة الموارث
وبان الاحكام وغير ذلك لان علمه محيط بكل شيء (ق) عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال ان آخر
سورة نزلت تامة سورة التوبة وان آخرة نزلت آية الكلالة وفي رواية لمسلم قال آخرة نزلت
يستفتونك وروى عن ابن عباس ان آخرة نزلت آية الربا وآخر سورة نزلت اذا جاء نصر الله
والفتح وروى عنه ان آخرة نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وروى ان النبي صلى الله

القوم (ادخلوا عليهم
الباب) باب قرية القلب
وهو التوكل بجعل الاضال
كان باب قرية الروح هو
الرضا (فاذا دخلتموه)
دخلتم مقام التوكل الذي
هو باب القرية (فانكم
غالبون) بخروجكم من
افعالكم وعن احوالكم
وبكونكم فاعلين بالله واذا
كان الحول والقوة بالله
يهرب شيطان الوهم والخيال
والهوى والغضب منكم
فغلبتم عليهم ويدل على
ان الباب هو التوكل قوله
(وعلى الله فتوكلوا ان كنتم
مؤمنين) بالحقيقة اذا لايان
بالنية عن المؤمن به اقل
درجات حضور تجلي
الافعال (قالوا يا موسى)
اي اصروا على ابائهم
وامتناعهم عن الدخول (انا
لن ندخلها ابدا ماداموا
فيها فاذهب انت وربك)
اي ان كنت نبيا فادفعهم
منابرة نفسك واقع
الهوى وتلك القوى فينا
بلارياضة ومجاهدة مناوئل
ربك يدفعها عنا كما يقول
الشارح والوعد عند
موعظتك اياهم وزجرك
وتهديدك لهم ادفع بهمك

عليه وسلم ماش بعد نزول سورة النصر سنة ونزلت بعدها سورة براءة وهي آخر سورة نزلت كاملة فماش بعدها ستة اشهر هكذا ذكره البغوي وفيه نظر لانه قد ثبت في الصحيحين من حديث ابي بكر الصديق رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم بعثه في الحجلة التي امره عليها قبل حجة الوداع في رهط يؤذن في الناس يوم النحر الا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ثم اردف النبي صلى الله عليه وسلم بعلي بن ابي طالب فامرهم ان يؤذن براءة قال ابو هريرة فاذن معنا في اهل منى براءة الا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وكانت حجة ابي بكر هذه سنة تسع قبل حجة الوداع بسنة قال البغوي ثم نزلت في طريق حجة الوداع يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلاله فسبغت آية الصيف ثم نزلت وهو واقف بعرفة اليوم اكملت لكم دينكم فماش بعدها احدا وثمانين يوما ثم نزلت آية الرابعم نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وعشرين يوما وهذا آخر تفسير سورة النساء والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه * (تفسير سورة المائدة) *

نزلت بالمدينة الا قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم فانها نزلت بعرفة في حجة الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة فقراها النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته وقال يا ايها الناس ان سورة المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرمو احرامها فان قلت لم يخص النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة من بين سور القرآن بقوله فاحلوا حلالها وحرمو احرامها وكل سور القرآن يجب ان يحل حلالها ويحرم حرامها قلت هو كذلك وانما خص هذه السورة لزيادة الاعتناء بها فهو كقوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظنوا فيمن انفسكم فاكذاجتباب الظلم في هذه الاربعة اشهر وان كان لا يجوز الظلم في شيء من جميع اشهر السنة وانما افرد هذه الاربعة الاشهر بالذكر لزيادة الاعتناء بها وقبل انما خص النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة لان فيها ثمانية عشر حكما لم تنزل في غيرها من سور القرآن قال البغوي روى عن ميسرة قال ان الله تعالى انزل في هذه السورة ثمانية عشر حكما لم ينزلها في غيرها وهي قوله والمنخقة والموقوذة والمتريدة والمنطيخة وما اكل السبع الا ما ذكيت وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالاذلام وما علمتم من الجوارح مكلبين وطعام الذين اتوا الكتاب حل لكم والمحصنات من الذين اتوا الكتاب وتما بان الظن في قوله اذا قمتم الى الصلاة والسارق والسارقة ولا تقتلوا الصيد وانتم حرم ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا صيلة ولا حام وقوله بينكم اذا حضر احدكم الموت

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

* قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود) يعنى اليهود قاله الجماعة واختلفوا في المراد بهذه العقود التي امر الله تعالى بوفائها فقال ابن جريج هذا خطاب لاهل الكتاب والمعنى يا ايها الذين آمنوا بالكتب المتقدمة اوفوا بالعقود التي عهدتها اليكم في شأن محمد صلى الله عليه وسلم والايمان به وقيل هو خطاب للمؤمنين امرهم بالوفاء بالعقود قال ابن عباس هي يهود الايمان وما اخذه على عباده في القرآن فيما احل وحرّم وقيل هي العقود التي كانت في الجاهلية كان يعاقب بعضهم بعضا على النصرة والمؤازرة على من حاول ظله او بغاه بسوء وذلك هو معنى الحلف الذي كانوا يعاقبونه بينهم قال قتادة ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اوفوا بعقد الجاهلية ولا تحذوا عقدا

هنا هذه الشقاوة وما استهزاء وعنادا واما جدا واعتقادا (فقاتلانا ههنا قاء دون) ملازمون مكانا في مقام النفس معتكفون على هوى نفوسنا ولذات ابداننا كما قالوا حطأ سمعنا (قال رب انى لاملك الانفسي واخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قال فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتنبون في الارض) هي مدة بقائهم في مقام النفس اى بقوا في تيه الطبيعة يتجربون اربعين سنة الى قرية القلب فان دخول مقام القلب مع استيلاء جبابرة صفات النفس عليه حرام ممتنع ولهذا قال بلغ اشدّه وبلغ اربعين سنة فانه وقت البلوغ الحقيقى وقيل في قصة التيه انهم كانوا يسرون حاذين طول النهار في ستة فرائخ فاذا امسوا كانوا على المقام الذى ارتحلوا عنه اى كان سعيهم

في الاسلام وقيل بل هي العقود التي يتعاقد بها الناس بينهم وما يقدره الانسان على نفسه والعقود
خمس عقد البين وعقد النكاح وعقد العهد وعقد البيع وعقد الشركة زاد بعضهم وعقد الحلف
قال الطبري واولى الاقوال عندنا بالصواب ما قاله ابن عباس ان معناه اوفوا بما اتممتموه
بقوله الله التي اوجبها عليكم وعقدها فيما احل وحرّم عليكم والزمكم فرضه وبين لكم حدوده
وانما قلنا ان هذا القول اولى بالصواب لان الله تعالى اتبعه بالبيان عما احل لعباده وحرّم عليهم فقال
تعالى (احلت لكم بهيمة الانعام) وهو خطاب للمؤمنين خاصة والبيمة اسم لكل ذي اربع
من الحيوان لكن خص في التعريف بما عدا السباع والضواري من الوحوش وانما سميت بهيمة لانها
ابهمت عن العقل والتمييز قال الزجاج كل حي لا يميز فهو بهيمة والانعام جمع ام وهي الابل
والبق والغنم ولا يدخل فيها ذوات الحافر في قول جميع اهل اللغة واختلفوا في معنى الآية فقال
الحسن وقتادة بهيمة الانعام الابل والبق والغنم والمزوء على هذا القول انما اضاف البهيمة الى
الانعام على جهة التوكيد وقال الكلبي بهيمة الانعام وحشها كالغطاء وبقر الوحش وعلى هذا
انما اضاف البهيمة الى الانعام ليعرف جنس الانعام وما احل منها لانه لو افردتها فقال البهيمة
لدخل فيه ما يحل ويحرم من البهائم فلذلك قال تعالى احلت لكم بهيمة الانعام وقال ابن عباس هي
الاجنة التي توجد ميتة في بطون امهاتها اذا ذبحت او نحرمت ذهب اكثر العلماء الى تحليها وهو
مذهب الشافعي ويدل عليه ما روى عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في الجنين
ذكاته ذكاة امه اخرجه الترمذي وابن ماجه وفي رواية ابي داود قال قلنا يا رسول الله نحر المائقة
ونذبح البقرة والشاة ونجد في بطنها الجنين انلقه امه نأكله قال كلوه ان شئتم فان ذكاته ذكاة امه
وروى الطبري عن ابن عمر في قوله احلت لكم بهيمة الانعام قال ما في بطنها قال عطية العوفي قلت ان خرج
ميتا آكله قال نعم هو بمنزلة رثتها وكبدها وعن ابن عباس قال الجنين من بهيمة الانعام وعنه ان
بقرة نحرمت فوجد في بطنها جنين فاخذ ابن عباس بذنب الجنين وقال هذا من بهيمة الانعام
وشرط بعضهم الاشعار وتام خلق قال ابن عمر ذكاة ما في بطنها ذكاتها اذا تم خلقه ونبت شعره
ومثله عن سعيد بن المسيب وقال ابو حنيفة لا يحل اكل الجنين اذا خرج ميتا بعد ذكاة الام وقوله تعالى
(الا ما ينل عليكم) يعني في القرآن تحريمه واراد به قوله تعالى حرمت عليكم الميتة الى آخر الآية
فهذا من المتلوعطينا وهو ما استثنى الله عز وجل من بهيمة الانعام (غير محلي الصيد وانتم حرم)
يعني احلت لكم الانعام كلها والوحشية ايضا من الغطاء والبقر والحمر غير محلي صيدها وانتم
محرمون في حال الاحرام فلا يجوز للمحرم ان يقتل صيدا في حال احرامه (ان الله يحكم
ما يريد) يعني ان الله يقضي في خلقه ما يشاء من تحليل ما اراد تحليله وتحريم ما اراد تحريمه وفرض
ما يشاء ان يفرضه عليهم من احكامه وفرائضه مما فيه مصلحة لعباده قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا
لا تحلوا اشعار الله) نزلت في الخطم واسمه شريح بن هند بن ضبة البكري اتي المدينة وحده وخلف
خيله خارج المدينة ودخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا يجي صلى الله عليه وسلم الام تدعو
الناس فقال الى شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلاة واتيء الزكاة فقال حسن الان الى امراء لا قطع
امرا دونهم ولعل اسمي وآتي بهم فخرج من عنده وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا صحابه يدخل عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان فلا يخرج شريح قال النبي صلى الله

في تحصيل المناهج الجماعية
والمباغى البدنية المحصورة
في الجهات الست ولم يخرجوا
عن الجهات بالبحر فكانوا
على المقام الاول لعدم
توجههم الى سمت القلب
بطلب التجرد والتزهد عن
الهيئات البدنية والصفات
النفسانية وكان ينزل من
السما بالليل عود من نار
يسبرون وينتفعون بضوئه
في ينزل عليهم نور عقل
المعاش من سماء الروح
فيبتدون به الى مصالحهم
وقيل من نار لانه عقل
مشوب بالوهم ليس عقلا
صرفا والا لاهتدوا به الى
طريق القلب واتم التمام
والمن والسلوى فقدمت
ذكرها وتأويلها وقيل
كان على كل مولود ولد
في ائبه قبص بقدر قامة
يزيد بزيادته يعنون به
لباس البدن والله اعلم
وان شئت ان تطبق القصة
على حالك اوتت موسى
بالقلب وهرون بالروح

عليه وسلم لقد دخل بوجه كافر وخرج بقفا قادر ومال الرجل بمسلم فربسرح من مسرح المدينة فاستاقه وانطلق به وهو يرتجز ويقول

قدلفها بالليل سواق حطم * نيس براعى ابل ولاظم
ولايجزار على ظهر وضم * باتواياما وابن هند لم ينم
بنت يقاسيها غلام كالزلم * خدخ الساقين ممسوح القدم

فانه كان اخاه الاكبر ولهاذا
قال هو اقصح منى لسانا
وبنى اسرائيل بالقوة
الروحانية والارض
المقدسة بالنفس المطمئنة
ثم اجريت القصة بحالها
الى آخرها (فلا نأس على
القوم الفاسقين) اى لانهم
بهديتهم ولا تنعم على
عقوبتهم فانهم فسقوا
وخرجوا عن طريق القلب
بجوهم وطغيانهم (وائل
عليهم نبأ بنى آدم بالحق)
القلب للذين هما هائل القلب
وقابل الوهم اذ كان لكل
منهما توأمة متوأمة العقل
فالعاقلة العلية المدبرة
لاور المعاش والمعاد
بالآراء الصالحة والاخلاق
الفاضلة المستنبطة لانواع
الصناعات والسياسات
واتما توأمة الوهم بالقوة
التخييلة المتصرفة في
المحسوسات والمخاني الجزئية
لتحصيل الآراء الشيطانية
فأمراد القلب بتزويج
الوهم توأمة العقل التى

فتبعوه فلم يدركوه فلما كان العام القابل خرج شريح حاجا مع حجاج بكر بن وائل من اليمامة ومعه
تجارة عظيمة وقد قدالهدى فقال المسلمون يا رسول الله هذا الخطم قد خرج حاجا فغل بيننا وبينه
فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه قد قدالهدى فقالوا يا رسول الله هذا شئ كنا نفعله في الجاهلية
فابى النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله باليه الذين آمنوا لا تحلوا شعار الله قال ابن عباس هى المناسك
كان المشركون يحجون ويهدون فاراد المسلمون ان يغيروا عليهم فنهاهم الله عن ذلك وقيل الشعار
الهدايا المشعرة وأشعارها ان يطعن في صفحة سنام البعير بحديدة حتى يسيل دمه فيكون ذلك
علامة انها هدى وهوسنة في الابل والبقر دون الغنم ويدل عليه ما روى عن عائشة قالت قتلت
قلائد بدن النبي صلى الله عليه وسلم ثم اشعرها وقلدها ثم بعثها الى البيت فاحرم عليه شئ
كأن له حالالا اخرجاه في الصحيحين (م) عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر
بذى الخليفة ثم دعا بناقته فأشعرها في صفحة سنامها الايمن وسالت الدم عنها وقلدها نعلين ثم
ركب راحلته فلما استوت به على البيداء اهل بالحج وعنداني حنيفة لايجوز اشعار الهدى بل
قال يكره ذلك وقال ابن عباس في معنى الآية لا تحلوا شعار الله هى ان تمسك واست محرم
وقيل شعار الله شرائع الله وهى ما لم دينه والمعنى لا تحلوا شئاً من فرائضه التى افترض عليكم واجتنبوا
نواهيها التى نهى عنها (ولا الشهر الحرام) اى ولا تحلوا الشهر الحرام بالقتال فيه والنسك الحرام
هو الذى كانت العرب تعظمه وتحرم القتال في الجاهلية فيه فلما جاء الاسلام لم يقض هذا الحكم
بل اكده والمراد بالشهر الحرام هنا ذوالقعدة وقيل رجب ذكرهما ابن جرير وقيل المراد باحلال
الشهر الحرام النسئ قال مقاتل كان جادة بن عوف يقوم في سوق عكاظ فيقول انى قد احللت
كذا وحرمت كذا يعنى به الاشهر فنهى الله عن ذلك وسيأتى تفسير النسئ في سورة براءة (ولا
الهدى ولا القلائد) الهدى ما يهدى الى بيت الله من بعير او بقرة او شاة او غير ذلك لما يتقرب به
الى الله تعالى والقلائد جمع قلادة وهى التى تشد في عنق البعير وغيره والمعنى ولا الهدى ذوات
القلائد قال الشاعر

حلفت رب مكة والمصلى * واحناق هدين مقلدات

فلى هذا القول انما عطف القلائد على الهدى مبالغة في التوصية بها لانها من اشرف البدن المهداة
والمعنى ولا تستحلوا الهدى خصوصا المقلدات منها وقيل اراد اصحاب القلائد وذلك ان العرب
في الجاهلية كانوا اذا ارادوا الخروج من الحرم قلدوا انفسهم وابلهم من لحاء شجر الحرم فكانوا
يامنون بذلك فلا يتعرض لهم احد قهى الله المؤمنين عن ذلك الفعل ونهاهم عن استحلل نزع
شئ من شجر الحرم (ولا آمين البيت الحرام) يعنى ولا تستحلوا المقاصدين الى البيت الحرام وهو
الكعبة شرفه الله وعظمها (يتننون) يعنى يطلبون (فضلا من ربهم) يعنى الرزق والارباح

في التجارة (ورضوانا) يعني ويطلبون رضا الله عنهم لان الكافر لاحظه في الرضوان لكن يظن ان فعله ذلك طلب الرضوان فيجوز ان يوصف به بناء على ظنه وقيل ان المشركين كانوا يقصدون بحجهم ابتغاء رضوان الله وان كانوا لا يتألمون فلا يبعد ان يحصل لهم بسبب ذلك القصد نوع من الحرمة وهو الامن على انفسهم وقيل كان المشركون يلتبسون في حجهم ما يصلح لهم دنياهم ومعاشهم وقيل ابتغاء الفضل هو للمؤمنين والمشركين عامة وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة وذلك انهم كانوا يحجون جميعا

(فصل) اختلف علماء النسخ والمنسوخ في هذه الآية فقال قوم هذه الآية منسوخة الى هنا لان قوله تعالى لا تأكلوا مما اشترى الله ولا الشرا الحرام يقتضي حرمة القتل في الشهر الحرام وفي الحرم وذلك منسوخ بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله تعالى ولا آمن البيت الحرام يقتضي حرمة منع المشركين عن البيت الحرام وذلك منسوخ بقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فلا يجوز ان يحج مشرك ولا يأمن بالهدى والقلائد كافر وهذا قول ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة واكثر المفسرين قال الشعبي لم ينسخ من سورة المائدة الا هذه الآية وقيل المنسوخ منها قوله ولا آمن البيت الحرام نهتها آية براءة اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قال ابن عباس كان المؤمنون والمشركون يحجون البيت جميعا فبقي الله المؤمنين ان يمنعوا احدا ان يحج البيت او يتعرضوا له من مؤمن او كافر ثم انزل الله بعد هذا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقال آخرون لم ينسخ من ذلك شئ سوى القلائد التي كانت في الجاهلية تقلدونها من لحاء شجر الحرم قال الواحدى وذهب جماعة الى انه لا منسوخ في هذه السورة وان هذه الآية محكمة قالوا اما ندبنا الى ان نخيف من قصد بيته من اهل شريعتنا في الشهر الحرام ولا في غيره وفصل الشهر الحرام عن غيره بالذكر تعظيما وتعظيلا وحرم علينا اخذ الهدى من المهديين وصرفه عن بلوغ محله وحرم علينا القلائد التي كانوا يفعلونها في الجاهلية وهذا غير مقبول والظاهر ما عليه جمهور العلماء من نسخ هذه الآية لاجتماع العلماء على ان الله عز وجل قد احل قتال اهل الشرك في الاشهر الحرم وغيرها وكذلك اجعوا على ان الشرك لو قلده عنقه وذراعيه جميع لحاء الشجر لم يكن ذلك له امانا من القتل اذا لم يكن قد تقدم له عقد ذمة او امان وكذلك اجعوا على منع من قصد البيت بحج او عمرة من المشركين لقوله تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا والله اعلم وقوله تعالى (واذا حلتم) يعني من احرامكم (فاصطادوا) هذا امر باحة لان الله حرم الصيد على المحرم حالة احرامه بقوله تعالى غير محلي الصيد وانتم حرم وابعاه اذا حل من احرامه بقوله واذا حلتم فاصطادوا وانما قلناه امر باحة لانه ليس واجبا على المحرم اذا حل من احرامه ان يصطاد ومنه قوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض معناه انه قد ابيع لكم ذلك بعد الفراغ من الصلاة (ولا يحرمنكم) قال ابن عباس لا يحملنكم وقيل معنالا يكسبنكم ولا يدهوكم (شأن قوم) يعني بنقض قوم وعداوتهم (ان صدوكم) يعني لان صدوكم (عن المسجد الحرام) والمعنى لا يحملنكم عداوة قوم على الاعتداء لانه صدوكم عن المسجد الحرام لان هذه السورة نزلت بعد قصة الحديبية فكان الصدقة تقدم (ان تمتدوا) عليهم يعني باقتل واخذ المال (وتعاونوا على البر والتقوى)

هي العاقلة العلية لتسلط عليه بالقياسات العلية البرهانية وتدرجه بالرياضات الازمانية والسياسات الروحانية وتضخه للعقل فيطبع اب القلب ويحسن اليه ويريه بانواع الرجا الصادقة ويعينه في الاعمال الصالحة ويمتنع من عقوبه بالتسويلات والتزيينات الشيطانية الفاسدة واغراء النفس عليها بالهيات الفاسقة والافعال السيئة وتزويج العقل توأمة الوهم ليحلها صالحة ويمنعها عن شهوات الضلالت الفاسدة وتنجح احاديث النفس الكاذبة فيستريح ابوها منها ويستعملها في المقولات والمحسوسات والمعاني الكلية والجزئية فتصير مفكرة عاملة في تحصيل العلوم فينتفع ابوها بخسد قابيل الوهم هابيل العقل

يعني لعين بعضكم بعضا على ما يكسب البر والتقوى قال ابن عباس البر متابعة السنة (ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) يعني ولا يعين بعضكم بعضا على الاثم وهو الكفر والعدوان وهو الظلم وقيل الاثم المعاصي والعدوان البدعة (م) عن النواس بن سمعان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال البر حسن الخلق والاثم ما حاك في صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس (واتقوا الله) اي واحذروا الله ان تعتدوا ما امركم به او تتجاوزوا الى منتهى ما حرم الله (ان الله شديد العقاب) يعني لمن خالف امره فقيه وعيد وتهديد عظيم * قوله عز وجل (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) بين الله تعالى في اول السورة ما احل لامن بهيمة الانعام بقوله احلت لكم لبهية الانعام ثم انه تعالى استثنى من ذلك بقوله الا ما نلت عليكم فذكر ذلك المستثنى بقوله حرمت عليكم الميتة فكل ما فارقه الروح مما يذبح بغير ذكاة فهو ميتة وسبب تحريم الميتة ان الدم لطيف جدا فاذا مات الحيوان حثف انفه احتبس ذلك الدم ونقي في العروق فيفسد ويحصل منه ضرر عظيم والدم هو المسفوح الجاري وكانت العرب في الجاهلية تجعل الدم في المصارين وتشويه وتأكله فحرم الله ذلك كله ولحم الخنزير اراد به جميع اجزائه وعضائه وانما خص اللحم بالذكر لانه المقصود بالاكل وقد تقدم في سورة البقرة احكام هذه الثلاثة الاشياء وما استثنى الشارع من الميتة والدم وهو السمك والجراد والكبد والطحال وذكرنا الدليل على اباحة ذلك واختلاف العلماء في ذلك * قوله تعالى (وما اهل لغير الله به) يعني ما ذكر على ذبحه غير اسم الله وذلك ان العرب في الجاهلية كانوا يذكرون اسماء اصنامهم عند الذبح فحرم الله ذلك بهذه الآية وبقوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه (والمنخقة) قال ابن عباس كان اهل الجاهلية يخنقون الشاة حتى اذا ماتت اكلوها فحرم الله ذلك والمنخقة من جنس الميتة لانها لما ماتت لم يسلم دما والفرق بينهما ان الميتة تموت بلا سبب احد والمنخقة تموت بسبب الحق (والموقودة) يعني المقتولة بالخشب وكانت العرب في الجاهلية يضربون الشاة بالعصا حتى تموت ويأكلونها فحرم الله ذلك (والمتردية) يعني التي تتردى من مكان عال فتتوفى او في برز فتتوفى والتردى هو السقوط من سطح او من جبل ونحوه وهذه المتردية تلحق بالميتة فيحرم اكلها ويدخل في هذا الحكم اذا رمى بسهمه صيدا تتردى ذلك الصيد من جبل او من مكان عال فمات فانه يحرم اكله لانه لا يعلم هل مات بالتردى او بالسهم (والنطيحة) يعني التي تنطحها شاة اخرى حتى تموت وكانت العرب في الجاهلية تأكل كل ذلك فحرمها الله تعالى لانها في حكم الميتة * فاما الهاء في هذه الكلمات التي تقدمت اعني المنخقة والموقودة والمتردية والنطيحة فانما دخلت عليها لانها صفات لموصوف مؤنث وهو الشاة كانه قال حرمت عليكم الشاة المنخقة والموقودة والمتردية وخصت الشاة لانها من اعم ما يأكله الناس والكلام انما يخرج على الاعم الاغلب ثم يلحق به غيره * فان قلت لم اثبت الهاء في النطيحة مع انها في الاصل منطوحة فدلوا بها الى النطيحة وفي مثل هذا الوضع تكون الهاء محذوفة تقول كف خضيب وعين كليل يعني كف مخضوبة وعين مكحول * قلت انما تحذف الهاء من النطيحة اذا كانت صفة لموصوف يتقدمها فاذالم يذكر الموصوف وذكرت الصفة وضعتها موضع الموصوف تقول رأيت قبيلة بنى فلان بالهاء لانك ان لم تدخل الهاء لم يعرف ارجل هوام امرأة فعل هذا انما دخلت الهاء في النطيحة لانها صفة لموصوف

لكون توأمة اجل عنده
واحب لنا سبتها اياه فامر
ابوهما القلب بان يقرب كل
واحد منهما قربانا الى نسكا
يقرب به الى الله بافاضة
التبوة وافشاء صورة
القياس وقبول الصورة
المعقولة الكلية المطابقة لما
في نفس الامر التي هي
نسيكته التي يقرب بها
الى الله منه وعدم قبول
قربان الوهم الذي هو
صورة المخالطة او الصورة
الموهومة الجزئية امتناع
اتصال العقل به بافاضة
النتيجة اذ لا نتيجة لها وامتناع
قبول الصورة الوهمية
اذ لا تطابق ما في نفس الامر
فزاد حسده عليه (اذ قربا
قربانا فتقبل من احدهما
ولم يتقبل من الآخر قال
لا تملك) اي لا زاد قرب
العقل من الله وبعده عن

غير مذكور وهو الشاة وقال ابن السكيت قد تأتي فيه بالهامو هي في تأويل مفعول بها تخرج مخرج
الاسماء ولا يذهب بها مذهب النعوت نحو النظفة والذبيحة والقريسة واكلة السبع ومررت
بقبيلة بنى فلان * وقوله تعالى (وما اكل السبع) قال قتادة كان اهل الجاهلية اذا جرح السبع
شيئا فقتله او اكل منه اكلوا ما بقى منه فحرمه الله تعالى والسبع اسم يقع على كل حيوان له ناب
ويعدو على الناس والدواب فيفترس بنابه كالاسد والذئب والنمر والفهد ونحوه وفي الآية
مخدوف تقديره وما اكل السبع منه لان ما اكله السبع فقد فقد فلاحكم له انما الحكم للباقي منه
(الاماذ كتم) يعنى الاما ادر كنتم وقد بقيت فيه حياة مستقرة من هذه الاشياء المذكورة
والظاهر ان هذا الاستثناء يرجع الى جميع المحرمات المذكورة في الآية من قوله تعالى والمنخفة
الى وما اكل السبع وهذا قول على ابن ابى طالب وابن عباس والحسن وقتادة قال ابن عباس يقول
الله تعالى ما ادر كنتم من هذا كله وفيه روح فاذا يحويه فهو حلال وقال الكلبي هذا الاستثناء مما اكل
السبع خاصة والقول هو الاول * واما كيفية ادراكها فقال اكثر اهل العلم من المفسرين ان ادركت
ذكاته بان توجده عين تطرف او ذنب تحرك فأكله جائز . قال ابن عباس اذا طرفت بعينها او ركضت
برجلها او تحركت فاذا يحى فهو حلال . وذهب بعض اهل العلم الى ان السبع اذا جرح فأخرج الحشوة
او قطع الجوف قطعاً تأس به الحياة فلا ذكاة لان ذلك وان كان به حركة ورمق الا انه قد صار الى حالة
لا يؤثر في حياته الذبح وهو مذهب مالك واختاره الزجاج وابن الانبارى لان معنى الذكاة ان يلحقها
وفيما بقية تشخب معها الاوداج وتضطرب المذبح لوجود الحياة فيه قبل ذلك والافهوك كالميتة
واصل الذكاة في اللغة تمام الشيء فالرادم من الذكاة تمام قطع الاوداج وانهار الدم ويدل عليه ما روى
عن رافع بن خديج عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما نهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه ليس
السن والظفر وسأحدثكم عن ذلك اما السن فعظم واما الظفر فدى الحشوة اخر جاء في الصحيحين * وقل
الذبح في الحيوان المقدور عليه قطع المرى والحلقوم واكمله قطع الودجين مع ذلك والحلقوم
بعد الفم وهو موضع النفس والمرى مجرى الطعام والودجان عرقان يقطعان عند الذبح واما
آلة الذبح فكل ما نهر الدم وفرى الاوداج من حديد وغيره الا السن والظفر لما تقدم من نهى النبي
صلى الله عليه وسلم عن ذلك * وقوله تعالى (وما ذبح على النصب) يعنى وحرم ما ذبح على النصب والنصب
يحمل ان يكون جعانا واحدا نصاب وان يكون واحدا نصاب وان يكون واحدا وجهه انصاب
وهو الشيء المنصوب قيل كان حول الكعبة ثلثائة وستون حجرا منصوبة كان اهل الجاهلية
يعبدونها ويعظمونها ويذبحون لها وليست هذه الحجارة باصنام انما الاصنام الصور المنقوشة وقال
ابن عباس هي الاصنام المنصوبة والمعنى وما ذبح على اسم النصب او لاجل النصب فهو حرام
(وان تستقيموا بالازلام) يعنى وحرم عليكم الاستقسام بالازلام وهو طلب القسم والحكم
من الازلام وهى القداح وكانت ازالامهم سبع قداح مستوية مكتوب على واحد منها امرى ربى
وعلى واحد نهائى وعلى واحد منكم وعلى واحد من غيركم وعلى واحد ملصق وعلى واحد
العقل وعلى واحد غفل اى ليس عليه شيء وكانت العرب في الجاهلية اذا ارادوا سفرا او تجارة
او نكاحا او اخلفوا في نسب او امر قتل او تحمل عقل او غير ذلك من الامور العظام
جاؤا الى جبل وكانت اعظم صنم لقريش بمكة وجاؤا بمائة درهم واعطوها صاحب القداح حتى

رتبة الوهم في مدركاته
وتصرفاته كان الوهم
احرص على ابطال عمله
ومنه عن فضله كما ترى
في التشكيكات الوهمية
ومعارضاته العقل في تحصيل
المطالب النظرية العميقة
النور وقله عبارة عن منه
من فعله وقطع مدد الروح
ونور الهداية الذى به حياة
العقل عنه (قال انما يتقبل الله
من المتقين) الذين يخشون
الله وقاية في صدور الخيرات
منهم او يحذرون انام
الهيئات المظلمة البدنية والا
كاذيب الباطلة والاضاليل
المقوية والاهواء المردية
والتسويلات المهلكة
(لن يسطع اليك ليلك لتقتلنى
ماانا يسطع يدى اليك
لا تلتك) لاني لا ابطال
اعمالك التي هي شديدة

يجعلها لهم فان خرج امرني ربي فطوا ذلك الامر وان خرج نهائي ربي لم يفعلوه وان اجالوا على نسب فان خرج منكم كان وسطا فيهم وان خرج من غيركم كان حلقا فيهم وان خرج ملصق كان على حاله وان اختلفوا في القتل وهو الدية فنخرج عليه قدح العقل نحمله وان خرج التفل اجالوا ثانيا حتى يخرج المكتوب عليه قتلهم الله عن ذلك وحرمة وسماه فسقا وقيل الا زلام كعاب فارس والروم التي كانوا يقامرون بها وقيل كانت الا زلام للعرب والكعاب للجهنم وهي انزاد وكلها حرام لا يجوز اللعب بشئ منها * عن قطن بن قبيصة عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العيافة والطيرة والطرق من الجبت اخرجها ابوداود وقال الطرق الزجر والعيافة الخط * وقيل العيافة زجر الطير والطرق الضرب بالحصى والجبت كل ما عبد من دون الله عز وجل * وقيل الجبت الكاهن وروى البغوي بسند التلعي عن ابي الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكهن او استقسم بالازلام او تطير طيرة تردده عن سفره لم ينظر الى الدرجات العلى يوم القيامة * وقوله تعالى (ذلكم فسق) يعني ما ذكر من هذه المحرمات في هذه الآية لان المعنى حرم عليكم تناول كذا وكذا فانه فسق والفسق ما يخرج من الحلال الى الحرام وقيل ان الاشارة عائدة على الاستقسام بالازلام والاول اصح (اليوم ينس الذين كفروا من دينكم) يعني ينسوا ان ترجعوا عن دينكم الى دينهم كفارا وذلك ان الكفار كانوا يطعمون في ان يعود المسلمون الى دينهم فلاقوا الاسلام ابسوا من ذلك وذلك هو اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عام حجة الوداع فعند ذلك ينس الكفار من بطلان دين الاسلام وقيل ان ذلك هو يوم عرفة فنزلت هذه الآية والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة وقيل لم يرد يوما بعينه وانما المعنى الآن ينس الذين كفروا من دينكم فهو كاتقول اليوم قد كبرت تريد الآن قد كبرت وتقول فلان كان يزورنا وهو اليوم يحفونا ولم ترد يوما بعينه يعني وهو الآن يحفونا ولم تقصده اليوم قال الشاعر فيوم علينا ويوم لنا * ويوم نساء ويوم نسر

اراد زمان علينا وزمان لنا ولم يقصد ليوم واحد معين (فلا تخشوه) فلا تخافوا الكفار ابها المؤمنون الذين آمنوا ان يظهروا على دينكم فقد زال الخوف عنكم بانهار دينكم (واخشون) اي وخافوا مخالفة امرى واخلصوا الخشية لى * قوله عز وجل (اليوم اكملت لكم) نزلت هذه الآية في يوم الجمعة بعد العصر في يوم عرفة والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على ناقته العضاء فكادت عضد الناقة تنشق وبركت ثقل الوحي وذلك في حجة الوداع سنة عشر من الهجرة (ق) عن طارق بن شهاب قال جاء رجل من اليهود الى عمر بن الخطاب فقال يا امير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤها لو علينا نزلت معشر اليهود لا نتخذنا ذلك اليوم عيداً قال فآى آية قال اليوم اكملت لكم دينكم واءمت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً فقال عمر انى لآلهم اليوم الذى نزلت فيه والمكان الذى نزلت فيه نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفات في يوم الجمعة اشار عمر الى ان ذلك اليوم يوم عيد لنا وعن ابن عباس انه قرأ اليوم اكملت لكم دينكم واءمت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً وعنده يهودى فقال لو نزلت هذه الآية علينا لا نتخذناها عيداً فقال ابن عباس فانها نزلت في يوم عيدين في يوم جمعة ويوم عرفة اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب قال ابن عباس كان في ذلك اليوم خمسة اعياد يوم جمعة ويوم عرفة وعيد لليهود وعيد للنصارى وعيد للحيوس ولم تجتمع

في مواضعها من المحسوسات ولا قطع عنك حياتك التي هي مسدد النفس والهوى ولا امنك عن ضلوك الخاص بك اذ العقل يعلم ان المصالح الجزئية واحكام المحسوسات والمعاني الجزئية المتعلقة بها وترتيب اسباب المعاش كلها لا تحصل ولا تيسر الا بالوهم ولولا الرجاء وحصول الامانى والآمال الصادرة عن الوهم لم تيسر لاحد ما يتشبه به (انى اخاف الله رب العالمين) لاني اعرفه وقال انما يخشى الله من عباده العلماء واعلم باننا انما خلقك لشأننا ووجدك لحكمة فلا تعترض له في ذلك (انى اريد ان تبوء بائى وائتمك) بائى قلى وائتم قتلك من الآراء الباطلة

اعباد لاهل الملل في يوم واحد قبله ولا بعده وروى انه لما روت هذه الآية بكى عمر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال انك انى انا كما في زيادة من ديننا فاما اذ كل فانه لم يكمل شيء الا نقص قال صدقت فكانت هذه الآية نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماش بعدهما احدا وثمانين يوما ومات صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الاول وقيل لاثنتي عشرة ليلة وهو الاصح سنة احدى عشرة من الهجرة واما تفسير الآية فقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم يعنى بالفرائض والسنن والحدود والاحكام والحلال والحرام ولم ينزل بعد هذه الآية حلال ولا حرام ولا شيء من الفرائض هذا معنى قول ابن عباس * وقال سعيد بن جبيرة وقتادة معنى اكملت لكم دينكم اى حيث لم يجمع معكم مشرك وخلا الموسم لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين * وقيل معناه انى اظهرت دينكم على الاديان وامتكم من عدوكم بان كفيتمكم ما كنتم تخافونه * وقيل اكمل الدين لهذه الامة انه لا يزول ولا ينسخ وان شريعتهم باقية الى يوم القيامة * وقيل اكمل الدين لهذه الامة انهم آمنوا بكل نبي وكل كتاب ولم يكن هذا تغير هذه الامة وقال ابن الانباري اليوم اكملت شرائع الاسلام على غير نقصان كان قبل هذا الوقت وذلك ان الله تعالى كان يتعد خلقه بالشيء في وقت ثم يزيد عليه في وقت آخر فيكون الوقت الاول تاما في وقته وكذلك الوقت الثاني تاما في وقته فهو كما يقول القائل عندى عشرة كاملة ومعلوم ان العشرين اكمل منها والشرائع التى تعبد الله عز وجل بها عباده في الاوقات المختلفة مختلفة وكل شريعة منها كاملة في وقت التعبد بها فأكمل الله عز وجل الشرائع في اليوم الذى ذكره وهو يوم عرفة ولم يوجب ذلك ان الدين كان ناقصا في وقت من الاوقات ونقل الامام فخر الدين الرازى عن القفال واختاره ان الدين ما كان ناقصا البتة بل كان ابدا كاملا كانت الشرائع البازلة من عند الله كافية في ذلك الوقت الا انه تعالى كان تاما في اول وقت البعثة بان ما هو كامل في هذا اليوم ليس بكامل في القدو ولا بصالح فيه لا جرم كان ينسخ بعد الثبوت وكان يزيل بعد النسخ واما في آخر زمان البعثة فانزل الله شريعة كاملة وحكم بقاءها الى يوم القيامة فالشرع ابدا كان كاملا الا ان الاول كمال الى يوم مخصوص والثاني كمال الى يوم القيامة فلاجل هذا المعنى قال اليوم اكملت لكم دينكم ثم قال تعالى (واتممت عليكم نعمتى) يعنى باكمال الدين والشرعة لانه لانعمة اتم من الاسلام وقال ابن عباس حكم لهم بدخول الجنة وقيل معناه انه تعالى انجز لهم ما وعدهم في قوله ولا تم نعمتى عليكم فكان من تمام النعمة ان دخلوا امكة آمنين وجوامع مطمئنين لم يخالطهم احد من المشركين (ورضيت لكم الاسلام ديناً) يعنى واخترت لكم الاسلام ديناً من بين الاديان وقيل معناه ورضيت لكم الاسلام لاسرى والانتقياد لطاعتي فيما شرعت لكم من الفرائض والاحكام والحدود ومعالم الدين انذى اكملته لكم واتما قال تعالى ورضيت لكم الاسلام ديناً يوم نزلت هذه الآية وان كان الله تعالى لم يزل راضياً بدين الاسلام فيما مضى قبل نزول هذه الآية لانه لم يزل يصرف نبيه صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين من حال الى حال ويقلمهم من مرتبة الى مرتبة اعلى منها حتى اكمل لهم شرائع الدين ومعامله وبلغ بهم اقصى درجاته ومراتبه ثم انزل عليهم هذه الآية ورضيت لكم الاسلام ديناً يعنى بالصفة التى هو اليوم بها وهى نهاية الكمال واتم الآن عليه فالزموه ولا تفارقوه روى البقوى بسنده عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال جبريل قال الله عز وجل هذا دين ارتضيته لنفسى

والتصورات الفاسدة التى لم تقبل قربانك لاجلها (فتكون من اصحاب النار) نار الجحمة والحرامان (وذلك جزاء الظالمين) الواضحين الاشياء في غير موضعها كوضعك الاحكام الحسية في المعقولات (فطوت) فسهلت وسوّت (له نفسه) قتل اخيه فقتله) يمنعه عن افضاله الخاصة وحجبه عن نور الهداية (فاصبح من الخاسرين) لتضرره باستيلائه على العقل واستبدال ضلالاته وخطائه بهداية العقل وصوابه فان الوهم اذا انقطع عن معاضدة العقل حل النفس بانواع التسويات والتزيينات على اقدام امور يتضرر به النفس والبدن جميعا

ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فاكرموا لله ما يحبونه وروى الطبري عن قتادة قال ذكر لنا انه
يمثل لكل اهل دين دينهم يوم القيامة فالأيمان فيبشر اصحابه واهله وبعدهم في الخير حتى يحجي الاسلام
فيقول يا رب انت السلام وانا الاسلام فيقول اياك اليوم اقبل وبك اليوم اجزى * وقوله تعالى
(فن اضطر في مخمصة غير متجانف لانثى) هذه الآية من تمام ما تقدم ذكره في المطامع التي حررها
الله تعالى ومتصلة بها والمعنى ان المحرمات وان كانت محرمة الا انها قد تحمل في حالة الاضطرار اليها
ومن قوله تعالى ذلكم فسق الى هنا اعتراض وقع بين الكلامين والقرض منه تأكيد ما تقدم
ذكره من معنى التحريم لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والعممة التامة والاسلام
الذى هو الرضى عند الله ومعنى الآية فن اضطر اى اجهدوا واصيب بالضر الذى لا يمكنه معه
الامتناع من اكل الميتة وهو قوله تعالى في مخمصة يعنى في جماعة والمخمصة خلو البطن من الغذاء
عند الجوع غير متجانف لانثى يعنى غير مائل الى انثى او منحرف اليه والمعنى فن اضطر الى اكل الميتة
او الى غيرها في الجماعة قليلاً كل غير متجانف لانثى وهو ان يأكل فوق الشبع وهو قول فقهاء العراق
وقيل معناه غير متعرض لمخمصة في مقصد وهو قول فقهاء الحجاز (فان الله غفور رحيم) يعنى لن
اكل من الميتة في حال الجوع والاضطرار * قوله عز وجل (يسئلونك ماذا احل لهم) روى
الطبري بسنده عن ابى رافع قال جاء جبريل الى ابى صلى الله عليه وسلم يستأذن عليه فاذا نزل فلم
يدخل فقال قد ادنا لك يا رسول الله قال اجل ولكنا لا ندخل بيتا فيه كلب قال ابو رافع فامرني ان
اقتل كل كلب بالدينة ففعلت حتى انتهيت الى امرأة عندها كلب فنجع عليها فزكته رجوة لها ثم
جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فامرني بقتله فرجعت الى الكلب فقتلته فجاءوا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما يحل لنا من هذه الامة التي امرت بقتلها قال
فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله يسئلونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات
وما علمن من الجوارح مكابن وروى عن عكرمة ان ابى صلى الله عليه وسلم بعث اباء رافع في قتل
الكلاب فقتل حتى بلغ العموا الى فدخل عاصم وسعد بن ابى خزيمة وهو يربى ساعدة على ابى صلى الله
عليه وسلم فقالوا ماذا احل لنا فقلت يسئلونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمن
من الجوارح مكابن قال ابن الجوزى واخرج حديث ابى رافع الحاكم في صحيحه قال البغوى فذا
نزلت هذه الآية اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقتناء الكلاب التي ينتفع بها ونهى عن امساك
ما لا تنفع فيه منها (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من امسك كلبا فانه ينقص كل يوم
من عمله قيراط الاكل حارث او ماشية ولمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اقتنى كلبا
ليس بكتاب صيد ولا ماشية ولا ارض فانه ينقص من اجره قيراطان كل يوم وقال سعيد بن جبير
نزلت هذه الآية في عدى بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائفين وهو زيد الخيل الذى ساء رسول الله
صلى الله عليه وسلم زيد الخير قال يا رسول الله انا قوم نصيد بالكلاب وبالزاة فاذا يحمل لنا فزالت هذه
الآية قال البغوى وهذا القول اصح في سبب نزولها وما التفسير فقوله تعالى يسئلونك يعنى يسألك
اصحابك يا محمد ما الذى احل لهم اكله من المطامع والمأكول كانهم لما تلا عليهم من خبائث المأكول
ما تلا سألوا عما احل لهم (قل احل لكم الطيبات) يعنى قل لهم يا محمد احل لكم الطيبات يعنى
ما ذبح على اسم الله عز وجل وقيل الطيبات كل ما تنسليه العرب وتسئلونه من غير ان ورد بتحريمه نص

كالا سرافات المذمومة من
باب الذات البهيمة والسبعية
مثل شدة الحرص في طلب
المال والجاه والافراط
فيضعف الوهم ايضا
او يبطل (فبعث الله غرابا)
غراب الحرص (يبحث
في الارض) ارض النفس
(ليريه كيف يوارى سواة
اخيه) اى الوهم اذ يقطع
العقل عن نور الهداية
وجها عن السير في العالم
العلوى لتحصيل الكمال
وطلب سعادة المال تحير
في امره فانبعث الحرص
فهده في تيه الضلالة واره
كيف يوارى ويدفن عورته
اى جثته المقتولة التي جعلها
الوهم على ظهره حتى اننت
فصار عقل المعاش في تراب
الارض وهو صورة العقل
المقطع عن حياة الروح
المشوب بالوهم والهوى
المحجوب عن ماله في ظلمات
ارض النفس المدفون فيها

من كتاب اوسنة * واعلم ان العبرة في الاستطابة والاستلذاذ بأهل الروضة والاخلاق الجميلة من العرب فان اهل البادية منهم يستطيعون اكل جميع الحيوانات فلا عبرة بهم لقوله تعالى ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث فان الخبيث غير مستطاب فصارت هذه الآية الكريمة نصافيا يحل ويحرم من الاطعمة * وقوله تعالى (وما علمتم من الجوارح مكابن) يعني واحل صيد ما علمتم من الجوارح فمحذوف ذكر الصيد وهو مراد في الكلام لدلالة الباقي عليه ولانهم سألوا عن الصيد وقيل ان قوله وما علمتم من الجوارح ابتداء كلام خبره فكلموا بما مسكن عليكم وعلى هذا القول يصح معنى الكلام من غير ضمائر * والجوارح جميع جارحة وهي الكواكب من السباع والطيور كالقهد والنمر والكلب والبازي والصقر والعقاب والشاهين والباشق من الطير بما يقبل التعليم سميت جوارح من الجرح لانها تجرح الصيد عند امساكه وقيل سميت جوارح لانها تكسب والجوارح الكواكب من جرح واجترح اذا اكتسب ومنه قوله تعالى والذين اجترحوا السيئات يعني اكتسبوا وقوله ويعلم ما جرحتم بالتهارأي اكتسبتم * مكابن يعني معلمين والكلب هو الذي يفرى الكلاب على الصيد وقيل هو مؤدب الجوارح ومعلمها وانما اشتق له هذا الاسم من الكلب لانه اكثر احتياجا الى التعليم من غيره من الجوارح (تعلمون) يعني تعلمون الجوارح الاصطياد (ما علمكم الله) يعني من العلم الذي علمكم الله في الآية دليل على انه لا يجوز صيد جارحة ما لم تكن معلمة ومعرفة التعليم هو ان الرجل يعلم جارحة الصيد وذلك بان يوجد فيها امور منها انه اذا اشليت على الصيد استشلت واذا جرت ازجرت واذا اخذت الصيد امسكت ولم تأكل منه شيئا ومنها ان لا ينفر منه اذا اراده وان يحببه اذا دعاه فهذا هو تعليم جميع الجوارح فاذا وجد ذلك منها مرارا كانت معلمة واقلها ثلاث مرات فانه يحل قتلها اذا جرحت بارسال صاحبها (ق) عن عدي بن حاتم قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم نقلت انا قوم نصيد منه الكلاب فقال اذا ارسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه فكل مما مسك عليك الا ان يأكل الكلب فلان كل فاني اخاف ان يكون انما مسك على نفسه وان خالط كلابا لم يذكر اسم الله عليها فامسكن وقتلن فلان كل فانما سميت على كلبك ولم تسم على غيره وفي رواية فانك لا تدري ايها قتل وسأته عن صيد المعراض فقال اذا اصبت بحده فكل واذا اصبت بمرضه فقتل فانه وقيد فلا تأكل واذا رميت الصيد فوجدته بعد يوم او يومين ليس به الاثر سهمك فكل فان وقع في الماء فلان كل واختلف العلماء فيما اذا اخذت الكلاب الصيد واكت من شيا فذهب اكثر اهل العلم الى تحريمه وروى ذلك عن ابن عباس وهو قول عطاء وطاوس والشعبي وبه قال الثوري وابن المبارك واصحاب الرأي وهو اصح قولى الشافعي ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم وان اكل فلا تأكل فانما امسك على نفسه ورخص بعضهم في اكله يروى ذلك عن ابن عمر وسلمان الفارسي وسعد بن ابى وقاص وبه قال مالك لما روى عن ابى ثعلبة الخشني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في صيد الكلب اذا ارسلت كلبك وذكر اسم الله فكل وان اكل منه اخرج ابن ابي داود اما غير المعلم اذا اخذت صيدا او المعلم اذا خرج بغير ارسال صاحبه فاخذ وقتل فانه لا يحل الا ان يدركه حيا فيذبحه فيص (ق) عن ابى ثعلبة الخشني قال قلت يا رسول الله انما بارض قوم اهل كتاب افناكل في آيتهم وبارض صيدا صيد قوسي وبكبي الذي ليس بمعلم وبكبي الم علم يصلح لي

تأكله ديدان القوى الطبيعة باستعمالها في تحصيل لذاتها ومطالها (قال يابولتي اعجزت اذا اكون مثل هذا القراب) الذي دفن فرخه اى دأعته او كاله في ارض النفس بافساء ما يحصل له وكتمانه فيها (قوارى سواء اخي) باخفائها في ظلمة النفس فانفع بها (قاصح من اللادمين) عند الحمران وحصول الحرمان (من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعا ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعا) لان كل شخص يشتمل على ما يشتمل عليه جميع افراد النوع وقيام النوع بالواحد كقيامه بالجمع في الخارج والاعتبار بالعدد فان النوع لا يزيد بحسب الحقيقة يتعدد الافراد ولا ينقص

قال اما ما ذكرت من آية اهل الكتاب فان وجدتم غيرها فلا تأكلوا فيها وان لم تجدوا غيرها
فاصلوها وكلافيها وما صدت بقوسك فذكرت اسم الله عليه فكل وما صدت بكبك الملعن فذكرت
اسم الله عليه فكل وما صدت بكبك غير الملعن فذكرت دكاته فكل * وقوله تعالى (فكلوا مما
امسكن عليكم) دخلت من في قوله بما للتبعض لانه انما احل اكل بعض الصيد وهو اللحم دون
الفرث والدم وقيل من زائدة فهو كقوله تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر (واذكروا اسم الله عليه)
قال ابن عباس يعني اذا ارسلت جارحك فقل بسم الله وان نسيت فلا حرج ومنه قوله صلى الله
عليه وسلم لعدى اذا ارسلت كلبك وذكر اسم الله عليه فكل فعلى هذا يكون الضمير في عليه
حائدا الى ما علمتم من الجوارح اى سموا الله عليه عند ارساله وقيل الضمير حائدا الى ما امسكن
عليكم والمعنى سموا الله عليه اذا ادركتم ذكاته وقيل يحتمل ان يكون الضمير حائدا الى الاكل بمعنى
واذكروا اسم الله عليه عند الاكل فعلى هذا تكون التسمية شرطا عند ارسال الجوارح وعند
الذبيحة وعند الاكل وسأيت بيان هذه المسئلة في سورة الانعام عند قوله ولاتأكلوا مما لم يذكر
اسم الله عليه (واتقوا الله) معنى واحذروا مخالفة الله بمعنى فيما احل لكم وحرم عليكم (ان الله
سريع الحساب) معنى اذا حسب عباد يوم القيامة ففيه تخويف لمن خالف امره وفعل ما نهاه
عنه * قوله عز وجل (اليوم احل لكم الطيبات) انما كررا لحلال الطيبات لتأكيده كيدكاته
قال اليوم احل لكم الطيبات التى سألتكم عنها ويحتمل ان يراد باليوم اليوم الذى ازلت فيه هذه
الآية او اليوم الذى تقدم ذكره في قوله اليوم بشئ الذين كفروا من دينكم اليوم اكلت لكم
دينكم ويكون الغرض من ذكر هذا الحكم انه تعالى قال اليوم اكلت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى
فبين انه كما اكل الدين واتم العمة فكذلك اتم العمة باحلال الطيبات وقيل ليس المراد باليوم يومه عينا
وقد تقدم الكلام في ذلك اليوم وفي معنى الطيبات في الآية المتقدمة * وقوله تعالى (وطعام الذين
اوتوا الكتاب حل لكم) معنى وذبايح اهل الكتاب حل لكم وهم اليهود والنصارى ومن
دخل في دينهم من سائر الامم قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فاما من دخل في دينهم بعد
مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وهم منتصر والعرب من بنى تغلب فلانحل ذبيحتهم روى عن
علي بن ابي طالب قال لاتأكل من ذبايح نصارى العرب بنى تغلب فانهم لم يمسكوا بشئ من الصراية
الا بشرب الخمر وبه قال ابن مسعود ومذهب الشافعى ان من دخل في دين اهل الكتاب بعد نزول
القرآن فانه لا تحل ذبيحته سئل ابن عباس عن ذبايح نصارى العرب فقال لا بأس به ثم قرأ ومن
يتولهم منكم فانه منهم وهذا قول الحسن وعطاء بن ابي رباح والشعبي وعكرمة وقنادة والزهرى
والحكم وحاد وهو مذهب ابي حنيفة ومالك واحدى الروايتين عن احمد والرواية الاخرى
مثل مذهب الشافعى واجعوا على تحريم ذبايح الجوس وسائر اهل الشرك من مشركى العرب
وجدة الاصنام ومن لا كتاب له واجعوا على ان المراد بطعام الذين اوتوا الكتاب ذبايحهم خاصة
لان ما سوى الذبايح فهو محله قبل ان كانت لاهل الكتاب وبعد ان صارت لهم فلا يبقى لتخصيصها
باهل الكتاب فائدة ولان ما قبل هذه الآية في بيان حكم الصيد والذبايح فحمل هذه الآية
عليه اولى ولان سائر الطعام لا يختلف من تولاه من كتابى او غيره وانما تختلف الذكاة فلا خص
اهل الكتاب بالذكاة على ان المراد بطعامهم ذبايحهم واختلف العلماء فيما لو ذبح يهودى

بأنحصاره في شخص (وقد
جاءتهم رسلا بالبينات ثم
ان كثيرا منهم بعد ذلك
في الارض لمصرفون انما
جاء الذين يحاربون الله
ورسوله ويسعون في الارض
فسادا ان يقتلوا او يصلبوا
او تقطع ايديهم وارجلهم
من خلاف او ينفوا من
الارض ذلك لهم خزي
في الدنيا ولهم في الآخرة
عذاب عظيم الا الذين تابوا
من قبل ان تقدروا عليهم
فاعلموا ان الله غفور رحيم
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
بالتزكية (وابتغوا اليه
الوسيلة) بالصلوة واجهدوا
في سبيله (بمحوا الصفات
والقاء بالذات) لعلمكم تفطنون
من ظهور بقايا الصفات
والذات (ان الذين كفروا
لو ان لهم مافى الارض
جما) اى مافى الجهة السفلى
لانه اسباب زيادة الخلق
والبعد ولا ينجع ثمه الا فى

اونصراني على غير اسم الله فقال ابن عمر لا يحمل ذلك وهو قول ربيعة وذهب اكثر اهل العلم الى انه يحمل سئل الشعبي وعطاء عن النصراني يذبح باسم المسيح فقال يحمل فان الله قد ادخل ذبايحهم وهو يعلم ما يقولون وقال الحسن اذا ذبح اليهودي او النصراني وذكروا غير اسم الله وانت تسمع فلا تأكل واذا غاب عنك وكل فقد احله الله لك وقد زعم قوم ان هذه الآية اقتضت اباحة ذبايح اهل الكتاب مطلقا وان ذكروا غير اسم الله فيكون هذا ناسخا لقوله تعالى ولا تأكلوا مما يذكر اسم الله عليه وليس الامر كذلك ولا نسخ لان الاصل انهم يذكرون الله عند الذبح فيحمل امرهم على هذا فان يقاتلهم ذبحوا على غير اسم الله لمنأكل ولا وجه للنسخ * وقوله تعالى (وطعامكم حل لهم) يعني ان ذبايحنا لهم حلال وهذا يدل على انهم مخاطبون بشريعتنا وقال الزجاج معناه ويحمل لكم ان تطعموهم من طعامكم فجعل الخطاب للمؤمنين على معنى ان التحليل يعود الى اطعامنا اياهم لا اليهم لانه لا يمتنع ان يحرم الله تعالى ان تطعمهم من ذبايحنا وقيل ان الفائدة في ذلك ان اباحة المناكحة غير حاصلة من الجانبين واباحة الذبايح كانت حاصلة من الجانبين لاجرم ذكر الله تعالى ذلك تنبيها على التمييز بين النوعين * ثم قال تعالى (والمحصنات من المؤمنات) قال مجاهد هن الحرائر فعلى هذا القول لا تدخل الامة المؤمنة في هذا التحليل ومن اجاز نكاحهن اجازهن بشرطين خوف العنت وعدم طول الحررة وقال ابن عباس المحصنات العفاف فعلى هذا القول لا يحمل نكاح الزانية لانها لم تدخل في هذا التحليل واباح العلماء نكاحها اذا تابت وحسنت وتبهاروى طارق بن شهاب ان رجلا اراد ان يزوج اخته فقالت اني اخشى ان افضحك اني قد بقيت فاتي عمر فذكر ذلك له منها فقال اليس قد تابت قال بلى قال فزوجها وقيل انما خص المحصنات بالذكور والحرائر والعفاف لبحث المؤمنين على تحبير النساء ليكون الولد كريم الاصل من الطرفين * وقوله تعالى (والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قلكم) يعني واحل لكم المحصنات من اهل الكتاب اليهود والنصارى قال ابن عباس يعني الحرائر من اهل الكتاب وقال الحسن والشعبي والنخعي والنخعي يريد العفاف من اهل الكتاب فعلى قول ابن عباس لا يجوز التزوج بالامة الكتابية وهو مذهب الشافعي قال لانه اجتمع في حقها نوحان من نقصان الكفر والرق وعلى قول الحسن ومن وافقه يجوز التزوج بالامة الكتابية وهو مذهب ابي حنيفة لعموم هذه الآية واختلف العلماء في حكم هذه المسئلة * فذهب جمهور الفقهاء الى جواز التزوج بالذميات من اليهود والنصارى روى ان عثمان بن عفان تزوج نائلة بنت الفرافصة على نسائه وهي نصرانية وان طلحة بن عبيد الله تزوج يهودية وروى عن ابن عمر كراهية ذلك ويخرج بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن وكان يقول لا اعلم شركا اعظم من قولها ان ربها عيسى واجاب الجمهور عن قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن بانه عام خص بهذه الآية فاباح الله تعالى المحصنات من اهل الكتاب وحرم من سواهن من اهل الشرك وقال سعيد بن المسيب والحسن يجوز التزوج بالذميات والحريات من اهل الكتاب لعموم قوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قلكم واجاب جمهور العلماء بان ذلك مخصوص بالذميات دون الحريات من اهل الكتاب قال ابن عباس من نساء اهل الكتاب من تحمل لنا ومنهن من لا تحمل لنا وقرأ قلنوا الذين لا يؤمنون بالله الى قوله حتى يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون والمراد بهم اهل الامة دون اهل الحرب من اهل الكتاب * وقوله تعالى

الجهة العلوية من المعارف والحقائق الوردية (ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب اليم يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب عقيم والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم فن تاب من بعد ظلمه واصلى فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم المتعلم ان الله له ملك السموات والارض يذهب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير يائها ان رسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقسوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون ان اوتيتهم

(إذا أتيتهم أجورهم) يعني مهورهم وهو العوض الذي يبذله الزوج للمرأة (محسنين غير مسافحين) يعني متعففين بالتزويج غير زانين (ولا متفذين اخدان) يعني ولا منفردين بمعنى واحدة قد خادنها وخادنته واتخذها لنفسه صديقة يفجر بها وحده حرم الله الجمع على جهة السفاح وهو الزنا واتخاذ الصديق وهو الخدن واحله على جهة الاحسان وهو التزويج بعة صحيح (ومن يكفر بالايان) يعني ومن يبعد ما امر الله به من توحيد ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله (فقد حبط عمله) يعني فقد بطل ثواب عمله الذي كان عمله في الدنيا وخاب وخسر في الدنيا والآخرة وقيل في معنى الآية ومن يكفر بشرائع الايمان وتكاليفه فقد خاب وخسر وقال قتادة ذكر لنا ان ناسا من المسلمين قالوا كيف تزوج نساءهم يعني نساء اهل الكتاب وهم على غير ديننا فانزل الله تعالى ومن يكفر بالايان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين وقيل لما اباح الله تعالى نكاح الكتابيات قلن فيما بينهن لولا ان الله قدرضى اعمالنا لم يبع للمؤمنين تزويجنا فانزل الله هذه الآية والمعنى ان تزويج المسلمين اياهن ليس بالذي يخرجهن من الكفر وقيل ان اهل الكتاب وان حصلت لهم في الدنيا فضيلة باباحة ذبايحهم ونكاح نساءهم الا ان ذلك غير حاصل لهم في الآخرة لان كل من كفر بالله وجمعه نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين وقيل ان من احل ما حرم الله او حرم ما احل الله او جمعه بشيء مما انزل الله فقد كفر بالله وحبط عمله المتقدم (وهو في الآخرة من الخاسرين) اذ مات على ذلك وهذا الشرط لا بد منه لانه اذا تاب وآمن قبل الموت قبلت توبته وصح ايمانه * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة) يعني اذا اردتم القيام الى الصلاة ومثله قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله اى اذا اردت قراءة القرآن فاستعذ بالله ومثله من الكلام اذا تجبرت فانجبر في البر اى اذا اردت التجارة وهذا القول يقتضى وجوب الوضوء عند كل صلاة وهو ظاهر الآية ومذهب داود الظاهري ومذهب جمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم الى انه يجزئ عدة صلوات بوضوء واحد واجب من ظاهر الآية بان المعنى اذا قمتم الى الصلاة وانتم على غير طهر فحذف ذلك لدلالة المعنى عليه وهذا احد اختصارات القرآن وهو كثير جدا ولا نال صلى الله عليه وسلم جمع يوم الخندق بين اربع صلوات بوضوء واحد من ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة احدكم اذا حدث حتى يتوضأ مرجاء في الصحيحين وقيل في معنى الآية اذا قمتم الى الصلاة من النوم وقبل هو امر نذب نذب من قام الى الصلاة ان يجد لها طهارة وان كان على طهر ويدل عليه ما روى عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات اخرجه الترمذى وقيل هذا اعلام من الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا وضوء عليه الا اذا قام الى الصلاة دون غيرها من الاعمال ويدل عليه ما روى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما من الخلاء فقدم اليه طعام فقالوا الانا نيك بوضوء فقال اتمامرت بالوضوء اذا قمت الى الصلاة اخرجه مسلم والقول الاول هو المختار في معنى الآية وفروض الوضوء المذكورة في هذه الآية اربعة * الاول غسل الوجه وهو قوله تعالى (فاغسلوا وجوهكم) واستدل الشافعى على وجوب التيمم عند غسل الوجه بهذه الآية وجته ان الوضوء مأثور به وكل مأثور به يجب ان يكون منبوا ولنا روى في الصحيحين من حديث

هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنه فلن تملكه من الله شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يطلع قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم سمعون للكذب اكلون للهوت فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها الذين آمنوا وما للايمان الا حجة واحدة والذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما انزل الله

عمر بن الخطاب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى والوضوء من الاعمال فيجب ان يكون متوياً وانما قلنا ان الوضوء مأثور به وانه من اعمال الدين قوله تعالى وما امروا الا لعبدوا الله مخلصين له الدين والاخلاص عبارة عن التوبة الخالصة ومتى كانت التوبة الخالصة معتبرة كان اصل البية في جميع الاعمال التي يتقرب بها الى الله تعالى معتبرة واستدل ابو حنيفة لعدم وجوب البية في الوضوء بهذه الآية قال ان التوبة ليست شرطاً للصحة الوضوء لان الله تعالى اوجب غسل الاعضاء الاربعة في هذه الآية ولم يوجب التوبة فيها فاجاب التوبة زيادة على النص والزيادة على النص نسخ ونسخ القرآن بخبر الواحد وبالقياص غير جائز واجيب عنه باننا ما وجبنا البية في الوضوء بدلالة القرآن وهو قوله تعالى وما امروا الا لعبدوا الله مخلصين له الدين واما حد الوجه فمن منابت شعر الراس الى منتهى الذقن طولاً ومن الاذن الى الاذن عرضاً لانه مأخوذ من المواجهة فيجب غسل جميع الوجه في الوضوء ويجب ابصال الماء الى ماتحت الحاجبين واهداب العينين والاذنين والشارب والعنفقة وان كانت كثرة واما اللحية فان كان كثرة لا ترى البشرة من تحتها لا يجب غسل ماتحتها ويجب غسل ماتحت اللحية الخفيفة وهل يجب امرار الماء على ظاهر ما نزل من اللحية عن الذقن فيه قولان احدهما وبه قال ابو حنيفة لا يجب لان الشعر السازل عن حد الراس لا يكون حكمه حكم الراس في المسح فكذلك حكم الشعر السازل عن حد الوجه لا يجب غسله والقول الثاني يجب امرار الماء على ظاهره لان الوجه مأخوذ من المواجهة فتدخل جميع اللحية في حكم الوجه * الفرض الثاني قوله تعالى (وايديكم الى المرافق) يعني واغسلوا ايديكم الى المرافق والمرق بالكد وهو من الانسان اعلى الذراع واسفل العضد وذهب جمهور العلماء الى وجوب ادخال المرفقين في القفل ونقل من مالك والشمسي وزفر وابي بكر بن داود الظاهري انه لا يجب ادخال المرفقين في القفل واختاره ابن جرير الطبري ونقل عن مالك وقد سئل عن قول الله عز وجل فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق فقال الذي امر به ان يبلغ المرفقين في القفل لا يجاوزهما وجه صاحب هذا القول ان كان الى لانهما الغاية وما يجعل غاية للحكم يكون خارجاً عنه كما في قوله تعالى ثم اتوا الصيام الى الليل ولان الحد لا يدخل في الحدود فوجب ان لا يجب غسل المرفقين في الوضوء وجه الثاني وان كلمة الى هنا بمعنى مع ومنه قوله تعالى ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم اي مع اموالكم وبعضه من السنة ما صح من حديث ابي هريرة انه توضأ فغسل وجهه فامسح الوضوء ثم غسل اليمنى حتى اشرع في العضد ثم يده اليسرى حتى اشرع في العضد ثم قال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ والجواب عن الجملة المقدمة ان الحد اذا كان من جنس الحدود دخل فيه كافي هذه الآية لان المرفق من جنس اليد واذالم يكن من جنس الحدود لم يدخل فيه كافي قوله تعالى ثم اتوا الصيام الى الليل لان النهار من غير جنس الليل فلا يدخل فيه * الفرض الثالث قوله تعالى (وامسحوا برؤوسكم) اختلف العلماء في القدر الذي يجب ممسه من الرأس فقال مالك يجب مسح جميعه وهو احدى الروايتين عن احد والرواية الاخرى عنه انه يجب مسح اكثره وقال ابو حنيفة يجب مسح ربه وفي رواية اخرى عنه يجب مسح قدر ثلاثة اصابع منه وقال الشافعي الواجب مسح ما ينطلق عليه اسم المسح والمراد الصاق المسح بالرأس ومسح

طولك هم الكافرون وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون وبقينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتينا الانجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين ولحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون وانزلنا اليك الكتاب هم الفرقان الذي هو ظهور تفاصيل كلك (بالحق) مصدقاً لما بين يديه من الكتاب (اي علم القرآن) هو العلم الاجالى الثابت باستعدادك وحافظا عليه

بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح بالرأس فأخذ مالك بالاحتياط فأوجب الاستيعاب
واخذ الشافعي باليقين فأوجب مسح ما يقع عليه اسم المسح واخذ ابو حنيفة ببيان السهو وهو
ماروى عن الفير بن شعبة ان النبي صلى الله عليه وسلم توضأ فمسح بياصيته وعلى العمامة والخفين
متفق عليه وقدر الباصية ربع الرأس * الفرض الرابع قوله تعالى (وارجلكم الى الكعبين)
اختلف العلماء في هذا الحكم وهل فرض الرجلين المسح او الفسل فروى عن ابن عباس انه قال
الوضوء غسلة وان مسحتان ويروى ذلك عن قتادة ايضا ويروى عن انس انه قال نزل القرآن بالمسح
والسنة بالفسل وعن عكرمة قال ليس في الرجلين غسل انما نزل فيهما المسح وعن الشعبي انه قال
انما هو المسح على الرجلين الاترى ان ما كان عليه الفسل جعل عليه التيمم وما كان عليه المسح اهل
ومذهب الامامية من الشيعة ان الواجب في الرجلين المسح وقال جمهور العلماء من الصحابة والتابعين
فن بعدهم والائمة الاربعة واصحابهم ان فرض الرجلين هو الفسل وقال داود الظاهري يجب
الجمع بينهما وقال الحسن البصري ومحمد بن جرير الطبري المكلف بخير بين الفسل والمسح وسبب
هذا الاختلاف اختلاف القراء في هذا الحرف فقرأ نافع وابن عامر والكسائي وحض عن حاصم
وارجلكم بفتح اللام عطفا على الفسل فيكون من المؤخر الذى مناه التقديم ويكون المعنى
فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وارجلكم الى الكعبين وامسحوا برؤوسكم وقال اصحاب
هذه القراءة انما امر الله عباده بفسل الارجل دون مسحها ويدل عليه ايضا فضل النبي صلى الله
عليه وسلم واصحابه والتابعين فن بعدهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحزرة وابوبكر عن حاصم وارجلكم
بكسر اللام عطفا على المسح اما قراءة الصب فالمعنى فيها ظاهر لانه عطف على الفسل لوجوب غسل
الرجلين على مذهب الجمهور ولا يقدح فيه قول من خالف واما قراءة الكسر فقد اختلفوا في معناها
والجواب عنها فقال ابو حاتم وابن الانباري وابو علي الكسر عطف على المسح غير ان المراد بالمسح
في الارجل الفسل وقال ابو زيد المسح خفيف الفسل لقول العرب تمسحت للصلاة بمعنى توضأت
لهواهرات ما تمسح به للصلاة بمعنى اتوضأ قال ابو حاتم وذلك ان التوضي لا يرضى بصب الماء
على اعضائه حتى يمسحها مع الفسل فسمى الفسل مسحا بهذا الاعتبار فعلى هذا الرأس والرجل
مسحوا ان الان مسح الرأس اخف والذى يدل على ان المراد بالمسح في الرجل الفسل ذلك
التحديد وهو قوله تعالى الى الكعبين لان التحديد انما جاء في الفسل ولم يجرى في المسح فلما وقع
التحديد مع المسح علم انه في حكم الفسل وقال جماعة من العلماء ان الارجل معطوفة على الرأس
في الظاهر والمراد بها الفسل لانه قديس بالشيء على غيره والحكم فيهما مختلف كما قال الشاعر

يا ليت بلك قد فدا * متقلدا سيفا ورمحا

والمعنى وحاملا رمحا لان الرمح لا يتقلده وكذلك قول الآخر * علفتها تنسا وماء باردا * يعنى
وسيقها ماء باردا وكذلك المعنى في الآية وامسحوا برؤوسكم واغسلوا ارجلكم فللمزيد ذكر الفسل
وعطفت الارجل على الرأس في الظاهر اكتفى بقيام الدليل على ان الارجل منسولة من مفهوم
الآية والا حاثت العجيبة الواردة بفسل الرجلين في الوضوء واما من جعل كسر اللام في الارجل
على مجاورة اللفظ دون الحكم واستدل بقوله جمر ضرب خرب وقال الحرب نعت للجمر
لا لضرب وانما اخذ اعراب الضرب للمجاورة فليس يجيد لان الكسر على المجاورة انما يحمل

بالانتهار اولما بين يديه
العلوم الباردة على الانبياء
السابقين زمانا فان الغالب
على موسى عند الرجوع
الى البقاء عد القناء بالوجود
الموهوب قوة النفس وسلطا
نحو لهذا بطش باخيه كما قال
تعالى واخذ برأس اخيه
يجره اليه وقال عند طلب
الجهلى ارنى انظر اليك فكان
اكثر التوراة علم الاحكام
الذى يتعلق باحوال النفس
وتهذيبها ودعوته الى الظاهر
والغالب على عيسى قوة
القلب ونوره ولهذا تجرد
عن ملابس الدنيا وامر
بالزهد وقال لبعض اصحابه
اذ طامعت في خذل قادر
الخد لا تخرن لطمك وكان
اكثر الانجيل علم تجليات
الصفات والاخلاق والمواعظ
والصالحات التى تتعلق
باحوال القلب وتصفية
وتنويره ودعوته الى
الباطن والغالب على محمد

لاجل الضرورة في الشعر اويصار اليه حيث يحصل الامن من الاتباس لان الحرب لا يكون
نعتا للضب بل للجبر ولا ان الكسر بالجوار انما يكون بدون حرف العطف امام حرف العطف
فلم تتكلم به العرب وقوله تعالى الى الكعبين فيه دليل قاطع على وجوب غسل الكعبين كافي وجوب
غسل الرجلين كافي وقوله تعالى وايديكم الى المرافق والمعنى واغسلوا ارجلكم مع الكعبين وقد
تقدم اختلاف العلماء في ذلك عند قوله الى المرافق والكعبان هما العظمان اللتان عند مفصل الساق
والقدم هذا قول جمهور العلماء من اهل الفقه والفتة وشذت الشيعة ومن قال بمسح الرجلين
فقال الكعب عبارة عن عظم مستدير على ظهر القدم ويدل على بطلان هذا القول ان الكعب لو كان
على ماذ كروه لكان في كل رجل كعب واحد فكان ينبغي ان يقال وارجلكم الى الكعب كافي وقوله
تعالى وايديكم الى المرافق فلا قال الى الكعبين علم ان لكل رجل كعبين فبطل ما قالوه وثبت
قول الجمهور

عليه الصلاة والسلام
سلطان الروح ونوره
فكان جامع المكارم الاخلاق
متممها عادلا في الاحكام
متوسطا فيها وكان القرآن
شاملا لما في الكتابين من
العلوم والاحكام والمعارف
مصداقا له حافظا عليه مع
زيادات في التوحيد والمحبة
ودعوته الى التوحيد
(فاحكم بينهم بما نزل الله)
من العدل الذي هو ظل
الحبة التي هي ظل الوحدة
التي انكشفت هليك (ولا
تتبع اهل اوهامهم) في تغليب
احد الجانبين اما المظاهر واما
الباطن (عاجاك من الحق)
من التوحيد والمحبة والعدل
فان التوحيد يقتضي المحبة
والحبة العدل ويقع ظله
من سماء الروح على القلب
بالحبة وعلى النفس بالعدالة
(لكل جعلنا منكم شرعة
ومنهاجا) مورد كورد
النفس ومورد القلب

* (فصل) * قد تقدم ان الفروض المذكورة في هذه الآية اربعة وهي غسل الوجه وغسل
الدين الى المرفقين ومسح الرأس وغسل الرجلين الى الكعبين وقد تقدم استدلال الشافعي بهذه
الآية على وجوب الية في الوضوء فصارت فرضا خامسا وذهب الشافعي ومالك واجد الى
وجوب الترتيب في الوضوء وهوان يفصل الاعضاء في الوضوء على الولاية كما ذكره الله في هذه
الآية فيفصل اول وجهه ثم يديه ثم مسح رأسه ثم يغسل رجليه فصارت الترتيب فرضا سادسا وذهب
ابو حنيفة الى ان الترتيب في الوضوء غير واجب واحتج الشافعي على وجوب الترتيب بهذه الآية
وذلك ان الله تعالى امر بفصل الوجه ثم بفصل اليدين ثم مسح الرأس ثم بفصل الرجلين فوجب
ان يقع الفعل مرتبا كما امر الله تعالى واقوله صلى الله عليه وسلم في حديث حجة الوداع ابدأ بالله
به وهذا الحديث وان ورد في قصة السعي بين الصفا والمروة فان العبرة بمعموم اللفظ لا بخصوص
السبب ولان افعال النبي صلى الله عليه وسلم في الوضوء ماوردت الامر بترتيب كلورد في نص الآية
ولم ينقل عنه ولا عن غيره من الصحابة انه توضأ منكسا او غير مرتب ثبت ان ترتيب افعال الوضوء
كما امر الله تعالى ونص عليه في هذه الآية واجب واحتج ابو حنيفة لمذهبه بهذه الآية ايضا وذلك
ان الواو لا توجب الترتيب فاذا قلنا بوجوب الترتيب صار ذلك زيادة على النص وذلك غير جائز
واجب عنه بانه لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه توضأ الامر بترتيب كما ذكره بيان الكتاب
انما يؤخذ من السنة

* (فصل في ذكر الاحاديث التي وردت في صفة الوضوء وفضله) * (ق) عن جرير بن
عثمان بن عوف ان عثمان دعا بآباءه فأفرغ على كفيه ثلاث مرات فغسلها ثم ادخل يمينه في الاناء
فمضمض واستنشق واستنثر ثم غسل وجهه ثلاثا ويديه الى المرفقين ثلاثا ثم مسح رأسه ثم غسل
رجليه ثلاث مرات الى الكعبين ثم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ نحو وضوئي
هذانم قال من توضأ نحو وضوئي هذانم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه فغفرله ما تقدم من ذنبه
(ق) عن عبدالله بن زيد بن حاصم الانصاري قيل له توضأ لنا وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم
فدعا بآباءه فأفرغ منه على يديه ثلاثا ثم ادخل يده فاستخرجها فمضمض واستنشق من كف واحد
فصل ذلك ثلاثا ثم ادخل يده فاستخرجها فغسل وجهه ثلاثا ثم ادخل يده فاستخرجها فغسل يديه الى

المرقطين مرتين مرتين ثم أدخل يده فاستفرجهما فمسح برأسه فاقبل يديه وادبر ثم غسل رجله إلى الكعبين ثم قال هكذا كان وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم زاد في رواية بعد قوله فاقبل يديه وادبر بدأ بمقدم رأسه ثم ذهب بهما إلى فقام ثم ردهما حتى رجع إلى المكان الذي بدأ منه عن عبد خير قال أما نأه على كرم الله وجهه وقد صلى فدعا بطهور فقلنا ما يصنع بالطهور وقد صلى ما يريد الألبعلما فأنى بانه فيه ماء وطست فأفرغ من الأناة على يمينه فغسل يديه ثلاثاً ثم تمضمض واستنشق ثلاثاً فمضمض ونثر من كف يأخذ منه ثم غسل وجهه ثلاثاً وغسل يده اليمنى ثلاثاً وغسل الشمال ثلاثاً ثم جعل يده في الأناة فمسح رأسه مرة واحدة ثم غسل رجله اليمنى ثلاثاً ورجله الشمال ثلاثاً قال من سره أن يعلم وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو هذا أخرجه أبو داود * عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله كيف الطهور فدعا بماء في أناء فغسل كفيه ثلاثاً ثم غسل وجهه ثلاثاً ثم غسل ذراعيه ثلاثاً ثم مسح برأسه فأدخل أصبعه السبابة في أذنيه ومسح بإبهاميه على ظاهر أذنيه ثم غسل رجله ثلاثاً ثلاثاً قال هكذا الوضوء فمن زاد على هذا أو نقص فقد ساء وظلم أو قال ظلم وأساء أخرجه أبو داود وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح برأسه وأذنيه ظاهرهما وباطنهما أخرجه الترمذي وصححه (ق) عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً لم يغسل عقبه فقال ويل للأعقاب من النار (م) عن جابر قال أخبرني عمر بن الخطاب أن رجلاً توضأ فترك موضع ظفر على قدمه فابصره النبي صلى الله عليه وسلم فقال أرجع واحسن وضوءك قال فرجع فتوضأ ثم صلى أخرجه مسلم * عن خالد عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً يصلي وفي قدمه لمعة قدر الدرهم لم يبصها الماء فامر به النبي صلى الله عليه وسلم أن يعيد الوضوء والصلاة أخرجه أبو داود (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفره سافرناها فادر كنا وقد ارتفعت الصلاة ونحن نتوضأ فجعل نسمي على أرجلنا فادنا أعلى صوته ويل للأعقاب من النار مرتين أو ثلاثاً عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ مرة أخرى أخرجه البخاري عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ مرتين أخرجه أبو داود والترمذي وقال وقد روى عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ ثلاثاً ثلاثاً (م) عن عقبه بن عامر قال كانت علينا رابة الأبل فجاءت نوبتي فروحنا بعشي فادركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً يحدث الناس فأدركت من قوله ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يقوم فيصلي ركعتين قبل عليهما قبله ووجهه الاوجبت له الجنة فقلت ما أجود هذا فاقائل بين يدي يقول التي قلها أجود فنظرت فإذا عمر قال اتى قدر ايتك جئت آنفا قال ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول أشهد أن لا إله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله الا فتحت له ابواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء (م) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فاذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها مع الماء أو مع آخر قطر الماء فاذا غسل رجله خرجت كل خطيئة مشتهرا رجلاً مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقياً من الذنوب (ق) عن نعيم بن عبد الله الجر عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان امتي يدهون يوم القيامة غر المحجلين من آثار الوضوء فمن استطاع

ومورد الروح وطريقاً
كلم الاحكام والمعاملات
التي تتعلق بالقلب وسلوك
طريق الباطن الموصل الى
جنة الصفات وعم التوحيد
والمشاهدة الذي يتعلق
بالروح وسلوك طريق
الفناء الذي يوصل الى جنة
الذات (ولو شاء الله لجلع لكم
امة واحدة) وحديث
على الفطره الاولى متفقين
على دين واحد (والكن
ليلوكم في ما اتاكم) يظهر
عليكم ما آتاكم بحسب
استعداداتكم على قدر قوول
كل واحد منكم فتتبع
الكلمات (فاستبقوا
الحسرات) اي الامور
الموصلة الى كمالكم الذي
قدر لكم بحسب استعدادكم
المقرنة بايمانكم الى ما خراجه
الى الفصل (الى الله مرجعكم
جميعاً) في حين جمع الوجود
على حسب المراتب لادين
جمع الذات (فيبتكم بما

منكم ان يطل غرته فليقل وفي رواية قال رايت ابا هريرة يتوضأ فتسل وجهه فاسبغ الوضوء ثم غسل يده اليمنى حتى اشرع في العضد ثم غسل يده اليسرى حتى اشرع في العضد ثم مسح راسه ثم غسل رجله اليمنى حتى اشرع في الساق ثم غسل وجهه اليسرى حتى اشرع في الساق ثم قال هكذا رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم القرا المحجلون يوم القيامة من اسبغ الوضوء فمن استطاع منكم فليطل غرته وتحبيله وفي رواية لمسلم قال سمعت خبلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تبلغ الخلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء * عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضأ على طهر كتب الله له به عشر حسنات اخرجته الترمذي * عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه اخرجته ابو داود وابن ماجه * وقوله تعالى (وان كنتم جنبا فاطهروا) اي اغسلوا امر الله بالاغتمال من الجنابة وذلك يجب على الرجل والمرأة باحدثين اما بخروج المني على اي صفة كان من احتلام او غيره او بالنقاء الختانين وان لم يكن معه انزال فاذا حصل وجب الغسل (ق) عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اغتسل من الجنابة بدأ فغسل يديه ثم يفرغ بينه على شماله فيغسل فرجه ثم يتوضأ كما يتوضأ للصلاة ثم يدخل اصابعه في الماء يخلل بهما اصول شعره ثم يصب على راسه ثلاث غرفات يديه ثم يفيض الماء على سائر جسده اما قوله تعالى (وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه) فقد تقدم تفسيره واحكامه في تفسير سورة النساء وفي قوله تعالى (وهذا دليل على انه يجب مسح الوجه واليدين بالصعيد وهو التراب) وقوله تعالى (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) يعني من ضيق يفرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم عند عدم الماء (ولكن يريد ليظهركم) يعني من الاحداث والذنوب والخطايا لان الوضوء تكفير للذنوب (وليم نعمته عليكم) يعني بيان الشرائع والاحكام وما تحتاجون اليه من امر دينكم (لعلكم تشكرون) يعني تشكرون نعمة الله عليكم بان طهركم من الاحداث والذنوب وما حصل عليكم في الدين من حرج * قوله تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم) يعني ما انعم الله عليكم من الام كلها لان كثرة المم وذكروا بوجوب مزيد الشكر من المم عليه والاشتغال بطاعة المم بها والالتقاء لامره وهو الله تعالى (وميثاقه الذي واتقاكم به) يعني واذكروا عهده الذي عاهدكم به ايها المؤمنون (اذ قلتم سمعنا واطعنا) وذلك حين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فيما احبوا وكرهوا وقيل الميثاق هو الذي اخذهم عليه في يوم السبت بركم قالوا بلى (واتقوا الله) يعني فيما اخذهم عليكم من الميثاق فلا تقضوه (ان الله عليهم بذات الصدور) يعني ان الله تعالى عالم بما في قلوب عباد من خير وشر * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا كونوا قواما لله) قال ابن عباس يريد انهم يقومون لله بحقه ووهي ذلك هو ان يقوم لله بالحق في كل ما يلزمه القيام به من العمل بطاعته واجتناب نواهيه (شهداء بالقسط) يعني وتشهدون بالعدل يقول لانتخاب في شهادتك اهل ودك وقرانك ولا تمنع شهادتك اهل بغضك واعداك اقم شهادتك لهم وادليهم بالصدق والعدل (ولا يجرمكم شأن قوم) ولا يحملكم بغض قوم (على الاعتدال) على ترك العدل فيهم لعداوتهم (اعدلوا) امر الله بالعدل في كل احد القريب والبعيد والصديق والعدو (هو اقرب للتقوى) اي العدل اقرب للتقوى (واتقوا الله ان الله خير بما تعملون) يعني ان الله تعالى خير بجميع اعمالكم مطلع عليها وخير بمن عدل ومن لم يعدل * (وعدا الله الذين آمنوا وعملوا

كنتم فيه تختلفون) اي يظهر عليكم ما اختلفتم فيه بحسب اختلاف استعداداتكم من طلب احدي الجنان الثلاث والوصول اليها والحرمان بموانعها التي احصيتهم اعماف استعداداتكم من الكمال (وان احكم بينهم بما نزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما نزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض سزائهم وان كثيرا من الناس لفاسقون) دنوب اليهود وجب الافعال وذنوب النصارى وجب الصفات ففسق اليهود هو الخروح عن حكم تجليات الافعال الالهية برؤية النفس افعالها وفسق النصارى خروجهم عن حكم تجليات الصفات الحلقية برؤية النفس صفاتها واحتجابها بها كما ان فسق

الصالحات) يعني علوا بماواتهم الله به واوفوا بالعهود التي عاهدكم عليها (لهم مغفرة واجر عظيم) هذا بيان
 للوعد كانه لما تقدم ذكر الوعد فقبل اي شيء هذا الوعد فقال لهم مغفرة واجر عظيم واذا وعدهم
 انجز لهم الوعد فانه تعالى لا يخلف الميعاد (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) يعني والذين جحدوا وحدانية
 الله ونقضوا عهوده ومواثيقه وكذبوا بما جاء به الرسل من عنده (او انك) يعني من هذه صفته (اصحاب
 الجحيم) هذه الآية نص قاطع في ان الخلود في النار ليس الا للكلفار لان المصاحبة تقتضي الملازمة
 كما يقال فلان صاحب فلان يعني الملازمة له قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله
 عليكم) يعني اذكروا وانعمة الله عليكم بالدفع عنكم مع سائر نعمه التي انعم بها عليكم ثم وصف تلك النعمة
 التي ذكرهم بها وامرهم بالشكر عليها فقال تعالى (اذهم قوم ان يسطوا اليكم اديبهم) يعني بالقتل
 والبطش بكم فصره عنكم وحال بينكم وبين ما ارادوكم به * اخلف اهل التفسير في سبب نزول
 هذه الآية وفي صفة هذه النعمة التي امر الله تعالى اصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم بذكرها والشكر عليها
 فقال قتادة نزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بطن نخلة حين اراد بنو ثعلبة وبنو محارب
 ان يفتكوا برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه اذا اشتموا بالصلاة فاطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه
 وسلم على ذلك وانزل صلاة الخوف وقال الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم محاصر غطفان
 بنخل فقال رجل من المشركين هل لكم ان اقتل محمدا قالوا وكف تقتله قال افك به قالوا ودناك
 فقلت ذلك فاتي ابي صلى الله عليه وسلم واتي صلى الله عليه وسلم منقلد سيفه فقال يا محمد ارنى
 سيفك فاعطاه اياه فجعل الرجل يهز السيف وينظر اليه مرة والى ابي صلى الله عليه وسلم مرة ثم قال
 من يمنعك مني يا محمد قال الله فهدده اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاند السيف ومضى
 فانزل الله هذه الآية وقال مجاهد وعكرمة والكافي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المذنبين
 عمر الساعدي وهو احد القباء اليه العقبة في ثلاثين راكبا من المهاجرين والانصار الى بني
 عامر بن صعصعة فخر جوافقه واعمروا من الطفيل على بر من موهي من مياه بني عامر فاقتلوا فقتل
 المذنب واصحابه الثلاثة نفر كانوا في طلب ضالة لهم احدهم عمرو بن امية الضمري لم يرهم الا الطير
 تحوم في السماء بسقط من بين مناقيرها عاق الدم فقال احد الثفر الثلاثة قتل اصحابك ثم تولى يشتد حتى
 لقي رجلا من المشركين فاختلفا ضربتين فلا خالطته الضربة رفع راسه الى السماء وقع عليه فقال
 الله اكبر الجنة ورب العالمين ورجع صاحبه فلقيا رجلا من بني سليم وكان بين النبي صلى الله عليه وسلم
 وبين قومهما مودة فانتسبا الى بني عامر فقتلها وقدم قومهما الى النبي صلى الله عليه وسلم يطلبون
 الدية فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ابوبكر وعمر وعثمان وعلي وطه وعبد الرحمن بن عوف حتى
 دخلوا على كعب بن الاشرف وبني النضير يستعينهم في عقلها وكانوا قد عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم
 على ترك القتال وعلي ان يعينوه في الديار وقيل اراد ان يستقرض منهم دية رجلين فقالوا انهم يا ابا القاسم
 قد آن لك ان تأتينا ونسألك حاجة اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي سألت فجلس رسول الله صلى الله
 عليه وسلم واصحابه فحلبوا بعض اليهود بعض وقالوا انكم لن تجدوا محمدا اقرب منه الا ان فن يظهر منكم
 على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيرميها منه فقال عمرو بن جهاش ان افعمد الى رحي عظيمة ليطرحها على
 النبي صلى الله عليه وسلم فامسك الله يده ونزل جبريل فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فخرج ابي
 صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة قال وخرج معه علي بن ابي طالب فقال ابي صلى الله عليه وسلم لعلي

المجدين هو الالتفات الى
 ذواتهم والخروج عن حكم
 الوحدة الذاتية (الحكم
 الجاهلية يغنون) اي ما
 يطلبون بجهلهم الاحكاما
 صادرا عن مقام النفس
 بالجهل لا صادرا عن علم
 الهى (ومن احسن من الله
 حكما لقوم يوقنون يا ايها
 الذين آمنوا لا تخذلوا
 اليهود والعصاري اولياء
 بعضهم اولياء بعض ومن
 يتولهم منكم فانه منهم
 ان الله لا يهدي القوم الظالمين
 فترى الذين في قلوبهم مرض
 يسارعون فيهم يقولون
 نخشى ان تصيبنا دائرة
 فعسى الله ان ياتي بالفتح
 او امر من عنده فيصيحوا
 على ما امروا في انفسهم
 ناديين ويقول الذين آمنوا
 هؤلاء الذين اتفقوا بالله
 جهد ايمانهم انهم لمحكم
 حبطت اعمالهم فصيحوا
 خاسرين يا ايها الذين آمنوا

لا ترح مكانك حتى يخرج اليك اصحابي فمن خرج اليك منهم وسألتني فقل توجه الى المدينة فقل ذلك حتى تناهوا اليه ثم تبعوه الى المدينة وانزل الله عز وجل هذه الآية يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم يعنى اليهود ان يبسطوا اليكم ايديهم يقال بسط يده اليه اذ بطن وهو اذا مدها الى المبطوش به ليقتله (فكف ايديهم عنكم) يعنى انه تعالى منعهم بما ارادوه بكم (واتقوا الله) يعنى فيما امركم به ونهاكم عنه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) امر الله تعالى المؤمنين بالتوكل عليه لانه هو الكافي لجميع عباد الله ماورهم فاذا فعلوا ذلك وتوكلوا عليه حفظهم وراحهم بمن ارادهم بسؤ كما كف ايدي اليهود عنهم لما ارادوا ان يفتكوا بهم وهذه القصة اولى بالصواب لانه عقب الآية بضم اليهود وذكروا قبيح افعالهم وخيانتهم وذلك قوله تعالى (ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل) لما ذكر الله فى الآية المتقدمة بعض غدرات اليهود وما ارادوه من كيد رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه اتبعه بذكر اسلافهم وما نقضوه من المواثيق والعهود ومعنى الآية ان الله اخذ ميثاقهم ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وان يعملوا بما فى التوراة من الاحكام والتكاليف (وبشئناهم اثني عشر نقيبا) اختلف العلماء فى معنى النقيب فقال ابن عباس النقيب الضمين وقال قتادة هو الشهيد على قومه وقيل هو الامين الكفيل وقيل هو الباحث عن القوم وعن احوالهم * (ذكر القصة فى ذلك) قال اصحاب الاخبار والسير ان الله عز وجل وعد موسى عليه السلام ان يورثه قومه الارض المقدسة وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون فأمر الله موسى ان يسير بنى اسرائيل الى الارض المقدسة وقال انى كتبنا لكم دارا وقرارا فاخرج اليها واجاهد من فيها من العدو فاني ناصر لك عليهم وخذ من قومك اثني عشر نقيبا من كل سبط نقيبا يكون كفيل على قومه بالوفاء منهم على ما امرناه فاختر موسى القباء وسار بنى اسرائيل حتى قربوا من اريحا وهى مدينة الجبارين فبعث هؤلاء القباء نجسوا له الاخبار ويعلمون عليها فلقيهم رجل من الجبارين يقال له عوج بن عني وعني امه وهى احدى بنات آدم عليه السلام وكان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعا وثلاث ذراع هكذا نقله البغوى وفيه نظر لان آدم عليه السلام كان طوله على ما ورد فى الاحاديث الصحيحة ستين ذراعا قال وكان عوج يحجز بالصحاب ويشرب من ماء وينال الحوت من قعر البحر ويشويه فى عين الشمس ويروى ان الماء لما طبق على الارض من جبل وغيره ما بلغ ركبتى عوج وقال لنوح عليه السلام احلني معك فى السفينة فقال نوح عليه السلام اخرج عني يا عدو الله فاني لم اوامرك وماش عوج ثلاثة آلاف سنة حتى اهلكه الله تعالى على يده موسى عليه السلام وذلك انه قد اقلع صخرة من الجبل على قدر صكر موسى وكان فرسخا فى فرسخ وحلها على راسه ليطبقها عليهم فبعث الله الهدد فنقب الصخرة وقورها بمنقاره فوقعت فى عنقه فصرعه واقبل موسى عليه السلام وهو مصروع فقتله قال فلما اتى عوج النقب اخذهم وجعلهم فى حجزته وكان على راسه خزمة حطب وانطلق بهم الى امراته وقال لها انظري الى هؤلاء الذين يريدون قتالنا وطرحهم بين يديها وقال الا احسنهم رجلى فقالت امراته بل دخل عنهم حتى يخبروا قومهم بما راوا منك وقيل انه جعلهم فى كه واتي بهم الى الملك فترهم بين يديه فقال لهم الملك ارجعوا الى قومكم فأخبروهم بما رايتم وكان ما راوا ان العنقود الغنبل لا يحمله الا خمسة انفس منهم يذهبهم فى خشبة ويدخل فى شطر الرمانة اذا تزعم منها حبا خمسة انفس فرجع النقباء وقال بعضهم لبعض يا قوم انكم اذا اخبرتم بنى اسرائيل خبر القوم رجوعا عن نبي الله موسى ولا يقاتلونهم معه

من رتبة منكم من دينه)
من يرجع عن طريق الحق
الى الاحتجاب بعض الجلب
ى تجاب كان وخرج عنه
هو من الرد ودين لامن
هل المحبة ولا ينل ولا ينقص
ين الحق بارتداده فان الله
سوف يأتي بقوم يحبه
حسب العناية الاولى لالة
للدواتهم ويحبون ذاته
لصفة من صفاته ككونه
طيفا اورحيا او منعافا
حبة الصفات تنير باختلاف
جلياتها ومن يحب اللطيف
محبته اذ تجلى بصفة
لقهر ومن يحب المنعم انعمت
محبه اذ تجلى بصفة المنتقم
واما محبة الذات فهى باقية
بقلمها لا تتغير باختلاف
الجليات فيحب محبة القهار
عند القهر كما يحب اللطيف
عند اللطف ويحب المنتقم
حالة الانتقام كما يحب المنعم
حالة الانعام فلا تنفصاوت
فى الرضا وعدمه ولا تختلف

اكتفوا عن بني اسرائيل خبر القوم واخبروا موسى وهرون بما رايتم فيريان رايعا واخلد بعض القباء على بعض الميثاق بذلك فلما رجعوا الى بني اسرائيل نكثوا العهد والميثاق واخبر كل رجل سبطه بما راى الارجلان منهم وهم يوشع بن نون وكاب بن يوقافا نعماء وقيافا اليهود ولم ينكثا الميثاق فذلك قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبشئانهم اثني عشر نقيبا (وقال الله اني معكم) فيه حذف تقديره قال للقباء اني معكم يعني بالصر والمعونة وقيل هو خطاب عامه لبني اسرائيل واقول الاول ولى لان الضمير يعود الى اقرب مذكور فكان عوده الى القباء الاولى ثم ابتدء الكلام فقال مخاطبا لبني اسرائيل (ان اقم الصلوة) هذه جملة شرطية والشرط مركب من خمسة امور وهى قوله لنن اقم الصلوة (وآيتكم الزكوة وآتكم برسلى وعزرتهم وافرضتم الله قرضا حسنا) وجزاء الشرط قوله تعالى (لا كفرن عنكم سياتكم) وذلك اشارة الى ازالة العذاب وقوله تعالى (ولا دخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار) اشارة الى ايصال الثواب ومعنى الآية لن اقم الصلاة المكتوبة وآيتكم الزكاة المفروضة وآتكم برسلى يعنى جميع رسلى وانما اخذ ذكر الايمان بالرسلى لان اليهود كانوا مقرين باقام الصلاة وايتاء الزكاة والايمان ببعض الرسلى فقال الله لهم انه لكم ذلك ولا يحصل المقصود بالايمان بجميع الرسلى وقوله تعالى وعزرتهم يعنى ونصرتموهم واصل التعزيز فى اللغة الردع فعنى وعزرتهم نصرتموهم بان تردوا اعداءهم عنهم وقيل معناه وفرتموهم وعظمتوهم والقول هو الاول وافرضتم الله قرضا حسنا يعنى به الصدقات المدبوبة لان الزكاة تقدم ذكرها فلما قادت فى تفسير هذا القرض بالزكاة قال قلت كيف قال وافرضتم الله قرضا حسنا ولم يقل اقرضا حسنا لان مصدرا قرضم الاقراض قلت ان قوله قرضا اخرج مصدر من معناه لان لفظه وذلك ان اقرض بمعنى قرض فكان معنى الكلام وافرضتم الله قرضا حسنا ونظير ذلك قوله تعالى والله انبئكم من الارض نبا ما اذا كان معناه فبئتم نبا ما وقوله لا كفرن عنكم سياتكم يعنى اذا فاتهم سائر ما امرتكم به لا يحون عنكم سياتكم واغفرها لكم ولا دخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار (فن كفر بعد ذلك منكم) يعنى بعد اخذ العهد والميثاق (فقد ضل سواء السبيل) يعنى فقد اخطأ الطريق المستقيم وهو طريق الدين الذى شرعه والهدى الذى امر باتباعه وقوله تعالى (فيما نقضهم ميثاقهم) اى بسبب نقضهم الميثاق وذلك ان بني اسرائيل نقضوا ميثاق الله وعهده بان كذبوا الرسلى الذين جاؤا من بعده موسى وقتلوا انبياء الله بذوا كتابه وضيعوا فرائضه (لعنهم) يعنى جازيناهم على ذلك بان ابعدناهم وطردناهم عن رحمتنا واصل اللعنة الابعاد عن الرحمة (وجعلنا قلوبهم قاسية) يعنى غليظة يابسة لا تلين لان القسوة خلاف اللين والرفة وقيل معناه ان قلوبهم ليست خالصة الايمان بل ايمانهم مشوب بالكفر والتفارق (يحرفون الكلم عن مواضعه) يعنى يغيرون حدود التوراة واحكامها وقيل هو تبديلهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونفته من التوراة وقيل هو تحريفهم معانى الاقوال بسوء التأويل (ونسوا حظا مما ذكروا به) يعنى وتركوا نصيب انفسهم مما امروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نفعه وصفته (ولا تزال تطلع على خائنة منهم) قال ابن عباس يعنى على معصية منهم وكانت خيانتهم نقض العهد ومظاهرتهم المشركين على حرب محمد صلى الله عليه وسلم وهمهم بقتله وسخوهما من خيانتهم التى ظهرت (الا قليلا منهم) يعنى انهم لم يخونوا ولم ينقضوا العهد وهم عبد الله بن سلام واصحابه

محبة في احواله ويشكر
عند البلاء كما يشكر عند
العماء وأما من يحب المزم
فلا يشكر عند البلاء بل يصبر
ومثل هذه المحبة يلزم
الاولى التي هي لله ولآيائه
فيحبونه بحبه اياهم والافن
ابن لهم المحبة لله بالتراب
ورب الارباب (فسوف
يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه
اذلة على المؤمنين) لينين
حائنين عليهم طوفين
في تواضعهم لهم لكان الجنسية
الذاتية ورابطة المحبة الازلية
والمناسبة القطرية بينهم
(اعزة) اشداء غلاظ
(على الكافرين) المحبوبين
لا ضد اذما ذكر (بجاهدون
في سبيل الله) بمحوصفاتهم
وافناء ذواتهم التي هي
حجب مشاهداتهم (بجاهدون
في سبيل الله ولا يخافون
لومة لائم) من نسبتهم الى
الاباحة والزندقة والكفر
وهذهم بترك الدنيا ولذاتها

الذين اسلموا من اهل الكتاب (فأعف عنهم وأصفح) أي فأعف عن زلاتهم يا محمد وأصفح عن حرمهم ومؤاخذتهم وهذا امر بالعفو والصفح عن اهل الكتاب منسوخ بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية التي نزلت في سورة براءة قاله قتادة وقيل انها غير منسوخة بل نزلت في قوم كان بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد ففقدوا وتقصوا ذلك العهد فأنظر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك وانزل هذه الآية ولم تنسخ وذلك انه يجوز ان يعفو عن غدره ففعلوها ما لم ينصبوا حربا ولم يمتنعوا من اداء الجزية والصغار وعلى هذا القول بانها غير منسوخة يكون معنى الآية فأعف عن مؤمنهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم قبل ذلك وقيل معناه فأعف عن صفات زلاتهم ماداموا باقين على العهد (ان الله يحب المحسنين) يعني اذا عفوت عنهم فلك تحسن والله يحب المحسنين * قوله عز وجل (ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم) لما ذكر نقض اليهود الميثاق اتبعه ذكر نقض الصاري الميثاق وان سبيل الصاري مثل سبيل اليهود في نقض العهد والميثاق وانما قال تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى لانهم الذين ابتدعوا هذا الاسم وسماهوا انفسهم لان الله تعالى سماهم به اخذنا ميثاقهم يعني كتبنا عليهم في الانجيل ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم (فحفظوا حظه ما ذكرناه) يعني فتركوا ما امرنا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (ناغرياً) يعني فاقبلوا وقصا (بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) قال قتادة لما تركوا العمل بكتاب الله وعصوا رسوله وضيعوا فرائضه وعطلوا حدوده التي الله العداوة والبغضاء بينهم وقيل العداوة والبغضاء هي الاهواء المختلفة وفي الهاء والميم من قوله تعالى بينهم قولان احدهما ان المراد بهم اليهود والصاري فان العداوة والبغضاء حاصلة بينهم الى يوم القيامة والقول الثاني ان المراد بهم فرق الصاري فان كل فرقة منهم تكفر الاخرى (وسوف ينبتهم الله بما كانوا يصنعون) يعني ان الله تعالى يخبرهم في الآخرة باعمالهم التي عملوها في الدنيا فقيه وعيد وتهديد لهم * قوله تعالى (يا اهل الكتاب) يعني اليهود والنصارى (قد جاءكم رسولنا) يعني محمد صلى الله عليه وسلم (يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) يعني ان محمدا صلى الله عليه وسلم يظهر كثيرا مما اخفوا وكنتموا من احكام التوراة والانجيل وذلك انهم اخفوا آية الرجاء وصفة محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ذلك واطهره وهذا مجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يقرأ كتابهم ولم يعلم ما فيه فكان اظهار ذلك مجزلة (يعفون عن كثير) يعني ما يكتفونه فلا تعرض له ولا يؤاخذهم به لانه لا حاجة الى اظهاره والفاضة في ذلك انهم يعلمون كون النبي صلى الله عليه وسلم عالما بما يخفونه وهو مجزلة ايضا فيكون ذلك داهيا لهم الى الايمان به (قد جاءكم من الله نور) يعني محمد صلى الله عليه وسلم انما جاء الله نور الانه يهتدي به كما يهتدي بالنور في الظلام وقيل النور هو الاسلام (وكتاب مبين) يعني القرآن (يهدي به الله) يعني يهدي الله بالكتاب المبين (من اتبع رضوانه) أي اتبع ما رضى الله به وهو دين الاسلام لانه مدحه واثني عليه (سبل السلام) قال ابن عباس يريد دين الله وهو الاسلام فبسطه الله الذي شرع لعباده وبعث به رسوله وامر عباده باتباعه وقيل سبل السلام طرق السلامة وقيل سبل السلام دار السلام فيكون من باب حذف المضاف (ويخرجهم من الظلمات الى النور) يعني من ظلمات الكفر الى نور الايمان (بآذنه) يعني بتوفيقه وهدايته (ويهديهم الى صراط مستقيم) يعني دين الاسلام * قوله عز وجل (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح مريم) قال ابن عباس

بل بترك الآخرة ونعيمها
كما قال امير المؤمنين عليه
السلام اعبدوا الله لا لرغبة
ولا لرغبة فهم من القتبان
الذين قيل فيهم وادا الفتى
عرف الرشاد لنفسه *
هانت عليه ملامة العذال
(ذلك فضل الله يؤتيه من
يشاء والله واسع عليم انما
وليكم الله ورسوله والذين
آمنوا) والمؤمنون لاهم
للتناقى الحقيقي بينكم وبينهم
اي يتولى الله ورسوله
والمؤمنون اياكم ولا يتولى
الله واوليائه من الرسول
والمؤمنين المحبوبون
للتضاد الحقيقي بينهم انما
يتولون الله ورسوله
والذين آمنوا انتم جع
اولا في ثبات ولايتهم لله
مطلقا ثم فصلها بحسب
الطاهر فقال ورسوله
والذين آمنوا كما فصل في
الشهادة في قوله شهد الله
انه لا اله الا هو (الذين)

هؤلاء نصارى نجران فانهم قالوا هذه المقالة وهو مذهب العقوبة والملكية من النصارى لانهم يقولون في المسيح انه الله تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا وانما قالوا هذه المقالة الخبيثة لانهم يقولون بالخلول وان الله قد حل في بدن عيسى فلما كان اعتقادهم ذلك لاجرم حكم الله عليهم بالكفر ثم ذكر الله ما يدل على فساد مذهبهم فقال تعالى (قل) يعني يا محمد هؤلاء النصارى الذين يقولون هذه المقالة (فمن يملك) يعني يقدر ان يدفع (من الله شيئا) يعني من امر الله شيئا (ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه) يعني يعدم المسيح وامه (ومن في الارض جيماء) ووجه الاحتجاج على النصارى بهذا ان المسيح لو كان الها كما يقولون لقد رعى دفع امر الله اذا اراد اهلاكا واهلاكا ما هو غير هاهنا (ولله ملك السموات والارض وما بينهما) انما قال وما بينهما ولم يقل وما بينهما لانه اراد ما بين هذين النوعين او الصنفين من الاشياء فانها ملككم واهلها عبيده وعيسى وامه من جلة عبيده بخلق ما يشاء) يعني من غير اعتراض عليه فيما يخلق لانه خلق آدم من غير الله وام وخلق عيسى من ام بلا الله وخلق سائر الخلق من الله وام (والله على كل شيء قدير) يعني ان الله تعالى لا يجهز شيئا اراده فلا اعتراض لاحد من خلقه عليه * قوله تعالى (وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه) قال ابن عباس اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان وابن اصرار وجرى بن عمرو وشاس بن عدى فكلهم وكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى ادو حذرهم فنهته فقالوا ما نخوفنا يا محمد نحن ابناء الله واحباؤه كقول النصارى فانزل الله عز وجل فيهم وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه الآية * وسبب هذه المقالة ما حكاه السدي قال اما اليهود فانهم قالوا ان الله اوحى الى اسراييل اتى ادخل من ولدك النار فيكونون فيما اربعين يوما حتى تظهرهم وتاكل خطاياهم ثم ينادى ماد ان اخرجوا كل مخنون من ولد اسراييل فيخرجون فذلك قوله تعالى لن تمسنا النار الا اياما معدودات واما النصارى فان فرقة منهم يقولون المسيح ابن الله وكذبوا فيما قالوا على الله تعالى فاما وجه قول اليهود فانهم يقولون انه من عطفه عليهم كآلاب الشفيق على الولد واما وجه قول النصارى فانهم لما قالوا في المسيح انه ابن الله ودعواؤه منهم فكانهم قالوا نحن ابناء الله لهذا السبب وقيل ان اليهود انما قالوا هذه المقالة من باب حذف المضاف والمعنى نحن ابناء رسول الله واما النصارى فانهم تأولوا قول المسيح اذهب الى ابي واياكم وقوله اذا صليتم فقولوا يا ابانا الذى في السماء لقد سن اسمك فذهبوا الى ظاهر هذه المقالة ولم يعلموا ان اراد المسيح عليه السلام ان يسمي هذه المقالة منه فان تأويلها انه في بره ورجته وعطفه على عباد الصالحين كآلاب الرحيم لولده ووجه الكلام في ذلك ان اليهود والنصارى كانوا يرون لانفسهم فضلا على من سواهم بسبب اسلافهم الافاضل حتى انتهوا في تعظيم انفسهم الى ان قالوا نحن ابناء الله واحباؤه فابطل الله عز وجل دعواهم وكذبهم فيما قالوا بقوله تعالى (قل لم يعذبكم بذنوبكم) معناه اذا كان الامر كما تزعمون فلم يعذبكم الله وانتم قد اقرتم على انفسكم انه يعذبكم اربعين يوما وهل رايتم والد يعذب ولده بالارو هل تطيب نفس محبان يعذب حبيبه في النار (بل انتم بشر من خلق) يعني بل انتم يا مشرك اليهود والنصارى كسائر بني آدم مجزيون بالاساءة والاحسان * قوله تعالى (ينفران بشاء) يعني لمن تاب من اليهودية والنصرانية (ويعذب من يشاء) يعني من مات على اليهودية والنصرانية وقيل معناه يهدى من يشاء فيفترقه ويميت من يشاء على كفره فيعذبه (ولله ملك السموات والارض

آمنوا) (يقومون الصلاة)
صلاة الشهود والحضور
الذاتي (ويؤتون الزكاة)
زكاة البقايا (وهم راكعون)
حاضعون في البقاء بالله
بنسبة كالاتهم وصفاتهم
الى الله كأمر المؤمنين عليه
السلام السازل في حقه
هذا القائل لا اله الا الله بعد
فساد الخلق لامتنصبون
في مقام الطغيان بنسبتهم
الى انفسهم (ومن يتول الله
ورسوله والذين آمنوا
فان حزب الله) فهو من
اهل الله وان اهل الله
(هم اهلون) بالله (يا ايها
الذين آمنوا لاتخذوا
الذين اتخذوا دينكم هزوا
ولعن من الدين او توالى الكتاب
من قبلكم والكفار اولياء
واتقوا الله ان كنتم مؤمنين
وادانا دينم الى الصلوة
اتخذوها هزوا ولعن ذلك
بانهم قوم لا يعقلون قل
يا اهل الكتاب هل تقمونه

وما بينهما) يعني انه تعالى يملك ذلك لاشريك له في ذلك فيعارضه وهو الذي يملك المغفرة
 ان يشاء والتعذيب لمن يشاء وفيه دليل على انه تعالى لا ولد له لان من يملك السموات والارض
 يستحيل ان يكون له شبيه من خلقه او شريك في ملكه (واليه المصير) يعني والى الله مرجع
 العباد في الآخرة فيجازيهم باعمالهم * قوله تعالى (يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بين لكم على
 فترة من الرسل) قال ابن عباس قال معاذ بن جبل وسعد بن عباد وعقبة بن وهب لليهود يا معشر
 اليهود اتقوا الله فوالله انكم لتعلمون انه رسول الله لقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعضه وتصفونه لنا
 بصفته فقال رافع بن حرملة ووهب بن يهودا ما قلنا ذلك لكم وما انزل الله من كتاب بعد
 موسى ولا ارسل بشيرا ولا نذيرا بعده فأنزل الله هذه الآية يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا
 يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بين لكم يعني احكام الدين والشرائع على فترة من الرسل قال ابن
 عباس يعني على انقطاع من الرسل * واختلف العلماء في قدر مدة الفترة فروى عن سلمان قال فترة
 .ابن عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستمئة سنة اخرجه البخارى وقال قتادة كانت الفترة
 بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستمئة سنة وما شاء الله من ذلك وعنه انه خمسمائة سنة
 وستون سنة وقال ابن السائب خمسمائة واربعون سنة وقال الضحاك انها اربعمئة وبضع وثلاثون
 سنة ونقل ابن الجوزى عن ابن عباس على فترة من الرسل قال على انقطاع منهم قال وكان بين
 ميلاد عيسى وميلاد محمد صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وتسعة وستون سنة وهى الفترة
 وكان بين عيسى ومحمد اربعة من الرسل وذلك قوله اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث
 قال والرابع لا ادري من هو فكانت تلك السنوات مائة واربع وثلثين سنة نوبة وسائرها فترة
 قال ابوسليمان الدمشقي والرابع والله اعلم خالد بن سنان الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه
 وسلم نبي ضيعه قومه قال الامام فخر الدين الرازى والفائدة في بضعة محمد صلى الله عليه وسلم عدد
 فترة الرسل هى ان التحريف والتغيير كان قد تطرق الى الشرائع المتقدمة لتقدم مهدها وطول
 زمانها وسبب ذلك اختلاط الحق بالباطل والكذب بالصدق فصار ذلك عذرا ظاهرا في اعراض
 الخلق عن العبادات لانهم ان يقولوا الها عرفنا انه لا بد من عبادتك ولكننا ما عرفنا كيف نعبدك
 فبعث الله في هذا الوقت محمدا صلى الله عليه وسلم لارالة هذا العذر فذلك قوله عز وجل (ان
 تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير) يعني اثلا تقولوا وقيل معناه كراهية ان تقولوا ما جاءنا
 من بشير ولا نذير في هذا الوقت (فقد جاءكم بشير ونذير) يعني فقد ارسلت اليكم محمدا صلى الله
 عليه وسلم لازالة هذا العذر (والله على كل شئ قدير) يعني انه تعالى قادر على بضعة الرسل
 في وقت الحاجة اليهم * قوله عز وجل (واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم)
 قال ابن عباس اذكروا طاعة الله وقيل معناه اذكروا ايدى الله عنكم وايامه التى انتم فيها عليكم
 قال الطبرى هذا تعريف من الله تعالى لنبية محمد صلى الله عليه وسلم بتأدى هؤلاء اليهود في النفي
 وبعدهم عن الحق وسوء اختيارهم لانفسهم وشدة مخالفتهم لانياتهم مع كثرة نعم الله عليهم وتابع اباديه
 لديهم والآله لديهم سلى بذلك نبية محمد صلى الله عليه وسلم اعزل به من مقاساتهم ومعالجتهم في ذات الله
 عز وجل (اذ جعل فيكم انبياء) يعني ان موسى عليه السلام ذكر قومه بنى اسرائيل بأيام الله
 عندهم وبما انهم به عليهم فقال اذكروا نعمة الله عليكم اذ فضلكم بأن جعل فيكم انبياء قال الكاظمي

منا لان آمن بالله وما انزل
 البنا وما انزل من قبل وان
 اكثرتم فاسقون قل هل
 انبشكم بشر من ذلك
 مثوبة عند الله من لئنه الله
 وغضب عليه وجعل منهم
 القردة والحمازير وعبد
 الطاغوت اولئك شر ما كانا
 واضل من سواء السبيل
 واذ جاءكم قالوا آمنوا وقد
 دخلوا بالكفروهم قد
 خرجوا به والله اعلم بما كانوا
 يكتمون وترى كثيرا منهم
 يسارعون في الاتم والعدوان
 اى يقدمون على جميع
 الرذائل بالسرعة لا اعتبارهم
 بما وادبرهم فيها وكونها
 ملكات لنفوسهم فالآثم
 رذيلة القوة الطغية لانه
 الكذب والعدوان رذيلة
 القوة الشهوية (واكلهم
 السحت لبس ما كانوا
 يعملون لولاينهاهم الربانيون
 والاحبار عن قولهم الاتم
 واكلهم السحت لبس

هم السبعون الذين اختارهم موسى من قومه وانطلق بهم الى الجبل وايضا كان انبياء بني اسرائيل من اولاد يعقوب بن امحق بن ابراهيم عليهم السلام وهؤلاء لاشك انهم من اكابر الانبياء واولاد يعقوب وهم الاسباط انبياء على قول الاكثرين وموسى وهرون عليهما السلام وايضا فان الله تعالى اعلم موسى انه يعث من بعده في بني اسرائيل انبياء فانه لم يعث في امة مابعت في بني اسرائيل من الانبياء فكان هذا شرفا عظيما لهم ونعمة ظاهرة عليهم (وجعلكم ملوكا) يعنى وجعلكم احرارا تملكون انفسكم بعد ان كنتم عبيدا في ايدى القبط قال ابن عباس يعنى جعلكم اصحاب خدم وحشم قال قتادة كانوا اول من ملك الخدم ولم يكن ابن قبلهم خدم وروى عن ابي سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان بنو اسرائيل اذا كان لاحدهم خادم وامرأة ودابة يكتب ملكا ذكره البغوى بغير سند وسأل رجل عبد الله بن عمرو بن العاص فقال السنا من فقراء المهاجرين فقال له عبد الله الك امرأة تأوى اليها قال نعم قال الك مسكن تسكنه قال نعم قال انت من الاغنياء قال فالى خادما قال فانت من الملوك وقال الضحاك كانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية ومن كان مسكنه واسعا وفيه ماء جار فهو ملك (وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين) يعنى من عالمي زمانكم يذكركم ما انعم الله به عليهم من فلق البحر لهم واهلاك عدوهم وازال المن والسلوى عليهم واخراج الماء من الحجر لهم وتظليل الغمام فوقهم الى غير ذلك من النعم التي انعم الله بها عليهم * قوله تعالى (يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم) لما ذكر موسى قومه ما انعم الله به عليهم امرهم بالخروج الى جهاد عدوهم فقل يا قوم ادخلوا الارض المقدسة يعنى المطهرة سميت مقدسة لانها طهرت من الشرك وصارت مسكنا للانبياء والمؤمنين وقيل المقدسة المباركة قال الكاظمي صدر ابراهيم صلى الله عليه وسلم جبل لبنان فقيل له انظر فما ادرك بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك والارض هي الطور وما حوله وقيل هي اربحاء وفلسطين وبعض الاردن وقيل هي دمشق وقيل هي الشام كلها قال كعب الاحبار ووجدت في كتاب الله المنزل ان الشام كنز الله في ارضه وبها اكثر عبادته التي كتب الله لكم يعنى كتب الله في اللوح المحفوظ انتم انتم مساكن وقيل فرض الله عليكم دخولها وامركم بسكنها وقيل وهبها لكم * فان قلت كيف قال الله تعالى ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم وقال فلما حرمه عليهم وكيف الجمع بينهما * قلت فيه وجوه احدها انها كانت هبة من الله ثم حرمها عليهم بشؤم تمردهم وهسيانهم الوجود الثاني ان اللفظ وان كان عاما لكن المراد منه الخصوص فصارت مكتوبة لبعضهم وحرام على بعضهم فان يوشع بن نون وكالب بن يوقا دخلاها وكانا بمن خوطب بهذا الخطاب الوجه الثالث ان هذا الوعد كان مشروطا بالاطاعة فلما لم يوجد الشرط لم يوجد المشروط الوجه الرابع انه قال انها محرمة عليهم اربعين سنة فلما مضت الاربعون دخلوها وكانت مساكن لهم كما وعدهم الله تعالى وقوله تعالى (ولا تردوا على اديباركم) يعنى ولا ترجعوا القهقري مرتدين على اعقابكم الى ورائكم ولكن امضوا لامر الله الذي امركم به وان فعلتم خلاف ما امركم الله به (فتقبلوا اخرين) يعنى فترجعوا خائنين لانكم رددتم امر الله * قوله عز وجل (قالوا) يعنى قوم موسى (يا موسى ان فيها) يعنى في الارض المقدسة (قوما جبارين) يعنى قوما مائتين لاطاعة لتابعهم ولا قوة لنا بقتالهم وسعوا اولئك القوم جبارين

ما كانوا يصنعون وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان يتفق كيف يشاء وايزيدون كثير منهم ما نزل اليك من ربك طغيانا وكفرا والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة كلا اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله ويسعون في الارض فسادا والله لا يحب المفسدين ولوان اهل الكتاب آمنوا الايمان التوحيدى الحقيقى (واتقوا) واجتنبوا عن

لشدة بطشهم وعظم خلقهم وكانوا ذوى اجسام عظيمة واشكال هائلة وهم الصائمة بقية قوم عاد واصل الجبار في صفة الانسان فقال من جبره على الامر يعنى اجبره عليه وهو العاقى الذى يجبر الناس على ما يريد وقيل انه مأخوذ من قولهم نخلة جبارة اذا كانت طويلة مرتفعة لاتصل الايدى اليها ويقال رجل جبار اذا كان طويلا عظيما قويا تشبيها بالجبار من الضل (وانا لن ندخلها) يعنى ارض الجبارين التى امرهم الله بدخولها (حتى يخرجوا منها) حتى يخرج الجبارون من الارض المقدسة وانما قالوا ذلك استبعادا لخروج الجبارين من ارضهم (فان يخرجوا منها فانا داخلون) يعنى اليها قال العلماء بالاخبار ان النقاء لما خرجوا يتجسسون الاخبار لموسى عليه السلام ورجعوا اليه واخبروه خبر القوم وما عاينوه منهم قال لهم موسى لا تجربوا بنى اسرائيل بهذا فيجبنوا ويضعفوا عن قتالهم وقيل ان اللقاء الاثني عشر لما خرجوا من ارض الجبارين قال بعضهم لبعض لا تجربوا بنى اسرائيل بما رأيتم فلا رجعوا واخبروا موسى امرهم ان لا تجربوا بنى اسرائيل بذلك فذاقوا امره ونقضوا العهد واخبر كل رجل من القباء سبطه بما رأى الا يوشع بن نون وكالب فانهما كتما ووفيا بالعهد فلما علم بنو اسرائيل بذلك وفشا ذلك فيهم رفضوا اصواتهم بالبكاء وقالوا ليتنا متنا في ارض مصر ولا يدخلنا الله ارضهم فتكون نسائنا واولادنا وامواتنا غنيمة لهم وجعل الرجل من بنى اسرائيل يقول لصاحبه تعالوا نجعل لنا رأسا وننصرف الى مصر فلما قال بنو اسرائيل ذلك وهموا بالانصراف الى مصر خر موسى وهارون ساجدين وخرق يوشع وكالب ثيابهما وهما اللذان اخبر الله عنهما بقوله (قال رجلان من الذين يخافون) يعنى يخافون الله ويراقبونه (انتم الله عليهما) يعنى بالهداية والوفاء بالعهد (ادخلوا عليهم الباب) يعنى قال الرجلان وهما يوشع بن نون وكالب بن يوقا لبنى اسرائيل ادخلوا على الجبارين باب مدينتهم (فاذا دخلتموه فانكم غالبون) لان الله وعدكم بالنصر وان الله ينجز لكم وعده (وعلى الله فتوكوا وان كنتم مؤمنين) يعنى يقول الرجلان لقوم موسى تقوا بالله فانه معكم وناصركم ان كنتم مصدقين بان الله ناصركم ولا يهزمكم عظم اجسامهم فانادى رايانهم فكانت اجسامهم عظيمة وقلوبهم ضعيفة فلما قال ذلك اراد بنو اسرائيل ان يرجعوا بالجارية وعصوا امرهما وقالوا ما اخبر الله عنهم بقوله تعالى (قالوا يا موسى انان ندخلها ابدا) يعنى قال قوم موسى لموسى انان ندخل مدينة الجبارين ابدا يعنى مدة حياتنا (ماداموا فيها) يعنى مقيمين فيها (فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون) انما قالوا هذه المقالة لان مذهب اليهود التجسيم فكانوا يحوزون الذهب والجبى على الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا قال بعض العلماء ان كانوا قالوا هذا على وجه الذهب من مكان الى مكان فهو كفر وان كانوا قالوه على وجه الخلاف لامر الله وامر نبيه موسى فهو فسق وقال بعضهم انما قالوه على وجه المجاز والمعنى اذهب انت وربك معين لك لكن قوله فقاتلا يفسد هذا التأويل وقال بعضهم انما ارادوا بقولهم وربك اخاه هرون لانه كان اكبر من موسى والاصح انهم انما قالوا ذلك جهلا منهم بالله تعالى وصفاته ومنه قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره (خ) من ابن مسعود قال شهدت من المقداد بن الاسود مشهدا لان اكون انا صاحبه احب الى مما در له اتي النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدهو على المشركين يوم بدر فقال يا رسول الله انا لانقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى

شرك افعالهم وصفاتهم
وذاتهم (لكفرنا عنهم
سبائهم) من بقاياهم
(ولا تدخلنا جهنم النار)
الجنات الثلاث (ولوانهم
اقاموا التوراة) بتحقيق
علوم الظاهر والقيام بحقوق
تجليات الافعال والمحافظة
على احكامها في المعاملات
(والانجيل) بتحقيق عنوان
الباطن والقيام بحقوق
تجليات الصفات والمحافظة
على احكامها (و) احكموا
(ما انزل اليهم من ربهم)
من علم المبدأ والمعاد وتوحيد

اذهب انتويرك فقتلانا ههنا قاعدون ولكن امض ونحن معك فكانه سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية لكننا قاتل عن يمينك وعن شمالك ومن بين يديك ومن خلفك فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اشرق وجهه وسر به قوله تعالى (قال) يعني موسى عليه السلام (رب) اى يارب (انى لاملك الانفسى واخى) يعنى انى لاملك الانفسى واخى لا يملك الانفسه وقيل معناه لاملك الانفسى ونفس اخى لانه كان بطيعه واذا كان كذلك فقد ملكه وانما قال موسى لاملك الانفسى واخى وان كان معه فى طاعته يوشع بن نون وكالب بن يوفنا لاختصاص هرون به ولزبد الاعتناء باخيه ويحتمل ان يكون معناه واخى فى الدين ومن كان على دينه وطاعته فهو اخوه فى الدين فعلى هذا الاحتمال يدخل الرجلان فى قوله واخى ثم قال (فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) اى افصل وقيل احكم بيننا وبين القوم الفاسقين يعنى الخارجين عن طاعتك وانما قال موسى ذلك لانه لما رأى بنى اسرائيل وما فعلوه من مخالفة امر الله وهمهم يوشع وكالب غضب لذلك ودعا عليهم فاجاب الله تعالى دعاء موسى عليه السلام (قال) الله عز وجل (فانها محرمة عليهم) يعنى فان الارض المقدسة محرمة عليهم ومعناه ان تلك البلدة محرمة عليهم ابدولم يرد تحرير تعبد وانما اراد تحريم منع فأوحى الله تعالى الى موسى بنى حلفت لأحر من عليهم دخول الارض المقدسة غير عدى يوشع وكالب ولا تبينهم فى هذه البرية اربعين سنة مكان كل يوم من الايام التى كانوا يتجسسون فيها سنة ولاتقين جيفهم فى هذه القفار واما ابناؤهم الذين لم يعملوا الشر فدخلوها فذلك قوله تعالى فانها يعنى الارض المقدسة محرمة عليهم قال اكثر اهل العلم هذا تحريم منع لا تحريم تعدد وقيل يحتمل ان يكون تحريم تعبد فيجوز ان يكون الله تعالى امرهم بان يمكنوا فى تلك المعازة فى الشدة والبلى عقابا لهم على سوء صنيعهم (اربعين سنة) فن قال ان الكلام تم صدق قوله فانها محرمة عليهم قال اربعين سنة يتيهون فى الارض فلما الحرمه فلما مؤبدة حتى يموتوا ويدخلها ابناؤهم وقيل معناه ان الارض المقدسة محرمة عليهم اربعين سنة ثم يدخلونها وتمتع لهم به وقوله تعالى (يتيهون فى الارض) يعنى يتحiron فيها يقال تاه يته اذا تحير واختلفوا فى مقدار الارض التى ناهوا فيها فقيل مقدار ستة فراسخ وقيل ستة فراسخ فى اتى عشر فرسخا وقبل تسع فراسخ فى ثلاثين فرسخا وكان القوم ستة آلاف مقاتل وكانوا يرحلون ويسبرون يومهم اجمع فاذا امسوا اذاهم فى الموضع الذى رحلوا منه وكان ذلك التيه عقوبة لبنى اسرائيل ما خلا موسى وهرون ويوشع وكالب فان الله تعالى سهل عليهم واعانهم عليه كما سهل على ابراهيم البار وجعلها باردا وسلاما فان قلت كيف يعقل بقاء هذا الجمع العظيم فى هذا المقدار الصغير من الارض اربعين سنة بحيث لم يخرج منه احده قلت هذا من باب خوارق العادات وخوارق العادات فى ازمان الانبياء غير مستبعد فان الله على كل شى قدير وقيل ان فسرنا ذلك التحريم بتحريم التعبد زال هذا الاشكال لاحتمال ان الله ما حرم عليهم الخروج من تلك الارض بل امر بالثبوت اربعين سنة فى المشقة والحنة جزاء لهم على سوء صنيعهم ومخالفتهم امر الله ولما حصل بنو اسرائيل فى التيه شكوا الى موسى عليه السلام حالهم فانزل الله عليهم المن والسوى واعطوا من الكسوة ما هم قائموا به فى شئ الناسى منهم فتكون معه على مقداره وهيته وسأل موسى ربه ان يسقيهم فأتى بعجر ابيض من جبل الطور فكان اذا نزل ضربه بعصاه فخرج منه اثنا عشرة ينبوعا لكل سبط منهم عين وارسل الله عليهم

الملك والملكوت من عالم
لربوبية الذى هو عالم الاسماء
(لا تكلوا من فوقهم) اى
لرزقوا من العالم العلوى
الروحانى العلوم الالهية
والخفائى العقلية البقية
والمعارف الخفية التى بها
اهتدوا الى معرفة الله ومعرفة
الملكوت والجبروت (ومن
تحت ارجلهم) اى من
العالم السفلى الجسمانى
العلوم الطبيعية والمدرجات
الحسية التى اهتدوا بها الى
معرفة عالم الملك فعرفوا الله
باسمه الظاهر والباطن بل

الغمام يظلمهم في التيه ومات في التيه كل من دخله من جاوز عشرين سنة خير يوشع بن نون وكالب بن بوقنا ولم يدخل اريحا من قال اتان لن ندخلها ابدا واختلفوا في ان موسى عليه السلام مات في التيه ام خرج منه فقيل ان موسى وهرون ماتا في التيه جعجا

*** (قصة وفاة موسى وهرون عليهما السلام) ***

فاما هارون فانه كان اكبر من موسى بسنة قال السدي اوحى الله عز وجل الى موسى اني متوفي هرون فأت به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهرون نحو ذلك الجبل فاذا بشجرة لم ير مثلها واذا بيت مبني وفيه سرير عليه فراش وفيه راحة طيبة فلما رأى هرون ذلك البيت اعجبه وقال يا موسى اني احب ان انام على هذا السرير قال ثم قال اني اخاف ان يأتي رب هذا البيت فيغضب علي قال لا تخف اني اكفيك رب هذا البيت قم قال يا موسى قم انت معي فان جاء رب هذا البيت فغضب علي وعليك جعجا فلما اخذ هرون الموت فلما وجد مسه قال يا موسى خذ عني فلما قبض هرون رفع البيت والسرير الى السماء وهرون عليه وذهبت الشجرة فرجع موسى الى بني اسرائيل ولبس هرون معه فقال بنو اسرائيل حسد موسى هرون فقتله لحنا اياه قال موسى ويحكم ان هرون كان اخي افتروني اقتله فلما اكثروا عليه قام موسى فصلى ركعتين ثم دعا الله عز وجل فزل السرير وعليه هرون فظروا اليه وهو بين السماء والارض فصدقوه ثم رفع وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه صدق موسى عليه السلام وهرون الى الجبل فأت هرون وبقي موسى فقال بنو اسرائيل لموسى انت قتلت وآذوه فامر الله الملائكة فحملوه حتى مروا به على بني اسرائيل وتكلمت الملائكة بموته فصدقت بنو اسرائيل انه مات وبرا الله موسى بما قالوه ثم ان الملائكة حملوه ودفنوه ولم يطلع على موضع قبره احد الا الرخم فجعله الله اصم ابكم * واما وفاة موسى عليه السلام فقال ابن اسحق كان صفي الله موسى عليه السلام قد كره الموت واعظمه فاراد الله ان يحسب اليه الموت ذنباً يوشع بن نون فكان موسى يغدو يروح اليه ويقول له يا بني الله ما حدث الله اليك فيقول له يوشع يا بني الله الم اصحبك كذا وكذا سنة فهل كنت اسألك عن شيء مما احدث الله اليك حتى كنت انت تبتدي به وتذكره لي ولا يذكره لي شيئاً فلما رأى موسى ذلك كره الحياة واحب الموت (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسل ملك الموت الى موسى فلما جاءه صكه ففقا عينه فرجع الى ربه فقال ارسلني الى عبد لا يريد الموت فرد الله اليه عينه وقال ارجع اليه فقل له يضع يده على من ثورقه بكل ما غطت يده من شعرة سنة قال اي رب ثم قال ثم الموت قال فالان فسأل الله ان يدينه من الارض المقدسة رمية بحجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو كنت ثم لا ريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكتيب الاجر في رواية لمسلم قال جاء ملك الموت الى موسى فقال اجب ربك قال فلعن موسى حين ملك الموت ففقاها ثم كرم معنى ما تقدم قال الشيخ محي الدين النووي قال لما زرى وقد انكر بعض الملاحدة هذا الحديث وانكر تصويره قالوا كيف يجوز على موسى فقي عين ملك الموت واجاب عنه العلماء باجوبة احدها انه لا يمتنع ان يكون الله قد اذن لموسى في هذه الطمة ويكون ذلك امتحاناً للملطوم والله تعالى يفعل في خلقه ما يشاء ويمتحنهم بما اراد والثاني ان موسى لم يعلم انه ملك من عند الله وظن انه رجل قصده يريد نفسه فدفعه عنها فادت المدافعة الى فقي عينه لانه قصدها بالفق وتؤيده رواية صكه وهذا

بجميع الاسماء والصفات
ووصلوا الى مقام التوحيد بن
المذكورين (منهم أمة
مقتصدة) عادلة واصلة
الى توحيد الاسماء والصفات
(وكثير منهم ساهما بميلون)
لم يصلوا الى توحيد الافعال
بعد فضلا عن توحيد الصفات
فساء عملهم لائمه من صفات
نفوسهم فهو حجابهم الاكتف
(يا أيها الرسول بلغ ما انزل
اليك من ربك وان لم تفعل
فابلغت رسالتك والله يعصمك
من الناس ان الله لا يهدي
القوم الكافرين قل يا اهل

جواب الامام ابي بكر بن خزيمة وغيره من المتقدمين واخبره المازري والقاضي عياض قالوا
وليس في الحديث تصريح بأنه قصد فقأ عينه * فان قيل فقد اعترف موسى حين جاءه نايابانه ملك
الموت فالجواب انه اتاه في المرة الثانية بعلامة علم بها انه ملك الموت فاستسلم له بخلاف المرة الاولى
واما سؤال موسى الادناء من الارض المقدسة فلنصرفها وفضلها وفضل من بها من المدفونين من
الانبياء وغيرهم * وفيه دليل على استحباب الدفن في المواضع الفاضلة والمواطن المباركة والقرب
من مدافن الصالحين * قال بعض العلماء وانما سأل موسى الادناء ولم يسأل نفس بيت المقدس لانه
خاف ان يكون قبره مشهورا عندهم فيفتن به الناس والله اعلم * قال وهب بن منبه خرج موسى
لبعض حاجته فمر بهط من الملائكة يحفرون قبراً لم يرشياً أحسن منه ولا مثل ما فيه من الحضرة
والبضرة والبهجة فقال لهم يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبرة لواء عبد كرم على ربه فقال ان هذا
العبد من الله بمنزلة ما رأيت كالיום قط فقالت الملائكة يا صني الله نحب ان يكون لك قال وددت
قالوا فانزل واضطجع فيه وتوجه الى ربك فنزل واضطجع وتوجه الى ربه عز وجل ثم نفس
اسهل نفس فقبض الله روحه ثم سوت الملائكة عليه التراب وقيل ان ملك الموت اتاه بتفاحة من
الجنة فتبها فقبض روحه وكان عمر موسى عليه السلام مائة سنة وعشرين سنة فلما مات موسى
عليه السلام انقضت الاربعون سنة وبعث الله يوشع الى بني اسرائيل فاخبرهم ان الله قد امره
بقتال الجبارين فصدقوه وتابعوه فتوجه ببني اسرائيل الى اريحاء وهي مدينة الجبارين وبعث
تابوت الميثاق فاحاط بمدينة اريحاء ستة اشهر فلما كان في السابع تفخؤا في القرون وضجوا في
الشعب ضجة واحدة فسقط سر المدينة فدخلوها وقتلوا الجبارين وهزموهم وهجموا عليهم
يقتلونهم فكانت العصابة من بني اسرائيل يجتمعون على عاق الرجل من الجبارة بضرب يدها
حتى يقطعونها وكان القتال والفتح يوم الجمعة فبقيت منهم بقية وكادت الشمس ان تقرب وتدخل
ليلة السبت فقال لهم اردد على الشمس وقال للشمس ايك في طاعة الله وانا في طاعة الله وسأل الشمس
ان تقف والقمر ان يقف حتى ينقم من اعداء الله قبل دخول السبت فرد الله عليه الشمس وزيد
في النهار ساعة حتى قتلهم اربعين وتبع ملوك الشام فاستباح منهم احدا وثلاثين ملكا حتى
غلب على جميع ارض الشام وصارت كلها لبني اسرائيل وفرق عائله نواحيها وجمع الغنائم فجاءت
الار لتأكلها فلم تطعمها فقال ان فيكم غلولا فليسا يعني من كل قبيلة رجل ففعلوا فلصقت
يد رجل يده فقال فيكم اغلول فجأوا برأس ثور من ذهب مكل بالياقوت والجوهر قدغله
رجل منهم فجعله في القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فاكلت الرجل والقربان وفي الحديث
الصحيح ما يدل على صحة هذا وهو ما روى عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
غزا نبي من الانبياء فقال لقومه لا يتبعني رجل ملك يضع امرأته وهو يريد ان يبنى بها ولم يبن بها
ولا احبني بيتا ولم يرفع سقفها ولا رجل اشترى غنما او خلفات وهو ينتظر اولادها فقزا فدنا
من القرية صلاة العصر او قربان من ذلك فقال للشمس انك مأمورة وانا مأمور اللهم احبسها علينا
فحبست حتى قمع الله عليه فجمع الغنائم فجاءت يعني النار لتأكلها فلم تطعمها فقال ان فيكم غلولا فليسا يعني
من كل قبيلة رجل فلزقت يد رجل يده فقل فيكم الغلول فجأوا برأس مثل رأى بقرة من الذهب
فوضعها فجاءت النار فاكلتها زاد في رواية فلم تحل الغنائم لاحد قبل ان يجل الله لنا الغنائم لارأى ضعفا

الكتساب لستم على شيء
حتى تقيموا التوراة والانجيل
وما نزل اليكم من ربكم
وليزيدن كثيرا منهم ما نزل
اليك من ربك طغيانا وكفرا
فلتأس على القوم الكافرين
ان الذين آمنوا والذين هادوا
والصابئون والنصارى
من آمن بالله واليوم الآخر
وعمل صالحا فلا خوف
عليهم ولا هم يحزنون لقد
اخذنا ميثاق بني اسرائيل
وارسلنا اليهم رسلا على
حسب مراتبهم فلما كانوا
محبوبين من جميع الوجوه

وعجزنا فأحلها لنا أخرجه البخاري ومسلم * شرح غريب هذا الحديث * قوله لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة البضع بضم الباء كناية عن فرج المرأة ولم يبين بها أي لم يدخل عليها والخلفات الوق الحوامل وقوله للشمس أنك مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علينا قال الشيخ محي الدين قال القاضي عياض اختلف الناس في حبس الشمس المذكور هنا فقيل ردت إلى ورائها وقيل وقفت ولم ترد وقيل بطحركتها وكل ذلك من مجازات النبوة قال ويقال إن الذي حبست عليه الشمس يوشع بن نون قال القاضي وقد روى أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم حبست له الشمس مرتين أحدهما يوم الخندق حين شغلوا عن صلاة العصر حتى غربت الشمس فردها الله عليه حتى صلى العصر ذكر ذلك الطحاوي وقال رواه ثقة والثانية صبيحة ليلة الاسراء حين انتظر العير لما أخبر بوصولها مع شروق الشمس ذكره يونس بن بكير في زياداته عن سيرة ابن اسحق وقال وهب ثم مات يوشع بن نون ودفن في جبل افرايم وكان عمره مائة سنة وستة وعشرين سنة وكان تديره امر بني اسرائيل بعد موسى سبعة وعشرين سنة وقيل إن الذي قبح اربعاء هو موسى عليه السلام وكان يوشع بن نون على مقدمته فسار اليهم بمن نقي من بني اسرائيل فدخلها يوشع وقاتل الجبارة ثم دخلها موسى واقام بها ماشاء الله تعالى ثم قبضه الله اليه ولا يعلم أحد قبره وهذا أصبح الاقاويل لاتفاق العلماء أن موسى عليه السلام هو الذي قتل عوج بن عنق وهذا القول هو اختيار الطبري ونقل عن السدي قال غضب موسى على قومه فدعا عليهم فقال رب اني لا املك الانفسى واخي الآية فقال الله عز وجل فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض فلما ضرب عليهم التيه ندم موسى واتاه قومه الذين كانوا يطيعونه فقالوا له ما صنعت بنا يا موسى فكفونا في التيه فلما خرجوا منه رفع المن والسلوى والبقول والتقى موسى ودوج قنزا موسى في السماء عشرة اذرع وكانت حصاه عشرة اذرع وكان طوله عشرة فاصاب كعب عوج فقتله قال الطبري ولو كان قتل موسى اياه قبل مصيره في التيه لم يجزع بنو اسرائيل لانه كان من اعظم الجبارين وروى عن نون قال كان سرير عوج ثمانمائة ذراع وقال وإن اهل العلم باخبار الاولين مجمعون على أن باهم باعوراء كان ممن اعان الجبارين بالدعاء على موسى لانه كان يعلم الاسم الاعظم فدعا عليه موسى وسترده فضته في سورة الاعراف إن شاء الله تعالى * قوله تعالى (فلأناس على القوم الفاسقين) يعني لا تحزن عليهم لانهم اهل مخالفة وخروج عن الطاعة وقيل لما ندم موسى على مادعا على قومه اوحى الله اليه فلأناس على القوم الفاسقين قال الزجاج وجاز أن يكون خطابا لمحمد صلى الله عليه وسلم أي لا تحزن يا محمد على قوم لم يزل شأنهم المعاصي ومخالفة الرسل * قوله عز وجل (واتل عليهم نبأ اخي آدم بالحق) يعني اذكر لقومك واخبرهم خبر اخي آدم وهما هابيل وقابيل في قول جمهور المفسرين ونقل عن الحسن والضحاك أن ابني آدم اللذين قربا قربان ما كانا ابني آدم لصلبه وانما كانا رجلين من بني اسرائيل ويدل عليه قوله تعالى في آخر القصة من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس الآية والصحيح ما ذهب اليه جمهور المفسرين لأن الله تعالى قال في آخر الآية فبعث الله غرابا يبحث في الارض لان القاتل جبريل ما يصنع بالقتول حتى تعلم من فعل القرب بالحق أي اخبرهم خبرا ملتبسا بالحق والصدق لانه من مد الله موافقا لما في الكتب المتقدمة وهم يعلون صوته * ومقصود

ارسلنا موسى لرفع حجاب الافعال والدعوة الى توحيد الملك فاهوته انفسهم لان دعوته كانت مخالفة لها واهلها لضراوتها بافعالها وتبصعها بها وبلذاتها وشهواتها فكذبوه وعبدوا عجل الفسار واحتدوا في السبب وفضلوا ما فضلوا حتى اذا آمن به من آمن وبرز من حجاب الافعال حسب انه الكمال المطلق فارسلنا عيسى لرفع حجاب الصفات والدعوة الى الباطن وتوحيد الملوك فاهوته انفسهم لمخالفة

هذا الخبر هو تبحيح الحسد لان المشركين واهل الكتاب كانوا يحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم (اذ قربا قربانا) القربان اسم لما يتقرب به الى الله عز وجل من صدقة او ذبيحة او نسك او غير ذلك مما يتقرب به

* (ذكر قصة القربان وسببه وقصة قتل قابيل هابيل) *

ذكر اهل العلم بالاخبار والسير ان حواء كانت تلد لآدم في كل بطن غلاما وجارية فكان جميع ما ولدته اربعين ولدا في عشرين بطنا اولهم قابيل وتوأمته اقلما وآخرهم عبدالمغيث وتوأمته ام المغيث ثم بارك الله في نسل آدم قال ابن عباس لم يمت آدم حتى بلغ ولده وولد وولد ولده اربعين الها واختلفوا في مولد قابيل وهابيل فقال بعضهم غشى آدم حواء بعد مهبطهما الى الارض بمئة سنة فولدت له قابيل وتوأمته اقلما في بطن ثم هابيل وتوأمته لبودا في بطن وقال محمد بن اسحق عن بعض اهل العلم بالكتاب الاول ان آدم كان يغشى حواء في الجنة قبل ان يعصيب الخطيئة فحملت بقايل واخته فلم تجد عليهما حوا ولا وصبا ولا طلقا ولم ترد ما وقت الولادة فلما هبطا الى الارض تفشها فحملت بهما بيل وتوأمته فوجدت عليهما الوح والوصب والطلق والدم وكان اذا اكبر اولاده زوج غلام هذا البطن جارية بطن اخرى وكان الرجل منهم يتزوج ابنة اخواته شاء غير توأمته التي ولدت معه لانه لم يكن يؤمن بنساء الاخواتهم فكبر قابيل واخوه هابيل وكان بينهما سنان فلما بلغوا امر الله آدم ان يزوج قابيل لبودا اخت هابيل وزوج هابيل اقلما اخت قابيل وكانت اقلما احسن من لبودا فذكر آدم ذلك لهما فرضى هابيل وسخط قابيل وقال هي اختي وانا احق بها ونحن من اولاد الجنة وهما من اولاد الارض فقال ابوه آدم انها لا تحل لك فاني ان يقبل ذلك وقال ان الله يامر بك بهذا وانما هو من رأيك فقال لهما آدم قربا لنا فايكما تقبل قربانه فهو احق بها وكانت القرايين اذا كانت مقبولة تزات من السماء نار بضاء فاكثرها وان لم تكن مقبولة لم تنزل النار بل تأكلها الطير والسباع فخر جامن عند آدم ليقربا القربان وكان قابيل صاحب زرع فقرب صبرة من طعام ردي واضمر في نفسه لابل الى ان يقبل منى ام لا يتزوج اختي احد غيري وكان هابيل صاحب غنم فعمد الى احسن كبش في غنمه فقربه واضمر في نفسه رضا الله فوضعا قربانها على جبل ثم دما آدم فنزلت النار من السماء فأكسرت قربان هابيل ولم تأكل قربان قابيل فذلك قوله تعالى (فقبل من احدهما) يعني هابيل (ولم يقبل من الآخر) يعني قابيل فغضب قابيل اذ لم يقبل قربانه فاضمر لاخته الحسد الى ان اتى آدم مكة لزيارة البيت وفاب هاهم فأتى قابيل هابيل وهو في غنمه (قال لاقتلك قال) قال هابيل ولم تقتلني قال قابيل لان الله تقبل قربانك ورد قرباني وتريد ان تتكح اختي الحسناء وانكح اختك الدميمة فيتحدث الناس بانك خير مني ويشتر ولدك على ولدي فقال هابيل وما ذنبي (انما يقبل الله من المتقين) يعني ان حصول التقوى شرط في قبول الاعمال فلذلك كان احد القربانين مقبولا دون الآخر ولان التقوى من اعمال القلوب وكان قد اضمر في قلبه الحسد لاخته على تقبل قربانه وتوعده بالقتل فقال له انما اوتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى وانما يقبل الله من المتقين فاجابه بحجوب مختصر وقيل يحتمل ان يكون خطايا النبي صلى الله عليه وسلم فكانه تعالى بين النبي صلى الله عليه وسلم انه انما لم يقبل قربانه لانه لم يكن متقيا وانما يقبل الله من المتقين ثم قال تعالى اخبراعن هابيل (لن بسطت الى يدك) يعني لن مددت

دعوته هواها من حسابان
الكمال فكذبوه وفضلوا
ما فعلوا حتى اذا آمن به من
آمن وبرز عن حجاب الصفات
بقى على حاله حاسبا لنفسه
الكمال المطلق فارسلنا
محمد ابدفع حجاب الصفات
والدعوة الى توحيد الذات
فهوته انفسهم فكذبوه
(كذا جاءهم رسول بما لا تهوى
انفسهم فريقا كذبا و فريقا
يقتلون وحسبوا ان لا تكون
فتنة) شرك عند توحيد
الافعال وظهور الدعوة
الميسوية (فعموا) عن

الى يدك (لتقتلني ما انا باسط يدي اليك لاقتلك) يعني ما انا بمتنصر لنفسي بل استسلم
لامر الله وقيل معناه ما كنت بمبتدئك بالقتل وذلك ان الله كان قد حرم عليهم قتل نفس
بغير نفس ظنا وقال مجاهد كان قد كتب عليهم اذا اراد الرجل ان يقتل رجلا تركه ولا يمتنع منه
وقبل ان يقتول كان اقوى من القاتل وابطش منه ولكنه تخرج من قتل اخيه فاستسلم
له خوفا من الله فذلك قوله (في اخاف الله رب العالمين) والمعنى اني اخاف الله في بسط يدي
اليك ان بسطتها لقتلك ان يعاقبني على ذلك * قوله عز وجل اخبارا من هابل (اني اريد ان تبوء
بائمي وائمي) يعني ترجع بائمي قتي الى ائمي معاصيك التي عليهما من قبل فان قلت كيف قال هابل
اني اريد وارادة القتل والمعصية من الغير لا يجوز * قلت اجاب ابن الانباري عن هذا بان قال ان قابيل
لما قاتل لاهيه هابل لاقتلك وعظه هابل وذكره الله واستعطفه وقال ان بسطت الي يدك الآية
فلم يرجع فلارآه هابل قد صمم على القتل واخذله الحجارة ليرمي بها قال له هابل عند ذلك اني
اريد ان تبوء بائمي وائمي اي اذا قتلني ولم يدفع قتلك اياي لا يقتل اياك فحينئذ ذيل لك ائمي قتي اذا قتلني
فكان هذا عدلا من هابل واليه اشار الزجاج فقال معناه ان قتلني فما انا صرير ذلك
فهذه الارادة منه بشرط ان يكون قاتلا له والانس ان اذ اتني ان يكون ائمي قد صمم على قتل هابل على ذلك وعلى
هذا التساؤل قال بعضهم معناه اني اريد ان تبوء بعقاب ائمي وائمي لخذف المضاف وما به
بائمي باء بعقاب ذلك الاثم ذكره الواحدى وقال الزمخشري ليس ذلك بحقيقة الارادة لكنه لما علم
انه يقتله لا محالة ووطن نفسه على الاستسلام للقتل طلبا للثواب فكأنه صار مريدا لقتله مجازا
وان لم يكن مريدا حقيقة (فتكون من اصحاب النار) يعني الملازمة بين لها (وذلك جزاء الظالمين)
يعني جهنم جزاء من قتل اخاه ظنا * قوله تعالى (فلو عتله نفسه قتل اخيه) يعني زينته له
وسهلت عليه القتل وذلك ان الانسان اذا قصور ان قتل النفس من اكبر الكبائر صار ذلك صارفاله
عن القتل فلا يقدم عليه فاذا سهلت عليه نفسه هذا الفعل فعله بغير كلفة فهذا هو المراد من قوله تعالى
فلو عتله نفسه قتل اخيه (فقتله) قال ابن جريج لما قصد قابيل قتل هابل لم يدركه فقتله
فتمتله ابليلس وقد اخذ طيرافوضع رأسه على حجر ثم رضخه بمحجر آخر وقابل ينظر فعله القتل
فرضخ قابيل رأسها بيل بين جرين وهو مستسلم صابر وقيل بل اغتاله وهو ناثم فقتله واختلف
في موضع قتله فقال ابن عباس على جبل نود وقيل على عقبة حراء وقيل بالبصرة عند مسجد هابل
الاعظم وكان عمرها بيل يوم قتل عشرين سنة * وقوله تعالى (فأصبح من الخاسرين) قال ابن
عباس خسر دنياه وآخرته امدانيه فاضطاط والديه وبقي بلاخ واما آخرته فاضطاطه وصار الى
النار (ق) عن عبد الله ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس ظلما الا كان على
ابن آدم الاول كفل من دمها لانه اول من سن القتل * قوله تعالى (فبعث الله غرابا يبحث في
الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه) قال اصحاب الاخبار لما قتل قابيل هابل تركه بالعراء
ولم يدركه ما يصنع به لانه اول ميت من بني آدم على وجه الارض فقصدته السباع لتأكله فحمله
قابيل على ظهره في جراب اربعين يوما وقال ابن عباس سنة حتى اروح واثنت فاراد الله ان يرى
قابيل سنته في موتى بني آدم في الدفن فبعث الله غرابا فالتفتل احدهما الآخر فخره بمنقاره
ورجله حفيرة ثم القاه فها هو واراه بالتراب وقابل ينظر فذلك قوله تعالى فبعث الله غرابا يبحث

تجليات رؤية الصفات
(وصحوا) عن سماع عليها
(ثم تاب الله عليهم) بفتح
اسماع قلوبهم وابصارها
فتابوا فقبل توبتهم (ثم عموا
وصحوا) عند الدعوة المحمدية
عن مشاهدة الوجه الباقي
وسماع علم توحيد الجمع
الطائفي (كثير منهم والله
بصير بما يعملون) بمعلمهم
في المقامات الثلاث ورد
الدعوات وانكار الانبياء
فيجازيهم على حسب حالهم
(لقد كفر الذين قالوا ان الله
هو المسيح بن مريم وقال المسيح

في الارض يعني يحفرها ويثرزها ليريه كيف يوارى سوا أخيه يعني ليرى الله او يرى القرباب قاتل كيف يوارى ويسترجع أخيه فلما رأى ذلك قاتل من فعل القرباب (قالب يولنا) أي لزمه الوليل وحضره وهي كلمة تحسرو تلهف وتستعمل عند وقوع الداهية العظيمة وذلك انه ما كان يعلم كيف يدفن المقتول فلما علم ذلك من فعل القرباب علم ان القرباب أكثر علما منه وعلم انه انما قدم على قتل أخيه بسبب جهله وعدم معرفته فندد ذلك تلهف وتحسر على ما فعله فقال ياولنا وفيه اعتراف على نفسه باستحقاق العذاب (عجزت اذا كونا مثل هذا القرباب) يعني مثل هذا القرباب الذي وارى القرباب الآخر (فأواري سوا أخى) يعني فاسترجع أخيه وعورته عن الاعين (فاصبح من النادمين) يعني على حمله على ظهروه مدة سنة لا على قتله وقيل انه ندم على قتل أخيه لانه لم ينتفع بقتله وسخط عليه ابواه وأخوته فندم لذلك لاجل ان جنى جناية واقترب ذنبا عظيما بقتله فلم يكن ندمه ندم توبة وخوف واشفاق من فعله فلاجل ذلك لم يقعه الدم قال المطلب بن عبدالله بن حنطب لما قتل ابن آدم أخاه رجفت الارض بمن عليها سبعة ايام وشربت دم المقتول كما تشرب الماء فناداه الله تعالى ابن أخوك هايل فقال ما أدري ما كنت عليه رقيقا فقال الله تعالى ان دم أخيك ليناديني من الارض فلم تلت أخاك قال فابن دمه ان كنت قتلتك لغرم الله على الارض من يومئذ ان تشرب دما بعده ابد او يروى عن ابن عباس قال لما قتل قابيل هايل كان آدم بمكة فاشتكت الشجر وتغيرت الاطعمة وحضت القواكه واغربت الارض فقال آدم قد حدث في الارض حدث فاني الهند فوجد قابيل قد قتل هايل وقيل لما رجع آدم سأل قابيل عن أخيه فقال ما كنت عليه وكيفا فقال بل قتلتك ولذلك اسود جلدك وقيل ان آدم مكث بعد قتل هايل مائة سنة لا يضحك وانه رثاه بشعر فقال

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح

تغير كل ذي طم ولون * وقل بشاشة الوجه الملبح

ويروى عن ابن عباس انه قال من قال ان آدم قال شعرا فقد كذب وان محمدا صلى الله عليه وسلم والانبياء كلهم في النهى سواء ولكن لما قتل هايل رثاه آدم وهو سرياني فلما قال آدم مرثيته قال لثيث يا بني انت وصبي احفظ هذا الكلام ليتوارث فيرى الناس عليه فلم يزل ينقل حتى وصل الى يعرب بن قحطان وكان يتكلم بالعربية والسريانية وهو اهل من خط العربية وكان يقول الشعر فنظر في المرثية فردا المقدم الى المؤخر والمؤخر الى المقدم فوزنه شعرا وزاد فيه اياتا منها

ومالي لاجود بسكب دمع * وهايل تضمنه الضريح

ارى طول الحياة على غما * فهل انا من حياي مستريح

قال الزمخشري ويروى انه رثاه بشعر وهو كذب بحسب وما الشعر الا ضول ملحون وقد صرح ان الانبياء عليهم السلام معصومون من الشعر قال الامام فخر الدين الرازي ولقد صدق صاحب الكشف فيما قال فان ذلك الشعر في غاية الركاكذ لا يليق الا بالحقى من الملحنين فكيف ينسب الى من جعل الله عليه حجة على الملائكة قال اصحاب الاخبار فلما مضى من عمر ادم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد قتل هايل بخمسين سنة ولدت له حواء شيئا وتفسيره هبة الله يعني انه خلف من هايل وعلم الله تعالى ساعات الليل والنهار وعلم عبادة الخلق في كل ساعة وانزل عليه خمسين صحيفة وصار وصى آدم وولى

يا بني اسرائيل اعبدوا الله
ربي وربكم انه من يشرك
بالله اي خصوص اعبادكم
بالذات الموصوفة بجميع
الصفات والاسماء التي هي
الوجود المطلق ولا تعينوه
باسم وصفة فان نسبة
ربوبية الى الكل سواء
ومن حصر الوهية في
صورة وخصصها باسم
معين وكلمة معينة وصفة
 معينة فقد اثبت غير ضرورة
 وجود ما سواه من الاسماء
 ولتصور والصفات ومن
 اثبت غيره فقد اشرك به

هدهد واما قاييل فقتل له اذهب طريدا اثر يدافز طامر حوبا لا تأمن من تراه فأخذ يداخته اقليجا و هرب
بها الى عدن من ارض اليمن فاتاه ابليس وقال له انما اكلت النار قربان هابل لانه كان بعد ما نصب
انت نار لتكون لك ولعقبك فبني بيت النار فهو اول من عبد النار وكان قاييل لا يمر به احد الارماه
بالجارة فأقبل ابن لقاييل الاعى و معه ابنه فقال ابن الاعى لايه هذا ابوك قاييل فرماه بحجارة فقتله
فقال ابن الاعى لايه قتل اباك قاييل فرفع الاعى يده ولطم ابنه فأت فقال الاعى ويل لي قتل ابى برميى
وقتل ابنى بلطمتي فلأمت قاييل عقلت احدى رجله بفخذه وعلق بها فهو معلق بها الى يوم القيامة
ووجهه الى الشمس حيث دارت وعليه حظيرة من نار في الصيف وحظيرة من تلج في الشتاء فهو
يعذب بذلك الى يوم القيامة قالوا واتخذ اولاد قاييل آلات اللهو من الطبول والزمرور والبيدان
والطنابير وانهمكوا في اللهو وشرب الخمر وعبادة النار والقوا حش حتى اغرقهم الله تعالى جميعا
بالطوفان في زمن نوح عليه السلام فلم يبق من ذرية قاييل احد وابقى الله ذرية شيث ونسله الى يوم
القيامة * قوله تعالى (من اجل ذلك) يعنى سبب ذلك القتل الذى حصل وقيل الاجل في اللغة
الحياة يقال اجل عليهم شرا اى جنى عليهم شرا (كتبنا) اى فرضنا واولجنا (على بنى اسرائيل)
فان قلت من اجل ذلك معناه من اجل ما مر من قصة قاييل وهابل كتبنا على بنى اسرائيل وهذا مشكل
لانه لا مناسبة بين واقعة قاييل وهابل وبين وجوب القصص على بنى اسرائيل * قلت قال بعضهم
هو من تمام الكلام الذى قبله والمعنى فاصبح من التادمين من اجل ذلك اى من اجل انه قتل هابل
ولم يواره * وروى عن نافع انه كان يقف على قوله من اجل ذلك ويجعله تمام الكلام الاول فعلى هذا
يزول الاشكال لكن جمهور المفسرين واصحاب المعاني على ان قوله من اجل ذلك ابتداء كلام وليس
يوقف عليه فعلى هذا قال بعضهم ان قوله من اجل ذلك ليس هو اشارة الى قصة قاييل وهابل بل هو
اشارة الى ما مر ذكره في هذه القصة من انواع المفساد الحاصلة بسبب هذا القتل الحرام منها قوله
فاصبح من الخاسرين وفيه اشارة الى انه حصلت له خسارة في الدين والدنيا والآخرة ومنها قوله
فاصبح من النادمين وفيه اشارة الى انه حذر في انواع الندم والحسرة والحزن مع انه لا دافع
لذلك البتة فقوله من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل اى من اجل ذلك الذى ذكرنا في اثناء القصة
من انواع المفساد المتولدة من القتل المحرم شرعا القصص على القاتل * فان قلت فعلى هذا تكون
شريعة القصص حكما ثابتا في جميع الامم فما الفائدة بتخصيصه بنى اسرائيل * قلت ان وجوب
القصص وان كان عاما في جميع الاديان والممل الا ان التشديد المذكور ههنا في حق بنى اسرائيل غير
ثابت في جميع الاديان والممل لانه تعالى حكم في هذه الآية بان من قتل نفسا فكأنما قتل الناس جميعا
ولا يشك ان المقصود منه المبالغة في عقاب قاتل النفس عدوانا وان اليهود مع علمهم بهذه المبالغة
العظيمة اقدموا على قتل الانبياء والرسل وذلك يدل على مساواة قلوبهم وبعدهم عن الله عز وجل ولما
كان الغرض من ذكر هذه القصة نسبية النبي صلى الله عليه وسلم على ما تقدم عليه اليهود بالقتل بالنبي
صلى الله عليه وسلم واصحابه فتخصيص بنى اسرائيل في هذه القصة بهذه المبالغة مناسب للكلام وتوكيد
للمقصود والله اعلم بمراده * قوله عز وجل (انه من قتل نفسا) يعنى قتل نفسا ظالم (بغير نفس) يعنى بغير
قتل نفس لاهل وجهه لاقتصاص في قادم قاتل النفس على وجه العدوان المحرم (او فساد في الارض)
هو عطف على بغير نفس يعنى وبغير فساد في الارض فيستحق به القتل لان القتل على اسباب كثيرة

ومن اشرك به (فقد حرم
الله عليه الجنة) جنة شهوده
بذاته وصفاته وافصاله اى
الجنة المطلقة الشاملة يعنى
فقد حجه مطلقا (وماواه
النار) نار الحرمان لظلمه
بالشرك (وما للظالمين من
انصار) ينصرونهم
فينقذونهم من العذاب
(لقد كفر) حجب (الذين
قالوا ان الله ثالث ثلاثة)
واحد من جملة ثلاثة اشياء
القول الذى هو ظاهر عالم
الملك والصفة التى هى
باطن عالم الملكوت والذات

منها نقصا وهو المراد من قوله قتل نفسا بغير نفس ومنها الشرك والكفر بعد الإيمان ومنها قطع الطريق ونحو ذلك وهو المراد من قوله اوفساد في الارض (فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا) قال مجاهد من قتل نفسا محرمة يصلي البار بقتلها كما يصلاها بقتل الناس جميعا ومن سلم من قتلها فكانما سلم من قتل الناس جميعا وقال ابن عباس من قتل نبيا او امام عدل فكانما قتل الناس جميعا ومن شد عضدي او امام عدل فكانما حيي الناس جميعا وقيل معناه ان من قتل نفسا محرمة يجب عليه من النقصا مثل الذي يجب عليه لو قتل الناس جميعا ومن احياها يعني من غرق او حرق او وقع في هلكة فكانما احيا الناس جميعا يعني انه من التواب مثل ثواب من احيا الناس جميعا وقيل معناه من استحل قتل مسلم بغير حقه فكانما استحل قتل الناس جميعا لانهم لا يسلون منه ومن تورع عن قتل مسلم فكانما تورع عن قتل جميع الناس فقد سلوا منه قال اهل المعاني قوله ومن احياها على الجازلان المحي هو الله تعالى في الحقيقة فيكون المعنى ومن نجها من الهلاك فكانما نجى جميع الناس منه مثل الحسن عن هذه الآية اهي لنا كما كانت لني اسرائيل فقال اي والذي لا اله غيره ما كانت دماء بني اسرائيل اكرم على الله من دماها وقوله تعالى (ولقد جاءتهم رسالنا بالبينات) يعني ولقد جاءت بني اسرائيل رسلا ببيان الاحكام والشرائع والدلالات الواضحات (ثم ان كثير منهم بعد ذلك) يعني بعد مجيئ الرسل بعدما كتبنا عليهم تحريم القتل (في الارض لمسرفون) يعني ما قتل لا ينتهون عنه وقيل معناه لمجاورون حد الحقيق وانما قال تعالى وان كثيرا منهم لانه لى علم ان مهم من يؤمن بالله ورسوله وهم قليل من كثير بقوله عروجل (انما حراء الذين يخاربون الله ورسوله) قال ابن عباس تزات في قوم من اهل الكتاب كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وميثاق فنفقوا له وهدوا فسدوا في الارض فخير الله رسوله صلى الله عليه وسلم ان يشأ يقتل وان يشأ يصلب وان يشأ يقطع ايديهم وارجلهم من خلاف وهذا قول الصحاح ايضا وقال الكلبي زلت في قوم هلال بن عويم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم وادع هلال بن عويم وهو ابو بردة الاسدي على ان لا يعيه ولا يعين عليه ومن مر بهلال الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو آمن لا بهاج فرقوم من بني كنانة يريدون الاسلام يقوم هلال ولم يكن هلال شاهدا فشدوا عليهم فقتلوههم واخذوا اموالهم فزحل جبريل عليه السلام بالقضاء فيهم بهذه الآية وقال سعيد بن جبير رلت هذه الآية في قوم من عربية وسكل اتوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه على الاسلام وهم كدبة فاستوحوا المدينة فبعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابل الصدقة فارتدوا وقتلوا الراعى واستاقوا الابل (ق) عن انس بن مالك ان ناسا من عكرنة قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وتكلموا بالاسلام فقالوا يا نبي الله انا كنا اهل ضرع ولم نكن اهل ريف واستوخو المدينة فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بذود وراع وامرهم ان يخرجوا فيه فيشربوا من البانها وابوالها فانطلقوا حتى اذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد الاسلام وقتلوا راعى النبي صلى الله عليه وسلم واستاقوا الذود فباغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الطلب في اثرهم فأمرهم فحرقوا اعينهم وقطعوا ايديهم وارجلهم وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم قال قتادة بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعد ذلك يحث على الصدقة وينهى عن المثلة زاد في رواية قال قتادة فمحدثني ابن سيرين ان ذلك قبل ان تنزل الحدود وفي رواية للجباري ان ناسا من عربية اجتمعوا المدينة فرخص لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتوا ابل الصدقة فيشربوا

التي تقوم بها الصفة ويصدر
عها الفعل ادليس هو ذلك
الواحد الذي توهموه بل
الفعل والصفة في الحقيقة
من الذات ولا فرق الا
بالاستيثار والله الا الواحد
المطلق والالكان بحسب
كل اسم من اسمائه اله آخر
فتعدد الآلهة سبحانه
وتعالى بما يقول الظالمون
علوا كبيرا (وامن الله
الا اله واحد وان لم ينتهوا
عما يقولون) من كون
الصفة والفعل عبر الذات
(ليحسن الذين كفروا)

من البائنا واولاها قتلوا الراعي واستاقوا الذود فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتليهم فقطع
أيديهم وأرجلهم وسعرا عينهم وتركهم في الحرة يعضون الجحار في رواية قال أبو قتادة قال
شيء أشد مما صنع هؤلاء ارتدوا عن الإسلام وقتلوا وسرقوا وفي رواية أبي داود أن قوما من مكل
أولوا من هربة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتروا المدينة فأمر لهم النبي صلى الله
عليه وسلم بلقاح وأمرهم أن يشربوا من أبوالها والبائنا فأنطلقوا فاحصوا قتلوا راعي رسول الله
صلى الله عليه وسلم واستاقوا النعم فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهم من أول النهار فأرسل
في آثارهم فأارتفع التراب حتى جئ بهم فامرهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسعرت أعينهم وألقوا
في الحرة يستسقون فلا يسقون قال أبو قتادة فهو لاء قوم سرقوا وقتلوا وكفروا بعد إيمانهم وحاربوا
الله ورسوله زاد في روايته وإنزل الله عز وجل أنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون
في الأرض فسادا أن يقتلوا الآية * شرح غريب هذا الحديث وحكمه قوله أنا كنا اهل ضرع
يعني اهل ماشية وبادية نعيش بالابن ولسان من اهل المدن والريف هو الأرض التي فيها زرع
وخصب والجمع أرياف قوله استوخوا المدينة يعني انهم توافق مزاجهم وكذا قوله فاجتروا
المدينة وهو معناه * والذود من الابل ما بين الثلاثة إلى العشرة هو الحرة هي أرض ذات جحار سود
وهي هنا اسم لأرض بظاهر المدينة معروفة وقوله فامرهم فامرهم فامرهم فامرهم فامرهم فامرهم
بها أعينهم حتى ذهب بصرها * وقوله وينهى عن المثلة المثلة أن تقطع أطراف الحيوان وتشوه خلقته
ومثلة القتل أن يقطع انفه وأذنيه ومذاكيره ونحو ذلك واختلف العلماء في حكم هذا الحديث
فقبل هو منسوخ انتهى النبي صلى الله عليه وسلم عن المثلة وقيل حكمه ثابت غير السمل والمثلة وقيل
أن هذه الآية لا تنه عن قتلهم بل تنه عن قتلهم وقيل كان ذلك قبل أن تنزل الحدود فلما
نزلت الحدود وجب الأخذ بها والعمل بمقتضاها وقيل نزلت هذه الآية معانية نزلت الله تعالى الله
عليه وسلم وتعلما من الله تعالى إياه عقوبتهم وما يجب عليهم فقال تعالى أنما جزاء الذين يحاربون الله
ورسوله وأعلن المحاربة لله غير ممكنة وفي معناه العلماء قولان أحدهما أن المحاربين لله هم المحالفون
أمره الخارجون عن طاعته لأن كل من حالف أمر إنسان فهو حرب له فيكون المعنى يخالفون الله
ورسوله ويعصون أمرهما والقول الثاني معناه يحاربون أولياء الله وأولياء رسوله فهو من باب
حذف المضاف (ويسعون في الأرض فسادا) يعني يحمل السلاح والخروج على الناس وقتل
الفس وأخذ الأموال وقطع الطريق واختلقوا في حكم هؤلاء المحاربين الذين يستحقون هذا
الحد فقال قومهم الذين يقطعون الطريق ويحملون السلاح والمكابرون في البلد وهذا قول الأوزاعي
ومالك والبيه بن سعد والشافعي وقال أبو حنيفة المكابرون في الأمصار ليس لهم حكم المحاربين
في استحقاق هذا الحد ثم ذكر الله تعالى عقوبة هؤلاء المحاربين وما يستحقونه فقال تعالى (أن يقتلوا)
أو يصلوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض) وللعلماء في لفظة أو المذكورة
في هذه الآية قولان أحدهما أنها التخيير وهو قول ابن عباس في رواية عنه وبه قال الحسن وسعيد بن
المسيب والضبي ومجاهد وهوان الإمام مخير في أمر المحاربين فإن شاء قتل وإن شاء صلب وإن شاء
قطع وإن شاء نفى من الأرض كما هو ظاهر الآية والقول الثاني أن لفظة أو لبيان وليست للتخيير وهو
الرواية الثانية عن ابن عباس وهو قول أكثر العلماء لأن الأحكام تختلف فترتب هذه العقوبات

المحبوبين (منهم عذاب اليم)
مؤلم قصورهم في العرفان
مع كونهم مستعدين
(أفلا يتوبون إلى الله)
بالرجوع عن إثبات التعدد
في الله إلى عين الجمع المطلق
(وبستفرونه) عن ذنب
رؤية وجودهم ووجود
غيرهم (والله غفور) يستترهم
انصاره !
بداته (وهم في العذاب)
ككمال العرفان والتوحيد
(ما المسيح بن مريم) الرسول
قد خلعت من قبله الرسل
وأتمه صدقة كائنا بالكلان
الطعام انظر كيف نبين

على ترتيب الجرائم وهذا كإروى عن ابن عباس في قطاع الطريق قال اذا قتلوا واخذوا المال قتلوا
وصلبوا واذا قتلوا ولم يأخذوا المال قتلوا واذا أخذوا المال ولم يقتلوا قطعوا أيديهم وارجلهم
من خلاف واذا اخافوا السيل ولم يقتلوا ولم يأخذوا مالا نقوا من الارض وهذا قول قتادة
والاوزاعي والثافعي واصحاب الرأي واختلفوا في كيفية الصلب فليلب بصلب حياتهم بطن في
بطه برمح حتى يموت قال الثافعي يقتل أولا ويصلب عليه ثم يصلب وانما يجمع بين القتل والصلب
اذا قتل واخذوا المال ويصلب على الطريق في عمر الناس ليكون ذلك زاجرا لغيره من الاقدام على مثل
هذه المعصية واختلفوا في تفسير النبي من الارض المذكور في الآية فقيل ان الامام يطلبهم في كل
بلد وجدوا نقوا عنه وهو قول سعيد بن جبيرة وعمر بن عبد العزيز وقيل يطلبون حتى تقام عليهم الحدود
وهو قول ابن عباس واليث بن سعد والثافعي وقال ابو حنيفة واهل الكوفة اني هو الحبس
لانه نفي من الارض لان الحبوس لا يرى احدا من احبابه ولا ينفع بلذات الدنيا وطبقاتها فهو نفي من
الارض في الحقيقة الامن تلك البقعة الضيقة التي هو فيها قال كعمول ان عمر بن الخطاب اول من حبس
في السجن يعني من هذه الامة وقال احبسه حتى اعلم منه التوبة ولا نفيه الى بلد آخر فيؤذيهم ثم
قال تعالى (ذلك) يعني الذي ذكر في هذه الآية من الحدود (لهم) يعني للمحاربين (خزي في الدنيا)
اي عذاب وهوان وفضيحة (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) هذا الوعيد في حق الكفار الذين
نزلت الآية فيهم فأما من أجرى حكم الآية على المحاربين من المسلمين فينفي العذاب العظيم عنهم في الآخرة
لان المسلم اذا هو قب بجنابة في الدنيا كانت عقوبته كفارة له وان لم يعاقب في الدنيا فهو في خطر المشيئة
ان شاء مذهبه بجنابته ثم يدخله الجنة وان شاء عفا عنه وادخله الجنة هذا مذهب اهل السنة وقوله تعالى
(الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم) يعني لكن الذين تابوا من شركهم وحر بهم لله ورسوله
ومن السعي في الارض بالفساد من قبل ان تقدروا عليهم يعني فلا سبيل لكم عليهم بشئ من العقوبات
المذكورة في الآية المتقدمة (فاعلموا ان الله غفور) يعني لمن تاب من الشرك (رحيم) يعني به اذا رجع
عاب خط الله عز وجل وهذا قول معظم اهل التفسير ان المراد بهذا الاستثناء المشرك المحارب اذا آمن
واصلح قبل القدرة عليه سقط عنه جميع الحدود التي ذكرها الله تعالى في هذه الآية وانه لا يطلب
بشئ مما اصاب من مال او دم قال ابواحق جمل الله التوبة للكفار تدرأ عنهم الحدود التي وجبت عليهم
في كفرهم ليكون ذلك دأيا لهم الى الدخول في الاسلام فهذا حكم المشرك المحارب اذا آمن واصلى
وكذلك لو آمن بعد القدرة عليه لم يطلب بشئ بالاجماع واما المسلم المحارب اذا تاب واستأمن قبل القدرة
عليه فقال السدي هو كالكافر اذا آمن لم يطلب بشئ الا اذا اصيب عنده مال بعينه فانه رده على اهله
وهذا مذهب مالك والاوزاعي غير ان مالك قال يؤخذ بالدم اذا طلب به وليه فأما ما اصاب من الدماء
والاموال ولم يطلبها اولياؤها فلا يتبعه الامام بشئ من ذلك وهذا حكم على بن ابي طالب في حادثة
بن زيد وكان قد خرج محاربا فتاب قبل ان يقدر عليه فانه على نفسه وكذلك جاء رجل من مراد
الى ابي موسى الاشعري وهو على الكوفة في خلافة عثمان بعدما صلى المكتوبة فقال يا ابا موسى
هذا مقام العائذ ان افلان بن فلان المرادى كنت قد حاربت الله ورسوله وسعيت في الارض بالفساد
واتي قد تبئت من قبل ان يقدر عليّ فقام ابو موسى فقال هذا فلان المرادى وانه كان حارب الله ورسوله
وسعي في الارض فسادا وانه قد تاب من قبل ان يقدر عليه فلا تعرض له احدا لا بخير وقال الثافعي يسقط

لهم الآيات ثم انظر اتي
بؤفكون قل اتعبدون
من دون الله مالا يملك لكم
ضررا ولا نفعا) اذا فعل
له فيضرا او ينفع بل لا وجود
فضلا من الفعل وقال مالا يملك
دون من وان كان المراد
عيسى لقنيه على انه شئ
يعتبر اعتبارا من حيث
نفيه ولا وجود له حقيقة
(والله هو السميع العليم
قل يا اهل الكتاب لا تفلوا
في دينكم غير الحق ولا تلهوا
اهواء قوم قد ضلوا
من قبل) بالاحتجاب عن

عنه بتوبته قبل القدرة عليه حد الله ولا يسقط عنه بما كان من حقوق بني آدم من قصاص او مظلة من مال او غيره . واما اذا تاب بعد القدرة عليه فظاهر الآية ان التوبة لا تنفعه وتقام عليه الحدود وقال الشافعي ويحتل ان يسقط كل حد لله عز وجل بالتوبة * قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله) اي خافوا الله بترك المنهيات (وابتغوا اليه الوسيلة) يعني واطلبوا اليه القرب بطاعته والعمل بما يرضى واما قلنا ذلك لان مجامع التكاليف محصورة في نوعين لاثالث لهما احداث نوعين ترك المنهيات واليه الاشارة بقوله اتقوا الله والثاني التقرب الى الله تعالى بالطاعات واليه الاشارة بقوله وابتغوا اليه الوسيلة والوسيلة فضيلة من وصل اليه اذا تقرب اليه ومنه قول الشاعر * ان الرجال لهم اليك وسيلة * اي قربة وقيل معنى الوسيلة المحبة اي تحببوا الى الله عز وجل (وجاهدوا في سبيله) اي واجهوا العدو في طاعته وابتغاء مرضاته (لعلكم تفلحون) يعني لكي تسعدوا بالخلود في جنته لان الفلاح اسم جامع للخلاص من كل مكروه والفوز بكل محبوب * قوله عز وجل (ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم) يعني ان الكفار لو ملك الدنيا ودنيا اخرى مثلها مما هم فدى نفسه من العذاب يوم القيامة لم يقبل منه ذلك القداء (ولهم عذاب اليم) المقصود من هذا ان العذاب لازم للكفار وانه لا سبيل لهم الى الخلاص منه بوجه من الوجوه (ق) عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى لاهون اهل النار عذابا لو كانت لك الدنيا كلها اكنت مقتديا بها فيقول نعم فيقول قد اردت منك ايسر من هذا وانت في صلب آدم ان لا تترك بي ولا ادخلك النار وادخلك الجنة فابتدأت الا تترك هذا فظن مسلم وفي رواية البخاري قال يجرى بالكافر يوم القيامة فيقال له ارايت لو كان لك مل الارض ذهب اكنت تقدي به فيقول نعم فيقال له لا كنت سئلت ما هو ايسر من ذلك ان لا تترك بي (يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بشارجين منها) فيه وجهان احدهما انهم يقصدون الخروج من النار ويطلبونه ولكن لا يستطيعون ذلك قبل ادا جملهم له النار الى فوق طلبوا الخروج منها فلا يقدر عليهم والوجه الثاني انهم يتخون الخروج من النار بقلوبهم (ولهم عذاب مقيم) يعني ولهم عذاب دائم ثابت لا يزول عنهم ولا ينقل ابدا * قوله عز وجل (والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما) قال ابن السائب تزئت في طعمة بن ابرق وقدمنا قصته في سورة التماء واما سمي السارق سارقا لانه يأخذ الشيء الذي ليس له اخذه في خفاء ومنه استرق السمع مستخفيا والسارق هامر فوع بالابتداء لانه لم يقصد واجد بعينه انما هو كقولك من سرق فاقطع يده والمراد باليد المد كورة المؤمنين قاله الحسن والشعي والسدى وكذلك هو في قراءة عبد الله بن مسعود فاقطعوا ايديهما واما قال ايديهما ولم يقل يديهما لانه اراد يمينان هذا ويمينا من هذه فجمع فانه ليس للانسان الا يمين واحدة وكل شيء موحد من اعضاء الانسان اذا ذكر مضافا الى اثنين فصاعدا جمع والمراد بئديها الجارحة وحدها عند جهور اهل اللغة من رؤس الاصابع الى الكوع فيجب قطعها في حد السرقة من الكوع * وقوله تعالى (جزاء بما كسب) يعني ذلك القطع جزاء على فعلهم (نكالا من الله) يعني عقوبة من الله (والله عزيز) في انتقامه ممن عصاه (حكيم) يعني فيما اوجه من قطع يد السارق

* (فصل في بيان حكم الآية) * وفيه مسائل * (المسئلة الاولى) * اقتضت هذه وجوب

انوار الصفات (واضلوها كثيرا واضلوها) الآن (من سواء السبيل) طريق الوحدة الذاتية التي هي الاستقامة الى الله (لمن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يذاهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان يخطئوا الله عليهم وفي العذاب هم خالدون

القطع على كل سارق وقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم في السرقة (ق) عن عائشة ان قريشا
اهمهم شأن المخزومية التي سرقت فقالوا من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا ومن
يجزئ عليه الاسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه اسامة فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انشفع في حد من حدود الله ثم قام فاختطب ثم قال انما هلك الذين من قبلكم
انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد وايم الله لو ان
فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها * وعن عائشة قالت اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسارق
فقطعه فقالوا ما كنا نراك تبلغ به هذا قال لو كانت فاطمة لقطعتها اخرجه النسائي (ق) عن ابى
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله السارق يسرق البيضة ففقط يده ويسرق
الحبل ففقط يده قال الاعشى يرون انه يبيض الحديد وان من الحبال ما يساوى دراهم اخرجه
البخارى ومسلم اما السارق الذى يجب عليه القطع فهو البالغ العاقل العالم بقهرم السرقة فلو كان
حديث عهد بالاسلام ولا يعلم ان السرقة حرام فلا قطع عليه * (المسئلة الثانية) * اختلف العلماء
في قدر النصاب الذى يقطع به فذهب اكثر العلماء الى انه ربع دينار فان سرق ربع دينار او متاعا
قيمه ربع دينار يقطع وهذا قول ابى بكر وعمر وعثمان وعلي * وبه قال عمر بن عبد العزيز والاوزاعي
والشافعى ويدل عليه ما روى عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقطع يد السارق
الا في ربع دينار فصاعدا اخرجه في الصحيحين وذهب مالك واجدوا صحق الى انه ثلاثة دراهم
او قيمتها لما روى عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع سارقا في مجن قيمته ثلاثة دراهم
اخرجه الجماعة المجن الترس ويروى عن ابى هريرة ان قدر النصاب الذى يقطع به البيضة
دراهم وبه قال ابن ابى ليلي لما روى عن انس قال قطع ابوبكر في مجن قيمته خمسة دراهم وفي رواية
قطع رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه النسائي وقال الرواية الاولى اصح وذهب قوم الى
انه لا قطع في اقل من دينار او عشرة دراهم يروى ذلك عن ابن مسعود واليه ذهب سفيان الثوري
وابو حنيفة لما روى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من قطع في مجن قيمته دينار
او عشرة دراهم اخرجه ابوداود فاذا سرق نصابا من المال من حرز لا شبهة له فيه فقطعت يده
اليمنى من الكوع ولا يجب القطع بسرقة مادون النصاب وقال ابن عباس وابن الزبير والحسن
القدر غير معتبر فيجب القطع في القليل والكثير وكذا الحرز غير معتبر ايضا عندهم واليه ذهب
داود الظاهري واجتبعوا بمجموع الآية فان قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما يتناول
القليل والكثير وسواء سرقة من حرز او غير حرز * (المسئلة الثالثة) * الحرز هو ما جعل
للسكنى وحفظ الاموال كالدرور والمضارب والخيم التى يسكنها الناس ويحفظون امتعتهم فيها
فكل حرز وان لم يكن فيه حافظ ولا عنده وسواء سرق من ذلك وهو مفتوح الباب او مغلق فاما
ما كان في غير بناء ولا خيمة فانه ليس بحرز الا ان يكون عنده من يحفظه اما نباش القبور فانه يقطع
وهو قول مالك والشافعى واحد وقال ابن ابى ليلي والثوري والاوزاعي وابو حنيفة لا قطع عليه
فان سرق شيئا من غير حرز كثر من بستان لا حارس له او حيوان في بركة ولا راعى له او متاع
في بيت منقطع عن البيوت فلا قطع عليه عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم سئل عن اثر الملقى ان قال من اصاب بفيه منه من ذى حاجة غير متخذ خبنة

ولو كانوا يؤمنون بالله
والحي وما نزل اليه
ما اتخذوهم اولياء ولكن
كثيرا منهم فاسقون
لجحدن اشد الناس عداوة
للذين آمنوا اليهود
والذين اشركوا ولجحدن
اقربهم مودة لذين آمنوا
الذين قالوا انا نصارى ذلك
بان منهم قسيسين ورهبانا
وانهم لا يستكبرون واذا
سمعوا ما نزل الى الرسول
الموالاة والمعاداة انما يكونان
بحسب المناسبة والمخالفة
فكل من والى احدا دل على
رابطة جنسية بينهما وكل

ملائشي عليه اخرج الزمذي وابوداود والنسائي وزاد فيه ومن خرج بشي منه فعليه غرامة
 مثله والعقوبة ومن سرق منه شيأ بعد ان يؤويه الجرين فبلغ ثمن الجن فعليه القطع ومن سرق
 دون ذلك فعليه غرامة مثله والعقوبة قوله غير متخذ خبنة الخبنة بلطاء المجهتو بعدها باء موحدة من
 تحت ثم نون وهو ما يحمله الانسان في حضنه وقيل هو ما يأخذه في خبنة ثوبه وهو ذيله واسفله
 والجرين موضع التمر الذي يحفف فيه مثل البيدر للحنطة وروى مالك في الموطأ عن ابي حسين
 المكي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا قطع في ثمر معلق ولا في حريسة الجبل فاذا آواه المراح
 او الجرين فاقطع فيما بلغ ثمن الجن هكذا رواه مالك منقطعا وهو رواية من حديث عبدالله
 بن عمرو المتقدم فان هذه الرواية عن ابي حسين عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده وجدته هو
 عبدالله بن عمرو بن العاص قوله ولا في حريسة الجبل من العلماء من يحمل الحريسة السرقة نفسها
 يقال حرس يحرس حرسا اذا سرق ومنهم من يحملها المحروسة ومعنى الحديث انه ليس فيما يحرس
 في الجبل اذا سرق قطع لانه ليس بجزء وقيل حريسة الجبل هي الشاة التي يدركها الليل قبل ان
 تصل مأواها والمراح بضم الميم هو الموضع الذي تأوى اليه الماشية بالليل عن جابر ان النبي صلى الله
 عليه وسلم قال ليس على خائف ولا منتهب ولا مخلس قطع اخرج الزمذي والنسائي * (المسئلة
 الرابعة) * اذا سرق مال له فيه شبهة كالولد يسرق من مال والده او الوالد يسرق من مال ابنه
 او العبد يسرق من مال سيده او الشريك يسرق من مال شريكه فلا قطع على احد من هؤلاء فيه
 * (المسئلة الخامسة) * اذا سرق اول مرة قطعت يده اليمنى من الكوع واذا سرق ثانية قطعت
 رجله اليسرى من مفصل القدم واختلفوا فيما اذا سرق مرة ثالثة فذهب اكثرهم الى انه تقطع
 يده اليسرى فان سرق مرة رابعة قطعت رجله اليمنى ثم اذا سرق بعد ذلك يعزر ويحبس
 حتى تظهر توبته يروى هذا عن ابي بكر وهو قول قتادة وبه قال مالك والشافعي لما روى عن
 ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في السارق ان سرق فاقطعوا يده ثم ان سرق
 فاقطعوا رجله ذكره البغوي فيبرسند وذهب قوم الى انه ان سرق بعدما قطعت يده ورجله
 فلا قطع عليه بل يحبس وروى عن علي أنه قال اني استمعي ان لاداعله يدا يستجيب بها ولا رجلا
 يمتنى بها وهذا قول الشعبي والنخعي والاوزاعي وبه قال احمد واصحاب الرأي * قوله تعالى
 (فمن تاب من بعد ظله) يعني من بعد ما ظلم نفسه بالسرقة (واصلح) يعني واصلاح العمل في المستقبل
 (فان الله يتوب عليه) يعني فان الله يغفر له ويتجاوز عنه (ان الله عفون رحيم) به
 * (فصل) * وهذه التوبة مقبولة فيما بينه وبين الله فاما القطع فلا يسقط عنه بالتوبة عند
 اكثر العلماء لان الحد جزء على الجنابة ولا بد من التوبة بعد القطع وتوبته الندم على ماضى
 والعزم على توكة في المستقبل عن ابي امية الخزازي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بلس
 قد اعترف اعترافا ولم يوجد معه متاع فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خالك سرقت
 فقال بلى فاماد عليه مرتين او ثلاثا كل ذلك يعترف فامر به فقطع ثم جئ به فقال له رسول الله
 صلى الله عليه وسلم استغفر الله وتب اليه فقال الرجل استغفر الله واتوب اليه فقال النبي صلى الله
 عليه وسلم اللهم تب عليه اخرج ابو داود والنسائي بمعناه واذا قطع السارق يحبب عليه غرم
 ما سرق من المال عندا اكثر اهل العلم وقال الثوري واصحاب الرأي لا غرم عليه فلو كان المسروق باقيا

من عاده دل على مبانة
 ومضادة بينهما ولما كان
 اليهود محجوبين عن الذات
 والصفات ولم يكن لهم
 الاتوحيد الافعال كانت
 مناسبتهم مع المحجوبين
 المشركين مطلقا اقوى من
 مناسبتهم مع المؤمنين
 الموحدين مطلقا ولما كان
 النصارى برزوا من حجاب
 الصفات ولم يتولهم الاجاب
 الذات كانت مناسبتهم
 مع المؤمنين اقوى فلذلك
 كانوا اقرب مودة لهم
 من غيرهم والمشركون

عنده يجب عليه ان يردّه الى صاحبه وتقطع يده لان القطع حق الله والترم حق الادعى فلا يمنع احدهما بالآخر والله اعلم ﴿ قوله عز وجل ﴾ (الم تعلم ان الله ملك السموات والارض) الخطاب للبي صلى الله عليه وسلم والمراد به جميع الناس وقيل معناه الم تعلم ايها الانسان فيكون الخطاب لكل فرد من الناس وان الله ملك السموات والارض يعني ان الله مدبر امرها في السموات والارض ومصرفه وخالق من فيها وما لملك لا يمنع عليه شيء مما اراده فيها لان ذلك كله في ملكه واليه امره (يعذب من يشاء ويبغض لمن يشاء) قال ابن عباس يعذب من يشاء على الصغيرة ويبغض لمن يشاء الكبيرة وقيل يعذب من يشاء على معصيته وكفره بالقتل والقطع وغير ذلك في الدنيا ويبغض لمن يشاء بالتوبة عليه فينقذه من الهلكة والعذاب واما مقدم التعذيب على المفرة لانه في مقابلة قطع السرقة على التوبة وهذه الآية فاضحة للقدرية والمعتزلة في قولهم بوجوب الرحمة للمطيع والعذاب للعاصي لان الآية دالة على ان التعذيب والرحمة مفوضان الى المشيئة والوجوب ينافي ذلك وجواب آخر وهو انه تعالى اخبر ان له ملك السموات والارض والمالك له ان يتصرف في ملكه كيف يشاء واراد لا اعتراض لاحد عليه في ملكه وبؤ كذا ذلك قوله (والله على كل شيء قدير) يعني انه تعالى قادر على تعذيب من اراد تعذيبه من خلقه وغفران ذنوب من اراد اسعاده وانقاده من الهلكة من خلقه لان الخلق كائهم عبده وفي ملكه ﴿ قوله تعالى ﴾ (يا ايها الرسول) هذا خطاب للبي صلى الله عليه وسلم وهو خطاب تشريف وتكريم وتعظيم وقد خاطبه الله عز وجل يا ايها النبي في مواضع من كتابه ويا ايها الرسول في موضعين هذا احدهما والآخر قوله تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وقوله (لا يحرك الذين يسارعون في الكفر) يعني لانهم بمواالاتهم الكفار ولا تبال بهم فاني ناصرك عليهم وكافيك شرهم (من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم) يعني المنافقين لانهم اظهروا الايمان بالقول وكنتموا الكفر وهذه صفة المنافقين (ومن الذين هادوا) اي وطائفة من اليهود قال لرجاح وهذا يحتمل وجهين احدهما ان الكلام تم عند قوله ومن الذين هادوا ثم ابتدأ الكلام بقوله (سمعوت للكذب) ويكون تقدير الكلام لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من المنافقين ومن الذين هادوا ثم وصف الكل بكونهم سماعين للكذب والوجه الثاني ان الكلام تم عند قوله ولم تؤمن قلوبهم ثم ابتدأ فقال تعالى ومن الذين هادوا سماعون للكذب اي ومن الذين هادوا قوم سماعون للكذب والمعنى انهم قائلون بالكذب اي يسمعون الكذب من رؤسائهم ويقبلونه منهم والسمع يستعمل والمراد منه القبول كما تقول لا نسمع من فلان اي لا تقبل منه وقيل معناه سماعون لاجل ان يكذبوا عليك وذلك انهم كانوا يسمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يخرجون من عنده ويقولون سمعنا منه كذا وكذا ولم يسموا ذلك منه بل يكذبوا عليه ﴿ وقوله تعالى ﴾ (سماعون) يعني بني قريظة يعني انهم جواسيس وهيون (لقوم آخرين) وهم اهل خيبر (لم يأتوك) يعني اهل خيبر لم يأتوك ولم يحضر واعندك يا محمد (ذكر القصة في ذلك) قال علماء التفسير ان رجلا وامرأة من اشراف يهود خيبر زنيا وكانا محصنين وكان حدهما الرجم عندهم في حكم التوراة فكرهت اليهود رجمهما لشرهما فقالوا ان هذا الرجل يثر ببعنونا محمد صلى الله عليه وسلم وليس في كتابه الرجم ولكن الضرب فارسلوا الى اخوانكم بني قريظة فانهم جيرانه وصلح معه فليسألوه من ذلك فبعثوا رطبا منهم متخفين وقالوا لهم اسألوا محمدا عن الزنايين اذا احصنا ما حدهما فان امركم بالحد فاقبلوا منه وان امركم بالرجم فاحذروه

واليهود اشدّ عداوة لقوة جلالهم اما ترى كيف علل قريشهم في المودة بعلمهم وعبادتهم وعدم استكبارهم فان العبادة توصل الى جنة الافصال لنجرتهم فيها عن افصال نفوسهم فاعلين ما امر الله والعلم يوصل الى الجنة الصفات لتنزههم به عن جنة الفوس والوصول الى مقام القلب الذي هو محل المكاشفة وقبول العلم الآلهي وعدم الاستكبار يدل على انهم مارأوا نفوسهم

ولا تقبلوا منه وارسلوا معهم الزانين فقدم الرهط حتى نزوا على بني قريظة والنضير وقالوا لهم انكم
 جيران هذا الرجل ومعه في بلده وقد حدث فينا حدث وذلك ان فلانا وثلاثة قد زينا وقد احصنا فذهب
 ان تسألوه عن قضائه في ذلك فقالت لهم بنو قريظة والنضير اذا والله يا مكرم بما تكرهون ثم انطلق
 قوم منهم كعب بن الاشرف وكعب بن اسد وسعيد بن عمرو ومالك بن الصيف وكنانة بن ابي
 الحقيق وغيرهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد اخبرنا عن الزاني والزانية اذا
 احصنا ما حدما في كتابك فقال هل ترضون بقضائي قالوا نعم فنزل جبريل عليه السلام بآية
 الرجم فاخبرهم بذلك فابوا ان يأخذوا به فقال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل بينك وبينهم ابن
 صوريا ووصفه له فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم هل تعرفون شابا مرديا يضاهو ريسكن فذلك
 يقال له ابن صوريا قالوا نعم قال فأي رجل هو فيكم فقالوا هو اهل يهودى بقى على وجه الارض بما
 انزل الله على موسى عليه السلام في التوراة قال فأرسلوا اليه ففعلوا فلما جاء قال له ابي صلى الله عليه وسلم
 انت ابن صوريا قال نعم قال انت اهل يهودى قال كذلك يقولون فقال النبي صلى الله عليه وسلم لليهود
 تجعلونه بيني وبينكم قالوا نعم فقال ابي صلى الله عليه وسلم لابن صوريا يا ناشدك بالله الذي لا اله
 الا هو الذي انزل التوراة على موسى واخرجكم من مصر وخلق لكم البحر وانجاكم واغرق
 آل فرعون وبالنزى ظلل عليكم انهم وانزل عليكم المن والسلوى وانزل عليكم كتابه فيه حلاله
 وحرامه هل تجدون في كتابكم الرجم على المحسن فقال ابن صوريا اللهم نعم واننى ذكرتني به
 لولا خشيت ان ينزل علينا العذاب ان كذبت او غيرت ما عرفت لك ولكن كيف هي في كتابكم
 يا محمد قال اذا شهد اربعة رهط عدول انه ادخله فيها كاي دخل الميل في المكحلة وجب عليهما الرجم
 فقال ابن صوريا والذي انزل التوراة على موسى هكذا انزل الله في التوراة على موسى فقال له ابي
 صلى الله عليه وسلم فا كان اول ما ترخصتم به في امر الله تعالى فقال ابن صوريا كنا اذا اخذنا
 الشريف تركناه واذا اخذنا الضعيف اقتنا عليه الحد فكثير الزنا في اشرافنا حتى زنى ابن عم ملك لنا فلم
 نرجه ثم زنى رجل آخر في امرأة من قومه فأراد الملك رجه فقام قومه دونه وقالوا والله لا نرجه
 حتى ترجم فلانا لان عم الملك قتلنا تعالىوا المجتمع ولمنضع شيأ دون الرجم يكون على الشريف والوضيع
 فوضعا للجلد والتميم وهو ان يجلد اربعين جلدة بحبل مطلي بفار ثم تسود وجوههم ثم يحملان على
 جارين ووجوههما من قبل دبر الجار ويطاف بهما فجعلوا ذلك مكان الرجم فقالت اليهود لابن صوريا
 ما اسرع ما خبرته وما كنت لمانينا عليك بأهل ولكنك كنت غابا ففكر هنا ان نقابك فقل لهم ابن صوريا
 انه قد ناشدني بالتوراة ولولا خشيت ان ينزل علينا العذاب ما خبرته بأمر النبي صلى الله عليه وسلم
 بهما فراجعنا عند باب المسجد وقال اللهم اني اول من احيا امركا اذا ماتوه انزل الله هذه الآية (ق) عن
 ابن عمر قال ان اليهود جاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له ان امرأة منهم ورجلا زنيا
 فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجدون في التوراة في شأن الرجم فقالوا نفصصهم
 ويجلدون فقال عبد الله بن سلام كذبتم ان فيها الرجم فأثابوا بالتوراة فنشروها فوضع احدهم
 يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن سلام ارفع يدك فوقع يده فاذا فيها آية الرجم
 فقالوا صدق يا محمد فيها آية الرجم فامر بهما النبي صلى الله عليه وسلم فرجا قال فرايت الرجل يضني
 على المرأة فيجرا الجارة وفي رواية اخرى لها قال اني ابي صلى الله عليه وسلم يجر رجل وامرأة من اليهود

موصوفة بصفات العبادة
 والعلم ولا نسبوا فعلهم
 وعلمهم اليها بل الى الله والا
 استكبروا واظهروا الجب
 ترى اعينهم تفيض
 من الدمع شوقا الى
 ما عرفوا من توحيد الذات
 لانهم كانوا اهل رياضة
 وذوق فهاجت نفوسهم
 بسماع الوحى وذكروا
 الوحدة (ما عرفوا من الحق)
 بصفاته او سمعوا من الحق
 كلامه فبكوا اشتياقا كما قال
 ويكي ان ناوا شوقا اليهم
 ويكي ان دنوا خوف

قد زينا فقال لليهود ما تصنعون لهما قالوا انقسم وجوههم ونخر لهما قال فأتوا بالتوراة فأتوا هان كنتم صادقين فجأوا بها فقال لرجل من يرضون اعور اقر أقرأ حتى انتهى الى موضع منها فوضع يده عليهم فقال ارفع يدك فرفع يده فاذا آية الرجم تلوح فقال يا محمد ان في الرجم ولكننا نكاهه بيننا فأمرهم بما فرجوا فرأيتهم يحضون زاد في رواية أخرى فرجوا قريبا من موضع الجنائز قرب المسجد (م) عن البراء بن مازب قال مر على رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودى يحجم مجلود فدعاهم فقال ههنا كذا نجدون حد الزاني في كتابكم قالوا نعم فدعا رجلا من علمائهم فقال انشدك بالله الذى انزل التوراة على موسى هكذا نجدون حد الزاني في كتابكم قال لاولو لانا لك نشدتنى بهذا لم اخبرك بمحد الرجم ولكنه كثر في اشرافنا فكنا اذا اخذنا الشريف تركناه واذا اخذنا الضعيف اقمنا عليه الحد فقلنا تعالوا فلنجتمع على شئ نقيم على الشريف والوضع فجعلنا التعميم والجلد مكان الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انى اول من احيا امركا اذا ماتوه فأمر به فرج ما نزل الله يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر الى قوله ان اوتيتهم هذا فخذوه يقولون اشوا محمد فان امركم بالتعميم والجلد فخذوه وان امركم بالرجم فاحذروه فأنزل الله تبارك وتعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الناسقون في الكفر كلها التعميم هو تسويد الوجه بالحم وهو الفحيم وقوله ما نجدون في التوراة في شأن الرجم قال العلماء هذا السؤال من النبي صلى الله عليه وسلم ليس بتقليدهم ولا معرفة الحكم منهم وانما هو لازمهم بما يعتقدونه في كتبهم ولعله صلى الله عليه وسلم كان قد اوحى اليه ان الرجم في التوراة الموحدة في ايديهم لم يغيروه كما غيروا اشياء منها او اخبره بذلك من اسلم من اهل الكتاب وهو عبد الله بن سلام كما في حديث ابن عمر المتفق عليه ولذلك لم يخف عليه صلى الله عليه وسلم حين كتموه قوله تعالى (يحرفون الكتاب) يعنى يغيرون حدود الله التى اوجها عليها في التوراة وذلك انهم بدلوا الرجم بالجلد والتعميم وقال الحسن انهم يغيرون ما لا يغيرون من النبي صلى الله عليه وسلم بالكذب عليه وعلى ابن جرير الطبري يحرفون حكم الكلام فحذف ذكر الحكم لمعرفة السامعين به (من بعده واضعه) يعنى من بعد ان وضعه الله مواضعه وفرض فروضه واحل حلاله وحرم حرامه فان قلت قد قال الله عز وجل هان يحرفون الكلم من بعد مواضعه وقال في موضع آخر يحرفون الكلم عن مواضعه فهل من فرق بينهما قلت نعم بينهما فرق وذلك انما اذا فسرنا يحرفون الكلم عن مواضعه بالتأويلات الباطلة فيكون معنى قوله يحرفون الكلم عن مواضعه انهم يذكرون التأويلات الفاسدة لتلك المصوص وليس فيه بيان انهم يحرفون تلك اللفظة من الكتاب واما قوله يحرفون الكلم من بعد مواضعه ففيه دلالة على انهم جمعوا بين الامرين يعنى انهم كانوا يذكرون التأويلات الفاسدة وكانوا يحرفون اللفظة من الكتاب ففي قوله يحرفون الكلم عن مواضعه اشارة الى التأويل الباطل وفي قوله من بعد مواضعه اشارة الى اخراجه من الكتاب بالكيفية * وقوله تعالى (يقولون) يعنى اليهود (ان اوتيتهم هذا فخذوه) يعنى ان افناكم محمد بالجلد والتعميم فاقبلوا منه (وان لم تؤتوه فاحذروا) يعنى وان لم يفتكم بذلك وافناكم بالرجم فاحذروا ان تقبلوه (ومن رد الله ذنبه) يعنى كفره وضلأه (فلن نملك له من الله شيئا) يعنى فلن تقدر على دفع امر الله فيه (اولئك الذين لم يرد الله ان يطلع قلوبهم)

الفراق (يقولون ربنا آمنا) بالتوحيد الذاتى ايماننا عينيا فاجعلنا (فاكبتنا من الشاهدين) الحاضرين الذين مقامهم الشهود الذاتى واليقين الحقيقى و ايماننا عينا يقينيا فاجعلنا مع المعانين (ومالنا لانؤمن بالله) ايماننا حقيقيا بداته وما جاءنا من كلامه اولناؤمن بالله جمعا (وما جاءنا من الحق) تفصيلا (ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) الذين استقاموا بالبقاء بعد فائهم الله بما قالوا (جنات تجري

قال ابن عباس معناه ان يخلص بأنهم قتل معاملة رد الله ان يهديهم وفي هذا الآية دلالة على ان الله تعالى لم يرد اسلام الكافر وان لم يظهر قلبه من الشك والشرك ولو فعل ذلك لآمن وهذه الآية من اشد الآيات على القدرية (لهم في الدنيا خزي) يعني للمنافقين واليهود اما خزي المنافقين فبالفضيحة وهتك استارهم باظهار نفاقهم وكفرهم واما خزي اليهود فبأخذ الجزية والقتل والسبي والاجلاء من ارض الجحاز الى غيرها (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) يعني الخلود في النار للمنافقين واليهود * قوله عز وجل (سماعون للكذب كالبون للسحت) نزلت في حكام اليهود مثل كعب بن الاشرف ونظرانه كانوا يرتشون ويقضون لمن رشاهم قال الحسن كان الحاكم منهم اذا اتاه احدهم برشوة جعلها في كفه ثم يريها اياه ويتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر الى خصمه فيسمع الكذب وبأكل الرشوة وهي السحت واصل السحت الاستئصال يقال سحتته اذا استأصله وسميت الرشوة في الحكم سحتا لانها تستأصل دين المرثي والسحت كله حرام تحمل عليه شدة الثمة وهو يرجع الى الحرام الحسيس الذي لا تكون له بركة ولا لاخذه مروءة ويكون في حصوله عار بحيث يخفيه لاحتالة ومعلوم ان حال الرشوة كذلك فلذلك حرمت الرشوة على الحاكم * عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الراشي والمرثي في الحكم اخرجته الترمذي واخرجه ابو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال الحسن انما ذلك في الحاكم اذا رشوته ليحقيقك باطلا او يطل عك حقا وقال ابن مسعود الرشوة في كل شيء فمن شفع شفاعة ليرد بها حقا او يدفع بها ظلما فاهدى به اليه فقبل فهو سحت فقبل له يا ابا عبد الرحمن ما كنت ترى ذلك الا لاخذ على الحكم فقال لاخذ على الحكم كفر قال تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون * قوله عز وجل (فان جاؤك) يعني اليهود (فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا) خبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم في الحكم بينهم فان شاء حكم وان شاء ترك قال الحسن ومجاهد والسدي نزلت في اليهوديين الذين زنا وقال قتادة نزلت في رجلين من قريظة والضير قل احدهما الآخر قال ابن زيد كان حي بن اخطب قد جعل للضيري دينين وللقرظي دية واحدة لانه كان من بني الضير فقالت قريظة لا ترضى بحكم حي ونفخا كى الى محمد فانزل الله هذه الآية بخير نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في الحكم بينهم

* (فصل) * اختلف علماء التفسير في حكم هذه الآية على قولين احدهما انها منسوخة وذلك ان اهل الكتاب كانوا اذا تراءفوا الى النبي صلى الله عليه وسلم كان يحيزا فان شاء حكم بينهم وان شاء اعرض عنهم ثم نسخ ذلك بقوله وان احكم بينهم بما انزل الله فلزمه الحكم بينهم وزال التخيير وهذا القول مروى عن ابن عباس وعطاء ومجاهد وعكرمة والسدي والقول الثاني انها محكمة وحكام المسلمين بالخيار اذا تراءفوا اليهم فان شاؤا حكموا بينهم وان شاؤا اعرضوا عنهم وهذا القول مروى عن الحسن والشعبي والنخعي والزهري وبه قال اجد لانه لا منافاة بين الآيتين اما قوله فاحكم بينهم او اعرض عنهم ففيه التخيير بين الحكم والاعراض واما قوله وان احكم بينهم بما انزل الله ففيه كيفية الحكم اذا حكم بينهم قال الامام فخر الدين الرازي ومذهب الشافعي انه يجب على حاكم المسلمين ان يحكم بين اهل الكتاب اذا نفخا كوا اليه لان في امضاء حكم الاسلام صفارهم قاما المعاهدون الذين لهم مع المسلمين عهد الى مدة فليس بواجب على الحاكم ان يحكم

من تحتها الانهار حالدين فيها) من التجليات الثلاث مع ومها (وذلك جزاء المحسنين) المشاهدين للوحدة في عين الكثرة بالاستقامة في الله (والذين كفروا) هجوا عن الذات (وكذبوا باياتنا) بايات الصفات (اولئك اصحاب الحرمان الكلى في جيب صفات النفوس (يا أيها الذين آمنوا) ايماناً علياً (لا تمحروا طبيسات ما احل الله لكم) من مكاشفات الاحوال وتجليات الصفات بتعصيركم في السلوك

بينهم بل يخبر في ذلك وهذا الخبر المذكور في هذه الآية مخصوص بالمعدين واما اذا عا لم
مسلم وذمى وجب على الحاكم الحكم بينهم لا يختلف القول فيه لانه لا يجوز للسلم الانقياد لحكم اهل
الذمة والله اعلم * وقوله تعالى (وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط) بمعنى بالعدل والاحتياط
(ان الله يحب المقسطين) بمعنى العادلين فياوتوا وحكموا فيه (م) عن عبدالله بن عمرو بن العاص
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان انقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه
يمين الذين يعدلون في حكمهم واهلهم وماولوا هذا من احاديث الصفات فن العلماء من قال فيه وفي امثاله
نؤمن بها ولا نتكلم في تأويلها ولا نعرف معناها لكن نعتقد ان ظاهرها غير مراد وان لها معنى يليق
بالله هذا مذهب جماهير السلف وطوائف من المتكلمين ومنهم من قال انها تؤول بتأويل يليق
بها وهذا قول اكثر المتكلمين فلي هذا قال القاضي عياض المراد بكونهم عن اليمين الحالة الحسنة
والمنزلة الرفيعة والعرب تنسب الفضل المحمود والاحسان الى اليمين وضده الى اليسار قالوا
واليمين مأخوذة من اليمين وقوله وكلتا يديه يمين مبنى على انه ليس المراد باليمين الجارحة تعالى الله
عن ذلك فانها مستحيلة في حقه تعالى وقوله وماولوا بفتح الواو وضم اللام المنخفضة هكذا ذكره الشيخ
محي الدين في شرح مسلم قال ومعناه وما كانت لهم عليه ولاية وهذا الفضل لمن عدل فيما تقلده من
الاحكام والله اعلم * قوله تعالى (وكيف يحمونك وعندهم التوراة) هذا تعقيب من الله تعالى
لتبنيهم محمد صلى الله عليه وسلم في تحكيم اليهود اياه مع علمهم بما في التوراة وتركهم قبول ذلك الحكم
مع اعتقادهم صحته وعدولهم الى حكم من يحدون نبوته طلبا للرخصة لاجرم ان الله تعالى اظهر
جهلهم وعنادهم لانهم حكموا النبي صلى الله عليه وسلم في امر الزانيين ثم اعرضوا عن حكمه
وفي الآية تقريع لليهود والمعنى وكيف يجعلونك حكما بينهم ويرضون بحكمك وعندهم التوراة
(فيها حكم الله) بمعنى الرجم الذي تحاكموا اليك من اجله (ثم يتولون من بعد ذلك) بمعنى ثم
يرضون عن حكمك الموافق لما في كتابهم (وما اولئك) يعني اليهود (بالمؤمنين) يعني بكتائبهم
كابرهمون وقيل معناه وما اولئك بالمصدقين لك * قوله عز وجل (انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور)
سبب نزول هذه الآية استفاء اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم في امر الزانيين وقد سبق بانه
والهدى هو البيان لان التوراة مينة صفة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومينة ما تحا كوافيه والور
هو الكاشف للشبهات الموضح للشكالات والتوراة كذلك وقيل الفرق بين الهدى والتوراة ان الهدى
محمول على بيان الاحكام والشرائع والنور محمول على بيان احكام التوحيد والنبوات والمعاد (يحكم
بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا) اراد بالنبيين الذين بشوا بعد موسى عليه السلام وذلك ان الله
بعث في بني اسرائيل الوفا من الانبياء وليس معهم كتاب انما بعثوا باقامة التوراة واحكامها ومعنى اسلموا
اي اتقادوا لامر الله تعالى والعمل بكتابه وهذا على سبيل المدح لهم وفيه تمريض لليهود لانهم بعدوا
عن الاسلام الذي هو دين الانبياء عليهم السلام وقال الحسن والزهرى ومكرمة وقادة السدى
يحتمل ان يكون المراد بالنبيين الذين اسلموا هو محمد صلى الله عليه وسلم وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما
وتشريفه صلى الله عليه وسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم حكم على اليهود بالرجم وكان هذا الحكم
في التوراة قال ابن الانباري هذا رد على اليهود والنصارى لان الانبياء عليهم السلام ما كانوا
موصوفين باليهودية والنصرانية بل كانوا مسلمين لله تعالى منقادين لامره ونهيه للذين هادوا

(ولا تعتدوا ان الله لا يحب
المعتدين وكلوا مما رزقكم الله
حلالا طيبا) بطييان النفس
وظهورها بصفاتها واجعلوا
ما رزقكم الله من علوم
التجليات ومواهب الاحوال
والمقامات غذاء قلوبكم
سئفا طيبا واجعلوا الله
وقاية لكم في حصول تلك
الكلمات بان تروها منه
وله لانكم ولكم فتلقوا
(واتقوا الله الذي انتم
به مؤمنون لا يؤاخذكم الله
بالغو في ايمانكم ولكن
يؤاخذكم بما عقدتم الايمان

يعني لليهود يعني يحكم بالتوراة لهم وفيما بينهم ويحكمهم على احكامها كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من حكمهم على حكم الرجم كما هو في التوراة ولم يوافقهم على ما ارادوه من الجلد وقال الزجاج وجائز ان يكون المعنى على التقديم والتأخير على معنى انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور للذين هادوا يحكم بها الليون الذين اسلموا (والرانيون والاحبار) اما الرانيون فتقدم تفسيره في سورة آل عمران واما الاحبار فقال ابن عباس هم الفقهاء وقيل هم العلماء الاحبار واحد حبر: بفتح الحاء وكسر ها لفتان وقال القراء انما هو حبر بكسر الحاء وانما سمي به لمكان الحبر الذي يكتب به وذلك لانه صاحب كتاب وقال ابو عبيد انما هو حبر بفتح الحاء والحبر العالم الما يبق من اثر علومه في قلوب الناس وافضاله الحسنه التي يقتدى بها وجمه احبار ومنه كسب الاحبار وقيل الحبر الاثر السخس ومنه الحديث يخرج من النار رجل قد ذهب حبره وسره اى جاله وبهاؤه وانما سمي العالم حبرا لما طيه من اثر جلال العلم وهل فرق بين الرانيين والاحبار ام لافيه خلاف فقيل لافرق والرانيون والاحبار بمعنى واحد وهم العلماء والفقهاء وقيل الرانيون اعلى درجة من الاحبار لان الله تعالى قدمهم في الذكر على الاحبار وقيل الرانيون هم الولاة والحكام والاحبار هم العلماء وقيل الرانيون علماء الصارى والاحبار علماء اليهود ومعنى الآية يحكم باحكام التوراة لليون وكذلك يحكم بها الرانيون والاحبار (بما استفظوا من كتاب الله) يعني بما استودعوا من كتاب الله وقيل هو ان يحفظوا كتاب الله فلا ينسوه وقيل هو ان يحفظوه فلا يضيعوا احكامه وشرائعه وقد اخذ الله على العلماء حفظ كتابه من هذين الوحيين معا وذلك بان يحفظوا كتاب الله في صدورهم ويدرسوه بالسنة ثلاثين سنة وان لا يضيعوا احكامه ولا يهللوا شرائعه فاذا فعلوا ذلك كانوا قائمين بحفظه (وكانوا عليه شهداء) يعني ان هؤلاء الدين والرانيين والاحبار كانوا شهداء على كتاب الله تعالى ويعلمون انه حق وصدق وانه من عند الله (فلا تخشوا الناس واخشون) هذا خطاب لحكام اليهود الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني لا تخافوا احدا من الناس في اظهار صفة محمد صلى الله عليه وسلم ولا تستبدلوا بآيات الله واحكامه ثما قليلا يعني الرشوة في الاحكام والجاه عند الناس ورضاهم والمعنى كما نهيكم عن تغيير الاحكام لاجل خوف الناس كذلك انماكم عن التغيير والتبديل لاجل الطمع في المال والجاه واخذ الرشوة فان كل متاع الدنيا قليل (ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون) يعني ان اليهود لما انكروا حكم الله تعالى المنصوص عليه في التوراة وقالوا انه غير واجب عليهم فهم كافرون على الاطلاق بموسى والتوراة وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآيات الثلاث وهى قوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون فقال جماعة من المفسرين ان الآيات الثلاث نزلت في الكفار ومن غير حكم الله من اليهود لان المسلم وان ارتكب كبيرة لا يقال انه كافر وهذا قول ابن عباس وقتادة والضحاك ويدل على صحة هذا القول ما روى عن البراء بن عازب قال انزل الله تبارك وتعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون في الكفار كلها اخرجه مسلم

فكفارته اطعام عشرة
ساكنين من اوسط ما تطعمون
اهليكم او كسوتهم او تحرير
رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة
ايام ذلك كفارة ايمانكم
اذا حلقتهم واحفظوا ايمانكم
كذلك بين الله لكم آياته
لعلكم تشكرون يا ايها
الذين آمنوا انما الحمر والميسر
والانصاب والازلام رجس
من عمل الشيطان فاحذروه
لعلكم تفلحون انما يريد
الشيطان ان يوقع بينكم
العداوة والبغضاء في الحمر
والميسر ويصدكم عن

وعن ابن عباس قال ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون الى قوله انفسون هذه الآيات
الثلاث في اليهود خاصة قريظة والضير اخرجه ابو داود وقال مجاهد في هذه الآيات الثلاث
من ترك الحكم بما أنزل الله رد الكتاب الله فهو كافر ظالم فاسق وقال عكرمة ومن لم يحكم بما
أنزل الله جاحدا به فقد كفر ومن اقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق وهذا قول ابن عباس ايضا
واختيار الزجاج لانه قال من زعم ان حكما من احكام الله تعالى التي انت بها الانبياء باطل فهو كافر
وقال طاووس قلت لابن عباس اكفر من لم يحكم بما أنزل الله فقل له كفر وليس بكفر ينقل
عن الملة لكن كفر بالله ولائكنه وكتبه ورسله واليوم الآخر ونحو هذا روى عن هطاء قال
هو كافر دون الكفر وقال ابن مسعود والحسن والنخعي هذه الآيات الثلاث عامة في اليهود
وفي هذه الامة فكل من ارتشى وبدل الحكم فتحكم بغير حكم الله فقد كفر وظلم وفسق واليه
ذهب السدي لانه ظاهر الخطاب وقيل هذا فيمن علم نص حكم الله ثم رده عيانا عمدا وحكم بغيره
واما من خفي عليه النص او اخطأ في التأويل فلا يدخل في هذا الوعيد والله اعلم بمراده * قوله
تعالى (وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس) يعني وفرضنا على بني اسرائيل في التوراة ان
نفس القاتل بنفس المقتول وفاقا فيقتل به وذلك ان الله تعالى حكم في التوراة ان على الزاني المحصن
الرجم واخبر ان اليهود بدلوه وغيروه واخبر ايضا ان في التوراة ان النفس بالنفس وان هؤلاء اليهود
غيروا هذا الحكم وبدلوه ففضلوا بني الضير على بني قريظة فكان بنو الضير اذا قتلوا من قريظة ادوا
اليهم نصف الدية واذا قتل بنو قريظة من بني الضير ادوا اليهم الدية كاملة فغيروا حكم الله الذي انزله
في التوراة قال ابن عباس اخبر الله بحكمه في التوراة وهو ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف
والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص قال قائلهم يخالفون فيقتلون النفسين بالنفس ويفقون
العينين بالعين ومعنى الآية ان قاتل النفس يقتل بها اذا تكافأ الدمان ومذهب الشافعي انه لا يقتل مسلم
بكافر لما صح من حديث علي بن ابي طالب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقتل مسلم بكافر الحديث
اخرجه في الصحيحين * وقوله تعالى (والعين بالعين) يعني تقفأها (والانف بالانف) يعني
يحدع به (والاذن بالاذن) يعني تقطعها (والسن بالسن) يعني تقلعها واما سائر الاطراف
والاعضاء فيجري فيها القصاص كذلك * وقوله تعالى (والجروح قصاص) يعني فيما يمكن
ان يقتص منه وهذا تعميم بعد التخصيص لان الله تعالى ذكر النفس والعين والانف والاذن
فخص هذه الاربعة بالذكر ثم قال تعالى والجروح قصاص على سبيل العموم فيما يمكن ان يقتص
منه كاليد والرجل والذكور والانثيين وغيرها واما ما لا يمكن القصاص فيه كعرض في الحلم او كسر
في عظم او جراحة في بطن يخاف منها التلف فلا قصاص في ذلك وفيه الارش والحكومة واعلم
ان هذه الآية دالة على ان هذا الحكم كان شرعا في التوراة فمن قال شرع من قبلنا يلزمنا الامتناع
منه بالتفصيل قال هذه الآية حجة في شرعنا ومن انكره قال انها ليست بحجة علينا واصل هذه المسئلة
ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وامته بعد البعثة هل هم متبعون بشرع من تقدم من الانبياء
عليهم السلام فنقل عن اصحاب ابي حنيفة وبعض اصحاب الشافعي وعن احدى الروايتين عنه انه
كان متعبدا بما صح من شرائع من قبله بطريق الوحي اليه لا من جهة كتبهم المبدلة ونقل اربابها واختار
ابن الحاجب من التأخيرين هذا المذهب وهو ان صلى الله عليه وسلم كان بعد البعثة متعبدا بشرع

ذكر الله وعن الصلوة فهل
انتم متبهون) موحدتين
(واطيعوا الله) بالثناء فيه
فتنقادوا فيما يستعملكم فيه
كاليت (واطيعوا الرسول)
بالبقاء بعد الثناء فتستقيموا فيه
مراعين للتفصيل احياء بحياته
(واحذروا) ظهور البقاء
حالة الاستقامة (فان توليتم
فاعلموا) ان التفسير منكم
نما على رسولنا وما على الرسول
الابلاغ لا الازام (ليس
على الذين آمنوا) الايمان
الغبي بتوحيد الافصال
(وعلموا) بمقتضى ايمانهم

من قبله فيما لم ينسخ من الاحكام الباقية قبل شريعته لكنه لم يعتبر فيه قيدا لوصي وهو الحق والالم يبق للنزاع معنى اذ لا ينكر احد كون النبي صلى الله عليه وسلم متعبدا بعد البعثة بما اوصى اليه سواء كان من شريعة من قبله ام لا وذهبت الاشاعرة والعترة الى المنع من ذلك وهو اختيار الامدى من المتأخرين واحتج الاولون لصحة مذهبهم بأن الاجماع منقاد على صحة الاستدلال بقوله وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس الآية مع انه من شريعة من تقدم لانه مذكور في التوراة ومكتوب على بني اسرائيل ولولا انهم تعبدون بشريعة من قبلنا لما صح هذا الاستدلال * قوله تعالى (فمن تصدق به) يعني بالقصاص فلم يقتص من الجاني (فهو كفارة له) في هاهنا قولان احدهما ان الهاء في له كناية عن الجروح وولى المقتول وذلك ان الجروح او ولى المقتول اذا تصدق بالقصاص كان ذلك كفارة لذنوبه وهذا قول ابن مسعود وعبد الله بن عمرو بن العاص والحسن وبديل عليه ما روى عن ابي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يصاب بشئ من جسده فيتصدق به الارضه الله به درجة وحط عنه به خطيئة اخرجته الترمذي وعن انس قال ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع اليه شئ فيه قصاص الا امر فيه بالعفو اخرجته ابوداود والنسائي والقول الثاني ان الضمير في قوله يعود الى الجارح والقاتل يعني ان المجنى عليه اذا عفا عن الجاني كان ذلك العفو كفارة لذنب الجاني لا يؤاخذ به في الآخرة وهذا قول ابن عباس ومجاهد ومقاتل كما ان القصاص كفارة له فاما اجرا العافي فعلى الله تعالى * وقوله تعالى (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون) يعني لانفسهم حيث لم يحكموا بما انزل الله عز وجل * قوله عز وجل (وقفنا على آثامهم) يعني وعقنا على آثام الذين الدين اسلموا (يعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة) يعني ان عيسى عليه السلام كان مصدقا بان التوراة منزلة من عند الله عز وجل وكان العمل بها واجبا قبل ورود انسخ عليها فان عيسى عليه السلام نسخ بعض احكام التوراة وخالفها (وآتينا الانجيل فيه هدى ونور) يعني فيه هدى من الجاهلة وضياء من عمى البصيرة (ومصدقا لما بين يديه من التوراة) هذا ليس بتكرار الاول لان في الاول الاخبار بأن عيسى مصدق لما بين يديه من التوراة وفي الثاني الاخبار بأن الانجيل مصدق للتوراة فظهر الفرق بين اللفظين وانه ليس بتكرار (وهدى وموعظة للمتقين) انه قال وهدى مرة اخرى لان الانجيل يتضمن البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم فيكون سببا لاهتداء الناس الى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم واما كون الانجيل موعظة فلأن فيه من المواعظ البليغة والزواجر والامثال وانما خص المتقين بالذكر لانهم هم الذين ينفعون بالمواعظ * قوله تعالى (وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه) قال اهل المعاني قوله وليحكم يحتمل وجهين احدهما ان يكون المعنى وقتنا ليحكم اهل الانجيل فيكون هذا اخبارا عما فرض عليهم في وقت انزاله عليهم من الحكم بما نضنه الانجيل ثم حذف القول لان ما قبله من قوله وكتبنا وقفنا بديل عليه حذف القول كثير والوجه الثاني ان يكون قوله وليحكم ابتداء وفيه امر للنصارى بالحكم بما في كتابهم وهو الانجيل * فان قلت فعلى هذا الوجه كيف جاز ان يؤمروا بالحكم بما في الانجيل بعد نزول القرآن * قلت ان المراد بهذا الحكم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لان ذكره في الانجيل وجوب التصديق بنبوته موجود فاذا آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد حكموا بما في الانجيل وقوله (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الفاسقون) يعني فأولئك هم الخارجون عن طاعة الله عز وجل * قوله عز وجل (وانزلنا اليك الكتاب)

اعمالا تخرجهم من حجب الافصال وتصلهم لرؤية افضل الحق حرج وضيق فيما تمتعوا به من انواع الحلو ط اذا ما اجتنبوا باقيا افعالهم واتخذوا الله وقاية في صدور الافعال منهم (وآمنوا) بتوحيد الصفات (وعملوا) ما يخرجهم عن حجب الصفات ويصلهم لمشاهدة الجليات الالهية بالمحوف فيها (ثم اتقوا) بقايا صفاتهم واتخذوا الله واية في صدور صفاته عليهم (وآمنوا) بتوحيد الذات

الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وانزلنا اليك يا محمد القرآن (بالحق) يعني بالصدق الذي لا شك فيه انه من عند الله (مصدقاً لما بين يديه من الكتاب) يعني انه يصدق جميع الكتب التي انزلها الله على انبيائه (ومهيئاً عليه) قال ابن عباس يعني شاهداً على الكتب التي قبله ومنه قول حسان

ان الكتاب مهين لثيناه والحق يرفه ذوو الالباب

يريدانه شاهد ومصدق لثيناي صلى الله عليه وسلم وانما كان القرآن مهيماً على الكتب التي قبله لانه الكتاب الذي لا ينسخ ولا يغير ولا يبدل واذا كان القرآن كذلك كانت شهادته على التوراة والانجيل والزبور وجميع الكتب المنزلة حقاً وصداً وقيل المهين الامين وانما كان القرآن اميناً على الكتب التي قبله فيما اخبر اهل الكتب عن كتبهم فان قالوا ذلك في القرآن فقد صدقوا والا فلا (فاحكم بينهم بما انزل الله) يعني اذا ترفع اهل الكتاب اليك يا محمد فاحكم بينهم بالقرآن الذي انزله الله اليك (ولا تتبع اهواءهم) يعني لا تتبع اهواء هؤلاء اليهود في الحكم وقال ابن عباس لا تأخذ باهوائهم في جلد المحسن (عاجاءك من الحق) يعني ولا تنحرف عن الحق الذي جاءك من عند الله متبعاً اهواءهم وقوله ولا تتبع اهواءهم عاجاءك من الحق وان كان خطاً بالنبي صلى الله عليه وسلم لكن المراد به غيره لانه صلى الله عليه وسلم لم يتبع اهواءهم قط وقوله تعالى (اكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً) الخطاب في قوله منكم للامم الثلاثة مة وسى وامة عيسى وامة محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين بدليل ان الله عز وجل قال قبل هذه انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور ثم قال بعد ذلك وقفينا على آثامهم بعيسى ابن مريم قال وانزلنا اليك الكتاب ثم جمع فقال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً والشرعة الشريعة يعني لكل امة شريعة فالتوراة شريعة وللانجيل شريعة وللقرآن شريعة والدين واحد وهو التوحيد واصل الشريعة من الشرع وهو البيان والالهام فمعنى شرع بين واوضح وقيل هو من الشروع في الشيء والشرعة في كلام العرب المشريعة التي يشرعها الناس فيشربون ويسقون منها وقيل الشريعة الطريقة ثم استعير ذلك للطريقة الالهية المؤدية الى الدين والمنهاج الطريق الواضح وقال بعضهم الشريعة والمنهاج عبارتان عن معنى واحد والتكرير للتأكيد والمراد بهما الدين وقال آخرون بينهما فرق لطيف وهو ان الشريعة هي التي امر الله بها عباده والمنهاج الطريق الواضح المؤدى الى الشريعة قال ابن عباس في قوله شرعاً ومنهاجاً سنة وسبيلاً وقال قتادة سبيلاً وسنة فالسنة مختلفة للتوراة شريعة وللانجيل شريعة وللقرآن شريعة يحل الله عز وجل فيها ما يشاء ويحرم ما يشاء يعلم من بطعه ممن يعصيه والدين الذي لا يقبل غيره هو الوحيد والاخلاص الذي جاء به جميع الرسل عليهم السلام وقال علي بن ابي طالب الايمان منذ بعث آدم عليه السلام شهادة ان لا اله الا الله والاقرار بما جاء من عند الله واكمل قوم شريعة ومنهاجاً قال العلماء وردت آيات دالة على عدم التباين في طريقة الانبياء والرسل منها قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوح الى قوله ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ومنها قوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ووردت آيات دالة على حصول التباين بينهم منها هذه الآية وهي قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً وطريق الجمع بين هذه الآيات ان كل آية دلت على عدم التباين فهي دالة على اصول الدين من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وكل ذلك جاء به الرسل من عند الله ولم يختلفوا فيه واما الآيات الدالة على حصول التباين بينهم فمحمولة على القروع

(ثم اتفقوا) بقية ذواتهم واتخذوا الله وقاية في وجودهم بالقضاء المحض والاستهلاك في عين الذات واحسنوا بشهود التفصيل في عين الجمع والاستقامة في البقاء بعد القضاء (والله يحب المحسنين) المشاهدين للوحدة في عين الكثرة المراعي لحقوق التفاصيل في عين الجمع بالوجود الحقائق (يا أيها الذين آمنوا) بالقيب (ليبلونكم الله) حال سلوككم واحرامكم لزيرة كعبة الوصول (يشئ من الصيد تاله ايدىكم ورماحكم)

وما يتعلق بطواهر العبادات لجأزان تعبد الله عباده في كل وقت بما يشاء فهذه طريق الجمع بين هذه الآيات والله اعلم بأسرار كتابه هو اخرج بهذه من قال ان شرع من قبلنا لا يلزمنا لان قوله لكل جعلنا منكم شرعة وهم بما جادل على ان كل رسول جاء بشرية خاصة فلا يلزم امة رسول الاقتداء بشرية رسول آخر ثم قال تعالى (ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة) يعني جاعة متفقة على شرية واحدة ودين واحد لا اختلاف فيه (ولكن ليلوكم) يعني ولكن اراد ان يختبركم (فيما آتاكم) يعني من الشرائع المختلفة هل تعملون بها ام لا فبين بذلك المطيع من العاصي والموافق من المخالف (فاستبقوا الخيرات) هذا خطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم يعني فبادروا بامة محمد بالاعمال الصالحات التي تقر بكم الى الله تعالى (الى الله مرجعكم جميعا) يعني المطيع والعاصي والموافق والمخالف (فيذنبكم بما كنتم فيه تختلفون) يعني فيخبركم في الآخرة بما كنتم فيه تختلفون من امر الدين والدنيا والمعنى يخبركم في الآخرة بما لا تشكون معه فيفصل بين الحق والمبطل والطائع والعاصي بالتواب والعقاب قوله تعالى (وان احكم بينهم بما انزل الله) قال ابن عباس ان كعب بن اسيد وعبد الله بن سوريا وشاس بن قيس قال بعضهم لبعض اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نقتنه من دينه فأتوه فقالوا يا محمد قد علمت اننا احبار اليهود وداشرافهم وساداتهم واننا اتبعناك ابتغنا اليهود ولم يخافونا وان بنينا وبين قومنا خصومة فتحاكم اليك فاقض لنا عليهم نؤمن بك ونصدقك فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل الله هذه الآية وان احكم بينهم بما انزل الله يعني احكم بينهم يا محمد بالحكم الذي انزله الله في كتابه (ولا تتبع اهل اوهامهم) يعني فيما امروك به قال العلماء ليس في هذه الآية تكرار لما تقدم وانما انزلت في حكمين مختلفين اما الآية الاولى فنزلت في شأن رجم الحصن وان اليهود طلبوا منه ان يجلدوه وهذه الآية نزلت في شأن الدماء والديات حين تحاكموا اليه في امر قتل كان بينهم قال بعض العلماء هذه الآية ناسخة للتخير في قوله فاحكم بينهم او اعرض عنهم قوله تعالى (واحذرهم ان يفتنوك من بعض ما انزل الله اليك) يعني واحذر يا محمد هؤلاء اليهود الذين جاؤا اليك ان يصرفوك ويصدوك بمكرهم وكيدهم فيمملوك على ترك العمل ببعض ما انزل الله اليك في كتابه وتابع اهل اوهامهم (فان تولوا) يعني فان اعرضوا عن اليمان بك والرضا بالحكم بما انزل الله عليك (فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم بعض ذنوبهم) يعني فاعلم يا محمد ان الله يريد ان يجعل لهم العقوبة في الدنيا بعض ذنوبهم وانما خص بعض الذنوب لان الله جازاهم في الدنيا على بعض ذنوبهم بالقتل والسبي والجلد والاخر مجازاتهم على ما في ذنوبهم الى الآخرة (وان كثير من الناس لفاسقون) يعني اليهود لانهم ردوا حكم الله تعالى (الحكم الجاهلية يغنون) يعني افحكم الجاهلية يطلب هؤلاء اليهود وقال ابن عباس يعني بحكم الجاهلية ما كانوا عليه من الضلال والجور في الاحكام وتحريمهم اياها مما امر الله به وقال قاتل كانت بين بني الضير وقريظة دماء وهم احيان من اليهود وذلك قبل ان يعث الله محمد صلى الله عليه وسلم فلابست وهاجر الى المدينة تحاكموا اليه فقالت بنو قريظة بنو النضير اخواننا ابونا واحد وبننا واحد وكتبنا واحد فان قتل بنو النضير منا قتيلا اعطوا ناسبعين وسقما من تمر وان قتلنا منهم قتيلا اخذوا منا مائة واربعين وسقا وارش جراحتنا على النصف من جراحتهم فاقض بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني احكم ان دم القرظي ودم من دم الضيري ودم الضيري ودم من دم القرظي ليس لاحد منكم افضل على الآخر في دم ولا عقل ولا جراحة فضبت بنو الضير وقالوا لا رضى بحكمك

من الحفظ بيسر لك
ويتهب ما يتوصل به اليها
(يعلم الله) العلم التفصيلي
التابع للوقوع الذي يترتب
عليه جراء (من يخافه)
في حالة التوبة فان الخوف
لا يكون الا للمؤمنين بالغييب
تعلقه بالخطاب الذي هو
من باب الاتصال واما في
حالة الحضور فاما الحشية
فتمثل الربوبية والعظمة
واما الهية فنجلي الذات
فالخوف من صفات النفس
والحشية من صفات القلب
والهية من صفات الروح

فانك لاعدو واثك ماتلوفى وضعتوا تصغيرنا فأنزل الله افحكم الجاهلية بفنون وقرى مالتاء على الخطاب والمعنى قل لهم يا محمد افحكم الجاهلية بفنون (ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون) يعنى اى حكم احسن من حكم الله ان كنتم موقنين ان لكم ربا وانه عدل في احكامه * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء) اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآية وان كان حكمها عاما لجميع المؤمنين لان خصوص السبب لا يمنع من عموم الحكم فقال قوم نزات هذه الآية في عبادة بن الصامت رضى الله عنه وعبد الله ابن ابي بن سلول رأس المنافقين وذلك انهما اختصا فقال عبادة انلى اولياء من اليهود كثير عددهم شديدة شوكتهم واني ابرالى الله والى رسوله من ولايتهم ولا مولى لى الا الله ورسوله فقال عبد الله بن ابي لكنى لا ابرامن ولاية اليهود فاني احاف الدوائر ولا بدلى منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابا الجباب ما نفست به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه فقال اذن اقبل فأنزل الله هذه الآية وقال السدى لما كانت وقعة احد اشتد الامر على طائفة من الناس وتخوفوا ان يدال عليهم الكفار فقال رجل من المسلمين انا الحق بفلان اليهودي واخذ منه امانا انى اخاف ان يدال علينا اليهود وقال رجل آخر انا الحق بفلان النصراني من اهل الشام واخذ منه امانا فأنزل الله هذه الآية بينهم عن موالاة اليهود والنصارى وقال عكرمة نزات في ابي لبابة بن عبد المنذر لما بعثه الى صلى الله عليه وسلم الى سى قريظة حين حاصرهم فاستشاروه في النزول وقالوا ماذا يصنع يا ابا فلان جعل اصبعه في حلقه اشارت الى انه الدخ وانه يقتلكم فأنزل الله يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء فهمى الله المؤمنين جميعا ان يتعدوا اليهود والنصارى انصارا واعوانا على اهل الايمان بالله ورسوله واخبر انه من اتخدم انصارا واعوانا وحلفاء من دون الله ورسوله والمؤمنين فانه منهم وان الله ورسوله والمؤمنين معه برا (بعصهم اولياء بعض) يعنى ان بعض اليهود وانصار لبعض على المؤمنين وان النصراني كذلك يد واحدة على من حاله في دينهم وملتهم (ومن يتولهم مكهم فانه منهم) يعنى ومن يتول اليهود والنصارى دون المؤمنين فيصرهم على المؤمنين فهو من اهل دينهم وملتهم لانه لا يتولى مولى احد الا وهو راض به وبدينه واداريه ورضى دينه صار منهم وهداهم من الله تعالى وتشديد عظيم في مجانبة اليهود والنصارى وكل من خاف دين الاسلام (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) يعنى ان الله لا يوفق من وضع الولاية في غير موضعه فتولى اليهود والنصارى مع علمه بعداوتهم لله ولرسوله وللمؤمنين روى ان ابا موسى الاشعري قال قلت لعمر بن الخطاب انلى كاتبنا نصرانيا فقال مالك وله فانك الله لا تتخذ حنيقا يعنى مسلما ما سمعت قول الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض قلت له دينه ولى كتابته فقال لا اكرهم اذا هانهم الله ولا اعزهم اذا ادلهم الله ولا اذنبهم اذا بعدهم الله قلت انه لا يتم امر البصرة الا به فقال مات النصراني والسلام يعنى هانته مات فانصنع بعده فعمله بعد موته فاعمله الآن واستغن عنه بغيره من المسلمين * قوله تعالى (فترى الذين في قلوبهم مرض) يعنى ترى يا محمد الذين في قلوبهم شك وتفاق (يسارعون فيهم) يعنى يسارعون في مودة اليهود وموالاةهم ومناصحتهم لانهم كانوا اهل ثروة ويسارعون في شئونهم ويخالطونهم لاجل ذلك نزات في عبد الله بن ابي المنافق وفي اصحابه من المنافقين (يقولون) يعنى المنافقين (نخشى ان تصيدنا دائرة) الدائرة من دوائر الدلالة التي تدول والمعنى يقول المنافقون انما نخالط اليهود لاننا نخشى ان يدور

(فن اعتدى بعد ذلك)
بارتكب الخطيئة بعد
الابتلاء (فله عذاب اليم) ولم
للاحتجاب بفعله عن الشوق
(يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا
المكهم) لا تتركبوا
الخطيئة الفسادية
في حالة الاحرام الحقيقي
ومن ارتكبه قصدا منه
ونية بميل قوى من النفس
وانجذاب اليه لا لامر اتفاق
او رعاية حطر صيف
او صاحب (بغراء
مثل قتل من الم) اى
لحكمه جراء فخره تلك
القوة التي ارتكب بها
الحظ المسافى من قوى

عليها الدهر بمكروه ويعنون بذلك المكروه الهزيمة في الحرب وانقسطوا الجذب والحوادث المصوفة
قال ابن عباس معناه نخشى ان لا يتم امر محمد فيدور علينا الامر كما كان قبل محمد (فسمى الله ان يأتي
بالفتح او امر من عنده) قال المفسرون عسى من الله واجب لان الكريم اذا طمع في خير فعله وهو
بمنزلة الوعد تعلق النفس به ورجائه والمعنى فسمى الله ان يأتي بالفتح لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم
على اعدائه واظهار دينه على الاديان كلها واظهار المسلمين على اعدائهم من الكفار واليهود والنصارى
وقد فعل الله ذلك بمنه وكرمه فظهر دينه ونصر عبده وقيل اراد بالفتح فتح مكة وقيل فتح قري اليهود
مثل خير وفدك ونحوهما من بلادهم او امر من عنده يعني انه تعالى يقطع اصل اليهود من ارض الحجاز
ويخرجهم من بلادهم بلا كلفة وتعب ولا يكون للناس فيه فعل البتة كما اتى في قلوبهم الرعب فأخلوا
ديارهم وخربوها بأيديهم ورحلوا الى الشام * وقوله تعالى (فيصحبوا على ما اسروا في انفسهم نادمين)
يعني فيصبح المنافقون الذين كانوا يوالون اليهود نادمين على ما حدثوا به انفسهم ان امر محمد لا يتم وقيل
ندموا على دس الاخبار الى اليهود (ويقول الذين آمنوا) يعني ويقول الذين آمنوا في وقت اظهار الله
تعالى نفاق المنافقين (اهؤلاء الا الذين اقسوا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم) وذلك ان المؤمنين كانوا
يتعجبون من حال المنافقين عندما تظهر والميل الى موالاته اليهود والنصارى ويقولون ان المنافقين
حلفوا بالله جهدا ايمانهم انهم لمعنا ومن انصارنا والآن كيف صاروا مواليين لاعدائنا من اليهود مجبيين
للاختلاط بهم فبان كذب المنافقين في ايمانهم الباطلة (جبطت اعمالهم) اي بطل كل خير علموه لاجل
ما اظهروا ومن النفاق و موالاته اليهود (فاصبحوا خاسرين) يعني انهم خسروا في الدنيا باقتضاحهم
وخسروا في الآخرة باحباط ثواب اعمالهم وحصلوا بالعذاب الدائم المقيم * قوله عز وجل (يا ايها الذين
آمنوا من ردتكم عن دينه) يعني من يرجع منكم عن دينه الحق الذي هو عليه وهو دين الاسلام فيبدله
ويغيره بدخوله في الكفر بعد الايمان فيختار اما اليهودية او النصرانية او غير ذلك من اصناف الكفر فلن
يضر الله شيئا وانما ضر نفسه برجوعه عن الدين الصحيح الذي هو دين الاسلام قال الحسن علم الله
تعالى ان قوم اسير جمون عن الاسلام بعد موت نبيهم صلى الله عليه وسلم فاجبرانه سيأتي بقوم يحجبهم
ويحبونه وذكر صاحب الكشاف ان احدى عشرة فرقة من العرب ارتدت ثلاث في زمن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهم بنو مدلج ورئيسهم ذو الحار وهو الاسود العنسي وكان كاهنا فقبأ باليمن
واستولى على بلاده واخرج منها عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فاهلكه الله تعالى على يد فيرو زالدبلى بيته وقتله
فاخبر صلى الله عليه وسلم المسلمين بقتله ليلة قتل فسر المسلمون بذلك وقبض رسول الله صلى الله
عليه وسلم من القدوات خبر قتله في آخر ربيع الاول * وبنو حنيفة وهم قوم مسيلة الكذاب تنبأ وكتب
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض
نصفها الى ونصفها لك فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله الى مسيلة
الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين * وسأتي قصة قتله فيما
بعده وبنو أسدوهم قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد
فقاتله فانهمز بعد القتال الى الشام ثم اسلم بعد ذلك وحسن اسلامه * وارتد سبع فرق في خلافة
ابي بكر الصديق وهم فزارة قوم عينة بن حصن الفزارى وغطفان قوم قرعة بن سلة القشيري وبنو

النفس البهيمة بامر يوازي
ذلك الحظ (يحكم به ذوا
هدل) من العاقلتين النظرية
والعملية (منكم) اي من
انفسكم او من شيوخكم
او من اصحابكم المقدمين
السابقين بيمينان كيفيته
وكيته (هديا بالغ الكعبة)
الحقيقية اي في حال كون
تلك القوة البهيمة هديا
بانسانها في الله ان كان
صاحبها من الاقوياء مليا
قادرا (او كفارة) اي ستر
بصدقة او صيام يزيل ذلك
الميل ويستتر تلك الهبة عن

سلم قوم النجادة بن عبد اليل وبنو ر بوع قوم مالك بن نورة البربوعى وبعض نعيم قوم مجاح بنت
الندر التنبئة التي زوتت نفسها من مسيلة الكذاب وكندة قوم الاشعث بن قيس الكندى وبنو
بكر بن وائل قوم الحطم بن زيد فكفى الله امرهم على يد ابى بكر الصديق رضى الله عنه وفرقة
واحدة ارتدت في خلافة عمر بن الخطاب وهم غسان قوم جبلة بن الايهم واختلف العلماء في المعنى
بقوله تعالى (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) فقال على بن ابى طالب والحسن وقتادة هم
ابوبكر واصحابه الذين قاتلوا اهل الردة ومانى الزكاة وذلك ان ابى صلى الله عليه وسلم لما قبض
ارتد عامة العرب كما تقدم تفصيله الا اهل المدينة واهل مكة واهل البحرين من بنى عبد القيس فانهم
ثبتوا على الاسلام ونصر الله بهم الدين ولما ارتد من ارتد من العرب ومنعوا الزكاة هم ابوبكر
بقتالهم وكره ذلك اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عمر كيف تقاتل الناس وقد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فن قالها فقد عصم منى
ماله ودمه الابحقة وحسابه على الله فقال ابوبكر والله لا قاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان
الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقا او قال عقالا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقاتلتهم على منعها وقال انس بن مالك كرهت الصحابة قتل مانى الزكاة وقالوا هم اهل القبلة فنقلد
ابوبكر سيفه وخرج وحده فلم يجدوا بدا من الخروج على اثره فقال ابن مسعود كرهنا ذلك في ابتداء
ثم جدناه عليه في الانتهاء وقال ابوبكر بن عياش سمعت ابا حصين يقول ما ولد بعد النبيين افضل
من ابى بكر الصديق لقد قام مقام نبي من الانبياء في قتال اهل الردة وقالت عائشة توفي رسول الله
صلى الله عليه وسلم وارتد العرب واشرب الفاق ونزل بابى بكر ما لوزل بالجلال الرايات
لهاضها وبعث ابوبكر الصديق خالد بن الوليد في جيش كبير الى بنى حنيفة بايمامة وهم قوم مسيلة
الكذاب فاهلك الله مسيلة على يد وحشى غلام معلم بن عدى الذى قتل حزة فكان وحشى يقول
قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الاسلام اراد بذلك وحشى انه في حال الجاهلية قتل
حزة وهو خير الناس وفي حال اسلامه قتل مسيلة الكذاب وهو شر الناس وقال قوم المراد
بقوله تعالى فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه الاشعريون قوم ابى موسى الاشعري روى عن
عياض بن غنم الاشعري قال لما زلت هذه الآية فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هم قوم هذابنى ابا موسى الاشعري اخرجهم الحاكم في المستدرک وقيل هم
اهل اليمن (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما كم اهل اليمن هم ارق افئدة
والين قلوبا بالايمان يمان والحكمة يمانية وقال السدى زلت في الانصار لانهم هم الذين نصروا
رسول الله صلى الله عليه وسلم واماوه على اظهار الدين وقبلهم احياء من اهل اليمن القسان
من النخع وخسة آلاف من اهل كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من اخلاط الناس جاهدوا
في سيل الله يوم القادسية في خلافة عمر وعلى هذا التقدير تكون هذه الآية اخبارا عن الغيب وقد
وقع الخبر على وفقه بحمد الله تعالى فتكون هذه الآية معجزة واما معنى المحبة فيقال احببت فلانا
بمعنى جعلت قلمي معرضا بان يحبه والمحبة ارادة مآراء او نظنه خيرا ومحبة الله تعالى العبد انعامه
عليه وتوفيقه وهدايته الى طاعته والعمل بما رضى به عنه وان ينيه احسن الثواب على طاعته وان
ينهى عليه ويرضى عنه ومحبة العبد لله عز وجل ان يسارع الى طاعته وابتغاء مرضاته وان لا يفعل

نفسه او ابتغاء حق تلك
القوة والاقتصار عليه دون
الخط فانها مسكنة او امساك
عن افعال تلك القوة بقدر
ذلك الخط كما يزول عنها الميل
(ليدوق وبال امره صلى الله
عما سلف ومن عاده فينتقم الله
منه) بالحب والحرمان (والله
عزيز) لا يمكن الوصول
الى جنات عزه مع كدورات
صفات النفس (ذو انتقام)
يحبب بهيمة مظلة وظهور
صفة ووجود بقية كقال
تعالى لنيه محمد عليه الصلاة
والسلام انذر الصديقين

ما يوجب مخطئه وعقوبته وان يغيب اليه بما يوجب له الزلزال ليد جلعنا الله ممن يحبه ويحبونه
بمذمومه * وقوله تعالى (ادلة على المؤمنين اعزة على الكافرين) هذه من صفات الذين
اصطفاهم الله تعالى ووصفهم بقوله يحبه ويحبونه يعني انهم ارقاء رجاء لاهل دينهم واخوانهم
من المؤمنين ولم يردذل الهوان بل اراد ان يجل جانبهم لاخوانهم المؤمنين وهم مع رقتهم ورحمتهم
ولين جانبهم اشداء اقوياء غلظة على اعدائهم الكافرين قال علي بن ابي طالب اذلة على المؤمنين يعني
اهل رقة على اهل دينهم اعزة على الكافرين اهل غلظة على من خالفهم في دينهم وقال ابن عباس
تراهم كالولد لوالده وكالعبد لسيدهم في الغلظة على الكافرين كالسبع على فريسته وقال ابن
الانباري اتى الله على المؤمنين بانهم يتواضعون للمؤمنين اذ القوم ويصفون الكافرين اذ القوم
وقيل ان الذل هنا معنى الشفقة والرحمة كانه قال راجين للمؤمنين مشفقين عليهم على وجه
الذل والتواضع وانما اتى بلفظة على حتى يدل على علو منصبهم وفضلهم وشرفهم لاجل
كونهم ذليلين في انفسهم بل ذلك التذل لاجل انهم ضموا الى علو منصبهم فضيلة التواضع ويدل
على صحة هذا سياق الآية وهو قوله اعزة على الكافرين يعني انهم اشداء اقوياء في انفسهم وعلى
اعدائهم (يجاهدون في سبيل الله) يعني انهم ينصرون دين الله (ولا يخافون لومة لائم)
يعني لا يخافون عدل عاذل في نصرهم الدين وذلك ان المنافقين كانوا يراقبون الكفار
ويخافون لوهم فبين الله تعالى في هذه الآية ان من كان قويا في الدين فانه لا يخاف في نصره
لدين الله يده او لسانه لومة لائم وهذه صفة المؤمنين المحاصنين ايمانهم لله تعالى (ق) عن عبادة
بن الصامت قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في السر والسر والمشي
والكره وعلى ان لا نارح الامر اهله وعلى ان نقول بالحق انما كنا لا نخاف في الله لومة لائم ثم
قال تعالى (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره من وصفهم بمحبة الله
ولين جانبهم للمؤمنين وشدتهم على الكافرين وانهم يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم
كل ذلك من فضل الله تعالى تفضل به عليهم ومن احسانه اليهم (والله واسع عليم) يعني انه تعالى
واسع الفصل عليم عن يستحقه * قوله تعالى (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) قال ابن
عباس نزلت هذه الآية في عبادة بن الصامت حين تبرأ من موالاة اليهود وقال اوالى الله ورسوله
والمؤمنين يعني اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله نزلت في عبد الله بن سلام وذلك
انه جاء الى محمد صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان قومنا قريظة والضير قد هجرونا وفارقونا
واقبحوا ان لا يجالسونا فنزلت هذه الآية فقرأها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله
بن سلام وضيئنا بالله ربنا ورسوله نديا بالمؤمنين او ليا موقيل الآية عامة في حق جميع المؤمنين
لان المؤمنين بعضهم اولياء بعض فعلى هذا يكون قوله تعالى (الذين يقيمون الصلوة ويؤتون
الزكاة وهم راكعون) صفة لكل مؤمن ويكون المراد بذكر هذه الصفات تمييز المؤمنين
عن المنافقين لان المنافقين كانوا يدهون انهم مؤمنون الا انهم لم يكونوا يدا ومون على
فضل الصلاة والزكاة فوصف الله تعالى المؤمنين بانهم يقيمون الصلاة يعني باتمام ركوعها
ومجودها في مواقيتها ويؤتون الزكاة يعني يؤدون زكاة اموالهم اذا وجبت عليهم اما قوله
تعالى وهم راكعون فعلى هذا التفسير فيه وجوه احدها ان المراد من الركوع هنا الخضوع والمعنى

باني غيور (احل لكم صيد
البحر) بحر العالم الروحاني
من المعارف والمغولات
والحفظ العلية في احرام
الحضرة الالهية (وطعامه
ناما) من العلم النافع الذي هو
حق واجب تعلمه في المعاملات
والاخلاق تمتعا (لكم)
يها السالكون لطريق الحق
(والسيارة) المسافرين
سفر الآخرة المحرزين
لرباح العيم الباقي (وحرّم
عليكم صيد البر) بالعلم
الجماعي من المحسوسات
والحفظ النفسانية *

ان المؤمنين يصلون ويذكرون وهم مقادون خاضعون لاوامر الله ونواحيه الوجه الثاني ان يكون المراد منه ان من شأنهم اقامة الصلاة وتوايت الزكاة وانما خص الركوع بالذكر تشریفه الوجه الثالث قيل ان هذه الآية نزلت وهم ركوع ونزلت في شخصين وهو علي بن ابي طالب قال السدي مر بعلي سائل وهو راكع في المسجد فأعطاه خاتمه ففعل هذا قال العلماء العمل القليل في الصلاة لا يفسدها والقول بالعموم اولى وان كان قد وافق وقت نزولها صدقة علي بن ابي طالب وهو راكع ويدل على ذلك ما روى عن عبد الملك بن سليمان قال سألت ابا جعفر محمد بن علي الباقر عن هذه الآية انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا من هم فقال المؤمنون فقلت ان ناسا يقولون هو علي فقال علي من الذين آمنوا * وقوله تعالى (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا) يعني ومن يتول القيام بطاعة الله ونصر رسوله والمؤمنين قال ابن عباس يريد المهاجرين والانصار ومن يأتي بعدهم (فان حزب الله) يعني انصار دين الله (هم الغالبون) لان الله ناصرهم على عدوهم والحزب في اللغة اصحاب الرجل الذين يكونون معه على رأيه وهم القوم الذين يجتمعون لامر حزه يعني اهمه * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا) قال ابن عباس كان رفاعه بن زيد بن ثابت وسويد بن الحرث قد اظهرا الاسلام ثم ناقوا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فانزل الله تعالى هذه الآية ومعنى اتخذوا دينكم هزوا ولعبا هو اظهارهم الاسلام بالسنتهم قولوا هم مع ذلك يطنون الكفر ويسرونه (من الدين اوتوا الكتاب من قبلكم) يعني اليهود (والكفار) يعني عبدة الاصنام وانما فصل بين اهل الكتاب والكفار وان كان اهل الكتاب من الكفار لان كفر المشركين من عبدة الاصنام اغلظ واغش من كفر اهل الكتاب (اولياء) يعني لا تتخذوهم اولياء والمعنى ان اهل الكتاب والكفار اتخذوا دينكم بامتنع المؤمنين هزوا وسخرية فلا تتخذوهم ائمة اولياء وانصارا (واقول الله ان كنتم مؤمنين) يعني مؤمنين حقان المؤمن يأبى موآلة اعداء الله عز وجل * وقوله تعالى (واذا ناديت الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا) قال الكلبي كان منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نادى الى الصلوة وقام المسلمون اليها قالت اليهود قد قاموا لا قاموا وصلوا لاصلوا ويضحكون على طريق الاستهزاء فانزل الله هذه الآية وقال السدي نزلت هذه الآية في رجل من الصاري كان بالمدينة فكان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله يقول حرق الكاذب فدخل حاديه ذات ليلة بنار وهو واهله نيام فطارت منها شرارة فاحترق البيت واحترق هو واهله وقيل ان الكفار والمنافقين كانوا اذا سمعوا الاذان حسدوا المسلمين على ذلك فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد لقد ابدعت شيئا لم يسمع بمثله فيامضي من الامة فبلك فان كنت تدعى النبوة فقد خالفت الانبياء فبلك ولو كان فيه خير لكان اولي الناس به الانبياء فمن اين لك صياح كصياح العير فافزع هذا الصوت وما سمع هذا الامر فانزل الله عز وجل ومن احسن قولنا من دعا الى الله الآفة وانزل واذا ناديت الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا (ذلك بانهم قوم لا يعقلون) يعني ان هزواهم ولعبهم من افعال السفهاء والجهال الذين لا عقل لهم * وقوله تعالى (قل يا اهل الكتاب) الخطاب لابي صلى الله عليه وسلم يعني قل يا محمد لهؤلاء اليهود والصاري الذين اتخذوا دينك هزوا ولعبا (هل تقومون منا) يعني هل تكفرون منا وتعيبون علينا (الا ان آمنابا الله وما نزل النيا وما نزل من قبل) وهذا على سبيل التعجب من فعل اهل الكتاب والمعنى هل تعبدون علينا في الدين الا الايمان بالله وبما انزل النيا وبما

واجعلوا الله وقاية لكم في سيركم لتسروا به واجعلوا نفوسكم وقاية لله في صدور الشرور المانة منها وتيقنوا اياكم (اليه تحشرون) بالقضاء في الذات فاجتهدوا في السلوك ولا تقفوا مع الموانع وراء الحجاب (جعل الله) الكعبة حاضرة الجمع (البيت الحرام) المحرم من دخول الغير فيه كاقبل جل جناب الحق من ان يكون شريعة اكل وارد (قياما للناس) من موتهم الحقيقي وانعاشهم به وبحياته

انزل على جميع الانبياء من قبل وهذا ليس بما ينكر او ينقم منه وهذا كما قال بعضهم ولا عيب فيهم غير ان سبوفهم * بين فلول من قراع الكتائب

يعني انه ليس فيهم عيب الا ذلك وهذا ليس بعيب بل هو مدح عظيم لهم قال ابن عباس اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من اليهود فيهم ابو ياسر بن اخطب ورافع بن ابى رافع وما زورا وزياد خالد وازار بن ابى ازار واشيع فسالوه عن يؤمن به من الرسل فقال او من بالله وما انزل اليه وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط الى قوله ونحن له مسلمون الآية فلذا ذكر عيسى سجدوا نبوته وقالوا والله لانؤمن بعن آمن به فانزل الله هذه الآية وقبل انهم قالوا والله ما نعلم اهل دين اقل حظا في الدنيا والآخرة منكم ولادينا شرا من دينكم فانزل الله هذه الآية قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان آمننا بالله وما انزل اليه وما انزل من قبل وهذا هو ديننا الحق وطريقنا المستقيم فلم تنقمونه علينا (وان اكثركم فاسقون) يعني انما كرهتم ايماننا وتقمقوه علينا مع علمكم بانا على الحق بسبب فسقكم واقامتكم على الدين الباطل لحب الرياسة واخذ الاموال بالباطل وانما قال اكثركم لان الله علم ان من اهل الكتاب من يؤمن بالله وبرسوله * قوله عز وجل (قل هل انبئكم بشر من ذلك) هذا جواب لليهود لما قالوا ما نعرف دينا شرا من دينكم والمعنى قل يا محمد لهؤلاء اليهود الذين قالوا هذه المقالة هل اخبركم بشر من ذلك الذي ذكرتم ونعمتم علينا من ايماننا بالله وبما انزل علينا (منوبة عند الله) يعني جزاء فان قلت المنوبة مختصة بالاحسان لانها في معنى الثواب فكيف جاءت في الاساءة قلت وضعت المنوبة موضع العقوبة على طريقة قوله * تحية بينهم ضرب وجيع * ومنه قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم والمعنى قل هل انبئكم بشر من اهل ذلك الدين مثوبة فان قلت هذا يقتضى ان الموصوفين بذلك الدين يحكمون عليهم بالشر لانه تعالى قال بشر من ذلك ومعلوم ان الامر ليس كذلك فاجوابه ان الكلام خرج على حسب قولهم واعتقادهم فان اليهود حكموا بان اعتقاد ذلك الدين شر فقال لهم هب ان الامر كذلك لكن من لعنه الله وغضب عليه ومسح صورته شر من ذلك * وقوله تعالى (من لعنه الله) معناه هل انبئكم بمن لعنه الله او هو من لعنه الله ومعنى لعنه الله ابعده وطرده عن رحته (وغضب عليه) يعني وانتقم منه لان الغضب ارادة الانتقام من العصاة (وجعل منهم القردة والخنازير) يعني من اليهود من لعنه الله وغضب عليه ومنهم من جعلهم قردة وخنازير قال ابن عباس ان المسوخين كلاهما اصحاب السبب فشباههم مسخوا قردة ومشايجهم مسخوا خنازير وقبل ان مسح القردة كان في اصحاب السبب من اليهود ومسح الخنازير كان في الذين كفروا بعد نزول المائدة في زمن عيسى عليه السلام ولما نزلت هذه الآية هير المسلمون اليهود وقالوا لهم يا اخوان القردة والخنازير واقضضوا بذلك (وعبد الطاغوت) يعني وجعل منهم عبد الطاغوت يعني من اطاع الشيطان فيما سواه له والطاغوت هو الشيطان وقيل هو الجبل وقيل هو الكهان والاجار وجلته ان كل من اطاع احدا في معصية الله فقد عبده وهو الطاغوت (اولئك) يعني الملعونين والمفضوب عليهم والمسخوخين (شر مكانا) يعني من غيرهم ونسب الشر الى المكان والمراد به اهل فهو من باب الكناية وقيل اراد ان مكانهم سقر ولا مكان اشد شرا منه (واضل من سوا السيل) يعني واخطأ عن قصد طريق الحق * قوله تعالى (واذا جاؤكم قالوا

وقدرته وسائر صفاته
(والشهر الحرام) اى زمان
الوصول وهو زمان الحج
الحقيقى الذى يحرم ظهور
صفات النفس فيه (والهدى)
اى النفس المذبوحة بغناء
نلك الكعبة (والقلائد)
وخصوصا النفس القوية
الشريفة الطيبة المنقادة
فان التقرب بها افضل
وشأنها عند البقاء والقيام
بالوجود الثانى والحياة
الحقيقية ارفع (ذلك) اى
جعل تلك الحضرة قياما لكم
(تعلوا) بعلمه عند القيام به

آمنّا) قال قتادة نزلت في اناس من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه انهم مؤمنون راضون بالذي جاء به وهم متمسكون بضلاتهم وكفرهم فكان هؤلاء يظهرون الايمان وهم في ذلك منافقون فاخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بحالهم وشأنهم (وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) يعني انهم دخلوا كافرين وخرجوا كما دخلوا كافرين لم يتعلق بقلوبهم شيء من الايمان فهم كفرون في حالتى الدخول والخروج (والله اعلم بما كانوا يكتمون) يعني من الكفر الذى في قلوبهم * قوله عز وجل (وترى كثيرا منهم) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعنى وترى يا محمد كثيرا من اليهود وكلمة من يحتمل ان تكون للتبعض ولعل ان هذه الافعال المذكورة في هذه الآية ما كان يفعلها كل اليهود فلذا قال تعالى وترى كثيرا منهم (يسارعون) المسارعة في الشيء المبادرة اليه بسرعة لكن لفظة المسارعة انما تستعمل في الخير ومنه قوله تعالى يسارعون في الخيرات وضدها الجهلة وتقال في الشر في الاغلب وانما ذكرت لفظة المسارعة في قوله يسارعون (في الاثم والعدوان واكلمهم السحت) لفائدة وهى انهم كانوا يقدمون على هذه المنكرات كأنهم محققون فيها والاثم اسم جامع لجميع المعاصي والمنهيات فيدخل تحته العدوان واكل السحت فلهذا ذكر الله العدوان واكل السحت بعد الاثم والمعاصي وقيل الاثم ما كتموه من التوراة والعدوان ما زادوا فيها والسحت هو الرشا وما كانوا يأكلونه من غير وجهه (لبئس ما كانوا يعملون) يعنى لبئس العمل الذى كان هؤلاء اليهود يعملون وهو مسارعهم الى الاثم والعدوان واكلمهم السحت * قوله تعالى (لولا) يعنى هلا وهى هنا بمعنى التخصيص والتوبيخ (ينهاهم الربانيون والاحبار) قال الحسن الربانيون علماء اهل الانجيل والاحبار علماء اهل التوراة وقال غيره كلهم من اليهود لانه متصل بذكرهم (عن قولهم الاثم) يعنى الكذب (واكلمهم السحت) والمعنى هلا نهى الاحبار والرهبان اليهود عن قولهم الاثم واكلمهم السحت (لبئس ما كانوا يصنعون) يعنى الاحبار والرهبان اذ لم ينهوا غيرهم من المعاصي وهذا يدل على ان تارك النهى عن المنكر بمنزلة مرتكبه لان الله تعالى ذم الفريقين في هذه الآية قال ابن عباس ما في القرآن اشد توبيخا من هذه الآية وقال الضحاك ما في القرآن آية اخوف عندى منها * قوله عز وجل (وقالت اليهود يدا الله مغلوله) نزلت هذه الآية في قحاص اليهودى قال ابن عباس ان الله كان قد بسط على اليهود حتى كانوا اكثر الناس اموالا واخصبهم ناحية فلما عصوا الله ومحمد صلى الله عليه وسلم وكذبوا به كف عنهم ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال قحاص يدا الله مغلوله يعنى محبوسة مقبوضة عن الرزق والبذل والعطاء فنسبوا الله تعالى الى البخل والقبض تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ولما قال هذه المقالة الخبيثة قحاص ولم ينهه بقية اليهود ورضوا بقوله لاجرم ان الله تعالى اشركهم معه في هذه المقالة فقال تعالى اخبارا عنهم وقالت اليهود يدا الله مغلوله يعنى نعمته مقبوضة عنا وقيل معناه يدا الله مكفوفة عن عذابنا فليس يعذبنا الا بقدر ما يريه قسمه وذلك قدر ما عبد آباؤنا البخل والقول الاول اصح لقوله تعالى ينقى كيف يشاء واعلم ان غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود بدليل قوله تعالى لبيبه صلى الله عليه وسلم ولا تجعل يدك مغلوله الى عنقك ولا تبسطها كل البسط والسبب ان اليد آلة لكل الاعمال لاسما لدفع المال وانفاقه وامساكه فاطلقوا اسم السبب على المسبب واستدوا الجود والبخل الى

(ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض وان الله بكل شيء عليم) حقائق الاشياء فى عالم الغيب والشهادة وعلمه محيط بكل شيء اذ لا يمكن احاطة علمكم بعلمه (اعلموا ان الله شديد العقاب) بالجلب لمن ظهر بصفة او بقية حال الوصول او ضرب بحظ او اشتغل بشىء حال السلوك

اليد مجازا فليل الجواد الكريم فياض اليد وبسوطا يد وقيل للخييل مقبوض اليد * وقوله تعالى (غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا) يعني امسكت ايديهم عن كل خير وطردوا عن رحمة الله قال الزجاج رد الله عليهم فقال انا الجواد الكريم وهم الخلاء وايديهم هي المخلوة المسوكة وقيل هذا دما على اليهود علما بالله كيف ندعو عليهم فقال غلت ايديهم اي في نار جهنم فعل هذا هو من القل حقيقة اي شددت ايديهم الى اعتناقهم وطرحوا في النار جزاء لهم على هذا القول ومعنى لعنوا بما قالوا عذبوا بسبب ما قالوا فن لعنتهم انهم مسخوا في الدنيا قردة وخنازير وضربت عليهم الذلة والمسكينة والجزية وفي الآخرة لهم عذاب النار * وقوله تعالى (بل يدهاهم بسوطتان) يعني انه تعالى جواد كريم ينفق كيف يشاء وهذا جواب لليهود ورد عليهم ما فتروه واختلقوه على الله تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وانما اجيبوا بهذا الجواب على قدر كلامهم واما الكلام في اليد فقد اختلف العلماء في معناها على قولين احدهما وهو مذهب جمهور السلف وعلاء اهل السنة وبعض المتكلمين ان يد الله صفة من صفات ذاته كالسمع والبصر والوجه فيجب علينا الايمان بها والتسليم ونمرها كجاءت في الكتاب والسنة بلا كيف ولا تشبيه ولا تعطيل قال الله تعالى لما خلقت بيدي وقال احيى صلى الله عليه وسلم عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين والقول الثاني قول جمهور المتكلمين واهل التأويل فانهم قالوا اليد تذكر في اللغة على وجوه احدها الجارحة وهي معلومة ونايتها العمة يقال لفلان عندي يد اشكره عليها ونايتها القدرة قال الله تعالى اولى الايدي والابصار فمروه بذوى القوى والعقول ويقال لذلك بهذا الامر والمعنى سلب كال القدرة ورابعها الملك يقال هذه الضيقة في يد فلان اي في ملكه ومنه قوله تعالى الذي بيده عقدة السكاح اي يملك ذلك اما الجارحة فتفي في صفة الله عز وجل لان العقل دل على انه يتمتع ان تكون يد الله عبارة عن جسم مخصوص وعضو مركب من الاجزاء والابعض تعالى الله عن الجسمية والكيفية والتشبيه علوا كبيرا فامتنع بذلك ان تكون يد الله بمعنى الجارحة واما سائر المعاني التي فمرت اليد بها فحاصلة لان اكثر العلماء من للتكلمين زعموا ان اليد في حق الله عبارة عن القدرة وعن الملك وعن العمة وهنا اشكالان احدهما ان اليد اذا فمرت بمعنى القدرة فقدرته الله واحدة ونص القرآن ناطق باثبات اليمين في قوله تعالى بل يدهاهم بسوطتان * واجيب عن هذا الاشكال بان اليهود لما جعلوا قولهم يد الله مخلولة كناية عن البخل اجيبوا على وفق كلامهم فقال بل يدهاهم بسوطتان اي ليس الامر على ما وصفتوه من البخل بل هو جواد كريم على سبيل النكر فان من اعطى يديه فقد اعطى على اكل الوجوه * والاشكال الثاني ان اليد اذا فمرت بالعمة فص القرآن ناطق ببنية اليد ونعم الله غير محصورة ولا معدودة ومنه قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها * واجيب عن هذا الاشكال بان التثنية بحسب الجنس ثم يدخل تحت كل واحد من الجنسين انواع كثيرة لانهاية لها مثل نعمة الدنيا ونعمة الدين ونعمة الظاهر ونعمة الباطن ونعمة الفع ونعمة الدفع فالمراد بالتثنية المبالغة في وصف النعمة * اجاب اصحاب القول الاول عن هذا بان قالوا ان الله تعالى اخبر عن آدم انه خلقه بيديه ولو كان معنى خلقه لآدم بقدرته او بنعمته او بملكه لم يكن لخصوصية آدم بذلك وجه مفهوم لان جميع خلقه مخلوقون بقدرته وجميعهم في ملكه ومتقلبون في نعمه فلما خص الله آدم عليه السلام بقوله تعالى لما خلقت

وانتهك حرمة من حرماه
(وان الله غفور) للتوبيات
والفترات (رحيم)
بيثة الكمال
والسعادات التي لا يعلم
قدرها الا هو (ما على
الرسول الا البلاغ) التبليغ
لا الاصال (والله يعلم)
سرهم وعلايتكم (ما يبدون)
من الاعمال والاخلاق
(وما تكتفون) من النيات
والعلوم والاحوال هل

يدى دون خلقه علم بذلك اختصاصه وتثريه على غيره ونقل الامام فخر الدين الرازى عن
ابى الحسن الاشعري قولا ان اليد صفة قائمة بذات الله وهى صفة سوى القدرة من شأنها التكوين
على سبيل الاصطفاء قال والذي يدل عليه انه تعالى جعل وقوع خلق آدم بيديه على سبيل الكرامة
لا آدم واصطفائه له فلو كانت اليد هبارة عن القدرة امتنع كون آدم مصطفى بذلك لان ذلك حاصل
في جميع المخلوقات فلا بد من اثبات صفة اخرى وراء القدرة يقع بها الخلق والتكوين على سبيل الاصطفاء
هذا احكامه واجيب عن قولهم ان التثنية بحسب الجنس ثم يدخل تحت كل واحد من الجنسين
انواع كثيرة بان الاسم اذ اننى لا يؤدى في كلام العرب الا عن اثنين باعيانها دون الجمع ولا يؤدى عن
الجنس ايضا قالوا خطأ في كلام العرب ان يقال ما اكثر الدرهمين في ايدى الناس بمعنى ما اكثر الدراهم
في ايديهم لان الدرهم اذ اننى لا يؤدى في كلام العرب الا عن اثنين باعيانها ولكن الواحد يؤدى
عن جنسه كما تقول العرب ما اكثر الدراهم في ايدى الناس بمعنى ما اكثر الدراهم في ايديهم لان
الواحد يؤدى عن الجمع ثبت بهذا البيان قول من قال ان اليد صفة لله تعالى تليق بجلاله وانها
ليست بحارحة كما تقول الجسمة تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا (ينفق كيف يشاء) يعنى انه تعالى
يرزق كما يريد ويختار فيوسع على من يشاء ويقتصر على من يشاء لا اعتراض عليه في ملكه ولا فيما يعمله
(ق) من ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى انفق انفق عليك وقال
يد الله لاى لاتنفيها نفقة صحاء الليل والنهار ارايت ما انفق منذ خلق السموات والارض فانه لم
ينقص ما بيده وكان عرشه على الماء ويده الميزان يرفع ويخفض هذا الحديث ايضا احاديث الصفات
فيجب الايمان به وامراره كما جاء من غير تشبيه ولا تكليف * وقوله تعالى (وايزيدن كثير منهم ما نزل
اليك من ربك طغيانا وكفرا) يعنى كما نزلت عليك آية من القرآن كفروا بها فازدادوا شدة في كفرهم
وطغيانهم طغيانهم والمراد بالكثير علماء اليهود وقيل اقامتهم على كفرهم زيادة منهم فيه
(والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) يعنى القينا العداوة والبغضاء بين اليهود والنصارى
وقيل انى ذلك بين طوائف اليهود لخطيئتهم مختلفين في دينهم متعادين متباغضين الى يوم القيامة
فان بعض اليهود جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم مشبهة وكذلك النصارى فرق كالمملكية
والتسبورية واليعقوبية والمارونية فان قلت فهذا المعنى ايضا حاصل بين فرق المسلمين فكيف
يكون ذلك عيبا على اليهود والنصارى حتى يذمه وابه قلت هذه البدع التى حصلت في المسلمين انما
حدثت بعد عصر النبي صلى الله عليه وسلم وعصر الصحابة والتابعين اما في الصدر الاول فلم يكن
شئ من ذلك حاصل بينهم فحسن جعل ذلك عيبا على اليهود والنصارى في ذلك العصر الذى نزل
فيه القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم (كلا او قدواتا للحرب اطفأها الله) يعنى كلا فاسد اليهود
وخالفوا حكم الله بعث الله عليهم من يهلكهم افسدوا فبعث الله عليهم مختصرا بالبلى ثم افسدوا
فبعث الله عليهم طيطوس الرومى ثم افسدوا فسلط الله عليهم المجوس وهم الفرس ثم افسدوا وقالوا
يد الله مغلولة فبعث الله المسلمين فلا تزال اليهود في ذلة ابدا وقال مجاهد معنى الآية كما مكروا مكروا
في حرب محمد صلى الله عليه وسلم اطفأها الله تعالى وقال السدى كما اجعوا امرهم على شئ ليقسدوا به
امر محمد صلى الله عليه وسلم فرقه الله تعالى وكلا او قدواتا في حرب محمد صلى الله عليه وسلم اطفأها الله
واخذنا رهم وقذف في قلوبهم الرعب وقهرهم ونصر نبيه ودينه (ويسعون في الارض فسادا)

تصلح للتقرب بها اليه وهل
تستعدون بها لقائه ام لا
(قل لا يستوى الخبيث)
من النفوس والاعمال
والاخلاق والاموال
(والطيب) منها عند الله
تعالى فان الطيب مقبول
موجب للقرب والوصول
والخبيث منها مردود
موجب للبعد والطرده

يعني ويحتدون في دفع الاسلام ومحو ذكر محمد صلى الله عليه وسلم من كتبهم وقيل انهم يسعون بالكر والكيد والحيل وليس بقدرهم على غير ذلك (والله لا يحب المفسدين) يعني ان الله لا يحب من كانت هذه صفته قال قتادة لاتفى اليهود بلدة الا وجدتهم من اذل الناس فيها وهم ابغض خلق الله اليه * قوله تعالى (ولوان اهل الكتاب آمنوا) يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وصدقوه فيما جاء به (واتقوا) يعني اليهودية والنصرانية (لكفرنا عنهم سيئاتهم) يعني لمحونا عنهم ذنوبهم التي عملوها قبل الاسلام لان الاسلام يحب ما قبله (ولادخلناهم جنات النعيم) يعني مع المسلمين يوم القيامة (ولوانهم اقاموا التوراة والانجيل) يعني اقاموا احكامهما بمحذوهم وعملوا بما فيها من الوفاء بالعهد والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم لان نعمته وصفته موجودان فيهما فان قلت كيف يأمر اهل الكتاب باقامة التوراة والانجيل مع انهما لم يحاذيا ولا قلت انما امرهم الله تعالى باقامة ما فيها من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واتباع شريعته وهذا غير منسوخ لانه موافق لما في القرآن * وقوله تعالى (وما نزل اليهم من ربهم) فيه قولان احدهما ان المراد به كتب انبيائهم القديمة مثل كتاب شعيا وكتاب ارميا وزبور داود وفي هذه الكتب ايضا ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فيكون المراد باقامة هذه الكتب الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقول الثاني ان المراد بما نزل اليهم من ربهم هو القرآن لانهم مأمورون بالايمان به فكلما نزل اليهم من ربهم (لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم) يعني ان اليهود لا يصروا على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وثبوا على كفرهم ويهوديتهم اصابعهم الله بالقسط والشدة حتى يلقوا الى حيث قالوا يد الله مظلولة فأخبر الله انهم لو تركوا اليهودية والكفر الذي هم عليه لانتقلت تلك الشدة بالخصب والسعة وهو قوله تعالى لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم قال ابن عباس معناه لا تزلزل عليهم المطر واخرجت لهم الثبات والمراد من ذلك توسعة الرزق عليهم (منهم امة مقتصة) اي مادية والاقتصاد الاعتدال في العمل من غير غلو ولا تقصير واصله من القصد لان من عرف مقصودا طلبه من غيرا عوجاج عنه والمراد بالامة المقتصة من آمن من اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام واصحابه والنجاشي واصحابه الذين اسلموا (وكثير منهم) يعني من اهل الكتاب الذين اقاموا على كفرهم مثل كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود (سما يعملون) يعني شئ ما يعملون من اقامتهم على كفرهم قال ابن عباس علوا بالجمع مع التكذيب بالنبي صلى الله عليه وسلم * قوله عز وجل (يا ايها الرسول بلغ ما نزل اليك من ربك) الآية روى عن الحسن ان الله تعالى لما بعث رسوله صلى الله عليه وسلم ضاق ذرعا وعرف ان من الناس من يكذب فانزل هذه الآية وقيل نزلت في عيب اليهود وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاهم الى الاسلام فقالوا اسلمنا قبلك وجعلوا يستهزؤن به ويقولون تريد ان نتخذ حنانا كما اتخذت الصاري عيسى حنانا فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك منهم سكنت فانزل الله هذه الآية وامره بان يقول لهم يا اهل الكتاب لستم على شئ الآية وقيل نزلت هذه الآية في امر الجهاد وذلك ان المنافقين كرهوه فكان النبي صلى الله عليه وسلم يمسك في بعض الاحايين عن الحث على الجهاد لما علم من كراهية بعضهم له فانزل الله هذه الآية وقيل نزلت في قصة الرجم والقصاص ومساءل عنه اليهود ومعنى الآية يا ايها الرسول بلغ جميع ما نزل اليك من ربك بجاهه وابه ولا تراقبن احدا ولا تترك شيئا مما انزل اليك من ربك وان اخفيت شيئا من ذلك

والحرمان (ولو اعجبك كثيرة الخبيث واتقوا الله يا اولي الالباب) الخبيث بكثرته ووفوره لمناسبته للنفس والمال منه لصفاتها فاجعلوا الله وقاية لكم في الاجتناب عن الخبيث واختيار الطيب * يا كل من له لب اي عقل خالص من شوب الوهم ومزج هو النفس (لعلكم تفلحون) بالخلاص من نفوسكم

في وقت من الاوقات فابلغت رسالته وهو قوله تعالى (وان لم تفعل فابلغت رسالته) وقرئ رسالته قال ابن عباس يعني ان كنت آية انزل اليك من ربك لم تبلغ رسالتي يعني انه صلى الله عليه وسلم لو ترك ابلاغ البعض كان يكن لم يبلغ شيئاً مما انزل الله اليه وحاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكتم شيئاً ما اوحى اليه روى مسروق عن عائشة قالت من حدثك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيئاً مما انزل اليه فقد كذب ثم قرأت يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك اخراجاه في الصحيحين زيادة فيه وقوله تعالى (والله يعصمك من الناس) يعني يحفظك يا محمد ويمنعك منهم والمراد بالناس هنا الكفار فان قلت اليس قد شجر رأسه وكسرت ربايته يوم احد وقد اودى بضروب من الاذى فكيف يجمع بين ذلك وبين قوله والله يعصمك من الناس قلت المراد منه انه يعصمه من القتل فلا يقدر عليه احد اراده بالقتل ويدل على صحة ذلك ما روى عن جابر انه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نبحه فلما قتل رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم قتل معه فادر كتمهم القائلة في واد كثير العضاء فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس يستظلون بالشجرة فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فعلق بهاسفه ونعمامه نومة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوننا واذا عنده امر ابي فقال ان هذا اخترط على سفي وانا انام فاستيقظت وهو في يده صلنا فقال من يمنعك مني فقاتل الله فلانا ولم يعاقبه وجلس وفي رواية اخرى قال جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع فاذا اتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة فاخترطه فقال تخافني فقال لا فقال من يمنعك مني قال الله فتمرده اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اخراجاه في الصحيحين وزاد البخاري في رواية له ان اسم ذلك الرجل غورث بن الحرث (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمة المدينة ليلة فقال ليت رجلا صالحا من اصحابي يحرسني الليلة قال فينما نحن كذلك سمعنا خيخشة السلاح فقال من هذا قال سعد بن ابي وقاص فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء بك فقال وقع في نومي خوف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت احرسه فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فنام ومن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس ليلا حتى نزلت والله يعصمك من الناس فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة فقال لهم ايها الناس انصرفوا فقد عصمني الله اخرجته الترمذي وقال حديث غريب وقيل في الجواب عن هذا ان هذه الآية نزلت بعد ما شجر رأسه في يوم احد لان سورة المائدة من آخر القرآن نزولا وقوله (ان الله لا يهدي القوم الكافرين) قال ابن عباس معناه لا يرشد من كذبك واعرض عنك وقال ابن جرير الطبري معناه ان الله لا يوفق للرشد من حاد عن سبيل الحق وجار عن قصد السبيل وجمعه ما جئت به من عند الله ولم ينه الى امر الله وطاعته فيما فرض عليه واوجه قوله تعالى (قل يا اهل الكتاب لستم على شيء) يعني قل يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى لستم على شيء من الدين الحق المرتضى عند الله ولستم على شيء مما تدعون انكم عليه مما جاءكم به موسى عليه السلام يا معشر اليهود ولا بما جاءكم به عيسى يا معشر النصارى فانكم احدثتم وغيرتم قال ابن عباس جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم رافع بن حارثة وسلام بن مشكم ومالك بن الصيف ورافع بن حرملة وقالوا يا محمد الست تزعم انك على ملة ابراهيم ودينه وتؤمن بما عندنا من التوراة وتشهد انها

وصفاتها وخبائنها والوصو
الى الله بالفناء فيه (يا أيها الذين
آمنوا لا تسألوا عن اشياء
ان تبدلكم تسؤكم وان
تسألوا عنها حين ينزل
القرآن تبدلكم في الله عنها
والله غفور رحيم قدسألها
قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها
كافرين ما جعل الله بحيرة
ولاسأبة ولا وصيلة ولا حام
ولكن الذين كفروا
يفترون على الله الكذب
واكثرهم لا يعقلون
واذا قيل لهم تعالى الى

حق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى ولكنكم احدثتم وجعدهم ما فيها مما اخذ عليكم من
 الميثاق وكنتم منها ما امرتم ان تبنيوه للناس فانابرى من احدثكم قالوا فانا نأخذ بما في ايدينا فانا
 على الحق والهدى ولا نؤذن لك ولا نتبعك فانزل الله قل يا اهل الكتاب لستم على شيء (حتى تقيموا
 التوراة والانجيل وما نزل اليكم من ربكم) الآية وقد تقدم معنى اقامة التوراة والانجيل وانه
 يلزمهم العمل بما فيها وهو الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد تقدم تفسير ما انزل اليكم من ربكم
 (ويزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا) وقوله تعالى (فلأتأس على القوم
 الكافرين) يعني فلأتحزن يا محمد على هؤلاء الذين جحدوا نبوتك ولم يؤمنوا بك فانما يعود ضرر ذلك
 الكفر عليهم * قوله عز وجل (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والصارى) لما بين
 الله عز وجل ان اهل الكتاب ليسوا على شيء مالم يؤمنوا بين في هذه الآية ان هذا الحكم عام
 في كل اهل الملل وانه لا يحصل لاحد منهم فضيلة ولا منقبة الا اذا آمن بالله واليوم الآخر وعمل
 صالحا يرضاه الله ومن العمل الصالح الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لانه لا يتم الايمان الا به
 وقد تقدم تفسير هذه الآية في سورة البقرة وقوله تعالى والصابئون ظاهر الاعراب يقتضى ان
 يقال والصابئين وكذا قراءة ابي ابن كعب وابن مسعود وابن كثير من السبعة وقرأ الجمهور بالرفع
 ومذهب الخليل وسيبويه انه ارتفع الصابئون بالابتداء على نية التأخير كانه قيل ان الذين آمنوا والذين
 هادوا والصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون
 كذلك تحذف خبره والحكمة في عطف الصابئين على من قبلهم هي ان الصابئين اشد الفرق المذكورة
 في هذه الآية ضلالا فكأنه قال كل هؤلاء الفرق اذا آمنوا واتوا بالعمل الصالح قبل الله توبتهم حتى
 الصابئون فانهم اذا آمنوا كانوا ايضا كذلك وانما سمو صابئين لانهم صبروا عن الاديان كلها بمعنى خرجوا
 لانهم صبروا الى اتباع الهوى والشهوات في دينهم ولم يتبعوا ما جاء به الرسل من عند الله فان قلت قد قال
 الله تعالى في اول الآية ان الذين آمنوا هم في آخر الآية من آمن فافائدة هذا التكرار قلت فائدة
 ان المافقين كانوا يظنون الاسلام يزعمون انهم مؤمنون ففي هذا التكرار اخراجهم من قبيل
 المؤمنين فيكون معنى ان الذين آمنوا اي بالسنتهم لا بقلوبهم ثم قال من آمن بمعنى من ثبت على
 ايمانه ورجع عن نفاقه منهم وقيل فيه فائدة اخرى وهي ان الايمان يدخل تحته اقسام كثيرة واشرفها
 الايمان بالله واليوم الآخر فافائدة التكرار التنبيه على ان اشرف اقسام الايمان هذان القسمان
 وفي قوله (من آمن بالله) حذف تقديره من آمن بالله (واليوم الآخر) منهم وانما حسن
 هذا الحذف لكونه معلوما عند السامعين (وعمل صالحا) بمعنى وضم الى ايمانه العمل الصالح وهو
 الذي يراد به وجه الله تعالى (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) يعني في الآخرة * قوله عز وجل (لقد
 اخذنا ميثاق بني اسرائيل) يعني اخذنا اليهود عليهم في التوراة بان يعملوا بما فيها من التوحيد
 والعمل بما امرناهم به والانتفاء عما نهيناهم عنه (وارسلنا اليهم رسلا) يعني لبيان الشرائع والاحكام
 (كما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم) يعني بما يخالف اهواءهم ويضاد شهواتهم من ميثاق التكليف
 والعمل بالشرائع (فريفا كذبوا) يعني من الرسل الذين جاءتهم (وفريقا يقتلون) يعني من الرسل
 فكان فيهم كذبوا عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وكان فيهم قتلوا ذكرا ويوحى عليهم السلام
 وانما عملوا ذلك نقضا للميثاق وجراءة على الله عز وجل ومخالفة لامره * قوله تعالى (وحسبوا)

ما نزل الله الى الرسول
 قالوا حسبنا ما وجدنا عليه
 آباءنا اولو كان آباؤهم
 لا يعملون شيئا ولا يمتدون
 يا ايها الذين آمنوا عليكم
 انفسكم لا يضركم من ضل
 اذا اهديتكم الى الله مرجعكم
 جميعا فيذبذبكم بما كنتم
 تعملون يا ايها الذين آمنوا
 شهادة بينكم اذا حضر

يعنى وطن هؤلاء الذين كذبوا الرسل وقتلوا الانبياء (ان لا تكون فتنة) يعنى ان لا يعذبهم الله ولا يتليهم
 بذلك الفعل الذى فعلوه وانما جعلهم على هذا الظن القاسد انهم كانوا يعتقدون ان كل رسول جاءهم بشرع
 آخر خير شرعهم يجب عليهم تكذيبه وقتله فلهذا السبب حسبوا ان لا يكون فعلهم ذلك فتنة
 يتلون بها وقيل انما قدروا على ذلك لاعتقادهم ان آباءهم واسلافهم يدفعون عنهم العذاب فى
 الآخرة (فصموا صموا) يعنى انهم عموا عن الحق فلم يبصروه وصموا عنه فلم يسموه وهذا العمى
 هو كناية عن عمى البصيرة لا البصر وكذلك الصمم هو كناية عن منع نفوذ الحق الى قلوبهم وسبب
 ذلك شدة جهلهم وقوة كفرهم واعراضهم عن قبول الحق قال بعض المفسرين سبب هذا العمى
 والصمم عبادتهم الجبل فى زمن موسى عليه السلام (ثم تاب الله عليهم) يعنى انهم لما تابوا من عبادتهم
 الجبل تاب الله عليهم (ثم عوا وصموا) يعنى فى زمان زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام
 لانهم كذبوا عسى وقتلوا زكريا ويحيى وقيل ان العمى والصمم الاول كان بعده موسى ثم تاب الله
 عليهم يعنى بعثة عيسى عليه السلام ثم عوا وصموا يعنى بسبب الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم
 (كثير منهم) من اليهود لان بعضهم آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم مثل عبدالله بن سلام واصحابه
 (والله بصير بما يعملون) يعنى من قتل الانبياء وتكذيب الرسل * قوله عز وجل (لقد كفر الذين
 قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم) لما حكى الله عن اليهود ما حكمه من نقضهم الميثاق وقتلهم الانبياء
 وتكذيبهم الرسل وغير ذلك شرع فى الاخبار عن كفر الصارى وما هم عليه من فساد الاعتقاد فقال
 تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وهذا قول اليهودية والملكانية من الصارى لانهم
 يقولون ان مريم ولدت الها ولانهم يقولون ان الاله جل وملا فى ذات عيسى واتحد به فصار
 الها تاه الى الله عن ذلك علوا كبيرا (وقال المسيح ابني اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم) يعنى وقد كان
 المسيح قال هذا لى اسرائيل عند مبضعه اليهم وهذا تايده على ما هو الوجه القاطع على فساد قول الصارى
 ذلك لانه عليه السلام لم يفرق بينه وبين غيره فى اليهودية والافرار للربوبية وان دللنا على الحدوث
 ظاهرة عليه (انه من بشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة) يعنى انه من يجعل له شريكا من خلقه
 فقد حرم الله عليه الجنة يعنى اذا مات على شركه (وما واه النار) يعنى انه يصير الى النار فى الآخرة
 (وما لظالمين) يعنى وما للمشركين الذين ظلموا انفسهم بالشرك (من انصار) يعنى ما لهم من انصار
 ينصرونهم ويمعنونهم من العذاب يوم القيامة قوله تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث
 ثلاثة) وهذا قول المرقسية والنسطورية من الصارى ولتفسير قول الصارى طريقان احدهما
 هما هو قول اكثر المفسرين انهم ارادوا بهذه المقالة ان الله ومريم وعيسى آلهة ثلاثة وان الالهية
 مشتركة بينهم وان كل واحد منهم اله وبين ذلك قوله تعالى للمسيح انت قلت للناس اتخذونى
 وامى الهين من دون الله فقله ثالث ثلاثة فيه اضمار تقديره ان الله احد ثلاثة آلهة او واحد
 من ثلاثة آلهة قال الواحدى ولا يكفر من يقول ان الله ثالث ثلاثة ولم يردبه انه ثالث ثلاثة
 آلهة لانه ما من اثنين الا والله ثالثهما بالعلم ويدل عليه قوله تعالى فى سورة المجادلة ما يكون
 من نجوى ثلاثة الا هو الا هو سادسهم ولا خمسة الا هو سادسهم وقد قال البى صلى الله عليه وسلم
 لا بى بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما والطريق الثانى ان المتكلمين حكوا عن الصارى انهم يقولون
 انه جوهر واحد ثلاثة اقنيم ابوابين وروح القدس وهذه الثلاثة اله واحد كما ان الشمس

احدكم الموت حين الوصية
 اثنان ذوا عدل منكم
 او آخران من غيركم ان اتم
 ضربتم فى الارض فاصابتكم
 مصيبة الموت تحبسونهما
 من بعد الصلوة فيقسمان
 بالله ان ارتبتم لا نشتري به ثمنا
 ولو كان ذا قربى ولا نكتم
 شهادة الله انا اذا لم نؤمن
 فان دثر على انهما استحقا
 انما آخرا ان يقومان مقدهما

اسم تناول القرص والشعاع والحرارة ومنوا بالاب الذات وبالابن الكلمة وبالروح الحياة واتبعوا
الذات والكلمة والحياة وقالوا ان الكلمة التي هي كلام الله اختلقت بمجد عيسى اختلاط الماء
بالبن وزعموا ان الاب والابن والروح والكل اله واحد واعلم ان هذا الكلام معلوم بالطلان
بديهية العقل فان الثلاثة لا تكون واحدا والواحد لا يكون ثلاثة ولا ترى في الدنيا مقالة اشد فسادا
ولا تظهر بطلانها من مقالة الصارى وعلى هذا اخبر الله عنهم في قوله لقد كفر الذين قالوا ان الله
ثالث ثلاثة فهذا معنى مذهبهم وان لم يصرحوا بانه واحد من ثلاثة آلهة فذلك لازم لهم واعلم انهم
من هذه العبارة لانهم اذا قالوا ان كل واحد من الالقائيم اله فقد جعلوه ثالث ثلاثة وقولهم بعد هذا
هواله واحد فيه مناقضة لما قالوا ولا فهذا بيان فساد قول الصارى ثم رد الله عليهم فقال تعالى
(وما من اله الا اله واحد) يعنى انه ليس في الوجود اله واحد موصوف بالوحدانية لا ثاني له
ولا شريك له ولا والد له ولا ولد له ولا صاحبة له الا الله تعالى (وان لم ينتهوا عما يقولون) يعنى
وان لم ينته الصارى عن هذه المقالة الخبيثة (ليمس الذين كفروا منهم عذاب اليم) يعنى يصيب
الذين اقاموا على هذا القول الخبيث وهذا الدين الذى ليس برضى عذاب وجيع في الآخرة
واعلم انهم لم يعلموا السابق ان من النصارى من سيؤم ويخلص ويترك هذا القول ويعلم
انه فاسد ثم ندب سائر النصارى الى التوبة من هذه المقالة الخبيثة فقال تعالى (افلا يتوبون الى الله)
يعنى من قولهم بالتثليث (ويستغفرونه) وهذا استفهام بمعنى الامر ان يتوبوا الى الله ويستغفروه
من هذا الذنب العظيم فانه تعالى يغفر الذنوب (والله غفور) يعنى لمن استغفره وتاب اليه (رحيم)
به وبسائر خلقه * قوله عز وجل (ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل)
يعنى المسيح رسول من الله عز وجل ليس اله كما ان الرسل الذين كانوا من قبله لم يكونوا آلهة وقد اتى
عيسى عليه السلام بالمعجزات الدالة على صدقه كما ان الذين من قبله اتوا بالمعجزات الدالة على
صدقهم (وانه صدقة) يعنى انها كثيرة الصدق وقبل سميت مريم صديقة لانهما صدقت بآيات
ربها وكتبه * وقوله تعالى (كائنا بالكلان الطعام) فيه احتجاج على فساد قول النصارى بالهية
المسيح يعنى ان المسيح واهمه مريم كائنا بشرين كائنا بالكلان الطعام ويعيشان به كسائر بني آدم فكيف يكون
الهامن يحتاج الى الطعام ولا يعيش الابيه وقبل معناه انه لو كان الها كائنا بشرين لدفع عن نفسه
الم الجوع والم العطش ولم يوجد ذلك فكيف يكون الها وقيل هذا كناية عن الحدث وذلك ان كل من
اكل وشرب لا بد له من الغائط والبول ومن كانت هذه صفته فكيف يكون الها وبالجملة فان فساد
قول الصارى اظهر من ان يحتاج الى اقامة دليل عليه ثم قال تعالى (انظر) الخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم اى انظر يا محمد (كيف نبين لهم الايات) يعنى الدالة على بطلان قولهم (ثم انظر انى يؤفكون)
اى كيف يصرفون عن استماع الحق وقبوله * قوله تعالى (قل اتعبدون من دون الله) الخطاب
لنبي صلى الله عليه وسلم اى قل يا محمد لهؤلاء النصارى اتعبدون من دون الله (ما لعلكم لكم
ضرا ولا نفعا) يعنى لا يستطيع ان يضركم بمثل ما يضركم الله به من البلاء والمصائب في الانفس
والاموال ولا يقدر ان ينفعكم بمثل ما ينفعكم الله به من صحة الابدان وسعة الارزاق فان الضر
والدفع هو الله تعالى لا من تعبدون من دونه ومن لا يقدر على الفع والضر لا يكون الها
(والله هو السميع العليم) يعنى انه تعالى سميع لافوالكم وكفركم عافى ضمائركم * قوله عز وجل

من الذين استحق عليهم
الاوليان فيقسمان بالله
لشهادتنا احق من شهادتهما
وما اعتدينا انا الذين الظالمين
ذلك ادنى ان يأتوا بالشهادة
على وجهها ويخافوا ان ترد
ايمان بعد ايمانهم واتقوا الله
واسمعوا والله لا يهدى
القوم الفاسقين يوم
يجمع الله الرسل في عين

(قل يا ايها الكتاب لا تتلوا في دينكم) التلو بمجاوزة الحد وذلك ان الحق بين طرفي الافراط والتفريط بمجاوزة الحد والتقصير مذمومان في الدين (غير الحق) يعني لا تتلوا في دينكم غلوا باطلا غير الحق وذلك انهم خالفوا الحق في دينهم ثم غلوا في الاصرار عليه وكلا الفريقين من اليهود والنصارى غلوا في عيسى عليه السلام اما غلوا اليهود بالتقصير في حقه حتى نسبوه الى غير رشدة واما غلوا النصارى بمجاوزة الحد في حقه حتى جعلوه الههم وكلا الغلوتين مذموم (ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل) الاهواء جميع هوى وهو ما تدعو شهوة النفس اليه قال الشعبي ما ذكر الله تعالى الهوى في القرآن الا وذهمه وقال ابو عبيدة لم نجد الهوى يوضع الا موضع الشر لانه لا يقال فلان يهوى الخير انما يقال فلان يحب الخير ويريد به والخطاب في قوله ولا تتبعوا اهواء قوم لليهود والنصارى الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم نوا من اتباع اسلافهم فيما ابتدعوه من الضلالة باهوائهم وهو المراد بقوله اهواء قوم قد ضلوا من قبل فبين الله تعالى انهم كانوا على ضلالة (واضلوا كثيرا) يعني من اتبعهم على ضلاتهم واهوائهم (وضاوا عن سواء السبيل) يعني واحطوا عن قصد طريق الحق قوله تعالى (لن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود) قال اكثر المفسرين هم اصحاب السبت لما اعتدوا في السبت واصعدوا الخيتان فيه قال داود عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم قردة فمخوارة وسنأى قصتهم في سورة الاحراف (وعيسى ابن مريم) يعني وعلى لسان عيسى ابن مريم وهم كفار اصحاب المائدة لما اكلوا منها وادخروا ولم يؤمنوا قال عيسى عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم خنازير فمخوارة وسنأى قصتهم وقال بعض العلماء ان اليهود كانوا يفتخرون بانهم ويقولون نحن من اولاد الانبياء عليهم السلام فأخبر الله تعالى بانهم ملعونون على السنة الانبياء عليهم السلام وقيل ان داود وعيسى بشرا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولما من بكره به (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) يعني ذلك اللعن بسبب عصيانهم واعتدائهم ثم فسر الاعتداء والعصية فقال تعالى (كانوا لا يهتدون عن منكر فعلوه) اى لا ينهى بعضهم بعضا عن منكر وقيل معناه لا ينهاهون عن معاودة منكر فعلوه ولا عن الاصرار عليه (لئس ما كانوا يفعلون) اللام في لئس لام القسم اى اقدم لئس ما كانوا يفعلون يعني من ارتكاب المعاصي والعدوان عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول ما دخل القصر على بنى اسرائيل انه كان الرجل يلقي الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فانه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك ان يكون اكله وشربه وقعيده فلا ضلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم بعضا ثم قال لن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا ينهاهون عن منكر فعلوه لئس ما كانوا يفعلون ترى كثير منهم يتولون الذين كفروا لئس ما قدمت لهم انفسهم الى قوله فاسقون ثم قال كلا والله لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر ثم تأخذن على يدايكم ولتأمرن على الحق امر او لتقصرنه على الحق قصر ازاد في رواية او ليضربن الله قلوب بعضكم بعضا ثم يلعنكم كالعنهم اخرجهم ابو داود واخرجه الترمذى عنه فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقعت بنو اسرائيل في المعاصي فنهتهم علما وهم فليشتموا فجالسهم في مجالسهم وآكلهم وشاربهم فضرب الله قلوب بعضهم بعضا ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان منكثا فقال لا واذى

الجمع المطلق او عين جمع الذات (يقول ماذا اجبتم) اجابكم الامم حين دعوهم الى اى هل تظلمون على مراتبهم في كانتهم التي توجهوا اليها في متابعتكم (قالوا لا علم لنا) اى العلم كله لك جمعا وتفصيلا ليس لغيرك علم لقضاء صفاتنا في صفاتك (انك انت علام

نفسى يده حتى تألمزهم على الحق امرا قال الترمذى هذا الحديث حسن غريب قوله
اكله وشربه وقعبه هو المأكل والمشرب والمقاد فيل بمعنى فاعل وقوله لتألمز به
الاطر العطف بمعنى لتعطفه ولزده الى الحق الذى خالفه والقصر القهر على الشيء * قوله
عز وجل (ترى كثيرا منهم) يعنى من اليهود مثل كعب بن الاشرف واصحابه (يتولون الذين كفروا)
يعنى بالولون المشركين من اهل مكة وذلك حين خرجوا اليهم ليعيشوا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال ابن عباس معناه ترى كثيرا من المنافقين يتولون اليهود (لبئس ما قدمت لهم أنفسهم)
يعنى بس ما قدموا من العمل لمعادهم فى الآخرة (ان سخط الله عليهم) يعنى بما فعلوا من موالاة
الكفار (وفى العذاب هم خالدون) يعنى فى الآخرة (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي) يعنى ولو
كان هؤلاء الذين يتولون الكفرة يؤمنون بالله ويصدقون بمحمد صلى الله عليه وسلم وأنه نبي مبعوث
الى كافة الخلق (وما انزل اليه) يعنى ويؤمنون بالقرآن الذى انزل اليه من ربه (ما اتخذوهم اولياء)
يعنى ما اتخذوا الكفار انصارا واهوانا من دون المؤمنين (ولكن كثيرا منهم فاسقون) يعنى ولكن
اكثرهم خارجون عن طاعة الله وامرنا بما قال كثيرا لانه علم ان منهم من سيؤمن مثل عبدالله بن سلام
 واصحابه * قوله تعالى (لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا) الام
فى قوله لتجدن لام القسم تقديره والله يا محمد انك لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا بك وصدقوك
اليهود والذين اشركوا وصف الله شدة عداوة اليهود وصعوبة اجابتهم الى الحق وجعلهم قرناء
المشركين عبدة الاصنام فى العداوة للمؤمنين وذلك حسدا منه للمؤمنين (ولتجدن اقربهم مودة
للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى) ووصف ابن عربكة النصارى وسهولة قبولهم الحق قال
بعضهم مذهب اليهود انه يجب عليهم ايصال الشر والاذى الى من خالفهم فى الدين بأى طريق
كان مثل القتل ونهب المال او بانواع المكر والكيد والحيل ومذهب النصارى خلاف اليهود فأن
الاذى فى مذهبهم حرام فحصل الفرق بين اليهود والنصارى وقيل ان اليهود مخصوصون بالحرص
الشديد على الدنيا وطلب الرياسة ومن كان كذلك كان شديد العداوة لغيره واما النصارى فان فيهم
من هو معرض عن الدنيا ولذاتها وترك طلب الرياسة ومن كان كذلك فانه لا يحسد احد ولا يعاديه
بل يكون ابن العربكة فى طلب الحق فلماذا قال تعالى (ذلك بان منهم) يعنى من النصارى (قسيسين
ورهبانا وانهم لا يستكبرون) ولم يرد به كل النصارى فان معظم النصارى فى عداوة المسلمين
كاليهود بل الآية نزلت حين آمن من النصارى مثل الجعثنى واصحابه والقس والقسيس اسم رئيس
النصارى والجمع قسيسون وقال قطرب القس والقسيس العالم بلسة الروم وهذا ما وقع الاتفاق
بين اللغتين يعنى العربية والرومية واما الرهبان فهو جمع راهب وقيل الرهبان واحد وجمعه رهبان
وهم سكان الصوامع فان قلت كيف مدحهم الله بذلك مع قوله رهبانية ابتدعوها قلت انما مدحهم الله
فى مقابلة ذم اليهود ووصفهم بشدة العداوة للمؤمنين ولا يلزم من هذا القدر ان يكون مدحا على
الاطلاق وقيل انما مدح من آمن منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فوصفه بالتمسك بدين عيسى الى
ان بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فآموا به وتبعوه فان قلت كفر النصارى اشد واغلظ من كفر
اليهود واقبح فان النصارى يذبحون فى الالهيات فيدعون ان الله ولدا لليهود انما يذبحون
فى التبنات فيقرون ببعض البدين وينكرون بعضهم والاول اقبح فلم ذم اليهود ومدح النصارى

القيوب (فقيوب بواطننا
وبواطنهم كلها عليك
(اذ قال الله يا عيسى ابن مريم
اذكر نعمتى عليك) بالهداية
الخاصة ومقام النبوة
والولاية (وعلى والدك)
بالتطهير والتزكية والاصطفاء
(اذ ايد بك روح القدس تكلم
الناس فى المهد) فى مهد البدن

قلت انما هو مدح في قبلة ذم وليس مدح على الاطلاق وقد تقدم الفرق بين شدة عداوة اليهود ولين
النصارى فلذلك ذم اليهود ومدح النصارى الذين آمنوا منهم واختلف العلماء فيمن نزلت هذه
الآية فقبل نزلت في النجاشي ملك الحبشة واسمه اسحمة واسمها اسحمة الذين اسلموا معه * (ذكر
قصة الهجرة الاولى وسبب نزول هذه الآية) * قال ابن عباس وغيره من المفسرين في قوله ولتجدن
اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ان قريشا اشرمت ان يفتنوا المؤمنين من دينهم
فوثبت كل قبيلة على من آمن منهم فآذوهم وعذبوهم فافتن من افتن منهم وعصم الله من شاء منهم
ومنع الله رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بمهابة طالبا فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل
بأصحابه ولم يقدر ان ينعمهم من المشركين ولم يؤمر بعد بالجهاد امر أصحابه بالخروج الى ارض
الحبشة وقال ان بها ملكا صالحا لا يظلم ولا يظلم عنده احدا فخرجوا اليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجا
فخرج اليها احد عشر رجلا واربع نسوة سرا وهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وابو حذيفة بن
عقبة وامرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو ومصعب بن عمير وابو سلمة بن عبد الاسد وزوجته ام سلمة
بنت امية وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وامرأته ليلى بنت ابى خيثمة وحاطب بن عمرو وسهيل
بن بيضاء فخرجوا الى البحر واخذوا سفينة بنصف دينار الى ارض الحبشة وذلك في رجب في السنة
الخامسة من بعث النبي صلى الله عليه وسلم وهذه الهجرة الاولى ثم خرج بعدهم جعفر بن ابى طالب
وتابع السلون فكان جميع من هاجر الى ارض الحبشة من المسلمين اثنين وعثمانين رجلا وسوى
النساء والصبيان فلما علمت قريش بذلك وجهوا عمرو بن العاص وجاءته بيدا الى النجاشي وبطارقه
ليردهم اليهم فدخل اليه عمرو وقال له ايها الملك انه قد خرج فينا رجل سفه يقول قريش واحلاها
وزعم انه نبي وانه قد بعث اليك برهط من أصحابه ليفسدوا عليك قوهك فاحبين ان نأتيك ونخبرك
خيرهم وان قومهم يسألونك ان تردهم اليهم فقال حتى نسألهم فامرهم فاحضروا فلما اتوا باب
النجاشي قالوا يستأذن اولياء الله فقال اذنوا لهم فرحبوا بولياء الله فلما دخلوا عليه سلموا فقال الرهط
من المشركين ايها الملك الاترى انا صدقناك انهم لم يحبوك بتحياتك التي تحبها فقال لهم الملك ما منكم
ان تحبوني بتحياتي فقالوا له انا حينئذ نحبك اهل الجنة وتحية الملائكة فقال لهم النجاشي ما يقول
صاحبكم في عيسى وامه فقال جعفر بن ابى طالب يقول هو عبد الله ورسوله وكلمة الله وروح منه
اقامها الى مريم العذراء ويقول في مريم انها العذراء البتول قال فاخذ النجاشي عودا من الارض
وقال والله ما زاد صاحبكم على ما قال عيسى قدر هذا العود فكم المشركون قوله وتغيرت وجوههم
فقال هل تعرفون شيئا انزل على صاحبكم قالوا نعم قال اقرؤا فقرأ جعفر سورة مريم وهناك
قيسون وريان وسائر النصارى ففرقوا ما قرأ فحدثت دموعهم بمعرفوا من الحق فانزل الله
فيهم ذلك بان منهم قيسين وريهانا وانهم لا يستكبرون الى آخر الآيتين فقال النجاشي لجعفر
واصحابه اذهبوا فانتم سيوم بارضى معنى انكم آمنون فرجع عمرو واصحابه خائنين واقام السلون
عند النجاشي بخير دار وخير جوار الى ان هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وعلا امره وقهر
اعداءه وذلك في سنة ست من الهجرة وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي على يد عمرو بن امية
الضمرى ان يزوجه ام حبيبة بنت ابى سفيان وكانت قد هاجرت مع زوجها ومات عنها فارسل

(وكهلا) بالغا الى نور شيب
الكمال بالجرّد من البدن
وملابسه (واذهلك
الكتاب والحكمة والتوراة
والانجيل) كتاب
الحقائق والمعارف
الثابتة في اللوح المحفوظ
بأيدي روح القدس وحكمة
السلوك في الله بتحصيل
الاخلاق والاحواء
والمقامات والجهريد
والنفريد * ونورا العلوم
الظاهرة والاحكام المتعاقبة
بالافعال واحوال النفس
وصفاتها وانجيل العلوم

الجهاني جارية يقال لها ابرهة الى ام حبيبة يخبرها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خطبها فاستربت بذلك واعطت الجارية اوضاحا كانت لها واذنت لخالد بن سعيد في نكاحها فانكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم على صداق مبلغه اربعمائة دينار وكان الخاطب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الجهاني فارسل اليها بجميع الصداق على يد جاريته ابرهة فلما جاءتها بالدينار وهبتها منها خمسين ديناراً فلم تأخذها وقالت ان الملك امرني ان لا آخذ منك شيئاً وقالت انا صاحبة دهن الملك وثيابه وقد صدقت بمحمد صلى الله عليه وسلم وآمنت به وحاجتي اليك ان تقر به مني السلام قالت نعم فقالت قد امر الملك نساءه ان يأتين اليك بما عندهن من دهن وهو دود وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم راها عندها فلا ينكره قالت ام حبيبة فخرجوا الى المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يحاصر خير فخرج من خرج اليه من قدم من الحبشة واقت بالمدينة حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه فكان يسألني عن الجهاني وقرأت عليه السلام من ابرهة جارية الملك فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها السلام و انزل الله عز وجل عني الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتهم منهم مودة يعني اباسفان وذلك بزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ام حبيبة والمبلغ اباسفان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ام حبيبة قال ذلك الفصل لا يجمع انفه وبعث الجهاني بعد خروج جعفر واصحابه الى النبي صلى الله عليه وسلم ابنه ازهي في ستين رجلاً من اصحابه وكتب اليه يا رسول الله اني اشهد انك رسول الله صادقاً مصداقاً وقد بايعتكم وبايعت ابرعكم جعفر واسلمت الله رب العالمين وقد بعثت اليك ابني ازهي وان شئت ان آتيك بنفسى فلت والسلام عليك يا رسول الله فركبوا في سفينة في اثر جعفر حتى اذا كانوا في وسط البحر غرقوا ووافي جعفر واصحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخبرووا في مع جعفر سبعون رجلاً عليهم الثياب الصوف منهم اثنان وستون رجلاً من الحبشة وثمانية من الشام فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يس الى آخرها فيكي القوم حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا ما شبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه السلام فانزل الله هذه الآية فيهم وهي قوله ولجعلهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا انصارى يعني وفد الجهاني الذين قدموا مع جعفر وهم السبعون وكانوا من اصحاب الصوامع وقيل نزلت في ثمانين رجلاً اربعين من نصارى نجران من بني الحارث بن كعب واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية روميين من اهل الشام وقال قتادة نزلت في ناس من اهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى عليه السلام فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم آمنوا به وصدقوه فآمن الله عليهم بقوله ولجعلهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا انصارى ذلك بان منهم قسيسين وراهباً وانهم لا يستكبرون يعني لا يعظمون عن الايمان والاذعان للسق قوله عز وجل (واذا سمعوا ما نزل الى الرسول) يعني واذا سمعوا القرآن الذي انزل الى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم (تري اعينهم قتيض من الدمع) يقال قاضي الاثاء اذا امتلأ حتى يخرج منه ما فيه وصفهم الله تعالى بسيل الدمع عند البكاء ورقة القلب عند سماع القرآن قال ابن عباس يريد الجهاني واصحابه لما قرأ عليهم جعفر بن ابي طالب سورة مريم قال فاذا لوابكون حتى فرغ جعفر من القراءة (مأعرفوا من الحق) يعني الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهو الحق (يقولون) يعني القسيسين والراهبان الذين سمعوا القرآن من جعفر عند الجهاني

الباطنة من علوم تجليات الصفات واحكامها واحكام احوال القلب وصفاته واعماله (واذن خلق من طين العفل الهولاني الذي هو الاستعداد المحض بدلتية والحكمة العملية (كهنة الطير) طير القلوب الطائفة الى حضرة القدس ليعبرها عن مالها وكالها (باذني) اي بملئى وقدرتى وتيسرى عند تجلى صفاب حباتى

(ربنا آتينا) يعنى بالقرآن وشهدنا انه حق وصدق (فاكتبنا مع الشاهدين) يعنى مع امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين يشهدون بالحق (وماتنا لانؤمن بالله وما جاءنا من الحق) قال ابن عباس لما رجع الوفد من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهمهم قومهم على ترك دينهم وقيل ان اليهود هيروهم وقالوا تركتم دينكم فاجابوهم بهذا الجواب ومعنى الآية وما لسا لانؤمن بوحداية الله وما جاءنا من الحق من عنده على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم (ونطمع) يعنى ونرجو بذلك الابمان (ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) يعنى مع امة محمد صلى الله عليه وسلم * قوله تعالى (فاتابهم الله بما قالوا) يعنى بالتوحيد الذى قالوه وانما خلق الثواب وهو قوله تعالى (جنات تجري من تحتها الانهار) بمجرد القول لانه قد سبق وصفهم بما يدل على اخلاصهم فيما قالوا وهو المعرفة والبكاء المؤذنان بحقيقة الاخلاص واستكانة القلب لان القول اذا اقترن بالمعرفة فهو ايمان الحقيقى الموعود عليه بالثواب وقال ابن عباس بما قالوا يريد بما قالوا يعنى قولهم فاكتبنا مع الشاهدين (خالدين فيها) يعنى فى الجلمات (وذلك جزاء المحسنين) يعنى المؤمنين الموحدين المخلصين فى ايمانهم (والذين كفروا وكذبوا باياتنا) لما ذكر الله عز وجل الوعد لمؤمنى اهل الكتاب وما عدلهم من الجلمات ذكر الوعد لمن اقام منهم على كفره وتكذيبه واطلق القول بذلك ليكون هذا الوعد لهم ولمن جرى مجراهم فى الكفر والتكذيب فقال والذين كفروا وكذبوا باياتنا (اولئك اصحاب الجحيم) * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم) قال علماء التفسير ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الناس يوما ووصف القيامة فرق الناس وبكوا فاجتمع عشرة من الصحابة فى بيت عثمان بن مظعون الجمسى وهم ابوبكر وعلى بن ابي طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمرو وابوذر التفارى ولم مولى ابي حذيفة والمقداد بن الاسود وسلان القارسى ومعلق بن مقرن وتشاوروا واتفقوا على انهم يترهبون ويلبسون المسوح ويحبون مذاكيرهم ويعصمون الدهر ويقومون الليل ولا ينامون على الفرش ولا يأكلون اللحم والودك ولا يقربون النساء ولا الطيب ويسبحون فى الارض فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاقى دار عثمان بن مظعون فلم يصادفه فقال لامرأته احق ما بلغنى عن زوجك واصحابه فكرهت ان تكذب وكرهت ان تبدي سر زوجها فقال يا رسول الله ان كان قد اخبرك عثمان فقد صدق فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاء عثمان اخبرته بذلك فاقى هو واصحابه العشرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الم انبأ انكم اتفقتم على كذا وكذا فقالوا بلى يا رسول الله وما اردنا الا الخير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لم اوامر بذلك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لانفسكم عليكم حقافصوموا وافطروا وقوموا واناموا فاقى اقوم وانام واصوم وافطروا كل اللحم والدم وآتى النساء فمن رغب عن سننى فليس منى ثم جمع الناس وخطبهم فقال ما بال اقوام حرموا النساء والطعام والطيب وشهوات الدنيا فاقى لست آمركم ان تكونوا قيسيين ورهبانا فانه ليس فى دينى ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الضوامع وان سياحة امتى الصوم ورهبانيتهم الجهاد اعبدوا الله ولا تنركوا به شيئا وجوا واعفروا وافقوا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان واستقيوا يستقيم لكم فانما هلك من كان

وعلى وقدرتى لك واتصافك
واستنبأتى اياك (قتنفخ
فيها) من روح الكمال
حياة العلم الحقيقى بالتكميل
والاضافة (فتكون طيرا
باذنى) تسامجرجة كاملة نظير
الى جناب القدس بمجنح
الشفق (وتبرى الاكه)
المحجوب عن نور الحق

قبلكم بالشديد شددوا على انفسهم فشد الله عليهم فثقلت بقاياهم في الديار والصوامع فانزل الله عز وجل هذه الآية يا ايها الذين آمنوا لا تنحرموا طيبات ما احل الله لكم يعني الطيبات المهيذات التي تشتهيها الانفس وتميل اليها القلوب من المطاعم الطيبة والمشارب الذليلة فاعلم الله عز وجل بهذه الآية ان شريعة نبيه صلى الله عليه وسلم غير ما عزموا عليه من ترك الطيبات وانه لا ينبغي ان تجزوا الطيبات المباحات ومعنى لا تنحرموا لا تعتدوا وتحريم الطيبات المباحات فان من اعتقد تحريم شيء احل الله فقد كفر ما ترك لذات الدنيا وشهواتها والانقطاع الى الله والفرغ لعبادته من غير اضرار بالنفس ولا تقويته حتى التغير ففضيلة لا تمنع منها بل مأمورها * وقوله تعالى (ولا تعتدوا) يعني ولا تجاوزوا الحلال الى الحرام وقيل معناه ولا تجزوا انفسكم فسمى جب المذاكير اعتداء وقيل معناه ولا تعتدوا بالاسراف في الطيبات (ان الله لا يحب المعتدين) يعني المجاوزين الحلال الى الحرام * وقوله تعالى (وكلاوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) يعني وكلاوا مما يؤمنون من رزق الله الذي رزقكم واحله لكم من المطاعم والمشارب قال عبدالله بن المبارك الحلال ما اخذته من وجهه والطيب ما غذي وانمي فاما الجامد كالطين والتراب وما لا يذوق فكرهه الاعلى وجه التداوى وعن ابن عباس ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني اذا اصبت اللحم انتشرت للنساء واخذتني شهوتي حرمت على اللحم فانزل الله يا ايها الذين آمنوا لا تنحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وكلاوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وله عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل وله عن ابي هريرة قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع وكانت نعجه فنهش منها قالت عائشة ما كان الذراع احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن كان لا يجر اللحم الاغبوا كان يعمل اليه الذراع لانه اعجبها فنهشها اخرجه الترمذي * وقوله تعالى (واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون) هذا تأكيده لوصية بما امر الله تعالى به وزادنا كيد بقوله الذي انتم به مؤمنون لان الايمان به يوجب التقوى في الانتهاء الى ما امر الله به وعما نهى عنه وفي الآية دليل على ان الله عز وجل قد تكفل برزق كل احد من عباده فانه تعالى لو لم يتكفل بذلك لما قال وكلاوا مما رزقكم الله واذ تكفل برزق العبد وجب ان لا يبالغ في الطلب والحرص على الدنيا وان يقول على ما وعده الله وتكفل به فانه تعالى اكرم من ان يخلف الوعد * قوله تعالى (لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم) قال ابن عباس لما نزلت يا ايها الذين آمنوا لا تنحرموا طيبات ما احل الله لكم قالوا يا رسول الله كيف نصنع بأيماننا التي حلفنا عليها وكانوا قد حلفوا على ما اتفقوا عليه فانزل الله عز وجل هذه الآية لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم وقد تقدم تفسير اللغو في الايمان في سورة البقرة * وقوله تعالى (ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان) يعني ولكن يؤاخذكم بما تمردتم وقصدتم به اليمين ومنه قول الفرزدق * ولست بما أخذ بقلوبكم قوله * اذالم تمردوا فادات العزائم

(والابرص باذني المعيب
بمرض محبة الدنيا وطلبه
الهوى (واذ تخرج الموتى)
موتى الخهل من قبور ابدن
وارضى النفس (باذني
واذ كفت بنى اسرائيل)
المحبوبير من نور تجليات

وفي الآية حذف تقديره ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذ احسنتم فحذفه لانه معلوم عند السامع (فكفارته) يعني فكفارة ايمانكم التي عقدتموها اذ احسنتم (اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم) يعني من اقصد ذلك لان من الناس من يدرف في اطعام اهله ومنهم من يقتر عليهم فامر الله بالعدل في اداء الكفارة وقيل اراد بالوسط في القيمة فلا يكون غالبا من اعلى

الموجود ولا خيس اثمن من اردأ الموجود بل الوسط في القيمة وقيل اراد بالوسط الافضل قال ابن عباس كل شيء في كتاب الله اوسط فهو افضل فعلى هذا يكون المعنى من خير ما تطعمون اهلكم وافضله (او كسوتهم) هو مطوف على محل اوسط اى كما تطعمون المساكين من اوسط ما تطعمون اهلكم فكذلك فاكسوتهم من اوسط الكسوة (او تحرير رقبة) يعنى حق رقبة والمراد بجله الشخص

* (فصل في حكم الآية) * وفيه مسائل * (المسئلة الاولى) * في بيان الكفارة وهى اربعة انواع * النوع الاول من الكفارة الاطعام فيجب اطعام عشرة مساكين واختلفوا في قدر ما يطعم لكل مسكين فذهب قوم الى انه يطعم لكل مسكين مدين الطعام عند النبي صلى الله عليه وسلم وهو رطل وثلاث بالبغدادى من غالب قوت البلد وكذلك سائر الكفارات وهذا قول ابن عباس وابن عمرو زید بن ثابت وبه قال سعيد بن المسيب والقاسم بن محمد وسليمان بن يسار وعطاء والحسن واليه ذهب مالك والشافعى وروى عن عمر وعلى وعائشة انه يطعم لكل مسكين مدين من روهو نصف صاع وبه قال اهل العراق وقال ابو حنيفة ان اطعم من الخنطة فنصت صاع وان اعام من غيرها فصاع وهو قول الشعبي والنفى وسعيد بن جبير ومجاهد وقال احمد بن حنبل يطعم لكل مسكين مدين البر او نصف صاع من غيرها مثل التمر والشعير ومن شرط الاطعام تمليك الطعام للمساكين فلو عشاها وغداها لم يجزه وقال ابو حنيفة يجزه ذلك ولا يجوز اخراج القيمة في الكفارة كالدرهم والدنانير وقال ابو حنيفة يجوز ذلك ولا اخراج الدقيق والخبز في لكفارة بل يجب اخراج الحب وجوزه ابو حنيفة ولا يجوز صرف الكل الى مسكين واحد في عشرة ايام * النوع الثانى من الكفارات الكسوة واختلف العلماء في قدرها فذهب قوم الى انه يكسو كل مسكين ثوبا واحدا ما يقع عليه اسم الكسوة ازار او رداء او قميص او عمامة او سراويل او كساء ونحو ذلك وهذا قول ابن عباس والحسن ومجاهد وعطاء وطاوس واليه ذهب الشافعى وقال مالك يجب ان يكسو كل مسكين ما تجوز به الصلاة فيكسو الرجل ثوبا والمرأة ثوبين درعا وخارا وقال احمد لرجل ثوبا والمرأة ثوبين درع او خارا وهو ادنى ما يجزى في الصلاة وقال ابن عمر يجب قميص وازار ورداء وقال ابو موسى الاشعري يجب ثوبان وهو قول سعيد بن المسيب وابن سيرين وقال ابراهيم النخعي يجب ثوب جامع كالمخف * النوع الثالث من الكفارات العتق فيجب اعتاق رقبة مؤمنة وكذلك يجب في جميع الكفارات واجاز ابو حنيفة والثوري اعتاق الرقبة الكافرة في جميع الكفارات الا كفارة القتل فان الله قيد الرقبة بالايمان في كفارة القتل ومذهب الشافعى ان المطلق يحمل على القيد ولا يجوز اعتاق المرتد في الكفارة بالايجاع وبشرط ان تكون الرقبة سليمة الرق حتى لو اعتق في الكفارة كتابا او ام ولد او عبدا اشتراه بشرط العتق واشترى قربه الذى يعتق عليه فكل هؤلاء لا يجزى في اعتاق الكفارة وجوز اصحاب الراى عتق المكاتب في الكفارة اذالم يؤد من نجوم الكتابة شيئا وجوز واعتق القريب في الكفارة وبشرط ان تكون الرقبة سليمة من كل عيب يضر بالعمل فلا يجزى مقطوع اليد او الرجل ولا الاعى ولا الزمن ولا الجنون المطبق ويجوز عتق الامور والاصم ومقطوع الاذنين والانف لان هذه العيوب كلها لا تضر بالعمل وعندنا حنيفة كل عيب يفوت جنسا من المنفعة يمنع الجواز فيجوز عتق مقطوع احدى اليدين ولا يجوز

الصفات الجاهلين المضادين
لك لجهلهم بحالك ومقامك
(هناك اذ جئتم بالبينات)
بالجج والدلائل الواضحة
(فقال الذين كفروا) هجوا
(منهم) عن دين الحق
(ان هذا الاصح مبين)
لخيرتهم فيه (واذا وحيث
الى الحوارين) اى الهمت
في قلوبهم الوريثين الذين
طهروا نفوسهم بماء المنافع

عتق مقطوع الاذن في الكفارة النوع الرابع من الكفارات الصوم وهو قوله تعالى (فمن لم يجد)
 يعني الكفارة (فصيام ثلاثة ايام) يعني فاذا عجز من لزمته كفارة اليمين من الاطعام او الكسوة
 او العتق وجب عليه صيام ثلاثة ايام وهو قوله تعالى فصيام ثلاثة ايام يعني فطليه صيام ثلاثة ايام قال
 الشافعي اذا كان عنده قوته وقوت عياله يومه وليلته وفضل ما يطعم عشرة مساكين لزمته
 الكفارة بالاطعام وان لم يكن عنده هذا القدر جازله الصيام وقال ابو حنيفة يجوز له الصيام اذا لم يكن
 عنده من المال ما تجب فيه الزكاة فجعل من لازكاة عليه مادما وقال الحسن اذا لم يجد درهمين صام وقال
 سعيد بن جبير ثلاثة دراهم واختلفوا في وجوب التتابع في الصيام عن كفارة اليمين على قولين
 احدهما انه يجب التتابع فيه قياسا على كفارة الظهار والقتل وهو قول ابن عباس ومجاهد وطاوس
 وعطاء وقتادة وهو مذهب ابى حنيفة واحد واحد قول الشافعي والقول الثاني لا يجب التتابع في كفارة
 اليمين فان شاء تابع وان شاء فرق والتابع افضل وبه قال الحسن ومالك وهذا القول الثاني للشافعي
 * (المسئلة الثانية) * كلمة او لا تخير بين الاطعام والكسوة والعتق فان شاء اطعم وان شاء كسا وان شاء
 اعتق فبأيها اخذ المكفر فقد اصاب وخرج عن العهدة * (المسئلة الثالثة) * لا يجوز صرف شيء
 من الكفارات الا الى مسلم حر محتاج فلو صرف الى ذمي او عبدا و غني لا يجزئه وجوز ابو حنيفة
 صرفها الى اهل الذمة واتفقوا على ان صرف الزكاة الى اهل الذمة لا يجوز * (المسئلة الرابعة) *
 اختلفوا في تقديم الكفارة على الحنث فذهب قوم الى جوازه لما روى عن ابى هريرة ان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين فرأى خيرا منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير اخرجه
 الترمذي (ق) عن عبد الرحمن بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن
 لاتسأل الامارة فانها ان اتك من مسئلة وكلت اليها وان اتك من غير مسئلة اعنت عليها واذا حلفت
 على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك وهذا قول عمرو بن عباس
 ومائشة ومائة الفقهاء وبه قال الحسن وابن سيرين وابيه ذهب مالك والاوزاعي والشافعي الا ان
 الشافعي قال ان كفر بالصوم قبل الحنث لا يجوز لانه بدني انما يجوز بالطعام او الكسوة او العتق
 وقال ابو حنيفة لا يجوز تقديم الكفارة على الحنث * وقوله (ذلك) اشارة الى ما تقدم ذكره
 من الاطعام او الكسوة او العتق او الصوم عند العجز (كفارة ايمانكم اذا حلفتم) يعني وحنتم
 لان الكفارة لا تجب بمجرد اليمين انما تجب بالحنث بعد اليمين وفيه اشارة الى ان تقديم الكفارة
 على اليمين لا يجوز بل اليمين وقبل الحنث كما تقدم (واحفظوا ايمانكم) يعني قللوا ايمانكم ففيه
 انتهى من كثرة الحلف ومه قول الشاعر قليل الا بالاحفاظ ليمنه * وصفه بانه لا يخلف وقبل
 في معنى الآية واحفظوا ايمانكم عن الحنث اذا حلفتم لئلا تحتاجوا الى التكفير وهذا اذا لم يخلف
 على ترك مندوب او فعل مكروه فان حلف على ذلك فالفضل بل الاولى ان يحنث نفسه ويكفر
 لما روى عن ابى موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتى والله ان شاء الله لا احلف على
 يمين فأرى غيرا خيرا منها الا كفرت عن يميني واتيت الذي هو خيرا اخرجه في الصحيحين * قوله تعالى
 (كذلك بين الله لكم آياته) يعني كما بين لكم كفارة ايمانكم اذا حنثتم كذلك بين لكم جميع ما تحتاجون
 اليه في امر دينكم (لعلكم تشكرون) يعني نعمه التي انعم بها عليكم ان بين لكم آياته ومعالم شريعته
 * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا انما الجور واليسر والالصاب والالزام رجس) لما نزل الله تعالى

والاعمال المزيكية حتى قبلوا
 دعوتك لصفاء نفوسهم
 واحبوك بالارادة الثابتة
 لمناسبتهم اياك بنور الفطرة
 وصفاء الاستعداد
 (ان آمنوا بى) ايمانا
 حقيقيا بتوحيد الصفات
 والهو (ورسولى) برعاية
 حقوق تجلياتها على التفصيل
 (قالوا آمنوا واشهد
 باننا مسلمون) يا الهنا
 بطوك الشامل المحيط بالكل
 انما نقادون لك مسلمين

عن ذكر الله وعن الصلاة فان قلت لم يجمع الجمر والميسر مع الانصاب والازلام في الآية الاولى
ثم افرد الجمر والميسر في هذه الآية قلت لان الخطاب مع المؤمنين بدليل قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا
والقصود نهيهم عن شرب الجمر واللعب بالقمار وانما ضم الانصاب والازلام الى الجمر والميسر
لتأكيد تحريم الجمر والميسر فلما كان المقصود من الآية النهي عن شرب الجمر والميسر لاجرم
افردهما بالذكر في آخر الآية والله اعلم * وقوله تعالى (فهل انتم متهون) لفظه استفهام ومعناه
الامر اى انتهوا وهذا من المبالغ ما ينهيه لانه تعالى ذم الجمر والميسر واطهر قبحهما للخطاب كانه
قيل قد نلتى عليكم ما فيهما من انواع الصوارف والموانع فهل انتم متهون مع هذه الامور ام انتم على
ما كنتم عليه كانكم لم توعظوا ولم تنزجروا وفي هذه الآية دليل على تحريم شرب الجمر لان الله
تعالى قرن الجمر والميسر بعبادة الاصنام وهدايتهم الى الصراط المستقيم فبما وجدنا قبحهما عند اجتماعهما
وقال فهل انتم متهون ومعناه الامر وقد صح من حديث عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
كل شراب اسكر فهو حرام اخرجه في الصحيحين وزاد الترمذي وابوداود ما اسكر الفرق منه
فلما الكف منه حرام الفرق بالتحريك انا يسع ستة عشر رطلا عن ابن عمر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من شرب الجمر لم تقبل له صلاة اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد
لم يقبل الله له صلاة اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد لن يقبل الله له صلاة اربعين صباحا
فان تاب تاب الله عليه فان عاد الرابعة لم يقبل الله له صلاة اربعين صباحا فان تاب لم ينسب عليه
وسء الله من نهر الخبال قالوا يا ابا عبد الرحمن وما نهر الخبال قال صديد اهل النار اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن واخرجه النسائي وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله الجمر
وشاربها وساقها وياثها وابتاعها واصرها ومتصرها وحاها واماها والمحمولة اليه اخرجه ابوداود وقوله
عز وجل (واطيعوا الله واطيعوا الرسول) يعنى فيما امركم به ونهاكم عنه (واحدروا) اى
واحدروا مخالفة الله ومخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما امركم به ونهاكم عنه (فان توليتم)
يعنى فان امرضتم عما امركم به ونهاكم عنه (فاعلموا انما على رسولي البلاغ المبين) وهذا وعيد
وتهديد لمن اعرض عن امر الله ونهيه كانه قال فاعلموا انكم بسبب توليكم واعراضكم قد استحققت
العذاب والخط * قوله تعالى (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا)
الآية عن البراء بن عازب قال مات ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهم يشربون الجمر
فلما نزل تحريم الجمر قال ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كيف باصحابنا الذين ماتوا وهم
يشربونها قال قتل ليس على الذين آمنوا وعلوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن صحيح عن ابن عباس قال قالوا يا رسول الله ارايت الذين ماتوا وهم
يشربون الجمر لما نزل تحريم الجمر قتل ليس على الذين آمنوا وعلوا الصالحات جناح فيما طعموا
الآية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن ومعنى الآية ليس على الذين آمنوا وعلوا الصالحات
جناح فيما طعموا اى لا حرج ولا اثم عليهم فيما شربوا من الجمر واكوا من مال القمار في وقت
الاباحة قبل التحريم قال ابن قتية يقال لم اطعم خبزوا لاء ولا نوما قال الشاعر فان شئت حرمت
النساء سواكم * وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا
القحاح الماء والبرد اليوم (اذا ما تقوا) يعنى اذا ما تقوا الشرك وقيل اتقوا ما حرم الله عليهم

البركات ويستمد منه المدد
الروحاني ولهذا قالوا مع
اقرارهم واسلامهم ربك
ولم يقولوا ربنا لان ربهم
لا يستطيع (ان ينزل علينا
مائدة من السماء) شريعة
من سماء عالم الروح تشتمل
على انواع العلوم والحكم
والمعارف والاحكام فيها
غذاء القلوب وقوت النفوس
وحياتها وذوقها (قال
اتقوا الله ان كنتم مؤمنين)
احذروه في ظهور صفات

(وَأَمْنُوا) بمعنى بالله ورسوله (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) أي وازدادوا من عمل الصالحات (ثُمَّ اتَّقُوا
وَأَمْنُوا) بمعنى اتقوا الحر والميسر بعد التحريم فعلى هذا تكون الأولى اخباراً عن حال من مات
وهو يشربها قبل التحريم أنه لا جناح عليه والثانية خطاب لمن بقى بعد التحريم أمره بابتعادها والامتنان
بتحريمها (ثُمَّ اتَّقُوا) بمعنى ما حرم عليهم في المستقبل (وَاحْسِنُوا) بمعنى العمل وقيل المراد بالاتباع
الأول فعل التقوى وبالثاني مداومة عليها وبالثالث اتقاء الظلم مع ضم الاحسان اليه وقيل ان المقصود
من التكرير التأكيد والمبالغة في الحث على الايمان والتقوى وضم الاحسان اليهما ثم قال تعالى
(وَاللَّهُ يَحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) يعني انه تعالى يحب المتقربين اليه بالايمان والاعمال الصالحة والتقوى
والاحسان وهذاتاء ومدح لهم على الايمان والتقوى والاحسان لان هذه المقامات من اشرف
الدرجات واعلاها (م) عن عبدالله بن مسعود قال لما نزلت هذه الآية ليس على الذين آمنوا وعلما
الصالحات جناح فيما طعموا الى آخر الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لي انت منهم ومعناه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له ان ابن مسعود منهم يعني من الذين آمنوا وعلما الصالحات
وال تقوى والاحسان * قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيُذْهِبَ اللَّهُ بَشَىٰ مِنَ الصَّيْدِ) نزلت
هذه الآية عام الحديبية وكانوا محرمين فابتلاههم الله بالصيد فكانت الوحوش تفتنى رحالهم من
كثرتها ففهموا باخذها وصيدها فانزل الله هذه الآية يا أيها الذين آمنوا ليلبسونكم الله الآية اللام
في ليلبسونكم لام القسم أي ليختبرن طاعتكم من معصيتكم والمعنى بعاملكم معاملة المختبر بشى
من الصيد يعني بصيد البر دون البحر وقيل اراد الصيد في حالة الاحرام دون الاحلال وانما
قال بشى من الصيد ليعلم انه ليس بفتنة من الفتن العظام التي نزل عندها اقدام الثابتين
ويكون التكليف فيها صعباً شاقاً كالابتلاء ببذل الاموال والارواح وانما هو ابتلاء سهل
كما تبلى اصحاب السبب بصيد السمك فيه لكن الله عز وجل بفضله وكرمه عصم اممة محمد صلى الله
عليه وسلم فلم يصطادوا شيئاً في حالة الابتلاء ولم يعصم اصحاب السبب فمسخوا قرده وخنازير
* وقوله تعالى (تَاللَّهِ اِيْدِيكُمْ) يعني الفرخ والبيض وما لا يقدر ان يفر من صغار الصيد
(وَرَمَّا حَمَكُمْ) يعني كبار الصيد مثل جحر الوحش ونحوها وقال ابن عباس في قوله تالله ايديكم
ورما حاكم هو الضعيف من الصيد وصغيره يتلى الله به عباده في احرامهم حتى لو شأوا نالوه بايديهم
فنهامهم الله ان يقربوه (لَعَلَّ اللَّهَ) اي ليرى الله فانه قد علمه فهو مجاز لانه تعالى عالم لم يزل
والعنى بعاملكم معاملة المختبر وقيل معناه ليظهر المعلوم وهو خوف الخائف وقيل هو من باب
حذف المضاف والتقدير ليعلم اولياء الله (من يخوف بالغيث) يعني من يخاف الله ولم يره فلا يصطاد
في حالة الاحرام شيئاً بعد الهوى (فَنِ اعْتَدَىٰ بِدَٰلِكَ) يعني فصاد في حالة الاحرام بعد النهى
(فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ) يعني في الدنيا قال ابن عباس هو ان يوجع ظهره وبطنه جلداً وتسلب ثيابه
وهذا قول اكثر المفسرين في معنى هذه الآية لانه قد سمي الجلد عذاباً وهو قوله وليشهد عذابهما
طائفة من المؤمنين * وقوله عز وجل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ) جمع
حرام اي لا تقتلوا الصيد وانتم محرمون بالحج والعمرة وقيل المراد منه دخول الحرم يقال احرم
اذا فقد الاحرام واحرم اذا دخل الحرم وقيل هما رادان بالآية فلا يجوز قتل الصيد للمحرم ولا
في الحرم نزلت هذه الآية في ابي اليسر شد على جار وحش فقتله وهو محرم ثم صار هذا الحكم عاماً

نفوسكم واجعلوه وقاية
لكم فيما يصدر عنكم
من الاخلاق والافعال
تنبخوا من تبعاتها وتفوزوا
وتفلموا ان تحقق ايمانكم
فلا حاجة بكم الى شريعة
جديدة (قالوا زيدان نأكل)
نستفيد (منها) ونعمل
بها ونتقوى بها (وتطمئن

فلا يجوز قتل الصيد ولا التعرض له مادام محرماً ولا في الحرم والمراد بالصيد كل حيوان متوحش
 مأكول اللحم وهذا قول الشافعي وقال ابو حنيفة هو كل حيوان متوحش سواء كان مأكولاً
 او لم يكن فيجب عنده الضمان على من قتل سباعاً او نمراً او نحو ذلك واستثنى الشارع خنثى فواسق
 فاجاز قتلهم (ق) من ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خنثى من الدواب ليس
 على الحرم في قتلهم جناح التراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور وفي رواية خنثى
 لا جناح على من قتلهم في الحرم والاحرام (ق) من عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال خنثى من الدواب كلهم فواسق يقتلن في الحرم التراب والحدأة والعقرب
 والفأرة والكلب العقور ولمسلم خنثى فواسق يقتلن في الحل والحرم وذكر نحوه وفي رواية
 النسائي قال خنثى يقتلهم الحرم الحية والعقرب والفأرة والكلب العقور قال
 ابن حنيفة الكلب العقور كل سبع ضار يعقر وقاس الشافعي عليها جميع ما لا يؤكل لحمه قال لان
 الحديث يشتمل على اشياء بعضها سبع ضارية وبعضها هوام قاتلة وبعضها طير لا يدخل في معنى
 السباع ولا معنى السباع ولا في معنى الهوام وانما هو حيوان مستغيب اللحم وتحريم الاكل يجمع
 الكل فاعبروه ورتب عليه الحكم وذهب اصحاب الرأي الى وجوب الجزاء في كل ما لا يؤكل لحمه
 الا الاعيان المذكورة في الحديث وقاسوا عليها الذئب فلم يوجبوا فيه كفارة * قوله تعالى
 (ومن قتله منكم متعمداً) قال مجاهد والحسن وابن زيد هو الذي يتعمد قتل الصيد مع
 نسيان الاحرام فعليه الجزاء اما اذا تعمد قتل الصيد ذاكرة لاحرامه فلا جزاء عليه لانه اعظم
 من ان يكون له كفارة وقال ابن عباس والجمهور يحكم عليه بالجزاء وان تعمد القتل مع ذكر
 الاحرام وهذا مذهب عامة الفقهاء اما اذا قتل الصيد خطأ بان قصد غيره بالرمي فاصابه فهو
 كالعمد في وجوب الجزاء وهو مذهب جمهور المفسرين والفقهاء قال الزهري نزل بالقرآن بالعمد
 وجرت السنة في الخطأ يعني الحقت الخطأ بالثمد في وجوب الجزاء وقال سعيد بن جبير لا يرى
 في الخطأ شيئاً وهذا قول شاذ لا يؤخذ به (جزاء مثل ما قتل من اثم) يعني فضله جزاء من
 اثم مثل ما قتل والمثل والشبه واحد واختلفوا في هذه المائة اهي بالخلقة ام بالقيمة والذي
 عليه جمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم ان المائة في الخلقة معتبرة لان ظاهر الآية يدل على
 ذلك وما لا مثل له فالقيمة وقال ابو حنيفة المثل الواجب في قتل الصيد هو القيمة لان الصيد المقتول
 اذا لم يكن له مثل فانه يضمن بالقيمة وهذا لا نزاع فيه فكان المراد بالمثل هو القيمة في هذه
 الصورة فوجب ان يكون في سائر الور كذا لان اللفظ الواحد لا يجوز حمله الا على معنى
 واحد واجيب عنه بان حقيقة المائة امر معلوم فيجب رعايتها باقصى الامكان وان لم يمكن
 رعايتها الا بالقيمة وجب الاكتفاء بها للضرورة وجه الشافعي ومن وافقه في اعتبار المائة
 بالخلقة ان الصحابة حكموا في بلد ان شتى وازمان مختلفة بالمثل من اثم حكموا في النعامة
 ببدة وهي لا تساوي بدنة وحكموا في حمار الوحش بقره وهو لا يساوي بقره وكذا في الضبع
 بكبش فدل ذلك على انهم انما نظروا الى ما يقرب من الصيد شها من حيث الخلقة لحكموا به
 ولم يعتبروا القيمة فيجب في الظبي شاة وفي الارنب سمك وفي الضب سمكة وفي البربوع جفرة
 ويجب في الحمامة وكل ما عاب وهدر كالفواخت والقمرى وذوات الاطواق شاة وما سواه

قلوبنا) فان العلم غذاء
 القلب وقوته (ونعلم) صدقك
 في الاخبار عن ربك ونبوتك
 وولايتك بها وفيها (ونكون
 عليها من الشاهدين)
 الحاضرين اهل العلم نخبر بها
 من مدانا من القائمين
 ونعلمهم وندهوهم بها
 الى الله (قال عيسى ابن مريم
 اللهم ربنا انزل علينا مائدة
 من السماء تكون لنا عيدا
 لا اولاً وآخرنا) امرا
 اى شرباً وديناً يعود اليه
 من قزماننا من اهل ديننا

من الطير فقيّة القيمة في المكان الذي أصيب فيه وروى عن عثمان وابن عباس أنّهما حكما في حرام الحرم بشاة وروى عن عمر أنّه قضى في الضبع بكبش وفي النزال بمنز وفي الارنب بعناق وفي البربوع بحفرة * وقوله تعالى (يحكم به ذوا عدل منكم) يعني يحكم بالجزاء في قتل الصيد رجلا من صالحان عدلان من اهل ملتكم ودينكم ويذبح ان يكونا فقيهين فينظر ان الى اشبه الاشياء من انتم فيحكم ان به قال ميمون بن مهران جاء اعرابي الى ابي بكر الصديق فقال اني اصببت من الصيد كذا وكذا فسأل ابي بكر ابي بن كعب فقال اعرابي اني اتيتك اسألك وانت تسأل غيرك فقال ابو بكر وما انكرت من ذلك قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فشاورت صاحبي فاذا اتفقا على شيء امرناك به * وقوله تعالى (هديا بالغ الكعبة) يعني ان الكفارة هدى يساق الى الكعبة وسميت الكعبة كعبة لارتفاعها والعرب تسمى كل بيت مرتفع كعبة وانما يريد بالكعبة كل الحرم لان الذبح لا يقع في الكعبة وعندها ملاقيها انما يقع في الحرم وهو المراد بالبلوغ فيذبح الهدى بمكة ويتصدق به على مساكين الحرم هذا مذهب الشافعي وقال ابو حنيفة انه ان يتصدق به حيث شاء اذا وصل الهدى الى الكعبة (او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما) ذهب الشافعي ومالك وابو حنيفة الى ان كل اوق في هذه الآية للخير وقال احمد وزفر من اصحاب ابي حنيفة انها للترتيب وهما روايان عن ابن عباس قال الشافعي اذا قتل صيداه مثل فهو مخير بين ثلاثة اشياء ان شاء ذبح المثل من اثم وتصدق به على مساكين الحرم وان شاء قوم المثل دراهم والدراهم طعامهم يتصدق به على مساكين الحرم وان شاء صام عن كل مدمن الطعام يوما وقال ابو حنيفة بصوم من كل نصف صاع يوما وعن احمد روايان كالقولين واصل هذه المسئلة ان الصوم بمقدار طعام اليوم فعند الشافعي بمقدار البلد وعند ابي حنيفة بمقدار نصف صاع وله ان يصوم حيث شاء لانه لا نفع فيه للمساكين وذهب جمهور الفقهاء الى ان الخيار في تعيين احد هذه الثلاثة الاشياء الى قاتل الصيد الذي وجب عليه الكفارة لان الله اوجب عليه احد هذه الثلاثة على الخير فوجب ان يكون هو المخير بين ايها شاء وقال محمد بن الحسن من اصحاب ابي حنيفة الخبير الى الحكمين لان الله تعالى قال يحكم به ذوا عدل منكم ومن قال ان كل اوق للترتيب قال ان لم يجد الهدى اشترى طعاما وتصدق به فان كان معسرا صام وقال مالك ان لم يخرج المثل من انتم يقوم الصيد ثم يجعل القيمة طعاما فيتصدق به او يصوم وقال ابو حنيفة لا يجب المثل من انتم بل يقوم الصيد فان شاء صرف تلك القيمة الى شيء من انتم وان شاء الى الطعام فيتصدق به وان شاء صام عن كل نصف صاع من برأ وصاع من غيره يوما واختلفوا في موضع التقويم فقال جمهور الفقهاء يقوم في المكان الذي قتل فيه الصيد وقال الشعبي يقوم بمكة ثمن مكة لانه يصرف بها * وقوله تعالى (ليدوق وبال امره) يعني جزاء ذنبه والوبال في اللغة الشيء الثقيل الذي يخاف ضرره يقال مرعى وبيل اذا كان فيه وخامة وانما سمي الله ذلك وبال لان اخراج الجزاء ثقبيل على النفس لان فيه تقيصا للمال وهو ثقبيل على النفس وكذا الصوم ايضا ثقبيل على النفس لان فيه اهلاك البدن (عفا الله عما سلف) يعني قبل التهريم (ومن عاد) يعني الى قتل الصيد مرة ثانية (فينتقم الله منه) يعني في الآخرة والانتقام المبالغة في العقوبة وهذا الوعيد لا يمنع ايجاب الجزاء في المرة الثانية والثالثة فاذا تكرر من المحرم قتل الصيد تكرر عليه الجزاء وهذا قول جمهور العلماء وقد روى عن ابن عباس والنخعي وداود الظاهري انه اذا قتل الصيد مرة ثانية

ومن بعدنا بمن سيوج
من النصارى (وآية ملك
علامة وعلمك تعرف
وتعبد (وارزقنا) ذل
الشرع والعلم النافع والهد
(وانت خير الرازيين
لاترزق الا ما ينفعنا ويكو
صلاحنا فيه (قال الله اني منز
عليكم فن يكثر بعد منكم
يحجب عن ذلك الديم
بعد ازاله ووضوحه (فاذا

فلا جزاء عليه لانه وعده بالانتقام منه قال ابن عباس اذا قتل المحرم صيدا متعمدا سئل هل قتل قبله شيئا من الصيد فان قال نعم لم يحكم عليه ويقال له اذهب فينتقم الله منك وان قال لم اقبل قبله سئل هل قتل قبله شيئا من الصيد فان قال نعم لم يحكم عليه ويقال له اذهب فينتقم الله منك وان قال لم اقبل قبله شيئا حكم عليه فان ما بعد ذلك لم يحكم عليه ولكن علة ظهره وصدره ضربا وكذلك حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في صيدوج وهو واد بالطائف (والله عز وجل انتقام) يعني من عصاه واد ائلف المحرم شيئا من الصيد الذي لا مثل له من الامم مثل البعوض وطارئ صغير دون الحمام ففيه القيمة فيقوم ثم يشتري بقيته طعاما ويتصدق به على محاييح الحرم او يصوم عن كل يد يوما * قوله تعالى (احل لكم صيد البحر وطعامه) المراد بالصيد ما صيد من البحر والمراد بالبحر جميع المياه العذبة والمالحة فاما طعامه فاختلفوا فيه فقيل هو ما قذفه البحر ورمى به الى الساحل يروى ذلك عن ابي بكر وعمر وابن ابي عمرو وابوب قتادة وقيل صيد البحر طرية وطعامه ما حله يروى ذلك عن سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب والسدي ويروى عن ابن عباس ومجاهد كالقولين وجلة حيوان الماء على قسمين سمك وغير سمك فاما السمك فجميعه حلال على اختلاف اجناسه واتوا به قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته اخرجاه ابو داود والترمذي والنسائي ولا فرق بين ان يموت بسبب او بقير سبب فيحل اكله وقال ابو حنيفة لا يحل الا ان يموت بسبب وما هذا السمك فقسمان قسم يعيش في البر والبحر كالضفدع والسرطان فلا يحل اكلهما وقال سفيان ارجو ان لا يكون بالسرطان باس واختلفوا في الجراد فقيل هو من صيد البحر فيحل اكله للمحرم وذبح جهور العلماء الى انه من صيد البر وانه لا يحل للمحرم اكله في حال الاحرام فان اصاب جرادة فعليه صدقة قال عمر في الجرادة تمر وعنده من ابن عباس قبضة من طعام وكذلك طير الماء فهو من صيد البر ايضا وقال احمد يؤكل كل ما في البحر الا الضفدع والتمساح قال لان التمساح يفترس ويا كل الناس وقال ابن ابي ليلى ومالك يباح كل ما في البحر وذبح جاعا الى ان ماله نظيره من البر يؤكل فيؤكل نظيره من حيوان البحر مثل بقر الماء ونحوه ولا يؤكل ما لا يؤكل نظيره في البر مثل كلب الماء وخنزير الماء فلا يحل اكله * قوله تعالى (متاع لكم والسيارة) يعني يتفجع به المقيمون والمسافرون فيتزودون منه * وقوله تعالى (وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما) ذكر الله عز وجل تحريم الصيد على المحرم في ثلاثة مواضع من هذه السورة احدها في اول السورة وهو قوله غير محلي الصيد وانتم حرمة والثاني قوله يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرمة والثالث هذه الآية وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما كل ذلك لتأكيد تحريم قتل الصيد على المحرم واختلف العلماء هل يجوز للمحرم ان يأكل من لحم صيد صاده غيره فذهب قوم الى انه لا يحل ذلك بحال يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول طلوس واليه ذهب الثوري واحتجوا على ذلك بما روى عن الصعب بن جثامة الابن انه اهدى لابي صلى الله عليه وسلم حمارا وحشيا وهو بالابواء او بودان فردده عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلأرأى ما في وجهه من الكراهة قال ان لم زدده عليك الا انا حرم اخرجاه في العصمين وذبح جهور العلماء الى انه يجوز للمحرم ان يأكل كل لحم الصيد ذالم يصد بنفسه ولا يصيده ولا يشارته ولا اعان عليه وهذا قول عمرو عثمان وابي هريرة به قال عطاء ومجاهد وسعيد بن جبير وهو مذهب مالك والشافعي واحمد واصحاب الرأي ويبدل عليه ما روى عن ابي قتادة الانصاري قال كنت جالسا مع رجال من اصحاب النبي

اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين) لبيان الطريق ووضوح الدين والجلبة مع وجود استعدادهم فلا ينكرونه الاممانيين والعذاب مع العلم اشد من العذاب مع الجهل اذ الشعور بالمعصية عنده بوجوب شدة الايلام (واذ قال الله يا عيسى ابن مريم ائتني فاقبل فقلت فاس اتخذوني وامي الهين

صلى الله عليه وسلم في منزل في طريق مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم اما منا والقوم محرمون
وانا خير محرم مام الحديبية فابصر واجارا وحشيا وانا مشغول اخصف فلما لم يؤذونا واحبوا
لواني ابصرته فالتفت فابصرته فقممت الى القرس فاسرجته ثم ركبت ونسيت السوط والرخ
فقلت لهم ناولوني السوط والرخ قالوا لا والله لانك اياه ففضبت ونزلت فاخذتها ثم ركبت فشددت
على الحمار فقترته ثم جثت به وقدمات فوقعوا فيه يا كلون ثم انهم شكوا في اكلهم اياه وهم حرم
فرحنا وخبات المضد قادر كرسول الله صلى الله عليه وسلم فسأته عن ذلك فقال هل معكم منه شيء
فقلت نعم فناولته المضد فاكل منها وهو محرم وزادني رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم انما هي
طعمة اطعمكموها الله وفي رواية هو حلال فكلوه وفي رواية قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
هل منكم احدا مر ان يحمل عليه او اشار اليها قالوا لا قال كلوا ما بقي من لحمها اخرجاه في الصحيين
واجاب اصحاب هذا المذهب من حديث الصعب بن جثامة بانه اتارده النبي صلى الله عليه وسلم لانه ظن انه
انما صيد لاجله والمحرم لا يأكل ما صيد لاجله (واتقوا الله) يعني فلا تفضلوا الصيد في حال الاحرام
ولا في الحرم ثم حذرهم بقوله (الذي اليه تمشرون) يعني في الآخرة فيجازيكم باعمالكم بقوله
عز وجل (جعل الله الكعبة البيت الحرام) جعل بمعنى صير وقيل معناه بين وحكم وقال مجاهد سمى
البيت كعبة لتريعه وقيل لارتفاعه عن الارض وسمى البيت الحرام لان الله حرما وعظمه وشرفه
وعظم حرمة وحرمان يصطاد عنده وان يختل خلاه وان يعضد شجره واراد بالبيت الحرام جميع الحرم
لما صح من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب يوم فتح مكة فقال ان هذا البلد حرمة الله
تعالى يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر
صيد ولا يلتقط لقطته الا من عرفها ولا يختل خلاه وقوله تعالى (قيام الناس) اصله قواما لانه سبب
لقوام مصالح الناس في امر دينهم وديارهم وآخرتهم اما في امر الدين فانه به يقوم الخج وتم المناسك
واما في امر الدنيا فانه يجي اليه ثمرات كل شيء وبأمنون فيه من النهب والنسابة ملو لائق الرجل
قائل اياه اوابنه في الحرم لم يعجه واما في امر الآخرة فان البيت جعل اقيام المناسك عنده وجعلت تلك
المناسك التي تقام عنده اسبابا لعلو الدرجات وتكفير الخطيئات وزيادة الكرامات والثوبات فلما
كانت الكعبة الشريفة سببا لحصول هذه الاشياء كانت سببا لقيام الناس (والشهر الحرام)
يعني وجعل الشهر الحرام قياما للناس واراد بالشهر الحرام الاشهر الحرم الاربعة وهي ذوالقعدة
وذوالحجة والحرم ورجب الفرد يعني وكذلك جعل الاشهر الحرم بأمنون فيها من القتال وذلك
ان العرب كان يقتل بعضهم بعضا ويفير بعضهم على بعض وكانوا اذا دخلت الاشهر الحرم
امسكوا عن القتال والذارة فيها فكانوا بأمنون في الاشهر الحرم فكانت سببا لقيام مصالح
الناس (والهدى والقلائد) يعني وكذلك جعل الهدى والقلائد سببا لقيام مصالح الناس وذلك
انهم كانوا يأمنون بسوق الهدى الى البيت الحرام على انفسهم وكذلك كانوا يأمنون اذا قلدوا
انفسهم من لواء شجر الحرم فلا يتعرض لهم احد (ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما
في الارض) يعني انه تعالى علم في الازل بمصالح العباد وما يحتاجون اليه فجعل الكعبة البيت
الحرام والشهر الحرام والهدى والقلائد بأمنون بها لانه يعلم مصالح العباد كما يعلم ما في السموات
وما في الارض لانه تعالى علم جميع المعلومات الكليات والجزئيات وهو قوله تعالى (وان الله

من دون الله) دعوا
الناس الى نفسك واة
اولى مقام قلبك ونفسه
فان من بقى فيه وجو
الانانية وبقية النفس
والهوى او كان فيه تلوي
بوجود القلب وظهور
بصفته يدعون الخلق
الى مقام نفسه واما الى
قلبه لا الى الحق (قا
سبحانك) تنزيه الله م
الشريك وتبرئة له م
وجود البقية (ما يكون
ان اقول ما ليس لي بحق
فاني لا وجود لي بالحقيق
ولا ينبغي ولا يصح ان اقوا
قولا ليس لي ذلك القوا

بكل شيء عليم) بمعنى انه تعالى لا يخفى عليه خافية (اعلوا ان الله شديد العقاب) بمعنى لمن اتهمك بحارمه واسمها (وان الله غفور رحيم) بمعنى لمن تاب وآمن ولما ذكر الله انواع رحمة عباده ذكر بعدها انه شديد العقاب لان الايمان لا يتم الا بمحصول الرجاء والخوف ثم ذكر بعده ما يدل على سعة رحمة وانه غفور رحيم * قوله تعالى (ما على الرسول الا البلاغ) بمعنى ليس على رسولا الذي ارسله اليكم الا التبليغ ما ارسل به من الانذار بما فيه قطع الحجج في الآية تشديد عظيم في ايجاب القيام بما امر الله وان الرسول صلى الله عليه وسلم قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت الحجة عليكم بذلك ولستم الطاعة فلا عذر في التفریط (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) بمعنى انه تعالى لا يخفى عليه شيء من احوالكم ظاهرا وباطنا (قل لا يستوي الخبيث والطيب) يعني الحلال والحرام في الدرجة والرتبة ولا يستدل الردى والجيد ولا المسلم والكافر ولا الصالح والطالح (ولو اعجبك كثرة الخبيث) يعني ولو سرك كثرة الخبيث لان قافته عاقبة سوء والمعنى ان اهل الدنيا يجهلون كثرة المال وزينة الدنيا وما عند الله خير وابق لان زينة الدنيا ونعيمها يزول وما عند الله يدوم وقال ابن الجوزي روى جابر بن عبد الله ان رجلا قال يا رسول الله ان الجر كانت تجارتي فهل ينفي ذلك المال ان علمت فيه بطاعة الله فقال الي صلى الله عليه وسلم ان الله طيب لا يقبل الا الطيب وقال مقاتل نزلت في شريح بن ضبة البكري وجاح بن بكر وقد تقدمت القصة في اول السورة (فاتقوا الله) يعني فيما امركم به او نهاكم عنه ولا تمتدوه (يا اولي الابواب) يعني يا ذوى العقول السليمة (لتلكم تفلحون) * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا لا تنسوا ان تبدلوا عن اشيائكم تسؤمكم) يختلفون في سبب نزول هذه الآية فروى عن انس بن مالك قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعنا مثلها فقل لوتعلمون ما علم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قال فتطلى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم حين فقال رجل من ابى فقال فلان نزلت هذه الآية لا تنسوا عن اشيائكم ان تبدلوا تسؤمكم وفي رواية اخرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج حين زاغت الشمس فصلى الظهر فقام على المنبر فذكر السادة فذكر فيها امورا عظيما ثم قال من احب ان يسألني عن شيء فليسأل فلان سألتني عن شيء الا اخبرتك به مادمت في مقامى فاكثر الناس البكاء واكثر ان يقول سلوا فقام عبد الله بن حذافة السهمي فقال من ابى فقال ابوك حذافة ثم اكثر ان يقول سلوني فبرك عمر على ركبته فقال رضي الله عنه يا رسول الله وبمحمد نبيا فسكت ثم قال عرضت على الجمة والار آنفا في عرض هذا الحائط فلم اركأ ليوم في الخير والشر قال ابن شهاب فاخبرني جبير بن عبد الله بن عتبة قال قالت ام عبد الله بن حذافة لعبد الله بن حذافة ما سمعت بابن قطاعة منك امتنت ان تكون امك قارفت بعض متعارف اهل الجاهلية فتفضها على امين الناس فقال عبد الله بن حذافة لوالحفي بعد اسود لسمعت زاذني رواية اخرى قال قتادة يذكر هذا الحديث عند هذه الآية لا تنسوا عن اشيائكم ان تبدلوا تسؤمكم اخبرنا في الصحيحين (خ) عن ابن عباس قال كان قوم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء فيقول الرجل من ابى ويقول الرجل تضل ناقته اين ناقتي فانزل الله فيهم هذه الآية يا ايها الذين آمنوا لا تنسوا عن اشيائكم ان تبدلوا تسؤمكم الآية كلها وقيل نزلت هذه الآية في شأن الحج عن علي بن ابي طالب قال لما نزلت ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه

بالحقيقة فان القول والقول والصفة والوجود كلها لك (ان كنت قلته فقد علمته) اي ان كان صدر مني قول فمن علمك ولا وجود لما لا تعلم ولا وجد يملك وجد (تعلم ما في نفسي) لا حائل لك بالكل فلي بعض علمك (ولا اعلم ما في نفسك) اي ذاتك لاني لا احيط بالكل (ما قلت لهم) وما امرتهم الا ما كلفني قوله (والزموني اياه) (ان اعبدوا الله ربي وربكم) اي مادعوتهم الا الى الجمع في صورة التفضيل وهو الذي نسبة ربه اليه الى الكل سواء فقلوا فاراه الا في بعض التفاصيل لضيق واثمهم (وكنت عليهم

سبيلا قالوا يا رسول الله في كل عام فسكت فقالوا يا رسول الله في كل عام قال لا ولو قلت نعم لوجبت
فاتزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن أشياء إن تبدل لكم تسؤكم أخرجه الترمذي وقال
حديث غريب (م) عن أبي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس قد فرض
عليكم الحج فاجعلوا في كل عام فسكت حتى قالها ثلاثا فسكت حتى قالها ثلاثا ثم قال ذروني
ماتركتكم ولو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم وإنما هلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على
أنبيائهم إذا أمرتكم بشي فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وروى مجاهد عن ابن عباس
لا تسئلوا عن أشياء قال هي البعيرة والوصيلة والسابتة والحلأ التي ترى أنه يقول بعد ذلك ما جعل الله من
بعيرة ولا كذا ولا كذا وقال عكرمة منهم كانوا يسألونه عن الآيات فنهوا عن ذلك ثم قال قد سألتها قوم من
قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين ومعنى الآية يا أيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن أشياء جمع شيء أن تبدل لكم أي
تظهر لكم وتبين لكم تسؤكم يعني أن أمرتم بالعمل بها فإن من سأل عن الحلأ لم يأمن أن يؤمر به فلا يقدر عليه
فيسوء ذلك ومن سأل عن نسبه لم يأمن أن يلحقه الذي صلى الله عليه وسلم بغير أبيه فيقتضخ ويسوء
ذلك (وإن تسئلوا عنها حين ينزل القرآن تبدل لكم) معناه إن صبرتم حتى ينزل القرآن يحكم من فرض
أونهى أو حكم وليس في ظاهره شرع ما يحتاجون إليه ومست حاجتكم إليه فادأستهم عنه فينثني يدي
لكم ومثال هذا إن الله عز وجل لما بين مدة المطلق والموقوف في عناز وجهوا والحامل ولم يكن في عدد هؤلاء
دليل على عدة التي ليست دات قرأوا لحامل فساءوا عنها أنزل الله عز وجل جوابهم في قوله واللاتي ينس
من الحيض من سائلكم الآية (عفا الله عنها) يعني عن مسئلتكم عن الأشياء التي سألتهم عنها رسول الله
صلى الله عليه وسلم التي كره الله لكم السؤال عنها فلم يؤخذ كرهها ولم يعاقبكم عليه (والله غفور) يعني إن
تاب عنكم (حاجم) فلا يجعل يعقوبكم وقال طلاء غفور يعني لما كان في الجاهلية حايمة نبي عن تعابكم مد
آبتم وصدقتم وقال بعض العلماء الأشياء التي يجوز السؤال عنها ما يترتب عليها امر الدين والدنيا من
مخالع العباد وما عدا ذلك لا يجوز السؤال عنه (ق) عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال إن أسلم من أسلم في المأمن جرم من سأل عن شيء لم يحرم على الناس فحرم من أجل مسئلته
(ق) من المقبرة بن شعبة ما كتب إلى معاوية أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن قيل وقال وإصاعة
المال وكثرة السؤال عن معاوية أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الاغلو طات أخرجه أبو داود
الاغلو طات صاحب المسائل التي تزل فيها اقدام العلماء ويؤيد ذلك قول أبي هريرة شرار الناس الذين
يسألون عن شرار المسائل كي يطلوا بها العلماء وعن سلمان قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء
فقال الحلال ما أحل الله في كتابه والحرام ما حرمه الله في كتابه وما سكت عنه فهو مما عفا عنه
فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تقربوها وترك أشياء من غير نسيان فلا تنهوها عنها هذا الحديثان آخرهما
في جامع الأصول ولم يعزهما إلى الكتب الستة ثم قال تعالى (قد سألتها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها
كافرين) قال المفسرون يعني قوم صالح سألوا الآية ثم عقروها فأصبحوا بها كافرين وقوم موسى قالوا
إنا لله جبهة فكان هذا السؤال بالاعيانهم وقوم عيسى سألوا زول المائدة عليهم ثم كذبوا به كأنه
تعالى يقول إن أولئك سألوا فلما أعطوا سؤلهم كفروا به فلا تسألوا أنتم شيئا فلذلك أن أعطيتكم سؤلكم
سألكم ذلك قوله تعالى (ما جعل الله) أي ما أنزل الله ولا حكم به ولا شرعه ولا أمر به (من بعيرة)
البعيرة من البعير هو الشق يقال بمر ناقة إذا شق إذا غافى ففيلة بمعنى مفعولة (ولاسابتة) يعني المسبية
المخلدة (ولا وصيلة) الوصيلة الشاة وكانت العرب في الجاهلية إذا ولدت لهم ذكرا واثني قالوا

شيدا) رقيباً حاضر الأراهم
واعلمهم (مادمت فيهم) أي ما
بقي مني وجود بقية (فلا
توفيتني) أفيتني بالكلية بك
(كنت انت الرقيب عليهم)

وصلت اخاها (ولاحام) الحام هو الفصل من الابل يحمي ظهره فلا يركب ولا ينتفع به قال ابن عباس
 في بيان هذا الاوصاف البصرة هي الناقة اذا ولدت خمسة ابطن لم يركوها ولم يحزوا وبرها ولم يعموها
 الماء والكلاب ثم نظروا الى خامس ولدها فان كان ذكر انحره وواكله الرجال والنساء وان كانت انثى
 شقوا اذنها وتركوها حرموا على النساء منافعها وكانت منافعها لرجال خاصة فاذا ماتت حلت للرجال
 واذا ما و قيل كانت الناقة اذا تابعت ثلثي عشرة سنة انما سبيت فلم يركب ظهرها ولم يحزوا وبرها ولم
 يشرب لبنها الا ضيف فانجحت بعد ذلك من انثى شق اذنها ثم سبيت مع امها ويفعل بها كيف فعل بامها وقيل
 السابعة البعير الذي يسبب لآلهم وذلك ان الرجل من اهل الجاهلية كان اذا مرضى او غاب له قريب
 نذر فقال ان شفاني الله او شفى الله مريضى او قدم غائبى فافتي هذه سابعة ثم يسببها فلا تحبس عن ماء ولا
 مرضى ولا يركبها احد فهي بمنزلة البعيرة والوصيلة من الغنم كانت الشاة اذا ولدت سبعة ابطن نظر و افان
 كان السابع ذكر اذبحوه واكل منه الرجال والنساء وان كانت انثى تركوها في الغنم وان كانت
 ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها واستحبوا الذكر فلم يذبحوه من اجل الانثى والحامى هو
 الفصل اذا ركب ولد ولد وقيل هو الفصل اذا نتج من صلبه عشرة ابطن قالوا حتى ظهره فلا
 يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرضى فاذا مات اكله الرجال والنساء (ق) عن
 سعيد بن المسيب قال البعيرة التي يمنع درها لا يطوا غيت فلا يحلبها احد من الناس والسابعة كانوا يسبون
 لآلهم لا يحمل عليها شئ قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت عروبن حامر
 انخرأى يجر قصبه في النار وسلم من انى هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت عروبن
 حلى بن قبة بن خندف اخأبى كعب وهو يجر قصبه في النار (خ) عن عائشة قالت قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم دايت جهم يحطم بعضها ورايت عرا يجر قصبه وهو اول من سبب السواثب القصب بضم
 القاف وسكون الصاد المهملة الا ما كانت الجاهلية تفعل هذا في جاهليتهم فلما بعث الله عز وجل نبيه محمدا
 صل الله عليه وسلم ابطال ذلك بقوله ما جعل الله من بحيرة وسابطة ولا وصيلة ولا حام يعنى ما بحر الله من
 بحيرة ولا سب من سابطة ولا وصل من وصل ولا حى من حام ولا اذن فيه ولا امر به ولكم انتم فطمت
 ذلك من عند انفسكم (ح) عن ابن مسعود ان اهل الاسلام لا يسبون وان اهل الجاهلية كانوا يسبون
 وقوله تعالى (ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب) يعنى لقولهم ان الله امر نبيه (واكثرهم
 لا يعقلون) اراد بالاكتر الاتباع يعنى ان الاتباع لا تعقل ان هذا كذب واقتراء من الرؤساء على الله عز وجل
 (واذ قيل لهم تعالوا الى انزل الله والى ما لرسول) يعنى واذا قيل لهؤلاء الذين يجر البهاث وفعلوا هذه
 الاشياء اضافوا الى الله كذبا تعالوا الى ما انزل الله يعنى في كتابه والى الرسول يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم
 عليه كتابه ليبين لكم كذب ما تضيقونه الى الله وبين لكم الشرائع والاحكام وان الذى تقولونه ليس
 بشئ (قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا) يعنى قد اكتفينا بما اخذ باعهم من الدين ونحن لهم تبع قال الله رد
 عليهم (او لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهدون) يعنى انما يصح الاقتداء بالعالم المهتدى الذى يبنى قوله
 على الحجة والبرهان والدليل وان آباءهم ما كانوا كذلك فيصح اقتداؤهم بهم بغير قوله عز وجل (يا ايها الذين
 آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا هتديتم) قال بعض العلماء هذا امر من الله تعالى ومنه اعفظوا
 انفسكم من ملازمة الذنوب والاصرار الى المعاصى لانك اذا قلت عليك زيد معناه الزم زيد او قيل معناه
 عليك انفسكم فاصحوا واعملوا في خلاصهم من عذاب الله عز وجل وانظروا اليها يقربها من الله عز وجل
 لا يضركم من ضل اذا هتديتم يعنى لا يضركم كفر من كفر اذا كنتم مهتدين واطعتم الله عز وجل فيما امركم

لفنائى فيك (وانت على كل
 شهيد) حاضر يوجبك والا
 لم يكن ذلك لثى (ان تعذبهم)
 بادامة الجحباب (فانهم عبادك)
 احقوا بالجلب والحرمات

بهونها كمنه قال سعيد بن جبير ومجاهد نزلت هذه الآية في اهل الكتاب اليهود والنصارى يعني عليكم
 انفسكم لا يضركم من ضل من اهل الكتاب فخذوا منهم الجزية واتركوهم وقيل لما قبلت الجزية من اهل
 الكتاب قال بعض الكفار كيف تقبل الجزية من بعض دون بعض فنزلت هذه الآية وقيل ان المؤمنين
 كان يشده عليهم بقاء الكفار كفرهم فقبل لهم عليكم انفسكم واجتهدوا في صلاحها لا يضركم ضلال
 الضالين ولا جهل الجاهلين اذا كنتم انتم مهتدين فان قلت هل يدل ظاهر هذه الآية على جواز ترك الامر
 بالمعروف والنهي عن المنكر قلت لا يدل على ذلك والذي عليه اكثر الناس ان المطيع لربه عز وجل
 لا يكون مؤاخذا بذنوب اصحاب المعاصي فأما وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فتأيت بدليل
 الكتاب والسنة عن قيس بن ابي جازم عن ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال ايها الناس انكم
 تقرأون هذه الآية يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ولا تضعونها وضعا ولا
 تدرون ما هي وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا راوا ظالما فلم يأخذوا على يديه
 اوشك ان يعمهم الله بقاب منه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح واخرجه ابوداود وزاد
 فيه ما من قوم يعمل ذنبهم بالمعاصي ثم يقدرون دلي ان يغفروا ولا يغفروا الا يوشك ان يعمهم الله بقاب
 وقال قوم في معنى الآية عليكم انفسكم اذا امرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر فلم يقبل منكم قال ابن
 مسعود مروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ما قبل منكم فان رد عليكم فعليكم انفسكم ثم قال ان القرآن
 نزل منه آية قدمضى تأويلهن قبل ان ينزلن ومه آى وقع تأويلهن دلى عهد رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ومنه آى وقع تأويلهن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدرومه آى يقع تأويلهن في آخر
 الزمان ومه آى يقع تأويلهن يوم القيامة وهو ما ذكر من الحساب والجنة والنار فادامت قلوبكم
 واهواؤكم واحدة لم تلبسوا شيئا ولم يندق بعضكم بأس بعض فامروا بالمعروف وانهاوا عن المنكر
 فاذا اختلفت قلوبكم واهواؤكم والبستم شيئا واذبقى بعضكم بأس بعض فامر نفسه فعد
 ذلك جاء تأويل هذه الآية وقيل لابن عربى جملت في هذه الايام فلم تأمر ولم ته فان
 انه يقول دليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فقال ابن عربى انها ليست دلى ولا لا محابى
 لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يبلغ الشاهد القائب فكنا نحن الشهود دانت القائب ولكن هذه
 الآية لا تقوم بحیون من بعدنا قالوا لم تقبل منهم وعن ابى امية الشعبانى قال اتيت ابا ثعلبة الخششى فقلت
 له كيف نصنع بهذه الآية قال اية آية قلت يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم
 قال امروا لا قد سألت عنها خيرا سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال امروا بالمعروف وتناهوا
 عن المنكر حتى اذا رايت شهاما طاعوا هوى متبعا ودينا وثررة وعجاب كل ذى ارأى رايه فعليك بخاصة
 نفسك ودع الامور فان من روايتكم وایام الصبر فمن صبر فممن قبض على الحجر للعامل فممن نزل اجر حسين
 رجلا يملأون مثل علمكم وفي رواية قبل يارسول الله اجر حسين رجلا ما او منهم قال لائل اجر حسين
 منكم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وقيل في معنى الآية ان العبد اذا غل بطاعة الله
 واجتنب نواهي لا يضركم من ضل وقال ابن عباس قوله عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم يقول
 اذا ما العبد طاعنى فيما امرته من الحلال والحرام فلا يضركم من ضل بعده اذا غل بما امرته به وعن صفوان
 بن محرز قال دخل على شاب من اصحاب الاهواء فذكر شيئا من امره فقلت له ادلك على خاصة الله التى خص
 بها اولياءه يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وقال الحسن لم يكن مؤمن فيامضى

وانت اولى بهم تفعل بهم ما
 تشاء (وان تغفر لهم) يرفع
 الجباب (فانك انت العزيز)
 القوى القادر على ذلك لا
 تزول عزتك بتغير بهم ورفع

ولا مؤمن فيما نرى الا والى جانبه منافق يكره عمله وقيل في معنى الآية لا يضركم من كفر بالله واحد عن قصد
السييل من اهل الكتاب اذا اهتديتم انتم قال سعيد بن جبير نزلت هذه الآية في اهل الكتاب وقال ابن
زيد كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت آباءه وضللتهم وفعلت وفعلت وكان ينبغي لك ان تنصرهم وتقتل
وتقتل فقال الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا تضركم من ضل اذا اهتديتم قال الطبري واولى
هذه الاقوال واصحها وبالات عندنا في هذه الآية ما روى عن ابي بكر الصديق وهو العمل
بطاعة الله واداء ما لزم من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والاخذ على يد الظالم لان الله تعالى
يقول وتعاونوا على البر والتقوى ومن اتعاون على البر والتقوى الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر والاخذ على يد الظالم حتى يرجع عن ظلمه وقال عبدالله بن المبارك هذه الآية او كدآية
في وحبوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لان الله تعالى قال عليكم انفسكم يعني اهل دينكم
بان يعظ بعضكم بعضا ويرغبه في الخيرات وينفره عن القبائح والمنكر وهات والذي يؤكد ذلك ان معنى
قوله عليكم انفسكم اي حفظوا انفسكم وهذا امر بان تحفظوا انفسا ولا يتهم ذلك الا بالامر بالمعروف والنهي
عن المنكر والله اعلم * وقوله تعالى (الي الله مرجعكم جميعا) في الآخرة الطائعات والعاصي والضال
والمتهدي (فإنكم بما كنتم تعملون) يعني فيخبركم بما كنتم تعملون عليه * قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا
سهادة بيسكم) سبب نزول هذه الآية ما روى ان تميم بن اوس الداري وعدي بن بداء خرجا من المدينة
في تجارة الى الشام وهما انصرانيان ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فالتقيا والشام مرص
بديل فكتب كتابا به جميع ما معه من الماع والقاء في مناعه ولم يخبر صاحبيه بذلك فلما شئوا جعه اوصى
الى تميم وعدي وامرهما ان يدفعا مناعه الى اهله اذ رحعا الى المدينة ومات بديل فشتا مناعه فوجدوا
فيه انا من فضة مقوشا بالذهب ثلثة مائة مقال فغياها ثم انما قسما حاجتهما وانصرقا الى المدينة فدفعها
المناع الى اهل البيت وانشؤا فاصوا بالحبيبة وفيها تسمية ما كان معه فجاء اهل البيت الى تميم وعدي
يقالوا اهل باع صاحبنا شيئا من مناعه قالوا لا قالوا اهل تجارة قالوا لا قالوا اهل طال مرضه فافق
شيئا على نفسه قالوا لا قالوا انا وحدثنا في مناعه صحيفة فيها تسمية ما كان معه وانما قد انا من فضة مقوشا
بالذهب فيه ثلثمائة مقال ففقهه قالوا لا ندري اعا وصى الينا بشيئا وامرنا ان ندفعه اليكم فدفعاه وما لنا لم
بالاناء فاخصموا الى النبي صلى الله عليه وسلم فأصرنا على الانكار وحلما فانزل الله هذه الآية هذا قول
المفسرين وروى الترمذي عن ابن عباس عن تميم الداري في هذه الآية يا ايها الذين آمنوا شهادة
بيسكم اذا حضر احدكم الموت قال تميم بدئ الساس بنها غيري وغير عدي بن بداء وكانا
نصرانيين يخلفان الى الشام تجارا ثمما قبل الاسلام فاتيا الى الشام تجارا ثمما وقدم
عليهما مولى لبني سهم يقال له بديل بن ابي مريم تجارة ومعدجال من فضة يريد به الملك وهو
اعظم تجارتهم فرفض فاوصى اليهما وامرهما ان يلغما ترك اهله قال تميم ولما مات اخذنا ذلك الجاه فبعناه
الف درهم اقتسمناه انا وعدي فلما اتنا اهله دفعنا اليهم ما كان معا وقد الجاه فسلوا ناعه فقلنا مات
غير هذا ولا دفع الينا غيره قال تميم فلا اسلمت بعد قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة تأثمت من ذلك فأتيت
اهله فاخبرتهم الخبر واديت اليهم خمسمائة درهم واخبرتهم ان عد صاحبنا ثلثا فأتوا به رسول الله
صلى الله عليه وسلم فسألهم اليه فلم يجدوا فامرهم ان يستلقوه بما يعظم على اهل دينه فأنزل الله
يا ايها الذين آمنوا شهادة بيسكم اذا حضر احدكم الموت الى قوله او يخفوا ان تردا عما بعد اعلمهم فقام

جاءهم (الحكيم) تفعل ما تفعله
من التعذيب بالحب والحرمان
والقريب بالاطف والفران
بحكمتهك البالغة (قال الله هذا
يوم سينفع الصادقين صدقهم)

عرو بن العاص ورجل آخر خلفا فثبتت الجماعة درهم من عدى قال الترمذى هذا حديث غريب
وليس اساده صحيح وقد روى عن ابن عباس شئ من هذا على الاختصار من غير هذا الوجه قال ابن
عباس خرج رجل من بني سهم مع عويم الدارى وعدى بن بداء فأتى السهمى بارض ليس فيها مسلم فلما
قدما بتركته فقدوا اجاما من فضة نحو صابا لذهب فاحلفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وجدوا الجلام
بمكة فقبل اشترى به من عويم وعدى فقام رجلان من اولياء السهمى خلفا بالله لشهادتنا احق من شهادتهما
وان الجلام لصاحبهم قال وفيهم نزلت هذه الآية يا ايها الذين آمنوا شهادتكم اذا حضر احدكم الموت
اخرج الترمذى وقال حديث حسن غريب واخرج هذه الرواية الاخيرة البخارى في صحيحه فلما
التفسير فقله تعالى يا ايها الذين آمنوا شهادتكم يعني يشهد ما بينكم لان الشهادة انما يحتاج اليها عند
وقوع انتازع والتشاجر (اذا حضر احدكم الموت) يعني اذا قارب وقت حضور الموت (حين الوصية
اثان) لفظه خبرو معاه الامر يبنى يشهد اثنان منكم عند حضور الموت وادتم الوصية (ذو اعداء
منكم) يعني من اهل دينكم وملتكم يا معشر المؤمنين واختلفوا في هذين الايتين فقل هما الشاهدان
اللدان يشهدان على وصية الموصى وقيل هما الوصيان لان الآية نزلت فيهما ولاه قال تعالى فيقسمان
بالله والشاهدان لئلا يمين وعين وحمل الوصى اثمين تأكيده على هذا كون الشهادة بمعنى الحضور وكقولك
شهدت وصية فلان بمعنى حضرت (او آخران من غيركم) يعني من سيرا اهل دينكم وملتكم وهذا قول
ابن عباس وابى موسى الاشعري وسعيد بن المسيب وابن حنبل والبخارى والشافعية وابن سيرين وشریح
واكثر المسلمين وقيل هاهنا من غير عشيرتكم وقيل لكم وهم مسلمون واختار العلماء في حكم هذه
الآية فقال اراهم الحمى وجاعة هي منسوخة كانت شهادة اهل الذمة مقولة في الابتداء ثم نسخت
بقوله تعالى واستشهدوا شهيدين من رجالكم لان اجاع الامة على ان شهادة الفاسق لا تجوز وشهادة
الكفار واهل الذمة لا تجوز بطريق الاولى وذهب قوم الى انها ناطة لم ينسخ وهو قول ابن عباس وابى
موسى الاشعري وسعيد بن المسيب وابن حنبل وابن سيرين وبه قال احمد بن حنبل فالو اذالم يحد مسلمين
يشهدان على وصيته وهو في ارض غريبة فليشهد كافرين او ذميين او من اى دين كان لان هذا موضع
ضرورة قال شريح من كان بارض غريبة لم يحد مسلم يشهد وصيته فليشهد كافرين على اى دين كانا من
اهل الكتاب او من عدة الاصنام فشهداتهم حائزة في هذا الموضع ولا تجوز شهادة كافر على مسلم محال
الاعلى وصيته في سفر لا يحد فيه مسلما عن الشيعى ان رجلا من المسلمين حضرته الوفاة بدوقاهده ولم
يحد احدا من المسلمين حضر يشهده على وصيته فاشهد رجلا من اهل الكتاب فقدما الكوفة فأتيا ابا
موسى فاخبراه وقدما بتركته وصيته فقال ابو موسى هذا امر لم يكن بعد الذى كان في عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاحلفهم بالله ما خانا ولا كذبا ولا بدلا ولا كتمان ولا غير وانما الوصية الرجل
وتركته فامضى شهادتهما اخرج ابو داود وقال قوم في قوم في قوله ذو اهل منكم يعني من عشيرتكم
وحكيم او آخران من غيركم من غير عشيرتكم وحكيم وان الآية تكلموا في المسلمين وهذا قول الحسن
والزهري وذكر مسلم وقالوا لا تجوز شهادة كافر في شئ من الاحكام وهذا مذهب الشافعية ومالك وابى
حنيفة غير ان ابا حنيفة اجاز شهادة اهل الذمة فيما بينهم بعضهم على بعض واحتج من قال بان هذه الآية
محكمة عن سورة المائدة من آخر القرآن نزولا وليس فيها منسوخ واحتج من اجاز شهادة غير المسلم
في هذا الموضع بان الله تعالى قال في اول الآية يا ايها الذين آمنوا فمما بينكم بعضهم على بعض وهذه الآية
بعد ذواتكم او آخران من غيركم فلم يذكركم في ذلك انما من غير المؤمنين ولان الآية دالة على وخوب

نفع صدقك اياك وصدق كل
صادق لكونه خيرة
الكلمات وخاصة المكنوت
(لهم جات تجرى من تحتها
الانوار خادنين فيها بدارضى

الحلف على هذين الشاهدين واجمع المسلمون على ان الشاهد المسلم لا يجب عليه عین ولا ن المیت اذا كان في ارض غريبة ولم يجد مسلماً يشهده على وصيته ضاع ماله وورثته كان عليه ديون او عنده ودعة فيضيع ذلك كله واذا كان ذلك كذلك احتياح الى اشهاد من حضر من اهل الذمة وغيرهم من الكفار حتى لا يضيع ماله وتذو وصيته فهذا كالمضطر الذي ابيع له اكل الميتة في حال الاضطرار والضرورات قد تبجح شيان المحظورات واحتج من منع ذلك بان الله تعالى قال بمن ترضون من الشهداء والكفار ليسوا مرضيين ولا عدوا لافشادتهم غير مقبولة في حال من الاحوال * وقوله تعالى (ان انتم ضربتم في الارض) يعني ان انتم سافرت في الارض (فاصابتكم مصيبة الموت) يعني نزل بكم اسباب الموت فاصيتم اليهما ودفعتم ما لكم اليهما (تحبسوهما) يعني ان انهما بميت الوريثة وادعوا عليهما خيانة فالجكم فيه ان يوقوهما (من بعد الصلاة) يعني من بعد صلاة العصر لان جميع اهل الاديان يعظمون ذلك الوقت ويحذرون فيه الحلف الكاذب وقبل من بعد صلاة اهل دينهما لانهما اذا كانا كافرين لا يحترمان صلاة العصر (فيقسمان بالله) يعني فيحلفان بالله قال الشافعي الايمان تعلق في الدماء والطلاق والعناق والمال اذا بلغ مائتي درهم بالزمان والمكان فيحلف بعد صلاة العصر ان كان بمكة بن الركن والمقام وان كان بالمدينة فعد المنبر وان كان في بيت المقدس فعد الصخرة وفي سائر البلاد في اشرف المساجد واعظمها (ان ارتبتم) يعني ان شككتهم ايها الوريثة في قول الشاهدين وصدقهما فحلفوهما وهذا اذا كانا كافرين اما اذا كانا مسلمين فلا يمين عليهما لان تحليف الشاهد المسلم غير مشروع (لان شترى به مما) يعني لان بيع عهد الله بشيء من الدنيا ولا تحلف بالله كاذبين لاجل عوض تأخذه او حق تحبده (ولو كان ذاقربي) يعني ولو كان المشهود له ذاقربة منا وانما خص القربي بالذكرا لان الميل اليهم اكثر من غيرهم (ولانكتم شهادة الله) انما اضاف الشهادة اليه لانه امر باقامتها ونهى عن كتمانها (اما اذا لمن الآثمين) يعني ان كتمان الشهادة او خفافها ولما نزلت هذه الآية صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ودعا ثانيا وعديا وحلفها عبد المبر بالذي لا اله الا هو انهما لم يخونا شيئا بما دفع اليهما فحلفا على ذلك فحلفي رسول الله صلى الله عليه وسلم سبلهم ثم ظهر الاناء بعد ذلك قال ابن عباس وجد الاناء بمكة فظفوا اشترياه من عديم وعدى وقيل لما طالت المدة اظهروه فبلغ ذلك جنسهم فاتوهما في ذلك فقالا انا كما اشترياه منه فقالوا لهما لم نزعنا ان صاحبنا لم يبع شيئا من متاعه قال لم يكن عندنا بية فكرر هان فخر لكم به فكتمانهم لذلك فرمواهما الى النبي صلى الله عليه وسلم (فان شتر) يعني فان اطاع وظهر والشور الجوع على امر لم يهجم عليه غيره وكل ما طلع على امر كان قد خفي عليه قيل له قد شتر عليه (على انهما استحقا اثما) يعني الوصيين ومعنى الآية فان حصل الشور والوقوف على ان الوصيين كما استوحبا الاثم بسبب خيانتهم وايانهم الكاذبة (فآخران) يعني من اولياء الميت واقربائه (بقومان مقامهما) يعني مقام الوصيين في اليمين (من الذين استحق عليهم) يعني من الذين استحق عليهم الاثم وهم الوريثة والمعنى اذا ظهرت خيانة الخالفين وبان كدهما يقوم اثنان آخران من الذين جنى عليهم وهم اهل الميت وعشيرته (الاوليان) يعني بامر الميت وهم اهله وعشيرته (فيقسمان بالله) يعني فيحلفان بالله (لتسألتا حق من شهدتهما) يعني ايماننا احق وصدق من ايماننا (وما اعتدينا) يعني في ايماننا وقلنا لان شهادة احق من شهدتهما (انا اذا لمن الظالمين) ولما نزلت هذه الآية ظم عربون العاص والمملب بن ابي وداعة السهميان وهما من اهل الميت

الله عنهم ورضوا عنه) الصفات
بدليل ثمرات الرضوان فان
ارضوا لا يكون الانفساء
الارادة ولا تقضى ارادتهم الا
اذا غلبت ارادة الله عليهم
فافتها ولهذا قدم رضوان
الله عنهم على رضوانهم عنه
اي لما ارادهم الله تعالى في

وحلفا بالله بعد العصر ودفع الاناء اليهما وانما ردت اليمين على اولياء الميت لان الوصيين ادعيان الميت
 باعها الاناء وانكر ورثة الميت ذلك ومثل هذا ان الوصى اذا اخذ شيئا من مال الميت وقال انه اوصى له
 به وانكر ذلك الورثة اليمين عليه ولما سلم تيم الدارى بعد هذه القصة كان يقول صدق الله وصدق
 رسوله انا اخذت الاناء فاننا اتوب الى الله واستغفره * وقوله تعالى (ذلك ادنى ان يأتوا بالشهادة على
 وجهها) يعنى ذلك الذى حكم به من رد اليمين على اولياء الميت بعد ايمانهم ادنى اى اجدر واحرى ان
 يأتوا بالشهادة على وجهها يعنى ان يأتى الوصيان وسائر الناس بالشهادة على وجهها فلا يخونوا فيها (او
 يخفوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم) اى واقر ب' ان يخاف الوصيان ان ترد الايمان على اولياء الميت فيحلفوا
 على خيانتهم وكذبهم فيفتضحوا ويقره وافر بما لا يخلفون كاذبين اذا خافوا هذا الحكم (واتموا الله)
 يعنى وخافوا الله ان تحلفوا ايمانا كاذبة او تخونوا امانة (واسمعوا) يعنى الموعظون والى واجر وقيل مساه
 واسمعوا اسمع اجابة (والله لا يهدى القوم الفاسقين) يعنى والله لا يرشد من كان على معصية وهذا تهديد
 وتخويف ووعد لمن خالف حكم الله تعالى او خان امانته او حلف ايمانا كاذبة وهذه الآية الكريمة من
 اصعب ما فى القرآن من الآيات بطما واعرابا وحكما والله اعلم باسرار كتابه * قوله عز وجل (يوم
 يجمع الله الرسل) قال الزجاج هى متصلة بما قبلها تقديرها واتموا الله يوم يجمع الله الرسل وقيل تقديره
 والله لا يهدى القوم الفاسقين يوم يجمع الله الرسل اى لا يهديهم الى الجنة فى ذلك اليوم وهو يوم القيامة
 وقيل انها مقطعة عما قبلها وتقديره اذ كرا يجمع يوم يجمع الله الرسل وذلك يوم القيامة (فيقول ماذا
 اجبت) يعنى يقول الله تارك وتعالى لا رسل ماذا اجابكم وما الذى رد عليكم قومه حين دعوتهم
 فى دار الدنيا الى توحيدى وطاعى فائدة هذا السؤال توخيح ايم الانبياء الذين كذبوهم (قالوا) يعنى
 الرسل (لا علم لنا) قال ابن عباس معناه لا علم لنا بكلمك فيهم لانك تعلم ما اضروا وما اظهروا ونحن لانعلم الا
 ما اظهروا وافعلك فيهم انهم من علماء ابلع فعلى هذا القول انفقوا العلم عن انفسهم وان كانوا علماء لان علمهم
 صار كلال علم عدلهم الله وقال فى رواية اخرى معناه لا علم لنا الا علم انت اعلم به ما وهذا القول قريب من
 الاول وقبل معناه لا علم لنا بوجه الحكم عن سؤالك ايا ما عن امرات اعلم به وقيل معناه لاحقيقة لما
 بعاقبة امرهم لانا كنا نعلم ما كان من افعالهم واقوالهم وقت حياتنا ولا نعلم ما كان منهم بعد وفاتنا ولا
 نعلم ما احدثوا من بعدنا وما اخبر الله عن عيسى عليه السلام بقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما
 توفيتني كنت انت الرقيب عليهم ومنه ما روى عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن على
 الخوض رجال من صاحبى حتى اذا رفعوا الى الخنجلوا دوى فلاقوا ن اى رب اصحابى فيقال لى لك لا
 تدري ما احدثوا بعدك زاد فى رواية فقول سمحاً لمن بدل بعدى اخر جاء فى الصحيحين وقال جمع من
 المفسرين ان القيامة احوالا وزلازل تزول فيها القلوب عن مواضعها فيفزعون من هول ذلك
 ويذهلون عن الجواب ثم اذا ثابت اليهم عقولهم يشهدون على انفسهم بالتبليغ وهدافيه صمغ ونظر لان
 الله تعالى قال فى حق الانبياء لا يخزنهم القزع الا كبر وذكرا الامام فخر الدين الرازى وجه آخر وهو
 ان الرسل عليهم السلام لما طموا ان الله تعالى عالم لا يجهل وحليم لا يسه وعاذل لا يظلم فلو ان قوله لم
 لا يفيد خيرا ولا يدفع شرافرا وان الادب فى السكوت وفى تقويض الامر الى الله تعالى وعلمه فقالوا
 لا علم لنا (انك انت علام الغيوب) يعنى انك تعلم ما غاب عنا من بواطن الامور ونحن نعلم ما شاهد
 ولا نعلم ما فى الواطن وقيل معناه انك لا تخفى عليك ما غابنا من العلوم وان الذى سألنا عنه ليس

الازل بظهورية ارادته ومحل
 رضوانه ورضى بهم محلا
 واهلاك لذلك سباب عنهم
 ارادتهم بان جعل ارادته
 مكانها وابداهم بها فرضى
 عنهم وارضاهم (ذلك الفوز
 العظيم) اى التلاح العظيم
 الشأن ولو كان فناء الذات

عائدة من الله علينا ووجه وبرهان العيد يوم السرور واصله من ما يدوم اذا رجع والمعنى تهنئ ذلك
اليوم الذي تنزل فيه المائدة عيد العظيمة وفصل فيه نحن ومن يحيى من بعدنا فنزلت في يوم الاحد فاتفق
الصاري عيدا وقال ابن عباس معناه يأكل منها اول الناس كايا كل آخرهم (وآية منك) اي وتكون
المائدة دلالة على قدرتك وحدانيتك ووجه بصدق رسولك (وارزقنا) اي ارزقنا ذلك من عندك وقيل
ارزقنا الشكر على هذه النعمة (وانت خير الرازقين) يعني وانت خير من تفضل ورزق (قال الله) عن
وجل بحسب العيسى (اني منزلها عليكم) يعني المائدة (فمن يكفر بعد منكم) يعني بعد نزول المائدة (فاني
اعذبه عذابا) يعني جنسا من العذاب (لا اعذبه احدا من العالمين) يعني من طامى زمانهم فمجدوا وكفروا
بعد نزول المائدة فمسخوا الخنازير قال الزجاج ويجوز ان يكون هذا العذاب مجعلا في الدنيا ويجوز ان
يكون مؤخرا الى الآخرة قال عبد الله بن عمر ان اشد الناس عذابا يوم القيامة المنافقون ومن كفر من
اصحاب المائدة وآل فرعون واختلف العلماء في نزول المائدة فقال الحسن ومجاهد لم تنزل المائدة لان الله لما
اوعدهم على كفرهم بانها ابعد نزول المائدة خافوا ان يكفر بعضهم فاستغفوا وقالوا لا تريد هاهنا تنزل
عليهم فعلى هذا القول يكون معنى قوله تعالى اني منزلها عليكم ان سأتهم نزولها والصحيح الذي عليه جمهور
العلماء والمفسرين انها نزلت لان الله تعالى قال اني منزلها عليكم وهذا وعد من الله بانزالها ولا خلف في
خبره ووعدوه ولما روى عن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت المائدة من السماء
خبزا ولحما وامرنا ان لا نخبونوا ولا يدخروا الفد فخبناوا وادخروا ورفعوا الفد فمسخوا قرده وخنزير
اخرجه الترمذي وقال قدروى عن عمار بن ياسر طريق موقوفا وهو اصح وقال ابن عباس ان عيسى
عليه السلام قال لهم صوموا ثلاثين يوما ثم اسألوا الله ما شئتم يعطيكموه فصاموا فلما فرغوا قالوا يا عيسى
اننا لو علمنا عملا لاحد ففقدنا عملا لا طمعا وسألوا المائدة فاقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها
سبعة ارجفة وسبعة احوان حتى وضعوها بين ايديهم فاكل منها آخر الناس كايا كل اولهم وقال سلمان
الفارسي لما سأل الخواريون المائدة ابس حيسى صوفا وبكى وقال اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء
الآية فنزلت سفرة جراء بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها وهي تهوى
اليهم منقضة حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعاني من الشاكرين اللهم واجعلها
رحمة ولا تجعلها عقوبة واليهود ينظرون الى شئ لم ينظروا مثله ولم يجدوا ربحا لطيب من ربحه فقال
عيسى عليه السلام ليقيم احسنكم عملا فليكشف عنها ويسم الله فقال شمعون الصفا رأس الخواريين انت
اولي بذلك منا فقام عيسى عليه السلام فتوضأ وصلى صلاة طويلة وبكى بكاء كثيرا ثم كشف المنديل عنها
وقال بسم الله خير الرازقين فاذا هو بسحكة مشوية ليس فيها شوك ولا عليها فلوس تسيل من الدسم وعند
رأسها ملح وعند ذنبها خل وحو لها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خسة ارجفة على واحد منها
زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله
امن طعام الدنيا هذا ام من طعام الجنة فقال عيسى ليس شئ مما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الجنة
ولكنه شئ اخترعه الله بقدرته العالية كلوا مما سألتم واشكروا بعدكم ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله
كن اول من يأكل منها فقال عيسى معاذ الله ان آكل منها يا كل منها من سألها فخبناوا ان يأكلوا منها فدا
لها اهل اللقافة والمرضى والبرص والجذام والمقدين فقال كلوا من رزق الله لكم الشفاء ولغيركم البلاء
فاكلوا منها وهم الف وثلاثمائة رجل وامرأتان من فقير ومريض وزمن ومبتلى وصدروا عنها

وهم شباع واذا السمكة بحالها حين انزلت ثم طارت المائدة صعودا وهم ينظرون اليها حتى توارت ولم يأكل منها مريض اوزمن او مبتلى الاعو في ولا فقير الا استغنى وندم من لم يأكل منها وقيل مكثت اربعين صباحا تنزلت ضحى فاذا نزل اجتمع اليها الاغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء يأكلون منها ولا تزال منصوبة يؤكل منها حتى يفيء التي فاذا فاء التي طارت وهم ينظرون اليها حتى تنوارى عنهم وكانت تنزل غايوما تنزل ويوما لا تنزل فاوحى الله عز وجل الى عيسى عليه السلام اجعل مائدتي ورزقي للفقراء دون اغنياء فظلم ذلك على الاغنياء حتى شكوا وشككوا الناس فيها وقالوا ترون المائدة حقاً تنزل من السماء فاوحى الله عز وجل الى عيسى عليه السلام اني شرطت ان من كفر بعد نزولها عذبه عذاباً لا عذبه احدا من العالمين فقال عيسى عليه السلام عند ذلك ان تعذبهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فمسخ الله منهم ثلثة وثلاثين رجلاً باتوا اليهم مع نسائهم على فرشهم ثم اصبحوا خنازير يسعون في الطرق يأكلون العذرة من الكتاسات والحشوش فلما رأى الناس ذلك فزعوا الى عيسى عليه السلام وبكوا ولما ابصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكيت وجعلت تلطيف به وجعل عيسى عليه السلام يدعوهم باسمائهم فيشربون برؤسهم ولا يقدررون على الكلام فحاشوا ثلاثة ايام ثم هلكوا وقال كعب انزلت المائدة منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والارض عليها كل شيء الا اللحم وقال ابن عباس انزل على المائدة كل شيء الا الخبز واللحم وقال الكلبي كان عليها خبز وبر وقل وقال وهب بن منبه انزل الله اقرصة من شعر وحيثما فكان القوم يأكلون ويخرجون ثم يحيى آخرون فيأكلون حتى اكلوا باجمعهم وفضل وقال قتادة كانت تنزل عليهم بكرة وعشا حيث كانوا كالمز والسلوى لبني اسرائيل وقال الكلبي ومقاتل انزل الله سمكا وخسة ارغفة فاكلوا منها ما شاء الله والناس الف ونيف فلما رجعوا الى قراهم وذئروا الحديث ضحك من لم يشهد منهم وقالوا ويحكم انما سهر اعينكم فمن اراد الله به خيرا ثبتته ومن اراد فنته رجع الى كفره فمضوا خنازير ورايس فيهم صبي ولا امرأة فكثروا ثلاثة ايام ثم هلكوا ولم يبقوا الدوا ولم يأكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ قوله عز وجل (واذ قال الله يا عيسى ابن مريم ان أنت قلت للناس اتخذوني واخي الهين من دون الله) الآية اختلف المفسرون في وقت هذا القول فقال السدي قال الله لعيسى هذا القول حين رفعه الى السماء بدليل ان حرف اذ يكون للماضي وقال سائر المفسرين انما يقول يوم القيامة بدليل قوله يوم يجمع الله الرسل وذلك يوم القيامة وبدليل قوله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وذلك يوم القيامة واجيب عن حرف اذ بانها قد تعيى بمعنى اذا كثر له ولوترى اذ فزعوا يعني اذ فزعوا وقال الرازي ثم جز الله عني اذ جرى جنات عدن في السموات العلى

ولفظ الآية في قوله ان أنت قلت للناس انظروا استفهام ومعناه الانكار والتوبيخ لمن ادعى ذلك على عيسى عليه السلام من النصارى لان عيسى عليه السلام لم يقل هذه المقالة فان قلت اذا كان عيسى عليه السلام لم يقلها فوجه هذا السؤال له مع علم الله بانه لم يقله قلت وجه هذا السؤال لتثبيت الحق على قومه واكذاب لهم في ادعائهم ذلك عليه وانه امرهم به فهو كما يقول القائل لا خرافة قلت كذا وهو يعلم انه لم يفعلها وانما اراد عظيم ذلك الفعل فني من نفسه هذه المقالة وقال ما قلت لهم الا امرتني بان اعبدوا الله ربي وربكم فاعترف بالبودية وانه ليس باله كما زعمت وادعن فيه النصارى فان قلت ان النصارى لم يقولوا بالهية مريم فكيف قال اتخذوني واخي الهين من دون الله قلت ان النصارى لما ادعت في عيسى انه اله ورواوا ان مريم مولده لمهم بهذه المقالة على سبيل التبعية وقوله تعالى اخبار عن عيسى عليه السلام (قال

سبحانك) يعني تنزيهاك عن القائص وبراءة لك من العيوب قال ابو روق اذا سمع عيسى عليه السلام هذا الخطاب وهو قوله أنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله ارتعدت مفاصله وانفجرت من اصل كل شعرة من جسده بين من دم وقال بحميد الله تعالى سبحانك (ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق) اي كيف اقول هذا الكلام ولست باهل ولست استحق العبادة حتى يدعو الناس اليهود والمسلمين انه ليس له ان يقول هذه المقالة وهذا المقام مقام التواضع والخشوع لعظمة الله تعالى شرع في بيان هل وقع ذلك منه ام لا فقال (ان كنت قلته فقد علمته) اسند العلم الى الله تعالى وهذا هو غاية الادب واطها والمسكنة لعظمة الله تعالى وتقويض الامر الى علمه ثم قال (تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك) يعني تعلم ما اعلم ولا اعلم ما تعلم وقال ابن عباس تعلم ما في غيبي ولا اعلم ما في غيبك وقيل معناه تعلم ما اخفي ولا اعلم ما تخفي وقيل معناه تعلم ما كان مخفي في دار الدنيا ولا اعلم ما يكون منك في دار الآخرة وقيل معناه تعلم ما اقول وافعل ولا اعلم ما تقول وتفعل والنفس عبارة عن ذات الذي يقال نفس الشيء وذاته بمعنى واحد وقال الزجاج النفس عبارة عن جملة الشيء وحقيقته يقول تعلم جميع حقيقة امرى ولا اعلم حقيقة امرى وقيل معناه تعلم معلومي ولا اعلم معلومك وانما ذكر هذا الكلام على طريقة المشاكلة والمطابقة وهو ملي فصيح الكلام ثم قال (انك انت علام الغيوب) يعني انك تعلم ما كان وما سيكون وهذا تاكيدا تقدم من قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك * قوله تعالى اخبارا عن عيسى (ما قلت لهم الا ما امرتني به) يعني ما قلت لهم الا قولا امرتني به (ان اعبدا الله) يعني قلت لهم اعبداوا الله (ربي وربكم) يعني وحده ولا تشركوا به شيئا (وكنتم عليهم شهداء ما دمتم فيهم) يعني وكنتم اشهد ما يفعلون واحصره ما دمتم مقيما فيهم (فلما توفيتني) يعني فلما رفعتني الى السماء فلما ربه وفاة الرفع لا الموت (كنتم انت الرقب عليهم) يعني الحفيظ عليهم المراقب لاعمالهم واحوالهم والرقب الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء (وانت على كل شيء شهيد) يعني انت شهدت ما قالتي التي قلتها لهم وانت الشهيد عليهم بعدما رفعتني اليك لا تخفي عليك خافية فعلى هذا الشهيد بمعنى الشاهد لما كان وما يكون ويجوز ان يكون الشهيد هنا بمعنى العليم يعني انت العالم بكل شيء فلا يهرب عن علمك شيء * قوله عز وجل اخبارا عن عيسى عليه السلام (ان تعذبهم) يعني ان تعذب هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة بان تبيتهم على كفرهم (فانهم عبادك) لا يقدر على دفع ضرر نزل بهم ولا جلب نفع لانفسهم وانت العادل فيهم لانك اوضحت لهم طريق الحق فرجعوا عنه وكفروا (وان تغفر لهم) يعني لمن تاب من كفرهم منهم بان تريد الى الايمان فان ذلك بفضلك ورحمتك (فانك انت العزيز) يعني في الانتقام ممن تريد الانتقام منه لا يمنع عليك ما تريده (الحكيم) في افعالك كلها وهذا التفسير انما يصح على قول السدي لانه قال كان سؤال الله عز وجل لعيسى عليه السلام حين رفعه الى السماء قبل يوم القيامة اما على قول جمهور المفسرين ان هذا السؤال انما يقع يوم القيامة ففي قوله وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم اشكال وهو انه لا يليق بعيسى عليه السلام طلب المغفرة لهم مع علمه بان الله تعالى لا يغفر لمن يموت على الشرك والجواب عن هذا الاشكال من وجوه احدها انه ليس هذا على طريق طلب المغفرة ولو كان كذلك لكان فانك انت الغفور الرحيم ولكنه على تسليم الامر الى الله وتقويضه الى مراده فيهم لانه العزيز في ملكه الحكيم في ضلوه ويجوز في حكمه وسعة

مغفرته وورجته ان يغفر لكفار لكنه تعالى اخبر انه لا يفعل ذلك بقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به
الوجه الثاني قيل معناه ان تعذبهم يعني باقامتهم على كفرهم الى الموت وان تغفر لهم يعني لمن آمن منهم
وتاب ورجع عن كفره الوجه الثالث قال ابن الانباري لما قال الله لعيسى أنت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين من دون الله لم يقع لعيسى الا ان النصراني حكى عنه الكذب لانه لم يقل ذلك وقول
الكذب ذنب فيخوز ان يسأل له المغفرة والله اعلم بمراده واسرار كتابه (م) عن عبدالله بن عمرو بن
العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل في ابراهيم رب انهن اضللن كثيرا من
الناس فمن تبعني فانه مني الآية وقول عيسى ان تعذبهم فانه عبادك وان تغفر لهم فانه انت
العزيز الحكيم فرفع يديه وقال اللهم امتي امتي وبكى فقال الله تعالى يا جبريل اذهب الى محمد وربك
اعلم فاسأله ما يبكيك فانه جبريل عليه السلام فسأله فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال
وهو اعلم فقال الله يا جبريل اذهب الى محمد فقل له انا سرضيك في امتك ولا نسوءك عن ابي
ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حتى اصبح بآية والآية ان تعذبهم فانه عبادك وان تغفر
لهم فانه انت العزيز الحكيم اخرجته النسائي * قوله عز وجل (قال الله هذا يوم ينفع
الصادقين صدقهم) اتفق جمهور العلماء على ان المراد بهذا اليوم يوم القيامة والمعنى ان صدقهم
في الدنيا ينفعهم في الآخرة لانه يوم الاثابة والجزاء وما تقدم من صدقهم في الدنيا يتبين نفعه يوم القيامة
والمراد بالصادقين النبيون والمؤمنون لان الكفار لا ينفعهم صدقهم يوم القيامة قال قتادة متكلما
لا يخطئان يوم القيامة عيسى عليه السلام لانه يقوم فيقول ما قص الله عنه ما قلت لهم الا ما امرتني به
الآية فكان صادق في الدنيا والآخرة فينفعه صدقه واما المتكلم الآخر فابليس فانه يقوم فيقول وقال
الشيطان لما قضى الامر الآية فصدق عداؤه فيا قال ولم ينفعه صدقه وقال عطاء هو يوم من ايام الدنيا
لان الآخرة دار جزاء لا دار عمل وذهب في هذا القول الى ظاهر الآية من ان الصدق النافع انما يكون
في الدنيا وهذا القول موافق لمذهب السدي حيث يقول ان هذه المحاطبة جرت مع عيسى عليه السلام
حين رفع الى السماء والوجه ما ذهب اليه الجمهور ورثم ذكر الله تعالى ما لهم من الثواب دلي صدقهم فقال
تعالى (لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا) فهذا الاشارة الى ما يحصل لهم من الثواب
الدائم الذي لا انقطاع له ولا انتهاء (رضى الله عنهم) يعني بطاعتهم له (ورضوانه) يعني بما اعطاهم
من ثوابه وجزيل كرامته (ذلك) اشارة الى ما ذكره من ثوابهم (الفوز العظيم عظيم) يعني انهم فازوا
بالجنة ورضوانه عنهم ونجوا من النار (لله ملك السموات والارض وما بين) عظم الله عز وجل
نفسه ما قال فيه العساري يعني ان الذي له ملك السموات والارض هو الذي يستحق الالهية

لما قالت النصراني من الهية المسيح وانه لانهما من جملة من في السموات والارض

فهما عبيده وفي ملكه وقيل هو جواب لسؤال مضمير في الكلام كأنه لما وعد

الصادقين بالثواب العظيم قيل من بعدهم ذلك قال الذي له ملك

السموات والارض ومن فيمن (وهو على كل شيء قدير)

والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تم الجزء الاول من تفسير الخازن وبليه الجزء الثاني اوله تفسير سورة الانعام ﴿

